أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٠٥) محرم ١٤٣٧ هـ - أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٥ م

الهجرة اختبار للهمم .. انتصار للحق

- حركة الترجمة العلمية في الإسلام
- مالك بن نبي .. أيقونة البحث عن الحقيقة
- التدريب الأبوي بين النجاعة والنمطية
- دراسة استطلاعية حول كيفية تحفيز الموظفين المسلمين؟



مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

مجلة الوعي الإسلامي | www.alwaei.gov.kw | info@alwaei.com

العدد ٦٠٥ - السنة ٥٣ - محرم ١٤٣٧ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٥ م

الهجرة

لم تكن الهجرة النبوية أمرا عابرا في تاريخ الأمة، بل كانت حدثا تاريخيا عظيما، فصل بين مرحلتين ظاهرتين من مراحل الدين الجديد الذي أكرم الله به الإنسانية؛ وهما: مرحلة ما قبل الهجرة، التي اصطلح عليها باسم المرحلة المكية، ومرحلة ما بعد الهجرة، وهي المرحلة المدنية؛ وإنما عظمت الهجرة بعظمة صاحبها ﷺ، وجلال المكان الذي انطلقت منه وإليه؛ فلا أعظم من النبي الكريم ﷺ، ولا أشرف من مكة والمدينة؛ لذلك غيّر طريق الهجرة مجرى تاريخ الإسلام، وحمل في طيات مراحله معاني كثيرة، من التضحية والصبر والتوكل، وصدق الصحبة والإخاء، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة: ٤٠).

لقد كانت الهجرة النبوية خطوة عملاقة في طريق الدعوة إلى الله، ورفع راية دين الله سبحانه، كما كانت فاتحة خير ونصر وبركة على الإسلام والمسلمين، حتى كانت دروسها حاضرة إلى يوم الناس هذا؛ لا ينقطع أثرها، ولا تنتهي بركاتها، والمتأمل لحادثة الهجرة يدرك حسن توكل النبي ﷺ على ربه، ويقينه أن الله عز وجل حافظه وناصر دينه، ومع أن توكل النبي ﷺ كان كاملا؛ إلا أنه ﷺ أخذ بالأسباب وفوض أمر النتائج للمدبر سبحانه؛ مما يدل على أنه لا تعارض بين التوكل وبين الأخذ بالوسائل، وقد شاء الله تعالى أن تتم الهجرة النبوية بأسباب ووسائل عادية من التخفي والصحبة، والزاد والناقة والدليل وإعداد العدة وغيرها.. يقول أبو بكر رضي الله عنه: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه، أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (رواه مسلم)؛ يقول النووي: «وفيه بيان عظيم توكل النبي ﷺ حتى في هذا المقام، وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه وهي من أجَلِّ مناقبه».

لقد تركت الهجرة النبوية المباركة آثارا جليلة على المسلمين في عصر النبوة وفيما تلاه من العصور، كما أن آثارها شملت الإنسانية عامة؛ لأن الحضارة الإسلامية التي قامت؛ قدمت ومازالت تقدم للبشرية أسمى القواعد الأخلاقية والتشريعية التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، فسيرة النبي ﷺ لا تحد آثارها بحدود الزمان والمكان؛ لأنها سيرة القدوة الطيبة والأسوة الحسنة.

د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٠٥ | محرم ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٥م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد











التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦-٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ٤٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

المجون في الإفتاء

أيعقل أن يمارس المفتي المجون بفتاويه؟ نعم؛ ذلك ممكن وواقع، وآثاره المدمرة للفرد والمجتمع ظاهرة للعيان، لا تحتاج دليلا.. إنه الذي لا يبالي ما صنع، أو يعلم الناس الحيلة الباطلة، ولا يأبه بتحريم الحلال وتحليل الحرام..

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

ولعظيم البلوى بهذا الصنف من المفتين قرر العلماء أن من واجبات الراعي وحقوق رعيته عليه؛ أن يحجر على المفتي الإفتاء فيما لا يعلم؛ أو التلاعب بما علم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ (الأعراف:٣٣)، قال ابن القيم: «من أفتى الناس وليس بأهل للفتوى؛ فهو آثم عاص، ومن أقره من ولاة الأمر على ذلك فهو آثم أيضا.. وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس، بل هو أسوأ حالا من هؤلاء كلهم».

التحرير



فيصل يوسف العلي

رئيس التحرير.. مسيرة عطاء

(من سنة ٢٠٠٨ م حتى ٢٠١٥/٨/٣١م)

التحرير



فيصل العلي مع د. عبدالله محارب والشيخ محمد ناصر العجمي

انطلاقا من ريادة دولة الكويت عربيا وعالميا في التجديد والتطوير الإعلامي، والعمل على تعزيز الخطاب الإسلامي الإعلامي الوسطي، وترسيخ قيم الاعتدال والفهم الصحيح للإسلام، وذلك باستخدام الوسائل الإعلامية المتاحة؛ نشأت مجلة «الوعي الإسلامي» تحت مظلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ممثلة في قطاع الشؤون الثقافية، وقد صدر أول عدد للمجلة في غرة محرم عام (١٣٨٥هـ)، الموافق (١٩٦٥/٥/١م)؛ أي قبل نصف قرن من الزمان!

ولقد تعاقب على رئاسة تحريرها كوكبة من العلماء والمثقفين، كان آخرهم الزميل فيصل يوسف أحمد العلي، الذي قدم إلى المجلة، وهي تخطو خطوات متميزة نحو التفوق والتجديد، فزادها بحرصه وتفانيه تميزا، وحقق لها انتقالات نوعية، حتى أصبحت المجلة على إثرها حديث العامة والخاصة من أهل الأدب والعلم والثقافة وغيرهم.

ومن الأعمال الجليلة التي حفرت اسمه في سجل المجلة؛ ما كان متميزا به من رحلاته الإعلامية والعلمية في كثير من البلاد، حرصا على إثراء المجلة بكل جديد، ومن ذلك مثلا: مشاركاته في كثير من المؤتمرات والمعارض والملتقيات الثقافية والدينية والتراثية؛ المحلية والعالمية، وقيامه بتغطيات تخصصية متميزة في العديد من جوانبها، ومنها: ملتقى الكويت - التركي (الكويت -٢٠١٠م)، الملتقى التركي- الكويتي (تركيا-٢٠١٠م)، مؤتمر معهد البحوث والدراسات العربية (مصر ٢٠١٠م)، ومكتبة مخطوطات الجامع الكبير (اليمن-٢٠١٠م)، ومكتبة السليمانية (تركيا-٢٠١١م)، ومكتبة الغربية (اليمن-٢٠١٢م)، والمؤتمر الأول لخدمة السنة النبوية: السنة النبوية بين الواقع والمأمول (مصر-٢٠١٢م)، وندوة تطور العلوم الفقهية (سلطنة عمان-٢٠١٢م)، مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول المنعقد في (نوفمبر ٢٠١٢م) الذي جمع من خلاله الزميل فيصل العلي كوكبة من مختلف البلدان الإسلامية وكان له كبير الأثر في الانتشار الواسع والتعريف بمجلة «الوعي الإسلامي» وإنجازاتها العلمية والثقافية.

وتوَّج هذه اللقاءات والمؤتمرات بتوقيع العديد من بروتوكولات التعاون بين



فيصل العلي مع د. محمد بن عاشور مدير منظمة الإلسكو (السابق)



العلي متحدثا في مؤتمر الصحافة الإسلامية



فيصل العلي مع د. خالد أرن ومفتي اليونان



فيصل العلي مع مدير معهد المخطوطات العربية

مجلة «الوعي الإسلامي» وبين العديد من المجلات والإدارات الإعلامية في الدول العربية والإسلامية.

كما أن الجانب المشرق الذي حمله على عاتقه منذ قدومه للمجلة، ألا وهو إحياؤه لكتب التراث، وطباعة ما يجد من الرسائل العلمية؛ جعله من الأسماء اللامعة بين العلماء والمثقفين، فقد قام بالإشراف على الكثير من الإصدارات العلمية والفكرية والثقافية والتخصصية، ومنها:

لا إنكار في مسائل الاجتهاد، المجموعة الشعرية للأطفال، مقالات الشيخ محمد الغزالي، كتاب الشيخ عبدالعزيز بن باز، علماء وأعلام كتبوا في الوعي (جزآن)، الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره، التحقيق في مسائل أصول الفقه، الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها مذهب الإمام مالك، الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة، التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد، أصول الفقه عند الصحابة السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد، لطائف الأدب في استهلال الخطب، أصول البيوع الممنوعة في الشريعة الإسلامية، الحافظ أبوالحجاج يوسف المزي، الصعقة الغضبية، منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب، معجم القواعد والضوابط الفقهية، دراسات وأبحاث (٤ أجزاء)، العذاق الحواني في الفقه المالكي (٣ أجزاء)، معجم الخطاب القرآني، علم المخطوط العربي، التراث العربي، التقريب والإرشاد، تفسير عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (جزآن) وغيرها كثير..

لقد ودّعتْ أسرة تحرير «الوعي الإسلامي» رئيس تحريرها الزميل فيصل العلي، الذي تقاعد عن العمل الوظيفي بتاريخ ٣١ أغسطس ٢٠١٥م، حيث عمل فيها طيلة ثمانية أعوام، كان فيها مثالا رائعا للتفاني في الخدمة، والتميز في الأداء، وقدّم مسيرةَ إنجاز شاهدة على عظيم ما بذل؛ حيث حقق للمجلة نقلات نوعية، جعلتْها في مصاف المجلات العالمية التي لها حضور إعلامي وتربوي في كثير من المحافل داخل دولة الكويت وخارجها.

كما حفظ للمهنة شرفَها وأمانتها، وكان مثالا معبِّرا في الصدق والقوة والحزم والانضباط وحسن المظهر وبشاشة الوجه، حتى غدت هذه الأوصاف سمات رئيسة في تكوين شخصيته، مما جعل لُحمة العلاقة بينه وبين إخوانه في أسرة التحرير أساسها المودة والرغبة في النفع والتميز قدر الإمكان.

فتحية إجلال وإكبار إلى شخصه الكريم، وقد حمل أمانة إعلامية ملتزمة، وعمل بكل ما أوتي من جهد وطاقة لتشريف وزارة الأوقاف التي جعلته على رأس مجلة الوعي، وليؤدي حق الله الواجب عليه، راضي الضمير مطمئن الخاطر.

نعم، ربما تتداخل الحروف والكلمات، وربما يعجز اللسان عن التعبير له بما يليق بقدره ومكانه، ولكن القلب دائما يكون هو الفيصل؛ فجزاه الله كل خير وأسعده في الدارين.

الهجرة اختبار للهمم.. انتصار للحق

كمال عبدالمنعم
باحث دراسات إسلامية

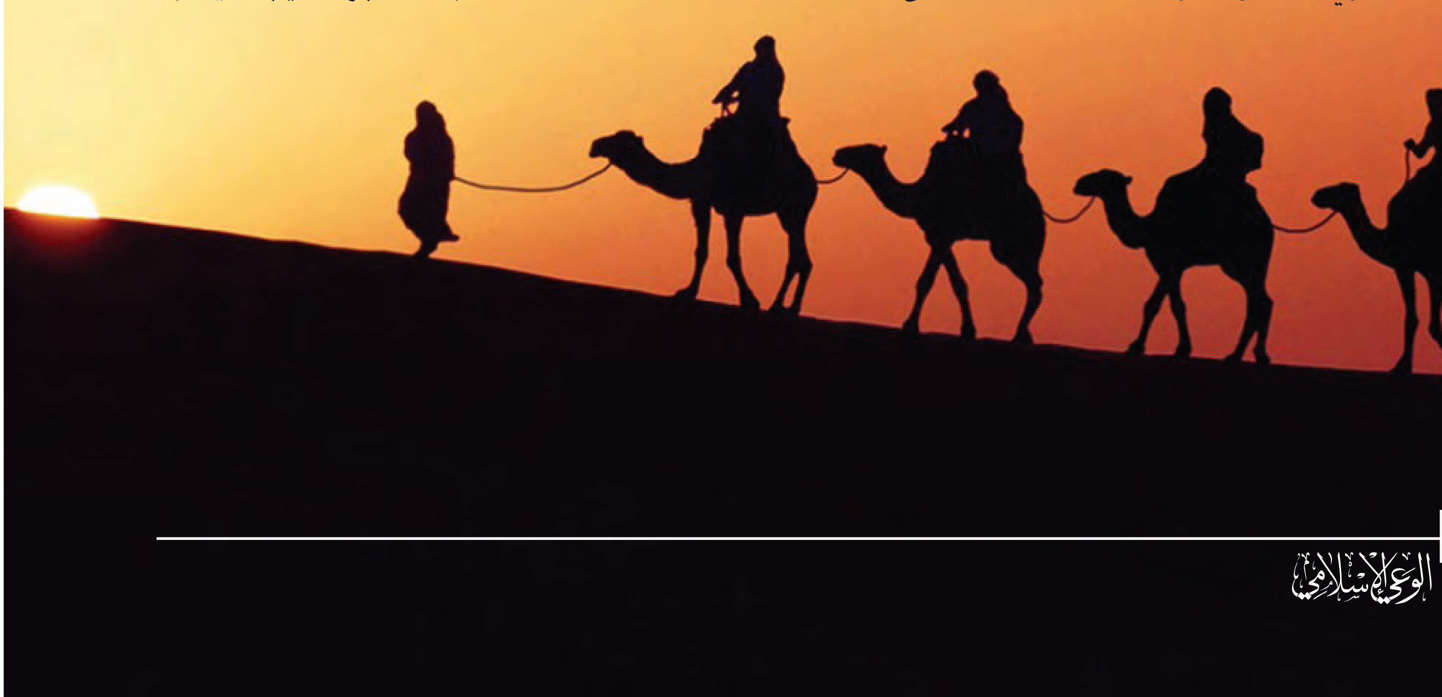
لم تكن هجرة النبي ﷺ فرارا بدينه كما يظن البعض، وإنما كانت انتقالا من أرض استعصت على قبول الحق إلى أرض جديدة اشتاق أهلها إلى استقبال دعوة الإسلام وقبول الهدى الذي جاء به. تلك الهجرة التي جاءت لتعلن للدنيا بأسرها أن الحق قوي مهما كان، وأن على صاحب الحق أن يتلمس له كل الطرق التي يصل بها إلى حقه، وهكذا كانت هجرة النبي ﷺ غرسا في أرض طيبة ساعدته على غرس ما شاء من الأرض بالعقيدة الصحيحة التي اقتلعت جذور الشرك، وهدمت قلاعه، ومهدت لإصلاح شامل لخيري الدنيا والآخرة.

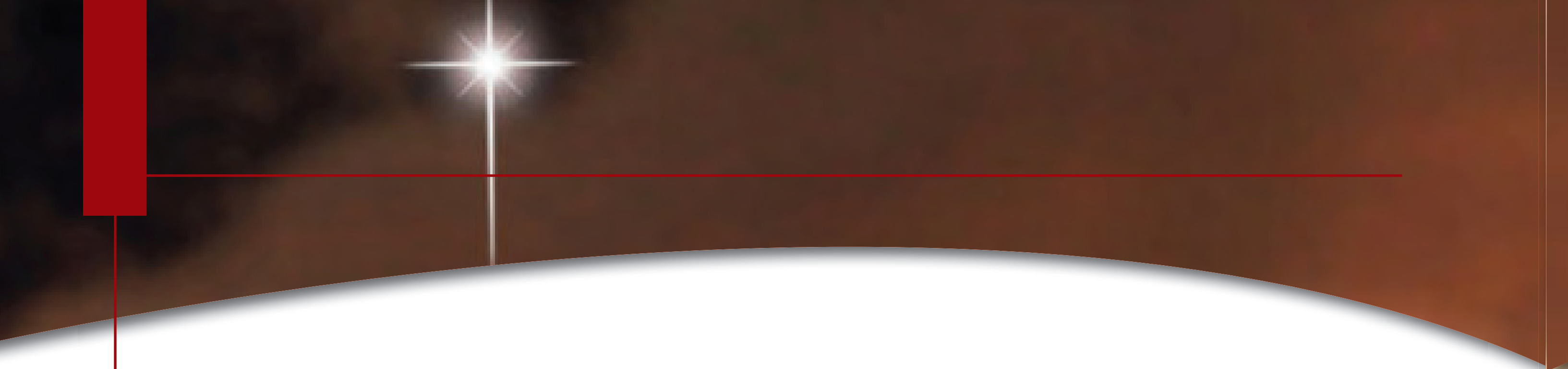
بين يدي الهجرة

بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية، طلب مسلمو المدينة من يذهب معهم، كي يعلمهم أمور دينهم، فأرسل إليهم سفير الإسلام الأول مصعب بن عمير رضي الله عنه، فكان نموذجا يحتذى به، وكان مثالا للداعية الصادق الصابر الذي أقنع بالحجة، ووعظ وجادل بالتي هي أحسن، فاستجاب له أهل المدينة حتى إنه لم يبق بيت في المدينة إلا دخله الإسلام، وسمع أهل المدينة بالدين الجديد والنبي المرسل فاشتاقوا إلى لقائه ﷺ، فكان ذلك بمنزلة التمهيد للهجرة المباركة، التي تنتظر الإذن من الله تعالى.

المسلمون من فتنة إلى فتنة

لقد عاش المسلمون المستضعفون في مكة يعانون أشد العناء، ويعذبون أشد تعذيب، وينكل بهم أشد تنكيل من كل رؤوس الكفر والشرك أمثال: أمية بن خلف، وعمرو بن هشام، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي.. وغيرهم، لدرجة أنهم كانوا يجردون المسلمين من الثياب في صحراء مكة، ويربطونهم ويضعون على صدورهم الصخور الثقيلة؛ كي يثنوهم عن دينهم، وكان يمر بهم النبي ﷺ، فيراهم في تلك الحالة الأليمة، فيقول لهم: «صبرا فإن موعدكم الجنة»، فكان هذا العذاب فتنة كبرى لا يثبت فيها إلا





من رسخ إيمانه، وتمكن من شغاف قلبه، وعلم وفهم القرآن الكريم وهو يخبرنا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠). وعلى الرغم من هذه الفتنة – فتنة العذاب – فإنه لما جاء الإذن بالهجرة إلى المدينة تعرضوا لفتنة أشد، وهي ترك المال والأهل والوطن، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن:١٥)، ولكنهم نجحوا في اجتياز تلك الفتنة، لعلمهم أن فساد العقيدة هو الهلاك بعينه، الذي لا ينفع معه مال أو أهل أو وطن. فكان المشركون يجبرون من أراد الهجرة أن يترك ماله كله، ويخرج بثوبه الذي يلبسه. ولا يخفى علينا ما حدث لصهيب الرومي رضي الله عنه حين منعوه من الهجرة حتى يترك لهم كل ما يملك، فأعطاهم كل ماله، فأثنى عليه النبي ﷺ بعدما علم قصته قائلا له: «ربح البيع أبا يحيى»، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (البقرة:٢٠٧). وهكذا المسلم بهمته العالية يتجاوز الصعاب، فلا يحول حائل، ولا يمنعه مانع من الوصول إلى هدفه، خصوصا إذا كان الهدف مما يرضاه الله ورسوله.

قرار غاشم

دائما ما تتجمع قوى الشر للكيد للإسلام والمسلمين في أي زمان ومكان، والأنبياء هم أشد الناس بلاء، فمن الأنبياء من قتل، ومنهم من طرد، ومنهم من مكر به، فهذه سنة الله مع جميع أنبيائه، كي يضربوا المثل لأقوامهم في تحمل الشدائد، والثبات على الحق؛ روى البخاري في صحيحه والترمذي وابن ماجه والحاكم عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل: يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». وما حدث في الهجرة يوضح ذلك، فقد اجتمع المشركون في دار الندوة ليتشاوروا في أمر النبي ﷺ، وأثبت القرآن الكريم ذلك قائلا: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠)، وقد حضر هذا الجمع البغيض إبليس اللعين في صورة شيخ من نجد، جاء ليدلي برأيه، وما إن أشار أبوجهل برأيه قائلا بقتل محمد ﷺ حتى صفق لهذه الفكرة، لم لا؟! وهو الذي يحب أن تراق دماء المسلمين في كل وقت، سواء كان بأيدي المسلمين بعضهم ببعض، أو بأيدي أعدائهم، فهما سواء عند الشيطان الرجيم.

ويدبرون وتضحك الأقدار

ظن المشركون أنهم بذلك سوف يقضون على النبي ﷺ ودعوته، ونسوا أن هناك ربا لهذا الكون يدبر شؤونه بحكمة واقتدار، ويبيت المشركون على نية الغدر والخيانة والقتل، ويشاء الله العلي القدير أن يأتي أمر الهجرة في الليلة نفسها التي يجتمعون فيها أمام بيت النبي ﷺ، فيخرج من بينهم وهو يحثو التراب على رؤوسهم تاليا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس:٩)، ويقضي الله سبحانه على أوهامهم في النيل من محمد ﷺ لتصيبهم حسرة أليمة ضاعت معها نشوة الفرح الذي طالما سعدوا به وهم يستهزئون بالنبي ﷺ وصحبه الكرام، وتضحك الأقدار للموكب النبوي، ويغتاظ الكفار: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (آل عمران:١١٩).

لا الأمر أمري ولا التدبير تدبيري
ولا الأمور التي تجري بتقديري
لي خالق رازق ما شاء يفعل بي
أحاط بي علمه قبل تصويري

أداء الأمانة والوفاء العظيم

على الرغم من هذا العناد المرير من قبل المشركين تجاه النبي ﷺ، فإنهم كانوا لا يأتمنون أحدا غيره على أموالهم، وبمجرد أن علموا بهجرته حتى أشاعوا – كذبا – أنه أخذ أموالهم وهرب بها، ولكنهم فوجئوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ينادي فيهم: «من كانت له أمانة عند رسول الله ﷺ فليأت وليأخذها». فكانت قاصمة الظهر لهم، وردا على افتراءاتهم، وكانت مثالا للوفاء العظيم من النبي الأمين، فانظر – رحمني الله وإياك – كيف رد النبي ﷺ أموال المشركين المحاولين قتله ولم يستحلها؟!

إن أخلاق المسلم تفرض عليه أن يصون كل أمانة، ويبتعد عن كل خيانة، ويحفظ المال للمسلم وغير المسلم، فلا يعتدي على مال غيره، ولا يهدر المال العام الذي هو مملوك للناس جميعا، ومن يفعل غير ذلك فما فهم دينه، وأساء لنفسه ولمنتسبي ملته.

التوكل على الله من صفات المؤمنين

قال الله تعالى في صفات المؤمنين: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال:٢). هذا التوكل الذي يجعل المؤمن يأخذ بالأسباب ويكد ويجد، ويعمل ليصل إلى ما يريد، فلا يتهاون أو يتكاسل، وينتظر النجاح يأتيه وهو في مكانه لا يبرحه، وقد ضرب لنا النبي ﷺ في الهجرة مثالا عظيما في معنى التوكل الحقيقي على الله تعالى، فعلى الرغم من أنه نبي الله، وأن الله تعالى وعده بالنصر والتمكين، فإنه حينما عزم على الهجرة فعل أمورا عدة، إن دلت على شيء فإنما تدل على شدة توكله على ربه حق التوكل، فقد خرج من بيته ليلا، وترك عليا في فراشه؛ ليخدع الكفار، وسار تجاه المدينة من طريق غير معتادة، واستعان بدليل؛ حتى لا يضل طريقه، واختبأ في الغار ليختفي عن أعين المشركين، فكل هذه الأمور تدل على أخذه بالأسباب الموصلة إلى نجاح العمل، ولم يمض في طريقه ارتجالا من دون تخطيط، كما يفعل البعض في أمورهم المعيشية، وهذا هو التواكل المذموم.

نفحات إلهية على طريق الهجرة

إن المتتبع لأحداث الهجرة المباركة يتبين له صدق آيات الله البينات في كتابه، ووعده الحق لرسله وعباده المؤمنين، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ (غافر:٥١)، ونجد في النفحات الإلهية التي أحاطت بالنبي ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة عبرة وعظة، ومشاعل مضيئة ترشد السائرين في بيداء الحياة الوعرة، وظلماتها المتكاثفة، فها هو النبي ﷺ يخرج من بيته وقد ألقى الله على أعين المتربصين به غشاوة سترت رؤيتهم للنبي ﷺ، ثم يسير إلى غار ثور هو وصاحبه أبوبكر الصديق رضي الله عنه فيخشى الصديق انكشاف أمرهم إذا وصل المشركون إلى باب الغار، فيهمس الصديق قائلا: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فيرد النبي ﷺ رد الواثق بالله تعالى: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا»، وهنا تتدخل العناية الإلهية لترد المشركين المتجبرين على أعقابهم.

وتستمر الآيات تترى على النبي ﷺ وصاحبه أثناء الهجرة، فقد نزل النبي ﷺ بخيمة أم معبد الخزاعية، فسألها عن تمر أو لحم أو طعام ليشتريه، فلم يجد عندها شيئا إلا شاة خلفها الجهد عن باقي الغنم، فاستأذنها النبي ﷺ أن يحلبها، على الرغم من أنه يعلم حالتها، فأمسك بضرعها، وهو يدعو الله قائلا: «اللهم بارك لها في شاتها»، وهنا تظهر نفحات الله على يد رسوله الكريم، فيمتلئ الضرع باللبن، فيحلبه الرسول الكريم، ويسقي جميع الحاضرين، ثم يشرب هو بعد ذلك، ثم يواصل النبي ﷺ سيره ويحاول سراقة بن مالك اللحاق به لنيل الجائزة الكبرى حين الظفر بمحمد ﷺ حيا أو ميتا، لكن حفظ الله لنبيه يحول دون ذلك، ويعود سراقة حاملا وعدا بسوارى كسرى، سبحان الله! رجل مطارد، ترصده كل عين، يعد بسوارى كسرى! إنها الثقة بالله تعالى، والوعد بالنصر والتمكين.

لقد كانت تلك الهجرة اختبارا قاسيا للنفوس، نجح فيه الصحب الكرام أعظم نجاح، وضربوا لنا المثل الأعلى في الهمة العالية التي تشبه الجبال الرواسي، فلا تهزها الرياح، ولا تؤثر فيها الأعاصير، كذلك كانت انتصارا وفتحا مبينا، وهي تعد الصحيفة الأولى في سجل المجد الإسلامي، فقد أراد الله تعالى للدعوة الإسلامية أن تنتصر، ولدين الله تعالى أن ينتشر في ربوع الأرض، ليصل إلى كل العالمين على يد خاتم النبيين وأصحابه والتابعين بالقدوة والأسوة الحسنة والاعتصام بحبل الله المتين، من غير استبداد أو اتباع للهوى، أو تعصب لرأي، فساد المسلمون الأرض أزمنة طويلة، وتقدم فيها علم المسلمين ليصل إلى قلب أوروبا التي كانت مظلمة، فما أحوجنا في هذا الزمان إلى أن نتذكر تلك الأمجاد، ونترك الأحقاد والظلم والطغيان، ونجتمع على كلمة سواء، حتى يعلو شأننا، وترتفع رايتنا، ونكون أهلا لنصر عظيم كنصر الهجرة الشريفة.



متى تكون أعبد الناس؟

علاء الدين حسن
كاتب سوري

الـــورع مـصـطـلـح شــرعـي، معناه: تـرك مـا يـريـبـك، ونـفـي مـا يعيبك، والأخـذ بـالأوثق، وحمل النفس على الأحوط، واجتناب الشبهات، ومراقبة الخطرات.

ولا يمكن التورع من دون علم. قال علماؤنا: «تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين، وشر الشرين. ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها».

قال رسـول الله ﷺ في وصيته لأبي هريرة ﵁: «كن ورعا، تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما، وأقل الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب» (رواه ابن ماجه).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث حذيفة ﵁، والحاكم من حديث سعد ﵁ أنه ﷺ قال: «فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع» (صحيح الجامع).

ومن الأدلة عن الورع، حديث النواس ابن سمعان ﵁ عن النبي ﷺ قال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه أحد» (رواه مسلم).

وعن وابصة بن معبد ﵁ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر؟». قلت: نعم. فقال ﷺ: «استفت قلبك؛ البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» (رواه أحمد).

وهذا الحديث فيه إيماء وإشارة إلى تلك الحساسية المرهفة التي يملكها عباد الله الصالحون؛ فصارت قلوبهم تطمئن إلى البر وترتاح إليه، وصارت نفوسهم تأنف من المعصية وإن أفتاهم الناس وأفتوهم. ولاشك أن هذا الحديث مع ما فيه من الدلالة على الأمر بالتورع، فهو إشارة إلى حال الصالحين وحال قلوبهم التي ترى بنور الله سبحانه وتعالى؛ فتطمئن هذه القلوب للبر والهدى والتقى والصلاح، وتشعر باشمئزاز ونفور وتردد من الإثم وأسبابه، ولو أفتاها الناس.

وهذا المقياس في مسألة البر والإثم ليس إلا لعباد الله الصادقين؛ بل لعله أن يكون أمارة نختبر بها قلوبنا؛ فإن كانت تطمئن للبر والصلاح والتقوى وتشمئز من المعصية والسيئة وتنفر منها، فهي قلوب صالحة بإذن الله، وإن كانت دون ذلك فهي بحاجة إلى تزكية وإصلاح.

وهذا المقياس إنما هو لأولئك الصالحين الذين توجهت قلوبهم لله سبحانه وتعالى، فأصبح القلب لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يتوجه إلا لله، وقبلته إلى الله عزوجل لا يفارقها. فكما أنه يستقبل القبلة في صلاته ويقف بين يدي الله عزوجل كل يوم خمس مرات؛ فلا يمكن أن تستقر في قلبه إرادة تخالف إرادة الله سبحانه وتعالى وشرعه؛ لهذا ارتقت هذه النفوس إلى هذا القدر، فصارت تطمئن للبر وتشمئز من الإثم؛ فمنحها الله عزوجل هذا النور وهذا الفرقان. يقول الله عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ (الأنفال:٢٩).

وقال بعض من سبقنا: «كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في الحرام».

الجوامع الموحدة لأمتنا

د. إبراهيم نويري
أكاديمي جزائري

المتأمل في أدبيات الإسلام وتراثه الفكري والفقهي والسياسي والحضاري، وهي أدبيات تمثل رصيدا كبيرا واسعا تنوء بحمله الجبال الرواسي، يجد أن الإسلام أنجز للأمة المسلمة الكثير من الجوامع التوحيدية، التي على أسسها وعلى قاعدة مرتكزاتها تكون قوة الأمة الحقيقية.

أبرز هذه الجوامع التوحيدية يتمثل في:
جامع العقيدة
جامع الشريعة
جامع الحضارة
جامع دار الإسلام
وليس غريبا أن تكون العقيدة الإسلامية، بمكوناتها وأركانها، هي الجامع الأول في نسيج كيان هذه الأمة، فهي للقلوب والأفئدة بمنزلة الماء للأرض يحيي الموات من النبات ويزيل الجدب من على ربوعها.. والعقيدة الصحيحة تتكفل بإخضاع الناس لخالقهم العظيم، وتهدم الأصنام في نفوسهم في مجال الفكر والفن والاجتماع والاقتصاد ونحو ذلك. ومن خصائص العقيدة الإسلامية أنها لم تكتف بإحياء عاطفة الحب الإلهي وإنعاشها فحسب، بل مكنت لمبادئ العقل تمكينا عجيبا، حتى إن كل من يحتفي بالمنطق العقلي ويحترم مبادئه، بوسعه أن يستدل من مقرراته على صحة مكونات العقيدة الإسلامية وسلامتها.

أما جامع الشريعة، فقوامه تلك القواعد والأحكام والمقاصد الكلية، التي تتميز بالثبات مع المرونة ومراعاة أوضاع المكلفين، واستيعابها لكل نوازل العصور ومستجداتها. وإذا نحن استقرأنا تفصيلات الأحكام الشرعية وربطناها بالمقاصد التي تتشوف إليها، أدركنا على الفور أن الشريعة من أهم الجوامع التوحيدية للأمة الإسلامية. فالعبادات - مثلا - في جانب من جوانبها مظهر بديع لوحدة الأمة واجتماعها على مثابة واحدة. وهذه الحقيقة تتجلى في صوم شهر رمضان وفي مناسك الحج وفي الصلوات الجامعة، كما تتجلى في ثبات الأحكام وقواعد التشريع.

ثم يلي هذا الجامع جامع الحضارة، وهو يعني ذلكم الفضاء الخلاق الذي انصهرت في بوتقته العامة وتحت ظلاله جهود المسلمين وجهود مواطني البلاد الإسلامية ممن لا يدينون بالإسلام، فنتجت عن ذلك علوم وآداب وفنون وإبداعات صبغت بالصبغة الإسلامية ذات الطابع الإنساني المنفتح والمتسامح. ومن يتأمل تلك المناشط الحضارية في شتى المجالات ومختلف الميادين،



سوف يجدها تعبر، بصورة أو بأخرى، عن قيم وطبائع وأخلاقيات منبثقة أو متأثرة بتعاليم الإسلام في بناء الحياة وتأهيل الإنسان لأداء رسالته على الأرض وفق منهج سليم ومسالك راشدة.

أما جامع دار الإسلام، فهو يشير بوضوح إلى أن الأمة المسلمة إنما هي أمة واحدة لها أوضاعها الخاصة، ولها الكثير من السمات التي تميزها عن غيرها. ومصطلح دار الإسلام من المصطلحات الفقهية القديمة في أدبيات ومقولات الفكر الإسلامي، وهو يعني البلاد الخالصة للمسلمين والتي تقطنها أغلبية مسلمة، وتطبق فيها أحكام الإسلام وتعاليمه، أي البلاد التي تخضع للسيادة الإسلامية وقوانينها العامة.

إن هذه الجوامع التوحيدية الجوهرية هي التي تمنح الأمة الإسلامية خصائصها ومميزاتها، إلى جانب قوة الكيان ومنعته. ونظرا لهذه الحقيقة الساطعة، نجد أن الدوائر والقوى التي تعادي هذه الأمة، تركز دائما على ضرب هذه الجوامع وإضعاف مفعولها وتحييد آثارها على مختلف الأصعدة. ولا ريب أن كيد تلك الدوائر ارتفع بوغاؤه حتى عم أصقاع الدنيا، وملأ فجاج الأرض.

وعلى سبيل المثال، نرى أن جهود وبرامج التبشير والتنصير تركز على إضعاف جامع العقيدة الإسلامية، كي تظل عقائد كامنة في القلوب والضمائر، لكنها معزولة عن الواقع المتحرك. بينما نجد العلمانية وفصائلها وتياراتها تركز جهودها ومشاريعها المختلفة، على تهميش جامع الشريعة وحصره في دوائر الأحكام الشخصية كالزواج والطلاق والميراث، وذلك بالتمكين للقوانين الوضعية، والصراخ المتواصل في المنابر الإعلامية المأجورة التي دأبت على تخويف الناس من أحكام الشريعة الإسلامية، والادعاء بأنها أحكام قاسية وغير مناسبة لطبائع الإنسان المعاصر، وكأنهم أكثر رأفة وشفقة بالعباد من خالق العباد سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم.

أما نزعة المركزية والصلف والغرور التي تتصف بها الحضارة الغربية، فتركز حربها ضد جامع الحضارة الإسلامية وضد تميز مضامينها التي استوعبت الإنسانية كلها من دون تمييز على أسس مذهبية أو دينية أو عرقية أو غيرها. ولهذه النزعة المركزية أدوات كثيرة تعمل من خلالها على نسبة كل فضيلة إلى الحضارة الغربية، وإلصاق كل أوزار التاريخ ومساوئ البشر بالحضارة الإسلامية.

أما المد الاستعماري في أشكاله وصوره العسكرية وغيرها، فهو يعمل باستمرار ومن دون هوادة من أجل اختراق دار الإسلام، كي لا يكون للأمة الإسلامية جامع جغرافي يوحد بين أقطارها وأقاليمها الممتدة على ثلاث قارات من المعمورة.

وتعتبر أداة التفتيت والتقسيم من أخطر الأدوات التي يستخدمها المد الاستعماري، ولذلك فهو كثيرا ما يشهر ورقة الأقليات في الأقطار الإسلامية، ويغذي هذه الورقة كي تثمر المزيد من التفتيت والتقسيم لجامع دار الإسلام.

في الأخير: هل من يقظة إسلامية بصيرة تعمل على تفعيل هذه الجوامع في الواقع العملي، حماية لأمتنا من أخطار كالحة معنتة تتهدد وجودها وحاضرها ومستقبلها؟



د. أحمد هارون مستشار العلاج النفسي وعلاج الإدمان:

مشكلة الشباب في افتقاد المصداقية والمعايير

القاهرة - إسلام أحمد
دار الإعلام العربية

«ارض ربك. صارح نفسك بعيوبك. ابذل أقصى جهدك للتغلب على سلبياتك. اضرب بكل المعوقات عرض الحائط. استمتع بنجاحك».. هذه خلاصة روشتة نفسية يقدمها مستشار العلاج النفسي وعلاج الإدمان وعضو الجمعية العالمية للصحة النفسية الدكتور أحمد هارون، لزوار عيادته وقراء مؤلفاته، مؤكدا في حواره مع «الوعي الإسلامي» أن جميع الناس عرضة للضغوط النفسية بالدرجة نفسها، لكن بمعدلات استجابة مختلفة، مؤكدا أنه على الإنسان أن يتقبل نفسه، ويعالج جوانب النقص والتقصير، ومن ثم ينمي الإيجابيات. وإلى التفاصيل:

• يشتكي كثيرون من أن حياتهم أضحت ممتلئة بالتوتر والإحباط، فما السبب؟

- جميع الناس عرضة للضغوط النفسية بالدرجة نفسها، لكن ليس جميعهم يستجيبون لهذه الضغوط بنفس الدرجة، فمقدار التعرض للضغوط أو الألم أو المصادر النفسية التي تجعل الناس أكثر توترا قد يكون واحدا عند معظم الناس. ويمكن القول إن الـ٣٠ عاما الماضية تمثل عصر القلق والتوتر، إذ كلما زاد حجم التكنولوجيا من حولنا زادت المثيرات، ويصبح الإنسان أكثر عرضة للضغوط والتوتر. والغريب أننا نجد أن الأشخاص الأكثر قدرة على

التماسك في البداية، هم الأكثر عرضة للضغوط والتوتر، وحتى تتجنب الضغوط يجب أن نتسم بالمرونة في تقبل الضغوط والتعامل معها بسلاسة.

أما الإحباط فهو الفشل في تحقيق رغبة معينة. والفشل قد يكون مفيدا لو أحسنا تدبره أو استغلاله، وأي شيء ننجح فيه الآن قد نكون فشلنا فيه في بادئ الأمر، كالطفل الذي يتعلم المشي أو الكلام، فبدايته كانت صعبة، لكنه مع الوقت لا يجد صعوبة في ذلك، والأشخاص الذين يرفعون سقف توقعاتهم هم أكثر الأشخاص عرضة للإحباط، خصوصاً في العلاقات مع الناس.

● وما أول نصيحة تقدمها لزوار عيادتك؟

- ارض ربك، وصارح نفسك بعيوبك، وابذل أقصى جهدك للتغلب على سلبياتك، واضرب بكل المعوقات عرض الحائط، واستمتع بنجاحك.

● كيف يمكن معالجة التوتر والإحباط؟

- أولا أن يفهم الشخص نفسه، وهذا لا يحدث إلا عندما يقرأ أكثر عن نفسه. ومستشار العلاج النفسي هو أكثر الأشخاص قدرة على أن يجعل الشخص يفهم نفسه، ومعظم المشكلات ناتجة عن سبب من اثنين: إما أن لديه نقصا في المعلومات عن نفسه أو إدارة ما يحدث له، وإما خطأ في المعلومات عن إدارة نفسه، وأن يعلم أنه لا توجد مشكلة ليس لها حل.

● إذن، كيف نفهم أنفسنا؟

- الشخص لن يفهم نفسه إلا عندما يتقبلها. ومن خلال الأبحاث

الشباب يفقدون الثقة بمن يقلل من شأنهم.. والمنافق مضطرب نفسيا

عن معنى فهم الإنسان نفسه، وجدنا أن الشخص مكون من ثلاثة أشياء: جسد ونفس (موجودان عند كل البشر)، إضافة إلى الروح، إلا أنها غير موجودة عند الكل، فالروح نفحة ربانية من الرحمن، ولا تظل كما هي بالجودة ذاتها، إنما متعلقة بصلة الشخص نفسيا بنفسه، وإيمانيا بخالقه، واجتماعيا بمن حوله. فالروح كالمنديل الأبيض الذي يتغير مع الاستخدام، ولذلك يحتاج الإنسان إلى أن يجدد روحانياته من وقت إلى آخر.

ثانيا على الإنسان أن يتقبل نفسه، فكثير من الناس لا يحبون أنفسهم، وحب النفس ليس بمعنى الأنانية، بل تقبل الوضع الموجود عليه، ولو أحب الشخص نفسه سينميها ويعالج جوانب النقص والتقصير والسلبيات التي تعاني منها، وينمي الإيجابيات، وبذلك يستطيع أن يفيد من حوله.

الأمر الثالث أن يعمل على السلبيات التي لديه، فكل ميسر لما خلق له، يجب أن يعرف جوانب القصور لديه لاستبدال أشياء إيجابية بها، وكل

كلما تغلغلت التكنولوجيا في حياتنا أصبح الإنسان أكثر عرضة للضغوط والتوتر

إنسان قادر على اكتساب عادة أو مهارة يريدها، فمثلا ندرب الناس المقبلين على الزواج على أن يكون وضعهم أفضل. وتنمية الإيجابيات تعني محاولة اكتشاف الذات للبحث عن أشياء يريد أن يفعلها أو مهارات يحب أن يكتسبها، أو يرى نفسه مبدعا في شيء بعينه.

● البعض يحاولون ذلك ويفشلون!

- الفشل هنا سببه نقص المعلومات أو خطأ في المعلومات عمن حولنا، فأي شخص لديه مشكلة في شيء من ثلاثة: إنه يرى خطأ في نفسه، أو في من حوله، أو في مستقبله. وأحيانا أقابل أشخاصا يعانون من الثلاثة، فيكون لا يعرف قيمة نفسه ولا قيمة من يتعامل معهم، وليست لديه مقدرة على أن يصنفهم بطريقة صحيحة، ولا يعرف ماذا سيفعل في مستقبله، وذلك ما يسبب أكبر قدر من المشاكل للناس، فالله خلق الإنسان وأعطى كلا منا كما متساويا من المهارات والقدرات، لكن استغلالها من عدمه متعلق بكل شخص، حيث ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ (الطلاق:٧).

● وبماذا تنصح من يعانون من التقلب المزاجي؟

- التقلب المزاجي له شكلان: مرضي وآخر عابر. المرضي يسمى اضطراب التقلب المزاجي، إذا زاد على ثلاثة أسابيع، والمشكلات زادت مع الناس، وأصبح الشخص غير قادر على التعامل مع عمله ومع من حوله، فيجب أن يلجأ إلى المشورة النفسية. أما النوع العابر، فيجب أن نؤمن تماما أن الفرد

منا ليس شخصا واحدا، بل اثنان: «أنت ونفسك»؛ فالنفس يستحيل أن تترك الإنسان في حاله، ونجد أن الله عندما تكلم عن النفس سبقها بأحد عشر قسما؛ لعظم خطورتها، وقال سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «إني بليت بأربع: إبليس والدنيا ونفسي والهوى.. كيف الخلاص وكلهم أعدائي». فالنفس دائما ما تمد الشخص بأكبر قدر من المعلومات الخاطئة عنه وعمن حوله ومستقبله، كما تفترض كل ما هو أسوأ في حياته. لذلك، عندما نظرنا إلى خصال الناجحين في جميع المجالات وجدنا بعضها مشتركا، أهمها أنه لا يصدق نفسه ولا يستجيب للحوار الداخلي، لأنه أكثر شيء يخلق اضطراب المزاج، والمزاج المكتئب، والاعتلال المزاجي، وكل الناس عرضة للاعتلال المزاجي بشكل أو بآخر.

● وكيف يسيطر الإنسان على انفعالاته؟

– ثلاثة أشياء: أولها أن نفهمها جيدا ونعلم أنها ليست لمصلحتنا. وثانيها أن نعرف ماذا تفعل النفس، فهي لا تملك إلا أن تنفرد بنا ببعض الأفكار والأحاسيس المغلوطة. وثالثها أن نشغلها، فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

● وما أكثر الحالات التي تتردد على العيادات النفسية؟

– كثيرون لا يعانون من مرض أو اضطراب لكن يترددون على العيادة؛ بحثا عن جودة الحياة، وكيفية إدارة المال والوقت بطريقة أفضل، ومنهم من تولى منصبا إداريا جديدا أو رزقه الله بطفل فيأتي ليعرف كيف يتعامل مع ذلك بشكل أفضل، علاوة على الاضطرابات العادية التي تتردد في كل الحالات، مثل الاكتئاب والقلق والتوتر والاعتلال المزاجي. وظهرت في الآونة الأخيرة حالات اضطراب الهلع، نوع شديد من اضطرابات القلق متمثل في الخوف من التعرض للتحرش أو السرقات أو غيرها.

على الإنسان أن يتقبل نفسه ويعالج ما به من نقص وتقصير ومن ثم ينمي إيجابياته

● وماذا تقول لمن يفتقدون الأمل؟

– كل منا مطالب بأن يكمل طريقه مهما كانت العقبات، فهناك حديث عن الرسول ﷺ يقول: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»، ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ (المائدة:١٠٥). وإذا انشغل الفرد بمن حوله كان أقل أداء، وإذا انشغل بنفسه يكون الأفضل، حيث يوفر الشحنة الذهنية التي يمتلكها لإنتاج شيء آخر خاص به.

● أيهما أمثل للأمراض النفسية: الذهاب إلى طبيب نفسي أم الرجوع إلى الله؟

– هذا موضوع شائك في العلاقة بين الإيمان والطب النفسي، وأن المؤمنين لا يمرضون نفسيا، وأن الاضطراب النفسي هو نوع من نقص الإيمان. الناس كافة أصحاب مشاكل نفسية بدرجات متفاوتة، وعندما يتجاهلها الشخص تتفاقم فتصبح اضطرابات نفسية، وبتجاهل الاضطرابات النفسية تتفاقم، وإذا تجاهلناها قد تصل إلى أمراض عقلية، وتتحول إلى هلاوس وضلالات وتخيلات. وعندما أراد الله أن يعلم سيدنا موسى بعض المهارات في حياته، جعله يذهب إلى مكان معين ليستدل على شخص ليتعلم منه. إذن ذلك تشريع إلهي أن نلجأ إلى الله، وفي الوقت ذاته نأخذ بالأسباب في اكتساب المهارات التي تعين على عيش حياة أفضل.

● وكيف ترى انتشار النفاق في المجتمع؟

– المنافق شخص مضطرب نفسيا، فهناك حديث للرسول محمد ﷺ يقول: « أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها»، هذه الخصال موجودة لدينا من ضمن المحاكاة التي نصنف عليها الاضطرابات الشخصية السيكوباتية.

السيكوباتي يتسم بالشذوذ الخلقي، وهذا الشخص لا يجيد إلا الفتنة والوقيعة والتجسس، ليس له مذهب، لا يثبت على كلمة، يتنصت على الناس، لا يثق في أصدقائه، وفي عمله: إما أن يتركه وإما أن يرتقي المراتب بسرعة، يبحث عن اللذة السريعة دائما، لا يهمه إلا مصلحته، لا يراعي مشاعر الناس





أو أحاسيسهم، يمارس الخصال التي تحدث عنها الحديث، ومن المؤسف أن شريحته كبيرة جدا في المجتمعات.

السيكوباتي ثلاثة أنواع: عدواني وهو يهاجم الأشخاص من أول تعامل، متجهم، فج السلوك، فظ في ألفاظه، منتشر منه من يسمى «البلطجي».

النموذج الثاني هو السيكوباتي «ب»، من يتلصص ويتقرب من شخص، يذله ويفضحه. والثالث هو السيكوباتي المبدع، يحتل مناصب بسرعة كبيرة وعلاقاته قوية بشخصيات مهمة، لكن يستخدم كل ذلك لمصلحته فقط، وأفضل طريقة في التعامل معه هو ترك مسافة بيننا وبينه كنفس المسافة بين السيارات وهي تسير، حيث تقيك من شر الصدمات.

• وما أسباب انتشار النفاق بذلك الشكل؟

– كثير من الناس أصبحت لديهم

الفشل قد يكون مفيدا لو أحسنا تدبره واستغلاله

رغبة في الوصولية بمجهود أقل في وقت أقل، كذلك نجد وسائل إعلامية تظهر لنا نماذج ناجحة من المنافقين، فأرى أن الناس على دين إعلامهم، وقد يتم التعامل معه باهتمام في الأعمال الدرامية فيتخذها البعض قدوة لهم.

• كيف ترى اهتزاز ثقة الشباب بمن حولهم؟

– لي بحث اسمه «الشباب والمثل الأعلى» يتحدث عن بخس حقوق ذلك السن وازدواجية المعايير لديه. فمشكلة الشباب أنه يفقد المصداقية، كما أن لديه إشكالية في المعايير. وعادة نجد المراهق إذا أحب فإنه يقلد من أحب في كل شيء، ولو كره شخصا فإنه يكرهه بشدة في كل شيء، وليس لديه وسط بينهما.

ومن ضمن المساوئ التي نعاني منها في مجتمعاتنا التقليل من شأن المراهق والشاب، رغم ما لديهم من طاقات إبداعية كثيرة وكبيرة.

• حدثنا عن أبرز مؤلفاتك.

– لي مؤلفات عدة، منها: مساعدة الذات، كبسولات نفسية، خلاصة الألم، إضافة إلى كتاب يتحدث عن العلاج الأسري، وآخر عن النفس والجنس والحياة، «الوسواس القهري من البداية للنهاية»، «علاج الاكتئاب من الألف إلى الياء». فمثلا، كتاب «كبسولات» تدور فكرته حول كبسولة يتناولها الشخص عن طريق العقل، ويوميا بعدما أنتهي من عملي أحدد أبرز الحالات التي عالجتها، وأكتب مختصرا عنها، فالكتاب شمل خبرة الناس المؤلمة التي مروا بها.



في الذكرى الـ٤٢ لوفاته

مالك بن نبي .. أيقونة البحث عن الحقيقة

زهية فراح
باحثة جزائرية

يتزامن شهر أكتوبر الميلادي - تشرين الأول - والذكرى الثانية والأربعين لوفاة المفكر الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي، أنزل الله شآبيب رحمته على رمسه، هي اثتنان وأربعون سنة تأتي بعد ثمان وستين ربيعا مزهرا إزهار فكره الولاد في حقل الحضارة والريادة الإسلامية، وقد قيل في ابن نبي الكثير لتميزه وإبداعه وعلو مقامه وسعة حكمته من هؤلاء. محمد المبارك - عميد سابق بكلية دمشق - حيث قال: «...أنه ينهل من نفحات النبوة ويتابع الحقيقة الخالدة» حقا تابع مالك بن نبي الحقيقة وألزم عقله الإعمال في سبيل تجديد الفكر، دون مساس بالأصالة مما قد يعكر صفوها ويبهت بريقها، بعدما حلت الشيئية محل الروح والمادية محل الفكر وكذا التفاهة محل الجد فكان إنتاجه من الفكر وفيرا غزيرا، منه ما وسعته الكتب وكثير منه لم تسعه، نذكر على سبيل المثال لا الحصر مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، الظاهرة القرآنية، مستقبل الإسلام، آفاق جزائرية.

كما تجدر الإشارة إلى أنه من ألمع الأفكار التي تكررت وتقررت في كتب الأيقونة الجزائري مالك بن نبي وكذا في مناسبات عدة هي المعادلة المالكية التي ترسخت في ذهن كل من يجد سجية في الاطلاع على فكر الرجل، فمعادلة الحضارة عند ابن نبي جوهرها ديناميكية تجمع الإنسان/ التراب/ والزمن/ دون غفلة عن ذلك المركب المشع الذي يضمن تفاعل العناصر الثلاثة مع بعضها البعض تفاعلا إيجابيا براقا بريق الفكرة الدينية التي ترسم ثقافة الإنسان في لوحة يحكي تفاصيلها السلوك الناجع الفعال في معرض الحضارة الإسلامية. إن الحضارة الإسلامية وإن كانت تعرف عند المفكر ابن نبي على أنها «الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل عضو من أعضائه، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة، إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار النمو» (١).

كذلك هي الحضارة صرح لا يبنى ولا يرمم إلا شريطة تفاعل الإنسان/ التراب/ والزمن/ مع ضرورة جودة العنصر وحسن استغلاله أو تكييفه، والإنسان حسب المعادلة المالكية محور عملية التغيير وأساسها ضمن الديناميكية الثلاثية، ولا أدل على ذلك من قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (الرعد:١١)،

منطلق عملية التغيير الإنسانية تلخصها عملية التخلية والتحلية بتخلص الإنسان من كسله وتواكله، وكذا بالتخلص من كل مظاهر الانبهار بالحضارة الغربية المادية لكي يخلو جوفه من كل سَيِّءٍ دخيل ويشغل بكل حسن أصيل، في صورة تماثل امتثال الرعيل الأول للأصل والفضيلة، فما بلغت الحضارة الإسلامية أوجها ولا أسمعت صيتها في سنون خلت إلا باستجابة إنسان المرحلة لنداء روحه وسيطرته على غريزة جسده ومحاولة تغيير نفسه وإعادة بنائها وتقويمها؛ ما دفع إلى ميلاد مجتمع نير يقتبس نوره من إشعاع الفكرة الدينية، غير أن هذا النور تخافت لينزع من الحضارة الإسلامية لباس البزوغ ويكسوها لباس الأفول؛ تخافت تفسره مظاهر استجابة الإنسان لجسده لا لروحه، تثمينه للشيء وتمجيده الشخوص، فجاء حل مالك بن نبي لهكذا مرحلة تأكيدا على ضرورة إقبال الإنسان على الفكرة الدينية وتوجيه ثقافته بما يتوافق مع مستلزمات هذه الفكرة ضمن سيرورة علاقة الإنسان بذاته، أما عن دائرة علاقة الفرد بمجتمعه فنقاطها كثيرة شتى.

التأثير الفكري للإنسان

إن إمكانية التأثير في الآخر ونقل تلك الطاقة الإيجابية الفكرية لا تتأتى إلا بفكر سليم منهجه الإعمال في سنن الله وآياته بغية تكوين صورة واقعية تنطلق من أسفل الركب آملة في بلوغ أعلاه، ولعل من أهم المشاكل التي يعاني منها العقل المسلم هو إعمال العقل عند حدوث الأزمات فقط، بما لا يتوافق مع طبيعة الفكر البشري المنتج الولاد، فإذا خرج الفكر عن طبيعته فهل إلى تأثير من سبيل؟

التأثير العملي: إن الفكر وإن كان أساسا لا بديل عنه فإنه يجب أن يقولب في قوالب مترجمة إياه سلوكا بشريا يسير نحو هدف الحضارة المنشود، دون إسراف في الجهد أو تضييع للوقت.

التراب: كذلك التراب حل من حلول المعادلة المالكية ضمن الديناميكية الثلاثية فإذا كانت الدولة متقدمة فكذلك التراب على قدرها من التقدم، وإذا كانت الدولة متخلفة فكذلك التراب على قدرها من الانحطاط لما للتراب من خصائص الأمة من جهة وكذا ثرواته النباتية والحيوانية وحتى البترولية من جهة أخرى، فحماية التراب من غوائل الدهر عن طريق رأس المال الاجتماعي من شأنه حماية الإنسان من غوائل الأيام وظلمتها

الزمن: آخر حل في نسق الثلاثية يضمنه احترام الوقت وحسن استغلاله مقدما الأفضل فالأفضل من غير كلل ولا ملل كونه من مقومات التكليف في سبيل تحقيق الهدف المنشود الذي خلقنا الله من أجله، وبصمة الإنسان في حياته تعرف بمدى استغلاله لوقته.

يقول المفكر مالك بن نبي «يجب أن نصنع رجالا في التاريخ مستخدمين التراب والوقت في بناء أهدافهم».

كانت تلك عناصر المعادلة المالكية ممثلة في الإنسان/ التراب/ والزمن/ في محاولة لترميم صرح الحضارة الإسلامية البعيدة كل البعد في بنيتها ووظيفتها عن الحضارة الغربية، وإن كانت هذه الأخيرة قد قطعت أشواطا كبيرة في ميدان البحث العلمي غير أنها تبقى منحطة أخلاقيا لما أسسته من عبادة الشيء وتغليب الغريزة، حضارة عجزت عن معرفة الله الخالق فانعكست ظلمتها في وجوه أصحابها.

يقول الأديب أحمد بهجت مصورا أثر هذه الحضارة المادية على أصحابها وهو يزور لندن: «عيون الناس هنا ملونة وبشرتهم كشمع مسقي بالدم وابتساماتهم حاضرة وجاهزة لكل نظرة وأي سؤال... رغم ذلك ثمة طيف غامض من الكآبة يلوح وراء ألوان العيون والبشرة»

هي بعض نسائم مالك بن نبي الكثيرة في حقل الفكر الإسلامي وكل ما يخدم الأمة الإسلامية، أراد من خلالها تحريك الفكر تجاه ترميم صرح الحضارة الإسلامية عبر أفكار عدة تتطلب الدراسة والمدارسة من مفكري الأمة الإسلامية جمعاء.

الهوامش

١- مالك بن نبي: تأملات، دمشق ١٩٨٧م، ص ١٩٩.



أخطاء كبيرة في تلاوات قرآنية شهيرة!!

د. مصطفى رجب
أستاذ جامعي - مصر

من أشنع البدع العصرية التي تسللت إلى ثقافتنا الإسلامية بدعة ربط الأداء الصوتي للقرآن الكريم (التجويد) بالألحان الموسيقية، وقد عرف عن بعض مشاهير القراء المصريين أنهم «درسوا» الألحان الموسيقية على هذا الملحن أو ذاك. وأن «النغم» و«الطرب» أصبح مقصودا لذاته بعد أن كان المقصود الأول من تحسين التجويد، هو تحقيق الخشوع، وإيصال المعاني الدلالية العميقة للآيات الكريمة إلى النفوس فتهلع، وإلى القلوب لتخشع، فتلين الجلود لذكر الله وما تستمع إليه من الحق.

وعلم «الوقف والابتداء» علم عظيم الأهمية لكل من يقرأ القرآن الكريم تعبدا أو تعلما أو تعليما، ولذلك تنازع البحث فيه علماء التفسير والقراءات والنحاة والبلاغيون، وظهرت فيه مؤلفات كثيرة، وهذه المؤلفات منها ما هو مطبوع مثل:

إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري، نال به الباحث محيي الدين رمضان درجة الماجستير من جامعة عين شمس.

القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس، نال به الباحث أحمد خطاب درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

المكتفي في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني، نال به الباحث جايد زيدان مخلف درجة الماجستير من جامعة الأزهر.

منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني، وهو مطبوع.

معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء للشيخ محمود خليل الحصري.

ومنها كتب ماتزال مخطوطة لم يصل إلى علمنا أنها طبعت - على أهميتها - مثل كتاب علم الدين السخاوي «علم الاهتداء في الوقف والابتداء»، و«تجويد القراءة» للداني وغيرهما.

أسباب الخطأ

ولأخطاء القراء في الوقف والابتداء أسباب كثيرة يمكننا إجمالها في نقاط هي:

الرغبة في الظهور بمظهر القارئ الطويل النفس (بفتح الفاء) فتجد القارئ حين يجود آية طويلة ينقطع نفسه فيضطر للوقوف في موضع لا يصح الوقوف عليه.

أن كتب الوقف والابتداء وكتب القراءات عموما لم تذكر لنا على سبيل الحصر مواضع الوقف في القرآن الكريم كله. ولم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ وصحابته إلا النزر اليسير.

أن مواضع الوقف خاصة ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم النحو، لأن القراء الأوائل جميعا كانوا من النحاة كأبي الأسود الدؤلي، وابن أبي إسحق الحضرمي، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي وغيرهم. وقد اجتهد هؤلاء في محاولة وضع قواعد عامة للوقف، فقالوا مثلا: «كل كلمة تعلقت بما بعدها - بحيث

أصبح ما بعدها متمما لمعناها – لا يوقف عليها» كالمضاف دون المضاف إليه، والمنعوت دون نعته، والشرط دون جوابه، والمؤكد دون توكيده... إلخ. ومعلوم أن احتراف القراء في عصرنا الحاضر يعتمد على جمال الصوت وإتقان المقامات الموسيقية. ولا ينظر القارئون ولا من يختارونهم إلى علوم النحو ولا يولونها اهتماما يذكر.

أن بعض القراء يحتال للوقوف متوهما أن في هذا الموضع الذي يقف عليه إبداعا وإعجازا تبعا لهوى نفسه، بلا نظر إلى الحكم الإعرابي النحوي.

أمثلة شهيرة

١- قرأ قارئ معروف بجمال صوته آيات من سورة البقرة أعجبت جمهوره فصاح الجمهور وناح، فكررها وأعادها، ونقلها عنه مقلدوه حتى صارت من «تراث القراءة المعاصرة»!!

وهي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣) فوقف على قوله تعالى ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ (البقرة: من الآية١٨٤). وهذا وقف قبيح جدا؛ لأنه جعل الظرف الزماني ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ متعلقا بالفعل السابق له ﴿تَتَّقُونَ﴾ فيصبح المعنى أن الهدف من فرض الصوم هو اتقاء الله أياما معدودات لا غير؛ هي أيام رمضان.

فهذا مثال للوقف الشنيع الذي يخرج بكتاب الله وآياته عن الفهم الصحيح الواجب لها. ولو اكتفى القارئ بالوقوف على رأس الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ لكفى وشفى، لكنها الرغبة الذميمة في إظهار طول النفس، وفتنة الخنوع بما يظهره الغوغاء من الإعجاب والتصايح والتواجد. وصدق الله تعالى حين وصف جهلاء مكة وعبادتهم الزائفة فقال ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ (الأنفال:٣٥).

٢- وقرأ قارئ شهير آخر قوله تعالى في سورة القصص ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص:٢٥) فوقف القارئ الشهير عند قوله تعالى ﴿تَمۡشِي﴾ واستأنف القراءة هكذا: ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ ..﴾.

والقارئ الشهير هذا لم يفرق بين نوعين من الوقف: الوقف التام والوقف الكافي. فالوقف التام غالبا ما يكون في الفواصل ورؤوس الآي. كقوله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة: من الآية٥) ثم يبتدئ فيقول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (البقرة: من الآية٦)، وكذلك قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾ (النمل: من الآية٣٤) فيقف القارئ عليها وهذا وقف تام، ثم يبدأ فيقول ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ (النمل: من الآية٣٤) لأن هذه الجملة الأخيرة من كلام الله تعالى، أما كلام بلقيس فنهايته ﴿أَذِلَّةٗ﴾.

فالوقف التام هو الذي يحسن القطع عنده والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق شيء مما بعده به.

أما الوقف الكافي فيحسن القطع عنده أيضا والابتداء بما بعده، غير أن ما بعده متعلق به تعلقا معنويا لا لفظيا. كما لو قرأ قارئ قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (النساء:٢٣) ثم وقف على قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ ثم ابتدأ بما بعدها لأن ذلك كله معطوف بعضه على بعض.

وهناك أنواع قبيحة من الوقف قد يخرج القارئ بها عن دين الإسلام لو تعمد ذلك الوقف كما ذهب إلى ذلك أبوعمرو الداني في كتابه «المكتفي» كما لو وقف هكذا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ . وَأَخِي هَٰرُونُ ﴾ (القصص:٣٣-٣٤)، أو لو وقف هكذا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ...﴾ (غافر: من الآية٢٨). لكن إذا انقطع نفسه وجب عليه أن يرجع إلى ما قبله مرة أخرى ويصل الكلام بعضه ببعض.

وفي المثال السابق الذي وقف

فيه القارئ على قوله تعالى ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾ هذا وقف كاف، ولكن الابتداء يجب أن يكون من قوله تعالى ﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ...﴾ لكنه لو أعاد فقال ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ...﴾ يكون قد جعل الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾ متعلقا بالقول، وتعلق الاستحياء إنما هو بالمشي لا بالقول. وقد ضعف الابتداء بهذه الطريقة الإمام النيسابوري والشيخ محمود خليل الحصري وغيرهما.

٣- وقرأ قارئ شهير من سورة لقمان قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣) فوقف على قوله تعالى ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ ثم ابتدأ هكذا ﴿بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقد استنكر هذا الوقف الإمام السيوطي رحمه الله في «الإتقان» فذهب إلى أن أكثر الأقسام - جمع قسم بفتح القاف والسين - في القرآن الكريم المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو مثل قوله تعالى ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ (الفجر:١) وقوله تعالى ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ (الضحى:١)

فإذا ورد الفعل الدال على القسم جاء القسم بالباء بدل الواو كما في قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ (النور: من الآية٥٣) وقوله تعالى ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ (الانشقاق:١٦) ومن ثم كان من الخطأ الوقوف على قوله تعالى ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ﴾ ثم البدء بما يوحي بالقسم ﴿بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وكذلك من وقف على قول السيد المسيح عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (المائدة:١١٦) ثم بدأ هكذا ﴿بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾.

نماذج للوقف المرفوض شرعا

على القارئ أن يتذوق تمام المعنى حين يتلو كتاب الله تعالى، فلا يقف إلا حين يجد المعنى قد تم. وتمام المعنى إنما يكون باستغناء الكلام بعضه عن بعض. وما لم يتحر القارئ ذلك؛ فقد يقع في إثم عظيم، كما لو قرأ مثلا قوله تعالى من سورة الإسراء ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الإسراء:١٠٥) فوقف بعد قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ فيكون هذا الوقف نافيا لنبوة النبي ﷺ. كذلك لو وقف على كلمة المصلين من قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ (الماعون:٤) مع أنها رأس آية، إلا أن ما بعدها مكمل لمعناها، والأصل أن الصلاة صفة مدح، وإنما خرجت هنا عن المدح لما ورد من أوصاف بعدها في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون:٥) وكذلك لو رغب قارئ في إظهار طول نفسه فقرأ قوله تعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال:٣٨) فوقف هكذا ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟﴾ فإنه بذلك يكون قد ساوى في المغفرة بين من انتهى عن المعصية ومن عاد إلى ارتكابها؛ وهذا يخرج بالنظم القرآني عن أصل معناه. وإنما الواجب عليه أن يقف على كلمة ﴿سَلَفَ﴾. ثم يبدأ تلاوته من قوله تعالى ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾.

اختلاف الوقف باختلاف القراءات

ومن الفتن الشنيعة التي أولع بها بعض القراء في عصرنا فتنة الجمع بين القراءات في تلاوة واحدة، مع أن العلماء قديما وحديثا أجمعوا على كراهة ذلك وذهب بعضهم إلى حرمته، وأجازوه في حالة التعليم فقط. وهذا الحكم معروف للقراء كافة، إلا أن بعضهم يتقي الله فيقرأ جملة من الآيات على قراءة ثم يعود فيقرأها على قراءة ثانية. ولكننا نسمع بعضهم يكرر الآية الواحدة، وأحيانا يكرر الكلمة الواحدة، بعدة قراءات، ولا يدفعه إلى هذا الصنيع الممقوت إلا صياح الجهلة من الدهماء.

وهذه الفتنة - أعني فتنة جمع القراءات في التلاوة الواحدة - تؤدي إلى فتنة أخرى تتعلق بالوقف والابتداء. فمثلا: الوقف على قوله تعالى ﴿وَأَمْنًا﴾ يكون تاما على قراءة من قرأ ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: من الآية١٢٥) بكسر الخاء على أنها فعل من الاتخاذ أما قراءة نافع وابن عامر ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾ بفتح الخاء فلا يجوز فيها الوقوف على قوله تعالى ﴿وَأَمْنًا﴾ لأن الاتخاذ بصيغة الفعل الماضي إخبار عن الناس، فالكلام متصل لفظا ومعنى. لأن الفعل ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ حالة كونه ماضيا معطوف على ما قبله.

والله تعالى أعلى وأعلم.



ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي:

ما يتعلق بالكاتب

- يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- إرسال صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير.
- يذكر العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الإستعانة بمصادر ومراجع.
- لا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلا.

ملاحظة :

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com

الوعي الإسلامي



«صناعة الفتوى».. إشكاليات تبدد الطاقات

السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

لاشك أن «صناعة الفتوى» باتت تتكاثر إشكالياتها في الآونة الأخيرة، بدرجة لفتت الأنظار وحركت الهمم لعقد كثير من الندوات والمؤتمرات؛ لتدارس تلك الإشكاليات.. هذه نقطة.

أما النقطة الثانية فهي أن الظواهر الفكرية أو الاجتماعية من الصعب أن نرجعها إلى سبب واحد؛ بل يدلنا النظر الصحيح العميق على أن مجموعة من الأسباب المتشعبة والمتشابكة تقف خلف هذه الظاهرة أو تلك.

ومن المهم أن نشير إلى أن الحديث عن الفتوى والمفتين لا يقتصر على القائمين على المؤسسات الرسمية التي تتولى «صناعة الإفتاء» بشكل أساسي، بل يشمل كل من له علاقة بهذا المجال.. ولعل صعوبة حصر هذا النوع الأخير وتنظيمه تمثل إحدى مشكلات الإفتاء الكبرى.

وهذه السطور معنية بالأساس بمحاولة الإجابة عن هذا التساؤل المهم ضمن تساؤلات «صناعة الفتوى» في الواقع الراهن: ما أهم الإشكاليات التي تبدد الطاقات في هذه الصناعة؟

● **أول هذه الأسباب برأيي هو السبب العلمي والفكري:** أي ضعف التكوين العلمي والنظر العقلي للمفتين؛ فالفتوى عملية مركبة من حيث ضرورة أن يكون القائم بها ملما بأنواع متعددة من العلوم الإسلامية، لاسيما الفقه بمدارسه واتجاهاته واختلافاته.

أما من ليس له تبحر في العلوم والمعارف الإسلامية، أو لم يطلع على اختلاف الفقهاء وأسبابه ومقاصده، أو لم يدرك سنة الله في ترك مساحات كثيرة من مجالات الحياة للاجتهاد دون أن يتدخل فيها الشرع إلا بالضوابط العامة والمقاصد الكلية.. فإنه لا شك يسيء من حيث يريد أن يحسن، ويخطئ أكثر مما يصيب، ويحدث أزمات مضاعفة!

من لم يعرف اختلاف الفقهاء كيف سيختار من بين الاجتهادات ما يناسب الواقعة التي أمامه؟! إنه لا يحسن إلا معرفة رأي واحد، وقطعا لن يكون هذا الرأي أو الاجتهاد مناسبا لكل البيئات ولكل الوقائع؛ مما يؤدي بالضرورة إلى التعسير والمشقة، وحمل الناس على ما ليس بضرورة!

ولهذا عقد ابن القيم فصلا في كتابه الماتع «إعلام الموقعين» بعنوان: «فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد»؛ وقد بدأه بالقول: «هذا فصل عظيم النفع جدا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل

إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها» (١).

وفي حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال له: «يا عبدالله بن مسعود. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: أتدري أي الناس أعلم؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصرا في العمل، وإن كان يزحف على إسته» (٢).

قال الشاطبي في «الموافقات» بعد أن أورد هذا الحديث: «فهذا تنبيه على المعرفة بمواقع الخلاف. ولذلك جعل الناس العلم: معرفة الاختلاف؛ فعن قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه. وعن هشام بن عبيدالله الرازي: من لم يعرف اختلاف القراءة فليس بقارئ، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه. وعن عطاء: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالما باختلاف الناس؛ فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه» (٣).

● **السبب الثاني: عدم إدراك حكمة الاختلاف:**

لحكمة بالغة جعل الله سبحانه آيات القرآن الكريم المحكمة القاطعة الدلالة أقل بكثير من نظيرتها التي تحتمل أكثر من وجه لدلالتها الظنية؛ حتى ينفسح المجال لتعدد الآراء، وتتنوع المشارب أمام حاجات الناس؛ ولو أراد الله سبحانه لجعل كل آيات القرآن الكريم محكمات، قطعية الدلالة كما هي قطعية الثبوت.

وهذه الحكمة تتجلى لنا في أوضح صورها إذا أدركنا أن الواقع الموار لا يناسبه إطار ثابت، وإلا جمد الناس على صورة واحدة رغم تقلب الأزمان والأحوال عليهم؛ فجاء النص التشريعي قرآنا وسنة - في معظمه - حمالا للأوجه، قابلا للتعدد، مراعيا لاختلاف العقول وتنوع الحاجات.

ولحكمة ما، مارس الصحابة هذا التنوع والاختلاف في حياة النبي ﷺ، كما في حديث: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» (٤) وغيره؛ حتى يعطوا صورة عملية للأجيال اللاحقة في كيفية التعامل عند الاختلاف، والتحلي بالآداب الواجبة.

لقد أراد الله سبحانه للعقول والأفهام أن تختلف ليفيد بعضها من بعض وتتكامل، وليكون اختلافها دليل حرية وتخيير لا جبر وتسيير.

● **أما السبب الثالث فهو خضوع بعض المفتين لتقلبات السياسة، أو تدخل الأخيرة في عملية الإفتاء بالانحياز لما يميل هواها إليه.**

ولعل المعتزلة هم أول من أسس لتلك البدعة السيئة في فتنة «خلق القرآن»؛ حتى أسالوا الدماء، وضيقوا الحريات على خصومهم، وحولوا الخلاف الفكري إلى خلاف سياسي، تضيق معه مساحة التفكير والقدرة على إبداء رأي مخالف لما يراه الحاكم.

الفتوى يجب أن تنبع من مسؤولية العالم أمام الله وحده عن كل كلمة يقولها، وعن كل رأي يبديه. ويجب أن تكون عين المفتي على الشرع وحده، لا على سيف المعز أو ذهبه.

ولاشك أن أهل السلطان إذا تدخلوا في عمل أهل الفتيا فإن الجماهير تفقد الثقة في علمائها، ولا تجد أمامها سبيلا إلا اللجوء لأنصاف العلماء، ومن علموا شيئا وغابت عنهم أشياء؛ فيكون الانحراف، والفهم المعوج، والسلوك المضطرب.

ينبغي إذا أراد أحد أن يتدخل في توجيه الإفتاء ناحية معينة، ولو بحسن نية، مثل أبي جعفر المنصور الذي أراد أن يحمل الناس على «الموطأ»، ليمنع اختلافهم.. ينبغي أن نجدد الاقتداء بموقف إمام دار الهجرة الإمام مالك الذي منع أبا جعفر قائلا: «يا أمير المؤمنين، إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار، وقد أخذ كل قوم من العلم ما بلغهم» (٥).

● **ويأتي «الاجتهاد الفردي» بمزالقه ومخاطره ليمثل سببا رابعا:**

ولعلنا نلاحظ أن أكثر الفتاوى التي تحدث بلبلة نتجت عن اجتهادات فردية لا عن مجامع علمية. نعم، لا يجوز الحظر على صاحب رأي، متى استكمل أدوات العلم والاجتهاد؛ لكن ذلك مجاله الدرس العلمي المتخصص لا الإفتاء، الذي هو بالأساس موجه إلى الجماهير؛ ولا يحسن مخاطبتها إلا بما تم تمحيصه وغربلته.

إذا كانت الفتوى وسيطا بين الأحكام الشرعية وبين الواقع والنوازل، فإن القيام بها يتطلب معرفة عميقة بهذا الواقع المتشعب المتغير. ومن هنا، تأتي أهمية المجامع العلمية التي تضم بين أروقتها نخبا متميزة في جميع العلوم الشرعية وفي معارف الحياة المتعددة.

إننا إذا استطعنا أن نرتقي بالمستوى العلمي والفكري لأهل الفتيا، وأدركنا حكمة الاختلاف وجعلناها ثقافة وسلوكا، وابتعدنا بالفتوى عن أهواء السياسة، إضافة إلى تفعيل دور المجامع العلمية في «صناعة الفتوى».. نكون قد قطعنا شوطا كبيرا في رقي تلك الصناعة بما يحفظ للمجتمع وعيه ووحدته الفكرية والنفسية، ويجنبه الانزلاق إلى صغائر الأمور، أو الانشغال بمعارك وهمية تبدد الطاقات وتهدد النسيج الاجتماعي.

الهوامش

١- إعلام الموقعين، ٣٣٧/٤، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ، السعودية.

٢- أخرجه الحاكم في «المستدرك» وصححه. والهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث».

٣- الموافقات في أصول الشريعة، ١٣٢/٤، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.

٤- متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر.

٥- ذكره ابن تيمية في «الفتاوى»، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع إسلام ويب. وبعضهم يذكر القصة مع هارون الرشيد.

تقنين الفتوى.. حماية للأمة من سكين في يد مجنون

عبدالله شريف عبدالعزيز:
دار الإعلام العربية

وضع الله عزوجل قواعد في كتابه العزيز لتحقيق الإسلام الصحيح في حياة كل مسلم.. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ (النحل:٤٣-٤٤)، وقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ (الأنبياء:٧)، وكلا الآيتين تحثان على سؤال العلماء الثقات بغرض الوصول إلى إجابة لكل حائر، وربط كثير من العلماء بين الآيتين وعلم الإفتاء..

د. عبدالمهدي: أحكام الشرع ثابتة.. والفتوى تتغير باختلاف الأحوال

«الوعي الإسلامي» تسلط الضوء على الفتوى، وشروطها، وحلول الأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية في فوضى الفتاوى والأحكام الشرعية.

«من يفتي بغير علم فهو كاذب على الله».. بهذه العبارة المختصرة بدأ حديثه د. عبدالمهدي عبدالقادر، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وأستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، مستشهدا بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ (النحل:١١٦)، وبقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ (الأعراف:٣٣).

ونوه د. عبدالمهدي إلى قول الإمام ابن القيم الجوزية: «لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهته».

وأضاف موضحا أن كل من يسمى «مفتيا» لابد أن يكون لديه من العلم ما يستطيع من خلاله أن يسوق الحكم الشرعي ويوظفه على حسب المسألة التي أمامه ولا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا لرجل عارف بكتاب الله والمتشابهات وبآراء العلماء الذين سبقوه وتحليلاتهم وفهمهم للدين، فضلا عن العلم والبلوغ وحسن الخلق ومراقبة الله وأن تكون لديه القدرة على استنباط الأحكام وتحليلها وتفسيرها من القرآن الكريم والسنة النبوية والإلمام بآراء العلماء السابقين، وكذلك اللغة العربية، لأن الألفاظ في الفتوى ربما تغيرها.

وأضاف أن الحكم الشرعي ثابت لا يتغير، على عكس الفتوى، إذ تتغير باختلاف الأشخاص والزمان والمكان، فأكل لحم الخنزير حكمه الشرعي حرام أما لو أكله مضطرا فيفتى له بجواز ذلك للاضطرار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ (النحل: ١١٥).

الاستهانة بالفتوى

تتعدد أوجه الاستهانة بالفتوى والتساهل في البحث عن الإجابة لها.. في ضوء ذلك يوضح د. عبدالمهدي أنه ربما يستهين العالم في إجابة السائل فيعطيه فتوى ناقصة أو غير واضحة، فيتصرف بشكل خاطئ، وربما يتساهل السائل في البحث عن العالم الثقة ليستفتيه ويبحث عمن يعطيه «فتوى تحت الطلب»، وكلا الوجهين يضر صاحب الفتوى ويحمله ذنبا عظيما، فقد قال عبيدالله بن أبي جعفر إن الرسول ﷺ قال: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار».

وتابع أن على من يفتي الناس أن يكون ملما بجميع الآراء في المسألة الفقهية حتى يخلص إلى رأي ينقذ به السائل.

وشدد على أن من أبرز الآفات التي ضربت الأمة الإسلامية عدم الفهم الشرعي، فالشباب يستمع إلى الدين عن طريق المشايخ، وقد يكون فيهم المتشددون الذين ينصبون أنفسهم حكاما بأمر الله ويصدرون فتاوى لا تتفق مع صحيح الإسلام وسماحته.

د. واصل: صعود أشباه العلماء عبر الفضائيات ساعد في نشر الضلال

تتغير الفتوى ولا تتغير الأحكام

بدوره، يؤكد مفتي مصر الأسبق د. نصر فريد واصل أن الاستهانة بالفتوى أمر جلل، يتسبب في هدم المجتمعات وإعلان حروب وتدمير روابط أسرية، بينما العلم الشرعي الصحيح وتبصير الناس بأمور دينهم حتى يستطيعوا من خلالها الالتزام خلال دنياهم من سبل الاستقرار والأمن.

وأشار إلى أن الأحكام الشرعية التي استنبطها العلماء والمذكورة في الكتاب والسنة غير قابلة للتغيير باختلاف الزمان والمكان، فالزنا من أكبر الكبائر وهو محرم بحكم شرعي لن يتغير في زمان أو مكان متغير، أما الفتوى فتتغير، ومعنى ذلك أن تناسب الحالة والمسألة بشرط ألا تخرج عن الأصول الشرعية، وكذلك أيضا الحكم الشرعي في زكاة الفطر الوجوب ومقدارها ولكن نوعية الطعام المخرج أو هل تخرج أموالا تتغير باختلاف المكان والزمان.

وأكد د. واصل أنه على العامة ألا يتجهوا إلى أي إمام أو داعية ويسألونه عن مسألة فقهية معقدة بغرض الوصول إلى منفعة، فإثم ذلك على الطرفين، ويتوجب سؤال العلماء الثقات المعروفين بعلمهم وليس بظهورهم في وسائل الإعلام، ويفضل الرجوع إلى مؤسسات الإفتاء لتأصيل الفتوى وتبيينها بدقة، حفاظا على الدين.

وكذلك، الإفتاء عبر الفضائيات، فعلى الرغم من فائدته الكبيرة في نشر العلم، فإن صعود أشباه العلماء الذين يلعبون بالدين ويكذبون على الناس يعدم الأمة والدين ويساعد في نشر الضلال.

وتابع: لا ينبغي على المفتي إذا اختلطت عليه مسألة أن يستحي من مراجعة العلماء، فمن سبقونا تربوا على ذلك، ومن قال: لا أدري. فقد أفتى.

مرجعية الإنترنت

وفي ذات الصدد، يقول عضو هيئة كبار



العلماء وأستاذ الفقه المالكي الدكتور طه ريان إن الاستهانة بالفتوى والتجرؤ على الإفتاء أخرج أجيالا من أدعياء العلم عاثوا في التراث وفي الفقه الإسلامي فسادا، ونحتاج إلى سنوات للتخلص من هذه الآفة، فـ«مهزلة الفتوى» في الفضائيات التي بحت ألسنة العلماء في منعها مازالت تزيد، و«الفتاوى الشاذة والمضطربة نفسيا» يستخدمها الأعداء في الإساءة للدين.

كما أن كثيرين خاصة من فئة الشباب أصبحوا الآن لا يأتمنون أي عالم، وتحول الإنترنت وما ينشر عليه إلى مرجعية لهم، وهذا بالطبع أمر كارثي يعمل الأزهر والأوقاف على تداركه، لكن التحرك بطيء.

وأوضح ريان أن السائل يبحث عن مخرج شرعي من أزمة وقع فيها، وعلى العالم أن يكون يقظا ولا يعتمد توجه التشدد مع الناس خشية التساهل، كما لا تصح الفتوى بدون علم، إذ هي بذلك كذب على النبي ﷺ، وقد حذرنا من ذلك قائلا: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (أخرجه البخاري ومسلم)، وعن سلمة بن الأكوع قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» (صحيح البخاري)، وعن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: «قلت للزبير: ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث عنه أصحابه؟ فقال: أما والله لقد كان لي منه وجه ومنزلة، ولكني سمعته يقول: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (سنن أبي داود).

شروط الفتوى

أما عن شروط الفتوى، فبالإضافة إلى شروط البلوغ عند الرجال، والمحيض عند النساء، والعقل والإلمام بالأحكام الشرعية، يقول د. طه ريان: يجب أيضا على من يريد الإفتاء أن يدرس قواعد الفقه والأصول وأن يكون على

د. طه ريان: أدعياء العلم عاثوا في التراث والفقه الإسلامي فسادا

علم بتغيرات العصر ويستطيع توظيفها فيما لا يخل بالشرع.

بينما يحدد د. نصر فريد واصل الشروط التي يجب توافرها في المفتي، وفقا لما حدده الإمام الشافعي: أن «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجل عارف بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله ﷺ، بالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن، ويكون بصيرا باللغة، بصيرا بالشعر، وبما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف هذه الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يتكلم في العلم ولا يفتي».

وتابع د. واصل: لا يخرج طلاب العلم الشرعي خارج الإطار، إذ هم حملة الدين في المستقبل وعليهم ألا يستسهلوا في تحصيل العلم وأن يجتهدوا طالما اختاروا هذا الطريق الصعب، لأنه تعامل مع الله ومع كلامه وكلام رسوله ﷺ، ولا يجوز الاستهانة أو التلاعب، فيجب عليهم تحمل المشايخ والعلماء والأخذ منهم والسماع عنهم.

وكذلك على العلماء أيضا أن ينظروا إلى الشباب المشتت التائه بين الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي، وقد لا يفرق بين العالم وغيره، بعين الرحمة واللين.

من جانبه، يؤكد رئيس مجمع اللغة العربية وعضو هيئة كبار العلماء د. حسن الشافعي أن الفتاوى من الأمور الخاصة جدا والتي يجب الحذر من التجرؤ عليها، ويحتاج صاحبها إلى أن يكون مستنير العقل مراقبا لله عالما في اللغة والعلم الشرعي، فقد قال الرسول ﷺ «إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة» وهو حال الأزمة التي نتحدث عنها، إذ كل «من هب ودب» يتحدث في هذه الأمور الخاصة جدا في الدين.

بينما يطالب د. عبدالمهدي بإصدار تشريعات قانونية وضوابط إعلامية فيما يتعلق بكل أمور الدين وليس الفتوى فقط، مبررا ذلك بأن الإسلام استبيح باسم الحريات وتعمدت وسائل الإعلام للأسف الإساءة للدين لأسباب سياسية وتحكمات لرأس مال أو كره للإسلام.

إلا أن د. حسن الشافعي يؤكد أنه رغم ضرورة وضع التشريعات والقوانين لضبط مسألة الفتوى، فإنه ينبغي أولا الاهتمام بطلبة العلم وإخراج جيل يحفظ الدين ويلم بنصوص القرآن وعلوم الحديث والفقه والتفسير والقدرة على الاستنباط والتحليل، ولا نخرج أجيالا تتبنى التشدد بأفكار كاذبة ومفاهيم مغلوطة.

إشكالية الإعلام والفتوى

وبينما تعاني الأمة الإسلامية الآن أشد معاناة بسبب بعدها عن الدين ووضع الأمور في غير محلها الصحيح، يؤكد مفتي مصر الأسبق نصر فريد واصل أنه يجب على كل عالم شرعي حقيقي أن يستمر في دفاعه عن دينه ودحر كل الأكاذيب التي تدور حوله وإيقاف من يستحلون الكذب باسم الله وباسم رسوله ﷺ.

موضحا أن علماء الأزهر والإفتاء حاولوا على مدار سنوات التصدي لإشكالية الإعلام في الفتوى، بعدما أساء كثيرون استخدام وسائل الإعلام واستعملوها لهدم الدين وليس لإنمائه ونشره، فما نشاهده الآن من فوضى

وأخطاء، حيث نتباهى بالشواذ من الأفكار ونتصيد الأخطاء والنواقص.
بينما يشدد د. حسن الشافعي على أن وسائل الإعلام وكل من يقدمون الفتوى بغير غرض العلم الشرعي سيحاسبون أمام الله عزوجل عما اقترفوه في حق الأمة الإسلامية، ويعتبرون أحد أسباب انتشار الظلم والتكفير والإرهاب والقتل.

خطأ فادح

في السياق ذاته، يؤكد أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة د. صفوت العالم أن أهداف وسائل الإعلام باختلافاتها تتنوع بين تقديم معلومة صحيحة أو ترويج سلعة أو الترفيه عن المواطنين، فعندما نتحدث عن الفتوى والطريقة التي تقدم بها في وسائل الإعلام نجدها خاطئة و«تقدم على أنها وسيلة للترفيه، وهذا خطأ فادح».
ولعلاج ذلك، يقول العالم إن الخطاب الديني يحتاج أشياء كثيرة لتفعيله، أولها الاهتمام بإعداد علماء دين يتبنون وسطية الأزهر الحقيقية ولديهم علم كبير في النواحي المختلفة للدين ويستطيعون الإجابة على السائلين بطريقة علمية مبسطة، إذ اختفاء العلماء وانتشار تجار الدين والفتاوى المجانية أساء إلى الإسلام في الأساس، وأخرج لنا أشخاصا ادعوا زورا قدرتهم على الفتوى وتبصير الناس بأمور دينهم.
وتابع: كما يتحمل الإعلام جزءا كبيرا في هذه القضية، حيث يتسارع كثيرون لتناقل الفتاوى الشاذة التي تستعمل على سبيل الترفيه أو الإثارة ولا تهم القارئ ولا تفيده، وقد انتشرت هذه الأخطاء في جميع الوسائل، فالبعض ينشرها في الصحف لجذب القراء وآخرون ربما يستقبلون صاحب الفتوى في الفضائيات.. وهناك وسائل إعلام أخرى لها أفكار مختلفة تستغل هذه الفتاوى الخاطئة للإساءة للدين والتراث الإسلامي، وينبغي أن يحكم الضمير والدقة والمهنية وضوابط المجتمع كيفية تداول الفتوى إعلاميا، فمن المفترض أن تقدم وسائل الإعلام الحلول للمسائل وليس تشتيته في فتاوى شاذة.
وأوضح العالم أن الأزهر الشريف ودور الإفتاء في العالم الإسلامي، عليهم عبء كبير، وطالبوا مرارا وتكرارا وسائل الإعلام بعدم استضافة غير المتخصصين في مجال الفتوى في البرامج الخاصة بهم، للحد من الفوضى، وهذا لا يكفي، فلابد من تفعيل وتشريع القوانين التي تواجه ذلك لآثاره المدمرة على المجتمع.
وختم حديثه قائلا: نخلص إلى أن وسائل الإعلام سلاح ذو حدين يمكن استعماله في الخير والشر، في نشر الإسلام الصحيح وتقديم الفتاوى السليمة، والبرامج الدينية غير المتشددة والعلماء الثقات، كما يمكن استغلاله لإحداث الفتن ومهاجمة العلماء ونشر التطرف والفتاوى الكاذبة.

فتاوى شاذة ومثيرة للجدل

من أبرز الفتاوى الغريبة التي ظهرت في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي في الفترة الأخيرة، إباحة التدخين في الصيام باعتباره يشبه البخور والعطور، وكذا إباحة النظر إلى المرأة التي ينوي الرجل الزواج بها وهي تستحم بشرط وجود نية أكيدة للزواج.
ومن الفتاوى أيضا القول بأن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماما وتوازيه، بل أحيانا تفضل عنه، بالإضافة إلى فتوى اعتبار النظر إلى المرأة المتبرجة حلال، حيث قال أحد الشيوخ «المرأة المحجبة لها رخصة، ولا يجوز النظر إليها إلا بإذنها، أما المتبرجة فقد تنازلت عن تلك الرخصة، وأصبح النظر إليها لا حرمة فيه».

> **د. حسن الشافعي: المفتي يجب أن يكون عالما مستنير العقل مراقبا لله**

ومن الفتاوى التي أثارت جدلا تحريم البوفيه المفتوح الذي يعني أن يدفع الشخص مبلغا ثابتا من المال، مقابل أن يأكل ويشرب ما يشاء، وأن الشرط الأساسي في البيع والشراء هو أن يكونا معلومين ومحددين، ومن يأكل ويشرب ما يشاء في البوفيه وهو محدد السعر فهو مجهول.
وكذا فتوى إباحة إرضاع المرأة العاملة زميلها في العمل منعا للخلوة المحرمة، إذا كان وجودهما في غرفة مغلقة وكذلك أن ترضع السيدة سائقها خمس رضعات مشبعات مما يبيح الخلوة ولا يحرم الزواج.

مجنون

كان السلف الصالح – رحمة الله عليهم – من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو أقوال الصحابة، ثم أفتى بما تبين له.
قال ابن أبي ليلى: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله – أراه قال –: في المسجد، فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا».
وقال ابن عباس: «إن كل من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون».
وقال سمنون بن سعيد: «أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه».
وقال ابن سيرين: «قال حذيفة رضي الله عنه: إنما يفتي أحد ثلاثة: رجل يعلم بناسخ القرآن ومنسوخه، وأمير لا يجد بدا، وأحمق متكلف»، قال ابن سيرين: «فلست بواحد من هذين، ولا أحب أن أكون الثالث».

كيف نظر فقهاؤنا إلى الفتوى؟!

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث الإسلامي

لطالما كانت قضية الفتوى والإفتاء من أجل وأعظم الأمور على نفس الفقيه المجتهد المتمكن، وإننا نجد في مظان التراث الفقهي والإسلامي عموما، مقولات كثيرة منسوبة إلى بعض فقهاء الصحابة وأئمة الفقه والتمكن من رؤوس المذاهب الفقهية الأربعة وغيرهم تحذر من الإقدام على الفتوى بغير تحصيل وضبط وعلم لازم، بل وبعضها يحذر من الفتوى عموما، وإنه مما نقل عن الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) رحمه الله، أنه كان «إذا جلس نكس رأسه، ويحرك شفتيه بذكر الله ولم يلتفت يمينا ولا شمالا، فإذا سئل عن مسألة، تغير لونه، وكان أحمر بصفرة؛ فيصفر، وينكس رأسه ويحرك شفتيه. ثم يقول: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله. فربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها في واحدة!» (١).

خطورة الفتوى!

لقد كانت الخشية من إفتاء الناس من هؤلاء الكبار خوفا من أن يضلوا بله يخطئوا، وإن الله تعالى قد حذر في كتابه العزيز من الإقدام على ما ليس للإنسان به علم؛ فقال محذرا في وصايا سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ (الإسراء:٣٦).

وقد ذكر زين الدين المناوي (ت ١٠٣١هـ) كلاما مهما في تعليقه على الحديث: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار» (٢). قال: «الفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتي، (أجرؤكم على النار) أقدمكم على دخولها؛ لأن المفتي مبين عن الله حكمه، فإذا أفتى على جهل، أو بغير ما علمه أو تهاون في تحريره أو استنباطه؛ فقد تسبب في إدخال نفسه النار؛ لجرأته على المجازفة في أحكام الجبار» (٣).

كما ساق الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) كلاما نفيسا في تعليقه على قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس:٥٩)، فقال: «كفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله» (٤).



وقد كان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا سئل عن مسألة قال: «اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمر الناس فضعها في عنقه. وقال: يريدون أن يجعلونا جسرا يمرون علينا على جهنم، فمن سئل عن فتوى، فينبغي أن يصمت عنها ويدفعها إلى من هو أعلم منه بها». وكان ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: «الذي يفتي عن كل ما يستفتى عنه مجنون!» (٥).

إن كل ما سبق وغيره من النقولات التي تحذر من الفتوى عموما أو من الفتوى بغير علم، تكشف الهوة بين الماضي واليوم؛ حيث الفتوى في كل مكان ومع كل أحد، وإننا لنجد من هذه المهازل الحقيقية في الإعلام والإنترنت وغيره، صحيح أنه كلما تقدم الزمان طرأت مستجدات ونوازل تجبر الناس على معرفة الحلال والحرام فيها، لكن استباحة غير المؤهلين لهذا المجال فتنت الناس في دينهم، وأفسدت عليهم دنياهم!

عدة المفتي وآداب المستفتي

ولأهمية الفتوى وكونها لازمة للمسلمين في كل مكان، وخوفا من أن يتجرأ عليها كل أحد، زخرت مؤلفات كبار الفقهاء والأصوليين بوضع ضوابط للفتيا، وأهمها الحكم بما أنزله الله وأراده، وعدم محاباة أحد المستفتين؛ خوفا منه، أو طمعا في نواله، ولذلك قال العلامة الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): «إنما المفتي مخبر عن الله تعالى في حكمه؛ فكيف يخبر عنه إلا بما يعتقد أنه حكم به وأوجبه، والله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ (المائدة:٤٩)؛ فكيف يجوز لهذا المفتي أن يفتي بما يشتهي، أو يفتي زيدا بما لا يفتي به عمرا لصداقة تكون بينهما أو غير ذلك من الأغراض؟! وإنما يجب للمفتي أن يعلم أن الله أمره أن يحكم بما أنزل الله من الحق، فيجتهد في طلبه، ونهاه أن يخالفه وينحرف عنه، وكيف له بالخلاص مع كونه من أهل

العلم والاجتهاد إلا بتوفيق الله وعونه وعصمته؟!» (٦).

ولأجل ذلك، رأينا في تاريخ التأليف الفقهي نمطا مهما من أنماط التأليف في ضوابط الفتيا، وتزخر كتب الفهارس بكثير من العناوين التي تندرج في الغالب تحت مسمى «آداب المفتي والمستفتي»، فللصيمري العراقي (ت ٣٨٦هـ) كتاب «أدب المفتي والمستفتي»، وللخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) كتاب «الفقيه والمتفقه»، وللإمام ابن مازة الحنفي (ت ٥٣٦هـ) «عمدة المفتي والمستفتي»، ولعثمان بن محمد المالقي الأندلسي (ت ٦٣٥هـ) كتاب «أدب المفتي والمستفتي»، وللحافظ ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) كتاب «أدب المفتي والمستفتي»، وللإمام النووي الشافعي (ت ٦٧٦هـ) كتاب «أدب الفتوى والمفتي والمستفتي»، ولابن قدامة الحنبلي (ت ٦٩٥هـ) «آداب المفتي»، ولابن شبيب الحنبلي (ت ٦٩٥هـ) «صفة المفتي والمستفتي»، ولجمال الدين الأهدل (ت ١٣٥٢هـ) «عمدة المفتي والمستفتي» (٧).

إن كل هذه المؤلفات المهمة، تكشف لنا ضوابط الفتيا وآدابها، وشروط المفتي وصفاته، وهي شروط صارمة تناقلها الفقهاء والأصوليون كابرا عن كابر، وقد وضع الحافظ أبوعمرو بن الصلاح رحمه الله، في كتابه النافع «أدب المفتي والمستفتي» شروطا صارمة لا فكاك للمفتي منها، قال: «أما شروطه وصفاته: فهي أن يكون مكلفا مسلما، ثقة مأمونا، متنزها من أسباب الفسق ومسقطات المروءة، لأن من لم يكن كذلك فقوله غير صالح «للاعتماد»، وإن كان من أهل الاجتهاد، ويكون فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط مستيقظا» (٨). ثم شرع ابن الصلاح في الحديث مستفيضا عن الأدوات التي يجب أن يتحلى بها المفتي من العلوم والمعارف، وقسم المفتين إلى مستقلين مجتهدين اجتهادا مطلقا وهؤلاء لم يرهم في زمانه في النصف الأول من القرن السابع الهجري، وآخرين غير مستقلين لهم شروطهم وضوابطهم الصارمة المفصلة في كتابه ذاك أيضا.

وقد حذر ابن الصلاح من أن يلج هذا الباب أحد فقد ولو شرطا من هذه الشروط؛ فـ «هذه أصناف المفتين وشروطهم... فمن انتصب في منصب الفتيا وتصدى لها وليس على صفة واحدة من هذه الأصناف الخمسة، فقد باء بأمر عظيم، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾ (المطففين:٤)، ومن أراد التصدي للفتيا ظانا كونه من أهلها فليتهم نفسه، وليتق ربه تبارك وتعالى، ولا يخدعن عن الأخذ بالوثيقة لنفسه والنظر لها. ولقد قطع الإمام أبوالمعالي (الجويني) وغيره: بأن الأصولي الماهر المتصرف في الفقه لا تحل له الفتوى بمجرد ذلك، ولو وقعت له في نفسه واقعة لزمه أن يستفتي غيره فيها!» (٩).

واللافت في هذه المصنفات القيمة أنها كما حرصت على وضع المعايير والضوابط التي يجب أن يتحصل عليها المفتي في سبيله للفتوى، حرصت أيضا على وضع آداب للمستفتي يجب عليه أن يتحلى بها عند السؤال، وهذه لطيفة قلما نظر إليها رجال الفقه في عصرنا هذا، بل لعل قلة الحديث عن آداب المستفتي سبب في إعلاء شأن من لا يستحق الفتيا أو المتابعة في هذا المضمار.

وقد بسط العلامة النووي القول ووضع ضوابط صارمة للمستفتين، تستحق المدارسة من كل مفت مقدم على الفتوى، ومستفت يبحث عن إجابة لسؤاله، وذلك في كتابه القيم «آداب الفتوى والمفتي والمستفتي».

فكان مما نصح المستفتين به، أن يذهبوا لمن رسخت قدمه في الفقه، لا من اشتهر صيته بين الناس، وهذه النصيحة شديدة الأهمية في عصرنا هذا، فهو عصر الإعلام وصناعة المفتي «النجم» حسن المظهر، طيب الكلام، قليل الفقه! قال رحمه الله: «يجب عليه قطعا البحث الذي يعرف به أهلية من يستفتيه للإفتاء إذا لم يكن عارفا بأهليته، فلا يجوز له استفتاء من انتسب إلى العلم، وانتصب للتدريس والإقراء وغير ذلك من مناصب العلماء، بمجرد انتسابه وانتصابه لذلك، ويجوز استفتاء من استفاض كونه أهلا للفتوى. وقال بعض أصحابنا المتأخرين: إنما يعتمد قوله: أنا أهل للفتوى؛ لا شهرته بذلك. ولا يكتفى بالاستفاضة ولا بالتواتر؛ لأن الاستفاضة والشهرة بين العامة لا يوثق بها، وقد يكون أصلها التلبيس» (١٠).

وبهذا القول الأخير للعلامة النووي نختم حديثا عن الفتوى من منظور كبار علماء الشريعة في الحضارة الإسلامية.

وإن علماء اليوم مطالبون بوضع الضوابط الصارمة، والآليات العملية للحد من ظاهرة التجرؤ على الفتيا، ووضع الضوابط العامة لتعريف الناس الفرق بين الفقيه المتضلع، وأشباه الفقهاء ممن لا يرون في الفتيا إلا أنها سبيل للمال و«النجومية»!

الهوامش

١- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١/١٧٨. تحقيق ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة - المغرب، ١٩٦٥م.

٢- أخرجه الدارمي، وضعفه الألباني. وهو حديث معضل، والأصح أنه قول كان مشهورا بين الصحابة، فقد ذكره ابن بطة العكبري منسوبا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: سنن الدارمي ١/٢٥٨، تحقيق حسين سليم الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع - السعودية، ٢٠٠٠م. وابن بطة العكبري: إبطال الحيل ص٦٢. تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية - بيروت، ١٤٠٣هـ. والألباني: السلسلة الضعيفة ٤/٢٩٤ ح (١٨١٤). دار المعارف، الطبعة الأولى - الرياض، ١٩٩٢م.

٣- المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/١٥٨، ١٥٩. المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى - مصر، ١٣٥٦هـ.

٤- الزمخشري: الكشاف ٢/٣٥٤. دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة - بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥- المناوي: فيض القدير ١/١٥٩.

٦- الشاطبي: الموافقات ٥/٩١. دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٧- انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد. وابن المبرد الحنبلي: معجم الكتب، مكتبة ابن سينا - مصر. والباباني البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨- ابن الصلاح: أدب المفتي والمستفتي ص ٨٥. وانظر ما بعده حتى ص ١٠٥. تحقيق موفق عبدالله عبدالقادر، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية - المدينة المنورة، ٢٠٠٢م.

٩- ابن الصلاح: أدب المفتي والمستفتي ص ١٠١.

١٠- النووي: آداب الفتوى والمفتي والمستفتي ص٧١، ٧٢. تحقيق بسام الجابي، دار الفكر - دمشق، ١٤٠٨هـ.



منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر ملوك الطوائف:

الفتوى في منظومة الفقه

محمد عويس
كاتب صحفي

مع كثرة الدراسات التاريخية في الحقل الأندلسي، والتي اتخذت الفتاوى مصدرا من مصادرها في البحث التاريخي في جميع الموضوعات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وغيرها، كان لابد أن يتوقف الدرس التاريخي أمام الفتوى كظاهرة حضارية مهمة ومتشابكة ومتعددة الأبعاد في التاريخ الأندلسي، ليقوم بتناول تاريخ الفتوى في الأندلس ذاتها وليس تاريخ الأندلس في ضوء الفتاوى. ومن هنا جاء موضوع هذه الدراسة «الفتوى وأثرها في الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر ملوك الطوائف (٩٢-٤٨٤هـ/٧١١-١٠٩١م)»، والتي أعدتها الباحثة شيماء فرغلي سيد لنيل درجة الدكتوراه، والتي أشرف عليها المؤرخ الراحل الدكتور عباد كحيلة، ومن بعده د. عطية القوصي ود. منى حسن علي أستاذا التاريخ الإسلامي - جامعة القاهرة، بهدف التعرف على أحد هذه الجوانب المهملة في البحث التاريخي، واختارت هذا الإطار الزمني، لأنه يتصف بإطار واحد للأندلس قبل وقوعها تحت سيطرة مغربية بعده، متمثلة في المرابطين والموحدين، كما أنه يساهم في رصد التغيرات الحادثة في الإفتاء ودراسة تطوراتها.

اهتمت الدراسة بالفتوى باعتبارها ظاهرة حضارية مهمة ولها أثرها الكبير؛ حيث إنه لما كانت الحياة فيها الثابت والمتغير، فإن المتغير يحتاج بضرورة حتمية إلى الرأي الفقهي والفتوى حتى يستطيع مواكبة حركة التغير الاجتماعي. ومن ذلك تتبين أهمية موقع الفتوى ضمن منظومة الفقه والتشريع الإسلامي، وكذلك أهميتها التاريخية لارتباطها بجميع أنشطة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما تتبين بالتالي أهمية المفتي ومكانته العظيمة في التاريخ الإسلامي؛ لما له من تأثير كبير على الناس والمجتمع، وهو الذي يوصف بأنه «قائم في الأمة مقام النبي في بيان أحكام الشرع للناس».

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن الفتوى صورة من صور الخطاب الديني في الأندلس، والذي كان يشتمل كذلك على الخطابة في المساجد، والتعليم في الكتاتيب، وحلقات العلم في المساجد، وحركة التأليف الديني الواسعة إلى

غير ذلك. والفتوى كخطاب ديني يمكن التعبير عنها عبر عدة مستويات: المستوى الأول: خطاب الفتوى المنتج من قبل المفتين الرسميين. والمستوى الثاني: خطاب الفتوى من المفتين غير المنضوين رسميا في خطة الإفتاء. والمستوى الثالث: خطاب الفتوى الممثل في الآثار أو الكتابات الناتجة عن النشاط العلمي في الأندلس.

فضلا عن أن الموضوع لم يطرق من قبل في بحث تاريخي مستقل. وفي ضوء ذلك، قسمت الباحثة الدراسة إلى أربعة فصول رئيسية، تصدى الفصل الأول لرصد خطة الفتيا في الأندلس، وتناولت فيه الباحثة جهات الإفتاء المختلفة، وجهات اختيار المفتين، والشروط التي كان يجب توافرها في من يتصدى للإفتاء، كما تطرق الفصل إلى مواقع الإفتاء الأندلسية، ومجالس الإفتاء. وخصصت الفصل الثاني لدراسة الركن الأول في عملية الفتوى، وهو أهل الفتيا أو المفتون، متحدثة عن أعدادهم، وطبقتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وأجيال المفتين، ورحلاتهم، وأعمالهم، وأنشطتهم العلمية، وأيضا أوضاعهم المادية، والعلاقات التي كانت فيما بينهم، وأخيرا سلبياتهم. وجاء الفصل الثالث تحت عنوان «المستفتون وجهات الاستفتاء»، تناولت فيه الركن الثاني من أركان الفتوى أو مستقبلي الفتاوى، سواء كانوا من الأفراد أو جهات الدولة ونظمها في الأندلس، مع التركيز الموسع على جهات الاستفتاء الرسمية (الساسة، القضاة، المحتسبون) وعلاقاتهم المتشابكة بالفتوى والمفتين. أما الفصل الرابع والأخير فتم التطرق فيه إلى الفتاوى (موضوعاتها، مناهجها، آثارها)؛ وذلك باعتبارها الركن الثالث من أركان عملية الفتوى.

ومن النتائج التي انتهت إليها الباحثة: توافر المعالم الديوانية أو المؤسسية للإفتاء في الأندلس، وقد تجلت الناحية المؤسسية للفتوى في إشراف الدولة ومتابعتها، ووجود خطة للفتوى وأخرى للشورى، وشروط وآداب عديدة وجب توافرها في من يتصدى للإفتاء، ووجود مجالس للإفتاء. والفتوى كمؤسسة صار لها موقعها المؤثر داخل الدولة الأندلسية، وهو الأمر الذي جعلها تقع في علاقات متشابكة مع مؤسسات الدولة الأخرى في الأندلس، والتي اعتبرت هي أهم جهات الاستفتاء، بجانب الفتوى العادية بالإجابة على تساؤلات الأفراد، تشابك العلاقات بين الفتوى والنظام السياسي كإحدى جهات الاستفتاء، وهو الأمر الذي أدى إلى حدوث تداخل بين السياسة والفتوى أخذ مظاهر عديدة، منها ما هو سلبي، ومنها ما هو إيجابي، كما أدى أحيانا إلى وجود تسييس لبعض الفتاوى إلى حد ما، رصد اتجاهات تعامل السياسة والسياسيين مع الفتوى، واتجاهات تعامل الفتوى والمفتين مع الجانب السياسي ونظام الدولة، تلك الاتجاهات التي تراوحت مواقف المفتين فيها ما بين المهادنة والتأييد من ناحية، والمواجهة والنقد من ناحية ثانية، وعلى الرغم من تعدد موضوعات الفتاوى واتجاهاتها المختلفة فإنها تماشت مع الخطاب الديني العام في الأندلس الذي غلب عليه المذهب المالكي، غير أن ذلك لم يكن ليمنع من توافر أنماط للخصوصية الأندلسية، تمثلت في مخالفة بعض الفتاوى لمذهب مالك من زاوية ومراعاتها للأعراف الأندلسية واستحداث مصدر تشريعي جديد (عمل أهل قرطبة) من زاوية ثانية، أي إن الفتاوى في الأندلس استطاعت بقدر الإمكان مسايرة التغيرات الزمانية والمكانية الخاصة بالأندلس، وظهر ذلك واضحا في اعتمادها على المصادر المرتبطة بعوامل التغير الاجتماعي، مع مراعاتها للواقع الأندلسي. وأوضحت الدراسة أهمية المفتين، وهم الركن المنتج من أركان عملية الفتوى (المفتي – المستفتي – الفتوى)، ومكانتهم في المجتمع الأندلسي، وقد أهلتهم هذه المكانة الكبيرة، وما قاموا به من أدوار ثقافية ودينية واجتماعية، إلى أن يصبحوا نخبة علمية من ناحية، ونخبة دينية من ناحية ثانية، ونخبة اجتماعية من ناحية ثالثة، ونخبة مؤسسية من ناحية رابعة.

كما ساعدت الحياة العلمية المزدهرة في الأندلس، تعلما ودراسة ورحلة في سبيل العلم داخل الأندلس وخارجها، في كثرة من وصلوا بها إلى درجة الإفتاء، ولهذا وجدنا الكثير من المفتين لهم تلاميذ كثر من المفتين أيضا، وهو ما تم تناوله بشكل إحصائي يبين معالم هذه التلمذة وامتداداتها الزمنية. ومن الناحية الاجتماعية برزت بعض البيوت العلمية التي اشتهرت بتقديم الكثيرين من المفتين من بين أبنائها، وهي ظاهرة شهدتها بعض المدن الأندلسية، وهي لم تأخذ الطابع الوراثي بقدر ما ترجع في الأساس، غالبا، إلى تشجيع الوسط العلمي والتنشئة على اكتساب المهارات والمعارف التي تؤهل للإفتاء.

أيضا قامت الدراسة بتسليط الضوء على حركة التأليف الخاصة بالفتاوى والمفتين، وبحثت اتجاهات هذه الحركة المتنوعة، زمنيا ومكانيا وموضوعيا. وتبين أن معظم مؤلفات المفتين اقتربت بوجه أو بآخر من الفتوى، وهي إما أن تكون تابعة لمصادر الفتاوى وقواعدها، أو خاصة بالفتاوى المتنوعة والجزئية. ويلاحظ أن التأليف في ساحة المفتين الأندلسيين لم يقتصر على الجوانب المتصلة بالفتاوى، بل اقترب كذلك من دوائر العلوم الإنسانية والطبيعية. وقد اتضحت من الدراسة الآثار العديدة للفتاوى على جميع المستويات داخل المجتمع الأندلسي، سواء كان هذا الأثر سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا أو ثقافيا... إلخ. غير أن ما يلفت الانتباه بقوة هو الآثار الباقية للفتاوى حتى أيامنا هذه في القرن الحادي والعشرين، ممثلة في المؤلفات المختلفة التي تمخضت عنها حركة التأليف حول الفتوى وما يتعلق بها من موضوعات.

صوره وأبرز مجالاته

المفهوم الشامل للأمن



محمد علي الخطيب
باحث دراسات إسلامية

الأمنُ من ضرورات الحياة وأساسياتها؛ به تحفظ الأنفس، وتصان الحقوق، ويكون الاستقرار والازدهار بينهما.

التفكك الأسري هو البيئة الحاضنة لجراثيم الخوف وفيروسات الجريمة وصناعة الإرهاب والإرعاب.

و من أكبر أسبابِ اختلال الأمن: انتشارُ الظلم في المجتمع، وغيابُ العدلِ فيه.

الحذرَ الحذرَ - شبابنا الكريم - من أن نكون مطية لعدونا وألعوبة بيده وذراعا لتنفيذ خططه ومآربه الخبيثة.

إن مفهوم الأمن ليس محصورا على ناحية حماية المجتمع من الجرائم فحسب، أو قصر حمايته على الشُّرط والدوريات الأمنية.

و أول ما يعصمنا من الخوف ويحقق لنا الأمن التام هو اجتناب الشرك بالله؛ بكل صوره وأشكاله.

وإن كان الظلم الاجتماعي وأكل الحقوق يولد الأحقاد ويغذي الكراهية التي تدفع إلى الجريمة والعدوان.

فإن الأمن الفكري مرتهن بحفظ عنصرين عظيمين، ألا وهما: التعليم، والإعلام.

كثير من القنوات الفضائية تهدم أمننا وتفكك روابطنا أضعاف أضعاف ما يفعله عدونا الخارجي.

و «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» صمام أمان المجتمع الذي يحفظ أمن سفينته من الغرق.

لنكن جميعنا عونا على وحدة الصفِّ وتحقيق الاستقرار والأمن بمواجهة الفتن وإزالة الإحن.

الأمنُ من أهمّ مطالبِ الحياة الطيبة بل من ضروراتِ الحياة وأساسياتها؛ به تحفظ الأنفس، وتحقن الدماء، وتصان الأموال والأعراض والحقوق، ويكون الاستقرار والازدهار، لذا فهو نعمة كبرى لا يعرف قدرها إلا من فقدها، وسلوا عنها تلك البلدان التي ابتليت - عياذا بالله - بالخوف، - وما أكثرها اليوم -؛ كيف تسفك فيها الدماء، وتنتهك الأعراض والحرمات، وتنهب الأموال والممتلكات، وتضيع الحقوق، وتدمر الحضارة والعمران، وتهدم مدن عامرة زاهرة فتصير خرابا بلقعا؛ سلوها عن نعمة الأمن، وما هي عنا ببعيد!.

وسلوا التاريخ أيضا ينبيكم عن قرى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل:١١٢)، كمثل قوم «سبأ» تلك البلدة الطيبة، الذين كانوا يعيشون في خصب ووفرة ورخاء، فأعرضوا وكفروا، فسلبهم الله سبحانه نعمة الأمن، ومزقهم كل ممزق، فأصبحوا أثرا بعد عين، وحديثا يروى، وقصة تحكى!!. وهلم إلى «البداية والنهاية»، ليخبرك ابنُ كثيرٍ - رحمه الله - عما أصابَ «بغداد» من القتل والخوف والذلة لما غزا التتار بغداد، مما لا يخطر لك ببال ولا يحيط به خيال (١)، ولها أمثالها، ولولا خشية الإطالة لنقلته لك، لتعرف قدر نعمة الأمن التي تنعم بها هذه البلاد، حفظها الله من كل سوء.

ألا إن هذه المرحلة التي نعيشها من أخطر فترات تاريخنا المعاصر، وإنها لحقبة جد حرجة وعصيبة، وإن الأعداءَ ليتربّصون بنا وببلادنا بالمكر السيئ الذي يهدّدُ الأمن، ويزعزعُ الاستقرارَ، وإنه لا يرضيهم إلا أن يروها غارقة في الفوضى والشرور والفتن التي تتركها يبابا، فالحذرَ الحذرَ - شبابنا الكريم - من أن نكون مطية لعدونا وألعوبة بيده وذراعا لتنفيذ خططه ومآربه الخبيثة، وكونوا درعا متينة في الحفاظ على دينكم ووطنكم، وسلوا

الله – جل وعلا – السلامة والعافية.
ولأجل أن نعرف حقيقة الأمن وصورته، فلابد أن تكون هذه المعرفة شاملة عميقة، وألا تكون ضيقة العطن محدودة المدلول، وألا تكون محصورة على ناحية حماية المجتمع من الجرائم فحسب، أو أن يقصر مفهوم حمايته على الشُّرط والدوريات الأمنية، كلا! فالحديث عن الأمن ليس مقصورا على هذا التصور البسيط الساذج، إذ الخطب أعظم والخطر أكبر والدائرة أوسع مما يتصور!!.
وإن الأمن ينطلق وينبثق قبل كل شيء من عقيدة المجتمع وارتباطه الوثيق بربه، فأول ما يعصمنا من الخوف ويحقق لنا الأمن التام هو البعد عن الشرك بالله؛ بكل صوره وأشكاله؛ في ربوبيته، أو ألوهيته، أو حكمه، أو الكفر بدينه، أو تنحية شرعه عن واقع الحياة، أو مزاحمة شرع غير شرعه معه، بالغة ما بلغت المبررات المغلوطة والمعاذير الواهية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام:٨٢)، فتحقيق التوحيد الخالص ثمرته الأمن التام.
ثم إن مما ينبغي علينا تجاه مفهوم الأمن ألا نُنحيه عن مراكز القوى والتأثير في مجتمعاتنا، أو نتجاهل أثر هذه المراكز في تحقيق معنى الأمن بصورته الأساس، فهناك «الأسرة» التي يناط بها أعظم المهمات الأمنية، فمن المعلوم أن التفكك الأسري هو البيئة الحاضنة لجراثيم الخوف وفيروسات الجريمة وصناعة الإرهاب والإرعاب.
وهناك ما يتعلق بالضوابط الأمنية في مجالات العمل التطوعي والتكافل الاجتماعي، وتهيئة فرص العمل والإنتاج، والقضاء على البطالة المنتجة للخلل والفوضى، وملء الفراغ المفسد للشباب أيّ مفسدة، وضرورة رؤية شرعية للترويح لا تحجر واسعا ولا تضيق بالترفيه المضبوط بضوابطه الشرعية وآدابه المرعية.

ألا إن من أكبر أسبابِ اختلال الأمن: انتشارُ الظلم في المجتمع، وغيابُ العدلِ فيه، فيأكل القويُ الضعيف، وينهبُ الغنيُ الفقير، ويتسلطُ صاحبُ الجاهِ والنفوذ على المسالِم المسكين. وحين يستفحل الظلم ويستشري، ولا تجدُ من يردع الظالِم فانتظر خراب المجتمع والدولة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (هود:١٠٢).
حذارِ حذارِ من التمييز العنصري والطبقي بين الناس والظلم الاجتماعي وأكل الحقوق الذي يولد الأحقاد ويغذي الكراهية التي تدفع إلى الجريمة والعدوان.
كما يجب علينا ألا نغفل عما لا يقل أهمية عما مضى، بل إنه في هذه العصور يُعدُّ هاجسا أمنيا لكل مجتمع، ألا وهو: الأمن الفكري الذي يحمي عقول شبابنا ويحفظها من الوقوع في الفوضى والفتنة والانحرافات الفكرية والسلوكية والانسلاخ الأخلاقي المزق لسياج الحياء الفطري والشرعي.
والأمن الفكري مرتهن بحفظ عنصرين عظيمين، ألا وهما: التعليم، والإعلام، إذ يجب على الأمة ألا تقع في مزالق الانحدار والتغريب التي تطمس هوية المسلم وتفصله عن جذوره وتاريخه وثقافته وهويته، وتفقده توازنه الأمني والنفسي والاجتماعي، فإن للعقول لصوصا ومختلسين، أشد خطرا وأنكى جرحا من سائر لصوص الأموال والبنوك.
أما الإعلام فهو أقوى وأمضى سلاح، فإما أن يحفظ على الأمة أمنها ويكون درعها الحصينة أو يلبسها لباس الخوف ويشيع فيها الاختلال والاعتلال والانحلال، كما هو شأن كثير من القنوات الفضائية التي لا هم لها إلا إثارة غرائز الجنس والعنف والعدوان وهذه الأوبئة الفتاكة، وتغذيتها بما تبثه من سموم ومواد فاسدة، وهي لا تفتأ تغرس في الشباب والناشئة عدم

الانتماء والفوضى المدمرة واللامبالاة الهدامة، مما يُوردهم موارد الهلكة والتيه، أليس هذا ما أصاب قطاعا واسعا من شبابنا ضاع في غمرات الجاهلية المعاصرة!!؟.
ثم إن من أهم الوسائل الموصلة إلى الراحة الأمنية من كافة جوانبها دون كلفة أو تجنيد وإعداد، هو «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، والنصح لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن ذلك عماد الدين، الذي فُضِّلت به أمة الإسلام ونالت شرف الخيرية، والذي يُسد من خلاله كثير من مداخل الشر ومنافذ الفساد على البلاد والعباد.
بالأمر والنهي يصلح المجتمع وينفي عنه الخبث، ويأمن من عذاب الله وعقوبته، ويرفع عنا الهلاك والدمار، وبتركه تستفحلُ الفاحشة، وتعمُ الرذيلة، ويستطيلُ الشر، وتخربُ البلادُ والعباد، ألا فضّ الله أفواها، تريدُ لهذهِ الفريضة أن تضعف أو تموت!.
لنكن جميعنا عونا على وحدة الصفّ وتحقيق الاستقرار والأمن بمواجهة الفتن وإزالة الإحن؛ فلقد أسبغ الله – جل وعلا – عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، أفترومون زوالها!!؟.
ولقد ضرب الله – سبحانه – لكم مثلا فاستمعوه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل:١١٢). وإذا كان المفسرون قالوا بأن هذه القرية هي مكة، فإن السنة مطردة في كل قرية على شاكلتها، في أي مكان أو زمان!!.
أتريدون أن تلبسوا مجتمعكم لباس الخوف والجوع!؟.

الهوامش

١- البداية والنهاية، ط إحياء التراث (٢٣٤/١٣).

معنى الضابط والقاعدة والفرق بينهما

د. صالح سالم النهام
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

أولا: الضابط لغة واصطلاحا (١):

أ- الضابط في اللغة: اسم فاعل مشتق من الضبط الذي هو مصدر لفعل ضَبَطَ يَضْبِطُ ويَضْبُطُ ضَبْطا، وجمعه ضوابط، ويراد به: حفظ الشيء حفظا بليغا أو حازما، ومنه قيل: ضبطت البلاد، إذا قمت بأمرها قياما حازما محافظا عليها، ويقال للرجل الحازم ضابط، ويأتي أيضا بمعنى: الإحكام والإتقان.

ب- يلاحظ أن التعريف الاصطلاحي للضابط لا يختلف كثيرا عن تعريف الضابط لغة؛ وذلك أنه يشمل معاني عدة، تدور حول حفظ الشيء ولزومه، وأنه بمعنى اللازم للشيء مطلقا، أو أنه القاعدة التي يقوم عليها الشيء في كل الأحوال، ولا يستغني عنها البتة.

ولاريب أن كل هذه المعاني تهدف إلى حقيقة واحدة، مفادها: أن الضبط عبارة عن حفظ الشيء ولزومه وحبسه، الأمر الذي يجعل الضابط حينئذ في الاصطلاح له معنى شامل لكل ما يحصر ويحبس، سواء أكان بالقضية الكلية، أم بالتعريف، أم بذكر علامة الشيء، أم بالشروط والأسباب (٢).

ومادام أن أحد معاني الضابط جاء بمعنى القاعدة - والذي سيأتي بيانه فيما بعد-، فلاغرو أنهما حينئذ يكونان بمعنى واحد، خاصة إذا قلنا: إن مفهوم الكلية يجري على الضابط والقاعدة، من حيث إن المراد بالكلية: الاستغراق، ويقصد بالكل الاستغراقي: أنه الذي يتناول جميع الأفراد، ومثاله: «كل الناس ذو رأس وقلب»، بينما يقصد بالكل المجموعي: أنه المعنى الجمعي، بشرط اجتماع الأفراد، ومثاله: «كل قطرات المطر الغزير تكوِّن السيل الجارف» (٣).

ورغم أن تلك المعاني جاءت قريبة من بعضها البعض، فإن علماء الاصطلاح في هذا الشأن انقسموا في الظاهر إلى اتجاهات ثلاثة، بيانها فيما بعد:

ثانيا: القاعدة لغة واصطلاحا (٤):

أ- إن المتتبع لمعنى القاعدة لغة يَجِدُ أن كتب اللغة متفقة على أن معنى القاعدة هو: أصل الأس، أو الأساس، وشواهد هذا المعنى من القرآن الكريم كثيرة منها، قول الله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة:١٢٧)، وقوله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ (النحل:٢٦)، قال الزجاج: «القواعد أساطين البناء التي تعمده».

والمعنى العام الذي تدور حوله الاستعمالات اللغوية لكلمة: «قاعدة» هو: «الأصل والأساس الذي يبنى عليه غيره»، وعلى هذا الأساس كان لمعنى القاعدة مفهومان أحدهما حسي والآخر معنوي؛ لأن الابتناء كما يشمل الحسي، ومثاله: «قواعد البيت»، و«قواعد الهودج»، يشمل أيضا المعنوي، ومثاله: «قواعد الفقه»، و«قواعد الأصول»، ويلزم عقلا أن تتضمن القاعدة معنى الرسوخ والثبات؛ مادامت أصلا وأساسا لغيرها (٥).

ب- لقد تعددت عبارات العلماء في تعريف القاعدة اصطلاحا؛ وإن كانت بمجموعها ترنو على معنى واحد، يدرك من خلالها الناظر سعة أفق العلماء في التدقيق والتفريق بين هذه القواعد، وما قد يلتبس بها من الاصطلاحات الأخرى، كالضابط والنظرية الفقهية، ونحو ذلك، ومن هذه التعريفات أذكر التالي:

١- أنها: «حكم كلي ينطبق على جزئياته؛ ليتعرف أحكامها منها» (٦).

٢- وأنها: «قضية كلية يتعرف منها أحكام جزئياتها» (٧).

٣- وأنها: «الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تُفْهَم أحكامُها

منها» (٨).

٤- وأنها: «صورة كلية تنطبق كل واحدة منها على جزئياتها التي تحتها» (٩).

وبما أن عبارات العلماء قد تعددت في تحديد معنى القاعدة اصطلاحا، وهي كلها متقاربة في إفادة معناها، والذي جاء من معانيها أنها: «حكم كلي»، أو «قضية كلية»، أو «أمر كلي»، أو «صورة كلية»، تفهم منها جميعها أحكام الجزئيات التي تندرج تحت موضوعها وتتطبق عليها (١٠)، أو تقول إنها تجمع عددا من الجزئيات التي ينتظمها معنى مشترك، وهو المعنى الكلي.

وبناء على ذلك، يلاحظ أن هذه التعريفات ركزت على مفهوم: «الكلية»، كقيد محدد يعتبر ضابطا لمفهوم القاعدة، وأن القاعدة في اصطلاحها العام تتسم بسمة مميزة، وهي الكلية؛ الأمر الذي جعلها تستخدم في سائر العلوم؛ فإن لكل علم كلياته، فهناك كليات أصولية وقانونية ونحوية وغيرها، والقاعدة عند الجميع هي أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته، مثل قول النحاة: الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمضاف إليه مجرور، ومثل قول الأصوليين: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم؛ ومثل قول الفقهاء: الأمور بمقاصدها، والمشقة تجلب التيسير.. فهذه القواعد تنطبق على جميع الجزئيات، بحيث لا يند عنها فرع من الفروع، وإذا كان هناك شاذ خرج عن نطاق القاعدة، فالشاذ أو النادر لا حكم له ولا ينقض القاعدة (١١).

ومن الأهمية بمكان معرفة أن: «القواعد في سائر العلوم لا تخلو عن الاستثناءات، لكنها وإنْ وُجِدت فإنَّ وجودَها لا يَقدح في كلية القاعدة بعد ثبوتها؛ لأنَّ الغالب الأكثري مُعْتَبر في الشريعة اعتبارَ العام القطعي؛ ولأنَّ المتخلفات الجزئية لا يَنتظِمُ منها كُلِيّ يُعارِضُ هذا الكلي الثابت» (١٢).

لذلك حاول التاج السبكي أن يتخلص من ذلك حينما استغنى عن لفظة: «جميع» وجعل العبارة بعيدة من أن تفيد الانطباق الكلي التام، فقال: «القاعدة»: «الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم منها أحكامها» (١٣).

وبهذا قال الإمام الشاطبي: «لما كان قصد الشارع ضبط الخلق إلى القواعد العامة، وكانت العوائد قد جرت بها سنة الله أكثرية لا عامة، وكانت الشريعة موضوعة على مقتضى ذلك الوضع، كان من الأمر المُلْتَفتِ إليه إجراء القواعد على العموم العادي، لا على العموم الكلي التام الذي لا يختلف عنه جزئي ما» (١٤).

ثالثا: أقوال العلماء في التفريق بين الضابط والقاعدة:

إن أقوال العلماء في التفريق بين الضابط والقاعدة، هي ليست على الحقيقة؛ وإنما هي في الاصطلاح فقط لا غير؛ لأن الضابط قد يرادف القاعدة، وقد يكون أخص منها أو أعم، وسيتضح ذلك جليا عند بيان وجهة نظر الاتجاهات الثلاثة؛ وذلك من خلال تعريفاتهم لمدلول الضابط والقاعدة؛ وذلك على النحو التالي:

الاتجاه الأول: ذهب جمع من العلماء إلى أن القاعدة والضابط بمعنى واحد (١٥)، وحينئذ يُطلق كل منهما على الآخر، ومن قال بهذا الاتجاه:

● النابلسي، حيث قال: إن القاعدة في الاصطلاح: هي بمعنى الضابط، وهي: «الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته» (١٦).

● والتهانوي عندما اعتبر من المعاني المترادفة للقاعدة: الضابط، فقال: «هي في اصطلاح العلماء تطلق على معان ترادف الأصل والقانون والمسألة والضابط والمقصد..»، وتبعهم في ذلك كل من: الكمال ابن الهمام (١٧)، وابن رجب، والعلامة البكري (١٨)، وغيرهم. فالضابط بهذا المعنى مرادف عندهم لكلمة القاعدة، وتعني القاعدة في عرفهم: «ما تعرف منها أحكام الجزئيات المندرجة تحت موضوعاتها إما على سبيل القطع، أو على سبيل الظن» (١٩).

وإطلاق القاعدة على الضابط أمر شائع مطرد في المصادر الفقهية، وكتب القواعد المتقدمة؛ ومن شواهد ذلك ما ذكره السيوطي في باب الزكاة، حين قال: «قاعدة: مَنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُه لَزِمَتْهُ فِطْرَتُه، ومن لا فلا...» (٢٠).

كما مثل أيضا على ذلك الحافظ ابن رجب بقوله: تحت عنوان: «القاعدة: شعر الحيوان في حُكْم المنفصِل عنه لا في حُكْم المتصِل» (٢١).

الاتجاه الثاني: وهو لبعض العلماء حيث رأوا أن الضابط ليس جزءًا من القاعدة، ولا هو مرادف لها؛ وإنما هو أعم من القاعدة؛ واعتبروا وجه الفرق بين كلٍّ: أنَّ القاعدة صورة كلية؛ وفي ذلك يقول الأصوليون: كل أمر يقتضي الوجوب حقيقة فإنه قصد بذكره الضبط التام لصور الأمر الكثيرة في أنها محكوم عليها بحكم هو اقتضاء الوجوب حقيقة؛ وذلك لأن الأمر موضوع للطلب الجازم: ومثلوا لذلك بقولهم: كل كفارة سببها معصية فهي على الفور، فالصور هي: كفارة الظهار، وكفارة القتل، وكفارة جماع نهار رمضان، والقدر الذي اشتركت

فيه، هو كون سببها معصية، والحكم هو الوجوب فورا (٢٢).

أما الضابط فأمر كلي، ويقصد به القضية الكلية، أي: المحكوم فيها على كل فرد فرد. وعليه يكون الضابط أعم من القاعدة، وممن سار على هذا الاتجاه:

● الحموي الحنفي، حيث ذكر تفريقا بين القاعدة والضابط، فقال: «في عبارة بعض المحققين ما نصه: ورسموا الضابطة بأنها: أمر كلي ينطبق على جزئياته؛ لتعرف أحكامها منها، قال: وهي أعم من القاعدة، ومن ثمَّ رسموها بأنها صورة كلية يتعرف منها أحكام جميع جزئياتها» (٢٣).

- الاتجاه الثالث: ذهب جمع آخر إلى أن القاعدة أعم من الضابط (٢٤)؛ معتبرين أن دائرة القاعدة تتسع لتشمل كثيرا من الفروع والجزئيات التي هي من أبواب متعددة، وجهات مختلفة، من العبادات، والعادات، والمعاملات، كقاعدة: «الأمور بمقاصدها»، والتي استقيت من قول رسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...» (أخرجه البخاري، برقم: (١)، ومسلم، برقم: (١٩٠٧)، وقد قال الإمام الشافعي عن هذه القاعدة: «إنها تدخل في سبعين بابا» (٢٥).

وكذلك قاعدة: «المشقة تجلب التيسير»، و«الضرر يزال»، فكل هذه القواعد كلية تجمع الفروع والمسائل في أبواب مختلفة، بينما الضابط دائرته لا تسع أكثر من الجزئيات والفروع التي تندرج في باب واحد، أو في جزء من باب، كقول الفقهاء: «الطهارة الصغرى داخلة في الطهارة الكبرى»، وكذلك: «كل ما أوجب غسلا أوجب وضوءًا إلا الموت»، فهذه الضوابط تجمع فروعا ولكن من باب واحد، ومن هنا كانت القاعدة أعلى مرتبة من الضابط.

وبهذا المعنى إليك تعريفات هذا الاتجاه:

● ما صرح به المقَّري في تعريفه للقاعدة، حيث أخرج الضابط منها بقوله: «كل كلي هو أخص من الأصول وسائر المعاني العقلية، وأعم من العقود، وجملة الضوابط الفقهية الخاصة» (٢٦).

فقوله: «هو أخص من الأصول»، فقد أخرج به علم أصول الفقه: ككون الكتاب، أو السنة، أو الإجماع أو القياس حجة، وكحجية المفهوم والعموم، وخبر الواحد، وكون الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، ونحو ذلك (٢٧).

وأما قوله: «وأعم من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة»، فقد أخرج به القواعد الفقهية الخاصة، أو ما اصطلح على تسميته بالضوابط الفقهية- كقولنا: كل ما لم يتغير أحد أوصافه طهور، وكل طير مباح الأكل، وكل عبادة بنية، ونحو ذلك.

● وكذلك ابن السبكي الذي صرح بالضابط بعد أن ذكر تعريف القاعدة في قوله: «ومنها ما لا يختص كقولنا: اليقين لا يزال بالشك..» إلى أن قال: «.. والغالب فيما اختص بباب، وقصد به نظم صور متشابهة أن يسمى ضابطا» (٢٨)، فقد حدد أن الضابط ما يختص بباب دون غيره.

ولاشك أن كل هذه التعريفات جليَّة واضح معناها؛ لا تحتاج إلى شرح، ما عدا كلمة: «باب» منها، وهذا بيان لها: قال الحطاب المالكي: «الباب في اصطلاح العلماء: اسم لطائفة من المسائل مشتركة في حكم، وقد يُعبَّر عنه بالكتاب أو الفصل» (٢٩).

فطائفة المسائل المشتركة في حكم هي: الباب المعبر عنها بالموضوع الواحد، والضابط ينظم صورا متشابهة مختصة بهذا الباب أو الموضوع (٣٠).

هذا، ورغم أن كل اتجاه قد أخذ حقه من البيان والتوضيح والاستدلال، فقد تبين أن أقوال الاتجاهات الثلاثة لم تكن تستند إلى أمر جوهري في حقيقتها كما ذكرت ذلك سابقا؛ بل كل ما في الأمر أنه اختلاف في الاصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح؛ وأن العبرة بالمعنى لا باللفظ كما هو معلوم.

مع العلم أنَّ المصطلحات العلمية دائما تتغير مع مرور الزمن، وهو ما حصل بالنسبة للقواعد والضوابط، حيث ظهر هذا التفريق في العصور المتأخرة الذي أصبحت كلمة «الضابط» اصطلاحا متداولا لدى الفقهاء والباحثين في الفقه الإسلامي (٣١)، ولذا نجد أن كثيرا من العلماء قد اهتم بعرض الضوابط ووضع المسائل الفقهية المندرجة تحتها في إطارها بصورة تبرز تلك الضوابط، وهناك مصنفات بهذا الشأن، منها: كتاب الفوائد الزينية في فقه الحنفية لابن نجيم- وكليات المقَّري- والاستغناء في الفروق والاستثناء للبكري- والقواعد لابن رجب.

ولاغرو أن تنوع هذه الاتجاهات الثلاثة فيه فوائد جمة، يمكن إجمالها على النحو التالي:

● في التنوع دلالة واضحة على سعة مدارك العلماء في الاستدلال والتطبيق.

● في التنوع دلالة على تكامل الآراء؛ حيث إن كل قول يُنظر له من زوايا عديدة.

● في التنوع تتعدد الحلول، وتتفاضل في ما بينها.

● في التنوع علاج في التوسعة

على الناس.

ومع هذا أجد أن النتيجة بين تلك الأقوال واحدة، مادام الجمع بينها ممكنا وهو أولى بلاشك، إلا أن هناك بعض الملاحظات على تلك الأقوال؛ بيانها على النحو التالي:

أولا: يلاحظ أن الاتجاه الأول الذي جعل الضابط والقاعدة بمعنى واحد؛ حين اعتبر أنهما كليان من حيث إنهما يشتملان على معنى كلي مشترك بين مجموعة غير منحصرة من الجزئيات، ومن ثمة صح إطلاق كل واحد منهما على الآخر.

ثانيا: يلاحظ أن الاتجاه الثاني الذي اعتبر الضابط أعم من القاعدة؛ ممكن أن يقال فيه: بما أن من معاني القاعدة لغة الأساس، فكذلك الضابط؛ لأنه يصح أن تقول أن للقاعدة ضوابط؛ أي: أساس، فالضابط هنا أعم من القاعدة لكونه أساسها، والأساس هو الأصل.

ثالثا: يلاحظ أن الاتجاه الثالث عد الضابط أخص من القاعدة؛ لأن القاعدة لا تختص بباب بخلاف الضابط، مع العلم أن القواعد أكثر شذوذا من الضوابط؛ لكون الضوابط تضبط موضوعا واحدا فلا يتسامح فيها بشذوذ كثير، كما يلاحظ على هذا الاتجاه أنه أحيانا يجعل القاعدة كالضابط، فيكون بهذا وافق الاتجاه الأول القائل بأن القاعدة والضابط بمعنى واحد! ولهذا كان على هذا الاتجاه أن يَلتزم في وضع حد فاصل أو قاطع للتفريق بين الضابط والقاعدة في كل المسائل؛ حتى تكون منضبطة، ويكون دفعا للبس والإيهام.

الهوامش

١- انظر: مادة: «ض ب ط»، في كل من: لسان العرب لابن منظور: (٣٤٠/٧)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للعلامة أحمد الفيومي: (٤٨٧/٢)، وانظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد الحموي الحنفي: (٥/١)، الأشباه والنظائر لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي: (ص:٤٨٦)، شرح الكوكب المنير للفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي: (٣٠/١).

٢- انظر: القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية لشبير محمد عثمان: (ص:٢٢).

٣- انظر: ضوابط المعرفة: (ص:٧٧) بتصرف.

٤- انظر: مادة: «ق ع د»، في كل من: معجم المقاييس في اللغة: (ص:٨٩٦)، القاموس المحيط للفيروز آبادي: (٣٩٧/١- ٣٩٨)، وانظر: حاشية التفتازاني المسماة بالتلويح على التوضيح على التنقيح، كلاهما لصدر الشريعة بن مسعود الحنفي: (٣٤/١)، الموافقات للشاطبي: (٥٣/٢)، حاشية البناني على شرح المحلي على جمع الجوامع: (٣٥٦/٢)، القواعد لابن رجب الحنبلي: (ص٤).

٥- انظر: التعريفات لعلي بن أحمد الجرجاني: (ص:٧١)، قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي للدكتور عبدالرحمن إبراهيم الكيلاني: (ص:٢٦).

٦- انظر: التلويح على التوضيح: (٢٠/١).

٧- انظر: شرح المحلي على جمع الجوامع: (٢٢/١).

٨- انظر: الأشباه والنظائر لابن السبكي: (١١/١).

٩- انظر: شرح الكوكب المنير: (٤٤/١-٤٥)، غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر للحموي الحنفي: (٥/٢).

١٠- انظر: المنتقى من تاريخ التشريع الإسلامي للدكتور محمد أنيس عبادة: (١٠٧/١)، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية لمحمد صدقي البرنو: (ص:١٥-١٦)، القواعد الفقهية لعلي بن أحمد الندوي: (ص:٤١).

١١- انظر: القواعد الفقهية للندوي: (ص:٤١) بتصرف يسير.

١٢- انظر: الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: (٥٣/٢)، قاعدة اليقين لا يزول بالشك، للدكتور يعقوب عبدالوهاب الباحسين.

١٣- انظر: المواهب السنية على الفرائد البهية بهامش الأشباه والنظائر للسيوطي: (ص:٢٨).

١٤- انظر: الموافقات للشاطبي: (١٦٩/٣).

١٥- انظر: التلويح على التوضيح: (٢٠/١)، كشاف اصطلاحات الفنون: (١١٧٦/٥-١١٧٧)، شرح الكوكب المنير: (٣٠/١)، قواعد ابن رجب: (ص:٤).

١٦- انظر: كشف الخطائر عن الأشباه والنظائر، مخطوط: (ص:١٠).

١٧- انظر: التقرير والتحبير في علم الأصول الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية للعلامة ابن أمير حاج: (٣٠٠/١).

١٨- انظر: الاستغناء في الفروق والاستثناء.

١٩- انظر: التعريفات للجرجاني: (ص:١٧٨).

٢٠- انظر: الأشباه والنظائر في الفروع للسيوطي: (ص:٢٤٥).

٢١- انظر: القواعد الحنبلية: (ص:٤).

٢٢- قاله بعض المتأخرين، انظر: إيضاح القواعد الفقهية لطلاب المدرسة الصولتية للشيخ عبدالله اللحجي: (ص:١٢).

٢٣- انظر: القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية لعبدالسلام الحصين: (٧٥/١).

٢٤- انظر: قواعد الفقه لقاضي الجماعة أبي عبدالله المقَّري: (٥٣/١)، الأشباه والنظائر لابن السبكي: (٤/١)، الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: (٧/١)، الأشباه والنظائر لابن نجيم: (ص:١٦٢).

٢٥- انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي: (ص:٤٣).

٢٦- انظر: القواعد للمقَّري: (٢١٢/١).

٢٧- انظر: المنجور على منهج الزقاق- مخطوط بدار الحديث، رقم: (١٩٠٤/ص:٤)، بواسطة القواعد الأصولية عند القاضي عبدالوهاب البغدادي: (ص:٤٥).

٢٨- انظر: الأشباه والنظائر لابن السبكي: (٤/١).

٢٩- انظر: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لإمام المالكية أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي المعروف بالحطاب: (٤٣/١).

٣٠- انظر: القواعد والضوابط الفقهية القرافية زمرة التمليكات المالية استخرجها وقدم لها وشرحها الدكتور عادل بن عبدالقادر بن محمد ولي قوته: (٢٦٥/١).

٣١- انظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للشيخ الدكتور البور نو: (ص:٦١)، القواعد الفقهية للندوي، القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية لإبراهيم الشال: (٧٥/١).



ثلاث نماذج للطغيان على ضوء آيات القرآن

البشير أسعير
باحث بكلية الآداب – المغرب

خلق الله تعالى النفس البشرية، وأودع فيها خصال الخير والشر لقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ (الشمس:٨)، وجعل فلاح العباد في الآخرة رهينا بإصلاحها، وتقويم اعوجاجها، وجعل خسرانهم في إهمالها وتركها سائمة في بحور الأهواء والمعاصي، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٩-١٠).

ولأهمية النفس البشرية وخطورة أمرها، فقد بين الله تعالى الأمراض التي تصيبها، ووضع سبحانه السبل الكفيلة لعلاجها، وتزكيتها حتى تصبح نفسا مطمئنة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ (الفجر:٢٧-٢٨).

ومن الآفات التي تصيب النفس البشرية، آفة الكبر والاستعلاء

على الآخرين، والغرور والطمع، والحرص على الدنيا، عن طريق التملك غير المشروع، وكل مظاهر الطغيان والغطرسة التي تظهر في المجتمعات البشرية.

وإذا تأملنا آيات القرآن الكريم، فسنجد فيها بيانا شافيا، وتفصيلا كافيا لكل هذه الآفات والأمراض التي تصيب النفس الإنسانية، خاصة إذا قرأنا ما وقع للأمم والأقوام السابقة في التاريخ الإنساني من وقائع، وما أصابهم من مصائب وعقوبات إلهية، بسبب هذه الأمراض التي نمت شيئا فشيئا وتفشت فيهم، وأحدثت فيهم نوازع الشر، وحب التسلط والطغيان في الأرض.

ولعل مرد هذا الطغيان والفساد في الأرض، يرجع بالأساس إلى نماذج ثلاثة، وهذه النماذج بدورها تأسست على كلمات ثلاث، وقد وردت في القصص القرآني على لسان أصحابها الذين أصابهم الكبر والاستعلاء، واستمالهم حب التسلط والطغيان، ولعب بهم الفخر والغرور، فهي إذن كلمات ثلاث قد لا يلقي لها المرء بالا، لكن الشيطان قد يتخذها مدخلا سهلا للسيطرة على بني آدم، والتحكم فيه، وتسخيره ليكون أداة للفساد في الأرض والبغي بغير حق، فالكلمة الأولى «أنا» وقد جاءت على لسان إبليس لعنه الله، والكلمة الثانية «لي» وجاءت على لسان فرعون الطاغية، وأما الكلمة الثالثة فـ «عندي» وجاءت على لسان قارون الذي اشتهر بثروته الضخمة، وكل هذه الكلمات تحمل علامات الكبر والاستعلاء والغرور.

إبليس المتمرد

يكشف لنا القرآن الكريم عن قصة تمرد إبليس على أمر الله تعالى، وذلك حينما أمره بالسجود لآدم عليه السلام، بعدما خلقه بيده وصوره في أحسن صورة وأجمل هيئة، ونفخ فيه من روحه، فأراد أن يكون خليفة له في الأرض، فأمر سبحانه ملائكته المقربين بالسجود لآدم عليه السلام تشريفا وتكريما له، وكان إبليس ضمن الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة:٣٠) وقد كان الجن يسكنون الأرض قبل خلق آدم، وكانوا قد أحدثوا قتلا كبيرا وفسادا في الأرض، فسلط عليهم الله تعالى ملائكته فأهلكوهم، ولذلك فالملائكة في محاورتهم لله سبحانه، راعوا هذا الأمر أي احتمال وقوع الإفساد في الأرض مرة ثانية، لكن الله تعالى هو العليم الخبير بخلقه، رد عليهم بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ (البقرة:٣٠).

وجاء الاختبار الإلهي للملائكة ومعهم إبليس بالسجود لآدم عليه السلام، فسجد الملائكة وامتنع إبليس عن السجود، وكان امتناعه عن السجود بسبب تكبره على الله سبحانه، وافتخاره على آدم عليه السلام بعنصره الناري، وهذا هو أصل العنصرية المقيتة التي هي سبب كل البلايا والحروب على وجه الأرض.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ (البقرة:٣٤)، وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٧٤ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦﴾ (ص:٧١-٧٦)، وقال أيضا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١﴾ (الإسراء:٦١).

وجاء في تفسير هذه الآية: «قال أنا خير منه» أي قال اللعين: أنا خير من آدم وأشرف وأفضل «خلقتني من نار وخلقته من طين» أي: لأنني مخلوق من النار، وآدم مخلوق من الطين، والنار خير من الطين، فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ (١)

فإبليس افتخر على آدم عليه السلام بعنصره، لأن الله تعالى خلق إبليس من نار لأنه من الجن، بينما خلق آدم من طين، ولذلك فإبليس احتقر آدم بسبب عنصره الطيني، ولم يرض أن يسجد له، لأنه رأى في نفسه تفوقا عنصريا على آدم، فاستخدم الأنا الدالة على الاستعلاء والكبرياء، فـ «قال أنا خير منه» وهذا هو مدخل الغرور والتكبر على الآخر، والتجبر والطغيان في الأرض.

إن أعظم ما يصيب النفس البشرية هو الكبر الذي إذا استولى على الإنسان، كبله ومنعه من أن ينظر إلى حقيقة أصله، وإن أخطر آفة

تتهدد الكيان البشري هي آفة الاستعلاء والعنصرية الجاهلية التي تجعل الإنسان يتمادى في غيه، ويصم آذانه عن سماع الحق، ويعرض عن سبيل الله.

ولاشك أن إبليس هو أنموذج للاستعلاء والكبر والفخر بالأصل في التاريخ بأكمله، وقد توعد إبليس البشرية - في حواره مع الله تعالى بعد طرده - بإغوائها وإثارة الفتن والنزاعات بينها، لقوله تعالى - على لسان إبليس -: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الأعراف:١٦-١٧)، وقوله تعالى أيضا: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ (الإسراء:٦٢).

لقد تحققت مكيدة إبليس بالبشرية، وظهرت نتائج إغوائه لها، فانتشرت النزاعات والحروب بين الجماعات والأفراد داخل البلد الواحد، وبين البلدان المجاورة بعضها البعض، وقامت مناوشات بين مختلف الطوائف والنحل، وعاودت العصبيات والقوميات الظهور بشتى ألوانها، وصار التفاضل بين بني البشر على أساس العرق واللون والمال، ولم يعد مبدأ المساواة - الذي أقره الإسلام منذ أربعة عشر قرنا - قائما في حياة الأمة الإسلامية، بل حل محله التفوق والامتياز على أساس العرق أو اللون أو المال، مما سبب في ظهور العنصرية البائدة، وأصبح القوي يأكل الضعيف، والأبيض يستعبد الأسود، والغني يستعلي على الفقير، وهكذا حلت الفوضى محل النظام، ورجع القوم إلى الضلال بعد أن هداهم الله تعالى إلى نور الإسلام.

فرعون الطاغية

عرض القرآن الكريم قصة فرعون مع بني إسرائيل في أرض مصر، حيث بيّن الله تعالى من خلالها قمة الطغيان التي بلغها فرعون، فأرسل إليه كلا من النبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام ليعرضا عليه رسالة التوحيد السماوية، ويعظاه ويرشداه إلى طريق الحق، بعدما تجبر وأفسد في الأرض، وقتل من قتل من بني إسرائيل، وعذّب من عذّب منهم.

وقد وردت آيات كثيرة تُبيِّن الحالة النفسية لفرعون، والحديث الذي دار بينه وبين قومه في شأن النبي موسى عليه السلام، قال الله تعالى - على لسان فرعون -: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ (غافر:٢٦) أي قال فرعون الجبار: اتركوني حتى أقتل لكم موسى ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ (غافر:٢٦) أي وليناد ربه حتى يخلصه مني، وإنما ذكره على سبيل الاستهزاء، وكأنه يقول: لا يهولنكم ما يدّعيه من ربه، فإنه لا حقيقة له، وأنا ربكم الأعلى، وغرضه أن يوهمهم بأنه إنما امتنع عن قتله، رعاية لقلوب أصحابه (٢).

ويأتي تفصيل كلام فرعون في آية أخرى، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ (غافر:٢٦) أي إني أخشى أن يُغيِّر ما أنتم عليه من عبادتكم لي إلى عبادة ربه، ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ (غافر:٢٦) أي: أو أن يثير الفتن والقلاقل في بلدكم، ويكون بسببه الهرج، وهذا كما قال المثل «صار فرعون واعظا» (٣).

وهذا في حد ذاته كلام كل الطغاة والفراعنة لمن يخالفهم الرأي، فحجتهم في التنكيل بمخالفيهم هي أنهم يثيرون الفتنة في البلد، ويحرضون على القتل، وغيرها من الأقاويل المتهافتة.

وفرعون لما أخذته العزة بالإثم، ظن أنه وحده المتحكم في رقاب العباد، وأنه من يملك خزائن الأرض، ولذلك قال الله تعالى - على لسان هذا الطاغية -: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ (الزخرف:٥١) أي قال مفتخرا متبجحا: أليست بلاد مصر الواسعة الشاسعة ملكا لي؟ وهذه الخلجان والأنهار المتفرعة من نهر النيل تجري من تحت قصوري؟ (٤)، وقد أدى به طغيانه إلى احتقار نبي الله موسى عليه السلام، فقال تعالى - على لسانه -: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ (الزخرف:٥٢) أي بل أنا خير من هذا العبد الحقير، الذي لا عز له ولا جاه ولا سلطان، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه؟ يعني بذلك موسى عليه السلام (٥).

وهذا شأن الطغاة دائما فإنهم يظنون أنهم يملكون الأرض ومن عليها، ويتحكمون في رقاب العباد، لذلك تجدهم يتسلطون عليهم بالتنكيل والاضطهاد، ويتركون من

خالفهم في السجون تحت سياط التعذيب، وإنما يفعلون بهم هذه الأفاعيل لسبب واحد هو أنهم لم يدركوا عظمة الخالق، وقوته وسلطانه عليهم، ولم يستفيقوا من غفلتهم عن وعيد الله للظالمين والمستكبرين في الأرض.

قارون المغرور

من المعلوم أن غاية القصص القرآني دائما هي تنبيه العباد إلى ما وقع للأقوام السابقة من ألوان العذاب الإلهي، بسبب استكبارهم في الأرض، وإكثارهم فيها الفساد، ليأخذوا العبر والدروس، وحتى لا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الأخطاء الشنيعة.

ولقد عرض لنا القرآن الكريم قصة قارون بشيء من التفصيل والبيان، وقد مثل قارون أنموذجا فريدا في زمانه للمغرورين بثروتهم المالية، والمعجبين بأنفسهم على وجه الكبر والاستعلاء، وهذا ما جاء بيانه في أواخر سورة القصص.

وقصة قارون وهو من بني إسرائيل ذات صلة فكرية بقصة فرعون في السورة وهو من المصريين، وفيهما دلالة على أن سنة الله في عباده واحدة، فمن طغى وبغى أهلكه الله وعاقبه بما هو له أهل، والعبرة فيهما متشابهة (٦).

ولنتأمل ما ورد في شأن قارون من عبر ودروس قرآنية، إرشادا لأولي الألباب في كل عصر ومصر، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (القصص:٧٦-٧٨)

لكن قارون تمادى في غروره وطغيانه، وصمّ أذنيه عن سماع النصح الذي قدمه له قومه، واعتز بنفسه وأعجب بالثروة التي حصل عليها، وظن أنه سيخلد في الأرض، وسيتمتع بثروته دون أن يصيبه مكروه، وهذا من استدراج الله تعالى للإنسان الطاغي والمتكبر، فالله سبحانه يعطي الملك لمن يشاء، ويرزق من يشاء، لكن حسابه وعقابه شديد في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ (الأعراف:١٨٢-١٨٣)، وكذلك ما ورد في الحديث النبوي المروي عن أبي موسى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (هود:١٠٢) (٧).

ولذلك فقد نال قارون عقاب الله الشديد والعادل، بعد أن صد عن السبيل، كما قال تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ (القصص:٨١)، لأنه جحد نعم الله عليه، ولم يعترف بفضله عليه، وسوّلت له نفسه الكفر بعطاء الله له، وظن أن ما يملكه ليس من عند الله، فقال لقومه بعد أن نصحوه أن يرجع عن كفره: «إنما أوتيت هذا الذي أملكه مكافأة كونية لي على علم عندي بأسباب تحصيل الثروات، وحسن التدبير والتصرف في اكتساب الأموال والمنافع واللذات والزينات ومظاهر المجد والعظمة» (٨). وهذا دأب كل مغرور بنفسه، ومتكبر في الأرض بغير حق، ولذلك نجد أن سنة الله تعالى في الكون لا تحابي أحدا، فمن أخذ بالسنن، واعتبر بغيره، فقد نجا من طرق الهلاك الأبدي، ومن غفل عن هذه السنن، وتجاوز حدود الله سبحانه، وطغى، فقد جلب على نفسه الخسران الدنيوي والأخروي.

الهوامش

١- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المجلد الثالث، ص:٦٥-٦٦.

٢- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المجلد الثالث، ص:٩٩.

٣- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المجلد الثالث، ص:١٠٠.

٤- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المجلد الثالث، ص:١٦٠-١٦١.

٥- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المجلد الثالث، ص: ١٦١.

٦- معارج التفكر ودقائق التدبر، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، المجلد التاسع (تفسير السور التالية: النمل والقصص والإسراء)، ص:٤٦٣.

٧- حديث متفق عليه.

٨- معارج التفكر ودقائق التدبر، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص:٤٦٥.



آلام مجمعية وآمال مجتمعية

مشكلات تعريب المصطلح العلمي

إبراهيم محمد حمزة
باحث مصري

«أليس غريبا أن يدعو عربي في بلد عربي أمته إلى التعريب»؟!

طرح هذا السؤال الدكتور فاضل الجمالي في محاضرة ألقاها في بيت الحكمة بتونس منذ عقود، لكن المؤلم أن السؤال لم يزل مطروحا، ومازال يحمل مواجع وآلام وطن عربي كبير، يكاد مواطنوه أن ينظروا إلى لغتهم كوسيلة لدراسة العلوم نظرة الوارث غير الرشيد، لميراث لا مثيل له، خاصة وأن قضية تعريب المصطلح ترتبط بقضية أشد صعوبة هي تعريب العلوم ذاتها، فالغيورون على لغتهم، يرون اللغة العربية صالحة لكافة علوم الدنيا، وأغلب من اعتاد التدريس باللغات الأجنبية، يتصورون أن يتم التعليم بغيرها، في هذه السطور نتأمل كيف نظر العرب والمجمعيون إلى طريقة تعريب المصطلح، وكيف تغلبوا على مشكلات هذا التعريب، وكيف نفيد من أسلوب القدامى في تطوير العمل المعجمي العلمي.

بالكورية طبعا

يروي الدكتور/ إسحق الفرحان عضو مجمع اللغة العربية الأردني أنه كان بصحبة وزير التربية الأردني في حفل للسفارة الكورية، فسأل الوزير سفير كوريا في الأردن قائلا له:- بأي لغة تدرسون الطب والهندسة والعلوم في بلادكم؟ فلم يجبه السفير الكوري. فكرر الدكتور إسحق الفرحان السؤال عليه، فرد السفير قائلا: وهل هذا سؤال يسأل.. بالكورية طبعا!! (١)

فإن كانت العبرية والكورية وكافة اللغات الدنيا تستخدم للتدريس في بلادها، فمن الأولى بنا أن نستخدم لغتنا، وقد تواترت الدراسات التي تتبعت الأسلوب القديم في التعريب، ومنها دراسة ممتعة للدكتور عبدالهادي التازي (٢)

مذكرا بتعريب الدواوين من الرومية إلى العربية في عهد عبدالملك بن مروان، أما في مجال العلوم البحتة، فأمامنا عالم عربي هو أبوداود سليمان بن حسن المعروف بابن جلجل المولود بقرطبة عام (٣٣٢هـ)، فقد علق ابن جلجل على ترجمة كتاب ديوسقوريديس Diosquridis الذي ترجمه اصطفان بن باسيل، وأجازه حنين بن إسحاق، يعلق ابن جلجل قائلا: «إن ما علمه اصطفان من تلك الأسماء اليونانية (يعني أسماء الأدوية والعقاقير) في وقته، وعرف أن له اسما في اللسان العربي، ترجمه بالعربية، وما لم يعلم له اسما تركه على اليونانية اتكالا منه أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك الاسم ويفسره باللسان العربي».

ثم كان ابن البيطار في مقدمة «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» حريصا محتاطا في ترجمة الكلمات إلى العربية، بل ويحجم عما لا يثبت عنده، ويضع اسمه في لغته الأصلية. وهو ما يمكن متابعته من جهة الالتزام بالمنهج العلمي بشكل صارم، وإذا نظرت في «تهذيب الحيوان» للجاحظ، وجدته يعنون مقالته بـ «شرائط الترجمان» أوضح ضرورة تمكن المترجم من اللغتين معا، حتى يكون فيهما سواء وغاية.

وقد نجد البيروني (٣٦٢ - ٤٤٠هـ) يؤصل للمنهجية العلمية، رافضا التعصب للغة أو لغيرها، قائلا: «العصبية تعمي الأعين البواصر،

وتصم الآذان السوامع، وتدعو إلى ارتكاب ما لا تسامح باعتقاده العقول»، كما يذكر ذلك في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية».

وكان البيروني عارفا بالخوارزمية وهي لهجة من التركية، وعرف العربية والفارسية والسنسكريتية واليونانية والسريانية والعبرية، ولكن رأى العربية توأما للدين الإسلامي وأشار قائلا: «ديننا واللغة العربية توأمان، يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية» ثم ينهي هذا الكلام في مقدمة كتابه «الصيدلة في الطب» قائلا «والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية».

وأخيرا، فقد كان كتاب «المعرب» للجواليقي سباقا في الحديث المفصل عن الألفاظ المعجمة، وكيفية تعريبها، وقد ذكر شيخنا العلامة أحمد محمد شاكر في تحقيقه للكتاب أنه «كتاب جيد، فيه علم كثير، وفيه خطأ نادر» أما الجواليقي نفسه، فيتحدث عن ضرورة الإبدال التي انتبه إليها العرب في تعريبهم للألفاظ، فقالوا: «كربك» في «كربج» الفارسية، وقالوا «كيلجة» في «قيلقة» وقالوا «جورب» في «كورب» وقالوا «دست» في «دشت» أي صحراء بالفارسية...إلخ (٣).

والغريب أن مشكلة «تعريب المصطلحات لم تظهر ولم تكن عائقا أمام نقل علوم الفرس والروم واليونان والهند وغيرهم، بل ونقل علوم العرب إلى اللاتينية، وقد رأينا عالما رياضيا مرموقا مثل إيلارد الباثي يترجم أصول الهندسة الإقليدية عن ترجمة عربية في خمسة عشر جزءا ضخما. (٤)

ويضرب العلامة الدكتور هيثم خياط مثالا ليؤكد إمكانية التعريب عمليا بمنتهى اليسر والسهولة بشخصية عالم عربي عظيم هو الدكتور: الصلاح الكواكبي – المولود بحلب الشهباء عام ١٩٠١م الذي دخل ذات يوم المعهد الحلبي في دمشق عام ١٩٢١م ونال الإجازة الرسمية في الصيدلة، ثم درس الصيدلة والفيزياء في «السوربون» وفي جامعات فرنسية غيرها، ثم عاد لعمله بكلية الطب، فألف سلسلة مجودة أسماها: «الدروس الكيمياوية لتلاميذ المدارس الثانوية» وكانت خمسة أجزاء لأقسام الدراسات الثانوية الخمسة، فأفادت الطلاب وحببت لهم الكيمياء على ما فيه من جهد وعنت ثم ألف – بالعربية – طبعا كتاب «الحبابات الدوائية» ثم أتبعه بمؤلفاته «الحموضة والقلوية في نظرية الشوارد» ثم «صناعة حمض الليمون» ثم «الكيمياء الحديثة» ثم أتبع ذلك بتطبيق صادق لأبحاثه، فأنشأ يصنع مستحضرات صيدلانية هي حبابات دوائية تحوي أدوية نافعة ترزق المرضى علاجا.

ثم تابع بعد ذلك وضع سلسلة من الكتب في الكيمياء غير أننا مع كتابيه «مصطلحات علمية» و«معجم المصطلحات العلمية الكثير اللغات». حيث يتخذ القياس والنحت والتعريب طريقا لإيجاد مصطلح علمي صحيح، وكان يستصرخ النحاة الذين ضيقوا على أنفسهم وقد أوسع الله عليهم (٥).

رحلة مع الترجمة

سبقت جهود رفاعة الطهطاوي المجامع العربية، فهو الرائد بلا جدال، فقد أسس هذا الشيخ المعمم المصاحب للبعثة – إماما – أسس مذهبا عجيبا في خياراته للترجمة التي كانت أشبه بتدريبات، ثم انتقلت لتحصد إعجاب كبار علماء فرنسا، كالبارون دي ساسي، والمسيو جومار، أما ترجماته في فرنسا ثم في مصر، فشملت علوما كثيرة، فله كتاب «التعريبات الشاقة لمريد الجغرافية» مأخوذة من عدة كتب فرنسية، طبعة محمد علي باشا ببولاق سنة ١٨٣٨م، وترجم «مبادىء الهندسة» عن لوجندر عام ١٨٤٣م، وفي المعادن النافعة كتاب «تعريب المعلم فرادر»، كما عرب «قانون التجارة الفرنسي»، و«القانون المدني الفرنسي»، كما ترجم كتاب «منتسكو» روح الشرائع...

وكان أسلوب الطهطاوي في الترجمة للمفردات الأجنبية هو أن يحدد اللفظ ومعناه في ذهنه، ثم يلجأ للمعجم العربي، فيأخذ منه ما يصح معناه ليكون ترجمة للمعنى الأجنبي.

وقد لعبت الجهود الشخصية دورا طيبا، حيث أنشئت في مصر عام ١٩١٤م لجنة التأليف والترجمة والنشر، وقامت على ترجمة عدد من الكتب المهمة عالميا، وفي عام ١٩٥٥م أنشئ مشروع الألف كتاب، وفي العام التالي تم إنشاء المجلس الأعلى للعلوم،



وضع برنامجا لترجمة أهم الكتب المرجعية في العلوم الأساسية، لكنه مات طفلا، فلم يتعد عمره خمس سنوات، وانتهى وجوده، وتتابعت الجهود، حتى تحملت المجامع اللغوية عبء الأمر كله.

مع المجامع والمعاجم

تشير إحصاءات اليونسكو أن نصيب الوطن العربي من الترجمة عام ١٩٧٠م كان ١١ في الألف، وفي عام ١٩٨٦م تراجع إلى نسبة ٦ في الالف أي أنه خلال ستة عشر عاما تراجع الوطن العربي إلى النصف تقريبا، وفي وقت تنتج دول الوطن العربي مجتمعة تسعة آلاف كتاب جديد مترجم سنويا، تصدر إسرائيل باللغة العبرية عشرة آلاف كتاب (مجلة المجمع ج ٧٨ صـ ٩٤). والمقارنة مضحكة، حين ينتهي العرب من ترجمة كتاب واحد تكون اليابان قد أنهت ترجمة ٩٠٠٠ كتاب، فالعرب لا يترجمون أكثر من ٣٣٠ كتابا في السنة (تقرير التعليم العالي في البلدان العربية ٢٠٠٨م). فالبلدان العربية كلها تترجم ٤،٣ في المئة مما تترجمه ألمانيا (٦).

أما المشكلات التي يواجهها المجمعيون أثناء إعداد المعاجم العلمية المتخصصة، فهي كثيرة، وتستنفد وقتا أكبر مما نتصور، فضلا عن احتياج هذه المعاجم دوما إلى التغيير والتبديل، وبين يدينا دراسة قيمة للدكتور عبدالحافظ حلمي - عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة - وهي مكتوبة بخط اليد، وقد حصلنا على نسخة ضوئية منها من مكتبة المجمع، يقول الدكتور عبدالحافظ إن المجمع يبتغي من إعداده معاجمه العلمية توفير المصادر المعتمدة التي تهيئ لمن يرجع لأي منها:

مقابلا عربيا صحيحا للمصطلح العلمي.

تحديدا دقيقا ووافيا لمعنى المصطلح.

رفيقا مساعدا له في دراسته.

وكذلك إعداد التعريفات الدقيقة للمصطلحات بحيث يغنيه عن المعجم الأجنبي، مما يجعل مسألة التعريف معقدة متشابكة، حيث يبرز سؤال: ما الحد المناسب في تعريف المصطلح العلمي؟

ويضرب الدكتور عبدالحافظ مثالا:

درجة الكلورية: Chlorinity

قياس المحتوى الكلوري لماء البحر مقدرا بالوزن.

وتعرف بأنها كمية الكلور، مقدرة بالجرامات في الكيلو جرام واحد من ماء البحر.

والدرجة الكلورية ودرجة الملوحة مقياسان للملحية Saltiness لماء البحر، ويمكن أن نعبر عن العلاقة بينهما رياضيا بأن درجة الملوحة تساوي ١،٨٠٦٥٥ من الدرجة الكلورية.

ويعلق الدكتور حول تعدد المداخل الثلاثة المذكورة قائلا:

ويمكننا أن نتوقف عند نهاية المستوى الأول، أو نهاية المستوى الثاني، ولكن يبدو جليا - للمختص - أن الفائدة لا تتم إلا بذكر المستوى الثالث أيضا.

إن شيخنا العلامة عبدالحافظ حلمي يحذر من تضخم المعاجم، ولجوء المجمع إلى حل صعب، وهو إعداد المعاجم الفرعية، وهو ما يثقل على الباحثين والمجمعيين معا.

بينما يتوقف الخبير المعجمي الدكتور محمد يوسف حسن عند النحت اللغوي كوسيلة ميسرة للأداء العلمي العربي في مجال وضع المصطلحات العلمية، كما فتح المعجميون بابا واسعا رائعا من الأبواب المغلقة منذ قرون رغم الفارق في الاهتمام باللغة قديما، وهذا الباب هو باب «النحت»، والنحت هو عملية اختزال واختصار في الكلمات، وقد حدث عند الخليل في العين وابن السكيت في إصلاح المنطق والجوهر في الصحاح...إلخ.

وقد نشأ قديما لإزالة الالتباس المتوهم في حالة النسبة إلى الأعلام، فقالوا: عبشمي ومرقسي كقول يغوث الجاهلي:

وتضحك منى شيخة عبشمية
كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا

وقد نسبوا إلى غير قياس كقولهم: دربخي إلى دار البطيخ ورسغي نسبة إلى رأس العين وعبدرى نسبة إلى «عبد الدار» ونستفيد من النحت في ألفاظ العلم المشتركة.

كما يذكر د/ محمد يوسف حسن في دراسته الرائعة - دور النحت في تيسير الأداء العلمي بالعربية - مجلة المجمع - مايو ١٩٩٦م.

والنحت عملية معاكسة للاشتقاق، الذي هو إطالة بنية الكلمة، فالنحت «هو أن تعمد إلى كلمتين أو ثلاث، أو إلى جملة فتؤلف من بعض حروفها كلمة جديدة تكون دلالتها موافقة لدلالة ما أخذت منه». وهو ظاهرة أصيلة في اللغة العربية، قسمه النحاة إلى نوعين: فعلي ونسبي، وأول من ذكر النحت هو الخليل ابن أحمد، فقد عرفه وسماه ومثل لضربين منه، فقال: «وقد أكثرت من الحيعلة؛ أي من قولك: حي على، وهذا يشبه قولهم: تعبشم الرجل وتعبقس، ورجل عبشمي: إذا كان من عبد شمس أو من عبد قيس، فأخذوا من كلمتين واشتقوا فعلا... فهذا من النحت» (٧).

أما استخدام النحت في المصطلح العلمي، فيقترح الباحث مصطلحات مثل «مركب حديدوكي» مقابل Ferroferic Compound نحتا من حديدوز وحديديك.

أو أن نقول الغلاف النيحدي للأرض، نسبة إلى النيكل والحديد أو أن نصف معدنا بأنه «حرمائي» Hydrathermal إشارة لنشأته بفعل الحرارة والماء، وتمتد النماذج

للباحث الدكتور محمد يوسف حسن، خاصة مع احتفاء اللغة بألفاظ دينية منحوتة مثل «بسملة»، حوقل، حيعلة، حمدل، سبحل، سمعل...إلخ كقول شاعرنا:

أقول لها ودمع العين جار

ألم تحزنك حيعلة المنادي

وهي ظاهرة مستشرية تماما في اللغات الغربية، خاصة الإنجليزية.

وقد استهدى المجمعيون بأصول أقرها القدماء في التعامل مع التعريب منها القياس والذي عده الإمام ابن جني «موضعا شريفا، والمنفعة به عامة، والتساند إليه مقو مجد» فنحن كما يقول أبوعثمان المازني: لم نسمع كل اسم فاعل وكل اسم مفعول، إنما قسنا عليه، وقد قال أستاذه ابن جني حين سأله: أترتجل اللغة ارتجالا؟ قال: ليس بارتجال، لكنه مقيس على كلامهم، فهو إذن من كلامهم. وهكذا صار القياس سبيلا للتعريب. فيذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» أن الاسم قد يكون أعجميا، فتعربه العرب، فيصير عربيا.

قواعد مجمعية

لقد وضع المجمعيون قواعد صارمة، صدرت بها قرارات مجمعية، في دورات مختلفة، منها: جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان للضرورة في لغة العلم، وكذلك الاصطلاحات العلمية، يجب أن تقتصر فيها على اسم واحد لكل معنى، وأقر المجمع أيضا: صوغ اسم الآلة على وزن «مِفعَل» و«مفعلة» و«مفعال» للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء.

وأيضا: الكلمات المعربة تبقى كما هي، وتجمع جمع مؤنث سالما، مثل مارستان تصبح مارستانات..

ووضعت المجامع حدودا للنحت اللغوي، وأجازت دخول «اللا» على الاسم، كقولنا:

«اللاهوائي» أو «اللاحراري»...إلخ.

ويبدو اتحاد المجامع العربية الذي أقرت لائحة النظام الأساسي له في ١٩٥٧/٣/٣٠م، وضم القاهرة وبغداد ودمشق، وعقد مؤتمره الأول في سبتمبر ١٩٥٦م في دمشق، يبدو الاتحاد بهيئته وممثليه، قادرا على إقرار المصطلحات العلمية في كافة الدول العربية في ذات الوقت، وفرضها على لغة الإعلام والتعليم، وأيضا حل مشكلة بطء صنع المعاجم العلمية، والتي أشار الدكتور عبدالحافظ حلمي إلى أن إصدار المعجم الواحد في عدة أجزاء قد يفصل بين الجزء وما يليه مدة قد تطول سنوات، وهو أسلوب فيه عيب واضح، إذ إن المعجم - بداهة - لا تتم فائدته إلا حين تكتمل أجزاؤه.

ثم ياتي الخلاف حول ترتيب المداخل، وبأي لغة؟ هل العربية أو الإنجليزية، أم الفرنسية؟ ويبدو استخدام المداخل العربية هو الأكثر فائدة في العلوم الإنسانية، بينما اللغة الأجنبية في العلوم البحتة.

وقد أصدر المجمع في القاهرة عدة معاجم علمية منها معجم الكيمياء والصيدلة عام ١٩٨٣م، وأصدر معجم الفيزياء عام ٢٠٠٩م وأصدر مؤخرا معجم ٢٠١٢م طبعة رابعة... وقد بذلت فيها جهود قيمة، وأظهرت حلولا طيبة لبعض المشكلات، منها الترادف النابع من أسباب متعددة، ولنضرب مثلا بتعبير Commutative Group و Abelian group حيث قام المعجم بترجمتهما إلى «زمرة آبلية» وزمرة إبدالية الأولى نسبة لعالم الرياضيات abel وزمرة إبدالية نسبة لخاصية الإبدال المميزة لها.

وهكذا تتواصل الجهود المعجمية غير عابئة بصعوبات لا تنتهي، لكن الحلول تبدو جلية عبر جهود شيوخنا المعجميين، فكل طريق مهما طال فله نهاية، وقد آن أن تعود اللغة العربية إلى دار هي أول منزل.

الهوامش

١- عن مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء ٧٩.

٢- منشورة بمجلة المجمع جزء ٧٨ مايو ١٩٩٦م وانظر د. عبدالحافظ حلمي، تعريب التعليم الجامعي، بحث منشور بمجلة المجمع، جـ٧٩، نوفمبر ١٩٩٦م، ص٢٨.

٣- انظر باب معرفة مذاهب العرب في استعمال العجمي من كتاب «المعرب للجواليقي» ص٥٥، طبعة دار الكتب بتحقيق الشيخ أحمد شاكر - مصر، عام ١٩٦٩م، ص٥٥.

٤- د. يمنى طريف الخولي، بحوث في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة - مصر، ١٩٩٨م، ص٥٥.

٥- د. محمد هيثم الخياط، في سبيل العربية - بتصرف واختصار - دار الوفاء، ص٧-٢٢.

٦- نقلا عن مداخلة محمد سعيد الريحاني في ندوة «من الفكر الموسوعي إلى فن الترجمة» التي نظمتها كلية الآداب يوم الخميس ٨ أبريل ٢٠١٠م.

٧- نقلا عن د. رفعت هزيم في دراسته القيمة «النحت في اللغة العربية قديما وحديثا» بمجلة مجمع اللغة العربية الأردني.

وانظر: د. عبدالحافظ حلمي، تعريب التعليم الجامعي - بحث منشور بمجلة المجمع - جـ٧٩، نوفمبر ١٩٩٦م، ص٢٨.

ونحيل المهتم إلى بعض الأبحاث الجيدة للاستفادة والاستزادة:

١- سليم النعيمي، النحت، مجلة المجمع العراقي- بغداد، ١٩٧٣م مجلد ٢٣.

٢- عبدالكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث- الأردن، ١٩٨٧م.

٣- جميل الملائكة، في مستلزمات المصطلح العلمي، مجلة المجمع العراقي- بغداد، ١٩٧٤م.

٤- بحوث مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أبريل، ١٩٩٤م والمنشورة بالعددين جـ٧٨، ٧٩ في مايو ١٩٩٦ ونوفمبر ١٩٩٦م.

٥- كتيب «منهج وضع المصطلحات العلمية» المجمع، ١٩٩٥م.



حركة الترجمة العلمية في الإسلام

د. هند عبدالحليم محفوظ
مدرس بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر

مورست الترجمة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد في منطقة الشرق الأدنى، فنقلت وثائق سومرية إلى الأكادية، وبعد ذلك ترجمت أعمال إغريقية علمانية إلى مختلف لغات الشرق القديم. وقد شهدت الإسكندرية البطلمية حركة ترجمة واسعة بين لغات الشرق القديم والمصرية من ناحية والإغريقية من ناحية أخرى، وأشهر مثل على ذلك الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية إلى الإغريقية (١).
وروى ابن هشام في سيرته أن ورقة بن نوفل كان مطلعا على العبرانية وكتب أهل الكتاب (فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب) (٢)

وترجع جذور الترجمة في الإسلام إلى أيام النبي ﷺ، حيث أمر بعض الصحابة بتعلم اللغات حتى يتمكنوا من قراءة الرسائل الواردة إليه من أقطار غير عربية، والرد عليها. فاستطاع يزيد بن ثابت أن يتعلم السريانية في سبعة عشر يوما، وتولى مهمة كتابة رسائل النبي ﷺ بهذه اللغة. وقد روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه استعمل كلمة واحدة يونانية «قالون» Kalon في محاورة عادية وتعني «حسنا» (٣).

وشكلت الترجمة في العصر الأموي حاجة ملحة، سواء في الدوائر الحكومية أو الحياة اليومية، وأبرز إنجاز هو تعريب الديوان (الجهاز الإداري في الدولة) عن الفارسية في أيام عبدالملك بن مروان (٦٥-٧٦هـ/٦٥٨-٧٠٥م)، حيث كلف الحجاج بن يوسف الثقفي المترجم صالح بن عبدالرحمن مولى بني تميم، وتم نقل الدواوين الإغريقية في الشام أيام عبدالملك بن مروان على يد المترجم أبي ثابت سليمان ابن سعد (٤).

ويذكر ابن النديم في «الفهرست» أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت٨٥هـ) هو أول من دشن حركة الترجمة العلمية في الإسلام «كان خالد بن يزيد يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلا في نفسه وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة (الكيمياء) فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي. وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة» (٥).

وكان معظم ما ترجم في العصر الأموي وثائق إدارية وبيروقراطية



ترجمة

وسياسية وتجارية، وكلها من لوازم التعامل مع الناس وأصحاب الأرض المفتوحة. ولم يكن هناك مشروع علمي ثقافي لترجمة الأعمال اليونانية العلمية والفلسفية، بل كانت هناك خطوات عشوائية فردية غير منظمة، يقول ابن النديم في «الفهرست»: «إن ماسرجويه الطبيب البصري كان إسرائيليا زمن عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ). وكان عالما بالطب، وهو الذي تولى لعمر بن عبدالعزيز ترجمة كتاب أهرن القس في الطب، وهو كناش من أفضل الكنانيش القديمة» (٦).

وقد ازدهرت الترجمة في العصر العباسي نظرا لاتساع العمران الحضاري للدولة الإسلامية وزيادة حاجتها إلى العلوم والصنائع الأجنبية والطب والعلاج، وهو ما يفسر ذلك التدفق الغزير من الترجمات العربية لمؤلفات جالينوس وأبقراط وغيرهما. كما انتشرت الفرق الدينية ونشأت المناظرات الفكرية والجدل الكلامي مما استدعى ترجمة منطق اليونان وفلسفتهم. كما أن انتصار اللغة العربية وتسيدها على سائر مناطق الإمبراطورية الإسلامية، جعلها تستقطب نصوص اللغات الأخرى إليها في مختلف ميادين المعرفة. كما أغدق الخلفاء والأمراء وبعض الأثرياء أموالهم على المترجمين، مما أعطى وضعا اجتماعيا متميزا للمترجم في العصر العباسي. ويروي بن أبي أصيبعة في هذا الصدد «أن بني شاكر، وهم محمد وأحمد والحسن، كانوا يرزقون جماعة من النقلة، منهم حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت ابن قرة وغيرهم، في الشهر نحو خمسمئة دينار للنقل والملازمة» (٧).

ويبدو أن التخطيط العمراني لمدينة بغداد على هيئة دائرة يتوسطها قصر الخليفة المنصور (١٣٧-١٥٩هـ/٧٥٤-٧٧٥م) لا يشير - فقط - إلى فكرة الحكم المركزي، بل ربما يعكس فكرة إقليدس وتعريفه للدائرة في كتابه «الأصول»، فكان المنصور معجبا بهذا الكتاب. وهو بذلك يطبق النصيحة الواردة في «الأفستيا»، والتي ألبسها أبوسهل رداء إسلاميا، وفحواها البحث عن المعرفة القديمة أيا كان مصدرها. كما أن بناء بغداد على مقربة من المدائن (عاصمة الساسانيين القديمة) ينم عن اعتقاد المنصور بأنه وريث الإمبراطورية الساسانية العريقة (٨).

وبلغت حركة الترجمة الذروة في القرنين الثاني والثالث الهجريين على أيدي حنين بن إسحاق ورفاقه وتلاميذه من المترجمين النابهين. وترتب على هذا النجاح أن البحث العلمي في جميع الميادين انتشر في المجتمع البغدادي، وشاع أمر التكليف بوضع أعمال أصيلة باللغة العربية في العلوم والفلسفة.

وكان من الطبيعي أن يكون البرامكة من حماة الحضارة الساسانية وما

بها من ثقافة الترجمة، وكانوا من رعاة الترجمة، ولاسيما في مجال الفلك والزراعة. وترجم ابن المقفع (١٠٦هـ-١٤٣هـ) عن الفارسية كتاب «خداينامه» (الأدب الكبير) وكتاب «أيينامه» (الأدب الصغير).

لكن رعايتهم للترجمة والمترجمين امتدت إلى التراث الهندي، وهم الذين رتبوا السفارة الهندية إلى المنصور، والتي كان من ثمارها ترجمة كتاب «السند هند» (٩)، وترجمه أبوإسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري، وظل العمدة في علم الفلك إلى أن ترجموا «بطليموس اليوناني» في زمن المأمون. وفي مجال الطب نقلوا عن الهند كتاب «سرد»، وكتاب أسماء عقاقير الهند نقلها المترجم الطبيب منكة الهندي، الذي استقدمه هارون الرشيد من الهند ليعالجه وكان يترجم بالعربية والفارسية. وفي مجال الأدب فقد نقل العرب عن الهند كتابي «سندباد الكبير» و«سندباد الصغير» وكتاب «هابل في الحكمة». ويظل كتاب «كليلة ودمنة» أشهر الكتب الهندية المنقولة إلى العربية واسمه الهندي «البنجاتنترا»، أي الأسفار الخمسة، وقد نقله برزويه الفارسي إلى الفهلوية للملك أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٩م) ثم نقله من الفهلوية إلى العربية ابن المقفع (١٠).

وأحصى ابن النديم ٧٩ كتابا في الطب ترجمها العرب عن اليونانية: عشرة منها لأبقراط، و٥٧ لجالينوس، و١٢ لغيرهما. و١٣ كتابا في المنطق والفلسفة لأرميناس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم. وكلف خالد بن يحيى البرمكي التراجمة لترجمة كتاب الفلك الشهير «المجسطي» لبطليموس الفلكي، ونقل الحجاج ابن مطر وحنين بن إسحاق كتاب «السطروثيا» (أصول الهندسة) لإقليدس، وترجم قسطا بن لوقا البعلبكي (ت٣٠٠هـ) كتاب «المسائل العددية» لديوفنطس (١١).

وقد أنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة في بغداد، والذي يعد مؤسسة أكاديمية كبرى، نقل إليها ما وجده من كتب في أنقرة وعمورية وبلاد الروم التي غزاها المسلمون، وعهد إلى إدارتها إلى ابن ماسويه. وفي خلافة المأمون بلغ النشاط في هذه الأكاديمية ذروته، فقد خصص لها هذا الخليفة الأموال الطائلة، وعين سهل بن هارون مشرفا عليها. وكانت بها مجموعة من الكتب الإغريقية أهديت إلى المأمون من صاحب جزيرة قبرص وأخرى جلبت من القسطنطينية. وقد صنفت فيها الكتب وفق موضوعاتها، واختير لها المترجمون المختصون. فكان يعمل بها عدد كبير من النقلة عن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية. ونقل المسلمون إلى لسانهم في هذه الدار معظم ما كان شائعا في عصرهم من العلم والطب والفلسفة والفلك.. إلخ (١٢).

لقد كان لهذا الانفتاح الكبير للثقافة العربية على سائر الثقافات العالمية، بفضل حركة الترجمة، آثار جليلة، إذ بالإضافة إلى حفظ كثير من الكتب من الضياع مثل «كليلة ودمنة»، الذي ضاع أصله الهندي، وكتاب «المبادئ» لإقليدس، وكتاب «حجج إبرقلس على قدم العالم»، وكتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» لصاحبه المبشر بن فاتك، فقد اغتنت اللغة العربية واتسع قاموسها بفضل التوليد والتعريب وانتشار المصطلح العلمي والفلسفي، وتأثر أسلوبها بالطابع الفلسفي من خلال شيوع استعمال أفعال الكون والبناء للمجهول والمصادر الصناعية وغيرها من التعبيرات الجديدة على اللسان العربي. ومما يذكر في هذا الصدد أن عبدالله ابن المقفع رفض استعمال لفظ «جوهر» الفارسي لمقولة أرسطو، واستبدل به لفظ «عين» العربي. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكندي الذي استعمل لفظ «طينة» مكان «هيولي» اليونانية. لكن الكلمات العربية لم تصمد أمام سيل المولد والمعرب (١٣).

الهوامش

١ - الترجمة وحوار الثقافات، الدكتور أحمد عتمان، ص١١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.

٢ - السيرة النبوية: أبومحمد عبدالله بن هشام، ص١٦١، تحقيق الشيخ فؤاد بن علي حافظ، الجزء١، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٠م.

٣ - الترجمة وحوار الثقافات، ص١١٦.

٤ - الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، ص٣٣٨، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٧٨م.

٥ - السابق، ص٣٣٨.

٦ - الترجمة وحوار الثقافات، ص١١٨.

٧- الترجمة العربية.. جذور الممارسة وبذور النظر، مجلة عالم الفكر، العدد١، المجلد٤٣، يوليو وسبتمبر، ٢٠١٤م، ص١٥٣.

٨- الترجمة وحوار الثقافات، ص١٢١.

٩- السابق، ص١٣٤.

١٠- الترجمة العربية.. جذور الممارسة وبذور النظر، ص١٥٥.

١١- السابق، ص١٥٤.

١٢- الترجمة وحوار الثقافات، ص١٢٨.

١٣- الترجمة العربية.. جذور الممارسة وبذور النظر، ص١٥٥.

حول نظرية خاصة بالنحو القرآني:

«القرآن فوق النحو».. محمد رشيد رضا

أ. د. خالد فهمي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

يعلم الدارسون جميعا لعلوم اللسان العربي أن نشأة النحو كانت بتأثير مباشر من إرادة خدمة الكتاب العزيز، إن على مستوى مسائله وقواعده وحقائقه، وإن على مستوى جهازه الاصطلاحي.

يقول ابن فارس اللغوي في: الصاحبي (ص:٨٣): «كان مما جاء في الإسلام ذكره» مواضعات العلوم؛ كالنحو.

وفشا في أدبيات علوم اللسان التعبير عن هذه الحقيقة المستقرة التي تنطق بالأثر الجبار الذي أحدثه الإسلام في بنية لغة العلوم المختلفة، منها لغة النحو، ومنهجه.

وظهرت عبارات صيغت في صورة قواعد على نسق القواعد الأصولية والنحوية من مثل: قاعدة «أن القرآن حاكم على اللغة»، ومن مثل قاعدة «لولا القرآن ما كانت العربية»، ومن مثل قاعدة «لولا القرآن ما كانت المعاجم العربية»... إلخ.

وكان من آثار هذا الشعور العلمي المستفيض في مجال الدرس النحوي العربي أن شغل الاحتكام إلى القرآن، وقراءاته المختلفة حيزا كبيرا في باب الاستشهاد والاحتجاج، وتأسيس قوانين النحو، والكشف عن أسرار النظام في اللسان العربي.

وتطور الأمر للدرجة التي استقل فيها مبحث الاستشهاد بالكتاب العزيز في معالجات النظرية النحوية عند العرب، وأصبحت هذا القضية محل تقدير الدارسين المعاصرين.

تجليات الإيمان

لقد كان من آثار شيوع النظر إلى الكتاب العزيز بما هو حاكم على النحو واللغة، ظهور قطاع من الأدبيات يرعى فحص ما يمكن تسميته بنظرية النحو القرآني.

أعلم أن القارئ يعلم أن النظر النحوي المعاصر مستقر على الإسهام العبقري للكتاب العزيز في تأسيس البنية المعرفية للنظرية النحوية للسان العربي بنسبة كبيرة جدا.

غير أن ظهور أدبيات ترفع عنوان «النحو القرآني» أو «نظرية النحو القرآني» أمر حديث يعود إلى بداية النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.

وإن كان ذلك التاريخ مسبوقا بكل تأكيد بمحاولات كثيرة جدا على امتداد قرون ممتدة بما يغذيها من أقوال العلماء الذين تنبهوا لحاكمية الكتاب العزيز المعرفية، حتى وصل بنا الزمان إلى العبارة التي صكها محمد رشيد رضا في تفسير المنار (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ج٧، ٣٠، ص١٨٧)، التي يقول فيها: «والقرآن فوق النحو»! ويوسع القول فيقرر أن للنحاة: «مذاهب في النحو والفقه يزنون بها القرآن فلا يفهمونه إلا منها، والقرآن فوق النحو والفقه والمذاهب كلها. فهو أصل الأصول. ما وافقه فهو مقبول، وما خالفه فهو مرذول». ويبقى أن أهم من خدم هذه النظرية من المعاصرين، وأوقف عليها جانبا كبيرا من وقته وجهده العلمي منحصر في عمل عدد من النحاة هم:

أ- الأستاذ الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة، ت١٩٨٤م، رحمه الله تعالى، بكتابه الفذ: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» (دار الحديث، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

ب- الدكتور أحمد مكي الأنصاري، رحمه الله تعالى، بكتابيه:
«الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين» (دار المعارف، القاهرة،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

«نظرية النحو القرآني: نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية» (دار القبلة، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ).
وكان سبق أن نشر فكرته في بحث بعنوان: «نظرية النحو القرآني» في مجلة مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى، في مكة المكرمة (العدد٥، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
ج- أحمد عبدالستار الجواري (١٩٨٩م) في كتابه «نحو القرآن» (المجمع العلمي العراقي، بغداد، سنة ١٩٧٤م).
ولايعدم الدارس المعاصر بعض المحاولات التي شعرت بالمشكل هذا، وحاولت أن تلمسه بصورة أو بأخرى بتأثير من هذه الأدبيات السابقة الرائدة، من مثل بحث الدكتور محمد المختار المهدي: «تقعيد النحو بين النص القرآني والشعر العربي» سنة ١٤٠٥هـ.
وتطور تأثير الكتابات في هذا المنحى لتتخذ بعدا آخر، تطبيقا عمليا، يروم ضبط تعليم النحو باعتماد ما جاء في الكتاب العزيز عندما يرد، فيكون: «ما جاء في القرآن... حجة قاطعة» على حد تعبير الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة في: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» (١٣/١).
وممن حاول ذلك الدكتور إبراهيم سيد البليزي في كتابه التعليمي: «النحو القرآني» (دار المحدثين، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م)، وقد سبقه جميل أحمد خضر بكتابه: «النحو القرآني: قواعد وشواهد».
ثم كان نوع تأثير آخر تفرع - من وجهة نظرنا - عن الدوران في فلك نظرية النحو القرآني ظهرت تجلياته في إعادة دراسة التقعيد النحوي في العربية على هدي من بعض خصوصيات ما جاء به الكتاب العزيز، وكان للعقيدة نصيب الأسد من ذلك الطرح على ما نرى في كتاب «أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي»، للدكتور مصطفى أحمد عبدالعليم بخيت، (دار البصائر، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
ولم تعدم تأثيرات هذا التوجه بعض النتائج التي وجهت إلى إعادة فحص المنجز النحوي في كتابات المفسرين المسلمين تعيينا، على ما نجد أثره في الدراسة المهمة: «النحو وكتب التفسير»، للدكتور محمد إبراهيم عبدالله رفيدة (دار الجماهيرية للنشر، مصراتة، ليبيا، ١٩٩٠م).
هذه صورة عامة لمنجز النحاة المعاصرين المتعاطين مع ما شاع تسميته باسم: «نظرية النحو القرآني»، أو «النحو القرآني»!

خصائص الإنجاز

إن فحص منجز النحاة المعاصرين إلى تأسيس نظرية للنحو القرآني، كما عكستها الأدبيات المشار إليها هنا، يكشف عن مجموعة من الملامح العامة التي يمكن إيجازها في ما يلي:
أولا- تأخر هذه الدعوة النسبي في العصر الحديث.
وهذا التأخر النسبي يبعث على طرح مجموعة من الأسئلة تتعلق بدوافع الدعوة، وبغيابها عن حقبة جيل الرواد من اللغويين العرب المعاصرين الذين بدا منجزهم قريب الصلة بالدوافع الإحيائية العربية.
وهو ما يميل بالدعوة ليحصرها في نطاق فردي محدود الدوافع من جانب، أو مبالغ في التماس محددات الدعوة بغير وجه حق من جانب آخر.
ثانيا- تركز الدعوة إلى ما سمي بنظرية النحو القرآني في الجانب المشرقي من الوطن العربي، وتعيينا في مصر، ثم في العراق.
وهو أمر يمثل استمرارا للتأسيس المعاصر للدراسات اللغوية (اللسانيات)، الذي شهدت مصر ميلاده الأول، إن في إرهاصاته الإحيائية على امتداد النصف الأول من القرن العشرين، وإن في بداياته التأسيسية بتأثير الغرب الأوروبي مع الاقتراب الشديد من النصف الثاني من القرن العشرين.
ولم يظهر دخول المغاربة على الخط، ربما لاعتبارات معرفية تتعلق بما ظهر من المبالغة غير المسوغة التي ارتبطت بأجواء الدعوة إلى النحو القرآني، وبشخوص الدعاة إليها، وقلتهم الظاهرة.
ثالثا- قلة الأدبيات الداعية إلى هذه النظرية بشكل ملحوظ.
رابعا- عدم تورط أسماء كبيرة في الدعوة المباشرة لهذه النظرية.
صحيح أن ثمة توجها معلنا من جانب فريق كبير من اللسانيين العرب الرواد في مصر إلى الدعوة إلى منح الكتاب العزيز وزنا نسبيا كبيرا في التقعيد النحوي، وتأسيس بنائه، من مثل: إبراهيم أنيس وتمام حسان

وغيرهما، لكن أحدا منهم لم يتورط في الدعوة إلى ما يسمى نظرية النحو القرآني، والنحو القرآني، ولا ظهر من كتاباتهم أي دعوة للاكتفاء بالنص الجليل في تأسيس النظرية النحوية من دون بقية نصوص اللسان العربي المعتمدة.

حتى الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة، الذي قرر في دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١٣/١) أن «ما جاء في القرآن كان حجة قاطعة» لا يفهم منه الدعوة إلى تأسيس نظرية في النحو القرآني، ذلك أنه ركن إلى الإقرار بأنه كان للنحويين نوع عناية باستقراء القرآن الكريم في جميع رواياته (٥/١) من جانب، وللنحويين قوانين كثيرة لم يحتكموا فيها لأسلوب القرآن» (٦/١).

إن واحدا من أهم ما يدفع إليه العمل المرجعي الجبار: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» هو إعادة كتابة النحو العربي في ضوء الاستقراء الدقيق لأساليب الكتاب العزيز أولا، وهو يقول بوضوح شديد (١٢/١): «ولست أقول بأن القرآن قد تضمن كل الأحكام النحوية، فالأساليب التي لم يرد تطهيرها في القرآن لا يلتفت إليها ولا يعمل بها، وإنما أقول: ما جاء في القرآن كان حجة قاطعة، وما لم يقع نلتمسه في كلام العرب».

إن الاتزان واضح جدا في دعوة الشيخ عضيمة. وثمة فارق ضخم بين الدعوة إلى تأسيس نظرية نحوية على مراجعة نصوص كتاب لم يعلن يوما أنه كتاب نحو، ولا استوعب أساليب العرب، وليس من شأنه، وبين الدعوة إلى تصحيح النظرية النحوية العربية العملاقة بمنح الكتاب العزيز الوزن النسبي الأعلى ابتداء.

خامسا- الفقر التنظيري في مواجهة الكتابة النحوية المدرسية ذات الوظائف التعليمية.

سادسا- الفقر الشديد في المراجعات العلمية النقدية للدعوة إلى نظرية النحو القرآني.

منذ ظهرت الدعوة إلى نظرية النحو القرآني لم يشهد الدرس المعاصر مراجعات علمية نقدية لدوافعها ومقوماتها الأساسية.

وربما كانت دراسة الدكتور محمد حسن عواد: «قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني» (بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ٧٤، العدد١/أ، سنة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) صحيح أنها انصبت على نقد أطروحة الدكتور أحمد مكي الأنصاري بالأساس، لكنها لم تعرض للسوابق التاريخية للدعوة إلى نظرية النحو القرآني عند أحمد عبدالستار الجواري وغيره ممن سبقوا الدكتور أحمد مكي الأنصاري.

النحو القرآني!

إن قراءة أوراق قضية الدعوة إلى نظرية النحو القرآني، متمثلة في منجز الدكتور أحمد عبدالستار الجواري والدكتور أحمد مكي الأنصاري، تكشف عن نوع «مزايدة» مبعثها الإيمان المفرط بقيمة الكتاب العزيز من الوجهة النحوية والذي تنزل بصورة حماسية غير منضبطة، ولا محررة بصورة منهجية.

وقد كان من آثار هذا الإيمان الحماسي مجموعة من النتائج هي:

أولا- تضخيم النقول التي تنتقد القراءات في عمل النحاة العرب القدامى بصورة بدت كأنها منهجا عاما مطردا، وهو أمر غير صحيح.

ثانيا- غاب من كل الأدبيات الداعية إلى هذه النظرية فحص الجهاز الاصطلاحي لنقاد القراءات القرآنية، ولاسيما مصطلحات: التلحين، والتقبيح.. وغيرهما، وتأمل سياقات ورودها واستعمالاتها.

وهو أمر ربما يكون مانعا من هذا اللغط الذي اتهموا بسببه بتأخير منزلة الكتاب العزيز في الدراسة النحوية التراثية.

ولعل الدرس المتأني يكشف عن أن استعمال مصطلحات التلحين والتقبيح في سياق نقد القراءات كان يدور في مجال مفهوم الشذوذ وندرة الاستعمال مقارنة بما ورد في نصوص الكلام العربي الأخرى؛ الشعرية والنثرية.

ثالثا- غياب التنبه إلى أن النحو هو علم اعتمد واحدا من أهم الأسس المنهجية التي تتأسس عليها بنيات العلوم، ألا وهو الاستقراء الناقص. وهو في الرؤية الظاهرة السبب في صدور أحكام نحوية وفي الكتاب العزيز ما يخالفها ويعاندها ويسقطها.

نعم، كان ينبغي أن تستقرى نصوص الكتاب العزيز وتراكيبه استقراء تاما دقيقا، واعتمادها بعد هذا الاستقراء في تأسيس بنية علم النحو. لكن هذا

النقص شيء والدعوة إلى اطراح المنجز النحوي التراثي لشواهد تنتقد بعض القراء والقراءات شيء آخر.
إنني اعتقد أن ما قاله الدكتور محمد حسن عواد في بحثه: «قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني» (ص:١٣٩) يبدو صحيحا، على ما قد يبدو عليها من روح عصبية: «منذ كان النحو والنحاة لم نسمع بنحو قرآني؛ أي بنحو مقتصرة قواعده على القرآن وحده»!

قراءة تقيمية

انطلقت إذن هذه الدعوة المعاصرة من رحم تكبير الانتقادات التي وجهها النحاة العرب القدامى لبعض القراءات والقراء، ثم ما كان من انتقادات المستشرقين في العصر الحديث.
وكيف الأمر على أنه دفاع عن القرآن الكريم، وهو حق في بعض جوانبه، كما عبر عنه الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه: «دفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين» (١٩٧٣م).
وقد كان الحق يقضي أيضا أن يفهم أن الانتصار لمنزلة القرآن في التنظير النحوي، هو في الحقيقة إنصاف للنحو أولا، كما يقول الشيخ عضيمة (٢/١): «كان تعويل النحويين على الشعر ثغرة نفذ منها الطاعنون عليهم؛ لأن الشعر روي بروايات مختلفة؛ كما أنه موضع ضرورة؛ لهذا مست الحاجة إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم في جميع رواياته، إذ في هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس، وفيها دفاع عن النحو، تعضد قواعده، وتدعم شواهده».
ومن هنا فإن الدعوة إلى نظرية النحو القرآني تكاد تنحصر في عملي الدكتور أحمد عبدالستار الجواري والدكتور أحمد مكي الأنصاري، ومن بعدهما ممن نحا بدعوتهما منحى تعليميا فقط، كما في عملي جميل أحمد ظفر والدكتور إبراهيم سيد البليزي. وفي ما يلي تحليل لمجموعة من المحددات التي اعتمدها أصحاب هذه الكتب في الدعاية لموقفهم:

خطاب العنوان!

تراوح هؤلاء النحاة المعاصرون وترددوا بين عنوانين في الدعاية لنظريتهم في النحو القرآني هما:
أولا- نظرية النحو القرآني (أحمد مكي الأنصاري).
ثانيا- النحو القرآني (أحمد عبدالستار الجواري، وجميل ظفر، وإبراهيم سيد البليزي) مما يؤول في الحقيقة إلى عنصر مركزي واحد هو «النحو القرآني»، وهو مركب وصفي مكون من «موصوف/النحو + نعت/القرآني»، ولعله كان مقصودا هذا الركون إلى هذا النمط التركيبي للإيحاء للقارئ بمدى التلازم بين النحو ونعته.
وقد بدا من استعمال هذا التركيب في عنوانات هذه الكتب إرادة عدد من الوظائف التي تستهدف القارئ، يمكن إجمالها في ما يلي:
أ- الوظيفة الإغرائية، التي تستهدف استمالة القارئ وجلب تعاطفه.
ب- الوظيفة الإقناعية، التي تستهدف حمل القارئ على تبني مقولاته.
ج- الوظيفة التواصلية التي تستهدف منع مقاومة القارئ، وحمله على التواصل مع معطيات الكتب ابتداء.
د- الوظيفة الدينية، وهي وظيفة استعملت من منطق الوسيلة؛ دعما لتلقي الدعوة إلى النظرية النحوية من وجهة نظر أصحابها؛ نظرا لما يشغله القرآن الكريم في الوعي الإسلامي على امتداد التاريخ.
وقد آزر العنوانات المركزية مجموعة من العنوانات الفرعية، حاولت أن تمنح الدعوة هذه بعضا من الشرعية والمقبولية، وتمثلت هذه العنوانات الفرعية في ما يلي:
أ- النشأة والتطور والمقومات الأساسية (أحمد مكي الأنصاري).
ب- قواعد وشواهد (جميل ظفر).
وقد استهدفت هذه العنوانات الفرعية تحقيق ما يلي:
أ- الإيعاز بالتاريخ الطويل للموقف الداعم للدعوة إلى نظرية النحو القرآني، وهو ما يمليه التحليل المعجمي لمفردتي: النشأة، والتطور!
ب- الإيعاز بالاستقلال المعرفي، أو بصلاحية الدعوة للاصطفاف حولها، وهو ما يظهر من استعمال: المقومات الأساسية - القواعد - الشواهد.
كانت هذه أول خطوة ركن إليها أصحاب هذه الأدبيات، وقد برز من تحليل هذه العتبات النجاح الظاهري؛ بسبب البعد العاطفي الذي لعبوا عليه من وراء الاختيار المعجمي والتركيبي لكلمات العنوانات الأساسية والفرعية. وهو البعد

العاطفي الذي سبق أن لمسه الدكتور محمد حسن عواد في قراءاته لكتاب أحمد مكي الأنصاري.

خطاب المقدمات

مثلما وظف أصحاب الدعوة إلى نظرية النحو القرآني خطاب العنوان لتحقيق عدد من الوظائف، فقد وظفوا خطاب المقدمات لتحقيق الوظائف نفسها.

افتتح أحمد مكي الأنصاري كتابه بمجموعة نصوص استهلالية استهدفت تحقيق وظائف: إقناعية وإغرائية وتواصلية مع قارئه المتوقع، وقد صبت هذه النصوص الاستهلالية في اتجاه ما يلي:

أولا- الإيحاء بجدة القضية، وأصالتها (بحث صغير في وريقات يعالج فكرة جديدة خير من موسوعات لا تحمل فكر جديدا).

ثانيا- الإيحاء بتراكم الأدلة على دعوته منذ القدم، عن طريق مجموعة من العبارات الاستهلالية ذات الإيقاع المؤثر من مثل: القراءة سنة متبعة، والقرآن فوق النحو.. إلى غيرها، ويلاحظ على هذه العبارات الاستهلالية ما يلي:

أ- نقص العزو.

ب-عدم الإشارة إلى أنه مسبوق إلى التقاطها مما صنعه الشيخ عضيمة في مقدمة: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» (١٤/١) من مثل: «عبارة أبي حيان الأندلسي النحوي: ولسنا متعبدين بمذهب البصريين».

ثم يدخل إلى القضية من باب إغرائي نفسي للضغط على القارئ أو المتلقي، عندما يقرر في الفقرة التي خصصها في مقدمته للحديث عن دوافعه إلى دعوته، فيقرر أن دوافعه متجسدة في ما يلي:

أولا- الدفاع عن القرآن الكريم.

وقد استعمل الدكتور أحمد مكي الأنصاري عبارات متسعة تتجاوز النطاق الموضوعي لدعوته، عندما يقول (ص:١٥): «هناك دوافع متعددة دفعتني إلى ارتياد هذا البحث، وأهمها عندي الدفاع عن القرآن الكريم في جميع الميادين».

أنا أفهم أن يكون دافعه الدفاع عن القرآن في مواجهة النحاة الذين أخروا رتبته في اعتماده في تأسيس العلم، لكنني لا أفهم مسألة التوسعة التي عبر عنها بقوله: «في جميع الميادين» إلا أن يكون الغرض هو الضغط على نفسية المتلقي بطبيعة الحال.

ثانيا- تعديل القواعد النحوية على هدي التمسك بالقرآن الكريم واتخاذه المصدر الأول في وضع القاعدة النحوية.

وهذه حرب في غير موضعها؛ ذلك أن المستقر في نظرية الاحتجاج النحوي بوجه عام، هو النظر إلى الكتاب العزيز على أنه الحاكم، وثمة عبارات أشبه بالقوانين العلمية المتوارثة منذ القديم تدل على هذه المنزلة.

وما كان يعاند ذلك فمرده – كما سبق أن قررنا – راجع إلى تأسيس علم النحو على أساس من اتباع منهج الاستقراء الناقص.

وقد اختلفت مقدمة الدكتور إبراهيم سيد البليزي لكتابه النحو القرآني، واتسم خطابها بقدر من التواضع الظاهر، ولكنها كذلك صبت في الاتجاه الإغرائي نفسه.

إن هذه الدعوة تذرعت بروح سلفية متجاوزة، وضعت الأمر في غير نصابه، وحملته ما لا يحتمل.

خاتمة

إن الدعوة إلى ما سماه بعض المعاصرين باسم النحو القرآني، هي في الحقيقة دعوة صحيحة بالمفهوم الذي يروم استعادة الكتاب العزيز لمنزلته على منصة الاستشهاد والاحتجاج وتأسيس القاعدة النحوية.

ولكن التجاوز والغلو والإفراط التي اتسمت بها خطابات الدعاة إلى هذه الدعوة ظاهر جدا.

وربما تمثل هذه الدعوة مدخلا للطعن على القرآن الكريم نفسه؛ إذ ربما أوحت بأنه كتاب مفارق للأساليب العربية.

إن الحق يقضي أن نقرر أن القرآن الكريم كتاب نزل بالعربية المبينة في أعلى تجلياتها الأسلوبية، والحق يقضي أن يكون الكتاب العزيز هو العمدة عند منظومة التقعيد لقوانين العلم والتراكيب العربية لما جاء فيه من التراكيب والأساليب، ثم تستكمل منظومة التقعيد والتأسيس اعتمادا على بقية أنواع الكلام العربي وفنونه.

إن الصوت المتزن هو الذي يقرر أن القرآن ينبغي أن يكون هاديا لعمل النحاة، ومصححا لما فرط من أحكامهم فلم توافق ما نزل منه.

مقدمة لتأثيل الكلمات العربية (١)

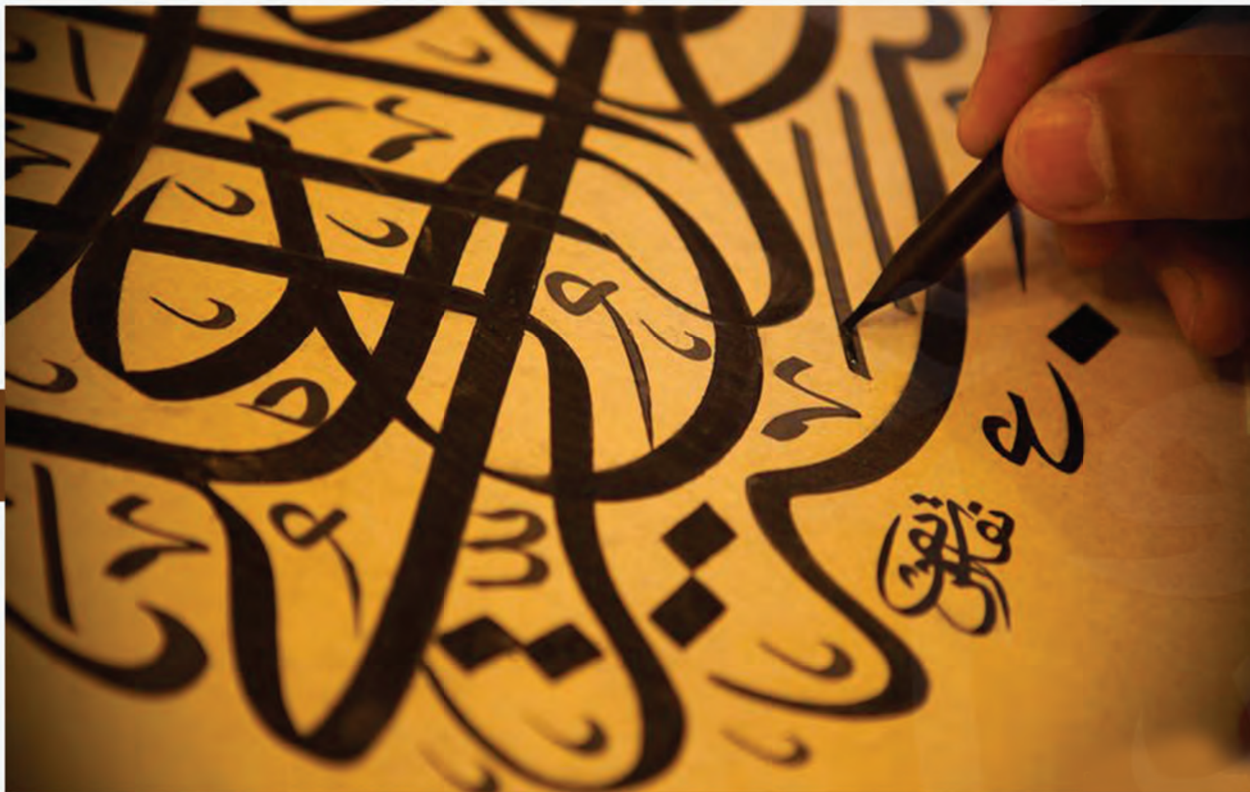
عبد الله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

التأثيل موضوع جليل لكنه معتاص، وأعقد من ذَنَب البعير، لذلك لا ينبغي للمنشئين المبتدئين أن يتراكضوا في ميادينه المزروعة بكثير من الألغام، من دون استثمار أقوال السابقين المخضربين، والبناء عليها أحسن البناء، لأنه موضوع تلزمه مُكنة راسخة، وعُدة معرفية صميمة بتبدلات أحوال الكلمات، مما لم يتسن للخَلَف معرفته. وعلى الرغم من الفوائد الجمة التي تعود بالنفع على لغتنا العربية الفصحى؛ إذا نحن فتحنا هذا الثغر اللغوي الذي وطَّأه القدامى بغير قليل من البروق والإلماعات، كما هو الشأن بالنسبة إلى معجمي: مقاييس اللغة وأساس البلاغة لكل من: ابن فارس والزمخشري، فإن طول هجود العرب اليوم عن تهيب اقتحام غمرات هذا البحر اللجي، وانكساف بدرهم في سماء هذا البحث، فلم يطيروا بطائرة تعرفهم بالدُّرَر التي شقَّ الأوائل كِمَّها، ضيَّع علينا الوثبة التي تشيد الصرح المعرفي الممرَّد للغة العربية الفصحى، من خلال السعي إلى إزالة الأستار والدياجي عن تاريخ كلماتنا العربية، وما تعبر عنه مع كرور الملوان، إسوة بما بلغته الأمم الأخرى التي وضعت معجمات تاريخية تعرف بالأطوار التي مرت منها كل كلمة، والتغيرات التي مستها مع توالي الأجدَّان.

وغير خاف أن جزءا من إهمال العرب لهذا التأريخ يعود لما أشاعه العلامة الحذاقي عباس محمود العقاد من عدم حاجة العربية لهذه المعرفة قائلا: «لا نحتاج كثيرا إلى التسلسل التاريخي في وضع معجماتنا الحديثة، لأن هذا التسلسل ضروري في اللغات التي يكثر فيها إهمال الكلمة في معنى، وسيرورتها في معنى آخر. ولكنه لا يبلغ المبلغ من الضرورة حين توجد الكلمة مستعملة في جميع معانيها على السواء، أو على درجة متقاربة. ومن النتائج العملية لتلك الملاحظة أن نذكر في سياق التجديد والمحافظة على القديم أن العرب كانوا مجددين على الدوام في إطلاقهم الكلمات القديمة على المعاني الجديدة» (١).

لاشك أن الذي دقَّ نظره، يدرك أن من وراء التأريخ للكلمات العربية غايات ومعارف شتى لا ينبغي لنا التهاون في تحصيلها، والإعراض عنها لأنه باب من المعرفة، إذا حصَّلناه ببيان مخرس، أدركنا منه الكثير مما يقع فيه التقصير. وأن أقرب الطرق، وأسهل الأساليب التي تقي من النصب في البحث عن تبدلات المعاني، أن يعْقد العرب خناصرهم على حرث هذه الأرض التي تَعِد بكثير من المعارف التي لا ينقطع نسلها. فهل تنبهنا نحن - العرب - إلى أن الغايات من وراء هذا البحث أقوى انضباطا، وأظهر حجة، وأهدى سبيلا، وأسلك منهجا؟ وما هو السِّر في أن كل الذين أوردوا في هذه الناحية من البحث لم يصدروا؟ لاشك أن على مثل هذا الرأي القارح، يجب أن تتضافر جهود المفنين الأبِّيناء واللغويين البلغاء، لمعرفة كيفيات التوسع الدلالي التي تحدث للألفاظ القديمة، فتكتسب دلالات جديدة على غير المعنى الذي كان لها في الأصل، بدل الدعوة الدَّبَرية إلى هجر الكلمات التراثية وجعلها ساقا ميتة لا حاجة تدعو إليها في جسد اللغة الحديثة، لأن أي لفظة تعد بنت مجتمعها، تحمل تصاريف الأزمان المختلفة والبيئات المتعددة، لا يمكن عزلها عما اكتسبته في أثناء استعمالها وتنازع البيئات اللغوية لها بكيفية لا يفطن إليها إلا بعد المقارنة بين أعصر اللغة، وما عرفته من تغيرات خارجة عن نطاق الأفراد الذين يستعملونها، لتكتسب «دلالات جديدة، وتنتقل إلى مجال غير الذي عرفت به وشاعت فيه. وتتم تلك العملية التطورية في الدلالة في صورة تدريجية تستغرق زمنا طويلا، وليس المسؤول عنها فردا بعينه، بل تعزى إلى المجتمع في البيئة اللغوية» (٢).

هذا هو السر في أن كثيرا من الدلالات التي كانت معروفة في عصر معين لم يعد لها حضور في دنيانا إلا على مستوى المعجمات، لأن دلالتها قد انحرفت عن مجالها الحقيقي إلى مجال آخر ملاصق للمعنى الأصلي أو مجانب له، لسد العجز في التعبير عن الحاجات الجديدة التي تتفتق عنها الأيام؛ إما رغبة في التوضيح والتحديد الدقيقين، أو استجابة لدواعي فنية تجديدية تفرض على المفن التتوق



في الكلام الذي يثير الدهشة ويبعث على الجمال والبهاء. ومعلوم أن أي لغة تبث في كلماتها أخلاق أهلها وعاداتهم وطرائق تفكيرهم الأدبي والفكري، كما تتجلى فيها آثار الحياة العامة أوضح ما يكون التجلي، سواء أكان ذلك في محياهم ومماتهم، أم كان في سلوكهم وطرائق تفكيرهم ومشاعرهم التي تعكس أن كل كلمة من كلمات اللغة إنما هي لحم ودم المجتمع الذي يتكلمها. فالكلمات لها تأثير بالغ في السلوك والانفعالات، بل إن لكل كلمة روحا وجرسا يلائمان معناها، بله الصبغة واللون والرائحة؛ ومن اندماج تلك العناصر تتحدد الدلالة، لذلك عندما ننطق كلمة من كلمات العربية، لا ينبغي أن يغيب عنا ارتباطها بسلك خفي بين موجودات البيئة التي تفتقت عنها، وبين نبضات قلوبنا التي تعكس التواشج الشديد بين الفكر وبين المادة اللغوية التي تعبر عنه. وبعبارة أدق إن بين الكلمة وبين ما تعبر عنه، تماثلا يجعل المتكلم متناغما مع بيئة الكلمة، وما تدل عليه على شاكلة التعبير عن دلالات اختلاف صوت الماء في أثناء جريانه وحركته بألفاظ مختلفة يتوحد فيها الصوت مع الصورة الذهنية؛ فإذا جرى تحت ورق الشجر فهو قسيب، وإذا جرى في مضيق فهو فقيق، وإذا تحرك في القربة أو في إناء فهو بقبقة، وإذا استخرج منهما فهو قرقرة. ومن أجل هذه الرؤية التي تعبر بها أي لغة عن العالم المحيط بها قيل: إن العربي إذا تظرف كثر كلامه، بينما الفارسي إذا تظرف كثر سكوته.

والحق أن التأثيل إذا ما تبصرنا مزياته غاية الإبصار ألفينا أن له فوائد كثيرة على الفصحى، ولاسيما أن العثور على أفكار ظلت مخبوءة لم تتمكن معارفنا أن تدخل عليها خدرها، يثير فينا الدهشة والفتنة والإعجاب. لكنه موضوع ليس بمطاوع دائما لركوب بحره، لأن أكثر الآحاد والهيئات غلبتهم غمراته، فقفلوا غير راضين بما حصَّلوه من غيض فيضه، ولأجل ذلك جرَّدت العزم وجعلت من وكدي ومن سدمي الإقدام والتصدي له، في هذه المقالات بمجلة «الوعي الإسلامي» الغراء سعيا لوضع صوى تهدي السالكين في طريقه، لما في ذلك من وصل قديم بجديد، وردِّ عَجزٍ على صَدْر، وربْط أوَّل بآخر.

الهوامش

١- اللغة الشاعرة. عباس محمود العقاد. كتاب المجلة العربية. عدد ٢١١. ص ٤٢ و٤٣. رجب ١٤٣٥هـ/ مايو ٢٠١٤م. الرياض. المملكة العربية السعودية.

٢- دلالة الألفاظ. د. إبراهيم أنيس. ص ١٤٥. ط ٢. ١٩٦٣م. مكتبة الأنجلو المصرية.

أخطاء شائعة في النطق والقراءة

د. أحمد إسماعيل عبدالكريم
أكاديمي متخصص في اللغة العربية

في لغتنا العربية المقدسة، نعم مقدسة، لا تقل الحركة عن الحرف أهمية؛ إذ تعتبر قيمة خلافية، فتفرق بين المعاني والدلالات، وتمنع حدوث اللبس. ونظرا للتهاون في تسجيل الحركات في الخط، فإن احتمالية اللبس أو الخطأ تكون واردة في بعض الأحيان، فهناك كلمات تكتب صحيحة لكنها تقرأ خطأ، فيقول بعضهم: «وجاء الشباب يَهْرَعُونَ لينقذوا من كان بالسيارة». بفتح «ياء» المضارعة، وقد فاتهم أن هذه اللفظة وردت في القرآن الكريم، ولا يغتفر الخطأ فيها، قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ (هود:٧٨). وفي العربية عدد من الأفعال لم ترد إلا على صورة البناء للمجهول منها: «عُني»: بمعنى اهتم، «زُهي»: بمعنى تكبر، «حُم»: بمعنى أصيب بالحمى، «سُل»: بمعنى أصيب بالسل، «جُن»: بمعنى أصيب بالجنون، «غُم»: بمعنى احتجب، شُدِهَ: بمعنى دَهِشَ، اُمْتُقِعَ: بمعنى تغير لونه، «اُضطر، فُلِج، زُكم، غُشي، هُرع، أُغمي عليه»: بمعنى فقد توازنه، فُقئت عينه. ولعمر ابن عبدالعزيز نصيحة: «إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه، فلعله قد فُقئت عيناه معا». والجدير بالإشارة إليه أن المرفوع بعد هذه الأفعال فاعل لا نائب فاعل، على الرغم من بنائه للمجهول.

كما يخطئ بعضهم حين يقول: «وقد وقعت في حِيرة من أمري» (بكسر الحاء)، والصحيح بفتحها «حَيْرَة». وحار الرجل وهو حائر وحَيران، وامرأة حَيْرى، وهم وهن حَيارى. ويخلط بعضهم بين طريقة وطريق، فيصف بعضهم المنهج فيأتي بلفظة «الطرق» على أنها جمع «طريقة»، والصحيح أن «طريق» جمعها: «طرق»، و«طريقة» جمعها: «طرائق». ويقولون: «جاءوا من كل حدْب وصوب» (بتسكين الدال)، والصحيح: «حَدَب» (بفتح الدال). ويخلط بعضهم بين «نفد» و«نفذ»، وقد سمعت ذلك من إمام يقرأ آخر سورة الكهف، فالفرق بين «نفد» و«نفذ» واضح لا لبس فيه، فـ «نفد» تعني: «انتهى»، أما «نفذ» (بالذال) فمعناها: «مر» و«عبر» و«اخترق»، كأن نقول: «نفذت أشعة الشمس من الزجاج». كما يستخدم بعضهم أداة العطف «أو» بعد سواء أو همزة التسوية، والصواب استخدام «أم»، ويؤكد ذلك أسلوب القرآن الكريم، فبعد همزة التسوية نحو قوله تعالى: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ (الأعراف:١٩٥)، وبعد «سواء» نحو قوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠﴾ (يس:١٠). كما يخطئون حين يأتون بأن مفتوحة الهمزة بعد «حيث» و«إذ»، والصواب «إن». ويخلط بعضهم بين جمع «كفء» وجمع «كفيف»، فيقول: «فيتحتم علينا مكافأة هؤلاء الرجال الأكفّاء»، لكنه من دون أن يدري وقَع في خطأ، فأراد أن يثني على هؤلاء الرجال فوصفهم بـ «العمى»؛ لأن جمع «كفء»: «أَكْفاء»، وجمع «كفيف»: «أكفّاء» (بتشديد الفاء وفتحها).

ومن المشكلات المتراكمة عدم فقه بعض المثقفين خصائص بعض الصيغ الصرفية، فمثلا صيغة «فعول» (بمعنى «فاعل»)، لا تقبل «تاء» التأنيث كما يقول ابن مالك: «ولا تلي فارقة فعولا أصلا»، أي إن التاء لا تلي «فعولا» فارقة بين المؤنث والمذكر إن كان أصلا، أي بمعنى فاعل، ومن هذه الكلمات التي تتفق صورتها للمذكر والمؤنث: «غيور - طموح - صبور - هضوم»، وأما قولهم: «امرأة ملولة»، فالتاء فيه للمبالغة، إذ يقال أيضا: «رجل ملولة»، وأما «عدوة» فشاذ.

فإن كان «فعول» بمعنى «مفعول»،



وجاء وصفا لمؤنث جاز دخول التاء وعدم دخولها نحو: «ناقة ركوب وركوبة»، و«شاة حلوب وحلوبة». ويخطئ بعضهم حين يقول: «امرأة حائضة أو عانسة» من دون النظر في القاعدة التي يحتكمون إليها في البنيات الصرفية، وعليه يمكن القول: «فإذا كانت «تاء التأنيث» تعمل فارقة بين المؤنث والمذكر في الأوصاف المشتقة المشتركة، فإن هناك أوصافا تقتصر على النساء، فتختص بها فلا تلحقها «تاء التأنيث» نحو: حائض، وحائل، وفارك، وثيب، ومرضع، وعانس». كما يخطئ بعضهم حين يصف امرأة فيقول: «فجاءت إلى بيت والدها غضبانة»، وذلك لأن جمهور العرب لم يؤنث «فعلان» صفة بالتاء، وإنما أنثه بالألف المقصورة نحو: «غضبى، عطشى، سكرى».

كما يخطئ بعض الكتاب في استعمال جموع لا صحة لها، فيقول مثلا: «وتناولنا مواضيع كثيرة - وأقام رجال الأعمال المشاريع العملاقة..»، فيجمعها على «مواضيع - مشاريع»، على وزن «مفاعيل»، جمع تكسير، والصحيح أن تجمع على مفعولات، أي جمع مؤنث سالما، فتقول: «مشروعات، موضوعات، مكتوبات»، حيث لا يجمع جمع تكسير نحو: «مضروب»، أي ما كان على وزن «مفعول»، وشذّ «ملاعين» (جمع ملعون) ذكره ابن هشام في شرح بانت سعاد فيقول في البيت الأول:

أمست سعاد بأرض ما يبلغها
إلا العتاق النجيبات المراسيل

وإنما تمنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير في مسألتين: إحداهما أن تكون على وزن «مفعول» كمضروب، وشذ نحو: «ملاعين، مشائيم»، والثاني: أن تكون الميم مضمومة نحو: «مُختار، مُنقاد»، فتجمع جمع مذكر سالما: «مختارون، منقادون». وقد أشار الصبان إلى جموع الكلمات: «مكتوب، مشروع، موضوع، مفهوم.. ونحوها» بأنها تجمع جمع تصحيح لا جمع تكسير، ومثال ذلك ما يُقال في جمع مثل: «مضروب، مكتوب»، فتجمع على: «مضروبون، مكتوبون».

تلكم بعض النماذج التي عنت للبحث من مظاهر الخروج عن الصواب اللغوي من حيث نطق بعض الكلمات. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



قصة قصيرة

فضل الله

محمد ثابت توفيق
قاص مصري

حرص الأستاذ «فضل» طوال حياته الوظيفية على مراعاة الله تعالى في كل عمله؛ صغيره قبل كبيره، وعلى مدار السنوات المتتالية انتبه صاحب المصنع إلى دوره في نموه، وعمله بيده إلى جوار أصغر عامل إن رآه لا يحسن «الصنعة» جيدا، كان «يسخر» هو نفسه ممن يناديه بـ «أستاذ».. وذلك بصورة عملية.. بألا يرد عليه حتى يناديه باسمه مسبوقا بكلمة «عم»..

في المجمل كان الرجل صورة من المسلم كما ينبغي أن تكون في العمل، بحرصه على مرضاة الله في كل صغيرة وكبيرة.. ومحاولة التقليل من بشريته.. منذ دخوله مقر إدارة المصنع.. التي نمت بجهد كثيرين هو أبرزهم حتى يذهب إلى بيته..

كثيرا ما انصرفت الإدارة والعمال، وراح بمفرده يراجع عمل «حرفي» مشهور بالتسرع في إنجاز «صنعته» بل «يفكك» إنجاز غيره، ويعيد بناءه من جديد في صمت، وهو يستغفر الله من التعجل وعدم أداء الأمانة كما ينبغي..

قال له «صاحب المال» أكثر من مرة.. وهو يحاول أخذ اسم العامل الذي «يعيد» عم فضل عمله:

– يا أخي الكريم.. لقد ترقيت فصرت من قلائل بالإدارة.. والمطلوب منك فقط مراجعة العمل أثناء سيره، وهو ما تفعله بإتقان.. وكتابة أو حفظ اسم المقصر من العمال وإبلاغي به.. كما يقوم بذلك غيرك من أقرانك.. لا أن تنتبه إلى التقصير لتقوم به بعد نهاية العمل بنفسك..

كان رد «عم فضل» دائما:

. إنهم لا يقصرون.. ولكنهم لم «يتشربوا» الصنعة كما ينبغي.. وإنما أقوم بتعديلات بسيطة على ما أنجزوه.. لأجعل مالي الذي أتقاضاه حلالا..

. ليت للجميع نفس شعورك.. ومحبتك لهم..

. هم كذلك بإذن الله.. حفظك الله.. دعني أكمل «عملي»..

شهد باجتهاده وحسن أدائه القاصي والداني.. وبجهده.. وتفانيه صار

رئيسا للعمال.. وممثلهم في مجلس الإدارة الذي اتسع وضم شركاء في آخر سنوات عمله، ورغم انفصال المبنى الإداري عن المصنع بعد التوسع، وكبر سن «عم فضل» وحرص «صاحب المال الأول».. الذي صار رئيسا لمجلس الإدارة على ضم «عم فضل» لمجلس الإدارة بصورة استثنائية.. بعد أن نجح بعض كبار العمال ممن يسوءهم أداؤه.. ويفضح تقصيرهم في إقناع بعض الشركاء باستبعاده من مجلس الإدارة.. بخاصة بعد أن اقترب من الستين.. ونص لائحة المصنع الذي صار مؤسسة على ألا يمد لعامل أيا ما كان..

نجح «رئيس مجلس الإدارة» في تحدي استمرار ضم «عم فضل» إلى الإدارة بصفة استثنائية، وسرعان ما ظهر الغرض من محاولتهم إقالته، فعدد منهم يريد ضم أبنائه كإداريين بالمؤسسة وبالتالي نقلهم من عمال صغار إلى محاسبين ومشرفين دفعة واحدة!

ساعدهم على طرح الأمر تكرار مكسب المصنع، واعتماده رسميا من قبل المسؤولين.. ورسو مناقصات كبيرة عليه، ورأوا أنهم أولى من الغريب.. ولكن «عم فضل» جهر برأيه في الاجتماع قائلا:

ـ رأيي.. - والرأي الأخير لكم - أن نفصل الإدارة عن المصنع.. هما مؤسسة واحدة لكن عمالنا الذين تعبنا في تدريبهم واعتمادهم.. لا ينبغي أن نتركهم لمجال آخر.. فنخسر كفاءتهم العملية.. ونبدأ مشوارا طويلا في تدريبهم على الإدارة النظرية بعدما انفصلوا لسنوات عن دراستهم.. أرى أن نفتح باب التعيين لمتخصصين في الإدارة.. وندع هؤلاء في أماكنهم.. ونقر لهم ولأقرانهم زيادة في الراتب تتناسب مع نجاح المؤسسة.. زادها الله..

أخذ مجلس الإدارة برأيه..

كان عدد من رؤساء الأقسام بالمصنع قد ذكر «عم فضل» قبل الاجتماع بأن عمره اقترب من الستين.. وأنه سيكون أول «موظف» بالمصنع تطبق عليه لائحة «المعاش».. فرفض عقله أن يربط بين الأمرين..

بعدها بشهور كان على رأس أوليات اجتماع مجلس الإدارة الذي غاب عنه «عم فضل» للمرة الأولى.. لأنه سيناقش أمر إحالته إلى المعاش.. وطلبه المد لأي مدة يراها المجلس.. لأن المؤسسة.. كما قال.. صارت حياته.. بعد عبادة الله.

في الاجتماع أصرت الأغلبية على تطبيق اللائحة وعدم المد.. وأسقط في يد رئيس مجلس الإدارة.. بين إنجازات الرجل، ودعم طلبه، بل رجا الحاضرين رجاء شخصيا فأصروا على الرفض، وإزاء الأمر قرر صرف راتبه كاملا.. وقال:

ـ اخترتم غيابه مع أهميته للعمل.. ستصرفون له المعاش وأكمله من مالي الخاص ليصله مرتبه في بيته ما حييت!

دمعت عينا «عم فضل» ولم يتحدث لما أخبره المدير بالأمر وقال:

ـ لولا حاجة الأبناء لما أخذت إلا المعاش..

ـ ولكني سأحاول مع الشركاء ثانية وثالثة..

بكى «عم فضل» وهو يخرج من غرفة «رئيس مجلس الإدارة» للمرة الأولى منذ سنوات طويلة إلى بيته دون الانغماس في العمل كما اعتاد.. رغم كونه في الصباح الباكر..

تأثر حتى الذين دعموا خروجه إلى المعاش من كبار العمال، بل رئيسهم المشارك باسمهم في مجلس الإدارة.. الذي اضطر «رئيس المجلس» لتعيين «عم فضل» بصورة استثنائية بالمجلس، رجع رئيس العمال إلى عقله، إنه خارج إلى المعاش بعد شهور هو الآخر، وقد أرسى مبدءا سيعامل هو نفسه بالمثل منه.. ولكنه لم يستطع النطق..

وفي منتصف اليوم قال لزملائه:

ـ صندوق الزمالة الذي أنشأه «أخي فضل» لمثل هذه المناسبات لم يقر له شيئا، وهي المرة الأولى التي يخرج أحدنا إلى المعاش.. ولم نحدد كم شهرا يستحق لنهاية الخدمة.. أفلا نجتمع به لنقر المبدأ؟!

ران صمت يغلفه الحياء الجميع..

في اليوم التالي.. بكى رئيس العمال في صمت لما أبصر «عم فضل» قبل الموعد ينظر في حسرة إلى باب المصنع لدقائق.. مرت عليه دهورا.. ثم استدار عائدا..

أما في منتصف اليوم.. فما إن ظهر «عم فضل» من جديد حتى قبل كل العمال رأسه.. حتى الذين أرادوا الانضمام إلى الإدارة ورفض طلبهم بسببه.. أما الرجل فقال بصوت متأثر:

ـ اسمحوا لي بدفع مستحقات صندوق التكافل عن هذا الشهر!

صمت الجميع.. وبلغ الحياء برئيس العمال مبلغه فقال:

ـ بل إن لك.. أنت.. مكافأة من الصندوق.. فكيف تدفع؟!

ـ ولكني ماأزال أتلقى راتبي رغم منعي من العمل؟!

كانت الأوراق المالية في يده.. ولسانه منعقد لا يستطيع النطق.. فيما توقف العمل في المصنع تماما في سابقة بالغة الندرة.. إذ تأثر كل العمال الذين نالهم من فضل الله ثم الرجل.. وفهم رئيس العمال وأصغرهم الأمر على نحو لم يرده «عم فضل».. وعلى الفور.. حضر رئيس مجلس الإدارة والإدارة لتجتمع على أرض المصنع للمرة الأولى وتأخذ قرارها بإبقاء الرجل في عمله.. ما أراد.. وهتف رئيس العمال بصوت جهوري تلقائي:

ـ إنك لست «عم فضل».. بل إنك والله.. فضل من الله..

مات مرتين بسبب المجمع:

كمال بشر.. شيخ اللغويين العرب.. وداعًا

صلاح حسن رشيد
باحث وكاتب

يكاد يجمع أغلب الباحثين على أن رحيل شيخ اللغويين العرب، وعميد كلية دار العلوم الأسبق العلامة الدكتور/ كمال بشر (١٩٢١-٢٠١٥م)؛ والذي وافته المنية أخيرا؛ إنما كان قبل ذلك بثلاثة أعوام؛ وبالأخص عقب إقالته؛ بطريقة غير كريمة من منصبه؛ كنائب لرئيس مجمع اللغة العربية (الخالدين) بالقاهرة! لاسيما؛ بعد أن كسب القضية؛ التي رفعها ضد المجمع! وهي الحادثة؛ التي أثّرت فيه نفسيا، وعضويا؛ فاعتلت صحته، وانسحب من المجمع غير راض عن أحواله العجيبة؛ فالتزم بيته؛ ليعيش في شبه عزلة؛ عن الناس، والمجمعيين؛ إلى أن لقي وجه ربه! بعد أن ظل أربعة عقود يملأ جنبات مجمع القاهرة اللغوي، ومجامع العرب؛ بآرائه، ونقداته، ومحاضراته، وبحوثه، واجتهاداته!

جمعت حياته بين المتناقضات؛ فهو إنسان ريفي بمعنى الكلمة؛ تعلم في الكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم؛ والتحق بالأزهر الشريف؛ فدرس الفقه، والحديث الشريف، والنحو، والبلاغة، وبعد ذلك؛ التحق بدار العلوم؛ فأكسبته الجدة والابتكار؛ فجامعة لندن؛ التي نال منها أطروحته للدكتوراه عام ١٩٥٦م في علم اللغة الحديث، ودراسة الأصوات!

تراثي عصري؛ يشجع تلامذته على التفكير والبحث؛ لكنه يقف في وجه من يخالفه في المجمع!

كان كمال بشر من دعاة؛ عصرنة العامية، والتقريب بينها وبين اللغة الفصيحة؛ والاهتمام بعلم اللغة الاجتماعي، ومعرفة السياقات اللغوية؛ فاللغة على حد وصفه: أشبه شيء بالكائن الحي؛ الذي يقوى، ويشتد؛ ثم يهرم؛ ويشيخ، ويمرض؛ إذا ما فرّطنا فيه، وقصرنا في حقه! فكان دائم القول: «إنه لابد من العناية باللغة، والحرص على إثرائها، وإمدادها بعوامل القوة والبقاء»! في دراساته؛ كان سلفيا من الطراز الأول؛ فكأنه ابن جني في دراساته الصوتية المتينة؛ كما كان دارسا نهما للعلوم الغربية المتصلة باللغة؛ كأنه غربي الأرومة والسلالة!

وصفه صديقه الأديب وديع فلسطين؛ فقال عنه: تراثي؛ يحمل ترسانة من الأسلحة اللغوية الثقيلة!

في أربعينيات القرن العشرين؛ وأثناء دراسته في مدرسة دار العلوم التابعة لجامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن)؛ قاد مظاهرة مع زملائه؛ من أجل تحويل دار العلوم إلى كلية؛ ولم يهدأ كمال بشر؛ إلا عندما صدر المرسوم الملكي؛ بجعل دار العلوم كلية في عام ١٩٤٦م!

كانت له طريقة عجيبة في إلقاء المحاضرات؛ فقد كان يشرك الطلاب معه، ويحدث حوارا علميا حول قضايا اللغة العربية، ويظل يناقشهم؛ بأسلوبه الجميل؛ الجامع بين طرائق التراثيين، وعصارة علم العصريين؛ بل اللغة المحكية نفسها كانت تجد لها متنفسا بين يديه؛ حتى يدرب طلابه على صنوف التفكير، وإعمال العقل، وإبداء الرأي، ومعايشة العصر!

اهتم بدراسة لغة الإعلاميين، والإذاعيين؛ فاستخرج ما يمكن تسميته بمعجم الأخطاء الشائعة بينهم، من خلال كتابيه «إذاعيات لغوية»، و«فن الكلام». كما قام بالتدريس في معهد الإذاعة، وفي معهد الفنون المسرحية بمصر.

لمهارته، وتضلعه في علم الأصوات، ومعرفته بعلوم التجويد، والقراءات، والنبر، والنغم؛ اختارته الإذاعة المصرية ضمن لجنة اختيار مقرئي الإذاعة.

حكى عنه وديع فلسطين؛ فقال: «عندما أزمع السفر إلى لندن في عام ١٩٤٩م؛ لم يكن كمال بشر يعرف اللغة الإنجليزية؛ فرجاني أن أكتب له كلمة بالإنجليزية؛ فيها ملخص البحث الذي سيقدمه هناك؛ فكتبتها له؛ لكن حظه العاثر؛ أن ضاعت هذه الأوراق منه! فأتاني على عجل ليلة السفر؛ فأعدت له كتابتها من جديد؛ وأخبرته بضرورة المرور على شقيقي الفنان



المثّال/ لويس فلسطين في لندن؛ الذي سيستضيفه هناك، ويعرّفه على المجتمع الإنجليزي، والحياة الجديدة»!

عقب نيله أطروحته؛ قدم إلى القاهرة؛ فسمع بمحاضرة العقاد «الزمن في اللغة العربية» والتي سيلقيها بمجمع اللغة؛ فاشتبك مع العقاد؛ هو والدكتور تمام حسان فور انتهاء العقاد من كلامه؛ وكان مدار اعتراضه؛ هو غرام العقاد بالحديث عن الزمن الفلسفي، واعتداده به؛ مقابل تجاهله التام للزمن اللغوي؛ المنصرف للمسائل اللغوية فقط؛ بعيدا عن قضايا علم المنطق الدخيلة على اللغة، والتي أحالتها إلى تفسلف، وتعقيد!

قام كمال بشر بالتدريس في الجامعات المصرية؛ كما نهض بالتدريس في جامعة الملك سعود، وبجامعة قطر، وكلية الآداب بجامعة الإمارات، وبجامعة الكويت، وبمعهد بورقيبة للغات بتونس.

نهض بالتدريس في جامعات الملك سعود وقطر والإمارات والكويت وتونس

نال جائزة الدولة التقديرية بمصر في عام ١٩٩١م، ووسام العلوم والفنون من الطبقتين الأولى والثانية. كان يشغل منصب نائب رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية، كما نال عضوية مجامع: دمشق، وبغداد، وعمّان.

من مؤلفاته المهمة: قضايا لغوية، وعلم الأصوات، ودراسات في علم اللغة، وصفحات من كتاب الحياة، ومجمعيات، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد، واللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، وعلم اللغة الاجتماعي، وخاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة. كما ترجم كتاب «دور الكلمة في اللغة» لـ «ستيفن أولمان».

ومن بحوثه الرائدة: عوامل التوحيد اللغوي، والسيمانتيك أو علم المعنى، والأصوات عند سيبويه، ومشكلات اللغة في العصر الحديث، وجهود العرب في الدراسات الصوتية، وكتاب العين للخليل الفراهيدي وموقعه في الدراسات اللغوية، ونوعية اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المرحلة الأولى ووسائل التقريب بينها وبين اللغة الفصيحة، واللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ، واللغة العربية والحاسوب، والأدب ودوره في التلاقي العربي وتأكيد الانتماء، والعقاد في الدراسات اللغوية، ومناهج البحث اللغوي عند العرب، والأخطاء الشائعة في نظام الجملة بين طلاب جامعات دول الخليج، وكتاب محاضرات في علم اللغة العام للسويسري دي سوسير وموقعه في الدراسات اللغوية، والتعريب بين التفكير والتعبير، والأصوات المتوسطة والأصوات الذلق.

دراسة ميدانية حول الموظفين المسلمين

تحفيز الموظفين

يعتبر فهم وجهة نظر المسلمين للتحفيز والنجاح الوظيفي عاملا مهما لبلوغ التوفيق المؤسساتي، وهو ما تسعى إليه هذه الدراسة عبر اعتمادها لمنهجية بحث نوعية ومقابلات معمقة، تم إجراؤها مع عينة شملت سبعة مشاركين (ستة ذكور وأنثى)، تقلد كل منهم مناصب إدارية عليا في مؤسساتهم التي تشمل قطاعات: البنوك والتصنيع والسيارات، علاوة على المراكز الحكومية.

وقد توصل هذا البحث إلى اكتشاف أن الموظفين المسلمين هم الأكثر اهتماما بالعوامل التحفيزية الذاتية مع السعي لبلوغ نصيب من التوازن في الحياة اليومية لبلوغ النجاح الوظيفي، كما أبدى المستطلعون وعيا بمقاصد الشريعة، معتبرين نجاحهم في الحياة الدنيا معيارا لآخرتهم التي يسعون إلى كسبها وبلوغ مرضاة الله.

تعتبر البيئة التنافسية والديناميكية للعمل وتحديد إضافة بهذا الصدد ثم تحقيقها، عامل النجاح الرئيسي لكل مؤسسة في واقع يتسم بالتقلب والتغير، حتى إن بعض المؤسسات تعتبر ذلك هدفها الأقصى وسبب وجودها، مما يتطلب عاملا مهما وأساسيا يتمثل في إدارة فعالة للقوى العاملة، وهو ما يمكن تحقيقه عبر إرساء نظام ترشيد محكم للموارد البشرية.

هذا، وتضطلع إدارة الموارد البشرية اليوم بدور مهم في إنشاء قوة عاملة كفؤة عن طريق تخير الأشخاص المناسبين للعمل لدى المؤسسة، إذ يمكن اتباع عدة استراتيجيات لهذا الغرض، مثل: تخطيط الموارد البشرية وتنظيمها، وتوظيف المواهب والحفاظ عليها، علاوة على حسن إدارتها طوال مسيرتها الوظيفية، حينها يصبح بإمكان المؤسسة المنافسة بشراسة للاستئثار بأكثر الموظفين كفاءة. والمراد من هذا التخطيط الفعال هو تكوين فريق عمل دائم، تنافسي، منضبط، وفي لإطار عمله، وحاض بقدر من التحفيز، مما يضمن النجاح في تخير المواهب المناسبة لنجاح المؤسسة.

ويفرض الأسلوب، المذكور أعلاه، مزيدا من الضغوط على الموظفين، الذين يجدون أنفسهم محمولين على إثبات كفاءتهم لضمان وظيفة دائمة، إضافة إلى ضرورة تحقيقهم مزيدا من التطور والتقدم حتى يتسنى لهم المضي قدما في مسيرتهم الوظيفية، وبلوغ أهدافهم وأحلامهم في هذه الحياة وتحقيق النجاح العملي.

مع ذلك، يبقى دور المؤسسة في فهم احتياجات الموظفين وأهدافهم وتوقعاتهم في الحياة محوريا، كما أن من واجبها إدراك طموحاتهم على الصعيدين المهني والشخصي على حد سواء، ومنه معرفة كيفية تحفيزهم لجعلهم أكثر انخراطا وولاء والتزاما بأهدافها. لذا، يعتبر الإلمام بالعوامل التي تؤثر في دوافع الموظفين وحوافزهم تحديا كبيرا تواجهه هذه الهياكل المضطلعة بإدارة أناس متنوعي الأهداف والتوقعات، يحمل كل منهم مفهوما مختلفا للنجاح في الدارين.

وهنا تجدر الإشارة إلى تعدد النظريات الموضحة لأساليب تحفيز الموظفين، والباحثة في طبيعة المحفزات التي تعزز نجاحهم الوظيفي وتدفع بأدائهم المهني. غير أن معظم هذه الدراسات تنبثق من منظور الغرب لاحتياجات الناس والطبيعة ومعتمدة على نظم القيم الغربية التقليدية، إذ تندر البحوث التي تعتمد على وجهات النظر ما بين الثقافية وتلك الدينية، لاسيما منها الإسلامية.

فالنظرة الإسلامية لطبيعة الإنسان واحتياجاته تختلف عن تلك الغربية، حيث تعتمد على اعتبار الحياة اختبارا للمسلمين، يسعون فيها لتحقيق النجاح ونيل بركات الله في الآخرة من خلال عبادته سبحانه واتباع أحكامه وقواعده، المسماة بالشريعة. في ضوء ذلك تسعى هذه الدراسة إلى اكتشاف وفهم المنظور الإسلامي للتحفيز والنجاح الوظيفي، وذلك من أجل النهوض بالبحث العلمي في مجال الإدارة الإسلامية والدفع به، فتنقسم إلى ثلاثة أهداف رئيسية:

١- فهم تعريف المديرين المسلمين للنجاح الوظيفي والعوامل المساهمة فيه.

٢- إدراك محفزات المديرين المسلمين.

٣- إلى أي مدى تؤثر فكرة الآخرة على حياتهم ونظرتهم للنجاح.

عرض مفاهيمي

«موتيفايشن» هي مرادف كلمة التحفيز باللغة الإنجليزية، وهي اسم مشتق من الفعل اللاتيني «موفير»، أي يتحرك (تانسكي، ٢٠٠٣م). وفي هذا السياق، يذهب لوثانس إلى أنه يثير وينشط ويوجه ويحافظ على السلوك والأداء، فالتحفيز هو عملية دفع الناس إلى العمل وتحقيق مهام مرجوة من خلال أدائهم.

والتحفيز إطار ثري، إذ غالبا ما تتعدد عوامله وسبله، مما جعل منه مادة معقدة للبحث اعتمادا على مناهج

ترجمة : هيثم الكحيلي

مختلفة. هذا وقد أفاد رينهولت سنة ٢٠٠٦م بتعرض العلم الأدبي التنظيمي لاستقطاب ثنائي بين نظرة تعتمد على الوضع الاقتصادي المؤسساتي القائم على حوافز خارجية، وأخرى تتمحور حول السلوك التنظيمي القائم على حوافز ذاتية.

النظريات التقليدية للتحفيز

تعتبر هرمية الاحتياجات لماسلو من أكثر نظريات التحفيز التقليدية تأثيرا، حيث يعتبر رغبات الإنسان لا متناهية، مما يجعل من تحقيق إحداها غير كاف نظرا لانتظام الحاجات الإنسانية وفق سلسلة من مستويات متفاوتة الأهمية. هذا، وقد صنف ماسلو هذه الاحتياجات إلى خمس فئات كبرى: فسيولوجية، متعلقة بالأمن، اجتماعية (الشعور بالانتماء)، الحاجة إلى احترام الذات وتحقيقها.

ويضيف بأنه كلما تمت تلبية إحدى الاحتياجات ذات المرتبة الدنيا، ينتقل اهتمام الشخص مباشرة نحو التي تليها وتفوقها قيمة، مشيرا إلى اعتماد التحفيز على عدم تلبية احتياج ما، ومؤكدا على كون الحاجة المهيمنة المحفز الأساسي.

أما ماكليلاند، فقد قام بتحديد ثلاثة محفزات رئيسية تتوافق مع تلك الاجتماعية ورفيقتها المتعلقة باحترام الذات وتحقيقها لماسلو، وتتمثل في: الانتماء والقوة والإنجاز الذي يتصرف الفرد وفقه استنادا إلى أحد هذه العوامل أو يقوم بدمجها.

ويمكننا الإشارة كذلك إلى نظرية فريدريك هيرتزبرغ، حيث قام بذكر خمسة مسببات لعدم رضا الموظفين والمديرين: مدى عدالة سياسات الشركة، الأجرة، ظروف العمل، العلاقات مع أحد المشرفين والعلاقات مع الزملاء. وانتهى إلى أن إرضاء الموظفين وتحفيزهم يعتمدان على مجموعة من العوامل تشمل: الإنجاز، الاعتراف والتقدير، العمل نفسه، المسؤولية والتطور.

كما وصف هيرتزبرغ مسببات الارتياح بالمحفزات، في حين اعتبر العوامل الباعثة على عدم الراحة بالمساهمة في إنشاء مناخ صحي، معرفا الأولى بنتائج مولدات داخلية لدى الموظفين، ومشيرا إلى ارتباط محفزاتها بالظروف الذاتية للوظيفة نفسها. وعليه، يؤكد بأنه لا يمكن التحفيز وتطوير الأداء الوظيفي من دون الاعتماد على العوامل المحفزة التي تعكس مباشرة مضمون العمل المنفذ من قبل الموظف في موقعه. ومن جهة أخرى، اعتبر هيرتزبرغ العوامل السياقية شروطا لازمة للإيفاء بشروط العمل، مما يفيد بأن النهوض بالسلوكيات المهنية والإنتاجية يتطلب تحديد المديرين للعاملين الآنف ذكرهما والتركيز عليهما.

وتعتبر هذه النظريات مضمونية، تركز على العوامل المحفزة للموظفين، في حين تصرف النظريات العملية أنظارها إلى القوى النفسية المؤثرة على التحفيز، ومن بينها نظرية التوقع، التي تنص على وجود صلة بين محفزات الموظفين وتوقعاتهم.

فقد دعا بورتر ولر إلى هيكلة بيئة العمل حتى يولد الأداء الفعال مكافآت داخلية وخارجية تؤدي بدورها إلى رضاء وظيفي كلي. وفي حين تستمد المحفزات الداخلية من استمتاع الموظف بأداء عمله، تعتمد تلك الخارجية على كل من الوظيفة وما يرتبط بها من وعوامل ملموسة، مثل: المكافآت اللفظية والمادية. ومن جهته، يعتبر سكينر أن تكييف الموظفين يعتمد على مفهوم محوري لنظرية التعلم، ويؤكد على قابلية التصرف المحمود والمشجع إلى التكرر، عكس التصرفات المذمومة، التي قد تجعل من صاحبها عرضة للعقاب، مما يجعل من السلوكيات مرهونة بردود فعل محيطها.

أما نظرية تحديد الهدف فتنص على ارتفاع مستوى التحفيز والأداء عند توافر أهداف معينة لدى الفرد، مهما كانت صعبة، وتلقي هذه الأهداف بالقبول والتقييم.

هذا، وتشرح نظرية المساواة لآدمز توقعات الناس لأسلوب معاملتهم مقارنة بغيرهم، مؤكدة على ارتباط درجة التحفيز بمدى المساواة بين الموظفين.

كما تطالعنا نظرية «تقرير الذات»، التي تربط السلوكيات بالمصادر الداخلية والخارجية للفرد، حيث تشير إلى تعدد أنواع التحفيز حسب أهداف أو مسببات عمل ما، لافتة إلى ارتباط المحفزات الذاتية بمدى اهتمام الموظف بعمله واعتماد المحفزات الخارجية على نتائج ذلك العمل.

وإذ تستمد النظريات السابقة روحها من الثقافة الغربية، لم تول الاهتمام الكافي للمنظور ما بين الثقافي ولا الديني، خصوصا الإسلامي منه، الذي يمكن أن تنبثق منه محفزات العديد من الموظفين، حيث يمثل المسلمون حوالي ربع سكان العالم. وتشير وجهة النظر الإسلامية إلى توافر عديد السبل للتحفيز وتحقيق أهداف المؤسسات.

التحفيز من منظور إسلامي

تؤكد الكتابات حول المنظور الإسلامي للتحفيز على عدم استيفاء النظرات



التقليدية لكل المحفزات البشرية، حيث ينقصها الجانب الروحاني. ويشير بعض الباحثين المسلمين إلى أهمية تلبية كل من الحاجات الروحانية والتوقعات لدى المسلمين خاصة، إذ يحيل على الارتباط الوثيق بين الحوافز المادية والروحانية، معتبرا وجود تكامل بينهما. وتشير هذه الكتابات إلى تعدد العوامل المساهمة في فهم المنظور الإسلامي للحوافز والسلوك البشري، مثل: المعرفة، المشيئة الحرة، التقوى، الإيمان، الإحسان، الأمانة، الفلاح والعمل الصالح، النهضة، التوبة، الثواب والعقاب، العدالة، الشورى، الانضباط والالتزام بالعمل وأمام لله سبحانه. في حين يلخصه أحمد في أربعة عوامل كبرى: الدافع، الغرائز، المحددات الفطرية البيولوجية للسلوك، الالتزام والحوافز.

من جهة أخرى، يعتبر علاوة أن للتحفيز الإسلامي جملة من الخاصيات، أولاها طبيعتها الهرمية التي تتوافق مع نظرية ماسلو، وثانيتها وضوح الرغبات والأهداف، خصوصا لدى المسلمين، التي يجب أن ترتبط بقبول الله وغفرانه، وثالثتها حيوية الأهداف الإسلامية بما يحيل على ارتباطها بالدنيا والآخرة وأهمية تحقيقها. أما الخاصية الرابعة فهي واقعية الحوافز وارتباطها بالحاجيات والتصرفات والطبيعة البشرية. في حين تحيل الخامسة إلى ارتباط حوافز المسلمين بالقرآن والسنة، حيث تستمد منهما كنهها.

وسنتناول في القسم الموالي العوامل المختلفة المؤثرة في التحفيز من منظور إسلامي، وأولها الإحسان، الذي ينص على تطهير وإتقان السلوكيات والتصرفات، مما يحيل إلى الاستحضار الدائم لله سبحانه، كما ورد عن النبي ﷺ حين سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كنه الإحسان فأجاب: «هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (متفق عليه)، كما يتجلى الوجود الإلهي في علاقة خاصة بين المرء وخالقه، يعبر عنها الله في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ (العنكبوت:٦٩). كما يشمل الإحسان جميع الأعمال استنادا لقول النبي ﷺ عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».

فالحديث يشدد على ضرورة الإحسان والإخلاص في كل ما يقوم به المسلم مهما كان بسيطا، بل إن الإسلام يعتبر العمل عبادة لله سبحانه وتعالى، وواجبا دينيا.

وعليه، يعتبر أحد المستطلعين أن للوظيفة ذاتها تأثيرا على تحفيز الفرد، باعتبارها أمانة وعبادة، مادامت غير مخالفة للشريعة. والأمانة هي العقد النفسي الذي يورث حس المسؤولية والمساءلة، مما يمكنه من التمتع بعفو الله ويرزقه فلاح الدنيا والآخرة.

ومن ناحية أخرى، يفرض تنوع اليد العاملة تحديا للمؤسسات في إيجاد سبل التحفيز المناسبة، إذ على الإدارة أن تدرك طبيعة موظفيها واحتياجاتهم، والمحفزات التي من شأنها أن تؤثر على إنجازاتهم، أهدافهم، أدائهم ونجاحهم الوظيفي.

النجاح الوظيفي

يجب على المؤسسات تحديد العوامل الرئيسية المؤثرة على نجاح موظفيها لما لذلك من أثر على التوفيق في الانتقاء والتطوير.

ويشير بعض الباحثين إلى تحديد الدراسات التجريبية لعديد المتغيرات التي تلمس النجاح الوظيفي، وأهمها: البعد الديموغرافي، رأس المال البشري، الوصول إلى الموجهين، البعد التحفيزي وتأثير السلوكيات. في حين يرى آخرون أن هذا النجاح هو مجموعة تجارب العمل الإيجابية والإنجازات النفسية المكتسبة منها، إذ إنه يعتمد على بعدين: أحدهما ذاتي، والآخر موضوعي. ويقبل الثاني القياس والمعاينة، مثل: الرواتب والترقيات.

وتفيد العديد من الدراسات بأن الرؤية الموضوعية/الخارجية للنجاح الوظيفي تمثل الجانب الملموس، في حين ترتبط الرؤية الذاتية برضا الفرد وشعوره بالإنجاز، أمران تتناولهما النظرة الأولى من زاوية الأحكام الذاتية والرؤية الخاصة، فالنجاح الوظيفي يجمع إذن بين البعدين: الموضوعي والذاتي، بما يحيلان إليه من راتب وتعويض وشعور الموظف بالإنجاز والرضا.

التحفيزات الذاتية والخارجية

أشار كوسيك وآل إلى تزايد اهتمام أرباب العمل بفهم أسلوب التعاطي مع المحفزات الذاتية والخارجية التي لها تأثير على أداء موظفيهم ورضاهم ونجاحهم العملي.

وفقا لبعض الباحثين، المحفزات الذاتية هي المكافأة أو التجربة القيمة التي يمكن الحصول عليها أثناء أداء العمل والواجبات، والتي من شأنها أن تعزز الالتزام والحماسة والانخراط



والنظام. أما الخارجية فتعتمد على العقاب والمكافأة المادية المدارة من قبل المؤسسة.

هذا، ويستند كاتزل وتومسون في نقاشهما حول الدوافع إلى نظرية المتوقع والموجود، مؤكدين على مضاعفة الموظفين لجهودهم في حال توقعهم لمكافآت أفضل مقابل ذلك.

كما بحثت دراسات أخرى في المتغيرات التحفيزية، فقد تولى وايتلي وآل فحص العلاقة بين معدل ساعات العمل الأسبوعية، والدخل المتوقع ومركزية العمل ليجدا علاقة إيجابية بين العاملين الأولين، مما يتوافق مع دراسة جادج وبراتز اللذين انتهيا إلى العلاقة نفسها بين معدل ساعات العمل الأسبوعية والمحفزات الخارجية.

أما التخطيط الوظيفي، فقد وجد جلاود أنه يتصل إيجابيا بالراتب والمشاركة المهنية، في حين ربطه كل من نوي وشميت، وآريي وياو، تباعا بنسبة الأداء في البرامج التدريبية ومدى الرضا والالتزام الوظيفي.

هذا، وأبرزت بحوث عدة أهمية التحفيزات الذاتية في السياق المؤسساتي، فقد تناول مانز العلاقة بينها وبين الإدارة والقيادة الذاتية، مشيرا إلى قدرتها على الدفع بهما، في حين أفاد توماس وفالتهاوس بأن التحفيزات الذاتية هي عامل أساسي في تمكين الموظف من عمله.

من جهة أخرى، تولى عدد من الباحثين دراسة الحافز الوظيفي، مقسمين إياه إلى ثلاثة أبعاد رئيسية: المرونة والبصيرة والهوية الوظيفية. أطلق عليها لندن البنى المتعددة الأبعاد للتحفيز، إذ تتعلق بما يدفع الموظفين إلى القيام بعملهم ومواصلته رغم التحديات، وكيفية فهمهم لمحيطهم، وقدرتهم على توجيه طاقتهم ورغبتهم في تحقيق غاياتهم وأهدافهم. وبناء على ذلك، قام لندن باقتراح نظرية التحفيز الوظيفي والخصائص الظرفية، مؤكدا على إمكانية تحفيز الموظفين استنادا إلى الدوافع الذاتية وخاصة الأبعاد الثلاثة منها، مشيرا إلى أهمية دور المحفزات الخارجية، وتحديدا المكافآت، في تشجيع الأفراد على النجاح الوظيفي.

واعتبر آخرون فهم قدرة الفرد وقيمه واحتياجاته حوافز ذاتية تلمس النجاح المهني، في حين شدد ورزسنيوسكي ودلتن على الحاجة إلى: المراقبة الذاتية، الصورة الإيجابية عن الذات والتواصل مع الآخرين لتحفيز الموظفين.

من جهتهما، اقترح توماس وتايمن تقييما تنقسم فيه المحفزات الذاتية إلى أربعة عناصر رئيسية: الشعور بالقيمة والكفاءة والاختيار والتقدم. وقد أشارا إلى أهمية هذه العناصر في خلق وظيفة متواصلة من خلال العلاقة بين الدوافع الذاتية. وأثبتت دراسة تجريبية قام بها الباحثان حول نموذجهم عمق علاقته بالرضا الوظيفي والأداء والتخفيض من نسبة التوتر. هذا، وقد فحص كل من كويجلي وتايمن المكونات الأربعة لينتهيا إلى أهميتها في تحقيق التحفيز الداخلي، التطور الذاتي والشعور بالإنجاز، كما أشار الباحثون إلى دور هذه العناصر في معالجة ما يمكن أن ينتاب الموظفين من إحساس بالفراغ أو افتقاد شيء ما، في إطار رصد تطورهم في العمل.

لكن من الضروري تحديد ما من شأنه أن يدفع الموظفين إلى الإنتاج بجودة عالية، إذ يمكن أن يكون ذلك هو العنصر المفقود في نموذج المحفزات الذاتية. لذلك لابد من البحث في علاقة وضوح الهدف والغاية بالعناصر الأربعة الآنف ذكرها، والذي يطلق عليه «المحفز التنشيطي»، باعتباره المكمل الخامس لتلك المجموعة.

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى ارتباط معظم نظريات النجاح الوظيفي وتحفيز الموظفين بالنظام القيمي الغربي، مما يجعلها غامضة فيما يتعلق بدور الدين في تحفيز الأفراد والتأثير على احتياجاتهم ونظرتهم إلى الحياة والنجاح، الأمر الذي يؤدي إلى ضرورة تفسير المنظور الإسلامي لهذه المفاهيم وأثر الدين والله على احتياجات المسلمين وتوقعاتهم.

منهجية البحث

اعتمد الباحثون على أساليب نوعية للتوصل إلى فهم أفضل لموضوع الدراسة، من خلال إجراء العديد من المقابلات مع مختلف الأفراد، واعتماد أساليب لجمع المعلومات تفسح للمشارك مجال التعبير عن آرائه ومشاعره وأفكاره استنادا إلى حياته وتجربته الوظيفية.

المشاركون في البحث

تم اعتماد تقنية الانتقاء الغرضي للتوصل إلى فهم أعمق للعلاقة بين التحفيز والنجاح الوظيفي من منظور إسلامي، حيث انتقيت عينة تتكون من سبعة من كبار مديري مؤسسات خاصة وحكومية معروفة، وهم مسلمون، يتمتعون بخبرة واسعة في مجالات مختلفة.

جميع المستطلعين مسلمون موظفون بدوام كامل، من كبار رجال الأعمال ممن تفوق خبرتهم الـ ١٥ عاما، ومنهم من يدير شركاته ومشاريعه الخاصة ويشتغل في قطاعات عدة.



المستطلعون							
الجنس	أنثى	ذكر	ذكر	ذكر	ذكر	ذكر	ذكر
المنصب	كبيرة المديرين	المدير التنفيذي	مدير	كبير المديرين	كبير المديرين	كبير المديرين	مير عام سابق
السن	٤٥	٥٧	٤٨	٤٥	٤٠	٥٤	٦٥
المجال	تأمين	مالية	صناعة	مالية	سيارات	بنوك	سيارات
النوع	خاص	حكومي	خاص	حكومي	خاص	خاص	خاص

جدول رقم ١. ملف المشاركين

تجميع المعلومات وتحليلها

تم إجراء المقابلات المعمقة مباشرة، أجاب فيها المستطلعون عن أسئلة جوهرية، استقصائية وعامة، لما يقارب الـ ٤٥ دقيقة، تم فيها تسجيل وكتابة الأجوبة بأسلوب الرموز لتحول إثرها إلى محاور مفهومة، كما شجع الباحثون المشاركين على إبداء آرائهم والتعبير عن مشاعرهم حول الموضوع بحرية.

النجاح الوظيفي

طلب من المستطلعين أن يقوموا بتعريف النجاح الوظيفي وما يمثله بالنسبة لهم، إضافة إلى طريقة الوصول إليه، فلوحظ أن للبعدين الذاتي والموضوعي الأهمية نفسها.

وقد ذهب المشارك الأول إلى أن النجاح الوظيفي هو ترك إرث وبصمة لا تنسى، في حين عرفه الخامس بالترقية «حين ينتقل الفرد من موقع إلى آخر أعلى»، أما المشارك السادس فقد اعتبر أن المسألة تتعلق بمساعدة الآخرين على النجاح، وصرح السابع بأن النجاح الوظيفي يتمثل في بلوغ أعلى المراتب في المؤسسة وذلك حتى تتسنى فرصة التغيير فيها نحو الأفضل.

ويرتبط النجاح الوظيفي بعدة عوامل، منها المستوى الأكاديمي والمعرفي من ناحية، والخبرة والمهارات الوظيفية من ناحية أخرى، كما أفاد المستطلعان الثالث والرابع. في حين صرحت الأولى بأن تطورها لطالما ارتبط باقتفائها أثر الناجحين والسير على خطاهم.

هذا، وقد أشار المشاركون إلى عوامل أخرى، مثل التوفيق بين الأوجه المختلفة للحياة بما فيها من عملي وخاص وعام، الأمر الذي اعتبره المستطلع الأول «نعمة من الله».

من جهة أخرى، لم تخل الإجابات من موازنة بين الحياة الدنيا والآخرة، إذ اعتبر المشارك السادس أن النجاح الوظيفي يرتبط ببلوغ المرام في الدنيا والآخرة، مركزا على الشحنة المعنوية والتحفيز الذي يستمده من تدبره للقرآن والسنة، وهذا ما أكده زميله السابع الذي أضاف وجوب احترام سبل النجاح لتعاليم الإسلام وأهمية تحقيق ذلك بالنسبة إلى الفرد والمجتمع والاقتصاد.

التحفيز

سئل المستطلعون عما إذا كان للتحفيز دور في تحقيق نجاحهم الوظيفي، وعن طبيعة المحفزات والعوامل التي طورت من مردودهم.

عرف معظمهم التحفيز بالدافع لإنجاز شيء ما، والشغف لتحقيق الأهداف والغايات، في حين ذهب الآخرون إلى ربط ذلك بتحسين مستوى عيش عائلاتهم ونيل خير الجزاء من الله في الآخرة.

وقد ارتأى المشارك الثاني أن التحفيز هو ما يقود المرء إلى تحقيق شيء جيد، وصرح الثالث بأن ذلك يرتبط بالرغبة في إثبات أمر معين، أما المستطلع الرابع فقد أشار إلى أن هذا العامل يعود إلى سعي الفرد إلى تطوير نفسه.

هذا، وقد اعتبر ربط التحفيز بنيل رضا الله والفوز بالآخرة مثيرا للاهتمام، إذ صرح المستطلع الرابع بأن ما يحفزه هو السعي للنهل من مناهل العلم والمعرفة حتى يتسنى له النهوض بالأمة، مما سيرضي المولى عزوجل، في حين أفاد





الخامس بأن التحفيز يتعلق أساسا بتطوير الذات، مما سيقود حتما للفوز بمرضاة الله.

من جهة أخرى، أكد عدد من المشاركين، ومن بينهم الأولى، على أهمية السعي لتلبية احتياجات العائلة، في حين أشار السادس إلى دور الولع بالوظيفة والشغف بالتقدم والتطور في تحفيز الفرد على تحقيق النجاح الوظيفي.

وتلخيصا لكل ما سبق ذكره، صرح المستطلع رقم ستة بأن الفهم العميق للإسلام والقراءة المتمعنة في القرآن الكريم كفيلان بتوفير القدر اللازم من التحفيز الوظيفي، حيث يأمر الله المسلمين بالعمل والسعي، ويحثهم على الزكاة والصدقة، بما في ذلك من معونة للآخرين في الدنيا ومثوبة منه سبحانه في الآخرة.

المحفزات

أشار المستطلعون إلى مجموعة واسعة من المحفزات الذاتية والموضوعية، مما يحيل إلى أهميتهما، وإن أولى معظمهم أهمية أكثر للبعد الأول.

واعتبر معظمهم أن للجانب المادي ولجانب الترقية والتطور الوظيفي دورا مهما في تحفيز الفرد لما يشعر به من أهمية إزاء نفسه وعائلته، مؤكدين على أن الدوافع الذاتية هي الأكثر تأثيرا.

ويتفق المشاركون على أن هذا الجانب يتعلق أولا بتلبية احتياجات أفراد العائلة، وإسعاد الأقربين خاصة، والنهوض بالمجتمع عامة، كما يشمل تحقيق الأهداف والوصول حيث لم يقدر أحد من قبل، كما أشار المستطلعان الأول والثاني، حيث لابد أن تكون للمرء بصمته الخاصة في هذه الحياة. أما المحفز الذاتي الأخير فهو الأكثر أهمية، ويرتبط بالنجاح في اختبار الحياة الدنيا ونيل رضا الله والمثوبة في الآخرة، حيث أفاد المستطلعون بأن حياة المسلم ليست مادية بحتة، لها هدف بعيد المدى يتجاوز التحصيل الدنيوي المحض.

الإلهام

تعددت مصادر الإلهام لدى المشاركين من أشخاص كانوا لهم القدوة والمثال وأهداف وغايات علاوة على القرآن الكريم والمعرفة الإسلامية، في حين استمد جزء منهم إلهامهم من نجاحات غيرهم، وحتى الموسيقى كما أفاد المشارك الأول.

وقد تبين أن معظمهم قد اعتبروا الرسول محمد ﷺ القدوة الأساسية، إذ عبر المشارك الثاني عن انبهاره بقوة عزيمة رسول الله ﷺ والموروث الإنساني الذي تركه من خلال سنته والسيرة التي اعتبرها المستطلع السابع مصدرا أساسيا للإلهام.

كما أعرب مستطلعنا الأخير عن انبهاره برجال أعمال وسياسيين من قبل الرئيس: لنكن، المهاتما غاندي، وينستون تشرتشل، بيل جايتس، ستيف جوبز، طوني فرنندس والدكتور مهاتير في إندونيسيا.

الاحتفاء بالنجاح

شمل البحث كيفية احتفال المستطلعين بنجاحاتهم، وذلك حتى يتسنى مزيد التعرف على أسلوب عيشهم وكيفية تصرفهم، فتبين أن جلهم يكافئ نفسه بالسفر وقضاء وقت أكثر مع العائلة، في حين يحتفل البقية بشكر الله ومساعدة ذوي الحاجة.

العلاقة مع الله

يعتبر فهم المنظور الإسلامي للتحفيز واختلافه عن وجهات النظر التقليدية أحد أهم أهداف هذا البحث، لذا تم توجيه عدة أسئلة حول دور الله والوازع الديني في حياتهم العملية والخاصة على حد سواء، يتعلق جلها بكيفية فهمهم وتأويلهم لمقاصد الشريعة، بما يحتويه ذلك من انعكاس على حياتهم الدنيا من ناحية والآخرة من ناحية أخرى.

وتبين من خلال أجوبة المستطلعين أن لهم قدرا من الفهم لمقاصد الشريعة، كما أعرب جميعهم عن استحضارهم للآخرة في حركاتهم وسكناتهم وسعيهم لشكر الله بالتقرب منه وعبادته، والحرص على الصدق والأمانة والتزام تقوى الله.

هذا، وقد اعتبر المشاركون أن الإخلاص في العمل ومساعدة ذوي الحاجة هما من أهم تجليات تقديرهم لنعم المولى عزوجل، كذلك الأمر بالنسبة إلى أدائهم لجميع واجباتهم الخاصة والعامة والمادية والروحانية، إضافة إلى السعي لتحقيق النقاء الروحي، بما يحمله كل ذلك من تجليات لمقاصد الشريعة.

المصدر: أي بانجي الماليزية
papers/2014/sulaiman014.pdf/
http://www.ukm.my/e-bangi





قضاة قرطبة في الحضارة الأندلسية

د. رضا عبد الحكيم
أستاذ جامعي

ما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها (١٩١٤-١٩١٨م)، حتى زالت الخلافة العثمانية، ولجأت السياسات التشريعية العربية - في معظمها - إلى مناهج ونظم القوانين الغربية اللاتينية والأنجلوسكسونية، وهذا يفسر انتقال مبادئ القانونين الفرنسي والإنجليزي إلى مدوناتنا القانونية. والسائد في دراسات وبحوث الجامعات والأكاديميات الحقوقية العربية التي أخذت بنظم القوانين الوضعية، أن النصوص الغربية هي المصدر التاريخي الرئيس للقوانين الوطنية المطبقة.
غير أنه وقع تحت نظري وثيقة تؤكد استلهام القوانين الغربية مبادئ أصولية تأسست. بادئ ذي بدء. في حضارة الأندلس قبل قرون عدة من إصدار المدونة النابليونية في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تم اقتباس تلك المبادئ وإدراجها داخل أنظومتين قانونيتين هما قانونا الإجراءات الجزائية والسلطة القضائية، ومن بعد نقلت مبادئهما إلى قوانيننا العربية. وليضحى من المؤكد، أن تنظيماتنا القانونية قد نقلت عن الغرب مبادئ أبدعها ونظمها. بحسب الأصل - الفكر القانوني والقضائي زمن ازدهار حضارة الأندلس، لاسيما في قرطبة.

نعلم أن الأندلس قطر ازدهرت فيه حضارة العرب، وشع منها النور إلى كافة أرجاء المعمورة في القرون الهجرية الأولى. ولسنا بحاجة إلى الإشارة إلى أهمية الدور العربي في الأندلس، فقد كانت إقامة العرب الطويلة في هذه البلاد «الأوروبية» تمثل عملية التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب وبين العصر الوسيط والعصر الحديث. هذا التفاعل الذي تكونت منه بذور الحضارة الحديثة.

• في سيرة قضاة قرطبة، لم يبخل الخشني في سطر أخبار العشرات من ولاة قضاء قرطبة، ولعل من أبرز ما وصل إلينا أن بعضهم رفض تقلد منصب القضاء.

وفي ذلك ما ذكره الخشني، من أنه: «استشار الأمير عبدالرحمن ابن معاوية أصحابه فيمن يوليه القضاء بقرطبة، فأشار عليه ابنه هشام وأحمد ابن مغيث الحاجب بالمصعب بن عمران، فقبل الأمير رأيهما وأمر بالإرسال في مصعب، فلما قدم عرض عليه ولاية القضاء فأبى قبولها وذكر عذرا له في ذلك، فردد عليه الأمير القول وأظهر له العزيمة، ولم يوسعه العذر في



تـرك القـبـول، فـأصـر على الإباءة لها وتمادى على النفور منها، فلما يئس الأمـيـر أطـرق وجـعـل يفتل شاربه، وكان إذا غضب فتل شاربه، فالويل للمغضوب عليه، حتى خاف من حضر على مصعب من بادرة تكون من الأمير فيه؛ لهول مقامة.. لكن ما جرى من الأمير أنه اكتفى بالقول له «اذهب فعليك كذا وكذا، وعلى اللذين أشارا بك».

يـذكـر الخـشـنـي «إن هـشـام بن عبدالرحمن، وقد تقلد الخلافة بعد أبيه... أراد زياد بن عبدالرحمن للقضاء فخرج هاربا بنفسه، فقال هشام عند ذلك: ليت الناس كزياد حتى أكفى حب أهل الرغبة، وأمَّنه فرجع إلى مسكنه». وفي رواية «لما بعث الـوزراء في زيـاد ابن عبدالرحمن، وعرضوا عليه القضاء عن الأمير هشام قال لهم: أما إن أكرهتموني على القضاء فزوجتي طالق ثلاثا لئن أتى بي مدع في شيء مما في أيديكم لأخرجنه عنكم ثم لأجعلنكم فيه مدعين، فلما سمعوا ذلك منه عملوا في معافاته».

نقلا عن بعض الرواة، قال الخشني «لما مات القاضي محمد بن بشير ذكر الأمير الحكم القضاء، ومن يصلح أن يوليه: فقال: ما أرى غير فقيه البلد محمد بن عيسى الأعشى، وما يغمني منه غير إفراط الدعابة التي فيه، وعزم على ذلك من أمره، فقال له بعض الوزراء: لو امتحنت أمره قبل المشافهة كان ذلك رأيا حسنا، فأرسل إليه بعض وزرائه، فنزل عليه وذاكره الأمر، وأعلمه بما عابه به الأمير من إفراط دعابته، فقال: أما القضاء فإني - والله - لا أقبله البتة، ولو فعل بي وفعل، فلا يحتاج الأمير - أبقاه الله - أن يكشف إلي وجهه في ذلك، وأما الدعابة فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يدعها للخلافة؛ أأدعها للقضاء. فلما بلغ الأمير قوله عافاه ونظر في غيره.

ويضيف الخشني قائمة لأمثلة قضاه رفضوا القضاء، منهم عثمان ابن أيوب بن أبي الصلت من أهل العلم بقرطبة، وكان محمد بسطت له الدنيا فأبى أن يقبلها وأعرض عنها. وممن عرض عليه القضاء من شيوخ قرطبة فأبى من قبوله إبراهيم بن محمد ابن باز. وقيل إن الأمير محمدا أمر الوزراء أن يرسلوا في أبان بن عيسى بن دينار وأن يولوه قضاء جيان فلما أرسلوا فيه وعرضوا ذلك عليه استعفى وأبى فأمر الأمير أن يوكل عليه الحرس حتى يبلغ جيان ويجلس بها مجلس القضاء والحكم بين الناس فوكل عليه الوزراء الحرس وساروا إليه، وأقعدوه فحكم بين الناس يوما واحدا فلما أتى الليل هرب فأصبح الناس يقولون هرب القاضي فرجع الخبر إلى الأمير فقال: هذا رجل صالح، ولكن يطلب حتى يعرف موضعه فطلب فلما عرف مكانه رضي الأمير عنه، فلما قدم قرطبة ولاه الأمير صلاة الجماعة بقرطبة.

● منصب القضاء ومؤهلاته وصلاحياته

قال الخشني: فمن قدماء قضاة قرطبة الذين قضوا بها للأمراء العمال الولاة القواد قبل دخول الخلفاء رضي الله عنهم الأندلس مهدي بن مسلم، وهو من أبناء المسالمة من أهل الدين والعلم والورع، استقضاه عليها عقبة بن الحجاج السلولي.

يقول الخشني: ولي الأندلس عقبة ابن الحجاج السلولي، فكان صاحب جهاد ورباط وذا نجدة وبأس ورغبة في نكاية المشركين وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حينا، ويرغبه فيه ويبصره بفضله ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه، فيذكر أنه أسلم على يديه بذلك الفعل ألفا رجل، وكان قد اتخذ بالأندلس مقرا مدينة يقال لها «أربونة» وكان قد عرف مهدي ابن مسلم بالعلم والدين والورع فكان قد استخلفه على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها وكان قد عرفه مع ذلك بالبلاغة والبيان فلما أراد توليته قال له: اكتب عهدك عني لنفسك فكتب مهدي.

واللافت أن هذا الكتاب يعد من الوثائق التاريخية المهمة الفريدة في مادة تنظيم صلاحيات القضاء



ومؤهلاته وسلطاته... وفيما يلي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدي بن مسلم، حين ولاه القضاء، عهد إليه بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع مرضاته، في سر أمره وفي علانيته، مراقبا له، مستشعرا لخشية الله، معتصما بحبله المتين، وعروته الوثقى، موفيا بعهده، متوكلا عليه، واثقا به، متقيا منه فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(النحل :١٢٨).

وأمره أن يتخذ كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ إماما يهتدى بنورهما، وعلما يعشى إليهما، وسراجا يستضاء بهما، فإن فيهما هدى من كل ضلالة، وكشفا لكل جهالة، وتفصيلا لكل مشكل، وإبانة لكل شبهة، وبرهانا ساطعا، ودليلا شافيا، ومنارا عاليا، وشفاء لما في القلوب، وهدى ورحمة للمؤمنين.

وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح البلاد والعباد، وتولي القضاء، الذي رفع الله قدره، وأعلى ذكره، وشرف أمره، إلا لفضل القضاء عند الله، جل جلاله، لما فيه من حياة الدين، وإقامة حقوق المسلمين، وإجراء الحدود مجاريها، على من وجبت عليه، وإعطاء الحقوق من وجبت له. ولما رجا عنده فيما يمضيه، ويتقدم فيه، ويحكم به، من إيثار حق الله، عزوجل، وطلب الزلفى لديه، والقربى إليه، وأن يحاسب نفسه في يومه وغده، فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها، الباهظ عبؤها، فإنه محاسب وموعد وموعود. وأمره أن يواسي بين الخصوم بنظره واستفهامه ولطفه ولحظه واستماعه، وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلي به، ويستأني بكل عي اللسان، ناقص البيان، فإن استقصاء الحجة ما يكون به لحق الله تعالى عليه قاضيا، وللواجب فيه راعيا، فقد يكون بعض الخصوم ألحن بحجته، وأبلغ في منطقه، وأسرع في بلوغ المطلب، وألطف حيلة في المذهب، وأذكى ذكاء، وأحضر جوابا من بعض، وإن كان غير الصواب مرماه وخلاف الحق منحاه، فإن لم يتعاهد القاضي مثل هذا، ويجعله من القرابة إلى الله، عزوجل، بالتحفظ والتيقظ والاسترابة، والاحتراس من أهل الخب واللدد، والعناد، والتلبس بشهادات الزور وتحيف الحقوق، أهلك القوي الضعيف، واقتطع حقه وغلب عليه. وفي تقدم القاضي في النظر في ذلك، والمراعاة له، واحتساب ثواب الله فيه لإثبات الحق وإبطال الباطل ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾. (الإسراء:٨١) وأمره أن يكون وزراؤه وأهل مشورته والمعينون له على أمر دنياه وآخرته، أهل الفقه والدين والأمانة ممن قبله، وأن يكاتب من كان في مثل هذه الحالة المرضية، ممن في غير ناحيته، ويقابل آراء بعضهم ببعض، ويجهد نفسه في إصابة الحق، فإن الله، جل ثناؤه، يقول في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق محمد، عليه السلام: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ (آل عمران:١٥٩) وأن يكون حجابه وأعوانه ومن يستظهر بهم على ما هو بسبيله، أهل الطهارة والعفاف، والطلب لأنفسهم، والبعد عن الدنس، فإن أفعالهم منسوبة إليه، ومنوطة لديه، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب، ولم يعلق به ريب، إن شاء الله.

وأمره أن يديم الجلوس والقعود لمن استرعاه الله أمره، وقلده شأنه، وأسند الحكم له وعليه، ويقل السآمة منهم، والتبرم بهم، ويصرف إليهم قلبه وذهنه وشغله وفكره ولسانه بما يوسعهم به عدلا وإنصافا وإصلاحا واستصلاحا، فإن في ذلك قوة لمنتهم، وإحياء لتأميلهم وتحقيقا لجميل ظنونهم، وثقة منهم بورعه ونزاهته، وطيب طعمته، فإن فيهم الضعيف عن التودد، والزّمن الثقيل. وعليه في كل وقت التعهد ووهنا لأهل اللدد والفجور والتقحم في ملتبسات الأمور، وأن يكون قعوده لهم وتصرفه في النظر بينهم بنشاط وقلة فتور، ليكون ذلك أقوى له، وأتقن لما يحكمه ويبرمه، من سياستهم وتدبيرهم إن شاء الله. وأمره أن يسمع من الشهود شهادتهم على حقها وصدقها، ويستقصيها حتى لا يبقى عليه شيء منها، ومن المزكين تزكيتهم، ويكثر البحث والفحص عن أمورهم أجمعين، ويسأل عنهم أهل الصلاح والدين والثقة والأمانة والدعة، ممن يعرفهم ويبطن أحوالهم، ولا يعجل بإمضاء حكم حتى يستقصي



حجج الخصوم وبيناتهم ومزكيهم، ويضرب لهم الآجال، ويوسع فيها عليهم حتى تتجلى له حقائق أمورهم، وتتكشف له أغطيتها، فإذا أتى عليها علما وأيقنها إيقانا، لم يؤخر الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده، وعند من يشاوره من فقهائه. وأمره أن يطالع في كتبه في الحوادث التي يحتاج فيها إلى المؤامرات فيما أشكل عليه واستغلق له واحتاج إليه في النوازل، إبراهيم ابن حرب القاضي، ليرد عليه من ما يعمل به، ويمتثله، ويقتصر عليه، ويصير إليه، لتكون موارد أموره ومصادرها، ومبتدأ فواتحها (مصحوبة) بالتسديد، مقرونة خواتمها بالتأييد، إن شاء الله.

هذا عهدي إليك وأمري إياك، وإسنادي إليك ما أسنده، وتفويضي إليك ما فوّضت، فإن تعمل به مؤثرا رضا الله وطاعته، قائما بالحسبة، مؤيدا حق الأمانة، يكن حجة بين يديك وظهيرا لك، وإن لم تعمل به يكن حجة عليك. وإذن أسأل الله أن يعينك ويقويك ويرشدك ويوفقك ويسددك، إنه خير موفق ومعين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

على هدى من تلك الوثيقة يمكن القول: إن هذا النص يمكن أن يطلق عليه: «أمر التكليف بالمنصب وضوابط مباشرة القاضي سلطاته في الحضارة الأندلسية».

إذ إن توجيهات مصدر أمر تعيين القاضي في قرطبة مثلت . بحق . قفزة تطورية هائلة - بمقاييس ذلك العصر- لم تعرفها بل ولم تتوصل إليها حضارات الشرق الاقصى أو الغرب اللاتيني أو الأنجلوسكسوني، ذلك أن ما ورد من أصول ومؤهلات وضوابط وصلاحيات لمباشرة أعمال القضاء، أعيد صياغة كل هذا في نصوص المدونات القانونية النابليونية مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، والتي تردد صداها في المدونات القانونية اللاحقة وتعديلاتها.. ولعل من أهم المبادئ السائدة في نظم القانون المعاصر والتي تجد أساسها في الوثيقة السابقة ما يلي:

- تقرير مبدأ الشرعية النصية عند إصدار الأحكام.
- تقرير مبادئ أصولية في مجال العمل القضائي، مثل تنظيم الاختصاصين النوعي والمكاني للقضاة، ورقابة مشروعية على أعمالهم، وإتاحة الطعن بالنقض في الأحكام.
- التزام القاضي تطبيق النص على الواقعة وفقا لمبدأ تساند الأدلة وكفايتها.
- أن يحكم القاضي بناء على علمه مستأنسا بروح الحياد والشفافية.
- مبدأ منح القاضي سلطة تقديرية لتكوين آرائه على سند من تفنيد الأدلة ومواجهة الشهود.
- التزام القاضي بمهايأة مجلس القضاء لتحقيق طلبات الخصوم والدفوع المقدمة.
- الأخذ بنظام الجلسات وحق طلب التأجيل من أطراف النزاع.
- مبدأ اكتمال مجلس القضاء بالمستشارين من أهل العلم والفضل والتشاور معهم قبل إصدار الأحكام (المداولة).
- مبدأ تطبيق السوابق القضائية (وهذا ما أخذ به مجلس الدولة الفرنسي ونقله عنه القضاء الإنجليزي).
- مبدأ حياد القاضي وألا يضع نفسه موضع مخاصمة قضائية.

إن تلك المبادئ المشار إليها يمكن أن يتوصل إليها . من خلال التنظير والمقارنة المتأنية . خبراء القانون وشراحه والعاملون في مجالاته التطبيقية أمام المحاكم والدوائر القضائية المختصة.. ولعل السطور السابقة تكون قد أثبتت أن المبادئ التي وردت في هذه الوثيقة هي المصدر التاريخي الرئيس الذي استلهمت منه التشريعات اللاتينية والأنجلوسكسونية قواعد قانوني الإجراءات الجزائية والسلطة القضائية في مادة صلاحيات القضاء وسلطاته عند الفصل في الدعاوى المقامة أمام المحاكم المختصة. لقد جدر التنويه إلى هذه الحقيقة التاريخية والتي لا ينبغي أن تغيب عن ذهن فلاسفة وشراح علم القانون وتطوراته، في معاهدنا العربية. والله من وراء القصد.

مصادر

١- نفح الطيب، المقري ج ٢/ ٨.
٢- بغية المقتبس للضبي ٦١، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٠١.
٣- تاريخ علماء الأندلس لابن القرض ط، مجريط ١/ ٤٠٤.

خصائص شخصية الطفل واحتياجاتها

عبدالمجيد قاسم
باحث دراسات أسرية



يمتاز الأطفال بخصائص وسمات وقدرات ذهنية ونفسية ولغوية خاصة، وبأن لهم قوانينهم ومعاييرهم التي لا تتواءم إلا معهم، سواء كانت أساليب تفكير أو تعبير أو تواصل. تقول بام براون: «الأطفال يخلصون لقوانينهم.. قوانين يضعونها هم لأنفسهم». ومن أهم خصائص الأطفال السيكولوجية، أنهم فضوليون، دائمو التساؤل، ملاحظون حاذقون للأشياء، ميالون للاستطلاع والاستقصاء، تواقون لاستكشاف الحياة وارتياد المجهول، مسكونون بهواجس الخيال والغرابة، والتعرف على الأشياء الجديدة. وهم متميزون بسرعة التعلم، وتمثل القيم، والتفاعل الفطري البريء مع ما يتلقونه من المؤثرات في البيئة المحيطة بهم. إنهم مولعون بالقصص والتمثيل والفكاهة، ومواقف البطولة والشجاعة والمغامرة، ميالون إلى التقليد والمحاكاة وتقمص الشخصيات، وإلى الصور والألوان والرسوم، وكل ما يجذبهم ويحرك مخيلتهم ويبهرهم، وما يثيرهم ويتحدى عقولهم. وهم متذوقون للإيقاع والأنغام والألحان، تواقون لما يفرحهم ويجلب لهم المتعة والمسرة. كما أنهم يعافون - بطبيعتهم - الرتابة، ويمقتون أساليب التربية التي تقوم على ملء أذهانهم بالمعارف والنصائح النظرية.

يعد النمو أهم السمات الظاهرة في حياة الكائن البشري، ويتجلى في نواح عدة: جسمية، وعقلية، وحسية، ولغوية، واجتماعية. وتظهر أبعاده بشكل متصل ومترابط، إلا أن عملية النمو - عموما - لا تتخذ طابعا نمطيا واحدا، فالأطفال يختلفون باختلاف أطوار نموهم، وحسب المراحل الفرعية التي يعيشونها؛ إذ لكل منها خصائص متمايزة. كما أنهم يختلفون في درجة التأثر بالموروثات، وتمثل الثقافة والقيم السائدة، حتى أن مرحلة الطفولة نفسها تختلف من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر. ومع ذلك كله فإن «الطفولة» تشكل - بوجه عام - وحدة مترابطة، وكلا متتابعا متكاملا، لا حدود أو فواصل قاطعة بينها.

ولمراحل نمو الأطفال احتياجات مختلفة، تتصل بكل جوانب الشخصية الطفلية، ويؤدي تأمينها دورا مهما في تشكلها وتنمية مكوناتها. وتتنوع هذه الاحتياجات بحسب المرحلة التي يمر بها الطفل، وأهمها:

١ - الاحتياجات البيولوجية: كالحاجة إلى الهواء والماء والغذاء وإلى الراحة البدنية.

٢ - الاحتياجات العقلية والمعرفية:

كالحاجة إلى تنمية القدرات العقلية، واكتساب المهارات المختلفة، والحاجة إلى المعرفة والاطلاع، وإرواء الفضول، وإشباع الخيال، وإلى ما يبث فيهم روح التساؤل، ويستثيرهم، حسيا وتواصليا.

٣ - الاحتياجات النفسية: كالحاجة إلى الأمن والطمأنينة، والحب والحنان ودفء العاطفة، والحاجة إلى العمل والإنجاز والتفوق، والشعور بتقدير الآخرين واحترامهم.

٤ - الاحتياجات الاجتماعية: كالحاجة إلى الحرية والاستقلال الذاتي، وإلى الاتصال والمشاركة والشعور بالانتماء.

٥ - الاحتياجات الحركية، التي تتجلى في ميل الطفولة إلى الحركة والنشاط: كالحاجة إلى اللعب الذي يطور ذكاءهم، ويحرر طاقاتهم الانفعالية.

٦ - الاحتياجات الترويحية: كالحاجة إلى الترفيه والتسلية والتنفيس عن الرغبات المكبوتة، وإلى ممارسة الهوايات والنشاطات والفعاليات.

تنمية شخصية الطفل

الطفل كائن متفاعل مع البيئة الاجتماعية المحيطة، التي تعد أكثر العوامل تأثيرا في تحديد أنماط سلوكه، وبلورة أفكاره ونظرته إلى الحياة. فالشخصية الطفلية لا تتشكل مع الولادة، بل تكتسب بفعل المؤثرات من حولها، وتتبلور نتيجة تفاعلها معها. هذه المؤثرات يتلقاها في مؤسسات عدة، يستخدمها المجتمع في عملية التنشئة ولغايات التربية، وأهم هذه المؤسسات الأسرة، التي تعد البيئة التربوية الأولى التي ينمو فيها الطفل ويستمد احتياجاته منها، والمؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثيرا في تكوينه الجسمي والنفسي والاجتماعي. كما تعد المحيط التربوي الأهم الذي تتفاعل ضمنه مكونات شخصيته، حيث تتكون قدراته وملكاته، ويتشكل وعيه وسلوكه، وتتبلور ميوله واتجاهاته. والأسرة أيضا هي المعين الأول الذي يستقي منه عاداته، ويكتسب لغته ومهاراته، وحتى أساليب التعبير عن انفعالاته. وهناك مؤسسات اجتماعية أخرى تساهم في تربية الطفل إلى جانب الأسرة، كالمدرسة وجماعة الرفاق ووسائل الإعلام وغيرها.

والحقيقة أنه كلما كانت البيئة الثقافية غنية في عرض الخبرات؛ فإن الفرصة تكون أكبر لأن يكونوا أكثر اعتمادا على ذواتهم في تنمية قدراتهم والتعبير بحرية عن أفكارهم ومشاعرهم.. حقائق دفعت القائمين على تربية الأطفال إلى تهيئة العوامل والإمكانات لبناء الشخصية الطفلية المتوازنة، وإعدادها للحياة إعدادا مثمرا، لدرجة بات فيها هذا الاهتمام هدفا استراتيجيا وتنمويا لكل أمة تعي قدر ثروتها - في الطفولة - حق قدرها.

أدب الأطفال وخيال جمهوره

يؤدي الخيال دورا مهما في تطوير شخصية الطفل، فكرا وتعبيرا، وتأهيلا للقدرات التأملية والإبداعية واللغوية. في المقابل، تعد المقدرة على التخيل من أهم سمات هذه الشخصية. ومن يستطع إثارة خيال الطفل بما يهوى، باستطاعته إشباع بعض احتياجاته النفسية. فالخيال في القصة - مثلا - يشده إليها ويحرك أحاسيسه، ويتيح له فضاءات رحبة يحلق فيها ويتنقل في عوالمها. من جهة أخرى، يعد الخيال أهم أدوات أدب الأطفال، والتي لا تكتمل من دونه مقومات أي نص أدبي أو عمل فني. كما تتعدد صور توظيفه في هذا الأدب وتتنوع، كقصص الخيال العلمي، الذي يثري المعارف العلمية، وينمي القدرات العقلية.

ولأهمية الخيال وحساسية دوره في حياة الطفل، يضع د. هادي نعمان الهيتي في كتابه «ثقافة الأطفال» تصنيفا لمراحل الطفولة، مستندة إليه، وهذه المراحل هي:

- أولا: مرحلة الواقعية، والخيال المحدود بالبيئة (٣-٥ سنوات): يتأثر الطفل بعناصر بيئته - التي تتشكل من أفراد الأسرة، وبعض معارفه من الجيران والأقارب، والباعة الجائلين في محيطه - مستجيبا لتأثيراتها، ومشغولا بالكشف عنها.. لذا، تراه كثير التساؤل، شديد الفضول؛ لأنه يسعى لاكتشاف عالمه والوقوف على خفاياه. ويكون خيال الطفل في هذه المرحلة حادا؛ ولكنه محدود في إطار البيئة التي يحيا فيها، كما يكون إيهاميا.. فالطفل يتصور الدمية كائنا حيا.. يحدثها برفق ونعومة أو يغضب منها. أما ميل الطفل إلى المحاكاة فإنه يدفعه إلى تمثيل القصص التي يسمعها، وإلى تقليد الناس الذين يستغرب أعمالهم أو أشكالهم أو يستملحها.

- ثانيا: مرحلة الخيال المنطلق (٦-٨ سنوات): يبدأ الطفل في بداية هذه المرحلة بالتحول من التخيل المحدود بالبيئة، أو الإيهامي، إلى النوع الإبداعي أو التركيبي الموجه إلى هدف عملي، ويتميز الطفل - هنا - بسرعة نمو تخيله، وشدة تطلعه إلى الآفاق البعيدة.. لذا، يتبلور ولعه بالقصص الخيالية التي تخرج في مضامينها عن محيطه وعالمه.

- ثالثا: مرحلة البطولة (٨-١٢ سنة): ينتقل الطفل من مرحلة الواقعية والخيال المنطلق إلى مرحلة أقرب إلى الواقع. إذ يبتعد عن التخيل الجامح نوعا ما، ويهتم بالحقائق. كما يشتد ميله إلى الألعاب التي تتطلب مهارة ومنافسة.

- رابعا: مرحلة المثالية (١٢-١٥ سنة): ينتقل الطفل من فترة تتصف بالاستقرار العاطفي النسبي إلى مرحلة دقيقة وشديدة الحساسية، ويميل إلى القصص التي تمتزج فيها المغامرة بالعاطفة، وتقل الواقعية وتزيد فيها المثالية. وتتميز هذه المرحلة بسعة خيال الطفل، ولكنها ليست بالصيغة المنطلقة، ولا هي بالصيغة الفجة؛ إذ يتضح في أخيلته تزيين وزخرفة.



التدريب الأبوي بين النجاعة والنمطية

بشرى شاكر
باحثة مغربية

اعتدنا أن نلجأ إلى ذوي الاختصاص في العلوم الاجتماعية أو النفسية لحل مشاكل تخص الفرد والمجتمع المحيط به، وكذا اللجوء إلى علم النفس التربوي إذا تعلق الأمر بالطفل أو المراهق، وكيفية تعامل الأسرة والمدرسة مع هاته الفئات، أو كيفية دعم الطفل والمراهق لتجاوز مراحل حرجة، سواء في دراسته أو حياته أو بعض ما يعترضه من أمور مردها نفسي بالأساس.

إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأ العديد من الآباء يلجأون إلى ما يسمى التدريب Coaching، وهي تقنيات لا تعتمد مثل علم النفس الكلاسيكي، الإجابة على السؤال «لم؟»، فتبحث في الماضي وأسباب المشكل النفسي، وإنما تعتمد بالأساس على الإجابة على السؤال «كيف؟»، فهي تبحث حلولا للواقع والمستقبل بمعزل، في كثير من الأحيان، عن الماضي. وبالتالي هي تقنيات سريعة أكثر، ولكن في الحالات النفسية الحادة لا تعالج أساس العلة، فلا يكون لها نتيجة؛ لذلك تستعمل بالأساس للمساعدة على تجاوز حالة بسيطة، أو للمساعدة على التميز والتطوير الذاتي والسلوكي.

وقد ظهر التدريب أول مرة في أميركا في الثمانينات، ولكن كتدريب موجه للرياضيين، بحيث لم يعد الاهتمام منصبا على الإعداد الجسماني فقط، وإنما أيضا على الإعداد النفسي قبل أي مباراة، ثم طال بعد ذلك مؤسسات العمل، ثم المحيط العائلي.

وقد جاء التدريب الأبوي، أو «تدريب الوالدين»، بالأساس لمساعدة الأطفال على الثقة بالنفس والتنمية الذاتية، وتحفيزهم على الاستقلال في التفكير وتطوير مهاراتهم للحصول على نتائج دراسية جيدة، ولكنه توجه أيضا لمساعدة العائلة من خلال مساعدة الطفل، وبالمثل مساعدة هذا الأخير من خلال مساندة العائلة على فهم ما يمر



به الطفل، وكيف تتم مساعدته وتحفيزه على الدراسة والعمل من دون أن يشكل ذلك حصارا له، أو حدا من حريته واستقلاليته.
وتيرة الحياة السريعة والأحداث المتلاحقة وانتشار الوسائل التكنولوجية، التي أصبحت سيفا ذا حدين بالنسبة إلى الطفل حتى باتت إدمانا لدى البعض، لا يستفاد منها بقدر ما يهدر بها الوقت، جعلت المدارس أيضا تهتم بجانب التدريب النفسي للطفل، فأصبحت جل المدارس الحديثة لها مدرب أو «كوتش» خاص، يحاول تأطير الأطفال وحثهم على تقنين ساعات عملهم على الإنترنت، وتحفيزهم على الاستفادة منها عوضا عن إهدار الوقت، ويبعدهم عن إدمان هاته الوسائل الحديثة؛ لكي لا تشكل تحولا مرضيا، كما يبحث في أسباب الفشل الدراسي لدى بعضهم.
إلا أن التدريب الأبوي ليس موجها للأطفال فقط، ولكنه أيضا للعائلة ككل، فيمكن أن يساهم في تحسين علاقة أم مطلقة حديثا مثلا، مع نفسها أولا، فتصبح أكثر ثقة بنفسها وتنمي ذاتها لتستطيع الخروج من المرحلة الجديدة التي تمر بها بسلام أكبر، فتكون بذلك مؤهلة لتتابع أحوال أبنائها بتربيتهم بشكل سليم، ويمكن أن يكون وسيلة لتقارب الرؤى بين أبوين منفصلين وأبنائهم لتعاون أمثل لمصلحة هؤلاء.
المدرب عادة ما يتدخل مع بداية الإحساس بالحاجة إلى المساعدة، ولا يتدخل لحل معاناة نفسية، فهو لا يعطي حلولا، وإنما يرافق الشخص نحو أهداف يريدها الشخص نفسه بتمكينه من بعض الوسائل التي يمكن استعمالها، وكما يقول أحد الاختصاصيين الفرنسيين «إن المدرب هو ببساطة شخص يرى فرصا يمكن استثمارها، حيث يرى الآخرون عراقيل تعوقهم».
والمدرب العائلي والأبوي يحاول إعطاء ما يمكن تسميته «مشروع حياة»، أي خطة تمشي عليها العائلة والأطفال بمعية القطب الآخر المهم، وهو المدرس؛ ليحرز الكل نجاحا أكبر، وتنمية شبه مكتملة، وإحساسا بالارتياح والرضا للنتائج.
غالبا ما يكون المدرب مكونا في مجال علم النفس التربوي وعلوم التربية، وليوصل معلوماته بشكل أفضل وسلس فمن الأفضل أن يكون مكونا في تقنيات التواصل أيضا.
ولكن ليس كل مدرب يمكن أن نثق به ونسلمه مقاليد أطفالنا، فجميعنا نرى، وأكيد أن البعض فينا قد صادف وولج بعض الدروس «النمطية» لبعض المدربين، وهي دروس أحيانا تكون نظرية وتحفيزية وتنمي الثقة في النفس، ونادرا ما تنمي المهارات، لأن تنمية هاته الأخيرة تستوجب تقنيات أخرى، مثل دينامية الجماعات، نظامية الجماعات أو بعض تقنيات البرمجة اللغوية العصبية، ولكن من الملاحظ أن بعضها لا يساعد مطلقا في تنمية الثقة في النفس، ولكن تكون بمنزلة دروس موحدة لأشخاص متبايني التفكير والتركيز والقدرات، فتصبح وكأنها عملية تنسيق دماغي تدفع الأشخاص، خصوصا الأطفال إلى محاولة أن يكون بعضهم مثل بعض، فيقومون بالأشياء نفسها، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى حصر قدراتهم على التميز والإبداع والابتكار، وهو ما نبه إلى خطره الفيلسوف بيير لو كوز والمحلل النفسي رولاند غوري في مؤلفهما «إمبراطورية المدربين.. شكل جديد من أشكال السيطرة الاجتماعية».
لذلك، وجب توخي الحذر عند اختيار مدرب ما، خصوصا إن كان عمله مع الأطفال؛ لأنهم في عمرهم هذا أكثر تأثرا بشخص يرونه أعلم منهم وأكبر منهم سنا... ومن الأفضل أن يكون المدرس المعتمد بالمدرسة نفسها؛ لأن نتائج مرافقته للأطفال أكيد سوف تبرز على البعض، وإن كان مكونا في علم النفس التربوي فذلك افضل؛ لأنه لا يهتم بكيفية توصيل ابنكم إلى ما يريده وتريدونه له فقط، ولكن سيراعي نسبة ذكائه وطاقته ومهاراته واحتياجاته النفسية وأيضا الجسدية.



من تحديات الأسرة المسلمة في المهجر:

تربية الأطفال على السلوك القويم

د. محمد أبجطيط
باحث دراسات تربوية

تنبني الأسرة المسلمة على مجموعة من المقومات والأركان، التي تشكل ذلك الصرح العظيم المتين الذي يعجب الناس من منظره. ومتى سقطت هذه المقومات والأركان، سقطت معها جدران بيت الأسرة كلها، وهوت على رؤوس كل أفرادها.

وأقصد هاهنا بالمقومات والأركان، تلك الواجبات والحقوق الزوجية المختلفة، التي يقسمها علماء الشريعة عادة إلى: حقوق للزوج، وحقوق للزوجة، وحقوق مشتركة بينهما؛ مسيجة بالآداب والأخلاق العامة التي يجب أن تسود كل بيت مسلم.

وسأقتصر في هذه الدراسة على حق رعاية الأطفال وتربيتهم على السلوك القويم، وهو من الحقوق المتبادلة بين الزوجين، مسلطا الضوء على بعض التحديات والمشاكل التي تحول دون التمتع بهذا الحق في المهجر (فرنسا نموذجا، أو تلك البلدان المماثلة التي يعيش فيها المسلمون أقلية) وصولا في الأخير إلى بعض الحلول أو المقترحات في الموضوع.

فالشريعة الإسلامية اهتمت بالطفل عناية فائقة؛ باعتباره كائنا مهما داخل الأسـرة، فتكفلت بحمايته بمجموعة من التشريعات التي تضمن له العيش الكريم، والتنشئة الصالحة؛ بدءا من قبل ميلاده، وذلك باختيار الزوجة الصالحة التي ستكون أما له في المستقبل؛ مرورا بكونه جنينا في بطن أمه، ثم عند ولادته وبعدها، فأوجبت له: الرضاعة والغذاء مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة:٢٣٣).

واختيار الاسم الحسن له بتوجيه من رسول الله ﷺ في قوله: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» (١).

والحق في العقيقة، والختان الذي يعتبر من أبرز الشعائر التي يتميز بها المسلم عن غيره.

ولعل أهم ما حرصت عليه الشريعة الإسلامية حفظ هوية الطفل ونسبه لقوله تعالى:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥).

وقد حرمت الشريعة الإسلامية قتل الطفل أو إلحاق الضرر به؛ قال

تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ﴾ (الإسراء:٣١)، ومنعت ما كان سائدا في الجاهلية من وأد البنات مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩).

وتتجلى شمولية المنظومة الدينية في حماية الأطفال في التكفل بالأطفال الذين لا آباء لهم، حيث دعت الشريعة الإسلامية إلى الرفق بهم، ومعاملتهم بالمودة والرحمة، والعطف عليهم، ومنع إيذائهم ولو بمجرد النظرات القاسية حتى لا يشعروا بالإقصاء والتهميش، كما أوصى الله تعالى بالمحافظة على أموالهم.

وهكذا فقد جاء الإسلام بمنهج متكامل ينظم مختلف نواحي حياة الطفل، بيد أن هذه قيم ومبادئ كبرى، تتصادم مع ما هو مقرر في المناهج التعليمية في البلدان الأوروبية، التي تتبنى غالبيتها فصل الدين عن الدولة؛ وذلك على مستوى العقيدة، وعلى مستوى الأخلاق.

وعليه، يتم التركيز على محو الثقافة التربوية، والعقيدة الإسلامية، والأخلاق المثلى من ذهنية الأجيال المسلمة الصاعدة؛ فأينما توجه الطفل إلا وتراه محكوما بسلطة لا مرئية، يتخبط في ظلامها الدامس خبط عشواء، فهو في كل نواحي الحياة محكوم بمنطق الاغتراب عن الدين والأخلاق، وعن أصالته وإنسانيته، وكان ذلك منذ اليوم الأول الذي رضخت فيه الأسرة المغربية لنظام التعليم الغربي ولنظم التربية الغربية (٢). هذه النظم التي تقوم برامجها ومناهجها بالدرجة الأولى على أساس إقصاء المفاهيم الأخلاقية من المقررات الدراسية، فهي تعمل مثلا على:

■ منع وحظر الرموز الدينية في المؤسسات التعليمية: ومن هذه الرموز الحجاب مثلا؛ فقد

أصدرت فرنسا سنة ٢٠٠٤م قانونا يمنع وضع أي علامة، أو ارتداء أي شيء من شأنه الدلالة على الانتماء الديني للشخص، داخل قاعات التدريس، ومراكز الأبحاث، ومختبرات معاهد وجامعات التعليم العالي العام. والقانون نفسه مازال يطبق إلى اليوم، فأول شيء يبدأ به عند استقبال كل سنة دراسية، تعليق القانون على جدران المؤسسات ليقرأه كل طالب ويلتزم به.

■ على مستوى العقيدة: نجد أبناء الجالية الإسلامية في مدارس عديدة يدرسون ما يسمى عندهم بـ «نظرية التطور» أو «النظرية الداروينية»، رغم أن هذه النظرية مجرد هراء، ومخالفة للمنطق، لكن مازالت تحتل مكانة رسمية في مناهج المدارس والجامعات، في معظم دول العالم اليوم، ولا يمكن لأي طالب أن يجتاز مادة علم الأحياء إذا أجاب في الامتحان بأنه لا وجود للتطور.

■ على مستوى الأخلاق: من النادر جدا في أوروبا أن تجد فتاة مسلمة وصلت لسن الثامنة عشرة وهي عذراء، والسبب في ذلك أن التعليم إجباري في أوروبا لمدة عشر سنوات، والمدرسة كفيلة في هذه السنوات العشر بألا تبقى الفتاة عذراء إلى هذه السن؛ فهناك الاختلاط بين البنين والبنات، ثم دروس السباحة المختلطة، ثم الجو المشحون بالتعري والتفحش، وأخيرا نظرة الأخلاق والأهل والمدرسين التي اجتمعت في تحسين الزنا والتشجيع عليه (٣).

أما التربية الجنسية، فتدرس للتلاميذ في فترة مبكرة، وبشكل معمق ومغر، وتعرض أمامهم شتى الطرق المتخذة لمنع الحمل، مع الصور الموضحة لهذه الطرق والأدوات. مع أن المسلم الذي يريد البحث في قواعد التربية الجنسية، عليه أن يضع في مقدمة البحث أن كل ما يتعلق بالعلاقات الجنسية إنما يجري ضمن العائلة في إطار الزواج الشرعي، وأن يؤكد على أهمية العائلة ودورها في بناء المجتمع، وأهمية الأخلاق والحشمة Decence، وعلى الأخطار الناجمة عن العلاقات الجنسية خارج الإطار الزوجي.

والمسلمون الذين يعيشون في هذه المجتمعات الغربية، هم أكثر الناس حاجة لمثل هذا النوع من التربية والتوجيه في هذا المجتمع الذي يعيش حياة حرة إباحية، تسمح بالسلوك الجنسي المتحرر من كل الضوابط المتنافية مع التعاليم الإسلامية (٤).

في الختام نقول: إزاء هذه المشاكل والتحديات التي تعاني منها الأسرة المسلمة في أرض المهجر، نخلص إلى ضرورة التأكيد على ما يلي:

■ أخذ العبرة والدروس مما آلت إليه الأسرة في الغرب، من تفكك وانحلال؛ وذلك نتيجة حيادها عن المساكنة الزوجية الشرعية، واستبدال المعاشرة الحرة بها.

■ الدور الكبير الذي تلعبه الأسرة في مسار التطبيع الاجتماعي؛ فالأسرة هي المهد الأول للمعرفة، حيث يتسلح الطفل برصيد معرفي ثقافي يكون رافدا له في الحياة.

■ الوعي بتأثيرات البيئة الاجتماعية، بما تحمله من عوامل إيجابية وأخرى سلبية.

■ المفاهيم التربوية والعادات الأسرية التي حاول الآباء نقلها إلى أبنائهم. وهذه المفاهيم والعادات ليست كلها مبنية على خلفية إسلامية، بل إن بعضها قد يكون منافيا للإسلام، وإن نسبت إليه، فلابد أن نميز لدى أجيالنا الجديدة بين ما هو عائد إلى أسس الإسلام وأحكامه، وبين ما هو عادات موروثة لا سند لها من الدين، حتى لا نضطر كثيرا من أبنائنا إلى الثورة على عادات خاطئة تقدم لهم على أنها من الإسلام.

الهوامش

١- رواه أبوداود في سننه، الحديث رقم٤٩٤٨.
٢- الإشكالية النفسية للطفل/الشاب الأوروبي المغربي في أفق ٢٠١٥م، أحمد البكاوي، ط الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٦٦.
٣- المرجع السابق.
٤- المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العدد السابع والثامن والتاسع، ص١١١.

من قواعد التربية الإيمانية للأبناء

تربية الأبناء أهم رسالة للأبوين في الحياة، وقد جعلها الرسول ﷺ مقدمة على الصدقة، قال ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع» (رواه الترمذي)،

وقال ﷺ: «وإن لولدك عليك حقا» (أخرجه مسلم)

وإن الثمرة المرجوة لنشأة البيت المسلم هي إيجاد الذرية الصالحة من البنين والبنات، ولهذا شدد الإسلام على حسن تربية الأولاد، وهي من أكبر التحديات التي تواجه الأبوين في هذا الزمان مع وجود عوامل كثيرة مؤثرة في سلوكات الأبناء، مثل الأصدقاء والأقرباء، الجيران، المدرسة، الشارع.. ووسائل الإعلام لها تأثير على الطفل بشكل كبير وخطير؛ لذلك علينا أن نغرس في أبنائنا الأخلاق والآداب الإسلامية التي من هدفها الوقاية والحيلولة دون التأثير عليهم سلبا.

ولهذا يجب أن يكون الأب حذرا في تصرفاته أمام أولاده وأن لا يأمرهم بأمر لا يأتيه هو، أو أن ينهاهم عن أمر ويأتيه، عن الحاطب قال: سمعت ابن عمر يقول لرجل: «أدب ابنك فإنك مسؤول عن ولدك ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وإنه لمسؤول عن برك وطواعيته لك»، ولا ننسى أن ثمرة التربية الإيمانية للأبناء يمتد أثرها بعد وفاة الأبوين، قال رسول الله ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، ولذلك فإن الإسلام حمل مسؤولية تربية الأبناء للوالدين وحضهما قبل غيرهما بهذا الواجب، وجعلها أمانة في أعناق جميع الآباء والأمهات لغرس الإيمان في نفوس الأبناء.. قال ابن القيم: وصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ (الإسراء:٣١) ثم يقول: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا.. كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا.

إن القدوة الحسنة وعدم مخالفة الفعل للقول من صفات المربي الناجح، وقد كان السلف الصالح يتعهدون أبناءهم متمنين أن يكونوا طائعين لله، وخير خلف لهم.. وقد قال أحد الصالحين: «يا بني إني لأستكثر من الصلاة لأجلك».

إن مسؤولية الأبوين الالتزام بمنهج التربية الإسلامية كما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة، ولنا في فعل النبي ﷺ ومنهجه في تربية الأطفال الأسوة الحسنة، قال الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب:٢١).

والتأديب والتربية على الأخلاق الحسنة من حق الأولاد على آبائهم، قال رسول الله ﷺ: «ما نحل والد ولدا نحلا أفضل من أدب حسن»، ومن أشكال التأديب تعليم الأطفال منذ الصغر النطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وإفهامهم معناها عندما يكبرون، وأيضا من أساليب التأديب غرس محبة الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما وتعويدهم على الصدق قولا وعملا بألا نكذب عليهم ولو مازحين، وإذا



سليمان خالد الرومي
سكرتير التحرير

وعدناهم فلنوف بوعدنا، وأيضا غرس العقيدة الصحيحة في الله وأسمائه وصفاته، والتأكيد على قضية الإيمان والتوحيد. وكذلك غرس عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره وغرس عقيدة اليوم الآخر وما فيه من حساب وصراط وجنة ونار، فعن ابن عباس رضي الله عنهما وقد كان غلاما صغيرا، قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

على الأب أن يعلم الأطفال آداب الاستئذان في الدخول، وأن يعدل الوالدان بين أولادهم، واختيار الصحبة الصالحة لهم، وقد حث الإسلام على صحبة الصالحين والأخيار «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» ففي تخير الأصحاب الصالحين للأبناء حماية لهم من الوقوع في الانحراف والبعد بهم عن مزالق السوء، كما أن من مسؤولية الأب توفير أسباب اللهو واللعب المفيد من سباحة ورماية وركوب الخيل.. فهذا يكسب الأطفال الثقة بأنفسهم فيشبون على تعلم مهارات كثيرة إذا كبروا.

بين الربيع.. والخريف..

د. بثينة الفقي
استشارية أسرية

ما أقسى الأنانية والرغبة في السيطرة لو أفسدت حياة أقرب الناس إلينا.. فهذه هي قصتي يا سيدتي، وسأرويها لك منذ البداية، فأنا الابنة الصغرى لوالدين متقاعدين، ولدي أخوان يعملان ويعيشان بالخارج، وقد نشأت في أسرة طيبة ميسورة الحال وأمضيت سنوات تعليمي بتفوق دون أن أسمح لأحد بالدخول إلى حياتي سوى من سيكون زوج المستقبل، وقد وعدني والدي بمشروع يكون في مجال تخصصي بعد الانتهاء من دراستي وبدأ في اتخاذ الإجراءات الفعلية لذلك، وجعل مقره قريبا من بيت أسرتي لأتمكن من المرور عليهما ورؤيتهما، وبعد الانتهاء من دراستي تقدم لي شاب ممتاز ومن أسرة مثل أسرتنا، ووجدت فيه صفات الزوج المناسب رغم بعض المشكلات الصغيرة أثناء الخطوبة، مثل إصراره على أخذ رأي والده في أشياء تخص إعداد بيتنا وترتيبات الزفاف وغيره، وفسرتها آنذاك باحترامه وتقديره لوالده.

ثم تزوجنا وعدنا بعد شهر العسل لأتسلم هديتي ومشروعي من والدي كما وعدني، وبدأت العمل بهمة ونشاط، وحققت نجاحا في شهور، وسعد زوجي بذلك، حيث لم أقصر في أمور بيتي أو أهمله، حتى فوجئت يوما بزوجي يطلب مني بإصرار إنهاء المشروع أو تسليمه لوالدي والبقاء في البيت مثل والدته وأخواته، وبدعوى أنني لست بحاجة للعمل وأنه تحمل كثيرا الإحراج من عائلته بسببي، وذهلت لما يقوله وحاولت مناقشته أو تفهم أسباب ذلك دون جدوى، وأخبرت والدي ليكون حكما بيننا فلم يقتنع زوجي وثار وأهانني أمامه، بل تشاجر مع والدي، الأمر الذي أدى لطرده خارجا، وتركني في بيت أسرتي، وحاولت الاتصال بوالدته وأخواته فاخبرنني أن هذا قرار وأوامر والده، ولا يمكن لأحد أن يرد له كلمة أو يناقشه..

لقد اكتشفت أن من يدير حياتنا هو والد زوجي بسيطرته وجبروته حتى لو تحطم زواجنا فلا يهمه، لقد خيرني زوجي الآن بين أمرين: إما إنهاء مشروعي والبقاء في البيت مع مقاطعة والدي أو الطلاق.. فماذا أفعل؟

ولصاحبة هذه الرسالة أقول: كم أتعجب من تفكير هذا الوالد الغريب، وكيف يسعى للسيطرة على حياة غيره واستنساخ نماذج إنسانية ضعيفة الشخصية وهشة ومسلوبة الإرادة ولا تجيد سوى الطاعة العمياء مثلما فعل بزوجته وبناته وابنه الذي يعاني من الصراع بين طاعته لأوامر والده والذي يشترك معه في مجال العمل، وبين حبه وسعادته مع زوجته الناجحة في بيتها وعملها وعلاقاتها مع الجميع.

أنت امرأة بارة بوالديك ولا ينبغي لأحد أن يمنعك من زيارتهما وتلبية طلباتهما بعد أن اهتما بك ورбياك، وحان الوقت للاهتمام بهما ورعايتهما بعد تقدمهما في العمر، كما يرعى زوجك والديه وأخواته.. المشكلة يا سيدتي ليست في مشروعك ولا علاقتك البارة بوالديك، بل في شخصيتك المستقلة وتفكيرك الناضج وأسلوبك الراقي في الحوار والإقناع واستقلالك ونجاحك المهني في وقت قصير، وخوف هذا الأب من خروج ابنه من بين يديه وتأثيرك عليه.

أما بالنسبة لتهديد زوجك وتصلب رأيه وعناده معك فليس إلا ليظهر بمظهر الرجل القوي أمامك. وإن كنت أرى بعض الضعف في شخصيته والذي يغلفه بهذا القناع، وربما يرجع ذلك لنمط تربيته والذي ظهرت بعض علاماته في أيام الخطوبة، وهذه مسألة وقت معه، وعموما أرى عدم التسرع في اتخاذ القرار والتفكير بهدوء وبدون انفعال، وحاولي أن تتقابلي مع زوجك بمفردكما وفي مكان عام، وتتحدثان معا عن حياتكما المشتركة ومستقبلكما معا عبر الحوار والاستماع بهدوء للآخر، وأيضا حاولي امتصاص غضبه عن المشكلة التي حدثت مع والدك وإصلاح الأمور والوصول لحلول وسط، لعله يقتنع، فهو مازال يحبك ومتمسكا بك، لكن لا يعرف كيف يحل الأمر مع نفسه ومعك ومع والده.

وأقول لزوجك: إن الحياة الزوجية ليست أوامر وشروطا وسيطرة طرف على الآخر وليست استبدادا بالرأي، بل هي رحمة ومودة وسكينة وحب وتفاهم وحياة مشتركة؛ حتى تظلل السعادة حياة الأسرة وتكبر وتستمر طوال العمر.

ولكن يظل السؤال: لم يحكم على حياة زوجية سعيدة بالفشل والانهيار من أجل عقول مظلمة ونفوس تهوى السيطرة والاستبداد؟ وفي النهاية القرار لك سيدتي.. تحياتي..

مملكة الحب.. «احذر كلماتك»

البعض لا يهتم بما يطلقه من كلمات وعبارات أثناء الغضب، ولا يدري أنها سهام تنطلق لتصيب المشاعر وتترك أثرا وألما لا يمحوه الزمن، فحتى لو اختلفت مع شريك الحياة، فحاول ألا تلقي بالكلمات الجارحة وتؤلمه، فقد تتصالحا وتصفو النفوس وتعود المياه إلى مجاريها، ولكن يظل أثر ما قيل ندبات تؤلم في القلوب..

آخر الكلام

بقدر الإحساس بالألم.. نتعلم الدرس جيدا ولا ننساه.



«حيدر أباد» تظل شاهدة على عطاء الحضارة الإسلامية ومجدها!
«الدولة المغولية» صاحبة أعظم تراث معماري عرفته الدنيا!
متى ينسى المسلمون خلافاتهم المذهبية ليستعيدوا مكانتهم بين الأمم؟!

من شواهد حضارة المسلمين في الهند

مدينة «حيدر أباد»

نجاح إبراهيم منصور
كاتبة صحفية

بالرغم مما أصاب المسلمين المعاصرين من محن وهزائم سياسية وعسكرية؛ فإنهم مازالوا يحنون إلى مجد أسلافهم التليد، ويتوقون إلى انتعاش حضارتهم الإنسانية الربانية لتسود العالم، وتقود زمامه إلى شاطئ الأمان.. فأينما قلب الإنسان بصره - يمينا أو شمالا - يجد شواهد الحضارة الإسلامية وبراهينها واضحة للعيان. وهنا نشير - فقط - إلى جانب من جوانب عظمة حضارة المسلمين في الهند، والتي ضمتها مدينة «حيدر أباد» التي يفد إليها ملايين السياح من أنحاء العالم. فما هي «حيدر أباد»؟ وأين تقع؟ ومن الذي أسسها؟ وما هي أشهر معالمها التاريخية؟

حكاية حيدر أباد!

«حيدر أباد» هي مدينة هندية أنشأها السلطان محمد قولي عام ١٥٨٩م، وكانت عاصمة ولاية حيدر أباد من ١٩٥٠م إلى ١٩٥٦م، ثم أصبحت فيما بعد عاصمة ولاية أندرابرادش. وتقع المدينة على نهر موسى على بعد نحو ٥٠٠كم شمال غربي مدينة مدراس. ومدينة حيدر أباد مدينة مكتظة بالسكان، حيث يبلغ عدد سكانها ٣،٠٩١،٧١٨ نسمة، أما عدد سكان منطقتها الحضرية فيبلغ ٥،٣٣٥،٦٤٠ نسمة. وتعد مركزا مهما للثقافة الإسلامية، وبها العديد من المتاحف والكليات ومراكز الأبحاث وثلاث جامعات، ويعيش في المدينة المسلمون والهندوس، وأقلية من النصارى. وغالبية السكان يتحدثون لغة تليجو والأردو. وبها العديد من المصانع التي تنتج الدقيق والزجاج والورق، والسكك الحديدية والنسيج، وتربطها الطرق البرية والحديدية والجوية بمدن بومباي، وكلكتا، ودلهي، ومدراس.

نظام حيدر أباد

المهم أن دولة «حيدر أباد» كانت تقع في جنوب - وسط شبه القارة الهندية من ١٧٢٤م حتى ١٩٤٨م حكمها نظام وراثي. وأثناء تقسيم الهند في ١٩٤٧م، أعلن نظام حيدر أباد نواياه بعدم الانضمام إلى أي من الكيانين المشكلين حديثا الهند أو باكستان. الهند أحست بالمشكلة التي قد يؤدي إليها موقع النظام، فأطلقت العملية

بولو التي نتج عنها امتصاص حيدر أباد في الاتحاد الهندي في ١٩٤٨م.

ويقع نظام حيدر أباد في هضبة الدكن في وسط الهند. وفي عام ١٩٤٨م كانت مساحته ٣٥٠،٠٠٠ ٢كم. وقد أصبح في القرن العشرين إقليما مغلقا لا منفذ له على البحر، وعاصمته مدينة حيدر أباد، ويطلق عليها أحيانا حيدر أباد الدكن، تمييزا لها عن حيدر أباد السند في باكستان.

متحف معماري

مدينة حيدر أباد التي أسست على ضفاف نهر موسى عام ١٥٩١م على يد السلطان محمد قولي خامس سلاطين أسرة قطب شاهي، تعد أشبه بمتحف معماري لا نظير له على الإطلاق! وفي عام ١٦٨٥م سقطت المدينة بأيدي المغول المسلمين، حكام الهند آنذاك، فأنشأوا منصبا عرف باسم «نظام الملك» يعين فيه حاكم على حيدر أباد. استغل أحد أنظمة الملك ويدعى قمر الدين، ومع الضعف الذي دب في أوصال الإمبراطورية المغولية الهندية وأعلن استقلاله عن الإمبراطور محمد شاه عام ١٧٢٤م. وقد تجنب الأخير المواجهة معه واعترف بالأمر الواقع ومنحه لقب «آصف جاه» له ولورثته. وقد شملت الأراضي التي سيطر عليها آصف جاه مناطق واسعة في هضبة الدكن بالإضافة إلى مدينة حيدر أباد التي أصبحت عاصمة الدولة الناشئة. ومع اشتداد التدخل الإنجليزي والفرنسي في الهند، وقع نظام الملك علي عام ١٧٩٨م اتفاقية مع الإنجليز تقوم بموجبها حكومة لندن بإدارة الشؤون الخارجية للنظام مقابل حماية نظام الملك وأراضيه من جيرانه؛ وكان على الأخير أن يساهم ماديا في تغطية مصاريف القوات الأجنبية الحامية والمرابطة في أراضيه. وقد ظل نظام الملك حليفا للإنجليز حتى اندلاع التمرد الهندي ضدهم عام ١٨٥٧م.



آخر نظام

وفي ١٥ أغسطس ١٩٤٧م انسحبت بريطانيا من شبه القارة الهندية وأعلن عن إنشاء دولتين مستقلتين فيها، الهند وباكستان. وكانت شبه القارة مقسمة عشية الاستقلال إلى حوالي ٦٠٠ إقليم وولاية ووحدة حكم. وبينما انضمت بعض «وليس كل» الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان، فقد كان لولاية حيدر أباد وضع خاص، فعلى الرغم من أن المسلمين قد شكلوا حوالي ١٠٪ من سكانها البالغ عددهم ١٣ مليون نسمة فإن حاكمها المسلم، أي نظام الملك، عقد اتفاقية مع الحكومة الهندية عام ١٩٤٧م عرفت باتفاقية الإبقاء على الوضع الراهن «Stand Still Agreement» جمد خلالها موضوع الالتحاق بإحدى الدولتين على أن يبت في مستقبل الولاية لاحقا، مع العلم أنه كان يفضل الانضمام إلى باكستان. وطبقا لهذه الاتفاقية يتبادل الطرفان الممثلين الدبلوماسيين وتؤمن الهند للولاية ممرا حرا عبر أراضيها. لكن الهند تجاهلت هذه الاتفاقية وابتلعت الولاية في سبتمبر ١٩٤٨م فيما أسمته العملية بولو Operation Polo. ومع دخول الجيش الهندي إلى الولاية أبيد حوالي ٢٠٠،٠٠٠ مسلم على أيدي عصابات هندوسية مسلحة. وقد تم ذلك في ظل صمت حكومي مطلق وتعتيم إعلامي. رفعت حكومة نظام حيدر أباد قضيتها إلى الأمم المتحدة حيث لاتزال إلى يومنا هذا على جدول أعمالها، ولكن من دون جدوى. وهكذا انقضى نظام حيدر أباد.



عجائب المدينة

لاتزال مدينة حيدر أباد مملوءة بالعجائب المدهشة، من ذلك، أن بها أكبر شاشة عرض «سينما» في العالم! كذلك بها أكبر مدينة إعلامية هي مدينة «رامو جي للاستديوهات». وبها أفضل وأعظم استديو للأفلام المتحركة في الهند. وبها أكبر مركز معارض في الهند. وبها أكبر شركة عقارية بالهند.

لكن يظل أعظم معالمها التاريخية والأثرية: مسجد المنارات الأربع، وجامعة العثمانية، ومستشفى العثمانية، وقصر العدل، وقصر جومحل، وفلك ناما أو مدينة السماء، ومتحف نظام الملك، وجهار منار، وغير ذلك من المتاحف العالمية.

فهل يعي المسلمون الدرس، ويعلموا أن لهم دينا، وحضارة مستهدفة؟ إنهم ما لم ينبذوا الخلافات التاريخية والصراعات السياسية والمذهبية المفتعلة بينهم؛ فلن يستعيدوا مجدهم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج:٤٠).



إعداد : خالد خلاوي

أخصائي التخاطب مدحت العطار:

احذروا السخرية أو الشفقة مع ذوي الاحتياجات الخاصة

مدحت العطار، أخصائي تخاطب وصعوبات تعلم، لديه حب شديد للأطفال بشكل عام، ولذوي الاحتياجات الخاصة ومتحدّي الإعاقة بشكل خاص، وبعد سنوات من الخبرة والتمرس في هذا المجال أنشأ مركز «علمني» للتعامل مع متحدِّي الإعاقة وذوي الاحتياجات الخاصة، ولأهمية موضوع صعوبات التعلم بالنسبة للوالدين كان للوعي الشبابي معه هذا الحوار:



• متى يدرك الوالدان أن ابنهما يعاني من صعوبات في التعلم أو بحاجة إلى اللجوء لأخصائي تخاطب؟

- هناك أشياء تبدو من سن صغير جدا، مثل تأخر النمو بشكل عام، وهذا يحتاج إلى ملاحظة الأم بشكل قوي، فهذا يبدو كمؤشر، لكنه ليس شيئا أساسيا، وهنا على الأم أن تعرضه على أخصائي أطفال في البداية، وتتابع معه صحيا، فالأمر يعتمد على إحساس الأم، وحينما يصل الطفل إلى سن ثلاث سنوات، تبدأ علامات أخرى مثل رفضه الذهاب للحضانة، طريقة إمساكه بالقلم، عدم تركيزه وتشتته، وهذه الأشياء تظهر أكثر كلما زاد في السن.

• كيف ترى نظرة المجتمع لمتحدِّي الإعاقة أو من يعانون من مشاكل في التخاطب أو التعلم؟

- هي مجموعة نظرات، فهناك من ينظر بسخرية، وهناك من ينظر بعطف، وهناك من ينظر بإحسان، وهناك من يتحرك لعمل شيء للمساعدة الفعالة، فالنظرات مختلفة لكن بشكل عام لدينا «كلام كثير يقابله فعل قليل»، فمنذ فترة ليست بالقصيرة نطالب بأن يكون هناك توعية ودمج في المجتمع، وهذا يتم بصورة غير علمية، فليس معنى الدمج مجرد إنشاء فصل في المدرسة خاص بذوي الاحتياجات الخاصة، بل هل أصلا المدرسون مؤهلون للتعامل معهم بطريقة تناسبهم؟، وهل الأطفال الطبيعيون لديهم التأهيل النفسي للتعامل مع متحدي الإعاقة بشكل طبيعي، وكنا نطالب بوضع مادة توضح أن الأطفال أصحاب الإعاقات سواء العقلية أو الجسدية، هم شركاء في الوطن ولهم الحقوق والواجبات وأنهم أفراد فعّالون، وأنه لا يسمح بالسخرية منهم وما إلى ذلك.

• هل نظرة الشفقة تؤثر على الطفل سلبا؟

- بالطبع، فلو قسنا الأمر على شخص طبيعي جدا ولديه مهارة معينة والمجتمع من حوله لا يشجعه ولا يؤمن بها، فإنها ستندثر بعد فترة، أو أن الشخص سيصاب بالإحباط والاكتئاب؛ لأنها نظرة سلبية جدا، فقد يكون الشخص المعاق لديه التميز في شيء ما، والتعامل معه بحساسية شديدة أو عدم التعامل أو إشراكه في الحياة الطبيعية يؤثر بالسلب عليه.

• وما نصائحك للعاملين في مجال التخاطب؟

- أولا أن يسعى أخصائي التخاطب للتعلم وتطوير نفسه في كيفية التعامل مع الأطفال، وأن يقرأ كثيرا جدا، فهناك العديد من الكتب التي بها ما يساعد على تطوير الفرد، وإرشاده لكيفية التعامل مع الطفل، أيضا أن يهتم بالأطفال جدا وأن يراعي سيكولوجية النمو لديهم، واحتياجاتهم.

• كيف تتقن اللباقة في الكلام؟

- الخطوات التالية ترشدك لتتميز في حديثك:
- إذا كنت ستتكلم في جمع من الناس، اختر الموضوع المثير والمفضل لدى الآخرين، فذلك يضمن لك إثارة انتباه المستمعين وجذبهم نحوك.
- تكلم من قلبك واختر الكلمات التي تعبر عن أحاسيس ومشاعر صادقة بعيدة عن التصنع والتكلف.
- ليكن استعمالك عبارات الدعاء للآخرين بدلا من عبارات الشكر، مثل وفقك الله، جزيت خيرا.
- تكلم مع الناس بما يدخل السرور على أنفسهم، والطريق إلى ذلك تجنبك تذكير الناس بأحزانهم وهمومهم.
- تجنب الإفراط في التعبير عن الذاتية في حديثك مثل قول: أنا ذهبت.. أنا فعلت...الخ.
- وتجنب أيضا كثرة الاعتذار أثناء الحديث مثل: أعتذر لأني أطلت عليكم، أعتذر لـ....، وليكن التعبير عن ذلك بأسلوب لبق مثل: يبدو أننا أطلنا في...
- إذا كنت تتحدث أمام جمهور متنوع الثقافات فيفضل اختيار كلمات سهلة مفهومة للجميع.
- من المهم أن يتضمن حديثك بعض المزاح لتقطع الملل عن المستمعين، ولكن لا تفرط في إلقاء النكات..
- لا تقل لأحد إنك مخطئ، ولا تستخدم عند الحديث مع الآخرين تعبيرات تقلل من شأن المستمع مثل: يبدو أنك لا تعلم شيئا عن الموضوع، وبدلا من ذلك قل: أنا واثق أنك على دراية بالموضوع ولكن أذكرك بـ....
- ذكرك أسماء من تخاطبهم أثناء الكلام ضروري لإشعار الناس باحترامك لهم لأن كل واحد منّا يعتز باسمه ويطرب لسماعه.
- تجنب الكلام عن المسائل الشخصية؛ سواء كانت تخصك أو تخص الآخرين، وتجنب الأسئلة الشخصية بقدر المستطاع وإذا تعرضت لسؤال شخصي لا تريد الإجابة عنه فالأفضل أن تتهرب من الإجابة بشكل لبق دون أن تشعر الطرف الآخر.



قاهرة الإعاقة «هالة فقيها» تبدع في فن المونوتيب والجرافيك

«قاهرة الإعاقة» الفنانة التشكيلية هالة صالح فقيها وعاشقة التحدي . ابنة مكة المكرمة . التي صنعت من الثقة بالله ثم بالعزيمة فرقا لصالحها، ورغم أن إعاقتها بالشلل الكامل فإنها قد زادتها إصرارا على التميز، وقد كانت تلك الإعاقة في يوم ما عائقا أمام مواصلتها النجاح، وكان مما عزز لديها الثقة بنفسها اللفتة الرائعة من منظمي مهرجان «جدة شو» باستضافتها وتدشين معرضها الأول لمدة عشرة أيام . بعد تقرير عرض قصتها للعالم من خلال البرنامج الاجتماعي الراصد للإخبارية السعودية.



روت «هالة» عضو جمعية الثقافة والفنون، وعضو بيت التشكيليين لزوارها في معرضها عن رحلتها الفنية التي كان وراءها ثلاث كلمات من معلمتها في المرحلة الابتدائية، حيث قالت لهالة وهي في عمر الزهور «كملي.. رسمك حلو» لتخلق في داخلها طموحا عانق الطفولة لتبدأ رحلتها مع الفرشاة والكراسة وقلم الرصاص، مواصلة رسم الشخصيات الكرتونية وهي في سن التاسعة، مؤكدة أن كلمات المعلمة بقيت معها حتى وهي تلامس سنواتها الأربعين.

وخاضت «قاهرة الإعاقة» مرحلة الدخول والمنافسة للساحة الفنية مدة ثماني سنوات، حيث شاركت بمعرض «فرشاة فنانة»، كما شاركت في صالون الشرق الأوسط الثاني للقطع الصغيرة بالقاهرة الذي تنظمه «بصمات الفنانين التشكيليين العرب»، وحصلت على جائزة الفنان القدير نور الشريف، ومعرض كتاب القاهرة، وأيضا معرض «إطلالة» مبدع حيث نالت درع التكريم، وشاركت بمعرض الفنون التشكيلية الأول بمنطقه تبوك لرعاية الشباب، بالإضافة إلى مشاركتها في مهرجان الجنادرية ٢٠١٤م، ومعرض اليوم الوطني، فيما كانت ضيف الشرف في ملتقى الفن والإبداع أخيرا، قبل أن تشارك هذا العام في معرض عمون بالأردن ٢٠١٥م.

«دلني على السوق».. مبادرة جديدة لإنقاذ شباب اليمن من البطالة

قامت مؤسسة مبادرة الشباب بمحافظة حضرموت، المتمثلة بمديرها التنفيذي المهندس نبهان عبدالله بن نبهان بالتوقيع على اتفاقية رعاية مبادرة «دلني على السوق» التي ينفذها فريق برنامج «التمكين الشبابي»، وذلك مع المهندس هادي با جبير مدير برنامج التمكين الشبابي.

ويعد برنامج التمكين من البرامج المتخصصة في تمكين الشباب اقتصاديا ومهنيا ومعرفيا، وتهدف المبادرة إلى تمكين الوافدين من مناطق الصراع في إبراز قدراتهم وكفاءاتهم والاستفادة منها من خلال دمجهم مع أصحاب المهن والمؤسسات والمراكز في محافظة حضرموت.

هذا وقد صرح المدير التنفيذي لمؤسسة مبادرة الشباب عقب توقيعه اتفاقية رعاية المبادرة بأن المؤسسة تسعى للإسهام في مجال التمكين الشبابي، ومن ثم تخفيف نسب البطالة، واستغلال القدرات الشبابية بما يساعد على تحريك عجلة التنمية.



وأضاف أن المؤسسة ترحب بكل الأفكار والمبادرات الإبداعية التي تأتي من الشباب لحل أزمات المجتمع وتطوير الشباب.

وقد أبدى إعجابه بالجهود التي يقوم بها فريق برنامج التمكين الشبابي، وحث فريق العمل المتجانس على بذل المزيد من الجهود، مؤكدا أن المؤسسة ستستمر في دعمها بما يتوافق مع أهدافها ورؤيتها في تطوير الشباب.



إعداد: د. عمرو عبد الكريم

موضوع العدد

معركة الوعي: سؤال الحرية

سؤال الحرية هو أحد أهم أسئلة معركة الوعي إلحاحا. فإذا كان العقل هو مناط التكليف، فإن الحرية هي مناط التنفيذ، وهي معقل الاختيار، وعليها مدار الحساب.

ويستدعي مفهوم الحرية شبكة المفاهيم المرتبطة بها حضاريا ودلاليا ومعجميا، فالحرية من حيث المعنى ترتبط بقضية التوحيد، ومعايير الكرامة الإنسانية، وموجبات عمارة الأرض: سيرا وسعيا، تعميرا وتثميرا. كما يرتبط مفهوم الحرية بشبكة مفاهيم أخرى، بعضها يتعلق بالأبعاد العقدية والفلسفية كقضايا الجبر والاختيار، أو يتعلق بقضية اجتماعية وسياسية كقضية الردة: حكما وحدا، أو قضاء وسياسة، أو إمهالا وسعة.

يرتكز الإسلام في قيمه العليا على قضية الحرية: فجوهر دين الإسلام، وهو التوحيد، عبارة عن عقد بين العبد وربه. ومن أهم شروط العقد العلم والرضا. والإقرار المصحوب بالإكراه لا مكان له في التصور الإسلامي، وحقائق الدين كله وشرائعه وشعائره تقوم على معاني الخوف والرجاء، وجوهره الحب أو الخشية، ومن ثم فلا إكراه في الدين ولا في الدنيا. والاختيار الحر الواعي شرط وقوع الثواب أو العقاب، وإذا انتفى الاختيار انتفت الإرادة، ومن ثم فلا جزاء ولا حساب.

وسؤال الحرية هو سؤال الساعة بفعل الآلة الإعلامية الضاغطة على مختلف ثقافات وشعوب العالم، حيث جعلت الحضارة الغربية من قضية الحرية القضية المحورية التي تقاس بها مختلف القضايا والمسائل بل والمفاهيم والحضارات.

فجعلت من سؤال الحرية السؤال المحوري الذي تدور عليه مختلف مسائل الحياة، بدءا من التصور العام للأديان، وانتهاء بتصور الإنسان للعلاقة بغيره من البشر.

ولقد تداول على مفهوم الحرية أربع فلسفات، كما يرى الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن، غير أن كل فلسفة أوقعت أصحابها في نقيضها، فكانت حريات منقوصة ومبتورة وموهومة.

فـ «التصور الليبرالي»، الذي يعرف الحرية بكونها عدم التدخل، وقع في شراك العبودية لشهوة السوق التي أفضى إليها التزامها بمبدأ سيادة الفرد.

و«التصور الجمهوري»، الذي يحدها بكونها عدم التسلط، أوقعها في العبودية للقانون ولـ«منة القانون»، التي أدى إليها عملها بمبدأ سيادة الشعب.

و«التصور الديموقراطي»، الذي يعرفها بكونها المشاركة في تدبير الشأن العام، أوقعها في العبودية لهوى الرأي العام.

و«التصور الاشتراكي»، الذي يحدها بكونها تحصيل القدرة على المشاركة في تدبير الشأن العام، أوقعها في العبودية للسلطة التي أدى إليها أخذها بمبدأ سيادة الحزب، ولم تكن عبودية لمجرد السلطة بل وصلت لتربب السلطة.

والحرية هي جوهر شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)، ومن ثم فهي حق للجميع، حيث ممارسة الإنسان لحريته هي الوجه الآخر لعقيدة التوحيد، والنطق بالشهادتين بمنزلة إعلان عبودية لله وحده وانعتاق من أي سلطان لأي واحد من الناس، وأهم ممارسات الحرية هي تلك التي تتم على صعيد الاختيار والرؤى، فالحق في الاختلاف سنة من سنن الله الكونية والشرعية. ولجميع الناس الحق في حرية الاعتقاد ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦)، ولهم كذلك الحق في التعبير عما يؤمنون به.

يقول الدكتور طه عبدالرحمن: «الإنسان، بموجب الدين المنزل، مختار في كل أفعاله، حتى في عقيدته، إن شاء آمن بالله وامتثل لقانونه، وإن شاء كفر به ولم يمتثل لأوامره، ولا يُسأل إلا عمّا اختاره بنفسه، لا عمّا أكره عليه، وليس هذا فحسب، بل إن الله، في العالم الغيبي كما في العالم المرئي، عهد إلى الإنسان بأشياء، وأخذ منه المواثيق، وعرض عليه الأمانة، واستخلفه في الأرض، وكرّمه بنفحة من روحه، وفضله على العالمين، حتى اتخذ منه الحبيب والخليل والكليم، وإذا أناط الإله الإنسان، منذ خلقه، بهذه المسؤوليات العظمى، فكيف يعقل أن ينزع عنه إرادته ويحرمه من حريته حالما ينزل إليه قانونا ليست غايته إلا أن يكون مرشدا وهاديا له في أداء هذه المسؤوليات على أتم وجه».

ويقول محمد عابد الجابري في كتابه «نقد العقل العربي»: في جميع الديانات، وفي جميع الفلسفات، لا يعتبر الإنسان مسؤولا إلا بما صدر عنه بحرية واختيار. فالحرية هي

الشرط الأول في المسؤولية، وسواء تعلق الأمر بالمسؤولية أمام القانون أو أمام الله أو بالمسؤولية أمام الضمير، وهذه الأخيرة هي «المسؤولية الأخلاقية»، فإن الحرية هي الشرط المسبق، شرط في قيام الأخلاق نفسها، فالمكره على فعل ما، لا يسأل عليه. ومن هنا مبدأ «الضرورات تبيح المحظورات في الفقه»، فالمضطر في حكم المكره، غير مسؤول. والحرية في هذا المجال تعني أن الفعل الحر يصدر عن قصدية، فالفاعل هنا يعرف نتيجة عمله ويقصدها عامدا.

ويرى الزعيم الأوروبي المسلم الراحل علي عزت بيجوفيتش (رئيس دولة البوسنة): أن قضية الخلق هي في الحقيقة، قضية الحرية الإنسانية. فإذا قبلنا فكرة أن الإنسان لا حرية له، وأن جميع أفعاله محددة سابقا -إما بقوى مادية داخله أو خارجه- لا تكون الألوهية ضرورية في هذه الحالة لتفسير الكون وفهمه. ولكننا إذا سلمنا بحرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، فإننا بذلك نعترف بوجود الله؛ إما ضمنا وإما صراحة، فالله وحده هو القادر على أن يخلق مخلوقا حرا. فالحرية لا يمكن أن توجد إلا بفعل الخلق. الحرية ليست نتيجة ولا نتاجا للتطور، فالحرية والإنتاج فكرتان متعارضتان. فالله لا ينتج ولا يشيد.. إن الله يخلق.

«قد ينجح الإنسان (آجلا أو عاجلا، خلال هذا القرن أو بعد مليون سنة من الحضارة المتصلة) في تشييد صورة مقلدة من نفسه، نوع من الإنسان الآلي أو مسخ، شيء قريب الشبه بصانعه. وهذا المسخ الشبيه بالإنسان لن تكون له حرية، سيكون قادرا فقط على أن يتحرك في إطار ما برمج عليه. وهنا تتجلى عظمة الخلق الإلهي، الذي لا يمكن تكراره أو مقارنته بأي شيء حدث من قبل أو سيحدث من بعد في هذا الكون. في لحظة زمنية من الأبدية، بدأ مخلوق حر في الوجود، بينما لم يكن ممكنا أن تتحول نتيجة التطور (من دون تلك اللمسة الإلهية) إلى الإنسان. إن التطور، من دون تلك اللمسة، كان سينتج -على الأرجح- حيوانا أكثر تطورا، حيوانا مثاليا، أو كائنا بجسم إنسان وذكائه، ولكن من دون قلب ولا حياة جوانية. ذكاء متحرر من وخز الضمير والأخلاق، وربما كان أكثر كفاءة.. ولكن أشد قسوة في الوقت نفسه».

لقد جاءت الشواهد القرآنية تؤكد على معاني الحرية النفسية والفكرية والعقلية، وعلى حرية الإرادة الإنسانية ومسؤولية الإنسان عن أفعاله.

وجاءت الآيات تدلل على أن من أعتق إنسانا فقد أحياه، حيث ساوى الإسلام بين الرق والموت، وجعل الحرية كالحياة، فجعل الاعتاق من أبواب الكفارات في القتل الخطأ

فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:٩٢).

والكفارة هي عتق رقبة، وذلك لأن الله تبارك وتعالى جعل العتق إحياء للنفس، إذ الرق إنما هو بمنزلة العدم للشخص الواقع فيه، إذ لا يملك من أمره شيئا كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (النحل:٧٥)، فالعبد المملوك لا يستطيع أن يتصرف بحريته، فإذا أعتق فقد أحي، نال حياة معنوية؛ فلذلك جعل الله تبارك وتعالى هذا الإحياء في مقابل ذلك التسبب في الموت الذي حصل فهو تكفير، أي إنه جعل من العتق، وهو الانتقال من العبودية للحرية، كالإحياء من عدم، وجعل الرق كالموت، والحرية كالحياة.

ولقد استخلص الفقهاء من دراستهم لأدلة الشريعة وتصرفاتها في شأن تحرير الأرقاء قاعدة فقهية جليلة وهي قولهم: «إن الشارع متشوف إلى الحرية».

وللفكر الإسلامي نظرية متكاملة في سؤال الحرية تقوم في بعض عناصرها على أن:

- لا إكراه في الدين؛ فالإيمان اختيار حر واع، والجبر والإكراه نافيان للإيمان كما هما نافيان للكفر، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.
- الحرية هي جوهر إنسانية الإنسان، وهي التي عليها مدار التكليف الشرعي.
- الإرادة هي المظهر الأسنى للحرية، فمن انتفت إرادته انتفت حريته.
- الحرية هي مناط التكليف ومنطلق العقل.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

الحرية كما يعرفها الإمام أبو القاسم القشيري هي:

«أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات، وعلامة صحته: سقوط رؤية التمييز عن قلبه بين الأشياء».

والحرية كما يعرفها الفيلسوف طه عبدالرحمن هي: «أن يتعبدك الحق باختيارك، وألا يستعبدك الخلق في ظاهرك أو باطنك. ذلك أن التعبد لله نوعان: تعبد اضطراري، ليس بواسطة الفرائض، وإنما بفعل سنة الله في ملكوته، والتي بمقتضاها تخضع كل المخلوقات لسلطانه القاهر؛ بوعيها أو بغير وعيها. وتعبد اختياري، ليس بواسطة النوافل، وإنما من خلال تخيير الله لعباده أن يطيعوه ويمتثلوا لأمره، أو أن يعصوه بحيث إنه في هذا التخيير يكمن مدلول الأمانة التي حملها الحق للسموات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان».

مقولات في الوعي الحضاري

«في المجتمعات الاستهلاكية، يتم إغواء الإنسان بأن حقه الأساسي هو الاستهلاك، وأن إشباع اللذة هو أقصى تعبير عن الحرية الفردية.
فكيف لمجتمع يعرّف الحرية بأنها تصاعد معدلات الاستهلاك، ويرى أن الحاجات الأساسية هي المأكل والملبس أن يفهم «تجوع الحرة ولا تأكل بجسدها».. إذا كانت الحرية أساسا بالنسبة إليه هي الأكل والاستهلاك واللذة؟!».

عبدالوهاب المسيري

«الإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أن الإكراه على الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن. فالحرية النفسية والعقلية أساس المسؤولية. والإسلام يقدر هذه الحقيقة ويحترمها، وهو يبني صرح الأخلاق. ولماذا يلجأ إلى القسر في تعريف الإنسان معنى الخير، أو توجيه سلوكه إليه، وهو يحسن الظن بالفطرة الإنسانية، ويرى أن إزاحة العوائق من أمامها كافية لإيجاد جيل فاضل؟ إن فطرة الإنسان خيرة، وليس معنى هذا أنه ملاك لا يحسن إلا الخير».

الشيخ محمد الغزالي

«نحن أحرار باختيار أعمالنا.. لكننا لسنا كذلك بما يتعلق بتداعيات أفعالنا».

ستيفن كوفي

«الحرية هي روح الإنسان وأنفاسه.. فكم ثمن هذه الأشياء؟».

المهاتما غاندي

عرض كتاب

«الإسلام والاستبداد السياسي»

الشيخ محمد الغزالي

الشيخ محمد الغزالي (١٩١٧-١٩٩٦) عالم ومفكر إسلامي من طراز فريد، بل هو أحد أهم أعلام الفكر الإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين، عرف عنه تجديده في الفكر، ووسطيته في الخطاب، وتميز بكونه أشد من «ناهض التشدد والغلو في الدين».



وللشيخ محمد الغزالي عشرات الكتب. ويجمع أسلوبه بين حرارة العاطفة، حيث يكتب من مداد قلب ينزف على حال أمة الإسلام، وفكر يستند إلى مخزون علمي كبير في مختلف علوم الشريعة، ويملك ناصية التعبير الصادق عن عمق ما يريد بيانه.

وكتاب «الإسلام والاستبداد السياسي» هو أول كتب الشيخ، حيث نشره في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي.

في الفصل الأول من الكتاب يناقش الشيخ فكرة الاستبداد بين الاستعمار وحكومات الاستبداد السياسي. ويقارن بينها في كثير من الأحوال، ويدعو إلى وجوب مقاومتها، فإن الاستعمار والاستبداد السياسي، وما يتبعهما من فساد وظلم واستعباد لشعوب، ستكون ردة فعله الطبيعية المقاومة والرفض.. فالشعوب تأبى الظلم والاستبداد والظلم. ويشرع الشيخ في الشرح بالأمثلة عن واقع عاشه وعاصره من استبداد الحكام في السجون، ويلوم الشيخ بعض الحركات الإسلامية لخنوعها وعدم مطالبتها بالحرية وفهمها لحقوق الإنسان في شريعتها.

الفكرة الرئيسية في هذا الفصل مقارنة أو تصوير الفساد في دولة الاستعمار ودولة الفساد والاستبداد وكان عنوانه حصادا مريرا.

وفي إطار حديث الشيخ الغزالي عن الإسلام والاستبداد والهدف من الكتاب يقول: حزمت أمري على إخراج هذا الكتاب للناس.. الدين والاستبداد: وسترى أن الإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان؛ فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم وحده، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية سياسية عمياء.

إن الإسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الظلم والفساد والحقد والكبر والكذب إلى نور العدل والأخلاق والإيمان والحق.

ويتحدث الشيخ الغزالي عن موقع الخلل في زماننا.. قائلا: الاستبداد السياسي، الذي وقعت الشعوب المسلمة فريسة له من أمد طويل، وظلت إلى اليوم ترسف في قيوده، ليس مرده إلى أن الإسلام نقصته عناصر معينة، فأصيب معتنقوه بضعف في كيانهم كما يصاب المحرومون من بعض الأطعمة بلين في عظامهم أو فقر في دمائهم. كلا، ففي تعاليم الإسلام وفاء بحاجات الأمة كلها، وضمان مطمئن لما تشتهي، وفوق ما تشتهي من حريات وحقوق، إنما بطشت مخالب الاستبداد ببلادنا وصبغت وجوهنا بالسواد لأن الإسلام خولف عن تعمد وإصرار، وطُرحت أرضا البديهيات الأولى من تعاليمه.

وفي الفصل الثاني من الكتاب يصف الغزالي الداء ومكامنه، حيث يرى أن ضعف أمة الإسلام ليس في الإسلام ونظمه، بل في التخلي عن أحكامه وأسسه البديهية، وانهيار النظم الأخلاقية لدينا التي هي أساس الإسلام وروحه.

والإسلام (كما يرى الشيخ) لم يقتل كسرى ليستبدل كسرى آخر، ولكنه دك أطوار الاستبداد؛ ليمهد الطريق أمام الشعوب العانية كي تعبد رب العالمين في أمن وحرية وسكينة، فإذا لم تتضمن هذه المعاني مواد وبنودا مفصلة، ففي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حواجز هائلة دون الاستعباد والاستبداد.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

المسلمون المقيمون في بلاد الغرب (وصايا وأحكام)

الخلاصة الحكمية:

١- يجب تحذير المسلمين المقيمين في بلاد غير المسلمين من الذوبان ونسيان دينهم، وسؤال أهل العلم لمعرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات.

٢- يوصى المسلمون في بلاد الغرب بالعمل الجاد للحصول على اعتراف من الدولة التي يقيمون فيها بالإسلام دينا، وبالمسلمين أقلية دينية؛ أسوة بغير المسلمين المقيمين في بلاد الإسلام، وبتشكيل هيئات شرعية تنظم أحوالهم الشخصية وفق الشريعة الإسلامية.

٣- لا يجوز التعدي على أرواح غير المسلمين، ولا على أموالهم، وأعراضهم، وهو التزام بمقتضيات عهد الأمان، واحترام قوانين البلاد.

● **القرارات والتوصيات والبحوث الصادرة من المجامع الفقهية واللجان والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

● **أولا:** صدر البيان الختامي للدورة العادية الثالثة للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، والمنعقدة في مدينة كولون بألمانيا في الفترة ٤-٧ صفر١٤٢٠هـ الموافقة ١٩-٢٢ مايو ١٩٩٩م، ونصه (مع شيء من التصرف غير المخل):

«ويغتنم المجلس هذه الفرصة ليؤكد ما أوصى به المسلمين في دورته السابقة، وما ارتآه في هذه الدورة من الأمور التالية:

١- المحافظة على هويتهم الإسلامية، وشخصيتهم الدينية، وذلك بالتزام شرع ربهم في ما أمر ونهى وأحل وحرّم، في عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم ومآكلهم ومشاربهم وعلاقاتهم الأسرية والاجتماعية وحسن التعامل مع غيرهم.

٢- يوصي المجلس المسلمين المقيمين في أوروبا بالعمل الجاد للحصول على اعتراف الدول التي يقيمون فيها بالإسلام دينا، وبالمسلمين أقلية دينية على غرار الأقليات الدينية الأخرى في التمتع بحقوقهم كاملة، وفي تنظيم أحوالهم الشخصية؛ كالزواج، والطلاق، والميراث.

٣- كما يوصي المجلس هؤلاء الإخوة المسلمين، ويشدد في الوصية بالالتزام بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وبما أجمع عليه فقهاء الإسلام؛ من وجوب الوفاء بمقتضيات عهد الأمان، وشروط الإقامة، والمواطنة في البلاد الأوروبية التي يعيشون فيها، ومن أهم ما يجب عليهم:

أ - أن يعتقدوا أن أرواح غير المسلمين وأموالهم وأعراضهم معصومة بمقتضى ذلك العهد الذي دخلوا به هذه البلاد، والذي لولاه لما سمح لهم بدخولها أو استمرار الإقامة فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ (الإسراء:٣٤).

ب - أن يحترموا قوانين هذه البلاد التي آوتهم وحمتهم ومكنتهم من التمتع بكل ضمانات العيش الكريم، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ (الرحمن:٦٠).

ج - أن يجتنبوا كل أساليب الكسب الحرام على اختلاف أنواعها، ومنها سعي بعض المسلمين للحصول على معونة الضمان الاجتماعي مع أنهم يعملون أو يتاجرون.

د - أن يبذلوا أقصى الوسع في تنشئة الجيل الجديد - بنين وبنات - تنشئة إسلامية معاصرة، وذلك بتأسيس المدارس والمراكز التربوية والترفيهية لحمايتهم من الانحراف.

٤- كما يوصي المجلس المسلمين عامة، والمقيمين في ديار الغرب خاصة، بالاعتصام بحبل الله، والأخوة، والسماحة، والاعتدال، والتعاون على البر والتقوى، والتزام الحوار الهادئ والأساليب السلمية في معالجة قضايا الخلاف، بعيدا عن مناهج التشدد ومسالك التطرف التي تشوه صورة الإسلام».

انتهى القرار.

● **ثانيا:** ثم صدر قرار رقم: ٢٣ (٣/١١) من مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ٨-١٣ صفر ١٤٠٧هـ، الموافقة ١١-١٦ أكتوبر ١٩٨٦م، بشأن استفسارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، وبعد اطلاعه على الاستفسارات قرر تكليف الأمانة العامة للمجمع تبليغ المعهد المذكور بما أقره المجلس من إجابات، وقد أرجئ اتخاذ القرار بالنسبة إلى الأسئلة: (١ و٢ و٧ و١٥ و٢٢)، وحذفتُ بعضها مراعاة لمساحة الكتابة المتاحة، مع الإبقاء على أهمها، وها هي على الشكل التالي:

السؤال الثالث:

ما حكم زواج المسلمة بغير المسلم، خصوصا إذا طمعت في إسلامه بعد الزواج، حيث تدعي مسلمات كثيرات

أنه لا يتوافر لهن الأكفاء من المسلمين في غالب الأحيان، وأنهن مهددات بالانحراف، أو العيش في وضع شديد الحرج؟

الجواب:

زواج المسلمة بغير المسلم ممنوع شرعا بالكتاب والسنة والإجماع. وإذا وقع فهو باطل، ولا تترتب عليه الآثار الشرعية المترتبة على النكاح، والأولاد المولودون عن هذا الزواج أولاد غير شرعيين. ورجاء إسلام الأزواج لا يغير من هذا الحكم شيئا.

السؤال الرابع:

ما حكم استمرار الزوجية والمعاشرة بين زوجة دخلت الإسلام وبقي زوجها على الكفر ولها منه أولاد يخشى عليهم الضياع والانحراف، ولها طمع في أن يهتدي زوجها إلى الإسلام لو استمرت العلاقة الزوجية بينها وبينه؟

وما الحكم فيما إذا لم يكن هناك طمع في إسلامه، ولكنه يحسن معاشرتها وتخشى لو تركته ألا تعثر على زوج مسلم؟

الجواب:

بمجرد إسلام المرأة وإباء الزوج الإسلام ينفسخ نكاحهما، فلا تحل معاشرته لها، ولكنها تنتظر مدة العدة، فإن أسلم خلالها عادت إليه بعقدهما السابق. أما إذا انقضت عدتها ولم يسلم فقد انقطع ما بينهما. فإن أسلم – بعد ذلك – ورغبا في العودة إلى زواجهما عادا بعقد جديد. ولا تأثير لما يسمى بحسن المعاشرة في إباحة استمرار الزوجية.

السؤال الخامس:

ما حكم دفن المسلم في مقابر غير المسلمين، حيث لا يسمح بالدفن خارج المقابر المعدة لذلك، ولا توجد مقابر خاصة بالمسلمين في معظم الولايات الأميركية والأقطار الأوروبية؟

الجواب:

إن دفن المسلم في مقابر غير المسلمين في بلاد غير إسلامية جائز للضرورة.

السؤال الثامن:

بعض النساء أو الفتيات تضطرهن ظروف العمل أو الدراسة إلى الإقامة بمفردهن، أو مع نسوة غير مسلمات، فما حكم هذه الإقامة؟

الجواب:

لا يجوز شرعا للمرأة المسلمة أن تقيم وحدها في بلاد الغربة.

السؤال التاسع:

كثيرات من النساء هنا يذكرن أن أقصى ما بإمكانهن ستره من أجسادهن هو ما عدا الوجه والكفين، وبعضهن تمنعهن جهات العمل من ستر رؤوسهن فما أقصى ما يمكن السماح بكشفه من أجزاء جسم المرأة بين الأجانب في محلات العمل أو الدراسة؟

الجواب:

إن حجاب المرأة المسلمة –عند جمهور العلماء– ستر جميع بدنها عدا الوجه والكفين إذا لم تخش فتنة، فإن خيفت فتنة يجب سترهما أيضا.

السؤالان العاشر والحادي عشر:

– يضطر الكثير من الطلاب المسلمين إلى العمل في هذه البلاد لتغطية نفقات الدراسة والمعيشة؛ لأن كثيرا منهم لا يكفيه ما يرده من ذويه، مما يجعل العمل ضرورة له لا يمكن أن يعيش من دونه، وكثيرا ما لا يجد عملا إلا في مطاعم تبيع الخمور أو تقدم وجبات فيها لحم الخنزير وغيرهما من المحرمات، فما حكم عمله في هذه المحلات؟

– وما حكم بيع المسلم للخمور والخنازير، أو صناعة الخمور وبيعها لغير المسلمين، علما بأن بعض المسلمين في هذه البلدان قد اتخذوا من ذلك حرفة لهم؟

الجواب:

للمسلم إذا لم يجد عملا مباحا شرعا، العمل في مطاعم الكفار بشرط ألا يباشر بنفسه سقي الخمر أو حملها أو صناعتها أو الاتجار بها، وكذلك الحال بالنسبة إلى تقديم لحوم الخنازير ونحوها من المحرمات.

السؤال العشرون:

ما حكم ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى وما يقدمونه من طعام في مطاعمهم مع عدم العلم بالتسمية عليها؟

الجواب:

ذبائح الكتابيين جائزة شرعا إذا ذكيت بالطريقة المقبولة شرعا، ولو لم يذكر اسم الله عليها. ويوصي المجمع بدراسة متعمقة للموضوع في دورته المقبلة.

السؤال الرابع والعشرون:

ما حكم عمل المسلم في دوائر ووزارات الحكومة الأميركية أو غيرها من حكومات البلاد غير الإسلامية، خصوصا في مجالات مهمة كالصناعات الذرية أو الدراسات الاستراتيجية ونحوها؟

الجواب:

يجوز للمسلم العمل المباح شرعا في دوائر ومؤسسات حكومات بلاد غير إسلامية إذا لم يؤد عمله ذلك إلى إلحاق ضرر بالمسلمين.

السؤال السابع والعشرون:

كثير من العائلات المسلمة يعمل رجالها في بيع الخمور والخنزير وما شابه ذلك، وزوجاتهم وأولادهم كارهون لذلك، علما بأنهم يعيشون بمال الرجل، فهل عليهم من حرج في ذلك؟

الجواب:

للزوجة والأولاد غير القادرين على الكسب الحلال أن يأكلوا للضرورة من كسب الزوج المحرم شرعا، كبيع الخمر والخنزير وغيرهما من المكاسب الحرام، بعد بذل الجهد في إقناعه بالكسب الحلال والبحث عن عمل آخر.

السؤال الثامن والعشرون:

ما حكم شراء منزل السكنى وسيارة الاستعمال الشخصي وأثاث المنزل بواسطة قروض من البنوك والمؤسسات التي تفرض ربحا محدودا على تلك القروض لقاء رهن الأصول، علما بأنه في حالة البيوت والسيارات والأثاث عموما، يعتبر البديل عن البيع هو الإيجار بقسط شهري يزيد في الغالب على قسط الشراء الذي تستوفيه البنوك؟

الجواب:

لا يجوز شرعا.

إعداد: تركي النصر

قرابتك من قرب منك خيره

إن قرابتك من قرب منك خيره، وابن عمك من عمك نفعه، وعشيرتك من أحسن عشرتك، قرابة بلا منفعة بلية عظيمة، القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة تحتاج إلى القرابة.

(محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني، ١/٤٣٥).

العلم الجميل

. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تكون تقيا حتى تكون عالما، ولا تكون بالعلم جميلا حتى تكون به عاملا».

. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا حملة العلم، اعملوا به؛ فإنما العالم من علم ثم عمل ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقا فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عزوجل»

(جامع بيان العلم وفضله، ١/٦٩٦).

الرزق والتوكل

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «إذا جلس الرجل ولم يحترف؛ دعته نفسه إلى أن يأخذ ما في أيدي الناس، فإذا شغل نفسه بالعمل والاكتساب؛ ترك الطمع، وقال المروذي: قيل لأبي عبدالله: أي شيء صدق التوكل على الله عزوجل؟ قال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذلك؛ كان الله يرزقه وكان متوكلا»

(الآداب الشرعية، ٣/٤٣١).

صاحب الحية

قال أهل الحكمة: «إياك والثقة بعدوك إذا صالحك، وأظهر لك غاية النصيحة، فإن صلح العدو لا يسكن إليه، ولا يغتر به، فإن الماء لو أسخن فأطيل إسخانه؛ لم يمنعه ذلك من إطفاء النار إذا صب عليها، وإنما صاحب العدو المصالح كصاحب حية يحملها في كمه»

(الكشكول للياسين، ص: ١١٤).

علم السير والتواريخ

قال العلامة ابن الجوزي (ت: ٥٧٩هـ) رحمه الله: «واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها ...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول»

(المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١/١١٧).

تقاة زهاد

قال الحسن البصري رحمه الله: «أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوَ له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم، فلم يزالوا على ذلك، ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، رحمة الله عليهم ورضوانه»

(إحياء علوم الدين، ٤/٢٢٥).

الزهد والورع والحزن

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: «الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة.
فالزهد الفرض: هو الزهد في الحرام. والزهد الفضل: هو الزهد في الحلال. وزهد السلامة: هو الزهد في الشبهات.
والورع ورعان: ورع فرض، وورع حذر. فالورع الفرض: هو الورع عن معاصي الله تعالى. والورع الحذر: الورع عن الشبهات.
والحزن حزنان: حزن لك، وحزن عليك. فالحزن الذي هو لك: حزنك على الآخرة. والحزن الذي عليك: هو حزنك على الدنيا وزينتها»

(تنبيه الغافلين للسمرقندي، ١/٤٧٤).

الاعتذار

. قال الأحنف بن قيس: إياك وما يعتذر منه؛ فإنه قلما اعتذر أحد فسلم من الكذب.
. وقال أيضا: إذا اعتذر إليك معتذر؛ فتلقه بالبشر.
. وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: لو أن رجلا شتمني في أذني هذه، واعتذر إلي في أذني هذه لقبلت عذره.

(بهجة المجالس وأنس المجالس، ٢/٤٨٧).

الحسود لا يرضى

الحسد داعية إلى النكد، ألا ترى إبليس؟ حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه، فصار لعينا بعد ما كان مكينا، ويسهل على المرء ترضي كل ساخط في الدنيا حتى يرضى، إلا الحسود؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها.
والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت، وإن رأى به عثرة شمت، ودليل ما في قلبه كمين على وجه مبين، وما رأيت حاسدا سالم أحدا.

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص: ١٢٤).

سقوط الحجة

قال الربيع بن عبدالرحمن رحمه الله: «قطعتنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرها غفلة... إن تحسن أيها المرء يحسن إليك، وإن تسئ فعلى نفسك بالعتب، فارجع فقد بين وحذر وأنذر فما للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما»

(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٦/٢٩٨).

حسن الهيئة

«ليس من السنة، ولا من الشريعة ما خالف النظافة وحسن الهيئة في اللباس والزينة التي من شكل الرجال للرجال، ومن شكل النساء للنساء»

(الاستذكار لابن عبد البر، ١/٣٣٠).

زهد العلماء

قال وهب بن منبه لعطاء الخراساني: «كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم؛ فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم، فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم، رغبة في علمهم، فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم، رغبة في دنياهم، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم، لما رأوا من سوء موضعه عندهم...»

(أخلاق العلماء للآجري، ص: ٨٢).

علام الهم إذن؟

مر إبراهيم بن أدهم على رجل مهموم فقال له: إني سائلك عن ثلاثة فأجبني.
قال الأولى: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ فقال الرجل: لا.
الثانية: هل ينقص من رزقك شيء قدره الله لك؟ فقال الرجل: لا.
الثالثة: هل ينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك؟ فقال الرجل: لا.
فقال إبراهيم بن أدهم: فعلام الهم إذن؟

(روائع الحكم، ص: ١١٥).

إعداد: علاء عبدالفتاح

تقدير الذات

يعيش الإنسان ويحيى بين ما هو موجود ومتاح وبين ما يرغب فيه ويتمناه. وتتوق النفس لتحقيق مطامحها وأهدافها، ويقف الإنسان بين حاله متسائلا: هل سأستطيع يوما تحقيق ما أريد؟ هل حلمي سيصبح حقيقة؟ هل سأصبح يوما ذاك الإنسان الذي أتمناه؟

هنا لا يستطيع أن يجيب عن هاته الأسئلة إلا الإنسان ذاته، وذلك حينما يسأل نفسه أولا: أنا من أكون؟

سؤال استنكاري استفهامي، سيقول البعض إن الإجابة عنه واضحة؛ ومن منا لا يعرف من يكون؟! إلا أن الأمر بخلاف ذلك كله، فهذا السؤال يحتاج إلى إجابة دقيقة، وهو بمنزلة بطاقة تعريفية عن كل واحد منا، لا تحمل الاسم والعمر والمهنة، ليست بطاقة تعريف كلاسيكية، بل هي مرآة تعكس تقدير الإنسان لذاته ومعرفته الحقة بشخصيته.

أنا من أكون؟ ما هي أهدافي وطموحاتي؟ ما هي نواقصي وعيوبي؟ ما هي منجزاتي التي حققتها؟ إلى أين أسير؟

فالسؤال يحدد معالم الشخصية وطباعها، وتحديد هدف الحياة، ومن ثم التركيز على جانب النجاح وتحقيق الهدف؛ حتى يضمن الإنسان أنه يعيش وهو يسير نحو اتجاه هدفه المنشود، وأنه ليس بهيمة في هذه الحياة ويعيش بلا وعي، مستسلما لما تقدم له الدنيا من فرص عيش زهيدة كانت أم رغيدة، سواء رغب فيها أو قبلها فقط ليحيى بين الناس مسيرا لا مخيرا.

يجب على كل شخص كسر حواجز الصمت التي بداخله، وأن ينصت إلى نفسه ويتحدث معها: أنا من أكون؟ نعم، أنا ذاك الإنسان المسلم الذي خلقني الله في هاته الأرض لعبادته وجعلني مستخلفا فيها، أنا الذي أسير نحو هدفي بقدم وحزم مستعملا كل الوسائل

العفو والصفح بين أفراد الأسرة

تشكو كثير من المجتمعات في الآونة الأخيرة من العديد من المشكلات التي تكاد أن تعصف بها، بل تؤدي إلى المشاجرات والاقتتال بين أبنائها في بعض الأحيان. ووصل الأمر إلى الخلاف والتناحر في العائلة الواحدة، بل بين أفراد الأسرة، ومن ثم في المجتمع. وأحب أن أذكر نفسي وإياكم هنا بضرورة العفو عند المقدرة، والتسامح في المعاملة مع الأقارب وداخل الأسرة، خصوصا أن الإسلام حرص على أن تكون العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم سليمة ومبنية على أساس من المودة والتسامح، لاسيما بين ذوي القربى وداخل الأسرة المسلمة. ومن هذا المنطلق، حث القرآن الكريم على التسامح والعفو إذا حدث خلل فيما بينهم، أو شاب هذه العلاقة بعض الشوائب.

ففي مجال عفو المسلم مع أقاربه يقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (النور:٢٢).

لقد جمعت الآية الكريمة بين العفو والصفح في الموطن وأمثاله من العلاقات الاجتماعية، وكأنها تدفع المجتمع الإسلامي إلى السمو في علاقاتهم فيما بينهم لتستقر حياتهم، إذ على المسلم أن يعفو عن أخيه المسلم، ويمحو أثر خطيئته وكأنها لا وجود لها، ثم يصفح عنه فيفتح صفحة جديدة في علاقته مع الإنسان الذي أساء إليه، فلا لوم ولا تثريب على ما صدر منه، وبعد ذلك تنشأ علاقة جديدة وجيدة بين أبناء المجتمع الإسلامي ملؤها المودة والأخوة، بعيدا عن الأحقاد والخصومات والمشاجرات، تجسيدا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠).

أما في مجال العفو داخل الأسرة المسلمة، فالأصل في العلاقات داخل الأسرة المسلمة أن تقوم على المودة

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

info@alwaei.com

والإمكانات التي منحني الله إياها، أنا الذي أسعى دوما لإصلاح عيوبي ونواقصي، وأشق طريق طموحاتي لأسعد بتحقيق منجزاتي وأسعى لخدمة الناس.

تقدير الذات هو اعتزاز المرء بنفسه، وثقته وإدراكه لحقيقة قدراته التي وهبه الله سبحانه وتعالى إياها، فليس الإنسان إمعة، يرى نفسه حيث يراه الناس، ويزنها بميزانهم، بل هو ذاك المعتز بنفسه لا غرورا بل إدراكا، الواثق بقدراته، الساعي نحو تحقيق هدفه.

• **بلعربي كوثر**

والرحمة بين جميع أفرادها، ولكن قد تنتاب هذه العلاقات الأسرية بعض الخلافات والمنازعات، فوجه القرآن أفراد الأسرة إلى العفو والتسامح فيما بينهم، قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ (التغابن:١٤).

• **محمد عباس**

«فيلوجيا» المخطوطات العربية

حضرت احتفالية معهد المخطوطات العربية بالقاهرة بمناسبة عيد تأسيسه السبعيني، والذي توافق مع الاحتفال بيوم المخطوط العربي، وقد استمرت فعالياتها لمدة أسبوعين في القاهرة وبعض المدن المصرية كالإسكندرية، فضلا عن إقامة احتفاليات مماثلة في بعض المؤسسات العلمية بالمغرب ودولة قطر ودولة الجزائر، تزامنا مع فترة احتفالات معهد المخطوطات العربية، الذي تشاركه إلى جانب العديد من المؤسسات الثقافية ذات الاختصاص المنظومة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) ممثلة في مديرها العام الأستاذ د. عبدالله حمد محارب. وقد حفل يوم الافتتاح بالعديد من الفعاليات الثقافية المتميزة، وأعطى انطباعا للحضور من صفوة العلماء والمثقفين أنها حقا أسرار من الماضي وأفكار للمستقبل، كما عنون معهد المخطوطات الاحتفالية هذا العام. وقد التقيت صاحب العرس الثقافي د. فيصل الحفيان، المدير العام للمعهد، وسألته: متى نشأ المعهد؟ وما دوره في مجال الحفاظ على تراثنا العربي؟ فأجاب الحفيان وابتسامة فرحة تعلو وجهه: إن معهد المخطوطات العربية جهاز عربي متخصص في التراث المخطوط، أنشئ عام ١٩٤٦م في إطار جامعة الدول العربية، ثم ألحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) مطلع السبعينيات من القرن الماضي، وقد أسس عبر عمره، الذي قارب السبعين عاما، لمناهج العمل التراثي على الأصعدة المختلفة، ورسخها نظريا وعمليا عبر مسارب متعددة، مما جعله بيت الخبرة العربي الأطول عمرا والأكثر عطاء بالمقارنة بنظرائه ذات الاختصاص، فقد عمل على جمع المخطوطات من شتى الأنحاء، وعمل على صيانتها وترميمها وفهرستها وتحقيقها، ودرسها، ومن ثم إتاحتها للجميع.

وفي إطار تطوير عمله استحدث القائمون عليه في مطلع القرن الحالي برنامجا أكاديميا للدرس التراثي، جعل المخطوطات حقلا معرفيا مستقبليا، خصوصا في مجال ما يعرف باسم «الفيلوجيا» (وهو علم تحقيق النصوص)، و«الكوديوكولوجيا» (وهو علم المخطوط). والمعهد يملك أكثر من مئة ألف مخطوط قام بتحقيقها وفهرستها ونشرها بشتى السبل خدمة للمهتمين من المتخصصين والمحبين.

فياله من معهد يقدم لنا خدمات جليلة من دون أن ندري.

• **محسن عبدالفتاح**

عتاب زوجة

رفيق العمر عمري قد وهبت
نسجت لكم من التحنان بردا
رأيت جواركم عزي وكنزي
دفعت بكم إلى العلياء دفعا
تعانقني السعادة حين تأتي
وإن يمسسك من ذي العرش ضر
وإن ينزل بساح القلب كرب
تقول هرمت؟! حقا قد هرمت
فإن ذهب الشباب-فليت شعري-
وحسبي من شباب الروح أني
لكم عندي أياد يا رفيقي
لكم طوعا، ولا يوما ضننت
وقلت إذا همو سعدوا سعدت
ولا يوما به الدنيا عدلت
ونفسي ما لها يوما طلبت
وفي عينيك بشر قد قرأت
أبيت الليل دمعي ما كففت
لغير الله يوما ما شكوت
ربيع العمر عن طيب بذلت
فلو أدري له سوقا جلبت
إذا قلتم حياتي ما بخلت
فإن زل اللسان فقد عفوت

• **محمد أحمد عبدالقادر**

رائدة الأديبات.. أمينة اللوه

الأديبة والمربية والصحفية المغربية الرائدة الدكتورة أمينة اللوه، سليلة عائلة الفكر والعلم والثقافة، المنتمية إلى أسرة اللوه الشهيرة بقبيلة بقوية بالريف، وإحدى نساء الريف الرائدات في مجال الفكر والأدب والصحافة والتربية، الذين كان لاسمهم نصيب من العطاء، وخدمة العمل الأدبي والصحفي والتربوي بالمغرب، تركت عالمنا وفاضت روحها إلى بارئها عن سن تناهز ٩٠ عاما، مخلفة وراءها إرثا فكريا وأدبيا مهما، جزء منه مكتوب بعدد من الصحف والمجلات. وأحب أن أذكر لها بعضا مما امتازت به من ذكاء وقاد، وبصيرة نافذة، وهمة وعزم وإرادة، لتنهض بالأدب المغربي نهضة عالية، وتقفز به قفزات واسعة، وتغذيه وتنميه وتطوره، لتكون مثلا أعلى لغيرها من الأدباء والأديبات السائرين على الدرب نفسه، كل ذلك جاء من خلال ما كتبته، وما ألقته من ندوات، وما نسجته من مسرحيات، وما قامت به من أبحاث، وما خطته من رسائل وقصص ومذكرات وكلمات.

وقد عاصرت اللوه كبار المفكرين والأدباء والمصلحين، وأحدثت تأثيرا كبيرا في الأدب المغربي من خلال كتاباتها، فنا ونقدا وتأريخا، واستوفت كل جوانب شروط الأدب الراقي والرفيع، وانشغلت بالقضايا التربوية والتعليمية وبإعداد البرامج التعليمية، وتطوير المشهد التعليمي المغربي، وتدبير المؤسسات التعليمية العمومية، حتى أضحت مرجعا في هذا الحقل الحيوي.

كما عبّرت عن انشغالها بعدد من قضايا الأدب والتربية والتعليم والصحافة منذ أزيد من ستين سنة، بمداد جمال كلماتها عن أسمى تجلياتها؛ عبر نشرها لمقالات عدة في موضوعات اجتماعية وفكرية وثقافية وتربوية بمختلف الصحف والمجلات، منها: المعتمد والأنيس اللتان كانتا تصدران من مدينة تطوان، والصحراء ودعوة الحق والإيمان والفنون والمغرب والبحث العلمي والثقافة المغربية التي تصدرها وزارة الثقافة وغيرها.. رحم الله أمينة اللوه، وأفاد الأمة من تراثها الأدبي والفكري.

• **إلياس الهاني**

من أسس الاستخلاف

قضية الخلق والاستخلاف، خلق آدم عليه السلام واستخلافه في الأرض، هي أول قصة في القرآن الكريم تأتي في هذا السياق. وأول ما يلفت الانتباه في هذه القصة هو تكرار عنصر العلم بشقيه: علم الخالق وعلم المخلوق، حيث تكررت هذه الصفة أو هذا الخلق بمشتقاته ثماني مرات، مما يدلنا على أن قضية الخلق، ومن ثم الاستخلاف، قائمة على العلم، ومن أجل العلم. فنستطيع أن نقول: لا استخلاف في الأرض بغير العلم. وهذا العلم في حق المخلوق مستمد ابتداء من علم الخالق. ولذا، وجب أن يكون علم المخلوق منضبطا بالضوابط التي شرعها له خالقه.

والعلم الذي تدعو إليه الآيات الكريمات علم عام (الأسماء كلها) من دون تخصيص أو تفصيل، وهذا يرشد الإنسان، لاسيما المسلم، إلى البحث والنظر في العلوم مجتمعة، بل إن القرآن في غير هذا الموضع أوجب ذلك أو أشار إليه ﴿أَلَمْ تَرَ

الجوال.. غرقنا في شبر تكنولوجيا

المثل المصري المشهور «غرقنا في شبر ماء»، الذي يطلق على البشر الذين لا يعرفون كيف يصرفون أمورهم، وتضيق بهم السبل مع أي ورطة أو مصيبة، فهم عديمو التصرف وقليلو الحكمة، ويطلق أيضا على البشر الذين دائما في حيرة من الواقع ومن أمورهم. لكن هذا المثل تعدى الذي كان يطلق على أناس بعينهم إلى ما يقرب من مليارين ونصف المليار من إجمالي سكان العالم، مما جعلني أقول «غرقنا في شبر تكنولوجيا الهاتف الجوال»، الذي هو عدوى لا تبقي ولا تذر ولا يتعدى حجمه في كثير من الأحيان الشبر، فما من شاب إلا وتجده يمتلك أكثر من هاتف بحجة (بسبب) لعنة التكنولوجيا التي أصابت معظم الشباب والكبار والصغار، فأصبح الأب يكلم ابنه عبر الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وحتى ولو كلمه في الحقيقة تجد الابن لا يلتفت إلى كلام والده، حيث إنه يراسل أصدقاءه حول العالم من خلال الجوال، والثقافة الهدامة في استخدام الجوال جعلتني أقول نحن نعيش في مجتمع افتراضي والأسرة الافتراضية، لا نستمتع بالكلام مع الأصدقاء قدر ما نستمتع حينما يقوم أحد الأصدقاء بعمل إعجاب وتعليق على مواقع التواصل، والذي جعلني أيضا أبكي بدل الدموع دما، أن العرب هم أكثر الناس الذين لا يعرفون لثقافة الاستخدام العادل معنى، وهم الذين انهمكوا، بطريقة وحشية، في استخدام التكنولوجيا. والذي أحزنني أكثر بعد رجوعي من القاهرة عاصمة البلاد إلى صعيد البلاد، ووجدت الشباب قد انغمسوا في الواقع الافتراضي وغرقوا فيه بطريقة مهينة، وسأمت المنظر، وقمت أتدبر: كيف وصلنا إلى هذا الحد من التخلف وليس التقدم في ثقافة الاستخدام؟ فقديما حينما كان يناقش أي أمر في المضيفة كنا (نحن الشباب) نجلس منصتين لنسمع آراء الكبار حتى نتعلم منهم ونستزيد من خبرتهم في الحياة، لكنهم أصبحوا الآن منصتين للهاتف الذكي ولا يبالون بما يحدث من حولهم، وأصبحوا يضعون الجوال في أعينهم من شدة حرصهم عليه، ما جعلني أكتب رسالة إلى شباب الأمة ومثقفيها وعلمائها: هل لنا إلى خروج من سبيل من هذا الوباء التكنولوجي الذي عم الأمة من مشرقها إلى مغربها؟! وأخذنا هذه القاعدة في مدرسة الحياة ألا وهي «إن ما زاد على الحد انقلب إلى الضد»، وها نحن قد انقلبنا في الضد ذاته.

● **راشد صلاح أبورمية**

﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر:٢٧-٢٨).

ولم يقصر الحق سبحانه وتعالى فضل العلم على الأمة الإسلامية فحسب، بل، ولكونه عاما في العلوم كلها، جعل فضله كذلك عاما في الناس جميعا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١). فقيد الحق سبحانه وتعالى الإيمان بالجار والمجرور ﴿مِنكُمْ﴾، لأنه لا إيمان بمجيء محمد ﷺ إلا لهذه الأمة، فوجب التخصيص والتقييد، وترك التقييد بـ «من» في مقام الحديث عن العلم؛ ليفهم أن العلم يعلي صاحبه مطلقا، فإن كان مؤمنا عاملا بعلمه كان النهاية في الكمال، وإن كان عاصيا كان أرفع من مؤمن عاص وهو عار من العلم، وإن كان كافرا كانت رفعته دنيوية.

● **عرفان عبدالدايم**

مسك الختام

مشكلاتنا.. والمعلم الأعظم

في ظل المتغيرات والأحداث التي نعيشها اليوم، نسمع ونقرأ ونشاهد قصصا تثير العجب في تربية الأبناء والتعامل مع الجيل الصاعد، فترى العقول محتارة، والنفوس مضطربة تغوص في عالم من المتاهات لا تعرف أين المخرج ومتى؟ فتسمع في أحيان كثيرة عن ابن انحرف سلوكيا وبدأ يمارس التدخين، أو تمادى في الخطأ فتعاطى المخدرات أو المسكرات. أو تسمع بآخر أصبح همه ملاحقة الفتيات، أو متابعة أخبار لاعبي كرة القدم، أو المغنين والمغنيات، أو الممثلين والممثلات.. بشكل لا يمت لثقافتنا العربية والإسلامية بصلة! وتسمع عن أم – أو قل أمهات – لا هم لهن سوى الخروج والمسرات والزيارات، والذهاب إلى الأسواق والاحتفالات، ومتابعة كل أشكال الموضة والمسلسلات؛ سعيا منهن لإشباع شهواتهن، متناسيات أمور التربية لأبنائهن التي كلفن بها بالفطرة، لإنشاء جيل قوي عظيم يحمل هموم الأمة والخير للعالم.. فأين التربية الحقيقية؟ وأين الإسلام الحقيقي الذي تعلمناه من خير البرية؟

وتارة تسمع عمن يظلم خدمه أو امرأته وأبناءه، يعنفهم ويضربهم، فلا وسيلة لهذا الجاهل بالتربية والتوجيه غير أسلوب العنف، فهو فقير في وسائله وعلمه. وتسمع عن قصص معلم يضرب طالبا ضربا شديدا؛ لارتكابه خطأ، بقصد أو من دون قصد، فلا طريقة تأديبية يمتلكها غير الضرب والتعنيف، ما يسبب مشاكل متلاحقة وعقدا نفسية للطالب تستمر مدى الحياة.

اعتقد أن البدء الحقيقي لإصلاح الواقع يكون بالعودة إلى المعين الأول بعد القرآن الكريم، وهو السيرة النبوية وتعليمها حق التعليم، كما كان الأوائل يفعلون قبل غزو المحطات الفضائية، والمنشورات الإعلامية، ووسائل الشبكة العنكبوتية، التي عملت على تشويش أفكار أمتنا وزعزعة هويتها الثقافية والدينية لدى أبنائها. فلابد من الاقتباس من حياة أعظم الخلق الذي بنى أمة عظيمة استطاعت بالفعل أن تقود العالم لقرون طويلة، فكانت نبراسا تنير الطريق، وغاية تمنت جميع الأمم إدراكها. فعلينا أن نأخذ من المعين العذب، من حياة رسول الله ﷺ الذي لم يدخر جهدا في التعليم، والذي يحق لأساليبه التربوية أن تدرس في الجامعات، حيث كان نموذجا للمعلم الحق الناجح في تعليم الدين وتطبيق أوامر الشريعة وأخلاقها.

فانظر إلى رحمته مثلا عندما بال أحد الأعراب في المسجد وهاج عليه الصحابة، فاستنكر رسول الله ﷺ عليهم ذلك، وأخبرهم أن يتلطفوا معه وأن يرحموه ويعلموه الشيء الصحيح، فانظر إلى حلمه.. فتحدث معه بكل رأفة أن هذا المكان طاهر لا يصلح فيه شيء من هذه النجاسة، وطلب من أصحابه أن يريقوا دنوبا من الماء على مكان بوله ليطهر، فكان نموذجا للصحابة في كيفية التعامل مع المشكلات الحياتية اليومية بترو وحكمة، في مواقف تبعث على الحب بدل الكراهية. وكان ﷺ يبتسم في وجوه أصحابه، ويسمعهم الكلام الطيب، ويتقبل شكواهم بصدر رحب وأدب جلي كمعلم مبدع.

د. آندي حجازي
كاتبة صحفية تربوية



براعم الإيمان
قلم صغير و فكر منير
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
موقع براعم الإيمان في حلته الجديدة
مجلتكم تقترب منكم أكثر
www.baraemaleiman.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Waei AL-islami
العدد (٦٠١) صفر ١٤٣٧ هـ - نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٥ م



بيت العثمان..
دانة كويتية تحكي قصة وطن

- جيل المستقبل (ملف العدد)
- التشاؤم من شهر صفر
- القدوة.. منهج إسلامي قويم
- كيف نفهرس المخطوط العربي؟
- الشباب العربي والإلحاد الخفي

هدية العدد: التقويم الهجري لعام ١٤٣٧هـ

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

info@alwaei.com
www.alwaei.gov.kw
مجلة الوعى الإسلامى

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا



الهمّـــــة العالية

للعلم في شريعتنا مقام عظيم، فأهل العلم هم ورثة الأنبياء، وفضل العالم على العابد كما بين السماء والأرض؛ فعن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لتجارة؟! قال: لا. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؛ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر» (أخرجه الترمذي).

والعلماء أُمناء الله على خلقه؛ لحفظهم الشريعة من تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولذلك جعل الله تعالى التعويل في أمر الدين عليهم؛ قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣)، ولذا كان من رزق فقهًا في الدين فذاك الموفق على الحقيقة، فالفقه في الدين من أعظم المنن؛ عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (أخرجه الترمذي)، ومِن شرف العلم وفضله أنَّ كل من نسب إليه؛ فرح بذلك، وإنْ لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه ونسب إلى الجهل؛ عزَّ عليه ونال ذلك من نفسه، وإنْ كان جاهلا حقيقة، حتى إن النبي ﷺ سوّغ الغبطة في أمرين خيّرين: بذل المال، وبذل العلم، وهذا لشرف الصنيعين، وحث النَّاس على التنافس في وجوه الخير؛ عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» (متفق عليه).

والعلم لا يُنال أبدا بالتمني والتكاسل، وإنما بالجد والاجتهاد، والتعب في تحصيله وضبطه وحفظه.. وعلوّ الهمة معنى عظيم؛ يدل على استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية؛ مرضاةً لله تعالى.. وكبير الهمة في العلم هو مَن لا يرضى بالدون أبدا، ويجاهد نفسه في سبيل الوصول إلى القمم العالية في تحصيل العلم..

وإن من سمّت الناجحين أولي الهمم العالية، الإصرار والعزيمة، فالآمال لا تتحقق إلا بهما، وإن من أشد القيود التي تحول بين الإنسان وبين تحقيق أهدافه فقدان العزم وخمول الهمة؛ فقد يضع الإنسان لنفسه أهدافا عالية، لكنه حينما يبدأ في العمل من أجل تنفيذها والوصول إليها يُفاجأُ بحجم الجهد الكبير الذي يتطلبه النجاح، فلا يصبر وتَنْحلُّ عزيمته، فيترك أهدافه ويقعد عن العمل.. صحيح أن طريق النجاح ليس مفروشا بالورود والرياحين، ويحتاج إلى تعب وبذل لإدراكه، ولكن الإنسان حينما يذوق طعم النجاح تهون عليه كل لحظة تعب أمضاها في طريق النجاح العلمي، حتى يكون ذلك التعب أشهى إلى نفسه وألذ من طعم الراحة والدّعة والسكون، وهذه سنة الله تعالى؛ أنه لا نجاح ولا إنجاز إلا بتعب وكفاح وهمة عالية، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩).

د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٠٦ | صفر ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٥م

المراقب المالي والاداري
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هدايت الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ٤٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

التعلم سُلّم نجاح الأجيال

تعتبر العملية التعليمية من أهم عوامل بناء المجتمعات الحديثة، وخير شاهد على ذلك ما دلت عليه التجارب المعاصرة لجميع الدول الناجحة؛ حيث أثبتت أن تقدمها الحقيقي في جميع مجالات التنمية بدأ من التعليم باعتباره نظاما اجتماعيا مؤثرا في المنظومة المجتمعية الشاملة.

وحتى تكون هذه العملية هادفة محققة نتائجها المرجوّة، فلابد من مراعاة المبادئ الأخلاقية التي هي العماد الأمثل لكلّ نجاح وازدهار، كما أن الطرق التربوية المختلفة تعتبر وسائط تعليمية مساعدة؛ تستثير المتعلم وتوجّه تقدّمه العلمي، وقيمة هذه الوسائل إنما تقاس بمقدار ما تثيره من تفاعل إيجابيّ في نفس المتعلمين؛ كبارا وصغارا وناشئة، ومن هنا كان مهمّا للمعلم أن يتعرّف على هذه الوسائل، ويراقب تجددها، ويحسن إدارتها واستعمالها، ذلك أنها تمثل نقطة التحول في قيامه بواجباته التعليمية.

كما أنّ المنهج التعليمي المطلوب يظلّ حبرا على ورق ما لم يتحوّل إلى عمل بنّاء يترجم مبادئ هذا المنهج ومعانيه، ولذلك حين خلا العلم في عصرنا من التربية؛ صار ضرر التعليم على الفرد والمجتمع أكثر من نفعه؛ فالتقدّم التقنيّ مثلا سُخِّر للمُجون ووأد الفضيلة، وتلويث العقول بالأفكار المنحرفة، وكذا التقدّم العلميّ في الحضارة المادّية المعاصرة وَلَّد قوى متجبرة همجيّة، لا علاقة لها بالأخلاق؛ قوى سيطرةٍ واستبداد وامتصاصِ ثرواتِ الضعفاء، وسَحْق الأبرياء.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

ثلاث باحات تطل عليها ١٥٧ غرفة تمتلئ بالمقتنيات التراثية:

بيت العثمان.. دانة كويتية تحكي قصة وطن

استطلاع : سليمان الرومي
وعلاء عبد الفتاح





يحكي متحف بيت العثمان فصولا من تاريخ الكويت الممتد عبر الزمان والمكان.. مفردات نسجتها يد خبيرة تصنع من كل مجموعة متجانسة جناحا في بيت قديم متسع تركه صاحبه لأعمال الخير.. بيت العثمان يشبه بتكوينه الفريد قلعة تحرس حكايات تاريخية تمنحنا الدروس والعبر.. قلعة تسمح لك بدخولها بكل ترحاب لتحكي لك قصة وطن... هنا غرفة التعليم وهنالك غرفة الصيد.. هنا غرفة الشهيد وهنالك غرفة العروس والأثاث الجديد.. هنا يتحدث التاريخ عن شخصيات كويتية تركت أثرا في كل مناحي الحياة وهنالك جيل جديد يتسلم لوحات مخططة ليرسم طموحا وأملا في غد أفضل بمشيئة الله.

«الوعي الإسلامي» زارت متحف بيت العثمان ورصدت بعدستها كيف كان يعيش الأجداد؛ حيث الصبر شيمتهم والعزيمة إرادتهم.. والهمة والنشاط يدفعانهم إلى اختراع ما يلزمهم من حاجات.

نبدأ من الباحة الأولى التي تقابل الزوار بعد عبورهم بوابة يقف عليها حارسان بزيهما الشرطي القديم.. تشعر ساعتها بأنك في متحف مستقل تم تجهيزه بالديكورات التراثية من بيت الشعر ومراكب الصيد وحتى الحيوانات المحنطة، مثل الجمل الملحق به درج يتيح للزوار الصعود على متنه والتقاط الصور التذكارية فوقه.

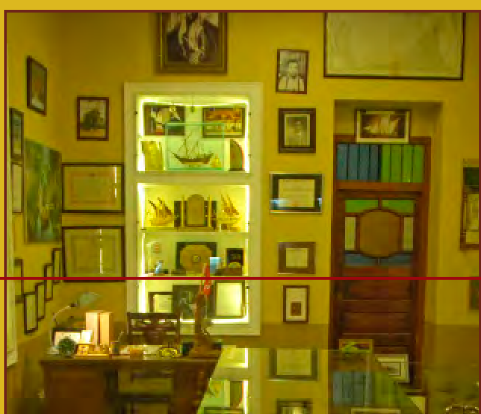
ونعرف من مدير المتحف عادل الفيلكاوي أن البيت تم بناؤه في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي على مساحة نحو عشرة آلاف متر مربع ليضم ١٥٧غرفة تطل على ثلاث باحات داخلية وفق النظام المعماري الإسلامي القديم، وأن الباحة الكبرى تتسع لإقامة الحفلات الشعبية والندوات التراثية، لكن ثمة أجنحة تحيط بالباحة يعمل فريق الموروث الشعبي التطوعي على تخصيصها بالكامل لنواحي الحياة المختلفة في الكويت؛ تجارية كانت أم فنية أم رياضية أم غيرها.

ويوضح الفيلكاوي كيف أن فكرة المتحف جاءت من أفراد لهم اهتمام بالتراث فكونوا من أنفسهم فريقا برئاسة أنور الرفاعي للحفاظ على الموروث الكويتي عام ٢٠١٠م، يقول: كان علينا أن نجد جهة قانونية كمظلة للعمل تحتها فلم نجد أنسب من مركز العمل التطوعي الذي يتسع لفرق تطوعية شتى، وبالفعل رحبت بنا الشيخة أمثال الأحمد الجابر الصباح.









كان البيت فارغا عندما استلمناه، وعلى الفور بدأنا في تأسيسه بأجنحة مستقلة نشتري القطع التي تخصها من هواة جمع المقتنيات ومن المزادات حتى وصلنا إلى الهند، أو نحصل عليها من إهداءات الورثة أو الشخصيات العامة المحبة للتراث والحريصة عليه.. بالإضافة إلى دعم قوي من عائلة العثمان.

اتجهنا إلى جناح «رحلة الحياة» الذي يحاكي الحياة في الكويت، خاصة ما يتعلق بمؤسسات ووزارات الدولة وكيف كانت المواصلات أو محلات السوق أو العملة وإلام صارت.. يضيف الفيلكاوي: فكرنا في إضافة متحف الدراما الكويتية فقد كنا الرواد في هذا المجال بالخليج.. لذا سعينا للحصول على ما لدى التليفزيون من مقتنيات تخص وسائل بث قديمة أو ملابس تاريخية وغيرها، ونجحنا في ذلك.

ندهش ونحن نرى الأجهزة الأولى المستخدمة في التوليف (المونتاج) أو البث أو خلط الأصوات كلها في صناديق زجاجية تحميها من التلف.

مقابل جناح الأمانة العامة للأوقاف نرى السوق الكويتي يتجلى واضحا بمحلاته، حيث بيع البشوت والأوعية وحتى الحلاقة والحدادة..

عدد الزوار

نسأل مدير المتحف عن عدد الزوار فيقول: متحف بيت العثمان يعتبر الثاني من حيث عدد الزوار بعد الأكواريوم ففي سنة واحدة زارنا نحو ١٥٠ ألف زائر وزائرة بالإضافة إلى زيارات ضيوف الدولة والوزارات، ويبلغ عدد طلبة

المدارس من ١٥٠ إلى ٢٠٠ طالب يوميا، أما سجل الـزوار فملىء بكلمات الثناء على المكان من مختلف بلدان العالم.

الأقسام الجديدة

من الأجنحة الجديدة بالمتحف والتي تفتتح هذا الشهر بمشيئة الله جناح تاريخ الرياضة الكويتية، وقد اصطحبنا الفيلكاوي إلى هـذا الجـنـاح (تحـت الافتتاح) فرأينا نموذجا مصغرا لملعب كرة القدم ومدرجات للمشاهدين تواجههم شاشة عملاقة تتدلى من السقف بضغطة زر حيث يعرض عليها مباريات قديمة تم الحـصـول بـصـعـوبـة على تسجيلاتها الـنـادرة، بينما في غـرفـةٍ مـواجـهـةٍ الـكـؤوسُ التي حصلت عليها الأندية الكويتية، وبـعـض مـتـعـلـقـات مشاهير اللاعبين معلقة على الحائط. كما يتوقع افتتاح دار الدكتور يعقوب يوسف الحجي وهو من مشاهير الموثقين للتاريخ البحري الكويتي قريبا مع جناح إسماعيل بـهـبـهـانـي حـيـث تـبـرع أبناؤه بمقتنيات تراثية عديدة تركها. نـسـألـه عـن الـعـمـل الخيري وهـل لـه مـن جـنـاح فـي بيت العثمان فيقول: ثمة جناح كبير للأمانة العامة للأوقاف.. تضم مخطوطات ومقتنيات إسلامية ونسخا للقرآن الكريم، من عهد حـاكـم الـكـويـت الـثـالـث الشيخ جابر الأول خطه بيده سليمان بن أحمد الغانم كما يضم هذا الجناح المهم لوحة مسجل فيها كل الواقفين الكويتيين الموثقين منذ عام ١٨٢١ حتى ٢٠٠١م.



المحسن الكبير وموقع إلكتروني شامل

لمتحف بيت العثمان موقع إلكتروني شـامـل يضم جولـة مـرئـيـة لتفاصيل المتحف بزوايا ٣٦٠ درجـة، وفي الموقع كذلك مختصر لسيرة صاحب البيت عبدالله عبداللطيف العثمان فهو أحد رجالات العمل الخيري الكويتي المشهورين تلقى تعليمه في مدرسة المباركية ثم أضحى مدرسا فيها. امتهن مبكرا مهنة الطواشة والحسابات لدى الطواش راشد الفرحان، بعد انفصاله عن الفرحان امتهن الغوص على قارب والـده عبداللطيف العثمان، ليؤسس بـعـدهـا مـدرسـة الـعـثـمـان مـع إخوته المـلا عـثـمـان والمـلا مـحـمـد والأستاذ عبدالعزيز عام ١٩٣١م. بـدأ عمله في البلدية عام ١٩٣٢م كاتبا حتى تدرج إلى منصب مدير البلدية. بعد تقاعده عام ١٩٤٨م أسس مكتبا له في المرقاب تولى فيه تجارته في العقار والمقاولات فكان أن رزقه الله الـثـروة الكبيرة في تجارته ومعها تنامى عمله الخيري وزكواته حتى وصلت تبرعاته مختلف بقاع العالم. أطلق عليه الناس لقب «المحسن الكبير» وارتبط اسمه بزكاته السنوية «زكـاة العثمان» التي حرص عـلـى تـوزيـعـهـا مـن ديـوانـه فـي بيت العثمان على الجموع الغفيرة الساعية إليه من كل مكان. توفي عام ١٩٦٥ عن وصـيـة سخر فيها ثـلـث مـالـه للعمل الخيري فكان ثلث العثمان يتجدد فيه إرث عبدالله العثمان الخيري.







مساهمات الأفراد

يستطيع أي فرد أن يتقدم بأي قطعة تراثية لديه إلى متحف بيت العثمان فيحصل على شهادة بها وتوضع باسمه في المتحف فيكون بذلك قد أخرجها من حيز ملكيته الخاصة إلى الملكية العامة حيث يستفيد منها الجميع.

الدعم

يحتاج المتحف إلى كل دعم ممكن ليفتتح قاعات جديدة فمازال المستغل من البيت ذي العشرة آلاف متر مربع ثلثيه فقط، فالعمل هنا تطوعي والإمكانات محدودة وأعضاء الفريق ينسقون لعرض المقتنيات بشكل جمالي بل ويقومون بأعمال النجارة اللازمة بأنفسهم، ولا يتأخرون عن المشاركة مع أي جهة تطلب جناحا خاصا ببيت العثمان كما حدث في القرية التراثية على طريق السالمي أو غيرها.

لوحة فنية لم تكتمل

في جناح الفنان التشكيلي أيوب حسين القناعي عرض مرئي على شاشة تليفزيونية لآخر عمل فني بدأه ولم يكمله بينما لوحات له مع أدوات رسمه تقبع في الأركان شاهدة على عطائه النبيل ولوحات الطبيعة التي رسمها وكأن كاميرا فوتوغرافية التقطتها غير أنها تحمل دفء الريشة المستمد من أسلوب الفنان وحسه المرهف.









في ميزان الشريعة:
التشاؤم من شهر صفر!

كمال عبد المنعم خليل
باحث مصري

يتشاءم البعض من مقابلة شخص ما، أو من الكلام مع آخر، أو من لبس ثوب ما، أو من سماع أصوات بعض الطيور مثل الغربان والبوم والكلاب، ويتنوع التشاؤم عند آخرين فلا يسافرون في يوم معين من الأسبوع أو الشهر، ويزعمون شؤمه، وكذلك يتشاءم البعض من أرقام معينة وغير ذلك، ومن ذلك ما يسيطر على أذهان واعتقاد البعض من أن شهر صفر شهر شؤم، ونذير شر، فلا يسافرون فيه، ولا يتناكحون أو حتى يتزاورون فيه، وهذا مما ساد في الجاهلية، واستمر بعضه إلى يومنا هذا!!.

إن الله تعالى خلق الشهور والأيام، كما خلق السموات والأرض، وكما خلق الإنسان والحيوان والجماد وغير ذلك مما في الكون من حولنا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ (التوبة:٣٦)، قال المفسرون: «إن هذا أمر ثابت منذ خلق الله تعالى الأجرام والأزمنة، أي أن هذه الشهور مثبتة في اللوح المحفوظ مذ أوجد هذا العالم، وبينه لأنبيائه على هذا الوضع» أ.هـ.

ولقد ساد اعتقاد في الجاهلية في شهر صفر أنه نذير شؤم، حيث كانت الطيرة من لوازم اعتقادهم، فلا يقدمون على فعل شيء إلا وضربوا الأقداح، وطيروا الطيور، حتى يطمئنوا إلى قرارهم، حيث كانوا يتوقعون الخير والشر من حركة الطير يمينا أو شمالا، فإذا طارت من جهة اليمين استبشروا وأمضوا أعمالهم، وإذا طارت من جهة الشمال تشاءموا وتوقفوا عن إنفاذ ما يريدون، لدرجة أن الأنبياء نالهم من هذا الاعتقاد الفاسد، فهؤلاء قوم ثمود يقولون لنبيهم صالح عليه السلام: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ (النمل:٤٧)، وهؤلاء قوم موسى عليه السلام يقول الله تعالى عن اعتقادهم: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ (الأعراف:١٣١)، وجاء الإسلام بعقيدته الواضحة ليجتث جذور هذه الترهات والأباطيل التي لزمت الناس ردحا من الزمن، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر»، وزاد مسلم «ولا نوء، ولا غول»، وجاء النهي في الحديث قاطعا، حتى لا يتعلق قلب العبد بغير الله تعالى في فعله لأمر ما أو امتناعه عنه، لأنه إن فعل ذلك فقد شاب اعتقاده شائبة، ودخل في دائرة الشرك بالله تعالى، أخرج الطبري عن عكرمة رضي الله عنه قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر، فصاح بصوته، فقال رجل: خير خير، فقال ابن عباس: «ما عند هذا خير ولا شر»، وكانوا يتشاءمون إذا وقفت البومة على دار أحدهم فيقول: نعت إليَّ نفسي، أو أحدا من أهل داري!!، قال ابن رجب الحنبلي: وكان التشاؤم من شهر صفر من جنس الطيرة المنهي عنها.

فعلى المتشائم أن يخالف هواه واعتقاده إذا لازمه ذلك التشاؤم، روى أبوداود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»، ولأبي داود من حديث ابن مسعود مرفوعا: «الطيرة شرك، الطيرة شرك... ولكن الله يذهبه بالتوكل»، وروى أحمد من حديث ابن عمر مرفوعا: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقولوا: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»، فالمؤمن يوقن تمام اليقين أن الله تعالى وحده كاشف الضر، بيده الأمر، كل شيء عنده بمقدار، وكل هذا مسطر عند الله تعالى ومكتوب، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ (الحديد:٢٢).

أما التفاؤل فمشروع، لأنه من باب حسن الظن بالله تعالى، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»، قال العلماء: ليس في التفاؤل تعليق القلب بغير الله، بل من النشاط والسرور، وتقوية النفوس على المطالب النافعة، قال ابن القيم رحمه الله: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية، التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، وقد كان الرسول ﷺ يستبشر بما حسن من الأسماء، ويغير القبيح منها، ليس من باب التشاؤم، ولكن الإنسان جبل على حب الخير، وما يوافق الفطرة السوية.

إن المسلم عليه أن يراجع اعتقاده، ويصلح ما به من خلل، لأن العقيدة هي أساس الإيمان في القلب، وهي الباب الأول والأوحد الذي يدخل منه من يريد الانتساب إلى هذا الدين، فيشهد أن لا إله إلا الله؛ شهادة يزول معها كل معتقد جاهلي باطل، وكل ظن سيِّئ لا يليق بالإله المتفرد بالعبادة سبحانه وتعالى.

بقي أن نقول: إن شهر صفر ليس شهر التشاؤم، ولا يوصف شهر بمثل هذا، بل كلها من أيام الله تعالى التي أُمرنا أن نعبد الله فيها حق العبادة حتى نفوز برضا الله تعالى دنيا وأخرى.



التوبة والوقاية

محمد خاطر
كاتب صحفي

التوبة باب عظيم من أبواب الوقاية، فالإنسان العاصي إن لم تفتح له أبواب التوبة سيستمر في اقتراف الذنوب والمعاصي والشرور بأنواعها.

والتوبة لها آثارها الإيجابية على الفرد والمجتمع، فالتوبة تعطي الإنسان الأمل وتمنحه السلام النفسي، وتشجعه على ترك المعاصي والذنوب، وفتح صفحة جديدة في تعامله مع الخالق عز وجل، وتعامله مع الناس.

والتوبة تحمي المجتمع من تكرار الجرائم، وبخاصة الجرائم المتسلسلة التي يفقد أصحابها الأمل في أن يكونوا أفرادا صالحين في المجتمع، ويدفعهم اليأس والنقمة إلى الاستمرار في إلحاق الاذى بالآخرين.

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن فتح لهم باب التوبة والعودة إليه مهما بلغت ذنوبهم وخطاياهم، ولو لم تشرع التوبة لفسد الإنسان وفسدت الأرض، فعدم وجود التوبة يعني تأنيب الضمير المستمر، وتكدير الحياة والتفكير في الانسحاب منها أو اللجوء لإيذاء النفس بالانتحار، أو التفكير في إيذاء الآخرين.

وقصة الرجل الذي قتل مائة نفس فيها الكثير من الدروس:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا. فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا. فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله. فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم. فقال: إنه قتل مائة نفس. فهل له من توبة؟ فقال: نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا. فإن

بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم. ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصَف الطريقَ أتاه الموت. فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط. فأتاه ملك في صورة آدمي. فجعلوه بينهم. فقال: قيسوا ما بين الأرضين. فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد. فقبضته ملائكة الرحمة». (صحيح مسلم: ٢٧٦٦).

وفي هذا الحديث جملة من الفوائد ومنها: عدم اليأس من رحمة الله عز وجل، والمبادرة إلى التوبة، والبحث عن أهل العلم، فالعابد أفتى بجهل فكان جزاؤه القتل، وكل ما فعله العالم هو أنه فتح باب التوبة والأمل أمام الرجل القاتل، وأرشده إلى تغيير البيئة السيئة التي يعيش فيها لأنها من الأسباب التي شجعته على التمادي في القتل وإزهاق أرواح الأبرياء.

يقول د. وهبة الزحيلي: الشريعة الإسلامية تستهدف في أحكامها حماية مصالح الدنيا، وحفظ مقاصد الآخرة، بل إن الدنيا في الحقيقة مزرعة الآخرة، كما ورد في الأثر.

وبناء على هذا فلا يتصور أن تكون التوبة سببا في ضياع مصلحة الجماعة في تطبيق العقوبة، ولا وسيلةً تؤدي إلى الإغراء بالمعاصي والتجرئة عليها أو تسهيل ارتكابها، وإنما على العكس تكون التوبة الصادقة مساعدة على استئصال شأفة الجريمة، لأنه إذا كانت الغاية الأولى للعقاب هي إصلاح المجرم، فإن التوبة أقوى تأثيرا في تحقيق تلك الغاية لصورها عن باعث ذاتي واقتناع داخلي. فهي إذن تفتح باب الأمل أمام المخطئين، وتدفعهم إلى معترك الحياة بروح إيجابية جديدة وحيوية وفعالية منتجة». (الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ص، ٥٥٥٣).

والله عز وجل حث عباده على التوبة، يقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى:٢٥).

يقول الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة:٧٤).

ومن فضل الله عز وجل على التائبين أنه يبدل سيئاتهم حسنات. يقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان:٧٠).

والله عز وجل يفرح بتوبة عبده، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لله أشد فرحا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». (صحيح مسلم: ٢٧٤٧).

وأرجى آية في كتاب الله عز وجل كما يقول العلماء هي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣). لما فيها من البشارة للعصاة والمذنبين، والوعد بمغفرة الذنوب، والتذكير برحمة الله عز وجل.

والإسلام لا يعرف اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل، ولا يعرف مفهوم رجال الدين، ولا يوجد فيه صكوك للغفران، ولا توجد فيه واسطة بين العبد وربه، فباب التوبة مفتوح، ورحمة الله واسعة، وفضله على عباده عظيم، وكلها أمور تشجع الفرد المسلم على التوبة وترك الذنوب وتجنب آثارها النفسية، وتعطيه الأمل في رحمة الله عز وجل، وبذلك يستطيع القيام بوظيفته الأساسية وهي عبادة الله عز وجل، وأداء دوره في الاستخلاف وعمارة الحياة.

والتوبة فيها وقاية من التمادي في المعاصي والذنوب، وفيها قطع للتسويف ووسوسة الشيطان، وهي بمثابة دعوة لفتح صفحة بيضاء نقية خالية من الشرور والآثام، تخلص الإنسان من أثر الذنوب والمعاصي، وتفتح أمامه أبواب الرحمة والمغفرة.

والتوبة تقرب الإنسان من الله عز وجل الذي أخبر أنه يحب التوابين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢).

بمناسبة صدور موسوعته «التفصيل في إعراب آيات التنزيل»

د. سعد مصلوح: النحو لم ينضج ولم يحترق..



منذ أن أنزل الله عز وجل كتابه الخالد على نبيه محمد ﷺ، تعددت أوجه خدمة الأمة الإسلامية لهذا الكتاب المبارك، وعنايتها به، تفسيرا وتدبرا وإعرابا وتحليلا واستنباطا لأحكامه ومضامينه... إلخ، وفي حلقة جديدة من حلقات عناية الأمة بالقرآن الكريم صدرت حديثا موسوعة نحوية قرآنية بعنوان «التفصيل في إعراب آيات التنزيل».. اخترقنا كواليس إعداد هذه الموسوعة وقلبنا صفحاتها مع أحد مؤلفيها، الأستاذ الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح، فكان هذا الحوار:

حوار: عامر أحمد

- تعددت أعاريب القرآن الكريم قديما وحديثا، حتى فتحت شهية الباحثين لدراسة مناهج المعربين للقرآن الكريم، فالدكتور عبدالله الخولي الإعلامي المعروف بإذاعة القرآن الكريم بمصر، حصل على الدكتوراه بهذا العنوان، «مناهج المعربين للقرآن الكريم.. سورة البقرة نموذجا».. فما الجديد الذي يقدمه «التفصيل في إعراب آيات التنزيل» للمكتبة القرآنية والنحوية؟

لاحظنا أمورا عدة عند المعربين المعاصرين، وأخرى عند المتقدمين منهم، فالموضع الواحد يمكن أن تكون له توجيهات نحوية عدة، قد تبلغ أكثر من عشرين توجيها، فلم نجد لدى المتقدمين جمعا مستوعبا لكل هذه الأوجه في كتاب واحد، أما لدى المعاصرين فقلما تجد ذكرا لهذا التعدد، وإذا جاء فإنما يأتي في حدود ضيقة، وقد يُختار الرأي المرجوح لأنه أيسر في الإعراب.

وكذلك لاحظنا في بعض المنجز المعاصر نوعا من التشتت وتعدد



الأغــراض، والجـمـع بـين البلاغة والنحو وشرح الغريب، والذي يحرص على جمع كل هذه الجوانب غالبا ما يفرط فيها جميعا، كذلك فإن بعض المعاصرين اشتملت أعمالهم على ما يمكن أن يدخل في باب الغلط، فرأينا منهم من يعرب الفاء للحال، ولم يقل أحد بهذا، ولـم نتعقب أحـدا، إنما أثبتنا ما نرتضيه، أضف إلى ذلك صعوبة ألفاظ المتقدمين، فقد كانوا يكتبون لعصرهم بطبيعة الحال، وقد وضعنا نصب أعيننا أن نضع كتابا يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، ويكون تصديقا لاسمه «التفصيل في إعراب آيات التنزيل».

- كيف نشأت الفكرة؟ وكيف تطورت وتبلورت؟ وكم استغرق إنجازها؟ نريد أن نعيش في كواليس وخلفيات هذه الرحلة.

فـي الحـقـيـقـة لـسـتُ صاحب الفكرة، إنما صاحبها أخي ورفيق عمري المعرفي الأستاذ الدكتور عبداللطيف محمد الخطيب، وهو من أصحاب الصناعة الثقيلة في هذا المجال، فقد أنجز قبل ذلك معجم القـراءات في أحـد عشر مـجـلدا، بـدت لـه فـكـرة الإعـراب فصارحني بها وتخوفت ولكني استعنت بالله ودخلت معه وشاركنا أخونا الأستاذ رجب العلوش وهو من الموجهين الفنيين في وزارة التربية الكويتية.

وقـد اسـتـغـرق العـمـل فـي هذا الكتاب جمعا وكتابة وصفّا وطباعة وانتظارا للطبع مدة نيفت على ستة عشر عاما، وقلما شاركه في هذا الوقت غيره من الأعمال، إنما كان جل الوقت منصبّا عليه.

لهذا عملنا في هذه الموسوعة ١٦ عاما مع كثرة المؤلفات المشابهة لها

- ليست هذه هي الشراكة الأولى لكم في التأليف مع الأستاذ الكبير عبداللطيف الخطيب، هناك نحو العربية والتدريب اللغوي، ما موقع هذا الكتاب على خارطة هذه الشراكة؟

هذا سؤال مهم جدّا لأنه يعطينا وصفا دقيقا لطبيعة هذا العمل، فهذا إعراب أكاديمي وليس إعرابا للمراجعة العاجلة، وقد كانت كل شراكتي مع الدكتور الخطيب في الكتب التعليمية، وأنجزنا بحمد الله في هذا الباب إنجازات كثيرة، لعل من أهمها مناهج النحو والصرف للمعهد الديني في



الكويت، وكذلك الجامعة المفتوحة، بالإضافة إلى سلسلة نحو العربية، وقد لاقت قبولا كبيرا والحمد لله رب العالمين، فـ «التفصيل» رحلتنا مع النحو الأكاديمي الذي يقف إعراب القرآن في الصدارة منه.

- يدفعنا هذا للحديث عن جنود آخرين قام بهم هذا العمل، مثل الجهة التي مولت إنجاز العمل وتحملت تكلفته، لاسيما أنه خرج في هذا الثوب القشيب، جمال الإخراج والطبع والتجليد.

أحب أن أسجل هنا أن محسنة كويتية رفضت الإفصاح عن اسمها، تبرعت لطبع هذه الموسوعة بعشرة آلاف دينار كويتي، ولما تم الطبع أعطيناها بعض النسخ المجانية، فاكتفت بأخذ خمس نسخ وأوصت بتوزيعها على بعض مساجد الكويت.

نحتاج إلى شغل أنفسنا بمعالي الأمور وترشيد إنفاق العمر

- ما المنهج الذي ارتضيتموه في هذا المنجز العلمي الضخم؟

اشتراك أكثر من فرد في عمل مثل هذا يحتاج إلى قدر كبير من التنسيق والعناية، فكان أول شيء اتفقنا عليه توحيد المصادر التي ستجمع منها المادة، ثم عمل إطار لمنهجية استصفاء الأوجه الإعرابية في الموضع الواحد، استقراء وتصنيفا، من حيث الأرجحية، وتوقفنا في كل موضع عند المسائل التي تمثل معاندة بين التركيب القرآني والقواعد المستقرة عند النحاة، ففي رأينا أن القرآن يمثل نحو الفطرة، أما ما وضعه النحاة والمختصون فيمثل نحو الفطنة، وغالبا إذا تعددت الأوجه فاعلم أن هناك شيئا من المعاندة بين هذين، فالتزمنا فكرة ترتيب الآراء بحسب الأرجحية واستقصائها استقصاء تامّا، والتوقف عند المسائل التي تحتاج إلى التوقف عندها، وأفردناها، فقلنا: مسألة في كذا أو فائدة في كذا، وما استغرق أسطرا عند غيرنا استنفد صفحات طوالا عندنا.. ومع تعدد هذه الأوجه وكثرتها لم نغفل شيئا مهمّا جدّا، غير موجود في كل كتب الأعاريب، وهو التوثيق، هذا الوجه موجود في كذا هذا في كذا، فقد راعينا حاجة طالب العلم أو الباحث وليس القارئ العادي غير المختص.

على سبيل المثال الآيات التي نقرأها جميعا ونمر عليها مر الكرام ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ

وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ (العلق:٩-١٣)... إلخ، إعراب هذه الآيات يستغرق عند غيرنا أسطرا لا تتجاوز الصفحة ونصف الصفحة، أما عندنا فوضعنا الجداول وبحثنا دلالة الرؤية هل هي بصرية؟ أم علمية؟ وما يترتب على ذلك من إعراب، وأسلوب الشرط والجواب، وإذا كان محذوفا فما تقديره؟ إلى غير ذلك..

- واضح أننا أمام موسوعة علمية ضخمة، عدد كبير من المجلدات، فهل وضعتم فيها سبلا تهدي السائرين، الفهارس الموضوعية والفنية مثلا؟

كما سبق أن أشرت، في الموضع المناسب نقول: فائدة في كذا ونستقصي القول في المسألة ونوثقها من المراجع والمصادر، وكل مجلد من كتاب التفصيل يحتوي على إعراب جزأين من القرآن، فهو في خمسة عشر مجلدا، وفي آخر كل مجلد فهرس تفصيلي للمسائل التي وجدت في هذا المجلد، ثم جمعنا كل المسائل في مجلد واحد، فمن شاء أن يرجع للمسألة في المجلد نفسه سيجد دليلا، ومن أراد أن يستقصيها في القرآن كله إذا كانت لها نظائر أخرى أو مسائل مرتبطة بها يستطيع أن يلجأ إلى الفهرس المستقل، وهذا الفهرس المستقل أوصي به طلبة الماجستير والدكتوراه والباحثين الذين يتداولون مقولة خاطئة أن النحو نضج حتى احترق، وهو في الحقيقة بعيد عن الوصفين، فلم ينضج ولم يحترق.

محسنة كويتية تبرعت بعشرة آلاف دينار كويتي.. والجهة الممولة مفاجأة!

- بم يمكن أن يخدم الإعراب القرآن؟ وماذا يستفيد غير المختص من هذه الموسوعة؟

اللغة العربية ثقافة ونحوا وصرفا وإبداعا هي كالكتاب الواحد، صحيح أن كل علم قد يركز على منطقة ما، لكن الحدود والفواصل بينها غير موجودة، فهي يرفد بعضها بعضا، ونحن نعتقد أن القرآن الكريم مثل الشمس في المجموعة الشمسية، كل هذه العلوم تدور حوله وتخدمه، ومنها النحو والصرف، أما القارئ غير المختص فلن يحرم الفائدة إذا كانت لديه نوع من الألفة مع المصطلحات أو الدراسات النحوية.

- تعددت مؤلفات ومنجزات فضيلة الدكتور سعد النحوية والبلاغية والأدبية والنقدية، فماذا يمثل هذا المنجز القرآني النحوي للدكتور سعد مصلوح؟

أشكر أخي الدكتور عبداللطيف لأنه هو الذي دلّ على هذه الفكرة، وأحسب أن هذه الأعمال التي ذكرتها للدنيا فيها حظ كبير، أما هذا الإصدار فنرجو أن يكون حظنا فيه في الآخرة، وللآخرة خير لك من الأولى، نحاول أن نقدم شيئا نلقى به الله سبحانه وتعالى، يخفف عنا بعض أوزارنا يوم القيامة.

- هل تستعدون لإطلاق مشروعات علمية أخرى تشفعون بها هذا العمل العملاق؟

كما ترى للسن أحكام، ولكني كنت محرضا لأخي الدكتور عبداللطيف هذه المرة على إنجاز عمل في الاتجاه نفسه، يكمل هذا العمل (التفصيل)، وإن كنا لم نسمه بعد، لكنه يدور حول عقد الصلة بين الجانب النحوي والجانب القرائي، أي الجانب النحوي في قراءة عاصم والقراءات الأخرى والجانب البلاغي.. هو في الحقيقة مشروع ضخم لا ندري متى ينتهي، لأن بلاغة القرآن تحتاج إلى وقفات طويلة.

- كلمة أخيرة.

مع ما تعج به الساحة على كل المستويات من أحداث ومعوقات ومثبطات، أصارحك بأننا وجدنا في هذا العمل قدرا كبيرا من العزاء، حاولنا أن نتجه نحو الشيء الذي يبقى والجوهر الذي تكمن فيه الفائدة والذي يتجاوز أعمارنا ويبقى لما بعدنا، وأعتقد أننا في حاجة إلى أن نشغل أنفسنا بمعالي الأمور، بل إني أقول دائما إنني في مرحلة سميتها «ترشيد إنفاق العمر»، نسأل الله أن يلهم عباده ليلتفتوا نحو معالي الأمور ويتركوا سفسافها، وأن يكون هذا العمل شيئا من الجد وسط بحار المهازل التي تحيط بنا.



القدوة.. منهج إسلامي قويم

محمد جمال حليم
باحث إسلامي

لاشك أن الإنسان مدني بطبعه، ولا يحب العيش منفردا، وهذا الاجتماع بالغير يحدوه شاء أم أبى لمحاكاة هذا الغير.. وعلى حسب نقاء فطرته يكون التوفيق في المحاكاة.. ومعلوم أيضا أن الإنسان عدو ما يجهل، لكنه إذا وجد غيره وقد أقدم على فعل ما حاز فيه تقدما يرجوه هو لنفسه، دفعه هذا دفعا لاتخاذ هذا الغير مثالا له، وتظل فطرة الإنسان تحدوه للمحاكاة والتشبه بالغير لاسيما في الأمور التي يتحقق له بها نفع أو تدفع عنه ضررا.

وقد توسع اللغويون في بيان معنى «القدوة» واشتقاقاتها، فذهب ابن منظور في لسان العرب إلى أن قدا: القدو: أصل البناء الذي يتشعب معه تصريف الاقتداء، يقال: قِدوة وقُدوة لما يقتدى به. ابن سيده: القُدوة، والقِدوة: ما تسننت به، قلبت الواو فيه ياء للكسرة القريبة منه وضعف الحاجز.

والقِدى: جمع قِدوة يكتب بالياء. والقِدة كالقدوة. يقال: لي بك قِدوة وقُدوة وقِدة، ومثله حظي فلان حِظوة وحظوة وحظة، وداري حذوة دارك وحذوة دارك وحذة دارك، وقد اقتدى به. والقدوة، والقدوة: الأسوة. يقال: فلان قدوة يقتدى به (١)

وقدوة (مفرد): جمعها قدوات وقدوات: من يقتدى به، أسوة، من يتخذه الناس مثلا في حياتهم لي بك قدوة (٢).

فالقدوة إذن تقتضي التأسي والمتابعة، وهي واحدة من أهم وأبرز أساليب التربية، وإذا كان المقصود في الاجتماع البشري الوصول إلى مرحلة إنتاج فرد سليم ومفيد للمجتمع فإن ذلك لن يتحقق من دون العمل على جعل الأفراد سالمين مفيدين فتكون القدوة أهم وسيلة لتحقيق ذلك (٣).

ولما كانت طبيعة الإنسان قد تدفعه للإقدام على ما يضره من حيث لا يعلم، جعل الله الرسالات وأرسل الرسل الكرام لهداية الناس والخروج بهم من موارد الهلكة ومظان الفساد.

وهنا تأتي أهمية القدوة لدفع الإنسان إلى حيث يكون النفع له ولغيره، ولما كان الإسلام هو دين الله الخاتم الذي أتم به الرسالات كان المسلم هو المعني والمخاطب بالاهتمام باتخاذ القدوة الصالحة النافعة له ولبني جلدته بل

وللكون من حوله.

القدوة والولاية

وكما أن القدوة تكون بين الأفراد وبعضهم؛ كالآباء لأبنائهم والمدرسين للتلاميذ، تكون أيضا بين المجتمعات، والشعوب والأمم.. ولقد خص الله أمة الإسلام بخيريتها على الأمم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ..﴾ (آل عمران:١١٠)، كما خصها بوسطيتها بين الأمم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة:١٤٣)، وفي جعل الرسول هو خاتم الأنبياء وجعل الإسلام خاتم الديانات ما يؤكد تمام كمال الرسالة المحمدية وأنها حوت ما تضمنته الرسالات السابقة، وفي هذا ما لا يخفى من دعوة غير المسلمين لمحاكاة هذه الأمة الخاتمة الراشدة وجعلها قدوة، واتباع هذا النبي الخاتم واتخاذه أسوة.

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب:٢١)

وفي الوقت نفسه حذر الإسلام المسلمين من التشبه بغير المسلمين من أرباب الديانات الأخرى ومحاكاتهم في سلوكاتهم ولباسهم وطرق حياتهم: فورد النهي صراحة من اتباعهم، ومن هذا ما رواه شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم» (٤).

وبالجملة اتخاذ غير المسلمين أولياء من دون المؤمنين، وفي العلاقة بين الولاية والقدوة ما ينبغي الإشارة إليه؛ فالمرء يقتدي بوليه لأنه يعتبره ذا شأن وحظوة، ولما كان الأمر يتعلق بالمسلمين وغيرهم نهى الإسلام عن اتخاذ غير المسلمين أولياء وهو نهي ضمني لاتخاذهم قدوة، كما هو ظاهر في سبب نزول قول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ (المائدة:٥١)

قال عطية العوفي: جاء عبادة بن الصامت، فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من اليهود، كثير عددهم، حاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية اليهود وآوي إلى الله ورسوله. فقال عبدالله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية اليهود. فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الحباب، ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه، فقال: قد قبلت. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ يعني: عبدالله بن أُبي ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾: في ولايتهم ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ (٥).

وقد ورد النهي عن اتخاذ غير المسلمين أولياء للمسلمين في أكثر من موضع في كتاب الله، من مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ (الممتحنة:١): أي أنصارا، وقد نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة، فعن الحسن بن محمد أنه سمع عبدالله ابن أبي رافع يقول: سمعت عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ) فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها» قال: فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب ابن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش - يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت - إذ فاتني ذلك من النسب فيهم - أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك، لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله تعالى هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

ومن أسف على ما آلت إليه أحوال بعض المسلمين اليوم من تشبه مقيت بالغرب ومحاكاتهم في أمورهم الحياتية من طرق المأكل والمشرب والملبس مما يختصون به، بل والتشبه



بهم في لكناتهم وطرق كلامهم بدعوى التحضر و«الموضة».. نعم صارت الموضة هذه هي بوابة العبور إليهم للأخذ منهم حتى في قصات الشعر وأساليب الحياة.. وصدق المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فقد شخص هذا كله منذ أكثر من أربعة عشر قرنا؛ فيما رواه أبوسعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن» (٦).

الحل الناجع

وقد وضع الإسلام لهذا الداء دواء ناجعا، بعد وصفه وتشخيصه تشخيصا دقيقا، فأرسى مبدأ القدوة واعتبرها المنجي من المهالك، ولم يكتف بذلك بل بين لمن تكون وكيف تكون واشترط فيمن يتخذ قدوة أن تتوفر فيه بعض الأمور على رأسها «الصدق» بأن يكون متزنا مع نفسه ولا يخالف قوله فعله، لأن في المخالفة سقوطا مدويا، وقد أشار القرآن إلى هذا في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ (الصف:٢-٣)، كذا ينبغي أن يكون مدركا لطبيعة ما يفعل وما يقول، وهو ما يعبر عنه بالحكمة، حتى يمكن الغير من محاكاته واتباعه ويكون فعله متناسقا مع الواقع دونما تكلف ولا تعسف، كذا ينبغي ألا يشتغل بسفاسف الأمور وتوافهها بما يسقط هيبته ويحقر منزلته، بل الاشتغال بمعالي الأمور وما يجلب الخير.

ومن هنا جاءت نصوص القرآن واضحة في اتخاذ المعصوم ﷺ أسوة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ (الأحزاب:٢١)، وباتخاذ الصالحين من الأنبياء والمرسلين، وفي هذا الإطار يفيد التذكير بما توجه به الله تعالى إلى نبيه ﷺ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (الأنعام:٩٠)، والمشار إليهم باسم الإشارة هم المشار إليهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ (الأنعام:٨٩) فهم الذين أمر نبينا ﷺ بالاقتداء بهداهم (٧). على أساس أن المهتدين من المتقدمين على الرسول ﷺ يحملون من القيم والسلوكات والعقائد السوية ما يجعل ما يحملون محل تقدير وأهمية على مستوى الواقع؛ لذلك طلب من الرسول ﷺ الاقتداء بهم والسير في نفس الطريق السوي والسليم الذي يعبر عن حقيقة رسالة الله تعالى والتي جوهرها الهداية للمجتمعات البشرية.

نعم، سبق الإسلام البشرية في وصف ما يضرها وما ينفعها، وقد وضع نظاما دقيقا للحيولة دون سقوطها في مرابض الغنم ومعاطن الإبل باتباع ما يهلكها ويقضي عليها.. فالإسلام الذي هو دين الله الذي ارتضاه لعباده وصف الداء ووضع الدواء، جاء لإخراج الناس من موارد الهلكة ومظان الفناء إلى حيث يكون البقاء بعز وسلام.. وصدق من قال: «من حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

الهوامش

١- ابن منظور، لسان العرب، الناشر أدب الحوزة، ج ١٥، ص١٧.

٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، لمؤلفه أحمد مختار عمر.

٣- من مقال «القدوة وأهميتها ودورها للدكتور علي الحاج حسن، من موقع «إضاءات إسلامية».

٤- رواه أبوداود وصححه الألباني.

٥- تفسير الطبري لقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ (المائدة:٥١).

٦- متفق عليه.

٧- تفسير التحرير والتنوير لقول الحق سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (الأنعام:٩٠).

ما يحتاجه جيل المستقبل:

مناهج إبداعية ومعلم إيجابي



القاهرة – محمد عبدالعزيز يونس
دار الإعلام العربية

صناعة جيل عربي مسلم قائم على التفكر والتدبر والرؤى الإبداعية الخلاقة أمر ليس بالمستحيل، لكنه يحتاج إلى إرادة قوية، ومناهج تعليم قائمة على الإبداع والتفكير لا على التلقين والاستظهار، ومعلم نابه متمكن في مجاله، ومتقن في الوقت ذاته لاستخدامات التكنولوجيا العصرية، مع وجود حصانة إيمانية من خلال الأسرة والمؤسسات الدينية لدى الطالب ليتمكن من الاستفادة من إيجابيات التكنولوجيا دون الانزلاق إلى سلبياتها.. هذا ما يؤكد عليه متخصصون التقتهم «الوعي الإسلامي» لسؤالهم عن كيفية صناعة جيل المستقبل.. وماذا ننتظر منه؟

«ننتظر من جيل المستقبل الكثير على الرغم من أن واقع هذا الجيل في معظمه لا يسر».. بهذه العبارة بدأ د. هشام أنور محمد خليفة أستاذ تقنيات التعليم المساعد بكلية التربية جامعة بيشة (جامعة الملك خالد سابقا) وكلية التربية جامعة الأزهر بالقاهرة، موضحا: أملنا في الله كبير أن يتنبه هذا الجيل لمستقبله ومستقبل أمته، ويعي ما يحيط بأمته من فتن ومخططات ومحاولات تشويه للإسلام وللمسلمين، ويسعى جاهدا لأن يكون عامل بناء لوطنه وأمته لا معول هدم، ويخلص في عمله أيا كان عمله، وألا ينساق خلف الشهوات أو الشبهات التي يخطط ويروج لها أعداء الإسلام في داخل بلاد الإسلام وخارجها.. ولن يتحقق ما ننتظره من جيل المستقبل إلا بقيام المؤسسات التربوية على اختلاف أنواعها (الأسرة - المسجد - المدرسة - وسائل الإعلام...إلخ) بدورها تجاه هذا الجيل من توعية وتوجيه وإرشاد وتصحيح لمفاهيم خاطئة.

وحول توظيف التكنولوجيا في التحصيل العلمي وهل يتم التركيز على النواحي الدراسية وإهمال الأخلاقية يؤكد د.هشام أن لاستخدام التكنولوجيا في التعليم دورا لا ينكر في تنمية التحصيل العلمي، وقد أثبتت دراسات تربوية يصعب حصرها فاعلية استخدام التكنولوجيا في تنمية التحصيل ومختلف جوانب التعلم المرغوبة والمطلوبة، وكما أن لها مزايا عديدة فإن لها أيضا سلبيات منها إساءة استخدام بعض أدواتها، لذا فمن الضروري والواجب علينا ألا نهمل الجوانب الأخلاقية عند استخدامنا للتكنولوجيا، فلا يتم استخدام الإنترنت في الدخول على المواقع الإباحية مثلا، أو استخدام برامج التجسس على الآخرين وسرقة ملفاتهم.

د. ثريا البدوي: نحتاج مناهج إبداعية تنمي قيم الحرية والمسؤولية والتميز

وحول دور المعلم، وهل ينبغي أن يكون قريبا من أفكار جيل المستقبل يؤكد د. هشام: من واقع تجربتي وتعاملي مع معلمين في أكثر من دولة عربية أرى أن معلمي اليوم ليسوا قريبين من أفكار جيل المستقبل، بل هم تقليديون، ويظهر ذلك جليا في تعاملهم واستخدامهم للمستحدثات التكنولوجية التي تظهر يوما بعد يوم، وكثير منهم يقر بأنه يتعلم من أبنائه كيفية التعامل مع هذه المستحدثات، وهذا يوجب على معلمي اليوم والغد أن يحرصوا على أن يكونوا قريبين من أفكار جيل المستقبل وأن يواكبوها من خلال حرصهم على متابعة كل جديد وتنمية أنفسهم ذاتيا بصفة مستمرة.

وحول ما تحتاجه المناهج العربية لتلحق بمحاسن المناهج الغربية أضاف د. هشام: المناهج العربية ينقصها أشياء كثيرة أهمها:

- الاهتمام بالجوانب التطبيقية لما يرد بمحتوى المنهج: ويظهر ذلك جليا في طرق تقويم الطلاب في المناهج المختلفة، والمتتبع لاختبارات الطلاب يجد معظم أسئلتها تتطلب استظهار واسترجاع ما ورد بالكتاب المقرر.
- الإيجاز أو الاختصار في كثير من موضوعات المنهج: فالمتتبع لكثير من المناهج التي تدرس للطلاب، خاصة منهج اللغة للمرحلة الابتدائية يجد استطرادا في كثير من الموضوعات وأحيانا يعرف الشيء للطفل بما هو أصعب من معناه المعروف.
- الاهتمام بالتطوير الحقيقي للمناهج: فالمتتبع لمحاولات تطوير معظم المناهج ويقارن المنهج قبل وبعد التطوير يجد أن الفرق بينهما عبارة عن تقديم موضوع عن آخر أو حذف موضوع أو تغيير اسم الموضوع أو دمج موضوعين ولا يلحظ تطويرا حقيقيا، وكأن المسؤول عن التطوير أراد فقط أن يغير ما وضعه من سبقه وربما كان ما أعده من سبقه أفضل مما أعده هو.

مناهج إبداعية

بدورها، تؤكد د. ثريا أحمد البدوي أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة، حتمية إيجاد مناهج إبداعية للطالب العربي لإعداد وتأهيل جيل قادر على مجابهة المستقبل وقيادته، موضحة أن الأزمة الحقيقية للشباب العربي تكمن في المناهج التعليمية القائمة على التبعية والتلقين.

وتشدد على ضرورة وجود إرادة سياسية لبناء مناهج جديدة تستهدف زرع قيم الحرية والمسؤولية والإبداع والتميز لدى الطالب، وأنه لا يمكن إيجاد المناهج القادرة على صناعة جيل يقود المستقبل إلا إذا توفرت الإرادة السياسية في الوطن العربي لذلك، مشيرة إلى أن كثيرا من المناهج الحالية تخضع للتبعية الغربية، ويتم التدخل فيها بصورة فجة من جانب الغرب حتى فيما يخص المناهج الدينية.

وأضافت أن رفعة المجتمع تتطلب جهود كل عناصر المجتمع صغارا وكبارا وفي القلب منهم الشباب، والذين ينبغي تعبئتهم واستثارة حماستهم من خلال تبني الإرادة والقيادة السياسية ووسائل الإعلام مشروعات قومية يلتف حولها الجميع، ويرون من خلالها مستقبلهم.

وشددت على ضرورة أن يتبوأ الإعلام دوره البناء في هذا الشأن، بدلا من توجيه طاقاته في ما لا طائل منه.

وحول ما إذا كان ضعف الإمكانات يحول دون وصول المناهج العربية إلى نفس مزايا المناهج الغربية،

أكدت أن هذا أمر غير صحيح، موضحة أن الدول العربية لديها أفضل العقول والكفاءات، ولا ينقصها أي قدرات بشرية أو مادية، لاسيما في دول الخليج، مؤكدة أن السر يكون في وجود إرادة سياسية لتبني مناهج إبداعية قائمة على التفكير والإبداع وتحفيز التميز، إضافة إلى وجود كوادر تعليمية على قدر كبير من الكفاءة وتؤمن بضرورة التغيير والتحفيز للطاقات الإبداعية الكامنة في طلابهم، بما من شأنه صنع جيل من الكفاءات الشبابية المتميزة في مختلف المجالات، وليس جيلا من الطلاب المستنسخين كما هو الواقع الآن.

معلم إيجابي

أما د. حمادة محمد مسعود أستاذ تقنيات التعليم المشارك بجامعتي الأزهر بمصر وجازان بالمملكة العربية السعودية، فيؤكد أنه في ظل متغيرات العصر الكثيرة والمتعددة، ينتظر الجميع أن تضطلع المؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها بمسؤولية عظيمة وجسيمة نحو إعداد جيل المستقبل وهو الجيل الذي يقع على عاتقه خدمة الوطن بعيدا عن الانحراف الفكري والسلوكي، موضحا أن المربين يواجهون في هذا الصدد العديد من التحديات، أهمها الانفجار المعرفي الذي يتطلب مواكبة سريعة من قبل جيل المستقبل، كذلك التناقضات الخطيرة التي يعيشها مجتمعنا العربي والإسلامي وانعكاس ذلك سلبا على شباب المستقبل، ولتلافي هذه الآثار ينبغي أن نوفر لأطفالنا جيل المستقبل مناخا أسريا يسمح برعاية أسرة ذات أساس تربوي معتدل، يشجع أطفال اليوم وجيل المستقبل على الاستقلالية مع مراقبة حثيثة لكل تصرفاتهم وإمدادهم بالخبرات الثقافية والاجتماعية التي تتفق مع العادات والتقاليد الإسلامية والعربية.

وأضاف أن عقول وأفكار جيل المستقبل ميدان مفتوح وعلى المربين أن يسابقوا للوصول إليها وحمايتها.

وعن مدى قدرة المعلم على بناء عقول جيل المستقبل في ظل الانفتاح المعرفي، أوضح أن الاتجاهات التربوية الحديثة تؤكد على ضرورة مواكبة النظم التعليمية لمتطلبات واحتياجات العصر، فضلا عن متطلبات المستقبل المتوقع حدوثها، لذا بات من الضروري إدخال التغيرات المطلوبة على العملية التعليمية بما يتناسب مع طبيعة العصر، وأصبح من الضروري أن يتحول التعليم من مجرد الحفظ والتلقين والتلقي السلبي إلى نوع مغاير تماما، ألا وهو التعليم الإيجابي حيث المشاركة الفعالة من جانب المتعلم من أجل تكامل العملية التعليمية من خلال أساليب تكنولوجيا التعليم السائدة التي تنقل التعلم من بيئة التعليم والتعلم التقليدية إلى بيئات أخرى أكثر فاعلية، والتي بات استخدامها متطلبا رئيسا من متطلبات الحياة العصرية، خاصة تطبيقاتها في مجال التعليم، للوصول إلى تعلم المعارف والمهارات بطريقة أكثر فاعلية.

ونبه إلى دور المعلم في توعية جيل المستقبل بما يمكن أن تقدمه التكنولوجيا من خير وازدهار، وكذا التحذير من استخدامها بصورة سيئة، لأن دور المعلم لم يعد مقتصرا على مجرد إيصال الحقائق والمعلومات والمفاهيم إلى المتعلمين، بل اتسع وتنوع إلى أدوار أخرى لمواجهة التطورات المستمرة والسريعة في النواحي التكنولوجية والمعرفية وهو بهذه الأدوار أصبح مدرسا، ومربيا، وقائدا وموجها، ومرشدا، ومساهما في البحث والاستقصاء.

شهاب غنيم: صناعة جيل المستقبل يجب أن تجمع بين المعرفة والتدريب

إسماعيل أحمد: تحقيق الارتقاء يتطلب ربط التعليم بحاجة المجتمع وتطلعاته

وأضاف أنه لا يستطيع المعلم القيام بهذه الأدوار إلا في ظل منظومة تربوية متكاملة تساعده على تحقيق هذه الأدوار، وفي مقدمتها المناهج التعليمية، لأن من أكبر الهموم التربوية والتعليمية التي نعاني منها ونواجهها هي المناهج التعليمية التي هي في حقيقتها ليست حصيلة مرحلة زمنية أو حصيلة عامل واحد، إنما نتاج تراكمات عبر أزمنة وحصيلة لظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية، وتتطلب تطويرا شاملا لتلبية احتياجات المتعلم وطبيعة العصر، وتكوين العقل الديناميكي الذي لا يؤمن بالأحادية والجمود، بل بالعقلانية والتنوع والتعدد بما يحقق التماسك الذي هو ضرورة حتمية للبقاء ولمواجهة تحديات العصر وتحديات العولمة وترسيخ مفاهيم وقيم التفكير العلمي، تأكيد التفاعل الإنساني والإقرار بالجماعية وإعلاء قيمة الحوار والعمل الجماعي.

معرفة وتدريب

بينما يتطرق شهاب غنيم مدرب تنمية بشرية إلى التقرير الأمريكي: تقرير «أمة في خطر» موضحا:

خالد الخليصي: الفضائيات والانفتاح غير المتزن وراء تدني أخلاقيات الجيل

«الأمة في خطر: أمر إلزامي لإصلاح التعليم».. كان هذا هو عنوان تقرير الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان (Ronald Reagan) عام ١٩٨٣م بخصوص اللجنة الوطنية للتميز التربوي. كان نشر هذا التقرير حدثا بارزا في تاريخ العملية التعليمية الأميركية الحديثة. فمن بين عدة أمور، ساهم هذا التقرير في النمو الذي لم يحدث قبل ذلك مطلقا (ولايزال موجودا) للشعور بأن المدارس الأميركية قد ضعفت.

وتابع: أكثر عبارة أثارت انتباهي في هذا التقرير هي: «لأول مرة في تاريخ أميركا يتخرج جيل لا يتفوق على آبائه!».. فاستنتجت من هذه العبارة أن معيار التقدم المجتمعي هو: تفوق الجيل القادم على الحالي، فكلما زادت نسبة التفوق دل ذلك على زيادة في معدل نهضة المجتمع، أما إن كانت النتائج تقول إن الجيل القادم يتمتع بنفس إمكانات الجيل الحالي فهذا يدل دلالة قطعية على أن معيار التقدم يساوي «صفر».

وأضاف شهاب: إذا أردنا استرداد ريادتنا من جديد فعلينا أن نبدأ الطريق بشكل إيجابي نحو التقدم والازدهار ورعاية تاريخ أمتنا المشرف بين الأمم، وأولى هذه الخطوات هو التقييم الدقيق للعملية التعليمية وتحليل هذا التقييم لمعالجة الخلل والقصور، ومن ثم تجهيز خطط وبرامج لتدريب الجيل القادم عليها لتحقيق الأهداف المرجوة، فالمراد من الجيل القادم أن يصل إلى نتائج أفضل مما هو عليه الحال الآن، فلا يخفى على كل ذي لب واقع الأمة المؤلم من حيث الضعف والعجز والانهزام النفسي من بعد عصور الريادة والسيادة.

ولفت إلى أنه تأمل في حديث النبي ﷺ «إنما العلم بالتعلم» فوجد أن النبي ﷺ قال: بالتعلم ولم يقل بالتعليم!! وبالبحث يتبين لنا أن لفظ التعلم أشمل من لفظ التعليم، فعملية التعلم عبارة عن مستويين تنظيري وتطبيقي، بينما عملية التعليم مقصورة على المستوى التنظيري فقط. ومن ذلك يتضح لنا أن صناعة جيل المستقبل لا يمكن أن تقتصر على عملية المعرفة فقط، بل لابد من الاهتمام بعملية التدريب وإعطاء هذه العملية مساحة أكبر في الوقت والجهد، حتى يمكن تنشئة الجيل القادم تنشئة تتمتع بالرصانة والقوة مما يعمل على اكتسابه الثقة بنفسه واسترداد الروح المعنوية الإيجابية للأمة من جديد بإذن الله.

ونبه شهاب في هذا الصدد إلى أهمية التكنولوجيا والتحصيل العلمي، وأنه يجب على النخبة في الأمة الإسلامية أن تعجل برفع كفاءة الجيل الحالي والقادم في المجال التقني ليتمكنوا من التحصيل العلمي، مع عدم إغفال دور المعلم، فهو الأكثر تأثيرا في الجيل القادم، لاسيما إذا تخلى عن ثقافة التفكير التقليدي الموروث، والذي تسبب في صنع فجوة كبيرة بين الأجيال لعدم قدرته على توظيف التكنولوجيا في تنمية وصناعة جيل المستقبل، الأمر الذي يحتم على المعلم أن يستدرك ما فاته ليكون قادرا على تنشئة جيل قوي بمقومات عصرية.. مشيرا إلى أن المناهج العربية ينقصها التحديث من حيث المعلومة والاهتمام بالجانب التدريبي من حيث العملية التعليمية التي ترتبط ارتباطا كليا وجزئيا بالمهارات والصفات الأخلاقية.

محوران لبناء المناهج

من جانبه، يوضح الباحث الإسلامي والقانوني إسماعيل أحمد محمد أنه وبمتابعة درجات العشرة الأوائل على الثانوية العامة والتي تلاصقت ما بين ٤١٠ درجة و٤٠٨ تساءل: «هل تعكس هذه الدرجات تفوقا علميا فارقا عما كان عليه حالنا؟» وكان المتفوقون في زماننا أقل من ذلك بكثير وتتباعد درجاتهم لأكثر من درجة بين طالب وآخر، لكنني استبعدت أن يكون هذا التزاحم انعكاسا لتفوق حقيقي، لكن هذا التلاصق من فعل الدروس الخصوصية التي تعتمد على تدريب الطلاب على حل الامتحانات وليس تبسيط المعلومة وترسيخها في عقول الطلاب.

وتابع: بالنظر إلى مستقبل التعليم في بلادنا مقارنة بماضينا من ناحية والدول الناهضة من حولنا من ناحية أخرى، تذكرت ما قرأته عن التعليم في الهند ومحاولات إدخال التعليم الإلكتروني في العملية التعليمية، وأنا أتساءل عن الهدف الحقيقي للتعليم.. هل هو تطوير العقل وتغذيته بالمعلومات اللازمة لإتقان عمله أم مجرد الالتحاق بكليات القمة كما يقال، فالمفترض لتحقيق ارتقاء فعلي هو ربط التعليم بحاجة المجتمع وتطلعاته للمستقبل وهو ما يستلزم تحقق أمورا كثيرة.

وحول توظيف التكنولوجيا في التحصيل العلمي أوضح أنه لابد أن يسهم التطور الذي نعيشه في تحقيق نقلة نوعية في توثيق وتوضيح المعلومة لتناسب الفروق التي حققتها تطورات هذا الزمان، فأصبح ميسورا التواصل مع المصادر المباشرة للمعلومات سواء كانت لغوية أم تاريخية أم جغرافية أم كيميائية، كلها يمكن الآن للجميع أن يتلقاها من مصدرها المباشر فتسمع

تفاصيلها وتراها كما هي بمعاونة التواصل والاتصال الميسر بفضل تقنيات هذا الزمان.

وأشار إلى أن العملية التعليمية كانت قبل خمسة عقود تزدان بقيم وأدبيات افتقدناها اليوم، وحين ينفتح العالم بفنونه وعلومه وأخلاقياته أمام الطلاب العرب ينبغي أن ترتكز المهمة الكبرى في تحصين أخلاقيات الطلاب وقد انتقلت العلوم والفنون من الغرب للشرق فلم تفقد دول المشرق هويتها ولا مميزاتها مثلما نرى في الهند والصين واليابان وغيرها.

وأوضح أن المعلم أصبح الآن أكثر تواصلا مع المنظومة الإدارية والفنية للتعليم من خلال وسائل الاتصال المستحدثة التي تتيح النقاش وتبادل المعلومات عبر مدن ودول متعددة، كما أن مصادر المعلومات من العلماء والمؤرخين واللغويين صارت ميسورة، فيمكن أن تتلقى المحاضرات في أي مجال ومن أي مكان عبر وسائل الاتصال المعاصرة ويكون المعلم في الفصل بمثابة المساعد لتوضيح المعلومات بعكس التعليم قبل نصف قرن الذي كان معلم الفصل ينفرد بنقل المعلومات لتلاميذه حسب فهمه هو وإدراكه.

وعن كيفية التحاق المناهج العربية بمحاسن المناهج الغربية أكد أن ذلك يتم من خلال محورين، الأول يهدف إلى ملاحقة التطور العلمي ومجاراة النهوض الاقتصادي والتكنولوجي الذي يعيشه عالمنا، والثاني يحافظ على هويتنا وتميزنا حتى لا تتجرف الأجيال الشابة في متاهات يأباها ديننا الحنيف، وهو ما تتحقق به رفعة المجتمع والتي تعتمد على إخلاص جيل المستقبل لأمته وحسن إعداده علميا وأخلاقيا.

استعادة أخلاقيات الجيل

وتطرق خالد الخليصي العجرمي مدير عام في التعليم وكاتب صحفي بجريدة «المواطن» إلى ظاهرة تدني الأخلاق في المدارس، موضحا أن لهذه الظاهرة أسبابا عديدة تدور حول الأسرة والمدرسة، فالأسرة منعزلة عن المدرسة عديمة الاهتمام بمتابعة الطالب، واهتمامها الوحيد يقتصر على التنسيق مع المدرسين الخصوصيين، ووصلت درجة الإهمال إلى أن أحد الطلاب أحضر أحد جيرانه ليمثل دور ولي أمره أمام المدرسة وذلك بسبب انقطاع الأسرة عن متابعة ابنها في المدرسة انقطاعا تاما.

وأضاف: هناك سبب آخر وهو عدم ثقة ولي الأمر في المدرسة وإيمانه بأن أولاده لا يخطئون.. والمتأمل في أخلاق وقيم طلاب مدارسنا على مختلف المراحل قبل عشرين عاما وأخلاق وقيم طلابنا في الوقت الحالي حتما سيدرك الفرق والتحول في تدني الأخلاق وضعف القيم.. مشيرا إلى أن المسؤول الأول عن تنمية الأخلاق والقيم بعد الوالدين هو المدرسة والمعلمون أنفسهم، ولذلك يجب على الجميع التكاتف والوقوف بجد وحزم في وجه هذا التدني وذلك الضعف، الذي ساعدت عليه القنوات الفضائية والانفتاح غير المتزن على الحضارات الأخرى، والذي يعزى في ظاهره إلى التطور والتقدم، وهو في حقيقته إلى غير ذلك تماما، ويجب أن نتدارك ذلك مستدلين بقول الشاعر أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهذا ما ينبغي أن تستهدفه أي مناهج يراد لها أن تعد جيل المستقبل، وأن يكون هناك تلازم كبير بين التعليم والتربية يرتكز على الأخلاق والقيم والمبادئ، فالتعليم هو الحقل المناسب لترسيخ الأخلاق والقيم الإسلامية المتوافقة مع تطلعات المجتمع المسلم.

القرشي: تحصين الشباب للاستفادة من إيجابيات التكنولوجيا وتجنب سلبياتها

تعزيز القيم الإيمانية

بينما يؤكد الداعية الإسلامي ياسر القرشي على ضرورة توظيف الجوانب الإيجابية للتكنولوجيا في تحقيق نهضة الجيل الحالي والجيل القادم، مشيرا إلى أن ذلك يتطلب في المقابل تعزيز القيم الإيمانية من خلال الأسرة والمؤسستين الدينية والتعليمية، ليكون لدى الشاب حصانة إيمانية تمكنه من الاستفادة من إيجابيات التكنولوجيا، والابتعاد عن سلبياتها، فيستخدم شبكة الإنترنت مثلا في تحصيل العلم الشرعي، وتسخير التكنولوجيا لنشر الدعوة، والاستزادة من العلم في شتى المجالات النافعة، وفي المقابل يكون لديه الوازع والرادع الإيماني الذي يعصمه من الانزلاق إلى سلبيات هذه الشبكة.

وأضاف أن رفعة المجتمع تعتمد على إخلاص كل فئاته ومكوناته، وبخاصة جيل المستقبل الذين هم سواعد الأمة وأملها وقوتها، وفي الإخلاص في كل عمل وتأديته على أكمل وجه استجابة لتعاليم ديننا الحنيف الذي حثنا على الإخلاص في آيات كثيرة من كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٥). ولو لم يكن الإخلاص من ضرورات حياة الناس لما أمر الله تعالى به في واحد وثلاثين موضعا من كتابه الكريم، فبالإخلاص ترتقي وتتقدم المجتمعات، ولعل كثيرا مما تعانيه مجتمعاتنا اليوم من مشكلات ناتج عن غياب الإخلاص في أعمالنا.



د. يوسف الحزيمري
باحث دراسات إسلامية - المغرب

إدماج القيم في النظام التعليمي

إن اختلال المنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي مرده ازدواجية التعليم التي فرضها الاستعمار الأجنبي، والتي سعت إلى إفراغ المناهج التعليمية من محتواها الديني والتربوي، أضف إلى ذلك الغزو الفكري الثقافي الذي تعرضت له ومازالت منظومتنا التعليمية على جميع المستويات. وقد بات هذا الاختلال هاجسا يؤرق أذهان المفكرين والتربويين خصوصا، والغيورين على التربية والتعليم ببلاد الإسلام عامة.

من هذا المنطلق يهتم الفكر التربوي الحديث بضرورة التربية على القيم باعتبارها مدخلا أساسا في تكوين شخصية سوية ومتزنة، متمثلة حق التمثل قيم الإسلام السامية، وينادي هذا الفكر في أدبياته بضرورة إدماج القيم في المنظومة التربوية التعليمية؛ إن في الاستراتيجيات الكبرى، أو في المناهج والخطط الدراسية المنبثقة عنها.

وهذا الإدماج الذي ننادي به اليوم كان إلى مرحلة ما قبل الاستعمار واقعا ملموسا في المنظومة التعليمية للحضارة الإسلامية، فإذا كان تعليمنا التقليدي - بلغة العصر الحديث - يعتمد في بداياته على حفظ القرآن الكريم مع حفظ المتون والأنظام التعليمية في الفقه والحديث واللغة وغيرها من العلوم الشرعية، وذلك في أفق تحصيل معناها بالفهم والتحقيق وفق أطوار الدرس والشدو في مدارج العلوم، فإن الناظر في تلكم المتون والأنظام ليقف على قيم دينية وتربوية أخلاقية مدمجة تنم عن براعة علمائنا في تأليف المناهج التعليمية من جهة، وحرصهم على مزاوجة التعليم بالتربية - الذي هو منهج قرآني نبوي متجذر في علومنا كلها - من جهة ثانية، ثم إن متابعة تلك المناهج بالشرح والتحشية تزيد تلك القيم ترسيخا لدى المتلقي بعدما كانت منطبعة في ذهنه بالحفظ، مع التأسي بالمعلم المربي القدوة التي تظهر تلك القيم عليه تمثلا في سلوكه ومناقبه ومواقفه.

ولإبراز هذا الإدماج القيمي لدى علمائنا انتخبنا نظما تعليميا في علم اللغة العربية وهو نظم: «ألفية ابن مالك»، وذلك لكون هذا النظم كتب له من القبول والشهرة والانتشار في الأوساط التعليمية بما يغني عن الحديث عن التعريف به وبصاحبه، لنلج مباشرة إلى تجلية تلكم القيم والإشارات التربوية كما وردت فيه، مع إبراز دور الشراح والمحشين في تجليتها للطلاب من خلال الأمثلة والشواهد والألغاز والإحماض، وأمرهم بالأخذ بأحسنها قولا وامتثالا، وهذا أوان الشروع في المقصود.

قيمة التأدب مع المقام النبوي

قال ابن مالك رحمه الله في مقدمة ألفيته:

قال محمد هو ابن مالك
أحمد ربي الله خير مالك
مصليا على النبي المصطفى
وآله المستكملين الشرفا

تتجلى هذه القيمة من هذين البيتين في

إشارتين؛ الأولى: في قوله: قال محمد هو ابن مالك...، وهي إشارات يستخرجها الشراح والمحشون أثناء عملية التعليم، وما يرد من الأسئلة فيها، فقد قال أبوالعباس سيدي أحمد بن محمد ابن حمدون بن الحاج في حاشيته على شرح المكودي على الألفية: «أشار بهذا إلى أن مالكا جده... فإن قيل: لم نسب نفسه إلى جده، وهلا نسب نفسه إلى أبيه؟، فالجواب: أنه نسب نفسه لجده لأمور منها: التأدب مع المصطفى ﷺ، لاتفاق اسمه واسم أبيه مع اسمه واسم أبيه... ومنها الاقتداء بنسبة النبي ﷺ نفسه إلى جده بقوله:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب» (١)

والإشارة الثانية: في قوله: مصليا على النبي المصطفى...، قال ابن حمدون الحاج في حاشيته المذكورة: «أتى بالصلاة على النبي ﷺ امتثالا لقوله عليه السلام: «كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه بذكر الله، ثم بالصلاة علي فهو أقطع»... وقد صلى الناظم في أول الكتاب وآخره» (٢).

وقال الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك: ««مصليا» أي: طالبا من الله صلاته، أي: رحمته «على النبي» بتشديد الياء - من النبوة - أي: لأنه مخبر عن الله تعالى، فعلى الأول هو فعيل بمعنى مفعول، وعلى الثاني بمعنى فاعل. و«مصليا» حال من فاعل «أحمد» منوية لاشتغال مورد الصلاة بالحمد، أي: ناويا الصلاة على النبي «المصطفى» (٣).

مع أهل العلم والفضل

قال ابن مالك رحمه الله:

وتقتضي رضا بغير سخط
فائقة ألفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تفضيلا
مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافره
لي وله في درجات الآخره

قال المرادي شارحا للبيت: «يشير بذلك إلى فضل المتقدم على المتأخر وما يستحقه السلف من ثناء الخلف ودعائهم» (٤).

وقال الأشموني: «(وهو) أي ابن معطي (بسبق) الباء للسببية؛ أي بسبب سبقه إياي (حائز تفضيلا) علي (مستوجب) علي (ثنائي الجميلا) عليه، لما يستحقه السلف من ثناء الخلف» (٥).

قيمة التواضع في طلب العلم

قال ابن مالك رحمه الله أيضا:

للرفع والنصب وجر نا صلح
كاعرف بنا فإننا نلنا المنح

قال ابن حمدون رحمه الله: «ثم إن الناظم يقول لك: أيها الطالب اعرف حقنا لأننا من العلماء، ويحتمل أن يكون المعنى: اعرف حق كتابنا فإنه نفعك بالمنح والعطايا التي هي فيه، وقدم المصنف المجرور وهو بنا، ثم أتى بالمنصوب، ثم المرفوع، إشارة إلى أن الطالب ينبغي له أن يخفض جناحه في مبدأ القراءة ليصير في مقام المنصوب، ثم يصير في مقام المرفوع وهم العلماء العاملون» (٦).

قيمة الاستقامة

قال ابن مالك رحمه الله:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم
واسم وفعل ثم حرف الكلم

إن اختيار ابن مالك رحمه الله لمثال «استقم» للدلالة على اللفظ المفيد، لم يكن اعتباطيا، بل هو مقصود لذاته، ونابع من التشبع بالقرآن الكريم وتوجيهاته وأوامره ونواهيه، قال ابن حمدون الحاج في حاشيته رحمه الله: «وفي قول الناظم (استقم) إشارة إلى أن العلم لا يحصل إلا مع الاستقامة والتقوى، قال عز وجل: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ (هود:١١٢)، وقد قيل: العلم متعلق بالعمل فإن وجده وإلا ارتحل» (٧).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «لأن قوله: (استقم) مفيد طلب الاستقامة من المخاطب بالوضع لا بالعرض ولا بالعقل وهذا كله حسن إن كان الناظم قد قصده والله أعلم» (٨).

وهكذا يكون أول ما يبدأ به الطالب في علم النحو وهو يدرس الألفية درس شرح وتحقيق، هو الوقوف على الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها مع الجناب النبوي أولا، ثم إجلال العلماء الذين خدموا هذا الدين بتآليفهم، مع الوقوف على معنى الاستقامة كما وردت في القرآن الكريم، وأنه إذا أراد الله أن يفتح عليه باب العلم أن يلزم التقوى والاستقامة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (البقرة:٢٨٢).

وألفية ابن مالك رحمه الله مليئة بالأمثلة التي قصد بها تركيز القيم الإسلامية في أذهان الطلبة، وما ذكرناه نغبة تكفي في الدلالة على غيرها، وهي دليل واضح على منهج علمائنا رحمهم الله في قرن التعليم بالتربية، وذلك كله ميسم عام في منظوماتهم ومتونهم التي مازالت بركاتها تغمر مجالس العلم إلى يوم الناس هذا.

والله الموفق للصواب.

الهوامش

١- حاشية ابن حمدون الحاج على شرح المكودي على الألفية وبهامشه تعليقات الناشر، طبعة جديدة ومنقحة مصححة ومضبوطة بإشراف محمد بنيس، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، (ص:١٣).

٢- نفسه، (ص:١٧).

٣- شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ١٨).

٤- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المؤلف: أبومحمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، (١/٢٦٧).

٥- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (١/ ٦).

٦- حاشية ابن حمدون الحاج على شرح المكودي على الألفية، (ص:٧٣-٧٤).

٧- حاشية ابن حمدون الحاج على شرح المكودي على الألفية، (ص:٢٨).

٨- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، جامعة أم القرى مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (٣٨/١).



شبابنا على طريق الغد

هنادي الشيخ نجيب
كاتبة لبنانية

أنت من عنصر الخلود لباب
كن إلى المجد طامحا يا شباب
مشعل العلم في يمينك يهدي
كل سار به ويجلى الضباب
نتمنى لك الثبات على الرشد
دوما أنت عندنا مستراب

هكذا نظن بشبابنا، فهم أمل المستقبل وقادته، ووعد الخير وحملة ألويته... فإذا سلم لنا شبابنا سلمت لنا الأمة، وتأملنا بغد واعد مشرق..

لاريب أن فئة مهما بلغت لن تسد مسدهم، أو تقوم بمهمتهم، لأن لهم من الخصائص ما ليس في غيرهم؛ من قوة البدن، وعلو الهمة، وصفاء الذهن، وتوقد العزيمة.. هم ثروات الأمة الحقيقية، فما لنا نراهم اليوم وقود الثورات المتآكلة، وضحايا حروب الغير: الفكرية والعقائدية والاقتصادية والعسكرية!

سألت أحدهم يوما: ماذا ننتظر منكم في قابل الأيام؟

أجابني: لعلك تجاوزت سؤالا أهم سأطرحه عليك لتفكري به:

«بل ماذا ننتظر منكم أنتم لتمهدوا لنا الطريق إلى ما تتمنون؟!»

قال بأسى وحسرة: «ماذا عن المصاعب التي نعاني منها على كل المستويات: من الاكتئاب والقلق، إلى الضياع والتخبط، ومن التفرق والضعف، إلى الفساد والمحسوبيات، من التحلل والانحراف، إلى الظلم والاستبداد...»

فإذا به يجسد حالة الشباب اليوم وواقعهم المعقد بكلمات تختصر أوجاعهم وتصور معوقاتهم، ثم يطالب بمد يد العون، حتى يتحقق ما ننتظره منهم!

لاشك أنهم يريدون أن يتغيروا، ونحن لاريب نريدهم أن يتغيروا.. ننتظر منهم أن ينفضوا عن كواهلهم هذه الأحمال، وأن يتخففوا من تلك الأعباء، حتى يتفرغوا لصناعة المستقبل كما يريدون، وكما نريده لهم!

إننا ننتظر منهم التغيير، ونعدهم أن نسلمهم مفاتحه.. ننتظر منهم الصلاح، بعد أن نخطو معهم خطوة الإصلاح.. ننتظر أن يكونوا ذوي شخصيات مسؤولة، متينة، ثابتة، جريئة، فاعلة، وإيجابية!

وفي هذا الطريق الطويل لن يكونوا وحدهم؛ سنصغي إليهم، ونفكر معهم لابدلا عنهم، ونتدارس وإياهم لا ندرس عليهم أو نلقنهم!

إن لديننا نظرته الخاصة في صياغة الشخصية الإنسانية، وله أدواته لتغييرها وبنائها بناء متكاملا؛ لأجل إيجاد الإنسان الصالح، المتوازن و«المتحرك»، ولإبراز الأنموذج المستقيم الذي يمشي في الناس حاملا مشاعل الخير والإصلاح، ماضيا في مسيرة السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة معا..

ولأن:

• القيم المبنية على الإسلام تولد داخل النفس إحساسا بالمسؤولية.

• والمعايير القائمة بالإيمان تعزز الشعور بالمراقبة.

• والمفاهيم المتحركة بالإحسان (اعبد الله كأنك تراه) تحرر من الخوف والتردد والريبة...

فهي – جميعا – تشكل خط الدفاع الأول عن شخصيات بناة المستقبل، والحصن المنيع للحؤول دون ذوبان ذواتهم، وحماية لهم من أن يكونوا أهدافا سهلة الاختراق، مهتزة القناعات، مهلهلة الحضور، سريعة التأثر، ضعيفة التأثير، هشة المسؤولية...

في مشوار التغيير الذي ننتظر جموع الشباب أن تمضي فيه، نذكرهم أن المسؤولية التي عليهم أن يتحملوها:

هي بالدرجة الأولى مسؤولية أمام الله تعالى: لأنهم قد أوتوا أدواتها، وأعطوا مفاتحها، وألهموا الإرادة لينهضوا بحقها...

وهي ثانيا: مسؤولية فردية، لأن «كل أمرئ بما كسب رهين».

وهي ثالثا: ضمان لهم أن لا يسألوا عن أعمال غيرهم، – وإن كانوا آباءهم – حتى لا يتذرعوا بعدم قيام من حولهم بمسؤولياتهم، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعۡمَلُونَ﴾ (البقرة:١٤١)..



نعم... إنه التغيير في بعده القرآني ومفهومه الإسلامي الذي تؤكد عليه الكثير من التوجيهات القرآنية والإرشادات النبوية، فهو خصيصة من خصائص المنهج الإسلامي في التربية والدعوة والإصلاح، الأمر الذي يدعونا للعمل على تفعيله مع الشباب، وفق رؤية واقعية تتوافق مع قدراتهم وإمكاناتهم.

ولأن الشباب هم قلب الأمة النابض وعقلها المفكر وساعدها المنفذ، ولأنهم القوة التي تدفع في اتجاه التجديد، والقائد الميداني في ساحات التنفيذ، والمحرك الاجتماعي الذي يرفع الكسل والخمول، والرقيب الحازم الذي يحارب الزيغ والانحراف، ولأنهم يملكون قدرات إبداعية وطاقات هائلة وإمكانات مذهلة تبعث الجدة والحيوية والنشاط البشري في سائر أعضاء المجتمع؛ لأجل ذلك ننتظر منهم إبراز الهوية الإسلامية بينهم، لتحقيق الوعي الفكري والثقافي، واستثمار طاقاتهم من أجل خدمة دين الله ورسالته في الأرض ولأن واقع الأمة صعب ومعقد: فقد أوهن الضعف أركانها، وقتلت التبعية إبداعها، وارتخت بالترفيه أوصالها، وتعلق بالدنيا أبناؤها، واستقوى عليها أعداؤها، واستبد بشؤونها خصومها. ولأن الاستسلام لهذا الواقع المرير ليس من شيم المسلم الرسالي، فمن الواجب علينا أن ندعو للتغيير وننتظره ممن هم الأقدر عليه، فهو السبيل لاستفاقة الأمة من غفوتها، ونهضتها من كبوتها واستعادة صولتها، واختتام الجولات لحسابها.

إن التغيير في بعده الروحي والجسدي والعقلي هو الطريق إلى إعادة صياغة كل مكونات الحياة الحقيقية وفق الرؤية الإسلامية، وهو السبيل لتزكية النفوس وتطهيرها، وإعداد الأبدان وتهيئتها، وتنمية العقول وتحسين قدراتها...

إنه التغيير بالرحمة من غير ضعف، وبالقوة من غير عنف، من خلال التربية الدائمة والتعهد المستمر. فصناعة التغيير لا يتقنها إلا من استند في كل حركة ونشاط على أساس إسلامي تربوي أخلاقي، ولا يقوى عليه إلا من ربط مصيره الفردي بمصير أمته.

إن جيل المستقبل في مسيرتهم في عملية التغيير يحتاجون إلى ضمانات تؤمن لهم النجاح والاستمرارية:

ولضمان نجاح التغيير لابد من توفر خمسة عوامل:

١- الحماية: أي تأمين المحيط (وهي مسؤوليتنا).

٢- القابلية: استثارة المشاعر وحماسة الجوارح.

٣- الاستئذان: لتأمين الدعم والتشجيع.

٤- التمرين: حرصا على التعود والإتقان.

٥- الدليل: لضمان السير في الاتجاه الصحيح.

وللمضي قدما في عملية التغيير لا بد من:

١- التركيز على أن يكون التغيير تغييرا مقصودا عن وعي، منضبطا بالكتاب والسنة، ويهدف إلى إعمار الدنيا واستعمالها للوصول إلى السعادة الأخروية.

٢- التأكيد على أن التغيير يبدأ من معالجة القلوب من أمراضها (كالغرور والحسد والكره والحقد والغش)، وبإعلان التوبة من سائر الذنوب والمعاصي، تمهيدا لإعداد أرضية سليمة تحتضن بذور المرحلة الجديدة.

٣- القفز على الأنانية والذاتية، والخروج من الهامشية والانشغالات التافهة في الحياة، لأن المهمة صعبة والمسؤوليات أصعب.

إن التغيير الذي نتوقعه ينطلق من تغيير الفرد نفسه، فله الأولوية في التربية والإعداد، لذلك لابد من العمل على تطوير مهارات الشباب الشخصية من خلال:

- تدوين الأفكار والأهداف والخطط.
- القراءة والمطالعة المستمرة.
- الدراسة والتعلم والحرص على التخصص.
- التفكير بالمستقبل بشكل إيجابي ومتفائل.

٥- الانخراط في العمل المنظم، وتجنيد الإمكانات الشابة، كل في المكان المطلوب، للمساهمة في الوصول إلى التغيير المقصود وتشييد البناء الحضاري المنشود.

٦- تنمية قدرة الشباب على المقاومة والثبات - أي مقاومة أشكال النقص وعوامل التغيير السلبي - بالانضمام إلى العمل الجماعي الذي يؤمن الاحتضان العاطفي والاحتواء الفكري والحصانة التربوية وحسن استثمار وتوزيع الطاقات.

وأخيرا، إن التغيير الذي نطالب به أبناءنا وبناتنا يستوجب إيجاد قدوات يكونون بمثابة القادة لهذه المسيرة الضخمة والطويلة، لذلك فلابد من إعداد برامج لصناعة القادة تحت رعاية جهد منظم يعمل على:

- تنمية قدرة الشباب على العمل وإنجاز المهمات.
- تطوير مهارات التعامل مع الذات ومع الآخرين.
- تحسين مهارات التأمل والتفكير والتحليل.

إنها رحلة الألف ميل التي تبدأ بخطوة واحدة، خطوة التوكل على الله تعالى وطلب التيسير والتوفيق، فمنه العون والمدد، وشبابنا الأمل والسند.

سبع مهارات فعالة لمستقبل العلوم الشرعية

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية بالكويت



مع تطور التعليم الشرعي والانتقال من «شيخ العمود» إلى التدريس النظامي في المعاهد الدينية والكليات الشرعية أضحى مما يكاد متفقا عليه ضعف التعليم في المعاهد والجامعات الشرعية، مما يتطلب تفكيرا جادا في إعادة النظر إلى المناهج التي تدرس، وكذلك الحال إلى طريقة التدريس، وكذلك إدارة العملية التعليمية في ظل التضخم والتطور في الأساليب التربوية الحديثة، التي سهلت كثيرا من المعارف والعلوم، وجعلت الابتكار والإبداع ساطعا فيها، وملحوظا عليها، خاصة في المجال التطبيقي، وعالم اللغات، وعلوم التكنولوجيا وغيرها.

إن علوم الشريعة مازالت هي أقل العلوم تطورا، سواء على مستوى تطوير المحتوى، أو تطوير الشكل، أو تطوير وسائل التعليم وأدواته، وإذا أردنا أن نسعى لتطوير تدريس علوم الشريعة والعربية من باب أنها تبع لها، فيجب أن تتضافر الجهود لوضع منهج تجديدي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، يحافظ على القديم الصالح، والجديد النافع.

إن نجاح العملية التعلمية في علوم الشريعة يجب أن يتناول خمسة جوانب مهمة، هي:

أولا- العناية بالمؤسسات التعليمية.

ثانيا- تأهيل جمهور الطلاب، وهل هناك معايير معينة لقبول الطلاب في الدراسات الإسلامية أم يتاح لكل الطلاب؟

ثالثا- إعادة النظر إلى مضمون المقررات التعليمية، بما يتناسب مع روح العلم من ناحية وروح العصر من ناحية أخرى.

رابعا- طريقة تدريس علوم الشريعة لإيصال المحتوى بطريقة جيدة، وتأهيل المعلمين والأساتذة القائمين على تعليم علوم الشريعة.

خامسا- وضع مقاييس لمدى كفاءة العملية التعليمية في علوم الشريعة.

كما أن مستقبل علوم الشريعة يحتاج إلى منهج متكامل يجمع بين: فقه الشرع من ناحية، وفقه الواقع من ناحية، وفقه تنزيل الشرع الثابت على الواقع المتغير، حتى يكون المنهج مقتربا من المنهج النبوي ومنهج الراشدين، كما أنه يسهم في الفقه الحضاري للأمة كلها.

وتتطلب إعادة النظر في تطوير تدريس علوم الشريعة ما يلي:

أولا- تقريب التراث

إن تراث علماء المسلمين فيما كتبوه وصنفوه في شتى العلوم هو أحد أهم مصادر المعرفة عن الإسلام وشريعته، ولا يمكن لباحث أن يتجاهل هذا التراث بتلك الدعاوى التي تقول: إنه يجب علينا ترك التراث بالكلية، والنظر إلى نصوص الوحي من الكتاب والسنة لنستخرج منها منهج النظر والبحوث بما يتماشى مع عصرنا، فهذا نوع من التطرف في الفكر، وغمط للحق، وفي ذات الوقت، هناك نظرة متطرفة - أيضا - ترى تقديس التراث بكليته، وأنه يجب تقديم التراث كما هو دون تغيير أو تبديل؛ مستندين إلى أن هذا التراث هو الذي كان سببا في تطور المسلمين وبناء حضارتهم.

والحق أننا بحاجة إلى النظر إلى التراث نظرة معتدلة بين التقديس والتبخيس، فقد تبقى لنا من التراث ما يقارب ثلاثة ملايين من عناوين الكتب، ففي المكتبة الوطنية بفرنسا وحدها هناك ما يقارب ستة ملايين من المخطوطات العربية، وفي مصر هناك ما لا يقل عن ثلاث مئة ألف مخطوط عربي، وفي مكتبة السليمانية بتركيا هناك ما بين سبعين ألف إلى ثمانين ألف مخطوط عربي، وهناك مخطوطات أخرى في عدد من الدول، كالمكتبة الظاهرية في دمشق، التي نقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق، وغيرها من البلاد. وقد قامت دور النشر بتحقيق عدد لا بأس به.

إن هذه الثروة الرائعة يجب النظر إليها بعين الرعاية والتقدير بما يطور العملية التعليمية من خلال عملية «تقريب» للتراث، فيحفظ محتواه ولكنه يكتب بطريقة معاصرة ولغة مفهومة بعيدة عن اللغة القديمة باعتبار أن كل عصر له قاموسه، وإن التصنيف العلمي في حد ذاته بلغته القديمة ليس مقدسا، وإنما هو وسيلة للفهم والإفهام، وقد أبان الله تعالى عن أن المقصود من الإرسال والتعليم هو الإفهام، كما قال ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ (إبراهيم:٤).

لكن المصنفات القديمة امتازت بأمرين:

الأول: المنهجية: فغالب ما كتب في القديم له منهجية واضحة تساهم في البناء المعرفي للعقل المسلم.

الثاني: غلبة الإخلاص والتجرد، مما جعل لهذه الكتب قبولا عند العامة والخاصة، لأنهم لم يكونوا يكتبون للتكسب كما هو غالب الحال الآن، وإنما يكتبون خدمة للدين والعلم.

وقد نحتاج في عملية التقريب أن نحذف بعض الأمثلة القديمة التي تناسب عصرهم دون عصرنا، وأن نأتي بأمثلة معاصرة، مع إبقاء كل ما هو صالح لزماننا، وقد نضيف عليها بعض المسائل المستجدة التي استحدثت في عصرنا دون عصر الأقدمين.

ثانيا- سلم التعلم

ومن مزايا منهج القدامى في التعلم هو ما قالوه من أن الإنسان لا يتحصل العلم إلا إذا درسه ثلاث مرات، وقد عبروا عنه بدراسة المختصرات، ثم المتوسطات، ثم المطولات، وتقوم هذه الطريقة على شرح متن معين بطريقة مختصرة، فإذا انتقل الدارس إلى الطريقة المتوسطة فإنه يجد فيها ما درس في الطريقة المختصرة وزيادات، ثم ينتقل إلى مرحلة المطولات، فيدرس فيها ما درسه في المختصرات



والمتوسطات مع زيادات، فيثبت العلم في ذهن الطالب.

وهذا بخلاف ما يدرس في الكليات الشرعية الآن، فهي مقسمة إلى مواد دراسية تدرس كل مادة مرة واحدة يختبر فيها ولا يرجع إليها، مما يعني أنه يتحصل ثقافة لا علما.

كما أن طريقة التدريس في الجامعات ليست متدرجة، فمستوى المادة واحد منذ البداية، وطريقة السلف الصالح أن يدرس الطالب القواعد والمسائل العامة أولا، ثم بعد ذلك يتوسع بذكر الأدلة والخلاف في المذهب أو بين المذاهب ونحو ذلك.

ثالثا- الشكل والقالب

شهد العالم طفرة في قوالب الطباعة وتقديم الكتاب بأشكال متنوعة، أدت الصورة فيه دورا كبيرا، فبجوار الطريقة التقليدية لصف وطباعة الكتاب، خرجت لنا كتب مزينة بالصور وبرسم الأشكال الفنية التي تعطي حيوية للكتاب، وتساهم في الإفهام والتقريب بما بات يعرف بـ «الخريطة الذهنية» وهي طريقة تجعل الطالب مقبلا على العلم، كما أنها تساهم في إيصال المعلومة بشكل أفضل من الطريقة التقليدية.

وقد تبنى هذه الفكرة كثير من المتخصصين في العلوم التجريبية والعلوم الإدارية، لكن مازالت العلوم الشرعية يغلب عليها الطريقة التقليدية، مما يتطلب تفكيرا جادا في طباعتها بأشكال متنوعة معاصرة تسهم في جذب الطلاب للكتب الشرعية.

رابعا- ضرب الأمثال

يعد ذكر الأمثلة من أهم وسائل التعلم، ولأهمية الأمثال فقد ضربها الله تعالى في كتابه تبيانا للناس وتعليما، كما جاءت السنة حافلة بضرب الأمثال، لكن كثيرا من كتب علوم الشريعة قلت فيها الأمثال، بل تكاد تكون الأمثلة متكررة من كتاب لآخر، دون مراعاة للعصر الذي كتب فيه، أو البيئة التي يدرس فيها.

ومن هنا كان من الواجب العناية بتكثير ضرب الأمثال؛ إفهاما وتفهيما، وإعقالا وتعقيلا، ووصولا وإيصالا، حتى تثبت القواعد في ذهن الطالب، وحتى يرسخ ما تعلمه؛ لأن المثل أبقى في الذهن وأرسخ في العقل، وأدعى إلى الفهم.

خامسا- التدريب والمهارات

غالب العلوم النظرية قائمة على التثقيف، لكنها لا تملك الطلاب أدوات العلم، ولا تحقق المخرجات التي يجب أن يستفيد بها المجتمع، فغالب الكليات الشرعية التي تخرج أئمة وخطباء لا نجدهم يتدربون على الإمامة والخطابة، ولا يعرفون كيفيتها، وإنما يمكثون سنوات حتى يأخذوا الدربة من كثرة العمل، وكذلك خريجو كلية اللغة العربية، فهم لا يتدربون على التدريس ولا على التصحيح اللغوي ولا غيرها من الوظائف التي يقومون بها بعد التخرج، وهكذا بقية الكليات الشرعية واللغوية، وكان يمكن توفير سنوات ما بعد التخرج التي يقضيها الخريجون في التدرب، وأن يكون ذلك خلال سنوات التعلم، وأن يقوم البناء التعليمي على شقي: المعرفة والتدريب، وأن يقل الحشو النظري في مقابل تحويل العلوم إلى مهارات.

اقتراح لأقسام علوم الشريعة والعربية

ويمكن إعادة تقسيم الكليات إلى أقسام حسب الوظائف والمخرجات للمجتمع، ففي كليات اللغة العربية تكون هناك أقسام: التصحيح والتحرير اللغوي،



وقسم: التدريس، وقسم: الإعداد العلمي في علوم العربية وغير ذلك من الأقسام.

وفي الكليات الشرعية تكون هناك أقسام، مثل: قسم الإمامة والخطابة، وقسم: البحث الشرعي، وقسم: التدقيق الشرعي الخاص بالمؤسسات المالية، وقسم: الصحافة الشرعية، وقسم: الإعلام الديني، وقسم: التدريس الشرعي، وقسم: المحاماة، وقسم: التحقيق الجنائي، وغير ذلك من الوظائف التي يقوم بها خريجو الكليات الشرعية.

إن نجاح المؤسسات التعليمية الشرعية قائم على معرفة مقاصد العلوم، لأنه كما أشار الإمام الغزالي في كتابه: «المستصفى» أن الدارس لا يتحصل العلم إلا بثلاثة أمور، هي: معرفة التصور العام للعلم، وإدراك مقاصد العلم، وتحصيل مسائل العلم.

وهذا النظر غاية في الأهمية، فحين يدرس الطلاب مصطلح الحديث دون امتلاك مهارة تمييز الحديث الصحيح عن غيره، فلم يتملكوا مقصد العلم، وإن درسوا قواعد العربية دون امتلاك مهارة النطق الصحيح والكتابة الصحيحة وتصويب الخطأ، فلم يمتلكوا مهارة العلم، وهكذا.

سادسا- الجمع بين الطريقة التقليدية لأكاديمية

لقد أثبتت الطريقة التقليدية في تعليم علوم الشريعة، أو ما كان يعرف بـ «شيخ العمود» كفاءتها في التحصيل والاستظهار، وهذا ما لا نجده في الطريقة الأكاديمية، وأثبتت الطريقة الأكاديمية قدرتها على تحرير العقل من التقليد، وعدم الوقوف عند درس الشيخ فحسب، بل ملكته مهارات البحث والتنقيب العلمي، مما يساهم في تكوين ملكة الاجتهاد الجزئي، مما يعني أننا بحاجة إلى طريقة تجمع بين الطريقتين، أو أن يكون بجوار الطريقة الأكاديمية منهج مصاحب على الطريقة التقليدية، حتى يجمع الطالب بين ملكة الاستظهار ومعرفة العلوم، وبين ملكة البحث والاجتهاد.

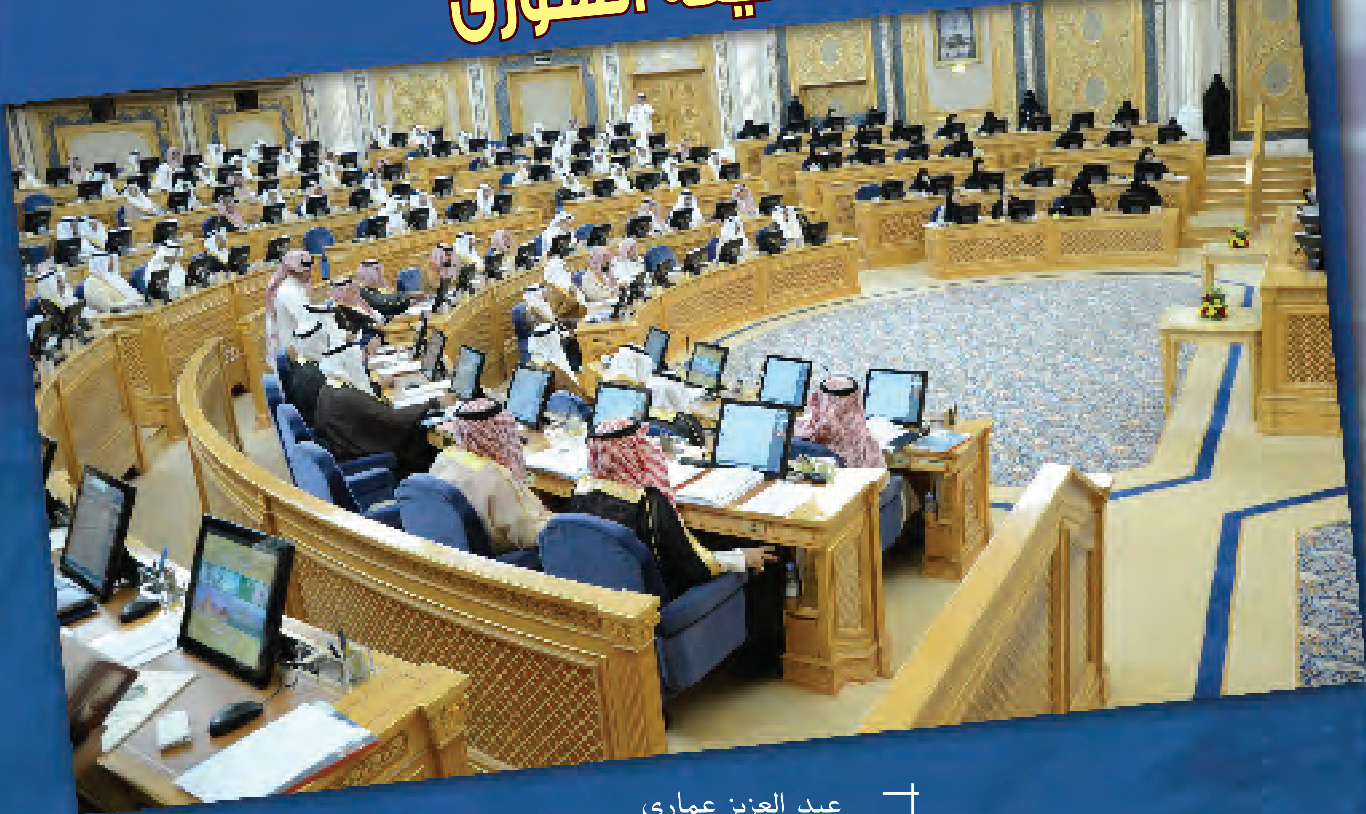
وهذه الطريقة تحتاج إلى مزيد عناية في صياغة المناهج، وطرق التدريس، وتدريب الطلاب عليها، حتى نصوغ عقلا يجمع بين الأصالة والمعاصرة، مستوعبا القديم النافع، مستعملا للجديد الصالح.

سابعا- التطبيق العلمي

تعد هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة من التدريب، فالتدريب يعني امتلاك المهارات، ثم تأتي مرحلة التطبيق لتعمق امتلاك تلك المهارات، وهي هنا ليست مرحلة تعلم بقدر ما هي مرحلة ممارسة، لأن الطالب - بلا شك - يتعلم بكثرة التطبيق، فقد يتعلم الطالب مهارات التخريج، أو مهارات البحث، لكنه كلما خرّج أو كتب بحوثا علت قدرته وكفاءته الإنتاجية، وكذلك الخطيب والإمام كلما مارس المهنة اكتسب خبرات أكثر، فيتعلم من خلال الواقع المهني كما تعلم من خلال التنظير والتقعيد مع تطبيقاته خلال المرحلة الدراسية.

إن الطفرة التعليمية التي يشهدها عصرنا وستشهدها عصور بعدنا قد آتت ثمارها في كثير من العلوم التجريبية والإنسانية من غير علوم الشريعة، مما يعني أنه آن الأوان للسعي نحو تجديد منهجي لتدريس علوم الشريعة، تجديدا يشمل المحتوى العلمي، كما يشمل تطوير أدوات التدريس وطرقه والعناية بالمعلمين القائمين على عملية التدريس، ناظرين إلى المهن والوظائف التي تعد ترجمة حقيقية لخدمة المجتمع من تلك العلوم حتى تثبت لها قدما راسخة؛ لتنال مزيد عناية ورعاية واهتمام.

في الإسلام وعند الأمم السابقة:
حقيقة الشورى



عبد العزيز عماري
باحث جزائري

كلمة الشورى بما تعنيه من التعاون وتكثيف الجهود بغية الوصول إلى الرأي الصواب الذي فيه مصلحة الأمة عن طريق جلب أعلى المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين هي مما جاء به الإسلام وحث عليه، بل إن هناك سورة في القرآن سميت سورة الشورى تنويها بمقامها، وهي أيضا تراث بشري مشترك بين الأمم، وهذا ما سنحاول بيانه في مقالنا هذا.

تعريف الشورى

بالرجوع إلى معاجم اللغة يتبين أن من معاني الشورى الاستخراج، فيقال: «شار العسل شورا وشيارا وشيارة ومشارا استخرجه من الوقبة» (١). ويقول الراغب في المفردات: «ومنها الشوار ما يبدو من المتاع ويكنى به عن الفرج كما يكنى به عن المتاع، ومنها شرط الدابة والتشاور والمشورة والمشاورة استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض» (٢).

«وشاوره في الأمر واستشاره بمعنى» (٣). مما سبق يتضح أن الشورى عملية استخراج الآراء المتعددة في أمر ما مع تقليبه جيدا وفحصه للموازنة بين المصلحة والمفسدة واختيار أنفع الآراء وأجودها، قال بدر الدين العيني «وحاصل معنى شاورته عرضت عليه أمري حتى يدلني على الصواب منه» (٤).

وكلمة الشورى عند أكثر العلماء مصدر فعل شاور قال القرطبي: «والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والذكرى» (٥). وقال الشوكاني: «والشورى مصدر شاورته» (٦). وقال الزمخشري: «والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور» (٧). وقال البيضاوي: «وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور» (٨).

والشورى من الأمور التي مارستها الأمم قبلنا، فهي تعد من التراث المشترك بين البشر، وقد سجل لنا القرآن الكريم بعض النماذج التي ظهر فيها أقوام يأخذون بهذا المبدأ الأساسي ويسيرون على هديه.

نماذج قبل الإسلام

ذكر القرآن الكريم قصة ملكة سبأ عندما أرسل إليها سيدنا سليمان - عليه السلام - رسالة يدعوها وقومها إلى التوحيد فلما وصلت الرسالة إليها ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (النمل:٣٢). ومن نماذج الشورى التي

ذكرها القرآن الكريم قبل الإسلام ما كان من أمر ملك مصر زمن يوسف عليه السلام - حينما رأى رؤيا أفزعته، فقال للملإ من قومه ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِى فِى رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ (يوسف:٤٣).

وهناك نموذج ثالث ذكره القرآن عن الشورى قبل الإسلام وهو مشاورة فرعون الطاغية للملإ من قومه في أمر موسى عليه السلام لما قامت عليه الحجة بالبيان والعقل ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الشعراء:٣٤-٣٥).

ومن الملاحظات حول الشورى

● قصر الشورى على الكبراء والأشراف بعكس الإسلام فإن المستشار قد يكون من أحد الناس إن توفرت فيه الشروط المطلوبة في المستشار وعلى رأسها العلم والأمانة.

● أهل الشورى عندهم يكونون سلبيين ولا يشيرون بشيء فيه منفعة لمن شاورهم، ففي النموذج الأول عرضوا باستعدادهم للحرب ولم يذكروا شيئا فيه منفعة، وهذا أمر لا يخفى قطعا على بلقيس. وفي النموذج الثاني لم يزيدوا على الرجم بالغيب والقول بغير العلم وهذا حرام في شريعتنا ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ (الإسراء:٣٦).

● طلب الشورى عندهم غالبا ما يكون من باب الضرورة وليس قاعدة متبعة في إدارة شؤون البلاد وسياسة الرعية.

لكن الشورى تختلف في الإسلام عما كانت عليه في الأمم السابقة كما سنبين إن شاء الله تعالى.

وردت كلمة الشورى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع

● الأول في قوله تعالى ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِى ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ (آل عمران:١٥٩).

● الثاني في قوله تعالى ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ﴾ (البقرة:٢٣٣).

● الثالث في قوله تعالى ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ (الشورى:٣٨).

وبالنظر إلى مجالات الشورى في الإسلام فإنها لا تنحصر في مجالي السياسة والحروب، وإن كانت تتضمنهما بعموم اللفظ بل تشمل حتى المجال الأسري كما في النموذج الثاني الذي يتحدث عن فطام الرضيع بحيث لا يحصل هذا الفطام إلا بالتشاور بين الوالدين والتراضي فيما بينهما إن كانت فيه مصلحة للمولود.

إلا أن الشورى في الإسلام لا يمكن أن تكون فيما ورد فيه نص صريح بالحكم لأنه لا اجتهاد مع النص. كما أن الشورى في الإسلام تعتبر مبدأ عاما للحاكم والمحكوم وشاملا لكل شؤون الحياة.

وإذا رجعنا إلى سنة الرسول ﷺ فإننا نجده يشاور أصحابه في كثير من الأمور وفي مختلف المجالات والمناسبات، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده، حتى قال أبوهريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ» (٩). فقد شاور أصحابه يوم بدر في الذهاب إلى العير فقال: «أشيروا أيها الناس علي» (١٠). فقالوا: لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.

وشاورهم في أحد أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو (١١). وشاور عليا وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة رضي الله عنها فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين (١٢).

وبالرجوع إلى سيرة الخلفاء الراشدين نجدهم أيضا قد ساروا على نهج الرسول ﷺ في المشاورة، ومما حفظه التاريخ:

● مشاورة الصديق الصحابة في قتال مانعي الزكاة.

● مشاورة عمر في الخمر يشربها الرجل فقال له علي بن أبي طالب: «نرى أن تجلده ثمانين، فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإن هذى افترى» (١٣).

● مشاورة عثمان في جمع الناس على مصحف واحد، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإ منا» (١٤).

ولهذا قال البخاري في صحيحه: «وكانت الأئمة بعد النبي يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها» (١٥)، قال ابن حجر العسقلاني: «لأن غير المؤتمن لا يستشار ولا يلتفت لقوله» (١٦).

الهوامش

١- القاموس المحيط مادة «شار».
٢- الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، ص.٢٧٠.
٣- مختار الصحاح مادة «شور».
٤- عمدة القاري ٢٦٩/٢٤.
٥- الجامع لأحكام القرآن، ٣٤/١٦.
٦- فتح القدير، ٧٦٩/٤.
٧- الكشاف، ١٦٠/١.
٨- أنوار التنزيل، ١٣٣/١.
٩- رواه الترمذي، (١٦٣٦).
١٠- رواه البخاري، (٣٨٦٠).
١١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٠١/١.
١٢- رواه البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾.
١٣- رواه مالك في الموطأ، كتاب الأشربة، باب الحد في شرب الخمر.
١٤- فتح الباري، ٤١٦/١٣.
١٥- كتاب الاعتصام، نفس الباب السابق.
١٦- فتح الباري، ٤١٥/١٣.



من خلال سورة يوسف عليه السلام:

مقاصد الحوار

سعيد عبيدي
باحث مغربي

ربما يكون التدافع الفكري والثقافي اليوم أبعد عن طابع التشنج والضيق بالمخالفين، وأقرب إلى الجدل بالتي هي أحسن، في فترة يشهد العالم كله إيثار سياسة الحوار والتفاهم على أسلوب العداء والتصارع؛ لهذا فإن النهج الجديد لسياسة الحوار مع الآخر أصبح من الفروض الاجتماعية؛ لإدارة الخلاف، سواء الداخلي أو الخارجي، والحمد لله أن القرآن الكريم لم يغفل عن أي مجال من مجالات حياة الإنسان، إذ لما كان هو كتاب الدعوة فقد اعتمد مجموعة من الأساليب لإنشاء عقيدة ضخمة (عقيدة التوحيد)، منها: الحوار، الجدل، القصة، التهديد، الترغيب، العبرة. فالحوار إذن من الأساليب التي اعتمدها الخطاب القرآني بقوة في مجموعة من القضايا التي تؤطر حياة الإنسان، وهو – القرآن الكريم – يزخر بمقامات الحوار التي عالج من خلالها مختلف القضايا، ونأخذ في هذا المقال، كمثال على ذلك، قصة يوسف عليه السلام، ونحاول الوقوف على أهم المحطات الحوارية التي أثيرت في القصة، ونكشف بعدها المقاصدي.

والحوار في اللغة من الحوْر: وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء. وفي الحديث: من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك، حار عليه؛ أي رجع إليه ما نسب إليه. والمحاورة:

المجاوبة. والتحاور: التجاوب. وتقول كلمته: فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا ولا حويرة، ولا محورة ولا حوارا؛ أي ما رد جوابا. كما أنها هي مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره. والمحاورة مصدر كالمشورة في المشاورة (١).

وجاء في معجم مقاييس اللغة: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول، أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دورا... أما الرجوع فيقال: حار إلي؛ رجع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (الانشقاق:١٤) (٢).

وقال الفيروز آبادي: المُحاورة والمَحورة والمَحُورة: الجواب، كالحوير والحوار ويكسر، والحيرة والحيرة: مراجعة النطق، وتحاوروا: تراجعا الكلام بينهما (٣).

أما في الاصطلاح فهو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين. وعرفه بعضهم بأنه نوع في الحديث بين شخصين، أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه (٤).

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الحوار يتداخل مع مجموعة من المصطلحات الأخرى، وإن كان بين هذه المصطلحات خصوص وعموم؛ كالجدل والمناظرة والمناقشة.

إن الحديث عن الحوار في القرآن الكريم بصفة عامة، وقصة يوسف عليه السلام بصفة خاصة، يستلزم الحديث عن البعد المقاصدي، إذ يعتبر العنصر الأساسي في نجاح العملية الحوارية وتحقيق الثمرة المرجوة، وإلا سيكون الحوار عقيما بعيدا عن مرجعيتنا التي تقتضي التنظيم ورسم الهدف في مختلف القضايا قبل الإقبال عليها، وهي حقيقة يشترك فيها جميع المفكرين المسلمين، كما أن مواقع الحوار وقضاياه يجب ألا ينظر إليها بشكل مجتزأ، بل يجب أن تتناول في إطاره وسياقه العام؛ لارتباطه بالغرض الديني وأهداف القرآن العليا وبتصور الإسلام الأصيل. ويمكن تقسيم المقاصد المرجوة من قصة يوسف عليه السلام إلى ما يلي:

• المقاصد التربوية الأخلاقية

مما لاشك فيه أن هدف «التربية الأخلاقية» متأصل في كتاب الله تعالى، ويمكن أن نبرز بعض جوانبه من خلال بعض النماذج الحوارية التي سيقت في القصة كصورة للأخلاق المتجردة الخالصة الموصولة، كما تتجلى في سلوك عبدين صالحين من عباد الله المختارين؛ يوسف ويعقوب عليهما السلام.

خلق الصبر

وقد ضرب يوسف، عليه السلام، للناس المثل الأعلى في كثير من أنواع الصبر:

- صبر على إيذاء إخوته، وتجريدهم إياه من ثوبه وإلقائه في الجب بقصد إهلاكه.
- صبر على شهوة الفرج، وقد هيئت له في جيش من المغريات يحف به من كل ناحية.
- مسته الضراء وألقي في السجن فحالف الصبر الجميل، وسعة الصدر (٥).

لقد كان عليه السلام متحليا في جميع مواقف القصة بفضيلة الصبر، وهي من أعظم الفضائل وأجلها قدرا.

كما نلمح في قول يعقوب، عليه السلام، حين أخبر بأن الذئب أكل حبيبه يوسف ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨) قمة الصبر، والاستعانة بالله على هذه المصيبة، وكان هذا عزاء له في مصابه (٦). فالصبر والتقوى هما زاد المؤمن في الطريق إلى الله ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف:٩٠).

التحلي بفضيلة الشكر

والشكر: هو معرفة النعمة الحاصلة من المنعم، والفرح بها، والقيام بمقصود المنعم والعمل بما يحبه. وهذا الخلق عزيز في الناس، فيوسف، عليه السلام، يتحدث بنعم الله تعالى عليه وعلى آله وهو من الشاكرين، فإنه لما جاء أبواه رفعهما على العرش وخرا له سجدا (٧) فقال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (يوسف:١٠٠)، وكان ختام قصته: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (يوسف:١٠١).

لقد كان يوسف، عليه السلام، سواء في مواقف الشدة أو الرخاء،

متحليا بفضيلة الشكر. والتحلي بهذه المزية، كما هو معلوم، يورث الزيادة في الرزق والخير كله.

معاني الإيمان

فسيدنا يوسف على مدار القصة، نجده يقف موقفا إيمانيا موصولا بربه يحسه سبحانه قريبا منه مستجيبا له: «ففي موقف الفتنة والإغـراء والغـواية يهتف: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف:٢٣)، وفـي المـوقف الآخـر، وهـو يخشى على نفسه الضعف والميل، يهتف كذلك: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (يـوسـف:٣٣)، وفـي موقف تعريف نفسه لإخوته يبين فضل الله عليه ويشكر نعمته ويذكرها: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠).

فكل هـذه المقاطع الجدلية تحمل إيـحـاءات فـي التربـية الإيمانية، وربط كل قضايا الإنسان بخالقه واستحضاره في كل المواقف.

وأما يعقوب، عليه السلام، ففي قلبه تتجلى حقيقة ربه باهرة عميقة لطيفة مأنوسة في كل موقف وفي كل مناسبة، وكلما اشتد البلاء رشفت تلك الحقيقة في قلبه ورفت بمقدار ما تعمقت وبـرزت، فمنذ البدء كان يوسف يقص عليه رؤياه في الوقت الذي كان فيه يذكر ربه ويشكر نعمته: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (يوسف:٦).

وفي مواجهة الصدمة الأولى يتجه سيدنا يعقوب إلى ربه مستعينا به: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨)

وفي مواجهة الصدمة الثانية في كبره وهرمه وضعفه وحزنه، لم يتسرب اليأس من رحمة ربه لحظة واحـدة إلـى قلبه؛ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧).

ثم يبلغ تجلي الحقيقة في قلب يعقوب درجة البهاء والصفاء، وبنوه يؤنبونه على حزنه على يوسف وبكائه عليه حتى تبيض عيناه من الحزن، فيواجههم بأنه يجد حقيقة ربه في قلبه كما لا يجدونها، ويعلم من شأن ربه ما لا يعلمون، فمن هنا اتجاهه إليه وحده وشكواه له وبثه، ورجاؤه في رحمته وروحه: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ (يوسف:٨٤-٨٦).

إنها الصورة الباهرة لتجلي حقيقة الألوهية في قلب من قلوب الصفوة المختارة، وهي تحمل الإيمان المناسب لفترة الشدة في حياة الجماعة المسلمة في مكة، كما أنها تحمل الإيحاء الدائم بالحقيقة الإيمانية الكبيرة، بكل قلب يعمل في حقل الدعوة والحركة الإسلامية على مدار الزمان أيضا (٨).

هذا هو المنهج التربوي الأخلاقي الذي يقوم اعوجاج النفس البشرية ويربيها على قيم وأخلاق جليلة في ارتباطها بالقصد الرباني وتحقيق واجب الخلافة في الأرض.

ومن ثم فالمقاصد الحوارية عامة، والتربوية الأخلاقية خاصة، منبثقة من قـاعـدة العقيـدة والدينونة، وهـي القـاعـدة التي تقوم عليها الرسالات.

المقاصد العقدية

كثيرة هي المجادلات القرآنية التي كان هدفها ومقصدها «الدعوة إلى الله»، وما أحوجنا إلى تمثل المنهج الرباني ببعده المقاصدي الذي رسمه الأنبياء والرسل في حياتنا اليوم في مواجهة الفوضى الدعوية وضبطها طبقا للهدف الربـانـي، فكثير في زماننا من نصبوا أنفسهم للدعوة وهم ليسوا بأهل لها، فزلوا وأزلوا، وضلوا وأضلوا لما زاغوا وخرجوا عن المنهج الرباني في الدعوة.

ومنذ بداية الدعوة الإسلامية من نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام، واجه الأنبياء والرسل موضوع الشرك بالله مشكلة مطروحة، متمثلة فـي الأصنام الكثيرة التي يعبدها الناس من دون الله، وسنلتقي في هذا المقصد مع المنهج الإسلامي في الدعوة الذي يمثله سيدنا يوسف، الذي يجادل في فكرة التوحيد والشرك؛ لنستبين المقصد الحواري من هذه الصورة.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ

أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ (يوسف:٣٦-٤١).

ففي هذا الحوار يبرز جليا مقصد «الدعوة إلى الله»، وعلى وجه الخصوص التركيز على الجانب العقدي، حيث اعتصم النبي يوسف، عليه السلام، في حواره مع الفتيين بصفات جعلته المثل الكامل لهما وللبشرية كافة، إذ لم يشرع بعرض دعوته إلا بعدما أحسن الاستماع إليهما وهما يعرضان عليه رؤياهما؛ ليكون أكثر تأثيرا فيهما بأخلاقه وأدبه.

وتدرج، عليه السلام، في دعوته وألزمهم الحجة؛ بأن بين لهم رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة المتعددة، ثم برهن على أن ما يسمونه آلهة ويعبدونه من دون الله لا يستحق العبودية والألوهية، ثم نص على عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد، وذلك من الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله، حيث قدم الهداية والإشادة والنصيحة والموعظة، ثم شرع في تفسير رؤياهما بعد ذلك (٩).

كما قد يعلم أن المقصد من كلام يوسف، عليه السلام، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ (يوسف:٤٠)، هو أنه على الداعية أن يفخر بدينه ويدعو إليه بكل اعتزاز مادام هو الدين الحق «أي ذلك الذي أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله، هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه» (١٠)، وكذلك على الداعية المسلم أن يغتنم كل فرصة قد تسنح له لتبليغ الرسالة والدعوة إلى الله بمنهج حكيم وأسلوب لين منبثقين من مرجعية دينية.

والمقصد كل المقصد من قضية الدعوة في حوار سيدنا يوسف، عليه السلام، هو أن الحوار حينما يقام على أسس وضوابط يثمر فوائد عديدة، عكس الحوارات التي تقام للمراء والعناد، وقد قيل: «إذا أراد الله بقوم سوءا سلط عليهم كثرة الكلام ومنعهم العمل»، كما أن قضية الرسالة يجب أن تشغل تفكير كل فرد مسلم، ويجعلها همه في كل زمان ومكان، وأن يستفيد من كل فرصة تعرض له ويستغلها في أداء رسالته، ولا يبقى لقضاياه الشخصية إلا الشيء القليل، وتلكم هي قضية الأمانة التي حملها الإنسان.

خاتمة

من خلال هذه الإطلالة المركزة على قصة يوسف، عليه السلام، وعن مقاصد الحوار الذي دار فيها، نخلص إلى أن مهمة الحوار في القرآن الكريم جلية ومحددة ومرتبطة بأوثق رباط هو الدعوة إلى الله، والالتزام بشريعته، وبيان الحق من الباطل، كما أن مهمته تكمن في بيان مقاصد بعينها أراد الشارع سبحانه وتعالى إيصالها إلى عباده حتى ينقادوا نحو الطريق المستقيم.

الهوامش

١- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج٤، ص: ٢١٧-٢١٩.

٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ص:٢٦٩.

٣- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٢٤هـ، ص:٣٨١.

٤- يحيى زمزمي، الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التراث والتربية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ص:٢٢.

٥- عبدالوهاب النجار، «قصص الأنبياء»، ص:٢٠١-٢٠٢.

٦- عماد زهير حافظ، «القصص القرآني»، ص: ١٦٩.

٧- عبدالوهاب النجار، «قصص الأنبياء»، ص:٢٠٣.

٨- أحمد فائز الحمصي، «قصص الرحمن في ظلال القرآن»، ص: ٣١٨-٣٢٠.

٩- علي الصابوني، «صفوة التفاسير»، ص:٥٥١.

١٠- علي الصابوني، «صفوة التفاسير»، ص:٥٥١.

كيف نفهرس المخطوط العربي؟

حسن أبو الخير
باحث متخصص في التراث

إن أولى مراحل العودة إلى التراث لإحيائه وإخراجه هي التعرف عليه ولم شمله وشتاته، ومن أجدى الوسائل إلى ذلك وأبرزها فهرسته بصورة تكون كافية لإظهاره وإبرازه على النحو اللائق به، ومن هنا تأتي الأهمية العظمى لفهرسة المخطوطات العربية، فهي واجهة التراث العربي المخطوط التي تظهره، وكلما كانت الفهرسة جيدة ومتينة كانت الواجهة مضيئة نيرة ومشرقة ظاهرة.

وإن الباحثين والدارسين للتراث العربي الإسلامي يحملون عبئا لتنوء به الجبال الراسيات من فرط ثقله عليهم. ومن تخفيف هذا الثقل عليهم الفهرسة الجيدة، التي تقدم كل ما يحتاجون إلى معرفته عن المخطوطات المعدة دراستها والمزمع نشرها، وهذه أهمية أخرى لفهرسة المخطوطات العربية.

ومن هذا الأساس انطلق فرسان المخطوطات العربية يتبارون في هذا المجال، ويجدون في تقعيد وتنظير فهرسة المخطوطات العربية، وبيان كيفية عمل الفهارس، ووضع الضوابط اللازمة للفهرسة الناجحة السليمة والمفيدة الكافية، ووضع ذلك في مؤلفات أو بطاقات، حتى تمثلت قواعده في عناصر متعددة.

والغرض من هذا البحث هو التعريف بالعناصر الأساسية عن المخطوط، بالإضافة إلى عناصر أخرى تصفه وصفا دقيقا ووافيا يظهر تميز المخطوط عن غيره، مع إعطاء أمثلة تطبيقية لهذه العناصر.

والفائدة المرجوة من هذا البحث هي تعريف المسلمين بمدى الجهود المبذولة والتي ينبغي أن تبذل في سبيل إحياء تراثهم المتمثل في المخطوطات العربية. وإن هذا الإحياء له جوانب كثيرة - ومنها الفهرسة - وهو في احتياج إلى من يقف وراءه ويمده بكل الأشكال والصور كي يغدو يانعا باعثا للحياة في عروق وحاضر المسلمين بعد رقدتهم الطويلة.

ومن الفوائد المرجوة أيضا مساعدة أصحاب المكتبات الخاصة، الذين تحتوي مكتباتهم على مخطوطات عربية، في كيفية فهرستها؛ كي يبرز لهم ما تحويه من درر فينتفعوا بها، ويعم النفع بعد ذلك سائر المسلمين، وفي مقدمتهم طلبة العلم والعلماء.

وأيضا حث المؤسسات الكبيرة والصغيرة في الدول العربية والإسلامية، الرسمية وغير الرسمية، والتي تحتوي مكتباتها على مخطوطات عربية، على السعي إلى فهرستها ونشر هذه الفهارس في أنحاء المعمورة؛ كي يتم تعريف الباحثين والدارسين بهذه المخطوطات فيعم الخير والبركة على الجميع.

والآن إلى عناصر فهرسة المخطوطات العربية:

العنصر الأول: عنوان المخطوط

نثبت اسم المخطوط كما ورد في صفحة العنوان - وهي الصفحة الأولى من المخطوط - صحيحا، وللتأكد من صحته نقوم بثلاثة أمور:

١- قراءة مقدمة المخطوط: لأن كثيرا من المؤلفين يذكرون اسم الكتاب فيها.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين» لمجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ): وأسميته: تحبير الموشين... (١).

٢- قراءة آخر المخطوط: لأنه أحيانا يقول المؤلف أو الناسخ: تم كتاب كذا، أو أنجز كتاب كذا.

مثاله: ما جاء في آخر مخطوط «يواقيت المواقيت في مدح كل شيء وذمه» لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ): تم كتاب يواقيت المواقيت...، مما ألفه... أبومنصور... (٢).

٣- الرجوع إلى المصادر التي توثق اسم المخطوط، مثل: كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، وذَيْلَيه: «إيضاح المكنون»، و«هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٩٢٠م)، أو كتاب «الفهرست» للنديم (ت ٣٨٠هـ تقريبا)، أو كتب التراجم والطبقات.

وإذا وجدنا خلافا بسيطا في العنوان بزيادة لفظة أو نقصانها، فذهب بعض الباحثين إلى ذكره في موضعه، فنضع العنوان المكتوب على المخطوط ونذكر بين قوسين تحته العنوان الآخر. وفي حالة الفهرسة في كتاب مستقل نعمل إحالة (هامش) بذكر الاسم الثاني، فيقال: انظر:

كذا. وذهب بعض الباحثين إلى ذكر الخلاف في عنصر الملاحظات.

العنصر الثاني: اسم المؤلف وسنة وفاته

نذكر اسم المؤلف كاملا، ولا نذكر ألقاب التعظيم وأوصاف التفخيم. وأما ذكر كنيته ولقبه وشهرته فذهب بعض الباحثين إلى ذكرها، وذهب بعضهم إلى عدم ذكرها.

وللتأكد من صحة اسم المؤلف نقوم بأمرين:

١- قراءة مقدمة المخطوط: لأن كثيرا من المؤلفين يذكرون فيها اسمهم.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «البيان عن أهم علوم القرآن» للبقاعي (ت٨٨٥هـ): قال أحوج الخلق إلى عفو الحق أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي.

٢- الرجوع إلى المصادر التي توثق اسم المؤلف، مثل كتاب: «الأعلام» لخير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (ت ١٩٨٧م)، أو المصادر المذكورة فيهما، أو كتاب: «تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م)، و«تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين، أو كتب التراجم والطبقات.

وينبغي الانتباه إلى تشابه أسماء المؤلفين، وما يفصل في هذا هو اللقب والشهرة.

ويرتب اسم المؤلف بذكر: الكنية، ثم اللقب، ثم اسمه واسم أبيه وجده، ثم شهرته، على رأي لبعض الباحثين؛ وذلك لأن الشهرة بالكنية أكثر، ولعدم الفصل بين اللقب والاسم؛ لأن اللقب ألصق بالاسم، ويرى المستشرقون أن يبدأ باللقب، ثم الكنية.

ونتبع اسم المؤلف ذكر سنة وفاته بالهجرية، ومعرفة ذلك بالرجوع إلى المصادر المتقدم ذكرها. وإذا أردنا أن نذكر ما يقابل سنة الوفاة بالميلادية لفائدة ما نستخدم المعادلة التالية:

(٦٢٢) + (العام الهجري × ٣٢ ÷ ٣٣)= العام الميلادي.

(العام الميلادي - ٦٢٢) × ٣٣ ÷ ٣٢)= العام الهجري.

وفي الناتج من السنوات يرفع الكسر (نصف فأكثر) إلى واحد صحيح، وتهمل قيمة الكسر الأصغر من ذلك.

وإذا لم نجد سنة وفاة المؤلف نذكر العصر الذي عاش فيه.

ولا نهتم بسنة الولادة إلا في حالة عدم الوصول إلى سنة الوفاة؛ فإنها ترشد حينئذ إلى معرفة عصره.

العنصر الثالث: أول المخطوط (فاتحته)

نقتطف من أول المخطوط بمنهجية من دون عشوائية أو تطويل ممل أو اختصار مخل، فنقتطف اقتطافا مفيدا ومركزا ما يلي:

١- اسم المؤلف لتوثيق نسبة النص إلى صاحبه، مع حذف الألقاب التي تسبق الاسم، واختصار الاسم إذا كان موافقا لما في صفحة العنوان ومصادر التوثيق، أما إذا كان هناك خلاف فلابد من نقل الاسم كاملا.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «كتاب التوحيد» لأبي الفتح عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ): قال الشيخ... زين الدين عبدالرحمن... (٣).

٢- أول جملة (الفاتحة) مميزة، ومميزة في المخطوط، ولا نسجل البسملة ولا الحمدلة غير المميزة.

مثاله: ما جاء في فاتحة مخطوط «يواقيت المواقيت في مدح كل شيء وذمه» لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ): الحمد لله ما أمكن الحمد، وإلى أن ينقطع العد (٤).

٣- ما يبين رواية المخطوط إذا كان للكتاب أكثر من رواية.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «الموطأ» لمالك بن أنس، رواية أبي مصعب الزهري المدني (ت ٢٤٢هـ): باب وقوت الصلاة، حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، حدثنا مالك بن أنس... عن ابن شهاب، أن عمر بن عبدالعزيز أخر الصلاة يوما (٥).

٤- قول المؤلف: وبعد، أو: أما بعد، وما يليها.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع» لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): أما بعد، فهذه أربعون حديثا من مروياتي العاليات... (٦).

٥- دواعي التأليف وأسبابه، فيقتطف ما يوضح ذلك بإيجاز، ونضع نقط الحذف للدلالة على أن الكلام غير متتابع.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «الفرج بعد الشدة» للقاضي أبي علي المحسن التنوخي (ت ٣٨٤هـ): وكنت وقفت في بعض محني على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي ابن محمد المدائني، سماها كتاب: الفرج بعد الشدة والضيقة،... ووقع لي كتاب لأبي بكر عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا، قد سماه كتاب: الفرج بعد الشدة، في نحو عشرين ورقة... فكان هذا أنشط لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم (٧).

٦- إن كان المصنف مهدى إلى ملك أو ذي سلطان، فيقتطف ما يشير إلى ذلك.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «يواقيت المواقيت في مدح كل شيء وذمه» لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ): هذا أطال الله بقاء الأمير الأجل الصاحب ولي النعمة... (٨).

٧- موضع توثيق عنوان المخطوط، كأن يقول المؤلف: وسميته كذا، أو: وأسميته كذا، أو: ووسمته كذا، أو: وترجمته كذا، وقد لا نجدها إلا بعد صفحة أو صفحتين.

وليس من الضروري أن يكتب الاسم

كاملا إذا كان موافقا لما في صفحة العنوان، وإذا كان مخالفا له فيكتب كاملا ويعلق على الخلاف في الملاحظات أو الحاشية.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ» لشهاب الدين أبي شامة (ت ٦٦٥هـ): وسميته المحقق من علم الأصول... (٩).

٨- إذا ذكر المؤلف أبواب المصنف وفصوله، وكيفية ترتيب مادته فنقتضبها سريعا من دون تفصيل، فهذا يفرق إذا اشتبه بكتاب آخر.

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد» لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ): رتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة (١٠).

- هذا كله إذا كان المخطوط كاملا، أما إذا كان ناقصا من البداية، فإنه ينص على ذلك ويوضح موضع البداية، فإذا وجدنا عبارة: أما بعد، فيتضح أن الكلام لايزال في المقدمة، فنستطيع أن نقول: ينقص من أوله قليلا في حدود ورقة، وأول الموجود منه...

مثاله: ما جاء في أول مخطوط «تنوير سقط الزند» لأبي يعقوب يوسف بن الحسن الخويي (ت ٥٤٩هـ) يقول المفهرس: ينقص من أوله - من الديباجة - قليلا، وأول الموجود منه: المحبوب على سجيته الكرم والوقار... أما بعد، فإن الشعر ديوان العرب، وبه تقييد أوابد الأدب... وهذا حين ابتدائي بتنوير سقط الزند فأقول: السقط ما سقط من النار عند القدح. وفيه ثلاث لغات... (١١).

العنصر الرابع: آخر المخطوط (خاتمته)

نقتطف من آخر المخطوط ما يلي:

١- آخر جملة أو أكثر قليلا موجودة بالمخطوط، تتعلق بالمادة، ومن قول المؤلف، التي تسبق تاريخ النسخ واسم الناسخ.

مثاله: ما جاء في مخطوط «المنجد» لكراع النمل (ت ٣١٠هـ): وآخرها من فصل الياء، قوله: وحدثنا أبو يوسف قال: حدثنا علي قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: زعم ابن كثير أنها (أفلم يتبين) في القراءة الأولى (١٢).

٢- عبارة النهاية، وهي ما يشعر بانتهاء المخطوط وتمام مادته، سواء من كلام المؤلف أو الناسخ، كأن يقال: انتهى بحمد الله، أو: كمل بحمد الله، أو: وهذا ما أردنا إيراده،... أو نحو ذلك.

مثاله: ما جاء في آخر مخطوط «أخبار المصحفين» لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (ت ٣٨٢هـ) من قول الناسخ: آخر الكتاب والحمد لله (١٣).

٣- معلومات تفيد في معرفة سنة التأليف أو سنة النساخة أو مكانهما أو وقتهما.

مثاله: ما جاء في آخر كتاب «الوقوف على ما في صحيح مسلم من الموقوف» للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، يقول الناسخ: آخر الكتاب على أصله، وهو بخط المؤلف، ومنه كتبت هذه النسخة، ما صورته: علقه الفقير أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي بن حجر في ثلاثة أيام، في أول ذي الحجة سنة ثلاث وثمانمئة بحلب حرسها الله تعالى. علقه من نسخة المؤلف... حسن بن علي بن يوسف الأيلي (١٤).

٤- نهاية الجزء والجزء الذي يليه وما يُبتدأ به، كأن يقال: كمل الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث المُبتدَأ بكذا.

مثاله: ما جاء في آخر مخطوط «شرح المفصل» لابن يعيش الأسدي (ت ٦٤٣هـ): آخر الجزء الرابع، ويتلوه في الخامس فصل: ومن أصناف الحروف، حروف النداء (١٥).

٥- يرى بعض الباحثين أن نقتطف المعلومات التي نصادفها في خواتيم المخطوطات.

مثاله: ما جاء في آخر مخطوط «شرح عقيدة الطحاوي» لعبدالغني الغنيمي الميداني (ت ١٢٩٨هـ): وقد وافق تمام تبييضها في وقت الضحوة النهارية، مع تمام بياض دمشقنا المحمية، التي كفل لها ولأهلها رب البرية من الدولة الجائرة البغية المصرية، نهار الأربعاء لست ليال خلت من أول الأشهر الحرمية سنة ست وخمسين ومئتين هجرية، بخط جامعها أفقر البرية إلى عفو ربه ذي الذات العلية عبدالغني الغنيمي أناله مولاه نيل الأماني... (١٦).

فهذه الخاتمة تعطينا تاريخ جلاء الجيوش المصرية بقيادة إبراهيم باشا عن دمشق سنة ١٢٥٦هـ، وتدلنا على نقمة الدمشقيين على هذه الجيوش.

- هذا كله إذا كان المخطوط كاملا، أما إذا كان ناقصا من النهاية، فإنه ينص على ذلك ويوضح موضع النهاية، كأن نقول: وآخره مبتور، وآخر الموجود منه - ونرجع قليلا ونبحث عن عنوان من باب أو فصل - قوله:...

مثاله: ما جاء في آخر المخطوط «التمثيل والمحاضرة» لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، يقول المفهرس: وآخره مبتور، وآخر الموجود منه بعنوان: ومن أمثال البخلاء وحكمهم واحتجاجهم: قول: «لا» يدفع البلا، وقول: «نعم» يزيل النعم... يا بني: كن مع الناس كاللاعب بالقمار، تأخذ شيئهم، وتحفظ شيئك (١٧).

- وأما إذا كان النقص من أوله وآخره كثيرا، فنقول: قطعة منه.

العنصر الخامس: أجزاء المخطوط وعدد أوراقه وعدد الأسطر وقياس الصفحات

نهتم بذكر الآتي:

١- إذا كان المخطوط ذا أجزاء، فنذكر

الجزء الذي نفهرسه، على أن نميز بين الأجزاء إن كانت من صنع المؤلف أو الناسخ، ونذكر الفصل أو الباب أو الترجمة التي يبدأ بها الجزء الذي نفهرسه والذي ينتهي به.

٢- عدد أوراق المخطوط على الضبط إذا كان مرقما. والورقة تكون مؤلفة من صفحتين: وجه وظهر. وإذا كان غير مرقم فالأفضل ترقيمه بإعطاء رقم لكل ورقة لا لكل صفحة، وإذا صعب ذلك قدر عدد ورقاته.

٣- مسطرته: أي عدد الأسطر في كل صفحة، وإذا لم يكن عدد السطور متساويا فنذكر أنها تقع ما بين كذا وكذا، وإذا كانت السطور مختلفة تماما فنذكر كلمة: مختلف.

٤- قياس الصفحة، والطريقة المعتادة هي ذكر طولها وعرضها، أما الطريقة الأميركية فتزيد ذكر عرض الكتابة وطولها، ويريدون بذلك معرفة عرض الهوامش.

٥- نوع المادة المكتوب عليها المخطوط: بردي، رق، كاغد (ورق). وإذا كان ورقا فنذكر نوعه إن كان المفهرس متمرسا ذا خبرة واستطاع أن يحدده.

وإذا كان المخطوط مصورا بالفوتوستات أو مصغرا على الميكروفيلم، فلا نذكر في هذه الحالة قياس الصفحة، ولا المادة المكتوب عليها المخطوط، ولا نوع الورق؛ لأنه لا يمكن معرفته حينئذ.

العنصر السادس: نوع الخط وألوان الحبر

نهتم بذكر الآتي:

١- الخط الذي كتب به المخطوط فيقول: كتب بالخط الكوفي الغليظ، أو الكوفي المزهر، أو الكوفي الأندلسي، أو النسخ الأيوبي، أو النسخ المملوكي، أو النسخ العادي، أو المحقق، أو التعليق، أو الرقعة، أو المشق، أو الفارسي، أو الديواني... ويمكن للمفهرس، إن لم يكن ملما بأنواع الخطوط، أن يستعين بالكتب التي تعطي نماذج لأنواع الخطوط المختلفة في كل العصور والأمكنة.

٢- إذا وجد تغاير في خطوط المخطوط الواحد، فيكون قد تعاقب عليه أكثر من ناسخ.

٣- إذا كانت كلمات المخطوط مشكولة أو كانت مهملة من النقط.

٤- إذا كان الخط مقروءا أو غير مقروء، كبير الحرف أو دقيقه، وإذا كانت عناوين الأبواب والفصول بخط أكبر من خط المتن.

٥- إذا كانت النسخة بخط المؤلف أو كتبت في عصره أو منقولة عن نسخة المؤلف، وحينئذ يكون لها قيمة عليا، ويستفيد من ذلك الباحثون والدارسون.

٦- لون الحبر، وما إذا كان هناك عدة ألوان، كأن تكون عناوين الفصول بلون أحمر، أو يكون المتن بالأسود أو الأحمر، والشرح بلون مغاير.

وإذا كان المخطوط مصورا بالفوتوستات أو مصغرا على الميكروفيلم فلا نذكر في هذه الحالة لون الحبر؛ لأنه لا يظهر حينئذ.

العنصر السابع: اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه

نهتم بذكر الآتي:

١- اسم الناسخ تماما، وعمله إن كان عالما، أو قاضيا، أو خطاطا مشهورا، أو غير ذلك.

مثاله: ما جاء في آخر مخطوط «التلويح في كشف حقائق التنقيح» للتفتازاني (ت ٧٩٣هـ): كتبه محمد ابن ولي، الشهير بقاضي زاده، حين كان قساما عسكريا بمدينة اسكدار المحمية سنة خمس وخمسين وألف من الهجرة (١٨).

وقد نحتاج إلى الرجوع إلى كتب التراجم والطبقات للاستقصاء عن اسم الناسخ.

٢- تاريخ وفاة الناسخ إن أمكننا ذلك، فهو أتم في العمل وأكمل.

٣- تاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة الهجرية، وبعض الباحثين يميل إلى ذكر ما يقابلها بالميلادية بين قوسين.

وهناك ثلاث صور للتاريخ في المخطوطات:

■ الصورة الأولى: صورة حساب الجمل: وهي أن لكل حرف من الحروف الأبجدية عددا يقابله من الواحد إلى الألف. والحروف الأبجدية هي الكلمات: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

فالحروف التسعة الأولى (أ - ط) لأرقام الآحاد من ١ - ٩، والحروف التسعة الثانية (ي - ص) لأرقام العشرات من ١٠ - ٩٠، والحروف التسعة الثالثة (ق - ظ) لأرقام المئات من ١٠٠ - ٩٠٠، والحرف الأخير (غ) للرقم ألف.

مثاله: ما كتبه أحد نساخ المخطوطات: فرغت من نساختها في (ذلو). يقصد سنة ٧٣٦هـ في حساب الجمل (١٩).

■ الصورة الثانية: صورة الأرقام المألوفة: وهي المستخدمة في معظم المخطوطات العربية: ١، ٢، ٣، ٤،....، أو المستخدمة في بعض مخطوطات المغرب العربي والأندلس: 1، 2، 3، 4،...

■ الصورة الثالثة: صورة التاريخ الكنائي أو التاريخ بالكسور: وهو من أنواع التعمية، ويحتاج إلى تدريب ومعرفة بقواعده، وهو مستخدم في بعض المخطوطات التركية المتأخرة في الربع الأول من القرن العاشر.

مثاله: يقول الناسخ: فرغت منها... للشهر العاشر، من العام الخامس، للعشر التاسع، للمئة الثالثة، من الألف الثاني، للهجرة... (٢٠). يقصد: في شهر شوال من عام ١٢٨٥هـ.

وإذا لم يكن المخطوط مؤرخا فيقدر عمره بالاستناد إلى ما نجده على الصفحة الأولى أو الأخيرة من: تملكات، أو عبارات وقف وتحبيس، أو سماعات.

ويمكن تقدير عمر المخطوط من خطه، فإن لكل عصر خطا عرف

به، فالمفهرس المدرب الكثير المران والاطلاع على المخطوطات، يستطيع معرفة عمر المخطوط بمجرد رؤية الخط.

أما المفهرس المبتدئ فيمكنه ذلك عن طريق المشاهدة والمقارنة بمخطوطات أخرى مؤرخة، أو بالرجوع إلى الكتب التي جمعت نماذج من الخطوط مرتبة ترتيبا تاريخيا، مثل: «الكتاب العربي المخطوط»، و«دراسات في تاريخ الخط العربي» كلاهما للدكتور صلاح الدين المنجد.

وقد يتمكن المتمرس في المخطوطات أن يحدد عمر المخطوط عن طريق الورق، وإن لم يمكنه ذلك فهو يحتاج إلى فحص مخبري وفني متقدم عن طريق الكشف الكربوني، فيمكن به معرفة تقريبية لعمر المخطوط.

وعلى المفهرس أن ينتبه إلى مظهر للتأريخ قد يوجد في بعض المخطوطات، وهو أن يسقط الناسخ رقم الألف من التاريخ، فيقول مثلا: سنة ثلاثين ومئة، وهو يعني سنة ثلاثين ومئة وألف، ويكشف ذلك ويدل عليه تاريخ وفاة المؤلف وخط النسخة وورقها والأمور الأخرى المذكورة آنفا، وهي أمور تنبئ عن عمر لا يمكن أن يصل خطأ الحساب فيه إلى ألف عام.

وعليه أن ينتبه أيضا إلى أن بعض المخطوطات يؤرخ سنة النسخ بخلق آدم أو سنة الطوفان، فيقول الناسخ مثلا: تم نسخه سنة كذا من بدء الخليقة، أو من تاريخ الطوفان. فعلى المفهرس حينئذ أن يترجم هذا التاريخ إلى التاريخ الهجري أو الميلادي.

٤- نذكر مكان نسخ المخطوط إن أمكن ذلك.

العنصر الثامن: الغلاف

نصف الغلاف فنذكر ما على الجلد من: تذهيب، أو كتابات منقوشة، أو زخارف هندسية أو نباتية.

ونحدد نوع الجلد، ومدرسته الفنية، وذلك بالرجوع إلى الدراسات الخاصة بالتجليد في الإسلام لمعرفة ما اختصت به كل مدرسة فنية في التجليد من خصائص.

وكثرة الاطلاع على الجلود الفنية تكسب المفهرس ثقافة تمكنه من حل المشكلات، فقد يستطيع المفهرس، بعد دربة طويلة، أن يحدد عمر المخطوط من غلافه إذا لم يحمل المخطوط تاريخ نسخه.

ويستطيع أيضا دراسة تطور صناعة التجليد في العالم الإسلامي حسب العصور المختلفة.

العنصر التاسع: مصدر المخطوط ورقمه وموضوعه فيه

نذكر المصدر الذي أتى منه المخطوط، فنقول مثلا: شراء من فلان، أو: هبة من فلان، أو: وقفه فلان، أو: كان في مكتبة فلان ونقل إلى هذه المكتبة...

ونذكر رقم المخطوط القديم؛ لنعين الباحث على الوصول إلى المخطوط الذي يسأل عنه.

ونذكر الموضوع الذي وضع فيه المخطوط في المصدر الذي أتى منه.

العنصر العاشر: ملاحظات عامة

نهتم هنا بذكر ما يختص به المخطوط الذي نفهرسه؛ لأن كل مخطوط قد يكون فيه شيء يثير الانتباه غير الأمور العامة التي ذكرناها، ومن الأمور التي نذكرها:

١- حالة المخطوط: إذا كانت جيدة، أو سيئة، أو أصيب بالرطوبة، أو البلل، أو عليه آثار أكل الأرضة، أو كان ورقه باليا مصفرا، أو تقصفت أوراقه.

٢- إذا كانت النسخة بها خرم (نقص) ومقدار الخرم، أو كانت كلماتها مطموسة. ويعين على معرفة نقص المخطوط في الداخل «التعقيبة»، وهي الكلمة التي توضع في ذيل الصفحة لتقابل أول كلمة في الصفحة التالية وتكون نفسها.

٣- إذا كانت النسخة مصححة أو مقابلة على نسخة أخرى، ونذكر اسم من صححها أو قابلها، أو إذا كانت النسخة قرئت على المؤلف نفسه.

٤- إذا كانت في هوامش النسخة تعليقات وتصحيحات، خصوصا إذا كانت لعالم كبير.

٥- ما عليها من إجازات أو سماعات أو قراءات، وعددها، وتواريخها، أو تاريخ أقدم إجازة فيها، وآخر واحدة منها، واسم صاحب الإجازة أو السماع.

٦- علامات التملك، وتاريخه، وأسماء المالكين إذا كانوا مشهورين معروفين.

٧- إذا كانت النسخة خزائنية، أي: كتبت لملك أو سلطان أو خزانة (مكتبة) معروفة.

٨- إذا كانت النسخة مجودة الخط، وصفحاتها مجدولة بإطار متقن، وذات زخارف وتذهيب في جلدها وورقها، أو في أسماء أبوابها أو فصولها.

٩- إذا كانت تحتوي على رسوم وصور وأشكال، مثل كتب الحيل (الميكانيكا) والهندسة والفلك.

١٠- بعض الباحثين والمفهرسين يرون أنه إن كان الكتاب قد طبع أن تُذكر طبعاته وتاريخها ومكانها وناشرها أو محققها، ومقارنة المخطوط بالمطبوع، وبيان ما إذا كان المخطوط أصح من المطبوع أو فيه زيادات عليه.

ويمكن الرجوع لمعرفة الكتب المطبوعة إلى: «معجم المطبوعات» ليوسف إليان سركيس (ت ١٩٣٢م)، و«معجم المخطوطات المطبوعة»

للدكتور صلاح الدين المنجد، و«ذخائر التراث العربي المطبوعة» لعبدالجبار عبدالرحمن، و«المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع» للدكتور محمد عيسى صالحية، ومستدركاته التي صدرت عن معهد المخطوطات العربية.

١١- في حالة ما إذا كان المخطوط مصورا بالفوتوستات فنذكر أنه مصور بالفوتوستات عن نسخة مكتبة... رقم... في... لوحة.

وإذا كان مصغرا على الميكروفيلم، فنذكر أنه مصور بالميكروفيلم في كذا لقطة، ويوصف الميكروفيلم، فإن كان سالبا ذكر ذلك، وإن لم ينص على أنه سالب فمعنى ذلك أنه موجب، وإن كان ملونا ذكر ذلك وإلا فالسكوت يعني أنه غير ملون، أي: أبيض وأسود، وينص على عرض الفيلم بالملليمتر، فيقول مثلا: ١٦ مم.

العنصر الحادي عشر: مصادر عن المؤلف والمخطوط

نذكر المصادر الأساسية التي رجعنا إليها للتحقق من: عنوان المخطوط، واسم المؤلف، وسنة وفاته، ونسبة المخطوط إلى صاحبه، وهي كل المصادر التي تقدم ذكرها في العناصر السابقة.

العنصر الثاني عشر: رقم المجموع وموضع المخطوط منه

المجموع أو المجموعة هو الذي يضم بين دفتي الغلاف أكثر من مخطوط واحد، ويكون أكثرها - في الغالب - رسائل، أي مؤلفات صغيرة ذات أوراق قليلة.

فعلى المفهرس أن يقلب المجموع ورقة ورقة، وأن يفهرس كل رسالة على حدة ويعتبرها مخطوطا قائما بنفسه، ويفهرسه كما يفهرس أي مخطوط آخر، مع إضافة الآتي:

نذكر رقم المجموع الذي توجد فيه الرسالة أو الجزء الصغير.

ونذكر بين قوسين رقم الورقة التي يبدأ وينتهي بها هذا المخطوط.

مثاله: يذكر المفهرس: مجموع ٢١٠ (ق ١١و - ٢٠ظ).

وإذا كانت الرسائل مرقمة فيمكن أن نذكر مثلا: مجموع ٢١٠ (٣)، أي إنه الرسالة الثالثة.

العنصر الثالث عشر: تعريف موجز بالمخطوط وسنة التأليف

من خلال اطلاع المفهرس على المخطوط لاستخراج العناصر السابقة يمكنه إعطاء نبذة يسيرة عن المخطوط، تكون بمنزلة تعريف للقراء والباحثين عن العلم الذي يتناوله المخطوط، والفن الذي ألف فيه، وعن الموضوعات التي يتناولها.

وقد يمكنه أيضا معرفة سنة تأليف الكتاب فيذكر ذلك؛ لأنه مفيد في أمور كثيرة، منها معرفة ما إذا كان للكتاب أكثر من إخراج، أي معرفة المسودات والمبيضات لهذا الكتاب، ومعرفة مراحل تأليفه.

العنصر الرابع عشر: النسخ الموجودة من المخطوط

من خلال عمل المفهرس في الفهرسة يمكنه معرفة ما إذا كان يوجد نسخ أخرى من المخطوط في المكتبة المفهرس لها، فعليه حينئذ أن يذكر عدد هذه النسخ الموجودة وأرقامها، فهو مفيد للباحثين الذين يريدون حصر نسخ هذا المخطوط.

وإن كان المفهرس ذا خبرة وتجربة في مكتبات عديدة، فقد يمكنه حينئذ معرفة نسخ المخطوط الموجودة في المكتبات الأخرى، فيذكر عند فهرسته هذه النسخ وأماكن وجودها في المكتبات المختلفة.

العنصر الخامس عشر: رقم المخطوط وموضوعه

نذكر رقم المخطوط في المكتبة الموجود فيها المخطوط.

ونذكر الموضوع أو الفن الذي وضع فيه المخطوط.

■ عناصر أخرى خاصة بالبطاقة الورقية

عند الفهرسة في البطاقات الورقية نضيف عناصر أخرى لا تذكر عند الفهرسة في كتاب مستقل عند كل مخطوط، ومن هذه العناصر:

العنصر السادس عشر: اسم المكتبة

نذكر اسم المكتبة التي يفهرس لها المخطوط، وذلك لكثرة المكتبات المشتملة على مخطوطات عربية، فنمكن الباحث بذلك من معرفة مكان المخطوط بالضبط بمجرد الاطلاع على البطاقة.

العنصر السابع عشر: توقيع المفهرس

يذكر المفهرس اسمه في آخر الفهرسة؛ لأن ذلك يحدد المسؤولية، ويشعر بالالتزام، ويجعل المفهرس أحرص على الدقة فيما يصدر عنه.

الهوامش

(١) محفوظ بالظاهرية، دمشق، رقم ٩٢٢٥.
(٢) محفوظ بمكتبة الأزهر، رقم ٥٩٢، خصوصية ٧١٨٧ عمومية.
(٣) محفوظ في المكتبة المركزية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، رقم ٤٧٦١ ح.
(٤) محفوظ في مكتبة شستربتي، دبلن، رقم ٣٥٤٩.
(٥) الموطأ برواية أبي مصعب ١/٣٤- ٤٣ من المقدمة، ص٣ من النص، تحقيق: بشار عواد، ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ.
(٦) محفوظ بدار الكتب المصرية، رقم ٨٧ حديث تيمور.
(٧) محفوظ بالمكتبة الأكاديمية، ليدن، رقم ٥٧٠٦١.
(٨) محفوظ بمكتبة الأزهر، رقم ٥٩٢ خصوصية ٧١٨٧ عمومية.
(٩) محفوظ في مكتبة شستربتي، دبلن، رقم ٥/٣٣٠٧، (١٨٨و- ٢٣٨و).
(١٠) محفوظ في مكتبة شستربتي، دبلن، رقم ٣٤٦٣.
(١١) محفوظ في دار الكتب الوطنية، الصادقية، تونس، رقم ٨٨٤٤.
(١٢) محفوظ بدار الكتب المصرية، رقم ٢٦٥ لغة.
(١٣) محفوظ بالظاهرية، دمشق، رقم ١٢٩ تصوف.
(١٤) محفوظ بدار الكتب المصرية، رقم ٢٣٣١٤ ب.
(١٥) محفوظ في مكتبة خدابخش، بتنه، الهند، رقم ١٥٨١.
(١٦) محفوظ بخزانة الدكتور صلاح الدين المنجد.
(١٧) محفوظ في مكتبة شستربتي، دبلن، رقم ٤٨٠٧.
(١٨) محفوظ في برنستون، رقم ٢٢١٠.
(١٩) فهرس المخطوطات المصورة، الأدب، الخامس، ص٨٧٠.
(٢٠) فهرس المخطوطات المصورة، النحو، القسم الثاني، ص٨٥.

كيفية الترجيح (١-٤)



د. صالح النهام
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

إن طرق الترجيح كثيرة، ذكرها علماء أصول الفقه (١)، والمحدثون (٢)، واعتمدوا عليها لأهميتها في دفع التعارض الواقع بين الأدلة الشرعية، وبما أنها لا تنحصر، والإحاطة بها تحتاج إلى أطروحة كاملة لبيانها؛ لذا أكتفي بذكر أهم وجوه الترجيح، والتي يكون بيانها من خلال عدة اعتبارات:

الاعتبار الأول: الترجيح باعتبار الإسناد

والمراد به طريق الإخبار عن المتن، وقد عد الشوكاني - رحمه الله - اثنين وأربعين نوعا من وجوه الترجيح بين النصوص من جهة السند، وبيَّن أنها كثيرة، وحاصلها أن ما كان أكثر فائدة للظن فهو راجح (٣).

ومن هذه الأنواع:

الترجيح بكثرة الرواة

ويقصد بهذا: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما رواته أكثر والآخر رواته أقل، فيقدم ما رواته أكثر؛ لأن احتمال الغلط أو الكذب على الأكثر أبعد من احتمالهما على الأقل، فيقوى الظن برواية الأكثر، والعمل بالأقوى أرجح. وقد قال بذلك جمهور العلماء، وخالفهم الحنفية.

الترجيح بشدة الضبط والحفظ

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما راويه أشد ضبطا وحفظا، والآخر خلاف ذلك، فتقدم رواية من عُرف بهذه الصفات؛ لأن النفس أعلق وأوثق بصاحب تلك الصفات.

ومثل لذلك، بترجيح ما يرويه مالك بن أنس، عن ابن شهاب الزهري، على ما يرويه شعيب بن أبي حمزة عن ابن شهاب، وسبب تقديم رواية مالك أنه أشد ضبطا وحفظا وإتقانا من شعيب (٤).

وأيضا بترجيح رواية عبيدالله بن عمر بن عبدالعزيز، على رواية عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز؛ لأن الشافعي - رحمه الله - قال: «بينهما فضل ما بين الدرهم والدنانير»، والتفضيل لعبيدالله. ثم قال: وهو عندي كاختصاص أحد الخبرين بكثرة الرواة (٥).

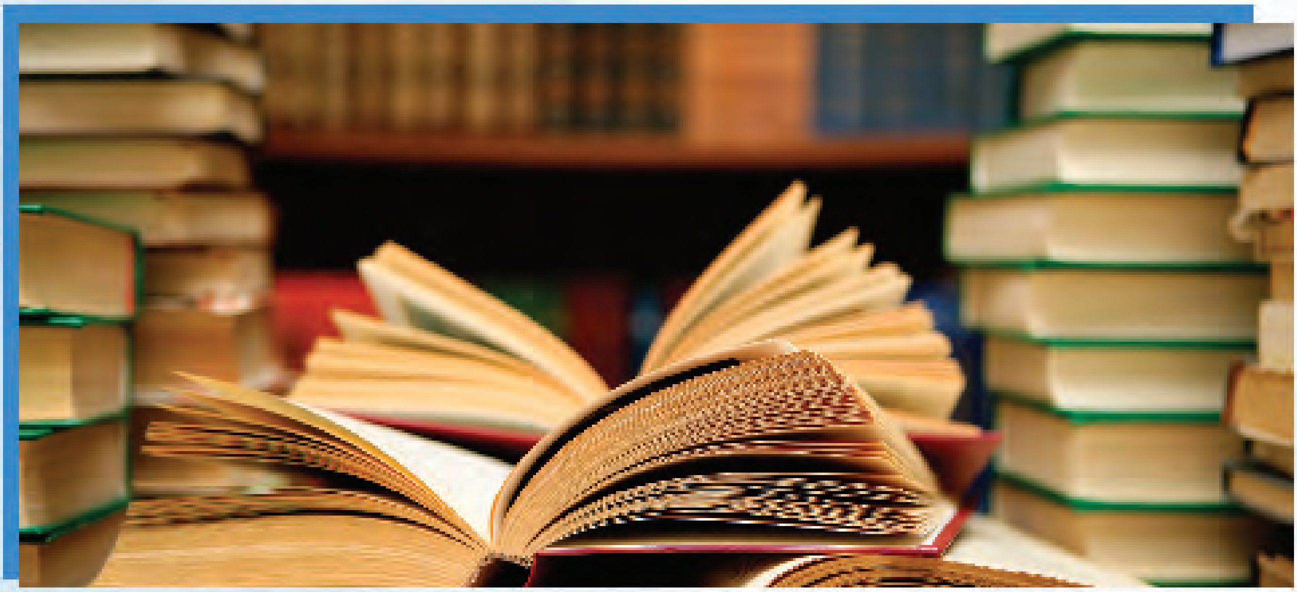
الترجيح بعلو الإسناد

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما عالي الإسناد، بمعنى قلة الوسائط، بين الراوي وبين النبي ﷺ، والآخر كثرت فيه الوسائط، فيقدم العالي؛ لأن احتمال الخطأ يقل كلما قلت الوسائط. وقد قال بذلك جمهور العلماء، خلافا للحنفية، حيث لم يعتبروا قلة الوسائط وكثرتها، وإنما المعتبر فقه الراوي وحفظه (٦).

ومثل لذلك، بترجيح إفراد ألفاظ الإقامة على تثنيتها؛ قال الزركشي - رحمه الله -: كقول الحنفي: الإقامة مثنى كالأذان؛ لما روى عامر الأحول، عن مكحول، أن أبا محيريز حدثه، أن أبا محذورة حدثه: «أن النبي ﷺ علَّمه الأذان والإقامة، وذكر فيه الإقامة مثنى مثنى» (٧).

ثم قال - أي الزركشي -: بل هي فرادى؛ لما روى خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس قال: «أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة» (٨). فإن خالدا وعامرا من طبقة واحدة، روى عنهما شعبة، وحديث عامر بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة. وخالد بينه وبين النبي ﷺ اثنان.

ويقول أيضا: واعلم أن الترجيح بهذا ظاهر، إذا كان لا يعز وجود مثله، فإن كان فهو مرجوح من هذه الحيثية؛ لأن الترجيح بالأغلب، مقدم على الأندر (٩).



الترجيح برواية الأفقه والأعلم

ويقصد بهذا: أن يتعارض حديثان، ويكون راوي أحد هذين الحديثين أفقه من الآخر؛ لأنه أعلم بسبل استنباط الأحكام من أدلتها، وأعرف بما يصلح للاستدلال وما لا يصلح، وما يكون عاما أو خاصا، ومطلقا أو مقيدا، وراجحا أو مرجوحا، وناسخا أو منسوخا.

ومثل لذلك، بترجيح رواية عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل، ويصوم» (١٠)؛ على رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «من أدركه الفجر جنبا فلا يصم» (١١)، وسبب تقديم رواية عائشة - رضي الله عنها - كونها أفقه من أبي هريرة رضي الله عنهما.

الترجيح برواية صاحب الواقعة

بمعنى أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما راويه صاحب الواقعة، فيرجح على خلافه. ومثاله: ترجيح حديث ميمونة - رضي الله عنها - حين قالت: «تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان» (١٢)، على رواية ابن عباس رضي الله عنه أنه ﷺ تزوجها وهو محرم (١٣).

الترجيح بكون الراوي سمع من غير حجاب

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون راوي أحدهما سمع الحديث شفاها، بينما الآخر سمعه من وراء حجاب، فتقدم رواية من سمع الحديث شفاها؛ لأنه أبعد عن اللبس، وربما شاهد من قرائن الأحوال، ما ذهبت عن صاحبه (١٤).

ومثل لذلك، بترجيح حديث القاسم وعروة عن عائشة - رضي الله عنهم -: «الولاء لمن ولي النعمة، وخيرها رسول الله ﷺ وكان زوجها عبدا» (١٥)، على رواية الأسود عن عائشة - رضي الله عنها -: «فاختارت نفسها قال: وكان زوجها حرا» (١٦)؛ لأن كلا من عروة والقاسم، تيسر لهما من المشاهدة والمشافهة، ما لم يتيسر للأسود؛ لأن عائشة عمة القاسم وخالة عروة؛ فكانا يدخلان عليها من غير حجاب، بينما الأسود كان يسمع كلامها من وراء حجاب (١٧).

الترجيح برواية من لم تختلف الرواية فيه

ومعناه: أن يكون أحد الحديثين المتعارضين اختلفت الرواية فيه، بينما الآخر لم تختلف، فيقدم الحديث الذي لم تختلف الرواية فيه؛ لكونه أقرب إلى الضبط، وأبعد عن التردد، وهناك قول يرى تعارض الروايتين فيتساقطان (١٨).

ومثل لذلك، بترجيح رواية مالك في الموطأ أنه قرأ كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصدقة، قال: فوجدت فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب الصدقة.. وفيما فوق ذلك إلى عشرين ومائة، حقتان طروقتا الفحل، فما زاد على ذلك من الإبل ففي كل أربعين، بنت لبون، وفي كل خمسين حقة..» (١٩)؛ على رواية عمرو بن حزم، أن النبي ﷺ قال: «إذا زادت الإبل على عشرين ومائة استئنفت الفريضة» (٢٠). بمعنى تُرَد الفرائض إلى أولها.

فحديث عمر رضي الله عنه لم تختلف الرواية فيه، ورواته كلهم متفقون على هذا الحكم، بينما حديث عمرو بن حزم اختلفت الرواية فيه، فالمصير إلى حديث عمر أولى؛ ولذا قالوا: إذا تقابلت حجتان، وكان لأحدهما معارض بخلاف الأخرى، فما سلمت تكون أولى كالبينات إذا تقابلت، فما وجد لهما معارض سقطت، وما سلمت من المعارضة ثبتت، فكذلك هنا (٢١).

الترجيح برواية الأكبر سنا على الأصغر

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون راوي أحدهما كبيرا والآخر صغيرا، فتقدم رواية الكبير؛ لأنه أقرب إلى الضبط وأكثر احتياطا، فيكون الظن به أقوى؛ ولأن الكبير أفهم للمعاني، وأتقن للألفاظ، وأبعد عن غوائل الاختلاط (٢٢)؛ لأن الغالب، أن يكون الكبير أقرب إلى النبي ﷺ، حال السماع؛ لقوله ﷺ: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى» (٢٣)، بمعنى العقلاء، وقيل: البالغون (٢٤).

ومثل لذلك، بترجيح رواية ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «أهل النبي ﷺ بالحج وأهللنا به معه» (٢٥)؛ على رواية أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لبيك عمرة وحجا» (٢٦)؛ وذلك؛ لأن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان أكبر سنا من أنس، رضي الله عنه. وإلى هذا الترجيح ذهب المالكية (٢٧)، وخالفهم الحنفية (٢٨)، فرجحوا حديث أنس رضي الله عنه وقالوا: لكثرة ملازمته لرسول الله ﷺ؛ ولأنه كان خادمه عشر سنين.

الترجيح بروايتي البخاري ومسلم على رواية أحدهما

ويقصد به: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما رواه الشيخان، والآخر رواه أحدهما، فتقدم الرواية المتفق عليها؛ لأنها تتبوأ المرتبة العليا في مراتب الصحيح. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أن دواعي رجحان الحديث المتفق عليه أكثر وأظهر من دواعي رجحان الحديث الذي انفرد به أحد الشيخين.

ومثل لذلك، بترجيح حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير أمتي قرني...»، وفيه: «ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون» (٢٩). على حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ أن يشهد قبل أن يستشهد» (٣٠)؛ وذلك لاتفاق صاحبي الصحيح على حديث عمران، وانفراد مسلم بحديث زيد بن خالد، رضي الله عنهم أجمعين (٣١).

وقد خالف جمهور العلماء مسلك الترجيح في هذا المثال، وأخذوا بمسلك الجمع بين الحديثين؛ وذلك بحمل كل منهما على بعض المعاني دون بعض، عملا بمقتضى قاعدة التنويع، ويكون: أن الشهادة المحمودة الممدوح صاحبها هي التي يخبر صاحبها بشهادته ولا يعلم بها الذي هي له، أو يأتي بها الإمام فيشهد بها عنده. بينما الشهادة المذمومة مختصة بالمبادر بها، فهي في حق آدمي هو عالم بها قبل أن يسألها صاحبها (٣٢)، وقال الإمام النووي - رحمه الله - عن هذا المسلك - أي الجمع بين الحديثين - «هو مذهب أصحابنا ومالك وجماهير العلماء، وهو الصواب» (٣٣).

ويضاف إلى الترجيحات المذكورة: الترجيح باعتبار نفس الرواية كترجيح الحديث المتواتر على الحديث المشهور، والمشهور على خبر الآحاد، ومرسل التابعي على مرسل تابع التابعي؛ لأن الظاهر من التابعي أن لا يروي عن غير الصحابي، والصحابة رضوان الله عليهم عدول بما يثبت من ثناء رسول الله ﷺ وتزكيته لهم في ظاهر الكتاب والسنة، وهناك ترجيحات كثيرة ذكرت في المطولات ككتاب الأحكام للآمدي، والبحر المحيط للزركشي وغيرها، وحاصلها أن ما كان أكثر إفادة للظن فهو راجح، فإن وقع التعارض في بعض هذه المرجحات، فعلى المجتهد أن يرجح بين ما تعارض منها.

الهوامش

١- انظر: مختصر ابن الحاجب: (٢/٣١٠ وما بعدها)، الإحكام للآمدي: (٣/١٨٠)، البحر المحيط: (٦/١٤٩-١٧٩)، إرشاد الفحول: (ص:٤٦٢).
٢- انظر: الاعتبار للحازمي: (ص:١١-٢٣)، الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: (ص:٤٧٤-٤٧٨).
٣- إرشاد الفحول: (ص:٢٤٥).
٤- انظر: الاعتبار: (ص:١١).
٥- انظر: البحر المحيط للزركشي: (٦/٥٦).
٦- انظر: شرح الكوكب المنير: (٤/٦٤٩-٦٥٠)، سلم الوصول شرح نهاية السول: (٤/٤٧٦).
٧- أخرجه أبوداود برقم: (٥٠٢).
٨- أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (١،٤،٥،٢٥٠)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢، ٣).
٩- انظر: البحر المحيط: (٦/١٥٢). الإبهاج: (٣/٢١٩).
١٠- أخرجه البخاري برقم: (١٩٢٦)، ومسلم برقم: (١١٠٩).
١١- أخرجه مسلم برقم: (١١٠٩).
١٢- أخرجه أبوداوود برقم: (١٨٤٣)
١٣- المستدرك الحاكم برقم: (٦٧٩٧)
١٤- انظر: التلخيص في أصول الفقه للجويني: (٢/٤٤٤).
١٥- أخرجه مسلم برقم: (١٥٠٤).
١٦- أخرجه البخاري برقم: (٦٧٥٨).
١٧- انظر: معالم السنن: (٣/٢٥٧)، فتح الباري: (٩/٣١٩).
١٨- كتاب التلخيص في أصول الفقه: (٢/٤٤٥).
١٩- أخرجه مالك في الموطأ برقم: (٢٣)
٢٠- أخرجه الحاكم في المستدرك: (١/٣٩٥-٣٩٧)، والدارقطني: (٢/١١٧).
٢١- انظر الاعتبار بتصرف: (ص:١٥-١٦).
٢٢- انظر: شرح العضد على مختصر ابن الحاجب: (٢/٣١١)، اللمع للشيرازي: (ص:٤٦)، شرح الكوكب المنير: (٤/٦٤٧)، إرشاد الفحول: (ص:٤٦١).
٢٣- أخرجه مسلم برقم: (١٢٢)، وأبوداود برقم: (٦٧٤).
٢٤- وقال ذلك النووي في شرحه لمسلم: (٤/٣٩٨).
٢٥- أخرجه مسلم برقم: (١٢١١)، وأبوداود برقم: (١٧٧٧).
٢٦- أخرجه مسلم برقم: (١٢٣٢)، وأبوداود برقم: (١٧٩٥).
٢٧- انظر: حاشية الدسوقي مع الشرح الكبير: (٢/٢٧-٢٨).
٢٨- انظر: فتح القدير: (٢/٤١١-٤١٢).
٢٩- أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢٨). ومسلم برقم: (٢٥٣٥).
٣٠- أخرجه مسلم برقم: (١٧١٩). وأبوداود برقم: (٣٥٩٦).
٣١- انظر: فتح الباري: (٥/٢٥٩).
٣٢- شرح النووي على صحيح مسلم: (١٦/٨٧).
٣٣- انظر: إرشاد الفحول: (ص:٢٧٨).



ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي:

ما يتعلق بالكاتب

- يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- إرسال صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير.
- يذكر العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الإستعانة بمصادر ومراجع.
- لا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلا.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com

تأملات في المجتمع الإسلامي في العصر النبوي

د. أحمد خليل الشال
مدير مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد- مصر

إن المجتمع الإسلامي في عصر النبي ﷺ يعد أسوة للأمة في كل عصر.. وعند التأمل في بعض صور الحياة الاجتماعية المبثوثة في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي لهذا العصر المبارك، نجد كثيرا من تلك المعاني العظيمة وقد غابت عن بعض مجتمعاتنا في عصرنا الحاضر، من أجل ذلك أردت أن أشرك القارئ معي في بعض تلك الصور والمشاهد العظيمة التي تهز وجداني كلما قرأتها وتأملتها عسى أن نحيي في مجتمعاتنا بعض قيمها التي غابت عنها.

ومن هذه الصور والمشاهد ما حكاه أنس بن مالك رضي الله عنه فيما رواه مسلم في صحيحه (برقم ٢٤٨٢، وأحمد ١٠٩/٣) حيث قَالَ: «أَتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فَسَلَّمَ علينا، فَبَعَثَنِي إلى حاجة، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أمي، فلما جِئْت قالت: ما حَبَسَكَ؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجَتُهُ؟ قلت: إنها سِرٌّ، قالت: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرّ رسول الله ﷺ أحدا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت».

فإننا حين نتأمل هذا المشهد العجيب، نجد فيه من الدروس الجليلة ما فيه، فأنس في هذا الوقت غلام في حوالي العاشرة من عمره، أتت به أمه أم سليم النبي ﷺ لما قدم المدينة ليكون خادما له ﷺ. فقالت له: «هذا أنس غلام يخدمك». فقد كان في هذه السن طفلا لايزال يلعب مع الغلمان إلا أن الخبر الذي نحن بصدده يكشف لنا رقي التربية التي ترباها هذا الغلام في محيط الأسرة والمجتمع الذي عاش فيه. فقد تعلم فيه هذا الغلام ما نكاد نفتقده في كثير من رجال ونساء بعض مجتمعاتنا المعاصرة، ناهيك عن أبنائنا، فهذا طفل تعلم حفظ سر رسول الله ﷺ حتى عن أمه التي هي أقرب البشر إلى قلب طفلها، إذ هي مستودع سره ومبلغ أمانته.

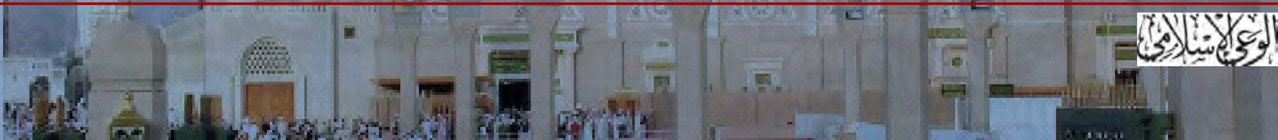
إلا أنه تعلم أن إفشاء سر رجل ذي قدر كرسول الله ﷺ لا ينبغي في عُرف الأخلاق الكريمة، بل هو من قبائح الأفعال أن يفشي سر رسول الله ﷺ ولو لأمه.

وبقي هذا السر في صدره لا يعلمه أحد طوال عمره طفلا ورجلا وشيخا، حتى قال لتلميذه «لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت». فأي أسرة تلك وأي مجتمع هذا الذي رَبَّى هذا الغلام! فأين هذا مما يحدث في بعض مجتمعاتنا الآن حين يهتك الأبناء سر أهلهم مع الأصدقاء والأقارب، وسر الجيران مع الأهل، وسر الأهل مع الجيران.. لاسيما إذا كانت بعض هذه البيوت يختلط بعضها ببعض.

ولكن يزول العجب من هذا المشهد حين نتأمل البيئة التي نشأ فيها هذا الغلام، وأساسها الأم، فهي لم يدفعها الفضول لتعلم من طفلها الصغير طبيعة هذا السر، بل هي تُربي في ولدها معنى حفظ السر، خاصة إذا كان لرجل ذي قدر كرسول الله ﷺ، فقالت له تعزز هذا الخلق الكريم في نفسه: «لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رسول الله ﷺ أحدا». فأين هذا من فضول بعض أمهات مجتمعاتنا في كشف سر بعض جيرانها أو أقاربها، عبر تحقيق ممنهج لانتزاع المعلومات عن فلانة وفلان، مستغلة بعض أنواع الاختلاط الذي يقع عند بعض العائلات والبيوتات.

وهذه صورة أخرى من صور هذا المجتمع النقي الطاهر، يحكيها لنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن أخيه فيما رواه ابن سعد (الطبقات ١٣٨/٣) من طريقه،

إذ يقول سعد: «رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج،



لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: ارجع، فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ.

قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر، وهو ابن ست عشرة سنة».

فهذا غلام في السادسة عشرة من عمره يعرف من معاني الإيمان والرجولة والشجاعة ما يغيب عن كثير من شبابنا اليوم، فضلا عن وعيه الرفيع بمسؤوليته تجاه أمته، فعلى الرغم من أن النبي ﷺ رده استصغارا له، فإنه لم يفرح لذلك، وقد أعذر إلى الله، أن تقدم ورده رسول الله ﷺ، ولكن أي نية عُلّمها هذا الغلام، وأي إيمان وصدق بلغه هذا الغلام مع الله! فأي مجتمع ذاك الذي أخرج هذا الشاب المؤمن! فكم ممن هو في مثل عمره الآن وليس له هم من الدنيا إلا الطعام والشراب والملبس، وإن فتشت فيه عن معاني المسؤولية والإدراك، لا تكاد تظفر بشيء، فإن مبلغ علمه ألعاب الحاسب، وموديلات السيارات، وماركات الهواتف، وإن سألته عن بدهيات دينه، فإنك تفزع من جهل طام، ووعي سقيم، وإدراك مخل، فلا انتماء لديه لدينه ولا هَمَّ يشغله من أمور أمته التي تنتظر كبره وعلو شأنه في الدين والدنيا لتنتفع به فينهض بها من عثرتها.

وقد يظن البعض أن هذه صورة فردية في هذا المجتمع الرشيد، ولكن هذه الصورة التالية توضح لنا بجلاء أن هذا الذي كان عليه هذا الغلام، إنما هو ثقافة مجتمع سادت في هذا الوقت ونرجو أن تعود:

فقد روى الواقدي في المغازي (٢١٦/١)، وابن عبدالبر في الاستيعاب (٦٥٥/٢) أن النبي ﷺ عُرض عليه في غزوة أُحُد غلمان: عبدالله بن عمر، وزيد ابن ثابت، وأسامة بن زيد، والنعمان بن بشير، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وعرابة بن أوس، وأبوسعيد الخدري، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُب، ورافع بن خديج، فردهم. قال رافع بنُ خَديج: فقال «عمي» ظُهَيْرُ بن رافع: «يا رسول الله إنه رام. وجعلت أتطاول وعلي خفان لي. فأجازني رسول الله ﷺ. فلما أجازني قال سمرة بن جندب لربيبه مُرَيّ ابْن سِنَان الحارثي، وهو زوج أمه: يا أبت، أجَاز رسُول الله رافع بن خديج وردني، وأنا أصرع رافع بن خديج. فقال مري بن سنان الحارثي: يا رسول الله رددتَ ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه. فقال رسول الله ﷺ: تصارعا. فصرع سمرةُ رافعًا فأجازه رسول الله ﷺ.

ويفصل ابن سعد (الطبقات ٣٥١/٥) في روايته مشهد أبي سعيد الخدري حينئذ – وكان عمره آنذاك ثلاث عشرة سنة! – في رواية أخرى، وكيف أنه رأى أن تمام الرجولة والشجاعة في محاولة إقناع النبي ﷺ أن يعدل عن رأيه في شأنه، فيروي ابن سعد من طريق عبدالرحمن ابن أبي سعيد الخدري، عن أبيه أبي سعيد الخدري في مشهد تربوي يُعَلِّم فيه أبوسعيد ولده معنى المسؤولية والرجولة، قال: «عُرضت يوم أحد على النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فجعل أبي يأخذ بيدي، فيقول: يا رسول الله، إنه عبل (قوي) العظام، وإن كان مودنا (أي قصير)، قال: وجعل النبي ﷺ يُصعِّد فِيَّ ويصوِّب، ثم قال: رده. فرده».

فكان هَمُّ الأمة ومسؤولية الدين هو الأمر المهيمن على هذا المجتمع، صغارا وكبار، فالإيمان يملأ قلوب الصغار قبل الكبار، عَلَّمهم إياها الكبار فتشربها الصغار بخير ما يكون، فكانوا بعدُ عماد هذه الأمة، فأعلوا شأنها، ورفعوا ذكرها إلى يومنا هذا، وظني أن الله تعالى لو لم يمن على هذا المجتمع حينئذ بهذا الفضل وهذه النعمة وتلك البركة في شِيبها وشبابها، لما وصل إلينا هذا الدين، وهذا أمر يشهد له هذه الصورة الآتية لغلمة تعلموا من مجتمعهم معاني الإيمان بالله ورسوله صغارا، فرفعوا راية الإسلام كبارا.

روى ابن سعد أيضا (الطبقات ٦٠/٥) من طريق الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس قال: «أوثق خالدُ بنُ الوليد عُيَينةَ بنَ بدر وقرة بن هبيرة، وأرسل بهما إلى أبي بكر في وثاق، فقدم بهما إلى المدينة، فنظرتُ إلى عُيَينة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد ويضربونه، ويقولون: أي عدو الله، أكفرت بالله بعد إيمانك؟!».

وإذا أردنا أن نعرف سر هذه التربية الراقية لأبناء هذا المجتمع ونتعلم كيف ربى الآباء أبناءهم حينئذ، حتى بلغوا هذه الصورة من الرقي، فهذا أمر يكشف عن شيء منه سهل بن سعد رضي الله عنه فيما رواه البخاري في صحيحه (برقم ٥٦٢٠) من طريق أبي حازم بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «أُتِي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ. فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء. فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا. قال: فَتَلَّه (أي وضعه) رسول الله ﷺ في يده».

فهذا غلام يجلس بين الأشياخ وفيهم رسول الله ﷺ ليتشرب من أخلاقهم ورجولتهم، من غير نكير عليه أن جلس بين الكبار، بل إن له نصيبا من التقدير والتقديم مادام قد شغل مكانه بحقه، فهو غلام تعلم أدب المجلس قبل أن يجلس مع هؤلاء الأشياخ، دل على ذلك قربه من النبي ﷺ، وفي المقابل فإن كبير المجلس لم يهدر حق هذا الغلام في المجلس استصغارا أو احتقارا، بل أعطاه كامل حقه في الرجولة والتقدير، حين بدأ به ﷺ مثله كمثل غيره ممن معه، بل يكشف لنا هذا المشهد عن أعظم معاني التربية التي ينبغي أن يكون عليها المربي، حين رفض الغلام أن يتنازل عن حقه حياء أو خوفا أو خجلا، حين قال للنبي ﷺ ومعه الأشياخ «لا أوثر بنصيبي منك أحدا»، فأعطاه النبي ﷺ وهو المربي والمعلم حقه من غير نكير عليه ولا لوم يخزيه به فيقهره كما قد يحدث اليوم مع بعض الأبناء، فيحل الصَّغَار في نفسه بدل الكبرياء، والشعور بالامتهان بدل العزة، فينشأ الغلام على الذلة، والدونية، فإذا كبر قَبِل الدَّنيّة في نفسه ودينه. فنرجو من المربين في هذا الزمان أن يراعوا مثل هذه الصور في تربية أبناء مجتمعنا اليوم حتى ينشأ جيل يعرف قدر نفسه ودينه؛ من ثم يحمل هَم أمته فينهض بها من كبوتها.

واقعنا والعربية

مختار علوي القشبري
أكاديمي في كلية اللغات جامعة عدن

الناظر في لغات العالم يجد أنها ذات تطور وتجديد في مفرداتها وتراكيبها على مرّ العصور.. يصل الحال بهذا التطور إلى مراحل قد لا يفهم اللاحقون مفردات من سبقهم من أبناء لغتهم إلا عن طريق المعاجم، وما ذاك إلا أن اللغات مراكب الحياة الإنسانية لدى كل شعوب العالم، وفي غضون هذا التطور للغة ما، قد تصل في بعض مراحلها إلى النضج فلا يكون بعد التمام إلا النقصان كما هي سنن الله في كونه.

غير أن لغتنا العربية في مفرداتها وقواعد إعرابها وأساليب تراكيبها مرّت بهذا التطور فكان عند الجاهلية غريب الألفاظ والمفردات التي لا يفهمها أبناء العروبة في عصرهم الحديث إذا طالعوها في تراث شعرهم ونثرهم، وكان عندهم شاذ التراكيب ونادر الإعراب التي حفظها علماؤهم كرموز لما كان عليه تاريخ اللغة؛ ولا ينبغي لأبناء الجيل أن يشغلوا أذهانهم بمحاولات القياس عليه والخروج عن المعروف والمشهور في قواعدهم.

استمرت حركة التطور للغتنا حتى جاء الله بالإسلام وقد وصلت العربية مرحلة من مراحل النضج حفظ الله تاريخها بالقرآن الكريم، فلا غريب في مفردات اللغة ولا شاذ في قوانين إعرابها وتراكيبها في قواعد القرآن الكريم؛ إذ كان اختيار النص القرآني لأحسن ما يكون في لغات العرب.

ومنذ ذلك الحين والمسلمون يتلمسون الاقتداء بالقرآن في لغته؛ فتلقانا نصوص الحديث والأثر وقصائد الشعر منذ بزوغ فجر الإسلام يفهمها جميع أبناء العربية ومن نطق بلغتهم كأنما يعيشون في مكان وزمان واحد؛ وما ذاك إلا أنهم حافظوا على ما وصلوا إليه من نضج في لغتهم بحفظ القرآن الكريم، وقد مرّ على أقدم هذه النصوص أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان وعاش أهلها في مناطق مختلفة من جغرافية الكرة الأرضية، بينما غير اللغة العربية ربما لا يفهم أبناؤها نصوصا لأدباء وشعراء لم يمض على وفاتهم أكثر من قرنين من الزمان، ومن خلال ما هو في هذه الورقات القادمة يعي القارئ ما ذكرناه.

أولا: مشاكل العربية

لكل لغة من اللغات أثناء تدريسها بحثا أو كتابة أو نطقا أو دلالة عقبات ومشاكل ربما تدرك الطلاب وربما تدرك المعلمين، وهذه المشاكل إما أن تكون وريثة تقاليد لم ينتبه لها الأقدمون وإما أن تعود إلى عجز لدى المتعلمين أو المعلمين بالمنهج والوسيلة في توصيل هذه المعرفة في لغة من اللغات، ومن مشاكل لغتنا العربية التي نصّ عليها بعض علمائنا المحدثين الآتي:

١- الخلط أثناء تدريس العربية، وفي معاجمها بين مستوى العربية الفصحى وغريب اللهجات العربية القديمة في اللفظ والدلالة، بلا إشارة إلى ذلك في كثير من الأحيان، مثل: السراط، والصراط، والزراط، بمعنى: الطريق مثلا، وكذكرها لكلمة: «العجوز» مثلا، أكثر من سبعين معنى، من بينها: الإبرة والجوع، والسمن، واليد اليمنى، فمن المحال أن تكون هذه المعاني جميعها، مستعملة في الفصحى وحدها (١).

٢- فلسفة العلة في الدرس النحوي؛ لاسيما العلل الثواني والثوالث (٢)؛ كتعليل بناء أبواب الأسماء المبنية (أسماء الاستفهام، والشرط، والإشارة، والموصول، والضمائر، وأسماء الأفعال)، فالنحاة يقولون: بُنيت لمشابهتها الحروف، فهذه العلة الأولى، ثم يذكرون وجه الشبه في كل باب (الشبه المعنوي، الشبه النيابي، الشبه الافتقاري، الشبه الوضعي) وهذه علة ثانية (٣)، وكذلك ما يذكرونه من علل الممنوع من الصرف وتفاصيلها (٤) علل تخرج الدرس اللغوي عن روح اللغة وبساطة فصاحتها.

٣- عدم المنهجية في ترتيب مفردات المادة الواحدة، فيتحتم على المرء في كثير من الأحيان، أن يقرأ المادة كلها، للعثور على بغيته؛ إذ يلزم أن تقرأ عشر صفحات، في مادة عرف، إذا كنت تبحث مثلا عن معنى كلمة: «معرفة الفرس» وما شابه ذلك (٥).

فهذه عيوب في معاجمنا اللغوية؛ «وفي مقدورنا بالطبع التغلب على هذه العيوب، إذا أعدنا النظر مرة أخرى في معاجمنا اللغوية، فصفيناها من الحشو والتكرار، وفصلنا بين مستوى الفصحى واللهجات القديمة، في ألفاظها ومدلولاتها، ورتبنا كلمات المادة الواحدة ترتيبا منهجيا صارما، وأعدنا استقراء النصوص القديمة من جديد، لنخلص هذه المعاجم مما فيها من تحريف أو تصحيف، أو مواد هي من صنع اللغويين، ولم تجر بها ألسنة العرب القدماء» (٦).

٤- مشكلة التوجيه نحو دراسة اللغة العربية بقواعدها النحوية والصرفية دراسة تخصصية كدراسة اللغات الأجنبية انطلاقا من دافع الحفاظ على الهوية، والوقوف أمام طوفان عاديات تيارات التغريب؛ إذ يلاحظ أن هذا التوجيه يتجاذبه ضعف وقصور في جوانب تتمثل بالعشوائية في مناهج التعليم، وضعف الكادر في وسيلة توصيل الدرس، وقلة المعرفة بالمادة العلمية مما أدى إلى تعالي بعض الدعوات بإلغاء بعض أبواب من أساسيات تراثنا النحوي والصرفي بآلية عملية تقترب حينا من المنهجية كما تقترب أحيانا أخرى من اللامنهجية ومن العشوائية.

٥- ارتياب أبناء العربية في قدرة لغتهم على مواكبة متطلبات العصر الحضارية والمدنية، يصل هذا الشك ببعض أبناء العربية إلى أن الاقتناع بأن العربية لا تتسع للتعبير عن كآفة متطلبات العصر الحديث، ولا تفي بإنتاج المصطلحات المناسبة التي تواكب حركة التطوير الصناعي والتطبيقي والفلسفي المتسارعة، يصل الحال ببعضهم إلى عجزه عن استحضار المفردة العربية البديلة عن المفردة التي استخدمها من لغة أخرى غير العربية في أمثلة كثيرة مشاهدة في الحياة اليومية.

ثانيا: تحدياتها

«منيت العربية الفصحى في العصر الحديث، بخصوم حاقدين وأعداء ألداء، وليست تلك الهجمة الضارية الشرسة على الفصحى، إلا جزءا من الهجوم على الدين الإسلامي الحنيف، فقد فطن أعداء هذا الدين، إلى الارتباط الوثيق بينه وبين اللغة العربية الفصحى، وفي يقينهم أنهم إن أزالوها عن مكانتها الراسخة في القلوب منذ أربعة عشر قرنا فقد أزالوا الحصن الأكبر من حصون هذا الدين الحنيف، فرموها بكل ما يملكون من أسهم ونبال، واتهموها، ومازالوا يتهمون بالصعوبة والتعقيد، وأخذوا يشككون أهلها في قدرة لغتهم على مجاراة العصر، والاتساع للتعبير عن مستحدثات الحضارة، وبذلوا جهدهم في إحلال العامية محلها، بدعوى جمود الفصحى، وانتمائها إلى عصور بادت وانقرضت، وعدم صلاحيتها للحياة وسط هذا الخضم الهائل، من النظريات الفلسفية والاجتماعية والسياسية، التي يموج بها القرن العشرون» (٧). وهذه التحديات تتلخص في بعض الاتهامات الموجهة للعربية من قبل بعض المستشرقين والمتأثرين بدعوات التغريب من أبناء العربية، ولعلي ألخصها في النقاط الآتية:

١- أن العربية لغة معقدة في قواعدها كثيرة الشذوذ عن القواعد في قضاياها في باب الإعراب والتركيب؛ إذ تجعل المستخدم لها في حديثه وكتابته يتحمل أعباء ثقيلة ويتقيد بتعقيدات ربما يكون الخروج عنها أدعى في تحقيق لغة الإفهام عند المتلقي قارئا أو مستمعا، على أنّ «هناك لغات كثيرة، لاتزال تحيا بيننا، وفيها من ظواهر الإعراب المعقّد ما يفوق إعراب العربية بكثير، فهذه هي اللغة الألمانية مثلا تقسّم أسماءها اعتباطا إلى مذكر ومؤنث، وجنس ثالث لا تعرفه العربية، وهو: «المحايد»، وتضع لكل

واحد من هذه الأجناس الثلاثة، أربع حالات إعرابية، هي حالات: الفاعلية والمفعولية والإضافة والقابلية، والحالة الأخيرة حالة لا تعرفها العربية، وهي إعراب المفعول الثاني، فهي من حالات المفعولية في العربية، وليست حالة خاصة فيها: تلك هي حالات الإعراب للاسم المفرد المعرف في الألمانية، والمفرد المنكر له أربع حالات أخرى، وكذلك الجمع المعرف والجمع المنكر» (٨). «ومن شاء فليرجع إلى أي كتاب ابتدائي في الألمانية ليرى إلى كم مجموعة يقسمون الأسماء وليرى ما يطرأ على كل مجموعة من تغير وإضافة في حالات الإعراب المختلفة التي تبلغ ثماني حالات إفرادا وجمعا يختلف في كل مجموعة عنه في المجموعة الأخرى...» (٩). «ومثل (الفعل) في الفرنسية فهو يحتاج في ضبطه إلى قواعد تفوق قواعد النحو العربي في أقسامها وفروعها» (١٠).

٢- تشجيع دراسة اللهجات العامية على حساب تهميش الدراسات التي تعتني بالفصحى بحجة تشجيع دراسة الأدب الشعبي «الذي يتمثل في قصص (ألف ليلة وليلة) وأمثالها موضوعا للدراسة، ومن المعروف أن أكثر هذه القصص لم يكتب باللهجات العامية المحلية، ولكن جماعة من قليليّ الحظ من الثقافة حاولوا أن يكتبوه باللغة الفصحى بقدر ما سمحت به إمكاناتهم وملكاتهم فجاء على هذه الصورة الركيكة؛ ولذلك تجاوزه مؤرخو الأدب واعتبروا أنه دون المستوى الذي يسمح بدخوله في تاريخ الأدب العربي، وتركوه في موضعه لعامة الناس والغوغاء» (١١).

٣- دعوات مُريبة لتطوير اللغة وقواعدها ورسمها باسم التهذيب والتيسير والإصلاح والتجديد والخوف من موت الفصحى إذا لم تخضع للتطوير؛ علما أن هذه الدعوة فصل للعرب عن تراثهم وفصل بعضهم عن بعض، ويتناسى أصحاب هذه الدعوة أن التزام أصول العربية وقواعدها وأساليبها لا يؤدي إلى التحجر والجمود بل هو تقديس للقرآن الكريم ودعوة إلى تعايش العامية مع الفصحى بإيجاد لغة عامة للتعامل اليومي إلى جانب لغة خاصة للعلم والأدب، وهي ظاهرة طبيعية تشمل كل اللغات قديمها وحديثها وطريق سليم للتقريب بين الفصحى والعامية (١٢).

٤- دعوى أن العربية غير قادرة على استيعاب علوم العصر، وقد امتحنت العربية الفصحى في التاريخ مرتين في ناحية القدرة على استيعاب الأفكار الجديدة، واجتازت هذا الامتحان بنجاح كبير، فهذه هي الأفكار الدينية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء، قد استوعبتها العربية الفصحى، وعبّرت عنها أدق تعبير وأبلغه. كما أن حركة الترجمة من اللغات الأجنبية في العصر العباسي الأول، لم تقصر العربية الفصحى عن تحمل تبعاتها، ولم يشك واحد من المترجمين آنذاك، من قصور الفصحى عن استيعاب الأفكار الفلسفية والعلمية، التي كانت لمفكري الإغريق والرومان والسريان وغيرهم.

وما نجاح تدريس الطب بالعربية الفصحى في سوريا الشقيقة، في عصرنا الحاضر، إلا برهان آخر على قدرة لغتنا الجميلة، على استيعاب علوم العصر، والتعبير عن مظاهر مستحدثات الحضارة» (١٣).

ثالثا: مستقبلها

ليست العربية بدعا بين اللغات في صعوبة القواعد، غير أن شيئا من هذه الصعوبة يعود بالتأكيد إلى طريقة عرض النحويين لقواعدها، فقد خلطوا في هذه القواعد بين الواقع اللغوي والمنطق العقلي، وبعدوا عن وصف الواقع إلى المماحكات اللفظية، وامتلأت كتبهم بالجدل والخلافات العقيمة، وضلّ المتعلم ما أراده في دراسة العربية وسط هذا الركام الهائل من الآراء المتناقضة في خلافات طويلة لا فائدة من كثير الجدل فيها بل هو نوع من الفلسفة، والحقيقة أن القواعد الأساسية لنحو اللغة العربية، يمكن أن تستخلص في صفحات قليلة (١٤) مصفاة من هذا الحشو الذي لا طائل وراءه.

ولقد كثر البحث عن السر في إخفاقنا حتى الآن في تعليم العربية، وبذلت محاولات في تسهيل قواعد العربية ضمن مناهج تعليمية ذات برامج أصيلة بعبارة واضحة المصطلح بعيدة عن تعقيد المنطق وفلسفة التعليل باختصار المطولات المؤلفة في حدود القواعد والأقسام التي التزمها القدماء، كما فعلت لجنة «حفني ناصف ودياب وطموم ومحمود عمر وسلطان عمر» في كتاب «قواعد اللغة العربية» لتلاميذ المدارس الثانوية فقد نجحت هذه اللجنة في حصر قواعد النحو والصرف في كتيّب صغير لا يتجاوز مائة وأربعين صفحة، خال من التعقيد يفي بحاجة التلاميذ والمتعلمين، وقد كان صنيع الجارم بعد ذلك حسَنا حين يسّر هذه القواعد ومهّد لها بالأمثلة الكثيرة، وأعان على إقرارها بالتمرينات المتعددة، وكان ذلك كله في حدود القواعد التي أثبتت ألف سنة صلاحيتها، والتي استطاع العرب بفضلها وحدها ولا شيء سواها أن يخرجوا في القرن

الأخير هذا الجيش الضخم من الشعراء والأدباء والنقاد الذين بلغ بعضهم مستوى أندادهم الأقدمين في أزهى عصور الشعر والأدب العربي؛ وذلك من بعد أن أدرك الضعف العربية حتى كاد يدنيها من القبر، كيف وجد البارودي وشوقي؟ وكيف نشأ محمد عبده وطبقته من الكتّاب؟ وكيف وجد الرافعي والمنفلوطي؟ بل كيف وجد المنادون بهذه البدع أنفسُهم أمثال طه حسين وإبراهيم مصطفى؟ كيف استقامت ألسنتهم وصحت أساليبهم؟ هل أتقن هؤلاء العربية من طريق آخر غير قواعد النحو والصرف والبلاغة التي يزعمون أنها معقدة؟ فهل نصدِّق واقعا ماثلا راسخا أثبتته ألف سنة، وأعادت إثباته وتأكيده تجربة القرن الأخير؟ أم نصدِّق مزاعم لم نر من آثارها إلا التدهور والانحطاط في مستوى تدريس العربية؟ إن انحطاط مستوى الجيل الحاضر في العربية أمر واقع ليس سببه صعوبة قواعد العربية القديمة بل إن سببه هو زعم الزاعمين أنها معقدة؛ والدليل على ذلك أن الجيل السابق لهذا الجيل في مطلع القرن العشرين الميلادي أحسن إتقانا للعربية رغم أنه قد نشأ في ظل استعباد المستعمر الغربي وبرامجه، أو في ظل سياسة التتريك التي جنّ بها دعاة الطورانية، وحقيقة هذه الدعوة عند مقارنتها بغيرها من دعوات التغريب والتطوير والتجديد سمِّها ما شئت قطْعُ كافة العلاقات والوشائج التي تربطنا بإسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا (١٥)، ورحم الله ابن تيمية إذ يقول: «وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية - التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن - حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلاريب أن هذا مكروه، فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم؛ ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية عوّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديما؛ ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولاريب أن هذا مكروه، وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب.

واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبوبكر بن أبي شيبة: حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن زيد قال: كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «أما بعد: فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن، فإنه عربي»، وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم» وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله (١٦).

الهوامش

١- ينظر: بحوث ومقالات في اللغة ص١٤٨.

٢- ينظر: الرد على النحاة ص١٣٠.

٣- ينظر: أوضح المسالك (١/ ٢٩-٣٤).

٤- ينظر: شرح شذور الذهب ص٨٢٤ ص٨٤٧.

٥- بحوث ومقالات في اللغة ص١٥٠.

٦- المصدر نفسه.

٧- بحوث ومقالات في اللغة ص١٦٥.

٨- بحوث ومقالات في اللغة ص١٦٦-١٦٧.

٩- حصوننا مهددة من داخلها ص١٧٣ ص١٧٤.

١٠- المصدر نفسه.

١١- حصوننا مهددة من داخلها ص٢٠٦.

١٢- ينظر: حصوننا مهددة من داخلها ص١٤٦ ص١٥٣.

١٣- بحوث ومقالات في اللغة ص١٧١ ص١٧٢.

١٤- ينظر: بحوث ومقالات في اللغة ص١٦٧.

١٥- ينظر: حصوننا مهددة من داخلها ص١٥٥ ص١٥٦ ص١٥٧.

١٦- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٥٢٦-٥٢٨).



رفيق بك العظم

(١٢٨٤ - ١٣٤٣هـ - ١٨٦٧ - ١٩٢٥م)

د. محمود خلف
باحث في الدراسات الأدبية

رفيق بن محمود بن خليل العظم، عالم بحاث من رجال النهضة الفكرية في سورية، من بيت لهم في الشام مجد معلوم، وقدر في سلك الرفعة منظوم، ولد في دمشق، وتربى في حجر والده إلى أن بلغ التاسعة من عمره، وضعه في مدرسة من مدارس الروم لتعليم اللغتين العربية والفرنسية، وبعد سنة خرج منها لوفاة والده، وكفله شقيقه الأكبر خليل بك فأحسن تأديبه، إلا أنه لم يستطع حسن تعليمه لأنه كان ضابطا في الجندية كثير التنقل من بلد إلى بلد، فوضعه في مكتب من مكاتب دمشق لتتميم قواعد اللغتين التركية والعربية، وحسن التكلم بهما، فمكث به نحو ثلاث سنين فأتقن بها التركية والعربية والكتابة.

ثم إنه فتر عن التعلم إلى أن بلغ السنة الثامنة عشرة، فتحرك في نفسه حب التعلم ومال إلى الانكباب على المطالعة، خصوصا في كتب الفلسفة والتاريخ، اقتداء بشقيقه الأكبر الذي كان شديد الميل إلى التاريخ والفلسفة، وعنده كتب كثيرة منها، فلازم بعض الدروس العربية على بعض الأساتذة مدة قصيرة، وفي غضونها مال كل الميل إلى الشعر والأدب فدأب على مطالعة كتب الشعر، وحفظ من القصائد والمقاطيع مقدارا وافرا، ثم اشتغل في نظم الشعر قبل سن العشرين، وكثر ترديده على أهل الأدب.

وفي سنة (١٣٠١هـ - ١٨٨٣م) أخذه المرحوم خالد عبدالله إلى مصر وكان ساكنا بها فترقى بها إلى درجة عالية، إلا أنه لكثرة المطالعة والسهر أصيب بمرض عصبي بعد مرور سنة من إقامته في مصر، فاضطر إلى ترك المطالعة وسافر إلى الآستانة، ثم إلى الشام لأجل تبديل الهواء،

ولما عوفي بحمد الله تعالى من المرض هجر الشعر ونظمه، ومال إلى الإنشاء ومعاشرة العلماء، وأخصهم الأستاذ الكبير الشيخ طاهر المغربي الدمشقي، ثم عاد إلى مصر عام (١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م) وحصل فيه نباهة لما لم يكن يعهده من قبل، فألف رسالة سماها «البيان لأسباب التمدن والعمران»، وعرضها على المرحوم الشيخ عبدالهادي الأبياري؛ أحد كبار العلماء المصريين، فرغبه في طبعها، ثم عرضها على العلامة المرحوم السيد محمد بيرم التونسي؛ نزيل مصر يومئذ فرغبه في طبعها أيضا. على أنه بعد ذلك أدرك أن هذين الفاضلين ما رغباه بطبعها إلا تنشيطا له لأنه في اعتقاده أن الرسالة ليس فيها شيء مما يهم من الفائدة والعلم.

هذا ولم يزل مثابرا على المطالعة حتى آنس من نفسه قدرة على الكتابة في الجرائد، وأول ما كتب في جريدة الأهرام سنة (١٣١٠هـ - ١٨٩٢م)، ثم في مجلة الهلال، ثم في جريدة المؤيد، وجريدة الموسوعات، والمنار، وغيرها من الجرائد والمجلات، وألف في أثناء ذلك رسالة كيفية انتشار الأديان عام (١٣١٢هـ - ١٨٩٤م). وحاول في تلك السنة والتي قبلها تعلم اللغة الفرنسية، لكن منعته الشواغل أكثر من ستة أشهر، فترك تعلمها.

وبعد ذلك لازم الإمام العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، فاستفاد من علمه الواسع وآرائه العالية فوائد عظيمة، أزالت عن بصيرته حجبا كثيفة، ورأى في نفسه ملكة قدرة التأليف، فألف كتاب «الدروس الحكمية للناشئة الإسلامية» و«البيان في أسباب التمدن والعمران» رسالة، و«الجامعة الإسلامية وأوروبا»، «البيان في كيفية انتشار الأديان»، ثم كتاب «تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية والإسلام»، ثم استفزه الولع بتاريخ الإسلام إلى وضع تاريخ جديد لـ«مشاهير الإسلام من أهل الحرب والسياسة» على غير النمط المعهود عند المسلمين، أي على أسلوب جديد يمثل رجال الإسلام في أجلى مثال وأظهره، بحيث يتناول في ذلك التاريخ كثيرا من أخبار دول الإسلام الاجتماعية والسياسية، وأفاض في البحث في فلسفة التاريخ الإسلامي على وجه يتضح به حال تاريخ الإسلام، فباشر ذلك التأليف على صعوبته عام (١٣١٩هـ - ١٩٠١م)، وأتم منه الجزء الأول في سيرة أبي بكر ومن اشتهر في دولته في تلك السنة تأليفا وطبعا، ثم في أواخرها أتم الجزء الثاني في سيرة عمر بن الخطاب، ولشدة البحث والتنقيب في الكتب عاوده في أثناء تأليفه المرض القديم، فأتمه بكل مشقة، واستراح إلى سنة (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م)، فكتب الجزء الثالث في سيرة المشهورين في دولة ابن الخطاب وطبعه.

واتجه نشاطه السياسي إلى جمعية الاتحاد والترقي أولا، فلما رأى اتجاه التتريك أسس حزب اللامركزية، وكان رئيسا له، كما كان من مؤسسي حزب الاتحاد السوري، وجمعية الشورى العثمانية.. وكان اختياره عربيا دائما.

وقد توطن في مصر وتزوج بها، ولم تزل أوقاته معمورة بالمطالعة والكتابة والتأليف والتصنيف، والعبادة الحسنة والأخلاق المستحسنة، والتمسك بالكتاب والسنة، والعمل بهما من غير تعصب ولا تأويل، ولا يميل إلى العمل والقول بالتقليد، بل يقول إن العمل بالأصلين الشريفين.

ومن مآثره إهداؤه إلى المجمع العلمي العربي في دمشق خزانة كتبه وهي نحو ألف مجلد. وكان أبي النفس، لين الطبع، مهذب الأخلاق شريف السيرة والسريرة.

وقد جمع شقيقه (عثمان بك) بعد وفاته طائفة من مقالاته في كتاب سماه «مجموعة آثار رفيق بك العظم» يشتمل على «السوانح الفكرية، في المباحث العلمية» و«تاريخ السياسة الإسلامية» ورسائل أخرى.

وتوفي بالقاهرة، رحمه الله.





البناء الروائي في إحدى روائع نجيب الكيلاني:
«طلائع الفجر»

د. وجيه يعقوب السيد
أستاذ النقد الأدبي بجامعتي الكويت وعين شمس

رواية «طلائع الفجر» للدكتور نجيب الكيلاني رواية ذات طابع تاريخي اجتماعي؛ شأن معظم رواياته، حيث عالجت الرواية ملحمة صمود أهل رشيد أمام حملة فريزر الثانية عام ١٨٠٧م، وتصدي أهالي مدينة رشيد والقرى المجاورة لتلك الحملة وإرغامها على الانسحاب والتوقيع على الصلح مع محمد علي باشا حاكم مصر. وسلطت الضوء على طبيعة الحياة الاجتماعية في هذه المدينة الباسلة والعلاقات الوطيدة بين أبنائها رغم بساطة الحياة التي كانوا يعيشونها.

الشخوص

يمكن أن توصف الشخصية الروائية في طلائع الفجر بأنها شخصية متحولة ومتغيرة لا تعرف الثبات، وينسجم هذا مع رؤية الكاتب المستمدة من فهمه للدين، حيث لا يوصف الإنسان بأنه خير مطلق أو شر مستطير، إنما هو في النهاية يحمل في داخله الأمرين، وقد يطغى جانب على جانب، وقد تسوقه أقداره أو الظروف المناسبة لاتخاذ قرارات تصحيحية في وقت من الأوقات.

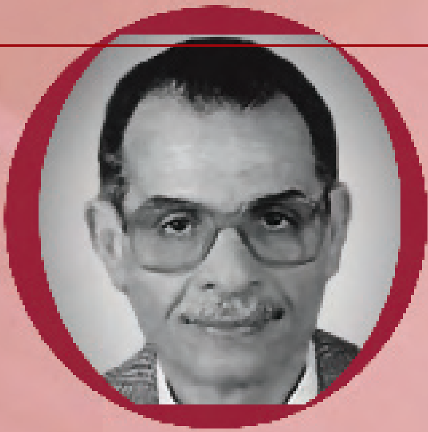
فعلى سبيل المثال، جاءت شخصية «محسن بن طاهر باشا» في بداية الرواية مستهترة وعلى قدر كبير من التحلل، حيث كان اهتمامه ينحصر في إقامة علاقات غير شرعية، بينما كان أبوه وأخوه إبراهيم وسائر أبطال المدينة مشغولين بالمقاومة والجهاد ضد المستعمر، وكانت خطيبته «وداد» بسبب ذلك تتمنى ألا تتزوج به، وأن تكون زوجة

لأحد أبطال المقاومة «شعرت وداد بمزيد من الحرج والقلق، أدركت أن مستقبله معها قد يكون محفوفا بالمخاطر، مليئا بالعقبات، إنه ليس بالزوج الذي يؤمن جانبه، أو يطمأن إليه» الرواية: ص٧٧.

وقد حدث هذا التغير بعد وقوعه في الأسر هو وخطيبته ومعرفته بما يضمره الإنجليز لأهل رشيد من كراهية واحتقار، وما قاموا به من إذلال له ولخطيبته، فكان ذلك أهم دوافعه لترك حياة اللهو والعبث، والانضمام إلى قافلة المجاهدين، بل يصبح في طليعتهم، حيث يعلن عن موقفه بوضوح من خلال الرسائل التي أرسلها لعملاء الإنجليز وشركائهم، بأنه عليهم أن يغادروا المدينة ويتخلوا عن أموالهم لصالح المقاومة بعد أن انكشف أمرهم وإلا فإنهم سيلقون شر الجزاء. وكان من بين هؤلاء المتعاونين مع الإنجليز «قطان باشا» والد «روز» زوجة أخيه إبراهيم.. استدرك محسن قائلا:

– لم أعد إليها وكفى، ولكني عدت لكي أحمل السلاح، وأطلق حياة العبث والمجون، لقد أخذت درسا لن أنساه، الرواية: ص١٦٨.

واستطاع محسن أن يحمي «روز» من التأثير السلبي لأبيها، حيث كان يطلب منها التجسس على أسرة «طاهر باشا» ومراقبة الاجتماعات التي تتم داخل بيته، لكنها لم توافقه على ذلك وفضلت أن تكون في صف المقاومة وفي صف زوجها، وقطعت صلتها بأبيها الذي كان رمزا على الخيانة والغدر. وبعد استشهاد زوجها، لم تتركها الأسرة ترحل، بل تمسكوا ببقائها معهم ومن ثم حرص الأب على تزويجها من محسن بعد انقضاء فترة الحداد، لتصبح بذلك واحدة من أبناء هذه الأسرة رغم انتمائها لهذا الرجل



الأرميني الذي فضل الارتماء في أحضان الإنجليز.

وإذا كان التحول الذي طرأ على شخصية «محسن» منطقيا وطبيعيا بسبب ما عاناه في الأسر هو وخطيبته، واكتشافه بغض الإنجليز واحتقارهم لأهل مدينته وللمصريين عموما، ومن ثم قرّر أن يتخذ قراره بمقاومتهم والانضمام إلى قافلة المجاهدين، فإن التغير والتبدل في شخصية «حسن» ابن خالة «وداد» لم يكن منطقيا ولا مبررا، فقد وصفه الراوي بأنه شخص حسود يمتلئ قلبه حقدا على «محسن» وعلى «وداد» بسبب تفضيلها لمحسن عليه، وقد أطلق الشائعات التي نالت من شرفها وسمعتها، لكن فجأة تراه في طليعة المجاهدين، يحارب في صفوفهم، ويردد شعارات دينية وأخلاقية لا تتناسب مع الوصف الذي قدمه به الراوي، بل إنه يقوم بدور المنقذ الذي ينقذ ابنة خالته من الموت ويطلب منها أن تسامحه وتصفح عنه «والحق أن حسن رغم ما عرف عنه من غيرة وحقد على منافسيه كان مجاهدا من الطراز الأول، فحاول بشجاعة أن يسد الفراغ الذي تركه المقنع فنجح إلى حد كبير» الرواية: ص٢٣١.

ويقول في موضع آخر «استطاع حسن أن يعود بوداد بنت أحمد بك عاصم في نهاية المعركة بعد أن رحل الإنجليز عن المعسكر تاركين وراءهم كثيرا من الأسلاب والسلاح والقتلى والأسرى، ولم يستطيعوا أثناء انسحابهم أن يفكروا في وداد، فبقيت كما هي رهينة قيودها حتى أتى حسن وحملها فرحا طروبا، وهو يحلم بأن تكون الأيام قد محت تلك السطور السوداء التي شابت صفحة علاقتهما في الماضي» الرواية: ص٢٣٤.

إن التبدل في مواقف الشخصية من الشر إلى الخير أمر إيجابي ومطلوب بلاشك، وهو يجعل الشخصية على مستوى البناء الفني شخصية ديناميكية ومتحركة، بشرط أن يكون ذلك نابعا من مواقف وأحداث منطقية وغير مفتعلة، وألا تخضع الشخصية في بنائها للمصادفة، وهذا ما نجده في شخصية «حسن».

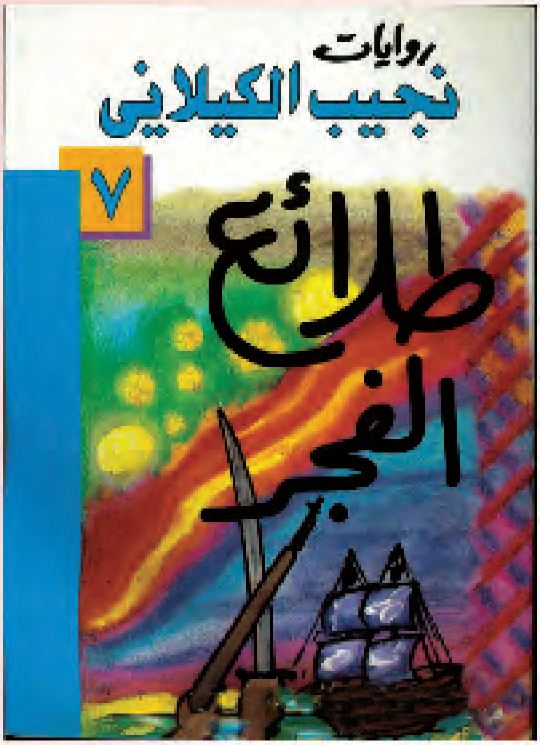
وقد انقسمت شخصيات الرواية بحسب الأدوار التي أسندها الراوي لها إلى قسمين متقابلين: القسم الأول، هم الأبطال والمجاهدون ويمثلهم طاهر باشا وابنه إبراهيم ومراد باشا وعلي السلانكلي، وقد خلت هذه الشخصيات من أي عنصر من عناصر المفاجأة، وسارت على وتيرة واحدة، حيث يجتمعون باستمرار ويقومون بشن هجمات متتالية ضد الإنجليز، مدفوعين بإيمانهم بالله وبدوافع وطنية حقيقية، ولعل الشخصية الوحيدة التي تخلصت جزئيا من البناء النمطي، هي شخصية «إبراهيم»، فقد كان كثير الغياب عن المنزل حتى بعد الزواج، يقضي أغلب وقته في التدريب والمقاومة والتخطيط، وكانت الأخبار تنتشر بين الناس عن شخص «مقنع» لا يعرفه أحد، يقوم بأعمال خارقة وتنسب إليه العديد من البطولات الفذة، وكان مصدر إزعاج للإنجليز، ومصدر فخر لأهل رشيد، لم يكن أحد يعرف عنه شيئا

سوى أنه رجل طويل مقنع، يظهر في وقت الأزمات ويقوم بأعمال فدائية عظيمة، وظل هذا الشخص المقنع مجهولا ولم يكتشف أحد حقيقته إلا بعد أن أصابته رصاصات الإنجليز، فلم يكن هذا المقنع سوى «إبراهيم بن طاهر باشا».

وقد يعكس ذلك رغبة البطل أو حرصه على القيام بهذه البطولات بعيدا عن الأضواء والمباهاة وحب الظهور، وكان ذلك وسيلة فنية لجأ إليها الراوي من أجل التشويق، إذ إن أفعاله لم تكن متوقعة كما هو الحال مع باقي الشخوص:

«أما المقنع نفسه فقد كان شخصية مثقفة، تميل إلى المخاطرة وخوض الغمرات، وقد كان يعجب بقصص البطولة، ويتعشق سير المغاوير من أبطال التاريخ الإسلامي، حتى أساطير أبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن اليماني والزير سالم وعنتر بن شداد وغيرهم، كانت تطربه أيما طرب» الرواية: ص٢١٦.

وجاءت شخصية «روز» ابنة قطان باشا عميل الإنجليز على نحو يعكس وجهة نظر المؤلف بتغليب جانب الخير على الشر. فعلى الرغم من أنها نشأت في بيت رجل خائن، لم يحفظ الوفاء للوطن الذي ضمه وآواه، فإنها كانت تختلف عنه اختلافا جذريا، حيث كانت تحب مدينة رشيد وأهل رشيد، وكانت تفرح لفرحهم وتحزن لحزنهم، وقد زرعها أبوها في بيت طاهر باشا لتكون عينه على أهل المقاومة فيتودد بذلك إلى الإنجليز، لكنها أخلفت ظنه وأخلصت لزوجها



وأهله رغم ما كانت تتعرض له من ضرب وإهانة على يد والدها غمغم «قطان» قائلا في خبث:

- فرصة عظيمة ولكن.
- لكن ماذا؟
- أقول إن غباءك وبلاهتك يقفان دائما في وجه اهتبالنا للفرص.

وأدركت روز ما يرمي إليه أبوها من هدف، وطغت على قلبها الآلام والأحزان كعادتها دائما كلما طرق مثل هذا الموضوع، فهمست في استكانة.

- وماذا أعمل؟
- يا للكارثة ألا تعرفين حتى الآن ما يجب عمله؟
- إنني لا أكتم عنك خبر الاجتماعات التي تعقد هنا، والأحاديث المتناثرة التي أتلقفها من أفواه من يأتون إلينا، وأتكبد في ذلك ما أتكبده.

فقال أبوها في انفعال:

- أتسخرين مني يا فتاة؟ لقد جعلت القيادة الإنجليزية قرب الحماد تهزأ بتقريراتي، الرواية: ص١٥٨.

وبذلك يتغلب عنصر الخير والإيجابية على الشخصية رغم النشأة التي كانت تؤهلها وتعدها للقيام بدور مختلف تماما.

أما القسم الآخر من الشخصيات، التي أسند إليها الراوي القيام بدور الشر والخيانة، فقد تجسدت بوضوح في شخصية «قطان باشا» التاجر الغني واسع الثراء، وقد كانت شخصية متناقضة أشد ما يكون التناقض، فهو من أصول أرمينية، هاجر إلى مصر واستقر بمدينة رشيد، وقد حصل على ثروته من التعامل بالربا والمضاربات والأعمال غير المشروعة، وعلى الرغم من إيواء أهل المدينة له واعتباره واحدا منهم، فقد آثر أن يتعاون مع الإنجليز ويخطب ودهم ويقدم لهم تقارير تدين المجاهدين، ولكي ينجح في مهمته تلك نراه يغامر ويضحي بتزويج ابنته لأحد أبناء الفلاحين وهو إبراهيم لكي تساعده في جمع الأخبار التي يمد بها الإنجليز، لكن ابنته خذلته وكانت تلهيه ببعض الأخبار التي لا تضر بالمقاومة لكي تنجو من عقابه وبطشه، وبذلك انقلب السحر على الساحر.

وأما دافع «قطان باشا» للخيانة، فكان أقلها وأهونها من أجل الحصول على المال، وكان أعلاها وأكبرها حصوله من الإنجليز على وعد برفع الوصاية عن بلاده لو أمدهم بمعلومات وتقارير تمكنهم من تحقيق النصر على المصريين في رشيد، لكن أحلامه جميعا باءت بالفشل، بعد أن رأى المصريين يحرزون النصر على الإنجليز، وانتهى به الأمر إلى الانتحار بعد أن اكتشف المجاهدون أمره «فصب

شيئا من القنينة في كوب ماء، ثم جرع الكوب عن آخره وقذف به إلى الأرض وغمغم:

- آه، لن أسلم نفسي للجلاد، سوف أنتقم بنفسي من نفسي. هذا أرحم.. وداعا يا روز، وداعا يا.. وداعا يا رشيد، إنك بلد جميل، كنت أحبك رغم ما بدر مني، لن تتدلى جثتي على أعواد المشانق، لن يرجموني بالحجارة أو يدوسوني بالأحذية، ولن يشعر أحد بأنني شربت السم لكي أضع حدا لآلامي وعاري، سوف يأتي «المقنع» ليجدني جثة هامدة» الرواية: ص٢٤٧.

ولعل بناء شخصية «قطان» وابنته «روز» على هذا النحو، جاء ليعكس رؤية المؤلف التي تغلب الخير على الشر، فإذا كان «قطان» خائنا فإن ابنته التي من صلبه والامتداد الطبيعي له كانت صادقة ومخلصة، وهو ما يرمز إلى الأمل والتفاؤل.

دلالة العنوان

يحمل عنوان الرواية بين طياته الأمل بالنصر، فالطلائع إشارة إلى جيل الشباب المؤمن، والطليعة تعني أيضا انبثاق النور والفجر والإيمان. وقد عكس صفحة من صفحات البطولة المجهولة لأهل مدينة رشيد التي تشير إلى سائر المدن المصرية، حيث أثبتوا أنهم بالإيمان والصبر والشباب قادرون على التصدي لجيش الإنجليز بآلياته وعتاده.

وقد عكس العنوان الحالة التي كان عليها أهل رشيد، فهم لم يحاربوا من أجل عصبية أو تحت دعاوى تغالي في عزل الوطن عن محضنه الطبيعي وهو الدين، وإنما خرجوا جهادا في سبيل الله ودفاعا عن دينهم وأعراضهم وأرضهم. وقد ظهر ذلك جليا من خلال الدور الذي قام به العلماء والقادة في حض الناس على الجهاد والتصدي للاستعمار، حيث «انطلق العلماء وأكابر القوم أمثال الشيخ المحروقي كبير التجار والشيخ الشرقاوي وغيرهما، بين الناس يحرضونهم على الجهاد ويدعونهم إلى التدريب العسكري والتطوع في صفوف المقاتلين، فتحمس الناس وتوافدوا وراء السيد عمر مكرم من الأزقة الضيقة والشوارع الكبيرة، وأبدى التجار والصناع والفلاحون والأتراك همة مشكورة، فلم يضنوا بنفس أو بمال إزاء المعركة» الرواية: ص٢٠٢.

وعكست أحداث الرواية الروح السائدة لدى أهل رشيد، حيث كانوا على قلب رجل واحد في وقت الشدة رغم الفقر والبؤس، لم يبخلوا بالمال ولا بإلحاق أبنائهم في صفوف المقاومة، بل كانوا يتسابقون في تقديم أولادهم للالتحاق بمعسكرات التدريب، في مشهد يذكرنا بطلائع الجيش الإسلامي في عهد الرسول ﷺ حين كان الصحابة كبارا وصغارا يتنافسون من أجل إعلاء كلمة الله.

الوصف والحوار

على الرغم من أن الرواية رواية تاريخية وتدور في مكان جغرافي معين هو مدينة رشيد، فقد خلت الرواية تقريبا من الوصف الذي يعكس الطبيعة العمرانية والجغرافية لمدينة رشيد، خاصة وقد استعصت على الإنجليز مرة تلو الأخرى، فهل كان ذلك راجعا إلى صلابة رجالها وبسالة المقاومة فحسب، أم أن طبيعة المدينة الجغرافية وطبيعة بنائها كان له دور في ذلك مثلا، كما هو الحال مع مدينة عكا بحصونها؟

وقد استخدم المؤلف الوصف بصورة تقليدية، فكان يبدأ فصوله عادة بوصف المكان الذي تدور فيه الأحداث ليكون مجرد خلفية دون أن يكون له دور يذكر في تفسير ما يغمض من أحداث أو الإشارة والرمز لأشياء يحسن السكوت عنها.

فهو يصف بيت «طاهر باشا» على هذا النحو مثلا «يقع في شارع «دهليز الملك» وهذا الشارع يضم على جانبيه بيوت الكبراء وأولي الرأي وذوي الجاه من رجالات رشيد، ويبتدئ هذا الشارع من ناحية الغرب حيث يقع مسجد العرابي وينتهي في الشرق عند النيل» الرواية: ص٤١.

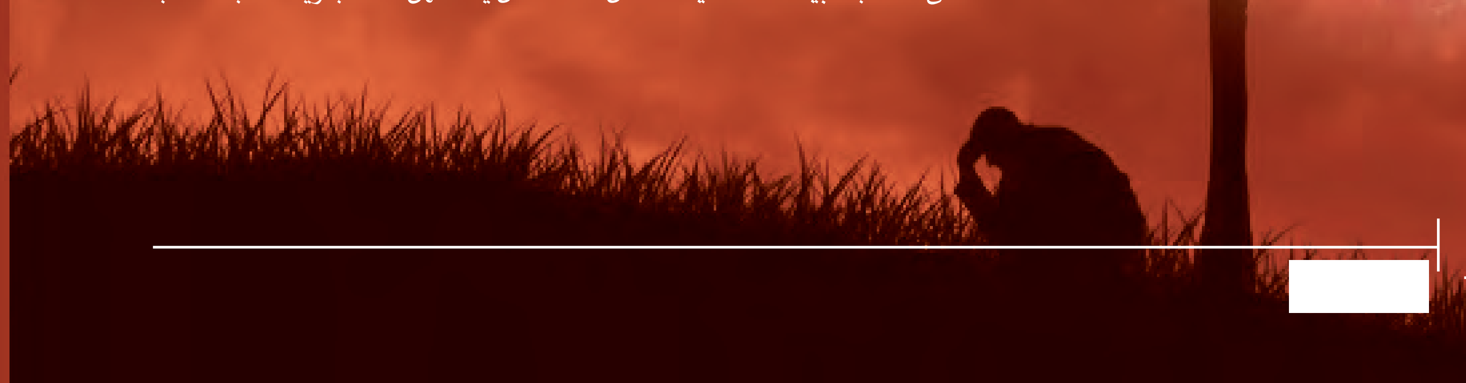
وقد خلا الوصف من الغوص والتأمل في المشاعر والأحاسيس والعلاقات الإنسانية، خاصة تلك التي لها صلة بالعلاقة بين الجنسين، على الرغم من وجود شخصيات في الرواية كانت بحاجة إلى تسليط الضوء على جوانبها النفسية والإنسانية والعاطفية، مثل شخصية «قطان» الأرميني الجاسوس، وشخصية «حسن» الشاب الحقود الذي تغير حاله وانخرط في المقاومة وشخصية «محسن» الذي كان مغرما بالشهوات رغم أنه نشأ في بيت للمقاومة، وأبعاد العلاقة بين روز وزوجها إبراهيم وزواجها بعد ذلك من أخيه محسن، فهذه الشخصيات كانت بحاجة إلى وصف وتحليل نفسي عميق وحوار يعكس أبعادها وأغوارها، لكننا لم نظفر بذلك في الرواية، مما انعكس على أحداثها، فبدت كما لو كانت خاضعة للمصادفة وليس إلى البناء والتركيب.

عندما بكى أبي..

محمد أحمد عبد القادر
شاعر وباحث إسلامي

يكابد أحداث الأيام راضيا، يتغلب على همومه بصبر وإيمان لا محدودين، يستمد من عزيمته الصلبة ما يهزم به كل ما يقابله يوميا من هموم عمله الشاق على عربة «الكارو»، هذه مهنته التي ورثها عن جدنا.. مهنة كادت أن تنقرض لمشقتها، وعلى الرغم من ذلك فما رأيت أبي يوما ممتعضا أو خجولا من مهنته، بل كان راضيا كل الرضا.. دائم الاتصال بالله، يحافظ على بعض الأذكار القليلة التي يعرفها، يستيقظ قبيل الفجر نشيطا فيوقظ أهل البيت للصلاة، يسبقنا إلى المسجد، وألحق به، بينما أخي الأكبر «سيد» تبقى أمي على رأسه يوميا تعالج محاولاته المستمرة في التملص، فلا يدرك الصلاة غالبا إلا مع طلوع الشمس.. كانت أمي تشفق على أبي كل الشفقة فلا تشكو إليه معاناتها مع «سيد» فهي ترى أن هموم والده التي أثقلت كاهله تكفيه فلا ترغب في زيادتها، تقدم لأبي إفطارا سريعا فيتناوله على عجل، وعيناه صوب عربته التي يقوم بتهيئتها ووضع الحمار المتمرد في المقدمة، ويمضي يحث الخُطا حتى يتمكن من اللحاق بتجار الفاكهة والخضراوات؛ فجلّ عمله يعتمد على حمل البضاعة لهم من سوق الجملة إلى أماكن بيعهم، يحمل الأقفاص على كتفه المنهك ويرتّبها فيحكم ربطها ثم يقوم بحملها مرة أخرى فيضعها على الأرض في مكان البيع، يجوب بعد ذلك بعربته في أرجاء المدينة بحثا عن رزقه، كثيرا ما كنّا نقابله أنا وأخي «سيد» أثناء عودتنا من المدرسة وقد تصبب وجهه عرقا فيجففه بطرف ثوبه، وعندما يلمحنا يدعونا بحنان للركوب معه، فأسرع شاكرا ربي أن أراحني مشقة المشي من المدرسة إلى البيت الذي يقع في أقصى المدينة، لكن أخي «سيد» كان يتغير وجهه ويتوتر ناظرا إلى عيون زملائه، وبلسان متلجلج يطلب منّي في نزق أن أعتذر لأبي عن مرافقتنا بحجة أنه سوف يذهب مع أحمد زميله إلى بيته ليأخذ منه بعض الأشياء المتعلقة بالدراسة.. كان أبي يمصمص شفتيه أسفا ويدعو له بالهداية، وعلى الرغم من ذلك فإن أبي ما سأله يوما عن سبب تصرفه، بل كان كريما معه يلبي له طلباته دون تأخير حتى ولو كان ذلك على حساب البيت، أما «سيد»: فكان يرى أن تلبية رغباته هي حقه وليست منّة من أحد عليه، وعندما التحق بكلية الهندسة قال لأمه في حزم: عليك أن تخبري والدي أن الوضع قد تغير ولابد أن يعد نفسه لهذا الوضع الجديد، وعندما سألته أمّه كيف؟! أجابها في زهو: أنا الآن أصبحت طالبا في الهندسة وملابسي ومصاريفي لابد أن تتغير، فهذه الملابس لا تصلح للجامعة، بل تصلح للخروج على «الكارو».. تغيّر وجه أمّه وشعرت بانكسار وقد ضمّت وجهها بين كفيها اللتين تحولتا إلى ما يشبه المنديل تجفف به دمعها فيما كان «سيد» في طريقه نحو غرفته غير مكترث بوقع كلامه على أمّه أو بصداه على والده، إن سمع به.

ولكنّ أمّه الطيبة كعادتها ابتلعت حزنها وأخفت الأمر عن والده الذي يكدح من أجل أولاده، ولاسيما رغبات «سيد» التي لا تنتهي، الغريب أن أسرته كانت تلاحظ أحيانا أنّه يلبس ملابس باهظة الثمن فيخبرهم أنّه يستعيرها من عمّه «محمود» الذي يعمل بإحدى شركات الأدوية، فيعجب والده لتصرفاته ويسأله: ألم أشتر لك ما تطلبه من ملابس؟! فلا ينبس بكلمة.. وفي سخرية يهزّ كتفيه ويمطّ شفتيه وينفض يديه في وجه الجميع ويدلف إلى غرفته، مرّت سنوات الهندسة كدهر على والده؛ تحمّل فيها من التعب والمشقة في سبيل تلبية طلبات «سيد».. كان يستسهل الصعب ويستعذب العذاب



فيحرم نفسه من الضروريّات لقاء أن يرى ابنه مهندسا.. وقتها فقط تصبح لحياته معنى، وشعر الأب أن الله يريد أن يكافئه على جهاده مع ابنه حتى النهاية فقد تخرّج ابنه في كلية الهندسة بامتياز.. أحسّ الأب بفرحة لا متناهية وبلغت السعادة مداها عندما أعلنت الكلية عن إقامة حفل لتكريم المتفوقين وأسرهم، كاد قلب أمه أن يخرج من مكانه فرحا بتفوقه، وجاء يوم الخميس واستعدت الأسرة للذهاب معه لتشاركه ركب سعادته.. كان «سيد» لا يعبأ بما يحدث في البيت، يرتدي البدلة التي استعارها من عمه «محمود» وينظر في عجب إلى نفسه في المرآة.. يعيد تسريحة شعره ويتأكد من ضبط رابطة العنق، وفي الأخير خرج إليهم، وفي صوت تملأه السعادة والصلف أيضا: ما رأيكم؟ ولم ينتظر إجابة من أحد: جميل أليس كذلك؟ ثم التفت إلى والده وقال في دهشة: هل عندك مشوار الآن؟ اكتسى وجه الأب بالخيبة وقال: أليس اليوم هو يوم حفلة التكريم.. ومن الطبيعي أننا نرافقك؟ آه.. لقد نسيت أن أخبركم أنني اتفقت مع عمي «محمود» ليرافقني في هذا الحفل، فهو الأنسب.. هكذا داس الابن بكلماته مشاعر الجميع! أحس الأب بدوار مفاجئ فجلس على الأريكة التي كان يقف بجوارها، راحت عيناه تهطل منهما الدموع كشلال دون إذن منه، وبعزيمته المعهودة قال في أسى: اذهب مع عمك «محمود» حتى لا يفوتك الحفل، ودون أدنى تردد اندفع نحو الباب وقد تقوّس ظهر الأم حول زوجها تقبّل رأسه وتربت على كتفيه وهي تقول في أسى: أستحلفك بالله لا تغضب، «فسيد» ابننا لايزال صغيرا.

من بكائيات رندي المشرق

أ. د/ حسن الشافعي
رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

هو البكاء لنا في الأرض عنوان … ماء المآقي تملت منه غدران
لا تحسب الدهر ينسى طبعه أبدا … «فلا يغر بطيب العيش إنسان»
هو الزمان كما شاهدته غير … «من سره زمن ساءته أزمان»
ميراثك المر يا رندي حولنا … إلى بكاة وكل الشرق حيطان
مضيت أنظر في إشبيليا دنفا … والعين غائمة والقلب أسيان
قصر ابن عبادٍ المرموق مكتئب … قد شفه الوجد فاضت منه أحزان
أين الوفود لدىً الساحات ناظرة … إذن الدخول عناها الحال والشان
أين الحراسات عند الباب قائمة … وكل شيء تراتيب وديوان
وإذ دخلنا فلا حس ولا خبر … إلا حنين يمض اللب ولهان
هذي المقاصير كم فاضت مشاعرها … حب ووجد وإعتاب وتحنان
أين الأرائك في الأركان منضدة … أين النمارق في الردهات ألوان
أين القيان تناجي العود محتضنا … فتكشف السر من نجواه ألحان
أين الخيال وأين الشعر منتشيا … فالدهر ينشد والأيام آذان
وقاعة الغبطة الكبرى مسربَلة … بالذل ينعق في أرجائها الجان
لا شيء يبقى على الأيام مكتملا … «لكل شيء إذا ما تم نقصان»
منارة الجامع العليا منكسة … قد أثقلتها نواقيس وصلبان
لكم تنزل في شرفاتها ملك … قد شاقه الذكر توحيد وإيمان
وكم تصعد من أركانها نغم … مضمخ بخشوع القلب رنان
وكم تخشع في أكنافها نفس … قد هيمته تسابيح وقرآن
زالت منابرنا غامت ملامحنا … شاهت مشاهدنا والحق ميزان
أرض الجمال تغشاها الحداد وكم … ماس التبختر تهفو منه أردان
رحلت أرمق من إشبيليا رحما … قد مزقته بنو عم وإخوان
فأسلموا الدار للأعداء من سفه … إذ لوث القلب بالأحقاد شيطان
لكن غرناطة التوحيد ما فتئت … تغالب الموج بعد الموج بحران
وعند غرناطة حطت رحائلنا … دار لأجدادنا كانت هي الخان
أما الهموم فما حطت وما رحلت … وطائر الحزن في الأجواء حومان
هذي الديار حماها إخوة نُجُب … وللعدو من الأجناد طوفان
كادت تغالب حينا بؤس عيشتها … حتى أجاها لبؤس العيش سجان
دور ابن أحمر مازالت معالمها … تغالب القرن بعد القرن أركان
يشع منها جمال الفن حاضرة … أفضت إليها مواريث وعرفان
لكن زوارها أشتات مرتعة … لم يدعهم لدخول القصر سكان
هم استباحوا مقاصيرا مبجلة … عقائل الحمر أشياء ودكان
لا يعرفون لدى الأبواب حرمتها … ولا يراعون معنى أينما كانوا
أعراضنا أصبحت أعراض متجرة … من يشتري؟ ولجاه الفلس سلطان
من يهمل اليوم لا يَلحى غدا أحدا … فالأمر جد ودفع الله فرقان
يا من يرجِّي نهوض الشرق ثانية … أحاسن الخلق منهاج وميزان
لا يصنع المجد بالألفاظ نطلقها … ولا الهتاف تعالى منه بركان
ولا العواطف هاجتها مخادعة … سوق السياسة بالتزييف ملآن
انظر لخطو الألى خطوا مصائرنا … واستوعب الدرس فالماضي هو الآن



القلم.. رسول ضمائرنا

د. خالد سعد النجار
كاتب مصري

بسيط في شكله عظيم في شأنه.. كم عبرنا به عن مكنونات نفوسنا وخلجات صدورنا، وبه تعلمنا وأبصرنا نور العلم، وبه سطرت حضارات وقامت ممالك وإمبراطوريات، وبه جمع حصاد العلوم والمعارف والأفكار والأشعار.

إنه «القلم» الذي أقسم الله عزوجل به في كتابه، لعظم قدره وخطورة أمره، فما أكثر من نشروا بالقلم الخير المديد، وأيضا هناك من تجاوزت أقلامهم الخطوط الحمراء فعاثوا فسادا في بحور الظلام، يمالئون ظالما ويبررون منكرا ويداهنون فاجرا، ويقلبون بمعسول كتاباتهم الحق باطلا.. فكم رفع القلم أناسا ووضع آخرين.

قال ابن الهيثم: «من جلالة القلم أنه لم يكتب الله كتابا إلا به، ولذلك أقسم به. الأقلام مطايا الفطن ورسل الكرام. وقيل: البيان اثنان: بيان لسان، وبيان بنان، ومن فضل بيان البنان أن ما بينته الأقلام باق على الأيام، وبيان اللسان تدرسه الأعوام».

وقال سهل بن هارون: «القلم أنف الضمير، إذا رعف (نزف) أعلن أسراره، وأبان آثاره».

وقال ابن أبي دؤاد: «القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول وترجمانه الأفضل».

وقالوا: «القلم أصم يسمع النجوى. وأخرس يفصح بالدعوى. وجاهل يعلم الفحوى».

قال ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»

(رواه الترمذي). وقال ﷺ: «يا أبا هريرة، جف القلم بما هو كائن» (البخاري:٥٠٧٦).

وكما بين النبي ﷺ أن القلم خلق أولا لكتابة المقادير، فقد بين ﷺ تاريخ القلم في البشر، وذكر أول من كتب به من الناس، فقال ﷺ عن نبي الله إدريس عليه السلام: «وهو أول من خط بالقلم» (كنز العمال:٤٨١/١١).

وعن جعفر بن أبي المغيرة قال: سألت سعيد بن جبير عن الألواح (ألواح التوراة) من أي شيء كانت؟ قال: من ياقوتة كتابه الذهب، كتبها الرحمن بيده، فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها (عبدالله بن أحمد في السنة ٢٩٤/١).

وذكر ابن عبدالبر من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة: التسليم على الخاصة. وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة. وقطع الأرحام. وفشو القلم. وظهور شهادة الزور. وكتمان شهادة الحق).

الكتابة أمانة

لاشك أن الكتابة مهمة جليل أثرها وعظيم قدرها، فهي قناة لا يستهان بها في توجيه الرأي العام، والتأثير على العقول والمفاهيم، وهي سلاح ذو حدين.. الكلمة الطيبة التي ترفع صاحبها وأيضا الكلمة الخبيثة التي توبق كاتبها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٧).

وبالرغم من عظم هذه المسؤولية وخطورة هذه القضية فإن الكتابة الآن صارت ميدانا لا حمى له، وساحة ينازل فيها من يقدر ومن لا يقدر، وكأن الناس تسوقها أقلامها لحتوفها وهي لا تدري، فسكرة الكتابة تعميها عن مسؤوليتها، ونشوة النشر تنسيها يوم وقوفها أمام بارئها، ومتعة الربح ألغت ضمائرها، خاصة أن الكاتب في هذا الزمان لا يحتاج سوى بعض الجرأة على الإسلام ونبيه وتعاليمه.. وهذا كفيل أن تتهافت حوله الفضائيات والمنظمات العالمية المشبوهة التي لا تألو جهدا في حمايته، ثم تقوم بخلع أفخم الألقاب عليه، ومنحه أعلى الدرجات.

الكتابة في زمن العجب

وإني لأتعجب من أولئك الكتاب الذين سلم منهم أعداء الأمة المتربصون بها، ولم يسلم منهم أهل العلم والدعوة والإصلاح! حتى تاه البسطاء، فلم يجدوا طريقا لرموز الأمة من أهل الفضل والعدل، وحار الفضلاء من تشويه النجباء، واختلط الحابل بالنابل، والغث بالسمين، ودخلنا طريق التيه الذي لا نجاة منه.

أتعجب من انقلاب الموازين وتهجم الجهلاء على العلماء، فصرنا نسمع عن الكاتب الجريء والصحفي الحر الذي اتهم الشريعة الإسلامية بالرجعية وعلماء الشريعة بالمنغلقين.. قال الشافعي: «إن لم يكن العلماء أولياء الله؛ فمن يكون؟!». وقال سفيان: «أرفع الناس منزلة: من كان بين الله وبين عباده؛ وهم الرسل والعلماء».

أتعجب من جرأة الكتاب غير المتخصصين الذين نصبوا أنفسهم علماء راسخين؛ فتارة تجدهم مفسرين، وتارة محدثين، وتارة فقهاء مجتهدين؛ ولا يتورع الواحد منهم عن استنباط الآراء والاجتهادات، ولي أعناق النصوص في سبيل تطويعها لمراده.

أتعجب من غياب الحياء، وعدم وجود أي غضاضة في أن يجهر الكاتب بأنه علماني أو ليبرالي أو يساري.. بل نجد مؤسسة فكرية عربية شهيرة تصف نفسها على موقعها الإلكتروني بأنها: «يسارية علمانية ديموقراطية»!! وقد تخصصت في لمز الإسلام، وعرضه بطريقة مهينة.

أتعجب من صولة الذئاب واشتداد عوائها تحت مظلة الحرية والديموقراطية والليبرالية.. وهي في الحقيقة إباحية وانحلال وهدم لصروح القيم النبيلة والثوابت الجليلة.. قاموا وقعدوا، وأرغوا وأزبدوا، وخبوا ووضعوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم، وشمروا واستنفروا؛ فكتبوا ونعقوا ونهقوا، فتارة يلوحون، وتارة يصرحون؛ فلا تخلو كتاباتهم من انتقاد واعتراض على حق، أو إقرار لباطل، أو بث شبهات وشهوات، وألصقوا التهم وعمموا الأحكام.

أتعجب من أصحاب الأقلام المأجورة، باعة المبادئ، الذين باعوا أقلامهم بحفنة من عرض رخيص زائل، وسطروا من الفجور والضلال والنفاق ما إن مزج بماء البحر لمزجه خبثا ونتنا وعفنا. قد جندوا أنفسهم لهدم المجتمعات وبث بذور الشر والفساد.

ألا فليتق الله تعالى كل من حمل قلما، وليعلم أن كتاباته من جملة أعماله التي سيحاسب عليها، وأنها أعمال باقية يجري خيرها أو وزرها، فاللبيب من حمل أمانة القلم بحقها، والمغبون من حمله قلمه للهاوية.

حي بن يقظان

أحمد أمين
كاتب وباحث في التاريخ الإسلامي

وراء كل قصة أسطورية أو ملحمية حكاية حقيقية، استلهم منها مؤلف الأسطورة الحبكة والرواية. وقد ذاع صيت بعض الأساطير والروايات، حتى تناسى البعض وجود القصة الحقيقية وغفلوا عنها. كما أن أسطورة الجزيرة التي تشتمل على السحر وعلى فكرة عالم غير مسكون، ليست خاصة بالأدب الأوروبي، بل هي فكرة عربية إسلامية، وضع نواتها المفكرون المسلمون منذ قرون، ونسجوا من خلالها رواياتهم وقصصهم التي انتشرت في ربوع العالم بصور وأشكال مختلفة، لكن تبقى البصمة العربية والإسلامية جلية تماما.
الكثير ممن شاهدوا أفلام «طرزان» و«ماوكلي» (فتى الغابة)، وقرأوا رواية «روبنسون كروزو»، أو شاهدوا الفيلم، لا يعرفون أن هناك قصة أصلية اقتبس واستلهم منها مؤلفو الأعمال السابقة حكاياتهم وحبكتهم.



«حي بن يقظان» هو أصل كل تلك الحكايات ومنبع أفكار كاتبيها، كان أول من كتب قصة حي بن يقظان هو العلامة المسلم ابن سينا، وتناول فيها نظرته الفلسفية حول إنسان يعيش بمفرده في عزلة على جزيرة منذ الصغر، فيبدأ في البحث في الكون عن سر الوجود وعن ماهيته، وعن خالق هذا الكون. لكن بعد ابن سينا قام ثلاثة كُتّاب مسلمين آخرين بإعادة كتابة قصة حي بن يقظان حسب وجهة النظر الفلسفية لكل كاتب منهم، فكتب شهاب الدين السهروردي القصة بفلسفته الخاصة، التي تناول فيها الوجود، وبحث ابن يقظان عن الحقيقة خلف كل ما يراه، وجاء بعده الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل وأعاد بناء القصة من جديد، وكذلك فعل ابن النفيس. لكن يبقى العمل الأعظم فيها لصاحب البدء ابن سينا، ومن بعده ابن طفيل (صاحب الرؤية الفلسفية المتصوفة)، التي طغت على رؤية سابقيه، مما جعل القصة تنسب إلى ابن طفيل لعظيم عمله فيها.

ابن طفيل الفيلسوف الأندلسي

أبوبكر محمد بن عبدالملك بن محمد بن طفيل، عربي، قيسي، ولد في وادي آش بالأندلس ٤٩٤هـ - ١١٠٠م، درس الفلسفة والطب في مدينة غرناطة الأندلسية،

كما برع في الفقه والأدب، وظهر نبوغه، وذاع صيته، وعمل كاتبا لوالي غرناطة، ثم تولى حجابة البلاط الغرناطي.
بعد ذلك استدعاه سلطان الموحدين (١) أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ليكون ابن طفيل طبيبه الخاص. وقد كان ابن طفيل معاصرا لابن رشد وصديقه.
كان ابن طفيل ثالث ثلاثة من أئمة الحكمة الأندلسية وعباقرة التفكير الإسلامي الذين ظهروا خلال القرن السادس الهجري، وهم: أبوبكر بن الصائغ (ابن باجة) وابن طفيل وتلميذه ابن رشد (٢).
ويصفه ابن الخطيب بقوله: «كان عالما محققا، شغوفا بالحكمة المشرقية، متصوفا، طبيبا ماهرا في أصول العلاج، وفقيها بارع الإعراب، وكاتبا بليغا مشاركا في فنون عدة» (٣).
وقد استطاع أن يقضي معظم ساعات يقظته في المكتبة الملكية، ووجد بين الدرس وشؤون الحكم متسعا من الوقت، كتب فيه، من بين الكتب العميقة، أعظم قصة فلسفية في أدب العصور الوسطى «حي بن يقظان» (٤).
توفي ابن طفيل عام ٥٧٨هـ - ١١٨٥م في مدينة مراكش، ودفن فيها، وقد ترك عددا كبيرا من المؤلفات التي فُقِد معظمها ولم يبق منها سوى قصة «حي بن يقظان» وبعض الأشعار.
لم يتوقف النبوغ عند ابن طفيل عند حد الطب، بل تعداه فشمل الأدب والفلسفة والرياضيات ونظم الشعر، وكان فوق ذلك متصوفا. وقد ظهرت نباغته في تلك العلوم من خلال قصة ابن يقظان، التي تعتبر موسوعة علمية تحمل في طياتها علوما شتى كالجغرافيا والطب والفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء والفيزياء والأحياء.
تناول ابن طفيل لتجربة حي بن يقظان عند تشريحه الظبية بعد وفاتها، والتعرف على أعضائها عضوا عضوا، والتدقيق في أوصافها ووظائفها، محاولا إدراك ما أصابها، ومحاولته رصد الكواكب وحركة الشمس والقمر، وتعرفه على النار وفائدتها وضررها، كما وصف ابن طفيل تفكر بطل القصة في العالم المحيط وتصفحه للأجسام التي في الكون على اختلاف أنواعها، والنبات والمعادن وأصناف الحجارة والتراب والماء والثلج والهواء والبخار والبرد والدخان والجليد واللهيب، ليكتشف أن لها أوصافا كثيرة وأفعالا مختلفة وحركات متفقة ومتضادة، وأمعن النظر وتثبت فرأى أنها تتفق في بعض الصفات وتختلف في بعضها الآخر، كما أدرك طبيعة الحركة من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى، كما أدرك خصائص المادة الهندسية التي تتعلق بالعمق والطول والعرض والارتفاع.

قصة بن يقظان

تتناول القصة حكاية مولود يولد لشقيقة ملك لإحدى جزر الهند ورجل من عامة الناس، تزوجته شقيقة الملك خفية، فيغضب الملك بشدة، وتخشى المرأة على وليدها من نقمة أخيها فتذهب هي وخدمها إلى شاطئ البحر مختفية تحت ستار الظلام وتضع وليدها في تابوت وتلقي به في البحر وهي تبتهل قائلة:
«اللهم إنك قد خلقت هذا الطفل ولم يكن شيئا مذكورا، ورزقته في ظلمات الأحشاء، وتكفلت به حتى تم واستوى، وأنا قد أسلمته إلى لطفك، ورجوت له فضلك، خوفا من هذا الملك الغشوم الجبار العنيد، فكن له ولا تسلمه يا أرحم الراحمين» (٥).
تحمل الأمواج التابوت حتى شاطئ جزيرة منعزلة تماما، فتعثر ظبية على التابوت، وتحمل الصبي خارجه، وتعتبره تعويضا عن صغيرها الذي فقدته منذ لحظات قبل عثورها على الصبي.
تبدأ الظبية في إرضاع الصبي والاعتناء والاهتمام به، حتى يكبر ويبدأ في اكتشاف الجزيرة والتعرف على ما حوله من مخلوقات، ويحاول البحث عن حقيقته وسر اختلافه عن باقي مخلوقات الجزيرة.
تنقسم حياة حي بن يقظان إلى عدة مراحل:
الأولى: عثور الظبية عليه، والاعتناء به، ونشأة الألفة بينهما. وعندما يبلغ الطفل الحولين من العمر في هذه المرحلة يتعلم حي عن طريق التقليد والمحاكاة للطيور والحيوانات الأخرى، وتظهر لديه الانفعالات الأولى مثل: الخوف والاستغاثة والقبول والرفض. وكان له ذلك بمساعدة الظبية التي وفرت له أصوات الحيوانات المعبرة عن نقل الانفعالات مثل الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع». ومع أن حي لم يبلغ العامين من عمره إلا أنه في هذه المرحلة أصبح مهيأ للحياة ومستعدا لها.
الثانية: وتمتد هذه المرحلة من السنتين حتى السابعة من العمر، وفي هذه المرحلة يتمكن حي من استخدام الملاحظة والمقارنة والمشاهدة والتأمل، ويكتشف الفارق بينه وبين الكائنات الحية المحيطة به ويكتشف حتى الفارق بين الكائنات نفسها.
الثالثة: وتبدأ هذه المرحلة من السابعة حتى الحادية والعشرين من العمر، يدرك خلالها التكامل ما بين الروح والجسد ويتعرف على وظيفة بعض أعضاء الجسد، كما يكتشف العلاقات بين أشياء متنافرة ومتضادة مثل علاقة الروح

بالجسد، كما تعلم طريقة الدفن من الغراب وقيامه بدفن الظبية بعد موتها، التعرف على الحواس وإدراك وظائفها، كما يتعرف على النار.

الرابعة: وتبدأ من الحادي والعشرين حتى الثامن والعشرين من عمر حي، يظهر فيها تفكر حي وانشغاله بالكواكب والنجوم ومتابعة حركاتها، كما يبدأ التفكر في أصل العالم وقدمه وحدوثه والعلاقة بين المادة والصورة.

الخامسة: وهي المرحلة التي تقع بين الثامنة والعشرين والخمسين من العمر، يدرك فيها حي أن النفس منفصلة عن الجسد، وأن السعادة تكمن في التحرر من الشهوات، وفي تلك المرحلة يدرك حي معنى الألوهية ويصبح موحدا لله.

وعندما بلغ «حي بن يقظان» الخمسين من العمر يأتي إلى الجزيرة رجلان، هما: آسال وسلامان، وهما من أهل ملة التوحيد.

يحدث آسال «حي بن يقظان» عن العلم والشريعة، بعد أن علمه الكلام، فوجد «حي» في الشريعة ما اهتدى إليه بالفطرة بعد نقاش فلسفي شامل وعميق.

يقرر حي الرحيل من الجزيرة والوصول إلى باقي البشر بهدف تعليمهم ما توصل إليه، لكن عند لقائه بالناس ينصرفون عنه لعدم استيعابهم فكره وفلسفته مما يصيب حي بالصدمة فيقرر العودة إلى الجزيرة وإكمال حياته هناك والتفرغ للعبادة.

في نهاية القصة يريد ابن طفيل إيصال رسالة مفادها أن العقل الذي طلب الإسلام من الإنسان استخدامه كان الغرض منه التوصل إلى معرفة الله من تأمل صنعته وخلقته.

تأثير قصة حي بن يقظان

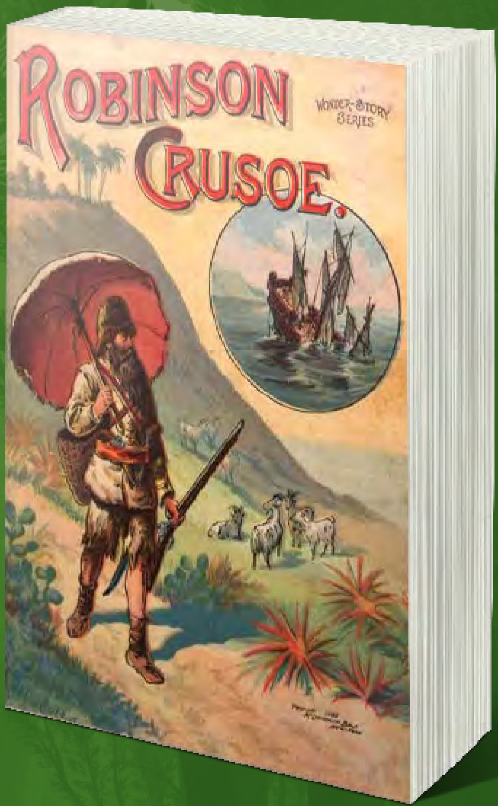
نالت قصة ابن يقظان الحظ الوافر والاهتمام الكبير من قبل المفكرين والأدباء، خاصة الغربيين، وخرجت مئات الدراسات الفلسفية والأدبية عن حي بن يقظان.

وقد تركت القصة تأثيرها الكبير على الكتاب والأدباء، فقام الكثير منهم بعمل محاكاة واقتباس، وتناولوا قصة ابن يقظان بمفهوم جديد وبصورة مختلفة، فخرجت الكثير من الروايات والقصص التي كانت قصة ابن يقظان مستقاها ومنبعها الرئيسي ومن أشهر تلك القصص.

روبنسون كروزو

الرواية الشهيرة للكاتب الإنجليزي: دانييل ديفو (٦)، والتي تعتبر الرواية الأولى في تاريخ الأدب الإنجليزي، قام الكاتب بعمل محاكاة واقتباس من قصة ابن يقظان تدور أحداث رواية «ديفو» عن رجل تتحطم سفينته قبالة جزيرة منعزلة، وبعد جهد ينجح الرجل في الوصول عوما إلى الجزيرة، ليتابع حياة العزلة بمفرده ويبدأ في اكتشاف ما حوله من كائنات، ثم يبدأ عملية التكيف مع حياة العزلة وشغل وقته بما ينفعه ويحفظ حياته من خطر الحيوانات المفترسة، وتسلط الرواية الإنجليزية الضوء على حياة العزلة وما قد يحدث للإنسان من تغيرات خلالها.

يأتي ايرنست بيكر في كتابه القصة الإنجليزية الصادر في لندن ١٩٤٣م ليعتبر حي بن يقظان أحد المصادر لقصة روبنسون كروزو وينضم إليه في رأيه الكتاب ويليام كيري، وليفيج أولوفسون، أما الكتاب العرب أمثال عمر فروخ، كمال اليازجي، محمد غلاب، علي



المصراتي، وقدري طوقان، وكامل الكيلاني وغيرهم من الكتاب فقد أكدوا أثر قصة حي بن يقظان في روبنسون كروزو (٧).

نضيف أن كروزو يمثل نمطا للرجل العملي دنيويا، في حين يمثل حي بن يقظان نمطا مثاليا، فبطلا القصتين المنعزلان؛ هما في الحقيقة المثلان اللذان يُعبّران بوضوح عن نَمَطَي الثقافة، فالأُولى ينطلق بها دانيال دي فوي من محو كامل للوسائل (أي الأشياء) حيناً يبدأُ بطلُ قصته المغامرة، والثانية ينطلق بها ابن طفيل من محو كامل للأفكار، حينما يتدرج في مراحلِ أحداثها.

ففي كلا القصتين تكمن العبقرية في الطريقة التي ملأ بها مؤلفاهما

وقت عزلة بطليهما.
وهاكم طريقة استخدام الزمن ليوم واحد، في حياة (روبنسون كروزو) على الجزيرة التي نجا بنفسه إليها بعد غرق سفينته:
بدأت أُنظِّم وقت عملي وخروجي، وقت راحتي ونُزهاتي، وانطلاقا من هذه القاعدة التي واظبت على مراعاتها، كنت أخرج في الصباح إذا لم يكن الطقس ممطرا، ومعي بندقيتي لمدة ساعتين أو ثلاث، ثم أعمل بعد ذلك إلى ما يقارب الساعة الحادية عشرة، ثم آكل ما كنت أستطيع الحصول عليه، وكنت أنام من الظهر حتى الساعة الثانية بسبب الحرّ المضني.. وفي المساء كنت أستأنف العمل. لقد أنفقت وقتي كلَّه في ذلك اليوم، وفي اليوم التالي في صنع طاولة لنفسي، ذلك أنني لم أكن آنذاك سوى عامل بائس، ولكن الزمن والحاجة جعلاني فيما بعد صانعا ممتازا.
تلك شريحة من زمن (روبنسون كروزو) في عزلته في الجزيرة. فالوقت يجري منذ البداية في وقائع محسوسة. أكْل- نوْم- عَمَل. وهي وقائع تكمن في طبيعة خاصة، تضع ثواني الزمن في خدمة اقتصاد شخصيّ نفعيّ بحْت.
فروبنسون كروزو يتغلَّب على كآبة الوحدة بالعمل. وخلال هذا الوقت من ذلك اليوم فإنّ عالمَ أفكاره كلَّه يتركز حول (شيء): إنّها الطاولة التي كان يريد صنعها لنفسه.
أما بالنسبة لحي بن يقظان فإنّ مغامرة الوحدة تتخذ لها اتجاها مختلفا تماما. فهي لا تبدأ في الواقع إلا بعد أن نَفَقَت الغزالة التي تَبَنَّت الطفلَ المنعزل كأَمٍّ ترعاه: فكان يرتاد بها المراعي الخصبة، ويجتني لها الثمرات الحلوة، ويطعمها. ومازال الهزال والضعف يستولي عليها ويتوالى، إلى أن أدركها الموت، فسكنت حركاتها بالجملة، وتعطلت جميع أفعالها، فلما رآها الصبيُّ على تلك الحالة، جزع جزعا شديدا، وكادت نفسه تفيض أسفا عليها، فكان ينظر إلى أذنيها وإلى عينيها فلا يرى بها آفة ظاهرة، وكذلك كان ينظر إلى جميع أعضائها فلا يرى بشيءٍ منها آفة. فكان يطمع أن يعثر على موضع الآفة فيزيلها عنها، فترجع إلى ما كانت عليه فلم يتأتَّ له شيء من ذلك ولا استطاعة.
لم يعثر حي بن يقظان على موطن الداء: لكن ابن طفيل يجعلنا نتتبع صعود ذهنه كيما يكتشف شيئا فشيئا «الروح» ثم «خلود الروح» وأخيرا «فكرة الخالق».
منذ تلك اللحظة تتتابع المغامرة تأملا يسمح لابن يقظان أن يَدْلُفَ بعد عدة محاولات فاشلة إلى إدراك النظام الإلهي؛ إلى رؤية داخلية للإله، وإلى مفهوم صفاته (٨).

طرزان

تدور أحداث القصة حول جون كلايتون، وهو ابن لأحد النبلاء البريطانيين الذي يفقده والده وهو صبي صغير في إحدى غابات إفريقيا، فتعثر عليه القردة وتتولى عملية رعايته والاعتناء به.
تتناول القصة مفهوم العزلة وكيفية تكيف البطل مع الكائنات المختلفة، حتى يكتشف وجود البشر وتبدأ مرحلة جديدة في حياته ويعقد البطل عدة مقارنات بين حياته السابقة قبل معرفة البشر وبعد معرفتهم.
ماوكلي (فتى الغابة).
طفل صغير يفقده والداه في إحدى الغابات ويعتقدان أن بعض الحيوانات قد التهمته، لكن تعثر مجموعة من الذئاب على الطفل وتتولى رعايته والاعتناء به حتى يكبر، ويبدأ الصبي في اكتشاف ما حوله من حيوانات ومخلوقات أخرى، ويظل سؤاله الشاغل حول اختلافه عن العالم المحيط به واختلاف تكوينه الجسدي عن باقي الحيوانات.
ونلاحظ في الأعمال السابقة التشابه الواضح والمحاكاة التي قام بها كتاب تلك الأعمال لقصة حي بن يقظان، ففي قصة طرزان تم استبدال الظبية بالقرود، وفي قصة ماوكلي تم استبدال الظبية بالذئب، كما تناولت تلك الأعمال حياة العزلة والوحدة وكيفية التأقلم معها.

الهوامش

١- الموحدون: دولة إسلامية حكمت بلاد المغرب والأندلس ١١٢١م – ١٢٦٩م ، مؤسسها محمد بن تومرت.
٢- محمد عبدالله عنان، تراجم شرقية وأندلسية ص ٣١٥.
٣- الإحاطة في أخبار غرناطة (٣٠٩).
٤- انظر: قصة الحضارة (٢٤٧/١٤).
٥- حي بن يقظان، تقديم د. حسن حنفس (٢٨).
٦- «دانيال ديفو Daniel de Foe» روائي وشاعر وصحفي بريطاني. وُلد في لندن سنة (١٦٦٠م). وتوفي سنة (١٧٣١م). له عديد من الروايات أهمها «روبنسون كروزو».
٧- حي بن يقظان «دراسة نقدية بلاغية تحليلية»، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، سعدي محمد إبراهيم الزهراني، ص ٤٩.
٨- مالك بن نبي، انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص ٢٢/٢١.

الأزواج يختلفون والأبناء يدفعون الثمن!

إحسان عبدالعزيز الدبش
تربوي سوري



تتنوع درجات الخلاف بين البشر إلى خلافات تبقى على المودة والاحترام بين المختلفين، وخلافات تصل إلى حد البغضاء والعداوات، وما قد ينتج عن ذلك من صراعات تصل إلى حد سفك الدماء وإزهاق الأرواح وتدمير الممتلكات. قال سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ (البقرة:٢١٣)، بيّن الله عز وجل أن من الأهداف الرئيسية لبعث الأنبياء وتنزيل الكتب حل الخلافات بين البشر بكل أنواعها. فهو جل جلاله رب الجميع وعنده الحل لجميع المشكلات. وبيّن سبحانه وتعالى أهمية العدل لحل أي خلاف، وخطورة أن يتحيز الإنسان لغير الحق. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام ١٥٢).

وأعطى للأسرة في القرآن الكريم، بما فيها الخلافات الزوجية، مكانة خاصة في عدة سور. وبيّن، بالتفصيل، كيف يتصرف الزوجان في حال نشوب أي خلاف بينهما. قبل أن يتفاقم ويصل إلى حد الفراق، وأخذ على الزوج «ميثاقا غليظا» (١) لرعاية زوجته.

وبيّنت السنة النبوية حق الزوج على زوجته أن تطيعه وتكون ودودة في عشرتها معه. وحث القرآن الكريم على التقوى التي تعتبر القاعدة الأساسية في البناء التربوي للمسلم. وحذر من الظلم الذي قد ينجر إليه الطرفان أو أحدهما. كما أن السيرة النبوية توضح لنا كيف كان رسول الله ﷺ يتعامل مع زوجاته في حال خلافه معهن، ومن ثم كيف كان رسول الله ﷺ يعالج الخلاف بين أزواج وزوجات الصحابة رضي الله عنهم.

للخلافات بين الزوجين أثر سلبي قد يصل بينهما إلى حد غير مقبول، والذي لا يقتصر عليهما فقط، وإنما يمتد أثره السيئ إلى الأبناء. هؤلاء الأبناء ينظرون بنظراتهم البريئة إلى صراع الأبوين بدهشة واستغراب وقلق، مستنكرين له بفطرتهم البريئة، وهم

لا يدرون ماذا يجري حولهم. فتنعكس تلك الخلافات على نفسياتهم مسببة عقدا نفسية يصعب محوها مستقبلا، مما يؤثر على مستقبلهم. ولا يعلم الأبوان أنهما جناة بحق أبنائهما، بدلا من أن يؤهل هؤلاء الأبناء التأهيل الحسن ليكونوا أناسا صالحين أتقياء، نافعين لأنفسهم ولأبويهم ولأمتهم.

إن تربية الأبناء التربية السليمة في مختلف مراحلهم العمرية، لها أثر كبير في تكوين الشخصية السوية، هذه الشخصية التي يجب أن تبنى على أساس الأفكار الصحيحة، والأخلاق القويمة، النافعة لنفسها، ولأهلها، ولمجتمعها، وأمتها. وأي خلل في الأداء التربوي سيشوه هذه الشخصية، وسينعكس على صاحبها أولا، ثم الوسط المحيط به، القريب والبعيد، ثانيا، بحسب المكانة التي يتبوأها مستقبلا. من أصغر حلقة اجتماعية (قيادة الأسرة) إلى أكبر حلقة (قيادة المجتمع).

فأي تجمع بشري لابد له من رأس يقوده. وفن القيادة ليس أداء إداريا فقط، وإنما أيضا أداء تربوي وأخلاقي ولا يمكن الفصل بينهما، لأن النجاح القيادي يستلزم الخبرة العلمية، والأداء الإداري الناجح، والأداء التربوي والأخلاقي الرفيع.

وقيادة الأسرة في الإسلام يتولاها الأب ثم الأم. كلاهما في موقع المسؤولية عن هذه الأسرة، التي شكلاها بخياريهما. المسؤولية بشكل عام، والمسؤولية التربوية بشكل خاص، والواجبات الملقاة على عاتق الأبوين ليس تأمين الطعام الطيب فقط، وليس اللباس الأنيق فقط، وليس التعليم الجيد إن كانا حريصين عليه فقط، وإنما أيضا التربية الحسنة لأبنائهما. إن ثمار التربية الحسنة يحصدها الأبناء أولا، ثم الآباء والأحفاد، ثم الأقارب، ثم المجتمع، وقد يصل تأثيرها إلى البشرية كافة.

إن المسؤولية الملقاة على عاتق الأبوين في حسن تربيتهما لأبنائهما تتطلب تحصيل العلم التربوي اللازم لتربية الأبناء. وما يحصل عليه الغالبية العظمى من الآباء والأمهات من زاد تربوي حاصل بشكل عفوي، تلقوه إما من أهلهم، وإما من العوامل الأخرى المؤثرة المحيطة بهم، وهذه المصادر يختلط فيها الصحيح بالخاطئ. هذا الزاد التربوي من الآباء والأمهات غير مبني على أساس علمي سليم، بحيث يدرك فيه الأبوان، قبل كل شيء، أنهما قدوة لأبنائهما، وأن عليهما تعديل بعض السلوكيات الخاطئة التي يكونان قد نُشِّئا عليها بشكل عام. ومن ثم فهم كل منهما الآخر، ليعلما كيف يتعامل بعضهما مع بعض. والفهم الجيد لنفسية أطفالهما الذكور والإناث في مختلف المراحل العمرية، والمشاكل التي يتعرضون لها. وبالتالي كيفية التوجيه التربوي اللازم لهم في كل مرحلة من مراح حياتهم. فعلم التربية علم قائم بذاته له أسسه وأركانه وتفاصيله، وكيفية أدائه.

إن الأخطاء التربوية التي يقع فيها الأبوان، والتي تظهر من خلال سلوك شخصي، أو ألفاظ تعبر عن هذا السلوك، أو أن الخطأ التربوي كان من خلال علاقتهما بعضهما مع بعض، والذي يظهر على أشكال مختلفة، كل ذلك ينطبع في نفسية الأبناء، مخيبا آمالهم في عيشهم حياة تنعم بالاستقرار يسودها الحب والوئام والسعادة، مما ينعكس على نفسيتهم بعدم الراحة والاطمئنان. ولا يعلم الأبوان بتصرفهما السيئ هذا أنهما ينسفان كل بناء تربوي سليم يمكن أن يقدماه لأبنائهما. ولو كانا على مستوى من التعلم، وحتى الأخلاق العامة الجيدة، لكن بينهما ليست على المستوى المطلوب.

إن الأب والأم هما بمنزلة المعلمين للأبناء قبل أي مدرسة أخرى. فمواقفهما وآراؤهما يجب أن تكون متناسقة وليست متضادة. فمثلا، لنفترض وجود قاعة يجلس فيها طلاب، وسيحاضر فيهم محاضر ومحاضرة. بدأ كل منهما يلقي المحاضرة المخصصة له، هناك نقاط مشتركة بين المحاضرتين، تناقشا فيها أمام الطلاب، ثم بدآ يختلفان، ثم تصاعد الخلاف بينهما، وتدرج من النظرات الحادة، إلى التلفظ بألفاظ نابية.. أي علم سيتلقاه هؤلاء الطلاب منهما، وأي احترام سينالهما من الطلاب.. سيغادر الطلاب القاعة وهم يقولون لا نريد أن نحترمكما ولا نريد العلم الذي تقدمانه لنا.

إن رد فعل الأبناء لهذا السلوك الخاطئ بين الأبوين، يتفاوت ويتنوع بحسب المرحلة العمرية، ويمكن تقسيمها إلى خمس مراحل:

مرحلة الجنين - مرحلة الرضاعة - مرحلة الروضة - الابتدائي - مرحلة الفتوة (المراهقة).

مرحلة الجنين

إن تأثر الجنين وهو في بطن أمه إما أن يكون سلبيا فيزعجه وقد يمرضه، أو إيجابيا فيسعده ويريحه. فإن كان مما يزعج أثر ذلك على صحته النفسية والجسمية وهو في بطن أمه، وبعد ولادته.

يذكر د. صالح الحويج عن أثر



التعصيب على الأم والحامل ما يلي: «إن عصبية الأم لها تأثير مباشر على الجنين، حيث إن الجهاز العصبي في الجنين جزء من الجهاز العصبي عند الأم. كما أن الزوج الغضوب يؤثر على الجنين عندما يكون في رحم الأم وذلك لأن الجنين يتأثر بتأثر الأم» (٢).

هذا التوتر والانزعاج «ممكن أن يؤديا إلى حالات غير طبيعية في الجنين وتشوهات كالشرم أو تشقق الشفة والحلق.. وغيرها. وهذه النتائج توصلت إليها د. دوريث هانس من خلال فريق عمل دانمركي أخذ على عاتقه هذه النتائج» (٣).

ويذكر د. خالد سعد النجار ما يلي: «الحامل تحتاج أيضا إلى ملاحظة حالتها النفسية. فالتعرض للكثير من المشاكل الأسرية، خصوصا مع شريك العمر، يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تضر بصحتها وتمر إلى الجنين من خلال المشيمة لتؤثر سلبا على تكوينه، وبالتالي تعرض الطفل للقلق والضغط النفسي مستقبلا. هذا ما أكدته د. جانيت دييترو (أخصائية النمو) بقولها: «إن الجنين يستجيب للحالة النفسية السلبية للأم التي تؤثر بدورها سلبيا على حالته هو النفسية».

ويؤكد الباحثون أنه إذا تعرض الجنين إلى ضغوط نفسية مستمرة، فالأغلب أنه سيكون طفلا عصبيا، تهدئته صعبة، لا ينام بسهولة، وربما يعاني من نشاط مفرط، وقد يعاني من نوبات مغص. كذلك فإن حركة الجنين تصبح أكثر نشاطا وأقل استقرارا، وكلما زاد الضغط النفسي أصبحت حركة الجنين أقل استقرارا، لأنه بدلا من أن يهنأ بنوم هادئ وآمن، تقوم هرمونات التوتر التي تدخل له من خلال الرحم بإزعاجه».

ويتابع عن النكد الزوجي وعلاقته بالذكاء فيقول: «الذكاء تختلف معدلاته من بيئة إلى أخرى، تماما مثل البذرة التي تغرس في الأرض وتسقى بماء عذب، فإنها تنبت وتعطي حصادا طيبا، بينما بذرة أخرى مشابهة لو غرست في أرض سبخة، وسقيت بمياه ذات ملوحة مرتفعة، فإنها لا تعطي حصادا مشابها. وكذلك الحال بالنسبة إلى عقلية الطفل الذي يوجد مع أبوين متفاهمين يكرسان أوقاتهما لابنهما، ويساعدانه في دراسته بصورة إيجابية، بينما طفل آخر يعيش مع أبوين متشاكسين، وعلى قدر من الرعاية يحتاج إليها طفلهما.. فمن هنا فإن ذكاء الطفل الأول ينمو ويرتفع ويتقدم وتتعدد أبعاده، بينما ذكاء الطفل الثاني يخبو ويتقدم ببطء شديد» (٤).

مرحلة الرضاعة

ولاشك أن بانتقاله إلى الوسط الخارجي ستكون هناك بعض المؤثرات الإضافية عليه، لأننا نلاحظ أن الطفل يملك أحاسيس سليمة تجاه تعامله مع الآخر ولو لم يتكلم. فمثلا، إن عبست

في وجهه تجده يغير قسمات وجهه، وقد يبدأ بالبكاء، والعكس إذا داعبته يبتسم.

مرحلة الروضة

تأثراته بالوسط المحيط به أكبر من المرحلتين السابقتين. فهذه المرحلة أقرب إلى مرحلة الابتدائي في سنواتها الأولى. وقد لوحظ أن الصراخ الشديد الناجم عن التعصيب يسبب له عاهة في النطق (تأتأة)، نتيجة الرعب الذي يتعرض له من صراخ أبويه وشجارهما معا. وإن استمرار التوتر بشكل مستمر سيصيب الطفل بالخجل والتردد وعدم الإقدام.

مرحلة الابتدائي

أي خلل في تربية الأبوين لأبنائهما سينعكس عليهم صحيا ونفسيا وتربويا وتعليميا واجتماعيا في مرحلة الطفولة وما بعدها. فمن الناحية الصحية والنفسية نتيجة للقلق الذي يعيشه الأبناء من شجار الأبوين، وافتقاد السكينة يصيب الطفل بألم متقطع في الرأس والبطن، بالإضافة إلى التخلف الدراسي والميل إلى العزلة، وقد يتطور إلى الاكتئاب، أو الهرب من البيت في السنتين الأخيرتين من الابتدائي، ليقضي أغلب وقته في الشارع معرضا للفساد الخلقي والتأثر برفاق السوء.

مرحلة المراهقة

شجار الأبوين في هذه المرحلة يظهر عدم الاستجابة لنصائحهما مهما كانت قيمة، أو الهروب من البيت في أقرب فرصة، باحثين عن أصدقاء يعيشون معهم بشكل آمن، ولاشك أن هؤلاء الأصدقاء سيؤثرون على أخلاق ومستقبل هؤلاء الأبناء الهاربين من أسرهم، هروب نفسي ومكاني، ولو كان هذا الهروب هروبا جزئيا يوميا

الآثار السلبية على الأبناء

١	سوء تغذية وأحيانا سمنة مفرطة
٢	هروب من البيت
٣	فشل دراسي
٤	انطواء مع ميل إلى الشرود
٥	مشاكس يميل إلى العدوانية
٦	إهمال النظافة الشخصية
٧	مراوغ وقد يلجأ إلى الكذب
٨	اتكالي لا يعتمد على نفسه
٩	فشل في الحياة العامة
١٠	صورة سيئة عن الأبوين
١١	أصدقاء سوء
١٢	قلة المهارات الاجتماعية
١٣	فشل إداري
١٤	عدم القدرة على بناء عائلة سوية في المستقبل
١٥	قلة أمانة
١٦	اكتئاب قد يصل إلى انفصام الشخصية أو الانتحار

حتى يأتي وقت نوم الأسرة. ويطمئن الابن الهارب أن الجميع قد ناموا، يستيقظ الأب النائم القلق على تأخر ابنه ليستقبله زاجرا له بدرس جديد عن مفاسد التأخر عن البيت حتى آخر الليل، والأم إن استيقظت تسمع ما يجري بين الابن وأبيه متجاهلة ذلك. والابن يهز رأسه من دون أن يجيب أحدهما الآخر. ثم ينصرف الجميع إلى النوم. ولم يدر الأب والأم أنهما السبب في هجر الابن للبيت.

يمكن أن نوجز الأثر السيئ الذي يتركه شجار الأبوين على الأبناء حاضرا ومستقبلا بما يلي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإصابات التي ذكرت في بعض المراحل والمذكورة في الجدول التالي تتفاوت حدتها ونوعيتها بين الأبناء.

الهوامش

١-وقد ورد شرح الميثاق الغليظ في تفسير الطبري: ١٢٧/٨، ما يلي: عن قتادة قوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء:٢١). والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. وقد كان في عقد المسلمين عند نكاحهم: «آلله عليك لتمسكنَّ بمعروف أو لتسرحن بإحسان».

٢ – المقال بعنوان: نحو طفولة سعيدة: الصحة النفسية للجنين. من موقع المستشار.

٣- عن موقع د. غادة حرفوش.

٤- المقال بعنوان: النكد الزوجي تدمير لصحة الحامل، عن موقع إسلام ويب.



إهماله يسبب نقص النمو وقلة التركيز:

فطــور الصبــاح.. نعمة

صبحه بغوره
متخصصة في الشوؤن الأسرية

إنه هاجس كل بيت، وموضوع الشجار الصباحي بين كل أم مع أبنائها، الصيحات نفسها تتعالى يوميا من كل منزل تعبر عن عميق الانشغال من ذهاب الأبناء في غمرة هرولتهم وتسرعهم إلى مدارسهم دون أن يتناولوا وجبة الإفطار كاملة، وتتضاعف الشكوى في موسم الامتحانات، حيث تُضعف عصبيةُ التلاميذ وقلقُهم من درجة شهيتهم للطعام ومنه تصاب الأمهات «بفوبيا» تعرضهم لمشاكل صحية وعلى رأسها فقر الدم (الأنيميا) الناتج عن سوء التغذية وبالأخص نقص الحديد والزنك في الدم.

الملاحظ أن إهمال الأطفال لوجبتهم الصباحية يبدأ بعد التحاقهم بالمدرسة، ذلك أن التغير المفاجئ في نمط حياتهم يصيبهم بالارتباك، إذ لم يعد الأمر كما كان من قبل يجري على مهل وفي فسحة من الوقت، حيث أصبح الطفل مطالبا باحترام أوقات الدراسة، وكل تأخير في النهوض مبكرا معناه أن أمورا أخرى ستتحمل نتائج كسله، ومنها تناوله الكافي لوجبة الإفطار الضرورية لمواجهة ما ينتظره بالمدرسة لأنه سيكون مطالبا باستحضار لياقته الجسمية والذهنية وقدراته العقلية للفهم والاستيعاب وأن يكون حاضرا بحواسه لترسيخ المعلومات وتقبل المفاهيم الجديدة عليه.. إننا بصدد الحديث عن الطاقة اللازمة للأداء المدرسي بشكل عام، بما في ذلك التربية الرياضية التي لن تتوفر له باكتفائه بشرب فنجان الشاي، ومن هنا سيكون الطفل مطالبا بتغيير سلوكاته المنزلية ليكون أكثر إيجابية مع المجتمع المدرسي الذي سيقضي فيه أغلب ساعات النهار، الأمر لا يتعلق بظرف زمني قصير أو طارئ وينقضي، بل إنها سنوات طويلة من الدراسة والكد تشمل فترة نمو الجسم والعقل، تليها فترة مواجهة التغيرات الفيزيولوجية خلال سنوات المراهقة.. والخطورة من إهمال التغذية خلال هذه الفترة العمرية من بناء الجسم أنه سيكون من المستحيل تعويضها بعد مرور السنوات الحيوية في عملية التأسيس الجسماني، وسيصعب علاجها لأن أثرها سيمتد إلى الإصابة بأمراض أخرى تباعا؛ نظرا لنقص كفاية جهاز المناعة في مقاومة بعض



الأمراض المعدية الأخرى.

بذل الجهد الأكبر خلال يوم دراسي الذي يدوم ساعات لا يقابله سوى تناول وجبة إفطار كاملة تحتوي على العناصر الغذائية الرئيسية التي يحتاجها جسم الطفل في عملية بنائه ووقايته من مخاطر التعرض للآثار الناجمة عن نقص أحد هذه العناصر، وعلى رأسها الفيتامينات والمعادن والبروتينات.. التي يترتب على عدم تناولها انخفاض في مستوى الجلوكوز في الدم عن المعدل الطبيعي والإصابة بالصداع والشعور بالدوار والتعرض لحالات الإغماء عند بذل أي جهد؛ مما يؤدي تلقائيا إلى قلة التركيز وعم استيعاب الدروس بصورة جيدة والشعور بالتعب والميل للخمول والخلود كثيرا للنوم، وهي مظاهر تدفع الأهل للالتفات إلى ضرورة البحث عن حلول، خاصة إذا كان الوالدان منشغلين في العمل، حيث تضعف مهمة مراقبة تغذية الأطفال نوعا ما وتفتر جهودهما لتعويدهم على الالتزام بتناول وجبة الإفطار أثناء غيابهما عن المنزل، هذا بالإضافة إلى عادة السهر التي تفشت في وقتنا الحاضر، أما مشاهدة التلفزيون وشاشات الكمبيوتر فيترتب عليها أن الأطفال يعجزون عن النهوض مبكرا ويؤدي استيقاظهم متأخرين إلى عدم قدرتهم على إعداد وجبة الإفطار، ومن هنا تبرز فضائل النوم المبكر وفي أوقات مناسبة ومنتظمة، حيث سيشعرون بجوع شديد في الصباح، فالجسم بعد التوقف عن تناول الطعام لمدة ١٠ ساعات سيحتاج إلى مواد غذائية سهلة الهضم وقادرة على تزويد الجسم بالطاقة بصورة سريعة تتناسب وضيق الوقت المتاح للذهاب إلى المدارس، وسيبدو الفرق واضحا حين يشعرون كم كان للعناصر الغذائية الأساسية التي تناولوها في الصباح من دور مهم في تقوية الذاكرة وتنشيط الخلايا العصبية مما يجعلهم أكثر فهما وإدراكا وتحصيلا، وقد يكون من الواجب التنبه أنه ليس المقصود من وجبة الإفطار أن تكون وجبة دسمة ثقيلة الهضم لأنها تشكل عبئا على الجهاز الهضمي وتسبب عسرا وخمولا، بل إن فائدتها أن تكون خفيفة وسهلة الهضم لكي يبدأ التلميذ يومه بشكل جيد ونشيط على أن تحتوي على العناصر الغنية بالطاقة والفيتامينات الضرورية لتحفيز نشاط المخ لزيادة التركيز.

المتفق عليه بين خبراء التغذية أن وجبة الإفطار توفر ٢٥ في المئة من احتياجات الجسم من العناصر الغذائية التي لا يمكن تعويضها من باقي الوجبات، لذلك يمكن لكل أم الاجتهاد في تعويد أطفالها على تناولها كأن لا تكرر نفس الأصناف كل يوم وأن تستشير أطفالها فيما يحبون تناوله على سبيل التنويع، وكذلك هناك ضرورة يجب مراعاتها مرتبطة بحالة الجو، حيث يكون الميل لتناول العصائر الطبيعية المنعشة صيفا والإكثار من المشروبات الساخنة شتاء، ويرى علماء النفس أن القلق النفسي في المدرسة والخوف من النتائج المحصل عليها يفترض التوقف عندها وتداركها وحسمها بعيدا عن أسلوب الضغط ولغة التهديد بالعقاب وغير ذلك من الأساليب التي يعرف أنها تؤدي إلى نتائج عكسية تماما وعلى رأسها فقدان الشهية للطعام، فعلى الوالدين اتباع أسلوب ذكي يغري الأطفال بتناول وجبتهم الصباحية وسط جو من السرور والاستبشار بيوم جديد، فالسعادة العائلية مفتاح لكل المشاكل مهما عظمت لأنها تعني التوازن النفسي والصحة العصبية، ومنها تتأسس الصحة الجسمية والعقلية.



انطلاقا من الحديث النبوي: «قل آمنت بالله ثم استقم»:

الوازع الديني.. صحة سلوكية

د. منتصر الخطيب
باحث أكاديمي مغربي

عن أبي عمر سفيان بن عبدالله رضي الله عنه:

قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم». فأجابه صلى الله عليه وسلم:

أولا: بالإقرار بالتوحيد لله تعالى ومعرفته بربه.

وثانيا: بالاستقامة على طريقة الدين؛ أوامره ونواهيه، عقائده وعباداته، معاملاته وآدابه.

الحديث إذن يتضمن شطرين أساسيين: «آمنت بالله» و«استقم». اعتقاد وسلوك.. قول وعمل، إنه بصفة مختصرة: الإيمان؛ باعتبار أن الإيمان: قول وعمل.

والاستقامة هنا معناها «ما يجمع معنى حسن العمل والسيرة على الحق والصدق»، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (فصلت:٦)، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود:١١٢). وتطلق كذلك على «الاعتدال والمضي على



النهج دون انحراف» بما يشمل من الحاجة إلى اليقظة الدائمة، والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية التي تميل عن الاتجاه قليلا أو كثيرا.

هذه المعاني المترادفة وردت لتؤكد لنا أن العقيدة الإسلامية جاءت متسمة بالوضوح والبساطة؛ فالإله واحد، مطلق الوحدانية، متفرد بالخلق مطلق التفرد، متصف بصفات الكمال المطلق، وهو يرسل الرسل إلى الناس ليبينوا لهم طريق الحق، فيكون الناس بذلك مسؤولين، يترتب على مسؤوليتهم الثواب والعقاب في الدار الآخرة.

وحقائق العقيدة الإسلامية هذه هي حقائق لا تتجاوز نطاق العقل وإنما هي في حدوده وإمكاناته، بل إن التصديق بها لا يكون تصديقا معتدا به إلا إذا كان ناشئا عن اقتناع عقلي، ولذلك كان القرآن الكريم شديد الإلحاح على استعمال العقل للإيمان بالعقيدة.

فحين عرض الوحي أصول العقيدة الإسلامية من خلال البحث في مصادر المعرفة، التي تجمع بين المصدرين الأساسيين (المصدر الإلهي المتمثل في الوحي، والمصدر البشري المتمثل في العقل والحواس)، أعطى العقل البشري منهجا للاقتناع، وسلك به السبل الموضوعية الموصلة إليه عن طريق تقديم دلائل عقلية وبأسلوب محكم وبرهنة قاطعة.

فالكون إذن بما يشمل من ظواهر طبيعية وإنسانية، وكل ما يعلم من شأن الموجودات في هذه الدنيا من مخلوقات، كالإنسان والحيوان ومكونات الأرض والسماء والأفلاك والنجوم والكواكب والجبال والبحار، وما يتبع ذلك من حركات وسنن كونية، هو مصدر ثقة ويقين للوصول إلى المعرفة. والقرآن في دعوته الناس إلى العقيدة الصحيحة يوقظ فيهم تلك المبادئ الضرورية؛ ليزنوا بها ما هم عليه من اعتقاد:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الروم:٨)، ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ (عبس:٢٤-٣٢)، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية:١٧-٢٠). ومن ثم كان منهج التفكر، الذي دعا إليه القرآن، أساسا في التعامل مع الإنسان منذ طفولته، وحتى إذا وصل الأبناء إلى مرحلة من الرشد والتفكير فحينئذ لا بأس على الآباء من مناقشة أبنائهم في مسائل الاعتقاد والإيمان وعرضها عليهم عرضا جديدا؛ ليكون إيمانهم عن اقتناع وليس عن تكليف. فإذا ما استقبل الشاب قضية إيمانه استقبال اقتناع لا يمكن أبدا للأهواء ولا للانحرافات أن تصل إليه؛ لأنه ستكون عنده مناعة كافية.

إلا أن العقل البشري، ورغم كل تلك الإمكانات، قد لا يصل إلى إدراك جميع المخلوقات وما خفي عنه من أمور الغيبيات، بل حتى إنه قد لا يدرك الحسن والقبيح من الأفعال بصورة إجمالية، فقد أجمع المسلمون على أن الأفعال توصف بالحسن والقبح لا لذواتها ولا لأوصافها ولا لاعتبارات تلحقها، وإنما توصف من حيث تعلق خطاب الشرع بها؛ فإن تعلق بها نهي فهي قبيحة، وإن تعلق بها حسن فهي حسنة، فالقبيح ما نهى الشرع عنه، والحسن ما لم ينه الشرع عنه، فالفعل الواحد قد يدور عليه الحسن والقبح دورات متعددة باختلاف المحل والوقت والعلة.

لذلك كانت العقيدة هي الموجه الرئيسي الذي يدفع بالناشئة إلى التزام طريق الاستقامة، والتعلق بقيم الفضيلة. والنفس البشرية، بحسب فطرتها، تميل إلى ما تمثله الفضيلة، لأنها الكفيلة بإصلاح الانحرافات السلوكية، ولأن أثرها ينعكس بطريقة إيجابية وسريعة على أخلاقية المجتمع، أفرادا وجماعات.

إن مفهوم الصحة النفسية المطلوبة في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الشباب هو خلق حالة من الاتزان

والاعتدال النفسيين الناتجين عن التمتع بقدر من الثبات الانفعالي الذي يميز الشخصية، والمتجلية في الشعور بالطمأنينة والأمان والرضا عن الذات، والقدرة على التكيف مع الواقع وحل مشكلاته وامتلاك مهارات التفاعل الاجتماعي والمشاركة البناءة في تنمية المحيط. وهذا ما رسم طريقه ديننا لبناء الفرد وتكوين شخصيته وسلوكه حتى يكون إنسانا صحيح الجسم والعقل والنفس، وليجعل منه لبنة قوية متماسكة وعنصرا إيجابيا صالحا في مجتمعه. لذلك متى كانت علاقة المراهق بالراشدين - وعلى وجه الخصوص الآباء - سليمة، وساعدوه على إبراز ذاته والاعتماد على نفسه، مع رعايته وتوجيهه، إلا أدى ذلك إلى خلق جو من الثقة في نفسية المراهق ومكنه من نمو صحيح متزن. ومتى عود الشباب نفسه، منذ بداية مرحلة إحساسه بذاته، أن يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله موقنا أن الله تعالى مطلع على جميع أعماله، ومعتقدا أنه تعالى يجازي من أطاعه برضوانه وإحسانه، وأنه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه، إذا عود نفسه على ذلك سهل عليه أن يفعل ما أمره الله به ويجتنب ما نهاه عنه، فإذا سولت له نفسه أن يرتكب أمرا مخالفا، ردها وزجرها وذكرها بعزة الله وجلاله وأنه تعالى قادر على الانتقام منه ومطلع عليه.

ولهذا نجد أنه حتى في العبادات المتكررة التي فرضها الله سبحانه على المسلمين، تضمنت كثيرا من الأسرار النفسية والاجتماعية والمقاصد الحيوية التي تستهدف خير الإنسان وتربية قلبه السليم.

فالصلاة مثلا، وهي عماد الدين وهي أقوى رباط بين العبد وربه، قد اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يكون في تكرارها طرفي النهار وزلفا من الليل ما يعمر الوجدان ويزيد القلب خشوعا فيطمئن القلب بذكر الله وتسلس الغرائز الجامحة، فلا يكاد المؤمن المصلي ينسى ندمه وحياءه من ربه في وقت من الأوقات ويرجع إلى خطيئة جديدة حتى تأتيه الصلاة التي بعدها فيرجع وهو نادم على ذنبه أو تائب منه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥).. والزكاة كذلك تضمنت معنى إكرام الفقراء بإخراج ما زاد على حد النصاب، والصيام كذلك تضمن معنى مشاركة الغير في إحساسهم بالنقص (من الجوع والعطش). ومن هنا يجب علينا أن نعنى العناية كلها بإحياء هذا الوازع الديني في نفوس الشباب، وأن نتخذ منه وسيلة لتحصين القيم الأخلاقية في المجتمع.

فالصحة الإيمانية التي يهتم بها الإسلام إذن في توجيه الأفراد، صغارا وشبابا، تهدف إلى تحرير الإنسان من كل أشكال الخوف أو القلق وكل ما يقود إلى الضعف أو التسامح في الكرامة الإنسانية؛ وكمثال على ذلك مشكلة الخوف والقلق من الموت هي من الأمور الواردة في الحياة الإنسانية.. ومن أجل ذلك نرى الإسلام قد عالج هذا الخوف من خلال عقيدة التوحيد، فيرسخ في وجدان المسلم أن مالك الملك هو وحده الذي يملك الموت والحياة، وأنه هو سبحانه من بيده هذا الأمر ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (العنكبوت:٥٧)، وهذا الموت إنما هو مطية للابتلاء والاختبار ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك:٢)، وأنه هو الذي قدر الآجال وحددها ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف:٣٤).

فالصحة الإيمانية، بما تقتضيه من توافق الفرد مع ذاته وتوافق الفرد مع بيئته وتوفير السلامة النفسية، تضمن له درجات من الأمان والطمأنينة والثبات في الفؤاد، فيؤدي ذلك إلى نوع من الاتزان الانفعالي والعاطفي والعقلي؛ دفعا للصراعات الداخلية المسببة للقلق والتوتر، وقد جاء في الحديث: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (رواه مسلم). وقد عبر محمد إقبال بهذه الكلمة المختصرة التي حدد فيها سمة المؤمن حيث قال: «المؤمن هو من يستقبل الموت وعلى شفته ابتسامة».

إن الحديث النبوي الوارد في عنوان هذا المقال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»، وجدنا فيه أن الرجل سأله أن يبين له في دين الإسلام وشريعته قولا جامعا لأموره، يكفيه بحيث لا يحتاج إلى أن يسأل عنه أحدا بعد رسول الله ﷺ لكونه واضحا في نفسه مبينا لغيره، فأجابه ﷺ بالإقرار بالتوحيد لله تعالى ومعرفته بربه أولا، ثم الاستقامة على طريقة الدين، أوامره ونواهيه، عقائده وعباداته، معاملاته وآدابه، ثانيا، وهذا من بديع جوامع الكلم.

زبيدة ابنة جعفر المنصور

حسن بن محمد
باحث تونسي

هي زبيدة بنت جعفر المنصور الهاشمية العباسية. وزبيدة هو لقب لها وليس اسمها الحقيقي، واسمها هو «أمة العزيز»، لكن غلب عليها لقبها زبيدة، وهي تتحدر من عائلة من أشهر عائلات الخلفاء العباسيين، فهي زوجة الخليفة هارون الرشيد، وأم الخليفة الأمين، وعمها المهدي، وجدها المنصور، وعم أبيها أبو العباس.

ولقد ولدت زبيدة في سنة ١٤٥هجرية في مدينة الموصل في العراق، وتزوجت في سنة ١٦٥ هجرية من الخليفة هارون الرشيد، وأنجبت منه ابنها محمد الأمين. ولقد أحبها الرشيد كثيرا، وبنى لها قصرا جميلا بالقرب من قصره، فلما دخلت قصرها في أول ليلة ورأت أن عدد الجواري اللاتي يخدمنها نحو مئة جارية، كلفت كل واحدة منهن بقراءة جزء من القرآن، وهكذا صار القرآن يقرأ في قصرها كاملا في كل ليلة، وكان كل من يقترب من قصرها يسمع دويا مثل دوي النحل، وعندما يقترب أكثر يسمع قراءة القرآن الكريم من جواريها في القصر.

وزبيدة ابنة جعفر المنصور امرأة نقشت اسمها بأحرف من ذهب في التاريخ الإسلامي، حيث كانت لها بصمة مميزة في وقتها والأزمان التي تلته، وذلك من خلال أهمية الأعمال الخيرية والمنشآت المعمارية والحضارية التي أنجزتها، والتي لا يزال البعض منها قائما إلى يومنا ينتفع منه الكثيرون على الرغم من مرور قرون من الزمن على نشأتها.

ولقد عرفت زبيدة باهتمامها الكبير برعاية شؤون المسلمين وتوفير متطلبات الحياة، ومن ذلك فإن عينا في طريق مكة تنسب إليها، وهي «عين زبيدة» في مكة، التي جلب إليها الماء من أقصى وادي نعمان شرقي مكة، ولقد أقامت لها الأقنية حتى أبلغته مكة، لقد كانت تسعى دائما إلى مساعدة الناس.

وتروي المصادر التاريخية أنه عندما خرجت زبيدة إلى أداء مناسك الحج في سنة ١٨٦ هجرية، وفي طريقها إلى مكة وجدت أن المسلمين يجدون الكثير من المشاق في الحصول على الماء، ووجدت أن الطريق من بغداد إلى مكة طويل جدا يبلغ ألفا وأربعمئة كيلومتر، بحيث يمشي فيه المسافر شهرا أو أكثر، والجميع يعاني، وحتى هي وحراسها، على الرغم مما معهم من الكلأ والماء والدواء عانوا الكثير من مشاق هذا الطريق، ولذلك فقد فكرت في كيفية إيصال الماء إلى الصحراء، وكيفية توفير الماء لهؤلاء المسلمين المحتاجين إليه، فدعت خازن مالها، وأمرته أن يجمع أمهر المهندسين والعمال من أنحاء البلاد الإسلامية، فوفد على مكة أكفأ المهندسين والعمال، وشرعوا في العمل على تهيئة هذا الطريق، فقاموا بوصل منابع الماء من منطقة حنين إلى مكة، وذلك على مسافة عشرة كيلومترات، وأنشأوا عينا جمعوا فيها هذه المياه، وحفرت له العديد من الآبار وشيدت له المنازل والدور، وصار يسمى باسمها «درب زبيدة». وظلت العين صدقة جارية تجاوز عمرها اليوم مئات السنين، وإن هذا المشروع الضخم قد كلف نفقات ضخمة قدرت في ذلك العصر بنحو مليون وسبعمئة ألف دينار.

ولقد أصبح الطريق مفخرة هندسية لتأمين المياه للحجاج، ونقاط استراحة، من خلال بناء شبكة هائلة من خزانات المياه تنطلق من مدينة الكوفة، مرورا بالحدود الشمالية من المملكة العربية السعودية اليوم، ثم مدينة حائل، فالقصيم، ثم يتعرج الطريق في اتجاه الجنوب الغربي قاطعا الصحراء إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة.

وتوفيت زبيدة في بغداد في جمادى الأولى سنة ٢١٦هجرية الموافقة ٨٣١ ميلادية، وكانت حياتها وأعمالها قدوة لنساء الإسلام وبناته، حيث تركت بصمة مميزة ينتفع بها المسلمون بعد رحيلها. وكما أن ذكراها ظلت باقية حية في أذهان المسلمين وفي قلوبهم يتذكرون أخبارها وأخلاقها وثقافتها المميزة، أيضا ظلوا يتناقلون أفعالها في كل مكان.



الشباب العربي والإلحاد الخفي

د. آندي حجازي
أكاديمية أردنية

التقى مؤمن ملحدا ودار بينهما الحوار التالي:

- الملحد للمؤمن: أنت تقول إنك تؤمن بإله واحد وأنه خالق الكون وما فيه، صحيح؟

- المؤمن: نعم، بكل تأكيد؛ والحمد لله أؤمن بالله تعالى الواحد الأحد، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، وجميع المخلوقات.

- الملحد: وما دليلك على أنه الخالق؟ فهل رأيته؟ كيف تؤمن بغيبيات وأشياء غير محسوسة؟ لماذا لا يرينا خالقك نفسه إن كان موجودا حقا؟

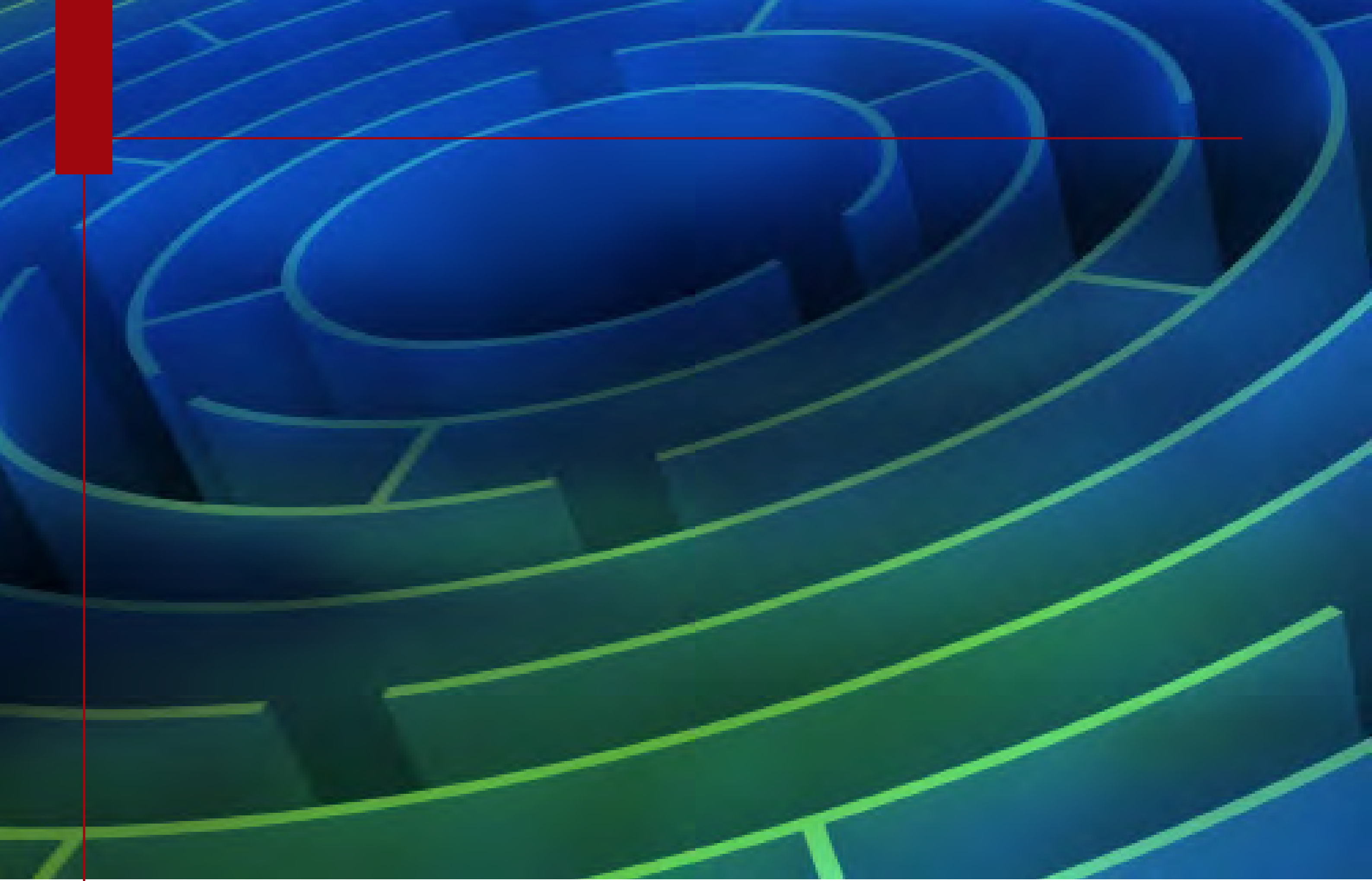
- المؤمن: الله تعالى لم يخدعنا، ولم يتركنا بلا توجيه، فقد أرسل الرسل لتوجيهنا وإعلامنا بغاية وجودنا، وهي طاعته وعبادته وإعمار الأرض، ولن يحاسبنا على شيء من دون إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء:١٥).

ثم إن عدم رؤية الشيء ليس معناه عدم وجوده، فهل ترى الهواء من حولك؟ طبعا لا، فهل عدم رؤيتك للهواء معناه أنه غير موجود؟! فكل شيء حولنا يدل على وجود الهواء، والعواصف خير دليل على وجوده، حتى وإن أنكرت وجود الهواء فهذا لا يعني انتفاء وجوده!

وخذ مثلا آخر: لو وضعت في كوب حليب ملعقة من السكر وأذبتها فهل تراها؟ طبعا لن تراها؟ فهل هذا يعني عدم وجود السكر في الحليب أو الشاي؟! وأنت تتذوق طعمه مما يدل على وجوده.

وأعطيك مثالا ثالثا: أنت عندما تستخدم الغسالة في البيت أو النشافة أو جهاز التلفزيون فهل أنت رأيت صانعها وتعرفه شخصيا؟ غالبا لم تره، فهل عدم تعرفك عليه معناه أن هذه الآلة صنعت وحدها، وأن لا صانع لها، وأنها جاءت من فراغ من التقاء ذراتها بعضها مع بعض عبر السنين حتى تكونت الغسالة أو النشافة أو التلفزيون؟! فهل تقبل بهذا الكلام؟! بالتأكيد لا منطق به! فكيف بالكون العظيم؟! فعدم رؤيتك لصانعه لا يعني عدم وجود خالق له.

وهل الكون يسير في نظام دقيق أم بعشوائية وتخبط؟ فيوم يكون الليل قبل النهار ويوم النهار قبل الليل.. ومرة الشتاء قبل الخريف ومرة الصيف بعد الخريف.. هل ترى هكذا فوضى؟ وهل الكائنات ليس لها نظام موحد من الخلايا والنشأة والتزاوج؟ أفلا يدل كل هذا التوحد في النظام على خالق واحد يدير هذا الكون، ويدبره، وينظم شؤونه بكل دقة وحساب دقيق لا تهاون فيه؟! عندما سئل أعرابي عن الخالق وكيف استدل عليه، فقال ببساطة ذكية: «البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا يدلان على اللطيف الخبير؟!».. إن كان أعرابي ببساطته أدرك وجود الله من علامات وجوده في الكون، فكيف ونحن في عصر العلم والمركبات الفضائية والصور عن الكون والمخلوقات في الغابات والبحار والبحيرات والجبال.. لا ندرك أن



الكون لم يأت صدفة، ولم ينشأ من العدم، بل إن له خالقا عظيما منظما مديرا لهذا الكون؟! قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر:٤٩)، أي بدقة عالية وحساب.

- الملحد: إذن أنت تعتقد أن هناك يوما يسمى يوم القيامة، وهو يوم للحساب على كل شيء؟! وتعتقد أن الناس إما إلى جنة وإما إلى نار؟!

- المؤمن: نعم، صحيح، فالله تعالى حينما خلق الإنسان أعطاه العقل وحرية الاختيار في تصرفاته وأفعاله. ومن عدله محاسبته على تلك الأفعال يوم الحساب؛ ليثيب المحسن ويعاقب المسيء الظالم المفسد، وإلا فكيف سيأخذ الضعيف حقه من القوي؟ والمظلوم من الظالم؟ والمقتول من القاتل؟ أم هي حقوق ضائعة؟!

- الملحد: أنا لا أؤمن بكل ما ذكرت، ولا أحد يستطيع تسجيل كل أفعال البشر. وأريد أن أسألك سؤالا: أنت تؤمن بوجود الله، وتعتقد أنه هو من خلقك ورزقك المال وكل ما تملك، ولذلك عليك أن تقابل ذلك بالعبادة والخضوع والصلاة والصيام ودفع المال، وتقضي حياتك كلها في عبادته ودعائه، وهو قد يسمعك وقد لا يسمعك.. وسؤالي إن كنت قضيت ستين أو سبعين عاما من عمرك في عبادة ذلك الإله والصلاة والصيام له ودعائه، وطلب رجائه، ولكنك اكتشفت بعد مماتك أنه لم يكن موجودا، وأنك قضيت عمرك وكل تلك السنين من دون جدوى! ووجدت أن لا حساب ولا عقاب كما كنت تعتقد.. فماذا سيكون موقفك وشعورك؟

- المؤمن: بداية، أود أن أؤكد لك أنني سعيد بعلاقتي بخالقي وبعبادتي له، وأشعر بقربه ورعايته لي في كثير من المواقف في حياتي، وأشعر باستجابته لدعائي في أحيان كثيرة، وبشفائي عند المرض حينما أدعوه... ولكن، إن وجدت بعد موتي أن لا وجود لخالقي الذي كنت أعبده، وأنني قضيت ستين أو سبعين عاما أو أكثر في عبادته من دون طائل، فلن أندم؛ لأن شعوري سيكون أفضل من شعورك بكثير إن اكتشفت أنت بعد مماتك أن الله حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الحساب موجود والخالق موجود، فعندها إن كنت أنا أضعت ستين أو سبعين عاما من حياتي في طاعة الله؛ فأنت ستكون أضعت حياتك كلها في الآخرة في الجحيم، في حياة أزلية دائمة لا تنتهي ولو بملايين السنين! فأينا سيخسر أكثر؟!

عندها توقف الملحد عن الحوار في غصة في نفسه وصدمة في شعوره.

ما خطورة الإلحاد؟

حينما قررت أن أكتب في موضوع الإلحاد قرأت كثيرا عن الموضوع لأكتب عن علم، فاكتشفت أن للإلحاد شبكات خاصة، عربية وأجنبية، على الإنترنت، وكتبا وكتابا ومجلات، تشجع عليه وتعرض أفكار ملحديها بإصرار، فقرأت بعض موضوعاتها من أجل فهم

كيف يفكر الملحد - على الرغم من خطورة تلك القراءة - وفوجئت كثيرا لإدراكي أين تكمن خطورة الإلحاد؛ فمن يتبنى الفكر الإلحادي لا يكفر بالله فقط؛ بل يترتب على ذلك أنه لا يؤمن بالرسل ولا بالكتب السماوية، كالقرآن الكريم بل يعارضه ويتحداه، ويستهزئ بالأحاديث النبوية وجامعيها، كالبخاري ومسلم، ويصفونها بـ «الهذيان».. ومن هنا تأتي الخطورة الأكبر للإلحاد في واقع الحياة، فعدم الإيمان بهذه الكتب ترتب عليه انتهاك الحرمات بشتى أشكالها! وسأوضح تاليا الفكرة.

فتخيلوا أيها السادة: إنهم يشجعون الدعارة، ويعتبرونها حقا شخصيا! ويدافعون عن الدعارة والزنا والمثلية، وهي اللواط (الذكور مع الذكور) والسحاق (الإناث مع الإناث)، فسبقوا بذلك قوم لوط، الذين غضب الله عليهم لإتيان الذكور الفاحشة مع الذكور.. فكيف اليوم والإناث أصبحن يمارسن الفاحشة مع مثيلاتهن من الجنس؟! فكيف سيكون غضب الله على هؤلاء الملاحدة؟ - دفاع المستميت بشتى الطرق! منطقهم في هذا أن الزنا والمثلية هما لتفريغ الحاجات البشرية بطريقة تساعد على الإنتاجية! ألهذا الحد وصل الانحطاط الأخلاقي في بعض البشر؟! أدنى من الحيوانات؛ بل إن الحيوانات بطبيعتها ترفض ممارسة المثلية (اللواط) مع حيوانات أخرى.

واستمرارا؛ فإن عدم إيمانك بالله معناه: ارتكاب السرقة، والزنا، والقتل، وقول الزور، وشرب الخمر، والكذب، والغش، والخداع، والسحر، والظلم، وكل الفواحش.. فما يدفعك إلى فعل الخير أو الابتعاد عن الشر إن لم يكن ذلك من صميم دينك وعقيدتك؟ فإن كنت تعتقد أن لا إله يرقبك أو سيحاسبك، وأن لا آخرة ولا حساب ولا عقاب بعد الموت، فحتما ستأخذ لنفسك كل هوى وتصريح بارتكاب ما تشاء، فما الذي سيمنعك عندها من شرب خمر أو سرقة مال أو زنا أو قتل أو انتحار؟! وهذه حال غالبية الملاحدة. وهنا تكمن خطورة الإلحاد على مستوى الحياة الدنيا وواقع الحياة، إذ تنقض الأخلاق ولا يعود لها مرجع غير ما يريده الشخص. ولذلك، تجد الملحدين من الأفراد والأمم اليوم في تدهور من النواحي الأخلاقية والأسرية، فيرتكبون شتى صنوف الشر من قتل ودمار واعتداء وعقوق ودعارة وفواحش وربا، وهم في غم واكتئاب وضنك من العيش!

نظريات الإلحاد العالمية

ظهر الإلحاد واللاربوبية واللادينية كحركات ومصطلحات في القرن الثامن عشر! وظهر أول كتاب في الإلحاد في أوروبا عام ١٧٧٠م، حيث بدأت الشعوب الأوروبية تضجر من حكم الكنيسة وتدعو للثورة عليها؛ لمواقفها التسلطية، ولظهور تناقضات بين بعض المخترعات والاكتشافات العلمية وبين الدين المسيحي المحرف. وتبنى الفكر الإلحادي في أوروبا كبار الفلاسفة والمؤرخين مثل: نيتشه، وفولتير، وكارل ماركس، وراسل، وكونت.

فمثلا كارل ماركس (فيلسوف واقتصادي وعالم اجتماع ألماني في القرن التاسع عشر)، دعا إلى الشيوعية، وأنشأ الماركسية ذات الإلحادية المتشددة، التي تدعو إلى تعظيم المادة؛ فلا إله، بل الحياة مادة، والمادة لا تفنى بل تتجدد وتتطور وحدها (من دون خالق)! وادعى ماركس أن الدين أفيون الشعوب ومخدر لها.. وانتشرت الشيوعية بالقوة، حتى كتب الله لها الانهيار والسقوط لفسادها.

ودعا أوغست كونت (عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي في القرن التاسع عشر) إلى فكرة الوضعية، وهي مذهب فلسفي إلحادي ينكر وجود الأديان، ولا يؤمن إلا بالأشياء المحسوسة أو المعرفة المنبعثة من الأبحاث والأدلة العلمية التجريبية؛ فلا تُعرف الأشياء إلا بالمشاهدة أو التجريب.. فأنكر وجود الله تعالى والجنة والنار والملائكة، واعتقد كونت «أن العالم سيصل إلى مرحلة من الفكر والثقافة ينفي بها كل القضايا الدينية، وتبقى القضايا العلمية فقط التي أُثبتت بالحواس، وعندها سيمحى الدين من ساحة المجتمعات البشرية».

وأسوأ النظريات الإلحادية التي تضم كبار الملحدين في العالم؛ هي الداروينية التي أسسها داروين في القرن التاسع عشر، والتي تؤمن بأن المخلوقات جميعها لها أصل واحد وهو الخلية البسيطة ثم أخذت تتطور وترتقي من طور إلى طور حتى نشأ الإنسان، وبأن الطبيعة هي التي كانت تختار الأصلح للبقاء (بمصطلح: الانتخاب الطبيعي، أو البقاء للأصلح)، فالإنسان لا خالق له وهو وليد ملايين السنوات من التطور الطبيعي والنشوء والارتقاء بين الأنواع المختلفة من الكائنات في الطبيعة، فالطبيعة هي الخالقة والمطورة للكائنات... في منطق عجيب! على الرغم من عدم وجود دليل علمي لها؛ ولو كانت حقا لشاهدنا كثيرا من الحيوانات والناس يأتون إلى الوجود عن طريق التطور لا عن طريق التناسل فقط؛ غير أن هذه النظرية الملحدة اجتاحت العالم الغربي اجتياحا غريبا، وأثرت في ثقافته، وتدرس في مدارسه وجامعاته وبعض مدارسنا وجامعاتنا العربية!

الإلحاد والشباب العربي

بدأ الفكر الإلحادي يتسلل إلى العالم الإسلامي نتيجة البعثات الخارجية

للطلبة للتعلم بدءا من القرن التاسع عشر، فتأثر بعض هؤلاء الطلبة بأفكار العالم الغربي وبالفروقات التطورية، كما انتشر نتيجة حركات الاستعمار للعالم العربي في القرن العشرين وبث أفكاره الهدامة للدين. ومع سقوط الخلافة العثمانية ودخول العلمانية العالم الإسلامي والعربي كحركة جديدة تهدف إلى إقصاء الدين عن الحياة، وبناء مؤسسات المجتمع على أصول مادية بحتة لا دخل للدين فيها لا من قريب ولا بعيد، فنشأت مجتمعات بعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي والإيمان الحقيقي بالله، مع رفض الشعائر الإسلامية ومحاربتها، مما أدى إلى البعد عن الدين وصولا إلى الإلحاد لدى بعض فئات الشباب المسلم.. كل هذه العوامل ساعدت على دخول الفكر الإلحادي بشكل خفي غير معلن إلى عالمنا العربي آنذاك.

واليوم، بدأ الإلحاد ينمو أكثر فأكثر في الظلام وفي الخفاء لدى بعض شبابنا العربي والمسلم (ذكورا وإناثا) بطريقة لا يعلم بها إلا الله، وبشكل يدعونا إلى التوقف والنظر والتفحص للعوامل المعززة لتلك الظاهرة، وطرح تساؤلات وعلامات استفهام حول الأسباب التي أدت إلى هذا التدهور وتلك الردة في الدين، في محاولة لصد تفاقم هذه الظاهرة، التي نأمل ألا تكون قد وصلت إلى مرحلة الظاهرة، وأن تتقوقع في مكانها.

أهم الأسباب:

• اتباع الشهوات والأهواء

حينما سئل العالم المصري مصطفى محمود (الذي كان ملحدا ثم عاد إلى الإسلام مكتشفا خطأه وزيف معتقده) في لقاء تلفزيوني بث له، عن السبب الذي يجعل الشخص يلحد، أجاب أن الملحد يرفض فكرة وجود الإله وعبادته والخضوع له، من أجل تخليص نفسه من الفرائض والشعائر والتكاليف التي أرادها الخالق منه، فهو يبحث عن راحته واتباع شهواته دونما أي محاسبة أو مساءلة أو تكليف أو عبء على النفس، فهو يحب اتباع شهواته وأهوائه.. يفعل ما يريد دونما حساب أو عقاب، وغالبا ما يكون تعود ذلك منذ الصغر، فلم تقم تربيته على الهداية والصلاح. وهو أيضا يرفض، استكبارا منه وعنجهية، فكرة وجود من هو أعلى منه وأفضل، وهو الرسول الذي أرسل من الله الخالق ليوصل رسالة للبشر، بل قد يقارن نفسه بالخالق ذاته، فلماذا يعبد هذا الإله ويخضع له؟! ومن هنا يأتي الإلحاد.

• وسائل الإعلام والإلحاد

إن الانفتاح الشديد اليوم عبر وسائل الإعلام والمحطات التلفزيونية والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، بما تعرضه من أفلام وصور وبرامج ونماذج لشخصيات وحوارات وطرق حياة فاسدة.. لم تترك من طريق أو وسيلة للوصول إلى مبتغى كل إنسان، فشجعت الفاحشة والرذيلة لمن يبغيهما. والمشكلة في تعود النشء والشباب على رؤية ما تحرم رؤيته، وسماع ما يحرم سماعه، مما جعل المشاعر تتبلد تجاه الحلال والحرام بطريقة تؤدي في كثير من الأحيان إلى البعد عن الله واتباع طريق الضلال تدريجيا وصولا إلى الإلحاد والكفر، كما بتنا نرى. فبعض شباب المسلمين تشربوا من تلك الأفكار التي تبث وتدس في الأفلام والبرامج الحوارية عبر القنوات الفضائية والإنترنت بطريقة أصبحوا يقتنعون بها، ويمارسون ما ألفوا رؤيته؛ كيف لا وهم لم يتعمقوا في الدين الإسلامي بشكل حقيقي وبعيدون عنه كل البعد! فانتهجوا طريق الإلحاد من دون علم من أحد، حتى من والديهم، فالإلحاد يبدأ خفيا في المعتقد ثم يطفو على السطح خبثا وفسادا وإفسادا.

• دعوات التحرر والانفلات الديني

نتيجة التأثر بالحضارة الغربية المتقدمة وبنظريات الغرب، وتعلق الناس بالفكر الغربي المادي، والافتتان بإنتاجه وعلومه وما وصل إليه الغربيون، مع غض الطرف عن أخلاقهم وسلوكياتهم ومعتقداتهم الإيمانية، فقد تنامت دعوات التحرر من الأديان وعدم التمسك بدين، والتحرر من الإيمان بالخالق، وكذلك تشجيع العلمانية لتنحية الدين والشرع عن التطبيق في واقع الحياة وتنظيم شؤون الناس، مع تشجيع الانفلات الخلقي، وترك اللباس الشرعي للمرأة بدعوى تحررها، ومحاربة علماء الدين علانية وعبر وسائل الإعلام ومهاجمتهم، والتمرد على أحكام الشريعة والاستهزاء بها، والادعاء بأن الدين يدعو إلى التخلف والرجعية والقتل والدمار والإرهاب! وصولا إلى الدعوات الصريحة للإلحاد وفتح باب الردة ودعوات الشيطان باسم الحرية الفردية.. كل هذا أدى إلى زيادة أعداد الملحدين الضالين عن طريق الهدى في عالمنا العربي، خصوصا لدى فئات الشباب الذين يكونون على مفترق طرق في بداية حياتهم ليختاروا الطريق.. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (آل عمران:٨).

وعلينا النصح والإرشاد والتوعية ودعوة هؤلاء لتحكيم العقل، والإمعان في الكون وفي كل المخلوقات والظواهر، فهي تدل على قدرة الله وأنه الإله لهذا الكون. فالعقل السليم يدل الإنسان على الخالق القدير. ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١). ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣).

د. فتحي سعيد: سبع محددات لسعادة الإنسان أهمها علاقته بربه

«نحن نفكر بدرجة أقل مما نعرف.. وما نعرف أقل بكثير مما نحب.. وما نحب أقل بكثير مما يوجد حولنا.. وعند هذا المدى الضيق.. فنحن أقل بكثير مما يجب أن نكون عليه.. فغيروا إدراككم تتغير حياتكم».. بهذه العبارات تحدث د. فتحي سعيد استشاري الصحة النفسية وتطوير الـذات، إلى «الوعي الشبابي» وكان هذا الحوار:



بداية.. وباعتبارك أحد خبراء التنمية البشرية وصاحب كتابات عديدة في تطوير الـذات.. ما طبيعة هذا العلم وكيف للشباب أن يستفيدوا منه؟

نصيحتي دائما لكل شاب إذا أردت النجاح فأنت تحتاج أن تربط بين مهاراتك الشخصية والأخرى الفنية والفكرية، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن نسبة ٧٪ من نجاح أي إنسان، تعود إلى شهادته الجامعية بينما نسبة ٩٣٪ تعود إلى حجم مهاراته الفكرية والفنية.

وبشكل عام، أجد أن مجال التنمية البشرية مفتقد للمدربين الأكفاء، فهناك ضعف عام في مستوى المدربين الممارسين حاليا ممن لا يطبقون أخلاقيات المهنة بالشكل المطلوب، إضافة إلى دور الإعلام السلبي، وهو ما أدى إلى ثقافة تهميش دور التدريب وتطوير الذات، فقد كان النبي ﷺ يقوم بعقد حلقات درس لأصحابه ليبث فيهم روح الهمة والحماس ولتعريفهم وتثقيفهم بأمور دينهم، بينما كان هناك حلقات أخرى لخدمة المسلمين وحل مشاكلهم، الأمر الذي يوضح مدى اهتمام ديننا الإسلامي بتنمية فكر المسلمين وتثقيفهم وتعليمهم المهارات، وبالنظر إلى خطبة الجمعة ما هي إلا دورة تدريبية لتحسين الذات.. والغرب آمن بذلك وأخذ منا أهمية فكرة التدريب وتطوير الذات وأصبحوا يهتمون بتطوير العقول.

هل يمكن أن تبسط لنا مفهوم البرمجة اللغوية العصبية.. وأيضا كيفية الاستفادة منها؟

البرمجة اللغوية العصبية هي أحدى المهارات، وجزء من العلاج السلوكي المعرفي المبنى على قاعدة «كل مثير يصنع استجابة».. فحينما تقوم بالتفكير في فكرة سلبية، ستجد نفسك تأثرت وشعرت بحزن، والعكس صحيح إذا قمت بالتفكير في أي فكرة إيجابية تتعلق بحياتك أو عملك فستشعر بالسعادة أو التفاؤل حتما.. لذلك فإننا يمكننا القول أن العلاقة بين المثير والاستجابة هي في الأساس علاقة طردية.

السعادة غاية يسعى إليها كل شاب.. فهل يُمكن أن توضح لنا مفاتيحها؟

سعادة أي شاب تتحقق حينما يحدد هدفا معينا في حياته ويبدأ في السعي لتحقيقه عن طريق الاجتهاد والعمل الحقيقي وليس مجرد التمني، حينها سيشعر بلذة مجهوده ومتعة خاصة حينما يصل في النهاية بعد كد وتعب، إلى ما يريد.

وبشكل عام يمكننا القول إن سعادة أي إنسان مبنية على سبعة جوانب بالوصول إليها جميعا تتحقق السعادة الكاملة، أولها الركن الروحاني، وهو الذي يخص علاقة العبد بربه، والعمل على رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته وأداء جميع الفروض الدينية، وبتحقيق هذا الركن يشعر الفرد بسعادة غامرة.

الركن الثاني هو الجسماني: ويرتبط بصحة الإنسان البدنية، والركن الصحي يشمل التغذية والتربية النفسية، إضافة إلى قسم الرياضة وأهميته، والركن العائلي: لاشك أن استقرارك الأسري وعلاقتك الجيدة بزوجتك وأبنائك ووالديك يحقق لك راحة بال وصفاء ذهنيا كبيرا، والركن الاجتماعي: وهو ما يخص علاقاتك بزملائك وأصدقائك وشبكة علاقاتك الاجتماعية بمن حولك، وتحقيق التوازن في هذا الركن يزيد من ثقة الإنسان بنفسه ورغبته في الحياة.

والركن المهني: والخاص بعملك ومدى اجتهادك به ومدى قدرتك على تحقيق ذاتك به، وأخيرا الجانب المادي: والذي يمثل وسيلة وليس غاية، فجميعنا نعمل من أجل المال والذي يحقق لنا جزءا من السعادة في توفير الاحتياجات.

ست خطوات رئيسية لتخطي الأزمات

تنصح خبيرة التنمية الذاتية الأميركية، سارة دانيال، بخطوات رئيسية لتخطي الأزمات، وتقول في مدونتها:



١ – تمالك أعصابك: في مواجهة الأزمات، عليك قبل كل شيء تملك أعصابك.

٢ – الجأ لمكان هادئ وحدك: حاول الاتجاه لمكان هادئ يمتاز بخصوصية ما، واحرص على أن تجلس وحدك.

٣ – حل الأزمة: هذه الخطوة من أهم ما تحتاج لاتباعه لحل أزماتك.

٤ – كن صادقا مع ذاتك: عليك أن تصارح ذاتك بما لها وما عليها في خضم الأزمة.

٥ – احزم أمرك: بعد الوصول لقرار في التصرف الواجب أمام الأزمة، احزم أمرك.

٦– لا تندم: اعتبر كل الأزمات اختبارات ودروس حياة، ولا تندم على ما تفعل.

ست فوائد صحية للقراءة قبل النوم

القراءة ليست مجرد هواية أو وسيلة للمعرفة والتعلم، هناك فوائد صحية لـعـادة الـقـراءة قـبـل الـنـوم حتـى لو كانت مجرد قراءة سريعة، من أهمها الوقاية من الزهايمر، وتحسين عملية الاسـتـغـراق فـي الـنـعـاس، وخفض مستويات هرمون الكورتيزول، وإليك ما تحتاج معرفته عن الفوائد الصحية للقراءة قبل النوم:



ـ تساعد القراءة السريعة قبل النوم على تهيئة الجسم للاسترخاء والنعاس.

ـ تحسين الوظائف الإدراكيـة. وجدت نتائج بحث أجرته جامعة شمال إلينوي أن القراءة السريعة قبل النوم تحسن القدرات المعرفية، وتزيد من محصول المفردات.

ـ تخفيف الضغوط النفسية. أعراض الشعور بالقلق والاكتئاب من المشاكل النفسية الأكثر شيوعا في الليل، وقد أشارت تقارير طبية بريطانية إلى أن القراءة قبل النوم تخفف من حدة القلق والتوتر، وتبعد أعراض الاكتئاب.

ـ تعزيز النوم. تساعد القراءة السريعة قبل النوم على تهيئة الجسم للاسترخاء والنعاس. وتشير التقارير الطبية إلى أن القراءة تساعد الناس على سرعة الغفو والاستغراق في النوم.

ـ الوقاية من الزهـايمـر. تساعد بعض الـعـادات الحـيـاتـيـة عـلـى الـوقـايـة من الزهايمر أو تأخير الإصابة به أو تخفيف حدتـه. وقـد وجـدت بعض الدراسات أن القراءة قبل النوم ترتبط بانخفاض مـخـاطـر الإصـابـة بـالـزهـايـمـر، وأن أي نشـاط محفّز للذهن يـدخـل فـي دائرة الأنشطة الوقائية.

ـ تقليل مستويات الكورتيزول. ليست كل مستويات الكورتيزول سيئة، فقط عند ارتفاع مستوياته يحدث الإجهاد المزمن، ويؤثر ذلك على الجهاز الهضمي، ويسبب الاكتئاب. انخفاض مستويات الكورتيزول يحد من التوتر، وهو من فوائد القراءة قبل النوم.

ـ تنمية الذكاء العاطفي. تزيد القراءة قبل النوم مستويات الذكاء العاطفي، وتطوّر قدرة الشخص على التجاوب بحنان، وفقا لبحث نشرته مجلة «ساينس»، حيث تبين أن قراءة القصص الأدبيـة قبل النـوم تزيد القـدرة على فهم عقليات ومشاعر الآخرين.

الكويتي العبدالرزاق يحقق المركز الأول في بطولة العالم للدراجات المائية

حقق متسابق الدراجات المائية الكويتي يوسف العبدالرزاق يوم ١٠ أكتوبر ٢٠١٥م كأس المركز الأول في فئة «محدودة التعديل» لكبار المحترفين في بطولة العالم لعبة الدراجات المائية المقامة حاليا في أميركا.



وجاء ذلك بعد تحقيق العبدالرزاق المركز الثاني في البطولة وشطب نتائج المتسابق صاحب المركز الأول وهو من تايلند من قبل اللجنة التحكيمية للبطولة التي تقام ببحيرة هافاسو بولاية أريزونا الأميركية.

وأعرب العبدالرزاق وهو من فريق «كي. أس. آر» عن بالغ سعادته بهذا الإنجاز «الذي جاء ثمرة جهود كبيرة بذلتها وكذلك أعضاء فريقي خلال الفترة الماضية توجت بنيل هذا المركز في بطولة العالم».

وأضاف أنه تمكن رغم المنافسة الشديدة من قبل أفضل السائقين في العالم من تحقيق المركز الثاني ورفع علم الكويت على منصات التتويج في هذا المحفل العالمي الكبير.

وأشاد المتسابق الكويتي بطاقم فريقه وما قام به أعضاؤه من تعاون وعمل متواصل وتجهيز الدراجة بقيادة مدير الفريق والمتسابق أحمد الدواس «الذين كان لجهودهم الأثر الأكبر في نيله لهذا المركز المتقدم».

وأشاد بالدعم الحكومي الذي قدم له من خلال الهيئة العامة للشباب والرياضة واللجنة الأولمبية الكويتية إضافة إلى القطاع الخاص من خلال شركة زين للاتصالات لما لذلك من أثر كبير في مواصلة تحقيق الإنجازات الوطنية في المحافل الدولية.

معركة الوعي: سؤال الحداثة



د. عمرو عبد الكريم

سؤال الحداثة أحد أهم أسئلة وإشكالات الوعي الحضاري في عالمنا المعاصر، وخاصة في عالمنا العربي الإسلامي.

فمنذ أكثر من قرنين والمواجهة الحضارية بين عالم المسلمين الذي استكان لقرون عدة، وعالم الغرب الاستعماري المنفتح على ثروات وإمكانات العالم وخاصة الإسلامي منه دائرة على أشدها.

فلم تكن المواجهة بين الفرنسيين والمماليك في شوارع القاهرة في الحملة الفرنسية على مصر عام مواجهة بين جيشين، بل كانت مواجهة حضارية ضارية بين تكوينين حضاريين: حضارة هامدة في طور الأفول، وحضارة شرسة في طور الانفتاح والإعداد القوي للسيطرة على ثروات العالم الإسلامي والتحكم في طرق التجارة العالمية وممراتها المائية من مضايق وبحار.

الحداثة مصطلح برز في المجالين الثقافي والفكري التاريخي ليدل على مرحلة التطور التي طبعت أوروبا بشكل خاص في مرحلة العصور الحديثة، حيث يمكن في هذا الإطار تقسيم التاريخ إلى خمسة أجزاء: ما قبل التاريخ، التاريخ القديم، العصور الوسطى، العصر الحديث والعصر ما بعد الحديث.

ومن ثم فابتداء من التعريف أو تحديد الماهية أضحت مشكلة الحداثة الكبرى هي مركزيتها الأوروبية الطاغية التي جعلت من المعايير الأوروبية أو الغربية هي المعيار الذي تقاس به الأشياء والأفكار والأحداث، بل والقيم، وأصبحت الحضارة الغربية: فكرا ومفاهيم وقيما ومنتجات هي الحكم على ما عداها من حضارات العالم.

إذن: جوهر مفهوم الحداثة هو جملة التحولات العميقة التي طرأت على العالم الغربي مشكلة ما نطلق عليه: النمط الحضاري الغربي، تلك التحولات التي بدأت في القرن السادس عشر مع النهضة والإصلاح الديني، وترسخت الحداثة: مفاهيما ووجودا مع ثقافات عصر التنوير، ومع الثورة الفرنسية، ثم أخذت تتوسع مع الثورة الصناعية والثورة التكنولوجية، ومع ثورة الاتصالات توسع المفهوم ليشمل العالم كله وتفرض منهجا على فكر العالم وواقعه.

وفي هذا الإطار قامت الأسس الفكرية للحداثة على ثلاثة مبادئ أساسية:

الأول: مبدأ العقلانية، والمقصود به هو إعلاء شأن العقل، واعتبار أنه لا سلطان على العقل إلا العقل، واعتباره هو الحكم الذي تعلو سلطته جميع السلطات، ومن ثم لا مدخل للوحي الإلهي في اعتبار الحقائق، لقد قصرت الحداثة اشتغالها على الإنسان وكفى.

ثم المبدأ الثاني: مبدأ العلمانية أو الدنيوية، بمعنى قصر اهتمام الحداثة على الدنيا دون الآخرة، فليس في التصور الحداثي عالم آخر، وليس فيه موت ولا حياة، ولا بعث ولا نشور، ولا حساب ولا جزاء، ولا دار آخرة.

المبدأ الثالث: هو أولوية الذاتية الإنسانية بما يعنيه ذلك من إقرار بفردانية الفرد وحريته ومسؤوليته وحقه في نقد ما يتلقى أو ما يفرض عليه من طرف سُلط التقليد، واستقلاليته في الفعل.

وترتكز الأفكار الرئيسية للحداثة في السياق الحضاري الغربي على فكرتين مركزيتين هما: فكرة الثورة ضد التقليد، والثانية: فكرة مركزية العقل.

لذا تعد مشكلة الحداثة الغربية الأساسية أنها تجاوزت أطرها وبيئتها المكانية والزمانية وفرضت نفسها منهجا وحيدا للانفكاك من عصور التخلف، وكانت من القوة بمكان أنها فرضت تصوراتها للإنسان والكون والحياة على مختلف حضارات العالم.

ولعل ذلك ما جعل من فكرة الحداثة محلا للاستهداف حتى من داخل الإطار الفكري الغربي ذاته، وكان الاشتباك في كثير من حالاته اشتباكا

مع منتجات الحداثة أكثر من نقد الحداثة نفسها: أصولا وجوهرا ومنهجا.

ونعرض هنا لصوتين مهمين في نقد الحداثة، صوت من العالم الغربي، وآخر من عالم المسلمين: فالمفكر الفرنسي آلان تورين وهو أحد أهم نقاد الحداثة في التشكيل الحضاري الغربي ركز في كتابه «نقد الحداثة» على رفض الاستسلام للتقنية الذي يورث الكوارث في المجالين الاجتماعي والاقتصادي.

لقد حاول تورين تقديم جهد نظري في إصلاح الحداثة، أو إن شئنا الدقة إنقاذها بالعودة إلى الأصول التي انطلقت منها كمرجعية أساسية لتصحيح مسارها الخاطئ الذي أدى إلى التوتر والأزمة؛ حيث طرح الحداثة كمخرج من الحداثة التي انكشفت عن أزمات كبرى.

لقد وضع تورين يده على عمق جرح الحداثة حينما قال: إن مأساة الحداثة أنها تطورت ضد ذاتها. وهذا يعني أنها وجدت من أجل تحرير الإنسان ولكنها وفي سياق تطورها وضعته في أقفاص عبودية جديدة هي عبودية العقل والعقلانية، لقد أصبحت الذات الإنسانية في سياق هذا التطور موضعا للعلم والعقلانية، وتم استلاب هذه الذات من مقومات وجودها الإنسانية.

ويرى تورين أن الحداثة بقدر ما تنتصر بقدر ما تفقد قدرتها على التحرير، إن دعوة التنوير مؤثرة عندما يكون العالم غارقا في الظلام والجهل والعبودية.

ومن أجل تفسير هذا التناقض يقول تورين حول شرح إشكالية التحرير والعبودية فيما بين عصر التقاليد وعصر الحداثة: «كنا نعيش في الصمت صرنا نعيش في الضجيج، كنا معزولين فصرنا ضائعين وسط الزحام، كنا نتسلم قليلا من الرسائل والآن تنهمر علينا كوابل من نار، لقد انتزعتنا الحداثة من الحدود الضيقة للثقافة التقليدية المحلية التي كنا نحياها وألقت بنا في جحيم الحرية الفردية، لقد ناضلنا ضد نظم الحكم القديمة الفاسدة وميراثها، أما في القرن العشرين فضد الأنظمة الجديدة والمجتمع الجديد والإنسان الجديد».

وبينما تورين يحاول نقد الحداثة من على ذات الأرضية الحداثية يقع العالم الغربي في متاهات ما بعد الحداثة والعدمية وتشيؤ الإنسان وتلاشي منظومة العلاقات الاجتماعية والإنسانية وسيطرة المفاهيم المادية وبروز حضارة الإنسان ذات البعد الواحد.

أما أهم الأصوات الناقدة للحداثة الغربية من عالمنا فهو أستاذنا الدكتور عبدالوهاب المسيري (رحمه الله) الذي كان أحد أهم الأصوات العربية في نقد مفاهيم وأفكار الحداثة الغربية، بل ورفض الفرض القسري لأزمات الحداثة على مجتمعاتنا التي لم تشهد التحولات الفكرية الكبرى التي عاشتها المنظومة الفكرية الغربية بمختلف مراحلها: النهضة، الأنوار، الحداثة، ما بعد الحداثة، فليس هناك لمعنى من مجابهة فكر لم نعان أزمنته بنظريات لم ننتجها!

وكان مساهمة المسيري الفكرية الكبرى هو تقديمه لما سماه بالحداثة الإنسانية الإسلامية والتي يراها حلا لا للعالم الإسلامي فقط، بل حلا للإنسانية جمعاء بعيدا عن تحيزات الخطاب الإسلامي بمختلف أشكالها.

في كتابه: دراسات معرفية في الحداثة الغربية حاول الدكتور المسيري استجلاء وتفكيك معالم فكر الحداثة والحضارة الغربية والنموذج المعرفي الكامن وراء نظرياتها ومنتجاتها الحضارية، كما تناول بعض قضايا المنهج المتصلة بقضية دراسة الحضارة وعلاقة الأفكار بالواقع.

وفي هذا الكتاب دراسات عن الحضارة الغربية الحديثة والنموذج المعرفي الكامن وراء بعض نظرياتها ومنتجاتها الحضارية، وعن بعض أهم المفاهيم المحورية فيها مثل: «الإنسان الطبيعي»، و«الاستنارة»، و«العلمانية».

كما حاول المسيري تحديد سمات هذا النموذج الأساسية، فيذهب إلى أن الحداثة الغربية حداثة منفصلة عن القيمة (value-free)، والتي يشير لها المسيري بصفتها الحداثة المادية أو الحداثة الداروينية؛ لأنها تجعل «الصراع» هو جوهر العلاقات الإنسانية. وبيّن المسيري خطر تبديات النموذج الحضاري الغربي على مجمل حياة الإنسان، العامة والخاصة، في الشرق والغرب.

ودراسة الظواهر الحضارية المركبة مختلفة عن دراسة الظواهر الطبيعية المادية والظواهر الإنسانية البسيطة؛ فالنتائج التي يصل إليها الدارس هي نتائج في معظمها احتمالية. ولتوضيح هذه القضية يقدم المسيري ثلاث دراسات في فكر عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر، والهدف منها توضيح منهجه في دراسة الظواهر الحضارية الحديثة، فهو يستخدم النماذج المركبة متعددة الأبعاد ليفسر ظواهر مثل الرأسمالية والعلمانية، ويبين علاقتهما بحركة الإصلاح الديني في الغرب.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

مفهوم الحضارة عند الدكتور حسين مؤنس

الحضارة ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته؛ سواء أكان هذا الجهد مقصودا أو غير مقصود، وسواء أكانت هذه الثمرة مادية أو معنوية.

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

إن الحضارة هي روح الشعب، وإنها الفيْصَل بين الإنسانية والبدائية، وإن مشكلة أي أمة إنما هي مشكلة حضارية.
وثمة ثلاثة عوالم أساسية تبني التاريخ، الذي يصنع بدوره الحضارة؛ وهي عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء. وليس بمقدور هذه العوالم التأثير والاشتغال إلا إذا ترابطت وتلازمتْ، وأي خَلل يطال أحدها أو بعضها فمعناه التعطل عن العمل أو العمل الناقص.

مفهوم الحضارة عند ابن خلدون

الحضارة إنما هي تفنُّن في الترف وإحْكام الصنائع المستعْمَلة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفَرْش والأبْنية وسائر عوائِد المنزل وأحواله.

مقولات في الوعي الحضاري

«حياة الإنسان لا تقاس بطول السنين بل بعرض الأحداث».

الشيخ علي الطنطاوي

«ليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي».

مالك بن نبي

إن المبادئ والأفكار في ذاتها - بلا عقيدة دافعة - مجرد كلمات خاوية أو على الأكثر معان ميتة! والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشعة من قلب إنسان! لن يؤمن الآخرون بمبدأ أو فكرة تنبت في ذهن بارد لا في قلب مشع.

الشيخ محمد الغزالي

عرض كتاب

روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية)

د. طه عبدالرحمن

الرباط: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦ م، ٢٨٧ صفحة.

طه عبدالرحمن هو أحد أهم الفلاسفة العرب المعاصرين والذين يبدعون مفاهيمهم وينحتون أفكارهم ويقفون على أرض صلبة من المعارف والعلوم تسمح لهم بالتفاعل الحر الواعي مع فضاءات الفلسفة الغربية (تحديدا) تفاعلا متمكنا.

يرى المؤلف أن المجتمع المسلم يعيش حالة من التيه الفكري، حيث تتوارد عليه كثرة من مثل هذه المفاهيم التي تضعها المجتمعات الأخرى، لا قدرة له على استيعابها ولا طاقة له على صرفها. والواقع أن المجتمع المسلم مالم يهتدِ إلى إبداع مفاهيمه أو إعادة إبداع مفاهيم غيره حتى كأنها من إبداعه ابتداءً، فلا مطمع في أن يخرج من هذا التيه المُهلك الذي أصاب العقول. ونحن نرى بعض فئات مجتمعنا تدّعي أنها استطاعت أن تهتدي في هذا التيه. ويرى المؤلف أن هذه الفئة ما هي إلا الفئة المقلّدة. وهم على نوعين، مقلّدة المتقدمين ومقلّدة المتأخرين من غير المسلمين. ومما لاشك فيه أن التقليد ليس فيه شيء من الإبداع.

ويبدع طه عبدالرحمن مفاهيم إجرائية من داخل التراث الإسلامي ويتّبع في هذا الإبداع قاعدتين منهجيتين هو من وضعهما:

١- كل أمر منقول مُعتَرض عليه، حتى تَثْبُت بالدليل صحته. وبمقتضى هذه القاعدة يكون السؤال: بم تثبت المفاهيم المنقولة؟ ويسميه المؤلف «النقد الإثباتي».

٢- كل أمر مأصول مُسلّم به، حتى يَثْبُت بالدليل فساده. وبمقتضى هذه القاعدة يكون السؤال: بم تبطُل المفاهيم المأصولة؟ ويسميه المؤلف «النقد الإبطالي».

والحداثة أحد أهم مفاهيم الحضارة الغربية، واختلف مفكرو الأمة الإسلامية وعلماؤها في كيفية التعامل معها ابتداء ومع منتجاتها انتهاء، ومن الاختلاف حولها من أول التعريف حتى الماهية، ومن المقدمات حتى النتائج.

يفرق طه عبدالرحمن بين روح الحداثة وواقع الحداثة. فيرى أن الحداثة عبارة عن إمكانات متعددة، وليست كما رسخ في الأذهان إمكانا واحدا، ويستدل على ذلك بأن المشهد الحداثي الغربي فيه من التنوع ما يجعلنا نقول أن هناك حداثات وليست حداثة واحدة، بل يمكن اعتبار أن نموذج الحداثة الغربية هو أحد تجليات روح الحداثة، وليس التجلي الوحيد.

ومن هذا المنطلق لا مانع لديه من أن تكون هناك حداثة إسلامية، فكل جديد نافع له في الإسلام نسب، وله بالدين المنزل صلة.

ويؤكد طه عبدالرحمن أن لروح الحداثة مبادئ ثلاثة أساسية هي:

مبدأ الرشد: ومعناه أن الأصل في الحداثة الانتقال من حال القصور إلى حال الرشد. والمقصود بالقصور هنا هو اختيار التبعية للغير. وهذا المبدأ يقوم على ركنين رئيسين:

الأول الاستقلال: وهو أن يستغني الإنسان الراشد عن كل وصاية فيما يحق له أن يُفكّر فيه.

والثاني: الإبداع: وهو أن يسعى الإنسان الراشد إلى أن يُبدع أفكاره وأقواله وأفعاله، ويؤسسها على قيم جديدة يُبدعها من عنده أو على قيم سابقة يعيد إبداعها.

مبدأ النقد: ومعناه أن الأصل في الحداثة هو الانتقال من حال الاعتقاد إلى حال الانتقاد، والمراد بالاعتقاد هو التسليم بالشيء من غير وجود دليل عليه، ويقوم هذا المبدأ على ركنين رئيسين:

الأول: هو التعقيل ويعني إخضاع ظواهر العالم ومؤسسات المجتمع وسلوكيات الإنسان كلها إلى مبادئ العقلانية.

والثاني التفصيل: والمقصود به نقل الشيء من صفة التجانس إلى صفة التغاير، بحيث تتحول عناصره المتشابهة إلى عناصر متباينة وذلك من أجل ضبط آليات كل عنصر منها.

مبدأ الشمول: ومعناه أن الأصل في الحداثة الإخراج من حال الخصوص إلى حال الشمول، والمراد بالخصوص شيئان هما: «وجود الشيء في دائرة محدودة» و«وجود الشيء بصفات محدّدة»، ويقوم هذا المبدأ على ركنين رئيسين:

الأول: التوسّع فلا تنحصر أفعال الحداثة في مجال أو مجالات معينة، بل إنها تنفذ في كل مجالات الحياة ومستويات السلوك.

والثاني: التعميم ويعني أن لا تبقى الحداثة حبيسة المجتمع الذي نشأت فيه، بل إن منتجاتها وقيمها ترتحل إلى ما سواها من المجتمعات.

ثم انتقل المؤلف من التنظير إلى التطبيق فطبق مفاهيم ومقولات مبدأ النقد على نموذجين هما: نظام العولمة، ونظام الأسرة.

ثم طبق مفاهيم مبدأ الرشد على نموذجين هما: الترجمة الحداثية، والقراءة الحداثية للقرآن.

ثم كان التطبيق عن مبدأ الشمول على نموذجين هما: «حق المواطنة»، و«واجب التضامن».

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

القضية الفلسطينية

١- يشمل المسجد الأقصى المبارك بمعناه الديني: المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة، والساحات المحيطة بهما، وما عليه السور وفيه الأبواب.

٢- إن العدوان على أي جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك، واعتداء على قدسيته.

٣- نصرة شعب فلسطين بكل وسائل النصرة الممكنة واجبة على الحكومات والشعوب الإسلامية للوقوف في وجه كل طغيان يقع عليهم، ردعا للظالمين.

٤- تعجيل الزكاة جائز شرعا، ولو لسنة أو سنتين، لما في ذلك من رفع غائلة الجوع والمعاناة والآلام الحاضرة عن أهل فلسطين المنكوبين.

● **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع الفقهية، واللجان والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

أولا: عرض على لجنة الفتوى بدولة الكويت البيان المزمع إصداره حول دعم ونصرة أهل فلسطين، وبعد المناقشة والتداول أقرته اللجنة بصيغته التالية (ج: ١٨/ص: ٤٩١/ رقم الفتوى: ٥٨٤٦):

بيان صادر عن هيئة الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

حول دعم ونصرة إخواننا في فلسطين:
إن واجب المسلمين في كل بقاع الأرض إذا حلت بهم نازلة أن يهبوا متعاونين متضامنين في مواجهة هذه النازلة التي أصابت إخوانهم.

وبمناسبة ما يجري على أرض فلسطين فإن هيئة الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تهيب بجميع المسلمين أن يهبوا لمساعدة إخواننا المنكوبين في دولة فلسطين الشقيقة، الذين غزيت دولتهم، واستعمرت أرضهم، وهدمت ديارهم، ويتم أطفالهم، ورملت نساؤهم، وقتل الكثيرون من أطفالهم وشيوخهم وشبابهم، وزجوا في السجون بعشرات الآلاف، وخرب اقتصادهم، وأذيقوا القهر والذل والهوان من قبل حكومة إسرائيل الظالمة، التي لا ترعى للاتفاقات والمعاهدات الدولية حرمة، ولا للتقاليد والأعراف وحقوق الإنسان إلا ولا ذمة، ولا تعترف بالقوانين الدولية، ولا بالقرارات الأممية، وبات ديدنها إفناء شعب فلسطين، وابتلاع أرضهم، وتحقيق حلمهم في تكوين أرض ميعادهم على حساب دول المنطقة بأسرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن نصرة شعب فلسطين بكل وسائل النصرة الممكنة واجبة على الحكومات والشعوب الإسلامية للوقوف في وجه كل طغيان يقع عليهم، ردعا للظالمين.

قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه).

فالله يأمر المؤمنين أن يكونوا كنفس واحدة إذا أصاب أحدهم مصيبة اغتم الجميع لألمه، واتجهوا جميعهم إلى إزالتها، وعملوا على رفعها عنه.

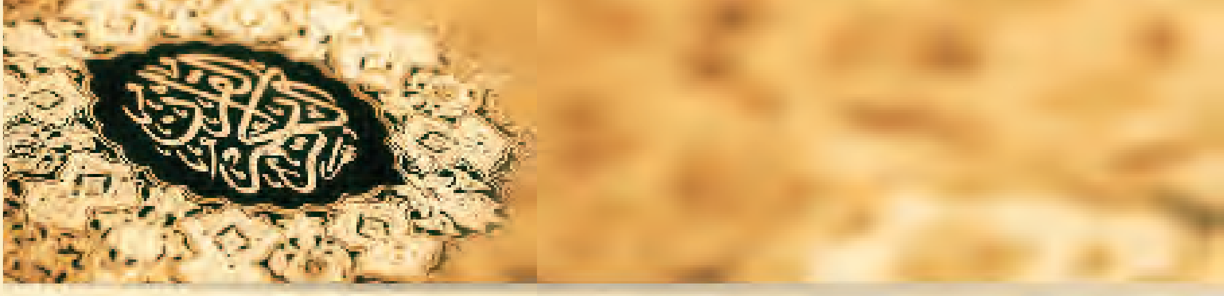
قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (رواه مسلم).

وقال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة...» (رواه مسلم).

وإن تخفيف محنة إخواننا الفلسطينيين خاصة في هذه الآونة تتطلب من الجميع أن يقدموا لهم ما يستطيعونه من تأييد لموقفهم، وشجب للظلم والطغيان، ومدهم بالمعونات المادية - نقدية أو عينية - طعاما أو كساء أو دواء أو خياما... لجبر كسرهم وإنقاذ حياتهم، ومد أسباب البقاء لهم.

وقد وعد الله سبحانه وتعالى من ينفق في سبيل الله أجرا يتضاعف إلى أكثر من سبعمائة ضعف، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ (البقرة:٢٦١).

ولاشك أن إنفاق المال في نصرة المظلوم، وجبر المكسور، ومداواة المجروح، وإطعام الجائع، وكساء العاري، وبناء ما يؤويهم ويستر نساءهم وأطفالهم وكافة أسرهم، كل هذا هو إنفاق في سبيل الله تعالى، وقد أمرنا الله تعالى به بقوله جل شأنه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ (البقرة:١٩٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (البقرة:٢٧٢). وقال تعالى: ﴿وَمَآ



﴿...أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (سبأ:٣٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى يكون مثل أحد» (رواه مسلم والترمذي والنسائي).

وإن كثيرا من أهل فلسطين قد أصبحوا اليوم مستحقين للزكاة، فتصرف الزكاة لهم، وكذلك الصدقات لسد احتياجاتهم المعيشية والخدمية لإعمار دورهم، ومدارسهم، ومشافيهم.

وإن تعجيل الزكاة جائز شرعا، ولو لسنة أو سنتين، لما في ذلك من رفع غائلة الجوع والمعاناة والآلام الحاضرة عن أهل فلسطين المنكوبين.

كما لا ننسى الدعاء ونلح فيه لإخواننا في فلسطين جميعا في صلواتنا، وفي سائر أحوالنا، أن يحفظ الله دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وأن ينتقم لهم ولنا من العدو الظالم المغتصب، وأن يشفي صدورنا جميعا، ويعيد للأمة عزها وكرامتها، ويهديها إلى سواء السبيل، سبيل تحكيم كتابه وهدي نبيه صلوات الله وسلامه عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى البيان.

● **ثانيا: من توصيات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة؛ وثيقة رقم (٣٠٨)، وذلك بتاريخ: (رجب ١٣٨٨هـ)؛ بخصوص القضية الفلسطينية:**

أ- يهيب المؤتمر بالمسلمين في كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجبهم الديني في تخليص بيت المقدس وسائر الأرض المحتلة والحفاظ على قداسته وعروبته، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله ﷺ ومعراجه، ومثوى الشهداء من صحابته.

ب- يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة عن علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم في الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٧م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الديني يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرفة، والساحات المحيطة بهما، وما عليه السور وفيه الأبواب.

وأن العدوان على أي جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته، وأن الحرم الإبراهيمي في الخليل مسجد إسلامي مقدس، وكل اعتداء على أي جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمته وقدسيته.

انتهى.

● **ثالثا: ثم صدر قرار مجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في دورته العاشرة (في ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ، الموافق ١٩٨٧/١٠/١٧م) يحيي الشعب الفلسطيني في جهاده المتواصل ضد الغاصبين المعتدين، وصموده ضد المحتلين، ويحيي شجاعة هذا الشعب وبطولته:**

وفي الوقت نفسه الذي يتوجه فيه المجلس بالتحية الإسلامية للمجاهدين الفلسطينيين، والدعوة الصادقة إلى الله العلي الكبير أن يكتب لهم النصر المؤزر، ويؤيدهم بتوفيقه وحفظه، وبهذه المناسبة قرر المجلس بالإجماع التوجه إلى العالم الإسلامي حكومات وشعوبا، بوجوب القيام بدعم الجهاد الفلسطيني، بكل وسائل الدعم المادية والمعنوية، والسياسية والاقتصادية.

كما يقرر المجلس جواز صرف بعض أموال الزكاة لهذا الجهاد الإسلامي.

والمهم في هذا النداء من المجلس أن يبادر المسلمون خفافا وثقالا للاستنفار لتأييدهم في هذا الجهاد، وفي هذه المعركة التي هي معركة الإسلام في هذا العصر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (التوبة:٤١).

ووصية المجلس للشعب الفلسطيني المؤمن المجاهد، أن يتمسكوا بحبل الله المتين، ويواصلوا جهادهم الإسلامي المبارك؛ لإعلاء كلمة الله؛ وحماية المسجد الأقصى المبارك، ويعتصموا بالله هو مولاهم، نعم المولى ونعم النصير. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على إمام المجاهدين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى القرار.

● **التعليق:**

إن المسلم ليألم كثيرا، ويأسف جدا من تدهور القضية الفلسطينية من وضع سيئ إلى وضع أسوأ منه، وتزداد تعقيدا مع الأيام، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في الآونة الأخيرة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولا وأخيرا، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهودا جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي، وإفهام المسلمين من غير العرب أنها قضية عربية، لا شأن لغير العرب بها، ويبدو أنهم نجحوا إلى حد ما في ذلك.

ولذا؛ لا يمكن الوصول إلى حل لتلك القضية، إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهادا إسلاميا، حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم التي جاءوا منها، ويبقى اليهود الأصليون في بلادهم تحت حكم الإسلام.

ينظر: بتصرف من فتاوى الشيخ ابن باز (١٢٥٩/١).

إعداد: تركي النصر

القلوب تموت وتحيا

قال الحسن رحمه الله: «إن القلوب تموت وتحيا، فإذا هي ماتت فاحملوها على الفرائض، فإذا هي أحييت؛ فأدبوها بالتطوع».

(رواه أحمد في الزهد، ص٢١٦)

من فوائد قراءة التاريخ

قال ابن الأثير رحمه الله وهو يعدد فوائد التاريخ: «ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث، وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلا، ويصبح لأن يقتدى به أهلا...، ومنها التخلق بالصبر والتأسي، وهما من محاسن الأخلاق، فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم وملك عظيم، بل لا أحد من البشر؛ علم أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم».

(الشيخ العربي التبسي وأصول دعوته الإصلاحية، ص٢٦)

لطيفة

قال العلائي رحمه الله: دخل أعرابي المسجد فصلى صلاة خفيفة؛ فقام إليه علي رضي الله عنه بالدرة وقال: أعد الصلاة؛ فأعادها الأعرابي مطمئنا.

فقال علي رضي الله عنه: أهذه خير أم الأولى؟

فقال الأعرابي: الأولى؛ لأني صليتها لله، والثانية صليتها خوفا من الدرة.

(نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص١٥).

ابتسامة

جاء رجل إلى أبي الوفاء بن عقيل رحمه الله فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين أو ثلاثا لا أتيقن أنه قد غمسني الماء ولا أني قد تطهرت، فكيف أصنع؟

قال له ابن عقيل: لا تصل.

فقيل له: كيف قلت هذا؟

قال: لأن النبي ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى ينتبه، وعن المجنون حتى يفيق» ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثا ويظن أنه ما اغتسل؛ فهو مجنون!.

(الأذكياء لابن الجوزي، ٨٣/١)

تربية الصبي على الحفظ

قال أبوالفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «ومتى اعتدل المزاج وتكامل العقل، أوجب ذلك يقظة الصبي، فمن رزق ولدا، فليجتهد معه، والتوفيق من وراء ذلك، فينبغي له أن يعوده النظافة والطهارة من الصغر، ويثقفه بالآداب فإذا بلغ خمس سنين أخذه بحفظ العلم، فإن الحفظ في الصغر نقش في حجر، ومتى بلغ الصبي ولم يكن له همة تحثه على اكتساب العلم بعد؛ فلا فلاح له».

(الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، ص٣٧).

فضل المال

- قال حكيم لابنه: يا بني، عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك، لكفى.
- وقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: يا حبذا المال، أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.
- وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: الدنيا عافية، والشباب صحة، والمروءة الصبر، والكرم التقوى، والحسب المال.
- وقال سعيد بن عبادة: اللهم ارزقني جدا ومجدا، فإنه لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال.

(الكشكول لابن عقيل النجدي، ص١٥٤).

أسباب حرمان العلم

حرمان العلم يكون بستة أوجه:
أحدها: ترك السؤال. الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع. الثالث: سوء الفهم. الرابع: عدم الحفظ. الخامس: عدم نشره وتعليمه، فمن خزن علمه ولم ينشره ابتلاه الله بنسيانه جزاء وفاقا.
السادس: عدم العمل به... فإذا أهمل العمل به نسيه.
قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به.
وقال بعضهم: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.
(غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، ص١/٦١).

الشكر والصبر

حقيقة الشكر: الاعتراف بالمنة لله تعالى في النعمة، واستعمال النعمة فيما يرضي المنعم. وحقيقة الصبر: السكون تحت سلطان الأقدار، فيما ينزل بالعبد، دون جزع ولا شكوى للخلق، ولا يأس من رحمة الله.
(مكفرات الذنوب وموجبات الجنة لابن الديبع، ص٩٦).

حفظ الله لعبده

قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ العبد المؤمن في ولده، وولد ولده، ويحفظه في دويرته، ودويرات حوله، فما يزالون في حفظ، أو في عافية ما كان بين أظهرهم.
(المقتطفات النافعة من ثمار المطالعة، ص٢٤٨).

خلط العلوم لا يجدي

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: من المذاهب الجميلة، والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا؛ فإنه قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر؛ فيستغلقان معا، ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة.

(المقدمة، ص٤٥٩).

إمام الحرمين الجويني المتوفى (٤٧٨هـ).

جاء في ترجمة «إمام الحرمين» أبي المعالي الجويني النيسابوري الشافعي ما يلي:... إمام الحرمين، فخر الإسلام، إمام الأئمة على الإطلاق، حبر الشريعة المجمع على إمامته شرقا وغربا، من لم تر العيون مثله ولا ترى بعده... وكان رحمه الله يقول: «أنا لا أنام ولا آكل عادة، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلا كان أو نهارا، وآكل إذا اشتهيت الطعام أي وقت كان».
وكانت لذته ولهوه ونزهته في مذاكرة العلم، وطلب الفائدة من أي نوع كان. وحكى عنه أبوالحسن المجاشعي: «ما رأيت عاشقا للعلم مثل هذا الإمام، فإنه يطلب العلم للعلم. وكان كذلك».
(قيمة الزمن عند العلماء لعبدالفتاح أبوغدة، ١/٥١).

النصيحة والتعيير

من أشاع السوء على أخيه المؤمن وتتبع عورته؛ يفضحه الله ولو في جوف بيته، فلا يظهر المؤمن الشماتة بأخيه فيعافيه الله ويبتليه، وقد قيل: «من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله».
وقيل: «البلاء موكل بالمنطق؛ فلو أن رجلا عير رجلا برضاع كلبة لرضعها». وقد روي هذا المعنى عن جماعة من السلف.
ولما ركب ابن سيرين الدين وحبس به قال: «إني أعرف الذنب الذي أصابني هذا؛ عيرت رجلا منذ أربعين سنة فقلت له: يا مفلس».
(الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب، ص٢١).

إعداد: علاء عبدالفتاح



رحيق الحياة

هو من البشر، ولكن نفسه كنفيس الدرر، فما يذكر عنه ليس به تهويمات من أطياف خيال، ولكن الحقيقة قد تكون في عوالم اليقين والإيمان أكبر من أي خيال. لقد ارتشف من نبع الإيمان الصادق، وفي أعماقه روح تشع مودة ورحمة، يشي سمته أنه من الأخيار، يخدم الجميع بإنكار وإيثار.. يدعو الله أن يكون أهلا للعطاء بدون من أو رياء.

أسمع أحد زملائه يتندر ساخرا من سلوك هذا الإنسان المجنون بالعطاء - كما وصفه - حيث يعطي كل ما معه من نقود لأحد المساكين الذي طاف عليهم في المدرسة متسولا الصدقة.. ثم يقترض منه أجرة السفر.. ويعلن في استخفاف أن الأستاذ عبدالمنعم «هذا يعطي دروسا خصوصية مجانية للتلاميذ الفقراء، بعد انتهاء اليوم الدراسي - رغم حاجته الماسة للمال - ولجوئه للاقتراض أحيانا، واتخذوا في نقدهم لسلوكه طرائق قددا.

جاشت خواطري لهذا السلوك السامي الكريم، وفارت مشاعري ازدراء لهذا التعليق التهكمي اللئيم! فكيف يكون هذا السلوك الأندر والأنضر محلا للسخرية والتندر؟! فالأولى أن يكون رمز فخار ومنارة في الإيثار..

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ (الحشر:٩).

ولنتخذ من هذا نموذجا وقدوة، فالخيرون هم في الحياة رحيقها والبلسم الشافي لها.

● **محمد الشيخ**

التكافل الاجتماعي في الإسلام



عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأخيه المسلم حاجة كان كمن خدم الله عمره» والحديث حث على اصطناع المعروف والبر والصلة وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف وتحقيق قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ (آل عمران:١٠٣).

ذلك الأمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين بالتجمع والتآلف: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ لأن الجماعة عصمة من الزلل وهداية لصالح العمل، يقوم بذمتها أدناها وهي يد على من سواها، لذلك كان التكافل الاجتماعي في الإسلام

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

الكثير من المسلمين في العصر الراهن يعرضون عن كلام الله وتعاليمه الواضحة، وذلك من أجل الوسائل الإلكترونية المرئية والمسموعة والمواقع الاجتماعية التي قدمها لهم أعداؤهم الظلمة فصرفوا جل أوقاتهم إليها فقلما تجدهم يتلون كتاب الله بقلب خالص. ولا وقت لهم كاف للنظر في كتاب ربهم والتدبر في آياته التي أنزلت لأجلهم. والتفتوا نحو الإنترنت والمقابلات الإلكترونية فخسروا أوقاتهم في اللهو والباطل لا ينشأ منهم عمل ذو طائل. وذلك ما يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ (لقمان:٦).

فما كان نتيجة هذا الحال الشنيع إلا لحوق الخسارة للمسلمين، ذلوا وانهمكوا في الضلال والجور وابتلوا بظلم اليهود والنصارى أعداء الإسلام الألداء ونسوا ما ذكروا به من القرآن.. أنتم المفلحون ما تمسكتم بالقرآن وأنتم الخاسرون ما توليتم عن القرآن. إن القرآن هو الكتاب الذي ينبغي للمسلم أن يوجه أول اهتمامه في مجال العلم..



فبتعلمه وتعاطيه والعمل به يرفع الله درجاته. وذلك ما قال شفيع الورى رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

● معروف أحمد



يتجلى في أعظم صورة وأصدقها، فهو ولوج في قلب الإنسان وسمو يوصل إلى الرحمن وحصن المسلم من غوائل الحدثان وتقوية لوشائج أخوة التوحيد وانتصار على كل جبار عنيد، ولعل قضاء حوائج المسلمين يظهر التكافل في أبهى الحلل ويتصدر قائمة صالح العمل ألا ترى قول الحبيب المصطفى ﷺ «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».. إن عبدا يتولى الله عز وجل قضاء حاجته جد سعيد لأنه أبدا موفق منصور قوي بقوة الله عزيز بعزة الله محفوظ بحفظه تكلؤه العناية وتحرسه رعاية الله عز وجل.

● محمد السيد عامر

خطورة السخرية على الروابط الاجتماعية

إذا كان رقي المجتمعات يقاس بمدى احترام آدمية الإنسان فيها، فلا يوجد مجتمع يرقى لمجتمعنا الإسلامي حال تطبيق ما تمليه علينا الأوامر وتزجرنا عنه النواهي فيما يتعلق بأساليب التعامل مع البشر، ومن النواهي الأساسية في شريعتنا الإسلامية النهي عن السخرية من الآخرين والنظر إليهم بنظرات الازدراء والاستهزاء والاستهانة.

إن شريعتنا الإسلامية قد كفلت للإنسان كرامته، وأوجبت على من يتبعون المنهج الإسلامي الحنيف أن يتعاملوا بأسمى وأرقى أنواع الأخلاقيات، بما يضمن للمرء احترام آدميته وإنسانيته بحيث لا يخدشها - ولا نقول يجرحها - أحد ممن ينتمي إلى الدين الإسلامي الحنيف.

ولكن الواقع المؤسف الذي نلحظه جميعا والواجب علينا جميعا أن نتكاتف ونتعاون على القضاء عليه لنعود مرة أخرى إلى الفطرة النقية التي جبلنا عليها والتي ترفض بكل قوة وحسم ذلك الأسلوب المقيت الذي يتعامل به البعض صغارا وكبارا، نساء ورجالا، في مختلف بقاع الدنيا قاطبة.

حيث نجد من يلدغون الناس بكلماتهم ونظراتهم وأساليبهم الساخرة، في ظن خطأ منهم أن ذلك في إطار المزاح ورسم الابتسامات والضحكات، ولكنها في حقيقة الأمر ضحكات ممجوجة، وابتسامات شرسة تنقض على جراح الآخرين لتنكأها بلا هوادة.

● **علياء ناصف**

عقلنة الاستهلاك

إننا اليوم، في مسيس الحاجة إلى عقلنة استهلاكنا، وعدم الاستسلام لإغراء الشهوات؛ لئلا يتحول الفرد منا إلى كائن استهلاكي محض، لا يعيش إلا من أجل أن يستهلك وكفى. ويجب علينا أن نتذكر دوما أننا «قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع». فهذه قاعدة ذهبية يجب أن نعض عليها بالنواجذ، ونلتزمها منهجا راسخا في حياتنا وعاداتنا الغذائية الاستهلاكية.

إن الصوم مدرسة؛ نتحمل فيها الجوع ونتعلم الصبر عليه؛ من أجل أن نقهر النزعة الغرائزية الاستهلاكية فينا، ونسيطر على شهواتنا، قبل أن تسيطر هي علينا! وتستعبدنا شر استعباد: ولنتأمل جيدا هذا الموقف الفريد للفاروق رضي الله عنه رأى عمر بن الخطاب جابر بن عبدالله يحمل شيئا، فقال: ما تحمل؟

قال: لحما، اشتهيته فاشتريته.

فقال له عمر: أوكلما اشتهيت اشتريت؟

فمتى نتعقل.. ونعقلن استهلاكنا؟

● **محمد اليعقوبي**

رد علمي على شبهة دينية

أصدر الأستاذ ميشال داردين Michel Dardenne (مسلم بلجيكي يقيم في المغرب) كتابا باللغة الفرنسية عنوانه L'Islam dévoilé ويندرج هذا الكتاب في إطار الرد العلمي الرصين على دراسة شهيرة حول المرأة في الإسلام لباحث بلجيكي آخر هو إيتان فيرميرش Etienne vermeersch الذي يروج في مداخلاته وأبحاثه للأفكار المعادية للأديان وللإسلام بشكل خاص.

ولا حاجة إلى التذكير بأن هذا النوع من الخطاب الذي ما فتئت رقعة انتشاره تتسع يوما بعد يوم في وسائل الإعلام الحديثة يستأثر باهتمام شريحة واسعة من المجتمع الغربي. وليس صدفة أن تتكرر في كتابات إتيان فيرميرش بعض الصور النمطية السائدة التي اعتاد الكثير من الغربيين وأتباعهم الصاقها دون ترو بالإسلام، وذلك لأنهم جميعهم يمتحون من معين واحد ألا وهو روح الكراهية التي تعمي الأبصار، وتحول دون إعداد العدة للقيام بقراءة موضوعية ومنصفة وعادلة تتحرى الدقة وتتفحص المصادر المباشرة للدين الإسلامي.

● **د. سعيد كفايتي**



حاسة الشم إعجاز في الخلق

أنف الإنسان مليئة بالعجائب والقدرات، ولعل أكثر الأنوف التي تلفت الانتباه هي أنوف خبراء الروائح والعطور حيث اكتسب بعض هؤلاء الخبراء القدرة على تمييز حوالي عشرة آلاف رائحة. فهؤلاء الخبراء يمكنهم تمييز أنواع زيت اللافندر من بعضها بل والبلد الذي زرع فيه والمعمل الذي صنع فيه وقد أوضحت الدراسات التشريحية المقارنة أن المساحة الشمية في التجويف الأنفي في الإنسان تبلغ حوالي ٣سم٢على كل من الجانبين. كل جانب من تجويفي الأنف يحتوي على ٥ مليون خلية حسية شمية لكن مساحة هذه المنطقة في الكلاب تبلغ ١٨سم٢ وفى القطط ٢١سم٢.

فقد أراد الله تعالى شأنه وجلت حكمته أن يلفت أنظارنا لفتة بسيطة إلى هذه الحاسة الدقيقة التي تحتوي على كثير من العجائب والمعجزات والتي تضم الآلاف من التركيبات الدقيقة والجسيمات العجيبة يؤدى كل منها عمله في تناسق وانسجام مما لا يترك مجالا للشك في أنها صممت على أحسن صورة وأدق تركيب. ولاشك أن هذه الدقة الفائقة في التصميم والإنتاج أدلة واضحة على عظمة الخالق وجمال الخلق. وصدق الله القائل في محكم التنزيل ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١).

• د. محمد السقا عيد

مسك الختام

ماذا ننتظر من جيل المستقبل؟

هل يهتم الجيل الحالي بالدراسة ويهمل الأخلاق؟ وهل معلمو اليوم قريبون من جيل المستقبل؟ وماذا ينقص المناهج الدراسية حتى نكون في مصاف الدول المتقدمة؟ وهل رفعة المجتمعات تعتمد على إخلاص جيل المستقبل؟

هذه التساؤلات لاتزال مثار حديث التربويين والمتخصصين وأولياء الأمور في الوقت الراهن مع انتشار الأجهزة الذكية الحديثة في جميع مناحي الحياة.

فالإسلام اعتنى بالعلم عناية خاصة؛ حتى إن أول ما نزل على سيدنا محمد ﷺ كان ﴿اقْرَأْ﴾، فالتعلم من الأمور المفروضة على المسلمين رجالا ونساء.

وتتقدم الأمم بالعلم؛ إذ هو الذي يساعد على النهوض، ويقضي على التخلف والرجعية والفقر والجهل والأمية وغيرها من الأمور التي تؤخر مسيرتنا، فالعلم من أهم ضروريات الحياة، كالمأكل والمشرب وغيرها.

والعلم يحتاج إلى صبر ومجاهدة نفس، فأفضل العلماء خرجوا من رَحِم المشقّة، فكلّما زادت مشقّتهم زاد علِمُهم، أمّا لو جاء العِلم سهلا ميسرا بدون تعب، لذهب سهلا بدون جهد.

والأمة العربية والإسلامية تنتظر من جيل المستقبل الكثير بالرغم أن المؤشرات والأدوات المستخدمة حاليا لا تسر، فالإرادة القوية والإبداع والتفكير هي الأسس المتينة لسلوك طريق تربية أجيال قادرة على بناء المجتمعات والمشاركة في نهضة الأمة.

نحن لا ينقصنا عن التعليم الغربي أي شيء، سواء كانت قدرات بشرية أو مادية، فلدينا أفضل العقول والكفاءات، ولكن من الضروري الوعي بأهمية التغيير والتحفيز والعناية الخاصة بعماد الأمة ومستقبلها ألا وهو الأجيال القادمة.

واليوم لم تعد الفصول الدراسية التقليدية قادرة على منافسة الأساليب الجديدة.. الأمر الذي دفع العديد من المدارس إلى دخول معترك التقنية لجذب انتباه الطلاب من خلال تقنيات وتطبيقات التعلم الإلكتروني في الفصل الدراسي والمناهج التعليمية.

إن جيل المستقبل في حاجة ماسة إلى الجمع بين تطور التعليم ورقي الأخلاق، فلا يمكن تفضيل جانب على حساب الآخر، لأن كليهما عامل أساس في تقدم المجتمعات وتطورها ولحاقها بمصاف الدول المتقدمة.

كما ينبغي تطوير المناهج والاستفادة من تجارب الآخرين بما يضمن التطور الطبيعي لقطاع التعليم الذي يعد العمود الفقري للتنمية في أي مجتمع.

وتطوير التعليم لا يقتصر فقط على الطالب وإنما يحتاج أيضا لإعداد جيل جديد من المعلمين والأساتذة القادرين على خدمة أوطانهم ومواكبة مصادر التعليم الحديث.

ولابد أن يكون هناك تلازم بين التعليم والتربية المرتكزة على الأخلاق والقيم والمبادئ لأن التعليم هو الحقل الأنسب لترسيخ المنظومة الأخلاقية المتوافقة مع تطلعات مجتمعاتنا.

وكما قال الإمام الشافعي:

يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه ... بالموبقات فما للعلم من خلف

العلم يرفع بيتا لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف

فهد الخزّي

مدير التحرير

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
Al-Waei Al-Islami

براعم الإيمان
قلم صغير و فكر منير

ضوابط النشر
في مجلة «براعم الإيمان»

ترحب مجلة «براعم الإيمان» بالكتاب والرسامين كافة وتدعوهم للمشاركة في صفحاتها، وفق الضوابط التالية:

ضوابط النص:

- أن يكون العنوان جذابا ومعبرا عن المحتوى.
- أن يكون المحتوى مناسبا للمرحلة العمرية المستهدفة.
- أن يعالج فكرة واحدة؛ ولا يتعرض لموضوعات جانبية تعطل تتابع الفكرة الرئيسية.
- أن يكون مناسبا لميول الأطفال، ويعكس اهتماماتهم وتجاربهم اليومية.
- أن تكون المعلومات الواردة في النص صحيحة علميا وشرعيا.
- أن يكتب بلغة فصحى وسهلة وواضحة وبعيدة عن الغموض وسليمة وخالية من الأخطاء.
- يمكن أن يحتوي النص بعض الكلمات الجديدة على الطفل مع توضيح معناها؛ لزيادة حصيلته اللغوية.
- يمكن أن يكون النص حلقات مسلسلة لها رابط موضوعي عام.

ضوابط الرسم:

- أن تكون الرسوم معبرة عن شخصية الرسام بعيدة عن التقليد.
- المحافظة على أشكال الشخصيات التي يتكرر ظهورها في الرسوم.
- وضوح الألوان وانسجامها بعيدا عن المبالغة.
- الاهتمام بحركات الشخصيات لإبراز المواقف المتنوعة.
- ألا يكون في الرسم ما يخالف الدين الإسلامي أو التقاليد العربية.
- أن تكون ملفات الرسم المرسلة بصيغة تسمح بالتعديل عليها.

ونأمل أن يرفق الكاتب أو الرسام أول مرة سيرته الذاتية ونماذج من أعماله السابقة.

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

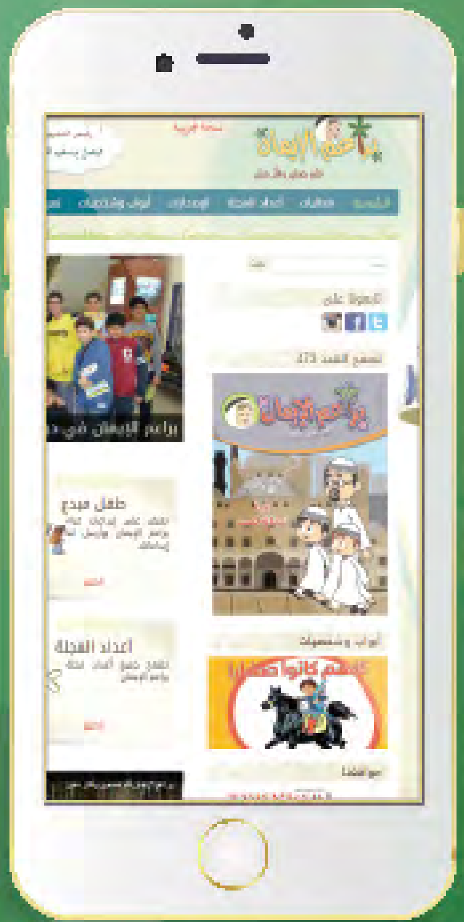
ترسل الأعمال على عنوان البريد الإلكتروني التالي:

info@baraem.alwaei.com

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

براعم الإيمان
قلم صغير و فكر كبير

موقع براعم الإيمان في حلته الجديدة



مجلتكم تقترب منكم أكثر

www.baraemaleiman.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٠٧) ربيع الأول ١٤٣٧ هـ - ديسمبر ٢٠١٥م/ يناير ٢٠١٦م

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

«الأوقاف» تشارك في معرض إسطنبول الدولي للكتاب الـ٣٤



- الجمال.. رؤية إسلامية
- ابن مالك صاحب الألفية
- وسائل «الفصل» الاجتماعي
- فقه الأولويات في حياة الدعاة
- اسطورة إحراق طارق للسفن

info@alwaei.com www.alwaei.gov.kw مجلة الوعى الإسلامى

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

جديدنا



جمال التكاليف الشرعية

إن من رحمة الله بخلقه، وتكريمه لهم، ما أنعم به عليهم من شريعة قائمة على الحِكم ومصالح العباد في معاشهم ومعادهم؛ فهي «عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالح كلها؛ حتى صار من المعروف من كليات الشرع أنّ كل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى القسوة، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بنوع تأويل».

إن التيسير ورفع الحرج في نصوص الكتاب والسنة؛ سمة بارزة في شريعة الإسلام، ودليلٌ على جمالية تكاليفه؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ (الحج:٧٨)، «أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فَشَقَّ عليكم؛ إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا».

ومن المعلوم من هَدْيه ﷺ أنه ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما؛ ما لم يكن إثما، فعنْ عَائِشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْه»، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أحدٌ إلاّ غَلَبَه».

ومن رحمته بأمته ﷺ أنه كان ينهى أصحابه عن بعض السؤالات خشية أن تفرض عليهم فرائضُ بسبب مسائلهم، وقد قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (المائدة:١٠١-١٠٢)؛ فقد كان بعض الأعراب يكثر على رسول الله ﷺ من السؤال عن أشياء لم يتنزّل فيها أمر أو نهي، أو يُلحِف في طلب تفصيلِ أمور أجملها القرآن، وجعل الله في إجمالها سعة للناس، أو في الاستفسار عن أمور لا ضرورة لكشفها؛ فإنّ كشفها قد يؤذي السائلَ عنها أو يؤذي غيره من المسلمين؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج»؛ فقام رجل فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه، ثم عاد فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ومن القائل؟» قالوا: فلان. قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما أطقتموها، ولو لم تطيقوها لكفرتم».

أليس من جمال التكليف الشرعيّ؛ أن الله سبحانه لا يكلف أحدًا إلا في حدود طاقته وإمكانه أليس تشريع التيمم نعمة جليلة جميلة الوقْع على نفس المحتاج إليها؟ ألم تشرع الصلوات الخمس في أوقات متفاوتة مناسبة لا تمنع من عمل ولا تفوت بها مصلحة، وذلك من جمال التشريع وحُسْنه؟ ألا يحتاج المسافر إلى نوع راحة وهو في طريق سفره، تخفيفًا لرَهَق الطريق ومشقته، فكان قصر الصلاة وجمعها من أطيب الرخص وأجملها..

وهكذا كلُّ ما احتوته شريعة الإسلام دالٌّ على الرحمة، مشيرٌ إلى الجمال والجلال والكمال.

د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٠٧ | ربيع الأول ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
ديسمبر ٢٠١٥م/ يناير ٢٠١٦م

المراقب المالي والإداري
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

جمال الشريعة

حين ارتضى الله عز وجل لعباده دين الإســلام، وقضـى بـه خـاتمـا لجميع الأديان ومهيمنا عليها؛ جعله دين فطرة، صالحا لكل زمان ومكان، ومن لوازم ذلك كونه دين عقيدة وشريعة وأدب وأخلاق وجمال، يعالج شؤون الحياة كلها، ولا يتم له جمال ما لم يكن معتنيا بالكون كله. فمن جمال هذه الشريعة الخالدة إقرارها ما تتطلبه الفطرة البشرية من سرور وفرح ومرح ومزاح صادق، إلى غير ذلك من كوامن النفس البشرية المحاطة بسياج الحلال والحرام والذوق الرفيع.

شريعة.. حسنة المظهر، كريمة المخبر، لم تعادِ الجمال يوما، ولم تخاصمه أبدا، بل كانت وجهه المشرق، وروحه المتألق، حتى لقد أمر الله سبحانه المسلم أن يكون جميلا حين يقبل على لقاء ربه؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ (الأعراف:٣١)، وسأل رجل نبينا ﷺ: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسنا، ونعلي حسنة؟ ظنا منه أن الجمال والمظهر الحسن مذمومان محرمان! فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الجمال، ولكن الكبر من بطر الحق، وغمص الناس» (رواه الترمذي).

والجمال في الإسلام شامل متنوع؛ فالصبر الثقيل على النفس البشرية؛ جميل ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ (المعارج:٥)، والهجر جميل ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ (المزمل:١٠)، والصفح عمن أساء ينبغي أن يكون كذلك جميلا ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥)، وحتى طلاق الرجل امرأته ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ (الأحزاب:٤٩).

التحرير





مئات الخطاطين كتبوا المصحف عبر العصور

المخطوطات القرآنية وشرف الكتابة

أحمد أبوزيد
كاتب وصحفي مصري

تدوين الوحي الشريف شرف رفيع تسابق إليه الكثير من المسلمين على مر العصور، بدءا من الصحابة الكرام، الذين اشتهروا بكتابة الوحي بإملاء النبي ﷺ، عقب نزوله، على جلد الغزال والعظام وسعف النخيل، وانتهاء بمئات الخطاطين الذين كتبوا المصاحف الشريفة عبر العصور بمختلف الخطوط العربية التي خلدها القرآن الكريم بعد أن كتب بها.

فقد حرص المسلمون على أن يخرج القرآن، مخطوطا ومطبوعا، في أجمل صورة، وأبهى حلة، واشتهر جمهرة من الخطاطين على مر العصور ببراعة الخط وجماله، وكتبوا المصاحف الخاصة والعامة، وانكب المجلدون والمذهبون عليه إبداعا في إخراجه، حتى أصبح أعظم رونقا، وأجمل شكلا وأكثر جلالا، وكان سببا في تطوير الكتابة العربية

أشهر من كتبوا المصاحف: ابن مقلة وابن البواب والمستعصمي والنقشبندي والزهاوي وسفيان الوهبي

وتجويدها، خطوطا ونقوشا، فصار الخط العربي إحدى أهم الوحدات الزخرفية الفنية الإسلامية، ليس هذا فقط، بل امتد أثره ليشمل كل جوانب الفن الإسلامي وميادينه.

وتنوعت مظاهر العناية بالقرآن الكريم، بعد الصدر الأول، من ناحية كتابته وتجويدها وتحسينها، حتى بلغ الرسم القرآني ذروته من الجودة والحسن والضبط، واستقر المصحف على الشكل الذي نراه عليه اليوم من الخطوط الجميلة، وابتكار العلامات المميزة التي تعين على تلاوة القرآن تلاوة واضحة جيدة، واتباع قواعد التجويد.

تـفـنن الخـطـاطـون فـي تجـويـد كـتـابـة مصاحفهم وزخرفتها وتذهيبها والعناية بها

بداية التدوين

ولقد كانت بداية تدوين النص القرآني الشريف في عهد النبي ﷺ، على يد عدد من الصحابة، ممن عرفوا بكتاب الوحي، مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وثابت بن قيس رضي الله عنهم.
وبعد موت النبي ﷺ، قام أبوبكر الصديق رضي الله عنه، بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد من صدور الصحابة ومن الوسائل التي كتب عليها، وسار على نهجه عثمان بن عفان رضي الله عنه، عندما جمع الناس على مصحف واحد، ومنع الاختلاف بين المسلمين، وتم نسخه في عدة مصاحف لتوزيعها على الأمصار الإسلامية. وقد نال زيد بن ثابت رضي الله عنه، شرف تحمل مسؤولية جمع القرآن في عهد أبي بكر، وكتابته في عهد عثمان.

• مخطوطات المصحف

وخلال العصور الإسلامية المتعاقبة تبارى الخطاطون في نيل شرف كتابة المصحف الشريف بخطوط متعددة، وبرز في كل قطر خطاطون بلغوا الكمال في حسن الخط وتجويده، فجاءوا بما يبهر من الخطوط الرائعة، التي خلدت ذكرهم على مر العصور، وعلى رأس هؤلاء: قطبة بن المحرر، وابن مقلة، وابن البواب، والمستعصمي، وإبراهيم منيف، وتوحيدي الطبري، وحامد الآمدي، وخليل الزهاوي، ودرويش نعمان الذكائي، وسفيان الوهبي، ومحمود الثنائي، وصبغة الله الحيدري، وعبدالوهاب النائب، وشهدة بنت أحمد الإبري الدينوري، وعبدالله بك الزهدي، ومحمود شكري الألوسي، وأحمد شاكر الألوسي، ونعمان الألوسي، وعلي علاء الدين الألوسي، وعبدالله بهاء الدين الألوسي، وعمر الهيتي، وعلي الكوتي، وماجد بك الزهدي، ومحمد عبدالعزيز الرفاعي، ومحمد عبدالقادر، ومحمد فريد النحاس، ومحمد محفوظ، وإبراهيم عبدالغني الدروبي، ومحمد بهجت الأثري، ومير علي التبريزي، وهاشم محمد البغدادي، ووليد الأعظمي، وياقوت بن عبدالله الموصلي، وياقوت الرومي.
ومازال عدد من هذه المصاحف التاريخية محفوظا في مختلف المساجد والمتاحف ودور الكتب والمؤسسات، منها ما هو مكتمل النص القرآني من بدايته وحتى نهايته، ومنها ما وجدت أجزاء منه فقط، وآخر لم تسلم منه إلا وريقات متفرقة.
فنجد دار الكتب والوثائق في القاهرة تضم واحدة من أهم قاعات التاريخ والفنون الإسلامية الموجودة في العالمين العربي والإسلامي، وهي قاعة القرآن الكريم، التي تحتوي على مجموعة من أندر المصاحف الشريفة وأجملها، التي يرجع بعضها إلى القرن الأول الهجري، منها مصحف الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وهو مكتوب بالخط الكوفي القديم على رق غزال من غير شكل ولا نقط ولا كتابة أسماء السور، والمصحف السمرقندي، ومصحف كتب في آخره إنه بخط أبي سعيد الحسن البصري سنة ٧٧ هجرية، ومكتوب بالخط الكوفي على الرق.

• خطوط متنوعة

وقد كتبت المصاحف في بداية الأمر بخطوط مربعة ذات زوايا، مثل «الخط المكي»، و«الخط الحيري» (نسبة إلى الحيرة في العراق)، والذي يعد من أقدم الخطوط التي كتب بها المصحف، فقد استعمل قبل الإسلام، واستمر العمل به حتى ظهور الإسلام، وكتب به الوحي قبل استحداث الخط الكوفي في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والذي يعد أجمل الخطوط في وجدان المسلمين طوال قرون من العصر الإسلامي، واتسعت دائرة استعمالاته، وكتب به المصحف الشريف وكل ما يتعلق بالنصوص الدينية والمستندات الرسمية، كما كانت تزين به المساجد والقصور كتلوين زخرفي جميل.
واستمرت المصاحف تكتب بالخط الكوفي طوال القرون الأربعة التالية. وكان من بين أسباب استخدام هذا الخط ما أمكن توليده من زخارف فيه، مما يعطي جلالا لخطوط القرآن الكريم يتفق وقدسيته، واستمر الوضع كذلك بالنسبة إلى المصاحف إلى أن ظهر نوع آخر من الخطوط من اختراع الأتابكة وابتكارهم هو الخط النسخ.
كما استخدم الخطاطون في كتابة القرآن الكريم خط الثلث، والخط المغربي الذي انتشر في بلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، ثم ابتكر خط الرقعة، وظهرت أنماط محلية أخرى وتكونت لها مدارس في بلاد المسلمين أهمها مدرسة هراة في الخط المغولي، ثم مدرسة تبريز في بلاد فارس، وهو ما يعرف بالخط الفارسي، واحتضن حكام المسلمين ذوي المواهب وفناني الخط العربي في عهود الإسلام الزاهرة.
والخط النسخ يكاد يكون خط جميع المصاحف المطبوعة والمنتشرة هذه الأيام، وهي في أصلها مخطوطات لكبار الخطاطين مثل: الحافظ عثمان ومصطفى نظيف.. وغيرهما. وقد تبارى الخطاطون في كتابة القرآن الكريم حتى تعددت الأقلام وتنوعت الخطوط وأصبح الخط فنا متميزا.

• إخراج المصاحف وزخرفتها

وبعد خط المصاحف بخطوطها المميزة والجميلة، جاء فن إخراج المصحف



حرص المسلمون عبر العصور على أن يكون القرآن في أجمل صورة وأبهى حلة

الشريف، الذي يعد من أهم الفنون الجميلة منذ القرن الأول الهجري وحتى العصر العثماني، حيث لم تكن الطباعة معروفة آنذاك، فكان المصحف الواحد يشترك في إخراجه مجموعة من الفنانين، يعملون لأكثر من عام في زخرفته وتذهيبه وكتابة آياته بالخط العربي بأشكاله المختلفة، ومن ثم تجليده تجليدا فاخرا.

وترجع بداية زخرفة وتذهيب المصاحف إلى العصر العباسي الذي تأثر بالفن الفارسي الساساني الذي كان شائعا في إيران، ومنذ ذلك التاريخ اهتم الرسامون المسلمون بزخرفة وتذهيب صفحات المصحف الشريف، وكتبت المصاحف على صفائح الفضة والذهب والعاج، وطرزت الآيات القرآنية الكريمة بخيوط من الفضة والذهب على الحرير والديباج لتزين بها المساجد والمجالس والمكاتب والدواوين.

وكان التذهيب للمصاحف في بداية الأمر مقتصرا على أجزاء معينة من الصفحات، كأشرطة بين السور، والفواصل بين الآيات الكريمة، وامتد إلى الصفحات الأولى لتزخرف جميعها، وكذلك الصفحات الأخيرة من المصحف، وقد بلغ فن التذهيب والتلوين روعته في العصر المملوكي، حيث وصل ذروة الإجادة في التكوينات الهندسية والمضلعات والأشكال التجميلية وزخارف التوريقات والتفريعات النباتية التي أرست دعائم الفن الإسلامي في تجميل الخط. وقد أضفى النص القرآني على الخط العربي منزلة خاصة في نفوس المسلمين جميعا، فامتزج الشعور الديني مع الإحساس بالجمال الفني، ونشأت الروائع الفنية الإبداعية لتطوير الأساليب والأنماط التقليدية.

• روائع المصاحف الأثرية

وإذا نظرنا إلى المخطوطات القرآنية الأثرية فسنجد بعض الباحثين ومنهم الباحث عبدالله بن محمد الشريدة، يقسم تلك المخطوطات طبقا لقيمتها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما اكتسبت قيمتها وشهرتها من عظمة كاتبها ومقامه الديني ومكانته التاريخية، ومنها مصحف الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو المصحف الرسمي للدولة في عهده، حيث قام بإتلاف وإحراق المصاحف الموجودة لدى الصحابة آنذاك، وأمر بنسخ مصحفه الذي تبناه وأرسله إلى أمهات العواصم في ذلك الوقت، وعرفت هذه النسخ الست بـ «المصحف الإمام».

ومنها مصحف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتوجد منه سبع نسخ محفوظة ومخطوطة بالخط الكوفي، منها نسختان في تركيا، ونسخة في صنعاء باليمن، ونسخة في الهند، ونسختان في مدينة شهد في إيران، ونسخة في النجف.

ومنها مصحف الإمام الحسن بن علي، وتوجد منه نسختان في مشهد والنجف، ومصحف الحسن البصري، كتب بخطه سنة ٧٧هـ، وهو مجلد بغلاف من خشب الصنوبر، وفي أوائل آياته حليات ونقوش ذهبية، ومحفوظ بدار الكتب في مصر.

ومصحف الإمام الصادق، الذي يرجع إلى القرن الثاني للهجرة وهو مكتوب بالخط الكوفي على رق غزال، ومجلد بقطع من خشب الصنوبر، وفي أوائل السور والآيات حليات ونقوش ذهبية، وهذه النسخة موجودة بمكتبة رضا رامبوا بالهند، وهنالك نسخة أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية.

• خطاطون خلدهم القرآن

وأما القسم الثاني: فهو يضم مخطوطات قرآنية اكتسبت قيمتها وشهرتها من مدى إتقان ودقة الخطاط الذي قام بكتابتها، ومن ذلك: مصحف الخطاط محمد بن علي بن الحسين والملقب بـ «ابن مقلة»، والذي كتب عدة مصاحف، منها نسخة موجودة في مكتبة رضا في رامبوا بالهند، وهي نسخة نادرة جدا بالخط النسخي القديم، كتبها في مائتين وخمسة عشر ورقة. والنسخة الثانية كتبها عام ٣٠٨هـ، وموجودة بدار الكتب المصرية، وهي نسخة محلاة بالذهب. أما النسخة الثالثة فهي بالقلم الكوفي والنسخي معا، وتحتوي على ثلاثمئة وسبع وثلاثين ورقة، من الورق القديم جدا، وموجودة في متحف هراة بأفغانستان.

ومصحف الخطاط علي بن هلال الملقب بـ «ابن البواب»، والذي كتب حوالي أربعة وستين مصحفا، أحدها بالخط الريحاني، أهداه للسلطان سليم الأول، ومنها مصحف بمتحف الآثار الإسلامية ببغداد كتبه عام ١٤٠١هـ. كما يحتفظ

مستر جستر بيتي في مدينة دبلن بإيرلندا بنسخة من مصحف ابن البواب، وهو مجلد صغير، عدد صفحاته ٢٨٦ صفحة.

ونجد مصحف الخطاط ياقوت المستعصمي، الذي برع في كتابته للمصاحف الشريفة، فكتب كثيرا من المصاحف التامة، والأجزاء التي تضم سورة أو عدة سور، وهي موجودة في كثير من المتاحف وبعض المساجد وخزائن الكتب، منها مصحفان مكتملان بخط النسخ وخط الثلث، موجودان بخزائن الكتب في إسطنبول بتركيا.

وهناك مصحف الخطاط حسن رضا التركي، الذي كتب ثمانية عشر مصحفا، بأحجام مختلفة، والنسخة الكبيرة موجودة في متحف طوب قبو سراي بإسطنبول، وأصبح مصحفه المصحف الرسمي في دولة تركيا. ومصحف الخطاط الحافظ محمد أمين الرشدي التركي، وهو من المصاحف الجميلة، الرائعة التنسيق والتجريد، كتبه عام ١٢٣٦هـ، وكانت كتابته بوصاية من والدة السلطان عبدالعزيز خان ابن السلطان محمود خان العثماني، والتي أهدته إلى مسجد مرقد الشيخ جنيد البغدادي عام ١٢٧٨هـ، وحفظ بعدها في مكتبة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بالعراق.

ونجد أيضا مصحف الخطاط الحافظ عثمان، الذي كتب خمسة وعشرين مصحفا، وقد طبعت هذه المصاحف ووزعت على مختلف بلدان العالم الإسلامي، مما كان سببا في ذيوع صيته، فرجح مصحفه على بقية المصاحف، وانتشر في الأقطار الإسلامية والعربية. وتحتفظ جامعة إسطنبول بمصحف بخطه النسخي البديع، وكذا مكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة. وهناك مصحف الخطاط عبدالله زهدي أفندي، وهو



بلغ الرسم القرآني ذروته في الجودة والحسن والضبط على مر العصور

مصحف وحيد يعد من المصاحف النادرة والثمينة، وهو بحوزة مواطن مصري.

• روعة الإخراج الفني

ويأتي القسم الثالث والأخير: وهو يشمل مخطوطات قرآنية اكتسبت قيمتها وشهرتها من روعة الإخراج الفني الذي تميزت به. ومن ذلك: مصحف السيدة خوند بركة، أم السلطان المملوكي شعبان، وهو مصحف من أروع وأبدع ما يفخر به معرض دار الكتب المصرية من العصر المملوكي، حيث كتب عام ٧٧٥هـ بخط ريحاني، ومضبوط ضبطا عاديا، والفواتح وكل رؤوس السور، وعلامات التجزئة، محلاة بالذهب واللازورد والأزرق الجميل، وحجمه من القطع الكبير.

ومصحف السلطان قلاوون، ويعد من أروع المصاحف من ناحية التذهيب والزخرفة بجانب حسن الخط، وهو يحتوي على ثلاثين جزءا، كل جزء مجلد على حدة. وقد كتب هذا المصحف بأجزائه عام ١٣١٣هـ، ويمتاز كل جزء بتنوع زخارفه، وفواتح السور مزينة باللونين الذهبي والأبيض على أرضية زرقاء، وكل جزء يفوق الآخر في تصميماته وزخارفه وتذهيبه.

وهناك مصحف مملوكي محفوظ بدر الكتب المصرية باسم أرغون شاه، ومؤرخ بعام ١٣٤٩م، ويضم ثلاثمئة وثمان وثمانين صفحة من الحجم الكبير، وبكل صفحة أحد عشر سطرا، مذهبة بشكل رائع لأوائل الحروف ونهاية الصفحات، وأواخر الآيات وبداية كل سورة. واستخدمت فيه الزخارف المتشابكة المجدولة المزينة بأزهار اللوتس.

• مصاحف هندية

كما تحتفظ دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة بمصحف يعود إلى دولة الهند، ومكتوب بخط الثلث السطري، وتتخلل تلك السطور، بخط دقيق، ترجمة للآيات الشريفة بالخط الفارسي، وهو مقسم إلى سبعة أقسام، كل جزء على حدة.

ونجد مصحف إمبراطور هندي عمره حوالي ٤٠٠ سنة، يزن ١٣ كيلوجراما، وتمت كتابته بخطوط ذهبية وفضية، وكل ورقة من هذا المصحف لها رائحة عطر مختلفة عن الأخرى، والخامة المصنوعة منها تلك الصفحات مقاومة للحريق. ومصحف السلطان برقوق المكتوب بخط ابن الصايغ عام ٨٠١هـ، وهو منقوش بالذهب والألوان الزاهية، ذات اللون الذهبي الرائع، الذي استخدم فيه الذهب الخالص والأزرق اللازوردي والأحمر الياقوتي، وتتخلل الألوان مساحات من البياض التي تضفي على الألوان عمقا وجمالا.

وهناك مصاحف مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، وهي مصاحف ثمينة، مهداة من عامة المسلمين، ومن مختلف العصور إلى الروضة الشريفة بالمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وهي بأقلام متنوعة، وبأساليب كتابية رائعة، بعضها مذهب تذهيبا غاية في الدقة والجمال.



مدير مركز الكويت للفنون الإسلامية فريد العلي:

هدفنا.. تعزيز الهوية الفنية الإسلامية لدى المجتمع

حوار: سليمان الرومي وعلاء عبدالفتاح

تعد الفنون في شتى حضارات الأرض رمز الرقي ومقياس التقدم، والأثر الباقي بعد أن تنطوي القرون وتتعاقب الأجيال.. وكانت دائما السجل الذي يلخص تاريخ الأمم وقيمتها ويرصد تقدمها في طريق المجد.

وقد لعبت الفنون الإسلامية دورا بارزا في تاريخ الحضارة الإسلامية، فكانت بحق معلما راقيا لحضارة أورقت وامتدت ظلالها على مساحة شاسعة من الأرض تمتد من طنجة غربا إلى جاكارتا في الشرق ومن أواسط إفريقيا جنوبا إلى تخوم فرنسا والنمسا شمالا.

ونظرا لأهمية الفن الإسلامي أولت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت هذا الميدان الحضاري اهتمامها وعنايتها فتقرر إنشاء مركز الكويت للفنون الإسلامية ليتولى مهمة دعم وتنمية وتعزيز الفنون الإسلامية بمختلف أشكالها ومجالاتها الإسلامية وتنميتها ومنحها المكانة اللائقة بها وليعزز حضورها في ثقافتنا البصرية قيما جمالية تؤكد أصالتنا ونظرتنا الإيجابية للحياة.

«الوعي الإسلامي» التقت بمدير مركز الفنون الإسلامية الفنان فريد العلي لتسليط الضوء على دور المركز وجهوده في نشر الثقافة الفنية الهادفة.. وإلى تفاصيل الحوار:





● في بداياتك.. لماذا اخترت الإسلاميات تحديدا؟

– البداية كانت مع الرسم وأنا في السابعة من العمر وكنت أعشق الرسم وتقليد كل ما أشاهده أمامي وتشجيع مدرس التربية الفنية لي كان له الأثر الأكبر ودعم الأهل لي أيضا وحصولي على جوائز متعددة من خلال الأندية الصيفية.

وفي المرحلة المتوسطة كنت أتوقف عند اللوحات الخطية على المحلات وأشاهد التنوع الكبير فيها فاشتريت كراسة هاشم البغدادي وأخذت أقلد الخطوط وكانت تستهويني خطوط الديواني والخط الكوفي.

وبعدها درست الهندسة المعمارية ووظفت الهندسة في لوحاتي ثم بدأت أدمج بين الخط والرسم والهندسة وكان هنا التميز في عمل اللوحات من خلال رسم معنى الآية في لوحة. وما جعلني اتجهت إلى الآيات والأحاديث في أعمالي هو شعوري بضعف الوازع الديني في تلك الفترة مما يحتاج إلى وقفة وعرض الآيات بطريقة ابتكارية وترجمة معانيها إلى لوحات تشد المتلقي وتذكره بعظمة الله.

● ماذا يميز هندسة الحرف عند فريد العلي دون غيره؟

– هندسة الحرف عندي هي التنوع في أشكال الحروف وأنه مفهوم ومقبول حتى عند الغرب والمسلمين، وما يميز حروفي هو الابتكار، وفي تصميم لفظ الجلالة (٩٩) كان يميزها التنوع بين حروف لينة وحروف حادة تخاطب الطفل والنشء والكبار والصغار.

وأما ما يميز حروف تصميم «محمديات» الذي قسمته إلى (١١) مجموعة لونية وشكلية فكان يميزها التنوع في الشكل الواحد ويبرز ثراء وغنى الحروف في تعدد الاحتمالات في التكوين والتشكيل.

● نريد التعرف على أهداف مركز الفنون؟

– يهدف المركز إلى تعزيز الهوية الثقافية الفنية الإسلامية لدى المجتمع من خلال أنشطة التوعية والتعليم والعناية بالمواهب الواعدة والعمل على تنميتها، ومحو أمية الخط العربي الذي يعتبر أحد وأهم جوانب الفن الإسلامي، ومد جسور التواصل مع الهيئات والمؤسسات الثقافية التي تهتم بالفن الإسلامي من جميع أنحاء العالم، وإنشاء مركز معلومات متخصص يوفر كافة المراجع البصرية والسمعية والكتب المعنية بالفن الإسلامي.

● ما الجهود المبذولة من أجل نشر الفن في المركز؟

– بذل المركز العديد من الجهود من أجل نشر هذا الفن الأصيل من خلال الفعاليات التالية:

إقامة الدروس المستمرة في مقر



المركز بالمسجد الكبير.
إقامة الورش المحددة في المسجد.
إقامة الورش في مدارس الكويت.
إقامة مسابقة الكويت لفن الخط العربي (سنوية).
تبسيط الفنون الإسلامية للأطفال من خلال كتيب «اكتشف الفن الإسلامي» الذي يقدم فن الخط بطريقة مرحة وعن طريق اللعب يقدم معلومة.
نشر هذا الفن في المولات التجارية والتعامل مع الجمهور.
نشر الكراسات التعليمية في الكويت وخارجها.
إقامة المعارض المتعددة في الكويت وخارجها.
إقامة ملتقى الكويت الدولي للفنون الإسلامية كل سنتين.
إصدار المطبوعات وطباعة اللوحات لتوزيعها على الجمهور.
المشاركة في المسابقات المحلية والدولية.
اقتناء لوحات الخطاطين لتشجيعهم للمواصلة في خدمة هذا الفن.



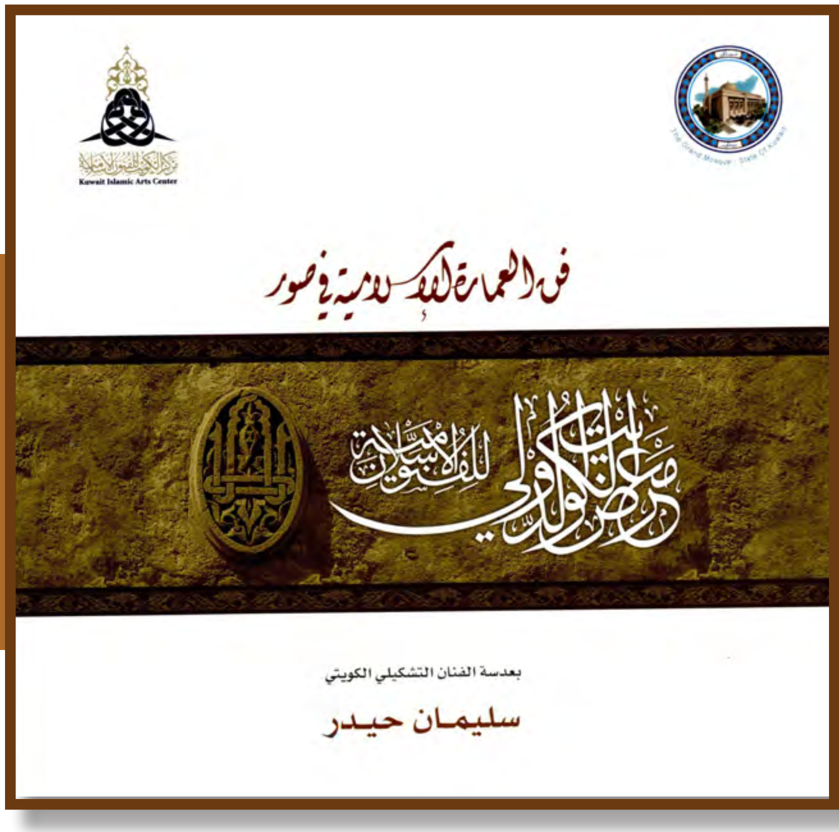
● محليا ودوليا كيف ترى الاهتمام بفن الخط العربي؟

- بالنسبة للاهتمام بفن الخط العربي في منطقة الخليج يتفاوت من بلد إلى آخر، فالاهتمام في الخليج ليس بمستوى الطموح الذي نتمنى أن يصل إليه فالاهتمام به في الإمارات كبير سواء كان في الشارقة أو دبي وأبوظبي، أما في السعودية فالاهتمام متوسط، ولكن في عمان وقطر والبحرين فالاهتمام قليل نسبة إلى عدد الخطاطين الجيدين برغم وجود متاحف، حيث يأتي اهتمام حكومي ويأتي اهتمام شخصي وجماعي.

وبالنسبة للكويت فيوجد اهتمام حكومي من خلال دعم فعاليات المركز وكذلك دور المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وكذلك وجود دار الآثار الإسلامية ومتحف طارق السيد رجب، وكذلك المعارض الخاصة في الخط العربي وأيضا هيئة الشباب والرياضة ووزارة الشباب والإعلام، والتربية والشؤون.

● ما هي الجهات التي من الممكن أن تستفيدوا منها في الخط العربي والزخرفة الإسلامية؟

- يوجد العديد من الجهات داخل الكويت، منها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وزارة التربية، المجلس



الوطني للثقافة والفنون والآداب، وزارة الإعلام، الهيئة العامة للشباب والرياضة، دواوين الكويت، المساجد الخاصة، الديوان الأميري، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل (مراكز الشباب) متاحف الكويت.

● هل في الكويت خطاطون على مستوى عال؟

– نعم هناك بعض الخطاطين يمكنهم أن ينافسوا للحصول على جوائز دولية، وقد حصلوا بالفعل عليها ومنهم الخطاط جاسم معراج، ومع وجود عدد من الخطاطين المجازين نستطيع أن ننافس على الجوائز والمشاركة في المعارض العالمية، وقد أجيزت مؤخرا أول خطاطة كويتية الخطاطة سندس مبارك، والتي كانت تدرس عند الخطاط حسام المطر، وهناك العديد من الخطاطين المجازين بالكويت منهم الخطاط أيمن حسن والخطاط نايف الهزاع والخطاط أحمد أبونايف، وهناك الخطاطون المقبلون على أخذ الإجازات قريبا وهم «جاسر الشمري/ مشاعل الطرابلسي/ عبدالعزيز الصفران/ فيصل الشطي».

● ما هي أنواع الخطوط وأصعبها؟

– هناك ستة أنواع من الخطوط المعروفة والمتداولة وهي: خط الرقعة– خط النسخ – خط الثلث – خط التعليق – خط الكوفي – خط الديواني.

وعندما نتكلم عن أسهلها فهو خط الرقعة، وأما أصعبها فهو خط الثلث، فعندما يبدأ المتعلم بالدراسة فإنه أولا يبدأ بالخط الأسهل وهو خط الرقعة ثم التقدم إلى الخطوط إلى أن يصل إلى تعلم خط الثلث.

والتعلم يحتاج إلى عشق الخط وليس حبه ويحتاج إلى المثابرة والصبر والتمرن المستمر وأيضا احترام المدرس والأستاذ.

● هل الطريقة التقليدية في تعليم فن الخط العربي تجدي نفعا؟

– أعتقد أنه آن الأوان لتغيير الطريقة القديمة في التعليم ولصديقي الخطاط بلعيد حميدي تجربة مفيدة في ذلك الأمر، لأن الطريقة القديمة تأخذ وقتا طويلا في التعليم تمتد إلى أربع سنوات أو أكثر بينما الطريقة الجديدة والمبتكرة تأخذ وقتا قصيرا وتعتمد على مدى استيعاب الطالب ومدى تفاعله مع المدرس فنحتاج تجربة الخطاط بلعيد حميدي من المغرب الذي يمارسها منذ فترة في القاهرة.

● ما دور المركز في الاهتمام بالطفل؟

– ركز مركز الكويت للفنون الإسلامية منذ نشأته على هذه الشريحة المهمة في المجتمع لأنها شريحة مظلومة في هذا الجانب.

ومنذ بداية أعمال المركز كان الاهتمام بالأطفال من خلال مسابقة الكويت لفن الخط العربي وأيضا اهتمامه بطلبة المرحلة المتوسطة والثانوي، فقد رفعنا قيمة المكافأة إلى ٧٥٠ دينارا كويتيا للمرحلة المتوسطة والثانوية و١٥٠ دينارا كويتيا لمرحلة الأطفال. وقد حصلنا على نتائج باهرة ومبدعة للأطفال، كما أقام المركز من خلال زيارات الأطفال للمسجد الكبير العديد من الورش التي تنمي قدراتهم وتربطهم بالفنون الإسلامية، بالإضافة إلى تصميم وطباعة أكثر من ١١ كراسة للطفل داخل الكويت وخارجها، وكانت أصداؤها كبيرة والاستفادة منها عظيمة.

فالكراسة تعطي الطفل جرعة من المعلومات المبسطة عن الفنون الإسلامية عن طريق اللعب واللهو والمرح وتخاطب أحاسيس الطفل التي لها أثر كبير في تعلقه بالفنون الإسلامية.



فارتقب إنهم مرتقبون

د. خالد راتب
باحث أكاديمي

حالة الترقب تنتاب الإنسان دائما، يحاول معرفة ما تسفر عنه الأيام والوقائع من أحداث، والناس يترقب بعضهم بعضا، وتزداد هذه الحالة عند الخصومة، والكل - إلا ما رحم ربي - ينتظر خطأ الآخر، أو يتمنى له مصيرا سيئا... وتظهر مخرجات هذا الترقب في معاملات الناس بعضهم مع بعض، وهناك ترقب ليله صعب ونهاره شديد، ولكن فرجه قريب، وهو ترقب المظلوم الذي يظل ليله رافعا يديه يدعو على ظالمه، ينتظر عدل السماء في جبابرة وطغاة الأرض، الذين نهبوا الأموال والخيرات، وأذلوا العباد، وأضاعوا مستقبل الشباب، وحرموا الناس من حقوقهم، فقد كبتوا حرية البشر، وضيقوا عليهم حتى كادوا أن يحرموهم الهواء وقطرة الماء!

وكما أن المظلوم يترقب عدل الله وسيف انتقامه من الظالم، فإن الظالم مترقب ومنتظر الأخذ الأليم، الذي لا يستطيع الإفلات منه، ولكنه يكابر ويحاول أن يظهر في مظهر المتماسك، ولكن هيهات هيهات، فإن أخذ الله أشد مما يتوقع الظلمة، قال ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» (١)، قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢).

فالترقب من الظالم يقابله إمهال من الرب، فمن حكمة الله في تعامله مع خلقه -حتى الظلمة- أنه لا يأخذهم من أول مرة، ولكن يترك لهم فترة من الزمن لعلهم يتوبون، ولكن أكثر الظالمين يظنون الإمهال بوادر رضا من الله عليهم، ولكنه الإمهال الذي يتبعه الاستدراج، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي

مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ (الأعراف:١٨٢-١٨٣).

بحيث كلما طغى الظالم زيد له في العطاء، لدرجة أنه يظن أنه على الجادة والصواب، وأن من ظلمه هو المخطئ، ولو كان هؤلاء مظلومين ما أصابتهم تلك المحن، ولوكان ظالما ما زاد الله له في المنح، وهذا ظن قاصري النظر، حيث يظن المنع في كل الأوقات عقابا، ويظن العطاء في كل وقت منحة، وهذا لعدم فهم كثير من الناس لحكمة الله في المنع والعطاء، فيأتي القرآن ليصحح هذه المفاهيم ويوضح ويبين لكل من كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد خطأ هذا الفهم: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ (الفجر:١٥ و١٦).

إن الإمهال وفتح أبواب كل شيء على الظالمين لكي يزدادوا إثما، حتى إذا أخذهم، أخذهم بحق، وهذا قمة العدل حتى في الأخذ، حيث ترك الله لهم فرصا كي يرجعوا عن ظلمهم، ولكنهم ازدادوا طغيانا وبعدا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ (آل عمران:١٧٨)، لأن صب العذاب على الظالمين لا يكون إلا بعدما يكثر فسادهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر:٦-١٤).

إن الترقب والتربص، سواء كانا من المؤمنين أو من غيرهم، مؤلمان، ولكن الذي يهون على المؤمنين أنهم يرجون وجه الله، ويرجون منه -سبحانه- ما لا يرجوه أهل الباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٠٤).

وكذلك المنافقون يتربصون ويترقبون ما يحل بالمؤمنين من الفتن والأزمات والحروب، فإن مَنّ الله على عباده المؤمنين بالخير والغلبة، انتظروا نصيبهم، وإن حل بهم غير ذلك أظهروا ولاءهم للأعداء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (النساء:١٤١).

إن تربص المنافقين والأعداء بالمسلمين ظاهرة طبيعية، وله مسوغاته، أما أن يتربص المسلم بالمسلم، والأخ بأخيه، وأبناء الوطن بعضهم ببعض.. فهذا ما لا مسوغ له، وليس له محل من الإعراب!

إن صاحب القلب الحي والفكر الحر ليألم أشد الألم عندما يرى حلقة الترقب والتوجس والصراع قد أحاطت بالمسلمين، ووجهوا ضرباتهم إلى نحورهم، وتركوا عدوهم في مأمن يشاهد المسلمين داخل حلبة المصارعة يحاول كل منهم أن يقضي على الآخر.

وهذا التربص ينذر بكارثة إن لم يتغمدنا الله برحمته أولا، ثم بتضافر جهود المخلصين وأصحاب الفكر المستنير في العمل على لم شمل أبناء الأمة الإسلامية وتذكيرها بثوابتها، التي منها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢).

وتذكيرها بالتواد والتراحم والتواصي بالحق والصبر: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر:٣).

هذه هي النقطة الأولى في لم شمل المسلمين.. التذكير والإخلاص في النصيحة، والتذكير بالتراحم والتواصي بالحق والصبر، ولكن هذا لا يكفي فلابد من اتباع هذه الخطوة بخطوة عملية تتخطى مرحلة النصح والتذكير بالقول، وفق آليات مدروسة قابلة للتنفيذ؛ وذلك لأن أعداءنا يتحركون برؤية ومنهج ومخطط، ولا يستعجلون في تحصيل النتائج، فهم مترقبون ومتربصون بنا، يتابعون لحظة بلحظة ما يجري لنا، ومدى سير العالم الإسلامي نحو تحقيق أهدافهم.

كما أنه يجب -وليس طبيعيا- ألا ننتظر حلولا مستوردة من المتربصين بنا، ولا نظن، ولا مجرد الظن أن عدونا سيحل لنا مشاكلنا أو يخرجنا من أزماتنا، ومن يظن ذلك فهو أبله، بعيد عن دنيا الناس، يتعلق بالسراب.

إن ترقب العدو بنا يحتم علينا أن نعلي المصالح العامة على المصالح الشخصية، وإلا فلا عامة حققنا، ولا شخصية نلنا. ولنعلم أن التأخر في قراءة ما يحاك ويدبر، والتغاضي عن فهم حقيقة هذه التدابير، والتكاسل والتواني في إيجاد حلول عملية، ولو مرحلية، يزيد الأزمات، ومن يدفع الفاتورة كاملة هم المسلمون، فكما أن غيرنا يترقبون بنا فكذلك يجب علينا أن نكون مترقبين يقظين.

الهوامش

١- أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة هود، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.



خير أمة

عثمان نوري طوباش
باحث من تركيا

لقد فخرت هذه الأمة – وحق لها أن تفخر – بما شهد الله تعالى لها به، حيث يقول سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠).

فالأمة المحمدية – بشهادة البارئ سبحانه وتعالى – خير الأمم، غير أن هذه الخيرية ليست نابعة عن مجاملة أو محاباة، وإنما سببها ما ذكره الله تعالى بعد ذلك: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فهذا الثناء الرباني على الأمة المحمدية ليس تشريفا فحسب، بل هو تكليف أيضا، فمناط الخيرية في أمة الإسلام مرتبط بالإيمان بالله تعالى، والاستقامة على شرعه، وهداية الخلق إليه.

فمن حقق الشرط تحقق له المشروط وقامت به الصفة؛ كما قال عمر رضي الله عنه: «من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها» (١).

وهذه الخيرية في الأمة إنما تتبع من مجموع أفرادها، فالمسلم الحق هو الذي يمثل الإسلام بشخصيته وسيرته، مستظلا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣).

وعندما بلغ المسلمون هذا الدين العظيم مقتدين برسولهم في أخلاقه وسيرته، نشأت حضارة عظيمة مليئة بالفضائل والقيم في عصر الرسول والخلفاء الراشدين،



واستمرت تخبو حينا وتنتعش أحيانا عبر العصور حتى عهد الدولة العثمانية التي كانت حضارة إنسانية فريدة ارتقت في الأخلاق والعلم والأدب، ورعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، نشرت الدين ودافعت عنه، وثبتت على الحق وأعلت رايته، وحافظت على قيم الحضارة الإسلامية الأصيلة وعملت على إحيائها.

وكثيرة هي هذه القيم التي تميزت بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم السابقة، حتى شرفت بهذا الثناء، ولكننا سنسلط الضوء - في هذه العجالة - على بعض هذه القيم مستشهدين عليها بسلوك بعض من أفرادها.

أمة الثبات على الحق

فالأمة المسلمة أمة ثبتت على دين الله تعالى كما أنزله الله تعالى دون تحريف أو تبديل، وضحت في سبيل ذلك بكل غال ونفيس، وليس أدل على هذه الصفة في الأمة من أبي بكر الصديق ﵁، فقد بذل في سبيل نصرة دين الله تعالى كل ماله، حتى إذا سأله رسول الله ﷺ ذات مرة: «وما أبقيت لأهلك؟» قال: «أبقيت لهم الله ورسوله» (٢).

ولأنه كان يبذل ما يبذله بكل صدق وإخلاص قال فيه النبي ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»، فبكى أبوبكر ﵁، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله (٣) .

ولم يكن رسول الله ﷺ يأذن لأحد من الصحابة أن ينفق كل ماله، خشية

أن يقع فريسة الندم فيحبط أجره، إلا لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان كقلعة إيمان لا تتزحزح، وقال فيه سيدنا علي رضي الله عنه: «كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله الرواجف» (٤).

وبقي على هذه الحال مدافعا صلبا عن الإسلام، لا يتنازل عن أحكام الدين بحال من الأحوال، وبعد وفاة رسول الله ﷺ ثبت على الحق في وجه المرتدين، وأظهر في مواجهتهم صلابة وشدة، وقال قولته المشهورة: «والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»، وبذلك أغلق كل الأبواب أمام تحريف الدين ومنع اتساع الفتنة.

وهكذا هي الأمة المسلمة ثابتة على الحق، لا تتزحزح عنه قيد شعرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أمة القسط والعدل

والأمة المسلمة أمة العدل بين الناس جميعا، مسلمهم وكافرهم، غنيهم وفقيرهم، برهم وفاجرهم، ترعى شؤون رعاياها، وتصلح أحوالهم، تأخذ الحق للمظلوم من الظالم، وتنصف المحكوم من الحاكم.

وليس في الدنيا أبلغ مثالا على العدل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبعد أن اطمأن قلبه بالإيمان صار مضرب المثل في العدالة والإيثار والحكمة، فما عاد عمر ذلك الإنسان ذا الطبع الفظ الغليظ القلب، بل صار عمر الرؤوف، المشغول بما يصلح الأمة، والأمين على كل فرد فيها.

فكان يحاسب نفسه دائما ويقول: «لو هلك حمل من ولد الضأن ضياعا بشاطئ الفرات خشيت أن يسألني الله عنه».

وكان يحمل جراب الطعام في الليل ويدور على بيوت الفقراء والمحتاجين، وكان دائما إلى جانب اليتامى والمساكين، وما كان يجد الراحة والسكينة في فؤاده قبل أن يواسي المنكسرة قلوبهم، ويمسح دموعهم، ويزرع الابتسامة في وجوههم.

عمر الذي أنصف القبطي من ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ما منعه مقام أبيه ولا دينه من أن يأخذ الحق للقبطي منه.

عمر الذي قال كلمته المشهورة في وجه الدنيا، معلنا عدل الإسلام ورحمته: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

أمة الزهد

وهي أيضا الأمة التي حذرها نبيها من الركون إلى الدنيا، والانشغال بمتعها وملذاتها عن نشر دين الله والجهاد في سبيله، فقال ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» (٥).

ولا نعلم في الأمة نموذجا أدل على هذه المزية من عمر بن عبدالعزيز، من جاءته الدنيا راغمة فأعرض عنها، متأسيا برسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهم.

يقول مالك بن دينار رحمه الله: «الناس يقولون: إني زاهد؛ إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته الدنيا فتركها» (٦).

ويقول ابن عبدالحكم: «لما ولي عمر ابن عبدالعزيز زهد في الدنيا، ورفض ما كان فيه، وترك ألوان الطعام، فكان لا يهمه من الأكل إلا ما يسد جوعه، ويقيم صلبه، وكانت نفقته وعياله في اليوم درهمين» (٧).

وتصف زوجته فاطمة حاله التي تعكس رقة قلبه: «دخلت يوما عليه وهو جالس في مصلاه واضعا خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت: ما لك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة

الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت».

وهكذا تكون خير أمة، لا تلتفت إلى الدنيا ولا تشغل بها عن أمر الله ونهيه، وإقامة دينه وشرعه.

أمة الدعوة والهداية

إنها الأمة التي أمرها الله تعالى بنشر الدين وهداية الخلق، والجهاد ضد كل من يقف في وجه ذلك، ولذلك ترك الصحابة الكرام بساتين النخل في المدينة حتى وصلوا إلى الصين، وتوجه المسلمون إلى إسبانيا في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وفتح عقبة بن نافع القيروان، وكان يدعو الله تعالى بقلب ينبض بالإيمان، فيقول: «يا رب، لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك».

ولقد كان هم العثمانيين إعلاء كلمة الله تعالى، وتعريف الناس بالإسلام، والدعوة للخير والحق، والسعي لنجاة الناس في دار القرار.

وهذا ما عبر عنه مؤسس الدولة العثمانية عثمان الغازي في نصائحه لابنه أورخان الغازي ولكل من يأتي بعده من رجال الدولة، إذ قال: «واعلم يا بني أن طريقنا الطريق إلى الله، ومقصدنا تبليغ دينه، وليست دعوتنا صراع وحروب لحكم العالم، بل لإعلاء كلمة الله».

وأما أورخان غازي فقد فضل الفتح المعنوي على فتح البلاد، فقال: «المروءة أفضل من الغزوة». وكان يخلد الفتوحات بهداية الناس، فيسكن أولا أهل الله والصالحين في البلاد التي يفتحها، فكان عيش هؤلاء وتبليغهم الدين بأحوالهم وسيلة هداية لأهل البلد كلهم.

واستمر سلاطين بني عثمان على هذا النهج إلى زمن قريب، فهاهو السلطان عبدالحميد الثاني - على ما كان يعانيه من مآزق ومصاعب في إدارة الدولة ومواجهة خصومها - لم يهمل أبدا هداية الخلق ما إن تسنح له الفرصة لذلك، حتى مد نفوذ الخلافة ليشمل العالم كله، فأسس في «بكين» مؤسسة للتدريس الديني كانت تسمى «الجامعة الحميدية» قامت بفعاليات دينية كبيرة في «بكين» لفترة طويلة، كما أرسل إلى اليابان هيئة علمية عرفت في تاريخنا باسم «فاجعة أرطغرل» كانت مهمة تلك الهيئة نشر الإسلام في تلك الأماكن، واستفاد من الظلم الواقع على الزنوج في «أميركا»، فأرسل إليهم رجالا للدعوة بهدف جذبهم إلى العالم الإسلامي، ومن الحقائق التاريخية الثابتة أنه كان عاملا رئيسيا في تشكيل الوجود الإسلامي الزنجي الموجود حاليا.

ولا عجب في ذلك فهؤلاء السلاطين تربوا على عين الأئمة الربانيين أمثال جلال الدين الرومي الذي قال: «علمني شمس الدين أدبا عظيما حين قال: «إذا كان في الدنيا مؤمن واحد يشعر بالبرد، فليس لك حق أن تتدفأ» ولأنني أعلم أنه ثمة مؤمنون في الأرض يشعرون بالبرد، فلن أشعر بالدفء ما حييت».

فالواجب علينا اليوم أن نسير على درب هؤلاء الربانيين، لنعود أهلا لوسام خير الأمم، مستبشرين ببشارة رسول الله ﷺ:

«مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره» (٨).

فاللهم أكرمنا بأن نكون قطرة خير في هذا الغيث المبارك.

الهوامش

١- تفسير ابن جرير الطبري (٤/٤٣).
٢- (أبوداود، زكاة، ٤٠).
٣- (ابن ماجه، المقدمة، ١١/٩٤).
٤- (أبونعيم، معرفة الصحابة، جـ١، ص ٢٦٤)
٥- (صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ٥٢٦١).
٦ - تاريخ الإسلام للذهبي (١/٨٣١)
٧ - (سيرة عمر لابن عبدالحكم ٣٨).
٨- (الترمذي، الأمثال، ٦).



«الأوقاف» تشارك في معرض إسطنبول الدولي للكتاب الـ (٣٤)

التحرير

شارك وفد من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في معرض إسطنبول الدولي للكتاب الرابع والثلاثين في جمهورية تركيا، وذلك خلال الفترة ٧ – ١٠ نوفمبر الماضي في مركز المؤتمرات والمعارض «توياب».

وقد ترأس وفد الوزارة وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية المهندس داود العسعوسي، وعضوية كل من مدير المسجد الكبير عبدالله الكندري ومدير التحرير فهد الخزي ومراقب الإنتاج في الإعلام الديني سلمان الخليفان وخالد الهلال ومطلق الرشيدي.

وشمل المعرض جناحا خاصا لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تضمن العديد من الإصدارات والمطبوعات الصادرة عن إدارات وقطاعات الوزارة المختلفة، وذلك انسجاما مع الخطة الاستراتيجية لوزارة الأوقاف، وتحقيقا لمبدأ الشراكة ورسالة الوزارة في الريادة.



رئيس التحرير السابق يزور جناح الوزارة

ولاقت إصدارات «الوعي الإسلامي» إقبالا من الجمهور، خصوصا الكتب والبوسترات الخاصة باللغة العربية والتاريخ الإسلامي.

وقد حلت رومانيا ضيف شرف على المعرض هذا العام، حيث تم عرض الكتب الأدبية والثقافية الرومانية في أجنحة الصالة الدولية لمدة ٤ أيام.

وتخللت المعرض فعاليات وأنشطة ثقافية مختلفة، مثل تنظيم «ملتقى كتاب الخيال العلمي التركي الصيني»، و«حفل تقديم جوائز جمعية المطبوعات الشبابية والأطفال»، بالإضافة إلى «حفل توزيع جوائز توديم للآداب».

يذكر أن معرض إسطنبول الدولي يقام سنويا بمشاركة أكثر من ٨٠٠ دار نشر ومؤسسة من ثلاثين دولة حول العالم، إضافة إلى مشاركات عالمية من وزارات الثقافة والتعليم والسياحة التي وفرت منصات تطل منها دور النشر على الزوار، ووصل عدد الفعاليات التي جذبت العديد من الزوار إلى ٧٢٠ فعالية، شملت محاضرات وندوات.

وأكد مدير التحرير فهد الخزي حرص الكويت على المشاركة في المهرجانات الثقافية ومعارض الكتاب العالمية لإبراز صورتها الحضارية وإسهامها في إثراء الثقافة العربية.

وقال الخزي: إن مجلة «الوعي الإسلامي» منذ نشأتها قبل ٥٠ عاما وهي تساهم في خدمة المعرفة والفكر الإسلامي الوسطي المعتدل، حيث شاركت هذا العام بإصدارها الإلكتروني وهو مجلة «الوعي الشبابي» الإلكترونية الشبابية، بالإضافة إلى إصدارها المتميز للأطفال «براعم الإيمان».

وشدد على أهمية الكتاب ودوره في تدعيم التنمية الثقافية باعتباره أقدم وأهم مصادر الحصول على المعرفة، فضلا عن أن معارض الكتاب تشكل وسيلة اتصال ثقافي وحضاري ومعرفي وجسرا للتواصل مع العالم أجمع.

وبين الخزي أهمية المجلة كونها الأقدم من بين المجلات الإسلامية في الكويت والعالم العربي والإسلامي، والتي لاتزال تصدر إلى يومنا هذا، حيث تحمل رسالة ترسيخ القيم الإسلامية والمساهمة في تأصيل الخطاب الإسلامي وفق خطاب شرعي يجمع كلمة المسلمين.

وذكر أن مشاركة المجلة وباقي إدارات قطاع الثقافة في جناح وزارة الأوقاف جاءت للإسهام في التنمية المعرفية والمعلوماتية وتعريف الجمهور بأهم إنجازات ومشاريع القطاع وعرض تاريخ إصدارات القطاع ومنها المجلة.

وأوضح مدير التحرير أن للمجلة قراء من مختلف الدول الإسلامية يحرصون على اقتنائها ومتابعتها، وما يكتب بها من مقالات وبحوث ودراسات متخصصة في الجانب الإسلامي، بالإضافة إلى استطلاعات الرأي في القضايا الإسلامية المعاصرة.



الوكيل العسعوسي يتوسط وفد الأوقاف ومدير التحرير الخزي أقصى يمين الصورة





خريطة الجمال في الفقه الإسلامي

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية - الكويت

جاء الإسلام، عقيدة وشريعة، موافقا لفطرة الإنسان، فاعتنى بالجمال بكل صوره، مظهرا وجوهرا. وقد ثبت عند الناس عناية الإسلام بجمال الباطن، والنفس، والخلق، والروح. لكن البعض تصور أن الإسلام أغفل جمال المظهر، وأن عناية المسلم، رجلا كان أو امرأة، بجمال مظهره، ربما يعده منافيا لتعاليم الإسلام الذي يركز على جمال الروح والقلب، غير أن المتتبع للفكر الإسلامي بوجه عام، والفقه الإسلامي بوجه خاص، يدرك أن الإسلام اعتنى بالجمال الخارجي كما اعتنى بالجمال الداخلي، وأن المتتبع لخريطة الإسلام يجد أن الجمال حاضر في كل منطقة من مناطق تلك الخريطة، سواء ما تعلق منها بالعقيدة، أو العبادة، أو المعاملات، أو الأخلاق والسلوكيات.

مجالات الجمال

تنوعت مجالات الجمال في الإسلام حتى أضحى الجمال صبغة الإسلام، وأحد أبرز مكوناته، فهو حاضر ظاهر في كل أقسام الإسلام وأحكامه.

الجمال في العقيدة

إن من أهم ما يثبت مكانة الجمال في الإسلام أنه حاضر في العقيدة الإسلامية، وهي أعلى مراتب الدين، وعموده الأساس، ومن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ في وصف ربه سبحانه وتعالى حين قال لأصحابه: «إن الله

جميل يحب الجمال» (رواه مسلم).
وكيف لا يكون خالق الجمال جميلا؟! فالله سبحانه وتعالى متصف بالجمال، لأنه خالقه، بل إنه سبحانه وتعالى يحب الجمال.

الجمال في العبادات

والجمال الحسي ظاهر -أيضا- في مجال العبادات بقوة، فهو لا ينفك عنها، والمسلم الحق جميل ظاهرا كما هو جميل باطنا.
ومن مواطن الجمال في العبادة:

الجمال في الطهارة

فقد شرع الله تعالى الوضوء وجعله شرطا لكثير من العبادات التي لا تصح إلا به.
كما أنه شرع الغسل وأوجبه في حالات عدة، كالجنابة، وعقب الجماع، وعقب الحيض والنفاس، بل أوجبه على المسلمين في حق الميت، فيكون آخر شأن المسلم بعد موته أن يكون جميلا عند ملاقاة ربه سبحانه وتعالى، كما استحب الإسلام الغسل عند اجتماع الوسخ على جسد المسلم، حتى يكون نظيفا طاهرا، واستحبه استحبابا مؤكدا في العبادات الجماعية، كصلاة الجمعة والعيدين، وفي كثير من مواطن الحج.
وقد شرع الله تعالى الاستنجاء؛ كي يتطهر المسلم من النجاسات التي قد تعلق به، وتغير رائحته، فينفر الناس بعضهم من بعض إن لم يستنجوا من القاذورات التي تخرج من قضاء الحاجة.
وقد شرع الإسلام غسل اليدين في كثير من الأحوال، حتى يكون المسلم جميلا، كما هو الشأن عند تناول الطعام وبعده.

الجمال في سنن الفطرة

وفي فقه الطهارة، شرع الله سبحانه وتعالى سنن الفطرة؛ وهي كلها وسائل تساعد على حفظ جمال الإنسان في حياته، فشرع الختان وجعله واجبا في الرجل دون النساء، لما فيه من حفظ جمال الإنسان في عضوه الذكري، وإزالة ما قد يبقى من الأذى، مما قد يعلق بالحشفة عنده. وشرع الاستحداد خشية تجمع القاذورات حول عانته، كما شرع له قص الشارب تجميلا لهيئته، وشرع له إعفاء اللحية التي تعد زينة الرجل، وشرع له نتف الإبط كي لا تتجمع الأوساخ فيه، مع ما قد يصيبه من عرق، مما يجعل الناس تنفر من الإنسان بسبب رائحته، كما شرع له تقليم الأظافر؛ حفاظا على جمال يده وأظافره، وكي لا تتجمع الأوساخ فيها مما قد يضره، وشرع له المضمضة لجمال فمه، والاستنشاق لجمال أنفه، واستحب له الانتضاح بالماء لجمال وجهه ووسامته، كما سن له استعمال السواك كي تبقى أسنانه جميلة نظيفة.
وجاء الشارع الحكيم بالأمر بتنظيف الآنية التي يستعملها الإنسان في الطعام والشراب؛ حتى تكون نظيفة جميلة عند استعمالها؛ لأن في تركها دون نظافة إلحاق ضرر على صحته وبدنه.

الجمال في الصلاة

وقد حث الشارع الحكيم المسلم أن يكون جميلا عند ملاقاة ربه سبحانه وتعالى، فجعل نظافة البدن ونظافة الثياب ونظافة المكان شروطا لصحة الصلاة، فلا تصح صلاة العبد ولا تقبل إلا أن يكون المسلم نظيف البدن والثياب والمكان عند الصلاة لربه سبحانه وتعالى.
كما أمر الله تعالى في الصلاة بستر العورة؛ حتى يقف المسلم في أجمل هيئة أمام ربه سبحانه وتعالى، بل سماها الله تعالى زينة، فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١). وسن النبي ﷺ أن يلبس المسلم أنظف ثيابه وأطهرها، واستحب البياض منها، وكان يجعل للعيدين ثيابا خاصة.
وفي سبيل تحقيق جمال الصلاة، فقد كرهت بعض الأعمال التي تنافي جمال الصلاة، من ذلك: أن يتجشأ الإنسان أثناء الصلاة، والعبث في الصلاة، وأن يصلي وهو يريد قضاء حاجته (وهو ما يسميه الفقهاء بـ «الحاقن»)، وكراهة حركة البصر في الصلاة، وكراهة الحركة في غير مصلحة الصلاة، بل تبطل الصلاة إن كانت الحركة كثيرة بغير مصلحة، وكراهة أن يستقبل المصلي ما يشغله عن الصلاة، وكراهة الالتفات في الصلاة.. ونحو ذلك.
وقد ذكر الفقهاء أمورا تبطل الصلاة، إن ارتكبها المسلم، منها ما يتعلق بالحفاظ على الجمال في الصلاة، ومن ذلك:
أن الصلاة تبطل إذا أحدث الإنسان في الصلاة بخروج ريح ونحوها، كما تبطل الصلاة بانكشاف عورته بتفاصيل ذكرها الفقهاء، ومنها: وجود نجاسة في الصلاة مع تفاصيل ذكرها الفقهاء، ومنها: الأكل والشرب أثناء الصلاة، ومنها: القهقهة في الصلاة مما يتنافى مع جمال الصلاة، ومنها: النوم في الصلاة.. وغير ذلك من مبطلات الصلاة التي تذهب الجمال منها حسيا ومعنويا.

جمال الهيئة في الصلاة

ومما يلاحظ أن عناية الإسلام بجمال المسلم في الصلاة فاقت

الحد المتصور، فاهتم بجمال الهيئة، فجعل الصلاة في صفوف متساوية، يتقدم المسلمين إمام واحد، ثم يصلي خلفه الرجال في صفوفهم، ثم تأتي صفوف الصبيان، ثم صفوف النساء آخرا.

كما أن من جمال الهيئة في الصلاة أن فرّق الشارع بين هيئة الرجل وهيئة المرأة، فجعل المرأة تضم بعضها إلى بعض، بخلاف الرجل، وأنها لا تجهر بالقراءة في حضرة الرجال، وأن تصفق إن أخطأ الإمام.

كما جعل المرأة في الصلاة كلها عورة سوى الوجه والكفين.

كما أن من جمال هيئة الصلاة أن شرع الله تعالى صلاة الجماعة في المسجد، وجعلها سنة مؤكدة في الفرد، واجبة على الكفاية في حق الجماعة، وحث المسلمين عليها، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (المائدة:٦) فخاطبهم بصيغة الجمع، وحث عليها النبي الكريم ﷺ فقال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة». وفضل أن تكون الصلاة في المسجد على غيره من الأماكن، مع صحة الصلاة في أي مكان، لقوله ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».

الجمال في الصيام

وتبرز مظاهر الجمال في عبادة الصيام، بالتزام المسلمين بتوقيت واحد في الإمساك عن الطعام والشراب، وبتوقيت واحد -أيضا- في الفطور، والتفات الأسرة أو الجماعة على الطعام في هيئة جمالية رائعة، بالإفطار على تمرات ثم أداء الصلاة ثم الاجتماع على الطعام.

كما يظهر الجمال في رمضان باجتماع المسلمين على الصلاة، خصوصا صلاة التراويح.

بل يثبت الطب الحديث أن الصيام هو إحدى وسائل رشاقة الجسد وجماله، مع ما فيه من تحقيق جمال الروح.

جمال الحج

تبرز مظاهر الجمال في الحج في وحدة الهيئة عند الحجاج، ففي الحج ترى الحجاج كلهم يلبسون ثيابا واحدة هي ثياب الإحرام، كما أن مناسك الحج واحدة يؤديها المسلمون بنظام بديع يظهر جمال تلك الفريضة.

الجمال في الأضحية

ويظهر الجمال في الأضحية في الشروط التي وضعها الشارع في الذبيحة التي تصح بها الأضحية، من السن المناسبة، وسلامتها من العيوب، فيضحي المسلم بالأضحية الجميلة الكاملة الأوصاف؛ لأن الله تعالى جميل يحب الجمال في كل شيء.

الجمال في الزواج

وقد أقر الشرع أن الجمال أحد المعايير التي تنكح المرأة لأجلها، وهو معيار موافق لفطرة الإنسان، فإن النفوس تميل إلى الوجوه الجميلة. ومن رحمة الله تعالى أن جعل الجمال مرتبطا بالمرأة، فما من امرأة إلا وفيها نسبة من الجمال، وفي الحديث المتفق عليه: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»، على أن الشارع حذر أن يكون نكاح المرأة لجمالها وحده، ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن»، ولكن إن اجتمع الدين مع الجمال؛ رفع النهي الوارد.

ومراعاة لجمال المرأة فقد أذن الشارع بالنظر إلى المرأة الأجنبية إن أراد المرء أن يتقدم لخطبتها، كما ورد في الحديث: «إذا خطب أحدكم امرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»؛ وذلك لأنه من أسباب الألفة والوئام.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة، فقال له النبي ﷺ: «أنظرت إليها؟». قال: لا. فقال: «اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

بل رتب الفقهاء على اشتراط الجمال في المرأة أحكاما، فقالوا: لو شرط أحد الزوجين في صلب العقد صفة من صفات الكمال، مما لا يمنع عدمه صحة النكاح، كبكارة وشباب وإسلام، أو نفي عيب لا يثبت به الخيار، كأن لا تكون عوراء أو خرساء، أو شرط ما ليس من صفات الكمال ولا النقص، كطول وبياض وسمرة، فتخلف الشرط، صح النكاح، وثبت للمغرور خيار الفسخ. عند الجمهور على خلاف.

وقال الحنفية: لا يثبت الخيار بخلف الشرط.

وجاء في «فتح القدير»: فلو شرط وصفا مرغوبا فيه، كالعذرة (البكارة) والجمال والرشاقة وصغر السن: فظهرت ثيبا عجوزا شوهاء، ذات شق مائل، ولعاب سائل، وأنف هائل، وعقل زائل، فلا خيار له عند أبي حنيفة وأبي يوسف (الموسوعة الفقهية).

جمال الطعام والشراب

وحث الشارع المسلم ألا يأكل أو يشرب إلا من الطيب الجميل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٢)، وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ (البقرة:١٦٨)، وقال سبحانه: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ (النحل:١١٤)، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ (البقرة:١٧٢).

وفي مقابل هذا حرم الله تعالى على الإنسان أن يأكل ما كان فيه ضرر عليه، مما ينافي الجمال في صحته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:١٧٣).

الجمال في الزينة والثياب

أباح الشارع أن يلبس المسلمون الثياب الجميلة للتزين، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٢)، وقد كان بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- في أول الإسلام يرون أن حسن الهيئة ولبس جميل الثياب من الكبر، فصحح لهم النبي ﷺ ذلك، وأبان أن ذلك من الجمال الذي يحبه الله تعالى، فقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل منا يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة. قال عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس» (رواه مسلم).

بل إن العناية بالمظهر وإبراز نعم الله تعالى على العبد مما يحبه الله تعالى، كما ورد في الحديث: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه».

ومن الجمال المأذون به اتخاذ المركوب الجميل للزينة، ما لم يكن بقصد الخيلاء، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ﴾ (النحل:٨).

جمال الوجه

ومن الجمال المشروع في الوجه استحباب الاكتحال للنساء وترا، لقوله ﷺ: «من اكتحل فليوتر»، وهو في شأن النساء آكد بقصد الزينة، ويجوز للرجال للتداوي، وفي اكتحال الرجال للزينة خلاف بين الفقهاء.

بل استحب الشارع النظر إلى المرآة وتسوية شعر الرأس واللحية، فقد روى مكحول عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب، فخرج يريدهم، وفي الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء، ويسوي لحيته وشعره، فقلت: يا رسول الله، وأنت تفعل هذا؟ قال: نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال».

جمال الروح يزيد جمال الوجه

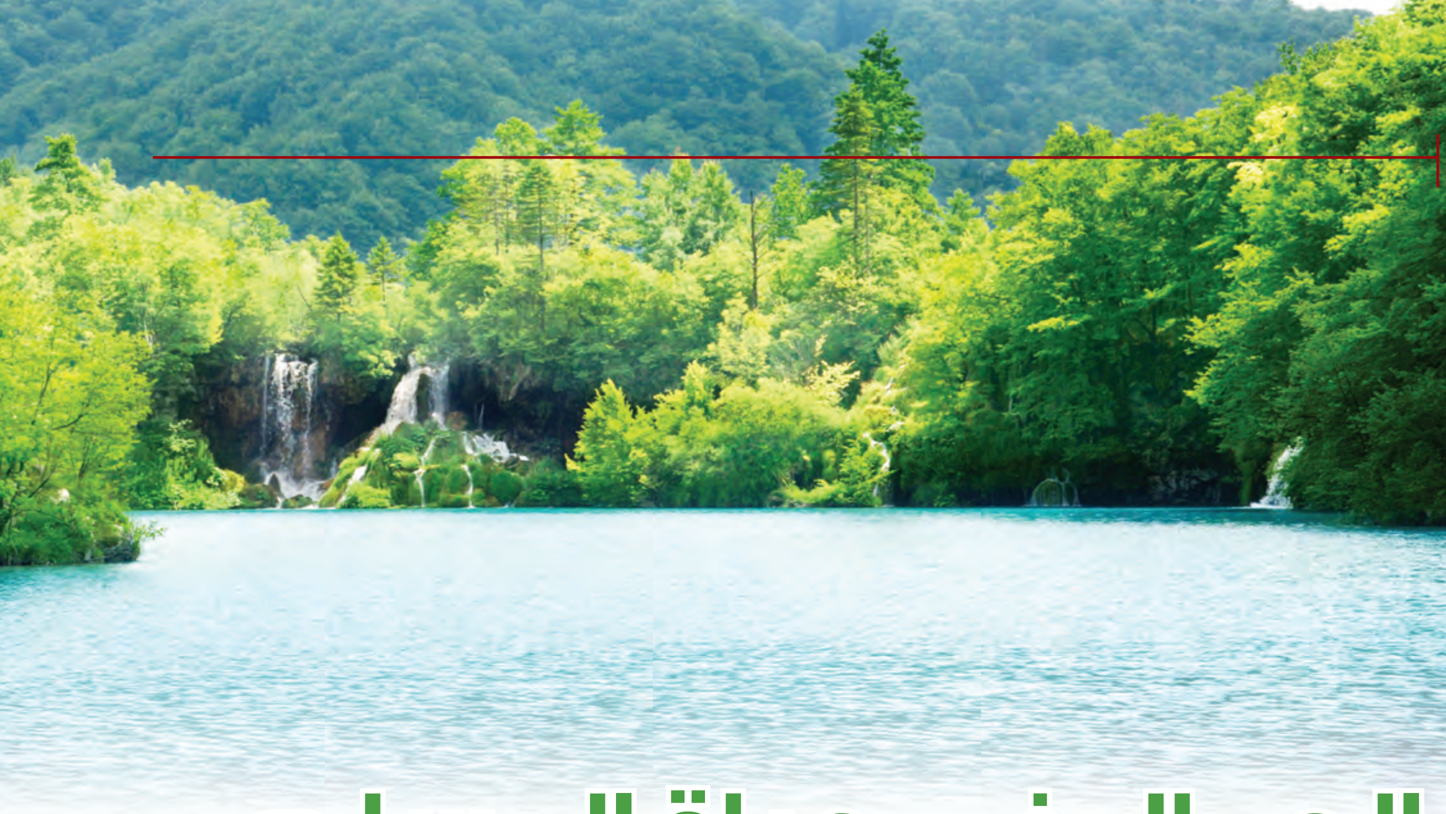
إن من أروع ما جاء به الإسلام أنه جعل جمال الباطن يزين جمال الظاهر، ويظهر أثره عليه، فقد قال ابن القيم: الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة، وإن لم تكن ذات جمال، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات.

فإن المؤمن يعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان. فإنك ترى الرجل الصالح ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة، وإن كان غير جميل، لاسيما إذا رزق حظا من صلاة الليل، فإنها تنور الوجه.

قال: وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخلق التي قال الله فيها: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾ (فاطر:١)، قال المفسرون: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة. والقلوب مطبوعة على محبته، كما هي مفطورة على استحسانه.

قال: وكل من الجمال الظاهر والجمال الباطن نعمة من الله تعالى توجب على العبد شكرا بالتقوى والصيانة، وبهما يزداد جمالا على جماله. وإن استعمل جماله في معاصي الله قلب الله محاسنه شينا وقبحا. وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر، «قال جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: أنت امرؤ حسن الله خلقك، فحسن خلقك». وكان النبي ﷺ أجمل الخلق وأحسنهم وجها. وقد سئل البراء ابن عازب: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل القمر.

وكان ﷺ يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم، فكان يقول: «إذا أبردتم إلي بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم». وقد أمتع الله عباده المؤمنين في دار كرامته بحسن الصور، كما في الحديث «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشية. صورهم على صورة القمر ليلة البدر».



الجمال في حياة المسلم

د.آندي حجازي
كاتبة تربوية

هل فكرت يوما لم خلق الله تعالى الألوان في الطبيعة؟ لماذا تعدد الألوان وتدرجاتها؟ هل تخيلت يوما الكون بلا ألوان؟ أو بلونين أو ثلاثة فقط؟ ولو كان باللون الأسود والأبيض أو الأزرق مثلا، فكيف ستكون الحياة؟ ألن تكون رتيبة؟! تشعرك بالملل والكآبة، فسبحان الله الذي أضفى على الحياة متعة وبهجة وجمالا بتلك الألوان والمخلوقات المتنوعة التي لا تعد ولا تحصى بجمال فائق لا يوصف.

جمال الكون

فالله تعالى خلق الجمال في الكون ودعانا للتفكر به والاستمتاع بكل مكوناته، فعلى سبيل المثال: قال الله تعالى واصفا جمال الأنعام التي خلقها للركوب عليها والانتفاع بها: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل:٦)، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٨) فالجمال رائع في الكائنات الحية كالخيول والإبل والطيور والحيوانات بأنواعها في البر والبحر والفضاء، يدعونا للتأمل بمدى جمالها وروعة ألوانها ودقة صنعها وعظيم خالقها.

والله تعالى دعانا للتفكر في جمال السماء وما فيها من بروج وكواكب وأقمار ونجوم مضيئة تتلألأ وتبعث البهجة والمنفعة: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (ق:٦) ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (الحجر:١٦)، فانظر إلى روعة السماء وبروجها: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ (البروج:١)، وانظر لجمال تضاريس الأرض وأجرامها السماوية: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ (النحل:١٥-١٦).

فتأمل جمال الأرض من أنهار جارية، وجنات وبساتين يانعة، وبحار واسعة، وجبال شاهقه، ومياه جارية... إنها روعة الخالق في الكون: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (النمل:٦٠). وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ (الغاشية:١٧-١٩). فالآيات القرآنية في جمال مخلوقات الله



كثيرة ولكننا ذكرنا غيضا من فيض.

وما أعظم خلق الإنسان بأسراره العظيمة وإتقان خلقه من بارئ عظيم، إعجاز لا مثيل له! قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (التغابن:٣). ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ (التين:٤).

فجمال خلق الإنسان يعكس عظمة ودقة وروعة جمال صنع الله الذي أتقن كل شيء صنعه. فالله جميل يحب الجمال، وكل شيء في الكون يعكس جمال ودقة صنعته بلاريب، بدرجة تعجز كلماتنا عن وصفها، ولكن يكفيك التنقل بين بلدان العالم لترى الجمال الحقيقي في الطبيعة لما أبدع الله تعالى.

الجمال البشري

لكن الجمال في الإسلام لا يتمثل فقط في الكون وفيما خلق الله تعالى ولكن هناك أنواع جمال تصدر من البشر أنفسهم وهم المسؤولون عنه ومن ذلك:

● جمال السلوكات وجمال المظهر

الإسلام دين الجمال الحقيقي، ويحث على الجمال ولكن الإنسان من يختار سلوكاته التي تعكس الجمال أو تعكس القبح! فأنت تختار أن تحافظ على النظام أو تخالفه، وتختار أن تفتح النافذة وترمي النفايات في الطريق أو أن تزيل النفايات والأذى من الطريق، وتختار أن تكتب على جدران المدارس والأنفاق والبنايات وبين أن تطلي الجدران المتسخة وتصلح بعض الأماكن من حولك، تختار أن تلبس ملابس نظيفة مرتبة مهندمة أينما ذهبت لتعكس صورة المسلم الحقيقي وجمال مظهره؛ وبين أن ترتدي ملابس غير مرتبة أو متسخة أو ذات رائحة؛ لا تعكس صورة المسلم الحقيقية!

أنت تختار أن تضع المخلفات في كيس للنفايات بعد الذهاب في نزهة وتحافظ على نظافة الحديقة وجمال المكان الذي كنت به، وبين أن تترك وراءك منظرا مشوها قبيحا يتحول إلى مكرهة صحية نتيجة قبح في السلوك! أنت تختار أن تنظف أمام بيتك ومحلك التجاري أو مدرستك وتدهن الرصيف أمام بيتك وتزرعه كمظهر جمالي وبين أن تعتبر أن هذا ليس من شأنك وترمي بحملك على عامل التنظيفات والحكومة.

وأنت من يقرر أن تلتزم بقواعد السير وأنت تقود سيارتك أو تعبر الشارع، وبين أن تخالف كل قواعد السير وتعرض نفسك والآخرين للخطر ظنا منك أن هذا من الذكاء (والفهلوة)، بينما هو تهور وبشاعة في السلوك!

وأنت من يختار أن تتلفظ بأجمل الألفاظ مع الآخرين وأن تتكلم بصوت مهذب معقول يعكس جمال تربيتك وسمو روحك وبين أن ترفع صوتك في الطريق وتشتم وتتعارك مع الآخرين بسبب وبدون سبب، فقط لثقافة لديك! وأنت وحدك من يقرر أن يبتسم في وجه الآخرين فيشع الأمل في قلوب من حوله، وبين أن يلقاهم بوجه عبوس قمطرير يصبح سمة له! وأنت الذي تختار أن تصعد على ظهور الآخرين تملقا للمسؤولين أو أن تؤدي دورك بإخلاص كما يجب... فجمال سلوكاتك من جمال روحك، وهي الجمال بعينه.



● **جمال الأخلاق**

ومن جانب الجمال الأخلاقي؛ فكذلك لك الخيار بين أن تطرح الجمال في أخلاقك وبين أن تنشر القبح فيها، فتفي بالعهود كأن تأتي في الموعد المحدد مع الآخرين، أو أن تتأخر دائما لتصبح هذه سمتك التي تعرف بها! بين أن تلتزم في الطابور وبين أن تتحايل لتسبق كل منهم يصطفون قبلك! بين أن تتقن عملك أو واجبك المدرسي والجامعي وبين أن تسرق جهد غيرك لتقدمه بأقل جهد ممكن وبأقل إخلاص وإتقان متاح!

فلديك وحدك القرار في أن تعكس جمال أخلاقك كالصدق فتقول الحقيقة حين تحتاجها أو أن تختلق القصص والحكايات والاتهامات أو القصص المزورة! والقرار أن تتكلم بكلام حسن لطيف جميل مليء بالأدعية والنصائح والحوار والإقناع والتهذيب، أو أن تتلفظ بكلمات دون أن تلقي لها بالا أو تطلق على الآخرين ألقابا قبيحة تجعل الآخرين ينبذونك وينفرون من الجلوس معك! فللكلمات جمال خاص ووقع في النفس لا يمحى.

وأنت وحدك تقرر إن كنت ستعامل خادمك أو سائقك معاملة طيبة تعكس جمال أخلاق الإسلام وتجعلهم يحبون دينك أو أن تعامل من هم دونك معاملة فوقية متعجرفة وتؤذيهم وتجعلهم ينفرون من هذا الدين الذي تنتمي له، فهل تذكر كيف كان رسول الله ﷺ يعامل أنس بن مالك؟ لندع أنس يخبرنا.. فعن أنس رضي الله عنه قال: «لقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فوالله ما قال لي: أف قط، ولم يقل لشيء فعلته: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا».

فلماذا أحب المسلمون الأوائل رسول الله ﷺ ويستمر حبه لليوم بين المسلمين؟ أليس لجمال روحه وأخلاقه وتصرفاته وسلوكاته من تهذيب في القول والفعل والنفس، وتطبيق حقيقي لجمال الإسلام العظيم وأخلاقه الرائعة الجاذبة، فلماذا لا نقتدي به اليوم في جمال أخلاقه كالصدق والأمانة والكرم والتسامح والتعاون ومحبة الآخرين والحرص على منفعتهم والتواضع والتهذيب والرحمة والعدل..؟!

وقد مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)

فنحن بقرار شخصي نختار أن نعكس جمال الإسلام في أفعالنا وسلوكاتنا ومعاملاتنا وبين أن نكون مصدر نفور لهم بتلك الأفعال، فمن سيحب الإسلام إن رأى تلك السلوكات السلبية التي تصدر من أهل الإسلام اليوم بجهل منهم؟!

● **جمال العقل**

العقل البشري مميز عن سائر المخلوقات بحسنه وقدراته ومكنوناته، فللعقل البشري جمال خاص أنيق نافع يتميز به، وينعكس على الواقع قولا وفعلا. فمثلا هناك فرق بين أن تعمل وتدرس وتجتهد وتبدع شيئا جديدا لمجتمعك وعالمك وبين أن تكون عالة على الآخرين، فرق بين أن تبذل جهدا وتنتج وتتقن وبين أن تؤدي المطلوب بأقل القليل من الجهد فتكون فردا عاديا في المجتمع.

وفرق بين أن تكون متعلما وذا علم نافع تنمي قدرات عقلك وتستثمر إمكانات ذكائك في فائدة المجتمع وتنميته كبناء المصانع والمدارس



والأبنية الجميلة والحدائق والطرق الحديثة.. وبين أن تكون جاهلا تقع في الكثير من الأخطاء والمشكلات نتيجة الجهل وتوقع الآخرين معك، فالصورة الجمالية مختلفة تماما.

فهناك فجوة بين من يقرأ ويتثقف ويزيد من معلوماته وقدراته المعرفية وبين من يضيع وقته بلا فائدة تذكر، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:٩)، فلماذا سبقنا الغرب والشرق اليوم، أليس بالعلم؟ فانظر مثلا لمن يخترع الأجهزة والآلات أليس له التفوق الحضاري اليوم؟ وانظر كذلك لمن يوظف قدرات عقله فيبني بيته بناء حسنا جميلا جذابا بدل أن يبنيه بناء ناقصا لا معالم جمال فيه؛ فلماذا لا تكون مدينتنا جميلة وأنيقة؟! فالإسلام دين الحس الجمالي حتى في العمارة والبناء، فهو دين عمارة الأرض.

تساؤلات على طريق الجمال

علينا أن نطرح على أنفسنا اليوم تساؤلات؛ لماذا ترى بلاد الغرب والشرق جميلة ومرتبة شوارعها ومزروعة بالأشجار والزهور، متقنة الأرصفة، مطلية الجسور، أبنيتها قمة في الإتقان والجمال، ومحلاتها التجارية منظمة نظيفة متقنة الصنع، أناسهم يتصفون بالدقة في المواعيد، واحترام النظام والترتيب وحقوق المواطنين الآخرين. لماذا حدائقهم تنتشر في مدنهم بشكل جميل متقن نظيف تعكس مدنيتهم ورقيهم العلمي والعمراني والحس الجمالي لديهم؟

لدرجة أنك تشتهي الجلوس فيها ولماذا أخذت آلة التصوير معك لسادت الحيرة لديك بأي منظر تبدأ التصوير؟

الحقيقة أن الكثير من بلادنا العربية مازالت تحتاج للكثير من الجهد لتصبح بهذا الشكل، والكثير يعتبر أن هذا دور الحكومات فحسب، ولكن الحقيقة أن للأفراد دورا في التغيير كتشجير مدينتهم أو حول بيوتهم وأماكن عملهم، وتحسين أبنيتهم وعمرانها والإبداع بها دون تبذير لا طائل منه، والمحافظة على نظافة مدننا وأناقتها، فأنت إما أن تكون إيجابيا تشعر أن هذا الوطن وطنك أو أن تكون ذا تفكير سلبي تعتقد أن لا أمل في الإصلاح والتغيير وأن الأمل بعيد وأن الخطأ خطأ الآخرين فقط!

فلماذا لا تبدأ بنفسك وبما تستطيع، فكل إنسان مسؤول عن سلوكاته وسيحاسب يوم القيامة على أفعاله وإتقانه لعمله وحده، فلا تستطيع أن تقول لله تعالى إني وجدت قومي يرمون الأذى في الطريق فرميت مثلهم، أو وجدت الناس يكذبون ويسرقون أو يسرفون أو يغشون أو يسبون أو يحتالون... ففعلت مثلهم! فلم لا تكون أنت بداية التغيير؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١).

وقال ﷺ: «أنا زعيم بيت في الجنة لمن حسن خلقه». فلم لا نكون نحن القدوة لأبنائنا وطلبتنا أو موظفينا؟ فمادمت في موقع مسؤولية وتتمنى التغير والأفضل لبلدك، فلماذا تنتظر التغيير أن يأتي من خارجك! فلا تحقرن من المعروف شيئا... فلنبدأ بتطبيق أخلاق الإسلام الجميلة في أنفسنا أولا لتنعكس في مجتمعاتنا، فالله تعالى جميل يحب الجمال.

حضارة الجمال!

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث الإسلامي

على امتداد الأفق الجغرافي من الهند ووسط آسيا وتخوم الصين إلى الأندلس، ومن صقلية إلى جنوب الصحراء الكبرى تبرز الفنون الإسلامية بثوب قشيب أخاذ لايزال يأخذ بتلابيب ناظريه رغم مرور القرون على تلك الصروح والأبنية والصنائع والفنون.. حقيقة جعلت المؤرخ الأميركي ول ديورنت يقر بها؛ فيقول: «برهن أتباع محمد على أنهم أساتذة في فن البناء حيثما حلوا... غرناطة، والقاهرة، والقدس، وبغداد» (١). وبعد حديث جاذب في استعراض جمال الفنون الإسلامية في العمارة والزخرفة وغيرها يقف الرجل مشدوها فيقول: «ألا ما أوسع ميادين الفن الإسلامي وما أكثر غناه» (٢)!

على أن المسلمين في حضارتهم لم يكونوا مجرد «مقاولين» حاذقين في فن العمارة، بل كانوا أساتذة في تكييف هذا البناء مع فلسفة الجمال التي كانت قد أصبحت جزءا من التصور الإسلامي للحياة؛ تصورا استمد معانيه الأساسية والأصيلة من القرآن الكريم والسنة النبوية!

الجمال في أصل الإسلام!

إننا نجد في كتاب الله وسنة رسوله آيات كريمة، وأحاديث شريفة، تبين أساسية الجمال في التهذيب والتقويم والتربية، فالأشجار والحدائق والثمار وما تبعثه من بهجة وجمال لا يقصد من ورائها الترف واللهو واللذة اللحظية العابرة، إنها علائم تكشف أن لها صانعا بديعا، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل:٦٠).

لقد دلت آي الكتاب العظيم على أن للجمال دوره في تحفيز العقل، وتنشيط القلب، وتجديد الإيمان، ففي بلاغة لافتة، وصورة بديعة يأتي القرآن بلوحة خلابة مركبة فيقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:٩٩). فيعلق الأستاذ سيد قطب رحمه الله على هذا المشهد قائلا: «الجمال هو السمة البارزة هنا.. الجمال الذي يبلغ حد الروعة الباهرة.. المشاهد منتقاة وملتقطة من الزاوية الجمالية، والعبارات كذلك في بنائها اللفظي الإيقاعي، وفي دلالتها. والمدلولات أيضا – على كل ما تزخر به الحقيقة الأصيلة في هذه العقيدة – تتناول هذه الحقيقة من الزاوية الجمالية.. فتبدو الحقيقة ذاتها وكأنما تتلألأ في بهاء! ومما يوحي بالسمت الجمالي السابغ ذلك التوجيه الرباني إلى تملي الجمال في ازدهار الحياة



وازدهائها: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾.. فهو التوجيه المباشر إلى الجمال الباهر.. للنظر والتملي والاستمتاع الواعي» (٣).

ولقد كان النبي ﷺ حريصا على أمر الجمال، فقد ورد عنه أنه قال: «إن الله جميل يحب الجمال» (٤)، ووردت كثير من الروايات الصحيحة والحسنة التي تذكر أن النبي ﷺ كان إذا لم يعجبه الاسم غيره إلى ما هو خير منه؛ فعن ابن عمر «أن النبي غير اسم عاصية، وقال: أنت جميلة» (٥). وغير اسم زحم بن معبد السدوسي إلى بشير (٦)، وكان علي رضي الله عنه قد سمى الحسن حربا، فسماه النبي ﷺ «الحسن»، ثم سمى الحسين حربا، فسماه النبي ﷺ «الحسين» (٧)!

جمال المعاني والمباني!

ولما كانت أصول الإسلام زاخرة بهذه الحقيقة، تجلت هذه التصورات الجمالية على ثقافتنا وحضارتنا، وأول ما نلحظه في هذا المضمار؛ عناوين مؤلفاتنا التي تزخر بالإبداع وحب الجمال، لقد كانت الموسوعة المهمة في التاريخ والبلدان - بعد تاريخ الطبري - هي كتاب المسعودي (ت ٣٤٦هـ) فكان عنوانها «مروج الذهب ومعادن الجوهر». وكان تفسير الإمام الثعالبي بعنوان «الجواهر الحسان في تفسير القرآن». وللإمام ابن الجوزي كتاب في الوعظ سماه «بستان الواعظين ورياض السامعين». وحين كتب الإمام النووي كتابا حاول فيه جمع واستقصاء فضائل الإسلام وآدابه سماه «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين». وفي الرقائق كتب الإمام ابن الجزري كتابه «الزهر الفاتح في من تنزه عن الذنوب والقبائح» (٨)، وهذه اللمسات الجمالية في اختيار عناوين المصنفات كثيرة مطردة في التراث الإسلامي يلحظه كل أحد بيسر وسهولة.

وفي ميدان الأدب الإسلامي تجلى الجمال في علوم البلاغة التي قسمت إلى «البديع» و«البيان» و«المعاني»، وكلها تتناول تنمق اللفظ العربي ومعناه، تدرس منذ قرون في محاضن العلم الإسلامي، لتعلم الطلاب كيف يخرجون نصا عربيا في صورة رائقة؛ يمتاز بالأصالة، ويفوح بالخيال، فلا يكون جامدا صلدا غير أخاذ، و«رسائل القرن الرابع الهجري (على سبيل المثال) هي أدق آية من ازدهار الفن الإسلامي، ومادتها هي أنفس ما عالجته يد الفنان، وهي اللغة؛ ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التي صنعتها أيدي الفنانين في ذلك العهد من الزجاج والمعادن لاستطعنا أن نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة، وامتلاكهم لناصية البيان في صورته الصعبة، وتلاعبهم بذلك تلاعبا؛ وليس من محض الاتفاق أن كثيرا من الوزراء في ذلك العهد كانوا من أساتذة البيان وأعلامه، ولذلك استطاعت رسائلهم أن تنال من التقدير ما جعلها خليقة أن تنشر كتبا للناس» (٩)!

أما الشعر العربي فجماليته تنبع من أمرين أصيلين فيه، أوله قوة التشبيه، وجودة البلاغة، وكثافة التصوير. وثانيه: موسيقاه التي لا تكاد توجد في أشعار الثقافات الأخرى، وهي موسيقى أطرها الخليل بن أحمد الفراهيدي اللغوي البارع منذ القرن الثاني الهجري في أبحر شعرية كانت ولاتزال أساس علم العروض إلى اليوم، وكفى بقول رسولنا عن البيان العربي وما يعمله في نفس مستمعه: «إن من البيان لسحرا» (١٠)؛ سحرا يأخذ الألباب، ويلذ الأسماع، ويطرب الأفئدة!

ونظرا لتحريم الإسلام للتصاوير والتماثيل، أبدع العقل الإسلامي فنونا جديدة أفاض فيها من



ينابيع الجمال، فرأينا ذلك في روائع الخط العربي، وقد برزت أنواع مختلفة من الخطوط تلازمت مع تطور الحضارة الإسلامية ورقيها، وارتبطت هذه الخطوط غالبا بمناطقها التي ظهرت وانتشرت فيها، فظهر الكوفي والفارسي والأندلسي، ثم خطوط أخرى مثل الثلث والنسخ، ثم الطغراء والديواني، كلها تنضح بالجمال، ولقد ارتبط غلاء الكتب عند الوراقين قديما بجودة نسخها، وجمال خطوطها، وحسن تزويقها، ولاتزال النسخ الخزائنية، والمزوقة من مخطوطاتنا في مكتبات ومتاحف الفنون الإسلامية في الشرق والغرب تطالعك بهذا الجمال الذي يأخذ بألباب الزائرين!

وقد كان الاهتمام بالجمال الشخصي من أبرز ما يكشف كذلك، بدءا بالطهارة اليومية قبل الصلوات، وقد «كان العطر والبخور مألوفين بين الرجال والنساء، وقد اشتهرت بلاد العرب من أقدم الأزمان بالكندر والمر، وبلاد الفرس بزيت الورد والبنفسج والياسمين، وكان في كثير من البيوت حدائق غرست فيها أعشاب الزينة والأزهار وأشجار الفاكهة، وكانت الأزهار محببة للشعب وخاصة في فارس، وكانت تضفي على الحياة بهجة ومتعة» (١١).

أما الاهتمام بالحدائق والبساتين فقد كان لافتا في حضارتنا لاسيما في الأندلس منذ عبدالرحمن الداخل الذي كانت أولى منشآته «قناة تحمل إلى مدينة قرطبة كفايتها من ماء الشرب تنقله إلى المنازل والحدائق، والفساقي والحمامات، واشتهرت المدينة بكثرة ما كان فيها من الحدائق والمتنزهات. وأنشأ الداخل في قرطبة بستانا عظيما شبيها بالقصر الريفي الذي قضى فيه أيام صباه بالقرب من دمشق، وشاد في هذا البستان قصره المعروف «بقصر الرصافة» (١٢). ويكفي الناظر أن يطالع اليوم قصر الحمراء في غرناطة وحدائقه الرائقة التي لاتزال كما هي منذ العهد الإسلامي!

كذلك ظهرت لمسات الجمال في حضارتنا في الزخارف والعمائر، حتى إن جوستاف لوبون شحن كتابه «حضارة العرب» بصور رائقة من هذا الجمال الأثري والفني بمختلف أنواعه، ثم صدح بانفعال وتأثر بالغين - نختم به مقالنا هذا - قائلا: «وما على القارئ إلا أن يتصفح صور هذا الكتاب؛ ليعلم قيمة آثار العرب الفنية العظيمة، وقوة الإبداع فيها، وقد استوقفت هذه الآثار أنظار جميع وارثي العرب، ولم يفعل الشرق منذ ظهور العرب على مسرح العالم غير تقليدها... وما على المرء إلا أن ينظر إلى آثار العرب الأدبية والفنية؛ ليعلم أنهم حاولوا تزيين الطبيعة دائما، وذلك لما اتصف به الفن العربي من الخيال والنضارة والبهاء وفيض الزخارف والتفنن في أدق الجزئيات... ولم يكن لأمة مثل تلك العجائب، ولكن؛ فهي وليدة جيل فتي مضى، وخيال خصب ذوى، ولا يطمعن أحد في قيام مثلها في الدور الحاضر المادي الفاتر الذي دخل البشر فيه» (١٣)!



الهوامش

١- ول ديورانت: قصة الحضارة ٣٩٠/٣. دار الجيل - بيروت، ١٩٨٨م.
٢- ديورانت: السابق ٣٢٩/١٣.
٣- في ظلال القرآن ١١٥٢/٢. دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة - القاهرة، ١٤١٢هـ.
٤- صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١ ح٩١).
٥- مسلم: كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن (٢١٣٩).
٦- أبوداود: كتاب الجنائز، باب المشي بين القبور في النعل (٣٢٣٠).
٧- رواه أحمد (٧٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٢٣).
٨- راغب السرجاني: ماذا قدم المسلمون للعالم ٦٧٢/٢- ٦٧٤. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية - القاهرة، ٢٠٠٩م.
٩- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي أبوريدة ٤٤٧/١. دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة - لبنان.
١٠- صحيح البخاري: باب إن من البيان لسحرا (٢١٧٦/٥ ح٥٤٣٤).
١١- ديورانت: السابق ١٤٢/١٣.
١٢- ديورانت السابق ٣٠٢/١٣.
١٣- جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ص٥٢٢، ٥٢٣. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، ٢٠١٣م.



الجمال.. خيط ناظم لتجليات الإسلام

السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

في الطريق لإصلاح الإنسان سلك الإسلام كل سبيل؛ فمرة يخاطبه عن طريق عقله بأن يلفت نظره إلى ما في الكون من براهين مبثوثة دالة على وجود الله سبحانه، وعلى استحقاقه وحده لا شريك له العبادة والتعظيم. ومرة يخاطبه عن طريق روحه بإرشاده إلى ما يزكيها، ويكون سببا في فلاحها وسعادتها في الأولى والآخرة.

بجانب ذلك، لم يغفل الإسلام أن للإنسان جسدا له حقوق ومتطلبات؛ فأباح له الطيبات، وحرم عليه الخبائث، وأفسح له مجال الإبداع والاستمتاع.

لكن الإسلام في كل ذلك قد غلف توجيهاته وآدابه بإطار من «الجمال»، بحيث يمكن أن يقال إن الجمال خيط ناظم لتجليات الإسلام؛ سواء في عقائده أو عباداته أو أخلاقياته أو تشريعاته.

فما الجمال الذي نقصده؟ وهل هو أصيل في المنهج الإسلامي؟ وما سبب الغفلة عنه؟ وكيف يمكن التماسه؟ وما العلاقة بين تجليات الإسلام والجمال؟

تعريف الجمال

يقال: جمل (بفتح الميم) الشيء، جملا: جمعه عن تفرق. و-الشحم: أذابه. ويقال: جمل (بضم الميم)، جمالا: حسن خلقه. و-حسن خلقه؛ فهو جميل، وهي جميلة (١).

وجاء في «المفردات»: الجمال: الحسن الكثير، ولذلك ضربان؛ أحدهما: جمال يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله. والثاني: ما يوصل منه إلى غيره؛ وعلى هذا الوجه ما روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله جميل يحب الجمال»؛ تنبيها أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة، فيحب من يختص بذلك (٢).

وجاء في «مقاييس اللغة»: «(جمل) الجيم والميم واللام أصلان؛ أحدهما: تجمع وعظم الخلق، والآخر حسن؛ فالأول قولك: أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء. وأجملته حصلته. وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ (الفرقان:٣٢). ويجوز أن يكون الجمل من هذا: لعظم خلقه.. والأصل الآخر: الجمال، وهو ضد القبح» (٣).

إذن الجمال هو الحسن؛ سواء اتصل بالظاهر والمحسوسات، أو بالباطن والمعنويات. وهو طريق من الطرق الدالة على الله سبحانه وتعالى، إذ نستدل من الخلائق والآثار والصنائع الجميلة البديعة على الخالق المبدع، الذي أحسن كل شيء خلقه وأبدعه وجمله.

و«الجمال بوجه عام: صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سرورا ورضا. وبوجه خاص: إحدى القيم الثلاث التي تؤلف مبحث القيم العليا؛ وهي عند المثاليين: صفة قائمة في طبيعة الأشياء؛ وبالتالي هي ثابتة لا تتغير، ويصبح الشيء جميلا في ذاته أو قبيحا في ذاته، بصرف النظر عن ظروف من يصدر الحكم.

وعلى العكس من هذا يرى الطبيعيون أن الجمال مصطلح تعارفت عليه مجموعة من الناس متأثرين بظروفهم؛ وبالتالي يكون الحكم بجمال الشيء أو قبحه باختلاف من يصدر الحكم» (٤).

والمفارقة، أن الجانب الفني والجمالي -عموما- رغم أنه من أخطر الجوانب وأعمقها تأثيرا على الفرد والمجتمع، «فإنه لم ينل حظه من العلاج؛ إما تحرجا، وإما خطأ في تقدير قيمته وحيويته، وصريح نسبته الصافية الملتزمة إلى الإسلام» (٥).

وربما تجيء الغفلة عن هذا الجانب المهم من أنه يتعلق بنوع من التحضر ما بعد استيفاء الحاجات الضرورية، وهي ما تسمى في الفقه بالحاجيات والتحسينات.

جمال الظاهر والباطن

ذكرنا أن الجمال يشمل الحسن في الظاهر والمحسوسات، وفي الباطن والمعنويات؛ وقد أشار أبوحامد الغزالي إلى ذلك، وعاب على من يقصرون الجمال على الجانب الأول، فقال: «اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون، وكون البياض مشربا بحمرة، وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان، فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار، وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص. وهذا خطأ ظاهر، فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر، ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة، فإنا نقول هذا خط حسن، وهذا صوت حسن، وهذا فرس حسن، بل نقول هذا ثوب حسن، وهذا إناء حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة؟ ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن، والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة، وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح» (٦).

كما أشار الغزالي إلى اختلاف آلية إدراك كل من نوعي الجمال: الحسي والمعنوي، فقال: «واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال، والله تعالى جميل يحب الجمال. ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة، وصفاء اللون؛ أدرك بحاسة البصر. وإن كان الجمال بالجلال والعظمة، وعلو الرتبة، وحسن الصفات والأخلاق، وإرادة الخيرات لكافة الخلق، وإفاضتها عليهم على الدوام، إلى غير ذلك من الصفات الباطنة؛ أدرك بحاسة القلب» (٧).

الجمال والتوحيد

إن أول ما يطالع الباحث عن الجمال في الإسلام هو شمول النظرة الإسلامية شمولا فريدا يجمع في حناياه جمال الخالق والمخلوق (صبغة وطبعا)، وإن شئت فقل: الجمال بطرفيه؛ المطلق والمقيد، أو المحدود واللامحدود (٨).

وبسبب من هذا الشمول الفريد، فقد «قدم المفكر الإسلامي إسماعيل الفاروقي نظريته للفن الإسلامي في ضوء ما وصفه بالفتح المعرفي الإسلامي في علم الجمال، الذي يقوم، أولا وقبل كل شيء، على العلاقة القيمية الحميمة بين «التوحيد» و«الجمال»؛ إذ إن التوحيد هو مبدأ الجمال، وأفقه الإبداعي في الفن الإسلامي» (٩).

ولعلنا نلاحظ أنه قد ورد في حديث نبوي واحد كل تلك المعاني الجامعة التي أشرنا إليها، وهي الجمال بالنسبة للخالق والمخلوق، والجمال فيما يتصل بالظاهر والباطن؛ فقد روى عبدالله ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال؛ الكبر بطر الحق وغمط الناس» (١٠).

فهذا الحديث الشريف ربط بين الذات العلية والجمال، وقرر أن الله «جميل يحب الجمال»؛ حتى أجاز بعض العلماء إدراج «الجميل» ضمن أسماء الله الحسنى؛ قال النووي: «واعلم أن هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح ولكنه من أخبار الآحاد، وورد أيضا في حديث الأسماء الحسنى وفي إسناده مقال. والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى، ومن العلماء من منعه» (١١).

كما شمل الحديث الشريف نوعي الجمال: الباطن والظاهر؛ فشرع لبس الثياب الحسنة والنعل الحسنة، ونهى عما يفسد جمال الباطن من الكبر، الذي فسره

بإنكار الحق واحتقار الناس.

وأما قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»، فقال فيه النووي: «اختلفوا في معناه؛ فقيل: إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل، وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال. وقيل: جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع. وقال الإمام أبوالقاسم القشيري رحمه الله: معناه جليل. وحكى الإمام أبوسليمان الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة، أي مالكهما. جميل الأفعال بكم، باللطف والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل، ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل، ويشكر عليه» (١٢).

الجمال وتجليات الإسلام

قلنا في البداية: إن الإسلام قد غلف توجيهاته وآدابه بإطار من «الجمال»، بحيث يمكن أن يقال إن الجمال خيط ناظم لتجليات الإسلام؛ سواء في عقائده أو عباداته أو أخلاقياته أو تشريعاته.

● فأما عقائده، فإن الإسلام قرر للإله الذي يجب أن نتوجه إليه وحده بالربوبية والعبودية جملة من الصفات والأسماء، هي غاية في الجمال؛ لا من حيث إنها ترسم صورة مادية مزركشة للإله، كما تفعل بعض الفلسفات والمذاهب الضالة، بل من حيث إنها صفات وأسماء تنزه مقام الألوهية عما سواه مما هو خاص بالإنس والجن وغيرهما؛ فالله سبحانه وتعالى كما وصف نفسه في كتابه الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى:١١)، و﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام:١٠٣)؛ بل ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الحشر:٢٤).

● وأما عبادات الإسلام، فجمالها يتبدى فيما تفرضه على المسلم من طهارة الظاهر والباطن، فيجب عليه في الصلاة -مثلا- تطهير الظاهر، بأن يكون البدن والثوب والمكان خالية من النجاسات، بل شرع التطيب والتزين. وتطهير الباطن بأن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر. وكذا في الزكاة؛ حيث أمرنا القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٢٦٧)(١٣).

● وأما أخلاقيات الإسلام، فقد بلغت الذروة من الجمال، من حيث إنها دعت إلى مكارم الأخلاق، وإلى العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة، وإلى معاملة الناس بمثل ما نحب أن يعاملونا به، وإلى التراحم والتواد والتغافر؛ والنصوص في ذلك معروفة واضحة.

وقد جمعت هذه الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩).

وروي عن جعفر الصادق أنه قال: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوة الإنسانية: عقلية وشهوية وغضبية؛ فالعقلية الحكمة ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين (١٤).

● وأما بالنسبة إلى تشريعات الإسلام، فجمالها مرده إلى أنها وازنت بين المثالية والواقعية؛ فلم تكلف الناس شططا، ولم ترهقهم عسرا، ولم تشق عليهم، بل وازنت في وسطية -هي سمة الإسلام عموما- بين حقوق الفرد والمجتمع، وواجبات كل منهما على الآخر؛ بخلاف مذاهب وفلسفات اشتطت ناحية هذا أو ذاك، فكان الشقاء والشقاق.

هكذا يتضح لنا -من خلال هذه الإشارات الموجزة- كيف أن الجمال قيمة مركزية في المنهج الإسلامي، بالنسبة إلى الخالق سبحانه والمخلوقات، والمحسوسات والمعنويات؛ وكيف أنه خيط ناظم لتجليات الإسلام في مختلف صورها وحالاتها.

الهوامش

١- المعجم الوسيط، ص:١٤٠، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨م، مكتبة الشروق الدولية (بتصرف يسير).

٢- «المفردات في غريب القرآن»، الراغب الأصفهاني، ص:١/١٢٧، مكتبة نزار مصطفى الباز، من دون تاريخ.

٣- مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد ابن فارس، ١/٤٨١، تحقيق: عبدالسلام هارون، ١٩٧٩م، دار الفكر.

٤- المعجم الفلسفي، ص:٦٢، مجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة ١٩٨٣م. والقيم العليا؛ وهى: الحق، والخير، والجمال.

٥- آفاق الانبثاق الإسلامي لفلسفة الجمال والفن، د. محمد كمال جعفر، مجلة «المسلم المعاصر»، ص:٩٢، العدد ١١، ١٩٧٧م.

٦- إحياء علوم الدين: ٤/٢٩٨، ٢٩٩، دار المعرفة، بيروت.

٧- المصدر نفسه، ص:٢/٢٨٠.

٨- آفاق الانبثاق الإسلامي لفلسفة الجمال والفن، د. محمد كمال جعفر، ص:١١٣، مصدر سابق.

٩- نظرية الفن الإسلامي عند المفكر إسماعيل الفاروقي، د. إدهام محمد حنش، بحث منشور على موقع مجلة «إسلامية المعرفة».

١٠- صحيح مسلم، » كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه. من المكتبة الإسلامية، على موقع «إسلام ويب».

١١- شرح النووي على صحيح مسلم، الموسوعة الشاملة.

١٢- المصدر نفسه.

١٣- عن عبيدة السلماني قال: سألت عليا عن قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٢٦٧)، فقال: نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة، كان الرجل يعمد إلى التمر فيصرمه، فيعزل الجيد ناحية. فإذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الرديء. تفسير الطبري، من المكتبة الإسلامية، على موقع «إسلام ويب».

١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأعراف، باب: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. من المكتبة الإسلامية، على موقع «إسلام ويب».

علماء وأكاديميون:

الإسلام دين ينطق ظاهره وباطنه بالجمال

عبدالله شريف وآية سرور
القاهرة -دار الإعلام العربية

اهتم الإسلام أيما اهتمام بالجمال في شتى صوره: جمال الهيئة، الخلق، البيئة، الأبنية.. وحفلت آيات القرآن الكريم بتأكيد هذا التوجه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ (الأعراف:٣١)، وقوله: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ (النمل:٦٠)، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ (الحجر:١٦)، ومن السنة المطهرة قوله ﷺ: «إن الله يحب الجمال».

«الوعي الإسلامي» التقت عددا من العلماء والأكاديميين ليتحدثوا عن الجمال في الدين الخاتم.

بداية، يؤكد الأستاذ في قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة وعضو هيئة كبار علماء الأزهر الشريف د. بركات عبدالفتاح دويدار، أن الإسلام لم يترك أي ناحية تخص الإنسان، نفسية كانت أو بدنية، إلا وتناولها و«جملها»، سواء من خلال آيات من القرآن الكريم أو السنة النبوة الشريفة، مشيرا إلى أن الإسلام شريعة وعقيدة وسلوك.

وأضاف أن الإسلام هو الفطرة والطبيعة بجمالها وسحرها المنضبط بأخلاق ومعان تزيد من إدراك الجمال والشعور به، ففي حديث عبدالله ابن مسعود الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: «إن الله جميل يحب الجمال»، وفي قوله «يحب الجمال» قال المفسرون: أي يحب التجمل في الهيئة، في الثوب والبدن، وكذلك يحب النظافة؛ لأن تنظيف الثوب والبدن مطلوب شرعا وعرفا، فضلا عن التعبد له بحسن الخلق. فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وهيأ له ما يعينه على طاعته وراحته النفسية والبدنية، بل ووعده بجمال أكثر مما لم تره عين ولم يخطر على قلب بشر.

الذي أحسن كل شيء خلقه

وأشار د. بركات إلى ورود اسم الله «الجميل» في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال النبي ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»، مضيفا أن من أسماء الله الحسنى «البديع»، وهو الذي

د. دويدار: الإسلام هو الفطرة والطبيعة بجمالها وسحرها المنضبط

أحسن كل شيء خلقه، وفي حديث أنس قال: «كنت جالسا مع النبي في المسجد ورجل يصلي، فقال اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي: دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»، كما أخرج أبوداود عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته».

وأوضح د. بركات أن المسلمين في الماضي فقهوا مفهوم الجمال من خلال تعاملات الرسول الكريم معهم، فوجههم إلى: خفض الصوت، وإماطة الأذى عن الطريق، وتجنب الغيبة والنميمة، والحث على الطهارة وتنظيف الجسم داخليا وخارجيا، مشيرا إلى أن من كان يريد الدخول في الإسلام عليه أن يغتسل ليعلن مرحلة جديدة من الطهارة والجمال.

وانتقد ما أسماه تراجع المسلمين في عصرنا الحاضر عن هذا الفكر العميق، فنجد مظاهر تقليد للغرب بعيدة تماما عن مفهوم «الجمال البريء الفطري» في الإسلام، فليس من الجمال كشف الجسم أو قصات الشعر الغريبة، وليس من الجمال أن ترتدي النساء ملابس الرجال، والعكس، وليس من الجمال وضع المساحيق وتغيير سنة الله في الحياة، مضيفا أن المسلمين الآن يضربون مثالا في عدم الانضباط، بل وفي الإهمال وإفساد الأرض وليس إعمارها.

وأشار إلى قول الله عز وجل ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١)، موضحا أن هذه الآية ترفض مظاهر الفساد، حيث كان المشركون يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله آية تحث على الستر والتزين وأنه يستحب التجمل عند الصلاة، لاسيما يوم الجمعة ويوم العيد، قال عليه الصلاة والسلام: «من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طهر ثم ادهن أو مس من طيب ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له، ثم إذا خرج الإمام أنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»، موضحا أن هناك نقطة أخرى في هذه الآية تنهى عن الإسراف، وتؤكد أن جمال الإسلام وزينته مرتبطان بضابط وهو عدم الإسراف، يقول رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة».

وقال: أخاطب الشباب المغيب فأقول إن الجمال الفطري يقويه الإسلام ويضبطه بما يتفق مع الطبيعة السليمة، والرسول ﷺ قدوتنا كان جميلا مبتسما دائما، يصافح أصحابه ويدعو لهم، ولم يكن شديدا أو عابسا، ولم يدع إلى أن يكون المسلم بخيلا عابسا سيئ الخلق مع الآخرين، بل دعا إلى الجمال المنضبط بكل صوره، يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٢).

> **الشافعي: إبداع خلق الله وجماله في كل شيء.. وهناك أنواع للجمال**

جمال حسي ومعنوي

من جانبه، أكد أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم وعضو هيئة كبار العلماء د. حسن الشافعي، أن المسلم أينما يولي وجهه يجد خلق الله وإبداعه وجماله، يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأنعام:٩٩).

وأضاف: هناك أنواع للجمال، فأحدها حسي كالإنسان وتقويمه، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ (التين:٤)، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ (الانفطار:٦-٨)، وكذلك خلق الأرض والسماء: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ (الملك:٥)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (يونس:١٠١)، وقوله: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ

﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢﴾ (فصلت:٩-١٢).

وأشار إلى أن من الآيات العظيمة التي توضح معنى الفرق بين الجمال الحسي والمعنوي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦)، حيث أشارت الآية إلى نوع جديد من الجمال، وهو جمال القلب وشعوره نحو المسلمين.

وتابع: دعا الله عز وجل إلى التفكر في مخلوقاته وجمالها من خلال آيات عدة، قائلا: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١﴾ (ق:٦-١١)، وعندما يرغب الله العبد في طاعته ويهون عليه المشقة في الدنيا أعد له النعيم الأبدي في الجنة. وجاء في كتاب الله من الآيات الكثير حول ألوان وأشكال الجمال والزينة في الجنة، مثل قوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦﴾ (الغاشية:٨-١٦).

جمال السلوك

أما خبير العلاقات العامة والإتيكيت د. محمد بدير، فيؤكد أن الإسلام بدأ في بيئة بدوية لديها عادات وتقاليد راسخة وضوابط شديدة، مشيرا إلى أنهم كانوا يهتمون بإكرام الضيف وراحته وتزويده بما يحتاج إليه خلال السفر.

د. صابر: تربية النشء على الآداب الجميلة تخرج جيلا يبني وطنا راقيا

بدير: سلوكيات الإسلام صنعت «إتيكيتا» خاصا أصبح علما بعد ذلك

وأكد أن الإسلام وجه أتباعه إلى أمور جمالية وآداب تتعلق بـ «الإتيكيت»، منها الحث على الأكل من صنع اليد وعدم الاعتماد على الآخرين، فضلا عن الاستشهاد بكلمات وأدعية قبل البدء في أي عمل، وكذلك الاجتماع حول الطعام وعدم إهانته، لحديث أبي هريرة: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط، كان إذا اشتهى شيئا أكله، وإن كرهه تركه»، وقوله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها».

وأشار إلى أن الجمال في الإسلام لا يقتصر على الملامح أو الهيئة، بل يركز أكثر على السلوكيات، فـ«الدين المعاملة»، ويتجلى ذلك في العديد من السلوكيات التي جاء بها الإسلام، ومنها التأدب مع الوالدين، وآداب الجوار والحث على حقوق الجار، وآداب التحية وإلقاء السلام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ (النور:٦١)، ورد التحية بأحسن منها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ (النساء:٨٦)، وكذا التبسم مع الآخرين مصداقا لقوله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

وتابع: من جماليات الإسلام أيضا الذوق في الطهارة، والحث عليها، والنظافة الخاصة والعامة، وكذا التطيب بالروائح الطيبة، وارتداء النظيف من الثياب. ومن ذلك أيضا آداب الأكل لحديث: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، بل والإحسان إلى البيئة والاهتمام بتشجيرها كما في قوله ﷺ«إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

وتابع: من جماليات السلوك الإسلامي الحث على الاعتدال في المشي، وخفض الصوت، وغض البصر. وإجمالا، حث الإسلام على آداب عدة تحولت بعد ذلك إلى علوم ومدارس في الإتيكيت وطريقة التعليم، وكل هذه الآداب تدعو إلى نظافة البدن من الخارج والحفاظ على صحة الجسم وطهارته من الداخل، فضلا عن الراحة النفسية التي يحققها.

جمال السلوك

بدوره، يؤكد أستاذ علم النفس بجامعة بني سويف د. محمد صابر، أنه كما لمشاهد العنف والقتل والدماء تأثير سلبي على نفسية الإنسان، فللمناظر الجميلة الهادئة تأثير إيجابي على حياة الإنسان وقدرته على العمل والإنتاج والعبادة أيضا.

وأضاف أن تربية الأطفال منذ الصغر على السلوكيات الإسلامية الحميدة -مثل أحاديث إماطة الأذى وكذلك عدم التلفظ بالسيئة، فضلا عن تنظيف الملابس والاهتمام بحسن المظهر من الدين- تخلق أجيالا لديهم أفكار للتنمية وبناء الأوطان وعمارتها.

وأوضح أن التربية على كل الآداب الجميلة الحسنة تخرج عقولا وشبابا يبنون أوطانا راقية جميلة قوية،

مشيرا إلى أن تنظيف وتنظيم المكتب يوميا يساعدان على التفكير وعدم التشتت.

وأشار إلى أن الإسلام اهتم بالتنشئة منذ الصغر، ودليل ذلك قوله ﷺ في حديث: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

وأوضح أن الجيل الحالي لم يتعمق في دراسة أخلاق الرسول ﷺ مع الأطفال ومع زوجاته ومع أصحابه، ولم يتعلم طرق التعامل مع الوالدين، وكل همه تقليد الغرب بعد الغزو الثقافي، وليس تقليد الغرب في النظافة أو تنظيم الوقت، بل في السيئ من الأخلاق والشاذ من الأفعال.

جماليات العمارة الإسلامية

من جانب آخر، يوضح أستاذ العمارة الإسلامية د. محمد عبدالستار عثمان، أن الإسلام اهتم بجمال البيئة من كل جوانبها، المباني والشوارع والشكل العام، مشيرا إلى أن الحضارة الإسلامية وجدت في التشريع دستورا لتنظيم حياة المجتمع وسرعة ازدهار حضارته.

وأضاف أن تشريعات الإسلام وضوابطه سدت النقص الذي اعترى الفكر الإنساني في المراحل السابقة، وأعطت قواعد أبدية صالحة لكل زمان ومكان.

وعن جماليات العمارة الإسلامية، أوضح أن المعمار الإسلامي بدأ بتأسيس «المدينة»، التي انتشرت بعد سقوط الرومان، مؤكدا أن الإسلام جاء بحضارة جديدة ولم يقتبسها ممن سبقوه.

وأشار إلى أن الشوارع الإسلامية تدرس في تاريخ الجمال، حيث ارتبطت بضوابط وأحكام شرعية، فتشابهت طرقها بالعلاقات بين الجيران، وكذلك تعاملات البيع والشراء، موضحا أن

د. عثمان: ديننا اهتم بجماليات المدينة والعمارة الإسلامية من كل جوانبها

د. حسين: حث الإسلام على الجمال باعتباره نمطا مكملا للإيمان

المعمار عكس حياة الحرية التي عاشها المجتمع الإسلامي، فضلا عن إنشاء المساجد ومآذنها.

وأوضح أن أبرز سمة كانت في الشوارع الإسلامية الاهتمام بالنظافة والألوان، حيث كان يسارع الجميع لتعديل المائل وإزالة المخلفات اتباعا لحكم شرعي، مشيرا إلى أن من السمات أيضا اختراع إضاءة الطرق، التي بدأت في الحضارة الإسلامية، فضلا عن استخدم البلاط، وانتشار الألوان الزاهية والنافورات المبدعة في عصور ما بعد صدر الإسلام، حيث انتشرت القصور والمعمار المبدع في عصر الخلفاء العباسيين في بغداد وسامراء، وشهدت الحضارة الإسلامية مشاهد متفردة عن الحضارات الأخرى، فنجد القباب والمآذن والمساجد والقصور والسدود والأسوار والقلاع ذات الصبغة الإسلامية.

وأضاف د. عثمان: هناك مراحل عديدة في المعمار الإسلامي، أولها عهد الرسول ﷺ، وتميزت بالبساطة والتأثر بمنازل البدو، وظهر ذلك في المشهد الأول للمسجد النبوي قبل تطوره وتوسيعه وإضافة الزخارف المختلفة، والمرحلة التالية كانت العصر الأموي، وتميزت بالزخرفة والإكثار من القباب، وتأثرت بالمعمار المسيحي، الديانة التي كانت منتشرة في تلك المناطق وشملت سوريا وفلسطين، ثم جاءت مرحلة الحكم العباسي التي تميزت بكثرة الأعمدة والقصور الشاهقة والقباب.

كمال الإيمان

في الاتجاه ذاته، يوضح أستاذ العمارة والفنون الإسلامية بكلية الآثار جامعة القاهرة د. محمود إبراهيم حسين، أنه لا يمكن أن يكون هناك فن إلا وأن يكون جميلا، وهنا يختلف مفهوم الجمال من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل ومن فرد إلى فرد، فعلى سبيل المثال كان الجمال في الدولة المصرية القديمة جامدا، روتينيا، لكن في عصر إخناتون أصبح الجمال ديناميكيا يمتلئ بالحيوية، وذلك لتغير المعتقد الديني، وبالتالي تغيرت معه مفاهيم الفنان للجمال. وفي الفترة البيزنطية في العالم العربي تحول الجمال إلى مفهوم آخر غير منظور، بمعنى أنه ليس جمال الشكل الإنساني الظاهري كما في السابق بقدر ما هو جمال من داخل ميكانيزم (روح) الإنسان، وبالتالي أصبح الفن في ذلك الوقت معبرا عن أساليب اصطلاحية.

وتابع: بينما يحث الإسلام على الجمال باعتباره نمطا من أنماط اكتمال الإيمان: «إن الله جميل يحب الجمال»، و﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف:٣١). وكان للجمال في العصر الإسلامي توجهات أخرى غير التي كان عليها في العصور السابقة، فأصبح «الخط» من الميادين المهمة جدا التي يتنافس فيها الخطاطون. وبعد ذلك جاءت الزخرفة، ولعبت دورا كبيرا في إضفاء الجمال على المقتنيات اليومية للإنسان، فظهرت لدينا زخارف نباتية وهندسية، وبالتالي ظهر لدينا ما يعرف بزخرفة الأرابيسك، وهي زخرفة تبدأ كما تنتهي.

وختم حديثه مؤكدا أن العمارة الإسلامية من أجمل عمائر الأرض على الإطلاق، حيث كانت جميع العمائر تغطى بالكتابات والزخارف النباتية وغيرها من أنواع مختلفة تبهر من ينظر إليها، وفيها يتناغم الفكر والذوق مع رعاة الفن من المسلمين.



تركي محمد النصر
باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

في المشرق الإسلامي.. العامة والخاصة

المكتبات الحنبلية

توفي الإمام الحبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سنة (٢٤١هـ)، وترك خلفه تراثا علميا ضخما، حمله نخبة من أصحابه وتلامذته وأتباعه الذين اجتهدوا في تدوينه وإبرازه، فلم ينته القرن الثالث الهجري؛ حتى أصبح مذهبا علميا ضخما له مؤلفاته ومدارسه وأتباعه، ثم ازداد اتساعا ونفوذا في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأصبح له اتجاه علمي بارز خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

وبلغ مبلغا مرموقا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، من حيث قوة فاعليته، وزخمه، وكثرة موارده ومؤسساته ومدارسه.

وامتد نشاط هذه المدرسة (الحنبلية) حتى شمل تسع مدن كبرى هي: «بغداد، وأصبهان، وهراة، حران، وآمد، وهمذان، وبيت المقدس، ودمشق، وطبرستان»، وكان أكثرها نشاطا:

● «بغداد» باعتبارها الموطن الأصلي للمدرسة الحنبلية، والتي بلغ عدد مساجد الحنابلة فيها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أحد عشر مسجدا، منها:

- مسجد المقرئ أبي بكر بن علي الخياط (ت ٤٦٨هـ).



- ومسجد الفقيه أبي جعفر بن أبي موسى العباسي (ت ٤٧٠هـ).
- ومسجد الفقيه أبي يعلى بن الكيال (ت ٤٧١هـ).
- ومسجد الفقيه أبي الوفاء بن القواس (ت ٤٧٦هـ).
- ومسجد الثري محمد بن جرادة (ت ٤٧٦هـ).

● وأما «أصبهان» فقد ساهم في نشر مذهب الحنابلة فيها العلامة عبدالرحمن بن منده (ت ٤٧٠هـ).

● ونشر المذهب في مدينة «هراة» العلامة الشيخ عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ).

● وفي «حران» نشر المذهب فيها القاضي أبوالفتح عبدالوهاب بن جلبة البغدادي (ت ٤٧٦هـ) عندما تولى بها القضاء.

● وفي مدينة «آمد» التي تقع على نهر دجلة فقد أبرز دور المذهب الحنبلي فيها العلامة الفقيه أبوالحسن علي بن محمد البغدادي (ت ٤٦٧هـ) وأصبح له فيها أصحاب وتلاميذ.

● وأما في مدينة «همذان» فقد سكنتها جماعة حنبلية كان لها نشاط علمي بارز ساهمت به في عقد مجالس العلم والمناظرات.

● وفي «بيت المقدس» ساهم في تكوين نواة المذهب الحنبلي فيها العلامة الفقيه عبدالواحد بن محمد الشيرازي (ت ٤٨٦هـ).

● وأما في مدينة الياسمين (دمشق) فيعود النشاط العلمي للمذهب الحنبلي فيها إلى القرن الرابع الهجري، حيث أدخله إليها الفقيه عمر بن الحسين الخرقي البغدادي (ت ٣٣٤هـ) (صاحب المختصر في الفقه)، لكن نشاط هذه المدرسة ظل ضعيفا إلى أن جاء إليها الفقيه عبدالواحد بن محمد الشيرازي (وهو جد بني الحنبلي المشهورين في دمشق بالرياسة والعلم).

● وأخيرا مدينة «طبرستان» فقد ساهم في نشر مذهب الحنابلة فيها العلامة المقرئ أبوالحسن علي ابن أبي القاسم الطبري (ت ٥٢٨هـ).

● أما في أرض الكنانة (مصر) فقد ظهرت المدرسة الحنبلية فيها في النصف الأول من القرن السادس الهجري، في حين كان وجودها في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس قليلا.

لقد كان الحنابلة بالمجمل - خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري - يقتصرون في نشاطهم العلمي على المساجد دون المدارس والأربطة والزوايا، وإن ظهرت بعض المؤسسات العلمية الأخرى كالمدارس (البيتية)، التي كان من أشهرها:

- مدرسة المقرئ أبي بكر محمد بن علي الخياط (ت ٤٦٨هـ)، الذي كان يقرئ فيها القرآن الكريم، ويملي فيها الحديث النبوي الشريف.

أما المكتبات الحنبلية في المشرق الإسلامي فقد كثرت - خلال القرنين السادس والسابع الهجريين -، لازدهار حياتهم العلمية، من عقد لمجالس العلم، وتصنيف للكتب، وبناء للمساجد والمدارس، والأربطة والزوايا؛ التي أسسوا فيها مكتباتهم، واجتهدوا في تعميرها وصيانتها، حتى كان لبعضها شهرة إقليمية واسعة، وقصدها أهل العلم من الآفاق.

دور الكتب الحنبلية (المكتبات)

كانت للحنابلة في حواضرهم العلمية دور كتب كثيرة، منها:

١. مكتبة الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني (ت ٥٦٩هـ) أنشأها بجانب مدرسته ومسجده، وخصص فيها خزانة أوقف فيها كتبه التي تعب في جمعها، حيث كان أيام طلبه للعلم شغوفا بجمع الكتب واقتنائها.

٢. دار العلم بدرب الشاكرية في بغداد، بناها الفقيه أبوبكر ابن المارستانية البغدادي (ت ٥٩٩هـ)، وجعل فيها خزانة كتب ووقفها على أهل العلم، ومكتبته هذه تميزت بأنها كانت مستقلة بذاتها، وليست ملحقة بمسجد ولا مدرسة.

٣. مكتبة المدرسة العمرية، أسسها الشيخ أبوعمر بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت ٦٠٧هـ) بصالحية دمشق، وهي أشهر المكتبات الحنبلية دون منازع، كانت في عز أيامها حافلة بالمصنفات نادرة النظير، بفضل اهتمام الحنابلة بها ووقف كثير من العلماء لكتبهم فيها؛ منهم الفقيه جمال الدين يوسف بن عبدالهادي الدمشقي (ت ٩٠٩هـ) وقف فيها (٦٠٠) كتاب من مؤلفاته، وقدر مجموع ما فيها بالآلاف (١). وهي مكتبة لمدرسة عريقة استمر نشاطها العلمي أكثر من ثلاثة قرون، ولها أوقاف جمة، ووقف كثير من العلماء مصنفاتهم فيها.

وقد تعرضت المكتبة العمرية للنهب والإهمال عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين، فقد سرق منها أحد الطلبة النجديين ما حمولته خمسة جمال من الكتب، وفر بها إلى بلده؛ وأخذ منها ناظرها قسما كبيرا من أحسن ما فيها، والباقي نقل إلى قبة في المدرسة الظاهرية بدمشق، وكان مجموعها نحو (٦١٤) مخطوطا (٢).

٤. مكتبة المدرسة الضيائية بصالحية دمشق، أنشأها الحافظ الضياء محمد بن عبدالواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، كانت عامرة بالمصنفات عند نهاية القرن السابع الهجري.

وقد تعرضت هذه المكتبة للنهب في نكبة الصالحية على يد المغول في سنة (٦٩٩هـ)، فسرقت منها كتب كثيرة، لكنها سرعان ما استعادت ثروتها ونشاطها. ثم انفرط عقدها عند نهاية القرن الثامن الهجري، على أثر غزو ملك المغول تيمور لنك لمدينة دمشق، وبعد ذلك قدم إليها بعض العلماء وأخذوا منها أحمالا من الكتب، منهم: الحافظان شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ثم اضمحل أمرها نهائيا في القرن الثالث عشر الهجري، ونقلت كتبها المتبقية فيها إلى المكتبة العمرية (٣).

وللحنابلة في المشرق الإسلامي خزائن كتب أخرى كثيرة، في مدارسهم ومساجدهم لكن أخبارها قليلة جدا، منها: مكتبتهم في مسجدهم ببعلبك (٤)، وفي مقامهم بالجامع الأموي بدمشق. ولعل المكتبة الحنبلية التي كانت وماتزال قائمة بمدينة القدس هي مكتبة للمدرستين: (الوجيهية الحنفية)، و(الحنبلية) (٥).

المكتبات الحنبلية الخاصة

وأما المكتبات الحنبلية الخاصة فهي كثيرة جدا، لا يكاد يخلو منها بيت عالم من علمائهم، ومنها:

١. مكتبة أبي سعد المخرمي البغدادي (ت ٥١٣هـ) اجتهد في تعميرها حتى جمع كتبا كثيرة، قيل عنها إنه لم يسبق إلى جمع مثلها، مدفوعا بحبه الشديد لها (٦).

٢. مكتبة أبي محمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي (ت ٥٦٧هـ) موقعها بباب المراتب بمدينة بغداد، وكانت حافلة بالكتب، ومليئة بالدفاتر، حيث كان صاحبها شديد الشغف بالكتب، يجمعها بشتى الطرق: كالنسخ بخطه والشراء، وغيرها. وعندما حضرته الوفاة أشهد الحاضرين على وقف كتبه (٧).

٣. مكتبة القاضي أبي القاسم عبدالله بن الفراء البغدادي (٥٧٨هـ)، جمع فيها كتبا كثيرة نفيسة، من بينها نوادر من الأصول الحسان الكبار على مذهب الحنابلة، منها ما هو بخط الإمام أحمد بن حنبل، لكنه لما قل ماله وغلبه الدين - لتوسعه في الإنفاق على العلماء - باع معظم كتبه واختفى في بيته (٨).

٤. مكتبة آل تيمية الحرانيين، يبدو أنها كانت عامرة تزخر بنفائس الكتب كما ونوعا، لأن مالكيها ينتمون إلى أسرة عريقة في العلم.

٥. مكتبة المقرئ عبدالصمد بن أحمد بن أبي الجيش البغدادي (ت ٦٧٦هـ)، جمع فيها كتبا كثيرة، من بينها كتاب نادر - من مؤلفاته - في فن الخطابة، ولما اجتاح المغول بغداد وخربوها - في عام ٦٥٦ هـ - نهبت كتبه، وقتل ولده، أصبح يقول - بعد الواقعة -: «في قلبي حسرتان ولدي، وكتبي». لشدة حبه لهما (٩).

وقد رتب الباحث الدكتور «خالد كبير علال» هذه المكتبات وغيرها في جدول نفيس، جمع فيه أغلب المكتبات الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وهو كالآتي (١٠):

نوع المكتبة	المكتبة	البلد
عامة	مكتبة أبي العلاء العطار	همدان
عامة	دار العلم لابن المارستانية	بغداد
عامة	المكتبة العمرية	دمشق
عامة	المكتبة الضيائية	دمشق
عامة	المكتبة الحنبلية	بيت المقدس
عامة	مكتبة جامع الحنابلة	بعلبك
عامة	مكتبة الحنابلة بجامع دمشق	دمشق
خاصة (بيتية)	مكتبة عبد الوهاب الأنماطي	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة أبي سعد المخرّمي	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة ابن الخشاب	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة أبي القاسم الفراء	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة ابن مسعود الموصلي	الموصل
خاصة (بيتية)	مكتبة آل تيمية	حرّان – دمشق
خاصة (بيتية)	مكتبة ابن أبي الجيش	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة ابن الفوّطي المروزي	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة محمد بن عبد الغني	دمشق
خاصة (بيتية)	مكتبة زيد الدين الآمدي	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة علي بن نفيس	دمشق
خاصة (بيتية)	مكتبة ابن الجوزي	بغداد
خاصة (بيتية)	مكتبة الوزير ابن هبيرة	بغداد

طريقة إعارة الكتب في المكتبات الحنبلية

عرف الحنابلة الإعارة بأنها: هبة المنافع مع استيفاء ملك الرقبة (المقنع ١/١٤٤). ومنهم من عرفها بأنها: تمليك منفعة مؤقتة بزمن أو فعل، نصا أو عرفا بلا عوض (تصحيح الفروع للمرداوي الحنبلي ٤/٤٧٤).

حكمها: المتتبع لكلام أهل العلم يلحظ أن لهم في مسألة إعارة الكتب أقوالا أربعة في الجملة:

أحدها: الوجوب، وهو ظاهر المحكي عن الشافعي (بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ص ١٣)، وخرجه أبوالوفاء ابن عقيل الحنبلي من الرواية عن الإمام أحمد بلزوم بذل المصحف لمن يحتاج إليه (الإنصاف للمرداوي ٦/١٠٢).

وثانيها: الندب، وهو قول كثير من أهل العلم، ومنهم: الخطيب البغدادي (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/٢٤٠)، والبدر بن جماعة (انظر: التذكرة ٢٢٩).

وثالثها: الإباحة، وهو ما صرح به الحنفية (الهداية للمرغياني ٩/١٦٧)، والمالكية (الشرح الكبير للدسوقي ٣/٣٣٤).

ورابعها: الحظر، المتتبع لنصوص أهل العلم يجد أن بعضهم صرح بحرمة وضع الكتب الشرعية تحت يد الكافر، ولا يعار الكافر المصحف لأي سبب كان (انظر: المتحف في أحكام المصحف).

إن المتأمل في مسألة إعارة الكتب يخلص إلى:

١. ثبوت مالية الكتب المأذون في اقتنائها شرعا.

٢. كون الكتب المذكورة محلا للملك الخاص.

٣. أن كونها ملكا خاصا يمنع من ليس بمالك لها أن ينتفع بها بأي وجه من وجوه الانتفاع إلا بإذن من مالكها.

٤. أن الطلب قد توجه شرعا على مالك الكتب ببذلها إلى من يحتاج إلى النظر فيها على سبيل الإعارة مجانا وفقا لشروط تتعين مراعاتها في كل من المعير والمستعير، والكتاب المستعار.

٥. أن إعارة الكتب من ضروب الإرفاق والإحسان، وهو من الماعون الذي جاء به التنزيل بالوعيد لمانعه.

٦. على المستعير أن يأخذ نفسه بصيانة الكتاب المستعار، والمبادرة إلى رده على مالكه فور انقضاء وطر المستعير منه، وألا يفرط بأي نوع من أنواع التفريط أو يتصرف في الكتاب بأي وجه من الوجوه التي لا يتناولها إذن المعير.

٧. أن أخذ الرهن على الكتاب المستعار محل خلاف بين أهل العلم.

٨. أن ثمة جملة من الآداب المرعية عند أهل العلم في حق كل من المعير والمستعير (١١).

والجدير بالذكر أن الإعارة كان معمولا بها في المكتبات الحنبلية العامة بالمشرق الإسلامي، ويشترط فيها رهن لإخراج كتبها، كضمان للمحافظة عليها (١٢). لكن المكتبات الخاصة اختلفت مواقف العلماء في إعارة كتبها، بين موافق ومانع، ومشترط للرهن؛ فالموافقون حثوا على إعارتها خدمة للعلم، وطلبا للفضل والأجر، لأن منعها هو من البخل وكتمان العلم، على أن ترد لأصحابها (١٣).

وكان الفقيه عبدالوهاب الأنماطي البغدادي الحنبلي (ت ٥٣٨هـ) يعير كتبه للطلبة بسهولة، ولا يتوقف في إعارتها.

وأما المانعون للإعارة فقد منعوها لأنها قد تؤدي إلى إفساد الكتب وضياعها، حتى قال أحدهم: «لا تأمنن قارئا على دفتر، ولا حمالا على حبل (١٤)».

وأنشد آخر:

أجود بجل مالي لا أبالي ... وأبخل عند مسألة الكتاب

وذلك أنني أفنيت فيه ... عزيز العمر أيام الشباب

واتخذ المشترطون للرهن موقفا وسطا بين المجوزين والمانعين، فهم يعيرون كتبهم ويأخذون عنها رهنا، كضمان للحفاظ عليها، وفي ذلك قال أحدهم:

إذا ما أعرت كتابا فخذ ... على ذاك رهنا وخل الحياء

فإنك لم تتهم مستعيرا ... ولكن لتذكر منه الأداء

وقف علماء الحنابلة لكتبهم

كانت ظاهرة وقف الكتب في المساجد والمدارس والزوايا، تقليدا متبعا لدى أهل العلم بالمشرق الإسلامي (١٥)، وقد كان للحنابلة فيه نصيب وافر، منهم:

١. الفقيه الوزير عون الدين بن هبيرة البغدادي (ت ٥٦٠هـ)، وقف كتبه في مدرسته ببغداد.

٢. ووقف المقرئ علي بن عساكر البطائحي البغدادي الضرير (ت ٥٧٢هـ) كتبه في مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلاني بباب الأزج، وفي مسجد ابن جردة بالجانب الشرقي من بغداد.

٣. ووقف العلامة عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) مصنفاته في مدرسته بدرب دينار ببغداد.



٤. ووقف كل من الفقيه الموفق ابن قدامة المقدسي (٦٢٠ هـ)، والحافظ الضياء محمد بن عبدالواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، والمحدث محمد بن هامل الحراني (ت ٦٧١هـ)، كتبهم في المدرسة الضيائية المحمدية بصالحية دمشق، وغيرهم كثير (١٦).

ومما سبق ذكره عن مكتبات الحنابلة في المشرق الإسلامي - خلال القرنين السادس والسابع الهجريين - يتبين أن مكتباتهم العامة كثيرة، وقد ساهم علماؤهم في تعمير المكتبات وإثرائها، بفضل كتبهم التي أوقفوها خدمة لمذهبهم ولطلاب العلم؛ وهو تقليد جدير بالإعجاب والتنويه؛ لدوره الفعال في التشجيع على المطالعة، وتزويد المساجد، والمدارس، والزوايا، والأربطة، بمختلف المصنفات (١٧).

الهوامش

١. ثمار المقاصد في ذكر المساجد ليوسف بن عبدالهادي (ص ١٦).

٢. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال لابن بدران (٢٤٤/١). وخطط الشام لمحمد كرد علي (٢٠٥/٦).

٣. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال لابن بدران (٢٤٤/١).

٤. تالي وفيات الأعيان لأبي الفخر الصفاعي (ص ٦٦).

٥. المدرسة الوجيهية: أنشأها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الدمشقي، المتوفى في سنة ٧٠١هـ، وهي مدرسة حنفية. وتقع عند باب الغوانمة، بجوار المدرسة المحدثية.
انظر: الوافي بالوفيات ٩١/٤، والدرر الكامنة ١٥٧/٤، والأنس الجليل ٤٢/٢ والمدارس في بيت المقدس ١٠/٢-١٢، وكنوز القدس ليوسف نجم. وخطط الشام لمحمد كرد علي (٢٠١/٦).

٦. الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٠٠/١)، والمعين في أدب المفيد (٢١٤/٢).

٧. تاريخ الإسلام للذهبي (٥٢٦/٢٠)، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٣١٩/١).

٨ . ذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي (٦٣/١٧).

٩. الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٩٢/٢).

١٠. انظر تفصيلها في الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي، للدكتور خالد كبير علال.

١١. انظر: إعارة الكتب أحكامها وآدابها للدكتور صالح بن محمد الرشيد.

١٢. معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي (ص١١١).

١٣. أدب الإملاء للسمعاني (٢٦٠)، والمعين في أدب المفيد (ص٢١٧).

١٤. أدب الإملاء للسمعاني (٢٦٢).

١٥. انظر: ذيل الروضتين لأبي شامة (ص ٣١٣). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣١/٢٠).

١٦. الوافي بالوفيات للصفدي (٦٦/٦). والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٨٢/٢). والقلائد الجوهرية لابن طولون (٧٨/١).

١٧. انظر الكلام مفصلا في هذا الموضوع في «الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي» للدكتور خالد كبير علال.



كيفية الترجيح

(٢-٤)

د. صالح النهام
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

في مقال سابق عن كيفية الترجيح التي يعتمدها علماء أصول الفقه، بيّنا أن لهم في ذلك اعتبارات، وفصّلنا القول في الاعتبار الأول، وهو: الترجيح باعتبار السند، وفي هذا المقال نتطرق إلى:

الاعتبار الثاني: الترجيح باعتبار المتن

ويقصد بالمتن: ما يتضمنه الكتاب والسنة والإجماع من الأمر والنهي، والعام، والخاص، ونحو ذلك. وأسباب ترجيح المتن كثيرة، أذكر منها:

الترجيح بالقول على الفعل

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما قولا والآخر فعلا، فالقول أبلغ في البيان؛ لأن الناس لم يختلفوا في كون قوله ﷺ حجة، واختلفوا في اتباع فعله، ولأن الفعل لا يدل بنفسه على شيء بخلاف القول، فيكون أولى (١)، ومنهم من قال: إن القول أبلغ إذا كان بيانا لحكم شرعي، والفعل أبلغ إذا كان بيانا لكيفية لقول رسول الله: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (٢).

ومثل لذلك، بترجيح حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله قال: «لا يَنكح المحرم ولا يُنكح» (٣) على حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله: «نكح ميمونة -رضي الله عنها- وهو محرم» (٤)؛ وذلك لأن القول أقوى ومقدم على الفعل لصراحته على دوام الحكم، بخلاف الفعل فإنه يحتمل الخصوص به، ولا يدل على دوام الحكم (٥).

الترجيح بالخبر المومئ إلى علة الحكم على ما ليس كذلك

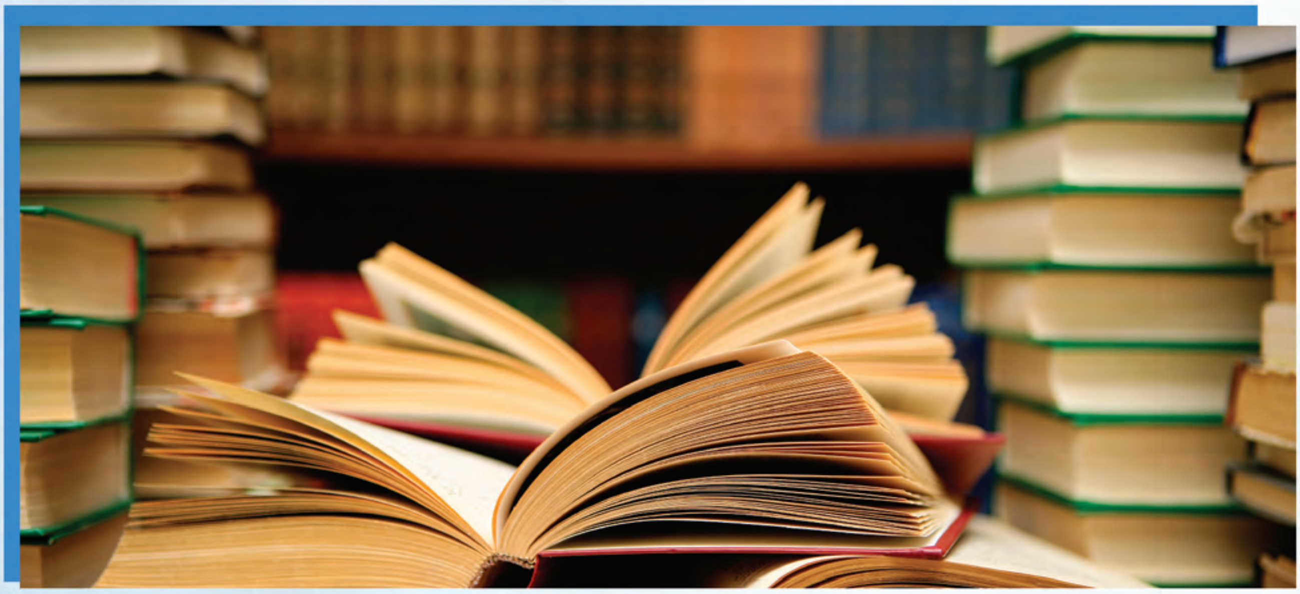
ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون في أحدهما لفظ يومئ إلى علة الحكم، فإنه يرجح على الخبر الذي ليس فيه ذلك؛ لأن انقياد الطباع إلى الحكم المعلل أسرع من الانقياد إلى غير المعلل؛ ولأن ما اشتمل على العلة أقرب إلى الإيضاح والبيان؛ ولأن ظهور التعليل من أسباب قوة الحكم (٦).

ومثل لذلك، بترجيح حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله قال: «من بدّل دينه فاقتلوه» (٧). على حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: «وُجِدَتْ امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول الله، فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان» (٨)؛ وذلك لأن الحديث الأول فيه علة الحكم، والتبديل هو العلة، وقد قال بذلك جمهور العلماء، وقد أخذ جمهور العلماء بحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- لعمومه المرتدة والمرتد، وذلك لأن النساء شقائق الرجال في الأحكام، إلا ما كان مختصا بهن من دون الرجال، والمرأة شخص مكلف بدّل دين الحق بالباطل، فتقتل كالرجل. وخالف في ذلك الحنفية، واستثنوا المرتدة من الحديث، فقالوا: لا تقتل، بل تحبس حتى تسلم. وقالوا: إن «مَنْ» الشرطية في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- لا تعم المؤنث (٩).

الترجيح بكون أحد الحديثين خاصا والآخر عاما

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما خاصا والآخر عاما، فيقدم الخاص على العام، وهو من باب الجمع بينهما المعروف بالتخصيص، وهو بأن يعمل بالخاص فيما تناوله، ويعمل بالعام فيما بقي.

ومثل لذلك، بترجيح حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (١٠)، على حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله علم رجلا الصلاة، فقال: «كبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن» (١١). فالحديث الأول قال به جمهور العلماء، وهو الأظهر في الدلالة؛ لأنه صريح في نفي الصحة، ولذا يخصص



الحديث الآخر العام، وأما الحديث الثاني، فقال به الحنفية لكون الفاتحة لا تتعين (١٢).

الترجيح بالتخصيص على المجاز

ومعناه: أنه إذا احتمل الكلام أن يكون فيه تخصيص ومجاز، فحمله على التخصيص أرجح، لتعين الباقي من العام بعد التخصيص، بخلاف المجاز، فإنه قد لا يتعين، بأن يتعدد ولا قرينة تعينه.

ومثل لذلك، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (الأنعام:١٢١)، فإنه يحتمل التخصيص في من لم يتلفظ بالتسمية عند الذبح، وخص منه الناسي فتحل ذبيحته وهو قول الحنفية.

وقال الشافعية: ويحتمل المجاز بذكر التسمية وإرادة الذبح؛ لأن الذبح يذكر التسمية عنده غالبا، فلا تحل ذبيحة المتعمد تركها على الأول دون الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾(التوبة:٣٦)، فإنه يحتمل التخصيص بغير أهل الذمة، لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ (التوبة:٢٩)، ويحتمل المجاز، بأن يكون من قبيل تسمية الكل وإرادة الجزء (١٧). وسبب تقديم التخصيص على المجاز ينحصر في الأمور التالية:

- إن الباقي من العام بعد التخصيص متعين للعمل والمجاز خلافه.
- إن التخصيص للعام مما جرت به عادة أهل اللسان، فيجب الأخذ به لظهور الاتفاق من علماء الشريعة على اعتبار ما جرت به عادتهم وعرف لغتهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم:٤).
- اتفاق الأصوليين على ترجيح التخصيص على المجاز.
- إن التخصيص أتم فائدة من المجاز؛ لأن اللفظ عند التخصيص يبقى معتبرا في الباقي من غير احتياج إلى تأمل واجتهاد والمجاز خلافه (١٨).

الترجيح بكون المتن سالما من الاضطراب

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما متنه سالما من الاضطراب، والآخر وقع في متنه اضطراب، فيرجح ما كان سالما من الاضطراب؛ وذلك أن ما لم يقع في متنه اضطراب دليل على كمال ضبط الراوي، وشدة تيقظه، وقوة حفظه (١٥).

ومثل لذلك، بترجيح حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: «كان النبي يرفع يديه إذا كبر، وإذا ركع، وإذا رفع رأسه من الركوع» (١٦). على حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه إلى قريب من أذنيه ثم لا يعود (١٧). فحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- يروى عنه من غير وجه. وممن رواه الزهري عن سالم، ولم يختلف فيه عليه، ولا اضطرب في متنه، فكان أولى بالمصير إليه من حديث البراء بن عازب الذي يعرف بيزيد بن أبي زياد، وقد اضطرب فيه؛ قال سفيان بن عيينة: كان يزيد يروي هذا الحديث ولا يذكر فيه «ثم لا يعود»، ثم دخلت الكوفة فرأيت يزيد ابن أبي زياد يرويه وقد زاد فيه «ثم لا يعود»، وكان قد لقن فتلقن (١٨).

وقد أخذ أكثر أهل العلم بحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وذلك لأن أحاديث رفع اليدين قد رويت من حديث خمسين صحابيا، بينهم العشرة رضي الله عنهم أجمعين (١٩).

وأيضا أحاديث رفع اليدين مثبتة، بينما الأحاديث المخالفة نافية،

والمثبت مقدم على النافي. وبهذا يقول الشافعي رحمه الله «وبهذه الأحاديث تركنا ما خالفها من حديث، لأنها أثبت إسنادا، وأنها حديث عدد، والعدد أولى بالحفظ» (٢٠).

الترجيح بالخبر الثابت عن النبي نصا على ما ثبت عنه بطريق الاستدلال

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما نصا من رسول الله ﷺ، والآخر ينسب إلى رسول الله بالاستدلال لا بالنص، فيقدم ما كان نصا عن رسول الله؛ لأن المنسوب إلى رسول الله لا يوجد فيه نص قاله رسول الله، ولا أمر منه ولا نهي، وإنما هو فعل كان على عهده.

ومثل لذلك، بترجيح حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ «نهى عن بيع أمهات الأولاد»، وقال: «لا يُبَعْنَ ولا يوهبن، ويستمتع بها سيدها ما بدا له، فإذا مات فهي حرة» (٢١). على حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد رسول الله ﷺ» (٢٢). فحديث ابن عمر – رضي الله عنهما– نص عن رسول الله، فيقدم لإجماع الصحابة –رضوان الله عليهم– على منع بيع أمهات الأولاد (٢٣)؛ ولأنه قد ورد النهي عن التفريق بين الأم وولدها (٢٤). وحكم الأولاد في الحرية والرق مثل حكم أمهاتهم، فإذا كان ولدها سيدها حرا، فإنه دليل على حرية الأم أيضا (٢٥).

وأما حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «كنا نبيع أمهات الأولاد...» فجوابه: أنه قد يجوز أن يكون النهي عن ذلك خفي عنه، أو أن يكون هذا النهي قد ورد بعد هذا القول من أبي سعيد رضي الله عنه (٢٦).

الترجيح بالخبر المشتمل على الحقيقة الشرعية

ومعناه: أن يتعارض في خبر واحد احتمالان، أحدهما حقيقة شرعية، والآخر حقيقة عرفية أو حقيقة لغوية، فتقدم الحقيقة الشرعية؛ وذلك لأن النبي ﷺ إنما بعث لبيان الشرعيات، والظاهر من حاله أنه يخاطب بها (٢٧).

ومثل لذلك، بقول رسول الله ﷺ: «الاثنان فما فوقهما جماعة» (٢٨)، أي في تحصيل الثواب والفضل في الصلاة، ولا يريد أن يبين حكما لغويا، وهو أن أقل الجمع اثنان، وإنما أراد حكما شرعيا، وهو أن الاثنين جماعة.

الترجيح بالخبر المقرون بالتأكيد على غير المؤكد

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما كرر فيه قول النبي، والآخر لم يكرر فيه. فيقدم ما كرر فيه؛ لأن التكرار يفيد التأكيد، والتأكيد يبعد احتمال المجاز والتأويل.

ومثل لذلك، بترجيح حديث عائشة –رضي الله عنها– مرفوعا: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل..» (٢٩)، على حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– مرفوعا: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صُماتها» (٣٠). فيرجح حديث عائشة –رضي الله عنها– على حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– لاقتران حديثها بالتأكيد «فنكاحها باطل ثلاثا»، وعدم التأكيد في الآخر. وبناء على هذا الترجيح قال جمهور العلماء: إن المرأة لا تلي عقد نكاحها بنفسها، وإنما ذلك إلى وليها (٣١). وخالفهم الحنفية ورجحوا حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– وقالوا: إن للمرأة حق تولي عقد نكاحها بنفسها بغير ولي (٣٢).

وهناك ترجيحات أخرى ذكرت في المطولات، منها

ما ذكره الآمدي –رحمه الله– والتي أوصلها إلى واحد وخمسين وجها من وجوه ترجيحات المتن؛ كأن يقدم النهي على الأمر؛ لأن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح، وما قل مجازه على ما كثر مجازه؛ لأنه بكثرة المجاز يضعف، فلذلك قدم ما قل مجازه (٣٣)، والحديث الذي يكون أحسن سياقا وأكثر استقصاء على مخالفه، والجمع المعرف على الجمع المنكر؛ لأن الأول لا يدخله، والحقيقة على المجاز لعدم افتقار الحقيقة إلى القرينة، فتقدم لتبادرها إلى الذهن، والظاهر على المؤول إلا أن يكون دليل التأويل أرجح من الأصل، ونحوها.

الهوامش

١- انظر: الاعتبار: (ص:٢٠).
٢- أخرجه البخاري، برقم: (٦٣١).
٣- أخرجه مسلم، برقم: (١٤٠٩).
٤- أخرجه البخاري، برقم: (١٤١٠).
٥- انظر: تيسير التحرير: (١٤٨/٣)، العدة: (١٠٣٤/٣)، الإحكام للآمدي: (٣٣٥/٤، ٣٤٦)، شرح الكوكب المنير: (٦٥٦/٤).
٦- انظر: شرح العضد على مختصر ابن الحاجب: (٣١٤/٢)، شرح الإسنوي: (٢٤٠/٣).
٧- أخرجه البخاري، برقم: (٣٠١٧).
٨- أخرجه البخاري، برقم: (٣٠١٥).
٩- انظر: نهاية السول: (٩٩٩/٢)، البحر المحيط للزركشي: (١٦٧/٦).
١٠- أخرجه البخاري، برقم: (٧٥٦).
١١- أخرجه البخاري، برقم: (٧٩).
١٢- انظر: الإبهاج: (٢٣٠/٣).
١٣- انظر: مشكاة المصابيح: (ص: ٢٩٠).
١٤- انظر: شرح تنقيح الفصول: (ص:١٢٥)، شرح المحلى: (٣١٣/١)، شرح الكوكب المنير: (٦٦٥/٤-٦٦٦)، إرشاد الفحول: (ص:٢٨).
١٥- انظر: الاعتبار: (ص: ١٦).
١٦- أخرجه البخاري، برقم: (٧٣٥)، مسلم، برقم: (٢٢).
١٧- أخرجه أحمد في المسند، برقم: (٤٥٤٠)، أبو داود، برقم: (٧٥٠).
١٨- انظر: الاعتبار: (ص:١٦).
١٩- انظر: التلخيص الحبير: (٢٢٠/١).
٢٠- انظر: الأم: (١٠٤/١).
٢١- أخرجه الدارقطني، برقم: (٤٢٤٧).
٢٢- أخرجه الدراقطني، برقم: (٤٢٥٣).
٢٣- انظر: معالم السنن للخطابي: (٤١٤/٥)، المغني: (٤٧٠/١٠).
٢٤- أخرجه ابن ماجه، برقم: (٢٢٥٠).
٢٥- انظر: معالم السنن: (٤١٤/٥).
٢٦- انظر: نصب الراية للزيلعي: (٢٨٩/٣، ٢٩٠).
٢٧- انظر: مفتاح الوصول: (ص:٩٣)، نهاية السول: (٩٩٨/٢)، شرح الكوكب المنير: (٦٦٨/٤).
٢٨- أخرجه أبو داود، برقم: (٦٥٨).
٢٩- أخرجه أبو داود، برقم: (٢٠٨٣)، الترمذي، برقم: (١١٠٢).
٣٠- أخرجه مالك في الموطأ، برقم: (٨٨٨)، مسلم، برقم: (١٤٢١).
٣١- انظر: الأم للشافعي: (١٣/٥)، شرح السنة للبغوي: (٤٥/٩).
٣٢- انظر: فتح القدير للكمال بن الهمام: (٢٥٧/٣-٢٥٩).
٣٣- انظر: الإحكام للآمدي: (٢٥٢/٤)، شرح الكوكب المنير: (٦٦٩/٤).



ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي:

ما يتعلق بالكاتب

- يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- إرسال صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير.
- يذكر العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الإستعانة بمصادر ومراجع.
- لا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلا.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com

فقه الأولويات في حياة الدعاة

ناجي الخرس
داعية كويتي

من استقرأ القرآن والسنة علم بأن فقه الأولويات له أهمية كبرى في فهم الإسلام ولذلك تجد النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن سيرة السلف الصالح ما يدلنا على أن هذا الأمر ليس عندهم فيه غموض بل إنه واضح فهما وعملا واعتقادا، وقبل الدخول في الموضوع، تعال معي أيها القارئ وتأمل هذا النموذج كيف فهمه السلف الصالح وقاموا بتطبيقه دون تردد أو مراجعة وكأنه بدهية من بدهيات المسائل. وإليك هذا المثال الذي يجسد مفهوم فقه الأولويات كتمهيد لهذا الموضوع: خرج عبدالله بن المبارك (رحمه الله) مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك. وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا بنت قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته وأسرعت به إلى الدار. فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، قد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل. فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال: عد منها عشرين دينارا تكفينا إلى مرو وأعطاها الباقي وقال: فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ثم رجع. البداية والنهاية بتصرف (١٠/ ١٧٨).

ذكر ابن مفلح في الفروع أن الإمام أحمد (رحمه الله) سئل: أيحج نفلا أم يصل قرابته؟ قال: إن كانوا محتاجين يصلهم أحب إلي. وفي رواية أخرى قال: يضعها في أكباد جائعة.

أهمية الموضوع

واضح من عرض هذه القصة أن من حج فرضه وكان عنده كفاية من المال ويريد الخير والأجر، ينبغي أن يضع أمامه ميزان الشرع ماذا يفعل وكيف يتصرف، وخاصة إذا تزاحمت القربات والطاعات مع بعضها البعض، من الأولى بالتقديم ومن الأولى بالتأخير وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) هذه الأولوية بأنها حقيقة الدين فقال: فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد، بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند المزاحمة، فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل.

الأولويات في مصطلح أهل العلم: هي الأعمال والأنشطة التي حقها التقديم على غيرها. وتقديم الأهم على المهم والفاضل على المفضول هي حقيقة شرعية، وبدهية عقلية. أما كونها بدهية عقلية: فلأن العقول السليمة أجمعت على تقديم ما منفعته غالبة، أو ما مصلحته راجحة على ما منفعته ضعيفة أو مصلحته مرجوحة. أما كونها حقيقة شرعية: فلأن نصوص الكتاب والسنة قد دلت على ذلك، ففي كتاب الله قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:١٩). ففاضلت الآية بين أمرين كلاهما طاعة وقربة، وبينت أنهما لا يستويان عند الله تعالى. وأما في السنة فقد صح عن النبي ﷺ قوله: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (١) وكما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» (٢).

وفي المقابل بينت أحاديث عديدة كون الذنوب أنواعا ومراتب، فعن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال - ثلاثا -: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور».

وكذلك مصالح العباد متفاوتة؛ فقد بين الأصوليون أنها ثلاث مراتب: فأعلاها الضروريات، تليها الحاجيات، ثم التحسينيات.

مفاسد غياب فقه الأولويات

غياب فقه الأولويات باب من أبواب الانحراف والاضطراب، ويؤدي إلى مفاسد عظيمة على مستوى الأفراد والمؤسسات، وفي تشبيه لطيف يبين (ستيفن كوفي) معضلة تحديد الأولويات بقوله «يمكن إيضاح معضلة وضع الأشياء الأهم أولا بالمقارنة بين أداتين لهما وظيفة التوجيه: الساعة والبوصلة، فالساعة تمثل مواعيدنا والتزاماتنا وجداولنا وأهدافنا وأنشطتنا، أي: كيف ننفق وقتنا ونوزعه، أما البوصلة فهي تمثل ما نحمله داخلنا من رؤية وقيم ومبادئ ومهام ووعي وتوجه، أي: ما هي الأشياء ذات الأولوية في حياتنا، وما هو المنهج الذي ننهجه في إدارة تلك الحياة، يأتي التعارض عندما نشعر بالفجوة بين الساعة والبوصلة، أي: عندما نجد ما نقوم به لا يسهم كثيرا في إنجاز ما نعتبره الأهم في حياتنا» (٣).

وأهم هذه المفاسد

١ - سوء فهم الشريعة (إدخال ما ليس من الشريعة فيها)

حيث تنزل الشريعة في غير منازلها المأمور بها؛ وذلك «يؤدي إلى فوضى فكرية عارمة تشوه الشريعة وتخل بتوازنها، ولقد أرسى الشرع بين المأمورات والمنهيات توازنا لا يجوز الإخلال به؛ تماما كنسب الدواء الواحد، قد يؤدي تغيرها إلى إفساده وإلغاء خصائصه، إن لم ينقلب إلى سم قاتل (٤).

مثاله: أخرج الإمام البخاري في صحيحه قال: حدثنا أبوالنعمان حدثنا حماد بن زيد عن الأزرق بن قيس قال: «كنا على شاطئ نهر بالأهواز قد نضب عنه الماء، فجاء أبوبرزة الأسلمي على فرس فصلى وخلى فرسه، فانطلقت الفرس، فترك صلاته وتبعها حتى أدركها، فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته، وفينا رجل له رأي، فأقبل يقول: انظروا إلى هذا الشيخ، ترك صلاته من أجل فرس، فأقبل فقال: ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله ﷺ، وقال: إن منزلي متراخ، فلو صليت وتركته لم آت أهلي إلى الليل، وذكر أنه قد صحب النبي ﷺ فرأى من تيسيره».

تأمل فعل هذا الصحابي الذي تربى على يد النبي ﷺ كيف وازن بين عبادة الله وهي الصلاة وبين خوفه على ماله وأهله فقدم ما يفوت ولا يمكن تداركه وبين الذي لا يفوت ويمكن تداركه.

٢ - تقديم المفضول على الفاضل

فالجاهل بمراتب الأعمال يهتم بالعمل قليل الأجر على حساب كثير الأجر، ويضيع الجهد الكبير للحصول على حسنات قليلة، وهناك طائفة أخرى تظن أن الأجر الكثير على قدر المشقة، وهذا مفهوم غير صحيح بل الأجر على قدر المنفعة. كحديث شعب الإيمان، وحديث الذكر الذي يكون بعد صلاة الفجر: سبحان الله وبحمده عدد خلقه... وإليك هذا المثال الذى ذكره الإمام الغزالي (رحمه الله) في كتابه الإحياء وهو يتكلم عن أصناف المغرورين في التعبد فقال: ومنهم ربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد الأخرى، وربما تركوا جيرانهم جياعا، ولذلك قال ابن مسعود: في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب، يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين، يهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه. وقال أبونصر التمار: إن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم. قال بشر: فأي شيء تبتغي بحجك؟ تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله، قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا ناصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين (٥).

٣ - التفريط أو الإفراط في الحقوق

وهذا يشمل كل الحقوق وإن كان بعض الحقوق أولى من بعض وكل بحسبه، والضابط في هذا ما جاء في شرع الله، لأن الله تعالى حكيم في حكمه وأحكامه حيث وضع الموازين التي توزن بها الأعمال بدقة متناهية، فهي صنع الله كما قال تعالى ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (النمل:٨٨).

٤ - البعد عن مدارج الكمال

فكلما اشتغل المرء بالمفضول على حساب الفاضل، وبالمهم على حساب الأهم؛ ابتعد عن مدارج الكمال، ومنازل العلو والرفعة. قال الإمام أبوعبيدة: «من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم» (٦).

وكلام أبي عبيدة هذا قاعدة إدارية في غاية الأهمية يقول بها بعض الإداريين المعاصرين، ففي كتاب: «إدارة الأولويات: الأهم أولا» صدر المؤلفون أحد أبواب الكتاب بالعبارة

الآتية: «إن غياب الوعي بما هو مهم هو التزام بما هو غير مهم» ص ٣٧.

وللإمام ابن القيم كلام متين جامع في بيان العقبات التي يسعى الشيطان للظفر بها من العبد، وذكر العقبة السادسة وهي: «عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره الشيطان بها، وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبا وربحا؛ لأنه عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله، ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضى له (٧).

ضوابط تحديد الأولويات

١ - الاعتماد على المصادر الأصيلة في الاستدلال والتلقي

لقد بليت الأمة الإسلامية بألوان وألوان من التفرق والاختلاف، ولا مخرج للأمة من هذه الكبوة إلا بالعودة الصادقة إلى المصادر الأصيلة للاستدلال والتلقي، وهي الكتاب والسنة، أو ما دل عليه الكتاب والسنة كالإجماع والقياس ونحوهما، ومن ثم تحدد الأولويات الدعوية بالرجوع إلى هذه المنابع الكريمة التي لم تكدرها شوائب البدع والضلالات والأهواء.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران:١٠١)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

٢ - النظرة الشمولية للإسلام

إن من فضل الله تعالى على أمة الإسلام أن جعل هذا الدين دينا شاملا لجميع شؤون الحياة، ولا يجوز بحال قصر الدين على شعبة من شعبه وإهمال شعبه الأخرى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ (البقرة:٢٠٨)، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك» (٨).

وهناك مثال تطبيقي جاء في كتاب الله تعالى في سورة كاملة وهي سورة الماعون، ففي هذه السورة نموذج لشمولية الإسلام حيث ذكرت العقيدة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ والأمور الاجتماعية ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ والعبادة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ (الماعون ١-٥)، حيث بينت السورة أن بينها ترابطا فعبادة القلب مرتبطة بعبادة الجوارح وكذلك العبادة الفردية مرتبطة بالعبادة الاجتماعية.. وهذا واضح جدا لمن تدبر هذه السورة وأن هناك فرقا بين الإيمان التقليدي الذي ليس له أثر في الحياة وبين الإيمان الصادق الذي يوافق فعل صاحبه وقوله ما يعتقده؛ وكما قال صاحب الظلال: «إن الدين ليس أجزاء وتفاريق موزعة منفصلة، يؤدي منها الإنسان ما يشاء، ويدع منها ما يشاء.. إنما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته وشعائره، وتكاليفه الفردية والاجتماعية، حيث تنتهي كلها إلى غاية تعود كلها على البشر.. غاية تتطهر معها القلوب، وتصلح الحياة، ويتعاون الناس ويتكافلون في الخير والصلاح والنماء.. ولقد يقول الإنسان بلسانه: إنه مسلم وإنه مصدق بهذا الدين وقضاياه. وقد يصلي، وقد يؤدي شعائر أخرى غير الصلاة ولكن حقيقة الإيمان وحقيقة التصديق بالدين تظل بعيدة عنه ويظل بعيدا عنها. لأن لهذه الحقيقة علامات تدل على وجودها وتحققها».

٣ - تقديم ما قدمه الشارع الحكيم

فالدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ونبذ الشرك والبراءة منه ومن أهله هي المنطلق والأساس الذي بدأ به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥)، ولما بعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن قال له: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة... الحديث».

٤ - معالجة حاجات البيئة: (العلم بمعرفة الواقع)

تختلف البيئات من حيث احتياجاتها الدعوية، ومن حيث الانحرافات السائدة فيها، ولهذا يجب أن تحدد الأولويات الدعوية التي تتصدر لها المؤسسات والمراكز الإسلامية بناء على حاجات كل بيئة. فما يجب تقديمه في البيئة العربية قد يختلف عن البيئة في أوروبا الشرقية أو الغربية أو إفريقيا...

وهكذا؛ ولهذا كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله... الحديث» (٩).

فبصَّره رسول الله ﷺ بالواقع الذي سيبلغ فيه دين الله عز وجل؛ ليكون على بينة من أمره، ولهذا قال ابن حجر: (قوله: «ستأتي قوما أهل كتاب» هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان).

٥ - الموازنة بين المصالح والمفاسد

من المسائل الدقيقة المهمة التي تعين في تحديد الأولويات: الموازنة بين المصالح والمفاسد؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين» (١٠).

وقال الإمام ابن القيم: «إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح بحسب الإمكان، وأن لا يفوت منها شيء، فإن أمكن تحصيلها كلها حصلت، وإن تزاحمت ولم يمكن تحصيل بعضها إلا بتفويت البعض، قدم أكملها وأهمها وأشدها طلبا للشرع» (١١).

٦ - تقديم الأعمال ذات النفع المتعدي إلى الآخرين على النفع الخاص:

من تمام الفقه والبصيرة في دين الله تعالى تقديم الأعمال ذات النفع المتعدي على الأعمال ذات النفع الخاص؛ قال الله عزوجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (التوبة:١٩-٢٠).



فسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من أعمال البر المحمودة؛ لكن الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله أعظم درجة عند الله تعالى لأن نفعها أعظم للأمة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا» (١٢).

٧- مراعاة قدرات الأشخاص

تختلف قدرات الناس وملكاتهم باختلاف أشخاصهم؛ فما يصلح لبعضهم قد لا يصلح للآخرين؛ ولهذا تنوعت إجابات الرسول ﷺ لأصحابه لما كان يسأل عن أفضل الأعمال، وفسر الحافظ ابن حجر سبب ذلك بقوله: «اختلف لاختلاف أحوال السائلين؛ بأن أعلم ﷺ كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره» (١٣).

وكما قال عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب الأمة الذي كان بعنوان: إحياء الفروض الكفائية حيث قال:.. ولهذا كان ﷺ يؤكد تنوع القابليات والقدرات والمؤهلات في تقسيمه للأعمال وتكليفه لأصحابه الكرام بالمهمات المتنوعة، فمن يصلح لأمر قد لا يصلح لآخر، بل ويوجه إلى ذلك بقوله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة

أبوعبيدة بن الجراح» (١٤).
وهو القائل ﷺ: «فكل ميسر لما خلق له»، فإذا عرف الناس إمكاناتهم وقابلياتهم، وعرفوا أعمالهم وأحسنوا اختيارها، والتوجه إليها، استقامت الحياة، وانسجمت العلاقات (١٥).
وهذا الإمام مالك (رحمه الله) الفقيه المجتهد، عندما كتب إليه عبدالله العمري يحضه على الانفراد والعمل، رد عليه قائلا: «إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له بالصوم، وآخر فتح له بالصدقة ولم يفتح له بالصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير» (١٦).
ومثال آخر وهو: تولية الأصلح وإن كان غيره أفضل منه. قال ابن القيم (رحمه الله):
وبهذا مضت سنة رسول الله ﷺ، فإنه كان يولي الأنفع للمسلمين على من هو أفضل منه، كما ولّى خالد بن الوليد من حين أسلم على حروبه لنكايته في العدو، وقدمه على بعض السابقين من المهاجرين والأنصار، مثل عبدالرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة، وعبدالله ابن عمر، وهؤلاء ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل، وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وخالد كان ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل، فإنه أسلم بعد صلح الحديبية هو وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الحجبي، ثم إنه فعل مع بني جذيمة ما تبرأ النبي ﷺ منه حين رفع يديه إلى السماء، وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، ومع هذا فلم يعزله، وكان أبوذر من أسبق السابقين وقال له: «يا أبا ذر، إني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال اليتيم»، وأمر عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، لأنه كان يقصد أخواله بني عذرة، فعلم أنهم يطيعونه ما لا يطيعون غيره للقرابة. وقدم زيدا في الولاية على جعفر ابن عمه مع أنه مولى، لكنه من أسبق الناس إسلاما قبل جعفر، ولم يلتفت إلى طعن الناس في إمارة أسامة وزيد، وقال: «إن تطعنوا في إمارة أسامة فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان خليقا للإمارة ومن أحب الناس إلي». والمقصود أن هديه ﷺ تولية الأنفع للمسلمين وإن كان غيره أفضل منه (١٧).

٨ - الإعراض عن المسائل التي لا ينبني عليها عمل جاد

الاشتغال بالمسائل النظرية التي لا ينبني عليها عمل جاد سبيل من سبل البطالين العجزة الذين يهدرون أوقاتهم وأوقات مؤسساتهم فيما لا نفع فيه للأمة، قال الإمام الشاطبي: «كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا؛ والدليل على ذلك استقراء الشريعة؛ فإنا رأينا الشارع يعرض عما لا يفيد عملا مكلفا به؛ ففي القرآن الكريم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:١٨٩)، فوقع الجواب بما يتعلق به العمل، إعراضا عما قصده السائل من السؤال عن الهلال».

٩ - ترشيد الاختلاف لواجب الإئتلاف

جاء عن ابن تيمية في الفتوى المصرية قوله:
«مراعاة الائتلاف هي الحق، فيجهر بالبسملة أحيانا لمصلحة راجحة، ويسوغ ترك الأفضل لتأليف القلوب، كما ترك النبي ﷺ بناء البيت من خشية تنفيرهم، نص الأئمة كأحمد على ذلك في البسملة ووصل الوتر وغيره، مما فيه العدول من الأفضل إلى الجائز، مراعاة للائتلاف أو لتعريف بالسنة، أو أمثال ذلك» (١٨).
وراجع: بيان الأفضل من العبادات، لشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)
وكان أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الحجامة والرعاف، فقيل له: فإن كان إمامي قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، أصلي خلفه؟
فقال: كيف لا تصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك (رحمهما الله)؟
هناك أمور ترشد الاختلاف وهي على النحو التالي:
أ - الموازنة بين قول الحق ووحدة الصف.
ب - الاعتدال في الحكم على الأخطاء (الإنصاف).
ج - الفصل بين الأشخاص والمواقف (اعرف الحق تعرف رجاله).
د - الحذر من الاشتغال بعيوب الناس.
هـ - البعد عن تضخيم الخلاف.

١٠ - النظرة إلى مآلات الأمور

معناه قصد الشارع الحكيم أن يكون مآل الأمر موافقا لما قصد به.
من أمثلة هذا الضابط من فقه الأولويات:
أ - تنزيل السبب منزلة المسبب في الاعتبار.
مثاله: نصب اليهود للشباك تحيلا، تحريم سب والدي الغير.
ب - دفع أعظم المفسدتين بتحمل أدناهما.
مثاله: الترخيص في الكذب للمصلحة، الامتناع عن قتل المنافقين.
ج - الترخص في الممنوع لتوقف المشروع عليه.

مثاله: تقديم العشاء على العشاء، الأمر بالنظر إلى المخطوبة، الصلاة في وقت النهي.

د - منع المشروع لإفضائه إلى الممنوع.

مثاله: منع إطالة الصلاة إذا كانت جماعة، منع تناجي اثنين دون الثالث، النهي عن إقامة الحدود في الغزو.

هـ - من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

مثاله: حرمان القاتل من الميراث.

١١ - العناية بإحياء فروض الكفاية

ونعني به: الواجبات التي تكفل المحافظة على المصالح العامة للأمة.

ولعل استفهام السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، يلفت النظر هنا عندما سألت الرسول ﷺ: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث» (أخرجه البخاري).

فمدافعة الظلم والفساد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق الرقابة العامة على المجتمع والفرد والدولة، يأتي على رأس «الفروض الكفائية»، يقول الرسول ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» (أخرجه الترمذي).

ومما ينبغي ملاحظته في هذا الضابط هو ما يلي:

أ - إن الشارع قد أعطى أهمية كبرى للواجبات الكفائية، فلم يكلف شخصا بعينه القيام بها، بل علق التكليف بالأمة جميعا، لتكون هي المسؤولة عن ذلك، كما تكون آثمة عند التقصير فيها.

ب - إن مقصود الشارع من الواجبات الكفائية حماية المصالح العامة للأمة، من جلب مصلحة ودرء مفسدة.

ج - إن الواجبات الكفائية، في القراءة الدينية المعاصرة، انحسرت أبعادها عن القضايا المصيرية للأمة، واقتصرت على قضايا المصير الفردي: كفن وجنازة ونحو ذلك.

د - عدم الاهتمام بالواجبات الكفائية، في مجال العلوم الكونية، أدى إلى تأخرنا في مجال التقنية والصناعة والاقتصاد، وفوت علينا فرص التسخير التي كان يمكن استخدامها لأغراض الدفاع ومقاصد الردع وتحقيق رفاهية الإنسان.

هـ - الاهتمام بالعلوم الإدارية والاقتصادية، لم يصل بعد إلى درجة الكفاية، حتى تسهم هذه العلوم في حل مشكلات الأمة الاقتصادية والإدارية.

و - ساد فهم لدى كثير من العقليات الدينية بأن المسؤولية عن الواجبات الكفائية تنتهي بمجرد تحمل شخص أو فئة لها، دون أن يشعر بمسؤولية المتابعة التي تتمثل في حمل القادر أو المتعين عليه الواجب الكفائي، وأن يصل أداؤه في ذلك إلى درجة الكفاية.

١٢- وجوب إشهار ما كان من شعائر الإسلام الظاهرة

ونعني به كل عبادة تؤدى على سبيل الاشتهار فإن حكمها الوجوب؛

ومثاله: صلاة العيدين، والأضحية، وصلاة الجماعة، والأذان.

ولهذا جاءت الأحكام الشرعية بمقاتلة من يمنع إقامة شعائر الإسلام الظاهرة، ولهذا بوب البخاري في صحيحه في كتاب الأذان: باب ما يحقن بالأذان من الدماء، فروى عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر؛ فإن سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم. قال الخطابي (رحمه الله): فيه أن الأذان شعار الإسلام، وأنه لا يجوز تركه، ولو أن أهل بلد اجتمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه.

ولهذا قال ابن عبدالبر (رحمه الله): لا أعلم فيه خلافا.

الخاتمة

تبين لنا من خلال ما مر معنا أن مسألة الأولويات تعين الباحث على اكتشاف أسرار الشريعة وما فيها من مقاصد عظيمة ترشدنا إلى المعاني الأولى التي لها حق الاهتمام في الإسلام، وكيف فهم السلف الصالح الفهم الدقيق والعميق لروح النصوص وما تؤول إليه الأحكام من مصالح أو مفاسد، ولهذا يجب علينا أن نحيي فقه الأولويات في تأملاتنا واستنباطاتنا إذا قرأنا النصوص من الكتاب والسنة، وفي الختام نسأله تعالى أن يشرح صدورنا للحق ويرزقنا اتباعه، إنه هو ولي ذلك والقادر عليه.

الهوامش

١- أخرجه مسلم والبخاري.
٢- أخرجه البخاري ومسلم.
٣- كتاب (إدارة الأولويات: الأهم أولا)، تأليف ستيفن كوفي وصاحبيه، ترجمة د. السيد المتولي حسن، ص ١٧.
٤- فقه مراتب الأعمال، د. سعد الدين العثماني، مقال منشور في مجلة البيان العدد (٩٧).
٥- احياء علوم الدين ج ٣.
٦- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (١٦٠/٢).
٧- مدارج السالكين (٢٢٥/٢).
٨- تفسير القرآن الكريم، (٢٤٧/١).
٩- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، (٣٥٧/٣)، رقم (١٤٩٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين (٥٠/١)، رقم ١٩.
١٠- منهاج السنة النبوية، (١١٨).
١١- المرجع السابق، ص ٣٤٧.
راجع: مذكرة فقه الموازنات
١٢- فتح الباري (١٣/٢).
١٣-فتح الباري (١٣/٢).
١٤- أخرجه الترمذي.
١٥- انظر: كتاب الأمة عدد (١٠٥).
١٦- سير أعلام النبلاء، (١١٤/٨).
١٧- إعلام الموقعين (١١٤/١-١١٥).
١٨- (٤٣٦/٢٢) مجموع الفتاوى.



من علماء العربية

ابن مالك صاحب الألفية

د. مصطفى أحمد قنبر
باحث في علوم اللغة - قطر

لا يعرف دارسو العربية في أيام الطلب الأولى كتابا ذاع صيته بينهم يعادل «ألفية ابن مالك»؛ لما لهذا الكتاب من دور في تثبيت قواعد العربية من نحو وصرف في عقول الناشئة من طلاب العلم. وقد اشتهر ابن مالك بين الدارسين بهذا الكتاب رغم ما تركه للعربية ودارسيها من مؤلفات جليلة لا تقل - إن لم تفق - شهرة عن الألفية. وفي هذه السطور نلقي الضوء على هذا العالم الجليل؛ محاولة لإبراز مكانته العلمية لمن لا يعرفه، وبيانا لجهوده في خدمة التراث العربي الإسلامي.

نسبه ومولده

هو إمام النحاة وحافظ اللغة، ترجمان الأدب، وحجة لسان العرب، صاحب التصانيف، وواحد الزمان في علم اللسان، العلامة الأوحد محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك العلامة جمال الدين أبوعبدالله الطائي الجياني الشافعي النحوي، يعود نسبه إلى جيان من بلاد الأندلس.

وقد اختلف في سنة مولده فقيل ستمائة من الهجرة، وقيل سنة ستمائة وواحد (١).

حياته وطلبه للعلم

لم تذكر كتب التراجم والموسوعات شيئا عن نشأة ابن مالك وأسرته، وإنما ذكرت أغلب المصادر أن الرجل ولد بـ «جيان» في الأندلس ثم رحل إلى المشرق، وهو في ريعان شبابه، حيث عاش في دمشق وأقام بها يصنف ويشتغل بالتدريس والتأليف.

ولعل سبب إقامة الشيخ في دمشق فضلا عن كونها حاضرة من حواضر العلم في العالم الإسلامي يعود للاستقرار النسبي الذي حظيت به على أيدي صلاح الدين الأيوبي وأولاده، لأن المصنف عاش في عصر مليء بالأحداث السياسية المهمة في الداخل والخارج، وكانت أيامه مصبوغة بالدماء، وانعدام الاستقرار في أغلب البلاد العربية، بسبب حروب الصليبيين، وغارات الإفرنج، وهجوم التتر، ونزاع بني أيوب. وعلى الرغم من تلك الحوادث التي عاصرها المصنف ظل يتردد على حلقات العلم، ومجالسة كبار العلماء، وتعليم الناشئة وتثقيفهم، وقراءة آثار السابقين، والتأليف (٢).

شيوخه

قال أبوحيان: بحثت عن شيوخه فلم أجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه، ويرجع في حل المشكلات إليه؛ إلا أن بعض تلامذته ذكر أنه قال: قرأت على ثابت بن حيان، وجلست في حلقة أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما؛ ولم يكن ثابت بن حيان من الأئمة النحويين، وإنما كان من أئمة المقرئين. وله شيخ جليل وهو ابن يعيش الحلبي ذكر ابن إياز في أوائل شرح التصريف أنه أخذ عنه، وسمع بدمشق من السخاوي والحسن بن الصباح وجماعة. وأخذ العربية عن غير واحد، وجالس بحلب ابن عمرون وغيره (٣).

أخلاقه وعلمه

الخلق والعلم صنوان لا ينفصمان، والمنجز الحضاري العربي الإسلامي زاخر بكواكب أضاءت ظلمات الجهالة البشرية، وعمرت فيافي الفضاءات العقلية، وحمتها من الشطط.. كان الخلق والعلم أحد مرتكزاتها، وفي سير أعلامنا ما يؤيد ذلك.

فهاهو ابن مالك قد صرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وحاز السبق، وأربى على المتقدمين. فكان إماما في القراءات وعللها. وبلغ في اللغة شأوا عظيما فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحرا لا يجارى، وحبرا لا يبارى. وإذا كان الناس قد شغلوا كثيرا بكتاب سيبويه ثم بمفصل الزمخشري، فإنهم قد شغلوا كثيرا بتسهيل ابن مالك وألفيته شرحا ودرسا وحفظا لأزمان طويلة. وقد أشاد العلماء بعلمه ومهارته في النحو؛ فقال ابن القويع ركن الدين: إن ابن مالك ما خلى للنحو حرمة، ويحكى أن الشيخ جمال الدين الفزاري العالم المشهور تأسف يوم موت ابن مالك تأسفا كثيرا، فقيل له: أكان الشيخ جمال الدين في النحو مثلك في الفقه؟ فقال: والله ما أنصفوه، كان في النحو مثل الشافعي في الفقه» (٤). وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الأئمة الأعلام يتحيرون فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها! وكان



نظم الشعر سهلا عليه: رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك؛ هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمت، ورقة القلب، وكمال العقل، والوقار والتؤدة. وكان أمة في الاطلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب. وكان كثير العبادة، كامل العقل، وقد انفرد عن المغاربة بشيئين: الكرم ومذهب الإمام الشافعي.

وكان ابن مالك لا يحتمل المباحثة، ولا يثبت للمناقشة، لأنه إنما أخذ هذا العلم بالنظر فيه بخاصة نفسه، هذا مع كثرة ما اجتناه من ثمرة غرسه، وكان إذا صلى في العادلية – وكان إمامها – يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان إلى بيته تعظيما له (٥).

وكان يرحمه الله لا يرى إلا وهو يصلي، أو يتلو، أو يصنف، أو يقرئ، فله الدين المتين والتقوى الراسخة (٦).

مؤلفاته

ترك الشيخ ميراثا ضخما مازلنا نعيش حتى اليوم عليه، وهو ميراث ضخم حقا يبلغ نحو أربعين مصنفا في النحو والصرف واللغة والقراءات.

والألفية أشهر كتب ابن مالك النحوية، بل لعلها أشهر كتب النحو العربي بعد «الكتاب»، وهي تستمد شهرتها من أنها خلاصة دقيقة بالغة الدقة لأهم قواعد النحو العربي التي يقوم عليها بناؤه الشامخ، يسر نظمُها حفظَها، وفتح تركيزُها الأبوابَ أمام العلماء المتأخرين ليثبتوا عن طريق شرحها، والتعليق عليها، وبسط ما ركزته، والإطالة فيما لخصته (٧).

ترك شيخ العربية مصنفات في علوم كثيرة، ففضلا عن «الألفية» في النحو له «لامية الأفعال»، و«عدة الحافظ وعمدة اللافظ»، و«إيجاز التعريف»، و«شواهد التوضيح»، و«تحفة المودود في المقصور والممدود»، و«العروض»، و«الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد»، و«تسهيل الفوائد» في النحو، و«الضرب في معرفة لسان العرب» و«الكافية الشافية»، و«الخلاصة» و«العمدة» وشرحها. و«سبك المنظوم وفك المختوم» و«إكمال الإعلام بتثليث الكلام» (٨).

تلاميذه

من تلاميذه وممن رووا عنه ولده بدر الدين محمد، وشمس الدين بن جعوان، وشمس الدين ابن أبي الفتح، وابن العطار، وزين الدين أبوبكر المزي، والشيخ أبوالحسين اليونيني، وأبوعبدالله الصيرفي، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة، وشهاب الدين محمود، وشهاب الدين ابن غانم ناصر الدين شافع (٩).

وفاته

توفي ابن مالك يرحمه الله بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة من الهجرة، وقد قال شرف الدين الحصني يرثيه بأبيات منها:

يا شتات الأسماء والأفعال
بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط
منه في الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم بإذن
الله من غير شبهة ومحال
عدم النعت والتعطف والتو
كيد مستبدلا من الإبدال
ألم اعتراه أسكن منه
حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكتة لهمز قضاء
أورثت طول مدة الانفصال
رفعوه في نعشه فانتصبنا
نصب تمييز كيف سير الجبال
صرفوه يا عظم ما فعلوه
وهو عدل معرَّف بالجمال (١٠)

رحم الله صاحب الألفية فخر العربية وإمامها، وصلِّ اللهم على أشرف أنبيائك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

١- انظر: بغية الوعاة، ١/١٣٠، الوافي بالوفيات ٣/٢٨٥، وأبجد العلوم ص ٥٨٣، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/١٣١، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ٢٧٠.

٢- هند إبراهيم ناجي: «شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ» لجمال الدين محمد بن مالك النحوي، دراسة وتحليل، متطلب ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية في جامعة ديالى/ العراق (رجب ١٤٢٦هـ / آب ٢٠٠٥م)، ص ٣.

٣- انظر: بغية الوعاة ١/١٣٠، وأبجد العلوم ص ٥٨٣، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/١٣١، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٢٧٠.

٤- ابن مالك: إكمال الإعلام بتثليث الكلام، تحقيق سعد الغامدي، مكتبة المدني، ج١، ص ٢٥.

٥- بغية الوعاة ١/١٣٠، ١٣١، ١٣٤. والوافي بالوفيات ٣/٢٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/٥٩١.

٦- ابن مالك: شرح الكافية الشافية، تحقيق: د. عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط ١(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ١/٢٨. وبهاء الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/٦٧.

٧- انظر: تقديم الدكتور يوسف خليف لكتاب ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي (١٩٦٧) ص (هـ).

٨- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب ٧/٥٩١، والأعلام للزركلي (٦/٢٣٣).

٩- الوافي بالوفيات ٣/٢٨٧، ٢٨٨.

١٠- الوافي بالوفيات ٣/٢٨٨.

فطرة سوية!

محمد ثابت توفيق
قاص من مصر

وسط زحام السوق التجاري الهائل كانت تقف بعمرها المتقدم وملابسها البسيطة النظيفة تنظر حولها في حيرة وضعف شديدين، لم تجذب أنظار غير واحد من المتسوقين مع كونهم بالمئات، فالسوق التجاري كله تم افتتاحه أخيرا، وهو يشهد خصومات جعلت الإقبال شديدا على جميع الأقسام بخاصة السلع الغذائية، رحت أراقبها من بعيد متعجبا من كون «طبق» متوسط الحجم في يدها اليمنى تحاول إخفاءه في وهن.. سارت نحو البائع في قسم الألبان والأجبان وما شابه قائلة:

ـ أريد ملأه لبنا وعدة أرغفة..

نظر إليها البائع.. ويبدو أنه لم يفهم، فاللبن لا يباع مجزءًا في مثل هذه الأسواق.. غفلة طلبت منه متسوقة أن يزن لها بعض الأغذية..

نظرت السيدة المسنة إليه وهو يمضي عنها فلم يلتفت..

اقتربتُ بهدوء وكنت حريصا على أن أبدو عفويا.. لكني قبل أن أتحدث سمعتها تقول:

ـ الأمر لله وحده..

قلت لها:

ـ هل من الممكن أن تأتي معي دقيقة يا أمي؟!

ابتسمت ابتسامة رضا رائعة وهي تقول:

ـ أعزك الله يا بني ووهبك الخير كله.. ولكني متعبة.. لا أعرف كيف استطعت الوصول إلى هنا..

ثم همست كأنها تحدث نفسها:

ـ علم الله وحده بحالي.. ولكن أين تريدني أن أمضي يا بني من فضلك؟!

ـ فقط خطوات قليلة..

ـ الأمر لله تعالى.. تفضل..

بسرعة رفعت من فوق الأرفف عددا من قطع الجبن الطازج.. وعبوات اللبن.. وكذلك ثمار الفاكهة.. وعبوة بيض.. ولم أنس عدة أنواع من الفاكهة والعصائر.. وكذلك بعضا من اللحوم والدجاج.. كانت تهمس في حياء شديد:

ـ ماذا تفعل يا بني.. من فضلك قل لي.. ولماذا؟!

ـ اصبري من فضلك وستعلمين..

فلما تعبت من كثرة السؤال قالت:

ـ أريد ملء هذا الطبق لبنا.. وعدة أرغفة.. أنت رأيتني أثناء حديثي مع البائع إذن..

فور دفع الحساب قالت لي في صبر يبدو أنه قارب النفاذ:

ـ كل هذه الأنواع من الأطعمة لا تلزمني.. يا بني، قلت لك لا أريد إلا.. أنت لا «تقتنع» لا أريد «تعويد» نفسي وبناتي إلا على أقل القليل من الطعام الذي أستطيع الإتيان به من عملي. لكنني اليوم تعبت.. - سامحني الله - نمت طوال اليوم.. ولم تأكل واحدة منهن حتى الآن.. وقد مضى النهار وجاء الليل.. سامحني يا رب.. المرة الأولى التي أتعب فيها.. املأ الطبق لي.. وأريد ربطة خبز.. من فضلك كفى..

وهي تمضي عني ودموعها تسيل.. كنت أبكي في صمت.. إن لها بنات لا يجدن طعاما طوال اليوم.. وفي الأمة من لا يكف عن النيل من الملذات.. لابد من أن يهديني الله إلى حل:

ـ يا أمي.. على رسلك.. تمهلي.. حقك علي.. هذه الأشياء لي وليست لك.. أنت لك عبوة اللبن هذه.. تمام.. وربطتان بل ربطة واحدة من الخبز.. تمام..

ـ الله يبارك لك ويهديك..

ـ ولكن الليل يتقدم.. ممكن أوصلك البيت بسيارتي؟!

ـ ممكن، لكننا لن نستطيع استضافتك!

في الطريق حاولت أن أعرف اسمها فرفضت.. عملها فاعتذرت بلباقة.. لكني فور وصولنا.. وأخذها ما «اشترطت» لاحظت أنها لا تستطيع السير لفرط الإعياء والجوع فأصررت على توصيلها حتى باب الشقة البسيط جدا.. وهناك قلت:

ـ هذه الأشياء أحضرتها لك فاتقي الله في نفسك رجاء.. وهي هدية من ابن أصغر لك..

ثم هرولت مستقبلا السلم فيما كانت تقول:

ـ سامحك الله.. من أين سآتي للبنات بمثلها غدا.. وبعد..

ـ رزق الله وافر بإذن الله غدا تجدين أفضل منها!.



هل تصلح العامية للتدريس؟

احميدة العوني
باحث تربوي

مازالت دعوات التلهيج تتوالى، ومازالت اللغة العربية الفصحى تتهم صراحة بكونها السبب الرئيس في أزمة التعليم، فهناك من يرى أنّ تعليم المتعلم بغير لغته الأم سبب مباشر في ضعف مستواه وعجزه عن الاندماج في جو المدرسة.

١- أصل الدعوة إلى العامية

حاول الرواد الأوائل للدعوة إلى العامية إقناع الناس بأنّ الاختلاف بين لغة الحديث (العامية) ولغة الكتابة (الفصحى)، هو سبب ضعف المستوى التعليمي في البلاد العربية، باعتبار اللغة العربية الفصحى لغة صعبة، لا تسعف على الإبداع والاختراع. قال ولهلم سبيتا «كيف يمكن في فترة التعليم الابتدائي القصير أن يحصل المرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جدا كاللغة العربية الفصحى، بينما يعاني الشباب في المدارس الثانوية عذاب دراستها خلال سنوات عدة دون أن يصلوا إلى شيء؛ اللهم إلا نتائج لا ترضي بتاتا؟».

وانطلقت هذه الحركة بتأليف كتب كثيرة تدرس اللهجات العربية، كما دعوا إلى جعل العامية لغة الجرائد والمجلات والإذاعة.

وقد تتبعت الدكتورة نفوسة زكريا سعيد بدايات هذه الحركة، فمن الكتب(١) المؤلفة في العامية: قواعد العربية العامية في مصر. ولهلم

سبيتا. ١٨٨٠م، والعربية المحكية في مصر. لسلدن ولمور. ١٩٠١م. ولهجة بغداد العامية. تأليف لويزماسنيون، مؤلف بالفرنسية. طبع بمصر سنة ١٩١٢م. ولغة بيروت العامية. تأليف أمانويل ماتسون. مؤلف بالفرنسية سنة ١٩١١م. ولغة مراكش العامية وقواعدها. تأليف Ben Smail مؤلف بالفرنسية وفيه نبذ عربية. ١٩١٨م.

٢- غرض الدعوة إلى العامية

إنّ الغرض الظاهر من الدعوة إلى العامية، هو تنبيه الأمة العربية إلى سبب التخلف، فهم يرون أن تقدمها لا يتحقق إلا إذا استغنت عن اللغة العربية، وواضح أنّ هذه الدعوة اقترنت بالغزو الغربي للشرق العربي، ومن ثمّ فإنّ الهدف الخفي من الدعوة إلى العامية هو قطع صلة الإنسان المسلم العربي بلغة القرآن الكريم، وما يتصل بها من حضارة وآداب وعلوم، إذ لو تحقق أمل المستشرقين منذ ما يزيد عن قرن لأصبح حال اللغة العربية كحال اللاتينية، لا يعرفها أحد، وقد تبنّى هذه الفكرة كثير من المفكرين العرب فيما بعد، ومازال أصحابها يتذرعون بالأفكار نفسها التي صاغها المستشرقون رواد الدعوة إلى العامية.

٣- لماذا لا تصلح العامية للتعليم؟

أ- تعدد اللغات الأم في الوطن الواحد

ما يميز العامية أنها لغة لا تعترف بالقواعد، ومن ثم فهي غير ثابتة في معجمها وأصواتها وتراكيبها، فإن كانت الدارجة في العالم العربي متفرعة عن اللغة العربية، فهذا لا يعني أنّ المتكلم بالعامية العربية ينبغي أن يحترم معجم اللغة العربية الفصحى وصرفها وأصواتها. هكذا فإنّ العامية تتبدل بسرعة من ناحية المعجم خاصة، فيصير لكل جيل لغة، ولكل جهة لغة.

إذا أردنا أن نطبّق هذه الدعوة بعدالة فينبغي أن نعلّم كل متعلّم بما يفهم من عامية عربية، وعندئذ ينبغي أن نخترع له كتابا مكتوبا بلغته الأم، وينبغي أن نترجم له الرياضيات والفيزياء وعلوم الحياة والأرض بلغته الأم... وهلم جرّا.

ب- الخسارة الثقافية والاقتصادية

ما الأفضل اقتصاديا وثقافيا، أن نعلّم بلغة مقعدة غنية معجما وصرفا وتركيبا، أو أن نصرف أموالا طائلة، ووقتا كثيرا في تنمية لغة منفلتة متغيرة لا أدب لها ولا علوم؟.. فمن سيقرأ كتابك بالعامية المغربية أو العامية المصرية؟ هل من الأحسن اقتصادا وثقافة وحضارة أن يقرأ كتابَك العراقي والمصري والتونسي والأردني... أو أنْ يقرأه المغربي فقط؟.. إنّ الدعوة إلى العامية هي دعوة إلى التقوقع، وهي دعوة إلى تمزيق أوصال الوحدة الثقافية في العالم العربي، «فلنحذر أن نشجّع الكتابة باللهجات العامية... ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين» (٢).

ج - فقر العامية

من الأهداف الكبرى للتعليم، تكوين إنسان ذي قيم وأخلاق حميدة، فالتعليم في أي بلد يسعى إلى الرقي بالإنسان في نواحي مختلفة، وهذا ما تحققه اللغة العربية، فهي ليست وسيلة للتواصل فحسب، بل هي حاملة لثقافة وقيم، فهل يمكن للعامية أن تقارن بالفصحى من هذه الناحية؟ أي قيم وأية ثقافة سيتعلمها المتعلم من خلال العامية؟ هل العامية قادرة على حمل مصطلحات المعارف الأدبية والعلمية التي ينبغي أن يدركها المتعلم، هل معجمها وصرفها وتراكيبها قادرة على استيعاب المعاني والأفكار الجديدة؟

خلاصة

يبدو أن لأزمة التعليم في العالم العربي أسبابا حقيقية، من أهمها غياب حافز التعلم والتعليم، والاكتظاظ وكثرة المواد المقررة، وكثرة ساعات التعلم والتدريس، وانتشار ظاهرة الغش، والنجاح المجاني، وغياب العقاب والاختلاط بين الجنسين... وأظن أنه مهما توالت الإصلاحات التي لا تعير لهذه الأمور اهتماما، فإن مآلها الفشل، فمعالجة هذه المشكلات التي تبدو في عين البعيدين عن ميدان التعليم بسيطة ساذجة، هي أساس بناء تعليم قوي، فتوجيه الإصلاح إلى غيرها هو اهتمام بالقشور، أما مسألة لغة التدريس فقد اتضح أن التفريط في اللغة العربية الفصحى هو استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فالفصحى ليست لغة تواصل فحسب، بل هي لغة دين وأدب وعلم وحضارة ووحدة لابد من العض عليها بالنواجذ.

الهوامش

١- تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر. لنفوسة زكريا سعيد. ط ١، ١٩٦٤م، دار نشر الثقافة بالإسكندرية. ص١١.

٢- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٣، ٢٠٠٩م. ص ٣٦٠. (هذا قول طه حسين في الدعوة إلى العامية).



أمين الخولي

(١٣١٣ - ١٣٨٥هـ = ١٨٩٥ - ١٩٦٦م)

د.محمود خلف
باحث في الدراسات الأدبية

هو المفكر الإسلامي المصري التجديدي الكبير، من تلامذة الإمام محمد عبده شارك (مع الأستاذ أحمد أمين) في حمل مسؤولية تجديد العقل الإسلامي، وإحياء تقاليد الاجتهاد في إطار الأسس المرجعية التي أرساها أئمة السلف من أهل السنة والجماعة. وأيضا في إبراز المكتسبات المعرفية العلمية والمنهجية الجديدة التي تحققت في العصر الحديث، وذلك من خلال انشغاله بخمسة محاور فكرية ومعرفية رأى أنها المحاور الرئيسية التي يتكون منها الإنسان وبها يتطور؛ محاور: المنهج، والشريعة أو القانون، والتاريخ أو التفكير في الماضي وتفسيره، واللغة بما هي أو في حد ذاتها، كما تتجلى في النحو والبلاغة وبوصفها الأداة الرئيسية التي يعبر بها الإنسان عن معرفته بالعلم وإدراكه له وتعامله معه؛ ثم التعبير عن الذات الإنسانية في شكل الأدب بمدلوله الواسع من الشعر والفلسفة.

ولد الشيخ أمين الخولي في قرية شوشاي بمحافظة المنوفية في أسرة من المزارعين ذات علاقة بالعلوم الإسلامية، وبدأ التعليم في كتاب القرية، وأرسل إلى القاهرة وهو في السابعة ليعيش عند جده لأمه وهو فقيه أزهري، ولكن لصغر سنه استحال قبوله في الأزهر فالتحق بالمدارس الحديثة الحكومية إلى أن التحق في الخامسة عشرة بمدرسة القضاء الشرعي التي أسسها الإمام محمد عبده (ودرس بها وتخرج فيها عدد من كبار رواد التجديد الأصيل للفكر الإسلامي الحديث في مصر، مثل: أحمد أمين، وعبدالوهاب عزام، وأحمد فرج السنهوري، وعبدالحميد العبادي، وغيرهم). وفيها درس مع زملائه العلوم الطبيعية الحديثة والرياضيات واللغة، مع الفقه والتفسير والأصول والحديث والتوحيد.

وقد تخرج عام (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) فعين مدرسا بنفس المدرسة إلى أن اختير «إماما» لسفارة مصر في روما، وهناك تعلم الإيطالية وبدأ اكتشافه المباشر للثقافة الغربية، وبعد ثلاث سنوات نقل إلى المفوضية المصرية في برلين حيث تعلم الألمانية وبعد عام مع إلغاء وظيفة الإمامة في بعثات مصر الدبلوماسية بالخارج، عاد إلى التدريس بمدرسة القضاء الشرعي حتى إلغائها عام (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) أحد أعوام التراجع الحاسمة المؤسفة في تاريخ مصر الحديث، فانتقل إلى جامعة فؤاد الأول - القاهرة الآن - مدرسا بقسم اللغة العربية، وأصبح أستاذا لكرسي الأدب المصري في العصور الإسلامية، ووكيلا للكلية.

وفي عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ترك

الجامعة لخلافات سياسية وعين مستشارا لدار الكتب، ثم مديرا عاما للثقافة بوزارة المعارف والتي أصبحت فيما بعد وزارة التربية والتعليم، وكانت بذرة الثقافة فيما بعد، وفي نفس السنوات تولى التدريس أيضا بكليات الحقوق بجامعة القاهرة وأصول الدين بالأزهر، وكلية الآداب بالإسكندرية، والمعهد العالي لفن التمثيل المسرحي، ومعهد الدراسات العليا بجامعة القاهرة.

وقد شارك في شبابه وهو طالب بمدرسة القضاء الشرعي في إشعال ثورة (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، ولكنه لم ينضو في أي من الأحزاب السياسية بعد ذلك، وتفرغ للعلم؛ تدريسا وتأليفا حتى وفاته.

اشتهر أمين الخولي بقلة كتاباته رغم أهميتها البالغة، منهجيا وفكريا ومعرفيا، وكان يقول أنه مثل سقراط يفضل أن يعيش في تلاميذه وليس في كتبه. ومن أهم مؤلفاته في الأدب واللغة والمنهج: «البلاغة وعلم النفس» عام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، و«علم النفس الأدبي» عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)، و«هذا النحو» عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، و«رأي في أبي العلاء» عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)، و«فن القول» عام (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)، و«مشكلات حياتنا اللغوية» عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، و«مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب» عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م). وفي التاريخ: «الجندية الإسلامية ونظمها» عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، و«المدنية العربية في صقلية» عام (١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، و«صلة الإسلام بإصلاح المسيحية» عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، و«الحياة الدينية في مصر» عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م). وفي التفسير والفقه والأصول: كتاب «مالك بن أنس» عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م) في ثلاثة مجلدات، وأصدر ملخصا عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) بعنوان «مالك، تجارب حياة» مع مقدمة جديدة انتقد فيها طريقة عباس العقاد في كتابه سير حياة أو تراجم الأعلام، و«المجددون في الإسلام» عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م). وفيه كتب عن خلفاء: كعمر بن عبدالعزيز، وأئمة الفقهاء (كالشافعي الإمام). وكتبه الثلاثة في التفسير تحت عنوان: «من هدى القرآن»، وهي: «في أموالهم» ثم «في الحكم» ثم «القادة والرسل» عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م).

كما أن له عددا من المسرحيات، إذ كان مهتما بفن المسرح، وأكد أنه فن يكتمل بالعرض المسرحي، وليس نوعا أدبيا وأنه فن يعتمد على: مقارعة الحجة بالحجة وعلى حوار الأفكار. إضافة إلى عشرات من الأبحاث في مختلف مجالات اهتمامه العلمية والفكرية. وكتب تسعة مقالات بالغة الأهمية في الطبعة العربية من دائرة المعارف الإسلامية، هي مقالات عن مواد: «بلاغة» و«التفسير» و«سلام» و«سيرة» و«شريعة» و«صالح» و«صحيح» و«طرق».

ورغم أن أمين الخولي لم يكتب «فلسفته» أو منهجه النظري العام الذي تطور عنده على طول حياته العلمية والعملية الحافلة، فإنه يمكن استخلاص الركائز والعلامات الرئيسية لهذا المنهج النظري الذي أثر من خلاله على تلامذته الكبار.

تتلخص هذه الركائز والعلامات الرئيسية لمنهج الخولي النظري في وجود علاقات منطقية وحتمية بين كل من: المعرفة (بوصفها مزيجا من المعلومات والمنهج) وبين التفكير مستحيل دون كمية من المعلومات، يحدد إدراكها نوع المنهج المستخدم في جمع وتحليل واكتشاف العلاقات بين بعض المعلومات وبعضها؛ تليها العلاقة المنطقية والحتمية أيضا بين كل من: «التاريخ الحقيقي» والمعرفة (بتوصيفها السابق) والتفكير. فالتاريخ الحقيقي (السياسي الاجتماعي/ المعرفي) ليس مجرد وعاء خارجي للتفكير وإنما هو مؤثر حاسم في التفكير ومكون فعال له يتحقق «فعل التفكير» فيه ومن خلاله وليس فقط «في داخله».

وتأتي بعد ذلك العلاقة بين كل من «العارف» و«معرفته» و«تفكيره»؛ فالعنصر الشخصي (النفسي والفسيولوجي والاجتماعي والتعليمي...إلخ) يحدد كمية ونوع ما يمكن أن يتحصل عليه العارف من معرفة، ونوع تفاعله معها ومع ظروف التاريخ الحقيقي (يخضع لها أولًا قبل أن يتجاوزها).

وعلى ذلك فقد رأى أمين الخولي ضرورة إعادة النظر فيما أنجزه السلف الصالح من الأئمة (الخلفاء والفقهاء واللغويون والأدباء والمؤرخون) أو ما أنجزته الحضارة في مجملها وهو ما فعله في علم التفسير والفقه بكتاباته عن الإمامين مالك والشافعي، وتفسير الباقلاني وفقهه. وفي كتبه الثلاثة في التفسير: «من هدى القرآن»؛ فقد كان الهدف هو الاهتداء بمناهجهم وليس بما عرفوه ولا بتفسيراتهم فتاواهم، فتلك قامت على حدود المعلومات المتاحة لهم والمناهج السائدة أيامهم وظروفهم التاريخية التي: «تجاوزوها بفضل منهج يتبصر بمصالح الأمة. ومن الممكن من الناحية الفلسفية أن يكون أمين الخولي مؤسسا للاتجاهات النسبية التاريخية والتأويلية في الفكر المصري والعربي المعاصر».

هذي قطوف من حياتك

د. عبدالمنعم عبدالله حسن
باحث أكاديمي

أم القرى تستقبل المولودا ... وتضمه، تخشى عليه حسودا
في مقلتيها تحتويه وقلبها ... وتود عمرا للوليد مديدا
سعدت به، واستقبلته بفرحة ... فجرا يطل على الحياة جديدا
يضفي على الدنيا ضياء طاهرا ... كي يرحل الليل الكئيب بعيدا
ولد الرسول محمد فاستبشرت ... كل الحياة وغردت تغريدا
ولقد رعى المولى الوليد بحفظه ... فغدا بأسباب الحمى ممدودا
ما مسه طيش، ولا دنس، ولا ... سفه، يضل معالما وحدودا
فسما بفطرته النقية مرسلا ... فكرا يحلق في الفضاء رشيدا
متأملا في الكون يسبر غوره ... بتفكر، كي يعرف المعبودا
ولقد خلا «بحراء» حتى جاءه ... وحي السماء يزيده تأييدا
اقرأ وأذن بالهداية في الورى ... وادع الأنام وبلغ التوحيدا
الناس كانوا في الهجير فجئتهم ... ظلا يفوح نسائما وورودا
يا رحمة للعالمين دعوتهم ... للخير، كيف بهم جفوك صدودا
وضعوا عوائق في طريقك سيدي ... لكن بحلمك كم كسرت قيودا
وبرحمة فاضت دعوت جموعهم ... فألنت بالخلق العظيم حديدا
قابلت بالإحسان سيِّئ طبعهم ... ومنحت من حرموا، وكنت ودودا
عرفوك بالفضل الكريم، ومن يزر ... يوما رحابك زادهم تأكيدا
من عند خير الناس عدت وإنه ... يعطي الجزيل، وكم يضم شريدا
فتدفقوا للنور يرجون الهدى ... وسعوا إليك يبايعون وفودا
عطر الهدى عم البقاع جميعها ... فترى وهادا عطرت ونجودا
قربت منك الناس، كم جالستهم ... وأكلت مما يأكلون قديدا
رفع التواضع من مقامك سيدي ... ورسمت نهجا للحياة سديدا
علمتهم صدق الحديث وطهره ... وعلى الأمانة عودوا تعويدا
أرسيت للخلق الكريم أصوله ... فسما البناء إلى العلاء وطيدا
هذي قطوف من حياتك سيدي ... والنفس ترجو من هداك مزيدا





في ظلال آية

عَلَّم بالقلم

محمد رشيد العويد
كاتب وداعية سوري

لا ينكر أحد ما في الكتابة على الحاسب الآلي من يسر، وهي طباعة في الوقت نفسه، ولا تحتاج ورقا ولا قلما، ولعلها أحفظ لما نكتبه من أن يضيع إذا كان على ورق.

ولعل بعض الناس يدعون إلى هجر الكتابة بالقلم، وأن نستبدل بها الكتابة على الحاسب الآلي، لما ذكرته من أسباب ولغيرها من سهولة النسخ واللصق، وتقنية التصحيح الإلكتروني.

لكن علماء الأعصاب يحذرون من التخلي عن الكتابة بالقلم، إذ إنها تنمي قدرات حسية تتمثل في الإحساس بالورقة والقلم، وقدرات حركية في استخدام الأصابع، وقدرات معرفية تتعلق بتوجيه الحركة من خلال الفكر، ولهذا يستغرق الأطفال سنوات عدة للتحكم بالخط؛ بينما لا يلجأ الطفل في استخدام لوحة المفاتيح إلى الطريقة ذاتها التي تنمي القدرات الحسية والحركية والمعرفية.

هذا ما قاله مدير الأبحاث في المركز الفرنسي للأبحاث العلمية وأستاذ علم النفس في جامعة جنيف إدوارد جونتاز.

وتقول المختصة في المخطوطات بمركز هالواشس الباحثة كلير بوستاريه إن معالجة النص تعتمد أدوات موحدة أثناء الطباعة؛ بحيث يمكن أن تغير حجم الصفحة، واختيار حجم الحرف وشكله، لكن يستحيل أن نخترع شكلا غير موجود في برنامج الحاسب الآلي، بينما يمنحنا الورق حرية كبيرة في الكتابة فيه، وكذلك اختيار الهوامش، ولا شيء يجبرنا على اتباع برنامج معين.

ويتحدث مختصون في علم الأعصاب عن انعكاسات سلبية للتخلي عن الكتابة اليدوية على تعلم القراءة، يقول إدوارد جونتاز إن رسم الحروف باليد يطور، بشكل كبير، لدى الطفل، القدرة في التعرف على الحروف، فبعد الإصابة بحادث على مستوى الدماغ؛ يصعب على كثيرين القراءة. وحتى يتذكروا الحروف، يُطلب منهم رسمها باليد، وأغلبهم ينجح في ذلك، لأن الحركة توقظ الذهن، وتساعد على التذكر.

وأوضح باحثان أميركيان، هما بام مولر ودانيال أوبنهيمر، أن تسجيل المعلومات بواسطة القلم يعين الطلبة على فهم الدرس أفضل كثيرا من الطباعة على لوحة المفاتيح، بسبب انهماكهم في تلخيص الأفكار وليس الكتابة.

يضاف إلى هذا كله الأضرار الصحية لاستخدام المفاتيح، وهي أضرار غير موجودة في الكتابة بالقلم، لهذا خالفت فرنسا أميركا، فالثانية شجعت على استخدام الحواسيب، في حين عززت وزارة التربية الفرنسية دروس الخط والكتابة.



ويبقى التعليم بالقلم ذا مكانة كانت له على مر الزمان، وذكرها القرآن ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق:٤-٥).

«أسطورة إحراق طارق للسفن»

للدكتور عبدالحليم عويس



أبوالحسن الجمال
كاتب صحفي مصري

شاعت الأساطير والأخبار الغريبة في عدد من كتب التاريخ، منها حرق المسلمين لمكتبة الإسكندرية، وزواج العباسة من جعفر البرمكي، وقصة الغرانيق، وغيرها، وقد فند العلماء وثقاة المؤرخين هذه القصص التي التقطها المبشرون والمستشرقون وأذاعوها على نطاق واسع وجعلوها من أصول التاريخ والإسلام، وسوف نتناول في السطور التالية لكتاب الدكتور عبدالحليم عويس «أسطورة إحراق طارق للسفن» الصادر عن دار الصحوة عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م والذي فند حادثة حرق الفاتح الكبير طارق بن زياد للسفن التي عبر بها إلى الأندلس سنة ٩٢هـ التي لم تذكر في أي من المصادر إلا بعد الفتح الإسلامي للأندلس بأربعة قرون وفي ثلاثة مصادر، وقد رجع الدكتور عويس إلى المصادر الأصلية والكتب الأولى التي أرخت للأندلس وأولها كتاب أبي بكر محمد القرطبي المشهور بابن القوطية المتوفى ٣٦٧هـ «تاريخ افتتاح الأندلس» ومعاصره «المجهول» في القرن الرابع صاحب كتاب «أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائه» ولم ترد أيضا عند آل الرازي أحمد بن محمد وعيسى ابنه وابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ) صاحب «تاريخ علماء الأندلس»، والخشني صاحب كتاب «قضاة قرطبة» فكل مؤرخي القرن الرابع لم يظهر أثر للقصة في كتاباتهم.

ثم يعرج الدكتور عويس ليفحص كتب المدرسة التاريخية الأندلسية المغربية المتألقة في القرن الخامس، والتي قدمت لنا عددا كبيرا من أعلام المؤرخين الأندلسيين من أمثال شيخ مؤرخي الأندلس أبي مروان بن حيان القرطبي صاحب كتاب «المقتبس»، وابن حزم الأندلسي صاحب كتب «نقط العروس»، و«طوق الحمامة»، و«جمهرة أنساب العرب»، و«الفصل»، وعدد كبير من الرسائل وكلها مطبوعة ومتداولة، والحميدي صاحب «جذوة المقتبس»، وصاعد صاحب «طبقات الأمم»، والطرطوشي صاحب «سراج الملوك»، وغيرهم... كل أولئك الأعلام لم يذكروا هذه القصة من الأساس حتى أعلام المؤرخين في القرن السادس كابن بسام الشنتريني صاحب كتاب «الذخيرة في محاسن الجزيرة»، وابن بشكوال صاحب كتاب «الصلة» لم يذكرا القصة رغم أنهما عاصرا الإدريسي، وابن الكردبوسي وهما أول من ذكر هذه القصة كما سنبين لاحقا.. كما أن القصة لم تظهر في آثار مؤرخي القرن السابع مثل موسوعة ابن عذاري «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، و«المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبدالواحد المراكشي، و«التكملة»، و«الحلة السيراء» لابن الأبار، وهي أيضا لم تظهر عند مؤرخي القرن الثامن مثل مؤلفات لسان الدين بن الخطيب، وعبدالرحمن بن خلدون، وكذلك رجع الدكتور عويس للمصادر الشرقية فلم يجدها عند الطبري، وابن الأثير، والمسعودي، ويتساءل: «فهل يمكن أن يتجاهل جميع هؤلاء المؤرخين المغاربة الأندلسيين - خلال هذه القرون - قصة هذا شأنها في تاريخهم؟!».

وأول من ذكر هذه القصة كان الإدريسي المتوفى سنة ٥٦٠هـ في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» التي انتهى من تأليفه سنة ٥٤٨هـ ومعاصره أبومروان عبدالملك بن الكردبوسي الذي لم تعرف سنة وفاته، وإن كان الدكتور عويس يرجح وفاته في أواخر القرن السادس، وتبعهم في ذلك الحميري في مؤلفه «الروض المعطار»، ويذكر الدكتور عويس نص الإدريسي: «لما جاز طارق بمن معه من البرابر وتحصنوا بهذا الجبل، أحس في نفسه أن العرب لا تثق فيه فأراد أن يزيح هذا عنه فأمر بإحراق المراكب التي جاز عليها فتبرأ بذلك عما اتهم به»، وعن الإدريسي أخذ الحميري فأورد في «الروض المعطار» قوله: «وإنما سمي جبل طارق لأن طارق بن عبدالله

لما جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل، وقدر أن العرب لا ينزلونه فأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها فتبرأ بذلك مما اتهم به» والتشابه بين النصين واضح لا يحتاج إلى تعليق، أما ابن الكردبوس فقد جاءت عبارته مقتضبة في كتابه «الاكتفاء في أخبار الخلفاء» وذلك عندما عقب على المعركة التي خاضها المسلمون بقيادة طارق في فتح الأندلس (معركة شذونة أو وادي لكة أو وادي البيرباط) بقوله: «ثم رحل طارق إلى قرطبة بعد أن أحرق المراكب: قاتلوا أو موتوا». هذه هي النصوص الثلاثة التي وردت عند الإدريسي وابن الكردبوسي والحميري.. وهي الأصل الذي اعتمدت عليه كل المصادر التاريخية والأدبية التي أشارت إلى قصة الإحراق.

بعد ذلك يناقش موضوع إحراق السفن والأسطورة، وينقل هذا عن دراسة الدكتور محمود علي مكي وهو المحقق الثبت في التاريخ الأندلسي، والذي عقد مقارنة ضافية بين عدد من الأساطير كلها تدور حول إحراق القادة لسفنهم ووضعهم جيوشهم أمام مأزق «النصر أو الموت» وذلك في بحثه «أسطورة إحراق السفن في التاريخ» وساق من خلاله من الأساطير الشرقية أسطورة إحراق القائد الفارسي وهرز لمراكبه حين ساعد سيف بن ذي يزن في تحرير اليمن والانتصار على الأحباش وإلقاء وهرز خطبة عصماء يحث بها الجنود على النحو الذي سيذكره بعض المؤرخين فيما بعد في فتح الأندلس، وقد شارك كثير من اليمنيين في الفتح وعلى رأسهم طريف بن مالك، ربما يكونون هم أول من روج للأسطورة.

ثم تناول المؤلف خطبة طارق ومدى دلالتها على حرق السفن، ووجود هذه الخطبة في كتب التاريخ والأدب لا يعني بالضرورة ثبوت قصة إحراق السفن، والمشكلة هنا في ثبوت وصحة الخطبة البلاغية مع أن طارق كان بربري الأصل وحديث عهد باللغة العربية ومعظم جنوده كانوا من البربر كما قالت المصادر الأولى للتاريخ الأندلسي، وبعد أن ناقش الموضوع بحسب وروده في كتب التاريخ والأدب قال: «ومن هنا فنحن نرجح أنه (طارق) لربما ألقى الخطبة باللسان البربري، ثم ترجمها إلى العربية بعض من كانوا في الجيش حتى تصل معانيها إلى عنصري الجيش معا، وهما البربر والعرب، ونحن نرى أن إطار الخطبة كان هو الإطار المحدود الذي ألمحنا إليه وهو «النصر والشهادة» ثم جاء المدونون والكتاب العرب فتوسعوا فيها جريا على عادتهم بالبيان والسجع والتحلية والإطناب».



ثم تناول قضية إحراق السفن في نظر المؤرخين المحدثين، حيث إنه لم يؤيد قصة الحرق من المؤرخين المحدثين إلا نفر قليل، منهم الدكتور أحمد شلبي في كتابه «موسوعة التاريخ الإسلامي» ج٤، وحسن إبراهيم حسن في كتابه «تاريخ الإسلام» ج١/٣٢، ومحمد كرد علي في كتابه «الإسلام والحضارة العربية» ص٢٥٣، والدكتور أحمد مختار العبادي بعد أن يذكر القصة يتردد في قبولها، أما جمهرة المؤرخين المحدثين فلم يقفوا عند هذه القصة الوقفة الكافية التي تتناسب وشيوع القصة في الذهنية المعاصرة، ومنهم الأمير شكيب أرسلان الذي كان يقف موقف المحل لكثير من القضايا ومع ذلك لم يتعرض لها في كتابه «تاريخ غزوات العرب»، والمؤرخ العسكري الكبير اللواء محمود شيت خطاب لم يقف عند هذه القصة إطلاقا، وهناك من رفض هذه القصة مثل مؤرخ الأندلس الشهير محمد عبدالله عنان، وحسين مؤنس، والدكتور عبدالرحمن علي الحجي في كتابه «تاريخ الأندلس» الذي عالج الموضوع معالجة إسلامية تامة.

ثم يتناول المؤلف إحراق السفن في الإطار الشرعي، ومعروف أن العصر الذي حدث فيه الفتح هو عصر التابعين، بل كان يوجد صحابة مشهورون زمن الوليد بن عبدالملك، ومعروف أن جيش طارق بن زياد وموسى بن نصير كان جله من التابعين، فهل يوافق هؤلاء التابعون وهم حجة في التشريع على عمل يخالف شرع الله؟ وهل يعقل أن يتواطأ التابعون على منكر لا يقره الإسلام؟ وعلى هذا الأساس يتساءل الدكتور عويس: «كيف سكت التابعون على إحراق طارق للسفن؟ هل يعني مشروعية هذا العمل من الناحية الإسلامية؟ وفي عصر كعصر التابعين ولم ينته القرن الأول الهجري: هل تسمح هذه البيئة الإسلامية بإحراق السفن دون معارضة ودون احتجاج من الساسة والفقهاء أو المفكرين أو الشعراء؟ لقد اختلف الصحابة من قبل وتقاتلوا من أجل مقتل عثمان والخلاف على أسبقية القصاص أو استتباب الحكم، وكل منهم كان يؤمن بأنه يقاتل على مبدأ شرعي؟ لمجتهدهم المخطئ أجر وللمصيب أجران، فهل يتواطأ التابعون على إحراق أسطول إسلامي في وقت هم فيه أحوج ما يكونون لمواجهة الأساطيل الرومانية؟».

وضرب المثل في المواقع الإسلامية الأخرى ومنها موقعة مؤتة التي انسحب فيها المسلمون لما أحسوا بالهلاك، وينتهي به الأمر إلى إنكار هذه الحادثة من الناحية الشرعية ويستحيل حدوثها بين قوم هم من خير القرون: القرن الأول.



اضطرابات اللغة عند الأطفال

صبحة بغورة
باحثة جزائرية

لاشك أن بداية النطق عند كل طفل صغير حدث سعيد في حياة كل أسرة، وأمر جميل ينتظره كل والدين بشغف كبير؛ لأن طفلهما سيكون مؤهلا لولوج طريقه لاكتساب اللغة، التي تمثل أهمية بالغة سيتحقق بها التواصل، وسيتشكل الجسر الدائم للتفاهم بينهما وبين طفلهما، ليدخلاه إلى واقع عالم أسرته الصغيرة، ثم في عائلته الكبيرة؛ لذلك تراهما يسارعان من دون كلل ولا ملل في مناغاته، والغناء له، وتكرار تلقينه الكلمات البسيطة من حرفين على الأكثر في المناسبات المتشابهة؛ لترسيخها في ذاكرته، والتي غالبا ما تكون مصحوبة بحركات فكاهية باعثة على سروره ولافتة لانتباهه؛ بهدف تعويده على ربط العلاقة السببية بين المراد الحقيقي من الكلمة والمظهر المعبر عن معناها، ومن ذلك طريقة تعبيره مثلا عن شعوره لقضاء حاجته، أو رغبته في شرب الماء. وكذلك يجتهد الوالدان أمامه في تقليد أصوات الطيور والحيوانات وغيرها؛ لدفعه إلى تقليدهما لتليين أحباله الصوتية وتحرير صوته، وغالبا ما يستغرق ذلك الجهد حوالي العامين، وسيلاحظ الوالدان خلال احتفالهما بعيد ميلاده الثاني أو قبله بقليل كيف تتفجر قدراته في النطق بسرعة لافتة، يطلق عليها الخبراء «انطلاق الكلمات». ويقضي

الأطفال السنتين الأوليين في امتصاص المعلومات من محيطهم القريب. والمتفق عليه أنه في سن الثانية يكون الطفل مهيأ للمشاركة بطريقة أكثر فاعلية بعد أن نما العقل وقويت العضلات إلى الدرجة التي تمكنه من البدء في التعبير عن رغباته عن طريق الكلام، ومعظم الأطفال في هذه السن يستطيعون النطق بحوالي ١٠٠ كلمة، وعندما يبلغ الطفل عامين ونصف العام يصبح قادرا على نطق ثلاثمئة كلمة تقريبا، وهذا لا ينطبق بالضبط على كل الأطفال.

هذه الصورة الوردية التي تتمناها كل أسرة لقرة عينها للأسف لا يتمتع بها بعض الأولياء عندما يثبت لهم أن طفلهم يعاني من اضطراب في اللغة، تأخر معه النطق بوضوح، أو عدم النطق تماما، أو أن تتلجلج الكلمات في صدره، ولا يكاد يبين ما يريد. وعلى ما سبق فإن اكتشاف أمر التأخر سيكون مبكرا نوعا ما لدى الوالدين الفطنين، ويمكن اكتشافه بعد ملاحظة ميل الطفل إلى الاكتفاء بكلمة واحدة يضيفها إلى ما يبحث عنه من لعبة، أو مشروب معين، أو طلبه حاجة محددة، حيث سيبدو عجزه عن الجمع بين كلمتين في جملة واحدة. هذا فيما قد لا يضخم آخرون الأمور، إذ يكتفون بمقابلة كلماته القليلة بالابتسام فقط، برغم أنهم لا يلمسون مع مرور الأيام أي تطور إيجابي يتعلق بتفجر قدرات اللغة عنده. والحقيقة أن هذا السلوك سلبي تماما من الأولياء، لأن عدم مساعدة الطفل في وقت مبكر سيكون سببا مباشرا في لجوء الطفل إلى التعبير عما يختلج في نفسه بانفجارات غضب أكثر من المعتاد، بل وبأي سلوك تخريبي أو عدواني آخر، فكثير من حالات الإحباط ونوبات الغضب في فترة تمرد الطفل سببها عدم قدرته على تبليغ والديه ما يريده بالضبط؛ لذا كان من المهم إشراك الطفل في الحوار الأسري، وعدم إهماله في أي اتصالات وبأي طريقة من الطرق، لاسيما عبر استخدامه الهاتف المحبب كثيرا لكل طفل، أو توجيهه لاستخدام يديه في الإشارات كشكل من أشكال الاتصال، خصوصا عندما ينفجر غضبه. والمتفق عليه أنه بالإمكان تقليص الهوة بين غمغمات الطفل الأولى الغامضة والجمل الأولى المفيدة المعنى، وإذا تمكن طفل الثانية من عمره من النطق بأقل من ٢٠ كلمة ولم يبدأ بعد في ربطها بعضها مع بعض، فالواجب استشارة الطبيب، ومنها ستكون رحلة التشخيص وتحديد طريقة العلاج.

تظهر الصعوبة في إثبات أن اضطراب اللغة عند الطفل يعود إلى إصابة المناطق اللغوية في المخ أو عدم تطورها إلى الحد الكافي، وبالتالي عجز الطفل عن اكتساب اللغة وتعلمها. ويصنف الخبراء هذه الحالة باستعمال مصطلح «اضطراب اللغة المحدد»، الذي يعرف اختصارا sld لوصف اضطراب اللغة عند هذه الفئة من الأطفال، حيث يكون سبب الاضطراب اللغوي واضحا، أو أن معاناته تعود إلى وجود اضطراب في جوانب أخرى مختلفة ولكنها مرتبطة بعدم اكتساب اللغة، وفي هذه الحالة يعاني الطفل من اضطراب معين، وتكون مشكلة اللغة أو التأخر في اكتسابها ناتجا عن هذا الاضطراب، أي إن اضطراب اللغة هو ثانوي للمشكلة الأساسية، ومن هنا جاءت التسمية بـ «اضطرابات اللغة الثانوية»، ويحدث أن تبرز علامات إنذار تستدعي القلق، وهي علامات نمطية للتأخر في النطق والسمع في عمر ٢٤-٢٦ شهرا من عمر الطفل، ومنها عدم ربط الطفل الكلمات في عبارات قصيرة، وضعف النطق عنده بحيث لا يمكن فهمه في أغلب الأوقات، وعدم تفاعل الطفل مع الأحداث من حوله أو اللعب مع الأطفال الآخرين، وعجزه عن فهم الأسئلة أو الرد عليها، وعدم معرفته للأشياء أو ذكر تصنيفها. والاعتبار الأخطر أن يخشى بعض الآباء من البحث عن المساعدة بسرعة خوفا من أن تتحول إلى وصمة عار للطفل، وهم لا يدركون أنه كلما كان ذلك في وقت مبكر كانت نتائجه أفضل. ومن أهم الاضطرابات والعوامل التي تسبب التأخر في النطق، أو الاضطراب في التمكن من اللغة، يمكن تناول ما يلي:

● ضعف السمع أو فقدانه

قد يلاحظ الوالدان أن طفلهما ضعيف القدرة على الاستماع، ولا يفهم الطلبات المركبة، أو أنه لا يسمع بالمرة إذا كان الجو حوله ممتلئا بالضوضاء، إذ يحدث أن يصاب الطفل بوجود سائل بالأذن الوسطى نتيجة تعرضه للإصابة بالبرد أو التهاب الأذن فيتعذر عليه السمع جيدا، أي تضعف قدرته على الاستماع، خصوصا إذا كانت الأذن ممتلئة بالسائل، حتى ولو تمكن أن يسمع بعض الأصوات الخفيفة الناعمة نسبيا، وهنا قد يقترح الطبيب استعمال المضادات الحيوية أو سماعة الأذن إذا كانت الحالة مزمنة، وأما إذا كانت المشكلة أشد خطورة فسيحول إلى اختصاصي الأذن. وقد يلاحظ الطبيب أن حالة الطفل لا تتجاوز مجرد أنه أبطأ قليلا من أقرانه ليس إلا، وفي هذه الحالة من المرجح أن يتريث لفترة ٦ أشهر يرى ما إذا كان الأمر يستدعي تدخلا أكبر، وخلال تلك

الفترة هناك أشياء يمكن للوالدين عملها في المنزل للمساعدة في تعزيز نموه اللغوي، مثل التمرينات والممارسة التي يمكن أن تفعل الكثير. والمطلوب هنا مساعدته على الانتباه إلى الأصوات والكلمات، والسبيل إلى ذلك الإكثار من القراءة له مع حسن اختيار القصص التي يعرفها جيدا، وعند القراءة يمكن التوقف عند كلمة ما ينتظر أنه سيتوقعها فنترك له الفرصة لينطقها هو، مع إضفاء جو من السرور يمكن أن يدفعه إلى مواصلة التفاعل الإيجابي مع هذه الحيلة، التي ستبدو كلعبة من منظوره. ومهما كان سبب تأخر نطق الطفل، ينبغي تشجيعه على إطالة الجمل بإضافة كلمة أو كلمتين أو أكثر من تلك التي تعلمها من قبل، فإذا تعلم مثلا وصف طعامه بأنه «حلو»، ينبغي دفعه للتعبير عن مشاعره تجاهه بإضافة «وأنا أحبه».. وهكذا يمكن عن طريق ممارسة الألعاب التفاعلية تحسين قدرات الطفل اللغوية وتنمية الزاد اللغوي لديه. وتبرز هنا مهارة الوالدين في «الثرثرة» أمام طفلهما كأفضل وأسرع وسائل التشجيع على النطق، فلمساعدته لسنا بحاجة إلى أن يكرر كثيرا الكلمات أو المقاطع التي تعلمها، بل باستمرار «الثرثرة» معه في مختلف المواضيع، فهذا سيساعده على حفظ كلمات أكثر وتنمية قدرته على الكلام، وأيضا على التفكير في تلك الأمور التي سيحتاج إليها، ومنها مثلا تسمية كل عضو من أعضاء الجسم، ثم استثمار ذلك بتسمية الملابس المناسبة للرأس والكفين وللأجزاء العلوية والسفلية، ولتعزيز هذا التقدم يستحسن ترك الفرصة له ليختار بنفسه الملابس التي يريدها في المحل، وأن يقوم بتسميتها، ثم بتسمية اللون المفضل لديه. هذا نموذج على التدرج الهادئ والذكي لتقديم الكلمات التي يحتاج إليها الطفل من دون أن يعرف ومن دون حاجتنا إلى حثه على التكلم، ولا يجب الانزعاج إذا ما تحسنت الأمور من سماع بعض الكلمات الحرجة التي قد يحلو له قولها في غير موضعها أو مناسبتها فهي ولاشك ستكون حينها أعذب الكلمات عند كل والدين.

• تخلف نمو عضلات الفم

إذا كان الطفل يفضل الأطعمة الناعمة جدا، ويلفظ الطعام من فمه أثناء الأكل، ويسيل لعابه، ويتنفس من فمه، أو يصعب على الوالدين فهمه، فإن المشكلة تكمن في أن عضلات الشفة والفم قد تحتاج إلى تمارين لتقويتها ومن ذلك ما يلي:

– النفخ، بمعنى البقبقة في الماء وإحداث الفقاعات، ويمكن أيضا دفع الماء الملون على الورق الأبيض، وإطلاق الأصوات المرتفعة كالصفير أو نفخ الآلات الموسيقية التي سيجد فيها الطفل الكثير من التسلية.

– مص القشة، يضع الطفل فمه على نصف البوصة الأخير من القشة ثم نشجعه على زم شفتيه قدر الإمكان، كما يمكن تشجيعه على مص أعواد الإسباغيتي.

– الهمهمة، أي الدندنة، أو أي تمرين يضم الشفتين معا، فإنه يقوي عضلاتهما ويكسبهما القوة، ويمكن أيضا جعل الطفل يمسك رقاقة البطاطس بين شفتيه ونعد له قبل أن يقضمها، والأمر نفسه ينطبق على الأطعمة الأكثر صلابة كالبسكويت الخشن.

– ضعف التناسق، يحدث أن تكون عضلات الفم جيدة، ولكن الطفل يواجه مشكلة في كيفية تحريك الشفتين معا، وخطورة هذه الحالة أنها تؤدي مع الوقت إلى استشعار الطفل بالحرج فيلوذ تدريجيا إلى «الصمت الاختياري»، ويتخذ موقف المتفرج لفترة طويلة، يقاطع أقرانه ولا يتفاعل مع محيطه الأسري والمدرسي، وهنا لابد من تعليمه كيف يحرك شفتيه معا بصورة متناسقة. وأفضل ما يتبع لعلاج هذه الحالة هو جلسات العلاج الجماعي باللعب في أماكن مفتوحة مع اختيار الألعاب التي تعتمد كثيرا على الكلام وبصوت عال للأسماء أو الأرقام، أو ترديد بعض العبارات التي تعتمد عليها اللعبة لتحديد الفائز فيها، وبقدر الروح التنافسية بين الأطفال بقدر ما يتحقق تقليص الفجوة بين الطفل وبين الكلام.

– الطرق اللفظية، يمكن اكتسابها بمداومة الغناء له ومعه الأغنيات المفضلة والأناشيد المحفوظة، مع محاولة الإبطاء من إيقاع الكلمات بحيث يستطيع الطفل أن يسمع كل حرف وكل مقطع بوضوح، فهي تتيح له فرصة التمرن على نطق الكلمات التي لا يفكر فيها ابتداء، ومن الضروري الصبر عليه حتى يكرر الكلمات ببطء، وترافق النغم مع النطق، صعودا وهبوطا، اتصالا وانفصالا، يكسب الطفل مهارة الأداء السليم، فضلا عن الجو الممتع الذي يوفره الأداء مع الموسيقى للاسترسال أطول وقت ممكن، فالمناخ الأسري الدافئ يساعد الطفل على تحقيق النجاح في محاولاته الأولى للكلام.

– الألعاب الصوتية، إن تقليد أصوات الحيوانات طريقة سهلة وطريفة تساعد الطفل على التدرب الممتع والمسلي على نطق الأصوات الصعبة، كمواء القطة أو صهيل الخيل، إذا كان يصعب عليه نطق حرف الميم أو الصاد مثلا، ويمكن إذا كان يصعب عليه حرف الباء



أو الدال أن ننفخ الفقاعات ونقول «ببب» في كل مرة تنفجر فيها فقاعة، أو ندفع السيارات ونصيح «ديد ديد»، على أن تكون اللعب على مستوى ارتفاع عينه ليتمكن من رؤية شفتي وفم مدربه، وينصح بعدم التشدد في التصحيح من ناحية النطق السليم في هذا العمل، فالأكثر أهمية هو أن يحاول الطفل النطق وخلق التواصل مع والديه.

يمكن للوالدين بعد عام ونصف العام من عمر طفلهما، حين يستطيع أن ينطق ببضع كلمات ولو كانت قليلة، تشجيعه لاستخدام اللغة في التفكير وإدراك العلاقات وتكوين المفاهيم من دون التعمق كثيرا في كل شيء. والمقصود أنه يمكن مساعدته بطرق بسيطة لإدراك السبب والنتيجة، أو العلاقات الزمنية، ويمكن مده بالحقائق التي تساعده في التوصل إلى استنتاجات. والمتّبعون من الوالدين لهذه الأساليب اتضح أن معظمهم قد ساعدوا أطفالهم على تعلم اللغة بشكل طبيعي، برغم عدم معرفتهم للكم اللفظي المعتبر الذي قدموه، والأمثلة التطبيقية على ذلك كثيرة ومنها، إظهار العلاقة الزمنية بين بقاء الصنبور مفتوحا وامتلاء الإناء، أو العلاقة بين فتحه قليلا وعدم تناثر الماء عليه، أو أن السكين الذي نستخدمه حاد لذلك يجب أن نكون حذرين، وكذلك المقص حاد.

العلاقة بين السبب والنتيجة معناها أن يتعلم أن ما يحدث قد يكون نتيجة مباشرة لما يفعله، ومن المهم أن يفهم الطفل إلى أي مدى سيتسبب أو تسبب فعله في وقوع حادث، كما أنه من المهم أن يدرك الآباء أنه عندما نحاول تعليم الطفل ما حوله من أخطار، ولماذا يجب عليه أن يتجنبها، فإنه من غير المفيد أن نلقي باللوم على الأشياء غير العاقلة؛ لأن ذلك لا يوضح للطفل العلاقة الحقيقية بين السبب والنتيجة، فمن الخطأ مثلا عندما يضع الطفل يده على الموقد الساخن أن يقوم الأب بضرب الموقد لتهدئة الطفل، أو أن يعطيه قطعة حلوى لترضيته فيكف عن البكاء، فإن ذلك سيقنعه بأنه غير مسؤول عن وضع يده على الموقد، ولكن المطلوب هو تفسير واضح مع كثير من التخفيف لألم الإصابة كي يتعلم الطفل العلاقة بين السبب والنتيجة، ومسؤوليته أن يكون حذرا نحو الأخطار وأن يلتزم بطاعة أوامر الوالدين.

وهكذا يمكن استغلال خطوات المعالجة المتعددة الأبعاد لتأخر النطق عند الأطفال الصغار من أجل تنمية قدراتهم العقلية وإدراك الحقائق حولهم أيضا، فلا يعني في شيء أن نجتهد فقط في التعمق معه لعلاج اضطراب اللغة لديه من دون أن يرافق ذلك جهد مواز لاستثمار ما اكتسبه لغويا من أجل التواصل المستمر مع محيطه، بالتعبيرات المحددة والواضحة عما يختلج في نفسه، والأهم سرعة تكيفه الذكي مع متغيرات الحياة.

اللعب عند الأطفال .. تربية

علاء الدين حسن
باحث سوري



الطفولة مرحلة لعب ونشاط، واللعب عند الطفل هو ميدان تعبيره ومسرح خيالاته، وهو الفرصة القيمة التي يتصل فيها بمن حوله.. واللعب مفتاح التربية والحياة، وهو شيء طبيعي وعامل هام في النمو..

واللعب - اصطلاحا - هو حركة يقصد بها التسلية أو السرعة والخفة في تناول الأشياء، وبعبارة أخرى: هو ما نعمله باختيارنا في وقت الفراغ..

ومن قديم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل».

فاللعب نشاط موجه يقوم به الأطفال من أجل الترفيه والتسلية، ويستغله الكبار عادة ليسهم في تنمية سلوكهم وشخصياتهم بأبعادها المختلفة، أو هو سلسلة من الحركات يؤديها الإنسان لدفع الملل، وهو وظيفة للإنسان أساسية.

والألعاب رياضة حياة.. واللعب أولى وسائل الطفل لإدراك العلاقات بين الأشياء ومع المحيط في فضائه الخارجي، ومع الألعاب يشعر الطفل بالاستقلالية، وبها تنمو مهاراته وقدراته، ويحقق تصوراته عن نفسه وعن أقرانه..

واللعب بمفهومه العميق يعني خروج الذات عن عالمها المغلق إلى نوع من المشاركة الاجتماعية والثقافية والنفسية، وهو عند الإنسان كما هو عند الحيوان دليل اكتمال المخلوق وتناسق قواه مع العالم الخارجي.

وكان «روسو» أول من نادى باستخدام اللعب لفهم الأطفال وتربيتهم؛ وذلك في القرن الثامن عشر، بينما عد «فروبل» الدافع الفطري للنشاط واللعب من أهم خصائص الطفولة.

بيد أنه من أتعس الاتجاهات التربوية في حياة الإنسان أن الكثيرين من الآباء مازالوا يرون لعب الطفل هزلا وتفاهة. وقديما أيضا كان يعتقد البعض أن اللعب عيب لا يليق بطفل يهيأ للرجولة.

واللعب ينشط الجسم ويثير الفكر ويعطي فرصا للتعبير الابتكاري. ويساعد على تنمية قدرة التوازن والنمو الذهني وتنشيط الخيال والإدراك.

واللعب يحطم الحاجز النفسي بين الطفل وبيئته، ويشعره بالقدرة على التحكم، ويبعد الطفل عن الأنانية وينمي لديه روح التعاون والانتماء إلى الجماعة..

ويمضي الطفل حياته قبل سن المدرسة في الجري والتسلق والاستطلاع، ويتقن ركوب دراجته ذات العجلات الثلاث، ويجد جمالية في اللعب الإيقاعي المتموسق.

وينبغي السماح للطفل بأن يعبر عن نفسه في رسومه تعبيرا حرا، فلا ننتقد زرقة الأرض في رسمه الملون، ولا ننتقد حجم الرجل إن كان أكبر من المنزل.

ويبدأ الطفل في اللعب مع غيره في سن الثالثة.. ولعل القصص السهلة عن الحياة اليومية تقوي شعور الطفل بالنظام في الحياة، وتوسع فهمه لعالمه الصغير. كما أنه يحب القصص الخيالية والدمى وعربات النقل وغيرها.

وفي مرحلة الدراسة الأساسية يزداد إقبال الأطفال على تعلم المهارات الضرورية، ويميلون إلى الألعاب الجماعية أكثر فاكثر، ويكون اللعب

التمثيلي محببا إلى الأطفال في هذه المرحلة.

وفي السنوات التالية يهوى الطفل شيئا من المغامرات و أنواع الرياضة، وهنا يكون في حاجة إلى التشجيع لاكتساب المهارة.

الألعاب الشعبية

إن الألعاب الإلكترونية هي نتاج تكنولوجيا هذا العصر وما يرتكز عليه من تقدم في استخدام الحاسب، وهي ألعاب مبرمجة تعتمد على حساب الاحتمالات في تصميمها الفني. وجل الأطفال الذين يمارسون هذه الألعاب صاروا يعرفون عنها أكثر مما يعرفونه عن آبائهم، ولعلها أي: الألعاب الإلكترونية تساهم في تشكيل صورة السلوك العدواني لدى الأطفال، وبالتالي يتجهون إلى ارتكاب مزيد من العنف. ومن أهم أهداف الإشراف على لعب الأطفال:

- إتاحة أوجه نشاط مناسبة لمستوى نمو أفضل.
- إتاحة ألوان من النشاط ذات مغزى تساعد الطفل على أن يتعلم شيئا جديدا عن العالم المحيط به.
- تعليم الطفل كيف يرسم الخطط وكيف يفكر ويبتكر حلولا جديدة لمشكلاته، وتدريبه على احترام اللعب.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر بضرورة الألعاب الشعبية للأطفال؛ حيث إن لها دورا كبيرا في تعميق التفاعل الاجتماعي بين الأطفال، وإكسابهم القدرة على المواجهة دون ضعف أو خجل، فجميع تلك الألعاب تعتمد على تعاون الأطفال من أجل إنجاح اللعبة التي هي من صنع أيديهم وعقولهم، فتساعد على تنمية حواسهم وتفكيرهم وإبراز مواطن إبداعاتهم، وتعمل على تنمية إحساس الطفل بالآخرين وبحقوقهم.

وفي اللعب بين الأطفال يختفي الحقد، فإذا بالقلوب تتصافح على رغم تباين اختلاف البيئة الاجتماعية.. وإن جمالية الألعاب تبدو واضحة في الانسجام ورسم أعذب الخطط واستخدام أجمل العبارات بصورة تلقائية غير مصطنعة.

تواصل مستمر

والطفل الذي يمنع من اللعب يقع فريسة للأمراض الجسمية والنفسية، وهو ينمو بشكل سليم عندما يعطيه الوالدان الفرصة كي يحقق ذاته عن طريق السماح له بممارسة الأنشطة المختلفة.

ولابد للقائمين على تربية الطفل من معرفة أن هذا النشاط الذي يمارسه الأطفال لا يعني مضيعة الوقت، وإنما هو نشاط اجتماعي ذو طابع تاريخي له خصائصه التي تجعل منه شرطا أساسا لتطور الطفل. ومعروف أن البريطانيين ينفقون قرابة ١,٦٧ بليون جنيه إسترليني سنويا لشراء الألعاب والدمى، وهذا يعني أن الطفل الواحد ينفق عليه حوالي ١٣٧ جنيه إسترليني وسطيا.

وللأسرة دور كبير في اختيار الألعاب المفيدة الخالية من العنف، ولابد من تنظيم برامج جادة تسد فراغ الأطفال، وخاصة في فترة الإجازة الصيفية؛ وذلك بالقيام برحلات ترفيهية اطلاعية، وزيارة المعالم السياحية



ومعارض الكتب والمتاحف المختلفة.. وكل هذا يساعد أبناءنا على الابتعاد عن الألعاب الضارة التي تسبب أمراضا نفسية وبدنية وتقلل من روح الانتماء الاجتماعي.

من هدي النبوة

وإن أدق الدروس العملية نأخذها من رسول الله ﷺ في مداعبة الأطفال، تارة بالركض، وأخرى بالحمل، وثالثة بتصغير الاسم، ورابعة بالمضاحكة.. إلى غير ذلك.. فقد لعب ﷺ مع الصبيان، وشجع الأطفال على الرمي، وأجرى مسابقة الجري بين أطفال بني عمه العباس واستقبل الفائز بصدره ثم الآخر.. وهكذا. وشاهد ﷺ في عدة مواطن لعب الأطفال ولم ينكر عليهم.

وكان للسيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - لعبة على شكل فرس له جناحان كانت تحتفظ به. وكان ﷺ يلاطف الصغار...

وبعد..

إن الألعاب تهدف إلى تنمية القدرات وتجديد الطاقة وبناء المهارات والانتقال من الفردية السالبة إلى الجماعية الإيجابية. ولا ينبغي بشكل من الأشكال تحطيم ألعاب الطفل كوسيلة لعقابه. وبوساطة اللعب يمكن تعزيز علاقة الطفل بالمعالم الحضارية. كما يمكن للطفل أن يكتسب قيما إنسانية كثيرة، مثل: العدالة والمساواة والمحبة والحرية.

ودور المربي هنا هو أن يختار الألعاب التي تتناسب مع أعمار الأطفال، وأن تكون بين الألعاب أنواع تتيح للطفل محاكاة سلوك الكبار. وأن لا ينكشف عن اللعب ضرر نفسي ومعنوي، وأن لا يتعارض مع المواقف الإنسانية والدينية..

تنمية محبة النبي ﷺ لدى الأطفال

محمد عرابي
باحث دراسات إسلامية



إن تعميق محبة الله ورسوله ﷺ في نفوس الأطفال ضرورة واجبة؛ لأنه كلما تمكنت المحبة في القلب تكون الدافع الإيماني القوي الذي يؤثر في السلوك فيدفع لفعل الطاعات واجتناب المنكرات. وقد حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- والسلف الصالح على أن يرسخوا قيمة هذا الحب في نفوس أطفالهم، ابتداء من مبايعته ﷺ والانقياد لأوامره والدفاع عنه.

وحرصا على عدم انحراف فطرة الناشئة عن مسار الحب الصحيح للرسول ﷺ، فإن ذلك يتطلب إعدادهم وتهيئتهم لمعرفة مفهوم حبه ﷺ ودلائله وأسبابه منذ الصغر، وترسيخ محبة النبي ﷺ في نفوسهم، وتنميتها في إطار المنهج الصحيح، والوسائل المشروعة توجيها لها نحو النموذج الكامل للإنسانية، والقدوة الحسنة للبشرية من خلال الاتباع والتأسي طاعة وتعبدا لله تعالى.

فتأصيل محبة النبي ﷺ وترسيخها يجب أن يبدأ منذ الطفولة؛ حتى نبني أجيالا من المسلمين الصالحين قد ترسخت في نفوسهم محبة النبي ﷺ منذ الصغر. ويحاول هذا المقال بيان سبل تنمية محبة النبي ﷺ لدى الأطفال، والتي تتمثل في:

توفير البيئة الصالحة

توفير البيئة الصالحة للأطفال التي تغرس محبة النبي ﷺ في نفوسهم، وتتعهد هذه المحبة، وتسعى إلى تنميتها ورعايتها. والبيئة هنا شاملة للبيئة التعليمية، والأسرية والمجتمعية؛ حتى تتكامل جميع المؤسسات في القيام بهذا الواجب، لتوفر في مجموعها بيئة صالحة تغرس هذه القيمة وتربي الأجيال عليها (١).

قراءة القرآن وتدبره

قراءة القرآن وتدبره، والعناية به وتربية النشء عليه، من شأنها تنمية محبة النبي ﷺ لدى الأطفال، ذلك أن القرآن اشتمل على جميع أساليب التربية الإسلامية في غرس محبة النبي ﷺ في نفوس الأطفال، فليس أعظم من القرآن في التعريف بالنبي ﷺ، وسيرته ومكانته وأخلاقه وشمائله في القرآن، كما أن القرآن يقدم الفهم الصحيح لمحبة النبي ﷺ، ويرسم منهجها الصحيح (٢).

دراسة السنة النبوية

فمن اهتم بالسنة وطالع كتبها، وتزود من علومها وفنونها يحب النبي ﷺ؛ لأنها كلامه وأفعاله وسيرته وأقواله وصفاته وأخلاقه، وهي داعية لمحبة النبي ﷺ. وحري بالمؤسسات التربوية من رياض أطفال ومدارس أن تهتم بتدريس سنته، وتزويد الأطفال بما يناسبهم

منها، وبذل الجهود لتقريبها والعناية بها بما يتناسب مع حال الأطفال.

الأنشطة المدرسية

فالأنشطة أفضل أساليب تنمية محبة النبي ﷺ لدى الأطفال، ويعود السبب في ذلك إلى ميول الأطفال إلى هذه الأنشطة وتفاعلهم معها، وتشوقهم إليها؛ لما فيها من إشاعة روح المرح وإدخال السرور في نفوس الأطفال، فالاهتمام بالأنشطة مهم للغاية، وذلك تماشيا مع ما تنادي به التربية الحديثة، فهي مجال واسع لتنمية كثير من القيم التربوية، ويعول عليها كثيرا في ترسيخ أساسيات الحب الشريف للشخصية المحمدية، بحيث ينعكس هذا الحب، وما ينطوي عليه من قيم نبوية شريفة، على سلوكيات الأطفال، فالناشئة بحاجة ماسة إلى من يقدم لهم التعريف الصحيح بمحبة النبي ﷺ بأسلوب تربوي جذاب ومشوق، وبعيد عن الغلو والجفاء (٣).

والنشاط الديني إذا أحسنا اختيار ألوانه، وحددنا وظائف كل لون، وصدقنا في توجيهه، عالج لنا المستعصي من المشكلات، وحققنا به البعيد من الأهداف، فأخرجنا للوطن جيلا متدينا يجيد العمل، ويحسن المعاملة، ويتوق إلى الرقي والتقدم اللذين كانا عنوانين للإسلام في عصوره الزاهرات، فتكون التربية الإسلامية بذلك قد أدت رسالتها وبلغت غايتها، ولن يتم لها ذلك إلا باحتفائها بالنشاط وتفعيل دوره في جميع الأصعدة والساحات (٤)، وفي ضوء ذلك يمكن تنمية محبة النبي ﷺ لدى الأطفال عن طريق:

- الأنشطة الكتابية وما يصاحبها من مسابقات تشجيعية فيما يخص الإنتاج الإبداعي حول حب النبي ﷺ، كتأليف قصة حول حب الرسول ﷺ، وكتابة عبارات تشجيعية للحث على اتباع النبي ﷺ ونصرته والدفاع عنه.
- استخدام الأسلوب القصصي: فهو أسلوب تربوي ناجح ومؤثر في وجدان الأطفال، فالقصص تساعد في تنمية القيم والفضائل والمبادئ الإسلامية، وتربية الانفعال والعواطف الوجدانية، وتدفع إلى السلوك السوي ومحاربة السلوك غير السوي. ولابد أن ينتقي المربون من القصص ما يناسب الأطفال من سيرة النبي ﷺ، وحياة الصحابة والصحابيات -رضوان الله عليهم- ما يثير وجدانهم، مثل طفولته ﷺ، وبعض حياته عند حليمة السعدية، وبعثته، وليلة الهجرة، والإسراء والمعراج.. وغير ذلك من الجوانب التي تظهر العناية الربانية به، وهذه القصص تملأ قلب الأطفال بمحبة النبي ﷺ.
- الاهتمام بتكوين عادات وسلوكيات نابعة من الهدي النبوي الشريف؛ حتى يتعود الأطفال على الاستجابة لله وللنبي ﷺ. وتكوين العادات من الأساليب التربوية التي تساهم في تنمية محبة النبي ﷺ، وفي النشاط مجالات واسعة لتثبيت العادات والقيم والسلوكيات الدينية الصحيحة، وممارستها ممارسة ناجحة في مواقف طبيعية (٥).

وإذا كانت التربية الإسلامية تسعى إلى غرس محبة النبي ﷺ في نفوس الأطفال، فهي كذلك معنية بالمحافظة على مستوى هذه المحبة، ورعايتها وتنميتها باستمرار، وترسيخها وتعميقها في وجدان الأطفال، وهذا يجعل التربية بكل مؤسساتها في تفاعل دائم وتطوير مستمر للطرق والأساليب التربوية المعينة على تحقيق غرس محبة النبي ﷺ في نفوس الأطفال.

الهوامش

١- حسن العيافي، منهجية التربية الإسلامية في غرس محبة النبي ﷺ وتطبيقاتها في المؤسسات التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٩هـ، ص١٧٠.

٢- حسن العيافي: منهجية التربية الإسلامية في غرس محبة النبي ﷺ وتطبيقاتها في المؤسسات التربوية، مرجع سابق، ص١٨٠.

٣- فوزية البقمي: دور الأنشطة غير الصفية في تنمية حب النبي ﷺ، رسالة ماجستير، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، كلية التربية، ١٤٣١هـ، ص٧٤.

٤- حسن الخليفة وكمال الدين هاشم: فصول في تدريس التربية الإسلامية، الرياض، دار الرشد، ١٤٢٦هـ، ص٢٥٢.

٥- فوزية البقمي: دور الأنشطة غير الصفية في تنمية حب النبي ﷺ، مرجع سابق، ص٧٤.



كيف تتفوق؟

د. عبد الرحمن النمر
طبيب مصري

مع اقتراب موعد أي امتحان، يشعر بعض الطلبة بالقلق والخوف، الأمر الذي يؤدي إلى تشتيت الذهن وفقدان الثقة في النفس.

لبناء الثقة في النفس، والتأكد من القدرة على اجتياز الامتحان بتفوق، يجب أن تمر المذاكرة المثالية بالمراحل التالية:

القراءة الإجمالية

ابدأ المذاكرة بقراءة الدرس قراءة عامة وسريعة للإلمام بموضوع الدرس ومحتوياته.

الفهم والاستيعاب

قسم الدرس إلى وحدات، وضع عناوين رئيسية بكل وحدة. وإذا كانت الوحدات كبيرة عاود تقسيمها إلى فقرات أصغر باستخدام عناوين فرعية.

الآن اقرأ الدرس لتفهم محتواه وتتعرف على النقاط الرئيسية فيه. وسوف يساعدك التقسيم الذي قمت به على الربط بين أجزاء الدرس المختلفة.

الحفظ

الكثير من المعلومات الدراسية يجب حفظها، مثل التواريخ وأسماء الشخصيات التاريخية، والمواقع الجغرافية، والقوانين الرياضية، والمعادلات الكيميائية، وغيرها كثير.

لذلك يجب الاهتمام البالغ بالحفظ في هذه المرحلة من المذاكرة، خصوصا وأن أغلب أسئلة الامتحان تدور حول تلك المعلومات المحفوظة.

التسميع

للتأكد من سلامة الحفظ، لابد من التسميع الذي يثبت المعلومات في الذهن ويزيد القدرة على تذكرها.

التسميع الشفوي سهل وسريع. ويجب أن تعود إلى الكتاب لاستيضاح النقاط التي لا تكون متأكدا منها. وكلما طال الزمن الفاصل بين الحفظ والتسميع قلت القدرة على استرجاع المعلومات.

التدرب على الامتحان

أكثر الطلبة لا يعطي أهمية لهذه المرحلة المهمة من مراحل المذاكرة المثالية. وكثيرا ما يتوقف طالب في لجنة الامتحان أمام سؤال ما، ويردد: ما المقصود بالسؤال، وكيف تكون الإجابة؟! مع العلم أنه قرأ موضوع السؤال من قبل وفهمه جيدا.

لذلك لابد من التدريب العملي على الإجابة على أسئلة الامتحانات كتابة، وفي ظروف مشابهة لظروف الامتحان، مع الالتزام بنفس التوقيت. ويمكن تقديم الإجابة إلى مدرس المادة أو إلى أحد الوالدين لتقييمها.

وهذا النوع من التدريب يعتبر تسميعا تحريريا. وفائدته عظيمة في كشف مواطن الضعف قبل خوض تجربة الامتحان فعليا.

هذه الطريقة في المذاكرة قد تحتاج منك إلى وقت أطول وإلى جهد أكبر، خصوصا في بداية تطبيقها. ولكن مع مرور الوقت سوف تصبح سهلة التطبيق، وسوف تجعل المذاكرة متعة ذهنية. لأن رصيدك من المعلومات التي تستطيع تذكرها سوف يزيد بدرجة تدهشك. وهذا من شأنه أن يزيد ثقتك بنفسك، وكذلك يزيد فرصتك في النجاح وإحراز التفوق إن شاء الله.



لا تفسد اعتذارك !

نجلاء محفوظ
كاتبة وخبيرة تنمية بشرية

الاعتذار بذكاء «نعمة» لتصحيح الأخطاء ولصيانة العمر من عداوات تخصم، ويحرم الكثيرون أنفسهم من إتقان الاعتذار وإغلاق الصفحات المؤلمة.

وإليك أهم الأخطاء الشائعة:

ثأر وضغائن

١- يتوهم البعض أن الاعتذار يقلل من شأنه فيرفضه باستماتة فيدفع الآخرين للتعامل معه كإنسان متكبر أو عنيد فيتحفزون لأي خطأ بسيط منه لينالوا منه ثأرا لأنفسهم أو لمنعه من ارتكاب خطأ أكبر، ومن الأذكى حماية نفسه والمبادرة باعتذار بلطف وفتح صفحة جديدة معهم.

جدال وتهرب

٢- يتهرب أحدهم من الاعتذار بدعوى أنه لم يقصد الخطأ وعلى الآخرين التفهم وإن لم يفعلوا سارع باتهامهم بسوء النية وتصيد الأخطاء.

٣- يتهرب البعض من الاعتذار بدعوى أنه سبق وسامح الآخرين عن أخطاء سابقة وعليهم مسامحته فورا وإن لم يفعلوا اتهمهم بالتعنت ودخل بعداء معهم.

والأفضل الاعتذار «ثم» تذكيرهم بأنه سبق وسامحهم وأنه يعتذر لاهتمامه بهم.

كراهية

٤- يكره البعض الاعتذار ويرون أن الآخرين سيستغلونه بمضايقتهم ومعايرتهم بالخطأ «فيحتمون» برفض الاعتذار ونوصي باعتذار مع التنبه للرفض بلطف وبحزم للحديث عن الخطأ مجددا.

٥- يعتذر البعض بأقل قدر ممكن من الكلمات ثم يسارعون بعصبية بالغة بتذكير الطرف الآخر بأنهم قدموا له خدمات سابقا وتحملوا من أجله الكثير وكأن ذلك يمنحهم «الحق» بإهانته.

والمن هو أسرع وأسهل وسيلة لقتل أي مشاعر جميلة بين البشر.

ولا داعي للاستكبار ورفض الاعتذار بنفس صافية.

ابتزاز

٦- يبالغ البعض بالاعتذار مما قد يدفع بضعاف النفوس لاستغلال ذلك وابتزازه نفسيا وربما عاطفيا وماديا وخير الأمور الوسط، فلا استكبار ولا امتهان للنفس.

فإذا رفض أحدهم اعتذارك فلا تتوسل إليه وامنحه الوقت ليهدأ

- إن كان الخطأ كبيرا - ولا توسط أحدا بينكما فغالبا لا يجيد الوسيط التهدئة وقد يحدث سوء تفاهم بسببها.

استفزاز

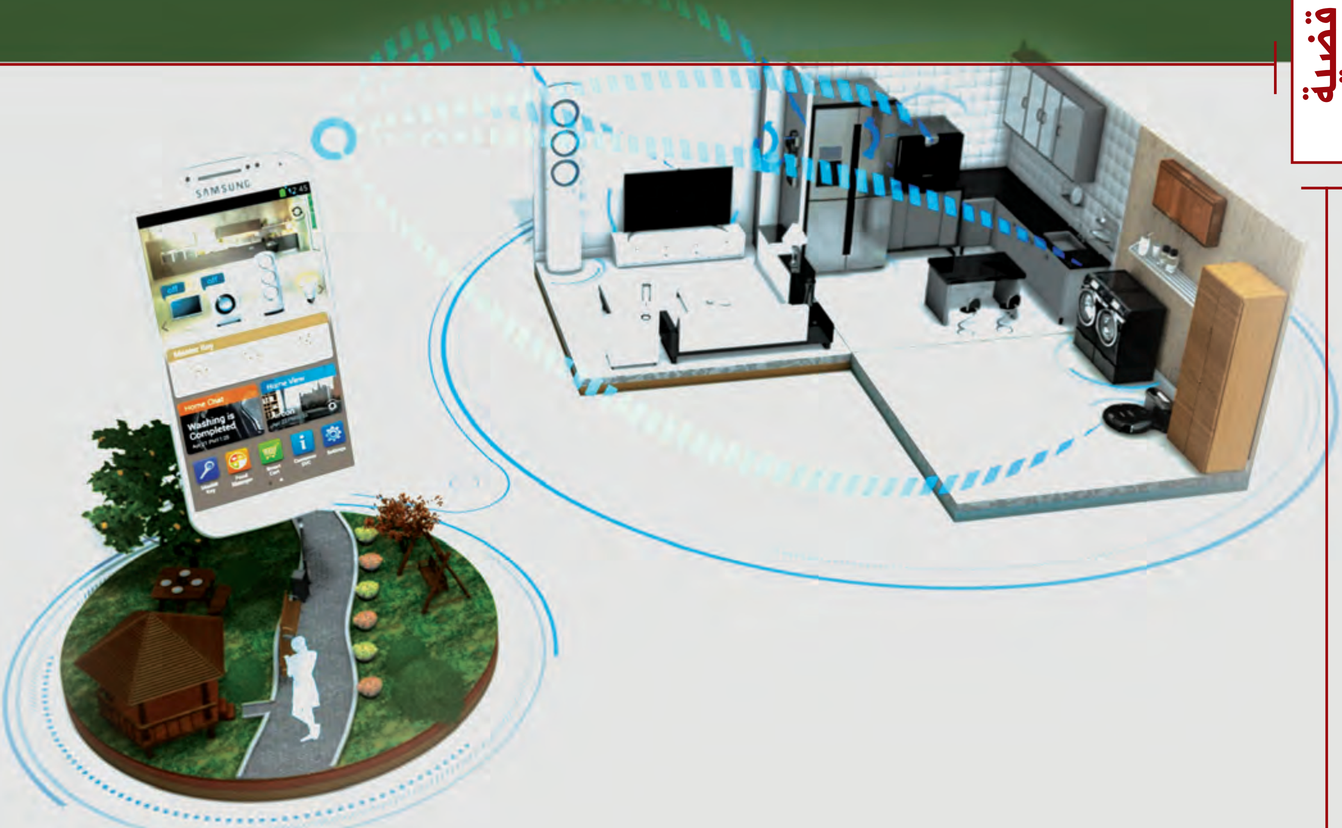
٧- عند الاعتذار يقول البعض كلمات مستفزة مثل: أعتذر لو كنت مخطئا، فهذه بداية للتشاجر وليس لإنهاء موقف سخيف، أو يقول: أعتذر ولست مطالبا بذلك أو لم أخطئ، ولكني أعتذر لإنهاء غضبك أو أعتذر ولكنك تتعامل بحساسية زائدة، وأعتذر وهل ارتحت الآن أو لننه هذا الموقف مما يفتح الأبواب للتشاحن.

٨- تكرار الاعتذار عن نفس الخطأ وتوقع انتهاء الأمر بعد الاعتذار والتذمر من عدم قبوله خطأ شائع.

ويتضمن الاعتذار «الصادق» كراهية الخطأ وبالتالي رفض تكراره.

٩- يعتذر أناس بتجهم وباقتضاب وكأنهم يلقونه بالوجوه أو مرغمين.

١٠- توقع أن يتعامل معك بود بالغ بعد الاعتذار خطأ فأعطه وقتا ليصفو بلا إلحاح واهتم بشؤونك عندئذ.



وسائل «الفصل» الاجتماعي!

أسماء السكاف
باحثة سورية

ذهبت لزيارة إحداهن مع زوجي وأطفالي، جلس الرجال في مجلس الرجال وجلسنا مع الأطفال في مجلس آخر، وفي خضم حديثنا وانسجامنا بالضحك والأحاديث ولعب الأطفال أخرجت إحداهن هاتفها مبتسمة وبدأت بالتصوير، امتعضت قليلا ونظرت لها بغرابة! ضحكت وقالت: لا تخافي سأصور المجلس والأطفال فقط (سناب)، ولغير العارفين بالتكنولوجيا الحديثة هذا اسم برنامج لنقل حياتك مباشر (لايف) للناس، وأكملنا جلستنا الجميلة التي ما كان جمالها يحتاج إلى توثيق أو إثبات جمالها لغيرنا، هذا من وجهة نظري طبعا، فأنا أؤمن أن اللحظات الجميلة والسعادة الخاصة جمالها بخصوصيتها، فلا حاجة أن نريها أو نظهرها لغيرنا دون هدف، وكلما زادت البرامج وزاد نشر الناس لخصوصياتهم وتفاصيل حياتهم اليومية ازددت قناعة وإيمانا بأنها وسائل تفريق وفصل اجتماعي لا تواصل، فكم من جلسة عائلية وجمعة أسبوعية أفسدها تواصل الموجودين فيها مع من خلف الشاشات، حيث يجلس الأغلب بأجسادهم في مكان وبعقولهم وأبصارهم في مكان آخر، أعجبتني جدة عندما قالت: لا أسمح لهم يوم «الزوارة» بإمساك هذه الشياطين الصغيرة المضيئة بأيديهم، فعند باب البيت صندوق صغير يضع الجميع أجهزتهم النقالة فيه ويدخلون لزيارة عائلية سليمة، ينظرون لوجوه بعضهم بعضا يستمعون لأحاديث بعضهم بعضا ويعرفون أخبار بعضهم بعضا.. وجها لوجه دون الحاجة لرؤيتها من خلف الشاشات كما أصبح العرف الآن، فمع تخمة برامج «الفصل» الاجتماعي أصبح توثيق الحياة بالصور ونقلها مباشرة للناس هو الأساس.

حدث معي موقف رأيته طريفا ومحزنا في آن واحد.. عندما جاءت لزيارتي صديقة لطيفة ويحبها أطفالي ولم يلبثوا أن أحضروا أنشطتهم ومشغولاتهم اليدوية ورسوماتهم وهي تعلق لهم إيجابا وتظهر لهم انبهارها بأعمالهم الجميلة والمبدعة ثم نظرت لي وقالت: لو كنت مكانك لوضعت صور هذه الفنون مع تعليق بسيط بأسلوبك الشيق وجمعت متابعين (فلورز) لا حصر لهم بوقت قصير.. قلت: وماذا سأستفيد، أجابت: متابعين كثر وشهرة وربما عائد مادي، قلت: وسأخسر خصوصية أطفالي والتلقائية والطبيعية والعفوية

بأدائهم وإنجازاتهم، فأيهما أكبر وأهم الخسارة أم الربح برأيك، نظرت لي وقالت: رأيك غريب، لم أنظر للأمر بهذه الطريقة، كنت أراه ربحا بحتا.. أتعرفين أن «فلانة» سوقت لحسابها الخاص بالمأكولات بطريقة ذكية وجنت الألوف بوقت قصير، أجبت: لا تسيئي فهمي يا صديقة، أنا لست ضد المشاريع التجارية أبدا، ولكني ضد فكرة التسويق لحياتي وسعادتي مثل ما أرى.. فتلك تعرض هدايا زوجها لها وعبارات الحب والهيام المكتوبة عليها ناسية أو متناسية أن ممن حولها من لم تتزوج أو من فقدت زوجا أو من انفصلت، فلمَ هي بحاجة لاستثارة مشاعرهن بمحاولة تأكيد أو إثبات حب زوجها لها، وأخرى توثق لحظات أمومتها خطوة بخطوة وكأن الأمومة بحاجة لتأكيد وإثبات.. فوقت فطور الأطفال ووقت نزهتهم ووقت لعبهم، بل حتى وقت شجارهم أصبح مسجلا وموثقا، مع أني أجزم أن لو استطاع أطفال العالم التخلص من هواتف والديهم لما توانوا لحظة لأنها شغلتهم عن الأمومة الحقيقية.. في الماضي القريب (أقصد به ما قبل ثورة البرامج التفاعلية وانتشارها) كنت كما غيري متابعين للعديد من الدعاة الذين يمتازون ببساطة وسلاسة وروعة أسلوبهم، كنا نحضر محاضراتهم ونشاهد لهم برامج على التلفاز دون القرب الشديد منهم، فنستفيد دون أن نرى الجانب الآخر لحياتهم الشخصية، أما الآن فقد أنشأ الأغلب صفحات على برامج التواصل صدمت صدمة كبيرة ببعضهم وتمنيت لو أنني لم أتابعهم على برامج التواصل الاجتماعي لتبقى صورتهم كما كانت لدي، فذلك لا يكل ولا يمل عن ذكر محاسنه ومدح نفسه وأبنائه بشكل مبالغ فيه بما يناقض تماما ما كنت أسمعه منه عن مدح الذات وذكر المحاسن بشكل متكرر، وتلك أيضا داعية أسلوبها جاذب ولكنها لا تسأم استعراض أسفارها وطعامها وديكورات منزلها، بل وبعض أزيائها مذيلة الصور بكلمات روحانية ومعان رقيقة تناقض ما نشر في الصورة، حتى بت أرى بعض دعاة التكنولوجيا وجها آخر «للتفاخر الإلكتروني»، ولكن بشكل مثقف، وحسب رأيي فإن خطأهم أكبر، فهم قدوات يقتدي العديد بهم، ويجب أن تكون كلماتهم وانتقاؤهم لما ينشرون موزونا ومدروسا أكثر، لا بهذه العشوائية والتفاخر الذي أصبح المجتمع يزخر ويضج به، وكي لا أكون مجحفة فبالمقابل يوجد البعض من الدعاة والمشايخ والداعيات ممن انتهجوا نهجا بصفحاتهم الإلكترونية سواء بالتذكير أو القصص أو الأحداث والصور التي يحسنون انتقاءها لمتابعيهم فترى صفحته/ها الشخصية جميلة تظهر شخصيته تخبرك أن صاحبها يستحق لقب داعية.. إذ هي مريحة للعين بعيدا عن التفاخر والمباهاة فتسمو بروح متابعها ورائيها وقارئها.. أنا لست ضد التكنولوجيا ولكنني تربيت على عبارة كنت أسمعها من والدي دوما: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»، قد يقول لي قائل: هذا يتنافى مع قول الله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١)، سأجيب: مطلقا.. فالتفاخر أبدا ليس شكرا على النعم، فالتحديث بالنعمة يكون بشكر الله عليها ووضعها موضعها لا بالتفاخر فيها أمام من لا يملكها.

وأنا أكتب هذه الكلمات لا أدري لم تذكرت مقالة قرأتها بعنوان «الفارغون أكثر ضجيجا» ربما لأنني أرى أن الشخص المنجز ليس بحاجة ليتكلم عن نفسه، والدعاة ليسوا بحاجة ليروجوا لأنفسهم.. والله من وراء القصد. طبعا فأنا لا أتدخل أو أشكك بالنوايا ولكنها أمور ظاهرة نقلت كما رأيت وكما سمعت استياء العديد ممن أثق بآرائهم، فبالأمس قرأت عن امرأة مشهورة على برامج التواصل تنشر تفاصيل حياتها وأزياءها للناس، ذهبت لزيارة مجمع تجاري يرافقها ستة من الحرس الشخصي!! وكيف امتلأت ممرات المجمع بالمعجبين حتى لكأنك تخال أن حدثا مهما يحدث لا مجرد عارضة أزياء و«ماركات» تمر بميوعتها أمام الغادي والرائح، وغيرها وغيرها من الفارغين الأكثر ضجيجا، عدت لبرهة للتاريخ الجميل الذي طالما أحببت العيش فيه وتذكرت كيف كان يستقبل العلماء ويكرمون على بلاط السلاطين وكيف يجلهم ويحترمهم الناس وكيف كان يستقبل حفاظ القرآن ويحتفى بهم كالأبطال والكتاب والمجاهدين وغيرهم ممن يستحقون فعلا، ربما استقبال تلك المرأة ذكرني بما كنت أتخيله عندما أقرأ عن استقبالات كانت تحدث في أيام عز أمتنا، ولكن أيضا في المقابل أرى العديد حولي من الأمهات الواعيات المدركات للأمومة الحقيقية من غير المنجرفات في سيل التفاخر الاجتماعي الذي نشرته وسائل الفصل الاجتماعي.. فالفجر الباسم قادم بإذن الله بشباب وبنات عرفوا الحق واتبعوه ورموا الترهات والسخافات خلفهم كما عبر الشاعر على لسانهم:

أنا مسلمٌ أبغي الحياةَ وسيلةً ... للغاية العُظمَى وللميعادِ

لرضا الإلهِ وأن نعيش أعزةً ... ونُعدّ للأخرى عظيم الزادِ

أنا مسلمٌ أسعى لإنقاذ الورى ... للنور للإيمان للإسعادِ

ويرُوعُني هذا البلاء بأُمتي ... لما تَخلّتْ عن طريق الهادي



بين الإيجابية والسلبية والنظرة الشرعية

المدرسة الداخلية

عزة الغامدي
كاتبة كويتية

كان تناقل أصول الشريعة والفقه الإسلامي اللبنة الأولى التي كانت السبب في ظهور المدارس النظامية، التي تطورت إلى أن أخذت الشكل الذي تبدو عليه اليوم. فتناقل الدين أولا كان سببا في ظهور دروس العلم والمعرفة، بحيث كان يجلس العالم وحوله تلاميذ يطمعون أن يتلقوا القرآن الكريم وأحاديث سيدنا محمد ﷺ. فالرغبة في الاستزادة والمعرفة الدينية كانت سببا أدى لاحقا إلى الاستزادة العلمية في شتى فروع المعرفة.

ومع تطور الزمن، ألزمت الدول الآباء بالتعليم الإجباري لأطفالهم، حيث صدر في الكويت قانون رقم ١١ لسنة ١٩٦٥م في شأن التعليم الإلزامي، حيث نص القانون على إحدى عشرة مادة، أولى مواده كانت التالي: «يكون التعليم إلزاميا مجانيا لجميع الأطفال الكويتيين من ذكور وإناث من بداية المرحلة الابتدائية حتى المرحلة المتوسطة، وتلتزم الدولة بتوفير المباني المدرسية والكتب والمعلمين وكل ما يضمن نجاح التعليم الإلزامي من قوى بشرية ومادية».

الحد الأدنى

وبذلك حملت الدولة على عاتقها مسؤولية النمو والتطور الذهني للفكر الخاص بمواطنيها، بحيث تضمن أن يكون الشعب الكويتي شعبا ملما بعلوم المعرفة، والحد الأدنى من هذه العلوم هو الإلمام بقواعد القراءة والكتابة؛ تنفيذا للأمر الإلهي الأول، الذي نقله سيدنا جبريل -عليه السلام- إلى نبينا محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِی خَلَقَ﴾ (العلق:١).

والآية تنص على أهمية القراءة ومدى تأثيرها الإيجابي والمثمر في حياة الفرد، ففي القراءة تتفتح آفاق الذهن، ويكتشف الإنسان ميوله ومواهبه، فيعرف أنه يحب هذا المجال من العلم ويكره الآخر. وبالتالي، متى ما توافرت بداخله العزيمة والإرادة، فإنه سيستزيد بالمعرفة بحقل العلم الذي يستهويه، وبذلك إما أن يكون مدركا وواعيا ويعمل في المجال الذي قام باختياره ويقوم بتطبيق توصيات علماء هذا المجال، وإما أن ينير الله عقله فيصبح عالما ويكمل ما توقف عنده العلماء السابقون.

لذا، فإن أقل إيجابيات القراءة هي

إيجاد فرص عمل، والقدرة على الاتصال والتواصل مع العالم، وأهمها على الإطلاق أن تنير للفرد آفاق المعرفة ليتطور ويصبح عالما.

وهذا بالتالي ما يجعلنا نقف عند منعطف مهم وهو المدرسة، ما هي، هويتها، لغتها، أهدافها؟ فإذا ما كانت المدرسة هويتها عربية مسلمة فسنضمن بذلك أن يتم تخريج دفعات من المسلمين العرب، قادرين على أن يقرأوا القرآن الكريم ويتمكنوا من تفسيره بكل يسر وسهولة، ويستزيدوا من سنة حبيبنا الصادق الأمين محمد ﷺ، وبالتالي يكون أول أهداف هذه المدرسة قد تحقق، وهو إكمال نشر تعاليم الدين الحنيف.

الأمر الآخر أن تكون لها أهداف أخرى تسعى إلى تحقيقها، فهي قد حققت الهوية واللغة والدين تبقى العلوم الكونية والحياتية بشقيها النظري والعملي، بحيث يتم الحصول على متخصصين في علوم مختلفة، بالإضافة إلى الجانب الشرعي، ذلك لأنه ليس من الممكن أن يكون المجتمع خاليا من أطباء أو صيادلة أو مهندسين أو محاسبين.. إلخ من المجالات العلمية، التي تعمل على إعمار أرض الله وتحقيق مراد الله في خلافتنا له على هذه الأرض التي أسكننا إياها.

رئيس القسم

وبذلك فإن الدول تحتضن الأطفال منذ نعومة أظفارهم، وتدخلهم المدارس لتحقيق ذلك المراد.

وحينها يكون الطفل قد دخل أول مجتمع له، فيتعرف على معنى الزملاء، ثم بعدها يكون لديه أصدقاء، ويعرف ماذا تعني كلمة معلم، وما هو دوره، ومن هو رئيس القسم، ومن هو الوكيل، ومن هو مدير المدرسة، ومن هم الإخصائيون الاجتماعيون والنفسيون وما هو دورهم.

إنه عالم مصغر لبيئة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، فيدرس العلوم المختلفة، بحيث يدرس الدين ويدرس الرياضيات والفيزياء والأحياء والتاريخ.. وغيرها من باقي مواد المعرفة. والهدف، هو أن نرى انعكاسا لأهداف المجتمع تبدو على هذا الطفل في سلوكه وأفكاره وتوجهاته ليكون عضوا فاعلا في المجتمع الكبير الذي سيخرج له بعد أن يتخرج.

إلا أنه أحيانا يحدث تناقض بين ما تعلمه المدرسة لتلاميذها وما تقوم به الأسرة تجاه أطفالها، وهذا التناقض غالبا ما يحدث صراعا ذهنيا عنيفا للطفل، وتذبذبا في السلوك.

الأمر الآخر في أن الدولة قد تحرص، من خلال مؤسساتها التعليمية، على تربية الأطفال وتنشئتهم، وتأتي بعض الأسر فتمارس سلوكيات ويكون لها أفكار تهدم ما قامت المدرسة ببنائه من خلال كوادرها التربوية في نفوس هؤلاء الأطفال، فنجد المدرسة تحرص على أن يلتزم التلاميذ بالحضور في وقت معين، وأداء واجبات معينة بأنفسهم من دون أن يقوم الآباء بأدائها لأبنائهم، وبالتالي إفساد العملية التعليمية، وبالأخص ما يتعلق بأداء البحوث العلمية. هذا، فضلا عن التصرف بسلوك تربوي محدد، إلا أن البعض يفسد ما تقوم المدرسة بإصلاحه، وهنا تظهر الحاجة إلى ظهور «المدرسة الداخلية».

تعريف

ونأتي هنا للوقوف على تعريف افتراضي بسيط للمدرسة الداخلية: «فهي المكان الذي يتم فيه إيداع الأطفال منذ سن العاشرة وحتى سن السابعة عشرة لتلقي العلم والمعرفة في العلوم الدينية والمعرفية والحياتية، بعد أن عجز آباؤهم عن توفير التوافق بين ما ترمي إليه أهداف وسياسة التربية في الدولة، وما تقوم به الأسرة من دور يعمل بالتالي على هدم ما تقوم ببنائه الدولة في نفوس أبنائها؛ بإكسابهم عادات وسلوكيات دينية وتربوية ترمي إلى تنشئتهم التنشئة الصالحة».

وعند الوقوف لدى هذا التعريف الافتراضي للمدرسة الداخلية، فلننظر إلى ما هي الفئات التي يتم إيداعها في المدرسة الداخلية، قد يعتقد البعض أنهم المنحرفون أو المتمردون على عائلاتهم فقط، ولكننا في المدرسة الداخلية نهتم أولا بالمبدعين من الأطفال، الذين لا تتوافر لهم أجواء أسرية تشجعهم على العلم والمعرفة والنبوغ.

الهدف

إذن المدرسة الداخلية هدفها الأول استقطاب النخبة النابغة من التلاميذ، الذين متى ما قمنا بالاهتمام بهم ورعايتهم، نعمل بالتالي على وضع لبنات التقدم والازدهار لمجتمعاتنا.

إن كلمة دول العالم الثالث والدول النامية لابد أن يتم محوها من القاموس اللغوي لدينا، بحيث لا نبقى لسنوات سجناء لهذا المصطلح، ولنقل نحن دول متنامية تسعى إلى النمو والنهوض للوقوف بصفوف الدول المتقدمة.

لا نستطيع أن نفصل الأسرة عن الدولة؛ لأن الأسرة هي نواة المجتمع، وكل فرد متى ما تمت تنشئته التنشئة الصحيحة فسيكون ناجحا، إلا الفئة القليلة التي تكون إمكاناتها الذهنية محدودة، هذه الفئة نسأل الله العلي القدير أن ينير عقولها بالعلم الذي ينفعها ليكونوا -على الأقل- مواطنين صالحين.

وعند الوقوف لدى إيجابيات المدرسة الداخلية، فإن أهمها هو ضمان توفير المناخ المناسب للطفل ليكون مبدعا، فننقل له تجارب علمية تم تطبيقها عالميا وأثمرت نجاحا، وكان لها تأثير إيجابي في تعويد الأطفال على الإبداع في التفكير والتمكن من التحليل والوصول إلى النتائج المنطقية في شتى حقول المعرفة، فنعلمه منذ الطفولة: التصور، الابتكار، الملاحظة، الاستنتاج ثم البرهان.

إن مشكلة دولنا في التعليم تكمن في أنه يتم اتباع منهج التلقين العلمي وليس الاستنتاج والبرهان العلمي، فالتلقين يريح العقل: مجرد تناقل معلومات، ومتى ما تم الانتهاء من المرحلة العلمية والانتقال إلى المرحلة التي تليها يتم تناسيها ثم تندثر من المخزون العلمي لعقل الفرد.

وهنا قد يعيب البعض على الأفراد عدم وجود مخزون علمي في أذهانهم. والسؤال الذي يطرح نفسه باستمرار هو: ماذا تعلمتم في المرحلة الدراسية؟ أين مخزونكم العلمي؟

ولأن الطرق والأساليب المتبعة في التعليم تعتمد على التلقين المطلق، فهذا يحتاج من الفرد إلى أن يراجع باستمرار ما تم تلقينه إياه حتى لا ينمحي من ذاكرته.

وهنا لدى الوقوف عند هذه النقطة تحديدا نجد أن الأمر يصعب تحقيقه، فالذاكرة في حاجة إلى مراجعة وقراءة مستمرتين، ويصعب أن تتم قراءة ما تم تعليمه للفرد لمدة اثني عشر عاما إلى أن يتخصص في حقل معرفي معين في مرحلته الجامعية.

إذن الفرق بين تلاميذ العرب وتلاميذ الغرب هو «البرهان»، حيث يعودون أطفالهم منذ الصغر على أن يبرهنوا، يستنتجوا، يفكروا، وهذا أمر جميل ومحمود لديهم، وليس عيبا أن نكمل ما وقفوا عنده، لأن هذه الدول، التي نراها متقدمة اليوم، أكملت ما وقف علماؤنا سابقا عنده، أمثال ابن سيناء الذي ألف كتاب القانون في الطب، وابن خلدون الذي كان أول من تحدث عن علم العمران، بالإضافة إلى الخوارزمي الذي كان مؤسس علم الجبر وآخرين كثر نحتاج إلى وقت طويل للتحدث عنهم.

الملكية الفكرية

ونحن بذلك نستطيع أن نستورد علوم الدول المتقدمة من خلال ترجمة مؤلفاتهم بعد موافقة الدول على ذلك ضمن أطر قانونية لحفظ حقوق الملكية الفكرية، فالترجمة أول لبنة توضع للمعرفة، فيقرأ الفرد بلغته العلم فيستطيع أن يبدع بإكمال ما توصلوا إليه.

وهذا بالتأكيد يحتاج إلى متخصصين كثر في شتى مجالات المعرفة حتى نتمكن كدول متنامية من إضافة حقل جديد إلى علوم المعرفة يفيد البشرية.

وهذا قد لا تحققه المدارس التقليدية بشكلها الحالي؛ لإمكاناتها المحدودة، هذا فضلا عن التكلفة المادية العالية التي قد تكلفها مثل هذه المدارس الداخلية التي قد تشكل احد معوقات تنفيذ المشروع.

التركيز

وكما هو متعارف عليه، فإن أي مشروع تربوي لا يخلو من وجود سلبيات له، ولنستطرد قليلا بعض هذه السلبيات:

أولا: احتكاك الأطفال في سن العاشرة بعضهم ببعض قد يؤدي إلى تناقل سلوكيات خاطئة مع غياب رقابة الأم والأب، وبالتالي فنحن بحاجة -بالإضافة إلى معلمين- أيضا إلى تربويين يقومون بدور الأم البديلة والأب البديل في الفترة المسائية.

ثانيا: تعلق الطفل بوالديه قد يجعله لا يركز في دروسه، وقد يصعب عليه التركيز في ظل غياب والديه، وهنا قد تكون الوسيلة الوحيدة هي زيارات يومية للآباء والأمهات لأبنائهم قد تقلل من حدة الانفعال العاطفي الذي قد يحدث لهؤلاء الأطفال.

ويبقى مثل هذه المشاريع التربوية تحتاج إلى بعض التشريعات التي ترتكز في البداية إلى التعرف على النظرة الشرعية في موضوع المدرسة الداخلية، حيث ذكر الشيخ الدكتور محمد الحمود النجدي حول سكن الفتاة في سكن خاص للطالبات، أن الأصل للفتاة أن تسكن ببيت أهلها، وتترعرع بعين أبويها وبعنايتهما، يربيانها ويحسنان تربيتها، ويرشدانها إلى الخير ويحذرانها من الشر، وقد كان من هدي النبي ﷺ تدريب الصغار -البنين والبنات- على الطاعات منذ الصغر، بل والحث على ذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (أبوداود، ٤٩٥) هذا مع كونهم غير مكلفين.

فتدريب البنت على الطاعة -طاعة الله ورسوله ﷺ- منذ الصغر، هو الكفيل باستقامتها عند الكبر، وقد قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

فيجب أن تدرب البنت وتعود على الطاعات، وأعمال البر، واتقاء المنكرات منذ الصغر، وقد كان الصحابة يمرنون الصغار على الصيام، ويجعلون لهم اللعبة من العهن -الصوف- ويشغلونهم بها إذا جاعوا، وذلك حتى يدخل وقت المغرب.

وكانوا يصحبون الصغار إلى الحج بفتيا رسول الله ﷺ لهم بذلك، وأن لهم بذلك أجرا.

سكن البنات

وأما مسألة سكن البنت خارج بيتها، فيجوز، وذلك بشرط أن تكون ملتزمة بالحجاب الشرعي وآدابه، في خروجها ودخولها، وأن يكون المكان الذي تسكن فيه مأمونا.

فتأمن فيه على نفسها من الشرور والفتن، وبعيدا عن مجالس السوء، ورفقاء الشر، فخطرهم كبير، كما وردت النصوص من القرآن الكريم والسنة بالتحذير منهم، ومثلها في عصرنا: وجود القنوات الفضائية الهابطة، التي تروج للفاحشة، وتدعو إلى الرذيلة والفسق، ولابد أن تأمن في السكن أيضا من الاختلاط بالرجال الأجانب، والحديث معهم، ومن أي أذى قد يلحقها في نفسها أو سمعتها.

وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله في فتاوى «نور على الدرب» عن نحو ذلك فقال «هذا الذي فعلت لا بأس به، إقامة المرأة في البلد من دون محرم لا ضرر فيها، ولا حرج فيها، ولاسيما إذا كان ذلك لا خطر فيه، إذا كانت بين النساء، أو في عمل مفصول عن الرجال مما أباح الله، أو في قسم داخلي بين النساء، فكل هذا لا حرج فيه. الممنوع السفر، لا تسافري إلا بمحرم، ولا تقدمي إلا بمحرم، وأما إقامتك بين النساء في عمل مباح، فلا حرج فيها.

نحو مجتمع إنساني متراحم:

جبر القلوب

علياء ناصف
كاتبة مصرية

وسط زحام الحياة.. وفي غمرة المشاغل والمسؤوليات ننسى ونحتاج أن نتذكر معا ما نسيناه أو تناسيناه بفعل أنفسنا التي تعجز أحيانا أن تجلس برهة مع أنفسها لتراجع وتدقق وتعيد النظر وتتذكر. من منا يتذكر ما نسيه الكثير وربما لم يعد يتذكره إلا القليل، ألا وهي عبادة «جبر القلوب».

جبر القلوب هو ما يسأله البعض من مولاه في دعائه قائلا ما كان يقوله رسول الله ﷺ بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني، واجبرني، وارفعني، واهدني، وارزقني» (رواه الترمذي).

وينساه البعض الآخر في تعامله مع عباد الله فنجد من يؤلم قلوبهم ويعتصرها حزنا ولا يبالي بكسرها إما بكلمة أو فعل، ويمضي بلا حساب للنفس، بلا وقفة مع الذات، إما تجبرا عليهم أو لنقص وربما لانعدام الخبرة الحياتية في مدرسة العلاقات الإنسانية الإسلامية.

ولكن قراءة متعمقة لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ما يغني الطالب للعلم في تلك المدرسة عن قراءة عشرات ومئات الكتب والمؤلفات، ليعرف كيف يتعامل ويتقن فن العلاقات بين الأفراد على أقوى الأسس وأمتنها.

صورة من صور الرحمة

إن من أسماء الله الحسنى «الجبار»، و له ثلاثة معان: الأول بمعنى «القوة»، والثاني بمعنى «الرحمة»، والثالث بمعنى «العلو».

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يتفرد بالعلو والقوة وليس لبشر أن ينازع الله في علوه و كبريائه وجبروته وقوته، وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينازع الله رداءه، فإن رداءه الكبرياء وإزاره العزة، ورجل شك في أمر الله، والقنوط من رحمة الله» (رواه الإمام أحمد).

أما الرحمة فقد أمرنا نحن العباد بها، بأن تكون من صفاتنا وجوهرا لحياتنا، وهاهو قول خير البرية رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (رواه أبوداود والترمذي).

وعندما نكون مأمورين بالرحمة، فمن ثم فحن مأمورون ومطالبون بجبر القلوب، فجبر القلوب صورة من صور الرحمة، أي إن جبر القلوب عبادة، فالعبادة طاعة وإذعان لأوامر الله، والحديث عن الرحمة بين العباد فيما بينهم يتسع للكثير والمزيد من الأقوال والأفعال التي تضمن أن نعيش معا في مجتمع إنساني له خاصية التراحم بين أفراده وجماعاته، فلا يطغى أحد على أحد، ولا تقهر جماعة جماعة أخرى ظلما وبهتانا.

«جبر القلوب» في القرآن الكريم والسيرة النبوية

دعونا نتأمل قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ (الضحى:٩-١٠).

إن الله تعالى يأمر نبيه ألا يقهر اليتيم، أي لا يكسر بخاطره، أي يحسن معاملته ويترفق به ويجبر قلبه بالقول والفعل، كما أمر المولى عز وجل رسوله الكريم بألا ينهر السائل.

أما الحديث عن خلق رسولنا الكريم ﷺ في جبر وتطييب القلوب فلن تسعه الصفحات، ولنتذكر في هذا المعرض كيف كان حبه لزيد بن حارثة ولأسامة بن زيد ورحمته بهما، فزيد بن حارثة هو ذلك الغلام الذي اشتراه حكيم بن حزام ابن أخ السيدة خديجة لها، والتي وهبته بدورها إلى رسول الله، فأعتقه ﷺ وتبناه، وكان يلقب من فرط ما كان يحظى به من محبة رسول الله ﷺ بزيد بن محمد حتى نزلت الآية الكريمة ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥)

أبناؤنا وجبر القلوب

إذا كانت الأسرة هي وحدة بناء المجتمع.. وإذا كنا بصدد الحديث عن مجتمع تسوده الرحمة بين أفراده ويظلله التراحم بين جماعاته.. فمن ثم على الآباء والأمهات تعليم الأبناء جيدا منذ سنوات عمرهم الأولى كيف تكون الرحمة بين الناس من خلال أن يكونوا هم أنفسهم النموذج والقدوة في ذلك، فأحيانا ما نجد آباء وأمهات لا يعاملون اليتامى بالمودة والحب بل بالتعنيف والجفوة والغلظة ويردون السائل بطريقة قاهرة عنيفة قاسية، وأحيانا ما نجدهم يمتهنون الخدم ويعاملونهم تعاملا فوقيا بعجرفة وتكبر، وربما تمتد أيديهم عليهم لتلحق بهم الأذى البدني إضافة إلى الضرر النفسي والمعنوي.

إنما علينا أن نحسن معاملة من أمرنا الله ورسوله أن نحسن إليهم ونرحمهم ونجبر قلوبهم، فهم يحتاجون منا إلى الدعم النفسي والمادي لا الضرر الأدبي والبدني.

أسامة عبدالقادر: اختراعي يخلص البيئة من الانبعاثات السامة

أكد أسامة عبدالقادر أحمد متولي مخترع أول جهاز من نوعه لحماية البيئة من التلوث والاحتباس الحراري من منبعه أن جهازه أشبه بفلتر يقوم بتنقية الانبعاثات الضارة من مصدرها لمنع وصولها إلى الهواء، ومن ثم حماية البيئة من أضرارها المدمرة.. وأكد في حواره مع الوعي الشبابي أن الجهاز تم تنفيذه وتجريبه بالفعل، وأثبت كفاءة عالية، وينتظر تعميمه على نطاق واسع..



بنيت فكرة المشروع على تحويل الانبعاثات السامة إلى رواسب تفيد التربة الزراعية.

كيف يتم ذلك؟ تعتمد فكرة الجهاز على نظرية علمية لفارادي أندروز وتم تطويرها للاستفادة منها في حماية البيئة من التلوث، ومن خلال استعراض جهود العلماء للوصول إلى حلول علمية للتخلص من مشكلة الانبعاثات السامة وجدت الآتي:

١. تغيير أنواع الوقود المستخدم في تشغيل المصانع والمحارق واستخدام بدائل نظيفة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها من مصادر الطاقة المتجددة.

٢. استخدام نفس مشتقات البترول مع إزالة الملوثات قبل خروجها للهواء الجوي وتلويثه.

وهذا المقترح هو الأساس الذي قامت عليه فكرة الاختراع، حيث تم تصميم جهاز يتم تركيبه على مصدر الانبعاثات السامة قبل خروجها إلى الهواء الجوي، إذ تمر الانبعاثات السامة بثلاث مراحل: الأولى حقن هوائي، والثانية تبريد وتكثيف، والثالثة تفاعل كيميائي ينتج عنه خليط من الرواسب الجيرية الغنية بمركبات تفيد التربة الزراعية، بحيث تتم عملية الاحتراق في المصانع أو المحارق بدون تلوث هوائي يلحق الضرر بالإنسان والبيئة.

هل ثبت علميا صلاحية ابتكارك للإنسان والتربة بالفعل؟

تم تقييم أداء الجهاز من قبل خبراء مركز دراسات تقييم الأثر البيئي والاستشارات البيئية بجامعة المنصورة تحت إشراف د. إبراهيم جار العلم راشد عميد كلية الهندسة الأسبق وتم إعداد تقرير عن كفاءة الجهاز والنتائج التي حققها في الحد من تلوث الهواء والوصول بنسب الملوثات إلى أقل من النسب القانونية التي نص عليها قانون البيئة رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م.

هل يغنينا هذا الجهاز عن السماد وغيره من المواد المستخدمة للزراعة؟

لا، ولكن هي محاولة لتدوير المخلفات الغازية والاستفادة من مخرجات عملية التفاعل الكيميائي.

هل حصل الاختراع على جوائز؟

نعم، بفضل الله حصل الجهاز على العديد من الجوائز على المستويين المحلي والدولي من خلال الاشتراك في المعارض والمؤتمرات وتمثيل مصر بهذا الجهاز في العديد من المناسبات، منها: المركز الأول على مستوى جامعة المنصورة في مسابقة الابتكار والاختراع، وتم التكريم من رئيس الجامعة. الميدالية البرونزية على مستوى الشرق الأوسط من النادي العلمي الكويتي في المعرض الدولي الأول للاختراعات.

برنامج كويتي لرعاية الطلبة المتعثرين

طرح مجموعة من الخبراء التربويين الكويتيين برنامجا هو الأول من نوعه على مستوى البلاد يهدف إلى مساعدة طلبة المرحلة الثانوية من المتعثرين دراسيا على التفوق وزيادة التحصيل العلمي وتطوير قدراتهم التربوية والنفسية والاجتماعية.

وقال مدير البرنامج والمشرف على محتواه العلمي المستشار التربوي الدكتور طلال المسعد خلال المؤتمر الذي عقد بمقر نادي «اقرأ» إن البرنامج المرتقب إطلاقه في نوفمبر المقبل يهدف إلى علاج حالات التأخر الدراسي لدى طلبة المرحلة الثانوية الذين يعانون ضعفا بالتحصيل الدراسي وعدم الثقة بالنفس.



وأكد المسعد أن البرنامج يساعد الطلبة على تحديد نقاط القوة والضعف لديهم وإرشادهم لتحسين قدراتهم التحصيلية والأكاديمية وتحسين وتطوير قدراتهم التربوية والاجتماعية والنفسية والتكيف بشكل أفضل مع محيط المدرسة والمجتمع إضافة إلى زيادة وعيهم بأهمية تنمية الذات والسعي إلى تحسينها.

وأشار إلى أن البرنامج سيمر بالعديد من المراحل منها إجراء مسح شامل من خلال اختبارات القدرات للمتعثرين دراسيا ومن ثم تصنيفهم حسب مواطن الضعف والقوة إضافة إلى إجراء لقاءات تعريفية جماعية وأخرى فردية مع الطلاب، وكذلك مع أولياء أمورهم وتنظيم جلسات إرشادية أسبوعية مع فريق عمل البرنامج.

راكان كردي.. إعاقته جسر لنجاحه

باع شاب سعودي من ذوي الاحتياجات الخاصة، أكثر من ١٠٠٠ لوحة رسمها منذ عام ٢٠٠٧، متغلبا بذلك على إعاقته.

ولم تمنع الإعاقة الشاب راكان كردي (٢٣ عاما)، من استثمار موهبته في الرسم، إذ تمكنت ريشته من رسم أجمل اللوحات الفنية، باستخدام أدوات الرسم بواسطة الحاسوب، ليستفيد منها في تحسين دخله.



ويعاني كردي شللا منذ ولادته، لكن تلك الإعاقة لم تدفعه لليأس، فأصر على تحديها حتى صار اسما في عالم الموهوبين؛ من خلال مشاركته في العديد من المهرجانات المحلية.

وفي تغريدات له على تويتر، يقول راكان: «إن إعاقتي هي الدافع الأكبر لكل قرار أتخذه في حياتي مهما كان صعبا، فهي التي تمدني بالتحفيز لكي أثبت لنفسي بأنها قادرة على الإنجاز والعطاء».

وأضاف: «الرسم لدي هو تعليم ذاتي، ليست لدي أي شهادات معتمدة من معاهد أو جامعات، فهذه موهبة من الصغر وبمجهودي نميتها إلى أن رأت النور».

وعبر حسابه على تويتر الذي يتلقى عبره الطلبات، بات راكان يرسم اللوحات حسب طلب الزبائن.

ونقلت قناة «العربية» عن راكان قوله، إنه باع أكثر من ١٠٠٠ لوحة منذ عام ٢٠٠٧م، ويظهر تسجيل مصور بثه على حسابه على موقع يوتيوب، راكان وهو يرسم صورة للملك سلمان بن عبدالعزيز بواسطة أداة الرسم الخاصة بالحاسوب.

كيف تهرب من أفكارك السلبية؟

تتراوح فترات التفكير السلبي من شخص لآخر، فبينما يتمتع بعض الأشخاص بشخصيات قوية وذهن إيجابي بشكل عام، هناك من يعانون من الأفكار السلبية ضد أنفسهم بشكل مستمر، بحيث لا يستطيعون التركيز إلا على الأمور السلبية.

والخطوة الأولى لتجنب المصاعب اليومية التي تأتي بسبب طرق التفكير المؤذية هي فهمها وكشفها فور تسللها إلى أدمغتنا.. والآن نقدم لك دليلا واضحا للتخلص من الأفكار السلبية، أعده موقع Psychology Today.



١- السعي إلى الكمال

كثيرا ما نقسو على أنفسنا في النقد، ونفشل في الوصول إلى المعايير العالية التي وضعناها لأنفسنا.. والنتيجة هي شعور دائم بعدم الرضا، ونظرة مهزوزة تجاه الذات. هذا لأن السعي إلى الكمال يؤدي إلى ارتباط تقبل الذات بأداء أمر جيد فقط.

الحل: فهم أن في الحياة عوامل تتدخل في قدرتنا على القيام بأي أمر، وأننا غير قادرين على السيطرة على حياتنا، وما يحصل فيها بشكل كلي. كما يجب عدم رؤية أي خطأ نقوم به على أنه مأساة.

٢- العيش مع الندم

الندم هو أحد المشاعر المؤذية التي نمر بها. وهو حالة ذهنية/حسية، تتضمن لوم الذات على النتائج السيئة، وتمني لو أننا اتخذنا قرارا مختلفا، وأحيانا يقود هذا الشعور إلى التعلم من الأخطاء السابقة، ولكن الإسراف به يعني الاستمرار بجلد الذات وتذكر الماضي وعدم التقدم في الحياة.

الحل: محاولة التركيز على اللحظة التي نعيشها، والنظر إلى المستقبل بإيجابية.

٣- مقارنة نفسك بالآخرين

والمشكلة في هذه المقارنات هي في أنها تؤخذ بالظاهر فقط، دون الانتباه إلى أن حياة الآخرين تخفي كثيرا من الأمور الأخرى التي قد تساعدهم على أن يكونوا أفضل، أو التي تجعلهم في الواقع أسوأ حظا.

الحل: الشخص الوحيد الذي يجب أن تقارن نفسك به هو نفسك؛ لأن الظروف تختلف كليا من شخص لآخر. لذا فمن غير العادل أن تقارن حالتين مختلفتين في الأمر ذاته.

٤- محاولة إرضاء الناس

تنبع محاولة إرضاء الناس من الرغبة في جعل الجميع يحبوننا، ما يؤدي إلى وضع رأي ومشاعر الآخرين فوق مشاعرنا، ومحاولة إرضائهم مهما كان الثمن. والمحاولة لإرضاء الآخرين دائما هي إحدى نتائج التعاطف المبالغ، فلمجرد العلم بأن أحدا سيشعر بالسوء لا يعني أنه من الواجب إرضاؤه.

الحل: ضع حدودا لما قد تبذله من أجل إرضاء الآخرين، ولا تخف من قول كلمة «لا». قد يشعرك الأمر بعدم الراحة لفترة قصيرة، لكن النتيجة ستكون مرضية أكثر على المدى البعيد.

موضوع العدد

معركة الوعي: سؤال المآلات



إعداد: د. عمرو عبدالكريم

إذا كان سؤال المقاصد يتعلق بالبواعث، فإن سؤال المآلات يتعلق بالغايات، وكلاهما من أشد أسئلة الوعي الحضاري إلحاحا على واقعنا المعاصر.

ففي مناهج التفكير الراشد التي تكرس الوعي الحضاري، تتساند الأسئلة وتتكامل دلالاتها لإدراك مناطات الأحكام وعللها وغاياتها، حتى يتسنى للمفكر والمجتهد تنزيل النصوص على الوقائع، وإدراك مراتب الأولويات، وأبعاد الموازنات، حيث تتساند مكونات هذه المنظومة المنهجية في إدراك فقه السنن (الشرعية والكونية)، وسنن الله في الآفاق والأنفس، وسنن السير في الأرض.

سؤال المآلات سؤال جوهري في إدراك عواقب الأحكام والرؤى، إذ لولا استصحاب المآلات لأمكن أن تؤدي الأحكام والآراء الاجتهادية إلى عكس مقصودها.

لذلك نجد أن النصوص الشرعية تضافرت على اعتبار المآلات، كما تكاتفت على بنائه وتأصيله النظرية العامة للشريعة؛ وتم استقراؤه من عامة النصوص ومفهوماتها.

يشير سؤال المآلات إلى ذلك النوع من أسئلة الوعي الحضاري التي تؤكد على أهمية إدراك المفكر والمجتهد لنتائج الحكم وعواقبه، وثمار العمل وآثاره، فالأحكام والمواقف والرؤى ليست أحكاما مجردة منبتة الصلة عن واقعها.

أصوليا؛ اعتبار المآلات يعني: أن المجتهد حين يجتهد ويحكم ويفتي عليه أن يقدر مآلات الأحكام والأفعال التي هي محل حكمه وإفتائه، وأن يقدر عواقب حكمه وفتواه، وألا يعتبر أن مهمته تنحصر في «إعطاء حكم شرعي»، بل مهمته أن يحكم في الفعل وهو يستحضر مآله أو مآلاته؛ وأن يصدر الحكم وهو ناظر إلى أثره أو آثاره، فإذا لم يفعل فهو: إما قاصر عن درجة الاجتهاد، أو مقصر فيها. (د. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، ص:٣٥٣).

ويؤصل الإمام الشاطبي لهذا الأمر بقوله: «النظر في مآلات الأفعال مقصود شرعا؛ وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعا لمصلحة فيه تستجلب؛ أو لمفسدة فيه تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية فربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد فلا يصلح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه عذب المذاق محمود العاقبة جار على مقاصد الشريعة» (الموافقات، ٤/١٩٤).

ولقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بتأصيل معتبر لأسئلة المآلات،

فالقرآن أكد على المسلمين ألا يسبوا أصنام المشركين إذا أدى إلى أن تسب الذات الإلهية، فقال سبحانه:

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨). واتفق العلماء -كما يقول ابن العربي- على أن تفسير الآية: لا تسبوا آلهة الكفار؛ فيسبوا الله سبحانه وتعالى (أحكام القرآن ٢/٧٣٤).

وفي سورة الكهف نجد أن أفعال العبد الصالح كلها عللت بغايات

مآلية: خرق السفينة ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف:٧١)، فعلل: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف:٧٩).

وكذلك المنهج في مسألة قتل الغلام، وعملية بناء الجدار.

وفي السنة النبوية نجد أن النبي ﷺ امتنع عن قتل المنافقين مع علمه بهم ومع علمه باستحقاقهم القتل، وقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي» (كما روى أحمد في مسنده).

كما تخلى النبي عن إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم حتى لا يثير بلبلة بين العرب، وكثير منهم حديثو عهد بالإسلام، فقال مخاطبا عائشة رضي الله عنها: «ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم». قالت: فقلت يا رسول الله، أفلا تردها على قواعد إبراهيم. فقال: رسول الله ﷺ: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت» (كما رواه مالك في الموطأ)؛ وفي رواية أخرى: «لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم»؛ والحديث متفق عليه (باب نقض الكعبة وبنائها).

فلولا مراعاة المآلات والنتائج لوجب قتل المنافقين، وإعادة بناء البيت على قواعد إبراهيم، ولكن الأول كان سيفضي إلى نفور الناس من الإسلام خشية أن يقتلوا بتهمة النفاق، والثاني يؤدي إلى اعتقاد العرب أن النبي يهدم المقدسات ويغير معالمها. (د. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص:٥٤).

ويقوم سؤال المآلات على ثلاثة أسس:

الأول هو استقراء تام للجزئيات حتى يمكن صياغة الكليات أو الوصول إليها، وهو أمر يعتمد على قراءة عميقة للأحداث التي تتشكل منها المواقف، ولذلك فالمفكر والمجتهد بحاجة إلى استقراء جزئيات الواقع، وتحديد العوامل التي تؤثر في مساره. وإذا كان علم الاجتماع يحدد عناصر الثقافة في: اللغة والعادات والقيم كما يقول مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة، فإن المفكر الذي يؤصل لقضايا الوعي الحضاري بحاجة إلى تحديد الإطار العام لعناصر الثقافة، وهو الإطار الحضاري الذي يجعل من الدين الوحدة الأساسية لتحليل الأحداث الجزئية والكلية، أو على حد تعبير بن نبي: استخدام الفكرة الدينية لتفعيل عناصر الحضارة وهي الإنسان والتراب والزمن.

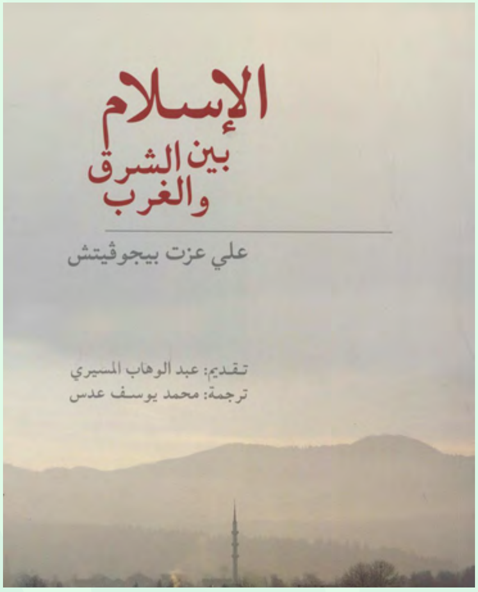
الأساس الثاني هو: فقه السنن الكونية والحضارية التي زخرت بها آي القرآن الكريم (سنن الآفاق والأنفس وسنن الحضارات: التي تفسر قيامها وسقوطها).

الأساس الثالث هو: الاعتماد على آليات النظر الاستراتيجي المعتمد في الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية المعاصرة، وما تعتمده من مؤشرات تبنى عليها الخطط الاستراتيجية والتنموية (أنظر: د. يونس صوالحي، الشباب الإسلامي المعاصر، وضرورة الاجتهاد الدعوي).

وفي واقعنا المعاصر يفرض سؤال المآلات نفسه في كل القضايا المطروحة، فليس ثمة بديل عن إنارة سبيل الرشد إلا ضرورة النظر في عواقب كل فعل أو قول ليكون المباح منها مفضيا إلى يسر الناس في حياتهم، وليكون الحرام مفضيا إلى نبذ الشر والضر عنهم، وليكون الواجب مفضيا إلى جلب المصلحة لهم حتى لو شاب تلك المصلحة عنت محتمل في العادة، فإذا ما أدى الواجب إلى شدة عنت لا تحتمل في العادة تنزلت الضرورات ثم الحاجات لتفعل فعلها تيسيرا على الناس، وإذا ما أدى الحرام إلى شيء من ذلك كان مثل ذلك (د. عمرو عبدالكريم سعداوي، في فقه المآلات، جريدة المصريون ١٩ يناير ٢٠١٠م).

والخلاصة: إن سؤال المآلات يمكّن المفكرين والمجتهدين من إدراك نتائج الأعمال اعتمادا على غلبة الظن القريب من القطع. وحتى يحصل هذا الإدراك لابد أن توزن الأعمال بميزان الشرع، ومعرفة الواقع، ورصد التحولات، وإدراك الثوابت والمتغيرات، كما يفرض على المهتمين معرفة كثير من أصول علم استشراف المستقبل، والقدرة على التحليل، ودراسة النتائج بناء على المعطيات الميدانية. ولعل ذلك ما يجنب الأحكام آثار الارتجالية وردات الفعل، ويجعلها قائمة على الدراسة والتمحيص، لا على الظن والهوى.

الإسلام بين الشرق والغرب



علي عزت بيجوفيتش
ترجمة محمد يوسف عدس
تقديم د. عبدالوهاب المسيري
مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات ١٩٩٤م.

أشد ما لفت نظري إلى هذا الكتاب هو قول المفكر عبدالوهاب المسيري عنه إنه لو قرأه مبكرا في حياته لوفر من عمره ثمانية عشر عاما من السير في دروب الأفكار والفلسفات المختلفة.

يناقش هذا الكتاب أبرز الأفكار العالمية في تاريخ البشرية المعاصر، وللإجابة على كثير من الأسئلة التي تهم الجيل الجديد، فالهدف منه هو إنارة الطريق للبشرية التي تتجه إلى مركب جديد وموقف وسطي جديد في عصر المعضلات الكبرى والخيارات، وحيث لا يمكن فرض الأيديولوجيات المتضاربة على الجنس البشري، فإن الإسلام هو مستقبل الإنسان، لأنه يدعو إلى خلق إنسان متسق مع روحه وبدنه.

وعن طبيعة هذا الكتاب، يقول مؤلفه في مقدمته إن هذا الكتاب ليس في اللاهوت، ولا مؤلفه من رجال اللاهوت، إنه محاولة لترجمة الإسلام إلى اللغة التي يتحدث بها ويفهمها الجيل الجديد؛ إنه كتاب يتناول عقائد الإسلام ومؤسساته وتعاليمه بقصد اكتشاف موقع الإسلام في إطار الفكر العالمي، ويناقش عددا من الأفكار العالمية التي تهم البشرية من خلال دراسة متعمقة وموسوعية موجزة.

يشتمل الكتاب على قسمين رئيسيين: القسم الأول: يحمل عنوان المقدمات، ويتناول نظرات حول الدين بصفة عامة من خلال مناقشة موقف كل من الدين والإلحاد من قضية أصل الإنسان والقضايا الأخرى المتعلقة بها، ومنها: الخلق والتطور، الثقافة والحضارة، ظاهرة الفن، الأخلاق، الثقافة والتاريخ، والدراما والطوبيا.

أما القسم الثاني من الكتاب، فإنه مخصص للإسلام، فالإسلام -كما يقول المؤلف- ليس مجرد دين أو طريقة حياة فقط، وإنما هو بصفة أساسية مبدأ تنظيم الكون، فكما أن الإنسان هو وحدة الروح والجسد، فالإسلام وحدة بين الدين والنظام الاجتماعي، وكما أن الجسم في الصلاة يمكن أن يخضع لحركة الروح، فإن النظام الاجتماعي يمكن أن يخدم بدوره المثل العليا والأخلاق، هذه الوحدة الغريبة عن المسيحية وعن المذهب المادي معا، ميزة في الإسلام، بل هي من أخص خصائص الإسلام.

يبدأ علي عزت بيجوفيتش في الفصل الأول من كتابه مناقشة قضية أصل الإنسان؟ وماهية الحياة؟ وهي القضية التي تعد حجر الزاوية لكل أفكار العالم، فأي مناقشة تدور حول كيف ينبغي أن يحيا الإنسان تأخذنا إلى الوراء.. إلى حيث مسألة أصل الإنسان، وفي ذلك تتناقض الإجابات التي يقدمها كل من الدين والعلم، كما هو الشأن في كثير من القضايا.

ويكشف بيجوفيتش كيف أن العلماء على جهل بحقيقة ماهية الحياة وبدخائل النفس البشرية إلى حد لا يمكن معه أبدا الجزم بشيء على أي درجة من المصداقية، ويصل إلى حقيقة مهمة وهي أن آفة من تعرضوا لهذا السؤال هي الوقوف بعيدا عن نقطة الوسط.

ويؤكد المؤلف على أن الإنسان ليس مفصلا على طراز

داروين، ولا الكون مفصلا على طراز نيوتن. ويقول: الإسلام هو الاسم الذي يطلق على الوحدة بين الروح والمادة، وهو الصيغة الأسمى للإنسان نفسه. فالإنسان في منظور الإسلام مخلوق كرمه الله، إنه الإنسان المكون من جسد وروح، والمسيطر بمنهج إلهي على الطبيعة التي سخرها الله له، وهو في كل هذا يسجد لله وحده، فهو سيد في علاقته مع الله.

ولا تقتصر الرؤية الإسلامية الوسطية في فكر بيجوفيتش على ما ذكر من قبل، ولكنه يرى أن هناك منظومة فكرية تحرك القدرات العقلية للإنسان إلى ما هو أبعد من العلاقات الطبيعية البسيطة المنظورة لبحث ما وراء الطبيعة. والغرض ليس فك هذه الرموز، إنما اكتساب التواضع والوعي بالجهل.

ويؤكد بيجوفيتش على أن وسطية الإسلام يمكن إدراكها من خلال حقيقة أن الإسلام كان دائما موضع الهجوم من الجانبين المتعارضين الدين والعلم.

ويوضح حقيقة مهمة من حقائق الإسلام بقوله من أجل مستقبل الإنسان ونشاطه العلمي، يعنى الإسلام بالدعوة إلى خلق إنسان متسق مع روحه وبدنه، ومجتمع تحافظ قوانينه ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية على هذا الاتساق ولا تنتهكه، إن الإسلام هو البحث الدائم عبر التاريخ عن حالة التوازن الداخلي والخارجي هذا هو الإسلام اليوم، وهو واجبه التاريخي المقدر له في المستقبل، إن الإسلام لم يكن مجرد أمة إنما هو على الأرجح دعوة إلى أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أي تؤدي رسالة أخلاقية.

وفي القسم الثاني من الكتاب يتناول معجزة الإسلام كوحدة ثنائية القطب، ويتناول جوانب من إعجاز كتاب الإسلام في صيغته المكتوبة، وهو القرآن الكريم، ويصف القرآن بأنه حياة.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

مفهوم حرمة المسلم

كان عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- ينظر إلى الكعبة ويقول: «إن الله حرمك وشرفك وكرمك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله تعالى منك».
(عبدالله بن عباس)

في مفهوم التوكل

يقول الإمام أحمد بن حنبل:
«التوكل.. قطع الاستشراف باليأس من الناس».

في مفهوم الاستبداد

يقول عبدالرحمن الكواكبي:
«المستبد عدو الحق وعدو الحرية وقاتلها، وهو يود أن تكون رعيته بقرا تحلب، وكلابا تتذلل وتتملق، وهو يرجع عن استبداده وظلمه إذا وقفت الرعية في وجهه وقاومت ظلمه واستبداده».



إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

الأدوية المشتملة على محرم

الخلاصة الحكمية

١- لا يجوز استعمال الخمرة الصرفة دواء بحال من الأحوال؛ إلا أنه يجوز استعمال الأدوية المشتملة على الكحول بنسب مستهلكة تقتضيها الصناعة الدوائية التي لا بديل عنها، بشرط أن يصفها طبيب عدل، كما يجوز استعمال الكحول مطهرا خارجيا للجروح.

٢- إذا حصل تغير أو استحالة للمواد والأعيان النجسة إلى مادة أخرى، فإن بعض المذاهب الإسلامية يعتبر هذه الاستحالة مطهرة لها، فتصبح المادة النجسة طاهرة، ويحل أكلها والانتفاع بها. وهذا ما تأخذ به هيئة الفتوى «الكويتية» تيسيرا على الناس.

٣- أجاز مجلس المجمع الفقهي الإسلامي التداوي بالهيبارين الجديد ذي الوزن الجزيئي المنخفض عند عدم وجود البديل المباح الذي يغني عنه في العلاج، أو إذا كان البديل يطيل أمد العلاج. مع الأخذ في الاعتبار عدم التوسع في استعماله إلا بالقدر الذي يحتاج إليه.

٤- لا يجوز تناول الأغذية والأشربة والأدوية المشتملة على الجيلاتين المستخرج من جلود الخنزير والأعيان النجسة، خصوصا مع وجود البديل في الأنعام التي أحلها الله.

● **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

■ أولا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لـ «رابطة العالم الإسلامي» في دورته السادسة عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، في المدة من: ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ، التي توافق ٥-١٠/١/٢٠٠٢م، وبعد النظر في الأبحاث المقدمة عن الأدوية المشتملة على الكحول والمخدرات، والمداولات التي جرت حولها، وبناء على ما اشتملت عليه الشريعة من رفع الحرج، ودفع المشقة، ودفع الضرر بقدره، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وارتكاب أخف الضررين لدرء أعلاهما، قرر ما يلي:

١- لا يجوز استعمال الخمرة الصرفة دواء بحال من الأحوال؛ لقول رسول الله ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم» (رواه البخاري في الصحيح). ولقوله: «إن الله أنزل الداء وجعل لكل داء دواء فتداووا، ولا تتداووا بحرام» (رواه أبو داود في السنن، وابن السني، وأبونعيم). وقال لطارق بن سويد، لما سأله عن الخمر تجعل في الدواء: «إن ذلك ليس بشفاء، ولكنه داء» (رواه ابن ماجه في سننه، وأبونعيم).

٢- يجوز استعمال الأدوية المشتملة على الكحول بنسب مستهلكة تقتضيها الصناعة الدوائية التي لا بديل عنها، بشرط أن يصفها طبيب عدل، كما يجوز استعمال الكحول مطهرا خارجيا للجروح، وقاتلا للجراثيم، وفي الكريمات والدهون الخارجية.

٣- يوصي المجمع الفقهي الإسلامي شركات تصنيع الأدوية، والصيادلة، في الدول الإسلامية، ومستوردي الأدوية، بأن يعملوا جهدهم في استبعاد الكحول من الأدوية، واستخدام غيره من البدائل.

٤- كما يوصي المجمع الفقهي الإسلامي الأطباء بالابتعاد عن وصف الأدوية المشتملة على الكحول ما أمكن.

انتهى القرار.

● **التعليق:**

الذي يظهر -والله تعالى أعلم- أن هذه النسبة القليلة من الكحول المسكر في الأدوية لا يحرمها على مستعملها، ولا يحكم بنجاستها لأجلها؛ وذلك أن المسكر إذا خلط بنسبة قليلة مع الماء، أو الدواء، فإنه يستهلك ولا يبقى له أثر، فلا يصير الشراب المشتمل على نسبة كحول ٥ في المئة مثلا مسكرا، والإسكار هو علة التحريم في الخمر، فإذا انتفت عن ذلك المخلوط: لم يأخذ حكم التحريم الوارد في الخمر؛ لا من حيث حرمة تناوله، ولا من حيث نجاسته.

يقول الخطيب الشربيني رحمه الله: «محل الخلاف في التداوي بها -يعني بالخمر- بصرفها، أما الترياق المعجون بها ونحوه مما تستهلك فيه؛ فيجوز التداوي به عند فقد ما يقوم مقامه، مما يحصل به التداوي من الطاهرات، كالتداوي بنجس، كلحم حية، وبول، ولو كان التداوي بذلك لتعجيل شفاء، بشرط إخبار طبيب مسلم عدل بذلك، أو معرفته للتداوي به»؛ انتهى. (مغني المحتاج، ٥/٥١٨).

■ ثانيا: ما عرض على لجنة الفتوى

الكويتية (ج٢٠/ص٣٤٣/ف٦٥٠٥)؛ حول «إدخال مواد محرمة في الأطعمة»؛ وبيان الحكم الشرعي في موضوع الأغذية التي تدخل في تصنيعها مشتقات من حيوان الخنزير، ومن المواد المضرة بصحة الإنسان، والتي يرمز لها على غلاف السلع «E١٠٠ - E١٨١» على سبيل المثال لا الحصر؛ ومما أجابت به:

كل مطعوم أو مشروب يكون حلالا للإنسان إذا لم يكن محرما شرعا أو لم يوجد فيه محرم، ومن المحرمات في الطعام والشراب: المسكرات والنجاسات، وما فيه إضرار بالصحة كالسموم وغيرها من المواد المضرة، فإذا ثبت قطعا أو بظن غالب أن في مطعوم أو مشروب مادة مسكرة أو نجسة أو مضرة بالصحة حرم، وإلا فلا يحرم، ومدار ثبوت ذلك على المختصين والمسؤولين عن الشؤون الصحية.

كما ترى اللجنة أنه إذا حصل تغير أو استحالة للمواد والأعيان النجسة إلى مادة أخرى، فإن بعض المذاهب الإسلامية يعتبر هذه الاستحالة مطهرة لها، فتصبح المادة النجسة طاهرة، ويحل أكلها والانتفاع بها. وهذا ما تأخذ به هيئة الفتوى تيسيرا على الناس.

أما إذا لم تتحول إلى مادة أخرى، فإنها تبقى نجسة محرمة إلا في حال الاضطرار، ومنه استعمال الأدوية التي لا يقوم مقامها شيء من الأدوية الحلال، ولا تعارض بين حكم الضرورة وبين أصالة تحريم التداوي بالمحرمات في حال السعة والاختيار. والله أعلم.

وتوصي اللجنة الجهات المسؤولة بمتابعة جميع الأغذية من مطعومات أو مشروبات للتأكد من خلوها من كل المحرمات والمواد المضرة بصحة الإنسان، ومنع تناول أو تداول ما كان غير خال منها، حفاظا على صحة الأمة.

■ ثالثا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لـ «رابطة العالم الإسلامي» في دورته السادسة عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من: ١٩-٢٣/١٠/١٤٢٤هـ التي توافق ١٣-١٧/١٢/٢٠٠٣م، قد نظر في موضوع: «حكم استعمال الدواء المشتمل على شيء من نجس العين، كالخنزير، وله بديل أقل منه فائدة؛ كالهيبارين الجديد ذي الوزن الجزيئي المنخفض»، وقدمت فيه بحوث قيمة، وكان مما اشتملت عليه هذه البحوث ما يلي:

١ - يراد بالهيبارين: مادة تنتجها خلايا معينة في الجسم، وتستخلص عادة من أكباد ورئات وأمعاء الحيوانات، ومنها البقر والخنزير. أما الهيبارين ذو الوزن الجزيئي المنخفض فيهيأ من الهيبارين العادي بالطرق الكيميائية المختلفة. وهما يستخدمان في علاج أمراض مختلفة، كأمراض القلب والذبحة الصدرية، وإزالة الخثرات الدموية، وغيرها.

٢ - إن عملية استخلاص الهيبارين ذي الوزن الجزيئي المنخفض من الهيبارين العادي تتم بطرق كيميائية تنتج عنها مركبات جديدة مختلفة في خواصها، وصفاتها الفيزيائية، والكيميائية، عن الهيبارينات العادية، وهو ما يعبر عنه الفقهاء بالاستحالة.

٣ - إن استحالة النجاسة إلى مادة أخرى مختلفة عنها في صفاتها وخواصها؛ كتحول الزيت إلى صابون ونحو ذلك، أو استهلاك المادة بالتصنيع وتغير الصفات والذات، تعد وسيلة مقبولة في الفقه الإسلامي للحكم بالطهارة وإباحة الانتفاع بها شرعا.

وبعد المناقشات المستفيضة من المجلس للموضوع، وما تقرر عند أهل العلم، وما تقتضيه القواعد الشرعية من رفع الحرج ودفع المشقة، ودفع الضرر بقدره، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وارتكاب أخف الضررين لدرء أعلاهما مشروع، قرر المجلس ما يأتي:

١- يباح التداوي بالهيبارين الجديد ذي الوزن الجزيئي المنخفض عند عدم وجود البديل المباح الذي يغني عنه في العلاج، أو إذا كان البديل يطيل أمد العلاج.

٢- عدم التوسع في استعماله إلا بالقدر الذي يحتاج إليه، فإذا وجد البديل الطاهر يقينا يصار إليه؛ عملا بالأصل، ومراعاة للخلاف.

٣- يوصي المجلس وزراء الصحة في الدول الإسلامية بالتنسيق مع شركات الأدوية المصنعة للهيبارين، والهيبارين الجديد ذي الوزن الجزيئي المنخفض، على تصنيعه من مصدر بقري سليم.

● تعليق وبيان:

أما بالنسبة إلى الجيلاتين إذا كان محضرا من محرم؛ فقد سئلت اللجنة الدائمة: هل الجيلاتين حرام؟

فأجابت: «الجيلاتين إذا كان محضرا من شيء محرم؛ كالخنزير، أو بعض أجزائه؛ كجلده، وعظامه، ونحوهما؛ فهو حرام، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ (المائدة:٣)، وقد أجمع العلماء على أن شحم الخنزير داخل في التحريم، وإن لم يكن داخلا في تكوين الجيلاتين، ومادته شيء من المحرمات فلا بأس به». (فتاوى اللجنة الدائمة، ٢٢/٢٦٠).

والحاصل:

أنه لا يجوز تناول الأغذية والأشربة والأدوية المشتملة على الجيلاتين المستخرج من جلود الخنزير والأعيان النجسة، خصوصا مع وجود البديل في الأنعام التي أحلها الله، فمن الممكن أن تتم صناعة الجيلاتين من هذه الأنعام المذكاة، وهي تؤدي الغرض نفسه في صناعة الدواء أو الغذاء.

وللاستزادة ينظر: (النوازل في الأشربة؛ لزين العابدين الإدريسي، ص:٢٨٧).

من علامات صحة القلب

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله أو يخبت إليه».

(إغاثة اللهفان، ص:٧١)

عيوب المجالس

قال العلامة ابن حزم الأندلسي رحمه الله: «لو لم يكن في مجالس الناس إلا عيبان لكفيا، أحدهما: الاسترسال عند الأنس بالأسرار المهلكة القاتلة، التي لولا المجالسة لم يبح بها البائح. والثاني: مواقعة الغلبة المهلكة في الآخرة، فلا سبيل إلى السلامة من هاتين البليتين إلا بالانفراد عن المجالسة جملة».

(مداواة النفوس، ص:٢٧)

الصلاة قرة عين العارفين

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «الصلاة قرة عين العارفين، والإنسان إنما يشتاق إلى من يشعر به من المحبوبات، فأما ما لم يشعر به فهو لا يشتاق إليه، ولو شعر به لكان شوقه إليه أشد من شوقه إلى غيره».

(درء تعارض العقل والنقل، ٧٣/٦)

عظ وانصح وإن كنت مقصرا

قال ابن رجب رحمه الله: «لو لم يعظ إلا معصوم من الزلل؛ لم يعظ الناس بعد رسول الله ﷺ أحد».

(لطائف المعارف، ص:١٩)

وصية

أوصى الإمام الشافعي تلميذه الربيع بن سليمان، رحمهما الله تعالى، فقال له: «يا ربيع، رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم. واعلم أن من تعلم القرآن جل في عيون الناس، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يهذب نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى».

(حلية الأولياء لأبي نعيم، ١٢٣/٩)

التربية بين الأب والمعلم

إن تربية المعلم أهم من تربية الأب؛ لأن تربية الأب سبب لوجوده في الحياة الفانية، والمعلم سبب في الحياة الباقية.

(الكشكول للعلامة ابن عقيل النجدي، ص:٢٦٧)

الإمام الرحالة

قال العلامة الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في الإمام أبي داود رحمهما الله: «أحد أئمة الحديث الرحالين الجوالين في الآفاق والأقاليم».

ومن أبرز محطاته في طلب الحديث «هراة، بغلان، الري، نيسابور، أصبهان، بلاد طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان، بغداد، البصرة، الكوفة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، دمشق، حمص، حلب، حران، الجزيرة، الرملة، طرسوس، بيروت، مصر، ثم رجع إلى خراسان، ثم إلى سجستان، ثم إلى بغداد، ثم إلى البصرة وبها توفي رحمه الله.. فتأمل!».

كل هذا يدل على ما كان يتحلى به هؤلاء العلماء من همة عالية لا تتوافر إلا لأصحاب العزائم.

(المدخل إلى سنن الإمام أبي داود، ص٢٢)

نقطة البداية

قال العلامة مالك بن نبي رحمه الله: «إذا قررنا أن نصعد نحو القمر في هذه الدقيقة؛ فعلينا أن نضع سلما على هذا الحائط توا ونبدأ الرقي».

(مذكرات مالك بن نبي، ١/٢٣٧)

ما أراك تعرفه

«زكى رجل رجلا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ فقال الرجل: لا. قال عمر: ما أراك تعرفه».

وعن بعض السلف: «إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه إذ ذاك؛ لأن السفر يسيء الأخلاق، ويكثر الضجر، ويخرج مكامن النفس من الشح والشره».

(الوعظ المطلوب للقاسمي، ص:٥٢)

صيانة السعي عن العبث

قال العلامة محمد بن حسن الشطي (توفي ١٣٠٧هـ): «اعلم أنه يجب صناعة على من يريد الخوض في علم من العلوم على الوجه الأكمل، أن يتصور أولا مبادئه ليكون على بصيرة في طلبه، ويصون سعيه عن العبث».

(الفتح المبين في تلخيص كلام الفرضيين، ص:٢١)

المزاح والمفاكهة

سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن المفاكهة، فقال: «لا بأس بالمفاكهة؛ يخرج بها الرجل عن حد العبوس».

وسئل النخعي رحمه الله: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: «نعم، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي».

(المراح في المزاح، ص:٥٧)

درة غالية

قال أبوخلاد رحمه الله: «ما من قوم فيهم من يتهاون بالصلاة ولا يأخذون على يديه، إلا كان أول عقوبتهم أن ينقص من أرزاقهم».

(فتح الباري لابن رجب، ٣/١٤٤)

الصديق والقريب

- قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب».
- قال الخليل بن أحمد: «الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال».
- قيل للخليل: استفساد الصديق أهون من استفساد العدو؟ فقال نعم، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه.
- قال ميمون بن مهران: «صديق لا تنفعك حياته؛ لا يضرك موته».
- قيل لابن المقفع: «الصديق أحب إليك أم القريب؟ فقال: القريب أيضا يحب أن يكون صديقا».

(الحديقة لمحب الدين الخطيب، ٣/١٣٠٢)

دوام الحمد والاستغفار

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «من أدام الحمد تتابعت عليه الخيرات، ومن أدام الاستغفار فتحت له المغاليق».

(الداء والدواء، ١٨٨)

أرفع الناس قدرا

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره، وأكثر الناس فضلا من لا يرى فضله».

(المناقب للبيهقي، ٢/٢٠١)

ترتيب العلوم

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: من المذاهب الجميلة، والطرق الواجبة في التعليم، ألا يخلط على المتعلم علمان معا؛ فإنه قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر؛ فيستغلقان معا، ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة.

(المقدمة، ص:٤٥٩)

إعداد: التحرير

«أميـن الأمة» وصاحب رسول الله!

كـان رجـلا مـن أعـظـم رجـالات قـريش، وكـان شـامـة بين الناس... اجتمع فيه من صفات الفروسية والعلم والزهد والحلم والتواضع والمودة ما لم يجتمع في سواه من الناس.
كان أحد السابقين الأولين للإسلام، حضر الغزوات، وشارك في الفتوحات الإسلامية... بشره الرسول ﷺ بالجنة، ولقبه بـ «أمين الأمة»، واقترح أبوبكر الصديق أن يوليه الخلافة يـوم اجتمعوا فـي «سقيفة بني سـاعـدة» لاختيـار خليفة للمسلمين بعد رسول الله؛ لشرفه، وعدله، وصدقه، وكرمه، وقوة إيمانه، وكمال أهليته. وقد أرسله أبوبكر للشام، وعينه عمر قائدا للجيش، كان فارس موقعة فأبلى بلاء حسنا... ترى من يكون هذا الرجل العبقري الفذ؟!
إنه «أبوعبيدة عامر بن الجراح» صاحب رسول الله ﷺ.
نعم! إنـه «أبـوعبيدة بن الجـراح» صاحب المنزلة الرفيعة، والأخلاق الجميلة، والمناقب العديدة.. يكفي أنه كان ممن هاجر إلى الحبشة، وأنه أحد العشرة القرشيين المبشرين بالجنة، وأنه روى من الأحاديث الشريفة التي سمعها من رسـول الله ﷺ، وأن النبي ﷺ مات وهو عنه راض، وأنه كان فيمن جمع القرآن الكريم، توفي سنة ثمان عشرة من الهجرة، وله ثمان وخمسون سنة!
نعم! إنـه «أبـوعبيـدة بـن الجـراح» فتى الفتيـان، وفارس الفرسان!
الذي قال عنه الخليفة العادل عمر بن الخطاب: إن أدركني أجلي وأبوعبيدة حي، استخلفته عليكم، فإن سألني الله - عز وجل -: لم استخلفته على أمة محمد؟ قلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح».
كـان «أبـوعـبـيـدة» رجـلا نحيف الجـسـم، مـعـروق الوجه، خفيف اللحية، مبتسما، بشوشا، تعرف في وجهه نضرة النعيم، أحبته قريش كلها، ووثق به الصحابة أجمعين.. لذلك؛ عندما ذهب ليعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ في «دار الأرقم» انطلق معه على الفور كثير من الرجال الشرفاء؛ مثل: عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبدالرحمن ابـن عـوف، وأبوسلمة بـن عبدالأسد... وهـنـاك عـرض عليهم الـرسـول ﷺ الإسـلام، وأنبأهم

الدرس الإسلامي في النظام البلجيكي

تنتهج الـدولـة البلجيكية سياسة الحـيـاد الـديـنـي، إذ إن علاقتها بالأديان ينظمها قانون ٠٤ مارس ١٨٧٠م (والمعدل في سنوات ١٩٧٤م، ١٩٨٥م، ١٩٩١م)، والـذي ينص على تحمل الدولة الجانب المادي لأنشطة الأديان المعترف بها، وعلى تمويلها ماليا، من دون تدخل في جانب الشعائر والممارسات الدينية. وكفل الدستور البلجيكي حرية المعتقد والتدين لجميع الأفراد داخل التراب البلجيكي، كما نصت على ذلك المادة ١٩ من الباب الأول من الدستور، التي جاء فيها: «تضمن الدولة حرية الأديان وممارسة شعائرها، إضافة إلى حرية التعبير عن الآراء والتوجهات».
وقد كان للمركز الإسلامي والثقافي ببلجيكا قصب السبق في إظهار الدين الإسلامي في الأوساط الرسمية البلجيكية، إذ حظي بظهير ملكي في ٠٧ مايو ١٩٦٨م، يمنحه صفة المؤسسة المدنية ببلجيكا، وكان هذا الحدث مؤشرا إيجابيا على بداية للاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي ببلجيكا.
بعد الاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي سنة ١٩٧٤م، كان لزاما على كل مؤسسة تعليمية عمومية بلجيكية - استنادا إلى قانون الاتفاقية المدرسية - تنظيم دروس في الدين الإسلامي بمجرد طلب واحد في هذا الشأن، من قبل أحد آباء تلاميذ المؤسسة. وقبل هذا كانت هناك بعض المدارس التي بها عدد مهم من التلاميذ المسلمين، تقدم دروسا في الدين الإسلامي بمبادرة ذاتية منها حتى قبل الاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي. وتم تقنين هذه الوضعية من خـلال دوريـة لـوزيـر التربية البلجيكي بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٧٥م أشار فيها إلى أنه ينبغي تقديم حصص في الدين الإسلامي في المدارس العامة ابتداء من الموسم الدراسي ١٩٧٥م/١٩٧٦م، ثم تلاها الظهير الملكي المؤرخ في ٠٣ مايو ١٩٧٨م السالف الذكر، فتم بذلك إدماج الدرس الإسلامي كمكون رئيس داخل مادة التربية الدينية في المدارس العمومية البلجيكية، بواقع ساعتين في الأسبوع في مرحلتي التعليم

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الشيب.. النذير العريان

شعرات بيضاء تتسرب إلى سواد اللحية والرأس.. قليلة لكنها مقلقة، وبيضاء لكن الجميع لا يحبونها.. إنها أمارة الكبر وعلامة الكهولة ونذير لأيام العمر التي تسرب منها الكثير دون أن ندري. خاصة وأن هذه الشعرات لها أخوات سرعان ما يظهرن تباعا، وقرينات ربما غطين سواد الرأس في سرعة خاطفة.

والشيب رسالة لا يقرأها إلا الفطناء، ولا ينتبه لها إلا أهل العقل والرشد، فتراهم يلتفتون لأحوالهم ويصححون مسارهم ليحسن مآلهم، أما الغافلون فهم لا ينتبهون، وإن انتبهوا رأوا في الشيب سنة عابرة وظاهرة ماضية في البشر، ورأى بياض رأسه وما اعتبر.

ومن نام في ليل الشباب ضلالة

سيوقظه صبح المشيب إلى الرشد

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ (فاطر:٣٧).

أي: أولم نعمركم تعميرا يتذكر فيه المتذكر. وهو متناول لكل عمر يتمكن منه المكلف من إصلاح شأنه، والتدبر في آياته، وإن قصر، إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم. وقيل: هو ثمان عشرة سنة. وقيل: ما بين العشرين إلى الستين، وقيل: أربعون. وروي أن العبد إذا بلغ أربعين سنة ولم يتب، مسح الشيطان على وجهه. وقال: «وجه لا يفلح أبدا»، وقيل: ستون. وعنه ﷺ: «العمر الذي أعذر الله فيه ابن آدم ستون سنة»، وفي البخاري عنه ﷺ: «أعذر الله إلى أمرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة» (البحر المديد: ٥/١٨٧).

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم، من شاب شيبة في الإسلام، كتب الله له بها حسنة، وكفر عنه بها خطيئة، ورفعه بها درجة» (رواه أحمد).

فجر المشيب أوضح فجر يعاينه الإنسان، وهو فجر صادق لا يعتريه كذب ولا بهتان، فينبغي أن يكون بداية حياة جديدة عامرة بالتقوى والإيمان، ومجافاة أهل الضلال والخذلان، فالسعيد من قبل النذارة، والرشيد من رأى المنارة، فاهتدى بنورها، وسار على دربها، فبياض شيب المعتبرين، بيض وجههم يوم لقاء رب العالمين ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٦-١٠٧).

• د. خالد النجار

بشرائعه، فأسلموا في ساعة واحدة!

كان «عمر بن الخطاب» من أشد المعجبين بفروسية أبي عبيدة؛ لدرجة أنه بمجرد أن تولى الخلافة بعد أبي بكر؛ أمر بتولية أبي عبيدة القيادة العسكرية، بدلا من خالد بن الوليد.

ذات مرة؛ أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف دينار، وقال للرجل: انظر ما يصنع بها، قال: فقسمها أبوعبيدة بين المحتاجين، فلما أخبر عمر بذلك، قال: الحمد لله الذي جعل في الرعية من يصنع هذا.

من هنا نعلم؛ سر مقولة عمر لجلسائه: تمنوا، فتمنوا، فقال عمر: لكني أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح!

• نجاح منصور

الأولي وكذا الثانوي. وقد لقي الدرس الإسلامي إقبالا متناميا، وما فتئ عدد المستفيدين يتزايد من سنة لأخرى، ولم يقتصر الأمر على التلاميذ المسلمين بل تعداه إلى تسجيل واستفادة عدد من المسيحيين من الدرس الإسلامي.

إلى جانب تعليم الدين الإسلامي لأبناء المسلمين في المدارس العامة البلجيكية، تتولى عدد من المدارس الخاصة الإسلامية والعربية توفير فرص التعليم لأبناء المسلمين، وخاصة في المراحل المدرسية الأولى، وتبرز من بينها مدرسة الغزالي بالعاصمة بروكسيل، والتي تعد أول مدرسة إسلامية خاصة ببلجيكا أسست سنة ١٩٨٩م.

• محمد بلهادي

بدعة رد السنة

حذر رسول الله ﷺ من البدعة وقرر أن من شرور الأمور محدثاتها وأكد على أن كل محدثة بدعة وأن كل بدعة في النار وهو ما سار عليه صحابته الكرام وتمسكوا به وعضوا عليه بالنواجذ حتى أصبح اتباع السنة والتحذير من البدعة شعارا للتمييز بين أهل السنة وأهل البدعة، كما قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ»، فعُلِم أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف في التمسك بالسنة والتحذير من البدعة.

ولقد صار السني في اصطلاح أهل البدع من لا يقرهم على بدعتهم أو لا يسير على طريقتهم وذلك لأنهم أكثر مخالفة للأحاديث النبوية ولمعاني القرآن، وأكثر قدحا في سلف الأمة وأئمتها، وطعنا في جمهور علماء الأمة، فلما كانوا أبعد عن متابعة السلف كانوا أشهر بالبدعة، وهناك طوائف تقترب وتبتعد بدرجات متفاوتة كلا حسب ما لديه من سنة وما عليه من بدعة لا تمت إلى طريقة السلف بل قد يوافقونهم في أكثر مقالاتهم.. لكن كل من كان بالحديث من هؤلاء أعلم، كان بمذهب السلف أعلم، وله أتبع، وإنما يوجد تعظيم السلف عند كل طائفة بقدر استنانها، وقلة ابتداعها.

وإن أخطر بدعة ضلال على الإطلاق استعر حرها وتوسع القول بها تلك التي تنذر حاملها، والداعي إليها، ومروجها بخطر المروق من الدين بالكلية: بدعة ادعاء الأخذ بالقرآن الكريم وحده، والاستغناء عن السنة النبوية المطهرة..

لشبهات واهية، وعلل هزيلة، يعرف الرد عليها أدنى طالب علم، يؤثر الحق، ولا يتبع الهوى، ولكن كثرة الداعين لها توجب على العلماء والدعاة وطلبة العلم الرد عليها ودحضها، كي لا يسقط بعض أبناء المسلمين في شراكها أو يقعوا في شباكها..

التي ينصبها لهم دعاة الفتن من أصحاب الهوى المشككين في السنة الذين يجعلون من التشكيك في السنة منطلقا للتشكيك في القرآن ومن ثم الإسلام.. وهذه البدعة قديمة متجددة، أراد بها أعداء الدين هدم الإسلام، ونقض أصوله، والتشكيك بها، فلا تكاد تخمد نار هذه البدعة مدة حتى تثار من جديد..

وقد عمل المستشرقون وأتباعهم من المنسلخين عن أمتهم على بثها وإشاعتها بمختلف الأساليب، وتلقفها عنهم بعض أبناء المسلمين، بجهلهم، أو بتلبيس الأمر عليهم وانبهارهم بمدارس الغرب الفكرية والمعرفية التي لا هم لها إلا القضاء على الإسلام والتلبيس على أبنائه لإخراجهم من دينهم وجعلهم يتمسكون بأفكارهم المنحرفة وعقائدهم الضالة وتصوراتهم الواهية التي ما أنزل الله بها من سلطان..

وقد حذر من هذه البدعة النبي ﷺ، في الحديث: عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه، وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله».

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وهو صحيح.

وسائر ما قرن فيه طاعة الرسول ﷺ بطاعة الله؛ فهو دال على أن طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعة الرسول ﷺ ما أمر به ونهى عنه، مما جاء به في سنته التي أمرنا الله تعالى بالأخذ بها والسير على هديها ومن أخذ بها نجا وفاز ومن أعرض عنها زاغ وهلك.

• **فرج كندي**

وظيفة اللغة لدى الإنسان

اللغة هي المكون الرئيس لجميع المجتمعات البشرية المعروفة، وهي الأداة التي يتم بواسطتها نقل الإنجازات الفكرية والاجتماعية والثقافية عبر الأجيال المختلفة، بالإضافة إلى ذلك فإن المهارات الرمزية التي يتم تنميتها بواسطة اللغة تساعدنا على تعزيز مستويات التفكير المجرد.

ويعرف علماء التربية اللغة على أنها مجموعة منظمة من العادات الصوتية وسمة إنسانية ذات طبيعة صوتية تحمل معاني في نظام خاص وهي سلوك مكتسب نام وفي حالة تغير دائم، واللغة أساسية لتنمية شتى المهارات الأخرى التي يكتسبها الفرد في مختلف مراحل نموه، حيث يتجه الفرد نحو الآخرين ويتفاعل معهم لغويا ويستمع إليهم ويركب الجمل كي يستطيع إيصال أفكاره إليهم، وحقيقة الأمر أن جميع المهارات اللغوية متداخلة ومتشابكة وأي مهارة يكتسبها الفرد تساعده على اكتساب المهارات الأخرى، وتتكون اللغة بصفة عامة من مجموعة من المهارات، هي: الاستماع والفهم والتحدث والقراءة.

ومن خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن حاجاته ورغباته ومشاعره وانفعالاته عن طريق اللغة، ويرى علماء النفس التحليلي أن التعبير باللغة يسهم إسهاما بالغا في عملية التفريغ النفسي للشحنات الانفعالية المؤلمة، ومن ثم تستخدم اللغة



الاحترافية.. الحاسة السادسة

ما أكثر ما وقفنا أمام صانع مشدوهين من براعة أنامله وهي تتعامل مع أدواته بانسيابية منقطعة النظير، وكم لفت أنظارنا هذا الطبيب النطاسي الذي يبادرك ببعض أعراض مرضك قبل أن تبوح أنت بها لمجرد أنه نظر فقط إلى بياض عينيك أو تفحص لون شفتيك أو طريقة مشيتك، وفي الصغر كنت أقف مبهورة أمام خباز الفطائر وهو يقذف بها في الجو وتعود إلى كفه وقد اتسع قطرها وكبر حجمها مرة تلو الأخرى حتى تصير مثل الترس، ولا أنسى أيضا منظر صراف البنك وهو يعد النقود الورقية وقد انسابت بين أصابعه بسرعة فائقة حتى يستحيل على البصر متابعتها، وهذا بالطبع كان قبل اختراع ماكينات العد الآلية التي تعج بها البنوك الآن.

إنها الاحترافية.. تلك الحاسة الخفية التي تكتسبها أعضاؤنا وأبداننا بعد طول تمرس وتدريب ومعايشة، ورحلة طويلة من الإخفاقات، وربما الإصابات حتى تكلل في نهاية المطاف بتلك المهارة الفريدة والحاسة العجيبة. الاحترافية أو الخبرة - كما يسميها البعض - هي الميزة المضافة إلى قدرات الشخص منا والتي تفتح له آفاقا لا تفتح لكثير من أقرانه أو زملائه في العمل أو المهنة، وتضعه في مصاف المتميزين أو ربما المبدعين، وهي سر النجاح الأعظم ومفتاح التألق، وهي التي تقوم عليها الدول المتقدمة وترتكز عليها الحضارات على مر العصور، في عالم لا يعترف بالضعفاء ولا الخاملين ولا المهمشين.

العامل المدرب، والصانع الماهر، والداعية المفوه، والمعلم البارع، والعالم الموسوعي.. كل هذه النماذج وأمثالها باتت مطلبا ملحا للمجتمعات الناضجة والدول المتقدمة، والشركات العملاقة، حيث تخوض كل هذه الكيانات حربا ضروسا بينها من أجل استقدام المهارات والخبرات والكفاءات بصرف النظر عن لونها أو جنسيتها أو حتى ديانتها أو طائفتها.

المحترف تفتح له الأبواب الموصدة والحدود المقفلة والحواجز المحكمة، ويحظى باحترام الجميع، بل كثير من الدول تعد بعض العلماء - كعلماء الذرة والبحوث النووية - كنزا استراتيجيا وأحد أعمدة أمنها القومي، فتقيم لهم وضعا خاصا وحماية زائدة، خاصة وأن العالم بأسره يسعى لتوفير المزيد من الطاقة النظيفة وسد العجز في مصادر الطاقة الحفرية التي تتقلص يوما بعد يوم نتيجة الاعتماد الزائد عليها مع عدم تجددها في باطن الأرض.

أما مقومات الاحتراف فعديدة بل ومتشابكة لدرجة أنه يصعب الاستغناء عن أحدها، ومن أهمها: الموهبة الفطرية والبيئة المناسبة (نظام التعليم الرسمي، القدرة المالية للدولة لرعاية المحترفين، القوانين التي تخدم وترعى الاحتراف، التخطيط الجيد لاكتشاف المحترفين ورعايتهم، الكوادر الإدارية والتعليمية المدربة، الإعلام الواعي الذي يرعى قضية الاحتراف).

وكما هناك احترافية إيجابية فإن هناك أيضا الاحترافية السلبية أو الوهمية.. تلك الاحترافية التي تضر ولا تنفع، وتفقر ولا تغني، وتهدم ولا تبني، وتفسد ولا تصلح، كاحتراف الدجل والشعوذة واحتراف النصب والسرقات الإلكترونية.. والعديد من الصور والأشكال للإفساد في الأرض الذي نهانا الله تعالى عنه أشد النهي.

ومن أسوأ مظاهر الاحترافية السلبية الكلام في كل شيء والخوض في كل الموضوعات دون علم فيها يذكر ولا خبرة تؤثر.. لقد احترفنا الكلام والتحليل والتنظير والنقد والاعتراض في الوقت الذي مازلنا نستورد سجادة الصلاة وفانوس رمضان من الصين، وباتت وارداتنا أعظم بكثير من صادراتنا، والعالم يعمل في صمت، وأكثر البقاع الساخنة في العالم - للأسف - إسلامية.

● منى الشريف

خلال المقابلات من أجل التنفيس الانفعالي وعلاج الاضطرابات الانفعالية، واللغة وسيلة يمكن بواسطتها تحليل أي صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، ولا يطلق على الكلام لغة بالمعنى العلمي إلا إذا أدى هذا الكلام وظيفة نفسية قائمة على التحليل والتركيب والتصور الذهني.

وتعتبر اللغة عاملا اجتماعيا مؤثرا، فالحياة الاجتماعية تعتبر وسيلة أساسية للنضج اللغوي، فعن طريق الاستماع والكلام يجتاز الطفل شيئا فشيئا حالة الانطواء بأشكالها المختلفة (العاطفية والفكرية واللغوية) بسهولة أكبر.. وفي وقت أقصر ينتقل الطفل من اللعب الفردي إلى اللعب الجماعي، واللغة تربط الفرد بمجتمعه وتعطيه الشعور بالأمن والطمأنينة والسعادة والانتماء الاجتماعي، وكلما زادت حصيلة الفرد اللغوية زادت وارتفعت معها درجة توافقه النفسي والاجتماعي مما يؤدي إلى ارتقاء مستوى تفكيره وسلوكه وأدائه في الأعمال المسندة إليه.

تؤدي اللغة وظيفة أساسية فكرية في ترجمة العمليات العقلية المتنوعة في الدماغ لإبراز ما فيه من تفكير وإدراك وتخيل وتصور، فالفكر والتفكير يحدث في الدماغ ويترجم إلى رموز ثم يرسل إلى أماكن التنفس لتحديد الذبذبة واللفظ وبعدها يمر الهواء ليتم تعديله بحركات اللسان والمرور عبر الأسنان والشفاه والتي تجتمع لتكون الأصوات والكلمات والجمل في لغة معينة ويتم استقبال الفكر المحول إلى كلمات من قبل المستقبل عن طريق السمع.

● سامي عبدالسلام

جمال الباطن أزكى

أتى في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه «إن الله جميل يحب الجمال» فسبحان الذي خلق فسوى وسبحان من – في أحسن صورة – ما شاء ركبنا، وسبحان من جعل على الأرض زينة لها وهو أزكى.

ومن الجمال الذي رزقنا به الله جمال الباطن.. فإن اللباس الجميل قد يرتديه من يقبح سلوكه والبناء الجميل قد ينهار إذا لم يقم على أساس متين والزوجة الجميلة لا ينفعك جمالها إذا ساءت أخلاقها.. وإلا فلماذا قال رسولنا الحبيب ﷺ في موضع آخر: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» عندما عدد الصفات التي تنكح المرأة من أجلها ومنها الجمال.

وإن كان الجمال الباطن قد تخفيه شوائب عالقة بفعل الركود أو الإقصاء أو الدفن تحت الرمال والصخور أو في أعماق البحار، فبقليل من الجهد يمكن جليه واستظهاره للخلائق.. أما الجمال المنطوي على فساد فما إن تنكسر قشرته حتى تفوح رائحته المنفرة وتحتاج إلى جهد غير قليل للتخلص منه ومن الرائحة..

وليس معنى ذلك أن نترك الظاهر قبيحا فالجمع بين الحسنيين مطلوب، وإن كان جمال الباطن خيرا وأبقى.

وسبحان الله الذي قضى بألا يذكر سواه عندما نستحسن خَلقا أو خُلقا فما إن يكتشف الإنسان جمال الطبيعة – التي لم تمتد إليها يده بعد – إلا ويقف مأخوذا بعظمة الخالق ولا يملك إلا أن ينطق بلفظ الجلالة.. الله!

فهد الخزي
مدير التحرير

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

براعم الإيمان
قلم صغير وفكر منير

دعوة للمشاركة
في مجلة «براعم الإيمان»

ترحب مجلة «براعم الإيمان» بالكتاب والرسامين كافة وتدعوهم للمشاركة في صفحاتها، وفق الضوابط التالية:

ضوابط النص:

- أن يكون العنوان جذابا ومعبرا عن المحتوى.
- أن يكون المحتوى مناسبا للمرحلة العمرية المستهدفة.
- أن يعالج فكرة واحدة؛ ولا يتعرض لموضوعات جانبية تعطل تتابع الفكرة الرئيسية.
- أن يكون مناسبا لميول الأطفال، ويعكس اهتماماتهم وتجاربهم اليومية.
- أن تكون المعلومات الواردة في النص صحيحة علميا وشرعيا.
- أن يكتب بلغة فصحى وسهلة وواضحة وبعيدة عن الغموض وسليمة وخالية من الأخطاء.
- يمكن أن يحتوي النص بعض الكلمات الجديدة على الطفل مع توضيح معناها؛ لزيادة حصيلته اللغوية.
- يمكن أن يكون النص حلقات مسلسلة لها رابط موضوعي عام.

ضوابط الرسم:

- أن تكون الرسوم معبرة عن شخصية الرسام بعيدة عن التقليد.
- المحافظة على أشكال الشخصيات التي يتكرر ظهورها في الرسوم.
- وضوح الألوان وانسجامها بعيدا عن المبالغة.
- الاهتمام بحركات الشخصيات لإبراز المواقف المتنوعة.
- ألا يكون في الرسم ما يخالف الدين الإسلامي أو التقاليد العربية.
- أن تكون ملفات الرسم المرسلة بصيغة تسمح بالتعديل عليها.

ونأمل أن يرفق الكاتب أو الرسام أول مرة سيرته الذاتية ونماذج من أعماله السابقة.

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

ترسل الأعمال على عنوان البريد الإلكتروني التالي:

info@baraem.alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

Al-Waei Al-islami

العدد (٦٠٨) ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ - يناير - فبراير ٢٠١٦ م

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية 2016

عطاء متجدد ومسيرة حضارية

- الحكايات وتنشئة الأطفال
- العبادة بين الاعتدال والتشدد
- السرقات الأدبية والفكرية.. جناية
- ما وراء الإسلاموفوبيا! (ملف العدد)
- «المخطوطات».. درة الأوقاف الكويتية



info@alwaei.com www.alwaei.gov.kw مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا



الأمن والأمان في دين الإسلام

يمر الإسلام في هذه السنوات الأخيرة بمرحلة عصيبة من مراحل وجوده، وإن كانت قد مرت به سنوات عجاف في القرون السابقة، تستعدي عليه الأقارب والأباعد، وتتهمه بكل نقص وهمجية، عمل خلالها أعداؤه على صد الناس عنه، وتنفيرهم منه، وتشويه صورته الناصعة، ورميه بالتهم الباطلة، في ظاهرة اصطلح على تسميتها اليوم بـ «الإسلاموفوبيا»، التي تعني التخويف من الإسلام!

وقد يظن بعض الناس أن هذا الأمر وليد الساعة؛ فيندهشون له ويتعجبون منه؛ لكن من قرأ القرآن ونظر في التاريخ القديم والحديث؛ علم أن منهج التشويه والتنفير من الدين الحق –بوصفه دين إرهاب وهمجية وجمود– منهج قديم، قدم الصراع بين الحق والباطل؛ فهذا نبي الله نوح يقول له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف:٦٠)، وتلك عاد تخاطب نبي الله هودا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ (الأعراف:٦٦)، وعلى هذا اللؤم الخبيث تواصى أعداء الله فيما بينهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت:٢٦).

وصدق الله العظيم وهو يصور لنا موقف الكفار من دعوة الحق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ (المطففين:٢٩-٣٢). وهذه المشاهد التي يرسمها القرآن لسخرية المجرمين من المؤمنين، وسوء أدبهم معهم، وتطاولهم عليهم، ووصفهم بأنهم ضالون؛ هي مشاهد منتزعة من واقع البيئة في مكة في بداية الدعوة، ولكنها متكررة في أجيال متعاقبة، وفي مواطن شتى، وكثير من المعاصرين شهدوها؛ كأنما هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها؛ مما يدل على أن طبيعة الفجار المجرمين واحدة متشابهة في موقفها من الأبرار في جميع البيئات والعصور!

ومع ضرورة البيان للناس، ورد افتراءات المفترين؛ فإن القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر، حين يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان، في الحالات التي قد يكون العفو والصبر فيها أعمق أثرا، وأكثر فائدة للإسلام، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم:٦٠)، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ (النحل:١٢٦-١٢٧)؛ فالله تعالى هو الذي يعين على الصبر وضبط النفس، والاتجاه إليه هو الذي يطامن من الرغبة الفطرية في رد الاعتداء بمثله والقصاص له بقدره، وفي الحديث: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

ومع الإيمان واليقين والصبر تكون العاقبة الكريمة للصالحين: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف:١٢٨)، ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣).

د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٠٨ | ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
يناير - فبراير ٢٠١٦م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهام • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

الثقافة الإسلامية في دولة الكويت

كانت الكويت منذ عقود وعهود مجتمعا ثقافيا عربيا وإسلاميا فريد الطراز، يتسم بطبيعة وسطية أخاذة، اشترك في صنعها كل من يعيش على هذه الأرض الطيبة، وساهم في نشرها أبناؤها ومحبوها، ومما ساعد في ذلك كونها امتدادا طبيعيا للأرض الفسيحة التي تقع فيها، ألا وهي الجزيرة العربية؛ ذات البعد العربي والإسلامي المتميز، كما أن موقع الكويت الجغرافي كان ذا تأثير فعال بجعل المجتمع الكويتي منشرحا متفتحا على ثقافات الآخرين، وتمييز غثها من سمينها، وقبول ما يتلاءم ودين الدولة وعادات أهلها الكرام وتقاليدهم.

ويمكن للدارس أن تظهر له إسلامية الثقافة الكويتية بمجرد زيارته للدولة؛ فهي تزخر بمساجدها المنتشرة بكثرة، والمشيدة بعناية فائقة؛ تشده المتأمل لها، كما أن المكتبات المرصوفة على جوانب الجمعيات التعاونية في كثير من الأحياء السكنية دليل على مدى تمسك الدولة بدينها وثقافة شعبها.

ومن أجل هذا اختيرت الكويت لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية لعام (٢٠١٦م)، وليس ذلك مجرد صدفة، بل هو واقع يبرهن عن نفسه بالأقوال والأفعال.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التحريـر



«الأوقاف» تكرم وكيلها الفلاح بعد مسيرة ربع قرن

أشاد وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، يعقوب الصانع، بمسيرة ربع قرن قضاها وكيل الأوقاف، د. عادل الفلاح في الخدمة الوزارية.

وقال الصانع، خلال كلمة ألقاها في حفل تكريم وكيل الوزارة د. عادل الفلاح بمناسبة استقالته من منصبه وبحضور الوكلاء المساعدين، إن الفلاح كان ركنا فاعلا وشريكا في كل النجاحات التي حققتها الوزارة، مضيفا أنه «يترجّل اليوم عن جواده، وينتهي به مطاف العمل إلى استقالة وهو في صحة وعافية، وأمل واعد بأن يلتحق بمسيرة أخرى من مسيرات العمل والعطاء لديننا وكويتنا الحبيبة».

وأضاف: «لقد شاركنا الفلاح مرحلة مهمة من مسيرة الوزارة، باعتبارها صرحا من أعظم صروح الفكر الوسطي في عالمنا الإسلامي»، مستطردا: «رأينا منه الجدية والنشاط والعمل الدؤوب، خصوصا أنه يحمل فكرا ناضجا ممتزجا بالبعد الاستراتيجي والتخطيط العملي وتأهيل العاملين بالوزارة والارتقاء بقدراتهم الوظيفية. ولن نستغني عن خبرته العريقة في العمل المؤسسي».

بدوره، شكر الفلاح في كلمته مبادرة الصانع والحضور الكبير، وقال: «عقود أربعة من الزمان توارت فيها نفوسنا وذواتنا وانتفى فيها ظل شخوصنا، ولم يكن أمامنا شاغل سوى الحفاظ على مكتسبات الخطاب الوسطي الذي عُرفت به الكويت منذ نشأتها، ويعد أهم خصوصياتها الحضارية في محيطيها الخليجي والعربي».



وأوضح أن «الأوقاف وزارة الأمن الاجتماعي، وهي كلمة أول من أطلقها د. عبدالله المعتوق في أول أيام تسلمه منصب الوزارة، ومنذ تلك اللحظة حرصنا على ألا تكون الأوقاف وزارة إرشاد ديني فحسب، وإنما تشمل مناحي أخرى من العطاء الخيري والإغاثي، لتكون بمنزلة الدرع الربانية التي تحفظ الكويت من كل مكروه وسوء، ولو كشف لنا الغيب عن أستاره لرأينا كم كانت أعمال البر والخير رداء حمى الكويت من ملمات الزمان ومكاره السوء، ويجب أن نحرص على هذا الباب من أبواب الأمن مهما قيل عن تقليص الميزانيات وتحجيم الإيرادات. ولقد أدركت هذا الحرص وتعلمته من سمو أمير البلاد خلال مقابلاتي مع سموه منذ أن كان وزيرا للخارجية».

وأشار الفلاح إلى سعي الوزارة إلى وضع منهجية وسطية للإفتاء، تعتمد على روح الشريعة والأخذ بمبدأ التيسير ورفع الحرج والمشقة والخروج من الخلاف ما أمكن، ومراعاة مقاصد التشريع وتعزيز الثوابت والمتغيرات إلى غير ذلك من مقاصد السعة والمرونة في شريعتنا، من خلال علماء الكويت ممن عُرفوا بعمق الفكر ورسوخ العلم ووسطية الاجتهاد.

وذكر أن «أهم التحديات التي واجهتنا كان اتخاذ الوزارة قرار اعتماد المنهج العلمي في الإدارة، فوضعت رؤية مستقبلية واضحة ومحددة، وغدا للوزارة رسالة وخطة ومؤشرات تنفيذية وبرامج تقييم في سابقة تفتخر بها الكويت. ووزارة الأوقاف هي الوزارة الأولى، وربما الوحيدة، التي تمارس اختصاصاتها وفق منهج استراتيجي واضح»، مشيرا إلى أن «الوزارة وضعت غاية كبرى لمنهجية تصديها للتطرف والغلو بهدف وقاية المجتمع الكويتي، وحمايته من الانزلاق إلى براثن الغلو والتطرف، علما أن الدول الكبرى أثنت على استراتيجية الكويت في مواجهة التطرف، بل طلبت تلك الدول نسخا مترجمة منها للاستفادة منها في رؤيتها».

من ناحيته، قال سالم الحمادة في كلمة ألقاها نيابة عن رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومبعوث الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في دولة الكويت د. عبدالله المعتوق، إننا «عرفنا الدكتور الفلاح رجلا صاحب رسالة، لديه رؤية واضحة، جعل من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قبلة للعلماء والمفكرين من شتى أنحاء العالم»، مؤكدا أن «الوكيل الفلاح استطاع أن يقدم نموذجا متميزا للشخصية الإسلامية المسؤولة، وبفضل الله تعالى حقق نجاحات واسعة».

الكويت منارة للثقافة

د. مجدي حسن
باحث بوزارة الأوقاف الكويتية

ترى ما الذي جعل عين الجهات الرسمية -المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)- تقع على دولة الكويت لتصطفيها من بين عشرات الدول لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠١٦م؟ لاشك أن هناك جهودا مبذولة على المستوى الرسمي والشعبي والأهلي للارتقاء بالجوانب الثقافية المختلفة، سواء الثقافة الشرعية أو اللغوية أو المعلوماتية.

إن دولة الكويت، على صغر حجمها الجغرافي، لم يمنعها أن يكون لها حضور ثقافي عالمي ملموس، بل لا نبالغ إذا قلنا إن لدولة الكويت بصمة مؤثرة على الثقافة العامة والخاصة؛ لأنها ساهمت في إنشاء وإيجاد روافد ثقافية استمد منها المهتمون بالشأن الثقافي ما يروي ظمأهم، ويشبع نهمهم، ويقضي وطرهم.

إذا كان لزاما علينا أن نحصي الإسهامات الثقافية لدولة الكويت، فلابد أن نقف مشدوهين منبهرين أمام هذا السيل الهادر الجرار من المصنفات والمؤلفات في الجوانب الثقافية المتنوعة.

كذلك يجب علينا أن نقر ونعترف بأن الجهود الثقافية في دولة الكويت لم تكن يوما جهدا محليا منغلقا على الذات لخدمة الأنا فحسب، فإننا نستطيع القول، بكل ثقة وقوة ومن دون محاباة، إن الجهود الثقافية لدولة الكويت اخترقت الآفاق لتفرض نفسها بين المصنفات والإنتاج الثقافي العالمي، وبكل قوة زاحمت وتدافعت مع الإسهامات الثقافية المختلفة، وأوجدت لها مكانا مرموقا مشهودا بين الجهود الثقافية العالمية.

ودخلت الإسهامات الكويتية إلى المشارق والمغارب بتأشيرة دخول رسمية أجبرت المهتمين بالشأن الثقافي على احترامها وتقديرها، وإفساح المجال لها لتتحدث عن نفسها وتعبر عن ذاتها بجدارة بين هذا الركام الضخم من الإسهامات الثقافية المتنوعة.

وفرضت الإسهامات الثقافية لدولة الكويت نفسها، وأجبرت الجميع على تقديرها واحترامها، وانتشرت، ونافست، بل كانت عصية على المنافسة، وتبوأت مكانا مرموقا، وكان لها السيادة والريادة بلا مدافعة.

من ينكر وجود الإنتاج الثقافي الكويتي في أغلب دور العلم من جامعات أو معاهد علمية متخصصة، أو في المكتبات العامة أو الخاصة، أو في المعارض الدولية للكتاب، أو الباعة الجائلين، أو أي منافذ لبيع الجرائد والكتب والمجلات؟ لابد أن يلفت انتباهك تواجد مجلة العربي بألوانها الجذابة ومواضيعها الفريدة التي يرجع إليها المثقفون في المستويات العمرية المختلفة بدءا من طلاب المدارس إلى أساتذة الجامعات، وما بينهما من المهتمين بالثقافة.

ومن ينسى مجلة «الوعي الإسلامي»، التي كانت، ولاتزال، رافدا فكريا وعلميا يستمد منه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ثقافتهم الإسلامية المعقولة المتميزة بالوسطية، والتي تغطي جوانب متعددة من الثقافة الإسلامية، فكرا وفقها وتاريخا ولغة وأدبا، مع تغطية إخبارية لما يدور في العالم مما يهم المسلم؟!

بالإضافة إلى سلسلة عالم المعرفة، التي كانت فذة في اختيار المؤلفين والكتاب، فريدة في اختيار المواضيع المطروقة، قاسية في شروط المؤلِّف والمؤلَّف.

ومجلة عالم الفكر، التي تقدم للناس ما يرتقي بالعقول من خلال تناول الأبحاث والأطروحات الجادة المتنوعة.

من ينكر أن قطاعا كبيرا من المسلمين يترقبون ويترصدون هذه الإسهامات الثقافية في مطلع كل شهر؟!

لم يكن الهدف من الإسهامات الثقافية الربح، فهذه الإصدارات لا تنشد ربحا ماديا، لكنها تهدف إلى المساهمة في المجال الثقافي، وإثبات الذات بين هذه

الجهود الضخمة المتنوعة في عالم الثقافة. ومجرد التواجد والحضور على موائد القراء والباحثين أمر لا يقدر بمال، وهو وسام شرف على صدر الكويت، وإكليل يتوج هذه العقول التي ساهمت في إثراء الثقافة الإسلامية.

إن دولة الكويت عندما اختيرت مركزا للعمل الإنساني، وعندما اختير سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد قائدا إنسانيا، ما تم ذلك إلا بما تقدمه دولة الكويت من خدمات للإنسانية من مساعدات وهبات.

أما العطاء الثقافي لدولة الكويت فلا يقل أهمية عن العطاء المادي الذي يحتاج إليه الناس للحفاظ على الحياة، فالجانب الثقافي في حياة الناس لا يقل أهمية عن الطعام والشراب والكساء، فهو الغذاء للعقل والروح للمضي قدما في العمل وإعمار الأرض على بصيرة وهدى وبينة.

لم يكن اختيار دولة الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية أمرا فيه محاباة أو مجاملة، بل هو اختيار تستحقه دولة الكويت؛ نظرا لعطائها الضخم وإسهاماتها الفريدة الفذة في غضون عدة عقود.

قد يقول قائل: إن الإسهامات الثقافية لدولة الكويت لم تكن نتاجا للعقل والثقافة والبيئة الكويتية فحسب، بل ساهم فيها عقول متعددة وأقلام متنوعة. وهل يجزم أحد أن حضارات الأمم تقوم على عقول أبنائها فحسب من دون تعاون وتلاقح بين العقول المتنوعة والثقافات المتعددة؟!

إن الحضارة الإسلامية ساهم فيها وعمل في ظلالها العرب والعجم والمسلمون وغيرهم.

وكذلك الحضارة الغربية المعاصرة لم تكن وليدة العقل الغربي أو الجنس الآري -أو الأنجلوساكسون- فحسب، بل ساهم فيها العقل العربي والعقل المسلم وغيرهما.

يبقى التخطيط والتدبير والتوجيه وتسخير الجهود وتوجيهها ورعايتها، وهو ما يحسب لدولة الكويت، لتحقيق المقصد الأسنى والهدف الأسمى في خدمة الثقافة والمعرفة.

وزارة الأوقاف

ترى هل لوزارة الأوقاف، المعنية بشؤون الدعوة، إسهامات علمية في عالم الثقافة الإسلامية؟

يكفي وزارة الأوقاف فخرا إنتاجها للموسوعة الفقهية، التي كانت صيحة علمية صارخة في عالم الفقه المقارن، والتي احتلت مكانها في المكتبة الإسلامية، يلجأ إليها العلماء، ويستعين بها طلاب العلم في جامعات العالم الإسلامي.

هذا إلى جانب الإصدارات الأخرى من إعادة طباعة كتب التراث، واستكتاب بعض الكتاب المعاصرين لإثراء الجوانب الثقافية المختلفة وسد حاجة المكتبة الإسلامية في شتى المعارف.

ولم يكن الإسهام في نشر الثقافة الإسلامية حكرا على التأليف والتصنيف، بل كانت وزارة الأوقاف حريصة على عقد المؤتمرات العلمية للقضايا المهمة التي تشغل العقل المسلم، واستقدام العلماء لإقامة المحاضرات والندوات، وإنشاء حلقات تحفيظ القرآن، وإعطاء الأسانيد للقراءات وكتب الحديث، والاهتمام بالقرآن الكريم، طباعة ونشرا، والمراجعة لسائر المصنفات والمؤلفات؛ حتى تنقى وتهذب ويقصى منها ما يفسد الوسطية ويعكر صفوها، وما يخالف الآداب الإسلامية.

ولا يزال هذا المد الثقافي يتنامى ويزداد، ونسأل الله التوفيق والسداد، وألا ينضب ويتوقف عن العطاء.

لقد ترسخ في نفوس القائمين على الأمر وأولي الأمر في دولة الكويت تلك الدعوة التي لا تزال تتردد بين الأجيال المتعاقبة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ (العلق:١-٥).

لقد وقفوا إجلالا للعلم الذي كان أول شيء غرسه الله تعالى في أبينا آدم أبي البشرية؛ ليؤهله للقيام بواجب الاستخلاف على الأرض: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ (البقرة:٣١ و٣٢)

إن أولي الأمر أولوا اهتماما بما اهتم به القرآن: العلم، الثقافة، القلم، القراءة، الكتابة.. ألم يقسم الله تعالى بأداة الكتابة والكتابة، فقال ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم:١).

أليس من الخير العظيم أن نفهم، أليس الفهم نعمة من الله تعالى يمتن بها على من يشاء من عباده: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ (الأنبياء:٧٩)؟!

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧).

إننا لا نستطيع أن نقوم بحصر سائر الإسهامات الثقافية لدولة الكويت، بيد أننا أردنا أن نشير، عن قرب، إلى هذه الجهود الضخمة التي رفعت مكانها في عالم الفكر والثقافة والعلم، وأثقلت ميزانها في الإسهام الثقافي المميز، فنالت عن جدارة واستحقاق هذه المكانة السامقة.

وكيل المجلس الوطني للثقافة .. العسعوسي:

«الأوقاف» تضيء طريق الوسطية

التحرير

جاءت فكرة «العواصم الثقافية» عام ١٩٨٢م، أثناء انعقاد مؤتمر عالمي في المكسيك تحت عنوان «السياسات الثقافية الدولية». وتستند هذه الفكرة إلى أن الثقافة عنصر أساسي في حياة كل فرد وكل مجتمع، وأن التنمية تنطوي على بعد ثقافي جوهري، ما دامت تستهدف خير الإنسان.

بمرور الزمن اقتبس العرب الفكرة، حيث بادرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بالتعاون مع خبراء عرب، إلى وضع خطة للنهوض بالثقافة العربية، ليتم إقرار الفكرة من قبل جامعة الدول العربية، وكانت القاهرة بذلك أول عاصمة للثقافة العربية في العام ١٩٩٦م.

وتأسست فكرة «عاصمة الثقافة الإسلامية» على غرار البرنامج الذي أطلقته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، باختيار دولة عربية في كل عام لتكون «عاصمة الثقافة العربية».

وقد وقع الاتفاق على هذه التظاهرة في عام ٢٠٠١م من قبل المؤتمر الإسلامي الثالث لوزراء الثقافة، الذي عقد آنذاك في العاصمة القطرية الدوحة، وقد اختارت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) مدينة الكويت لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م، وذلك ضمن برنامج عاصمة الثقافة الإسلامية، التي تسند سنويا إلى ثلاث مدن إسلامية عريقة.



محمد العسعوسي

ومن منطلق الحرص على الإعداد والتحضير الجيد لهذه الاحتفالية، عمدت دولة الكويت إلى تشكيل لجنة عليا برئاسة رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر المبارك الصباح، وعضوية عدد من الوزراء المعنيين، للتحضير لهذه التظاهرة بما يكون منسجما مع سعي دولة الكويت للتعريف بدورها الثقافي الكبير والمؤثر والمنسجم مع التطلعات والرؤى الإقليمية والعربية كما يأتي احتفاء بهذا الحدث الثقافي الإسلامي المهم.

كما تشكلت لجنة التخطيط والإشراف والتنسيق لاحتفالية الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م، وذلك برئاسة الشيخ سلمان الصباح وزير الإعلام وزير الدولة لشؤون الشباب رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وعضوية عدد من ممثلي الجهات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني ذات الصلة بالشأن الثقافي، منها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

وبشأن فعاليات احتفالية «الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٦م»، التي ستتضمن برنامجا حافلا من الأنشطة الثقافية المتنوعة والمميزة والتي ستمتد على مدى عام كامل، التقت «الوعي الإسلامي» الوكيل المساعد في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب محمد العسعوسي.

يقول العسعوسي: دور اللجنة المشكلة هو تقديم صورة حقيقية عن الإسلام، باعتباره دين الوسطية والعمل الإنساني، لاسيما أن الكويت سميت



أخيرا مركزا للعمل الإنساني، كما تمت تسمية أمير البلاد قائدا للعمل الإنساني. وقد عكف المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب على استقبال الأنشطة والفعاليات المكونة لتتضمن خمسة محاور أساسية هي:

١- ما يمكن تسميته بالأنشطة المؤسسية، وهي الأنشطة الكبرى.

٢- أنشطة المجلس الوطني.

٣- أنشطة مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص.

٤- المبادرات المختلفة.

٥- الإصدارات الثقافية ومشاريع البنى التحتية.

ويضيف العسعوسي: وضع المجلس، باعتباره المنسق لهذه الاحتفالية، دليلا عاما يضم مختلف الفعاليات والأنشطة، كما وضع خطة إعلامية وإعلانية عن هذه الاحتفالية تؤدي إلى تسويق الكويت باعتبارها من أبرز حواضن الثقافة على المستوى العربي والإسلامي. وكانت الكويت قد احتفلت باختيارها عاصمة الثقافة عام ٢٠٠١م، وقدمت آنذاك باقة من الأنشطة والمشاريع الثقافية التي أدت دورها وصولا إلى تكريس دولة الكويت الثقافية في المحافل العالمية والعربية والإقليمية.

وتابع: من أبرز أنشطة المجلس، فيما يخص إبراز الدور الإسلامي الوسطي، المقترحات التي قدمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والاحتفال بالموسوعة الفقهية، وإطلاق مسابقة الكويت للقرآن الكريم، والاحتفال بمجلة «الوعي الإسلامي». كما قدمت جامعة الكويت مقترحات جديدة بالتفعيل.

وأكد أن الاحتفالية حريصة على إبراز دور الكويت الثقافي ومنجزاتها الواضحة في كل روافد الثقافة العربية والإسلامية، من نشر لكنوز التراث الإسلامي وتوثيق وتحقيق لها، كما سيتم التركيز على دور مؤسسات الدولة المختلفة في إبراز الوجه الحضاري للثقافة الإسلامية بجوانبها الإنسانية الرحبة، والتي تكرس من خلالها قيم المحبة والسلام، ومفاهيم قبول الآخر، والعمل على الانطلاق نحو آفاق رحبة، من خلال عقد حوار منفتح مع الحضارات والثقافات الأخرى.

اليوحة: الاحتفالية ٢٢ يناير

قال الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب م. علي اليوحة، إن احتفال «الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية ٢٠١٦م»، سوف ينطلق بالتزامن مع بدء فعاليات مهرجان «القرين» الثقافي الـ ٢٢ في يناير ٢٠١٦م.

وأضاف اليوحة في تصريح أنه تم اختيار الكويت لتكون إحدى المدن الثلاث المحتفى بها، بوصفها عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م، إلى جانب كل من مدينة «مالية» في جمهورية مالديف ومدينة «فريتاون» في جمهورية سيراليون، بناء على القرار الصادر في اجتماع وزراء الثقافة للمؤتمر الإسلامي السادس، الذي عقد في مدينة باكو بجمهورية أذربيجان في أكتوبر عام ٢٠٠٩م.

الإيسيسكو

أنشئت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) عام ١٩٨١م، وتعنى بميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال في البلدان الإسلامية، وتعد جهازا إسلاميا دوليا يعمل ضمن أجهزة العمل الإسلامي المشترك، وتضم ٥٢ دولة.

وكيل الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية داود العسعوسي:

عاصمة الثقافة الإسلامية .. الوجه الحضاري للكويت

قال وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية م. داود العسعوسي إن اختيار الكويت لتكون عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠١٦م وسام فخر على صدور الكويتيين وتقدير لجهود دولة الكويت الحثيثة في نشر الثقافة الإسلامية الوسطية بربوع العالم العربي والإسلامي.

وأضاف في تصريح خاص لـ «الوعي الإسلامي»: تهدف احتفالية الكويت كعاصمة للثقافة الإسلامية إلى تثبيت الصورة الحقيقية للإسلام باعتباره دينا للتسامح والسلام، وإبراز الوجه الحضاري والثقافي


م. داود العسعوسي

للكويت بين شعوب العالم.

وأوضح العسعوسي أن دولة الكويت ممثلة في وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية لا تألو جهدا في التعريف بالدور الثقافي الكبير والمؤثر والمنسجم مع التطلعات والرؤى الإقليمية والعربية والاسلامية.

وأكد أن روافد الثقافة العربية والإسلامية عديدة، حيث تبرز الوجه الحضاري للكويت بجوانبها الإنسانية الرحبة والتي تظهر من خلالها قيم المحبة والسلام ومفاهيم التعايش مع الآخر والعمل على الحوار مع الثقافات الأخرى.

وقال إن وزارة الأوقاف ستقيم العديد من الفعاليات تزامنا مع الاحتفالية، منها ما هو متعلق بالموسوعة الفقهية ومجلة «الوعي الإسلامي» وإصدارات «روافد» وملتقى الفنون الإسلامية ومعرض المخطوطات والمساجد التراثية إلى جانب الندوات والمحاضرات الجماهيرية المختلفة.



واعتبر العسعوسي أن دولة الكويت تعبر عن صورة الإسلام الحقيقية باعتباره دين الوسطية والعمل الإنساني، خاصة مع تسمية الكويت مؤخرا مركزا للعمل الإنساني، واختيار أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الصباح كقائد للعمل الإنساني.

حوار: بدر محمد
القاهرة

رئيس مجمع الخالدين د. حسن الشافعي في حوار مع «الوعي الإسلامي»:

هذه أهم التحديات التي تواجه لغتنا العربية



أكد رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدكتور حسن الشافعي، أن هناك العديد من التحديات التي علينا أن نواجهها دفاعا عن لغتنا التي هي رمز الدين والهوية، أبرزها عدم الاعتزاز بها لغة للناشئة والأدب والفن والثقافة والاقتصاد والتجارة. وأشار إلى أن «العولمة» ليست شرا إذا كانت تعني التنوع الثقافي والحضاري، وليس هيمنة الطرف الأقوى. وأضاف الشافعي في حواره مع «الوعي الإسلامي»، أن مجمع اللغة العربية لم يكتف بتقديم الاقتراحات والتوصيات لحماية اللغة، بل أعد مشروعا فنيا لإنتاج «معجم مصور ناطق» للطفل العربي، لكن الإمكانات ليست متوافرة للتنفيذ حتى الآن، مؤكدا أنه ليس ضد «تعلم» اللغات، بل ضد «التعليم» باللغات، وإلى باقي تفاصيل الحوار:

• في تقديركم ما أبرز التحديات التي تواجه اللغة العربية حاليا؟

- أكبر التحديات في رأيي هي ضعف اللغة على ألسنة الناشئة. والواقع، إن العربية نفسها تتطور وتزداد مرونة وجمالا وقوة، لكن المشكلة ليست في اللغة ذاتها، وإنما في الاستعمال والشيوع والاعتزاز بها لدى أصحابها. «العربية» -مع الأسف الشديد- تهان الآن في عقر دارها، ولا يكاد يعرفها أبناؤها، والشبان يتكلمون الآن لغة هجينا وخليطا بين الإنجليزية والعربية وأشياء مخترعة وأرقام! «العربية» على ألسنة الناشئة والشباب العربي تعاني.

• كيف يمكن مواجهة هذا الضعف؟

- العلاج يبدأ من عدة أشياء؛ أولها من مرحلة الطفولة، لأن الطفل العربي الآن في الجزيرة العربية، وفي غيرها أيضا، نسلمه إلى مرضع أو خادمة أجنبية، فلا يسمع اللغة العربية، وإنما يسمع لغات أخرى، وهذا إشكال كبير تجب مواجهته.

ونحن في مجمع اللغة العربية فكرنا في الحل، وإن كان التنفيذ لدينا بطيئا بسبب ضعف وقلة الإمكانات الفنية، هو أن ننتج معجما مصورا، ناطقا بالعربية للطفل العربي، حيث يقرأ الطفل الكلمة، ويرى الصورة والشكل، ويعرف المدلول والمعنى. وفي الوقت نفسه، يسمع تسجيلا صوتيا للنطق الصحيح.

هذا الحل نفكر فيه منذ عام، ولكن لم نجد الشركة أو الجهة التي تتجه على النحو المقبول. وبعون الله سوف نخوض التجربة، ونحسن من الإنتاج شيئا فشيئا، والمادة العلمية شبه جاهزة، وأجرينا اتصالات بعدد من الجهات والشركات المختصة في هذا المجال.

نحن إذن نواجه هذه الأزمة بإخراج شيء يجعل الطفل يرى شيئا جذابا من الصور، ويسمع صوتا سليما، ويسمع إلى جانبها لغات أخرى.

● إذن المشكلة تبدأ من البيت.. فلماذا لا نهتم أيضا بما يقدم في التعليم والإعلام؟

– يجب أن نعترف بأن البيت أصبح الآن مقصرا، وإن كانت المسألة ملتبسة بعض الشيء، لأن المدرسة مع الأسف، خصوصا في مصر، استقالت من عملها في غرس اللغة في ألسنة ووعي أبنائنا وبناتنا، وبالتالي أصبح البيت العربي والمصري يعاني عبئا شديدا.

نحن في المجمع أنشأنا منذ أكثر من عامين لجنتين: الأولى لدراسة واقع اللغة العربية في الإعلام، والأخرى في التعليم، وغرضنا من إصلاح التعليم، فيما يتصل باللغة، أن نغير منهج تقديم العربية إلى الأطفال والشباب، لأنها الآن تقدم في إطار قواعد النحو والصرف، وإذا قارنا أي كتاب في الإنجليزية أو الفرنسية مثلا فسنجده يربط القواعد بالحياة واحتياجات الإنسان العادية، وإذا ارتقى شيئا استخدم الأدب والفنون والمسرح.

نحن نريد أن نغير مناهج تدريس العربية على هذا النحو، بالمزج بالأدب من خلال شواهد شعرية وأدبية لكبار شعراء العربية في الماضي والحاضر، وهذا هو ما كنا نفعله في الماضي، وبالتالي كان هناك طعم وتذوق أدبي للدراسة.

● كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم كان لها دور كبير في غرس وحماية اللغة لدى النشء، هل هناك بديل لها الآن؟

– منذ أن تم تطبيق نظام «اليوم الكامل» في المدارس، على عكس ما كان يحدث في السابق، حيث كنا ندرس نصف يوم، كان يوجد وقت للكتاتيب، لكن بعد أن جعل طه حسين الدراسة يوما كاملا للبنين والبنات، والمدارس منفصلة، لم يعد هناك وقت للكتاتيب وتقلص وجودها، وأصبح بعض الناس له محاولات قليلة في ما بعد وقت

نسعى إلى إعداد معجم عربي مصور ناطق ولكن تعوزنا إمكانات مادية

المدرسة، وهذا صعب؛ لأن الطالب يكون مستهلكا في وقته.

● ما الحل إذن لتعويض دور الكتاتيب؟

– لابد من عمل صيغة جديدة معاصرة للكتاتيب، تكون في صميم الكيان التعليمي نفسه، أثناء الوقت اليومي للتعليم، وليس مرحلة لاحقة في المساء أو بعد المغرب، بعد خروج الطالب من المدرسة؛ لأن حفظ آيات من القرآن، ومعرفة النص القرآني، والقدرة على التلاوة الصحيحة، حتى لو نسي الطالب ما يحفظه، وحتى لو لم يفهمه، فإنها جميعا تقوّم لسانه وفمه من حيث لا يدري.

والواقع، إن النص القرآني يقوّم اللسان في النطق باللغة العربية، بصرف النظر عن الفهم، إذا انضم إلى هذا أن يفهم قليلا، وأن يتصور الدلالات والمعاني، وأن يحفظ بعض النصوص القرآنية، وقد قلت سلفا في مؤتمر بالرياض إن من لا يقرأ القرآن، ولا يحفظ شيئا منه، يظل يشكو الهشاشة اللغوية طول عمره، لكن الإشكال أن الكُتّاب لم يعد له مكان أو زمان محدد في الخطة التعليمية، فالتحدي الآن هو إدخال مفهوم الكُتّاب إلى المنظومة التعليمية الرسمية، وإذا أمكن إنشاء كُتّاب في الخطة التعليمية خلال الساعات الصباحية، وليس بعد أن ينام الطفل، سيكون ذلك خدمة كبرى لـ «العربية». المنهج موجود، والتجارب متاحة، لكن الفكرة كيف تدخل السلطات التربوية في اللغة العربية فكرة الكتاتيب في صميم المنهج التعليمي والخطة التعليمية والساعات الصباحية. إن حدث ذلك، فسيكون انقلابا في مصلحة تعليم اللغة العربية وإحيائها.

● كيف نعالج حالة عدم الاهتمام باللغة في مجتمعاتنا؟

– نعالجها بأن نتعلمها ونستخدمها، لأن حياة اللغة في استخدامها، لكن أتعلم القواعد ثم لا أتكلم بها، فتلك هي المأساة. والمجمع ليس مؤسسة تعليمية، وإنما مؤسسة بحثية، نحن نضع معالم المنهج، ونقدم نموذجا، ولو جزئيا، لهذا الذي اقترحناه، وهو مزج قواعد النحو والصرف بالأدب، بحيث تكون جذابة للشاب العربي، بعد أن يكون في مرحلة الطفولة قد سمع اللغة العربية، وعرفها، وأصبحت له علاقة جيدة بها. نعم، هي مشكلة مجتمعية، ولابد أن تواجه مواجهة اجتماعية، وليست في الحكومة وحدها، ولا في مصر وحدها، بل هناك بعض المؤسسات الجامعية العربية تدرس الشريعة الإسلامية لأبناء العرب بالإنجليزية! وبعض أقسام «العربية» في الجامعات العربية يتبادل فيها الرسائل والقرارات باللغة الإنجليزية، فإن لم يتغير هذا الوضع، فلن تُحل المشكلة.

● ما دور مجمع اللغة العربية في دعم واقع اللغة الآن؟

– المجمع عادة يصدر توصيات ووصايا وتوجيهات وقرارات. هذه القرارات غير ملزمة –مع الأسف– لأي جهة من الجهات في مصر، سواء الحكومية أو المدنية، على الرغم من أن قانونا صدر من مجلس الشعب في أواخر عهد مبارك، يجعل توصيات المجمع ملزمة لجميع أجهزة الدولة، بشرط أن يتم إعلان هذه التوصيات والقرارات في الجريدة الرسمية للدولة، وأول مرة تنشر قرارات المجمع وتوصياته في الجريدة الرسمية كان بعد ثورة ٢٥ يناير.

الأمور دائما تحتاج إلى إرادة سياسية،

وتعاون الأجهزة المختلفة، ونرجو أن يتم تفعيل توصيات المجمع، وأن يتم أخذها مأخذ الجد، لأن المسألة ليست قوانين فحسب، بل يجب أن تكون اللغة موضع اعتزاز أهلها.

● من المسؤول عن عدم تنفيذ القانون؟ هل السلطة أم المجتمع؟

- قانونيا السلطة، لكن المسألة مجتمعية في الأساس، المجتمع نفسه لا يحترم لغته! والمثقفون والمتعلمون والتجار يشعرون بأن استعمال الأجنبية في مصلحتهم ويعلن عن شخصياتهم وعن ثقافتهم، وما لم يشعر المثقف المصري والعربي باعتزازه بلغته فلن يتغير الوضع. القوانين وحدها لا تكفي، وقد قرأت مرة أن نسبة ٨٨ في المئة من الإعلانات في جريدة مصرية كبرى باللغة الإنجليزية خالصة! والباقي أحيانا يتضمن كلمات أجنبية مع «العربية»!

● كيف ترى التعليم الأجنبي في بلادنا؟

- واقع التعليم في بلادنا في مراحله كلها الآن يدعو للأسف والألم، فهناك تعليم إنجليزي وآخر فرنسي وثالث ألماني.. وهكذا. يتناولون تعليم الطفل منذ صغره، ويمضي هذا النوع معه حتى يصل به إلى المستوى الجامعي، والوجود العربي فيها ضئيل.

لا مانع في رأيي من التعليم الأجنبي، ولسنا ضد «تعلم اللغات»، ولكننا ضد «التعليم باللغات»، والتعليم باللغات الأجنبية يجري الآن حتى في الجامعات الحكومية في مصر، ليس في كليات الطب والهندسة والصيدلة فقط كما كان في السابق، بل هناك الآن تجارة إنجليزي وحقوق إنجليزي.. إلخ، بل حتى في كليات الدراسات الإنسانية، التي في الأصل تدرس بالعربية! نحن الآن نتراجع.

● كيف ترى تأثير «العولمة» في اللغة العربية؟

- العولمة هي من أهم التحديات الخارجية التي تواجه اللغة العربية. وهي في تقديري ليست بالشيء الرديء إذا ما كانت حرية تبادل الأفكار والبضائع والأموال، وانتقال الأشخاص بين جميع أنحاء العالم، لكن أين هذا الكلام من الواقع؟.. هناك قوانين للهجرة تحد من حركة الأشخاص، وهناك قوانين للأموال. لقد كنت في باكستان، وكنت أتقاضى راتبي من جهة رسمية عن طريق بنك كذا في أميركا! فأين حرية انتقال الأموال والأشخاص؟ وأين حرية الأفكار والمعلومات؟! هناك أسرار تحتفظ بها الشركات والحكومات، ولا يباح بها لأي طرف آخر.

لسنا ضد «تعلم اللغات» ولكننا ضد «التعليم باللغات الأجنبية» في بلادنا

العولمة بمفهومها الصحيح ليست شرا، ولكنها في صورتها التطبيقية الواقعية الحالية هي محاولة لتغليب لغة واحدة، وثقافة واحدة على جميع أنحاء العالم، وهي الإنجليزية بالتصورات الأميركية، فهذا هو واقع الأمر، ولذلك نحن نعاني من العولمة ونعارضها، ولسنا وحدنا في ذلك، بل أوروبا أيضا تعارض العولمة، لأنها ستؤثر في الثقافات واللغات المحلية.

التحديات الأجنبية، والتي أكثر ما تتمثل في جانب العولمة، نحن نواجهها بثراء الثقافة العربية، وهي من أغنى الثقافات في العالم وأعرقها، وهي أقدم من الإسلام، وبالتالي هي أعرق لغة في العالم، لأن اللغات الأخرى ماتت وتغيرت وتجددت، ومن حسن الحظ أن «العربية» فيها خاصية المحافظة والاستمرار، وأن التطور فيها محدود بفضل القرآن الكريم ولأسباب أخرى كثيرة.

اللغة العربية وثقافتها قادرتان على مواجهة العولمة، ولكن اذا اشتغل العلماء والمثقفون العرب، وساعدتنا الوسائل الإعلامية العربية، لأن مشكلة اللغة مشكلة أمة ومشكلة مصير، ولو مضت عوامل إضعاف اللغة إلى هدفها، فسوف يتحول العرب إلى أمة أخرى، وسوف يفقدون وجودهم في العالم، إذا أحسسنا أنها مسألة وجود ومصير وأنها كرامة علمية وثقافية لدى بلاد العالم، فساعتها سيختلف الأمر.

كوريا الجنوبية مثلا تدرس جميع العلوم في الدنيا بلغتها الصعبة، وهي أصعب من اليابانية، التي هي من أصعب اللغات، والهند صارت دولة فضائية ولغتها من أصعب اللغات في الدنيا، ومع ذلك هناك من يقول إن «العربية» صعبة!

● هل يمكن أن تعود العربية لغة العلم والفكر مرة أخرى؟

- يجب أن نعرف أن القوي لغته مرتفعة ومنتصرة، جاء يوم كانت العربية تكاد تكون لغة الدنيا، لأن العلم كان ينطق «العربية»، والذي كان يحتاج إلى أن يتعلم البصريات وما وراءها من رياضيات كان يتعلم «العربية»، والذي يحتاج إلى معرفة الفلسفة الإغريقية يعرفها عن طريق «العربية»، وهناك باباوات من روما كانت توقيعاتهم على هوامش بعض المخطوطات بـ«العربية»، وكان روجر بيكون يقول للإنجليز: «من أراد أن يتعلم العلم فليعرف العربية»، إذن يوما ما كان العلم يتكلم «العربية»، وكان «الباب العالي» في إسطنبول يحكم نصف العالم، ومحمد الفاتح كان يقول «إن العربية أحب إلي من التركية»، فاعتزاز هؤلاء بـ«العربية» وهيمنة سياستهم على العالم، وهيمنة الفكر العلمي والثقافي على الساحة العلمية جعل «العربية» منتصرة، فالمسألة ليست مستحيلة إنما هي موازين قوى، والأمة العربية الآن في أضعف أحوالها.

ربيع السملالي
باحث مغربي

لا تقل عن سرقة الأموال:

السرقات الأدبية والفكرية.. جناية



تعد السرقة الأدبية نوعا من أنواع الجنايات التي لا تقل خطورة عن سرقة الأموال، فالأول يسرق الأفكار والثاني يسرق الأرزاق. فنجد في المجتمعات الغربية أن السرقة الأدبية تعتبر سرقة، سواء أكانت للفكرة أو للنص. وتعتبر جريمة يعاقب عليها القانون، وقد تطال مشكلة السرقة الأدبية الناشر وحقوق المؤلف أيضا. وحتى تصوير الكتب يعتبر في الدول المتحضرة سرقة.

فإذا من الله عليك بالعلم وصرت من الباحثين فكن حريصا على عزو كل قول إلى صاحبه، وكل كلمة إلى قائلها، ولا تتشبع بما لم تعط، وارض بما معك من فكر وتعبير وأسلوب في الكتابة.. ولا تحاول الذوبان في شخصية غيرك، والانصهار في بوتقة من تحبه من الكتاب والأدباء والعلماء والمفكرين، كما هي عادة كثير من محدودي الثقافة والاطلاع.. وحين تطالع كتابا فتجد الكاتب قد نقل قولا نفيسا من كتاب آخر مع ذكر المصدر ورقم الصفحة والجزء فلا تأخذ هذا القول مباشرة وتنسبه إلى نفسك دون الإشارة إلى صاحبه الذي اكتشفه قبلك، فتوهم القارئ أنك صاحب هذه المعلومة وهذه الفائدة المستخرجة من بطن ذلك الكتاب.. ليقال عنك قارئ وصاحب اطلاع واسع، فهذا مناف للإخلاص والصدق في طلب العلم.. وهو خيانة اصطلح عليها بـ «السرقة الفكرية والأدبية».. «والسرقة الفكرية أو الأدبية هي ادعاء شخص صراحة أو ضمنيا بكتابة ما كتبه آخر أو النقل مما

كتبه آخرون كليا أو جزئيا بدون عزو أو اعتراف مناسب، أي باختصار العزو المزور أو إعطاء الانطباع بأنك كتبت ما كتبه غيرك، وهو نوع من السرقة».

إن الحديث عن الأثر وهو ينجز عند صاحبه كتابة وتشطيبا وتجريبا ثم نشرا وإعلانا وتسويقا، هو حديث عن عمل لم يتأت إلا بالعرق والملح، لذلك فإن نسبته إلى غير منتجه، اعتبر جريمة في سابق الدهور في عصر النساخين وما قبل الطباعة عندما كان صاحب الأثر يسرق أثره ويقع إسقاط اسمه ويحل شخص آخر يسطو على الأثر وينسبه لنفسه طلبا للشهرة والمجد أو مجرد الجاه...

إن بعض الصحفيين الفرنسيين أثاروا حملة شعواء على أحد أساتذة التاريخ في السوربون، لأنه يورد في كتبه اقتباسات من كتب غيره، دون ذكر المرجع، أو وضع الاقتباس ضمن علامات التنصيص المعروفة، وكانت النتيجة أن الأستاذ أوقف عن عمله، حتى أعاد طبع كتبه وفق أصول منهج البحث العلمي.

لكن الذين يغيرون على إبداع الآخرين لا يرتدعون ولا يستسلمون أبدا، وطالما كان هناك إبداع فسيكون هناك من هو على استعداد للإغارة عليه لكي ينسبه إلى نفسه. اهـ.

والسرقة الفكرية والأدبية والعلمية قديمة قدم الزمان.. لذلك يؤكد الكاتب والمفكر الدكتور محمد الجوادي أن السرقات الأدبية ظاهرة قديمة منذ الأزل، ووصل الأمر إلى قول البعض أن المعاني واحدة ملقاة على الطريق والمهم صياغتها، وأوضح في تصريح له أن الكثير من الكتاب والأدباء العرب اتهموا بالسرقة في الماضي، وأشهرهم المتنبي الذي اتهم بسرقة أفكار الآخرين ولكنه أعاد صياغتها بشاعريته الجميلة والكبيرة، كما كثرت السرقات في العصر الحديث في ظل كثرة الأسماء وعدم التمييز.

وحول السرقة الأدبية في عصر «الإنترنت»، يقول الدكتور مدحت الجيار: إن السرقة الأدبية أصبحت أكثر سهولة بعد اختراع «الكمبيوتر»، ولكن في ذات الوقت، كما سهلت «الإنترنت» السرقة سهلت أيضا اكتشاف السارق حيث تسأل لمن هذا النص؟ فتجيبك أنه منقول وعن كذا أو تتولى البحث على الشبكة حتى تصل إلى السارق الحقيقي، وبالتالي أصبحت الشبكة العنكبوتية سلاحا ذا حدين، فهي تقدم المعلومات وتكشف مصدرها أيضا.

ومن السرقات سرقة الجهود العلمية، وذلك قريب من سرقة الكتب، ألا وهو سرقة ما في الكتب وإلقاؤه كاملا في برنامج دون أدنى إشارة. يذكر أحد المؤلفين أن له كتابا في موضوع من الموضوعات الشرعية، وأنه سمع برنامجا يبث في حلقات كثيرة، وأن هذا البرنامج يلقيه أستاذ كبير في السن والرتبة العلمية، ومع ذلك فقد سطا على كتاب المؤلف وسلخه سلخا تاما؛ فكان يقرر، ويفصل دون أدنى إشارة إلى الكتاب المذكور. يقول ذلك المؤلف: الغريب أنني كنت أتابع ذلك البرنامج، ولم أخبر أحدا من الناس، ولكنني فوجئت بأن غيري من الناس قد لاحظ ذلك. ولو كان الأمر مجرد حلقة، أو حلقتين أو نحو ذلك لهان الخطب. أما أن يكون برنامجا كاملا في دورة كاملة في عشرات الحلقات فذلك مما لا يستساغ.

فما الذي منع ذلك الأستاذ من الإشارة والعزو؟ وماذا يضيره لو فعل ذلك؟ إن الذي منعه قلة الأمانة العلمية، وخشية أن ينقص قدره لو عزا الكلام إلى غيره من معاصريه، والمعاصرة - كما يقال - حجاب. ولو أنه فعل ذلك لزاده رفعة وقدرا، ولربح فضيلة عظيمة، ألا وهي فضيلة الأمانة العلمية. ومن السرقات سرقات الشعر، وذلك فن من فنون البلاغة، يسمى: السرقات الشعرية، وقد لا يذم من قام بذلك، أعني إذا اقتبس معنى من شاعر ثم ألبسه لباسا جديدا، وهذا كثير في الشعر. بل إنه قد يستحسن، وكثيرا ما يفوق المتأخر المتقدم في إيراد المعنى بصورة أجمل. ولكن المصيبة أن يعمد إنسان إلى قصيدة شاعر، ثم ينسبها لنفسه. وقد شكا من ذلك كثير من الشعراء قديما وحديثا، ولعل من آخرهم الأخ الشيخ محمود العمراني حيث يقول:

وصديق عاقل يسرق شعري
لم أعاتبه ولم يشعر بأمري
أستحي منه ولا يخجله
أنه يرتع في حرمة فكري
يتمطى في ثيابي رافلا
ويحيي الناس من شرفة قصري

غير أننا لم نعثر خلال مطالعتنا في أمهات التراث العربي ومظانه على إغارة شاعر من الشعراء على قصيدة كاملة لشاعر آخر، وادعائه أنها من إبداعه كما نجد في عصرنا الراهن عصر الطباعة ووسائل الإعلام والإنترنت، إذ يسرق كثير من الكتاب - ومنهم أساتذة - بحوثا كاملة، وينسبونها إلى أنفسهم زورا وبهتانا. وللكاتب فهمي هويدي مقالة طويلة عرت هذا الصنف من اللصوص وكشفت عن مأساة شباب أذكياء فقراء استغلوا استغلالا خبيثا.. عنوانها «دكتوراه للبيع»!

عبدالله أيت الأعشير
كاتب مغربي



القول السديد في الاحتفاء بالأحوذي الرشيد

تكريم السيد الفاضل/ فيصل يوسف العلي

في البداءة لهذه الكلمة البارقة التي أرجو لها الفلج في إضاءة بعض خصال المحتفى به السيد فيصل يوسف العلي، رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء، أُثبت أنني بمجرد علمي بإحالة السيد فيصل العلي على التقاعد من خلال قراءة الصفحتين السادسة والسابعة من المجلة عدد ٦٠٥ ألفيت نفسي إزاء مجد لا ينبغي لأحد مثلي أن يضيعه للثناء الحسن على هذا العالم المفوه الجِهبَذ الذي انقاد له البيان بما يُريغ، والنوفل الزاخر الذي يُجري خيله بالبيان الشافي سهوا رهوا؛ مطلقا العنان لأزرار الحاسوب لتنطق عن مشاعري نطق المزمار عن فم القاصب؛ بعد أن غلبني الجذل والرضا والمودة الصافية تجاه هذا اللوذعي الفاضل، الذي أخُصُّه وجميع الموظفين الذين كان يَرْئَسُهم في هيئة التحرير، بتحيَّة زكية ذكية ذافرة عنبريَّة مسْكيَّة، تملأ الأرجاء التي تبلغها هذه المألكة أرجا وعَبَقا يُغري الناظرين باحتواء عطرها الفواح. ولا ريْبَ فالعبارة الرقيقة الفاتنة، إذا فاضت من القلب الأجْرد، نزلت نزول الطل على الغصون الأماليد فأنعشتها، وأمدتها بعناصر الحياة. أما إذا كانت مجردَ بِنتِ لِسَان، فإن وقعها يذهب مع الريح، من دون أن يكون لها تأثير على الآذان المصغية.

كما يقال: الضمائر الصِّحاحُ أَبْلَغُ من الألسنة الفصَاح. والله يشهد أني لا أطرس هذا الثناء رياءً وتزلفا وتملقا، إذ اللحظة لحظة وداع وفراق، وليست لحظةَ تنصيب وبداية مشوار، التي يحلو فيها لبعض المنشئين الألفاف أن تسيل ألسنتهم وأفئدتهم الهواء بالكلام العذب، الذي يَنصبُ الشراك والحبال لقضاء بعض المآرب الزائلة، والفوز بزخارف الدنيا التي كلما بدت كاملة، انتهت محصودة هباءً.

إذا ثبت بما لا يدع رسيسا من الريب أن كلمتي بريئة من هذه الوصمة، فإن صوت الحكمة الذي يميل على الدوام إلى الأخذ بنِسْبيَّة الأشياء، والتزام أوساط الأمور، بالإضافة إلى الرضا؛ اجتمعا عليَّ في هذا الموقف، فكان لزاما على ربَّة الفصحى أن تُزغْرِد للاحتفاء بهذا العالِم، الذي زكَنْتُه وتوكفتُ أخباره في أثناء المؤتمر الأول للصحافة الإسلامية في الكويت، وفي غيره من المواقف، فألفيته بحق قد آوى إلى ركن وثيق في

علم القيادة الإدارية؛ يُري الناظرين لمْحاً بَاصِراً في إصابة صميم الغرض الذي إليه قصد. هذا هو الحق الأبلج الذي أدْلي به، ومَنْ كانت هذه نُصبتُه، فَأحْرِ به أن يكون بعيد السَّأو (الهمَّة) الذي يَمْنعُ منَ البأو (التكبر)؛ كلما ذكرَت أغلب أعماله شَكرَتْ، لمَا له في مَهَمَّة رئاسة التحرير مِنْ قَدَم الصِّدْق، ونُبْل المَقصِد، وآية ذلك الافتتاحيات التي كان يطرسها للمجلة، التي كان يحرص فيها على براعة الاستهلال الذي ينثر دُرَرَ

الألفاظ المزمومة المخطومة على فرش المعاني التي تصيب المفصل في تثوير القرآن الكريم، والاستمداد من السنة النبوية الشريفة، ناهيك عما تتضح به تعابيره من لآلئ كلام الفصحاء الأبيناء بالنسبة إلى موضوع كل عدد من أعداد «الوعي الإسلامي» التي ضربت بجران في بث النهج الاعتدالي الوسطي الذي يسم ديننا الإسلامي الحنيف في سائر الأمصار والأصقاع التي تبلغها المجلة.

وإذا كان الحق يحتاج إلى مَن ينطق به، وإلى مَن يدافع عنه بالحُجة المخرِسة، فإنني أذكر أن مجلة «الوعي الإسلامي» بلغت البِغية في عهده من خلال العدد الهيضل من الإصدارات التي أمتعت بها المجلة قراءها، سواء بالنسبة إلى لوحات قواعد اللغة العربية البلاغية والصرفية والنحوية والإيقاعية، ومختصر السيرة النبوية، وغيرها؛ أو بالنسبة إلى كتيبات «ذخائر مجلة الوعي الإسلامي»، ناهيك تحقيق أُمَّات الكتب، بله الإصدارات الجديدة، التي بلغت فيها المجلة رتبة بعيدة المصعد.

تلك نتف بلا إشباع ولا كفاية، أزكّي بها ضميري للحديث عن هذا اللوذعي المبرِّز، وإذ أهنئه الآن بعد أن أنهى محطة العمل الإداري في وزارة الأوقاف الكويتية، فإنه يجب أن نعترف بملء أفواهنا أننا نودع فيه رجلا مِتْرَهيًّا صالحا، وقائدا إداريا أحكمته التجارب، وعلمتْه أن الصواب ينشأ في رحم المشاورة، ويتولد من تبادل كهرباءة السؤال والبحث عن الآراء المُحَصَدة، وعندما يتثبَّت من الرأي القارح، يصدع به مُغيِّرا الآراء الدَّبَرِيَّة، والأهواء الذاتية، ومُسَكِّنا روع النفوس.

إنه نموذج القائد الإداري الذي ينظر في الحوادث قبل وقوعها، فيُصْدرها حَقَّ مصدرها، مُسْكِتاً شقاشق كلِّ مُرتاب. وقديما قيل: من لم ينتفع بظنه، لن ينتفع بيقينه. لذلك تراه يدرك كنه المسألة برمّقة واحدة تهْديه إلى كيفية رتْق الفتوق التي تكشف عنها الأيام. هذا ديدنه وذاك سَأْوُهُ وسَدَمُه وجديلته.

إن الأسلوب الإداري المنفتح الذي يمارسه، والصفات القيادية التي يمتلكها، والعلاقات الإنسانية التي ينسجها في أثناء تفاعله مع الجماعة التي يقودها من رغائبها ـ كما اتضح لي خلال أيام المؤتمر الآنف ـ تُظهر



بلا ريب أن الرجل معدنٌ نفيس؛ من النمط القيادي الذي لا يأمر بشيء إلاَّ قَدَّرهُ بالاستطاعة، ولا يبرم أمرا إلا بعد الاستعانة، فهو على الدوام أحْضَرُ جوابا، وأرضى استجابة وإذعانا، لأنه يكتفي من الدنيا بما يكفي العجين من المِلح. وهي حقيقة لا يرتاب في صدقها الصادقون في ما أحسب، ولذلك فإن كثيرا من قراراته الإدارية تدخل الآذان من غير إذن، لأنه راضَ فلسفة سياسة الأفراد والجماعات، وسلك أوديتها وبحارها حتى جاء بالمَقْل، الذي يبدي في هذا الباب أساليب وأفانين لا يستطيعها إلا من كان سَبْطا ألْمَعِيًّا مِتْرهيّا. وكما قيل: ليس التَّكحُّل في العينين مثل الكُحل. وجدير بمن هذا دأبه وجَديلتُه أن يُعَدَّ كَعْبة الفضلاء يقتبسون من آلائه ما يَحيصُون به فتوق الأيام.

هذا طواف لا يعدو الومضة عن بعض آلاء هذا الرجل الألْمَعِيِّ اللوْذعيِّ صاحب القلب الأجْرد المخموم، الذي لا يؤالس ولا يدالس، لأن الحكمة قد أدبته، فعلمَتْه ألاَّ يُجاري غَضَبه، ليقينه أنَّ مَنْ أطاع غَضَبه أضاع أدبَه، كما علَّمه تديُّنه تذكُّر قدرة الله، فلم يستعمل سلطته وقدرته في إبعاد أصحاب العقول النيرة بمجرد الانتماء لهذا الوطن أو ذاك، لأن الميزان الذي يزن به المقالات التي ترد على المجلة، هو إضافتها الجديدة التي تجعل الثقافة تزكو، والدِّين ينضر، واللغة الفصحى تنمو ويسود سلطانها على الألسنة.

هذا هو القول الحق الذي أنطقني، ليقيني أن السكوت عن مزيات هذا النموذج الإنساني الفاضل الهادئ الذي يعمل عمل النحل، لا يكون إلا من الذين لا يعبأون بالنمو الهادئ، ولا ينتبهون إلا للسقوط المدوِّي.

نعوذ بالله أن نُحْشر في زمْرة هؤلاء وأولئك، كما نعوذ به من الحَوْر (النقصان) بَعْد الكوْر (الزيادة) ونُصَلي ونُسَلمُ على النبي المصطفى المختار المبعوث رحمة للعالمين؛ الذي علمَنَا السُّبُل اللاَّحِبَة في الحياة، ودعانا إلى الاقتصاد في الثناء، والإكثار من الإمداد بالدعاء. فاللهُمَّ أنْسِئْ في عُمر هذا الرجل الفاضل المخموم القلب، وارزقه عمرا طويل الآباد، بعيد الآماد، واخصصه بالسلامة، واجعل عقباه إلى أحسن الأقوال والأعمال في ما يُرضيك، وحَسِّن جأبه، ووسِّع رزقه، واجعله من الذين أخلصوا فتَخلصوا، وعَملوا فتوَقلوا، وأنابوا إليك فجَزيْتهم أحسن الجزاء، وتقربوا إليك بالمستطاع من الأعمال، فآويتهم برحمتك وعفوك ومغفرتك. آمين يا رب العالمين، والله يشهد أني لم أقل فندا وزورا، كما يشهد أني رضِيتُ فقلتُ أحسن ما وجدتُ.

د. محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والحضارة

ما وراء الإسلاموفوبيا!

إن للأسماء والكلمات والمصطلحات دلالات تحمل في ثناياها مخزونا لا نهاية له من التاريخ والثقافة والفلسفة والدين، وإن مصطلح «الحضارة» حمل ولايزال يحمل جدلية في المضمون لا تنتهي بين المفكرين في الشرق والغرب، فإذا كانت الحضارة والثقافة - في الرؤية الغربية - كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما، والحضارة هي ثقافة على نطاق أوسع، وكلاهما يضم المعايير والقيم والمؤسسات وطرائق التفكير التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في مجتمع ما (١).

إلا أن ثمة فارقا جوهريا بين الثقافة والحضارة في النسق الإسلامي، إذ إن الثقافة الإسلامية «تبدأ بالتمهيد السماوي بما اشتمل عليه من دين وفن وأخلاق وفلسفة، وستظل الثقافة تعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، فكل شيء في إطار الثقافة إما تأكيد أو رفض أو شك أو تأمل في ذكريات ذلك الأصل السماوي للإنسان» (٢).

إن الحضارة الغربية التي ابتعدت عن الوحي هي في حقيقتها غير المتغيرة «استمرار للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد، التبادل المادي بين الإنسان والطبيعة، هذا الجانب من الحياة يختلف عن الحيوان فقط في الدرجة والمستوى والتنظيم. هنا لا نرى إنسانا مرتبكا في مشاكله الدينية... إنما هو عضو المجتمع الغفل، وظيفته أن يتعامل مع سلع الطبيعة، ويغير العالم بعمله وفقا لاحتياجاته» (٣).

وانطلاقا من الرؤية المادية للحياة والكون ذات البعد الواحد للإنسان والأشياء، نسج منظرو سيادة الحضارة الغربية مثل برنارد لويس وصمويل هنتنجتون منوال نظريات صراع الحضارات، وخاصة الصراع بين الإسلام والغرب، فقد أكد لويس أنه بات «واضحا الآن أننا نواجه حالة وحركة تتخطى بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تتابعها، وهذا ليس أقل من صدام حضارات... ولكنه بالتأكيد رد فعل تاريخي لتنافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني وانتشار كل منهما على مستوى العالم» (٤).

وقد أكدت نظريات التفوق الغربي - التي لاقت رواجا وقبولا - أطروحة صراع الحضارات، بتفوق الغرب على الشيوعية ومن ثم الإسلام، وهي النظريات التي بدأت في الفكر الأوروبي الوسيط مع الإنسان الغربي «السوبرمان» كما رآه نيتشه، وطبقها هتلر مأساة في الحرب العالمية الثانية في رؤيته المختزلة للجنس الآري، وختمها أخيرا فرانسيس فوكوياما في نظرية «نهاية التاريخ»؛ حيث نجحت الديمقراطية والليبرالية الغربية في هزيمة الشيوعية، وأمست «الأيديولوجيا التي يمكن أن يقتنع العالم كله بصلاحيتها» (٥)، هي الملاذ الأخير والآمن، ومن ثم ضرورة سيادتها، وتوقف المسار التاريخي عندها كما قرر فوكوياما!

إن الفكر الصانع والمشكل الأول للوعي، ومن مثل هذه الأفكار التي اتكأت على سيادة العقل والأيديولوجيا الغربية وضرورة الصراع مع الحضارات العالمية وعلى رأسها الإسلام ساهمت بلاشك في تغذية ظاهرة «الإسلاموفوبيا».

على الشاشة

على الجانب الآخر، لم يترك مروجو «التخويف من الإسلام»، والمقتنعون بتلك النظريات وسيلة إلا واستخدموها في حربهم ضد الإسلام والمسلمين، وكان الإعلام ولايزال الأداة الأشد شراسة في بث الأكاذيب، وحبك الشائعات، وغسل العقول، ونشر العداء في الأوساط الشعبية الغربية.

ولما كان الإسلام دينا مجهولا لكثير من الأوساط الشعبية الغربية، فإن الجهل بهذا الدين حفز صناع الإعلام الغربيين من أنصار «التخويف» على خلق رأي عام معاد له، ويؤكد جوزيف كلابر مدير قسم البحوث الاجتماعية بشبكة كولومبيا للإذاعة والتلفزيون أن «هناك منطقة يمارس فيها الاتصال الجماهيري تأثيرا بالغ الفعالية، وتتمثل في خلق رأي عام فيما يتعلق بالقضايا الجديدة، وأعني بالقضايا الجديدة: تلك القضايا التي لا يملك الفرد حولها رأيا محددا، والتي لا يملك إزاءها رأيا محددا أيضا أصدقاؤه أو زملاؤه في العمل أو فالأسرة» (٦).



هكذا يعلن البعض العداء للإسلام..

ومن خلال السينما والإعلام نشرت جماعات العداء للإسلام كل شائعة مسمومة حتى أضحت الإسلاموفوبيا «أيديولوجية» راسخة وليست مجرد حركة عداء عابرة؛ «فالسينما والفن فرعان للأيديولوجيا، ولا يمكن لأحد أن يهرب إلى أي مكان؛ فالجميع مثل قطع في لعبة الصور المبعثرة، كل لديه المكان المخصص له، فالسينما بكل وضوح تنتج واقعا، وهكذا تتكلم الأيديولوجيا» (٧).

ثلاثة أفلام

وفي كتابه «صورة الإسلاميين على الشاشة» يحلل أحمد سالم ثلاثة أفلام هي:

«The kingdom»
«Lone survivor»
«Body of lies»

وهي أفلام تناولت الإسلام والمسلمين في الرؤية السينمائية الغربية من خلال زاوية الانتقاء، ليخلص في نهاية المطاف إلى أن «عزل واستبعاد السياقات التاريخية ودوافع الصراع بل وتشويه وتزييف الحقائق إنما يهدف بشكل أساسي لإعادة إنتاج الواقع؛ ليكون الواقع بالنسبة للمشاهد هو ما يراه على الشاشة، وتكون النتيجة النهائية هي عزل الإسلاميين مجتمعيا... ونحن نجد في التضخيم والتركيز على بعض الأحداث والنماذج المشوهة وإخفاء واستبعاد ما عداها؛ رغبة واضحة في تصوير الأمور كما يراد لها أن تكون لا وفق ما هو كائن بالفعل، وهو ما يكشف بطبيعة الحال عن المصالح القوية وشبكات العلاقات التي تخدمها هذه الأجهزة الإعلامية» (٨).

لقد أبرز الفكر العدائي الغربي للإسلام والإعلام ومراكز الأبحاث المسخرة له دورها النافذ في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وترسيخ ظاهرة الإسلاموفوبيا لتصبح في نهاية المطاف «أيديولوجيا» متنامية الانتشار، ولاشك أن ساعدها على ذلك وجود ظاهرة التطرف والغلو المبالغ فيه من طرف مسلمين يخدمون الجهل والغباء والتعصب، وهي الخدمة التي فتحت الباب واسعا للصحافة والإعلام الغربي لضرب مصالح المسلمين في الغرب، وللمساهمة في التضييق على الملايين منهم!

الهوامش

١- Hedley bull, The Anarchical Society: A Study of Order in Worled Politics (New York: Columbia University Press, ١٩٧٧), p.٣١٧.

٢- علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس ص ٩٤، مؤسسة العلم الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤م.

٣- بيجوفيتش، السابق ص ٩٤.

٤- صمويل هنتنجتون، صراع الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ص ٣٤٤، طبعة دار سطور، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٥- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين أحمد أمين ص ٥٤، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٣م.

٦- هربرت شيلر، المتلاعبون بالعقول ص ٢٣٤، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

٧- جان لوك كوملي وجان ناربوني، السينما/الأيديولوجيا/ النقد، ضمن: بيل نيكولز، «أفلام ومناهج»، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٨- أحمد سالم، صورة الإسلاميين على الشاشة، ص ٢٦١، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٤م.

د. محمد سعيد باه
أكاديمي من السنغال



في زحمة التدافع الحضاري

كيف نسوق حقائق الإسلام؟

سؤال مستفز يفرض نفسه بقوة بقدر ما يوجب علينا أن نواجهه بصلابة وشجاعة، وإلحاحه يتعاظم يوما بعد يوم إلى درجة التضخم بفعل هذا الركام الذي يكاد يحجب حقائق هذا الدين الخاتم، الذي ائتمننا الله عليه، عن البشرية المتعطشة إلى ما يروي ظمأها والتائقة إلى الحق والخير والجمال!

لمّا تقاعسنا عن عرض ما في أيدينا من قيم حسان تصلح وحدها لتزيين جيد البشرية طفق القوم التائهون ينقبون عنها في الأوثان والأوتاد ويتخيلونها في العاريات من الصور وفي الهابطات من المعاني. وانطلت عليهم خدع كثيرة..

على المستوى الشخصي ينتمي هذا السؤال إلى الأسئلة التي ظلت تطاردني منذ فترة؛ ما دفعني إلى محاولة تلمس جوابه فيما سبق من خلال شرح بعض تجلياته في سياق قريب عبر مقال لي حمل عنوان: «لماذا نهمل عرض لوحات الخير والجمال»؟ (١).

ساعة نمعن النظر في واقع الأمة اليوم، يبدو أن تطامن هم حمل الأمانة وأرق التبليغ اللذين كانا بمثابة ثقافة عامة تسري بقوة في صفوف الأمة الإسلامية عصر كانت شديدة الالتصاق بدينها، قد ترك في جماهير الأمة انعكاسه ثم أخذ يسري في صفوف من خصوا بأكبر قسط من ميراث الأنبياء كما



ينص على ذلك من أنزل الكتاب بالحق:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران:١٨٧)

في زحمة هذه الحياة التي تكاد وتيرتها المتسارعة تطحننا طحنا وتجرفنا عواطفنا غير المنضبطة فنتوهم أن شرح حقائق الإسلام وتقديمها للعالم لا يتم إلا في إطار معقد من التعاليم متجاوزين عنصر البساطة التي هي أولى خصائص هذه الرسالة المفتوحة الموجهة إلى البشرية، وهي الخاصية التي تتجلى في هذا النص البسيط الذي شدني كثيرا وأنا أقرأه وهم «السؤال - العنوان» ماثل أمام عيني جاثم على عقلي:

"علمني الإسلام:

احترام والدي؛ أن أعطي المحتاج؛ أن أحب البشر مهما كان لونهم وأصلهم؛ ألا أرفع صوتي؛ أن أرد بذكاء وحكمة؛ أن أكون حبيا؛ أن أعرف قيمة الأشياء؛ أن أبحث عن المعرفة وأحارب الجهل؛ في الواقع أثمة ما هو أجمل من أن أكون مسلما؟» (٢).

يجمل بنا ونحن نحاول سبر أغوار الموضوع، أن نورد لفتة أخرى من الروعة بمكان نرى أنها تحسن بسطا لما نتوق إلى سوقه من المفاهيم حتى نحدد ولو بصورة تقريبية كيف نرى توزع المسؤوليات علينا في تحتم عرض الصورة الصحيحة والجاذبة لهذا الدين الذي تناهى في الجمال لكن مسلكيات متسخة ومتراكمة تظل تحجبها عن الناظرين، ولولا ما يكتنزه من طاقة ذاتية خلاقة تبقيه في المدار لكان الناس قد انصرفوا عنه بالكلية بدلا من أن نشاهد قفز الآخرين فوق الحواجز العاليات ليرموا بأنفسهم في أحضانه بحثا عن دفء الإيمان ومتانة الإسناد لمواجهة الأعاصير التي تمزقهم كل ممزق.

نجد هذه اللفتة شاخصة في المنشور الذي تدوول عبر وسائل التواصل الاجتماعي حين سارع لاعب «الركبي» العالمي المسلم سوني وليامز إلى احتضان طفل كان رجال



الأمن على وشك الانقضاض عليه حين تسلل إلى وسط الملعب ثم اصطحبه إلى والديه وسط ذهول الجمهور فتوج ذلك بخلع الميدالية الذهبية التي كانت على رقبته ليضعها في جيد الطفل قائلا: «إنها في جيده أجمل».

في ظني، لا جدال في أننا نعيش ما يمكن أن ننعته بعصر ذي سوق مفتوح تعرض في جنباته كل البضائع أما القانون الصارم الذي يتحكم فيه فذو شقين:

جودة البضاعة وحسن العرض.

انطلاقا من هذا يحق لنا أن نتساءل: أيعاني المسلمون من رداءة البضاعة أو من قلتها ما يجعل حضورهم في السوق باهتا لا يلفت واردا ولا يشد طالبا أسوة بغيرهم ممن نجح في توريد بضاعات في غاية الفساد لكن حسن عرضها جعلها تتسلل حتى إلى عقر مخادعنا؟

كلا!

فقد وسم الله رأس مالهم (كتاب الله الأخير المهيمن)

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء:٨٢).

أبعد الشفاء والرحمة من مطلب!

أليس من مواصفات نبي هذا الدين الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦).

أم الإعاقة كامنة في الطرائق التي يتبعونها لعرض ما بأيديهم من لآلئ ما جعل رواد السوق لا يتوقفون عندهم ولا يلتفتون إليهم؟

بين فينة وأخرى يجتذبني وضع جداول أسجل فيها بعض ما أسمع الدعاة يقدمونه مطالب للإسلام على الخلق الوفاء بها وإلا هلكوا وبارت تجارتهم مع الله؛ وبعد كل فرز كومة من تلك الطروحات أجد

أنه كان الأولى بهم أن يحسنوا عرضها وطريقة الدعوة إليها.
بدلا من هذا المسلك النبيل ترى بعضنا يستميت في حصر الإسلام في تلك الجزئيات التي لا يستسيغها عقل مستقيم ولا يقبل عليها ذو ذوق سليم ثم يملأ الكون ضجيجا بأن هذا هو لب الإسلام ولحافه، فإذا تأملنا جيدا نجده مشمولا في اللائحة القرآنية التي حدد الله بها وظيفة خاتم الأنبياء وإمام رسله:

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف:١٥٧).

من الحقائق التي يحسن الالتفات إليها في هذا المقام أن رسالة الإسلام من الاتساع زمانا والشمولية مضمونا بحيث لا يعقل حصر مهمة البلاغ في إطار كهنوتي ضيق يؤدي في نهاية المطاف إلى تشويه الرسالة الإنسانية التي تمثل جوهر هذا الدين، مع قبولنا بتفاوت الأحجام وبالتالي مراعاة الأحمال تبعا لذلك كما يجلي ذلك حديث أصناف الأراضي المستقبلة للمطر (٣)، نصر على أن النسبة العالية من أمانة حمل وإيصال القيم الإيجابية ثم الحفاظ عليها تبقى واقعة على الطائفة المتقدمة ممن أورثوا الكتاب.
ويتقوى هذا بحقيقة أنه حين يطرح القرآن مبدأ الأسوة الحسنة كان من أجل مراميه إيجاد صيغة في غاية الفاعلية من أجل جعل القيم الإيجابية التي ما جاء الإسلام إلا لغرسها وجعلها أسس التعامل في العالمين ميراثا نتلقفه جيلا إثر جيل كي لا يتعلل متعلل بأنه كان في الجانب المظلم من الجبل.
من أولى الدروس التي تعلمناها فيما يتعلق بانتقال شعلة الحضارة الإسلامية إلى هذه البقاع النائية عن مهبط الوحي ومنبع النور الهادي، أن ذلك لم يتم على وقع قرقعات السلاح وسنابك الخيل وإنما انسل إلينا النور في هدوء وبلا جلبة من خلال بسمات رجال أطهار يحملون بضائعهم على ظهورهم وجذوة الإيمان الصافي في قلوبهم متقدة بينما كان عنوانهم الخارجي الصدق في الأقوال والأمانة عند التعامل بالدرهم والدينار؛ فأخذ قومنا يتساءلون من أي كوكب وردنا هذا الصنف العزيز؟ ولما نقبوا وجدوا في العمق جذر عقيدة صلبة لا عهد لهم بمثلها فسارعوا إلى اعتناقها ثم ما لبثوا أن ساحوا بدورهم في البلاد يبشرون بها وبعضهم يتاجر والبعض الآخر لابس أكفانه حتى كانوا ممن دكوا أبواب الغرب عند الزلاقة (٤).
مثل هذا التوهج الإيماني هو الذي شد «محمد أسد» وهو يجوب بعض حواضر بلاد المسلمين بحثا عن بدائل عن تلك القيم الساقطة التي يريد التخفف منها، إذ أرهقته وقومه؛ وجدهم يتنافسون على الخير تدل أفعالهم على سمو أخلاقهم فكانت صورة آسرة لا تقاوم لدى الضمائر الحية للباحثين عن موقع الواحة الوادعة.
كان حمل القيم الإيجابية وسيظل مهمة تناط بأهل الإسلام جميعا كل حسب حجم دلوه لكن القسط الأوفر لمن اصطفي واصطف ضمن موكب من ارتقى من موقع الصلاح إلى مرتبة الإصلاح كما يرسم لنا مشهد الكليم (عليه السلام) لما كان على مشارف مدين غريبا لاجئا يبحث عمن يؤويه:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القصص:٢٣-٢٤).

ثم، ألا يجسد هذا الموقف النبيل صحة مقالة «الأفعال أعلى صوتا من الأقوال!»؟

الهوامش

١- نشرته مجلة العاصمة الهندية ضمن المجلد الرابع، ٢٠١٢م، يمكن الاطلاع عليه في الشبكة من خلال موقع المجلة.
٢- ترجمة لرسالة قصيرة وردتني بالفرنسية وأشم فيها كون معدها ليس مسلما بالوراثة أو «من ذراري المسلمين» كما يقول الشهيد سيد قطب بل أرجح أن يكون ممن عانقه حديثا فذهل بالذي نمر عليه آناء الليل وأطراف النهار دون أن يوقفنا لَمَعَانُه الأخاذ لأن الألفة رانت على أنظارنا!.
٣- إشارة إلى حديث أبي موسى الذي رواه البخاري: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم..».
٤- نشير إلى إحدى بطون قبائل «الماندينغ» المعروفة باسم «جُلَ»، وإلى مشاركة كتيبة من «التكرور» في معركة الزلاّقة التاريخية ضمن جيش المرابطين كما يقول البكري.



هنادي الشيخ نجيب
كاتبة لبنانية

في ساحات التدافع الفكري:

الحوار هو الحل..

إنها الدائرة الأوسع ضمن دوائر التواصل الإنساني..
تبدأ من الحوار والمساءلة والمجاوبة، ثم تنتقل بالمتحاورين إلى دائرة التفاهم والتفاوض والتقارب، وبعدها إلى دائرة التعايش والتبادل والاستفادة من نقاط القوة..
على أن بعض الناس يختار أن يبقى ضمن دائرة المحاورة، لا يغادرها، فيتردد من موضوع إلى موضوع، ومن شبهة إلى شبهة، دون أن يصل إلى نقطة الاقتناع، ودون أن يتحول إلى دائرة التفاهم والتجانس، فضلا عن أن يصل إلى جوهر التواصل البشري؛ وهو التعايش وتبادل الخبرات والتكامل بين الطاقات.. ويخرج من كل الدوائر (الآخر) الذي يقاتل الناس في دينهم، ويخرجهم من ديارهم ظلما وعدوانا!

لقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ **(الممتحنة:٨).**
ولو أنا لجأنا إلى الحوار واستنفدنا أغراضه ووسائله، لكنا تجنبنا أو خففنا آثار كثير من المشكلات والصراعات الدامية التي تدفع البشرية ثمنها اليوم!

في الوقت الذي ننتظر فيه أن تقوم وسائل الإعلام بتكريس منهج الحوار والمناقشة بهدوء، باعتبار ما تمتلكه من سلطة على العقول؛ نراها تمارس دورا سلبيا في توسيع نطاق الخلافات وإشاعة نمط «قتالي» في المواجهات الكلامية عبر ما يسمى «البرامج الحوارية»، والتي غابت عنها المقاصد الأساسية للحوار بدءا من تصحيح كلام أو إظهار حجة أو إثبات حق أو دفع شبهة أو رد الفاسد من القول والرأي!

بل قد تحولت مختلف وسائط التواصل إلى ساحة حرب، يتم من خلالها استخدام كافة الأسلحة النفسية والكلامية الجارحة والخارجة عن إطار الخلق والدين، حتى إنها غفلت عن أن الحوار ليس مقصودا لذاته من باب إمتاع المشاهدين أو المستمعين بتباين الآراء وتصادمها؛ بل المراد منه الوصول إلى نقاط ارتكاز تؤسس لحالة من التفاهم بعيدا عن العنف والبذاءة والاتهام بالإرهاب الفكري أو التخلف..

وبينما نعيش في ظلال حروب تدور رحاها بين العقول، وتقصف بالأفكار كل ميدان، ويستعر أوارها في الفضاء العالمي موجهة ضرباتها للإسلام وأتباعه فيما بات يعرف بـ «الإسلاموفوبيا»، نسأل سؤالا جوهريا:

كيف نستطيع إيقاف هذا السيل من الشبهات والطعون؟! ومن هو المخول بإدارة هذه المواجهة؟ وما هي أدواته؟!

إنه زمن يمعن فيه الإعلام الدولي - على مدار الساعة - في تسليط الضوء على شبهات يظن أنها نقاط ضعف، وفرص ينفذون من خلالها إلى الجذور فيقتلعونها، أو يجدونها مدخلا لهدم هذا البناء من أساسه؛ فينبري تارة بالحديث عن الجهاد على أنه تشريع يشجع على القتل والاعتداء، أو بالحديث عن المنظومة الاجتماعية من الزواج والطلاق والتعدد والاختلاط، أو فيما يتعلق بالمرأة والحجاب والمساواة مع الرجل في التعليم والعمل والحقوق المالية والميراث، وغيرها من المواضيع التي تثار

حولها الشبهات والدعاوى!
وإنه مما لاشك فيه أن الحوار مع من يثيرون تلك القضايا ويريدون الوصول إلى كلمة سواء هو الطريقة الأنجع والأقصر في توضيحها، وتفسيرها، وبيان تفاصيلها، وشرح أبعادها النفسية والشرعية والمجتمعية..
فالحوار هو لغة الإسلام أصلا، وقد عقد الرب جل وعلا علاقة حوار إقناعي بينه وبين عباده، بما ينفي أي رابط قائم على الإكراه أو القهر بين الخالق وأكرم مخلوقاته..
والحوار في كتاب الله عز وجل قد غطى مساحات كبيرة من القضايا، وأدخل فيها أنماطا من المتحاورين غير الأكْفاء جمع بينهم في مواقف حوارية ناقشت مسائل عقدية وإيمانية وتشريعية، وأخضعها جميعها للمناقشة والمداولة حولها، طارحا نقطة الخلاف بكل شفافية، هادفا إلى تفنيد كل الشبهات العقلية والمنطقية المتعلقة بها، ناقلا كلام الخصوم دون تعتيم أو استبعاد، ومكرسا فلسفة تقضي بإمكانية الحوار حتى مع أشد الأعداء وأفظعهم..

أمثلة

ومن الأمثلة على تلك الحوارات التي دار فيها حديث متبادل بين الخير المطلق وهو الله جل في علاه وبين الشر المطلق وهو إبليس، قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾ (ص:٧٥-٧٧)..
بل إن القرآن يستعرض الرأي الآخر رغم فساده وبطلانه وضلاله دون اقتطاع أو تحريف، ودون خوف من التأثير.. إذ الحق في منطوق القرآن ومفهومه هو الغالب مهما بدا أن شبهة الأغيار محبوكة!
وفي منهج القرآن لا خوف من الحوار حتى مع إبليس نفسه، أو مع الملحدين أو الكافرين أو المنافقين.. وقد أعطوا الفرصة الكاملة والوقت الكافي ليطرحوا شبهاتهم، ويعبروا عن أفكارهم دون استهزاء أو استخفاف، ثم عرض الرد عليهم بكلامه تبارك وتعالى، أو على لسان أنبيائه ورسله، أو الأخيار من الناس..
﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ (الجاثية:٢٤).
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ﴾ (المائدة:٦٤)
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (يس:٤٧)..
نعم، لا خوف من إظهار كلام الخصوم أو مثيري الشبهات، أو حتى دفعهم ليقولوا ما عندهم، شرط أن تكون الأطراف المتحاورة مجمعة على إرادة الفهم والعلم، وتفهم اختلاف القدرات الذهنية والعملية لدى الآخرين..
ولا خوف من الدخول في نقاشات تتناول شبهات عميقة وخطيرة، إذا كان الاحترام هو السقف الذي يجتمع تحته المتحاورون، وغايتهم التي يتطلعون إليها الإنصاف والعدل، ونبذ الكراهية والعنصرية والتعصب الأعمى..

الثقة بالنفس

أما من يريد أن ينبري للدخول في تلك السجالات الفكرية فعليه أن يتصف بالعلم والفهم، والثقة بالنفس، وسرعة البديهة، والذكاء والفطنة، وجودة الإلقاء، وسلاسة العبارة، وحسن التصوير، وترتيب الأفكار، والإحاطة بالنقاط الخلافية، ومعرفة الظروف المجتمعية والتباينات الفكرية.
كرد أحد الدعاة إذ جاءه شاب أخذته الحمية للدين، وظن أن العنف هو السبيل لإرجاع الناس لدينهم، وقد أتى ليحصل على تفويض من الشيخ بإفناء المخالف أو المقصر؛ فسأله قائلا:
يا شيخ، ما حكم تارك الصلاة؟
أجابه الشيخ بحكمة ورفق وتفهم: حكمه أن تأخذه معك إلى المسجد!
فقطع عليه تكفيره، وحول وجهة تفكيره، ورده إلى جادة الصواب بكلمات لو عدها العاد لأحصاها!
وآخر أراد أن يحرج عالما في مجلسه أمام تلاميذه، فألقى شبهة على مسامعهم ليشغلهم بها قائلا: ترى، ما هو شعورك يا حاج لو أنك مت ولم تجد الآخرة حقيقة؟!
فأجابه برباطة جأش وسرعة بديهة: ليس أسوأ من شعورك يا ولدي، لو أنك مت فوجدتها حقيقة!!
وثالث غربي يسأل داعية عن سبب ارتداء نساء المسلمين الحجاب، فما كان من الداعية إلا أن وجه سؤالا للمستفهم، طالبا منه أن يسمي له أشهر امرأتين في التاريخ القديم والحديث عندهم، فأجاب الأجنبي بأنهما السيدة مريم والأم تيريزا هما أشهر امرأتين عند الغرب، فباغته بسؤال آخر عن الشيء المشترك بينهما.. سرح السائل قليلا ثم أجاب بأن الحجاب هو العنصر المشترك بين أطهر امرأتين عرفتهما الحضارة الغربية القديمة والحديثة، ثم هز رأسه وأومأ للشيخ بأنه فهم قصده ووصلت فكرته..
إن من الواضح أننا لا يمكننا أن نواجه حملات الكراهية والتمييز العنصري الموجهة ضد الإسلام وأهله، ولا أن نرجع الناس إلى الحق، إلا بالتنبيه والإقناع عن طريق الحوار، وباستخدام كل ما يتوفر بين أيدينا من وسائل إعلامية مرئية ومكتوبة ومسموعة، وباستثمار طاقة كل من يظهر عليه أمارات الحنكة والذكاء، وتصديرهم ليبارزوا المشتبه عليهم في ساحات التدافع الفكري..
ومن كان الحق معه، فلا يخاف بخسا ولا رهقا، ولا يخشى ظلما ولا هضما.

السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

صوت منصف..



مع كل تفجير هنا أو هناك، يجد المسلمون أنفسهم – حتى من قبل انتهاء التحقيقات – في زاوية الحصار، ويتم في وسائل الإعلام استدعاء حوادث لا يثبت أكثرها أمام التمحيص والتدقيق، حتى ما ثبت فعله منها من قبل مسلمين فإنه لا يصح تعميم إثمه على مليار ونصف المليار، ولا تحميل خطئه على الإسلام وثقافته وحضارته!

لكن للأسف، إذا كنا بصدد الإسلام والمسلمين فإن قواعد راسخة وحقائق أولية يتم القفز عليها، وركلها، في استهانة ممجوجة بالحقوق والحقائق!

فهل يختلف اثنان على أنه لا توجيه لاتهام قبل تحقيقات شفافة ودقيقة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن التطرف عابر للأديان والأجناس، وأن ما نسب لبعض المسلمين مدان ومستنكر من أكثرهم ومن مجامعهم العلمية ذات الثقل المعرفي؟!

فلم إذن تلك الحملة الشعواء على الإسلام والمسلمين، التي تتجدد مع كل حادثة؟!

ورغم أن ثمة كتابات منصفة أبرزت رؤية الإسلام الإنسانية الراقية للمخالفين، ووثقت تعامل المسلمين السمح مع غيرهم، وأشادت بإسهاماتهم الفكرية والتقنية التي عادت بالنفع على بقية الأمم؛ فإنها كتابات تظل قليلة الأثر أمام ذلك الحشد الإعلامي المتدفق الذي يراد منه وصم أمة الإسلام بالإرهاب والتطرف!

فكتابات مثل «حضارة العرب» للعلامة غوستاف لوبون، و«الإسلام خواطر وسوانح» للكونت هنري دي كاستري، و«الدعوة إلى الإسلام» للسير توماس أرنولد، و«شمس الله تشرق على الغرب» للدكتورة سيجريد هونكة، إضافة إلى جهود آخرين كثيرين مثل آنا ماري شيمل، وكارين أرمسترونغ – فضلا عن إسهامات الغربيين الذين أسلموا، في مقدمتهم محمد أسد، وجارودي، وهوفمان – قد أعادت بعض الاعتبار للإسلام والمسلمين من جهة، وأكدت من جهة أخرى وجود عقلاء منصفين وسط هذا الركام، يمكن معهم مد الحوار وتدعيم جسور الثقة؛ لتصحيح الصورة المغلوطة، وتجاوز المشاغبات والافتراءات.

بلينيل.. من أجل المسلمين

إيدوي بلينيل هو صوت منصف، سنقف معه هنا بشيء من التفصيل.. وقد حاول أمام ما يثار عن مشكلة الإسلام في فرنسا، «التصدي – من خلال الانحياز بعقلانية لمواطنينا من أصول وثقافة



أو عقيدة إسلامية – لمواجهة أولئك الذين يقدمونهم أكباش فداء لقلقنا وحريتنا» (١).

بلينيل صحفي فرنسي شهير، تولى رئاسة تحرير جريدة «لوموند» الفرنسية ما بين ١٩٩٦– ٢٠٠٤م، وهو يرأس حاليا إدارة جريدة «ميديابارت» الإلكترونية، وقد أصدر كتابه «من أجل المسلمين» – الذي أحدث دويا في فرنسا – رغبة منه في كشف قطاعات سياسية وإعلامية رأى أنها «جنحت إلى خطاب صراع الحضارات المثقل بماض استعماري لم يتم التخلص منه قط» (ص ٤٨).

أهمية «من أجل المسلمين» (٢) أن بلينيل كتبه بوعي عميق سياسيا وتاريخيا، وبصراحة شديدة جدا، ربما لو صدرت من أحد المسلمين لكان اتهم بمعاداة فرنسا أو التحامل على الغرب!

يلفت بلينيل إلى محاولات إحلال العداء للمسلمين محل العداء لليهود، في لعبة صناعة «العدو الداخلي»؛ قائلا: «إنه فخ مكشوف، ولكنه فعال مع الأسف. إن اليمين المتطرف لم يغير أبدا أصله التجاري؛ أي الخوف والكراهية المتأججة وتعيين أكباش فداء؛ لكنه غير الهدف، من خلال الحدس بأنه في ظل الارتباك العام المستشري والعقول المبلبلة، فإن حركة معادية للأجنبي ستحظى بالحق في الاحترام إذا نأت بنفسها عن معاداة السامية» (ص٤٤). ويستشهد بما رصدته الباحثة والمؤرخة فاليري إيغوني من أنه مع نهاية سنوات الألفين لم يعد اليهودي هو عدو الجبهة الوطنية، بل المسلم الفرنسي (ص٤٣).

وبسبب من هذا التشابه، في التعامل مع اليهود سابقا، ومع المسلمين حاليا، لتبرير الفشل في المشكلات الداخلية، بتعليقها على شماعة الهجرة، وعدم قدرة المسلمين على الاندماج؛ فإن بلينيل أطلق صرخته «من أجل المسلمين» على غرار صرخة «من أجل اليهود» التي أطلقها الأديب الفرنسي إيميل زولا سنة ١٨٩٦م.

ويقول بلينيل في صراحة تحمد له: «الكراهية المسلطة على الإسلام وممارسيه، من طرف لائكية متعصبة وخائنة للائكية الحقيقية (٣)، هي تعبير عن الإنكار الاجتماعي للمهيمنين على المضطهدين» (ص ٨٨). أي أنهم يهربون من استحقاقات المسألة الاجتماعية، عدالة ومساواة، بإثارة مسألة الوجود الإسلامي!

من أجل فرنسا

يوضح بلينيل أن صفارة الإنذار التي يريدها أن تصدح عاليا، من خلال ما أسماه «الدفاع عن المسلمين في إطار التنوع»، ليست دفاعا عن المسلمين فحسب، بل هي أيضا دفاع عن فرنسا ذاتها؛ اعتقادا منه – كما كان يعتقد إيميل زولا – بأن «الجمهورية» لا يمكن أن تكون «إلا في إطار الحركة والخلق والإبداع؛ عكس المحافظة والجمود اللذين يدعوان إلى النبذ ويؤيدانه، ويغذيان الخوف» (ص ١٤٠).

ويضيف بلينيل: «تلك هي صفارة الإنذار التي أريدها أن تصدح عاليا.. إن هذا ليس رهانا تضامنيا فحسب، بل رهان الوفاء لتاريخنا وذاكرتنا وإرثنا ودفاعا عن المسلمين. كما يمكن أن يكون دفاعا عن اليهود، ودفاعا عن السود، وعن الغجر الروم، أو أيضا دفاعا عن الأقليات وعن المضطهدين، أو – باختصار – دفاعا عن فرنسا» (٤٨، ٤٩).

بل يؤكد بلينيل أن نجاح فرنسا في التعامل مع أبنائها المسلمين يمثل مدخلا فعالا في علاقتها بالعالم، فيقول: «إن مصيرنا، الفردي والجماعي، مرتبط عمليا بالمصير المخصص لمسلمي فرنسا؛ فهو الذي يمتلك اليوم مفتاح علاقتنا بالعالم وبالآخرين؛ وذلك بحسب ما إذا كنا نسعى إلى فك العقد أو تضخيم التوترات، نسعى إلى التهدئة باعتماد العقل، أو نؤجج – باعتماد الانفعالات – مشكلة إسلامية مفترضة» (ص ٤٨).

رفض التعميم

يحذر بلينيل من تعميم أخطاء يرتكبها أفراد على كل المسلمين، وهو السلوك الذي تلجأ إليه وسائل إعلام، أو سياسيون لتحقيق مكاسب انتخابية! فيقول: «ينبغي ألا تكون الجرائم المرتكبة من مسلمين مزعومين، والتي أغرقت المسلمين أنفسهم في حروب لا نهائية، مبررا لردة فعل اضطهادنا لمسلمي فرنسا» (ص ١٠٥).

ويشدد على أن «الحروب الكلامية المكررة التي يصنعها التضخيم الإعلامي، حيث تنتعش صحافة الرأي بدل صحافة الإعلام – سواء أتعلق الأمر بالمساجد أم بالصلوات أم باللباس أم بالتغذية – تجعل فرنسا مريضة بذاتها.. فهذا التضخيم الإعلامي يدفع فرنسا إلى رفض التعددية التي توجد فيها، وعدم تقبل تنوعها، وبالنتيجة عدم تحمل تحدياتها الاجتماعية» (ص ٨٧).

ويعترف بلينيل بأن مصطلح «الإسلاموفوبيا» أصبح «يستعمل من طرف جماعات سياسية لاستقطاب كتلة انتخابية أكثر اتساعا، والمطالبة بحق التعبير عن كراهية الدين الإسلامي والمسلمين. والمقلق أكثر، أن إحدى الفصائل المتطرفة قد انتقلت من مستوى الخطابات إلى مستوى الممارسات» (ص ٤١). لافتا إلى أنه «بمسايرة هذا المنطق الخطير، فإن تعنيف سيدة محجبة ليس سوى عمل نضالي ضد ممارسة تعد نوعا من الاضطهاد الممارس بحق النساء» (ص ٤٢).

ويوضح بلينيل أن اختزال المسلمين في سلوك بعض الأفراد – أو تعميم سلوك بعض الأفراد على الجميع – من شأنه أن يزيد من الهوة بين أبناء المجتمع؛ فيقول: «هذا الاختزال لمسلمي فرنسا في إسلام واحد يختزل بدوره في الإرهاب والأصولية، ليس من شأنه توفير الحماية لنا؛ بل هو أفضل هدية نقدمها للراديكالية الدينية في سياق لعبة المرايا؛ حيث المماهاة الكزينوفوبية تبرر المماهاة الهوياتية» (ص ٤٨)، أي أن الإسلاموفوبيا تبرر الانغلاق والتمترس خلف الهوية؛ كنتيجة طبيعية لأجواء الشحن ضد الإسلام (٤).

تصنيف مرفوض

يرفض بلينيل فكرة تصنيف الحضارات، ويراها خطرا على حالة السلم بين المجتمعات والشعوب. ولذا، فقد استنكر تصريحا لسياسي فرنسي – وكان مرشحا للرئاسة سنة ٢٠١٢م –

قال فيه: «ليست لكل الحضارات القيمة نفسها»، مشيرا إلى وجود حضارات «أكثر تقدما» من أخرى أو «أرقى» من أخرى، وإلى أنه يقصد الإسلام.

ويشيد بلينيل برد أحد النواب بأن تصريحات هذا السياسي «إهانة للإنسانية»، وفرت في الماضي أرضية خصبة لنمو الأيديولوجيات الأوروبية التي أنتجت مراكز الاعتقال النازية. ثم عقب بلينيل بالقول: «في أزمنة الانحطاط الوطني تأتي فترات نحس فيها بالخزي، ليس فقط من المسؤولين، بل أيضا من الصحافة، التي ما بين التبعية واللاوعي، تساير هذا الأسلوب الهابط» (ص ٦١). يقصد أنها وقفت موقفا سلبيا من هذه التصريحات العنصرية.

ويؤكد بلينيل أنه «ليست هناك من حضارة اختصت وحدها بغياب الجهل، أو بهيبة التألق والإشعاع؛ وليس من شعب يحتكر وحده الجمال والعلم والذكاء. وكما يقول مونتين: كل إنسان يحمل الشكل الكامل للشرط البشري» (ص ٦٤). ويحذر بلينيل من أن القول بتصنيف الحضارات هو مقدمة للإقصاء، فيقول: «إن وضع تصنيف تراتبي للبشر وما أبدعوه من ثقافات وأديان وحضارات، من شأنه فتح طريق الفرز والانتقاء: إقصاء من يتم إعلانه (أقل تقدما)، وإعلاء من يفترض (راقيا)، وإنكار إنسانية من حكم عليه بالدونية» (ص ٦٦).

اندماج لا انصهار

وفي لفتة عميقة يفرق بلينيل - فيما هو مطلوب من المسلمين - بين «الاندماج» و«الانصهار»؛ حيث يرى أن الأول ضروري ومهم، وهو يعني حسب رؤيته «التعبير عن السعي نحو الوحدة في إطار التعددية، السعي نحو حياة نشيدها ونبتكرها معا؛ من خلال نسج علاقات دون هدر أو ضياع» (ص ٨٦).

بينما يرفض بلينيل الدعوة للانصهار، مبينا أن «الانصهار إكراه مرعب، كما كان الشأن مع الاستعمار، لاسيما الفرنسي: ألا نقبل الآخر إلا إذا تخلى عن ذاته، ألا نحفل به إلا إذا قرر أن يشبهنا، ألا نوافق عليه إلا إذا تنازل عن كل ما كانه» (ص ٨٦).

أما عن كيفية الخروج مما يسمى «مشكلة الإسلام في فرنسا»، فقد أوضحها بلينيل في مقاله الذي نشره عقب أحداث «شارلي إيبدو»، بعنوان: «رسالة إلى فرنسا»، حيث دعا إلى ترسيخ «الإنسانية كمطلب مشترك ملح، دون تمييز حسب الأصل أو المظهر أو المعتقد، في إطار الاحترام المتبادل لموروثاتنا وانتماءاتنا» (ص ١٣١).

وأكد بلينيل حاجة فرنسا إلى «الانتفاضة»، لكنها بحسب تعبيره «ليست انتفاضة سياسات الخوف، التي تريد جرنا إلى الحرب؛ إنما انتفاضة المساواة والسياسات الديمقراطية والاجتماعية، التي وحدها تستطيع صد موت الأمل الذي تقتات منه حرب الهويات» (ص ١٢٩، ١٣٠).

هذه كانت صرخة صادقة لكاتب فرنسي منصف انحاز إلى «الإنسانية»، في مقابل من يستعيدون جولة أخرى من «صدام الحضارات» والإرث الاستعماري؛ بينما هم في الحقيقة يهربون من سؤال المسألة السياسية والاجتماعية!

الهوامش

١- انظر كتابه: «من أجل المسلمين»، ص ٣٨، هدية مجلة «الدوحة»، عدد يونيو ٢٠١٥م، ترجمة عبداللطيف القرشي. وجميع الإحالات هنا من هذا الكتاب، ولذا اكتفيت بذكر أرقام الصفحات بجوار الفقرات المقتبسة.

٢- صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في باريس، سبتمبر ٢٠١٤م، أي قبل أربعة أشهر فقط من الهجوم على صحيفة «شارلي إيبدو» في يناير ٢٠١٥م، بعد نشرها كاريكاتيرا مسيئا عن النبي ﷺ، مما أحيا الجدل حول الإسلام في فرنسا، ودفع بلينيل لكتابة مقاله المهم «رسالة إلى فرنسا»، على منوال مقال كان أصدره إيميل زولا بالعنوان ذاته في ظروف احتقان مشابهة. وقد ضم مقال بلينيل إلى الطبعة العربية التي صدرت هدية عن مجلة «الدوحة».

وفي «رسالته» تساءل بلينيل: «كيف نلقن شبابنا احترام الآخر والسلوك المدني البسيط، ومنع الشتيمة والإهانة بالنظر إلى الأصل أو المظهر أو العقيدة، إذا كان فضاؤنا العمومي، بوسائله الإعلامية وبسياسييه يقومون وهم راضون عن أنفسهم بيداغوجيا (أي ممارسات الإدماج) معاكسة قائمة على الانتهاك اللامسؤول والهدام لكل أنموذج تضامني ولكل قيم الجمهورية المشتركة ولكل جماعة وطنية؟ فالمناداة بحرية التعبير دفاعا عن الحق في الكاريكاتير بمبالغاته الساخرة أو المتهكمة - التي ترافق حملة التضامن مع صحيفة «شارلي إيبدو» - لا تقتضي أن تنحط حياتنا العمومية وتضيع في كراهية جزء من شعبنا بسبب أصله أو ثقافته أو عقيدته. لا يمكن للفكاهة أن تكون مبررا للكراهية».

٣- يرى بلينيل أن «الدولة اللائكية ليست معادية للأديان ولا غير مبالية بها، إنما هي منفصلة عنها، وممارستها مرتبطة بهذا العالم وليس بغيره»، ص ١٠١؛ وهو بهذا يقترب من مفهوم «العلمانية الجزئية» عند د. عبدالوهاب المسيري.

كما يوضح بلينيل أن «اللائكية التي يبتهلون بها كتعويذة سحرية لا علاقة لها باللائكية الأصلية، التي لا تعني التشنج في وجه الإقرار بعقائد الأقليات، بل تعني الاعتراف بها؛ ليس دفعها نحو الاختفاء، ولكن الاعتراف بحقوقها المدنية. هؤلاء، غير الأوفياء لتعهدات قانون اللائكية لسنة ١٩٠٥م، يشكلون بالنسبة للائكية ما يشكله التطرف بالنسبة للدين»، ص ٩٦.

وهذا تفسير لو اقتربت منه الحالة الفرنسية لتم تجاوز أزمات كثيرة يفرضها التفسير المتعسف للعلمانية في فرنسا، بخلاف دول أوروبية أخرى تبدو أكثر تسامحا مع الأديان، خاصة الإسلام.

٤- يوضح المترجم، عبداللطيف القرشي، أن «الكزينوفوبيا» تعني الخوف من الأجنبي، أو رهاب الغريب؛ وهو مفهوم يوظف لتوصيف حالة نفسية فردية أو جماعية يهيمن فيها الخوف من الغريب الذي هو محل تشكيك وريبة؛ ويتحول الخوف إلى إقصاء وتمييز ممنهجين يعكسان العجز عن الانفتاح على الآخر المختلف (هامش ٣ في ص ٣٤). بتصرف يسير.

إسلام لطفي - القاهرة
دار الإعلام العربية

عبقرية المكان.. وتفاصيل عصية على الحصر

قلعة صلاح الدين الأيوبي..

تنظر إليها بمهابة ووجل، وتحثك قدماك على الارتقاء في الممر الذي يقودك إلى بوابتها الرئيسية، ترفع عينيك محاولا الإلمام بجميع تفاصيلها من دون جدوى.. فالبناء شاهق، والتفاصيل عصية على الحصر، والتاريخ والأحداث أكثر من أن تحصرها كلمات؛ لذا نطوف عبر هذه الصفحات في جولة سريعة بين جنبات القلعة، قلعة صلاح الدين الأيوبي بقلب القاهرة الإسلامية.. فإليها.

أول من سكن القلعة هو الملك الكامل واتخذها دارا لحكمه، واستمرت كذلك حتى عهد محمد علي. وقد شرع صلاح الدين الأيوبي في تشييدها فوق جبل المقطم في موضع كان يعرف بـ «قبة الهواء»، لكنه لم يتمها في حياته، إنما أتم بناءها السلطان الكامل بن العادل. وفي الضلع الغربي منها باب مدرج تعلوه لوحة تشير إلى بنائها، نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء





هذه القلعة الباهرة، المجاورة لمحروسة القاهرة التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجأ إلى ظل ملكه وتحصينه، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، أبوالمظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولي عهده، الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد خليل أمير المؤمنين، على يد أمير مملكته، ومعين دولته، قراقوش بن عبدالله الملكي الناصري في عام تسع وسبعين وخمسمئة».

أفخم القلاع الحربية

تعتبر القلعة من أفخم القلاع الحربية التي شيدت في العصور الوسطى، فموقعها استراتيجي من الدرجة الأولى، بما يوفره هذا الموقع من أهمية دفاعية، لأنه يسيطر على مدينتي القاهرة والفسطاط، كما أنه يشكل حاجزا طبيعيا مرتفعا بين المدينتين، وبهذا الموقع يمكن توفير الاتصال بين

بنيت في موقع استراتيجي على مساحة ٦٠ فدانا وتضم ١٥ برجا

القلعة والمدينة في حالة الحصار، كما أنها تصبح المعقل الأخير للاعتصام بها في حالة إذا ما سقطت المدينة بيد العدو.

مر بهذه القلعة الشامخة الكثير والعديد من الأحداث التاريخية، حيث شهدت أسوارها أحداثا تاريخية مختلفة خلال العصور الأيوبية والمملوكية وزمن الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، حتى تولى محمد علي باشا حكم مصر، حيث أعاد إليها ازدهارها وعظمتها. كان السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول من فكر في بناء القلعة على ربوة الصوة في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م، حيث قام وزيره بهاء الدين قراقوش الأسدي بهدم المساجد والقبور التي كانت موجودة على الصوة ليبني القلعة عليها، فقام العمال بنحت الصخر وإيجاد خندق اصطناعي فصل جبل المقطم عن «الصوة»؛ زيادة في مناعتها وقوتها.

وقد حفر صلاح الدين في القلعة بئرا يستقي منها الجيش وسكانها إذا مُنِع الماء عنها في حال تم حصارها. وتعتبر هذه البئر من أعجب ما تم من أعمال فيها؛ لأنها محفورة في الصخر بعمق ٩٠ مترا من مستوى أرض القلعة، وهذا يتطلب جهدا كبيرا في ذلك الوقت.

عبقرية المكان

وخلال تجول «الوعي الإسلامي» بين ربوع القلعة، اصطحبنا مدير منطقة جامع محمد علي ومتحف الشرطة وقصر الجوهرة، جمال إبراهيم، الذي قال إن القلعة بنيت في عام ١١٧٦م، حيث قرر صلاح الدين أن يبني قلعة في مكان جيد التهوية، وموقع استراتيجي يتحكم في القاهرة أجمعها، إذ كانت

حينذاك مجرد جزء من مصر القديمة، وكانت مدينة الفسطاط أول عاصمة إسلامية بنيت، وعلى يسارها تم بناء مسجد عمرو بن العاص، وبنى ابن طولون مدينة القطائع في عام ٨٧٦، وجوهر الصقلي بنى مدينة القاهرة التي أنشأها المعز لدين الله العبيدي في عام ٩٦٩، وتلك العواصم كانت في حاجة إلى حماية، فأنشأ صلاح الدين على جزء من جبل المقطم قلعته، وتمتد أسوارها إلى مصر القديمة وإلى القاهرة الفاطمية، فأحاط المدن كلها بسور واحد، لأن الغزو كان يأتي من الشرق، فكانت تنتشر الأربطة والمراصد في الشرق، مشيرا إلى أن المقابر كانت خارج أسوار القلعة، وإلى جانبها كان يعيش الحرافيش، الذين لا منازل لهم.

وأضاف: عندما شرع صلاح الدين في بناء القلعة جرّب تعليق قطع من اللحم في مناطق مختلفة حتى يختبر جودة المكان وتهويته وصلاحيته للمعيشة، ومن ثم بنيت القلعة على مساحة ٦٠ فدانا، وضمت نحو ١٥ برجا.

وتابع: في العصر المملوكي توسعت القلعة بالنسبة إلى القسمين الغربي والجنوبي، لافتا إلى أن معظم المنشآت الموجودة في القلعة منذ العصر المملوكي والعثماني ومحمد علي، وهناك المتحف الحربي وقصر الجوهرة وجامع الناصر محمد بن قلاوون وجامع سليمان باشا الخادم، إضافة إلى متحف المركبات الملكية ومتحف المضبوطات ومتحف الشرطة، وهناك إسطبلات الخيل، ومخزن الأسلحة والذخيرة، موضحا أن محمد علي كان آخر من قام بإنشاءات داخل القلعة في عام ١٨٤٨م.

شهدت أحداثا تاريخية خلال العصور الأيوبية والمملوكية والحملة الفرنسية

مسجد الناصر محمد بن قلاوون

انتقلنا إلى مسجد الناصر محمد ابن قلاوون، حيث أشار إبراهيم إلى أنه يعتبر من أقدم المساجد الموجودة داخل القلعة، إذ بني على آثار مطبخ سلطاني كان موجودا في العصر المملوكي، وأشرف الناصر محمد على بنائه.

وأضاف: الجامع أنشأه السلطان محمد بن قلاوون، أحد سلاطين العصر المملوكي، كما بنى حينها مدرسة في منطقة النحاسين، والمسجد في البداية كان صغيرا، لكنه بعد ذلك غير تصميمه وجعله أوسع، حيث وصل إلى نحو نصف فدان، واستجلب أعمدته من مناطق عدة، فهناك عمود عليه مزولة «الساعة الشمسية» التي كانوا يعرفون بها مواقيت الصلاة، ونظرا لأن الأعمدة مستجلبة من أماكن كثيرة، منها المعابد والبيوت القديمة، فيغلب على طراز هذه الأعمدة الطابع اليوناني.



وأشار إبراهيم إلى أن المسجد يحتوي على صحن مكشوف يحيط به ٤ أروقة، وكل جانب يحتوي على رواقين، وكان الصحن هو المتنفس، فيلاحظ أنه أكبر جزء في المسجد، والمئذنة لا شبيه لها في مصر، ومكسية بالسيراميك الأخضر، وهذا أقدم طراز في المآذن، وتحولت بعد ذلك في العهد العثماني حيث كسيت بالسيراميك الأزرق، وكان هذا اللون شائعا، والقبة مكسية بالسيراميك الأخضر، والجامع عامة استخدمت فيه وزرات رخامية وجدران مبلطة، والجامع كان متهدما بالكامل في العصر العثماني، حيث نزع العثمانيون الرخام الذي كان على الجدران، لكن الملك فاروق أعاد بناءه. ونظام الإضاءة في الجامع كان بالمشكاوات، لكن الموجودة حاليا ليست الأصلية، إلا أنها على الطراز ذاته. إيوان القبلة بعد الترميمات التي فعلها الملك فاروق في عام ١٩٤٧م، أضاف إليه منبرا من خشب الساج الهندي مطعّم بالعاج والأبانوس، ويقال إن هناكً مثيلا له أو الأصل منه في مكان آخر، والسقف عبارة عن أشكال القصعة الملونة.

وتابع أبراهيم: منبر المسجد، الذي أضافه الملك فاروق، يحتوي على أشكال العنب، وهي عبارة عن حشوات كلها قطع مركبة، وهو

عبارة عن نصف طبق نجمي، حيث كان منتشرا في العصر المملوكي، كما أن هناك طبقا كاملا يسمى ريشة المنبر في الجوانب (الطبق النجمي)، حيث يتكون من لوزة وترس وكندة، وعلى باب المنبر جملة مكتوبة بخط الثلث: «أمر بعمل هذا المنبر المبارك حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول، وكان الفراغ منه في سنة ثمان وستين وثلاث مئة وألف»، مما يعني أنه في عام ١٩٤٧م. والمحراب من الرخام عبارة عن بائكة من عقد مفصص، وهناك كوشة، وكذلك يحتوي على الرخام الموزاييك.

مسجد محمد علي

توجهنا إلى مسجد محمد علي، أحد مساجد القلعة، حيث لفت إبراهيم إلى أن والي مصر السابق أنشأه عام ١٨٣٠م، واستغرق بناؤه ١٨ عاما، ويلقب بثلاثة أسماء: محمد علي والقلعة والمرمري، مشيرا إلى أن جدران المسجد من الداخل والخارج مكسية بالمرمر بارتفاع ١١ مترا، ويعتبر أشهر مساجد القلعة، وأنشئ بعد إنشاء القلعة بنحو ٧٠٠ عام، وبني شبيها بالجامع الأزرق في تركيا على الطراز البيزنطي، ويوجد في صحن المسجد قبة مخصصة للوضوء، كانت المياه تأتي من النيل عن طريق مجرى العيون، لذلك بنيت عدة خزانات في القلعة، من ضمنها خزان تحت الصحن عمقه ١٧ مترا مخصص لمياه الشرب والوضوء، وهناك برج الساعة الذي كان إهداء من ملك فرنسا لمحمد علي في عام ١٨٤٥م، مع نجفة داخل الجامع.. قباب المسجد مكسوة بالرصاص، يعلوها النجمة والشمس، لأن أشعة الشمس كانت شعار أسرة محمد علي، وتوجد في الجامع مئذنتان على الطراز العثماني ارتفاعهما ٨٤ مترا، وقبل استخدام الميكروفون كان المؤذن يصعد ٢٥٦ درجة ٥ مرات في اليوم.

ويمكن الدخول إلى مكان الصلاة من خلال ٥ أبواب، حيث يوجد قبر محمد علي، الذي زخارفه نباتية فرعونية، وفوق القبر يوجد طربوشه، والمقصورة التي توجد حول القبر مصنوعة من النحاس ومطلية بورق الذهب، والجدران الداخلية للقبر مكسية بالخشب والحديد.

وأوضح إبراهيم أن السقف عبارة عن تركيبة من القباب وأنصاف القباب، حيث بنيت على الطراز البيزنطي، وكل ركن توجد به قبة صغيرة، الطراز يعطي الإحساس بوجود تكييف داخلي للمكان، كما يعطي ميزة صدى الصوت، ومكتوب في السقف أبوبكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب، وتم ترميمه في عصر الملك فؤاد عام ١٩٣٦م.

وقال إبراهيم إن النجفة كانت تضاء بالشمع، ولاتزال توجد بعض اللمبات الأصلية، وسجادة المسجد تتكون من أجزاء إذا جمعت تعطي سجادة واحدة، والمسجد به منبران: الأول يعود إلى عصر محمد علي والآخر يعود إلى عصر الملك فاروق، وكان في عهد محمد علي لا يوجد ميكروفون فوضع المنبر قريبا من منتصف المسجد.

تحتوي على كثير من المنشآت كمسجدي الناصر قلاوون ومحمد علي باشا

عصية على الحصر

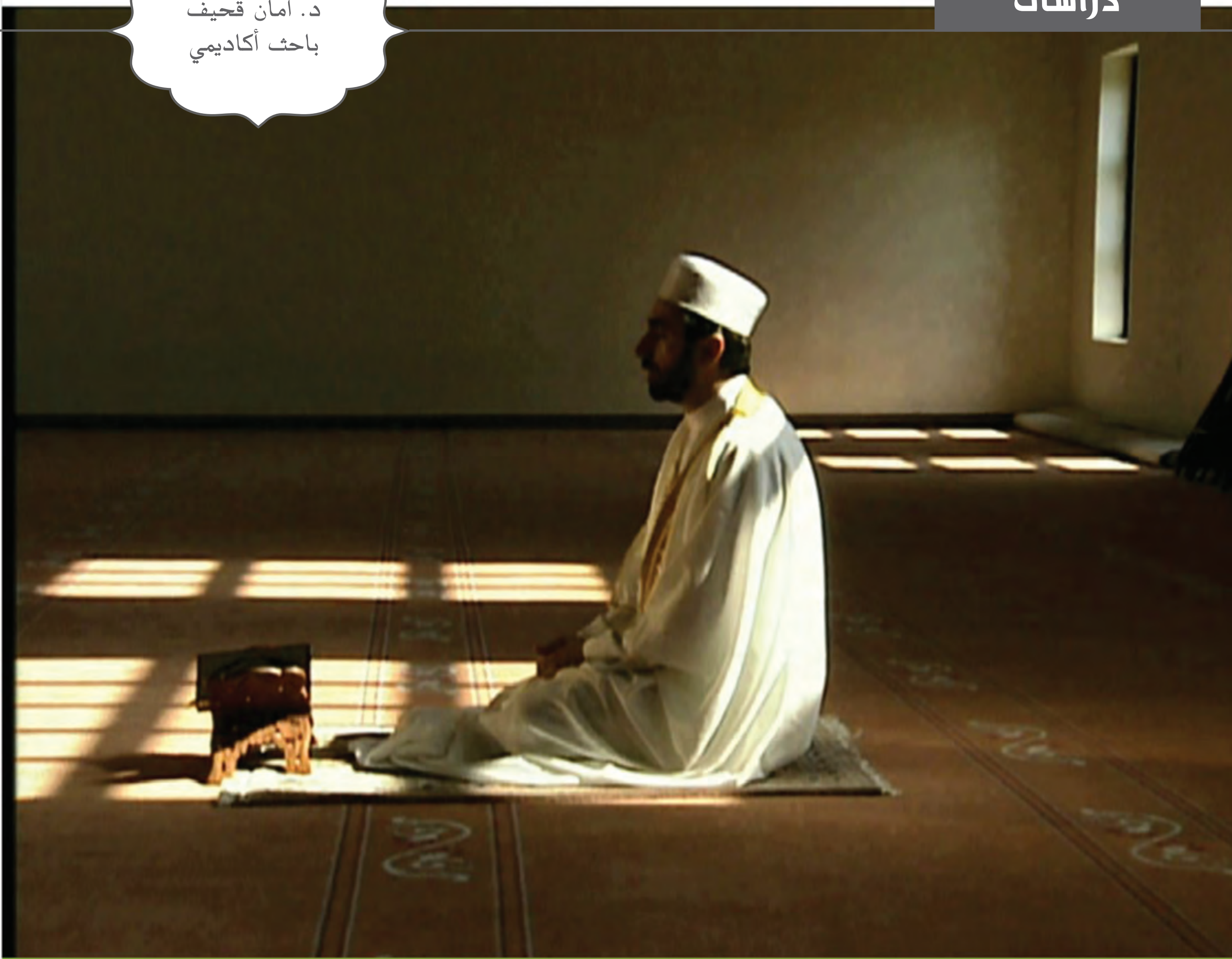
كما يوجد في القلعة العديد من المحتويات التي يستعصي حصرها باستفاضة، منها متحف الشرطة، وكذا متحف الحدائق الأثرية للمماليك الذي يحتوي على جميع عربات المماليك والأميرات التي كانوا يستخدمونها في حياتهم الشخصية، والتي كانت تصنع لهم في فرنسا خصيصا. وهناك أيضا المتحف الحربي الذي يعد من أكبر وأعظم المتاحف العسكرية بما يزخر به من أقسام ومعروضات تعرض لتاريخ العسكر، فضلا عن كونه سجلا بالخط واللون والمجسمات لأعظم المعارك الباسلة.

ووسط البهجة المرسومة على وجوه الزائرين، تفقدنا صالة المجد والأعلام، وهي عبارة عن قاعات تستعرض الأعلام والرايات منذ العصر العثماني وحتى الآن، وأعلام الجمهورية وأعلام الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، والأعلام التاريخية للمناطق والجيوش والقيادات، وأعلام الوحدات التي اشتركت في حرب أكتوبر.

وتوجد قاعة محمد علي باشا، وتستهل هذه القاعة بعرض شجرة عائلته وأسرته ولوحات لمذبحة القلعة، وتدريب الجنود بالمدرسة الحربية بأسوان، ودار صناعة السفن. وبالقاعة أيضا عرض لدبلوماسية محمد علي واستقباله سفراء الدول الأجنبية في القاعة البحرية.

كما توجد قاعة نصر السادس من أكتوبر داخل القلعة، وتعرض إنجازات الحرب المجيدة، بالإضافة إلى عرض للأسلحة التي استخدمت، مع عرض لمجسم غرفة العمليات الخاصة بالحرب.

د. أمان قحيف
باحث أكاديمي



العبادة بين الاعتدال والتشدد

للإيمان بالله تعالى طعمه ومذاقه، وهو طيب الطعم حلو المذاق، ومذاقه لا تدركه الحواس بل تدركه القلوب المتمتعة باليقين.. فالقلب هو مناط التذوق والإدراك في مجال الإيمانيات.. واليقين هو اطمئنان القلب بالاعتقاد حيث يرتفع الشك والالتباس.. ومن لامس اليقين قلبه أصلح الله عمله ومتعه بلذة المعرفة، وعاش في رحاب الإحساس بالقرب من خالق المخلوقات وواجد الموجودات.

وعندما يرتشف المرء من حلاوة الإيمان - التي لا تتوافر إلا مع الوعي بجوهر الدين وحقيقة التشريع - يدرك معنى التوسط في التدين والاعتدال في العبادة، ويبتعد بالتالي عن كل أشكال التطرف والتشدد والمغالاة؛ لأن الذي يعرف حلاوة الإيمان ينفر من التشدد والتطرف كما ينفر الحمل الوديع من الحيوان المفترس.

وللبقاء في رحاب تذوق حلاوة الإيمان لابد من مراعاة أمر هو في غاية الأهمية، ألا وهو ضرورة العيش في رحاب الوسطية التي تمثل الصراط المستقيم، الذي هو منهاج عقيدة وعبادة نبينا محمد ﷺ طوال حياته: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

وأخطر الظواهر التي تعاني منها

مجتمعاتنا الإسلامية في الوقت الراهن تتمثل في العجز عن تذوق حلاوة الإيمان، وهذا ناتج عن انتشار ظاهرة «التشدد في التدين»، ولا أقول «التشدد في الدين» أو «التشدد الديني» لأن في هذه الأقوال مغالطة كبرى؛ إذ ينسب التشدد فيها إلى الدين وهذا خطأ كبير، فليس في الدين تشدد إنما التشدد الموجود لدى بعض الأفراد يكون في التدين وليس في الدين ذاته.. ومعلوم أن الفرق كبير بين «الدين» و«التدين»؛ إذ الأول مرتبط بالنصوص المقدسة المنزلة من عند الله تبارك وتعالى، بينما الثاني - التدين - يرتبط بالفهم البشري أو الفهم الإنساني للدين ونصوصه المنزلة من رب العالمين.. وهناك بطبيعة الحال من يتعامل مع النص الديني بوسطية واعتدال وهناك من يتشدد في فهمه له ويحمله ما لا يحتمل من الرؤى والتصورات.

إن من الآفات الكبرى التي تصيب بعض أهل الإيمان والالتزام الديني أن يظن نفر منهم أن تشدده أو تشديده على نفسه وعلى من حواليه سيكون أكثر تعبيرا عن تمسكه والتزامه وتقواه، وهذا ما لم تشر إليه النصوص القرآنية ولا الأحاديث النبوية بحال من الأحوال.. بالتالي لم يقل به أحد من العلماء الثقاة، بل إن الثابت من خلال النصوص الشرعية أن الإسلام الحنيف آثر الوسطية ونادى بالاعتدال، ويمكن أن نلمس ذلك في أكثر من جانب في تشريعاته على النحو التالي:

من تجليات الاعتدال في التشريع

أولا: في مجال التوجه في الصلاة - التي هي عماد الدين - اختار الله تبارك وتعالى لنا أن نتجه صوب البيت الحرام بمكة المكرمة كي لا نكون تابعين في قبلتنا لأمة من الأمم ولا لملة من الملل: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة:١٤٤).. والله تعالى جعل القبلة شطر المسجد الحرام ليؤكد وسطية هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣).. ولاحظ قول الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ بمعنى أننا جُعلنا أمة وسطا، والذي جعلنا كذلك هو ربنا سبحانه وتعالى، فالأمر ليس فيه اختيار منا بل هو من تقدير الله عز وجل.

وإذا كان الله تعالى قد شاء لنا أن نكون أمة وسطا فيجب علينا أن نكون كذلك في فهمنا لكل وجه من وجوه تشريعات ديننا الحنيف، فلا نغالي ولا نفرط؛ لأن في ذلك نوعا من الخروج عن الوسطية التي أراد الله تعالى لنا أن ننتهجها ونسير على منوالها؛ سواء في فهم نصوص دين الله أو في تأديتنا للمناسك والشعائر.

ثانيا: أوضح القرآن الكريم أن ربنا سبحانه وتعالى أنزل الدين وشرع الشرائع، وطالبنا بأداء مناسك العبادة كاملة، غير أنه سبحانه وتعالى ذكر في أكثر من آية أن الدين يقوم بالأساس على الوسطية واليسر والتيسير، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥).. وقال تعالى أيضا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦).. وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ (الحج:٧٨).

من هنا كان التشديد على النفس بزعم أن ذلك يؤدي إلى القرب من الله تعالى ليس من شريعة الإسلام ولا من منهجيته في التعبد.. فقد ورد «عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ورهبانية ابتدعوها» (١)...

وعن أبي جحيفة وهب بن عبدالله رضي الله عنه قال: «آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء. فزار سلمان أبا الدرداء فوجد أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبوالدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبوالدرداء، فصنع له طعاما، فقال له: كل، فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل.. فلما كان الليل ذهب أبوالدرداء يقوم، فقال له: نم، فنام. ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا

جميعا.. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا ولنفسك عليك حقا. فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان» (٢).

وكتب الصحاح مليئة بمثل هذه المواقف التي تؤكد رفض الإسلام للتشدد في الطاعة والعبادة.. ولعل أشهرها قصة الثلاثة الذين سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ وكأنهم تقالوها، فأعلن كل منهم عن أسلوبه في العبادة، فشعر النبي ﷺ أنهم يشددون على أنفسهم، فقال قولته الخالدة: «هذه سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني».

ومن هذا المنطلق وجه أهل العلم سهام نقدهم لأولئك الذين يتشددون مع أنفسهم في العبادة ويميلون إلى حرمان النفس من متع الحياة ولذائذها بحجة التقرب إلى الله، يقول ابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ): «ولقد رأينا وسمعنا من العوام، أنهم يمدحون الشخص فيقولون: لا ينام الليل، ولا يفطر النهار، ولا يعرف زوجة، ولا يذوق من شهوات الدنيا شيئا، وقد نحل جسمه، ودق عظمه، حتى إنه يصلي قاعدا، فهو خير من العلماء الذين يأكلون ويتمتعون. ذلك مبلغهم من العلم، ولو علموا أن الدنيا كلها لو اجتمعت في لقمة فتناولها عالم يفتي عن الله، ويخبر بشريعته، كانت فتوى واحدة منه يرشد بها إلى الله تعالى خيرا وأفضل من عبادة ذلك العابد باقي عمره» (٣).

ويواصل ابن الجوزي نقده لأولئك الذين شددوا على أنفسهم باسم الزهد قائلا: «بلغني عن بعض زهاد زماننا أنه قدم إليه طعام فقال: لا آكل، فقيل له: لم؟ قال لأن نفسي تشتهيه، وأنا منذ سنين ما بلغت نفسي ما تشتهي.. فقلت: لقد خفيت طريق الصواب عن هذا من وجهين، وسبب خفائها عدم العلم. أما الوجه الأول: فإن النبي ﷺ لم يكن على هذا ولا أصحابه، وقد كان عليه الصلاة والسلام يأكل لحم الدجاج، ويحب الحلوى والعسل» (٤).

ثالثا: ورد في سنة النبي ﷺ ما يؤكد حرص الإسلام على عدم التشدد أو المبالغة حتى في التساؤل عن الأمور التي لم يرد فيها نص ولم يصدر بشأنها تشريع، فلقد ورد أنه ﷺ قال لصحابته: «ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوه، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا ما استطعتم» (٥).

رابعا: أكد القرآن الكريم أهمية التوسط في الإنفاق ليضبط الحركة المجتمعية للحياة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء:٢٩).. وقال تعالى في أثناء كشفه عن أخلاقيات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧).

إن القرآن الكريم يضع بذلك ملامح للمنهج الوسطي في التعامل مع المال فيحذر من الحرص الشديد عليه وكنزه ويحذر أيضا من التفريط فيه وتبذيره.. إنه البعد عن التطرف والتشدد بكل صوره وأشكاله وألوانه.

خامسا: نهى الدين الإسلامي الحنيف عن الإفراط في أي شيء حتى تناول الطعام، فقد بين النبي ﷺ أن ثمة أهمية وضرورة للتوسط في هذه المسألة حين قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (٦).

حصاد التشدد وتداعياته

وهكذا يستطيع المرء تبين الملامح الوسطية في مختلف التشريعات الإسلامية.. ولعل إسلامنا الحنيف قد أكد على الاعتدال ورفض التشدد لأن تداعياته متعددة ومشكلاته متنوعة، نذكر منها:

أولا: يؤدي التشدد إلى الانغلاق الفكري: معلوم أن الشخص المتشدد لا يأخذ إلا برأي واحد ولا يميل البتة إلى الانفتاح على آراء الآخرين، ويرى أن ما هو عليه من تصور أو وجهة نظر هو الصواب وكل ما عليه الآخرون خطأ يجب تصحيحه، ويدعوهم إلى التراجع عنه.. وهو منغلق على ما لديه من أفكار، ولا يقبل التحول عما لديه من قناعات حتى لو ثبت له صدق

وسلامة نقيضها.

ثانيا: يؤدي التشدد إلى النظر إلى الدين من زاوية واحدة: بمعنى أن المتشدد يركز على جانب واحد من الدين ولا يحرص على الاهتمام بباقي الجوانب بنفس الدرجة.. فهو ليس مشغولا إلا بالجانب الذي يسلط عليه زاوية رؤيته فقط، في حين أن المسلم مطالب بالحرص على سلامة التوحيد، وأصول العبادات، وكذا المبادئ الأخلاقية التي أقرتها الشريعة في المعاملات.

ثالثا: يؤدي التشدد إلى تعطيل حركة التجديد وغلق باب الاجتهاد: ولما كان المتشدد يقف عند رأي واحد وهو عنده الأصوب وكل الآراء دونه خاطئة فهو يرى أنه قد امتلك الحقيقة المطلقة التي لا يصح التحول عنها أو الإضافة إليها.. من ثم فلا مكان عنده للتجديد الفكري أو الاجتهاد في الرأي لأن الأوائل – في نظره – ما تركوا شيئا بدون بحث للأواخر، وما على المعاصرين إلا الاتباع والالتزام بما قاله القدامى من أهل العلم وإلا أصبحوا من أهل الابتداع، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

رابعا: يؤدي التشدد إلى التعصب في الرأي: الأمر الذي يوجد حالة من التفرق والتشرذم والتجزئة بين مكونات المجتمع؛ لأن كل صاحب رأي سيتشدد لرأيه وينضم إليه من ينسجم معه فتتكون الفرق المتناحرة والتيارات المتخاصمة.. تلك الظاهرة التي تشكل أداة هدم للمجتمعات الإسلامية.

خامسا: يؤدي التشدد إلى الإكراه على الدين في حين أن القرآن الكريم أكد على التعددية وعلى استمرار التنوع بين البشر، بالرغم من اختلاف عقائدهم قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود:١١٨-١١٩).. وقال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (يوسف:١٠٣).. وقال تعالى مشيرا إلى تعدد الأجناس والأعراق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

سادسا: يؤدي التشدد بصاحبه إلى العجز عن التواصل: فكل متشدد تراه ينقم على المجتمع الذي لا يسير معه في نفس مساره ولا يتحرك معه في نفس مداره، فتكون النتيجة أنه يتعصب ضد الأمة والمجتمع، ويميل إلى العزلة والانعزال لعدم قدرته على التوافق مع الآخرين.. من ثم يعجز عن التواصل المجتمعي ويميل إلى الانزواء المؤدي في النهاية إلى التطرف.

سابعا: يؤدي التشدد إلى إيجاد خصوم للدين: إن ممارسة التشدد والتطرف من شأنه تنفير بعض النفوس منه ومن أحكامه؛ لأن النفس البشرية تميل بطبيعتها إلى اليسر والتيسير، وتنفر بطبيعتها من كل أشكال التشدد والتطرف والانغلاق الفكري، وتكره الأفكار المبهمة الغارقة في الغموض.. من هنا ينسب إلى علي رضي الله عنه قوله: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله» (٧).

من هنا اعترف العديد من الغربيين والشرقيين على السواء بأن الإسلام هو دين التيسير والوسطية والاعتدال، لا مشاحة في هذا الأمر.. وكان لابد له أن يكون كذلك لأنه الدين الخاتم للرسالات السماوية، ولأنه الدين الذي كتب له البقاء ما بقي الوجود الإنساني.

الهوامش

١- أخرجه أبوداود.
٢- رواه البخاري والترمذي.
٣- ابن الجوزي، صيد الخاطر. ضبط وتحقيق الشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر. القاهرة، ص ٢٧.
٤- المصدر نفسه، ص ٤٧.
٥- البخاري ومسلم.
٦- رواه الترمذي وصححه الألباني.
٧- رواه البخاري.



مصطفى البعزاوي
باحث إسلامي

نوازل الحفاظ على البيئة الحيوانية

سنعرض في هذا الموضوع لبعض النوازل القاضية بضرورة الحفاظ على الحيوان ورعايته والاهتمام به، والتي تؤكد حرص الشريعة الإسلامية وإيلائها اهتماما خاصا بالبيئة الحيوانية، وجودا وعدما وهو ما يمكن استنباطه من خلال النقط الآتية:

أولا: نازلة الرفق بالحيوان في إزهاق روحه

نص النازلة:

سئل ابن أبي زيد: عن الإبل والبقر إذا عرقبت (١) ثم أدركت ذكاتها، وذلك في عرس أو غيره فهل تؤكل أم لا؟ فأجاب بأنها تؤكل (٢).

ولا يخفى ما في ذلك من تعذيب الحيوان، وكره مالك ذبح الطير، والذابح قائم، وفي الأجوبة الناصرية أن إخراج لسان الدجاجة عند الذبح حرام، لأنه تعذيب (٣).

فقه النازلة:

يلاحظ مما سبق، أنه وجدت بعض الأساليب التي تؤلم الحيوانات، فمثلا ما وقع في نازلتنا من إخراج لسان الدجاجة عند ذبحها، ماتزال الظاهرة قائمة، وعلى العكس من ذلك، لابد من الإحسان إليها، خاصة حين ذبحها، حيث يذكر عامة الفقهاء استحباب الإسراع في ذبح الحيوان وإراحته بأن يكون ذلك بآلة حادة حتى لا تتعذب الذبيحة. ويدل على هذا أحاديث كثيرة منها:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: اثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» (٤).

قال النووي معلقا على هذا الحديث ما نصه: «ويستحب أن لا يحد السكين بحضرة الذبيحة، وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى، ولا يجرها لمذبحها، قال: وهذا الحديث جامع للقواعد» (٥).

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال ﷺ: «إن ذبحتها رحمك الله» (٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته، فقال النبي ﷺ: «أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن



تضجعها» (٧).

ثانيا: معاملة الحيوان في عصرنا الحالي

من وسائل تعذيب الحيوان، تخديره وصعقه بالكهرباء. وفي نظر الغرب أنه مريح للحيوان. وهذا الأمر ليس صحيحا، بل فيه نوع من التعذيب، والقصد الحقيقي ذبح الكثير في زمن قليل، ورغبة في زيادة الكسب.

ومن كمال الرحمة بالحيوان، ما ورد عن النبي ﷺ في قتل الحيوان الذي أشرف على الهلاك، كأن يكون الحيوان في مرض موت، أو تردى من مكان عال فتضرر، أو ضعف ضعفا يبدو عليه الموت منه، فهنا أباح النبي ﷺ ذبحه، بل وأباح أكله إن كان مأكول اللحم، وهذا ما تنبهت له جمعيات الرفق بالحيوان مؤخرا، وبدأت في تطبيقه – وتسميه موت الرحمة (٨).

ومن القواعد في خدمة الحيوانات أيضا ما يلي:

لا يجوز الحلب إذا كان يضر البهيمة لقلة العلف (٩).

وفي هذا السياق، جاءت الشريعة تؤكد حماية بعض الحيوانات، كأن تكون حبلى، أو لها دور متميز، فقد نبهت إلى هذا المعنى من خلال قوله ﷺ لمضيفه الأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاة: «إياك والحلوب» (١٠).

ومعناه أنه عليه السلام، نهاه أن يذبح الشاة الحلوب فيخسر حليبها ويخسرها معه المجتمع ويغني عنها شاة أخرى غير حلوب.

ومن هنا، ذهب بعض العلماء إلى منع ذبح حوامل الماشية، وكذلك ما كان يصلح في البقر للحرث، لأن هذا – إذا لم يضطر إليه – من الفساد (١١).

ومن النوازل التي توظف في موضوعنا والشبيهة لما تقدم، قول القاضي أبومحمد: إذا أرسل كلبه أو رمى سهمه على صيد بعينه فقصد غيره لم يجز أكله خلافا لأبي حنيفة والشافعي. لأن الذكاة تحتاج إلى نية، لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» (١٢). ولأنه عقر صيدا لم يرسل عليه كما لو استرسل بنفسه (١٣).

ومن المخالفات التي كانت تقع في عملية الصيد، ولها تأثير على الحيوان والإنسان إذا رماه الصائد بسهم مسموم، قال مالك: لا يؤكل، وإن ذكي، وقال: أخاف أن يكون السهم قتله، ويخاف على من يأكل منه الموت. وقال سحنون: يؤكل (١٤).

ومن الذبح لغير الله الذبح عبثا أو

تجريبا لآلة، ولا تؤكل الذبيحة، لأنها لم يقصد لها الإباحة الشرعية، وهي شرط في الحلية (١٥).

وفي السياق نفسه، جاء في مواهب الجليل، «لا يجوز قتل الحيوان لغير ضرورة، وصرح في الشرح الكبير فقال: وحرم على المكلف اصطياد مأكول من طير وغيره إلا بنية الذكاة. بلا نية شيء أو نية حبسه أو بالفرجة عليه، ومثل نية الذكاة القنية لغرض شرعي أي جائز شرعا» (١٦).

وإذا كان صيد الحيوان بريا أو مائيا - حلالا طيبا شرعيا - فقد نهى الإسلام عنه إذا كان لغير منفعة. لأن الحيوانات لم تخلق عبثا.

فمما سبق، يتبين أن مسؤولية الإنسان تحمي الطبيعة من الفساد والتلوث والإفساد.

وعليه، فإن عمليات التعدي على البيئة - بشكل عام والثروة الحيوانية بشكل خاص - من خلال الصيد الجائر، أمر ترفضه الشريعة الإسلامية جملة وتفصيلا. لأن للحيوان عموما حرمة الروح نظير ما يكون للإنسان، بحيث يوجب حرمة إتلافها ووجوب حفظها من التلف.

ثالثا: الحفاظ على الطيور

من النوازل الفقهية التي تلفت نظرنا إلى رؤية الفقهاء قديما للحفاظ على الحيوان، ما يلي:

نص النازلة:

لا ينتف الطير حيا.

سئل (١٧) عن نتف الطير حيا. فأجاب: لا يصلح لأنه يوجعه، وقال لا ينبغي لأحد أن يأخذ فأرا ميتا فيطعمه (١٨).

فقه النازلة:

يتبين في نازلة موضوعنا، أن الفقهاء سطروا قواعد مهمة في عملية الصيد والقنص. ولم يكن ذلك اعتباطا، وإنما استمرارا للحفاظ على المنظومة البيئية.

ونازلتنا تطالعنا بوجود بعض تصرفات الصيادين للطيور، وذلك من خلال نتفه حيا، والحكم الوارد في النازلة، يكشف عن إذاية الطيور، وهو ضرر يجب منعه لأنه يتنافى ومقاصد الشريعة الإسلامية، والتي منها



الحفاظ على المال، باعتبار أن هذا المقصد عام في دلالاته، ومن ضروبه الحفاظ على الثروة الحيوانية.

قال القاضي عياض رحمه الله: «إن فعله - يعني الصيد - لغير نية التذكية، فهو حرام. لأنه فساد في الأرض، وإتلاف نفس لغير منفعة» (١٩).

ونتف الطير حيا من قبيل الصيد العبثي الذي تجرمه الشريعة الإسلامية.

وفي النازلة أيضا، الحفاظ على القطط، لما لها من دور فعال، وما ورد في إطعامها بالفئران الميتة، لاشك أنه يؤدي بها إلى الضرر والأذى.

رابعا: جواز قتل الحيوانات المؤذية

نص النازلة:

سئل: عز الدين عن قتل الهر المؤذي من هو؟ فأجاب: إذا خرجت أذيته عن عادة القطط وتكررت أذيته جاز قتله (٢٠).

ولا بأس للمحرم بقتل الفأرة والحية والعقرب والغراب والحدأة والكلب العقور. وهو كل ما يعدو، كالأسد والنمر.

ويحرم قطع ما ينبت بنفسه في الحرم، إلا ما استنبته الآدميون، إلا الإذخر (٢١) والسنا، وإن قطع شيئا مما لا يقطع فلا شيء عليه إلا الاستغناء (٢٢).

فقه النازلة:

يستفاد من النازلة، جواز قتل الحيوانات المؤذية التي تشكل خطرا على الإنسان، ولقد وردت في هذا السياق جملة من الأحاديث النبوية منها:

حديث عائشة رضي الله عنها «أمرنا رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحرم: الفأرة والعقرب والحديا والكلب العقور» (٢٣). وفي رواية: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع والفأرة

والكلب العقور والحديا» (٢٤).

يقول الكاساني: «إن علة الإباحة في قتلها هي الابتداء بالأذى والعدو على الناس، وهذا المعنى موجود في الحيوانات المفترسة كلها، وكذلك في الهوام الخطرة والحشرات الضارة، فيقاس عليها لأنها من باب المؤذيات» (٢٥).

يقول النووي: «إن كان الكلب عقورا قتل، وإن لم يكن عقورا لم يجز قتله» (٢٦).

ومن المقاربة الطبية، يتضح خطورة الحيوانات المؤذية. حيث جاء ذكر مرض داء الكلب لدى أغلب الأطباء العرب والمسلمين من أمثال علي ابن العباس المجوسي، وابن سينا، وابن النفيس، وغيرهم، ويتبين مما كتبه هؤلاء، أن مرض داء الكلب من الأمراض المعدية التي تنتقل للإنسان عن طريق الكلاب، وهذا جعل المسؤولين ينتبهون إلى حذر الكلاب السائبة على البيئة والإنسان (٢٧).

وفي هذا الصدد، كان الإمام سحنون قاضي القيروان (ت٢٤٠هـ)، يأمر الشرطة بقتل الكلاب التي تجول بطرقات المدينة، والعلة في جواز قتلها كونها مؤذيات، فيتعدى الحكم إلى كل ما وجدت فيه العلة، كل ذلك لتأمين بيئة صحية خالية من الأمراض.

من خلال ما تقدم، يتضح أن الفقهاء كانوا ينبهون إلى بعض السلوكات التي قد تؤدي إلى تعذيب الحيوانات، من الصيد العبثي، ونتف الطيور حية، ومثل هذه الأشياء تمنع من تكاثرها، وتخل بالتوازن البيئي، فما أحوجنا اليوم إلى تجديد العلاقة مع الحيوانات، يطبعها الرحمة والشفقة والإحسان إليها.

الهوامش

١-عرقب الدابة: قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي خلف الكعبين من مفصل القدم والساق من ذوات الأربع، لسان العرب، ١٠/١٢١مادة، «عرقب».
٢- المعيار الجديد، ٢/٣٨٥.
٣- نفسه.
٤- صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، رقم: ١٩٥٥.
٥- شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/١٠٧.
٦- المستدرك على الصحيحين، كتاب الأضاحي، رقم: ٧٥٦١.
٧- الترغيب والترهيب، منذري عبدالعظيم، تحقيق، شمس الدين إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ٣ /١٤١، رقم: ٣٤٢٢.
٨- حماية البيئة والموارد الطبيعية في السنة النبوية، فهد بن عبدالرحمن الحمودي، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ، ص: ١٩١.
٩- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق- عمان، الثالثة، ١٤١٢هـ ١٩٩١م. ٣/٣١٠.
١٠- صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققا تاما واستحباب الاجتماع على الطعام. رقم: ٥٢٨١.
١١- إكمال المعلم لفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق، يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. ٦/٥١٢.
١٢- صحيح البخاري، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم:١.
١٣- تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد - نوازل ابن لب الغرناطي - أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي الثعلبي، تحقيق، حسين مختاري وهشام الرامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، عبدالوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي أبومحمد، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان أبوعبيدة، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م. ٢/٩١٨.
١٤- المعيار الجديد ٢/٣٨٧ - ٣٨٨.
١٥- نفسه، ص: ٣٤٠.
١٦- حاشية الدسوقي، ٢/١٠٧.
١٧- أبوالحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي المالكي، الحافظ العلامة، عالم المغرب، المالكي الأصولي، الإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده، (ت٤٠٣هـ) سير أعلام النبلاء، ١٧/١٦٠، ترتيب المدارك، ٢/٢٢٤.
١٨- المعيار، ٢/٧.
١٩- إكمال المعلم، ٦/٣٥٧.
٢٠- فتاوى البرزلي، ١/٦٤٦.
٢١- الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة يسقف بها البيوت فوق الخشب. ينظر لسان العرب ٦/٢٢ مادة؛ «ذخر».
٢٢- المعيار الجديد، ٢/٣٠٤.
٢٣- صحيح البخاري في بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، رقم: ٣١٣٦.
٢٤- صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم: رقم ١١٩٨.
٢٥- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبوبكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ٢/١٢٣.
٢٦- شرح النووي لصحيح مسلم، ٣/١٥٢.
٢٧- الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٩٨٧م. ص: ٢٨١.



كيفية الترجيح

(٣-٤)

د. صالح النهام
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

في الحلقة الثانية من سلسلة الحديث عن كيفية الترجيح، تكلمنا عن الترجيح باعتبار المتن، وهو اعتبار طويل له ذيول وتفصيلات ، وفي هذه الحلقة سيكون الحديث منصبا حول: الترجيح باعتبار المدلول والحكم ومعنى الترجيح باعتبار المدلول والحكم: أي ما دل اللفظ عليه من الأحكام الخمسة التي هي: الوجوب، والحظر، والندب، والكراهة، والإباحة. وأسباب ترجيح المدلول والحكم كثيرة. أذكر منها التالي:

الترجيح بالخبر الدال على الحظر على ما يفيد الإباحة

ومعناه: أن يتعارض حديثان؛ أحدهما يدل على الحظر، والآخر يدل على الإباحة، وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء إلى ترجيح ما يفيد الحرمة على ما يفيد الإباحة؛ لأن المحرمات يحتاج إلى إثباتها ما أمكن، ومقتضى التحريم أخذ بالأحوط (١).

القول الثاني: ذهب بعض الأصوليين إلى ترجيح ما يفيد الإباحة على ما يفيد الحرمة؛ لأن الخبر المبيح يفيد تخيير المكلف، وفيه مصلحة له؛ ولذا يقدم (٢).

القول الثالث: ذهب بعض آخر من العلماء إلى أنهما حكمان شرعيان، يستوي فيهما صدق الراوي، فلا يترجح ما يفيد الحظر على ما يفيد الإباحة، بل يسقطان ويصيران كأنهما لم يردا، ويرجع في حكم الحادثة إلى غيرهما (٣).

وما ذهب إليه جمهور العلماء هو الأول، حيث قدموا الحظر على الإباحة؛ لأن الفعل الذي تردد حكمه بين الحل والحرمة، قد دخلته الريبة في النفس، فوجب تركه؛ عملا بقول رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (٤).

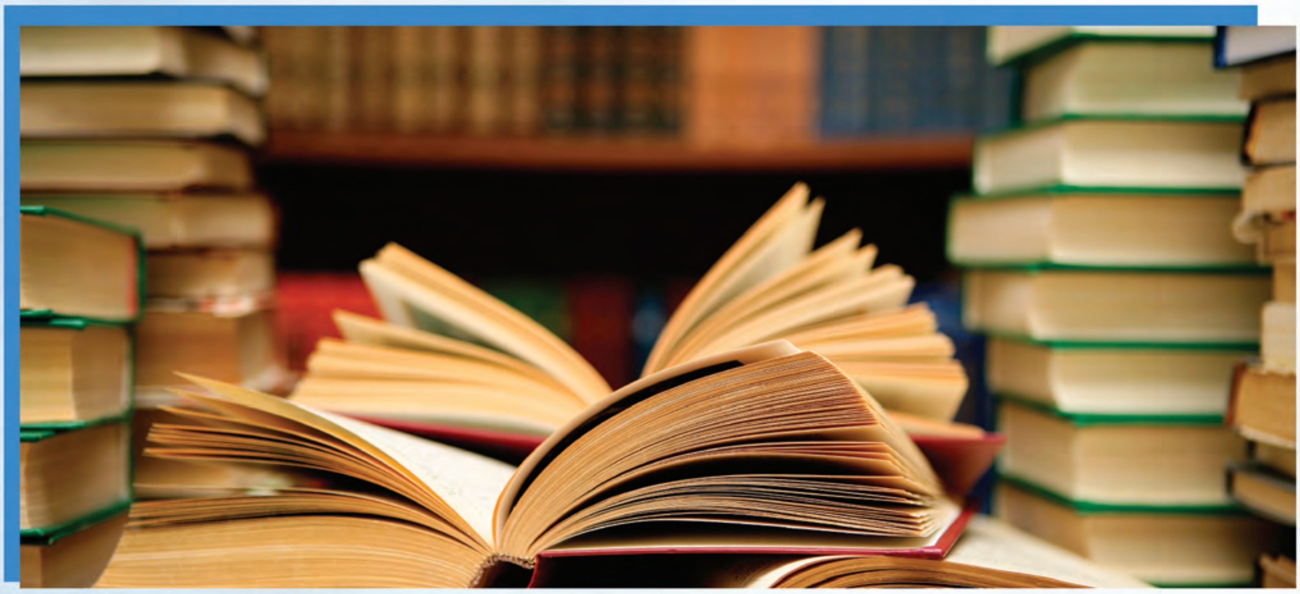
ومثل لذلك، بترجيح قول رسول الله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (٥). المفيد حرمة النبيذ وما هو مثله، على ما ورد أن رسول الله ﷺ سئل عن النبيذ حلال أم حرام؟ فقال: «إنه حلال، وغيره» (٦). من الأحاديث الواردة المفيدة لحل النبيذ، فترجح الروايات الدالة على الحظر؛ لأنه أحوط، ولأن مفسدة الحرمة أكثر وأشد من مفسدة الإباحة، فتكون أولى بالاحتراز عنه.

الترجيح بالخبر المقتضي للتحريم على ما يقتضي الإيجاب

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون مدلول أحدهما نهيا عن شيء ومدلول الآخر أمرا بالشيء ذاته، فيترجح ما مدلوله النهي؛ «لأنه يستدعي دفع المفسدة، وهي أهم من جلب المصلحة» (٧). وهناك من رأى أنهما متساويان فيتساقطان.

ومثل لذلك، بترجيح حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس على الخائن قطع» (٨). على حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي أن تقطع يدها» (٩).

فحديث جابر يدل على عدم القطع ليد جاحد العارية؛ لأنه خائن. بينما حديث عائشة يأمر بقطع يد جاحد العارية. فذهب أكثر العلماء إلى ترجيح حديث جابر المقتضي لتحريم قطع يد جاحد العارية؛ لأنه خائن وليس بسارق، والخائن لا تقطع يده؛ لقوله: «ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع» (١٠). وأن



سبب القطع متعلق بوجود السرقة لا جحد العارية. ومنهم من قال: إن حديث القطع شاذ لمخالفته جماهير الرواة، والشاذ لا يعمل به (١١).

الترجيح بالخبر النافي للحد والعقاب على الموجب لهما

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما نافيا للحد والعقاب، والآخر موجبا لهما، فيترجح النافي للحد والعقاب على الموجب لهما؛ لأن الحدود تدرأ بالشبهات. وهو رأي جمهور العلماء (١٢). وهناك رأي يرى تقديم الموجب على النافي؛ وذلك لإفادة الموجب التأسيس بخلاف النافي. ورد هذا الاستدلال، بأن النفي الشرعي غير مستفاد منه. فالترجيح للنافي مقدم على الموجب، قال الآمدي، رحمه الله: ولأن الخطأ في نفي العقوبة أولى من الخطأ في تحقيقها؛ لقول رسول الله ﷺ: «لأن تخطئ في العفو خير من أن تخطئ في العقوبة» (١٣). ولقول رسول الله ﷺ: «لا ضرر في الإسلام ولا ضرار» (١٤).

ومثل لذلك بترجيح حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا» (١٥). على حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده» (١٦). فترجح حديثها؛ لكونه ينفي الحد فيما قل عن ربع دينار، وفقا للقاعدة التي تنص على ترجيح نافي الحد والعقوبة على الموجب لهما، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨).

ولحديث: «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة» (١٧). فالحدود تدرأ بالشبهات. وخالف ذلك قوم فرجحوا حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم، وأن قطع يد السارق يكون في القليل والكثير. واحتجوا بعموم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (المائدة:٣٨).

والصحيح ما قاله الجمهور، من أن قطع يد السارق يكون عند سرقة مقدار معين، تخصيصا لعموم الآية هذا من جهة، ومن جهة أخرى لدرء الحد فيما قل عن ذلك المقدار، وفقا للقاعدة التي نحن بصددها (١٨).

الترجيح بالخبر المثبت على الخبر المنفي

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون مدلول أحدهما الإثبات ومدلول الآخر النفي، فيترجح ما مدلوله الإثبات؛ لأن معه زيادة علم؛ لكونه يخبر عما علم به، بخلاف النافي فإنه يخبر عن الظاهر؛ ولذا يترجح الإثبات، وهو قول جمهور العلماء (١٩).

وهناك من رأى تقديم ما مدلوله النفي على ما مدلوله الإثبات، وقالوا: «إن المثبت، وإن كان مشتملا على زيادة علم، إلا أن النافي لو قدرنا تقدمه على المثبت كانت فائدته التأكيد، ولو قدرنا تأخره كانت فائدته التأسيس، وفائدة التأسيس أولى، فكان القضاء بتأخره أولى».

ورد هذا الاستدلال بأن: «المثبت يفيد التأسيس، سواء تقدم أو تأخر، بينما النافي يفيد التأسيس إذا قدرنا تأخره، وما كان يفيد التأسيس في حالتين أولى مما يفيده في حالة واحدة».

وهناك أيضا من قال: «إنهما متساويان». وقالوا: إن ما يستدل به على صدق الراوي المثبت من حيث العدالة موجود في الراوي النافي، فيتعارضان، ويطلب الترجيح بوجه آخر غيرهما.

ورد هذا الاستدلال بأن: «تطرق الوهم إلى النافي أكثر من المثبت، فلم يتساويا». فيرجح المثبت على النافي لذلك.

ومثل لذلك، بترجيح حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: دخل رسول الله ﷺ البيت (الكعبة) وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا عليهم الباب، فلما فتحوا، كنت أول من ولج، فلقيت بلالا فسألته: هل صلى فيه رسول الله؟ قال: نعم. بين العمودين اليمانيين» (٢٠). على حديث ابن عباس عن أسامة -رضي الله عنهم- أن النبي دعا في البيت ولم يصل فيه (٢١). فرجح جمهور العلماء حديث ابن عمر؛ لأنه مثبت. قال النووي، رحمه الله: أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال؛ لأنه مثبت ومعه زيادة علم، فوجب ترجيحه، والمراد الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود، ولهذا قال ابن عمر -رضي الله عنهما: ونسيت أن أسأله كم صلى.

الترجيح بالخبر الأخف على الخبر الأثقل

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما حكمه أخف، والآخر حكمه أثقل، فيقدم ذو التكليف الأخف على الأثقل؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، ولقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام».

وقيل: يقدم الأثقل؛ لكونه أكثر ثوابا (٢٢).

ومثل لذلك، بترجيح حديث عائشة -رضي الله عنها- أن أم حبيبة بنت جحش شكت إلى رسول الله الدم، فقال: «امكثي قدر ما كانت تحبسك حيضتك، ثم اغتسلي» (٢٣). فكانت تغتسل لكل صلاة. على حديث أبي سلمة، قال: أخبرتني زينب بنت أبي سلمة «أن امرأة كانت تهراق الدم، وكانت تحت عبدالرحمن بن عوف، وأن رسول الله أمرها أن تغتسل عند كل صلاة وتصلي» (٢٤). لأن حديث عائشة -رضي الله عنها- جاء بما هو أخف، وهو الاغتسال مرة واحدة عند حصول ظن زوال دم الاستحاضة، بخلاف حديث أبي سلمة فجاء بما هو أثقل وشاق، وهو الاغتسال لكل صلاة، فتصلي بذلك الوضوء النافلة والصلاة الفائتة حتى يدخل وقت الصلاة الأخرى، فتتوضأ أيضا. وقد أخذ جمهور العلماء بالأول؛ لما فيه من التيسير ورفع الحرج، بالإضافة إلى صحة الأدلة وقوتها. وهناك من خالف وأخذ بمسلك الجمع بين الحديثين، وحمل أحاديث الأمر بالاغتسال لكل صلاة على الندب؛ لقرينة الأحاديث الموجبة للغسل مرة واحدة (٢٥).

الترجيح بالخبر الذي يثبت حكما تكليفيا على ما يثبت حكما وضعيا

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما يثبت حكما تكليفيا، والآخر يثبت حكما وضعيا، فيقدم ذو الحكم التكليفي؛ لأنه أكثر مثوبة، ولأنه مقصود الشارع بالذات، فكان أولى.

وقيل: يقدم الوضعي؛ لأنه لا يتوقف على ما يتوقف عليه التكليفي من أهلية المخاطب وفهمه وتمكنه؛ لأن غير المتوقف أولى من المتوقف،

وقيل: هما سواء.

ويمثل لذلك بالمسائل التالية:

أ - إذا جن المحرم فقتل صيدا فهل عليه الجزاء أو لا؟ فوفقا للقاعدة لا جزاء عليه؛ وذلك لعدم قصده، وفعله لا يحمل العمد، وفعله حكم تكليفي، وهو سبب، ووجوب الجزاء عليه مسبب، وهو حكم وضعي.

لكن رجحنا الحكم التكليفي لاعتبار عدم قصده لجنونه. وقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ (المائدة:٩٥)، والخطاب لا يتوجه للمجنون، وإن حصل السبب وترتب عليه المسبب.

ب - إذا استعمل المستعير العارية بعد رجوع المعير جاهلا فلا أجرة عليه وفقا للقاعدة، لاعتبار جهله، وأن يد المستعير يد أمان لا يد ضمان، وإن كان فعله سببا لوجود المسبب الذي هو الضمان، فرجحنا الحكم التكليفي على الحكم الوضعي.

الترجيح بالحديث الناقل عن أصل البراءة على النافي لها

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما إثباتا يتضمن النقل عن حكم العقل، بينما الآخر نفيا يتضمن الإقرار على حكم العقل.

فيكون الإثبات أولى؛ لأننا استفدنا بالمثبت، ما لم نكن نستفيده من قبل، ولم نستفد من النافي أمرا إلا ما كنا نستفيده من قبل، فكان المثبت أولى (٢٦).

ومثل لذلك، بترجيح حديث أبي هريرة رضي الله عنه في إيجاب الوضوء من مس الذكر، ونصه: «إذا أفضى أحدكم بيده إلى ذكره فليتوضأ» (٢٧)، على حديث طلق بن علي رضي الله عنه في عدم إيجابه، ونصه: «أن رجلا جاء إلى النبي، فقال: يا نبي الله، أيتوضأ أحدنا إذا مس ذكره؟ قال: هل هو إلا بضعة منك؟!» (٢٨)؛ لأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ناقل للحكم عن البراءة الأصلية إلى حكم جديد، وهو إيجاب الوضوء. بينما حديث طلق بن علي رضي الله عنه باق على الأصل، وهو عدم إيجاب الوضوء، والناقل عن الأصل مقدم؛ «لأن أحكام الشارع ناقلة عما كانوا عليه». وفي تقديم حديث طلق بن علي، نسخ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه بخلاف العكس؛ لما ذكر أن النقل عن البراءة الأصلية ليس نسخا.

الترجيح بالخبر الذي لا تعم به البلوى على ما تعم به البلوى

ومعناه: أن يتعارض حديثان، ويكون أحدهما مما تعم به البلوى، والآخر خلافه، فيقدم الخبر الذي لا تعم به البلوى؛ لأن ما تعم به البلوى عادة يقتضي استفاضته واشتهاره بين الناس، فلما لم ينقله إلا واحد مع توافر الدواعي على نقله؛ كان ذلك دليلا على كذبه وغفلته أو نسخ ما رواه (٢٩).

ومثل لذلك، بترجيح حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ألا أصلي بكم صلاة رسول الله؛ فصلى فلم يرفع يديه إلا مرة» (٣٠)، وقوله أيضا: «صليت خلف النبي وأبي بكر وعمر فلم يرفعوا أيديهم إلا عند افتتاح الصلاة» (٣١). على حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى تكون حذو منكبيه، ثم كبر وهما كذلك، فيركع، ثم إذا أراد أن يرفع صلبه رفعهما حتى تكون حذو منكبيه، ثم قال: سمع الله لمن حمده» (٣٢). وهذا الترجيح قال به الحنفية، ولم يعملوا بحديث ابن عمر مع أنه في الصحيحين؛ لأنه من باب ما تعم به البلوى، فكان من حقه أن يشتهر ولم يشتهر.

وهناك ترجيحات أخرى كثيرة، منها:

ترجيح الخبر الذي يجمع بين الحكمين على الذي يسقط أحدهما؛ لأنه لا يسقط حكما من أحكام الشرع. وترجيح الخبر الذي يوجب تخطئة النبي في الباطن على الذي يتضمن إصابته في الظاهر وتخطئته في الباطن؛ لأنه تبعيد له عن الخطأ، وهو الأليق بالنبي وبحاله ومثاله كما ورد في ضمان علي رضي الله عنه دين الميت، وقوله: هما علي. وأنه ابتداء ضمان، وأن النبي امتنع من الصلاة وكان وقت الامتناع معيبا في امتناعه، فكان مقدما على حمله على الإخبار عن ضمان سابق يكشف عن أنه كان امتنع من الصلاة في غير موضعه باطنا (٣٣).

الهوامش

١- انظر: فواتح الرحموت: (٢/٢٠٦)، شرح العضد: (٢/٣١٥)، نهاية السول: (٢/١٠٢٠)، روضة الناظر: (ص:٢٠٩).
٢- انظر: التقرير والتحبير: (٣/٢١)، شرح العضد: (٢/٣١٥)، الإحكام للآمدي: (٤/٢٥١)، البحر المحيط: (٦/١٧٠).
٣- انظر: فواتح الرحموت: (٢/٢٠٦)، جمع الجوامع: (٢/٣٦٩)، شرح الكوكب المنير: (٤/٦٨٠).
٤- أخرجه الترمذي، برقم: (٢٥١٨)
٥- أخرجه أبوداود، برقم: (٣٦٨١)
٦- انظر: سنن الدارقطني: (٢/٥٣٥-٥٣٨).
٧- انظر: تيسير التحرير: (٣/١٥٩)، شرح العضد: (٢/٣١٥)، جمع الجوامع: (٢/٣٦٩)، شرح الكوكب المنير: (٤/٦٥٩).
٨- أخرجه أبوداود، برقم: (٢)
٩- أخرجه مسلم، برقم: (٤٣٩٢)
١٠- أخرجه الترمذي، برقم: (١٤٤٨)
١١- انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (١١/٢٠٠).
١٢- انظر: تيسير التحرير (٣/١٦١)، جمع الجوامع: (٢/٣٧٠)، شرح الكوكب المنير: (٤/٦٨٩-٦٩١).
١٣- أخرجه الترمذي، برقم: (١٤٢٤).
١٤- أخرجه ابن ماجه، برقم: (٢٣٤١)، أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (٢٨٦٧).
١٥- أخرجه البخاري، برقم: (٦٧٨٩).
١٦- أخرجه البخاري، برقم: (٦٧٨٣)، ومسلم، برقم: (٤٥٠٣).
١٧- أخرجه الترمذي، برقم: (١٤٢٤).
١٨- انظر: فتح القدير: (٤/٢٢٦-٢٣٥) فيما لا قطع فيه، والمهذب: (٢/٢٧٧)، سبل السلام: (٢/٢٢).
١٩- انظر: تيسير التحرير: (٣/١٤٤)، شرح العضد: (٢/١٥)، اللمع: (ص: ٤٧)، شرح الكوكب المنير: (٤/٦٨٢-٦٨٣).
٢٠- أخرجه البخاري، برقم: (١٥٩٨).
٢١- أخرجه البخاري، برقم: (١٦٠١)
٢٢- انظر: البحر المحيط: (٦/١٧٥)، شرح الكوكب المنير: (٤/٦٩٢).
٢٣- أخرجه مسلم، برقم: (٧٨٥)
٢٤- أخرجه أبوداود، برقم: (٢٩٣).
٢٥- انظر: نيل الأوطار: (١/١٤٣ - ١٤٤)، سبل السلام: (١/١٦٧ - ١٦٩).
٢٦- انظر: الاعتبار: (ص:٢٣)، مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول: (ص:١٨١).
٢٧- أخرجه البيهقي في «الكبرى»، برقم: (٦٤٤).
٢٨- أخرجه أحمد، برقم: (١٦٢٨٦).
٢٩- انظر: التقرير والتحبير: (٣/٣٠)، تنقيح الفصول: (ص:٤٢٥)، الإحكام للآمدي: (٤/٢٤٩)، شرح الكوكب المنير: (٤/٦٥٧).
٣٠- أخرجه أبوداود، برقم: (٧٤٨).
٣١- أخرجه البيهقي، برقم: (٢٥٤٣).
٣٢- أخرجه أبوداود، برقم: (٧٢٢).
٣٣- انظر: الواضح في أصول الفقه لابن عقيل الحنبلي: (٥/٩٧).

د. خالد فهمي
كلية الآداب
جامعة المنوفية

العصر الحديث ضرورة معرفية وحضارية

إحياء تحقيق النصوص



مثل فعل الإحياء على الدوام، على الأقل في المناحي الفكرية والأدبية والفنية في العصر الحديث في الثقافة العربية، خطوة واسعة جدا على طريق اكتشاف الهوية، أو دعمها.

وفي كل مرة إحيائية برزت مجموعة كبيرة من علامات البهجة الحقيقية، مما أمكن معه النظر إلى عملية الإحياء من منظور الميلاد الجديد، الذي هو بداية الوعي بالذات في الوجود الحي المتعين من جانب، والنظر إليها مرة أخرى من منظور البهجة الفطرية التي يمكن تأمل معادل لها في بهجة الإنسان/ الطفل عند كل مرة يتقدم فيها نحو الوعي بعالمه، والإدراك لعلاقاته بهذا العالم.

كان جيل الرواد، الذي تمددت جغرافيته زمنيا لتغطي خريطة جانب كبير من القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، واعيا بمحددات هويته، وموائز حضارته، ومطالب معاصرته معا من جانب آخر، فتحرك بروح ناضجة موصولة بالشرق، غير مجافية لغيره، ومد جناحيه، فاحتضن العالم، وانتمى إلى الإنسانية.

كان شعورهم بالقدرة على صناعة «النهضة» قويا على ما يظهر من منجزهم. ولعل في إعادة إنتاج مصطلح النهضة عند كثير من المفكرين ما يقيم الحجة على ما نقرره في هذا المدخل.

وكان واحدا من أظهر مداخلهم لصناعة النهضة هو العناية بدراسة النصوص القديمة. لقد آمنوا أن بعض وجوه رعاية الفيلولوجيا نافع جدا، ومهم جدا.

لقد اجتمع في عقل جيل الرواد أهمية إعادة إحياء النصوص التراثية، مما لزم معه إحياء علم تحقيق النصوص، أو علم التصحيح العلمي لها، ونقد ما ينشر محققا منها.

وقد جاء اجتماع العقل هذا من طريقين هما:

أولا- طريق تطوير المنجز التراثي في مجال تصحيح النصوص، لاسيما في ميدان علم مصطلح الحديث.

ثانيا- طريق نقل السُّهمة التي أنجزها المستشرقون الغربيون بعد الاتصال المباشر بهم في الدوائر العلمية والأكاديمية المصرية تعيينا.

جدل الميلاد

لقد استمر المختصون زمانا يرون في منجز عبدالسلام هارون، رحمه الله، (ت١٩٨٨م) المتمثل في كتابه: «تحقيق



النصوص ونشرها»، أول عمل عربي في هذا الميدان، يقول د. وليد عبدالله المنيس (١): «وكأن لهذا الكتاب مكانة خاصة عند الباحثين والمحققين وطلاب العلم؛ كونه أول كتاب عربي في هذا الفن، يوضح مناهج هذا الفن ويعالج مشكلاته».

ثم كان أن كشف عن منجز الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت١٢٨٦هـ)، ليقفز إلى الذهن ضرورة مراجعة ما انتشر وشاع من أمر نسبة الميلاد الأول في الثقافة العربية المعاصرة لعبدالسلام هارون.

وليتقرر أحد أمرين ظاهرين:

الأول- أن أول من أنجز عملا عربيا في ميدان تحقيق النصوص التراثية، ونقد تحقيقها هو عمل المعلمي اليماني؛ لأنه أنجز كتابه في التحقيق وتصحيح النصوص في حيدر آباد الدكن بالهند أيام عمله في دائرة المعارف العثمانية، قبل عودته إلى مكة المكرمة ١٩٥٢م. والمعلوم أن عبدالسلام هارون أنجز كتابه ١٩٥٤م، مما يقضي بالأولية ليحيى المعلمي، رحمه الله. يقول محمد أجمل الإصلاحي: إنه «بيض الرسالة في حيدر آباد. وقد وصل الشيخ إلى مكة المكرمة سنة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، وأنت خبير أيضا بأن كتاب عبدالسلام هارون تحقيق النصوص ونشرها صدر ١٩٥٤م» (٢). ثم يقول: «وتبين من هذا التفصيل أن رسائل الشيخ هذه من أول ما كتب باللغة العربية في فن التحقيق، وأن الشيخ المعلمي، رحمه الله، أول عالم أفرد كتابا في أصول هذا الفن».

الثاني- أن ينسب أمر الأولية في الثقافة العربية المعاصرة للرجلين معا، بلا ادعاء انفراده.

على أن إهمال تأثير التقاليد الاستشراقية في تقرير أمر هذا الميلاد الأول في العصر الحديث أمر يبدو غريبا، ذلك أن جوتهلف برجشتراسر كان أسبق إلى خدمة هذا المجال المعرفي بما ألقاه من محاضرات (١٩٣١- ١٩٣٢م) في الجامعة المصرية بعنوان: «أصول نقد النصوص ونشر الكتب»، التي نشرها فيما بعد واحد من أهم المختصين هو الدكتور محمد حمدي البكري ١٩٦٩م.

وبهذا فإن دعوى الأولية حول جدل الميلاد أمر غير ذلك الذي يشيع في الكتابات المعنية،

لاسيما أن ثمة انتشارا نسبيا للعناية بقواعد تحقيق النصوص التراثية، وأصول نشرها، ونقدها نقدا علميا قبل عملي هارون والمعلمي معا.

وهو الانتشار الذي يظهر من ثقافة أصحابه صدوره عن روح تأثرت بتقاليد الفن في الثقافة الغربية على ما تكشف كتابات د. محمد مندور في مقدمة «قوانين الدواوين» لابن مماتي التي نشرها في مجلة الثقافة بالقاهرة ١٩٤٤م، ثم أعاد نشر ما كتبه في كتابه «في الميزان الجديد» في العام نفسه، وعلى ما تكشف عنه أيضا كتابات د. إبراهيم مدكور في مقدمة تحقيقه كتابه «الشفاء» لابن سينا الذي نشره في القاهرة ١٩٥٣م.

على أن الحق يقضي أن نقرر أن العمل بأصول تحقيق نصوص التراث كان قائما يمكن أن نرى آثاره في منجز الشيخ حسين بن علي المرصفي (ت ١٨٩٠م)، الذي تظهر آثار وعيه بأصول تحقيق النصوص، ونقدها، مما يدل على أن الإحياء الأول لعلم تحقيق النصوص ونقده في العصر الحديث مر بمرحلتين ظاهرتين على الأقل هما:

أولا- مرحلة البواكير والإرهاص.

ثانيا- مرحلة التأسيس والتنظير واستتمام الميلاد.

٣- الإحياء الأول في العصر الحديث: مقالة في الحدود

إن فحص منجز ما سميناه بالإحياء الأول لعلم تحقيق النصوص ونقده وتحليله، يكشف عن حدود ظاهرة يمكن أن نرسم جغرافيتها المعرفية، ونقيم الدليل على ما ندعو إليه من ضرورة الإحياء الجديد لهذا العلم.

وقد اتضح من خلال الفحص والتحليل لأدبيات هذا المنجز الممتد حضوره إلى اليوم مجموعة من الحدود الظاهرة يمكن الكشف عنها في ما يلي:

أولا- تنامي العناية بمحددات اختيار النصوص التراثية، والاتجاه نحو ضبط مجموعة من المعايير الحاكمة وراء هذه العملية.

ثانيا- استقرار النظر إلى علم تحقيق النصوص على أنه صناعة منظمة، تحتاج إلى: معرفة، وإجراءات، ومهارات، وأدوات.

ثالثا- تراكم أدبيات هذا العلم من دون تجديد حقيقي.

رابعا- استقرار عملياته في:

- اختيار النص.
- جمع نسخه ودراستها.
- المقابلة بين النسخ، وقراءة النص.
- التعليق على النص، وتخريج مكوناته، وتوثيقه.
- تكشيف محتوياته.
- خدمته بالدراسة والترجمة لصاحبه.
- تحريره، وإخراجه.

٤- الإحياء الجديد لعلم تحقيق النصوص ونقده: الآفاق المعرفية والحضارية

إن تأمل حدود الإحياء الأول للعلم في العصر الحديث، كاشف عن مجموعة معتبرة من علامات القصور والنقص أصابت أدبيات المنجز الذي امتد نحوا من خمسة وسبعين عاما.

ومن هنا، فإن النطاق المعرفي الذي يتمدد فيه هذا العلم بفضل أمرين مهمين جدا هما:

- جهد عدد من المؤسسات المعنية، لاسيما جهد معهد المخطوطات العربية، التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، وغيره من المؤسسات المنتشرة في العالم العربي، كمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، والمجامع اللغوية العربية، وغيرها من المراكز في عدد من العواصم العربية.
- جهد عدد من أبناء الجيل الجديد من المحققين والمنظرين في هذا الحقل.. ربما منح شرعية الدعوة إلى هذا الإحياء الجديد.

لقد بدأت جهود هؤلاء جميعا تفرز أو تنتج شيئا جديدا مفصلا، مستوعبا لما كان مجملا جدا في أدبيات الإحياء الأول الذي اضطلع به الأساتذة الرواد.

وهو الأمر الذي يبشر باستقلال معالجات عدد من قضايا هذا العلم وردت سريعة جدا في الأدبيات الرائدة السابقة.

وأعتقد أن هذا العلم مرشح للتفريع على ثلاثة فروع أساسية بشكل أولي هي:

أولا- فرع دراسة النص، والتقديم له، ودراسة ترجمة المؤلفين، والوصف المادي للأوعية (المخطوطات).

ثانيا- فرع لعمليات التحقيق، وإجراءاته، وأدواته، ومفاتيح التعامل مع النصوص، وتوثيقها، وقراءاتها، والتعليق عليها، ومعالجتها، واستكشافها.

ثالثا- فرع للتكشيف وصناعة الملاحق.

وهذا التقسيم الثلاثي في الإحياء الجديد، مرشح للزيادة عليه في المستقبل، بانضمام فروع جديدة تتعلق بمحاور من مثل:

أولا- فرع مقاصد علم تحقيق النصوص ونقده، ووظائفه.

ثانيا- فرع تأسيسي يتعلق بنظرية تحقيق النصوص، وتأصيلها صناعة، وملكة.

ثالثا- فرع لتحرير النصوص المحققة، وإخراجها، وتصميمها.

إن الأمة العربية مسؤولة بالمعنى العلمي والأخلاقي عن مجموعة من واجبات الوقت؛ لتستمر في الوجود ابتداء، ولتستجمع شروط نهضتها ومحددات هويتها انتهاء، وبعض أركان تحقق ذلك والقيام به مفتاحه إعادة إحياء علم تحقيق النصوص ونقده.

إن مراجعة تاريخ النهضة في النسختين الغربية الحديثة، والنسخة العربية الحديثة أيضا، تكشف عن الإسهام المركزي للدرس الفيلولوجي في صناعة النهضة في نسخها جميعا.

وتحقيق النصوص هو قلب الدرس الفيلولوجي، أو هو عصب دراسة الآداب القديمة بمفهومها الواسع!

لقد رفع الغطاء عن حقيقة سكنت تاريخ الحضارة الحديثة، فظهر أن تحقيق النصوص كان هو الدم المتدفق في شرايينها!

الهوامش

١- انظر: مقدمة التراث العربي لعبدالسلام هارون، إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»، الكويت، الإصدار الثمانون، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص١٤. وانظر: «الإعلام بمن زار الكويت من الأعلام»، للدكتور وليد عبدالله المنيس، إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»، الإصدار١٩.

٢- مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص للمعلمي، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد (٢٣)، مكة المكرمة، ١٤٣٤هـ، ص٩.

د. عبد السلام رياح
أكاديمي مغربي

وظائف الأدب في بناء المجتمع

يعد الأدب بتجلياته المختلفة رافدا من الروافد الأساس في كل بناء اجتماعي يروم التقدم والرقي والدوام. ومن ثم، فإن له وظائف جليلة تمس الواجهات الرئيسة في الحياة العامة، فإذا استفيد منها، وسخرت بصورة محمودة تروم تفعيل ما لم يفعل في البناء، وتوجيه ما كان يضرب في الأرض ضربا غير قاصد مواطن الخلل، سيكون لها شأن في البناء الاجتماعي عظيم، وعطاء ثر في شق روافد التقدم جسيم.

وسنقف في هذه الورقة على وظائف الأدب الحائزة على قصب السبق في البناء الاجتماعي.

يتميز الأدب عن كثير من الروافد المعرفية الأخرى بمؤهلاته الكثيرة التي تحفظ بها اللغة، وتصان بها التعابير، ويماز بها بين من نشأ على إتقان العربية وإجادة امتلاكها وأخذها من ناصيتها، وبين من تعلمها بعد، أو لم يخضع لما يؤهله لأن يكون في مصاف من يستقلون منها بالذروة والسنام.

ولقد أدرك السلف أهمية الأدب البالغة في الحفاظ على لغة الأمة، والتفتوا منها إلى الشعر التفاتا خاصا، باعتباره الديوان الجامع لثقافة السابقين وطرق عيشهم؛ فقد روي عن ابن فارس قوله: «والشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله ﷺ وحديث صحابته والتابعين».

والواقع، أن هذا القول ليس بدعا جاء به ابن فارس، وإنما هو خلاصة ما اعتقدته الأمة في هذا الشأن، وسلكته في توجيه المجتمع برمته، وفي تربية أبنائها وهدايتهم إلى أقوم السبل التي تحفظ الملامح، وتقوي المدارك، وتبني المجتمع. ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ حيث كان يقول: «إذا خفي عليكم شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»، بل إنه رضي الله عنه «كان إذا سئل عن عربية القرآن أنشد الشعر».

القيم البانية

لقد كان لحرص الأولين على بناء شخصيات ناشئتهم بناء متكاملا أن انصرفوا إلى تفعيل روافد الأدب لديهم واستثمارها الاستثمار الأوفى. وهو ما يتجلى من خلال انصراف الخلفاء إلى توجيه مؤدبي أولادهم إليه؛ فقد ذكر الكلبي أن سليمان بن عبدالملك الأموي كلفه بتأديب ولي عهده، فقال له: «يا كلبي، إن ابني محمدا قرة عيني وثمرة قلبي، وقد رجوت أن يبلغ الله به أفضل ما بلّغ رجلا من أهل بيته، وقد وليتك تأديبه، فعلمه القرآن، وروِّه الأشعار، فإن الشعر ديوان العرب، وفهمه أيام الناس، وخذه بعلم الفرائض، وفهمه السنن، ولا تفتر عنه ليلا ونهارا».

والواقع، إن الروافد الأدبية المعتمدة، هاهنا، إذا كانت ملتزمة بالضوابط التي تبني ولا تهدم، وتصلح ولا تفسد، فإن شأوها يكون عظيما ومردودها جسيما. وسواء أتمثل الأدب في الشعر، أم في السرد القصصي والمسرحي، أم في المقالة والخاطرة... إلخ، فإن الشرط فيه ليكون أدبا ذا وظائف بانية، أن يكون ملتزما بما يحفظ القيم الإيجابية ويقويها، عازفا عن موارد التهتك والانحلال والخلاعة.

معالم طريق البناء

إذا التزم الإبداع الأدبي بالكلمة الطيبة التي امتدحها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٥)، وأقلع عن كل ما عداها مما تحبل به المؤلفات الإبداعية؛ شعرا وسردا ومختلف أشكال تواصل، فإنه يكون قد فتح الباب ووضع رجله في الركاب في سلم البناء الاجتماعي الذي صارت فيه الكلمة الطيبة مدافعة من لدن غيرها، بل غدت محاصرة حتى أصبحت غريبة في كثير من المواقع.

والحق، إن المبدعين لو أدركوا حدة المعنى الذي يؤديه قول النبي محمد ﷺ الذي يرويه عنه أبوهريرة رضي الله عنه؛ حيث قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم»، لعلموا أن الكلمة أمانة ومسؤولية ما يلبث أن يسأل عنها المرء في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

إننا، ونحن نستشرف مستقبل الأمة، نرى ألا مخرج لها في ظل التغيرات المتسارعة، والطفرات المتوالية، من أن تجتهد في تحقيق الوقاية الرشيدة والتحصين السديد لأبنائها وبناتها، من أجل أن يشبوا على السمت الطيب والأخلاق الكريمة، ولا مناص لها من أن تسلك بهم مسالك التميز في تلقي المعارف الأدبية؛ مضمونا وجمالا، إذ إن «على حسب الأساس وأساليبه يكون حال من يبنى عليه».

د. محمود خلف
أكاديمي متخصص
في الأدب

إسماعيل صبري

(١٢٧٠-١٣٤١هـ / ١٨٤٥-١٩٢٣م)



إسماعيل صبري باشا من شعراء الطبقة الأولى في عصره، امتاز بجمال مقطوعاته وعذوبة أسلوبه. وهو من شيوخ الإدارة والقضاء في الديار المصرية، تعلم في القاهرة، ودرس الحقوق في فرنسا، وتدرج في مناصب القضاء في مصر، فعين نائبا عموميا، فمحافظا للإسكندرية، فوكيلا لنظارة «الحقانية» (العدل حاليا).

● **حياته**

ولد إسماعيل صبري في القاهرة سنة (١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) لأسرة متوسطة، وأخذ يختلف منذ نشأته إلى المدارس، على غرار نظرائه من أبناء هذا الزمان، فالتحق بمدرسة المبتديان سنة (١٢٨٣هـ/١٨٦٦م)، ثم بمدرستي التجهيزية والإدارة (الحقوق)، وأتم دراسته في الأخيرة سنة (١٢٩١هـ/١٨٧٤م).

وبمجرد تخرجه فيها أرسل في بعثة إلى فرنسا، فنال شهادة الليسانس في الحقوق من كلية إكس سنة (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، وفتحت هذه الشهادة الأبواب أمامه كي ينتقل في وظائف السلك القضائي في مصر. وفي سنة (١٣١٤هـ/١٨٩٦م) عين محافظا للإسكندرية، وظل في هذه الوظيفة ثلاث سنوات انتقل في نهايتها وكيلا لوزارة العدل (الحقانية حينئذ). ومازال يشغل هذا المنصب حتى طلب إحالته إلى المعاش في سنة (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م). ولما نشبت الحرب العالمية الأولى سكت، وطال صمته إلى أن مات.

وحياته على هذا النحو كانت حياة سهلة، ليس فيها شظف ولا حرمان؛ فقد وفر له راتبه غير قليل من الرزق وطيب العيش. وانعقدت أواصر الصداقة بينه وبين مصطفى كامل، ويقال: إن أولي الأمر طلبوا إليه ذات مرة -وهو محافظ الإسكندرية- أن يحول بين مصطفى وبين الشعب هناك، فلا يدعه يخطب فيهم، فأبى ذلك، وخلى بين الشعب وزعيمهم الشاب، وقال: أنا مسؤول عن الأمن والنظام. ويؤثر عنه أنه لم يزر دار المندوب السامي الإنجليزي على نحو ما كان يصنع كبار الموظفين في عصره؛ إذ كان يرى في ذلك أكبر وصمات الذل والاستعباد. وظل وفيا لمصطفى كامل يزوره ويتردد على دار اللواء، حتى إذا عصفت به المنون انتظم في سلك مشيعيه، ووقف على قبره يندبه بقصيدته:

أداعي الأسى في مصر ويحك داعيا
هددت القوى إذ قمت بالأمس ناعيا

وهي تصور جزعه عليه من ناحية، وتصور من ناحية ثانية مدى إخلاصه له وحزنه عليه، وكل بيت فيها دمعة وفاء يذرفها على صديقه وزعيمه.

ومن الحق أن نفسه كانت كبيرة، وأنه كان يستشعر معاني الكرامة في أبلغ صورها. وقد تحول بيته إلى منتدى يألفه الأدباء والشعراء، وعرف بين الأخيرين خاصة بذوقه الدقيق وحسه المرهف، فكانوا يعرضون عليه أشعارهم، ويستجيبون إلى نقده وملاحظاته، ولعل ذلك هو السبب في أن معاصريه كانوا يلقبونه «شيخ الشعراء»، فهو شيخهم المجلي، واعترف بذلك حافظ وشوقي في رثائهما له.

ويجمع معاصروه على أنه كان رقيقا دمثا وديعا حلو النادرة، وهو من هذه الناحية يمثل رقة أهل القاهرة، وما يشتهرون به من خفة الظل ولطف الحس. وكانت في عصره «صالونات» أو ندوات لبعض السيدات كن يقمنها على الطريقة الفرنسية، كندوة الأديبة المشهورة مي. وقد دعمت هذه الندوات الرقة التي امتاز بها.

ولن نجد مثله شاعرا استولى على معاصريه برقته ودعته ودماثته، ولعل ذلك هو السبب في أنه خرج من معارك

النقاد في أيامه دون أن ينالوه بسوء. ومما يتصل بهذا الجانب عنده أنه لم يكن يهمه أن يسمى شاعرا كبيرا، فحسبه أن يغني شعره لنفسه وفي خلواته.

وكان كثير التواضع شديد الحياء، ولم تكن حياته منظمة كما يظن في رجل قانوني إداري. يكتب شعره على هوامش الكتب والمجلات، وينشره أصدقاؤه خلسة.

وكان كثيرا ما يمزق قصائده صائحا: «إن أحسن ما عندي مازال في صدري». وكان بارع النكتة سريع الخاطر. وأبى وهو وكيل للحقانية (العدل) أن يقابل كرومر، فقيل له: «إن كرومر يريد التمهيد لجعلك رئيسا للوزارة». فقال: «لن أكون رئيسا للوزارة وأخسر ضميري».

● شعره

لعل فيما قدم من حياة إسماعيل صبري ما يدل على أن عناصر مختلفة أسهمت في تكوين شاعريته، فهو مصري صميم؛ بل هو قاهري، يمثل الروح القاهرية المصرية الخالصة، وما عرف عن أهل القاهرة من اللين والدماثة والميل إلى الدعابة. وهو قد تعلم في فرنسا، وعرف الآداب الفرنسية في عصر الرومانسية، ولا ريب في أن ذلك أضاف إلى شاعريته شيئا جديدا، فقد نهل من منابع لا عهد للعرب ولا للعربية بها، وفي ديوانه إشارات إلى بعض أمثال وعبارات فرنسية استوحى منها بعض أبياته ومقطوعاته.

على أننا نلاحظ أن أكبر شيء أثر في شاعريته حقا، وسطه المصري، وندوات السيدات التي كان يختلف إليها، فقد أثرا جميعا أثرا بعيدا في روحه ومزاجه وتكوين شخصيته الأدبية. وأيضا أثرت فيه أثرا عميقا قراءاته في الأدب العربي، ويظهر أنه قرأ كثيرا في البهاء زهير وابن الفارض، ففي شعره آثار مختلفة منهما؛ بل لا نبالغ إذا قلنا: إنه امتداد لهما في كثير من جوانبه.

وقد بدأ حياته الفنية أو الشعرية مبكرا قبل بعثته إلى فرنسا؛ إذ كان ينشر في مجلة «روضة المدارس» مديحا في إسماعيل باشا، وظل ينظم بعد عودته في هذا الموضوع الرسمي. وشعره فيه تقليدي، وفيه كثير من فنون البديع على طريقة معاصريه. ومعنى ذلك أن العنصر الفرنسي أو الآداب الفرنسية لم تترك أثرا سريعا في فنه، فقد مضى في أشعاره الأولى يرسف في قيود التقليد.

غير أننا لا نمضي طويلا معه حتى نراه يتبين نفسه فينزع عنها رداء الشعر الرسمي، ويخلص للتغني بعواطفه الصادقة، وحينئذ تتراءى جميع العناصر التي أشرنا إليها آنفا في تكوين شخصيته الأدبية، فإذا هو شاعر قاهري رقيق، وإذا هو امتداد للروح المصرية التي مثلها في عصورنا السابقة البهاء زهير من طرف وابن الفارض من طرف آخر، وأيضا إذا هو يتأثر في بعض معانيه وأخيلته بما عرف من معان وأخيلة في الأدب الفرنسي.

من نماذج شعره

وما المرء إلا بخلق كريم
وليس بما قد حوى من نشب

وله في أخلاق الناس، والتبرم بهم قصيدة طويلة حين ظهر «مذنب هالي»، وتمنى صبري لو أنه صدم الأرض وأراحها من أهل النفاق والعقوق وأهل البغي والظلم إلى غير ذلك مما كان يؤلم حسه الرقيق، وأخلاقه الدمثة، فقال:

غاص ماء الحياة من كل وجه
فغدا كالح الجوانب قفرا
وتفشى العقوق في الناس حتى
كاد رد السلام يحسب برا

وفيها يقول:

أغدا تستوي الأنوف فلا ناظر
قوما على الأرض شزرا
أغدا كلنا تراب ولا ملك
خلاف التراب برا وبحرا؟
أغدا يصبح الصراع عنافا
في الهيولي ويصبح العبد حرا

ومن قوله في الاعتداد بكرامته؛ ضنا بها عن أن تهان:

لكسرة من رغيف خبز
تؤدم بالملح والكرامة
أشهى إلى الحر من طعام
يختم بالشهد والملامة

ومن شدة إبائه أنه لم يكن يتورع عن رد الإهانة على طريقته، ولو كان من أهانه عظيما، استمع إليه يقول:

أيها التائه المدل علينا
ويك قل لي من أنت إني نسيت

وفي قوله: «إني نسيت» تهكم مر؛ لأن هذا الشخص لو كان عظيما حقا ما نسيه صبري، ولكنه لا يستحق أن يذكره صبري، وهو بهذا يخبره أنه أرفع منه شأنا.

وإذا خانه صديقه، وعقه وحاول إيذاءه تذكر عهد الوداد، فلم يرد على اعتدائه، وحافظ عليه.

إذا خانني خل قديم وعقني
وفوقت يوما في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه
فكسرت سهمي فانثنيت ولم أرم

وكان يؤثر الحلم على الغضب، فإذا ما دعت دواعي الغضب وأثارته الحادثات، تذرع بالحلم، ورجع إلى نداء العقل:

إذا ما دعا إلى الشر مرة
وهزت رياح الحادثات قناتي
ركبت إليه الحلم خير مطية
وسرت إليه من طريق أناتي

توفي بالقاهرة سنة (١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، ورثاه كثيرون من الشعراء والكتاب. وجمع ما بقي من شعره بعد وفاته في ديوان.

د. عبدالكريم الرحيوي
أكاديمي مغربي



من خلال كتاب «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» للراغب الأصبهاني

أدبيات التشاور في التلقي العربي القديم

الحوار باب المعرفة ومنفذ الحقيقة، وهو آلية للمحاجة وسبيل للإدراك، تطول به صحبة الأصحاب، وترتقي عبره علاقات المجتمعات والأفراد. والتشاور صنو الحوار وربيبه، ونده وقريبه، وهما غير الجدل، إذ يطبعهما الهدوء وقابلية رأي الآخر، والأخير يغلب عليه التعصب والتنازع والمعارضة المطلقة. ولنا في قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:١)، العبرة والمثال، وقد جمع سبحانه بين الجدل والتحاور على سبيل الإبانة عن طرفي النقيض بين دلالة المصطلحين.

المحور الأول - المحاورة والمشاورة: الدلالة والفائدة والمجالات

أ - في الدلالة:

المحاورة فن من فنون التخاطب والتواصل التي تطبع المحادثة في التداول اليومي والمناسبي بشأن أمر من الأمور بين الناس، ولا يمكن الحديث عن المحاورة في غياب الثالوث: محاوِر - محاوَر - حوار (موضوع أو قضية).

وللمحاورة في اللغة دلالات لا تخرج عن سياق المراجعة والمجاوبة والمجادلة؛ فقد جاء في «أساس البلاغة»: (حاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحوار، وكلمته فما رد علي محورة). وفي «لسان العرب»: (التحاور: التجاوب، تقول: كلمته فما حار إلي جوابا، أي: ما رد جوابا. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (الانشقاق:١٤)، أي: لن يرجع. وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وفي «القاموس المحيط» و«المعجم الوسيط»: (تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم). وفي «تاج العروس»: (المحاورة: المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة).

وفي الاصطلاح: الحوار والمحاورة والتحاور وجوه لعملة واحدة تفيد معنى النقاش والمحادثة حول قضية أو موضوع ما، بهدف ادراك حقيقته.

وأما المشاورة في اللغة فقد دلت على معاني تقليب الرأي ومراجعته. وفي الاصطلاح اتفق أنها تعني طلب الرأي من أربابه عن طريق المشورة والتوافق على السديد منه، تحقيقا لمخرجات مفيدة صائبة.

والمحاورة آلية حدوث المشاورة ووسيلتها؛ فلا مشاورة مع المستبد بالرأي، المنغلق على الذات، المتعصب لوجهة نظره.

ب - في الفائدة:

للمشاورة والمحاورة فوائد جمة، هي تماما على النقيض من الانغلاق على الذات، والانزواء بالرأي، لا يعرض على نظر ولا يقلب على وجوه تبين عيوبه وتجلي نواقصه. ومن تلك الفوائد نحصي: تبادل الآراء، وتقاسم الأفكار، وتصويب وجهات النظر الخاطئة، ومعرفة أحوال وأنواع المخاطبين، والتنفيس عن الذات مما يعتريها من الهم والغم. والذي يتحاور ويتشاور يحصى في عداد المتواضعين، ويرتقي درجات العلم والمعرفة، وينال حب الناس.

والمستبد بالرأي وحيد دوما، حليف للأخطاء، منغلق على أفكاره، عدو للتجديد المعرفي.

والحوار في القرآن الكريم آية من آيات الله، تواصل به الله تعالى مع الأنبياء والخلق والملائكة، بل والشيطان؛ فأظهر سبحانه به الحق وأبطل به الباطل. وتواصل به أنبياؤه مع أممهم وذويهم وغيرهم، وفي ذلك عبرة وفائدة تذكي أهميته في حلحلة المعضلات بالتي هي أحسن.

ج - في مجالات المحاورات والمشاورات الأدبية والدينية:

المحاورة لا يحدها مكان ولا يحصرها زمان، وإذا ما حاولنا تعداد بعض مجالاتها، وبخاصة في الأدب والدين، ألفينا أن من أهمها:

- الجوامع والمركبات الدينية، وتحديدا في ما يتعلق بمدارسة القرآن والحديث والفقه وعلوم الشرع والقراءات والأصول والتصوف ونحو ذلك من علوم الدين.
- المقاهي والأندية الأدبية، وما يتصل بهما من أسمار وأمسيات في فنون الأدب وحلقات النقاش، وبخاصة القراءات الشعرية، والسرديات، والنقد الأدبي ونحوها.
- الندوات واللقاءات والموائد المستديرة، التي تعنى بقضايا الأدب وفنونه، أو علوم الدين وأصوله، وما يتعلق بها من دراسات علمية، وبحوث أكاديمية، تنتهي بتوصيات تخدم ملفات الأدب، وتطلعات المبدعين، وقضايا الأمة ودينها.
- المناظرات والمساجلات حول موضوع أو قضية تطفو على ساحة النقاش، ويكثر بشأنها القيل والقال، فيأتي التناظر فيصلا «في حده الحد بين الجد واللعب».
- المنابر الإعلامية باعتبارها وسيلة لتفعيل المحاورة، وإبلاغها إلى أبعد مدى.



المحور الثاني - أدب الحوار في كتاب المحاضرات والمحاورات للأصبهاني

حض الراغب الأصبهاني في كتابه «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» (اعتمدنا طبعة مطبعة الهلال بالفجالة في مصر لعام ١٩٠٢م، بتهذيب إبراهيم زيدان) على التواصل وعرض الرأي على أربابه، وقبول وجهات النظر دونما استبداد وتعصب. جاء ذلك في معرض حديثه عن أهمية المشاورة بالخصوص وفوائدها الجمالية، وهو ما يفاد من مجموع الشواهد النثرية والشعرية التي ساقها لهذا الغرض.

فمن ذلك الحديث الشريف: «نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد والاستبداد» (ص١٠).

ومنه قول بشار (ص١٠):

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم

والمشاورة لا تستدعي بالضرورة تبني رأي المشاور؛ وإنما تشرع أمامك أبوابا كثيرة تلج آمنها. والمخالفة حق؛ ففي الحديث: «شاوروهن وخالفوهن» (ص١١). وللشاعر:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد ... أشيرا علي اليوم ما تريان

وقد ذم الأولون في المحادثة والمحاورة كثرة الكلام ومدحوا الإيجاز، فقد (قيل: من أطال حديثه فقد عرض أصحابه للسآمة وطول الاستماع. وقال سقراط لرجل: أنساني أول كلامك بعد العهد بآخره) (ص٢٧). وقال المنصور الفقيه (ص٢٦):

ولا تكثرن، فخير الكلام الـ ... قليل الحروف الكثير المعاني

وتعتبر المساءلة أثناء المحاورة مفتاح الفهم، ومجلى الجهل. والساكت على الجهالة أعمى. والمساءلة عمدة التعلم. (قال النبي ﷺ «العلم خزانة مفتاحها السؤال». وقيل لدغفل: بم أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسان وسؤال وقلب عقول. وقال الشاعر:

شفاء العَمِيّ طول السؤال وإنما ... تمام العمى طول السكوت على الجهل) (ص٢١).

ولئن جاز للمحاور أن يتوجه بالخطاب إلى المتلقي المطلق نزولا عند القول السائر: (لا يمنعك ضعة القائل عن الاستماع إليه، فرب فم كريه مج علما ذكيا، وتبر صاف في صخر جاس. والجوهرة النفيسة لا يشينها سخافة غائصها ولا دناءة بائعها) (ص٢١)؛ فإن الحكمة تكثر والفائدة تعظم إذا كان المحاور من أهل العلم. فقد (قيل: من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم) (ص٣٤).

والمناظرة والمذاكرة أخصب مجال لتفعيل الحوار، وتوجيه السؤال، وتلقيح الأفكار. (قال النبي ﷺ: «لقحوا عقولكم بالمذاكرة»... وقال رجل لآخر: مناظرة مثلك في الدين فرض والاستماع منك أدب. وقال الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في مجلس ... نظرا، يزل مواقع الأقدام)(ص٣٤)

ويتعين على المناظر أن يهتدي إلى الصواب إذا اقتنع به، وألا يتمسك برأيه إذا أحسه ضعيفا. (قال الشعبي: اني لأستحيي أن أعرف الحق فلا أرجع إليه) (ص٣٥).

ويبقى الهدوء واحترام المحاور ملح طعام الحوار، ومضفي الجمال على أدبياته. قال زيد بن جندب:

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم ... عن الجدال، وأغناهم عن الشغب

وقيل: لا يميل إلى الجلبة واللجاج إلا من عجز عن الغلبة بالحجاج. وقال المأمون لهاشمي حضر مجلسه فناظره وشغب:

لا ترفعن صوتك يا عبد الصمد ... إن الصواب في الأسد لا الأشد

(وقال عمر بن عبدالعزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة: اخفض الصوت، فلو نيل خير برفع الصوت لأدركه الحمير والكلاب) (ص٣٦). وفي التنزيل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ (لقمان:١٩).

خلاصة

بناء على ما سبق نخلص إلى القول: إن أدبيات المحاورة والمشاورة تتجلى في مجموع الفوائد الجمة التي يحصدها المتكلمون من التحاور؛ إذ تتخصب أفكارهم، وتتقوى مداركهم، وتتصوب وجهات نظرهم الخاطئة، فتتحقق الإفادة والاستفادة والتواصل والتعارف... على أن يسود أثناء الحوار جو الاحترام والهدوء والاستماع، وأن يجنح المتكلم للإيجاز ما أمكن، لتعلق الأفكار بالعقول، وتلصق بالأذهان مطمئنة هادئة.

وأما إذا توافرت للمحاورة مجالاتها، وكثرت فضاءاتها، وتمكنت أدبياتها من النفوس دونما تعصب للرأي أو استبداد به؛ فتلك - لا شك - «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

منير محمد خلف
كاتب سوري

أوقفتني في الشعر

رسمتُ صوتي على مرآة مأساتي
وقلتُ للشعر: هلاّ صرتَ مرآتي؟

فقال للحرف: كم بالباب منْ طرق الرّؤيا
وغلّق بالألغاز ميقاتي!

فيا معاجمُ كوني صوتَ عاشقنا
وقبّليه فليس اليوم كالآتي

وبلّغيه بأنّ الحُسْنَ في شَفَةِ الْـ
إيقاع مختبئٌ في وصْلِ هَمْزاتي

وبلّغيهِ بأن الحقَّ منتصرٌ
ونار جذوته من ضوء مشكاتي

وبلّغيه بأني رهن محنته
فهل عددْتَ على القرطاس نجْماتي؟

وبلّغيه بأن الجرحَ يجمعنا
وحسْبُ معنائه أعطيه من ذاتي

ولوّني في يديه ما يلائمني
فقد رأيتُ على الذكرى علاماتي

وقد رأيتُ على أعتاب غربته
مدائنَ السّحر في أرقى الفتوحاتِ

فقلتُ: يا سيّدي كن لي أبًا وأخًا
وكن أنيسي إذا زادت معاناتي

وقفْ بقربي ولا تتركْ يَدَي غرِقٍ
لكي أراك وكي تلقى بِشاراتي

وكن صريحًا إذا التّلميحُ عاندني
وكنْ بياني إذا ضاعتْ إشاراتي

وكنْ دمائي إذا ناديتُ محبرتي
وكن نديمي .. وأصداءً لأصواتي

أخاف منّي ومن صمتٍ يورّثُني
جنازةَ الإرث في ليل الحكايات

على دمائي حملتُ النّاسَ قاطبةً
من كلِّ لونٍ ومن طيف البدايات

من العراقِ إلى مصرٍ وأندلسٍ
ومن شآميْ إلى نخْل الإمارات

ومن أنايَ .. يدُ النوروزِ توقظها
وتزرعُ الحبَّ في صفْو الإخاءات

من أجل موسى وعيسى..آل سيّدنا
محمّد .. خيرِ مَنْ أحيا الحضارات

رشفتُ من هَدْيهم ضوئي، ومن يدهمْ
قطفْتُ غيمَ الرّؤى في ظلّ آيات

ورحتُ أسبحُ في دنياهُمُ لأرى
بحرًا من النور في أرض النبوءات

عبداللطيف خروبة
أديب مغربي

الحياة في «ملكة العنب»



إذا كان الفن الروائي يقدم للمتلقي متعة ولذة وتسلية، فهو من جانب آخر يعمق فهم الحياة عن طريق تقديم نماذج بشرية متنوعة ومختلفة أثناء تعرضها لمواقف وأحداث مشابهة لتلك التي يعيشها الناس في الحياة الواقعية، ويوجه المجتمع الإنساني من خلال ذلك إلى العطاء والإنتاج، والالتزام بالقيم الراقية. فالرواية كفن أدبي تهدف، من بين ما تهدف، إلى إحداث ثورة فكرية ومعرفية وثقافية وأخلاقية من أجل إرجاع الناس إلى الحق، وتبصيرهم بالصواب في ظل الأوضاع السيئة التي يمرون بها، والقضاء على الأفكار المتحجرة التي أدت إلى طغيان الفساد وسيادة الظلم اللذين يعيقان تطور الحياة الاجتماعية نحو الأفضل.

هذه المقالة ستلقي الضوء على رؤية الإنسان للحياة في المجتمع البدَوي من خلال رواية «ملكة العنب» للكاتب نجيب الكيلاني. فهل نجحت الرواية في تقديم رؤية جديدة للحياة أم أنها تكتفي فقط بالتعرف عليها؟

عندما نتوغل في هذه الرواية نجد أنها ترسم لوحة مشخصة لواقع اجتماعي معين من زاوية نقدية: قرية صغيرة يعيش أهلها على الزراعة وتعج بالكثير من التناقضات والصراعات، والشخصيات تتحرك ضمن إطارها الاجتماعي في البيئة والطبيعة، والتقاليد والعادات، والنظم القانونية والسياسية والاقتصادية والعقائد الدينية، والقيم الإنسانية والتربوية المختلفة، من حب وكراهية، وتعاون واتحاد وتفرقة، وخير وشر، وحق وباطل، وهذا ما يثبت صلتها بالحياة، ويمَكّن من إعطاء رؤية لها، والعمل على تغييرها وإعطائها معنى مغايرا جديدا، وذلك من خلال العواطف التي تبثها الشخصيات، بعضها في بعض، فتنتزع من النفوس أحاسيس التمزق والكراهية والصراع، وتملأها بمشاعر التعاون والتراحم والتآلف والحب والوئام.

وهذا ما يظهر من أول صفحة في الرواية، حيث تشير إلى تحول حقول القرية إلى مزارع للعنب، وأهمل الناس زراعة الحبوب. وهذه الحرفة جعلت أهل الأرض يربحون أرباحا كثيرة، وفي الوقت نفسه يحرمون الفقراء من حقوق الله في هذه المداخيل: «لقد تحولت حقول قريتنا إلى مزارع للعنب، وأهملوا زراعة الحبوب، وهم لا يخرجون زكاة هذه الفاكهة المرتفعة الثمن، والفدان في المتوسط ينتج من العنب ما يساوي خمسة آلاف أو ستة آلاف جنيه، والزكاة هنا نصف العشر.. ولو فعل زرّاع العنب ذلك لقل عدد الفقراء».

وتبعا لذلك اختلفت نظرة الناس إلى الحياة في هذه الرواية، فكل فئة تفهمها بالوجهة التي تحقق لها رغباتها وشهواتها ومصالحها الخاصة من دون مراعاة حقوق الآخرين ومشاعرهم.

تميزت شخصية بطلة الرواية براعم بفطرتها السليمة، وبمروءتها وأخلاقها النبيلة، فبعدما زج بأبناء القرية في السجن إثر تظاهرة صغيرة رافقت جنازة، سارعت إلى مواساة الأهالي.

إن عمل براعم النبيل هذا جعل أهل القرية يرفعون قدرها أكثر، ويتقدمون إليها بهدية شاكرين لها عملها الجليل تجاههم، وكان ذلك في حفل بهيج حضره العمدة والمحامية وأهل القرية.

هذه المبادرة أثرت فيها فقررت إخراج الزكاة عن محاصيلها من العنب علانية، وكلفت الشيخ الزاهد أبوالمجد شاهين

بتوزيعها على فقراء القرية، وحتى اللصوص حظوا بكرمها، وكانت تبحث لهم عن الشغل عندها، وبذلك كسبت ود الجميع واحترامهم وتقديرهم.
وهناك شخصيات أخرى ترى أن الحياة هي السهر على سيادة القيم الفاضلة، وهذا يتمثل في شخصية أبوالمجد شاهين، الرجل المسالم، الذي التزم الصلاح، وعُرف بالاستقامة والزهد، ويبذل جهده لتسود الأخلاق الجميلة التي تحسن الحياة، ويعتقد اعتقادا راسخا بأن الإسلام جاء ليجمع لا ليفرق، فكلما حدث ما يلوث السمعة ويجعل الحياة مضطربة، صاح في الناس وناداهم بأن يتخلوا عما هم عليه من ضلال وانحراف. وتوسل إلى الله ليهدي الظالمين: «إلهي، نامت العيون، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم.
إلهي، قد فسدت الأحوال» . وحين دخلت القوات العراقية الكويت، رفض ذلك؛ لأنه يؤدي إلى إزهاق الأرواح وإرعاب الآمنين بغير حق. إن الحياة في نظره زهد وتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ومعاملة الغير بالاحترام والتقدير، وأن سبب إثارة الفتنة في القرية هو القتل والطمع. «المتهم الأول هو الطمع: القاتلان والقتيل، الراعي ومحاسن وصدام طامعون، اقتلوا الطمع ولا تقتلوا أنفسكم...ليس من الضروري أن نريق الدماء لينمحي الظلم» . ويرى أن الصبر ضروري في كل حال؛ حتى تستمر الحياة بالشكل الذي أراده الله. وحتى حين كان تحت رحمة المحققين في السجن لم يتزحزح إيمانه وصبره. «كان أبوالمجد متألما لما يجري، لم يخطر بباله شيء من هذا قط مثل ذلك، ولم يتصور أن وراء الأسوار وحوشا بشرية تتصف بهذا القدر من القسوة والحيوانية» .
الشيخ محمد حسب الله: الشاب العالم الذي عرف شرع الله، فلم يأخذه في الصدع بالحق لوم لائم، فقد خطب في الناس ونبههم إلى ضرورة إخراج زكاة الأرباح من محاصيل العنب، وتحمل التوقيف، والتعذيب في السجن بسبب مواقفه الصريحة في قول الحق، وتزوج براعم التي كانت في البداية مختلفة معه، وكانت أمه تغريه بأن يتزوجها لكنه أعرض نظرا للفارق المادي بينهما. إن رؤيته إلى الحياة تتمثل في كون الإسلام بقيَمه النبيلة، هو الذي يكفل الصلاح للحياة. فالحياة ما لم يغلفها الدين الحق حياة ممتلئة بالضنك والشظف، وأن الصبر لازم لتحقيق حياة سليمة، وأن الداعية إلى الله لا تؤثر فيه المصائب، ولا ترجعه عن مبادئه النوائب.
وهناك عينة أخرى من الشخصيات في الرواية ترى أن الحياة استغلال للسلطة، وإخضاع الآخرين بما يخدم مصالحهم الخاصة، ومن خالفهم فمآله الوعيد والتعذيب. ولا يهمهم في الحياة سوى الاغتناء على حساب الآخرين.

أهل الأرياف

تبين أن رواية «ملكة العنب» لا تعيد طبع الحياة في الأرياف، ولا إعادة إنتاج واقعها وما يعرفه من تهميش وفقر وجهل وبؤس واستسلام للأقوياء، وما يعيشه من صراع عشائري، ولكنها تقدم رؤية حضارية جديدة تجاه أهل الأرياف، فرغم غياب التجانس في واقعهم الاجتماعي وتدهور القيم فيه، فإنهم قادرون على الحوار والتفاهم وفتح صدورهم للآخر، وترك الانكماش على الذات، وبإمكانهم تنمية أنفسهم وتغيير أحوالهم المادية والمعنوية إلى الأحسن، ومواكبة الحياة العصرية، وأنهم قابلون للاستقامة وامتثال قيم التعاون والسلم والمحبة والخير، وأن الزوايا المظلمة المحزنة في حياتهم يمكن أن تتحول إلى جوانب مضيئة مفرحة، شريطة أن يجدوا من يأخذ بأيديهم ويساعدهم ويضحي من أجلهم. وأنهم يستجيبون لنداء الفطرة الكامنة في النفوس حين تتوافر لديهم الفرص. وهذا ما قامت به ملكة العنب براعم، التي قاومت كل الضغوطات وضحت من أجل أهل القرية ووقفت منهم مواقف إيجابية.
فالأمور في القرى العربية يمكن أن تعود إلى وضعها الطبيعي الجميل المتناغم حين تتيسر الممارسة الأصلية للحياة وفق القيم المفقودة والتقاليد الطيبة، والإحساس المتوحد، والصبغة الإيمانية الصافية.
إن الرواية تعزف على وتر إنساني رفيع، وهو إعادة كرامة الإنسان المهدورة في المناطق الريفية الهامشية المشحونة بالتوتر والقيم الفاسدة. وذلك لا يتم إلا بسيادة القيم الإسلامية، والقضاء على التقاليد البالية التي تقيد حرية الإنسان، وتعرقل حركية الحياة.
كما تعكس رؤية جديدة نحو المرأة والأغنياء والموسرين، فهم ليسوا دائما أنانيين أو قساة، وإن الكثيرين منهم في غاية التواضع وينفقون أموالهم بالليل والنهار، بالسر والعلن، وإن المرأة ذات إسهام قوي في ترسيخ القيم النبيلة في المجتمع، فهي لم تعد مهمشة ولا منعزلة ولا مسلوبة الإرادة، فهي إنسان قوي وناضج، يعرف ما له وما عليه، تشارك في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتنبذ الظلم وتثور على قيم الشر، وتتخذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، وهذا ما تعكسه بطلة الرواية.
ولهذه الرواية رؤية متفردة للعلاقات بين الدول العربية والإسلامية، فهي علاقات ينبغي أن تبنى على أساس التعاون والتفاهم ونبذ الخلافات والصراعات الدموية التي يمكن أن تنشب بدوافع ذاتية ولأسباب تافهة، وكل هذا يعكس آمال الكاتب في حياة يسودها الخير ويغيب فيها الشر، وتقل فيها المعاناة، وتنعدم المثبطات، وهذه آمال تشغل بال كل إنسان في كل زمان ومكان.
وبهذا يكون الكاتب قد عمل في روايته على تعزيز المواقف الإيجابية في رؤية الناس للحياة في الأرياف العربية والإشادة بها، كما وقف على الثغرات والثقوب والانحرافات، وسعى إلى ملئها بما يناسب من قيم ومبادئ راقية، استشرافا لما هو أفضل.

محمد ثابت توفيق
كاتب وأديب مصري



عند أعتابه..!

من الباقي؟ أما الأصدقاء الذين عشت عمرك كله تتأكد من حسن وفائهم لك، وتحرص على مشاركتهم أدق مواقف حياتهم، وقد يتألم أحدهم في جوف الليل فتهرع إليه تاركا أسرتك وولدك، تطرق الباب عليه، تحمله إلى المستشفى، تدفع من جيبك الخاص مصروفات العلاج، وتأبى عليه أن يرد المال عليك بعدها، وتروح ترقب نفسك وفي أقصى عمق منها تجعل ما فعلت لله، وبعدها تراقب صديقك وهو يبتسم لك وبين عينيه خجل خفي مما فعلت لأجله، ويترقب اللحظة المناسبة لرد ما قدمت إليه من خير، معترفا بأن ما فعلته لأجله لا يرد.

يكون صاحبك من قلة من الأصدقاء تقر في أعماق نفسك بأنهم أفضل ما اجتمع لك من بشر في عمرك كله، بل إنهم إخوانك الذين لم تلدهم لك والدتك، ولكنك في غفلة تفيق على حقيقة إنك تود، الآن، أن تجلس مع أحدهم، واحد منهم فقط، فتتذكر حديث رسول الله ﷺ عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الناس كالإبل المئة، لا تكاد تجد فيها راحلة» (متفق عليه). فقد انشغل الأخ الصديق ومجمل الأصدقاء في لحظة حاجتك ثم انتبه إليك بعد حين.

وأما المال فقد يغادرك كله في واحدة من محن ومصاعب الحياة، تفقده دفعة واحدة، أو جزءا كبيرا منه، وتروح تفكر.. كيف لم يكن الصاحب المخلص لك مع حرصك على جمعه من مصادر مناسبة لإمكاناتك، ودوام صرفه في أوجه الإنفاق المناسبة التي لا تضيعه من يديك وتحفظه عليك؟ وتحمد الله في سرك أن لم يحدث لك شيء من جراء فقدانه، فلم تصب بمرض أو.. لا قدر الله يصيبك شلل، ولو مؤقتا من جراء المفاجأة، ثم لا تجد من حل سوى أن تبدأ من جديد، سائلا الله تعالى العوض فيما فقدت، ومؤملا منه أن ينعم عليك بفيض من الإحسان معوضا إياك عن مالك القديم.

أما الأحباب، خصوصا الأهل؛ الوالد أو الوالدة، الزوجة، الابن الغالي الأثير إلى القلب، أو الابنة التي ارتجيتها من الدنيا، فعلى حين غفلة يغادرك واحدهم من دون أن يكون الأمر قد خطر ببالك من قبل، وتروح يعتصرك الألم.. وأنت ترى أحب الأحباب بين يديك لكن ليس كما كان من قبل؛ افتقد سر الحياة الذي لا يعرف أحد من البشر ماهيته، ولا مادته، فضلا عن كيف يعمل.. ذلك الذي جعله الله بجوفنا جميعا، وتروح مؤمنا تردد: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (الإسراء:٨٥).

وفي لحظة صفاء مع النفس وحسن إدراك لواقعك تؤمن أن المقادير تجري بقضاء الله وقدره، وأن ما أصاب الغالي عليك ولديك سوف يصيبك، فما فقدته سوف يحدث لك بعد حين، وأنك لا تملك من أمر نفسك لنفسك شيئا.. ففيم شديد حزنك عليه؟!

أما غالي أشيائك: البيت، السيارة، خاص المصيف من «شاليه» أو ما شابه.. ففي فترة وجيزة من الوقت تجدك من دونه، تسافر وتفقدها، أو يقضي الله بما ليس في حسبانك ولا يخطر على بالك، وتقف مترددا متحيرا فما كنت تظن ألا تفقده ها أنت ذا من دونه.

وقد يقضي سبحانه الغربة عليك، فتفقد مؤقتا السكن والأمان المعتاد لديك من خاصة أهلك، زوجك قبل الولد.. وقد يتعذر عليك الوصول إلى مالك، أو أخص أشيائك، فتردد قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٦).

ثم يقضي الله بفرجه فيخفف من ألمك ويرضيك بقضائه وقدره.

ولكنك في لحظة، وبين ثانية وأخرى، تفقد ما كنت تظن أنك لن تفقد، وتحتاج إلى يد تمتد إليك، تهدهد نفسك، تطبطب على روحك، تلم شعث شعورك، تطمئنك.. فلا تجدها، وتظل تتلفت في جوف الليل، أو قلب النهار:

- لماذا غادرتني أشياء ومن قبلها أحباب وبقيت وحدي؟!

حينها تبدو الصورة جلية واضحة نصب عينيك: كل ما في الحياة مجرد متاع زائل من متاع الحياة الدنيا، سواء أكان بشرا أم أشياء، قد تفقدهم في ثانية برحيلك عنهم إلى الدار الآخرة. ومتى جاء أجلك فلا تستطيع البقاء ثانية، بل لن تأخذ نفسا واحدا لم يقدر الله لك أن تأخذه، وإن لم تغادر البشر والأشياء.. تغادرك هي جزئيا، وحتى إن عاودتك بعدها بحين لحظة المغادرة نفسها تشعرك بقلة حيلتك أمام ما لم تكن تظن أن يغادرك، وبدنو لحظة تغادرك الدنيا كلها بزهرتها.. وتبقى وحيدا بين يدي ربك تعالى.

الوحيد الذي لا يغادرك ولا يفارقك، ويبقى مجيبا دعواتك، ملبيا نداءاتك متى جئت إلى أعتابه.. مع قلة عملك الصالح أحيانا، مع نسيانك أحيانا.. وتجاوزك أحيانا أخرى.. ولا يمل ولا يكل منك، بل لا يتأخر، ولا يلزمك موعدا لملاقاته فهو متى جئت أعتابه وطلبت مغفرته لا يتأخر، سبحانه.. الله تعالى.. خالق الكون والبشر والأشياء.. فيم تعلقك بالحياة الدنيا وما فيها ومن فيها وهو تعالى خالقها الذي لا يتخلى، ولا يرد طالبا؟! كن معه تحز الدنيا وما فيها برضاه، وإذا ابتعدت عنه وملكت منها ما ملكت، فما قيمة كل هذا إن لم يكن سبحانه راضيا عنك؟! وهو بعد هذا رؤوف رحيم بنا جميعا، يبتلينا بما يصلح حالنا.. ويحفظ علينا إيماننا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (البقرة:١٤٣).

المصطفى البوسعيدي
باحث دراسات إسلامية

العاطفة والعقل في معلقة زهير

هذه طبيعة النصوص الشعرية الباذخة التي رسمت لنفسها حياة عمرية طويلة منحتها الصوت والصورة المحلقتين في الزمان والمكان، دونما كلل في تجدد المعاني بتجدد الفاهمين والدارسين لها، كما بتطور المناهج والمدارس الأدبية، وتضارب النظريات المفسرة. تبعا لحدود تأويلات أصحابها.
الحديث هنا عن واحدة من أجمل القصائد الشعرية العربية الجاهلية، والحابلة بزخم معرفي وقانون طبيعي يرسم مميزات الجمال عند الأنثى الجاهلية، أو الأنثى المخلوق بصفة عامة.
وإن كانت المعلقة تتكهن بكونها تضم أكثر من عمق في المعاني، وتحديد مقومات الجمال ووصف الناقة، والتفوه بخبرات الحكم المستمدة من الفطرة ومحن السنين، فإن هاجسنا هو مجرد ملامسة بعض هذه الأطياف الجمالية التي تبتدئ بها المعلقة، ومحاولة الوقوف عندها عبر تحديد أشكال هذه المقومات..

من هنا لابد من التأكيد على كون خطورة الاقتراب من نص سميك كنص «قصيدة» زهير بن أبي سلمى لسببين هما:

- ضلوع الشاعر في عبقرية اللغة العربية.. وصعوبة تحديد مضامين قوله.
- عمق المعنى وشدة الكلمة في نحت الفكرة، وتركيب الصور.

من هذين الأمرين نصرح، إذن، بأن عملنا هذا مجرد محاولة للوقوف عند سمات جمالية وفكرية تمتح من عمق التفكير عند مبدعها وقارئها في الوقت نفسه.

١- من معلقة زهير (١)

يعكس تعبير زهير في قصيدته جدلا كبيرا مع المرأة والمكان والزمان والمجتمع، كما يعكس مواجهة لهم (٢)، وكأنه يحاول من خلال تعبيره مواجهة للضرورة، ورأيا للصدع النفسي الوجداني والعقلي (٣)، فالجمال عند الشاعر يمثل الحياة في مواجهة الموت والفناء. وتأكيد الذات والخصوبة في مقابل الجدب الذي يحيط به، بل هو الأمن والسكينة في مواجهة الخطر الذي يهدد نفسه من خشونة القبح والدمامة، لذا جاءت معلقته عاطفية تؤكد صدق هذه المقابلة، من هذا المنطلق سنقف ولو بعجالة عند بعض من هذه الأسس الجمالية.

أ- الوقوف بالأطلال

على شاكلة شعراء الجاهلية يعلن الشاعر مفتتح معلقته، ليتكلم بعاطفة الإعجاب، وليمدح القوم بالعقول الراجحة، وكرم الأصل، كما يجمع بين الأفكار الجليلة والعبارات الجميلة، شأنه في ذلك العاطفة الصادقة، والخيال المصور، يقول:

أمِنْ أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدرّاج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كأنها ... مراجيع وشم في نواشر معصم (٤)

هنا يتساءل الشاعر لماذا لا تتكلم الأطلال التي خلفتها أم أوفى في منازلها المهجورة بين حومانة الدراج والمتثلم، إذ وقف بها بعد عشرين سنة (٥)، فلم يكد يعرف الدار إلا بصعوبة، فمنازلها المكناة بأم أوفى دمنة لا تجيب سؤاله بقرب من حارتي البصرة والمدينة، وجمال المرأة خلفة متجدد يخلف بعضه بعضا، رغم مرور عشرين سنة على هذا الموعد العاطفي، فهو تذكر بمشقة

نفس الذكريات، ليسترجع من جديد تلك الدروس العاطفية.

٢- مدح فطري

يخاطب زهير شخصيتين (٦) تنويها بعملهما الصالح، بعدما قاما بإصلاح ما تشقق بالدم، فتداركا أهل القبيلتين المتحاربتين، بعد أن أفنى بعضهم بعضا، وسرى بينهما الشؤم والنحس، يقول:

سعى ساعيا غيض بن مرة بعدما
تبزل ما بين العشيرة بالدم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
عظيمين في عليا معد هديتما
ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

لكن هذا التدارك في الصلح سير القبيلتين في أشرف مواطن الكرم، بعيدين عن كل شر ونقيصة، عظيمين في جميع قبائل عدنان، ولا غرو فمن يبذل في سبيل المحامد يحرزها.

أ- نصح وتحذير

إذا كان زهير قد قدم مدحه الطبيعي البعيد عن مكامن الضعف وقوى الكذب والنفاق، فإنه لا يتوارى في رسم صورة جمالية أخرى منطلقها تذكير قبيلة ذبيان وأحلافها بقسمهم، كما يحذرهم من كتمان السر وإضماره.. لأن الله تعالى يعلم السرائر ويحفظها في كتاب ليوم الحساب والعقاب، أو يعجل عقوبتها في الدنيا، ثم ينفر من الحرب ويؤكد أنها قبيحة الثورة ضارية كالوحش مدمرة كالنار (٧)، قد تطحن الناس كما تدور الرحى فوق جلدها، وتحمل كل عام توائم من المصائب والشرور. يقول بصدد هذا النصح والتحذير:

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة
وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في نفوسهم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

ب- حكم وتجارب

يرى زهير أنه إذا كان الهوى شحنة عاطفية لدى الكائن البشري، ومخزون وجداني مدفون في الأعماق، والمدح كينونة إنسانية قابلة للخروج في شكل شهادة، وتأكيد قوة شخصية لها ما يثبت كمالها، فإن هذا كله نابع من حكم وخبرات تجارب أنا الذات الفطرية.. لذا، فحِكم زهير ترى أن الموت يخبط في الناس كالناقة العمياء، فمَن أصابه أهلكه، ومن أهمله لقي الهرم والمتاعب. والموت واقع ولو اتخذ المرء لنفسه حبلا إلى السماء. ومن لم يجامل الناس مجاملة حسنة يلق منهم أذى شديدا، بل وعنيفا، كما من يبذل المعروف يصن كرامته، ومن يبخل بمعروفه يقابله الناس بالاحتقار والاستغناء. ومن يغترب عن قومه تختلط عليه الأمور، فلا يعرف عدوه من صديقه حتى يستقر على تجربة. ومن لا يحترم نفسه لا يحترم:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته، ومن تخطئ يعمر فيهرم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

كما إن من يخفي من أخلاقه شيئا فلابد من أن يظهر، ولو تصنع في الكلام وزين لسانه، ثم إن المرء ما هو إلا صورة، وإنما يكشفه ويظهر حقيقته أمران: القلب واللسان، لنرى صدق الكلام في نظمه:

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصفه ونصف فؤاده
فلم يبق له إلا صورة اللحم والدم

وأخيرا يقول: إن الشيخ لا يمكن أن يترك أخلاقه، أما الشاب فيقبل التأديب ويغير الخطأ إلى صواب، والسفاهة إلى عقل وحلم.

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

تركيب

يبدو من خلال هذا التحليل المنثور لقارئه أن الشاعر قد عالج سمات الجمال عند من يحب من منظور الحكم التي تستبعد الغريزة والشهوات، وإن طلب اللذة رهين هنا بمتعة مرجعها مفاتن امرأة عالقة أصلا بأماكن هادئة، وزهير هادئ كذلك، رقيق الحاشية حلو الغزل، ثم هو مسالم يكره الحرب ويعشق السلم والسلام.

الهوامش

١- هو زهير بن أبي سلمى، والده ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث من مزينة، عاش حوالي تسعين سنة، توفي قبل بعثة النبي.
٢- عالم المرأة في الشعر الجاهلي، للدكتور حسني عبدالجليل يوسف، ص:٦.
٣- شرح المعلقات السبع للإمام الأديب القاضي المحقق ابن عبدالله بن أحمد بن الحسين الزوزني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص ٢٣ و٢٤.
٤- نفسه، ص٢٤.
٥- الأدب العربي، المملكة العربية السعودية، ط٣/١٩٩٠، ص:٣٥.
٦- نفسه، هما هرم بن سنان والحارث بن عوف، ص:٣٩.
٧- نفسه، ٤٠.



علاء عبدالفتاح
الكويت

«المخطوطات».. درة «الأوقاف» الكويتية

هنا صرح علمي يحفظ قبسا من نور.. هنا ذخائر أفاض بها الله علينا؛ عندما أخذنا بأسباب العلم، وسبقنا الأمم بالعدل والرحمة ودين السلام.. وهنا عبق التاريخ تحفظه إدارة المخطوطات والمكتبات بوزارة الأوقاف الكويتية بعيدا عن أي تلوث أو عوامل مدمرة.. هنا في منطقة العديلية بمحافظة العاصمة كنز من المعلومات، وعمل دؤوب دقيق يحافظ على أكثر من ثلاثة آلاف مخطوط أصلي ومئة وسبعين ألف مخطوط مصور.. هنا نماذج شاملة لفنون اللغة العربية؛ سيرة ولغة، منطق وأدب، أبحاث وعلوما إنسانية.. وهنا -على سبيل المثال- ملزمة بخط شيخ الإسلام ابن تيمية و«إدراك الغاية في الفقه الحنبلي».

«الوعي الإسلامي» زارت مبنى إدارة المخطوطات والمكتبات، ورصدت رحلة المخطوط، منذ أن كان مهترئا، ملوثا بالأحبار، جافا، متآكل الأطراف، مفكك الأوصال، ضعيفا لا يقوى على شيء.. إلى أن صار ورقا متماسكا لينا، يقاوم الآفات والتشقق، محفوظا في خزانة معقمة كجوهرة ثمينة.

البداية كانت مع مدير الإدارة إبراهيم العتيبي الذي عرفنا بالمكان قائلا: «أنشئت إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية عام ١٩٩٦م. ونسعى جاهدين، منذ اليوم الأول لتأسيس الإدارة، لخدمة السادة الباحثين من داخل الكويت وخارجها، وذلك باقتناء كل ما تصل إليه أيدينا من نفائس المخطوطات في كل مكان



المكتبات الرقمية

تضم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت أجهزة «بوك تو نت» الرقمية، حيث يكتفي المستعير بوضع كارت ذاكرة في الجهاز والضغط على أيقونة الكتاب أو المخطوط الذي يريد نسخ صفحات منه فيتم النقل فورا.

حول العالم، ورقمنتها وفهرستها وإتاحتها إلى السادة المستفيدين، حيث وصل رصيد الإدارة من المخطوطات الأصلية إلى ٣٤٦١ مخطوطا، إضافة إلى نحو ١٧٠ ألف مخطوط مصور جمعت من شتى بلاد العالم تمثل مكتبات عملاقة، منها على سبيل المثال مكتبة المتحف البريطاني، ومكتبة الحرم المكي، ومكتبة الجامع الأزهر.. وغيرها».

ويواصل العتيبي: «إضافة إلى عملنا السابق نقوم بتزويد مكتبات الوزارة بأحدث الإصدارات المطبوعة وفهرستها وإتاحتها للرواد. وحرصا منا على التميز، نسعى دائما لاقتناء كل جديد في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ لتطوير ما نقدمه من خدمات لجمهور المستفيدين المحتملين للإدارة».

معامل

بدأنا بالطابق الثاني، حيث يعمل مراقب أول مخطوطات أثرية نصرالدين محمد والكيميائي الخبير نايف الوسمي. ثمة غرفة أشبه بمعمل، يمينا تحوي رفوفا عليها قوارير المذيبات العضوية والمثبتات الكيميائية ومجفف ومنشر غسيل.

الغرفة الأخرى عليها طاولات التشريح (إن جاز التعبير)، فإن كانت الغرفة الأولى تعالج أوراق المخطوط التالفة من أصباغ أو جفاف أو تشققات وتعقمها، فالأخرى تعيد تركيبها وتجليدها وفهرستها وفق مواد قياسية تحقق اشتراطات «اليونيسكو».

الوسمي أرانا صفحة من مخطوط جاف مشقق غير واضح وملوث الأطراف بأصباغ، وصفحة من المخطوط نفسه بعد معالجتها، ودُهشنا للفرق الشاسع بينهما. ونصرالدين محمد أرانا كيف يتم التجليد.

قاعة العرض

ويصحبنا العتيبي إلى قاعة العرض بالدور الأول، حيث بعض المخطوطات في صناديق زجاجية وتحت إضاءة محسوبة بدقة؛ لإظهار رونق المخطوط بعد الترميم.. هناك لحق بنا رئيس قسم البحث



إبراهيم العتيبي يطالع المخطوطات

والتصنيف فيصل الحمادي، الذي كشف لنا طريقة البحث عن صور ملونة للمخطوطات المميزة من حيث القدم، أو الخط الحسن، أو الختم الأصلي، أو الندرة. ويوضح الحمادي: «على الموقع الإلكتروني للإدارة يتاح لأي باحث استلام صور للمخطوطات المحققة، وهي خدمة حديثة عبر البريد الإلكتروني».

أثناء تجولنا في المبنى يقوم رئيس قسم الحفظ والمعالجة إبراهيم المجرن، بتوضيح مهام هذا القسم فيقول: «تصل المخطوطات إلى الإدارة في عدة أشكال (أصلية - رقمية - مصورة ميكروفيلم أو ميكروفيش)، فيتولى العاملون تصوير المخطوطات الأصلية تصويرا رقميا، أو تحويل المخطوطات المصورة (ميكروفيلم وميكروفيش) إلى الشكل الرقمي، مع معالجة أخطاء التصوير والتحويل، لأنه لا طائل من وراء عرض آلاف الصور المشوشة غير الواضحة».

أكبر مكتبة تراجم

نصل إلى الدور الأرضي، حيث مكتبة متخصصة في المخطوطات، يقول العتيبي: «هنا أكبر مكتبة متخصصة في فهارس مخطوطات العالم وكتب التراجم وبعض المخطوطات المحققة، وهي تخدم موظفي الإدارة الذين يعملون على تحقيق أسماء المؤلفين». ويهمس: «لم نترك كتاب تراجم في العالم لم نأت به».

إلى السرداب

يضم السرداب غرفتي الحفظ وتصوير المخطوط ميكروفيلم.. الأولى معقمة كأنها «عناية مركزة» في أحد المستشفيات، ونسبة الرطوبة فيها ثابتة (٥٥ درجة) كي لا يلتصق الورق بعضه ببعض.. خزائن تشبه خزائن المجوهرات في البنوك.. تسحب صناديقها فترى نفائس المخطوطات: علم وآداب وحضارة، تمنحك الثقة اللازمة للوقوف ندا أمام أصحاب الإنجازات الحديثة. فإذا كان أجدادنا قد نجحوا في تعليم العالم كله بمؤلفاتهم، فلماذا لا نستكمل نحن أيضا هذا الدور الإصلاحي الرائد؟!

أما غرفة الميكروفيلم ففيها يتم تصوير كل مخطوط للاحتفاظ بنسخة منه من أجل خدمة الباحثين.

تعاون دولي

تتعاون إدارة المخطوطات والمكتبات مع المراكز المختصة بالمخطوطات في دول العالم من خلال تبادل الزيارات وحضور المؤتمرات بواقع ٤ مرات في السنة.

ثلاث مراحل

يصطحبنا مدير المكان إبراهيم العتيبي إلى غرفة معزولة خارج المبنى درجة حرارتها ثابتة طوال العام (٢٥ درجة مئوية)، حيث أكبر جهاز تعقيم بالتبريد في منطقة الخليج، استيعابه يصل إلى ٦٠٠ مخطوط في كل مرة، وسعره نحو ٢٦ ألف دينار. ويشرح نصرالدين كيف أن هناك ثلاث مراحل لتعقيم المخطوطات والتأكد من كف أذى أي حشرة، مهما كان حجمها دقيقا: «المرحلة الأولى تستمر ثلاث ساعات، ويتم تبريد المخطوطات فيها بالتدريج إلى درجة ١٨ مئوية، والثانية تستمر ٦ ساعات حتى درجة سالب مئوية، والأخيرة نصل بدرجة التبريد إلى سالب ٣٠ في ٢٤ ساعة. كل هذا من خلال لوحة تحكم إلكترونية، وبمجرد ملامسة المخطوط تتم إعادة تعقيمه، وإلا قد تنتقل العدوى من يد الشخص الملامس له».

ويضيف نصرالدين: «ثم نرجع بالمخطوطات بالتدريج إلى درجة حرارة الغرفة، فنضمن أنه حتى بيض الحشرات المحتمل وجوده قد هلك».

ونعرف من العتيبي أن هذه الخدمة التعقيمية متاحة للجمهور، فما على من يريد تعقيم مخطوطة لديه إلا الحضور فقط للإدارة وستقوم هي بذلك على أن تحتفظ بنسخة في مكتبتها الخاصة».

روح الألفة في المكان

من النادر رؤية مسؤول يصافح العمال البسطاء في مقر العمل فردا فردا عندما يمر بهم أثناء جولة ما، لكن هذا ما سجلته عدسة «الوعي الإسلامي» أثناء مرور مدير إدارة المخطوطات إبراهيم العتيبي، إذ توقف عند السعاة والسائقين وعمال الخدمات الأخرى وشد على أياديهم، مما عكس روح ألفة في المكان وليس روح تعاون لإنجاز المهام المطلوبة فقط.



نسأله عن أهم مشاريع الإدارة الحالية فيقول: «تسعى الإدارة بشكل دائم لتحقيق رؤى واستراتيجيات الوزارة عبر مشاريعها، التي تهتم من خلالها بإبراز دور الوزارة في الريادة في العمل الإسلامي، ويظهر ذلك واضحا من خلال مشروع الإدارة الأساسي، وهو اقتناء مليون مخطوط وتوفيرها للسادة الباحثين والمستفيدين في شتى بقاع الأرض، وكذا دعم الإدارة لاستخدام أحدث وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إنجاز مشروعين كبيرين: الأول يتمثل في إنشاء مكتبة رقمية عملاقة، بتحويل مقتنيات مكتبات وزارة الأوقاف من شكلها التقليدي إلى الشكل الرقمي باستخدام أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا التصوير والرقمنة.

والمشروع الثاني إعداد قائمة بمداخل المؤلفين والأعلام العرب تضم ما يزيد على ١٠٠ ألف مدخل تتم صياغتها وفق قواعد الفهرسة الأنجلو أميركية، وتتميز بوجود شبكة إحالات قوية تساعد السادة المفهرسين على توحيد مداخل المؤلفين بشكل مقنن، إضافة إلى ذكر أهم العناوين التي ألفها صاحب المدخل لسهولة تمييز الأسماء المتشابهة، وسيتم إصدار القائمة في شكل إليكتروني لتسهيل الاستفادة من محتوياتها».

مبنى جديد

ويضيف العتيبي: «في الوقت نفسه نطمح خلال الفترة المقبلة إلى توفير مبنى جديد للإدارة، غير أننا نتمناه بمواصفات خاصة، حيث ينبغي أن يكون مبنى إدارة المخطوطات في موقع متميز يسهل وصول المستفيدين إليه من كل مكان داخل الكويت، خصوصا أنه أكبر مركز للمخطوطات هنا، كما نطمح أيضا إلى توفير الدعم المالي الكافي لزيادة رصيد الإدارة من المخطوطات للوصول إلى الرقم المنشود وهو مليون مخطوط».

أجهزة حديثة

قبل أن نمضي تحدثنا إلى اختصاصي مكتبات بالإدارة فأوضح: «المكتبات هنا تتنوع بين متخصصة وعامة وبالمساجد، وإن أكبر مكتبة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هي مكتبة الروضة، التي تضم نحو ٤٣ ألف كتاب، وتقدم خدماتها بالمجان، ولا ننسى ضخامة مكتبة المسجد الكبير وهي مكتبة عامة أيضا، إضافة إلى مكتبة الموسوعة الفقهية ومكتبة المخطوطات المتخصصة، ثم تسع مكتبات تابعة لخمسة مساجد موزعة بالمحافظات، وقد تم تزويد هذه المكتبات بأجهزة إلكترونية قارئة للعلامات (بار كود) من أجل الإعارة الإلكترونية. كما وُفرت أجهزة جرد آلي يكفي أن يمر بها الموظف على رف من رفوف المكتبة ليكتشف أي الكتب ليس في مكانه!».

بشرى شاكر
باحثة من المملكة المغربية

عندما يخلو البيت من الأبناء أو رفيق الدرب

متلازمة العش الخالي



يمر الإنسان من مراحل عمرية كثيرة، وهي مرحلة تطور طبيعية، وقد جاء ذكر هذه المراحل في محكم التنزيل في سورة الحج ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج:٥).

ولكل مرحلة عمرية خصائصها ومميزاتها، ولمرحلة الكبر أو الكهولة متغيرات اجتماعية وأسرية قد تؤثر على الحالة النفسية للأشخاص بهذا العمر، فالأبناء يكبرون ويرغبون بتكوين أسرهم المستقلة، وفيهم من ينتقل للدراسة أو العمل في مكان آخر، فيبقى الأبوان وحدهما وأحيانا يتوفى أحدهما ويبقى الآخر وحيدا، وقد يعيش الآباء وخاصة الأمهات حالة ما يسمى في علم النفس متلازمة العش الخالي، وهي متلازمة تجمع بين مشاعر متناقضة، مشاعر الفرح والسرور التي ترافق زواج الابن أو الابنة ورؤية الأبناء كبارا وشعور الآباء بالفخر والزهو لكونهم أدوا واجبهم تجاه أبنائهم دون تقصير وبنفس الوقت ما أن يخلو البيت حتى يشعروا بالألم والوحدة ويلازمهم شعور بالكآبة ناجم عن الإحساس بأن الآخرين يتخلون عنهم تباعا...

متلازمة العش الخالي Empty nest Syndrome، لا تأتي فقط برحيل الأبناء عن البيت، فقد تكون نتيجة وفاة أحد الزوجين، ولكنها غالبا ما تصيب الأمهات أكثر لأنهن يكن أكثر احتكاكا بأطفالهن، وقد اعتدن على اعتبارهم أطفالا صغارا يقمن برعايتهم ويقدمن لهم الحب والعطف ويقمن بحمايتهم كما اعتدن على سماع جلبة أصواتهم داخل البيت ولم يتهيأن لرحيلهم.. كما أن هذه المتلازمة عادة ما تأتي في نفس التوقيت مع انقطاع الطمث، أي ما يسمى بسن اليأس والذي غالبا ما يرافقه اضطراب في الهرمونات وتغير في المزاج، وإن كان بعض الأخصائيين يقولون إن هذا يحدث حتى للرجل، خاصة وأنه أخيرا تم اكتشاف أنه بنفس السن يحدث ما يسمى إياس الذكور andropause...

وتقول الأخصائية النفسية «بياتريس كوبر روير» مؤلفة كتاب «اليوم الذي يرحل فيه الأبناء»، إن هذه المرحلة بمثابة صفحة تطوى وأخرى تفتح، وهو ليس بالأمر الهين لأن وظيفة الآباء ولاسيما وظيفة الأم تتلقى رصاصة في جناحها، فمهمة حماية الأطفال تتوقف وهي مرحلة تخل لا يمكن التقليل من شأنها، لأن الأبناء هم مركز أسرنا المعاصرة، مغادرتهم تؤدي إلى شعور كبير بالفراغ.. وتكمل قائلة إنه على الآباء أن يضعوا مبكرا في حسبانهم أن أبناءنا سوف يغادروننا يوما وأنهم ليسوا من ممتلكاتنا، مهمتنا تقتضي أن نبنيهم لكي يستطيعوا العيش بعيدا عنا... استباق رحيلهم يعني أن يعيش الآباء حياتهم بدونهم مع وجودهم في البيت، بحيث لا يجعلون حياتهم في انتظار ويتابعون أنشطتهم الشخصية والمهنية لأنه يوما ما لن يكون باستطاعة الأطفال ملء ذلك الفراغ اليومي.

العديد من الآباء وخاصة إذا رحل أحد الشريكين يختار اللجوء لدار مسنين ليشعر أنه وسط الناس وأنه مرغوب به وأنه يمكنه القيام بشيء ما ولم يعد مجرد نكرة داخل مجتمعه... ومع ذلك فالعديد يبقى مكتئبا لأنه لا يرى حوله أطفالا يركضون ويعجون بالحياة وإنما الكل يكون بمثل عمره ويمر من نفس

تجربته تقريبا...
هذه الحالة قد تقل في حال كان هناك حفدة، وخاصة إن كانوا يزورونه بشكل متكرر، فتجد الشخص يشعر بالحيوية بشكل مفاجئ بعدما كان مكتئبا ويعود لنشاطه بل يفوق نشاطه حالته الاعتيادية، فتجده يلاعب الأحفاد ويركض معهم ويجعلهم يمتطون ظهره وكأنه لا يريد أن يفارقهم لحظة فيشاركهم أصغر نشاطاتهم ويريد أن يتشارك وإياهم كل شيء..

وفي جميع الديانات المنزلة نجد الاهتمام الكبير بالآباء في إشارة لمرحلة سيصبحون هم بحاجتنا.. قال سبحانه وتعالى عن يحيى عليه السلام في سورة مريم ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم:١٤).. وفي سورة مريم أيضا جاء قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم:٣١-٣٢).

وجاء الإسلام وعظم البر بالوالدين وكرر وصاياه ببرهما في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فالإسلام يعد دين ترابط ورحمة، والأواصر الأسرية لا تنتهي بانتهاء مهام الآباء وإنما تبدأ مهام أخرى من الأبناء تجاه الآباء عرفانا بجميلهم ورفعة لقدرهم، بل جعل البر بالوالدين من بره سبحانه، وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات، ففي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء:٢٤)، أما في سورة الأحقاف فقد قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف:١٥).

الإسلام لا يحبذ ابتعاد الابن عن أبويه لمجرد أنه يريد أن يطير بجناحيه بعيدا رفقة أسرة جديدة أو بعمل جديد، فعليه وإن رحل أن يتفقدهما ويرعاهما، فقد قال هشام بن حسان: قلت للحسن البصري: إني أتعلم القرآن وإن أمي تنتظرني بالعشاء، قال الحسن: لأن تتعشى العشاء مع أمك وتقر بذلك عينها، أحب إلي من حجة تحجها تطوعا.

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من مسلم له أبوان، فيصبح وهو محسن إليهما إلا فتح له بابان من الجنة، ولا يمسي وهو محسن إليهما إلا فتح له بابان من الجنة، ولا سخط عليه واحد منهما فرضي الله عز وجل عنه حتى يرضى» (رواه البيهقي وغيره).

ومن هنا نتبين أن الإسلام جاء واعيا لما لهذه المرحلة العمرية من مصاعب نفسية وجسمانية، ولذلك أصر على أن تبقى تلك اللحمة بين الأبناء وآبائهم حسب المستطاع طبعا، فلا يمكن لشخص يعمل أو يستقر في مكان بعيد أن يزور أهله ويتناول العشاء وإياهم كل يوم ولكنه يمكن أن ينظم وقته ويجعل لهم منه فسحة لزيارتهم رفقة أطفاله ويملأ حياتهم فرحا وسرورا كما كانوا يسعون لملء حياته فرحا وغبطة.

إذن فبتواصل دائم واتصالات منتظمة حتى وإن كنت بعيدا عن أبويك يمكنك أن تنقذهما من الاستعانة بعقاقير للاكتئاب قد تصبح إدمانا بسبب مرورهما من فراغ متلازمة العش الخالي، خاصة أنه بات الآن بإمكان الأفراد أن يستعملوا وسائل وتقنيات تواصل عديدة كالبريد الإلكتروني والرسائل والاتصالات الهاتفية وبات حتى بإمكان البعيد أن يتصل صوتا وصورة بأهله إلى حين عودته طبعا، فلا شيء يضاهي عناق الأم لابنها ولا الوجود الفعلي لأبناء كبار كانوا يوما ما أطفالا.

كما أن على الآباء أن يختاروا لأنفسهم نشاطا معينا، فالتوقف عن العمل بتقاعد مثلا لا يعني التوقف عن النشاط فيمكن مزاولة مهنة جديدة أو ممارسة هواية ما تناسوها مع الزمن مثل الرسم والكتابة أو إحدى الحرف الفنية التي لا تتطلب جهدا عضليا كبيرا وكذلك لا ينصح بالابتعاد عن الأصدقاء، فلقاء في مقهى أو في مسجد رفقة الأصدقاء يمكنه أن يجلي الحزن والشعور بالفقدان والحرمان، كذلك فإن ممارسة الرياضة تحت أشعة الشمس ترفع المعنويات، فالتقوقع في الظل داخل البيت وبين جدران أربعة طيلة اليوم يزيد من ارتفاع نسبة هرمون «ميلاتونين» Melatonin الذي يؤدي إلى الرغبة في الخمول والكسل ويشعرك بالاكتئاب أكثر، أما الخروج تحت أشعة الشمس للمشي قليلا كل يوم وبانتظام فيرفع من هرمون «السيروتونين» Serotonin أو ما يصطلح على تسميته بهرمون السعادة الذي يجعلك أكثر حيوية ونشاطا ويبعد عنك الكآبة.

هكذا تعتاد على حياة جديدة دون التخلي عن أبنائك، ولكن مع احترام خصوصياتهم وحياتهم الزوجية، فلا يمكن أن يكونوا إلى جانبك طوال الوقت.. وبنفس الوقت يتوجب على الأبناء ألا ينسوا آباءهم بذريعة انشغالاتهم مع أسرهم وأطفالهم وأعمالهم... فإنه إن رحل أحد الأبوين أو كلاهما فلا شيء يمكنه تعويض هذه الخسارة.

محمد عباس عرابي
باحث مصري



الحكايات وتنشئة الأطفال

لم تعد جلسات الحكايات والقصص ورواياتها للأطفال قاصرة على الأمسيات المنزلية، بل أصبحت قاسما مشتركا لكل تجمعات الأطفال، بداية من الحضانات ورياض الأطفال مرورا بالمكتبات والرحلات الخلوية.
ومع تطور القصص والخدمات في المكتبات، تطورت أيضا أساليب رواية الحكايات والقصص داخلها، فلم يعد الأمر مقصورا على أمناء المكتبات، بل تعدى إلى استضافة المتخصصين والمشاهير لمشاركة الأطفال يومهم في المكتبة، ورواية القصص لهم، حتى وإن كانت قصصا شخصية عن تجارب حياتية (١).
ولقد كشفت الدراسات الحديثة أهمية جلسات الحكايات والقصص ورواياتها للأطفال في تنمية عدد من مهاراتهم وقدراتهم وخبراتهم، وأيضا في تحقيق توازنهم النفسي، وخلق الإحساس بالأمن والأمان. كما أن جلسات الحكايات والقصص تنمي لدى الأطفال مهارات التواصل، كالقدرة على الحديث والإنصات وإدراك المعاني.
وتعد الحكايات والقصص ذات تأثير كبير في طريقة تفكير أطفالنا وتصرفاتهم ؛ لأن الأطفال يحبون تكرار الاستماع إلى القصة الواحدة، أو قراءتها أكثر من مرة، وتكرار القصة الممتزج بتصورات الأطفال مضافا إليه وجود أحد الوالدين -الذي لا يُقدر بثمن- يجعل القصص إحدى أفضل الطرق للتأثير على تفكير الطفل (٢).
إن رواية القصص تعلم أطفالنا مهارات الحياة، فهم يرون الأسد يسلم على النمر، قائلا: السلام عليكم. ويرون القرد الصغير يقوم لوالده ليجلسه مكانه. والبنت ترى الغزالة تساعد والدتها في إعداد الطعام، والفيل الكبير يساعد الحيوانات في رفع غصن الشجرة وبدورهم يشكرون قائلين: جزاك الله خير الجزاء. والنحلة ذهبت لشراء زهرة من الحقل، وسألت صاحب الحقل عن الثمن، وطلبت منه تخفيض السعر لو أمكن، واختارت زهرة جيدة فشكرتها أمها عندما عادت حاملة الزهرة الجميلة، ودعت لها بالخير.
حتى فكرة الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، يكتسبها الطفل من خلال قصة الأرنب الطيب والثعلب الشرير.. وهكذا يتعلم الطفل مهارات الحياة من خلال القصة (٣).
إن للحكايات والقصص قبل النوم أهمية خاصة لدى الطفل الذي يعيش بخياله أكثر من الواقع، فهو كثيرا ما يسرح ويتأمل ويتصور الأشياء، ويضيف إلى ما هو واقعي ملموس شيئا من الخيال، وفق ما يتراءى له، ووفق حالته المعنوية وأحاسيسه الوجدانية، فالطفل يحلم أثناء يقظته، ويتعامل مع اللعبة وكأنها حقيقة، فقد يكلمها ويأمرها، وهذا التلاعب بالخيال هو سمة من سمات الطفولة، وله أهمية في إثراء فكر الطفل، وتنمية موهبته نحو التعبير عن نفسه (٤).
وتحقيقا لمزيد من الفوائد من جلسات الحكايات والقصص في تنشئة الأطفال؛ فإنه يجب على المربين سؤال الأطفال في نهاية الحكايات والقصص عما استفادوه من قيم وفوائد قد تساعد في حسن تربيتهم وتنشئتهم.

الهوامش

١- كمال الدين حسين، فن رواية القصة، جامعة القاهرة، كلية رياض الأطفال، ٢٠٠٣م.
٢- إ-شابيرو- ف ز د، كيف تنشئ طفلا يتمتع بذكاء عاطفي، ترجمة ونشر مكتبة جرير، الرياض، ص:١٢٧-١٣٢ (بتصرف).
٣- عبدالله عبدالمعطي وسيد الجندي، ٥٠ قصة تحكيها لطفلك في البيت والروضة والمدرسة، القاهرة، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ، ص:٢٥.
٤- محمد سعيد مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د ت، ص:١٢١.

د. أحمد عيساوي
أكاديمي وباحث جزائري

بين المنزل الورقي والمنزل الإلكتروني:

استغوال الآلة



لي صديقان نشآ منذ طفولتهما في بيئة ورقية ومكتبية بامتياز، تقدس الكتاب وتجله أيما تجلة، حيث كانت التنشئة الاجتماعية تعتمد يومها على الشيخ والمعلم والكُتّاب. ومن تلك البيئة التربوية التقليدية أخذا كل معارفهما ونظرتهما وتصوراتهما ومواقفهما للحياة وللوجود وللطبيعة وللكون وللإنسان وللنظام. وكانا -كأبناء زمانهما- يعتزان باقتناء الكتاب الجديد، مهما غلا ثمنه، وضمه إلى مكتبتهما بأسرع وقت، بل وقراءته أثناء عودتهما إلى منزلهما مستغلين بعد المسافة بين وسط المدينة ومنزلهما.

وعلى هذه الطبيعة والعادة نشآ، وعاشا، وتخرجا في الجامعة، ودلفا إلى سوق العمل مباشرة شابين يافعين مفعمين بالحيوية الجسدية والعقلية والوجدانية، وعمل أحدهما في حقل التربية والتعليم، والآخر في حقل تكوين الأئمة والوعاظ، فهما لم يخرجا عن قطاع التربية والتعليم، صغيرين وكبيرين، وظلا خلال فترة مسارهما المهني يضجران من تأثير فترات العمل على تراجع وتيرة مقروئيتهما ومتابعتهما للجديد في عالم الفكر والثقافة والأدب والفن، حتى تمكنا من الحصول على شهادة الدكتوراه والالتحاق بالتدريس في الجامعة الجزائرية. ومن جميل الأقدار الإلهية، أنهما وجدا نفسيهما يدرسان التخصص نفسه في الكلية نفسها، فصارا أكثر قربا بعضهما من بعض، جسديا وروحيا ووجدانيا ومعرفيا، حيث وفرت لهما الجامعة فرصة تدريس الإطارات الجامعية العالية، ما دفعهما إلى التحضير الجيد والانكباب على التهام رفوف المكتبة الجامعية، وظلا يطوران أدواتهما المعرفية والمنهجية والمصطلحية والفكرية، حتى صارا من الكُتّاب المتميزين، ولتسهيل عملهما المعرفي والعلمي والفكري والصحافي اقتنيا آلة كتابة يدوية (الآلة الكاتبة)، وصارا يكتبان بها أبحاثهما ودروسهما ومقالاتهما، لاسيما الموجهة إلى الصحف والمجلات المحلية والعربية، وظلا سعيدين بآلتهما التقليدية، يتبادلان الخبرة في سبيل الحفاظ عليها، سعيدين باقتناء وقراءة المجلات العربية التي تنزل القطر الجزائري وافدة من المشرق العربي.

وظلا كذلك سعيدين مسرورين

يساهمان في دفع الحركة الفكرية والأدبية والمعرفية والعلمية والدينية في بلدهما، مسايرين ما يدفعه العقل الإنساني من مخترعات وابتكارات، بدءا من التلفزيون الملون، فآلة التسجيل والتصوير، فالفيديو، فالصحون المقعرة والبث الفضائي، وصولا إلى الإلكتروني، فالرقمي اليوم وأجياله المتسارعة المتصارعة.. لأكثر من عشرين سنة زمنية دعوية صبيرية فاعلة، حتى أطل عليهما أول أجهزة الإعلام الآلي والكتابة الإلكترونية، فتبادلا الآراء والرؤى حول الوافد الإلكتروني الجديد، وبحثا بعمق بعض فتوحاته وفوائده، وعاينا عن كثب الخطوات الأولى لنزوله عالم البحث العلمي، وراقبا بدقة حركة تطوير تلك الأجهزة، وانتفعا بها في تدوين رسالة الدكتوراه في مطالع القرن الخامس عشر الهجري / تسعينيات القرن الميلادي الماضي، ودخلا، من دون شعور منهما، مرحلة الاستدراج الإلكتروني والاستهواء المعلوماتي والإبحار الشبكي، وانكبا بشغف أيضا على فتوحات القراءة الإلكترونية وشبكات المعلوماتية، وشعرا بالسعادة الغامرة وهما ينشئان أول بريد إلكتروني لهما مطالع الألفية الثالثة، ويرسلان أولى رسائلهما الإلكترونية بديلا عن البريد الورقي العادي البطيء، مرددين هتافا جميلا وبراقا: «وداعا يا عصر الورق».

كما شعرا بالسرور الغامر يكتسحهما بقوة وهما يقرآن أول مقال وبحث وكتاب إلكتروني، ووجدا ضالتهما في إشباع نهمهما من القراءة، لاسيما للكتب التي لم يتمكنا منها ورقيا.

ومن وقتها، ومن دون شعور منهما، بدآ يتنصلان من اقتناء الكتب الورقية الجديدة، وفقدا شعور وإحساس متعة الكتاب الورقي، ومتعة الجلوس في المكتبة والتنعم بنعيم النظرة إلى رفوف الكتب وهي مرتبة على الرفوف بألوانها البنية والسوداء والخضراء المذهبة.. وتخلى أحدهما نهائيا، ومن غير رجعة، عن مكتبته، وطلقها طلاقا بائنا، ثم قام بعمل جنوني تجاهها وهو يخبر صديقه بأن شعورا بالسعادة يغمره وهو يتخلص منها بعد طول عشرة وصحبة، فأهداها ووزعها على الأصحاب والخلان والمكتبات العامة.. ولم يبق عنده حتى كتبه الخمسة والعشرين التي ألفها أثناء حياته الورقية الطويلة، وباع طرفة الأثاث التي كانت تضم رفوفها كتبه وأصدقاءه المؤنسين، وأخبر صاحبه -بكل خفة واستهزاء وبشعور غريب ومبهم- بأنه لم يعد يطيق رؤيتها في البيت، فضلا عن كونها تحتل مساحة بارزة وكبيرة في صدر غرفة الاستقبال، التي بات يتضايق منها أيضا..

حيرة شديدة

فانتاب صاحبه شعور من الضيق والألم لما حصل مع صديقه، الذي بدا له وكأنه يعرفه لأول وهلة، واحتار حيرة شديدة سحقت أمام ناظريه كل نور يمكن به أن يشاهد ويميز به الصواب من الخطأ والحق من الباطل، وقد ذهبت به حيرته المبهمة مذهبين، أحدهما: تجاه صديقه الذي فوجئ به بعد طول عشرة مع المكتبة والكتاب وهو يتصرف هذا التصرف الجنوني مع خيرة أصدقائه ومؤنسيه، وثانيهما: مع نفسه وحاله وواقعه الجديد، وماذا يفعل هو بكتبه ومكتبته؟ وإن فتر هو نفسه في مرحلة من المراحل في تعمير واقتناء الكتب والاهتمام بمكتبته التي ران عليها شيء من الغبار وعدت عليها عاديات النسيان.

ومن يومها صار أحدهما إلكترونيا بامتياز، يكره الورق كراهية الموت، ولا يحب أن يراه في بيته، ولا يحب أن يتجه إليه حتى أحد من طلبته، فضلا عن أبنائه، فلو استطاع -بزعمه- لصار التعليم إلكترونيا، وانتهى -برأيه- من فظاظة التعليم الورقي. وعلى هذه التنشئة السلوكية والاجتماعية والنفسية حول بيته وزوجته وأبناءه وحتى طلبته إلى كائنات إلكترونية، وصار بيته يسمى في تلك البلدة بالمنزل الإلكتروني.

القرار المناسب

فيما فكر صاحبه الآخر وقرر أن يعود لدراسة مسار حياته دراسة علمية ومنهجية أكاديمية محايدة، ثم يتخذ القرار المتناسب مع ما يصلح له ولبيته ولأهله وأولاده وتلامذته، فدرس بدقة معرفية ومنهجية وعلمية، وبحث بعمق ميزات الورقي والإلكتروني، ووضع جدولا مقارنا بينهما، كما درس فوائد عصر وجيل الورق الرصين والرومانسي المتميز، وعصر وجيل السيليكون السريع والخفيف والجديد المتحرك.. وقرر أن ينتفع بهما معا في أيقونة وسمفونية تعزف نغمتي منافع وفوائد الورق والسيليكون معا، على مبدأ تفعيل لذة القديم والتلذذ بنكهة الجديد.

وظل الصديقان تربطهما الصداقة والأخوة الفكرية والعلمية والدعوية والمهنية، ولكنهما انتقلا إلى عدوتين منفصلتين مختلفتين متباينتين جدا، في التفكير والتدبير والتصور والنظر والقراءة والكتابة والمنهج والقرار والحكم على الأشياء والسلوك في الحياة.

فهذا اختار الحل والخيار الإلكتروني إلى غير رجعة، وصار مدمن سيليكون وشاشات وأضواء وكهرباء وأزار، وإن صادف وزاره صديقه وأهله ليعوده، استقبله استقبالا إلكترونيا، فلا ينتظره أمام الباب ولا يأذن له بالدخول، ولا يرحب به الترحيب التقليدي، بل يدلف صاحبه إليه مباشرة إلى غرفة نومه حيث يجده منكبا ومعتكفا على الشاشة التي أخذت سمعه وبصره وقوته وعقله وقلبه وجسده وروحه، حيث صنعت منه رجلا انعزاليا كسولا خاملا افتراضيا وهميا، بعيدا غريبا عن الواقع، أهمل كل شيء في حياته،



ينام ويستيقظ ويقيل ويأكل ويشرب، بل يسرع في صلاته بسبب الانكباب على الشاشة! وضعفت بسبب ذلك كله مناعته الصحية والنفسية والجسدية، وتطورت لياقته الاجتماعية تطورا داروينيا كارثيا، فلم يعد عنده شيء ثابت، فالكل متغير متحول، فثابت الأمس متغير اليوم، وهكذا الحياة عنده.

والثاني قرر بعد طول بحث ونظر وتوسم الانتفاع بهما معا في جدلية معادلة الموازنة بين الأصالة والمعاصرة، مدركا علما جديدا أو فقها حديثا يسمى: «فقه الآلة» أو «ثقافة الماكينة». وصارا ينتجان الأبحاث والدراسات ويشاركان في الملتقيات والمؤتمرات، ونجحا في مسارهما العلمي مجددا، ما دل على نجاعة اختيارهما، بحيث لم يعد أحد ينكر على الآخر اختياره، ولكن حصل ما لم يكن في الحسبان.

خطر استغوال الآلة

وحصل ما لم يكن في الحسبان: هاجم اللصوص المولعون بسرقة الأجهزة الإلكترونية بيته في غياب الأسرة؛ طمعا في الأجهزة التي يحتويها بيته الإلكتروني المميز، وسرقوا كل الأجهزة الموجودة في البيت، ولم يتركوا له أيا من خردوات العولمة التي كان شغوفا باقتنائها وتتبعها حد الإدمان المرضي، بحيث لا يعمر الجهاز عنده بضعة أشهر، بله بضعة أسابيع، حتى يبيعه بأبخس الأثمان ويقتني الجيل الذي بعده. وعلم صاحبه بما حصل له، فزاره في مساء اليوم الذي حصلت فيه عملية السطو؛ مقدرا مصابه الجلل الذي حل به، ومسليا ومعزيا ومتعاطفا ومهونا عليه قدر الله سبحانه وتعالى، الذي يحب لنا كل خير، ولعله أراد له بذلك العمل خيرا له ولأهله، ولعله للخروج به وأهله من حالة الإدمان القاتل التي صار إليها أمره. والغريب في أمر اللصوص الإلكترونيين أنهم لم يسرقوا علب كتبه المطبوعة في مصر الشقيقة، بل تركوها مفتوحة كما هي.

زاره صاحبه في تلك الأمسية وهو يحمل معه حاسوبا إلكترونيا صغيرا سبق أن أهداه إياه منذ سبع سنوات ليبين له منافع الأجهزة الإلكترونية، وليقنعه يومها بشكل عملي بضرورة التخلي عن أحلامه «الدونكيشوتية» التي طال أمدها، فلما دخل البيت كعادته الإلكترونية من غير استقبال، وفتح الباب ودخل وأهله كعادتهم، وجد البيت مظلما كئيبا حزينا صامتا هادئا هدوء الطبيعة قبل نزول العاصفة الهوجاء، قد غابت عنه أنوار الشاشات وبريقها الخادع، الكل نائم في سريره، مقهورا حزينا على فقدان صديقه ومؤنسه الوفي، موصدا باب غرفته، وكأنه بيت جان أو أشباح، فتذكر صاحبه مدن الأشباح التي هجرها أهلها بعد اختراع القطار في الولايات المتحدة الأميركية أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وعاجله صاحبه مباشرة، وقبل التحية والمواساة بإخراج الحاسوب القديم وتقديمه له: سلوى وتعزية، فأخذه متلهفا ومن دون إحساس منه بادر إلى وصله بالخطوط الكهربائية، وظل يتحدث عن حادثة السرقة فيما عيناه مسمرتان على شاشة جهازه القديم الذي أهداه لصاحبه يوما ما، منتظرا اللحظة التي تنبعث منها أضواء الشاشة، التي رفضت الاستجابة؛ لكون الجهاز ظل طيلة سنوات مسترخيا لا يتحرك أمام رومانسية الكتاب والمكتبة.

التفكير الحقيقي

وبدا أن الصديقين يتحاوران بلسان حالهما وماضيهما من جديد، ولكن في الحقيقة استعادا حوارا كان قد نشأ بينهما منذ سنوات حين قررا الانفصال الوسيلي والوقوف بين العدوتين. واقترح الصديق في حواره حكمة مفادها: «أنه آن الأوان للعودة إلى التفكير الحقيقي في منجزات الحضارة وأهمية الارتباط بالآلة؟». وتطور النقاش بينهما في جدلية جدوى تأثير نظرية «الحتمية التكنولوجية» على إنسان القرن الواحد والعشرين، ومدى حاجة الإنسانية عموما والفرد المسلم والعربي خصوصا لتفعيل نظرية «الحتمية القيمية» بمقابل سطوة الحتمية الإلكترونية والتكنولوجية، واستعادة شعار المهرجان العالمي للإعلامياء بمدينة «هامبورغ» الألمانية سنة ٢٠٠٢م (إلى متى وأنت غارق في شبكة المعلوماتية؟).

ثم تناول كتابا من كتب صديقه المطبوعة بمصر في الدفاع عن النبي محمد ﷺ، كان قد ألفه سنة ٢٠٠٧م للرد على رسومات المجلة الدنماركية الساخرة التي تناولت عرض رسولنا الكريم محمد ﷺ، وعرض على الأسرتين أن يقرأ لهما بضع صفحات، لعل صاحبه وأسرته يقرران استحسان العودة إلى الورقي، فوجد نفسه يقرأ لأسرته ولنفسه، وأسقط في يد صاحبه وانفرقعت الأسرتان متفرقتين، وعاد الحزن والكآبة يخيمان على الأسرة الإلكترونية، وانتهت الزيارة باستحضار

حكمة مفادها: خطورة الإدمان، والعجز الإنساني أمام استغوال الآلة التي صنعها بيده.

ثقافة الماكينة

ولكون الصديق عاجزا ماديا، ومثقلا بالديون والأزمات، وغارقا في الكثير من المشاريع الفاشلة والوهمية، ولا يستطيع اقتناء أجهزة جديدة إلا بعد مضي أشهر، ولإدمانه الإلكتروني المرضي، ولإيصاده بقية الأبواب الوسيلية الأخرى عن نفسه وأسرته، واكتفائه بالباب الإلكتروني ومواقع شبكة التواصل الاجتماعي ومحركات البحث، وعدم تعمقه في «فقه الأزمات» و«فقه البوابات» و«فقه البدائل» و«فقه الاحتمالات».. فقد صار عرضة للكثير من المشكلات، على رأسها الحيرة القاتلة، والتخبط في الرؤية، وفقدان التوازن النفسي والاجتماعي والمهني والحياتي عموما، فتعكر صفو الحياة في ناظريه وأسرته، واربد وجهها، وانطمس جمالها، وغابت عنه رسالة الإنسان فيها ووظيفته...، وصار من العسير عليه العودة إلى القراءة الورقية، ولم يعد بيتا إلكترونيا في لحظة من لحظات الزمن الإلكتروني الغادر.

وحكاية هذين الصديقين هي واحدة من بين مئات الملايين من القصص الواقعية والحقيقية التي اجتاحت الأسر في العالم من دون تمييز، أو استئذان، أو اختيار، أو إرادة.. بين مثقف رفيع المستوى، وبين نخب تقود وتسير وتوجه، وبين عامة الناس.. وذلك بسبب غياب تصور واضح للمنجز الإنساني في عالم الأشياء، ولتراكماته الإنجازية، ولغياب علم اسمه: «فقه التفاعل مع الآلة»، أو «فقه التعامل مع الماكينة»، الذي نعتقد أنه غائب عن أدبيات تكويننا وتنشئتنا الاجتماعية والتربوية.

ومن هنا أمكننا طرح جملة من التساؤلات الكبرى، لعل أهمها:

١ - مَن يستعبد مَن؟ الآلة أم صانعها؟

٢ - كيف يخترع الإنسان الآلة ثم تستعبده؟

٣ - هل قدره أن يستعبد نفسه بيديه؟

٤ - أي الصديقين أصاب في منهجه؟

٥ - هل باستطاعة الإنسان الانفكاك من أسر منتجاته؟

٦ - كيف السبيل للخروج من مأزق الإدمان؟

ثقافة الوعي الوسيلي

أعتقد أن الإجابة على مجمل هذه التساؤلات في عجالة ضرب من العبث المنهجي والمعرفي والعلمي، حيث يحتاج كل سؤال منها إلى ترسانة من العمليات المنهجية المضبوطة؛ بدءا بتقدير حجم الظاهرات الاجتماعية الإلكترونية وخطرها، ورصد نتائجها وتأثيراتها التي باتت تهدد الكائن الإنساني المكرم، وتحمل نذر الخطر على مصير الإنسانية جمعاء، ثم الحاجة الماسة والأساسية إلى ملايين من العيون واللواحظ النخبوية والمنهجية والمعرفية والبحثية المتميزة جدا، وذلك لتقدير مستوى هذه الظاهرات الإلكترونية وضبطها ومحاصرتها بسائر العمليات المنهجية المكتشفة والجديدة أو المتداولة منهجيا، وذلك برصف التساؤلات والإشكالات والفرضيات والاستقراءات والتتبعات، والتعمق في ضبط الأنساق والتشابهات والفروقات الظاهراتية.. لمحاولة رسم معالم ثقافة وسيلية واعية، وتوجه رسالي ووسيلي غائب أو مغيب من حياة الناس، لاعتبارات سيبينها البحث المنهجي، ويتوقعها، ويتنبأ بها، ويحاول عدها والتنبيه منها، ومن ثمة ضبطها وتقنينها، وتحويلها ضمن أنساق ومواد التحليل المعرفي للتنشئة الاجتماعية والنفسية والتربوية الضرورية والمفيدة لاستعادة إنسانية الإنسان، أمام جبروت سحر الآلة، لاسيما حين يصغر ويتضاءل ويضعف أمامها، وتوجهه نحو رسالته المنوطة به جبليا، وفق معالم الفطرة السوية المذخورة في وجوده ومكنونه الأول، حيث الحاجة هناك ماسة، إلى إعادة توجيه الأسئلة إلى الإنسان نفسه -بغض النظر عن دينه ومعتقده- في سياق استيعاب هذه القصة الأنموذج، التي تضمنت مشهدين متباينين، وتعميق السؤال المعرفي في الأنموذجين، وكيف سلك الأنموذج الثاني الطريق من خلال سؤاله ونقده وتحليله لواقعه ونفسه ووجوده ومصيره ومستقبله؟ ومن حيث قدرته على رسم ورصف الحاجات الأساسية منها؟ وذهول الأنموذج الأول وانكساره -بعد فرحة وسيلية وإلكترونية قصيرة وخادعة- أمام عدمية الموقف الذي آل إليه بعد ضياع الواقع الافتراضي والإلكتروني الوهمي وتلاشيه.

إنها -في نظري- مسألة فهم وتفكير، في ما تدفعه عقول البشر نحو عالم الأشياء والمنجزات، ومسألة قراءة وتحليل لعوالم الأشياء والأشخاص والأفكار والقيم والروح والوجدان والجمال.. إنها مسألة فلسفية عميقة تتجه أساسا لتنبيه قوافل العرابين والمبشرين الإلكترونيين الجدد من فلاسفة الحداثة وقساوسة شبكات التواصل الإلكتروني والعنكبوتي ومحركات البحث العملاقة في عصر الصورة والمعلومة والمعرفة التي ذهلنا أمام بريقها وتسارعها، وعجزنا عن اللحاق بها فضلا عن مواكبتها.

إن عمق التكوين، ودقة القراءة، وسلامة التحليل، وصوابية المقاربة والتوسم، وأصالة ومطلقية التمكن المرجعي العميق.. سبيل الإجابة الوسيلية الواعية، التي تنتج وعيا وسيليا جديدا وناهضا، وتبعث شعورا روحيا فاعلا، بعيدا عن الأماني والأقوال وتيه الآخر المنتج لها وضياعه، وبعيدا عن حال الاسترخاء أمام سحر الشاشة القاتلة، للذي لا يعرف مواطن السعادة والشقاء فيها.

إننا بحاجة إلى كل هذا وذاك، ولغيره أيضا.

محمد شعطيط
خبير أسري

من رياض محبة الزوج لزوجته

هل سبق لك أن نظرت إلى زوجتك نظرة تمعن ومحبة وشوق، فلما أحست بنظرتك سألتك: لم تنظر إلي هكذا؟ فأجبتها: هناك ألف سبب وسبب لأنظر إليك نظرة المشتاق، فأنت آية من آيات الله.. أجل، آية من آيات الله، ألم تقرئي قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١). لقد وردت هذه الآيات في سياق حديث الله عز وجل عما امتن به على عباده من نعم وآيات في الآفاق وفي الأنفس. بعض الناس يتدبرون في الشمس وغروبها، والبحار وامتدادها، والسماء وزينتها، لكنهم قليلا ما يتدبرون في هذا المخلوق الذي بين أيديهم: زوجتك التي امتن الله بها عليك، فلها عليك من المحبة والتقدير والتوقير والأدب ما يرفعك إلى مقام الاستجابة لدعوة المولى عز وجل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وليس هذا فقط، بل هناك أسباب كثيرة تدعوك لأن تحب زوجتك حبا يملأ عليك شغاف قلبك، وهي كثيرة، ومنها باختصار:

١- أن في هذه المحبة استجابة لدعوة الله عز وجل الذي يدعوك لمعاشرتها بالمعروف: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:١٩) ولوصية الرسول ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا» (متفق عليه)، وقمة المعاشرة بالمعروف عند المرأة أن تحفظ لها الوداد، وتذوب في محبتها، فما عاشر بالمعروف من أساء الأدب وأظهر الجفاء.

٢- لأنك بسببها تظفر بالنفائس والكنوز: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (متفق عليه).

٣- وبمحبتها تعيش سعيدا وتنال أفضل ما في الدنيا: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» (أخرجه مسلم).

٤- وبها يكاثر بك النبي ﷺ الأمم يوم القيامة: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» (صحيح الجامع الصغير برقم ٢٩٤٠).

٥- وفي محبتها استجابة لقول رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا، رضي منها آخر» (أخرجه مسلم). فالموصوف بالكمال هو الله عز وجل.

٦- فإذا ارتفعت هذه المحبة فصارت في الله عز وجل، تحقق وعد الله عز وجل في الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في» (أخرجه الإمام مالك وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي). فمن تدبر هذه الخصال وجدها تتحقق في أقرب الناس إليه وهي زوجه.

٧- لأنها سبب نيلك للأجر الوفير والفضل الجزيل، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها. حتى ما تجعله في في امرأتك» (متفق عليه). وفي صحيح مسلم: «وفي بضع أحدكم صدقة». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم إن وضعها في حرام، أكان عليه وزر. فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» (أخرجه مسلم).

٨- لأن بها سكينة النفس وراحة البال، ونجاة من الوقوع في المعصية؛ ففي الحديث: «إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في نفسه» (أخرجه مسلم).

٩- كما أن بها تنال الرحمة، وتكتب أنت وإياها في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات. قال رسول الله ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات» (أخرجه أبو داود بسند صحيح).

١٠- كما أن محبة الزوجة من شكر الناس الذي يفضي إلى شكر الله، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وسنده صحيح). ورأس الشكر أن تحب من تحسن إليك بعد الله عز وجل وإلى أبنائك وتوفر لك أسباب الراحة والسكينة.

١١- وبمحبتها تتحقق خيريتك. فمن أساء معاملة أهله وادعى محبتهم فقد أبعد، وفي الحديث: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (أخرجه الترمذي وابن ماجه).

وكل فضل ورد في الشرع في الإحسان إلى الناس عامة وإلى كل ذي كبد رطبة، إنما يتحقق أول ما يتحقق في أهلك وذويك والأقرب فالأقرب. ألا تستحق الزوجة بكل هذه الخلال أن تنال محبتك؟! والله لو أحسن إليك المرء ببعض ما تحسن إليك زوجتك لأظهرت له من الود والمحبة ما يعجز عن وصفه اللسان. فالتفت إلى جنباتك، تجد زوجة كريمة تنتظر منك نظرة، وابتسامة وعطفا. تعرف لم؟ أعد قراءة ما عرضناه فوق؛ ليظهر لك أنك بجانب الدر وأنت لا تشعر.

عبدالحكيم خلفي
باحث من المغرب



بين مواجهة الفساد واعتزاله

الشباب في القرآن

من أهم مراحل عمر الإنسان التي يمر بها، تلك التي تقع بين ضعفين؛ ضعف الطفولة والصغر، وضعف الشيخوخة والكبر، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم:٥٤)، فهي مرحلة القوة والنشاط، والعمل والعطاء، هي مرحلة الشباب الذين بسواعدهم تبنى الحضارات وتزدهر الأمم، وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (الأنبياء:٦٠) (١)، وقال سبحانه عن سيدنا يحيى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم:١٢). ولأهمية هذه المرحلة فإن الإنسان سوف يسأل عنها يوم القيامة، لقوله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (٢).

لاشك أن فترة الشباب، وإن كانت أهم المراحل العمرية فإنها كذلك الأصعب، وهذا لكثرة الفتن، والمغريات، والشهوات، والشبهات التي تقترن بها، وكذا لسهولة الوقوع فيها، مما يستوجب على كل شاب أن يتحدى كل هذه الأمور ويعتزل أصحابها. ونجد القرآن الكريم قد خلد ذكر ثلة من الشباب الذين كان لهم موقف واضح من الفساد والظلم، كفتية الكهف، والفتى الذي رافق سيدنا موسى في رحلة طلب العلم، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا يوسف، وسيدنا موسى -عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وغيرهم من الأنبياء والرسل الذين بعثوا شبابا.

الشباب وتحدي الفساد

ذكر القرآن الكريم مجموعة من النماذج التي وقفت في وجه الفساد والبغي، وتصدت له، وتحدت أصحابه، سواء كان هذا الفساد في العقيدة أو في غيرها، ومن هذه النماذج نجد:

- **فتية الكهف:** قال سبحانه: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ (الكهف:١٤). هي شجاعة كبيرة من هؤلاء الفتية أن يقفوا في وجه الباطل الذي تجذر في قلوب قومهم وعقولهم، وينطقوا بالحق الذي استيقنته قلوبهم وعقولهم: أنه لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه، أما غيره من الآلهة فهي شطط في الفكر والاعتقاد. قاموا بهذا الموقف وهم موقنون أن قومهم، الذين وجدوا آباءهم وأجدادهم يعبدون الأصنام وقد تجذر فيهم الشرك، سيصدونهم

ويؤذونهم ويقفون ضد دعوتهم، وربما يصل بهم الأمر إلى أن يقتلوهم، لكن الفتية تحدوا كل هذا وصدعوا بالحق، رغم كل هذه التحديات، ورغم قلتهم وكثرة أهل الباطل.

- **الفتى إبراهيم عليه السلام:**

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ (الأنبياء:٥١ و٥٢)، إلى أن يقول: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (الأنبياء:٥٧-٦٠)، فكان هدف سيدنا إبراهيم واضحا، وهو أن يغير ما عليه قومه من باطل الشرك، عن طريق مقارعتهم بالمنطق والحجة والدليل، فلا يستقيم لعاقل أن يعبد غير عاقل، ولا يستقيم لعاقل أن يتبع ما وجد عليه غيره من دون أن ينظر في هذا الاتباع أهو اتباع للحق أم اتباع للباطل، وكذلك لا يستقيم لعاقل ناطق أن يعبد أخرس، وهم المعترفون بأن هذه الآلهة لا تنطق: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء:٦٥)، وعندما أيقنوا عجزهم عن مجاراة «الفتى» إبراهيم في حجته لجأوا إلى ما يلجأ إليه كل ضعيف وعاجز؛ وهو استعمال القمع والعنف، فقالوا: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء:٦٨)، ظنا منهم أن بإحراقه تحترق دعوته، وإقدامهم على هذا العمل من أجل نصر آلهتهم يعد إقرارا منهم بأن الباطل لا ينصر إلا عن طريق الظلم والتجبر والطغيان، وهي سنة كل الظالمين الذين يتخذونها وسيلة للتخلص من كل صوت يصدح بالحق.

- **موسى الشاب عليه السلام:**

قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص:١٤ و١٥). لقد أخذ سيدنا موسى على عاتقه نصرة الحق والانتصار للمظلوم، رغم نشأته وترعرعه في بيت أعتى الظلمة، ليختار أن يكون في صف المستضعفين من بني إسرائيل، على أن يكون من زمرة آل فرعون، فأراد أن يغير المنكر بيده، خصوصا أنه كان صاحب قوة وجلد ورباطة جأش، وهذه الآية الكريمة تصور لنا مشهد مظلوم يستغيث بسيدنا موسى لينصره على القبطي المعتدي، فما كان من سيدنا موسى إلا أن بادر إلى الوقوف مع المظلوم والضرب على يد الظالم، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فبضربة واحدة سقط القبطي ميتا، ليلجأ موسى -عليه السلام- فورا إلى الله تعالى، ويتوب إليه، ويعتبر هذا الفعل ظلما لنفسه، رغم أن قصده إبعاد الظلم عن الآخرين، قال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص:١٦ و١٧)، فهذا الوعد على نصرة الحق والوقوف في وجه الباطل مبدأ لا يتغير عند أهل الحق، فسيدنا موسى لم يتردد في التصدي لكل ظالم يريد عتوا في الأرض، واعتبر هذا الأمر واجبا عليه، وهذا يظهر جليا في موقفه مع الإسرائيلي نفسه الذي نصره بالأمس، قال سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ (القصص:١٨ و١٩)، فرغم ندمه على قتل القبطي إلا أن هذا لم يجعله يترك نصرة المظلومين، ورغم أن تغيير المنكر باليد نتائجه غير متحكم بها دائما، فإن هذا الشاب (سيدنا موسى) لا يستطيع أن يرى ظلما ومنكرا وفسادا في الأرض ثم يغض الطرف عنه كأن شيئا لم يحدث.

لقد وقف هؤلاء الشباب في وجه المنكر والباطل، ولم يتوانوا في الدفاع عن الحق، وهذه النماذج تستحق الاقتفاء والاتباع، فرغم كل الإكراهات والتحديات التي قد تصادف من يريد الاقتداء بهؤلاء الفئة، فإن هذه الإكراهات والتحديات لن تكون بحجم وشدة ما مر به هؤلاء، فإن قيل إن هؤلاء كانوا أنبياء، فإن هذه الأحداث إنما كانت قبل نبوتهم، وحدثت أيضا لفتية الكهف الذين لم يكونوا أنبياء.

الشباب واعتزال الفساد

إذا كان تحدي الفساد والوقوف ضده ومحاولة تغييره أمرا ضروريا وملحا في أي عصر من العصور، فإن اعتزاله لا يقل أهمية عن هذا التحدي، بل فيه من المنح والعطايا التي يجود بها الله تعالى ما لا يخطر على بال، والنماذج التي سنوردها توضح ذلك:

اعتزال الفتية

إن الكهف رمز للضيق والمشقة، لكنه يمكن أن يكون ملجأ آمنا يلجأ إليه المسلم فرارا من كل الشبهات والشهوات، وفي اعتزال هذا المحيط ضيق ومشقة كضيق ومشقة الكهف، لكن مع هذه المشقة والضيق فرج ورحمة وسعة، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ (الكهف:١٦)، وهو ما نجده في بداية رسالة الإسلام في مكة، ثم في المدينة، فمن اعتزال الرسول ﷺ لقومه وما يعبدون، ولجوئه إلى غار حراء نزل الوحي الرباني، ومن ضيق ومشقة غار ثور عند هجرته إلى المدينة جاءت دولة الإسلام.

اعتزال إبراهيم عليه السلام

لم يكن اعتزال سيدنا إبراهيم إلا بعد أن استفرغ كل الوسائل التي يمكن استخدامها للدعوة إلى دين الله الحنيف، لتكون في اعتزاله هذا منحا ربانية تعينه على تبليغ دين الله تعالى، فهذا النبي الذي أريد به أن يحرق لتحترق معه دعوته، وهب الله تعالى له إسحاق -عليه السلام- ليحمل مشعل النبوة، مع أخيه إسماعيل، ولتنتقل هذه الدعوة بعدهما إلى سيدنا يعقوب -عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ (مريم:٤٨ و٤٩).



اعتزال يوسف عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف:٢٢ و٢٣). وعندما وجد منها ومن النسوة ذلك الكيد: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (يوسف:٣٣)، رغم ما لقيه في السجن من ضيق وغربة وعنت، إلا أن الله مكن له في الأرض، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف:٥٦)، إذ لا يكون التمكين إلا باعتزال الفساد.

إن هذه النماذج تحيل إلى أهمية الشباب ومحوريتهم في التغيير والإصلاح والوقوف في وجه ظلم الظالمين وإفساد المفسدين، كل حسب قدرته وملكاته وموقعه وتخصصه، واعتزال كل بيئة تجر إلى الفساد بشكل عام، سواء كان هذا الفساد فساد عقيدة أو فساد عبادة أو فساد معاملات أو فساد أخلاق أو غير ذلك... واقتداء بفتية أهل الكهف؛ يعتزل الموظف من يتعامل من زملائه بالرشوة، رغم أن ضعف مرتبه يشجعه على أخذها، فيأوي إلى ضيق العيش ومشقة الحياة بسبب كثرة التكاليف والمصاريف، لكن الله سينشر له من رحمته ويهيئ له من أمره مرفقا.. ويعتزل الشاب أصدقاء ألهتهم شهوات الدنيا وزينتها عن التقرب من الله، ويترك كل ذلك ويأوي إلى كهف يبدو ضيقا وشاقا، ويمسك بدينه كما يمسك على الجمر، فينشر الله له من رحمته ويهيئ له من أمره مرفقا.. يعتزل التاجر من يتعامل ويتاجر في الحرام، وقد يناله بذلك ضيق ومشقة في ماله وعيشه أيضا، لكن الله سينشر له من رحمته ويهيئ له من أمره مرفقا.

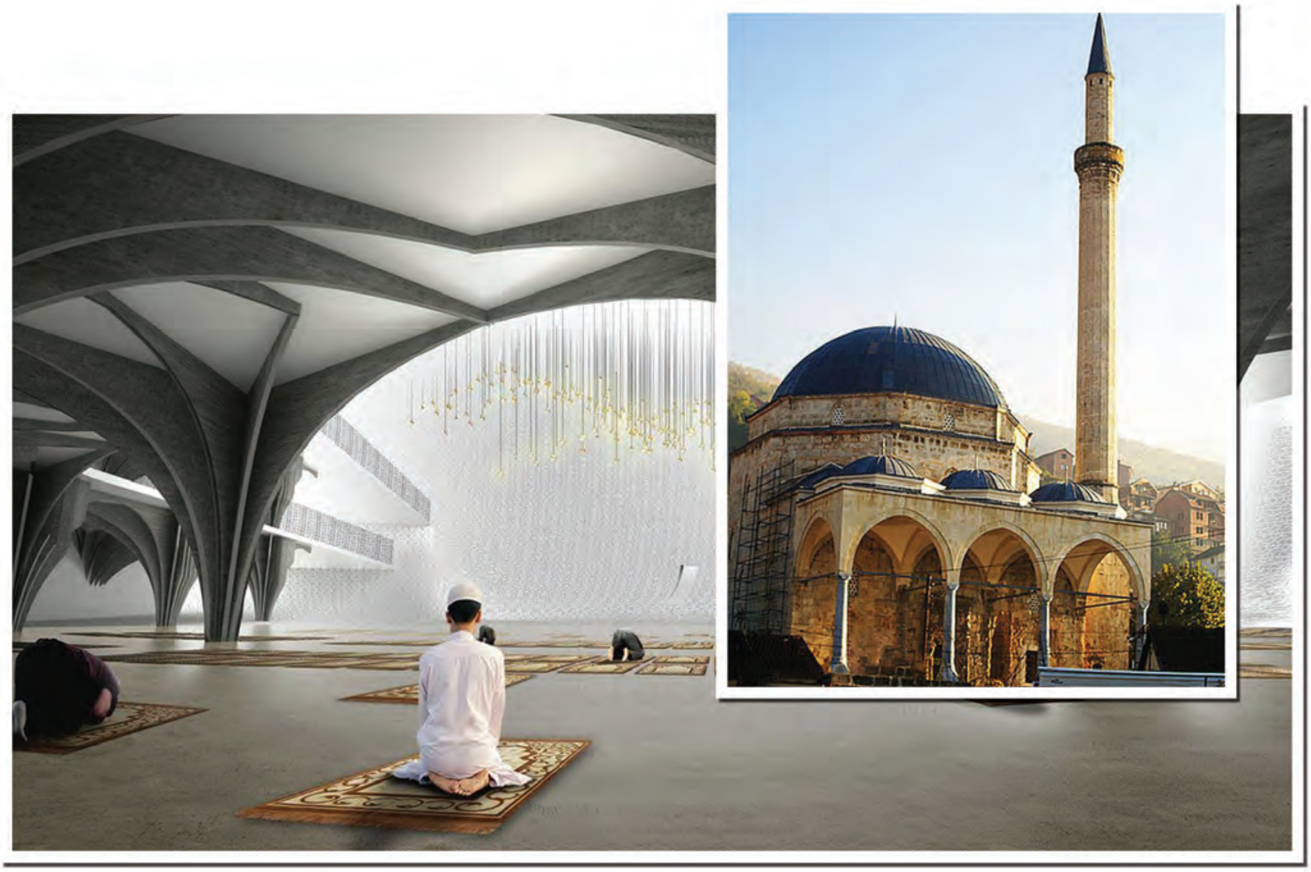
قد يستعجل الإنسان الفرج، ويرى طول أمد المحنة، وإن ظلت ساعة من الزمن، كما يستعجل انقضاء زمن اعتزال الفساد لكن الأمر ربما يطول، فعندما أوى الفتية إلى الكهف واعتزلوا قومهم كان قصدهم البقاء فيه يوما أو أياما، لكن الله أراد أن يلبثوا فيه ثلاثمئة وتسع سنين، وعندما أراد سيدنا موسى الوقوف في وجه الفساد في اليوم الأول والثاني، اعتزل مسقط رأسه عشر سنين قبل أن يعود وتأتيه الرسالة ويكلمه الله في جبل الطور، وعندما أراد سيدنا يوسف اعتزال الفساد وفضل السجن على النزول عند رغبة النسوة، لبث في السجن بضع سنين على السنين التي لبثها مع الساقي، فقد يطول الزمن قبل القضاء على الفساد.

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٣٤٩/٥.

٢- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد ابن عيسى الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر، حديث: ٢٠٣١، ٣٥/٤.

عبدالحميد ناصف
كاتب صحفي



ترجمة القرآن في الأراضي الألبانية

إن ترجمة وفهم كلام الله تعالى (القرآن الكريم) باللغة الألبانية تأخرا كثيرا مقارنة باللغات الأخرى، خصوصا أن القرآن كان -ومازال- يلعب الدور الأساسي في حياة ومجتمع الألبان. ويعتقد أن سبب هذا التأخر في ترجمة معاني القرآن عند مسلمي البلقان راجع إلى انتشار العلوم الشرعية بتفاصيلها الدقيقة إلى اللغات المحلية بشكل كبير، وذلك بجهود علماء تلك المناطق الذين كانوا يشعرون بأن «العربية» هي لغتهم نفسها، وعلى الرغم من ذلك ومن وضع المسلمين في الأراضي البلقانية -الألبانية- لبداية النصف الثاني من القرن الماضي، فإن التطورات الثقافية الجديدة في كوسوفا وبعض المناطق الألبانية الأخرى، وبخاصة بعد سقوط الشيوعية في ألبانيا، جعلت الحاجة إلى وجود القرآن باللغة الألبانية ضرورية جدا، كما كانت هناك حاجة ماسة إلى كتب إسلامية أخرى ليتمكن المسلمون من الفهم الصحيح للإسلام.

وفي الحقيقة، فقد وجدت عقبات اعترضت ترجمة القرآن إلى الألبانية، فالترجمة في حد ذاتها من الأعمال المعقدة والصعبة، فما بالنا إذا كانت ترجمة بعض الكلمات من القرآن خوفا -من قبل المترجمين- من أن يبتعدوا عن المعنى الحقيقي في الآيات القرآنية. والترجمة عمل شاق؛ لأنه في اللغة الألبانية كثيرا ما نجد كلمة معينة لا تعطي بكاملها المعنى المطلوب منها في مقابلة الكلمة العربية في الآية القرآنية.

ومن العقبات اللغوية التي تعترض عملية الترجمة في الألبانية أن الجملة الفعلية في اللغة العربية تبدأ بالفعل، كما يوجد فرق بين العربية والألبانية في مسألة المبتدأ والخبر وأحوالهما، وكذلك يوجد في اللغة العربية فقط مذكر ومؤنث ومحايد، ثم في اللغة العربية تأتي الأسماء بصيغة الإفراد والتثنية والجمع، أما في الألبانية فتكون بصيغة الإفراد والجمع فقط، أي لا يوجد مثنى.. وتأثير هذا كله

يبرز في الترجمة. وتظهر صعوبة أخرى عند ترجمة القرآن للألبانية وذلك في ترجمة الأفعال من الماضي إلى المضارع والعكس. والملاحظ أن قليلا من المترجمين يستعملون في ترجماتهم أفعال الوقت الحاضر، مثال ذلك ترجمة قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (الإنسان:٢)، عند جميع الترجمات للمصحف الشريف إلى الألبانية نجد أنها قد ترجمت باستعمال الفعل الماضي، ولكنه كما نعرف هو يشمل الحاضر والمستقبل؛ لأن الله سبحانه وتعالى لايزال يخلق ولايزال يجعلنا نسمع ونبصر. وهناك قضية أخرى، وهي أن بعض المثقفين من الألبان بعد ظهور أولى ترجمات القرآن اعتبروه قرآنا بالألبانية يستطيعون حتى قراءته أثناء الصلاة.

● وعموما، أولى الترجمات للقرآن في الألبانية نجدها في القرن الثامن عشر، ثم تواصلت حتى الآن، وكان يغلب عليه الترجمة الموضوعية لبعض الآيات القرآنية، ومثال ذلك «كتاب الصلاة» لمؤلفه حافظ إبراهيم داليو. وكانت في بداية القرن العشرين أولى المحاولات لترجمة القرآن بكامله إلى اللغة الألبانية، ففي ١٩٢١م قام أيلومتك كافزيزي بطباعة أول ترجمة لثلث القرآن إلى الألبانية في مدينة بلويشت برومانيا، مع ملاحظة أن المترجم لم يكن مسلما، ثم في ١٩٢٩م قام الحافظ إبراهيم داليو بطبع كتابه «المختار في معاني القرآن الكريم». ويقول النقاد عنه إنها كانت ترجمة علمية أمينة مزودة بشروح تسهل الفهم للقارئ الألباني، ثم في سنة ١٩٨١م تكونت في «بريشتينا» (عاصمة كوسنا) لجنة من ثمانية علماء تحت رعاية مجلس العلماء هناك؛ لتقوم بترجمة كاملة للقرآن، ولكن لم تستطع ذلك، وبعد أربع سنوات (١٩٨٥م) تمت الترجمة الأولى والكاملة للقرآن الكريم في بريشتينا أيضا، وكانت عن طريق الأستاذ فتحي مهدي، أو كما ينطقونه فتي مهدي FEn، وهو أستاذ في كلية الاستشراق بجامعة بريشتينا، وله بحوث في مجال اللغة العربية ويجيدها بطلاقة، وعموما فهي ترجمة حرفية لمعاني القرآن الكريم. أما الترجمة الثانية الكاملة فكانت عام ١٩٨٨م من قبل الأستاذ حسن ناهي HASAN NAHI، وأيضا كان يجيد العربية بطلاقة، وفي ترجمته وضع النص القرآني بالعربية إلى جانب النص المترجم.

● ثم كانت الترجمة الثالثة الكاملة بواسطة الأستاذ شريف أحمد عام ١٩٨٨م، والتي طبعت من قبل رئاسة المشيخة الإسلامية في بريشتينا وأعيدت طباعتها عدة مرات في مصر وليبيا والسعودية، ثم كانت الترجمة الرابعة وقام بها محمد زكريا خان (القرآن المقدس، إسلام أباد، ١٩٩٠م، ترجمه وفسره محمد زكريا خان)، وكالترجمة السابقة كانت توضع الصفحة من القرآن على اليمين ويقابلها على اليسار الصفحة المترجمة إلى الألبانية، وعدد الهوامش يبلغ ١٤٢٣. وفي الحقيقة الترجمة فاسدة، فقد بنى زكريا خان تفسيره وتعليقاته على أفكار منحرفة ومبادئ فاسدة تدل على سوء نية وخبث شديد، ومن الطبيعي أن تخرج الترجمة بتلك الصورة نفحات من أتباع الطريقة الأحمدية ومتأثر بها تماما.

● ما سبق موجز قصير ومركز عن ترجمات القرآن في ألبانيا، والآن نتعرض إلى ترجمة معاني القرآن الكريم للشيخ حسن أفندي ناهي Hasan EF.Nahi، الذي عقد العزم على الالتحاق بالأزهر الشريف، وقال إنه عقب عودته من القاهرة سيبدأ في تنفيذ مشروعه. وبالفعل، عندما عاد إلى بلاده وعمل بالوعظ العام وتولى منصب الإفتاء شغل بمهام المنصب وإلقاء الدروس على طلاب معهد محمد بيراقلي باشا، ولما صدر الدستور الشيوعي، الذي ألغى الأديان وشعائرها، لزم داره أكثر من عشر سنوات واعتكف على تنفيذ مشروعه بالترجمة، وكانت مكتبته زاخرة بأمهات الكتب في العلوم اللغوية والشرعية. وبفضل دراسته في الأزهر ومكتبته العامرة، تمكن من وضع الأسس للترجمة ووضع قواعد لها لا يتعداها، وقد درس في معهد علاء الدين الديني لمدة تقرب عشرين عاما، وتجاوز السبعين من عمره، وتخرج على يديه دفعات من الطلاب. المهم أنه في ظرف ثلاث سنوات تمكن من إتمام الترجمة وكتابتها ومراجعتها، واكتفى بطبع نحو عشرة آلاف نسخة في مطبعة في زغرب عاصمة كرواتيا.. وكان للأحوال المؤسفة التي حدثت للألبان في كوسوفا وبلاد البلقان على يد حكام الصرب العنصريين.. تأثير كبير في تدهور صحة الشيخ حسن إلى أن فاضت روحه إلى بارئها صباح يوم الثلاثاء الخامس من فبراير سنة ١٩٩م في بريشتينا.

● ما سبق عرض مبسط لموضوع كبير يستحق الاهتمام والبحث والتحليل، وحيث كان اعتمادنا بالدرجة الأولى على مؤلفات الدكتور بكر إسماعيل الكوسوفي (ممثل كوسوفا في مصر) وبخاصة أعماله الجادة مثل: المؤسسات الإسلامية في كوسوفا ودورها في حركة اللغة العربية؛ والعلاقة بين اللغة العربية واللغة الألبانية، ومختارات من موضوعات الأدب الألباني، وغيره من خيرة الأعمال العلمية الجادة.



علياء ناصف
باحثة مصرية

المزاح اللطيف والمزاح السخيف

إن المولى عز وجل قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهبه العقل ليقرأ ويتعلم ويفطن إلى حقيقة وجوده، ويصل إلى المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

إن الله أعطى للعقل البشري القدرة على التمييز بين الطيب والخبيث، بين البضاعة الرابحة والخاسرة، ومن المسلمات الإيمانية أن الربح والمكسب الحقيقي هو في اتباع الأوامر والبعد عن النواهي، ومن هنا يأتي كمال العقل البشري.

ومن المعلوم من نواهي الله عز وجل للمؤمنين النهي عن سخرية بعضهم من بعض، تلك السخرية التي تؤذي وتمزق القلوب، وتستجلب الكراهية في النفوس، على عكس المراد من منهج الله الذي يأمر بالمحبة وبالتواد والتراحم بين المؤمنين، بل إنه هو رأس العقل بعد الدين، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات:١١)

وقال النبي ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يكذبه ولا يخذله، التقوى هاهنا - وأشار إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (رواه الإمام مسلم في صحيحه).

ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة (١).

فإذا بالبعض ينتقص من عقله بإرادته الحرة حين يأتي بما يخالف ما أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ، وحين يغض الطرف عما هو واضح جلي ثابت بالكتاب والسنة، وليس ثمة وجه لجدل فيه أو نقاش.

جرح الطفولة

من الملاحظ أن بعض الآباء والأمهات لا ينهون أطفالهم عن السخرية من الآخرين والاستخفاف بهم، بل إنهم من الأساس لا يبينون لهم أن السخرية بين العباد هي صفة مذمومة منهي عنها في الكتاب والسنة.

ومن ثم تكون النتيجة أننا نجد في جميع المجتمعات أطفالا غلاظا قساة القلوب يسخرون من غيرهم المختلفين

عنهم، ممن تئن قلوبهم ويعتصرها الحزن من سخرية أقرانهم عليهم، لأسباب خارجة عن إرادتهم مثل بعض الاختلافات الشكلية أو الظاهرية، الأمر الذي يؤثر بالسلب على نفسية الأطفال الذين كانوا محط سخرية من أقرانهم، بل قد يصل الأمر إلى جرح غائر في نفسية الطفل تصل به إلى حد الاكتئاب.

ومن هنا لزم تذكير أولياء الأمور بأن يفطِّنوا أبناءهم منذ نعومة أظافرهم بخطورة المزاح السخيف وجرح قلوب الآخرين، وأنه من الضروري على المسلم أن يطهر قلبه ولسانه من مثل هذا السلاح الفتاك بالقلوب والنفوس، وتحذيرهم أن من يسخر من إنسان ويستهزئ به ويضحك عليه، فمن المتوقع إن لم يبادر بالتوبة والاستغفار أن يُبتلى بما سخر منه في غيره، ويكون بدوره محل سخرية آخرين يذيقونه من نفس الكأس المرة.

المزاح السخيف ودوره في بث العداوة والبغضاء بين الناس

إن المزاح السخيف هو ما قال عنه الإمام عمر بن عبدالعزيز: «اتقوا الله، وإياي والمزاحة، فإنها تورث الضغينة وتجر القبيحة.. تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال».

والمقصود هنا هو ذلك النوع من المزاح الذي يرتكز على القدح في الآخرين ولذعهم بالكلمات التي في ظاهرها الضحك وفي جوهرها السباب الخفي؛ مما يكدر صفو العلاقات الإنسانية، ويجلب العداوة والشحناء ويؤدي بالأشخاص المُستهزأ بهم إلى البعد عمن كانوا في أيديهم أداة للضحك والسخرية.

إن هذا النوع من المزاح السخيف يتنافى مع حقوق الأخوة والصداقة والزمالة، ومن الحقوق الأساسية للمسلم على المسلم ألا يؤذيه أو يجرحه بكلمة أو فعل أو يضايقه بما يكره، بل عليه أن يتوخى في التعامل معه ما يرجوه لنفسه من تعامل الغير معه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري ومسلم).

وهل يوجد إنسان على وجه الكرة الأرضية يرضى أو يحب أن يكون مثار سخرية الآخرين أو محط مزاح سخيف؟! وهل يعقل أن يكون هناك من يسعده أن تفترس جراحه الألسن بكلمات هي كاللكمات والطعنات التي تغتال أحاسيسه وتدمر نفسيته؟!

إن الناس جميعا مسؤولون عن كلماتهم.. نظراتهم وأفعالهم.. فرُب كلمة تدمي القلب، ورُب نظرة تجرح النفس ورب فعل يدمر الإحساس.. فحاسبوا على كلماتكم ونظراتكم وأفعالكم.. ولا تَجرحوا فتُجرحوا ولا تَظلموا فتُظلموا.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

ارض للناس جميعا ... مثلما ترضى لنفسك
إنما الناس جميعا ... كلهم أبناء جنسك
غير عدل أن تَوَخَّى ... وحشة الناس بأنسك
فلهم نفس كنفسك ... ولهم حس كحسك

المزاح المحمود

بقي لنا أن نؤكد على أن المزاح المحمود هو أمر مختلف عمّا سبق ذكره، بل هو العكس والنقيض منه، إنه نوع المزاح اللطيف الذي هو أداة للتآلف والتقارب وبث روح المحبة والمودة بين الناس، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فقد كان عليه الصلاة والسلام بسَّاما يحب الضحك الذي يسري عن النفس ويكون مصدرا للبهجة وإدخال السرور على النفس.

قال عبدالله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ» (رواه الترمذي).

وروى أبوهريرة رضي الله عنه قال: قالوا (أي الصحابة): يا رسول الله، إنك تداعبنا! قال ﷺ: «إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا» (أخرجه الترمذي وحسنه).

وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا». (أخرجه الطبراني في الصغير وإسناده حسن).

ومن أمثلة مزاحه ﷺ حين أراد أن يلاطف صهيب الرومي ويدخل السرور على نفسه، وكان وقتها - أي صهيب - يأكل تمرا وبه رمد، فقال النبي ﷺ: «أتأكل التمر وبك رمد؟ فقال: يا رسول الله، إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله، فتبسم رسول الله ﷺ». (أخرجه ابن ماجه).

يقول الإمام أبوحامد الغزالي: «إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا في الندور فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ» (٢).

الهوامش

١- الإمام أبوحامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ - إحياء علوم الدين وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي ت ٨٠٦هـ - الدار المصرية اللبنانية (د ت ط)- ج ٣- ص ١٤٠.

٢- المرجع السابق ص ١٣٨.



د. محمد إسماعيل: روح الفريق والبحث العلمي طريقك للتقدم



مثال حي للشباب العربي الناجح والمتميز، استطاع أن ينتقل من نجاح إلى نجاح، وأن يحظى بمكانة مرموقة بين أطباء الولايات المتحدة الأمريكية، وقدم خلال مسيرته العديد من الأبحاث العلمية، إضافة إلى إشرافه على برامج لمكافحة التدخين والكحوليات، وله اهتمامات بالعلاج من خلال التغذية الصحية السليمة.. إنه الدكتور محمد هاني إسماعيل، الحاصل على البورد الأميركي في الأمراض الباطنية وماجستير في الصحة العامة من جامعة لوما ليندا، ويقدم أبرز نصائحه عبر السطور التالية لقراء «الوعي الشبابي»:

● ما أبرز الأطروحات التي تتبناها في مجالك وفي طب المناعة والحساسية؟

- يوجد لدي اقتناع تثبت صحته يوما بعد يوم، وهو أن الأسلوب الحياتي السليم يقي الإنسان من حوالي ٨٠ في المئة من الأمراض المزمنة، والتغذية الصحية السليمة وممارسة الرياضة وتجنب التدخين الإيجابي والسلبي والامتناع عن تناول الكحوليات من الوسائل المؤكدة للوصول والمحافظة على صحة جيدة.

● تهتم أيضا بالغذاء الصحي وتعتبره السبيل لصحة أفضل.. فما نصائحك في هذا الشأن؟

- النظام الغذائي الذي أنصح به مرضاي، والغالبية العظمى منهم من غير المسلمين، هو التحكم في كمية الطعام، ثم تجنب الأغذية والمنتجات الضارة. وبالنسبة إلى الشعوب الإسلامية، أوضح ما أنصح به من خلال العلم وأيضا من القرآن الكريم الذي تأثرت به إلى درجة قصوى، فقد نصحنا الله سبحانه وتعالى بعدم الإسراف في تناول الطعام، والإسراف هنا خطير جدا على الصحة، وعلينا أن نتذكر الآية الكريمة التي تنصحنا بعدم الإسراف في تناول الطعام: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ (الأعراف:٣١)، وهنا تبرز أهمية شرب الماء. والنصيحة الأخرى من القرآن الكريم هي أن نتناول الطيب فقط من الغذاء، وهذا ما تعلمته من قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ (البقرة:٥٧)، فمثلا الدخان نبات لكنه غير طيب وضار، فعلينا تجنبه. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الوسيلة الأخيرة لعلاج السمنة المرضية المفرطة هي جراحات مختلفة هدفها تصغير حجم المعدة؛ حتى يشعر المصابون بالشبع من كميات مناسبة، وهذا ما نصحنا به القرآن الكريم بشأن عدم الإسراف.

● ما أهم نصائحك للشباب الباحث عن النجاح والتميز؟

- أنصح من يبحثون عن التقدم والتميز بأن يكون عندهم مشروع أو حلم أو هدف، وفي سبيل تحقيقه عليهم الاستعداد لعمل شاق ورحلة لا تنتهي، وتقبل بعض النتائج غير المرضية، ومعرفة الأسباب لتلافيها في المستقبل، والإصرار المستمر على تحقيق الهدف، وتقبل النقد، والاطلاع المستمر على الجديد في مجال التخصص، وألخص بمثلنا المعروف: «من جد وجد».

٧ أسئلة «ذكية» لمقابلة عمل ناجحة

التحضير الجيد لمقابلة العمل لا يقتصر على إجاباتك الجيدة وقدرتك على الإقناع فقط، بل على أسئلتك الذكية، التي ستقدم لك لمحة عما ينتظرك، إن كان لك نصيب في الوظيفة.

موقع Business Insider، وفق ترجمة هافينغتون بوست، يقدم لك بعض اقتراحات الأسئلة التي ستضمن انطباعا جيدا في نهاية مقابلة العمل، وستكون مفيدة في الوقت نفسه للتعرف على نقاط قوة الشركة التي ستعمل بها وضعفها:

١- ما أكثر شيء يعجبك في العمل بهذه الشركة؟

بهذا السؤال سيجيبك عما يقدره أكثر في العمل، وبذلك ستعرف هل هذه التقديرات مطابقة لما لديك.

٢- كيف تطور هذا المنصب الوظيفي حتى الآن، وكيف سيتطور مستقبلا؟

وهنا ستعرف ما إذا كان المنصب الذي تقدمت لشغله وظيفة مغلقة، أم أنه منصب قابل للتطور مستقبلا.

٣- هل تستطيع أن تعطيني فكرة عن كيفية التعامل والتعاون مع مديري؟

هذه الإجابة ستوضح لك طريقة تعامل أعضاء الفريق، وتمكنك من إظهار مهاراتك المختلفة.

٤- ما أهم الأولويات في هذا المنصب؟

هذا ما سيساعدك على معرفة أهم ما يجب أن تركز عليه في بداية عملك لتعطي الانطباع الجيد المطلوب سريعا.

٥- ما تحديات هذا المنصب الوظيفي؟

سيحدثك عن الصعوبات التي قد تواجهك، وإذا لم يطرح أي صعوبات فذلك بالفعل مثير للشك!

٦- ماذا قدم الموظفون السابقون لهذا المنصب حتى نجحوا فيه؟



وبذلك ستتعرف على طريقة الشركة في تقييم أداء مهارات الأفراد وقياس نجاحهم.

٧- هل لديك أي تردد أو تساؤل عن مؤهلاتي؟

هذا السؤال يبين ما إذا كنت في أمان كاف للحديث عن نقاط ضعفك.

كيف وصلوا إلى النجاح؟

الاستفادة من تجارب الآخرين وأخطائهم من الأمور التي يجب أن يهتم بها كل رائد أعمال؛ وذلك لكي يوفر على نفسه الكثير من الوقت والمال والجهد.. كتاب «١٠٠ﻓﻲ Startup» لمؤلفه كريس كيليبو، أحد أروع الكتب التي تتحدث عن تجارب لرواد أعمال وكيف وصلوا إلى النجاح وما الدروس التي تعلموها في رحلتهم تلك.



الكتاب يركز على الأعمال التي بدأت من لا شيء «١٠٠ دولار كحد أقصى». وقد كتب المؤلف مقالا عرض فيه ٧ من مفاتيح النجاح التي وجدها مشتركة بين رواد الأعمال هؤلاء، وهي:

١- اتبع شغفك (لكن ليس دائما):

ليس كل عمل تمتلك موهبة في أدائه سيكون مشروعا رياديا ناجحا، الشغف مطلوب لكنه ليس كل شيء. تكتمل المعادلة بوجود حاجة من قبل الناس لـ «الشيء» الذي أنت شغوف به.

٢- أنت جيد في أكثر من شيء:

المقصد هنا أنه إذا كنت متميزا في عمل شيء، فمن المحتمل أنك تمتلك مهارة تجعلك تتميز في شيء آخر قريب من هذا الأول.

٣- اصنع العلاقات بجانب العمل:

مهما كانت روعة المنتج أو الخدمة التي تقدمها، لن يحقق عملك أي نجاح ما لم تكن لديك شبكة علاقات قوية.. العلاقات لا تعطيك تسويقا أقوى فحسب، بل تفتح لك فرصا لتطوير عملك ربما لن تحصل عليها بوسيلة أخرى.

٤- افشل بسرعة:

كثير من رواد الأعمال الذين ذكرت قصصهم في هذا الكتاب فشلوا كثيرا قبل أن يحققوا النجاح الذي وصلوا إليه، ساعدهم في تحقيق هذا النجاح أمران:

الأول: أنهم لم يستثمروا كل أموالهم في المشروع.

الثاني: أنهم استوعبوا الدرس، وتعلموا من أخطائهم، ثم نهضوا من جديد.

٥- انجح أولا:

حقق بعض النجاح قبل أن تتوقع أن ينضم مستثمر إليك في مشروعك، المستثمر لن يدفع مالا على لا شيء! اعمل وابدأ وسيجذب عملك المستثمرين من دون أن تتعب نفسك بالبحث.

٦- ركز على المنتج وليس على التسويق:

كما يقولون «المنتج الجيد يسوق نفسه»، المنتج أولا ثم التسويق ثانيا، كثير من الذين ذكرت قصصهم في هذا الكتاب اعتمدوا على «التسويق الشفهي»، لأنهم واثقون من قدرة منتجهم على المنافسة.

٧- ميز نفسك:

الآن لديك مشروع تعمل عليه، ولديك زبائن، وكل من يسمع عن منتجك سيبحث عنك، حاول أن تكون مميزا في هندامك وفي كلامك، اجعل لك شخصية مختلفة عن الآخرين، سيجعلك هذا تبقى في الذاكرة، وسيمنح منتجك تسويقا مجانيا، ليس المطلوب أن تنفق الكثير من المال، القليل منه يكفي.

شاب يبتكر قاربا ذكيا يكافح التلوث البحري



حصل المبتكر السعودي عبدالعزيز الشماخي، البالغ من العمر ٢٦ عاما، على جائزة مسابقة «كأس الإبداع التجاري العالمية»؛ لابتكاره قاربا ذكيا يعمل بطريقة تقنية بسيطة وغير مكلفة لكشف التلوث البحري.

ويعمل هذا القارب الذكي على الطاقة الشمسية في المناطق الساحلية والمحيطات، ويحمل على متنه مجموعة من الأدوات التقنية التي تكشف التلوث في الهواء أو تحت الماء، وذلك بهدف توفير بيانات بيئية دقيقة في وقت قياسي يدرك أهميته علماء الأبحاث البيئية.

كما زود المخترع الشماخي ابتكاره باتصالات خاصة تحت الماء، تستخدم الموجات الصوتية ونظام الملاحة الدولية (جي بي أس) وعدادا لكشف التلوث الإشعاعي، بحيث يمكنها كشف التلوث البحري أو تسرب المواد المشعة.

وكافأته إحدى المؤسسات العالمية في الدانمرك بمنحه كأس الإبداع خلال حفل أقيم في جامعة كوبنهاغن للهندسة والتصميم. وتوّج الشماخي بالجائزة مع ٢٠ شابا اختيروا من بين ٧٠٠ شاب يمثلون ٤٠ دولة في العالم.

موضوع العدد

معركة الوعي: سؤال الأخلاق



إعداد : د. عمرو عبدالكريم

لم يحظ سؤال من أسئلة الوعي الحضاري بمثل ما حظي به سؤال الأخلاق من عمق طرح، وكثافة اهتمام، وغزارة إنتاج في مختلف اللغات سواء أكانت العربية أم غيرها.

ففي السياق الغربي نجد كتبا مثل: «علم الأخلاق» لسبينوزا وكتابَي «نقد العقل» و«تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق» لكانط؛ وكتاب ماكس فيبر «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية»، وكتاب «المشكلة الأخلاقية والفلاسفة» لأندريه كريسون الذي ترجمه عبدالحليم محمود وأبوبكر ذكري عام ١٩٧٩م.

وفي السياق العربي تعددت الكتب حول الموضوع فنجد أبرزها قديما: «تهذيب الأخلاق» لمسكويه الذي يعتبر أول علماء المسلمين الذين كتبوا في علم الأخلاق حيث ركز على الأخلاق والمعاملات وتنقية شخصية الإنسان.

أما حديثا ومنذ مفتتح القرن العشرين فنجد: كتاب أحمد أمين «الأخلاق» ١٩٢٠م، وبعده بأربع سنوات يصدر زكي مبارك كتاب «الأخلاق عند الغزالي» وهو أطروحته للدكتوراه من الجامعة المصرية.

وفي سنة ١٩٤٠م يصدر محمد يوسف موسى كتاب «تاريخ الأخلاق»، ثم يقدم محمد عبدالله دراز أطروحته المتميزة للدكتوراه في جامعة السوربون «دستور الأخلاق في القرآن» (١٩٤٧م)، وفي هذا الكتاب يمكن القول أن دراز رحمه الله وضع ما يمكن أن نسميه: علم الأخلاق في القرآن الكريم.

ويكتب المودودي كتابه: «الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية» وهو خطبة ألقاها في مؤتمر بباكستان عام ١٩٤٥م، وأكد فيها على أهمية الأخلاق في تأسيس وإرشاد الدعوة الإسلامية، ويكتب أستاذنا الراحل الكبير صاحب موسوعة تحرير المرأة في عصر الرسالة الأستاذ عبدالحليم أبوشقة «خواطر حول أزمة الخلق المسلم المعاصر» في مجلة المسلم المعاصر ١٩٧٥م. وفي عام ١٩٧٨م يصدر ماجد فخري كتاب «الفكر الأخلاقي العربي».

ولا يكف نهر المكتبة العربية عن الجريان بعناوين عن سؤال الأخلاق: تأصيلا ومجالا وحدودا ومآلا.

وفي السنوات الأخيرة كان المفكر الكبير الدكتور طه عبدالرحمن أهم من تبنى «سؤال الأخلاق» ضمن مشروعه الفكري، ولقد هيمن السؤال على مشروعه حتى وسم به، فأطلق عليه: فيلسوف الأخلاق، وكتب فيه أبرز كتبه: سؤال الأخلاق عام ٢٠٠٠م.

يتجاوز سؤال الأخلاق عند طه كونه مبحثا فلسفيا في السلوك الإنساني إلى كون الأخلاق عنوان الإنسان وجوهر الدين وحقيقته، ولهذا تعد «الأخلاق» المدخل الرئيس لفهم مشروعه كله، فالأخلاق ليست فقط ضبطا للعلاقة بالآخر، بل هي علاقة بالذات، وعلاقة بالخالق، وعلاقة بالكون والتاريخ، حيث يرى طه أن الخاصية التي تميز الإنسان هي «الأخلاقية» وليس العقل ولا الضمير. فيجعل بذلك العقل تابعا للأخلاق لا سيدا عليها، ويؤكد أن الأخلاق منبعها الدين الذي يمنح للأخلاق خواص الإنسانية والمعنوية و«الغيبية» التي تغيب في الفلسفة التي تجعل الأخلاق منبعها الإنسان، حيث يرى طه أن إيمانويل كانط في «نقد العقل الخالص» قد علمن الأخلاق، عندما فصلها عن الدين.

يقول طه: نحن نمارس اليوم باستمرار في مجالنا وفي حياتنا علمنة الأخلاق، فمفهوم «التضامن» مفهوم أخلاقي ديني ولكن الأصل فيه هو «الإحسان» عند المسيحيين و«التراحم» عند المسلمين. فمبدأ

التراحم أدخلت عليه الصفة العقلية، فألبس اللباس العقلي ليصبح هو «التضامن».

حضارة ظالمة

وفي كتابه «سؤال الأخلاق» انتقد الحضارة الغربية ووجد أن حركيتها لا تنضبط بأخلاق؛ فهي حضارة ظالمة ناقصة متأزمة متسلطة، كما أن حداثتها نبذت الدين والأخلاق من منظومتها الفكرية. وعقلانية تلك الحضارة غيبت الأخلاق في العلم ولم تهضم حقيقة الغيب؛ فصارت المعارف بدون مقاصد. وبهذه العقلانية استنجد أهل الحداثة من المفكرين العرب، واتخذوها آلية للنهوض بواقعهم في عالمهم الإسلامي.

يرى طه أن: إنسان اليوم، أو «إنسان الساعة» كما يصفه أصبح بلا وجهة وبلا قبلة يولي وجهه شطرها، وهذا واقع يشكل تحديا أخلاقيا عالميا، ينبغي للإنسانية جمعاء أن تنهض للتصدي له، من خلال أمرين اثنين: أولهما أن نضاهي الآخرين في ما يملكون من أسباب العقل، من غير أن نقع في الأهواء التي وقعوا فيها بسبب فقدهم الوجهة؛ والثاني أن نضطرهم إلى ما نملك من القيم بإظهار قدرتها على التوجيه، مع حفظ اشتراكنا معهم في القيم المهذبة التي يأخذون بها.

ويعتبر كتاب «سؤال الأخلاق» هو الآلية المنهجية المعتبرة في نقد أسس الحداثة الغربية، وتجلياتها المعرفية والأخلاقية، وهو نقض يستهدف تقويض دعائم الفكر الغربي المادي، المؤسس على قطع الصلة بين الروح والمادة، وفي هذا الإطار يقول طه: «لقد اشتغلنا في كتابنا: سؤال الأخلاق، بنقد الحداثة الغربية، وأهمتنا في هذا النقد على الخصوص ممارساتها القولية والعقلية والمعرفية، فانبرينا لها نكشف عن الآفات الأخلاقية التي دخلت عليها (...) وقد بلغ تعلق هؤلاء النقاد بالحداثة الغربية أن توهموا أنها واقع لا يزول، وحتمية لا تحول، وأنها نافعة لا ضرر فيها، وكاملة لا نقص معها، فحجبهم هذا التعلق عن أن يتبينوا آفاتها الأخلاقية، ونقائصها القيمية».

الروحي والمادي

لقد عمل طه على تأسيس «حداثة ذات توجه معنوي بديلة عن الحداثة ذات التوجه المادي التي يعرفها المجتمع الغربي»، ومن أجل ذلك شحذ أدواته المنهجية النقدية، لإرجاع هذه العلاقة بين المعنوي (الروحي) والمادي، وتجاوز ذلك إلى نقد وتقويم النظريات الأخلاقية الفلسفية لدى كبار فلاسفة الغرب المعاصرين.

يقول طه: «وقد جعلنا من الجمع بين الأخلاق والدين أصل الأصول الذي بنينا عليه، في الكتاب الذي بين يديك، مساهمتنا النقدية للحداثة الغربية. ولا يخفى علينا ما قد يثيره بناء هذا النقد على الأخلاق الدينية من مشاعر الاستنكار في نفوس المقلدة من المفكرين «الحداثيين» العرب، ولو أنهم رجعوا إلى أنفسهم لوجدوا أنهم يبيحون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم، فإذا جاز عندهم أن ينتقدوا الديني بواسطة ما هو لاديني، فلم لا يجوز عند سواهم أن ينتقدوا اللاديني بواسطة ما هو ديني.! وإذا جاز عندهم أن ينتقدوا الأخلاق الإسلامية بواسطة الحداثة العلمانية، فلم لا يجوز عند سواهم أن ينتقدوا الحداثة العلمانية بواسطة الأخلاق الإسلامية، فلابد إذن من طلب أخلاقيات تنأى عن السطح الذي وقفت عنده الحداثة وتغوص في أعماق الحياة وأعماق الإنسان، فلا أعمق من حياة تمتد من عاجلها الى آجلها ولا أعمق من إنسان يتصل ظاهره بباطنه».

سؤال الأخلاق من أهم أسئلة الوعي الحضاري إلحاحا، فلا وعي بدون أخلاق، ولا أخلاق بدون مرجعية دينية وأصل سماوي، حتى إن الخطاب النبوي لخص الهدف من بعثته ﷺ فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (السلسلة الصحيحة للألباني). أي إن الغرض من بعثته هو إتمام الأخلاق، والعمل على تقويمها، وإشاعة مكارمها، بل إن الهدف من كل الرسالات هدف أخلاقي، والدين نفسه هو حسن الخلق. لذا كان وصف الله سبحانه لرسوله في محكم التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

وكانت السيرة النبوية نبراسا هاديا في التحقق بمكارم الأخلاق والتأكيد عليها، فيكرم النبي ﷺ بنت حاتم الطائي لأن أباها كان يكرم الضيفان، والكرم من أهم أخلاق العرب الأساسية، ويتذكر النبي ﷺ جميل صنع المطعم بن عدي عندما دخل مكة في جواره بعد عودته من الطائف، فيقول بعد غزوة بدر: لو كان المطعم حيا وكلمني في هؤلاء الأسرى لتركتهم له، عرفانا بفضله رغم أن المطعم مات ولم يسلم.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

تأتي كلمة الحضارة في اللغة على عدة معان:

أ- يقال: حضر يحضر حضورا وحضارة: ضد الغياب.

ب- يقال: حكمت فلانا بحضرة فلان: أي بوجوده، كما يقال: كنا بحضرة ماء: أي عنده.

ج- يشيع اليوم لفلان حضور متميز: أي وجود متميز.

كما يقال: رجل حاضر وقوم حضور وحضر: ضد الغياب.

د- الحضارة: الإقامة في الحضر أي المدن. وقد أنشد القطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته
فأي رجال بادية ترانا

كما أنشد أبوالطيب:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب



يقول محمد عزيز الحبابي:

والحضارة تراث مشترك يجمع بين جميع الشعوب، قديمها وحديثها، وإنها إرث إنساني، في نمو لا ينقطع، مثل بحر زاخر بالمياه والأمواج، وله روافد عديدة تصب فيه على الدوام، تلك الروافد هي الثقافات القومية.

من كتاب «نحن والحضارة والشهود» للدكتور نعمان عبدالرزاق السامرائي.

مقولات في الوعي الحضاري

«اتباع التقاليد لا يعني أن الأموات أحياء، بل أن الأحياء أموات».

ابن خلدون

«إن المعجزات الكبرى في التاريخ مرتبطة دائما بالأفكار الدافعة».

مالك بن نبي

مزية الإنسان هي عقله، وإرادته الحرة الواعية، وقدرته على التمييز والتحرر من البرمجة التلقائية.

إبراهيم البليهي

التدوين التاريخي عند العرب

د. سالم أحمد محل

قطر (الدوحة) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كتاب الأمة ١٩٩٧م

يمثل هذا الكتاب أنموذجا من نماذج الكتابات والدراسات التاريخية القليلة الحديثة التي سعت إلى تسليط الضوء على الواقع التاريخي من زاوية حضارية، وهو منهج جديد قلما نعثر عليه في كتب الأقدمين، التي كانت تحرص على تأريخ وتناول الأحداث التاريخية من زاوية سياسية.

ولقد بدأ المنظور السياسي في التفسير التاريخي يتنحى عن مكانته إلى حد ما، تاركا المجال مفتوحا للنظرة الحضارية الجديدة، وتفاسيرها التي بدت أقرب إلى الحقائق من التفاسير السياسية.

ولقد شهد القرن الثامن عشر الميلادي ميلاد هذه التوجهات الجديدة في أوروبا، فقد وجد بعض الدارسين الأوروبيين أن التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، لا يعدو أن يكون تواريخ لملوك أوروبا وحروبهم، ومنازعاتهم، وتحالفاتهم، ومعاهداتهم.

إذ إن الأخبار السياسية وأخبار الحروب في نظر أصحاب هذا الرأي، لا تفصح عن العقل الإنساني خلال العصور.

وفي التصور الإسلامي نجد أن القرآن هو مصدر المعرفة التاريخية، ومصدر الوعي التاريخي في وقت واحد، خاصة أنه طلب التوغل في التاريخ، ودعا إلى السير في الأرض، ولفت النظر إلى أهمية الاعتبار بأحوال الأمم السابقة، وأتى على نماذج منها؛ مما دفع الإنسان المسلم للبحث والتنقيب التاريخي؛ لمعرفة هذه الأحوال، والخروج من عهدة التكليف الشرعي بتحقيق العظة والعبرة والوقاية الحضارية، حتى لقد جعلت المعرفة التاريخية ومسالك الأنبياء مع أقوامهم مصدر تبين واهتداء، ومنهج اقتداء للموحى إليه فيقول الله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام:٩٠)، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥). ولئن كانت هذه المحركات للنزوع التاريخي، بالنسبة للموحى إليه، المستغني عنها بالوحي، فهي بالنسبة للمسلم المسترشد بالوحي - بعد توقفه - أشد لزوما.

ولم يقتصر القرآن على ذكر الحدث التاريخي، أو القصة التاريخية وتسجيلها كما وردت، وهذا يمثل نصف الطريق في البحث التاريخي، وإنما تجاوزها إلى التقويم والنقد، أو التفسير التاريخي في ضوء السنن الفاعلة في الحياة والقيم المعيارية الموحى بها؛ ليمتلك المسلم الأبجدية المطلوبة لقراءة التاريخ وتفسيره، فلا يضل ولا يشقى، فيذهب إلى التاريخ بلا معيار، ويعجز عن العودة للتعامل مع الحاضر.

ويمكن القول: إن عملية النقد والتقويم والمراجعة - على حد تعبير المؤلف - كانت تسير في القرآن جنبا إلى جنب مع تسجيل الحدث التاريخي؛ مما يوحي بأن النقد والتقويم التاريخي يعد جزءا من صناعة التاريخ أو البناء التاريخي.

وينقسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة فصول.

الفصل الأول: الوعي التاريخي عند العرب وفيه:

أ- مرحلة ما قبل الإسلام وغياب الوعي التاريخي:

وتميز بما يلي: تأخر الوعي التاريخي والتحضر في منطقة نجد والحجاز؛ لأسباب، منها: البيئة الصحراوية القاسية في نجد والحجاز وعدم وجود دولة واحدة تضم العرب وتوحدهم قبل الإسلام، وغياب الوحدة الدينية والسياسية.

ب- عصر الرسالة، وظهور الوعي التاريخي:

حيث يعد ظهور الإسلام منعطفا خطيرا في حياة العرب، فقد غير مسار حياتهم، وأسس تفكيرهم، واستبدل بعقائدهم المنحرفة الضالة عقيدة واضحة، فكون بذلك القاعدة الفكرية اللازمة لتوحدهم بعد حياة التبعثر والشتات، التي كانوا يعيشونها في ظل القبلية، وما فرضته طبيعتها عليهم من مخاصمات وحروب ودماء.

وبقدر تعلق الأمر بالوعي التاريخي، فإن القرآن الكريم قد استفز العقل العربي في عدد من المحاور كانت المشكاة التي أضاءت الطريق لمسيرة علم التاريخ العربي الإسلامي.

الفصل الثاني: نشأة التدوين التاريخي، والمنظور الحضاري

فقد كان القرآن الكريم المحفز لدراسة التاريخ العربي القديم إلى جانب التاريخ العام، في حين كان الحديث النبوي الشريف المحفز للاهتمام بجمع وتدوين التاريخ الإسلامي.

الفصل الثالث: في التدوين التاريخي عند ابن خلدون.. وفي هذا المحور حاول الكاتب أن يقف عند مصطلح فلسفة التاريخ من حيث المنشأ والذيوع؛ إذ يعد ابن خلدون منشئ فلسفة التاريخ على صعيد الفكر الإنساني، بدراسة العمران؛ حيث قال: إن الأمم تقوم على ركائز أو شروط حضارية، إن اختفى شرط منها، انتقلت إلى مرحلة البداوة، وإذا تمسكت بزمام الحضارة، عادت إلى عزتها وعظمتها، وهكذا دواليك.

والخلاصة: إن هذه الدراسة تمثل نبعا وإنتاجا تاريخيا رصينا، حاول من خلالها الكاتب أن يسلط الضوء على الفكر التاريخي الإسلامي.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

الاستثمار في الوقف

الخلاصة الحكمية

١- يقصد باستثمار أموال الوقف تنمية الأموال الوقفية سواء أكانت أصولا أم ريعا بوسائل استثمارية مباحة شرعا.

٢- الأصل عدم جواز استثمار جزء من الريع إذا أطلق الواقف ولم يشترط استثماره إلا بموافقة المستحقين في الوقف الذري.

٣- وقف النقود جائز شرعا، لأن المقصد الشرعي من الوقف وهو حبس الأصل وتسبيل المنفعة متحقق فيها؛ ولأن النقود لا تتعين بالتعيين وإنما تقوم أبدالها مقامها.

٤- لا مانع مبدئيا من الناحية الشرعية من إجراء عقد مرابحة بين الوقفين (الوقف المحتاج للبناء والوقف الآخر الممول) وذلك بأن يقوم الوقف الممول بتقديم المواد بربح على التكلفة.

■ القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا **الموضوع:**

● **أولا:** قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ١٤٠ (١٥/٦) المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عمان) ١٤ - ١٩ المحرم ١٤٢٥هـ، الموافق ٦ - ١١ آذار (مارس) ٢٠٠٤م.

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: الاستثمار في الوقف وفي غلاته وريعه، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، وبالرجوع إلى قرارات وتوصيات الندوات والمؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض؛ قرر ما يلي:

أولا: استثمار أموال الوقف:

١- يقصد باستثمار أموال الوقف تنمية الأموال الوقفية سواء أكانت أصولا أم ريعا بوسائل استثمارية مباحة شرعا.

٢- يتعين المحافظة على الموقوف بما يحقق بقاء عينه ودوام نفعه.

٣- يجب استثمار الأصول الوقفية سواء أكانت عقارات أم منقولات ما لم تكن موقوفة للانتفاع المباشر بأعيانها.

٤- يعمل بشرط الواقف إذا اشترط تنمية أصل الوقف بجزء من ريعه، ولا يعد ذلك منافيا لمقتضى الوقف، ويعمل بشرطه كذلك إذا اشترط صرف جميع الريع في مصارفه، فلا يؤخذ منه شيء لتنمية الأصل.

٥- الأصل عدم جواز استثمار جزء من الريع إذا أطلق الواقف ولم يشترط استثماره إلا بموافقة المستحقين في الوقف الذري. أما في الوقف الخيري فيجوز استثمار جزء من ريعه في تنمية الأصل للمصلحة الراجحة بالضوابط المنصوص عليها لاحقا.

٦- يجوز استثمار الفائض من الريع في تنمية الأصل أو في تنمية الريع، وذلك بعد توزيع الريع على المستحقين وحسم النفقات والمخصصات، كما يجوز استثمار الأموال المتجمعة من الريع التي تأخر صرفها.

٧- يجوز استثمار المخصصات المتجمعة من الريع للصيانة وإعادة الإعمار ولغيرها من الأغراض المشروعة الأخرى.

٨- لا مانع شرعا من استثمار أموال الأوقاف المختلفة في وعاء استثماري واحد بما لا يخالف شرط الواقف، على أن يحافظ على الذمم المستحقة للأوقاف عليها.

٩- يجب عند استثمار أموال الوقف مراعاة الضوابط الآتية:

أ- أن تكون صيغ الاستثمار مشروعة وفي مجال مشروع.

ب- مراعاة تنوع مجالات الاستثمار لتقليل المخاطر وأخذ الضمانات والكفالات، وتوثيق العقود، والقيام بدراسات الجدوى الاقتصادية اللازمة للمشروعات الاستثمارية.

ج- اختيار وسائل الاستثمار الأكثر أمانا وتجنب الاستثمارات ذات المخاطر العالية بما يقتضيه العرف التجاري والاستثماري.

د- ينبغي استثمار أموال الوقف بالصيغ المشروعة الملائمة لنوع المال الموقوف بما يحقق مصلحة الوقف وبما يحافظ على الأصل الموقوف، ومصالح الموقوف عليهم. وعلى هذا، فإذا كانت الأصول الموقوفة أعيانا فإن استثمارها يكون بما لا يؤدي إلى زوال ملكيتها، وإن كانت نقودا فيمكن أن تستثمر بجميع وسائل الاستثمار المشروعة كالمضاربة والمرابحة والاستصناع...الخ.

هـ- الإفصاح دوريا عن عمليات الاستثمار ونشر المعلومات والإعلان عنها حسب الأعراف الجارية في هذا الشأن.

ثانيا: وقف النقود

١- وقف النقود جائز شرعا، لأن

المقصد الشرعي من الوقف وهو حبس الأصل وتسبيل المنفعة متحقق فيها؛ ولأن النقود لا تتعين بالتعيين وإنما تقوم أبدالها مقامها.

٢- يجوز وقف النقود للقرض الحسن، وللاستثمار إما بطريق مباشر، أو بمشاركة عدد من الواقفين في صندوق واحد، أو عن طريق إصدار أسهم نقدية وقفية تشجيعا على الوقف، وتحقيقا للمشاركة الجماعية فيه.

٣- إذا استثمر المال النقدي الموقوف في أعيان كأن يشتري الناظر به عقارا أو يستصنع به مصنوعا، فإن تلك الأصول والأعيان لا تكون وقفا بعينها مكان النقد، بل يجوز بيعها لاستمرار الاستثمار، ويكون الوقف هو أصل المبلغ النقدي.

ويوصي بما يأتي:

١- دعوة الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي، والمجتمعات الإسلامية في الدول غير الإسلامية إلى المحافظة على الوقف ورعايته والعناية به، وعدم الاعتداء عليه، وإحياء بعض أنواع الوقف، مثل الوقف الذري الذي قامت بإلغائه بعض التشريعات العربية والإسلامية.

٢- دعوة الدول العربية والإسلامية والهيئات والمؤسسات المعنية بشؤون الأوقاف، وكذلك المنظمات العالمية المتخصصة إلى تحمل مسؤوليتها نحو الأوقاف في فلسطين بصورة عامة، وفي القدس الشريف بصورة خاصة، وحمايتها وبذل الجهود للحفاظ على معالمها، والدعوة إلى تنميتها لتتمكن من تحقيق أهدافها وأداء رسالتها.

٣- دعوة الحكومات الإسلامية لتحمل بعض مصروفات إدارة الوقف ما أمكن ذلك من باب المصلحة العامة، ولأنها المسؤولة عن رعاية مصالح العباد والبلاد.

٤- دعوة الهيئات المتخصصة لوضع معايير شرعية ومحاسبية للتدقيق الشرعي والمالي والإداري في أعمال الناظر، سواء أكان فردا أم جماعة أم مؤسسة أم وزارة. وينبغي أن تخضع إدارة الوقف لقواعد الرقابة الشرعية والإدارية والمالية والمحاسبية.

٥- ضرورة وضع ضوابط معيارية لنفقات الوقف سواء أكانت تسويقية أم إعلامية أم إدارية أم أجورا أم مكافآت لتكون مرجعا عند الرقابة والتفتيش وتقويم الأداء.

٦- الدعوة لإحياء نظام الوقف بجميع أنواعه التي كان لها دور عظيم في الحضارة الإسلامية وفي التنمية البشرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية.

٧- الاستفادة من التجارب الرائدة في إدارة الوقف وحمايته وتنميته في بعض الدول العربية والإسلامية.

٨- ضرورة إعطاء الأولوية في استثمارات الأوقاف للبلاد الإسلامية.

انتهى القرار.

● **التعليق**

ربما يتصور البعض أن الهدف من الاستثمار هو الحصول على العائد أو الغلة فقط، إلا أنه في الحقيقة يسبق ذلك هدف أكثر أهمية، وهو المحافظة على الأصل الذي يدر هذا العائد، وهذا ما يقول به الكتاب المعاصرون في مجال الاستثمار ومن ذلك ما بينه د. حسني أحمد توفيق في كتابه: «التمويل والإدارة المالية» من أنه عندما ننشئ مشروعا، ونجمع له الأموال اللازمة؛ فإننا نطلق على هذه العملية عملية استثمار؛ فالمطلوب أولا المحافظة على الأموال المستثمرة، وفضلا عن ذلك فإن أصحاب الأموال المستثمرة يتوقعون تعويضا عن استخدام هذه الأموال يطلق عليه الدخل الذي تدره هذه المشروعات.

● **ثانيا:** عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٧/ص١٤٩/ف٢٠٨٤)؛ في موضوع «عقد المرابحة بين الوقفين»؛ ما نصه:

يرجى التكرم بالموافقة على عرض صورة الأسئلة التالية على لجنة الفتوى لإصدار فتوى مكتوبة بذلك.

١- هناك وقف له أرض فضاء وبناء قديم متهالك وإيراده متدن، ولا يوجد في رصيده أي مبلغ، فهل يجوز أن يستدين هذا الوقف من موفور ريع وقف آخر لإنشاء بناية استثمارية على أرضه على أن يتم تسديد هذا الدين للوقف الدائن مستقبلا من إيراد الوقف المدين (قرض حسن أو بالمرابحة).

٢- الصورة الثانية كما هو الحال في الأولى ولكن الاستعانة تكون بممول تجاري لتمويل مشروع البناء بطريق المرابحة على أن يتم التسديد عن طريق جزء من ريع العقار مستقبلا.

فأجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع مبدئيا من الناحية الشرعية من إجراء عقد مرابحة بين الوقفين (الوقف المحتاج للبناء والوقف الآخر الممول) وذلك بأن يقوم الوقف الممول بتقديم المواد بربح على التكلفة، وذلك بعد شراء المواد وتحديد تكلفتها والربح وأجل السداد، نظرا إلى أن ذمة كل من الوقفين مستقلة ولكل منهما شخصية اعتبارية مستقلة.

ويمكن أن تتم مقاولة شاملة للمواد والبناء على أساس عقد الاستصناع بمقابل يراعى فيه حصول الربح المطلوب، ثم يتم الاتفاق بين الوقف الممول وبين مقاول يقوم بتنفيذ العمل وتقديم المواد بعد ذلك بسعر حاضر أقل، وتكون علاقتان تعاقديتان إحداهما بين الوقفين والأخرى بين الوقف والممول وبين مقاول خارجي، ويبقى الوقف الممول مسؤولا وحده مباشرة قبل الوقف الآخر، وهذه الإجابة مبدئية وسوف تقوم اللجنة بإصدار الفتوى النهائية بخصوص ذلك بعد اطلاعها على العقود والإجراءات المزمع إعدادها قبل إبرامها للتأكد من حقيقة شرعية المعاملة. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

إعداد : تركي النصر

ملجأ الأنبياء

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «... ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح».

(الجواب الكافي، ١/٧)

الصمت خير

قال حكيم: «لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب». وقال: «مقتل الرجل بين لحييه وفكيه».

(البيان والتبيين للجاحظ، ١/١٩٤)

آفة العمل بغير علم

قال العلامة محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: «إن قوما تركوا طلب العلم ومجالسة العلماء، وأخذوا في الصلاة والصيام حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، ثم خالفوا السنة فهلكوا، وسفكوا دماء المسلمين، فوالذي لا إله غيره، ما عمل أحد عملا على جهل إلا كان يفسد أكثر مما يصلح».

(الاستذكار لابن عبدالبر، ٨/٦١٦)

اللسان والنفس

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن اللسان لا يسكت البتة، فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولابد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل».

(الوابل الصيب، ص:١٩٨)

٣.سر الصلاة

«سر الصلاة وروحها ولبها، هو إقبال العبد على الله بكليته فيها، فكما أنه لا ينبغي أن يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها فيها؛ فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربه إلى غيره فيها، بل يجعل الكعبة قبلة وجهه وبدنه، ورب البيت قبلة قلبه وروحه، وعلى حسب إقبال العبد على الله في صلاته يكون إقبال الله عليه، وإذا أعرض أعرض الله عنه، كما تدين تدان».

(المفاتيح الذهبية للسعادة الأبدية للعويضي، ص:٤٥)

الحزن حزنان

قال إبراهيم بن أدهم: «الحزن حزنان؛ حزن لك وحزن عليك، فالحزن الذي هو لك: حزنك على الآخرة وخيرها، والحزن الذي هو عليك: حزنك على الدنيا وزينتها».

(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠/١٥٩).

التأدب بالقرآن

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن كل مؤدب يجب أن يؤخذ بأدبه، وإن أدب الله هو القرآن، ولولا ما جبلت عليه النفوس من ارتياحها إلى أنواع تختلف، واسترواحها إلى فنون تستطرف لكان كتاب الله تعالى كافيا، وذكر غيره مستهجنا».

(الأمثال والحكم للماوردي، ص:٤٨).

البليغ

قيل لبعضهم: من البليغ؟ فقالوا: «من أخذ معاني كثيرة فأداها بألفاظ قليلة، أو أخذ معاني قليلة فولد منها ألفاظا كثيرة».

(لباب الألباب لابن منقذ، ٧٤)

قوة في لين

قال الحسن البصري رحمه الله: «مكارم الأخلاق للمؤمن قوة في لين، وحزم في دين، وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق وبر في استقامة».

(بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/١٣١)

كتمان السر

اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح وأدوم أحوال الصلاح، فإن سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره. وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، كن جوادا بالمال في موضع الحق، ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر، ومن كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه.

(أدب الدنيا والدين، ص:٢٩٥)

خلال المكارم عشر

قالت عائشة رضي الله عنها: «خلال المكارم عشر، قد تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحب: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن كلهن الحياء».

(بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/١٣١)

من روائع الحكم

- من فعل الخير فبنفسه بدا، ومن فعل الشر فعلى نفسه جنى.
- من أبصر عيبه لم يعب أحدا، ومن عمي عنه لم يرشد أبدا.
- من لم يكن له من نفسه زاجر، لم تنفعه الزواجر.
- من ظلم يتيما ظلم أولاده، ومن أفسد أمره أفسد معاده.
- من أحب نفسه اجتنب الآثام، ومن أحب ولده رحم الأيتام.
- من بخل على نفسه لم يتصل به تأميل، ومن أساء إلى نفسه لم يتوقع منه جميل.
- من زرع خيرا حصد أجرا، ومن اصطنع حرا استفاد شكرا.
- من سالم الناس ربح السلامة، ومن تعدى عليهم كسب الندامة.

(الأمثال والحكم للماوردي، ص:٦١)

موعظة والد لولده

كتب عمر بن الخطاب لابنه عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- في غيبة غابها: «أما بعد؛ فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن اقترضه جزاه؛ فاجعل التقوى عمارة قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له».

(العقد الفريد، ٣/١٠٠).

إعداد: التحرير

قبورنا حين تبنى قبل موتنا

لماذا عندما تتقدم السن بنا –نحن العرب– يخبو أوار كل شيء، ويخفت وهج حياتنا وذوقنا وتعلمنا ونظافتنا وأدبنا وأملنا وتفاؤلنا واهتمامنا بأنفسنا، في الوقت الذي غيرنا حياتهم تتوقد مع تقادم السنين، وتتوهج مع مرور الأيام، فيزداد أملهم، ويكثر تفاؤلهم، وتتوسع مداركهم وآفاقهم وهامش تحصيل العلوم في حياتهم، ليبقوا بهذا الفهم، الذي عاشوه شبابا، يتفجرون من خلاله طاقة وقوة وقدرة؟!

في الغرب عندما يتقدم الإنسان في السن تظهر عليه ملامح الرفاه والارتياح، فقد تحرر من الكثير من الالتزامات، وتفرغ لهواياته وسعادته. في المقابل، وبحسب ما قاله الكاتب عبدالله المغلوث، يذوي إنساننا العربي عندما يكبر؛ تصيبه الأمراض الواحد تلو الآخر إثر جلوسه وإحباطه، ينتظر الموت أن يلتقطه في أي لحظة.

الإقبال على الحياة يسعد الإنسان وينعكس على أدائه وعمله. ألم يقل سيد الخلق عليه الصلاة والسلام: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»؟!

من منا لا يعرف الأسكتلندي جيمس ميرليس (٧٣ عاما)، الدكتور الحائز جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٩٦؟

كان سعيدا جدا وهو يمطر المذيع بكلمات صينية تعلمها للتو. لدى ميرليس شهية مفتوحة لالتهام المزيد من الكتب واللغات رغم آلام عينيه الطفيفة. جدوله اليومي مزدحم بالفعاليات والأنشطة والفواكه. يبدأ يومه في الساعة السادسة صباحا بالتهام صحيفة وتفاحة، ثم ينخرط في قراءة ما تيسر من كتاب قبل أن يذهب إلى الجامعة. عصرا يذهب إلى المعهد لتعلم اللغة الصينية، ومساء يزاول الرياضة وتصفح بريده الإلكتروني. قبل أن يخلد إلى النوم يتناول موزة وكتابا، يقول: «كلما كان يومي متخما ازدادت بشرتي نصاعة، وابتسامتي اتساعا». يحلم ميرليس بأن يتعلم الصينية والألمانية والكثير من المهارات التقنية المتسارعة، مستحضرا كلمات الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بايكون: «الشيخوخة في الروح وليست في الجسد».

● **مروان المخلافي**

فن الفسيفساء

مر تطور فن الفسيفساء بمراحل عديدة حتى بلغ قمته في العصر الإسلامي، وهو يعطينا خلفية واضحة عن تجليات الحضارة الإسلامية في عصورها المزدهرة، ذلك الفن الذي اهتم بتفاصيل الأشياء والخوض في تلافيف أعماقها، نافذا من خلال المواد الجامدة إلى معنى الحياة. إنه فن التلاحم والتشابك الذي عبر في دلالاته عن أحوال أمة ذات حضارة قادت العالم إلى آفاق غير مسبوقة من العلم والمعرفة. واستطاع الفنان المسلم بأدواته الخلاقة أن يترجم لنا فلسفة هذه الحضارة في ألوان متعددة من الفنون الجمالية الراقية، التي يقف فن الفسيفساء في قمة هرمها، متربعا على عرش الصورة الفنية المتكاملة، عبر قطع مكعبة الشكل لا يتعدى حجمها سنتيمترات من الرخام أو الزجاج أو القرميد أو البلور أو الصدف، وهو حجر ناطق يروي حكايات الماضي العتيق.. حكايات صاغتها أيدي الصناع المهرة على الجدر والقباب والأرضيات.. وغيرها، فروت ماضيهم، وكيف أن إبداعهم تجاوز حدوده وأنطق الحجر، فجمّل المساجد والقصور.

الفسيفساء هو فن العصور الإسلامية بامتياز، وقد أبدع فيه المسلمون، فطوروه، وصنعوا منه أشكالا رائعة في المساجد من خلال المآذن والقباب، وفي القصور والنوافير والأحواض المائية... إلخ، حيث نرى انسجاما لا مثيل له بين الرغبة الإنسانية التي تسعى إلى بلوغ الجمال وتحقيقه في جميع أوجه الحياة، مع احتفاظها بخصوصية المنهج والفكر، فراح الفنان المسلم يزين جوامعه ومساجده ويعطي بعدا آخر لحياته الإيمانية، ويرسم أبعادا لطرق معيشته في بيته وشارعه، من خلال اهتمامه بأدق التفاصيل المكونة للبناء والأثاث بالكيفية التي تجعلها في أفضل صورها، ماديا ومعنويا.

والفسيفساء كلمة قديمة ومعروفة الآن باسم «الموزاييك»،

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

التجديد فريضة إسلامية

التجديد عكس الجمود. ولا يتحقق التجديد إلا من خلال الاجتهاد، ذلك أن القرآن، فيما يختص بالتشريع، لا يحتوي إلا على أصول أولية، وقوانين كلية، تاركا الجزئيات لأهل الاجتهاد، يستنبطونها على حسب الزمان والمكان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا من الإعجاز العلمي والعملي للقرآن والسنة أنهما صالحان لكل زمان ومكان.

والتجديد هو مسايرة تطورات العصر، وليس إعادة قديم كان، وإنما هو اهتداء إلى جديد بعد أن لم يكن، سواء كان الاهتداء إلى هذا الجديد بطريق الأخذ من قديم كان موجودا، أو بطريق الاجتهاد في استخراج هذا الجديد بعد أن لم يكن. والتجديد في الدين لا يعني تغيير أسسه، أو التصرف في أحكامه، فتجديد شيء ما لا يعني إزالته، واستحداث شيء آخر مكانه، أو محو معالمه.

وتشمل عملية تجديد الدين في الإسلام جوانب متعددة، منها الجانب الفكري والجانب الفقهي والجانب الروحي، ولكنها لا تتجاوز دائرة القطعيات التي فصل فيها الإسلام. والإسلام هو الدين الوحيد الذي أقر بضرورة التجديد، وعدّه سنة من سنن الله الدائمة على مر القرون؛ لكون الإسلام هو خاتم الرسالات، وحتى يكون صالحا لكل زمان ومكان. فالتجديد هو المحرّك الذي يبعث في الدين روح الحياة العصرية. والتاريخ خير شاهد على العلاقةِ الوثيقة بين التجديد وحيوية الإسلام، والجمود من أعظم أسباب انزواء الإسلام وانحصاره.

• **رسمي عجلان**

غزة

عمي أبوها / عمها أبتي
أنفاسها تنساب في شفتي
لهبا يضم دخان أوردتي
وبعيدة عنى - كأمنيتي
رغم الحصار من الجهات الأربع
سيظل صوتك واصلا في أضلعي
يا صرخة الجوعى على شظف الحدود
قلبي وقود
قدمي تسير إلى مقامع من حديد
ويدي تصفق للضلال الألمعي
ولسان حالي شفّه
الهذيان داخل قوقعي
لا تسمعوا لنصائح المرضى القعود
إذ هم رقود
شعب تحاصره فيالق بلقع
والمترفون على حرير المضجع
ورثوا الخلافة والخلود
والملك والعيش الرغيد!

• **شعــر/ عادل حماد سليم**

بين الطالب والأستاذ

من المسلمات التي لا تحتاج إلى أن نبذل جهدا كبيرا للتدليل على صحتها، القول إن المعلم يقف دائما في مقدمة العمل التربوي من حيث قيادته له، وبالتالي يقف -أو هكذا ينبغي- موقف الصدارة في المجتمع الكبير، حيث إن العمل التربوي -وهكذا ينبغي أيضا- هو القاعدة الأساسية للسلوك الاجتماعي بمعناه الواسع الذي يجعله يشمل مختلف أنشطة الإنسان في المجتمع. ومن هنا كانت عناية مفكري التربية وفلاسفتها بمناقشة دور المعلم ووظائفه بالنسبة إلى العلم والمجتمع، وما هي أحسن السبل لإعداده وتربيته.. إلى غير ذلك من الجوانب والقضايا. ومن هنا أيضا كانت عناية التربية الإسلامية بإبراز مكانة المعلم، والمسؤوليات التي ينبغي أن يضطلع بها حتى يمكن أن يقوم بدوره في بناء الإنسان المسلم.

• **د. سعيد إسماعيل علي**

وهو فن يعتمد على تجميع قطع صغيرة من البلاط القيشاني والزجاج بأحجام مختلفة وألوان متعددة لتكوين تصميم جداري، كما يمكن أن تكون عبارة عن قطع صغيرة من الأحجار والرخام والجرانيت والبلور والخزف والأصداف والأخشاب.. تستخدم في تكسية واجهات المباني أو أعمال الزخرفة الداخلية والخارجية والأرضيات، وتتميز بثبات ألوانها وأشكالها؛ لأنها مواد طبيعية، وهي تعتبر من أهم مواد البناء المستخدمة في عمل الديكورات وتزيين المباني.

• **وفيق صفوت مختار**

الأصول الأخلاقية

يهتم الإسلام بالإنسان، بدءا من إحساساته الباطنية والقلبية، ووصولا إلى أقواله وأفعاله المسموعة الظاهرة. وقد حث الإسلام على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والشيم الحميدة. والشخص المتخلق الفاضل لا يصل إلى تلك المرتبة إلا وقد تناسقت إحساساته الخفية مع أفعاله وأقواله الظاهرة، فيصير الظاهر منه مرآة لباطنه.

وقد منح الإسلام الأخلاق عناية فائقة، حتى صار حسنها مكملا للإيمان، قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقا»، بل إن الخلق الحسن يكون أثقل ما في ميزان المؤمن يوم القيامة كما قال ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»، ثم إن الخلق الحسن يسمو بأهله ليكونوا من أقرب الناس مجلسا إلى رسول الله ﷺ يوم القيامة، قال ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني منزلا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا».

إن الأخلاق الحسنة متعددة لا تحصى، ممتدة لا تحصر، إلا أنه يمكن القول إنها في مجملها تنبثق من أصول ثابتة، لتكون فروعا تابعة لها، وفضائل نابعة منها.

● **محمد أكزناي**

أحوال المياه عبر التاريخ

الماء قضية وجود، للدرجة التي تمكننا من تأريخ بناء الحضارات القديمة وانهيارها، بل ووجود الدول فيما مضى وتلاشيها، وصولا إلى صراعات المستعمر منذ قرن مضى في البحث عن أنشطة الماء، كزراعات القطن لمصانعه.. وغير ذلك. ورغم أن هذا التاريخ يحمل الموعظة، فإن الأمر الأكثر خطورة أنه يحمل إنذارا للمستقبل، ألا وهو عودة صراع البشرية الأول. يتضح الأمر مع ازدياد التوقع المستمر لحدوث ندرة للماء في العديد من الدول وفي زمن قريب لا يتجاوز العشرين عاما، وبالتالي سترتفع قيمة الماء المادية، بعد نجاح تمرير تسعيرها في بعض البلدان. وتستمر الأزمة صعودا وسط تنامي عدد السكان والتغير المتنامي في أنماط استهلاك المياه مع تنامي الرفاهية والنشاط الإنساني. ويحتد الأمر لدرجة كارثية مع توقع انخفاض الماء العذب المتاح، وهو الأمر الذي يضع في النهاية تهديدا بمواجهة حروب المياه المسلحة فعليا، خصوصا أمام كثير من دول العالم الثالث، وبصفة شديدة الخصوصية في بعض بلدان الشرق الأوسط، ومعظم بلدان الوطن العربي، التي دخل غالبيتها حد الفقر المائي فعليا.

يمكننا فهم خطورة الأمر مع علمنا بالحقائق الأولية التي تقول إن نسبة الموارد المائية العذبة لا تزيد على ٣ في المئة من إجمالي مياه كوكب الأرض، منها ١ في المئة فقط مياه عذبة ميسرة، كما في الأنهار، وباقي النسبة توجد في المياه الجوفية، أي عالية التكلفة، بل وبعضها يحتاج إلى معالجة، أي يحتاج إلى جهد كبير، فضلا عن تكاليف مضاعفة، بينما يشكل الماء المالح ٩٧ في المئة من كمية المياه الموجودة على كوكب الأرض. والمعروف أن تحلية الماء المالح أمر مكلف للغاية، وشاق كذلك. هذه الأمور تزداد تعقيدا مع انخفاض حجم الماء العذب المساير لنمو حجم تغير المناخ وتأثيره الشديد على المياه خلال بضعة عقود مقبلة.

● **أحمد مصطفى علي**





الكلمة في السياق النبوي الشريف

تبدو هوية الكلمة وقيمة مبتغاها في سياق حديث رسول الله ﷺ أنها ذات عوالم متباينة، مصدرا وهوية وتأثيرا وانتقاء واستخداما، مما ندرك معه أن الولوج إلى عالم الكلمة في السياق النبوي الشريف، يفرض سمة التأمل والتذوق والإبحار في ذاتها وأبعادها ودلالاتها، لما بلغت به من سمو الفصاحة، ورقي البلاغة، وسحر البيان، وذلك لأن مصدرها «القرآن الكريم»، مصدر اللغة ومنهل البيان والبلاغة، هذا الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت:٤٢). وكرم سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ وشرفه بمعجزة القرآن الكبرى، فسما بلسانه العربي المبين، وتحدى من شككوا في بلاغة قوله، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الحاقة:٤١-٤٣)، وزاده تشريفا وتبجيلا في مبدأ الأمر ومنتهاه في قوله عز وجل: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (النجم:٤-٥). ومن هنا كانت الكلمة في السياق النبوي لها مكانتها وقيمتها وهويتها اللغوية، قوة وفصاحة وقصدا، فقال ﷺ عن نفسه: «بعثت بجوامع الكلم»، وفي حديث آخر: «أعطيت مفاتيح الكلم». لذا صارت الكلمة في حديث رسول الله ﷺ هي المعيار الأول في دعوته، حيث أمره ربه في خطابه للمنافقين بقوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ (النساء:٦٣)، أي قولا بليغا مؤثرا واصلا إلى كنه المراد ومطابقا لما سبق له من المقصود. ومن هنا كانت الكلمة تكليفا وتشريفا ربانيا للرسول الكريم ﷺ، وهذا ما أدركه الجاحظ عندما ذابت ذاته مستغرقا في معية حديث رسول الله ﷺ، واصفا هذا السياق النبوي الشريف بقوله: «وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكليف، وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب. واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، ولم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس لكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلام رسول الله ﷺ كثيرا».

• عثمان إسماعيل حسين

قانون الإسلام الطبي لوقاية عضلة القلب

عندما أثبتت البحوث الطبية العالمية الحديثة وجود علاقة وثيقة بين الاضطرابات النفسية والإصابة بالسكتة القلبية والموت المفاجئ، كانت هذه الإثباتات العلمية، التي أيدتها التجارب الطبية الدقيقة، قد كشفت للعالم أجمع النقاب عن روعة الإسلام ومدى أثره في وقاية بني الإنسان من خطر هذه الإصابات القاتلة، عندما قامت الإحصائيات الطبية العالمية فأعلنت أن نسبة إصابات السكتة القلبية والموت المفاجئ عالية إلى حدها الأقصى بين الشعوب التي غزتها فوضى المدنية الحاضرة وتعقيدات الحياة التي خلفتها، وما حوادث الانتحارات المتضاعفة كل يوم في أوساط تلك المجتمعات إلا دلالة واضحة على مدى خطورة ما تسبب فيه بنو الإنسان هناك من أزمات نفسية قاهرة ومآس ومحن قاتلة.

والإسلام استطاع أن يلزم الروح بميثاق العقيدة والإيمان؛ حتى تعيش النفس دوما وأبدا في ذكر الله، لا تغفل عن التفكر في ملكوت السموات والأرض، ولا تنسى مراقبة الإله لها بعين الرعاية والحماية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر:١٤). والنفس البشرية المؤمنة يعز عليها أن تهجر ذكر الله وتلاوة قرآنه المبين، قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ليزدادوا هدوءا وابتهاجا وطمأنينة، فلا يفلح مس من الوهن والقلق والهم والحزن أن يتسرب إلى قلب مؤمن خاشع يذكر الله من أعماق قلبه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران:١٩١)، فيزدادوا انشراحا وابتهاجا واطمئنانا: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨).

• د. إبراهيم الراوي

الوعي يضاد الخوف

«الناس أعداء ما جهلوا».. حقيقة أدركها الأولون، ودونوها؛ ليستفيد منها المحدثون. لكن هل حقا عملنا بمفهوم هذه الجملة السهلة والعميقة في آن واحد؟

الناس في البلاد غير المسلمة لا يعرفون عن الإسلام غير ما تقدمه وسائل إعلامهم، ولا يعلمون عن المسلمين غير ما يقدمه المهاجر إليهم.. وسرعان ما تترسخ في أذهان الكثيرين صورة نمطية سلبية للمسلم صعب المراس، منتقص حقوق الآخرين، المتكلس عقليا، والمندفع عاطفيا.. فهل نحن كذلك؟

إن الآخرين لا يعرفوننا حق المعرفة، وإن احتكم بعضهم إلى الحكمة وقرأ عن الإسلام بتنوع مصادره يسارع إلى الإسلام؛ لأنه يعي ساعتها أنه دين الرحمة والمرونة والتعقل والتسامح.

مهمتنا إذن رفع حالة الوعي لدى الطرفين: لدينا نحن ناقلي الصورة عن الإسلام؛ فنعرف أهمية بشاشة الوجه، وقضاء مصالح الناس، وكرم الضيافة، والتحكم في النفس عند الغضب.. إلى آخره.

ولدى الطرف الآخر برفع حالة الوعي لديه عن طريق إعلام هادف حقيقي احترافي، ينفض الغبار عن رموزنا وتاريخنا، ويبرز الحقائق لشريحة عريضة من الناس لا يعرفوننا.. إعلام واع يرد -أولا بأول- على الإشاعات والافتراءات والشبهات.

ولعمري إن أفضل ما نحارب به ظاهرة «الإسلاموفوبيا» لهو نشر الوعي وإعلاء قيمة الثقافة، كما تفعل منابر كثيرة في الكويت وسائر البلدان الإسلامية.. منابر تنفق عليها الحكومات بسخاء لتؤتي ثمار النشر بين عباد الله في الشرق والغرب.

إن الوعي الإسلامي لا ينبغي أن نحتكره لأنفسنا ونكتفي بأننا نعرف، وأننا نمارس عبادتنا، وأننا في حالنا سالمين، بل علينا تصديره إلى الآخرين، الذين -رغما عنا، بل وعنهم- يتحولون إلى أعداء فقط لأنهم جهلوا حقيقة ديننا الحنيف.

فهد الخزي
مدير التحرير

براعم الإيمان

قلم صغير وفكر منير

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

موقع براعم الإيمان في حلته الجديدة



مجلتكم تقترب منكم أكثر

www.baraemaleiman.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٠٩) جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ - فبراير- مارس ٢٠١٦ م



مقومات حب الوطن

- الأندلسيون والحركة العلمية
- د. محمد حماسة في ذمة الله
- الإعلام الديني الموجه للناشئة
- الموسوعة الفقهية.. تاج الكويت الفكري

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

info@alwaei.com   www.alwaei.gov.kw   مجلة الوعى الإسلامى

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا



عواقب الظلم

الظلم من الذنوب العِظام والكبائر الجِسام، يُحيطُ بصاحبه فيُدمِّره، ويُغيِّرُ عليه أحوالَه؛ فتزولُ به النعم، وتنزل به النِّقَم، ويُدرِكُه شُؤمه وعقوباتُه في الدنيا وفي الآخرة، ولأجل كثرة مضارّ الظلم وعظيمِ خطره وتنوُّع مفاسده؛ حرَّمه الله بين عباده كما حرَّمه على نفسه؛ فقال سبحانه في الحديث القدسي: «يا عبادي! إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا، فلا تَظالموا»، ليحفظوا بذلك دينَهم ودنياهم، وأخبرهم بأن هلاك القرون الماضية كان بسبب الظلم؛ لتحذَر أعمالهم؛ فقال: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ (يونس:١٣-١٤)،

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لتُؤدُّنَّ الحقوقَ قبل أن يأتي يومٌ لا درهمَ فيه ولا دينار، إنما هي الحسناتُ والسيئات، يُعطى المظلومُ من حسنات الظالم، فإن لم يكن للظالم حسنات أُخِذ من سيئات المظلوم ووُضِعت على المظلوم ثم طُرح في النار».

والمَظالمُ بين العباد تكون في الدماء، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لا يزالُ المرءُ في فُسحة من دينه ما لم يُصِب دمًا حرامًا»، وتكون المظالمُ بين الناس في المال كذلك، وفي حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من اقتطعَ شبرًا من الأرض طوَّقه الله إياه من سبع أرضين»، كما تكونُ المظالمُ بين الأرحام بتضييع حقوق الرحم، وتكون المظالم بين الوالدَيْن والأولاد بتضييع حقوقهم وإهمال تربيتهم، وتعريضهم للانحراف وسوء الأخلاق، وتكون المظالمُ بين الزوجين لترك حقوقهما من أحدهما للآخر، وتكون المظالمُ بين المُستأجرين والعُمَّال بسلب حقوقهم وتضييعها أو تأخيرها، أو اقتطاع شيءٍ منها، أو التحايُل على إسقاطها؛ فكلُّ ذلك ظلمٌ يُنذِرُ بعقوباتٍ مُدمِّرة لصاحب الظلم، إلى غير ذلك من أنواع الظلم.. عافانا الله.

والظلمُ مُحرَّمٌ ولو وقع على كافر؛ فإن الله تعالى لا يرضى أن يقع الظلمُ على أحد ولو كان كافرًا أو فاسقًا، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «اتقوا الظلمَ؛ فإن الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة».

د. صالح سالم النهام

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٠٩ | جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
فبراير - مارس ٢٠١٦م

المراقب المالي والإداري
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبوراوش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

وحدة الصف

الحث على وحدة الصف واتحاد الكلمة؛ من الأمور المحكمة في القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران:١٠٣)، وفي صحيح مسلم (١٧١٥): «إن الله يرضى لكم ثلاثا - وذكر منها -: أن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»؛ وهذا أمر بدهي في وجدان كلّ مسلم عاقل، لكن طريقة تحقيق هذا المطلب هو مربط الفرس؛ ذلك أن كثيرين يفتقدون آلية تطبيق هذه الوحدة، وبذلك قد يكون الإنسان - وهو صادق في الحث على اجتماع الكلمة - معول هدم لهذا المبدأ وهو لا يدري!

وحدة الصف تعني أن تكون الأمة واحدة؛ تحت سلطان واحد يحكمها بشريعة الله سبحانه وتعالى، ولهذا جاء في السنة النبوية من الأحكام الصارمة في هذا ما يثير العجب؛ ومن ذلك مثلا قول النبي ﷺ: «من فارق الجماعة شبرا فمات فَميتَةٌ جاهلية» (متفق عليه)، والمعنى أن الرسول ﷺ قد بالغ في التحذير من الخلاف والفرقة؛ بحيث إن من خالف ذلك لقي الله يوم القيامة وليس له حجة، والواجب المطلوب من المسلمين اليوم، هو المحافظة على المعنى الذي ترمي إليه الشريعة من وحدة الصف، ألا وهو صلاح دين المسلمين وصلاح دنياهم.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية - الكويت

الموسوعة الفقهية.. تاج الكويت الفكري

تعد الموسوعة الفقهية الكويتية بحق أضخم إنتاج فقهي في العصر الحديث، ولا يعرف بعدها عمل خرج بهذه الصورة من الضخامة والتأصيل الفقهي وعرض المذاهب الفقهية السنية الأربعة بطريقة ميسرة للباحث والقارئ المهتم بالشأن الفقهي، ولا غنى لكل باحث في الفقه وعلوم الشريعة عن اقتنائها والاستفادة منها في الكتابة الفقهية.



فكرة الموسوعة الفقهية

لم تكن فكرة الموسوعة الفقهية فكرة جديدة، بل نجد في تراث الأمة كتبا تصنف ضمن الموسوعات، وقد قام بذلك أفراد وجماعات، والفتاوى الهندية التي ألفها ثلاثة وعشرون عالما من علماء الهند هي من الموسوعات الجماعية.

وفي منتصف القرن العشرين صدر نداء عن مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي بباريس، والذي أقيم في (١٣٧٠هـ=١٩٥١م)، واشترك فيه مجموعة من فقهاء العالم الإسلامي إلى تأليف موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة والترتيب المعجمي.

واستجابة لتلك النداءات خرجت بعض المحاولات لكتابة موسوعة فقهية، كانت أولاها في كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٦١م، صدر عنها بعض الأبحاث التمهيدية شراكة بين فقهاء سوريا ومصر إبان الوحدة الوطنية بين البلدين، ثم كانت المحاولة الثانية في مصر فيما عرف بـ «موسوعة جمال عبدالناصر»، عام ١٩٦١م وقد أشرف عليها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وقد صدر عنها (٢٥ جزءا).

الموسوعة الفقهية في الكويت

ولتعذر المشروعين السابقين احتضنت دولة الكويت مشروع الموسوعة الفقهية منذ عام (١٩٦٧م)، وكان ممن حفز الكويت لاحتضان مشروع الموسوعة الفقهية عدد من العلماء، منهم: أحمد مهدي خضر وزير الأوقاف السوري سابقا، والدكتور جمال الدين عطية، الفقيه المصري، والذي كتب مسودة أولى لتصور الموسوعة الفقهية، وقدمها لوزارة الأوقاف، والدكتور المصري عثمان خليل عثمان الخبير الدستوري في مجلس الأمة. وقد أسندت وزارة الأوقاف إدارة الموسوعة الفقهية والقيام بشأنها إلى فضيلة الشيخ مصطفى الزرقا الفقيه السوري، والذي كان قد تولى وزارتي العدل والأوقاف بسوريا عامي ١٩٥٦ - ١٩٦٢م، فعين أمينا عاما للموسوعة الفقهية الكويتية عام ١٩٦٦م.

وقد استمر العمل في الموسوعة الفقهية قرابة ٤٠ عاما من عام ١٩٦٧م حتى عام ٢٠٠٥م. وقد استكتب فيها أكثر من مائتي عالم وباحث من الشعوب الإسلامية عربها وعجمها. وقد بلغ عدد المراجع في الموسوعة ما يزيد على ألف مرجع، وكانت وزارة الأوقاف قد أنشأت مطبعة خاصة لطبع الموسوعة الفقهية، طبعت فيها ثلاثة وعشرين مجلدا، لكنها تعرضت للسرقة بالكامل عام ١٩٩٠م إبان الغزو العراقي الغاشم على الكويت. وكان أول أمين عام للموسوعة الفقهية الشيخ مصطفى الزرقا ثم تولى الأمانة بعده فضيلة الشيخ الدكتور بدر المتولي عبدالباسط، ثم فضيلة الشيخ الدكتور عبدالستار أبوغدة.

مراحل العمل في الموسوعة

مر العمل في الموسوعة الفقهية على مرحلتين:

المرحلة الأولى: من سنة: (١٩٦٧م) حتى: سنة (١٩٧١م) وهذه المرحلة هي المرحلة التأسيسية للموسوعة الفقهية، حيث تم خلال خمس سنوات وضع خطة العمل في الموسوعة، وصنع معجم فقهي، مستخلص غالبه من كتاب «المغني لابن قدامة»، وكتابة خمسين بحثا، نشر منها ثلاثة بحوث، لتلقي الملاحظات حولها، كي ينضج العمل في الموسوعة قبل البدء فيه. وقد انتهت هذه المرحلة عام (١٩٧١م)، وتوقف العمل في الموسوعة حتى عام (١٩٧٥م).

ثم صدر قرار استئناف العمل في الموسوعة عام (١٩٧٥م)، وقد تم فيها اختيار تسعة نماذج أخرى من البحوث السابقة لنشرها، وللاستفادة من الملاحظات المتلقاة، وللإعلان عن استئناف العمل مرة أخرى.

المرحلة الثانية: من سنة: (١٩٧٧م) حتى سنة: (٢٠٠٥م) بدأت تلك المرحلة بتشكيل اللجنة العامة للموسوعة الفقهية التي رأسها وزير الأوقاف وبعض كبار الإداريين في الوزارة مع عدد من الفقهاء والمستشارين في مجال القضاء.

وقد وضعت اللجنة الخطة العامة والإجراءات التنفيذية للعمل في الموسوعة، والاكتفاء بالبحوث التمهيدية، وبدء الاستكتاب في الموسوعة، حتى خرجت الموسوعة الفقهية في خمسة وأربعين مجلدا.

الأبحاث التجريبية

قامت الموسوعة الفقهية بإصدار طبعة تمهيدية خلال المرحلة الأولى

عرضت فيها نماذج من أبحاثها دون مراعاة الترتيب الألفبائي لتلقي ملاحظات المتخصصين كي تستفيد منها في الإصدار النهائي للموسوعة، وقد طبعت بعض تلك البحوث، وهناك بحوث أخرى لم تطبع.

ومن تلك البحوث التمهيدية التي طبعت، ما يلي:

١- الأشربة للدكتور وهبة الزحيلي، وعدد صفحاته (٥٨) صفحة، وطبع سنة: ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م

٢- الأطعمة، علي حسن البولاقي، وعدد صفحاته: (١٠١) صفحة، وطبع سنة: ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م

٣- الحوالة، للدكتور إبراهيم عبدالحميد إبراهيم، وعدد صفحاته: (٢٦٩) صفحة، وطبع سنة: ١٣٩١هـ=١٩٧١م

٤- صلاة المسافر، عز الدين التوني، وعدد صفحاته: (٤٨) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

٥- النسب، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وعدد صفحاته: (٦٧) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

٦- الإرث، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وعدد صفحاته: (٣٢) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

٧- القصاص، للدكتور أحمد محمد إبراهيم، وعدد صفحاته: (١١٠) صفحات، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

٨- التعزير، للدكتور عبدالعزيز عامر، وعدد صفحاته: (٦٤) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

٩- الشركة، للدكتور إبراهيم عبدالحميد إبراهيم، وعدد صفحاته: (١٢٢) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

١٠- شركة المضاربة، للدكتور إبراهيم عبدالحميد إبراهيم، وعدد صفحاته: (٩٨) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

١١- الأيمان، علي حسن البولاقي، وعدد صفحاته: (١٩٩) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

١٢- القسمة، للدكتور إبراهيم عبدالحميد إبراهيم، وعدد صفحاته: (١١٥) صفحة، وقد طبع دون ذكر تاريخ الطبع.

المرحلة الثالثة: مراجعة الموسوعة الفقهية

تقوم إدارة الموسوعات والبحوث الشرعية بمراجعة شاملة للموسوعة الفقهية، حيث يقوم الباحثون بتوثيق ما لم يوثق في الموسوعة من المعلومات، مع مراجعة صحة نسب الأقوال إلى فقهاء المذاهب، واستكمال آراء المذاهب الأربعة في كل مسألة مما قد يكون قد سقط سهوا بعدم ذكر رأي مذهب من المذاهب في بعض المسائل، مع ذكر آراء فقهاء الصحابة والأمصار ما قبل نشأة المذاهب، مع استكمال بعض المسائل في المصطلح والتي يظن أنها لم تذكر، وهذه المرحلة هي مرحلة إتقان كبير للموسوعة الفقهية، مما يتوقع أن تخرج بحلة أبهى من بهائها الحالي.

منهج الموسوعة الفقهية

اعتمدت الموسوعة الفقهية منهجا وطريقة لكتابة مادتها على النحو التالي:

أولا- الترتيب الألفبائي

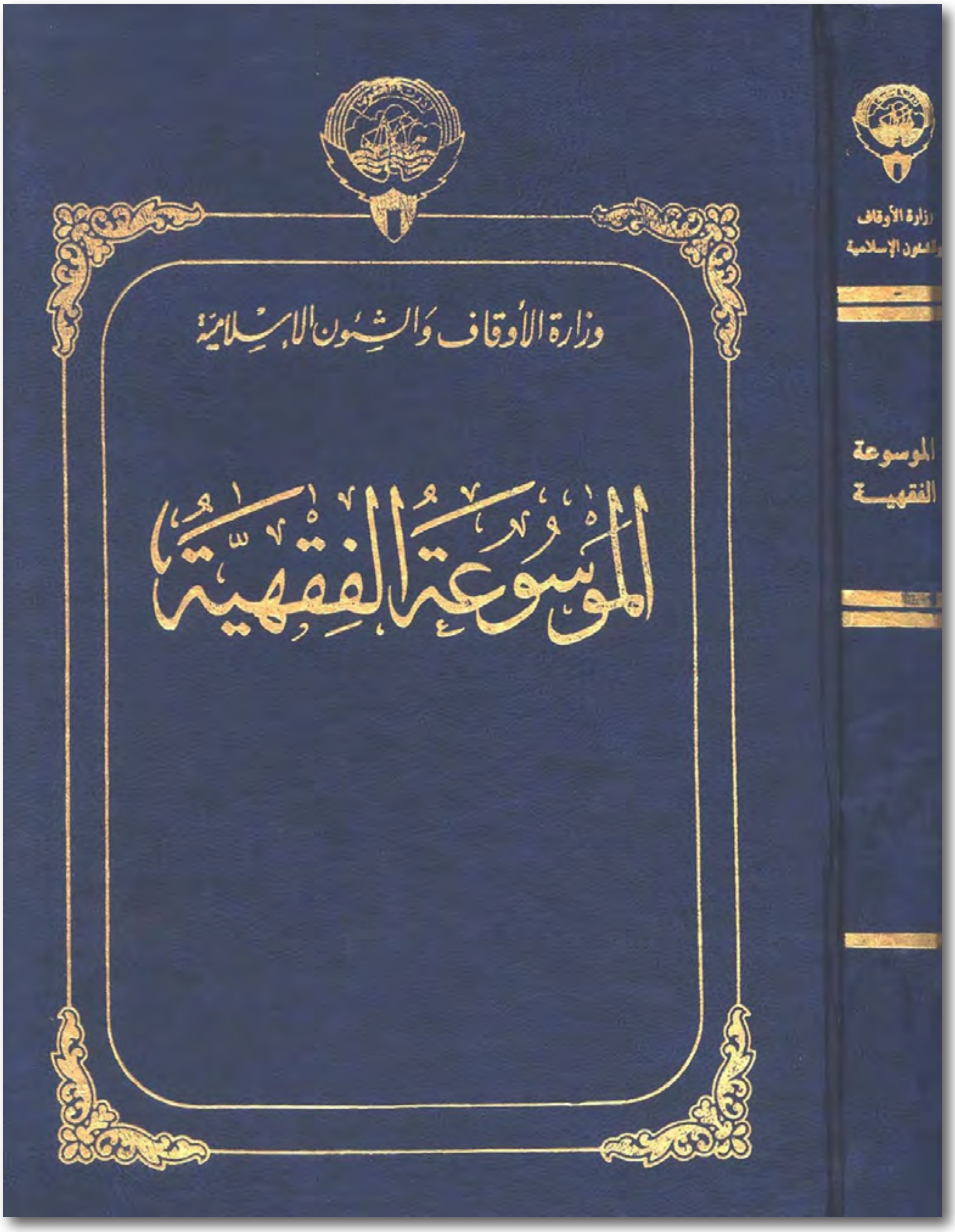
فتعرض الموسوعة الأحكام الفقهية عن طريق المصطلحات بالترتيب الأبجدي، وهو الشكل الأكثر تعارفا عليه في عالم الموسوعات، مما يسهل على القارئ الوصول إلى المعلومة.

ثانيا- تصنيف المصطلحات الفقهية

صنفت الموسوعة الفقهية المصطلحات الواردة فيها تبعا للوزن النسبي لكل من المصطلحات إلى ثلاثة أنواع، هي: المصطلحات الأصلية، ومصطلحات الإحالة، ومصطلحات الدلالة:

النوع الأول: المصطلحات الأصلية وهي المصطلحات التي يستوفى بيانها بالتفصيل بمجرد ذكرها، بحيث تجمع بيانات المصطلح في موطن واحد يغني عن ذكرها في أي موطن آخر.

النوع الثاني: مصطلحات الإحالة: (المصطلحات الفرعية) وهي المصطلحات التي أجمل



بيانها في صورة عجلى مختصرة، تتضمن تعريفه لغة واصطلاحا، وذكر المصطلحات ذات الصلة، والعلاقة بينها وبين المصطلح، وبيان الحكم الشرعي لها إجمالا، ثم الإرشاد إلى مواطن البحث التفصيلي لها، في الموسوعة نفسها، أو في كتب الفقه.

ومقصود مصطلحات الإحالة تحاشي تكرارها مرة ضمن المصطلحات الأصلية ومرة مفردة، كما أنها تيسر على الباحث الوصول إلى المصطلح بدلا من البحث عنه ضمن المصطلح الأصولي والذي قد لا يصل إليه المطلع، خاصة غير المتخصص في علوم الشريعة.

النوع الثالث: مصطلحات الدلالة

وهي المصطلحات التي جيء بها لمجرد الإرشاد إلى الموطن الذي اختير لبحث الموضوع المتعلق بها، فيرشد إلى مكانها داخل الموسوعة دون ذكر أي معلومات تحتها. ففي مصطلح «قراض» يكتب: انظر: مضاربة.

ثالثا- عرض الاتجاهات الفقهية

لا تذكر الموسوعة المذاهب الفقهية منفردة كل مذهب على حدة، بل تعتمد طريقة الاتجاهات الفقهية والتي تقوم على حصر الآراء في المسألة، وذكر المذاهب ضمن كل رأي من الآراء، وإذا كان هناك اختلاف داخل المذهب في المسألة، عرض كل رأي حسب اتجاهه، ويقدم - غالبا - رأي جمهور الفقهاء على غيره.

وفائدة تلك الطريقة النظر إلى الاتجاه العام وليس إلى كل مذهب على حدة، مما يسهل الاستفادة من الموسوعة بمعرفة مواطن الاتفاق والاختلاف بدقة، وتقديم تصور

تام للاجتهادات الفقهية، وتحاشي التكرار في ذكر كل مذهب على حدة.

وتعرض الموسوعة كل اتجاه فقهي متبوعا بذكر أدلته التي استند إليها، دون مناقشة أو ترجيح شخصي، إلا ما قد يحتاج إليه، فيذكر في هامش الموسوعة أنه من عمل أو رأي اللجنة، وهو نادر جدا، كما أنها لا تذكر المناقشات ولا الاعتراضات على الأدلة بين أصحاب الاتجاهات الفقهية.

رابعا- الأسلوب والمراجع

١- التزمت الموسوعة وضوح الأسلوب وسهولة العبارة، والأصل أن يحافظ على نص الفقهاء، لكن قد يتصرف في العبارة المقتبسة لإزالة الغموض والتعقيد كي يفهم مقصود الفقيه.

٢- كما التزمت الموسوعة نسبة القول إلى كتبه الأصلية المعتمدة من النقل عن كتب المذهب المعتمدة داخل المذهب، وقد يستعان في تصوير الاتجاهات بالكتب المعنية بالفقه المقارن من مذهب واحد مع العزو إلى بقية الكتب المتنوعة.

٣- المراجع المعتمد عليها هي المراجع القديمة التي تداولها أصحاب المذاهب وخدموها بالشروح والحواشي وتعقبوها بالإنكار والتقييد أو الإقرار والتسليم، والتي تعتبر تراثا فقهيا يتميز في أسلوبه وتأليفه عما بعده من دراسات حديثة. والحد الفاصل بينهما نهاية القرن الثالث عشر الهجري.

٤- قد يرجع إلى غير كتب الفقه من كتب الشريعة عند الحاجة، ولاسيما بالنسبة لفقه السلف إلى كتب التفسير وأحكام القرآن، وكتب شروح السنة وأحاديث الأحكام، خاصة أن هذه الكتب قد حوت فوائد فقهية ربما لم تسجل في كتب الفقه.

خامسا- الحدود الزمنية للموسوعة

تقدم الموسوعة الإنتاج الفقهي فيما يعرف بالتراث الفقهي طيلة ثلاثة عشر قرنا، إلا أن الغالب عليها ذكر المذاهب الفقهية السنية الأربعة، ولا تذكر ما قبلها إلا من باب القليل النادر، فهي ليست معنية بفقه الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين، كما أنها لم تتعرض للمذاهب الأربعة الأخرى، كالمذهب الظاهري، والمذهب الجعفري، والمذهب الإباضي والمذهب الزيدي.

الموسوعة الفقهية في أرقام

عدد المصطلحات في الموسوعة الفقهية:

عدد المصطلحات الواردة في الموسوعة الفقهية: (٣٠١٣) مصطلحا.

وهي موزعة على أحرف الأبجدية مع ذكر المصطلحات والألفاظ ذات الصلة بكل مصطلح.

المسائل الأصولية في الموسوعة الفقهية

رغم أن الموسوعة الفقهية هي موسوعة خاصة بعلم الفقه، فإنها في حقيقة الأمر تشمل بين طياتها موسوعة صغرى في أصول الفقه، فهي تشتمل على (٢١٩) مصطلحا في أصول الفقه، تغطي غالب الأبواب والمسائل الفقهية.

المسائل العلمية في الموسوعة الفقهية

تنوعت المسائل العلمية في الموسوعة الفقهية، فهي تشمل المسائل الفقهية، وتحتل الحيز الأكبر منها بطبيعة الداعي للتصنيف فيها، وقد بلغت (١٨٦٩٦ مسألة) لكنها حوت مسائل علمية في علوم أخرى، فهناك المسائل الأصولية، ومسائل في الآداب، والتفسير، والحديث، والعقيدة، والسيرة والتاريخ واللغة.

فقهاء الموسوعة

تعد الموسوعة كنزا فقهيا من حيث المسائل والمعلومات الفقهية، وهي في ذات الوقت تحفظ اجتهاد الفقهاء، بحيث يمكن للباحث أن يرصد كثيرا من اجتهاد الفقهاء القدامى في الفترة الزمنية التي حددتها الموسوعة وهي من زمن الصحابة حتى القرن الثالث عشر الهجري.

والمقصود بالفقهاء في مصطلح الموسوعة هم الفقهاء الذين نقلت لهم الموسوعة اجتهادات

فقهية، بحيث يمكن رصدها لأي باحث، وهم: فقهاء الصحابة، وفقهاء الأمصار، وفقهاء المذاهب الأربعة.

تصنيف المسائل الفقهية حسب المذاهب

المسائل الفقهية الواردة في الموسوعة الفقهية (١٨٦٩٦ مسألة) موزعة على فقهاء الصحابة، وفقهاء الأمصار، وفقهاء المذاهب الأربعة، ومفردات كل مذهب من المذاهب الأربعة، والمفردات هي المسائل التي تفرد بها مذهب واحد، ولم يقل بها مذهب آخر، فيخالف المذهب المذاهب الثلاثة الأخرى.

تراجم الموسوعة

ومما امتازت به الموسوعة الفقهية عمل تراجم مختصرة للفقهاء فيها، تلحق بكل مجلد من مجلدات الموسوعة الخمسة والأربعين، وقد بلغ عدد الأعلام الذين ترجم لهم (١٤٤٥) علما من الأعلام.

وطريقة الترجمة أن يكتب اسم العلم وبجواره سنة الميلاد والوفاة، ثم يذكر اسمه مفصلا لبيان نسبه، ثم الوصف العلمي له، كأن يقال: فقيه، أصولي، متكلم، لغوي، وهكذا، ثم بيان مكانته العلمية، وأشهر من أخذ عنهم من شيوخه، وأشهر تلامذته، وذكر مصنفاته، ثم تذيل الترجمة بالمراجع التي اختصرت منها الترجمة، وهي لاشك خدمة جليلة القدر خاصة للباحثين في مجال علوم الشريعة والعربية.

الفوائد

بالرغم من الصبغة الفقهية للموسوعة الفقهية، فإنها لم تخل من ذكر جملة من الفوائد في الشعر، والحكم والأمثال، وبيان حكمة التشريع، وقائمة الكتب المذكورة بخلاف المراجع، وقول غير المسلمين، والمنسوخ من الأحكام، وخصائص النبي ﷺ، وقول التابعي، واللفظ المعرب، مما ينم بحق عن الفوائد الجمة للموسوعة الفقهية التي لم تقف عند حد الفقه، بل تعدته إلى العلوم الخادمة له باعتباره علما أصيلا يحتاج إلى كثير من العلوم والمعارف العامة.

توزيع الموسوعة

تقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتوزيع نسخ من الموسوعة الفقهية لكثير من الجهات الرسمية والعلمية ودور الفتوى ومراكز البحث العلمية والسفارات والمكتبات العامة والشخصيات العمومية، وقد زاد ما وزعته الوزارة على عشرات الآلاف في بلدان العالم الإسلامي كله.

كما تقوم الوزارة بتوزيع نسخة من الموسوعة بطبعتها الورقية لكل باحث ودارس للشريعة، على أن يقدم طلبا لاقتناء الموسوعة مرفقا بصورة من الشهادة الشرعية؛ حتى يستفيد منها المتخصصون.

برنامج الموسوعة الفقهية

كما قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بعمل برنامج حاسوبي للموسوعة، يشتمل على كثير من الخدمات العلمية، من أهمها: إمكانية الاطلاع على بطاقات البحث الأصلية التي صيغت منها الموسوعة، فيرجع إلى النصوص الأصلية، مع ذكر طبعتها وسنة الطبع والمعلومات الكاملة لها، مع تشجير لكل أبواب الفقه تشجيرا تفصيليا يقدم خطة بحث كاملة لكل موضوع من الموضوعات، مع غيرها من الخدمات المتميزة الموجودة في برنامج الموسوعة الفقهية.

والحق يقال: إن مشروع الموسوعة الفقهية الكويتية بشقيها: المطبوع، والبرنامج يعد طفرة في عالم البحث الفقهي، مما يسهل كثيرا على طلاب الفقه والشريعة الوصول إلى المعلومة الفقهية وتيسير فهم ما كتبه السلف مما قد يصعب على طلاب الشريعة فضلا عن العامة من إدراك مقصود الفقهاء مما كتبوه قديما في كتبهم في الحواشي والشروح والتعليقات، فالموسوعة الفقهية هي وجه من وجوه تجديد الفقه الإسلامي، وثوبه الجديد.

نفع الله تعالى بكل من شارك وساهم ويسر لإخراج هذا العمل العلمي الضخم، وجعله في ميزان دولة الكويت.

عبدالله شريف
دار الإعلام العربية
مصر

د. محمد الدسوقي أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم:

أمتنا تتصارع مع نفسها!



في إحدى قرى محافظة الدقهلية بمصر، ولد د. محمد الدسوقي في ٢٥ أكتوبر ١٩٣٤م، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، حفظ القرآن الكريم في كتاب قريته قبل أن يلتحق بمعاهد الأزهر الشريف ودرس فيه حتى حصل على شهادته الثانوية، ومن ثم التحق بكلية دار العلوم وتخرج فيها سنة ١٩٥٩م.

عمل بعد تخرجه محررا علميا بمجمع اللغة العربية، ومكث فيه نحو عشر سنوات حصل خلالها على درجتي الماجستير والدكتوراه من قسم الشريعة بكلية دار العلوم، ليبدأ رحلته مع التدريس الجامعي والفكر الإسلامي على مدى يقترب من نصف قرن شارك خلاله في أكثر من ٣٠ مؤتمرا وندوة علمية على مستوى العالم الإسلامي، ونشر نحو ٤٠ بحثا في حوليات جامعية محكمة، ونحو ٤٠ مؤلفا في الدراسات الإسلامية، كما نشر له نحو ١٠٠ مقالة على مدى سنوات في «الوعي الإسلامي»، كانت أولاها مقالة نشرت في العدد التاسع بعنوان «حديث الصيام في القرآن الكريم».. «الوعي» التقته مجددا في هذا الحوار.

● يعتبرك كثيرون أحد أعمدة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، فكيف كان طريقك إلى الكتابة وأنت في مرحلة الدراسة؟ وما هي أبرز الأفكار التي تناولتها؟

- بدأت الكتابة من الصف الرابع الابتدائي لكن من دون نشر، وفي الصف الأول الثانوي حدثت إضرابات كثيرة وفوضى فكتبت «طهروا الأزهر من الحزبية العمياء»، حيث كانت الأحزاب السياسية كثيرة والإقطاعيون وغيرهم في العهد الملكي.

تعلمت في دار العلوم كيف أفكر وأنظم عمل العقل في فهم العلم الشرعي

ونشرت في بعض المجلات والجرائد، منها «الإسلام» و«الوسيلة». وحينما فتح الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر حينها بابا لطلاب المعاهد في مجلة الأزهر نشرت فيها ٣ مقالات هي «لا إصلاح إلا بالإسلام» و«رسالة البشرية» وفي ذكرى مرور ٥٠ عاما على وفاة الشاعر البارودي كتبت «البارودي الشاعر البطل».

مع طه حسين

● كيف تعرفت على عميد الأدب العربي الراحل د. طه حسين؟

- تفوقت في كلية دار العلوم لكن لم أعين معيدا بالجامعة، فأخذني مجمع اللغة العربية محررا علميا، ووجودي في المجمع أتاح لي فرصة القراءة والتعرف على د. طه حسين، وفي عام ١٩٦٤م قال لي مدير المجمع إن طه

حسين رئيس المجمع يريد مرافقا له لأن سكرتيره سيتزوج، فقبلت، وفي أول لقاء سألني سؤالا واحدا هو: «في أي كلية تخرجت؟»، فقلت في دار العلوم، فقال لمدير المجمع أعطه إجازة من السبت القادم، وذهبت إلى بيته وأخذ يطرح أسئلة ليخفف من هيبة اللقاء.

ونصحني أحد الزملاء أن أكتب وأسجل كل فترة جلوسي معه، ومكثت معه من عام ١٩٦٤م إلى ١٩٧٢م، وأتيحت لي بعدها فرصة السفر إلى ليبيا لأعمل أستاذا بها.

• مكثت أكثر من ٣٠ عاما في الخارج، حدثنا عن رحلتك في طلب العلم...

– بعد أن طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية رسالة الماجستير الخاصة بي التي كانت بعنوان «التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه» وصلت نسخة من هذا الكتاب إلى مكتبة الجامعة الليبية في بنغازي وكانت سببا في دعوتي للمشاركة في مؤتمر في مدينة البيضاء عن تطبيق الشريعة الإسلامية سنة ١٩٧٢م، وبعد انتهاء المؤتمر وقع الاختيار علي للعمل في الجامعة الليبية بطرابلس وبقيت بها نحو ١٢ عاما ألفت فيها عدة كتب وكانت من ضمن المقرر على طلاب الجامعة، ثم سافرت بعدها إلى دولة قطر للعمل بكلية الشريعة سنة ١٩٨٥م، ومكثت فيها ١٨ عاما متصلة.

وخلال مسيرتي العلمية نشرت نحو ٤٠ كتابا، منها «منهج البحث في العلوم الإسلامية»، وكتبا عن الأسرة وعن الأحوال الشخصية في المذهب الشافعي، وكتبا عن التجديد في الفقه الإسلامي وفقه الطلاق وعلم أصول الفقه في ثوبه الجديد والحل الإسلامي بين النظرية والتطبيق والتقريب بين المذاهب الفقهية.

• ماذا تمثل لك كلية دار العلوم؟

– هي البيت، فيها تخرجت وإليها عدت، وقد جمعت الكلية دقة البحث وعمق الدراسة، ففي دراستي بالأزهر كنت أضيق من أن الشيوخ يعطون مادة كثيرة دون أن يوجهوا تفكيرنا وعقولنا إلى شيء، أما دار العلوم فوجدت فيها من يوجهنا للمنهج العلمي وكيف أفكر وأنظم عمل العقل في فهم العلم الشرعي.

أذكر كلمة قالها الدكتور محمد يوسف موسى الفقيه الفيلسوف في ثنائه على أحد الكتاب: «كونه الأزهر ثم صقلته دار العلوم». الأزهر ملأ عقولنا بأفكار جمة ومعلومات هائلة لم نحسن استخدامها، وكانت الغاية كلها الحفظ، وفي دار العلوم الأساتذة يشرحون ويشاركون معنا، وأذكر أن أحد الأساتذة طلب مني يوما إلقاء محاضرة نيابة عنه.

أزمة البحث العلمي

• بعد رحلة أكاديمية ممتدة لأكثر من ٤ عقود، كيف ترى مستوى البحث العلمي والتعليم الشرعي في العالم العربي؟

– الدراسات الجامعية الإسلامية وغيرها في العالم العربي، حتى العليا، تعاني من الضعف، ولا تتبنى دراسات جادة ومفيدة. كما أن منهج الدراسات له درجات، والبحث العلمي مهمته أن يمنح الطالب درجة من الوعي بحيث يزيد رصيده العلمي.

لدينا فوضى منهجية بداية من المدارس، لأنها تهتم بالكم وليس الكيف، حيث إنها لا تبني ولا تثقف التلميذ، ولدينا ضعف شديد على مستوى العالم العربي كله إلا ما رحم الله، ولا يوجد مدرس معدا إعدادا علميا يستطيع توجيه الطلاب نحو استخدام عقولهم في الابتكار والتجديد وليس مجرد الاجترار والتقليد، والأزمة شديدة دمرت أجيالا ومازالت تجرف عقول الطلاب.

على أهل الفكر والذكر أن يتكاتفوا لوضع منهج علمي يوحد الكلمة

الدراسة لابد أن تعالج مشكلة، وأغلب الدراسات الحالية غير جيدة، وكثير من الطلاب يريدون الحصول على الرسالة أو الدكتوراه من أجل الوجاهة، من دون تحصيل للعلم ولحل هذه الأزمة لابد أن نختار نماذج تريد البحث العلمي لذاته ولطلب العلم، وليس من أجل الشهادة، والبحث العلمي جهد وليس أمرا يسيرا.

مادة «مناهج البحث العلمي» تدرس في الغرب في المرحلة الثانوية، وعندنا لا ندرسها إلا في الجامعات للدراسات العليا، ولابد من تعويد الطالب على طرق التفكير.

• ما أبرز أسباب أزمة التعليم الشرعي؟

– الكارثة الأولى أن لدينا عداوة نحو القراءة الخاصة، والكتب والمجلات الهادفة الجادة أصبحت شحيحة جدا، والجميع أصبحوا يعتمدون على الغش والنقل، فضلا عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي تربى فيها النشء وأثرت على أجيال طويلة.

• وكيف ساعدت وسائل الاتصال الحديثة في هذا الشأن؟

– أصبحت الوسائل الحديثة نقمة، حيث أساء المسلمون استخدامها وأضرت البحث العلمي، حيث إن مستخدمها لا يقرأ، بل يجمع الكلمات من عدة مواقع ويربطها ببعضها فقط.

● «طهروا الأزهر».. هل مازلت تنادي بهذه المقولة؟

- ناديت بهذه العبارة في عهد الملكية، وتأثر الأزهر بالأحزاب الموجودة مثل الكتلة والوفد والسعدي، وكان الشعب المصري آنذاك ٢٠ مليونا، منهم مثقفون كثر عكس الوقت الحالي، رسالتي تدعو إلى التكتل والوحدة التي أمر الله بها، وقد نهى عن التفرق والتنازع الذي يؤدي للفشل والتخلف ويحول بين الأمة وبناء نهضتها وقيمتها ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال:٣٩).

لدينا فوضى منهجية في التعليم.. والدراسات الجامعية الإسلامية والعربية ضعيفة



والأزهر الآن يمر بمرحلة التكرار وليس الابتكار، فالمواد التي درستها في الابتدائية تدرسها الثانوية الآن، والمناهج أصبحت مختصرة، وانتشرت المعاهد الأزهرية في المدن والقرى انتشارا كميا دون تحقيق نقلة نوعية في التحصيل العلمي، والذين يدرسون فيها ليسوا على مستوى الإعداد الكافي. فيجب أن يستعيد الأزهر مكانته الحقيقية على مر الأزمان.

واقع الأمة

● ما رسالتك للأمة الإسلامية في ظل الظروف الصعبة التي تعصف بها؟

- واقع الأمة الآن مؤلم، يكاد يسودها التمزق والتفرق والصراع البيني بين شعوبها وليس مع الأعداء الحقيقيين، وهذا الواقع يمتص كل الطاقات ويحكم على الأمة أنها لن تنهض. وهذه الحالة تقتضي من أهل الفكر والذكر أن يتكاتفوا لوضع منهج علمي لرأب الصدع وجمع كلمة الأمة حتى تنهض وتثبت وجودها، وأنها بحق «خير أمة أخرجت للناس»، أما إذا جرت الأمور عكس ذلك وتضاعف الشر وكثر الخلاف فإن المستقبل لا يعلمه إلا الله.

وأدعو إلى عمل علمي يكون خالصا لوجه الله لحماية أمة القرآن والسنة من أن تتمزق، لأن أعداء الأمة يتربصون بها من كل جانب، وقد قال أحد الشعراء بيتا يشير فيه إلى موقف الغرب منا:

ما شاء فليسخر بنا الساخر
في الغرب ما عشت أنا الكافر

فنحن لم نجد من الغرب عبر التاريخ

كثير من الطلاب يريدون الحصول على الدكتوراه للوجاهة فقط

كله إلا التعصب والهجوم والاحتلال والاستيلاء على الثروات، وفي الوقت الحاضر يحتلون العقول والأفكار ويعملون على تهميش الدين الذي جعله الله للناس كافة، وجعله الوسيلة الأولى لاستقرار المجتمع الإنساني.. فما تعاني منه المجتمعات البشرية الآن إنما هو بسبب البعد عن منهج الله الذي جاء به محمد ﷺ، فالصراعات الاقتصادية والعسكرية بين شعوب الأرض تبتعد عن منهج الله الذي آخى بين البشر على اختلاف عقائدهم وأديانهم وشعوبهم، وأمرهم أن يلتفوا حول كلمة السلام والوئام والتعاون على البر والتقوى وليس التعاون على الإثم والعدوان.

● يتواصل الجدل باستمرار حول الصراع بين حضارتي الشرق والغرب، هل هو صراع فكري أم عقائدي؟

- الصراع من أوله في الأصل عقائدي، كان عندي كتاب اسمه «الغارة على العالم الإسلامي» يوضح أن هذه الغارة بدأت بعد أن استقر المسلمون في الأندلس، حيث بدأوا يخططون لتمزيق الدولة الإسلامية، ومزقوها، كما يقول الشاعر:

ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وانتشرت أسماء المعتز بالله والمنتصر بالله والواثق بالله، وبدأت تسقط مدينة بعد أخرى.

والعالم الإسلامي مر بمراحل ضعف وأحداث قاسية كثيرة بدأت بالحروب الصليبية التي امتدت نحو مائتي عام، ثم جاء التتار المدمرون وهداهم الله في النهاية.

لم يرد الغرب صلاح المسلمين على مدار التاريخ، فخططوا لغزو الأرض والاستيلاء على الثروات وليس للنهوض بها، فالفرنسيون احتلوا مصر واشتبكوا

مع الإنجليز، ثم اتجهت فرنسا للجزائر واحتلتها ١٣٠ عاما، وفي أواخر القرن الثامن انتشر الاحتلال في العالم الإسلامي كله إلا «مكة والمدينة».
وغير المحتلون المفاهيم الإسلامية والعربية، ونشر الاستشراق أفكارا نعاني منها حتى الآن، وخلقوا أفكارا تتصارع، وعاشت المجتمعات في دوامة من الأفكار المغلوطة.
والمجتمع الآن يعاني من صراعات فكرية.. المسلمون لا يختلفون على أن هذا الدين رحمة وتشريعاته هي الصحيحة للنهضة، لكنهم متفرقون بين إسلام مصري وإسلام سعودي وإسلام سوري، وهذا كله هراء..
الدين في أصوله صالح للتطبيق الدائم في كل زمان ومكان، وما يجري في العالم الإسلامي من حروب سببه الجهل بالإسلام، لا يوجد مكان خال من الصراع، العالم العربي في وضع مؤلم ونأكل بعضنا بعضا ولا نتعاون كما أمرنا الله.

● نحو خطاب دعوي جديد يتحدث بلغة العصر وتقنياته ويتضمن روح عصر النبوة، هل بات هذا مطلبا ملحا؟

- الأصل في التقنيات الحديثة أنها تقدم وسائل تجعل حياتنا أسهل وتنشر العلم، ولكن للأسف تم استغلال ذلك في مجتمعاتنا بشكل سلبي وربما حصري في مجالات الترفيه وتتخطاه أحيانا لمفاسد أخرى، وعندما نستخدمها في العلم فينحصر ذلك في الحصول على المعلومة مبتورة السياق وبدون جهد أو فهم.
أما الإعلام الديني فضعف كثيرا، حتى القوافل قلت، وأصيب الناس بالجهل الديني، فلا مدرسة تعلم ولا داعية يوجه. الداعية اليوم عليه أن يبحث عن العلم الشرعي ليكون مثالا وقدوة للأجيال، وليس من أجل أن يحصل على شهادة.
والارتباط بالعصر ليس معناه التخلي عن الثوابت، وللوسائل الحديثة استخدامات هائلة في البحث والمنهج العلمي كما نراه في الغرب فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أولى بها.

● تزايدت في الفترة الأخيرة محاولات التشكيك في صحيحي البخاري ومسلم، لاسيما عبر وسائل الإعلام ومن جانب بعض من يعتلون المنابر. ما موقفك حيال هذه المزاعم؟

- تنقيح كتب الحديث قضية مثارة منذ فترة طويلة وليس وليد برنامج أو قول قائل، وهناك مقياس لابد أن نتعلمه، وهو التفريق بين الأحاديث التي تقرر أحكاما والتي تتناول أخبارا ووقائع خاصة بالرسول ﷺ.
فالأحكام الشرعية يجب ألّا نتدخل فيها، أما الأحاديث التي وردت عن بعض المواقف في حياة النبي محمد ﷺ فهذه يمكن أن نراجعها وننقحها. وهناك طريقة للتناول وللتنقيح لا التشويه والطعن في صحابة رسول الله، وفق منهج علمي يقوم به علماء متخصصون.

نحو العلم والقراءة

● نعيش حربا على اللغة وانهيارا ظاهريا في الثقافة، فما أسباب ذلك؟ وبماذا تنصح الجيل الحالي لاستعادتها؟

- اللغة العربية هي أساس الأمة، وهي اللغة الخالدة التي نزلت بها معجزة «القرآن الكريم»، وفي الوقت الحالي لدينا أساتذة جامعات لا يعرفون المبتدأ من الخبر. الفوضى شديدة، ولابد أن يكون أساس النشء منذ البداية تعليم اللغة وطريقة التفكير والبحث والمنهج العلمي الصحيح. والانهيار أسبابه كثيرة، منها الغزو الثقافي، وضعف التعليم بمراحله المختلفة.

● الانهيار الأخلاقي بين الشباب.. كيف نعالجه؟

- الإسلام دين الحياة المتجددة الفاضلة، لأنه دين الوحدة الشاملة والقوة العادلة، وبالوحدة والقوة تتحقق كل المعجزات وتعيش الأمة التي تؤمن بهما قولا وعملا مرهوبة الجانب عزيزة المكانة يخطب ودها الجميع.
أصبحنا نشاهد مسوخا في الشوارع، شباب بلا أي ثقافة ولا أي مضمون، فضلا عن تقليد أعمى للغرب وعدم احترام صغير ولا كبير، ونسمع يوميا في الأخبار شابا قتل أباه وآخر قتل أمه، نعيش في زمن؛ الكارثة أصبحت فيه طبيعية.
والحياة الاجتماعية بها صراعات قاسية، والمادة أصبحت حاجة لتفكير رب الأسرة بشكل دائم، يعمل ليلا ونهارا من أجل إيجاد لقمة عيش لأولاده.
الأب والأم انشغلا بتحصيل الأموال في ظل الظروف الصعبة، والابن لا يجد من يعلمه في المدارس، فأصبحنا مجتمعا مسخا.
يجب على علماء الأمة، ومن بقي في قلبه ذرة من ضمير حي، أن يوجه الناس والبسطاء نحو العلم والقراءة، وأن يعمل الجميع على رفع مستوى الثقافة، ولعلي أتساءل: «كيف تكون في ٢٠١٥م أمية في وطننا؟!».
يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩)، ويقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم:٢١). ويقول أيضا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح:٢٩).



عبد الباقي يوسف
باحث من سوريا

الاستباق إلى الخيرات

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ (المائدة:٤٨).

الخيرات، هي الأعمال النافعة التي يقدمها الناس لأنفسهم، ولبعضهم البعض. يقول الله:

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا﴾ موافقا ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ يتضمنه ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ التوراة، والإنجيل لأن تصديق الإنجيل للتوراة كما لو أنه جعلهما كتابا واحدا ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ وتصديق القرآن يجعل الرسالات الثلاث كتابا واحدا، هذا ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الذي يحتوي على ما ورد في التوراة، والإنجيل، ويتم فيه العمل بتلك الأحكام بموجب التصديق وهذا ما يجعله ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ كون الأحكام فيه تتحدث، فكما أن الإنجيل تحدثت فيه الأحكام، فالقرآن حدث الأحكام، ونسخ ما انقضى وقت العمل به وفق حكمة الله من التدرج في أحكامه، وبذلك فقد أصبح أصل الناسخ والمنسوخ في الرسالات الثلاث، وإليه ترجع الأحكام، فما ينسخه، فهو منسوخ، وما يقره فهو مقر به من الله منزل الرسالات الثلاث، فهو بذلك الحافظ، والشاهد، والأمين على التوراة، والإنجيل، وهو يمتلك مقوم أن يحكم، ولا يحكم، يَنسخ، ولا يُنسخ، يهيمن، ولا يهيمن عليه، ولا يوجد بعده كتاب، ولا يوجد بعده حكم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (الحشر:٢٣)، يقول الزجاج في تفسيره لأسماء الله الحسنى: ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ يقال إنه الشاهد، تقول فلان مهيمني على فلان إذا كان شاهدي عليه، وقال محمد بن يزيد: تخاصم أعرابيان إلى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير في بعض الأمر فقال لأحدهما ألك مهيمن؟ فقال مهيمني حجارة اللابة، ويقال إن «المهيمن» الرقيب الحافظ ويقال بل المهيمن أصله المؤيمن فأبدلت الهمزة هاء كما قالوا هرقت الماء وأرقته وهنرت الثوب وأنرته وهرحت الدابة وأرحتها وهياك وإياك.

وقال بعضهم ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ اسم من أسماء الله تعالى وهو غير مشتق (١).

القرآن هو رسالة الكمال في الدين، وبذلك يمتلك الهيمنة على ما سبق، ولا يمسه تحريف: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ إذا حاكمك أهل الكتاب يا محمد ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ لم يقل القرآن، كونه أصبح حاكما على كل ما «أنزل الله» والقرآن أصبح مهيمنا على كل ما أنزل الله من قبله وعلى ذلك ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ أهل الكتاب ﴿عَمَّا جَآءَكَ﴾ سطع عليك ﴿مِنَ﴾ نور ﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾..

الهوى هو نقيض الهدى، فاتباع الحق، هدى، واتباع الباطل هوى، فأرادوا للرسول ﷺ أن يتبع أهواءهم سواء في الحكم على الزانين المحصنين، أو في غيرهما، فهؤلاء يتبعون الأهواء. على هذا النحو، يعلم الله رسوله، ويبين له الحق حتى لا يتبع أهواءهم، فقبل نزول الوحي: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ (الشورى:٥٢)، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ (النساء:١١٣) بنزوله. وهذا بيان للناس بأن العلم والحق يكمنان في القرآن، وألا يتبعوا أهواء بعضهم البعض، وأن تكون الأحكام بما أنزل الله. ثم قال: ﴿لِكُلّٖ﴾ التنوين هنا جاء





عوضا عن كلمة محذوفة، ولعل المحذوف أمة ﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ جعل الله لكل أمة ﴿مِنكُمْ﴾ أيها الناس شريعة عادلة، وسراطا مستقيما ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ دون أن يجعلكم أمما لكل منها شريعتها ومنهاجها ولكن شاء الله أن جعلكم أمما، كل أمة تتميز عن غيرها بالشرائع، والسنن، وفي ذلك يكون التجدد، فلو اتبع الناس جميعا شريعة واحدة، ومنهاجا واحدا، لكان أبناء كل حقبة زمنية تكرارا لما مضى، لكن كل أمة بما أنها جديدة، فلها شرائعها، وسننها الجديدة ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ البلاء هنا بمعنى الاختبار، فمن خلال هذه الشرائع والسنن المختلفة يختبركم الله ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من هذا التنوع والغنى، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الاستباق هو التقدم، ففي التسابق يتقدم المجتهد على غيره، تبادروا في العمل الصالح، وتقدموا فيه، ويتبين هنا أن الأولوية لفعل الخير هي للتعجيل، وليست للتأجيل، فمن أراد أن يعمل خيرا، فليسرع في عمله، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾ اجعلوا أنفسكم في تسابق إلى فعل الخيرات وانتهزوا الفرص، ثم إن المتسابق يسن سنة لغيره، فقد يقتدي به آخرون في فعل الخير، فيكون هو الذي سن هذه السنة الحسنة باستباقه إلى فعلها.

وقد جاءت ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ جمعا للخير، وذلك يعني أن أبواب الخير كثيرة، ويمكن للمرء أن يفعل خيرات كثيرة في يوم واحد، بل في ساعة واحدة.. تجعلك الآية تكون حريصا على فعل الخير في كل وقت من أوقاتك، وقوله ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾ أي هي موجودة ومتوافرة، ولا يحتاج الأمر سوى العزيمة منكم، ففي الصباح عندما تفتح عينيك في الفراش، يمكنك أن تفعل خيرا بفعل أي شيء طيب في البيت، تؤمن الطعام لعيالك، تقضي لهم حاجاتهم، وعندما تخرج، يفرح برؤيتك الجوار، فتلقي عليهم السلام، وتجيب على سلامهم، وفي العمل تيسر في بيعك، وفي شرائك، تقدم عملا متقنا ينتفع به الناس. إن وجدت أذى على الطريق، ازحته، ابتسمت في تعاملك مع الناس، فرجت كربا عن مكروب، نفست هما عن مهموم، قضيت حاجة سائل، أصلحت بين شخصين متخاصمين، ذهبت إلى عريس وباركت له زواجه، عدت مريضا، أرشدت شخصا عن مكان سألك عنه، زرعت بذرة، سقيت شجرة، أخرجت حيوانا من ضائقة ألمت به. فإلقاء السلام، والرد عليه خير، وإماطة الأذى عن الطريق، هو فعل خير، التيسير في البيع والشراء خير، تبسمك في وجه أخيك خير، وضعك اللقمة في فم زوجتك أو أبنائك خير، تفريج كرب عن مكروب خير، تنفيس هم عن مهموم خير، قضاء حاجة سائل خير، إصلاحك بين شخصين متخاصمين خير، ذهابك لمباركة زواج خير، عيادتك لمريض خير، إرشادك لشخص خير، زرعك لبذرة خير، سقيك لزرع خير، إنقاذك لحيوان خير، فتكون في فعل خير حتى تعود إلى فراشك للنوم، وعندذاك أيضا يمكن لك أن تفعل خيرا، بأن تختلي بزوجتك، تلاطفها، وتأتيها، فإن إتيانك لزوجتك هو فعل خير، واستجابتها لرغبتك، هو فعل خير لها. يقول رسول الله ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم إن وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال، كان له بها أجر».

وفي الحديث القدسي أن الله يقول: «يابن آدم مرضت فلم تعدني»، يقول: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين!

يقول: «أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا» (٢).

وروى الإمام البخاري في التاريخ الكبير، والنسائي وغيرهما عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أدخل الله عز وجل الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا، وقاضيا ومقتضيا» (٣).

وفي صحيح مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ



قال: «كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه، إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه» (٤).

ويقول ﷺ: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (٥).

ويقول ﷺ: «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار». ويقول ﷺ: «من كظم غيظا، وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره في أي الحور شاء».

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له فغفر له». روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (٦).

خرج أبويعلى في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كن له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا» (وأومأ بالسبابة والوسطى). (٧).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته ماء من وضوئه معلق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ:

«يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ اتبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني فعلت، فقال نعم، قال أنس: فكان عبدالله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات معه ليلة أو ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل بشيء غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء، قال عبدالله: غير أني لا أسمعه يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث ليال كدت أحتقر عمله، قلت يا عبدالله، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة».

فطلعت أنت تلك الثلاث مرات فأردت آوي إليك فأنظر عملك!

فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي غلا لأحد من المسلمين ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه.. قال عبدالله بن عمرو هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق.

وعن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (٨).

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: «اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» (٩).

كل عمل صالح هو إحراز لـ ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ لأنكم سترجعون بأممكم المختلفة ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ وذلك زيادة في الترغيب لإحراز الاستباق إلى فعل ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فالله هنا يذكر الجميع بمرجعهم إليه كي ينبئهم ﴿بِمَا﴾ كانوا ﴿فِيهِ﴾ بـ ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾. وكلمة ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ فيها وعد، ووعيد، والوعيد هو تعزيز للوعد، وترغيب فيه.

الهوامش

١- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبوإسحاق الزجاج.
٢- رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٦٣٨٧.
٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٨١.
٤- شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/ ٤٨٥.
٥- رواه ابن ماجه وغيره، صحيح سنن ابن ماجه، ١٠٩٧.
٦- صحيح الجامع، ٦٦٠.
٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٩٥.
٨- رواه مسلم، شرح صحيح مسلم للنووي، ٢/٣٦٧.
٩- رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٤٧٠.

د. عبدالمنعم عبدالله
باحث أكاديمي

الأجر العظيم في القرآن الكريم

الأجـر.. كلمة ذات وقـع نفسي، وإيقاع وجداني، تدفع إلى إنجاز العمل، وتحفز على إتمامه، تداعب خواطر العاملين، فتخفف عنهم عبء العمل، وتهون عليهم تبعاته، وتبعث في نفوسهم التطلع إلى الحصول عليه.. إنه الجائزة التي تبعث البهجة بعد العناء، وترسم الفرحة بعد الكد. ومن ثم، تحرص النفوس عليه، وتتشوف إليه، وترغب فيه، وتسعى من أجله.

ويرتبط الأجر بالعمل، ويتفاوت قدرا بتفاوته، ويظل العمل دنيويا أو أخرويا هو المقدمة التي نتيجتها الأجر.. ويبقى الغرس الذي نتيجته الأجر، فبغير العمل لا نتيجة، ولا ثمرة. وتكبر النتيجة وتعظم الثمرة كلما كان العمل جادا صالحا.

والأجر الدنيوي قليل مهما كان كثيرا، ضئيل مهما كان كبيرا.

أما الأجر الأخروي فهو الخير الأبقى؛ فيوسف -عليه السلام- مكن الله له في الأرض، وجعله على خزائنها، وما أضاع أجر إحسانه، صابرا راضيا عفا، وادخر له في الآخرة أجرها الدائم الأجل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (يوسف:٥٦-٥٧)، «أي ما نعطيه في الآخرة خير وأكثر مما أعطيناه في الدنيا، لأن أجر الآخرة دائم، وأجر



الدنيا ينقطع، وظاهر الآية العموم في كل مؤمن متق» (١).

فلما كان الإيمان والتقوى عملا جليلا، كان الأجر في الآخرة وارفا ظليلا.

أجل، إن الأجر الأخروي أكبر من كل أجر دنيوي؛ فالهجرة في الله وترك الأهل والوطن لها أجر دنيوي وطنا، ونصرا، وتمكينا، وفتحا، وشرفا، وعطاء، ويبقى الأجر الأخروي أكبر من كل هذا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤١).

ومن ثم، كان عمر رضي الله عنه «إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الآخرة أكثر، ثم تلا عليهم هذه الآية» (٢).

وقد وصف الأجر في القرآن الكريم بصفات متعددة، منها الكرم (أجر كريم).

والكرم صفة جامعة لكل فضل وفوق وسبق، فـ «كل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم» (٣)، «والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.. واسم جامع لكل ما يحمد» (٤).

فماذا عن الأجر الكريم في القرآن الكريم؟

لقد جاء في أربعة مواضع:

■ الأول: في قول الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب:٤٤).

إنهم المؤمنون بالله وبرسوله، رحمهم الله من العذاب، فهم المتبعون هديه المطيعون أوامره، فاستحقوا هذه الرحمة، وتوجوا بسلام هو تحيتهم يوم يلقون ربهم، وكانت الجنة أجرهم الكريم «عن قتادة: قوله ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قال: تحية أهل الجنة السلام. وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ يقول: وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا، كريما، وذلك هو الجنة» (٥).

فالأجر الكريم هو الجنة، وما أكرمه من أجر، جزاء للإيمان، وما أجل الإيمان من عمل.

■ الثاني: في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (يس:١١).

إن الغافلين وقد عميت قلوبهم لا ينفعهم الهدى، ولا يجدي فيهم الإنذار، فهم لا يصدقون ولا يؤمنون، إنما يجدي الإنذار وينفع ويلقى تفاعلا وتجاوبا مع الذين استجابوا لهدي القرآن الكريم، وملأت الخشية قلوبهم، فراقبوا الرحمن في السر والخلوة، ولهم البشرى بالغفران، والجنة أجرهم الكريم.

يقول: «يقول: فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه (وأجر كريم)... وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة» (٧). قال الزجاج: «المغفرة هي العفو عن ذنوبه، وأجر كريم بالجنة» (٨)، فالأجر الكريم: الجنة (٩).

إن اتباع القرآن وخشية الرحمن عمل استوجب البشارة «بمغفرة لما سلف وأجر كريم على ما أسلف من العمل الصالح، وهو الجنة» (١٠).

■ الثالث: في قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:١١).

إنها دعوة للإنفاق في سبيل الله، وترغيب للبذل مرضاة له جل وعلا «فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذي أقرضه، بإنفاقه في سبيله، فيجعل له بالواحدة سبعمئة... (وله أجر كريم) يقول: وله ثواب وجزاء كريم، يعني بذلك الأجر: الجنة» (١١)، فالأجر الكريم: الجنة (١٢).

إن الإنفاق في سبيل الله عمل موجب للجنة، أجرا كريما يستحقه الكرماء الأسخياء.

■ الرابع: في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:١٨)

قروض المتصدقين مضاعفة لهم يوم القيامة، وأجرهم كريم «ذلك الجنة» (١٣)، إنه «حث على الصدقات، ولهذا قال: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالصدقة والنفقة في سبيل الله.. (يضاعف لهم) أمثالها.. (ولهم أجر كريم) يعني الجنة» (١٤).

وجمعت الآية بين التصدق والإقراض في مجال الإنفاق في سبيل الله «والظاهر أن الأول هو الواجب، والثاني هو التطوع؛ لأن تشبيهه بالقرض كالدلالة على ذلك. وأيضا ذكر الأول بلفظ اسم الفاعل الدال على الاستمرار ينبئ عن الالتزام والوجوب» (١٥).

فأهل الإنفاق متدفقون على بذل الخير والعطاء فرضا ونفلا، وجوبا وتطوعا واحتسابا ومرضاة لله رب العالمين.. ومن ثم كان أجرهم الكريم الجنة.

وإذا كانت هناك قراءة قرآنية بتخفيف الصاد (١٦) ﴿الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾، فالمقصود الذين «صدقوا الله ورسوله وأقرضوا،

ويندرج تحت التصديق الإيمان وجميع الأعمال الصالحات، إلا أنه أفرد الإنفاق بالذكر تحريضا عليه» (١٧).

وفي هذا ما يوحي بفضل الإنفاق في سبيل الله، كأنه الأمارة على التصديق والدليل العملي على صدق الإيمان.

وبعد، فهذا هو الأجر الكريم في مواضعه القرآنية الأربعة، وقد تجلى لنا في ظلالها ما يلي:

١- المقصود بالأجر الكريم في معظم أقوال المفسرين هو الجنة، وما جاء في تفسير بعضهم بمعان أخرى فإنها ملتصقة بالجنة أيضا، كتفسير ابن كثير للأجر الكريم في الموضع الثاني في سورة يس بقوله «كثير واسع حسن جميل» (١٨)، وتفسيره للأجر الكريم في الموضع الثالث في سورة الحديد آية ١١ بقوله «جزاء جميل ورزق باهر» (١٩)، ثم أعقب ذلك بقوله «وهو الجنة يوم القيامة»، مما يؤكد أن المقصود بهذه الأوصاف الجنة. وتفسيره للأجر الكريم في الموضع الرابع في سورة الحديد آية ١٨ بقوله «ثواب جزيل حسن، ومرجع صالح ومآب حسن» (٢٠)، فهل تنطبق هذه الأوصاف إلا على الجنة؟! إن الأجر الكريم في جل أقوال المفسرين الجنة، بل نص على ذلك بعض اللغويين؛ فقد جاء في «لسان العرب»: «وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ الأجر الكريم: الجنة» (٢١).

٢- في تتبع لدلالة مشتقات (ك ر م)، التي منها (كريم)، -وصف الأجر- ما يلائم طبيعة الجنة؛ فإذا كان ابن فارس يجعل الكاف والراء والميم أصلا صحيحا له بابان: أحدهما: شرف في الشيء... والأصل الآخر: الكرم، وهي القلادة (٢٢)، فإن القلادة تلائم أهل الجنة الذين ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ (الحج:٢٣)، «وأرض مكرمة وكرم: كريمة طيبة».. «وكرمت الأرض.. زكا نبتها» (٢٣)، وهل هناك أكرم وأطيب وأزكى نباتا من أرض الجنة؟! و«التكرمة: الموضع الخاص لجلوس الرجل من فراش أو سرير مما يعد لإكرامه، وهي تفعلة من الكرامة» (٢٤). وأهل الجنة قال الله فيهم: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن:٥٤)، وقال: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٣).

٣- جاء الأجر في المواضع الأربعة نكرة خصصت بالنعت النكرة؛ فهو أجر خاص، هل هناك أخص من دار النعيم المقيم.. الجنة؟!

٤- جاء الأجر الكريم منصوبا ومرفوعا ومجرورا، مستوعبا كل الحالات الإعرابية للاسم، وفي هذا إيحاء بالتمام والشمولية والكمال بما يتواءم ومدلوله السامي الكامل.

٥- الأعمال المستوجبة للأجر الكريم تكاد تنحصر في جانبين: عام، وهو الإيمان بالله، وما يحويه من اتباع القرآن وخشية الرحمن في الخلوة. وخاص، وهو الإنفاق في سبيل الله، الذي يؤكد صدق الإيمان وتمكنه في النفس، فيرخص أمامها كل متاع الدنيا، فتبذله في طيب نفس واحتساب؛ مرضاة لله رب العالمين، وغنى حقيقيا بفضله ورحمته.

وإذا كان الإنفاق في سبيل الله يحتل موضعين من المواضع الأربعة، فهذا دليل على مكانته، عملا صالحا نافعا أجره كريم، وهو الجنة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:٣٧). فآمنوا بالله ورسوله، واتبعوا الذكر، واخشوا الرحمن بالغيب، وأنفقوا، وأقرضوا الله قرضا حسنا تجزون بهذه الأعمال «الجنة.. أجرا كريما».

الهوامش

١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٤٤/٩.
٢- السابق ٧١/١٠.
٣- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص:٤٣١.
٤- لسان العرب (ك ر م).
٥- جامع البيان للطبري ١٤/٢٢.
٦- راجع: الكشاف للزمخشري ٢٦٦/٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٢٣٨/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٦/٣.
٧- جامع البيان للطبري ٩٩/٢٢.
٨- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨١/٤.
٩- راجع: الجامع لأحكام القرآن ٩/١٥.
١٠- البحر المحيط ٣٢٥/٧.
١١- جامع البيان ١٢٨/٢٧.
١٢- راجع: الجامع لأحكام القرآن ١٥٨/١٧.
١٣- جامع البيان ١٣٢/٢٧.
١٤- الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/١٧.
١٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، على هامش جامع البيان للطبري ١٣٣/٢٧.
١٦- قراءة ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر. راجع السبعة لابن مجاهد، ص:٦٢٦.
١٧- غرائب القرآن ١٣٣/٢٧.
١٨- ابن كثير ٥٦٥/٣.
١٩- السابق ٣٠٧/٤.
٢٠- السابق ٣١١/٤.
٢١- لسان العرب (أ ج ر).
٢٢- مقاييس اللغة (ك ر م).
٢٣- راجع: لسان العرب (ك ر م).
٢٤- السابق نفسه.

سليمان خالد الرومي
سكرتير التحرير



على حب الوطن نربي الأبناء

وجب علينا جميعا أن نغرس في نفوس أبنائنا من الفطرة التي فطرهم الله عليها، وأن نقدم لهم القدوة الحسنة في رسولنا العظيم محمد ﷺ مثالا في حبه لوطنه وأن يكون هذا الغرس في حبهم لدينهم وأميرهم ووطنهم وأن نسرد عليهم دروسا من الماضي الأصيل في التضحية بحب الوطن والانتماء إليه، وأن يكون هذا الحب غذاء روحيا في مرحلة الطفولة حتى ينمو ويثبت عليه وأن يكون سلوكه إسلاميا يتفق مع ديننا الحنيف وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية والعربية، وهانحن في هذه الأيام نحتفل باستقلال الكويت والتحرير لنعرف فيها أبناءنا بتاريخ الكويت المشرق.

ونعرفهم بنهضة الكويت بلد الأمن والاستقرار، ولله الحمد نحن ككويتيين نعيش في عز ورخاء.. وكانت ومازالت سياسة الباب المفتوح بين الحاكم والشعب هي قاعدة الحكم في الكويت. حيث تقوم على العلاقة العفوية الوثيقة والحميمة بين الحاكم والشعب من خلال الارتباط العائلي الذي يلف الكويت بين أسرة الخير (آل الصباح وأبناء الشعب.

وكلنا يذكر أميرنا الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح طيب الله ثراه الذي خرج على إثر المحاولة الغادرة لاغتياله عام ١٩٨٥م مطمئنا شعبه فقال: إن عمر جابر الأحمد مهما طال الزمن هو عمر إنسان يطول ويقصر، ولكن الأبقى عمر الكويت والأهم هو بقاء الكويت والأعظم هو سلامة الكويت.

قالوا عن سموه: «جابر بيوم الوغى»

جابر بيوم الوغى طالت يمينه وفعل
نسل الكرام الأماجد في زمانه فعل
له حكمة دراها في كل ما هو فعل
يا معدن الجود يا من بالندا مدك
تسلم يمينك بكل الراي من مدك
البحر لي من جزر تسقيه من مدك
الشعب في طاعتك افعل ومثلك فعل

(من مجموعة زهيريات عبدالله الدويش)

وحدتنا وقوتنا

أمر الإسلام بالوحدة التي هي أساس القوة، وأهل الكويت متماسكون من نشأة الكويت محافظون على وحدة الصف.

فقد قال عز وجل ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣).



وحث على اليقظة والحذر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ (النساء:٧١).

والإسلام يعمل على رص الصفوف ويحارب التفرقة محاربة لا هوادة فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات:٦).

والإسلام يحارب الإشاعات ويأمر بمكافحة مروجيها ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (النساء:٨٣).

﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال:٣٠).

«يأتي من ألطاف الله ما لا يخطر على بال» أثر حسن.

ومنذ نشأت الكويت وعرفها التاريخ قرية، ثم بلدة، ثم مدينة، كان كل فرد من أبنائها جنديا لا يحتاج لأن يصف مع الجنود إلا أن يتأثر بكلمة يقولها الرئيس الذي هو الأمير: إلى الجهاد إلى المعركة.

ومن هؤلاء الجنود علي، وما أدراك ما علي.

وخرج علي ذات يوم إلى البحر في زورق صيد كعادة الكثيرين من هواة صيد السمك، وأبصر وهو في عرض البحر أشرعة وقلاعا أبصر من تحتها أربع عشرة سفينة، واقترب منها ليتبينها فإذا هي لعدو مغير، والكويت نائمة غافلة لا تعلم بما يخبئه القدر لها.

وذهب علي يسرع الخطا إلى قصر الأمير وهو الجائع الظامئ، فاستأذن عليه فلم يؤذن له، لأن الوقت راحة.

ولكن علي ألح ورفع صوته فسمعه الأمير، فاستيقظ من نومه، وعرف صوت علي، وأذن له بالدخول، وقص عليه القصة وبعد أن فرغ أغمي على علي من تعب وجوع وعطش، وأسعف علي، ولما استيقظ من غشيته قال الأمير: يا علي أرني الدليل على صدق قولك، إنه لم تداخلني فيك ريبة، لكن ليس ثمة ما يشعرني أو يظهر لي منه لا من قريب ولا من بعيد خبر مثل هذا الغزو، فكشف علي عن ظهره وبعض أجزاء بدنه وإذا عليه أثر الضرب والتعذيب، وبعث به إلى أهله عزيزا مكرما.

وأصبح اليوم التالي، وأقبل العدو بأسطوله وبعدده وعدته، ولكنه أبصر الساحل يموج بالرجال، وعلم أن أمره قد انفضح وأن هجومه على هذا العدد من الرجال المدافعين لا يعزه بل سيعود عليه بالنقص والفشل.

وعض أصابعه ندما على أن ترك عليا يعود إلى الكويت وهو يعرف أن الكويتي يفضل وطنه على نفسه وولده والناس أجمعين.

وسلم الوطن وخاب العدو والحاكم والمحكوم إلى الخطر، وأخذوا أمرهم ونكصوا على أعقابهم.

وبقي أبناء علي وأحفاده يتناقلون قصة هذا الجندي المجهول، قصة جدهم جيلا بعد جيل وهم يفخرون بما كان عليه الجد ويتواصون أن يكون الابن على سر أبيه.

بطل هذه القصة علي بن سليمان بو كحيل جد العائلة المعروفة «بوكحيل» وكانت حوادثها في عهد المرحوم الشيخ مبارك الصباح، وقد ذكرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت.

ونسأل الله العلي القدير أن يحفظ بلد الخير الكويت وشعبها والمقيمين على أراضيها من كل مكروه ويحفظ أميرها وولي عهدنا الأمين ورئيس مجلس الوزراء وأن يجعلهم ذخرا للإسلام والمسلمين.

القاهرة:
دار الإعلام العربية



مقومات حب الوطن

«حب الوطن» فطرة إنسانية، ومنهج نبوي أصيل، لخصه الرسول ﷺ حينما أخرجه قومه من مكة بقوله ﷺ: «والله إني أعلم أنك خير أرض الله وأحبها إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»، وفي رواية أخرى: «ما أطيبك من بلد! وما أحبك إلي! ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

لكن مع ما يعانيه المسلم من أفكار دخيلة ومعتقدات فاسدة، قد تضل الفطرة طريقها الصحيح، وتظل في حاجة إلى مقومات.. فكيف ننمي حب الأوطان في نفوسنا؟ وهل يتعارض ذلك الحب مع الدين؟

«الوعي الإسلامي» التقت عددا من العلماء والأكاديميين وجاءتكم بالتفاصيل.

نبدأ مع العميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء د. أحمد طه ريان، الذي يؤكد أن الإنسان عندما ينشأ في مكان يتربى فيه ويأكل من أرضه وتمر عليه فيه كل اللحظات السعيدة والحزينة، يصبح هناك ارتباط فطري يحبه القلب، ولا يتمنى فراقه، ويكره البعد عنه إلا لشيء أقسى من ذلك، كقول الشاعر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة
وأهلي وإن ضنوا علي كرام

د. طه ريان: ربوا أبناءكم على حب الوطن وفق هدي النبي

ربوا أبناءكم على حبه

ويوضح د. ريان أن الله ربط في كتابه حب الوطن بحب النفس تارة، وحب الدين تارة في قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ

تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ (النساء:٦٦-٦٨)، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

وأوضح أنه يستشعر هذا الأمر فعلا في أبناء الشام المشردين، الذين أخرجتهم الحرب إلى أقصى الدنيا من دون ظهر يحميهم سوى الله تبارك وتعالى، موضحا أن ما يتعرضون له يذكرهم بالوطن الذي خرجوا مكرهين منه، وعلينا نحن أن نفهم هذه النعمة.

وتابع: لكي نزرع حب الوطن والانتماء إليه في الشباب في، لابد أن نعلمهم أولا فضل عمارة الأرض وعدم الهدم والتدمير، يقول رسول الله ﷺ «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها». ويقول أيضا: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة». وأيضا: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة».

ونبه ريان إلى أن هناك أمرا لابد من تعليمه جيدا للنشء، يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ

الشيخ معوض: حبه بالمساواة والعدل والعمل والتمسك بالدين وليس بالشعارات والأغاني

ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة:٢٤)، موضحا أن حب الله ورسوله ينبغي أن يقدم على أي حب، وأن تكون طريقة حبك للوطن موافقة لمنهج النبي ﷺ.

كما طالب بتربية أطفال الوطن العربي على تقدير النعمة، والمحافظة على كل شيء على الأرض، وعدم التأثر بثقافات الغرب، التي تعتبر المصلحة الشخصية فوق أي اعتبار، مشيرا إلى أن الغرب شعب مادي، بينما الإسلام علمنا الوحدة والتعاون في كل شيء.

كيف نحبه؟

بدوره، يؤكد الشيخ معوض عوض إبراهيم (أحد علماء الأزهر المعمرين)، أن الله نشر الخلق في الأرض أجناسا مختلفة، وأمرهم بعمارتها وفعل الخير، فمن عمل على ذلك صلحت دنياه وآخرته، ومن عاث فيها فسادا هدمت دنياه وآخرته.

وأضاف: «الوطن ليس أرضا فقط، وهو مفهوم أوسع من ذلك. ونعيش فترة من الجهل العتيق بكل شيء، فالمفاهيم مغلوطة، والأفكار مشوهة، والعلماء في ضلال إلا من رحم الله».

وتابع: «تربط أبناء الوطن العربي عقيدة ولغة وأرض، جميعها تكون الوطن الذي يطمح الجميع

د. دسوقي: مدوا جسور التواصل وتخلصوا من نعرات الطائفية والعصبية

إلى بنائه. ومن ثم، فإن أبرز ما يبني الأوطان وما يؤكد حبنا لها بصدق، هو المساواة والعدل والعمل والحفاظ على شعائر الدين، وليست الشعارات والأغاني الوطنية».

وأضاف: «كلنا مسؤولون عن زرع مفهوم حب الوطن الشامل في نفوس الأطفال، من خلال التربية الإسلامية الوسطية القائمة على قبول الآخر وحفظ النفس والمال والأعراض، وأيضا الحفاظ على الممتلكات الخاصة والعامة، والاهتمام بأمر الجار. وقد صدق رسولنا الكريم ﷺ حين قال عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (متفق عليه).

وأشار إلى أن الأطفال يكتسبون من الأهل ومن وسائل الإعلام مفاهيم عن الوطن، ويكتسبون أيضا من سلوكيات المجتمع ومن الثقافات الأخرى آراء ومفاهيم ينبغي مراقبتها وتنقيتها؛ لمنع أفكار الغلو، سواء كره الوطن أو الحب الخاطئ الوهمي غير المبني إلى أساس صحيح.

وطالب الشيخ المعمر الشباب بأن يستغلوا فترة القوة والصحة بعمارة الأرض، وعدم الاستسلام للإحباط والأفكار المدمرة والسلوكيات الخاطئة، قائلا: «اعمل من أجل الله، وحافظ على نفسك وجسدك وعقلك من أجل الله».

وتابع: «هناك حقوق للتعامل مع أبناء الوطن الواحد، منها حق الجوار، وحق التنمية والفرص المتساوية والعدل، وحق التعاون والتكافل، وحق الأمن. وقد صح عن رسول الله ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم- أنهم كانوا يشتاقون إلى

مكة. ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ومعه أبوبكر وبلال -رضي الله عنهما- وأخبرت عائشة -رضي الله عنها- رسول الله ﷺ فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة» (متفق عليه)».

من العقيدة

أما أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم د. محمد الدسوقي، فأوضح أن «حب الوطن»، مفهوم ذكر في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، ومن ذلك الدعاء للوطن، فقد ورد عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا»، وورد أيضا عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة».

وأشار الدسوقي إلى هناك ٣ أمور تقتل الشعور بهذا المفهوم، وهي: الفساد والنزاع والمصلحة الشخصية، مؤكدا أن الأوطان تبنى بالمشاركة الجادة في إعمارها، ومحاربة الفساد والظلم، والتوحيد بين الفرق المتنازعة، وتقديم المصلحة العامة على الشخصية، والالتزام بالأخلاق ومنهج النبي ﷺ في التعامل مع الآخر.

وأشار إلى أنه لابد من زرع فكرة أن حب الوطن جزء من العقيدة، وأن يعمل المسلم على تقديم الخير دائما لأبناء أمته، الأقرب فالأقرب.. فالإسلام أمر بالحفاظ على الوطن من التدمير، وأمر بالعدل والإحسان والتعاون؛ لخلق أمة قوية يربطها أكثر من شيء، كما أمر بالدفاع عن المظلوم ومواجهة الظلم في كل مكان.

د. مجدي حسين: الأمن النفسي من أساسيات بقاء الوطن والإنسان وتكاملهما

وتابع: «عشت عشرات السنين خارج وطني، وكنت أحن دائما إلى المكان الذي حفظت فيه القرآن وتعلمت فيه ولعبت وكتبت فيه».

وطالب الدسوقي بالعمل على بناء الأطفال على التمسك بالدين واللغة والأرض، والاعتصام بحبل الله، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣).

وشدد على ضرورة أن يسعى جميع أبناء الوطن إلى مد جسور التواصل والمحبة والتآزر، والتخلص من أي نعرات طائفية أو عصبية مصداقا لقوله ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

غرس منذ النشأة

أكد أستاذ التاريخ بكلية الآداب في جامعة حائل بالمملكة العربية السعودية وعضو الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية د. عمرو عبدالعزيز منير، أن حب الوطن على مدار التاريخ الإسلامي لم يكن مجرد مشاعر فقط أو شعارات، إنما إيمان يغرس منذ البدايات.

وأضاف أن احترام العمل والعلم، والإيمان بأن الفرد ممثل لأمته أمام نفسه وأمام الله والناس أجمعين، والسير في طريق العمل بجد، واتخاذ العلم النافع والضمير الحي، وتعليم ذلك من جانب الأسرة والمؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية والدينية والإعلامية أمر واجب؛ لزرع هذه المحبة وتصويب مسارها.

وأشار إلى أن تعليم التاريخ للنشء ودراسته بكل أنواعه أمر ضروري؛ لزرع الانتماء والوطنية، وهناك مقولة تشير إلى أن التاريخ يعيد نفسه، فتجد أحداثا متشابهة تستطيع من خلالها بحث ما قام به الآخرون ودراسة تجاربهم للاستفادة منها.. كما ينبغي الاهتمام بالوطن والتعرف على مكوناته واحترام خصوصياته، وهذا أفضل تعبير عن محبتنا له، وهذه المحبة تعني أولا محبة أناسه والاهتمام بثقافته واحترام تاريخه.

وتابع: «الأمة العربية مثل كثير من الأمم تعاني من كوارث مزمنة، لكنها تعاني أساسا من «أزمة محبة واهتمام» من قبل أبنائها ونخبها الفاعلة، مازلت أتذكر كلمات صديقي العراقي سليم مطر في توصيفه لمدى علاقة المثقف بوطنه: إن الوطن مثل أي حبيب؛ بالمحبة والمعرفة والاهتمام نحميه من عيون الحساد ومطامع الأشرار».

وأضاف: «حب الوطن هو الخطوة الأولى نحو سلامته وخيره. وهذه هي مهمة الثقافة الوطنية الواقعية، القائمة على محبة الإنسان والوطن وخالقهما الرحيم».

الفقر والظلم يقتلان الانتماء

من زاوية أخرى، أكد استشاري الطب النفسي في جامعة عين شمس د. إبراهيم مجدي حسين،

د. عمرو منير: نعبر عن حبنا له بمحبة أناسه والاهتمام بثقافته واحترام تاريخه

أن هناك دافعا فطريا وآخر مكتسبا لحب الوطن، مشيرا إلى أن الأول يولد به الإنسان؛ ويشمل الحب والشوق للأماكن المقدسة، بالإضافة إلى شعور الانتماء إلى الأرض التي ولدت فيها وأكلت من خيرها وتعلمت فيها، وهذا شعور فطري. أما المكتسب فيشمل ما عوده عليه الأهل والمجتمع، وما يسمعه الطفل في المدارس والمساجد ووسائل الإعلام.

وأضاف أنه تم استحداث قسم في علم النفس يسمى «علم النفس الاجتماعي»، يضم حب الوطن، ويشمل التفكير الجمعي، ويدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة، وهدفه بناء مجتمع أفضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة في منطقة وأرض واحدة.

وأشار إلى أن توعية الأطفال منذ البداية بأهمية الوطن، وأننا أمة واحدة يربطها دين ولغة وعادات وتقاليد وأهداف وآمال وطموحات، بل وأرض أيضا، أمر مهم جدا، فلابد من تعويد الطفل على تشجيع القيم والعادات والرموز، بل والمنتجات العربية، والاعتزاز باللغة، وإظهار النماذج التي تحفز النشء على الاعتزاز بالوطن العربي ككل وليس بالثقافات الغربية.

وأوضح أن رواية التاريخ من أكثر الأشياء التي تعين على حب الوطن، وتذكر الأجيال الجديدة بالتضحيات والدماء التي سقطت من الجميع من أجل الوحدة والتعاون المشترك، وليس مجرد الكلام والخطب.

وتابع قائلا: «أيضا نجد في علم الاجتماع مدرجا يسمى «هرم ماسلو»، وهي نظرية نفسية وضعها العالم أبراهام ماسلو، وتناقش

د. العالم: على الإعلام أن ينمي في المواطن ملكيته للأرض واعتزازه بلغته وثقافته

ترتيب حاجات الإنسان؛ وتتلخص في أنه يشعر باحتياج فطري إلى أشياء معينة، وهذا الاحتياج يؤثر في سلوكه، فالحاجات غير المشبعة تسبب توترا لدى الفرد، فيسعى للبحث عن إشباع لها، وتتدرج الاحتياجات في هرم يبدأ بالاحتياجات الأساسية اللازمة لبقاء الفرد، ثم تتدرج في سلم يعكس مدى أهمية هذه الاحتياجات. والحاجات غير المشبعة لمدد طويلة قد تؤدي إلى إحباط وتوتر حاد قد يسبب آلاما نفسية، ويؤدي ذلك إلى العديد من الحيل الدفاعية التي تمثل ردود أفعال، يحاول الفرد من خلالها أن يحمي نفسه من هذا الإحباط».

وأوضح أن على الدول التعاون في بناء النشء العربي من خلال تلبية هذه الاحتياجات، فلا يعقل أن ينتشر الظلم والفساد، وندعو في الوقت ذاته الفقير الذي لا يجد قوت يومه إلى أن ينتمي إلى وطنه، فالواقع يؤكد أن الفقر والظلم يقتلان الانتماء.

وأكد أن الاهتمام بالخدمات أمر ضروري لتحقيق حب الوطن، وحتى لا نخرج جيلا فاقد الهوية، قائلا: «الأمن النفسي من أهم الحاجات الأساسية لبقاء الوطن والإنسان وتطوره، فمن دون الأمن لا يوجد وطن. والعدل أساس الأمن».

وتابع: «الطفل منذ مراحل نموه الأولى يجب أن يتعلم أنه يعيش في مجتمع، وأنه عنصر مهم فيه، ويجب أن يكون صالحا وقادرا على تحمل المسؤولية، والمشاركة في نموه وتقدمه ورقيه بالجد والعمل والكفاح. ويجب أن ينشأ خلال مراحل عمره على الولاء والانتماء وحب الوطن».

دور الإعلام

أخيرا، يؤكد أستاذ الإعلام في جامعة القاهرة د. صفوت العالم، أن حب الوطن يبدأ بالمشاركة في تنميته ورفعته، فعلى كل وسائل الاتصال التي يتعرض لها المواطن منذ نشأته، سواء الوسائل الجماهيرية كالتلفزيون والإذاعة والصحف، أو الوسائل الأخرى كالاتصال الشخصي والأسرة والمدرسة والمسجد، أن تزرع في الطفل حب المشاركة في بناء الوطن وتنميته، ومع نمو عمره يبدأ يشعر أن كل شيء في البلد ملكه، وأن حديثه له قيمة لدى حكامه، وأن قطعة التراب من الأرض لا يمكن أن يكون فيها فساد.

وأشار إلى أن وسائل الإعلام لها دور كبير في تنمية فطرة حب الوطن؛ فتحث على العمل والإنتاج، وتحذر من الإفساد والإهمال وتغير الوعي والمعرفة حتى السلوك، وتنمي مفهوم كلمة المواطن المالك للأرض المعتز بلغته وثقافته.

وتابع: «لا يصح مثلا أن تعرض وسائل الإعلام نموذجا للتدمير والخيانة على أنه ناجح ومرفه وسعيد في حياته، بل يجب أن تكون الرسالة دوما أن المحافظ والمهتم بالأرض والجيران والأهل والمدافع عن الأرض هو القدوة».

ودعا إلى تطوير مناهج التربية الوطنية والبعد عن تهميشها، موضحا أن الجيل الحالي يحتاج بقوة إلى الكبار لتطوير هذه المفاهيم، حيث أصبحت مفاهيم كالهجرة وكره الدين واللغة والأرض تنتشر -وللأسف- بدعم من وسائل الاتصال، خصوصا السينما والتلفزيون.

محمد شعبان أيوب
باحث في الحضارة الإسلامية

المؤرخون المسلمون وتخليدهم لأوطانهم

يولد الإنسان لا يعلم من أمره شيئا، حتى إذا بدأت ملامح الوعي من السمع والبصر والفؤاد تأخذ من نفسه مأخذها، أدرك أمه وأباه وقومه ووطنه، فالوطن قديم في أعماق الإنسان قدم نفسه، حتى إذا أراد الرحيل أو السفر الطويل هاجت فيه لوعات الحنين والاشتياق..

وكم يطالعنا العربي القديم بشعره الذي يسطر فيه قصائد الحب لطلل بال نشأ عنده، أو ربوة فريدة في دياره، أو مربأه القديم بالعموم، وهاهو الشاعر النجدي الصمة بن عبدالله القشيري يقول عند الرحيل عن وطنه:

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ... وحق لنجد عندنا أن يودعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى ... وما أحسن المصطاف والمتربعا
فليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا!

وإذا أراد المرء أن ينقب عن هذه النزعة في تاريخ الإنسانية العام، فإنه لن يعدم نصوصا تؤيد منحاه، فمنذ عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، أخذ المصريون القدماء يدونون حوادثهم اليومية على الجدران وفي المعابد، و«كانت هذه الوثائق قد أصبحت تواريخ بحق، تفيض بالعواطف الوطنية».

الوطن في التأصيل الإسلامي

وفي الإسلام جاء حب الوطن تاليا في الأهمية للنفس والدين. فبعد النفس في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (النساء:٦٦). وبعد الدين في قوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة:٨).

واشتهر عن النبي ﷺ حبه لموطنه مكة المشرفة، ولما خرج منها مكرها في الهجرة إلى المدينة المنورة، ووصلها فخُمَّ هو وأصحابه، ما كان منه إلا أن دعا على رؤوس الكفر والإجرام الذين اضطروه وأصحابه إلى النأي عن موطنهم، قائلا: «اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة». ولذلك فإن حب الوطن غريزة متأصلة في النفوس تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحن إليه إذا غاب عنه، ويدفع عنه إذا هوجم، ويغضب له إذا انتقص.

التواريخ الوطنية في الإسلام!

ومن اللافت أن نجد هذه النزعة في السياق التاريخي الإسلامي من خلال نوع طريف من أنواع التأليف التأريخي، وهي «التواريخ الوطنية». يقول المستشرق الألماني فرانز روزنثال: «لقد كان الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة تعبيرا أدبيا محببا عن شعور الجماعة، ولقد عبرت المجتمعات الإسلامية كافة عن الرباط الوثيق الذي يربط الناس بمكان مولدهم، ومع أن كثيرا من التواريخ المحلية في الإسلام نشأت من الاعتبارات الدينية والفقهية، غير أن المفاخر الإقليمية كانت وراء مباحث العلماء».

ومن هنا نجد تأكيد المؤرخ الحسين السلامي (ت ٣٧٤هـ) في

كتابه «أخبار ولاة خراسان»، على ضرورة اهتمام المؤرخ بالكتابة عن إقليمه وأرضه قبل أي اعتبار آخر، فيذكر أن «الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جمل أبنائها، ويحفظ أيام أمرائها، لا شيء أزرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه، ولعله يتطلب أخبار غيرها، ويكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل».

وإننا نجد رسالة شديدة اللهجة من المؤرخ التونسي الحسن ابن محمد القيرواني إلى أهل الأندلس وفي مقدمتهم معاصره العلامة ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) يعيب فيها عليهم تقصيرهم في الكتابة والتأريخ عن موطنهم، وقد جاء فيها: «وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم، كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح، وراتب على كعبه لا يتزحزح؛ يخاف إن صنف أن يعنف، وإن ألف أن يخالف ولا يؤالف، أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده، ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه، ولا بَلَّ قَلَمًا بمناقب كتابه ووزرائه، ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه».

غير أن العلامة ابن حزم كعادته لم يسكت إزاء ما رآه من تجاهل القيرواني لحقيقة وجود مؤرخين أندلسيين سطروا حبهم لوطنهم، فأرسل رسالة تفند «المزاعم» التي جاءت في خطاب القيرواني الآنف، وكان مما جاء فيها: «إني لما احتللت بك، وجالت يدي في مكنون كتبك، ومضمون دواوينك، لمحت عيني في تضاعيفها درجا فتأملته... يذكر له فيها أن علماء بلدنا بالأندلس هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم... أما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره، وهو كتاب مريح مليح». ورسالة ابن حزم طويلة فيها دفاع مستميت عن بلده الأندلس.

وإننا نجد طفرة في العدد الكبير من التواريخ الوطنية في الإسلام، حتى إن كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية كان له مؤرخوه الذين خلدوا آثاره وخططه وثقافته في تلك التواريخ، ويعتبر كتاب «تاريخ بغداد» لأحمد بن طيفور (ت ٢٨٨هـ)، وكتاب «تاريخ الموصل» لأبي زكريا الأزدي (ت ٣٣٤هـ) من أقدم ما ألف في تاريخ العراق. وأما مصر فإن أقدم ما جاءنا عنها، والذي يعبر عن شعور الاعتزاز بتراثها القديم كتاب «تاريخ مصر وفضائلها» لأبي محمد بن زولاق (ت ٣٨٧هـ)، وكتاب «تاريخ مصر» لمحمد بن عبيدالله المسبحي (ت ٤٢٠هـ) وذيله الذي كتبه محمد بن علي بن ميسر (ت ٦٧٧هـ) وغيرها.

وفي بلاد الشام ظهرت أقدم أمثلة في الكتابة عن الوطن في منتصف القرن السادس الهجري، فابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ) خصص تاريخه لمدينة دمشق، ثم من بعده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» وهو موسوعة ضخمة جمع فيها بين التاريخ والجغرافيا والتراجم والطبقات والآثار وكل ما كان له علاقة بدمشق حتى القرن السادس الهجري، ومن أعظم ما كتب عن مدينة حلب الشهباء ما ينسب للمؤرخ عمر بن أحمد بن العديم (ت ٦٦٠هـ) الذي خصص كتابه «زبد الحلب من تاريخ حلب» لدراسة التاريخ السياسي لهذه المدينة.

ومن أشهر التواريخ الوطنية لبلاد فارس كتاب «تاريخ أصفهان» للأصفهاني، و«تاريخ قم» للحسن بن محمد القمي، و«تاريخ طبرستان ومازندان» لظهير الدين المرعشي في القرن التاسع الهجري، وغيرها.

هذا الكم الكبير من المؤلفات التاريخية الوطنية التي تفتخر بالأقاليم الإسلامية، وأهليها، وتراثها، وما قدمته في مسار حركة التاريخ الحضاري الإسلامي، لم تكن نزعة تعلو بالوطن على الدين، بل كانت تأكيدا على أن الأوطان الإسلامية تكمل بعضها بعضا، وإن تنوعت وتباينت أعرافها وعوائدها، وقد أقر المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي بهذه الحقيقة قائلا: «إن الإنسان العربي يستمتع بمزايا عظيمة حيثما كان، تضفيها عليه نسبته للأمة العربية، فهو يشعر أنه في داره مهما تنقل بين بلاد العروبة والإسلام. إن السعودي أو العراقي أو المصري أو المغربي أو التونسي لا يجد فرقا في الجو الاجتماعي، ولا في روح الحياة العامة، ولا في مستوى الإدراك السياسي... بل المسلم - أيا كان لونه - لا يحس فرقا يذكر عند ارتحاله بين حواضر الإسلام».

الهوامش

١- أبوالحسن البصري: الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٧/٢، ١٣٨.
٢- ول ديورانت: قصة الحضارة، تحقيق زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ١١٧/٢.
٣- البخاري: أبواب فضائل المدينة، باب كراهية النبي أن تعرى المدينة (١٧٩٠).
٤- محمد الغزالي: حقيقة القومية العربية، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٨٦.
٥- فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٠٦.
٦- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ملحق بكتاب «علم التاريخ عند المسلمين» لروزنثال.
٧- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ١٥٧/٣.
٨- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ١٧٣/٢.
٩- السيد عبدالعزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ١٠٧-١٢٤.
١٠- أحمد سويلم العمري: بحوث في المجتمع العربي، نقلا عن الغزالي: القومية العربية، ص ٧٩.

السنوسي محمد
كاتب إسلامي



٣ معان ترسم معالم الأوطان

حب الأوطان قيمة فطر الإنسان عليها، وميل طبيعي لا يملك لدفعه سبيلا، وفضيلة يتبارى ذوو النفوس الكريمة في إبرازها والوفاء بحقها وغرسها عند الناشئة. ولا عجب أن تكون للوطن (١) هذه المنزلة المتجذرة في أعماق الإنسان؛ ففي أحضانه ينشأ ويدرج، وبين ربوعه تنمو ذكرياته وتتعدد معارفه وعلاقاته.



والإسلام - كما هي خصيصته الكبرى - لا يصادم النفس الإنسانية فيما تنزع إليه من ميول ورغبات، مصادمة تمنعها من نيل نصيبها الذي يرويها ويشبعها؛ بل يوجه هذه النوازع وتلك الرغبات توجيها صحيحا، دون إفراط أو تفريط.

وهل ثمة منزلة فوق المنزلة التي جعلها الإسلام للأوطان حين قرر أن الدفاع عن الأرض ضد المعتدين فرض لازم، وشرف لا يدانيه شرف؛ وحين جعل الموت أثناء ذلك شهادة ترفع المسلم مكانا عاليا من الجنة؟!

وإذا كان حب الأوطان فطرة وفضيلة، فإن الفكر المعاصر قد عرف تمحورا حول الأوطان بنظرة ضيقة، بما جعل من تلك الفطرة مذهبا فلسفيا واتجاها سياسيا، وأريد به في عالمنا العربي أن يكون بديلا عن أفكار التكامل والوحدة الإسلامية التي هي حلم شعوبنا لمواجهة مؤامرات التفتيت والتجزئة، ومخططات الابتلاع والهيمنة.

وهنا تبرز المشكلة التي أثيرت حول موقف الإسلام من «الوطن» و«الوطنية»، ومن هذه المذاهب الفلسفية والاتجاهات السياسية؛ وما إذا كان حب الوطن نوعا من التعصب المذموم، ومن المفاهيم الجاهلية التي تدور حول الفخر بالنسب وبالتراب.

والحقيقة أن الإسلام يجعل ارتباط المسلم دائرا بالأساس مع المنهج، ومع القيم، وليس مع المادة أو التراب، أو غير ذلك من المفاهيم التي يعرفها الفكر البشري المبتوت الصلة عن الوحي الإلهي. ولذلك يشعر المسلم بشعور خاص تجاه أي مسلم آخر في أية بقعة من الأرض، دون أن يتقيد بالحدود التي تقيد غيره من الناس.

ومع أن القيمة المركزية في التصور الإسلامي هي المنهج، فلا يعني ذلك إهمال أو إغفال ما دون ذلك من روابط. بل هو يوظف تلك الروابط بما يعلي من راية المنهج، ويجعل كلمة الإسلام هي العليا.

ولذا، فحين اضطر النبي ﷺ إلى مغادرة مكة تحت وطأة التعذيب والحصار، عز عليه الخروج من موطنه، ولم يجد حرجا في أن يفصح عن حبه الجم لبلده، ويعلن أنه لولا أن قومه أخرجوه ما خرج (٢).

وحين قدم النبي ﷺ المدينة دعا الله سبحانه أن يحببها إليهم كحبهم مكة أو أشد، كما في الحديث الصحيح، فعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حماها إلى الجحفة، اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا» (رواه البخاري ومسلم).

ولأن الوطن له قيمته عند الإنسان، فقد جعل الإسلام الإخراج منه عقوبة لمن يقترف الفاحشة. فقد روى عبادة ابن الصامت أن النبي ﷺ قال: «البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة» (رواه مسلم) (٣). والعقوبة لا تكون إلا بما هو عزيز لدى المرء.

كما قرن الإسلام الإخراج من الوطن بقتل النفس، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (النساء:٦٦).

فقتل النفس هو إخراج للروح من الجسد، والخروج من الديار هو إخراج للجسد من الوطن؛ وفي هذه المقابلة بين العقوبتين يأتي الجسد الأكبر (الوطن) معادلا للجسد الأصغر (جسم الإنسان)! (٤).

وإذا كنا بصدد الحديث عن الأوطان والنهوض بها، وتعزيز دورها، والعمل على بناء نسيج مجتمعي قوي يصعد بها نحو مدارج البناء والازدهار؛ فإننا يمكن أن نرصد ثلاثة معان أساسية في هذا الصدد.

١- الأوطان.. وعاء الحضارة

لقد جعل الله الأوطان مصدرا للخيرات والنعم، وواحة يفيء إليها الإنسان؛ بحيث يشعر بالغربة إذا ابتعد عنها، مهما توافرت له سبل الراحة.. فما أجدر الأوطان حينئذ بأن تشبه بـ «الأم» في الوعي العام للشعوب وفيما تنتجه من آداب.

وأهمية الأوطان لا ترجع إلى حقيقتها المادية، فهي حفنة من تراب، بل لما تمثله من معان ووشائج، ولكونها وعاء للإنسان، وحاضنة للقيم التي يريد استيلادها من عالم الأفكار إلى عالم

الحقائق والوجود المادي؛ فالإنسان لا يتحرك في فراغ، وإنما في زمان ومكان، وهذا المكان هو الوطن.
ولدور المكان/ الوطن في حركة الإنسان، على مستوى الفرد والمجموع؛ فقد جعل ابن خلدون الحضارة مرتبطة بالاستقرار لا بالترحال، فالوطن هو وعاء الحضارة، أية حضارة، ثم تأتي القيم لتشكل مضمون هذه الحضارة أو تلك.
وهذه الخلاصة تشير من ناحية أخرى إلى تميز الحضارة الإسلامية في أنها لا تقلب «المعادلة» وتجعل من الوعاء مضمونا، أي من التراب منهجا، بل تعرف الفرق بين الوعاء والمضمون، وتحتفظ لكل منهما بوزنه وتقديره الصحيح، دون إلغاء أو تسفيه للأقل مرتبة، وهو التراب.

٢- الأوطان.. تعدد برسم التكامل

من الطبيعي أن نرى داخل الوطن الواحد مشارب متعددة، وتمايزات كثيرة من الأفهام والميول، بل من الأديان والأعراق؛ فالنقاء الديني - بمعنى المذهب الواحد - أو النقاء الجنسي والعرقي لا يوجد إلا في «الجيتوات» المنغلقة فكريا وحضاريا؛ وهذه قد زالت، أو محكوم عليها بالزوال كما في حالة إسرائيل، بإذن الله. أما سائر الدول فتشهد تمايزات دينية، أو سياسية، أو مذهبية، أو عرقية.
وهذه الظاهرة تستدعي سؤالا مهما بروح التحدي، وهو: كيف يمكن أن تكون تلك التمايزات سبيلا للتكامل والثراء، لا التناقض والاختلاف لحد الشقاق والانتحار الاجتماعي؟
لقد كانت حضارتنا دائما حضارة الألوان المتعددة، على كل المستويات، وحضارة الاعتراف بالآخر بل ودمجه في النسيج الاجتماعي؛ فهي حضارة لا تعرف التوحيد إلا فيما يتصل بالخالق سبحانه، أما أمر المخلوقين فقائم على التعدد والتنوع، الذي يفضي - عند إحسان إدارته - إلى الثراء لا الصدام.
يجب ألا نخشى من التنوع، وعلينا أن نبحث عن وسائل لإدارته، بدلا من استسهال المصادرة والرفض؛ فهما - أي المصادرة والرفض - قد يكونان علاجا مؤقتا، لكنهما بالتأكيد لن يمنعا من تضاعف الظاهرة لاحقا، وربما بوسائل تهدد النسيج الاجتماعي.
أما الاعتراف بالظاهرة، والبحث عن كيفية توظيفها لخدمة المجتمعات والأوطان بوسائل لا تجور على الإنسان بدعوى مصلحة الوطن؛ فهذا هو السبيل الوحيد للحفاظ على أوطاننا وتجنيبها مخاطر يصعب حصرها.

٣- الأوطان.. حقوق وواجبات

العلاقة بين الأفراد وأوطانهم علاقة ذات اتجاهين، لكل طرف منهما على الآخر حقوق، وعليه له واجبات.
لكن من المهم أن ندرك أن في حالة البناء والنهوض واستعادة العافية لابد بالنسبة للأفراد أن يقدموا الواجبات أولا قبل المطالبة بالحقوق؛ وهو المعنى الذي التفت إليه بعمق المفكر مالك بن نبي وهو يتحدث عن «شروط النهضة»؛ وسمى طريق الإصلاح والتغيير من خلال أداء الواجبات أولا بـ «الطريق الأصعب» (٥).
ويضيف بن نبي: «فالحق ليس هدية تعطى، ولا غنيمة تغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب؛ فهما متلازمان، والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي، المرتبط بسلوكه النفسي. وإنها لشرعة السماء: غير نفسك، تغير التاريخ!» (٦).
لكن في الوقت نفسه، ننبه على خطورة أن تكون هذه القاعدة - الواجبات أولا - وسيلة للتفلت من حقوق المواطنين على أوطانهم، وإلا فإن المرء سيفقد انتماءه لوطنه تحت ضغط وإلحاح الحاجات الضرورية التي لا يمكن تأجيلها.
بهذا تنضبط العلاقة بين الناس وأوطانهم، ويتعمق الانتماء والولاء، وتعمر الأرض بالحركة الدائبة المخلصة الفاعلة.

هوامش

١- «الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة. والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الإنسان، أو نشأ فيه. والوطن بالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومية». انظر: «المعجم الفلسفي»، د. جميل صليبا، ٢/ ٥٨٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
٢- عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال لمكة: «ما أطيبك من بلدة وأحبك إلي، ولولا أن قومك أخرجوني ما سكنت غيرك» (رواه الترمذي، والحاكم في المستدرك).
٣- اختلف الفقهاء في «التغريب» مع الجلد - بالنسبة للزاني البكر - هل هو من الحد أو ليس من الحد؟ فذهب الشافعي وأحمد إلى أن التغريب من الحد، سواء للرجل أو المرأة البكرين، واتفق معهما الإمام مالك، إلا أنه جعل التغريب للرجل دون المرأة. أما الأحناف فذهبوا إلى أن التغريب ليس من الحد، بل من التعزير، وأن الحد هو الجلد مائة فحسب. راجع المزيد في «الموسوعة الفقهية»، الكويت، مادة: «زنى» و«تغريب».
٤- جاء في تفسير «المنار»: «بين الله تعالى لنا أن المؤمن الصادق هو من يطيع الله تعالى ورسوله ﷺ في المنشط والمكره، والسهل والشاق، ولو قتل النفس والخروج من الدار، وهما متقاربان؛ لأن الجسم دار الروح، والوطن دار الجسم». نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».
٥- «شروط النهضة»، بن نبي، ص ٣٥، دار الفكر، دمشق، بدون تاريخ.
٦- المصدر نفسه، ص ٣٢.

ياسين محمد كتاني
باحث في وزارة الأوقاف الكويتية



أضواء على المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية

مدارس «غُجُرات» (١)

تُعتبر شبه القارة الهندية، أكبر أقسام القارة الآسيوية، حيث تضم البلدان الواقعة على الصفيحة التكتونية الهندية، وهي: بنغلاديش، بوتان، الهند، نيبال، وباكستان. وتضم أيضا الجزر المتمركزة على الجرف القاري، وهي: سريلانكا، وجزر المالديف.

وتقع شبه القارة الهندية في جنوب آسيا جنوب جبال هيمالايا وجبال الكاراكورام، وشرق جبال هندوكوش ومنطقة بلوشستان.

وتمتد جنوبا في المحيط الهندي بين بحر العرب في الجنوب الغربي وخليج البنغال. وتتمتع هذه البقعة من العالم بمعالم جغرافية كثيرة ومتنوعة، مثل الأنهار الجليدية والغابات المطيرة والصحارى والوديان والمراعي.

وقد تشرفت شبه القارة الهندية بالإسلام في عهد الخلافة الراشدة، وكان لـ «مالابار» في ساحل شرق الهند، شرف السبق للتعرف على الإسلام واعتناقه حتى قبل دخول الجيوش الإسلامية.

ثم بدأ المسلمون يوجهون حملاتهم إلى شبه القارة الهندية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أرسل واليه على البحرين وعمان، عثمان بن أبي العاص الثقفي جيشا إلى الهند، ونزلوا في تانه، ومنها إلى بروص وديبل من ناحية السند.

وكذلك أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحارثَ بن مرة العبدي عام (٣٨هـ) قائدا على الحدود الشرقية فيما يلي بلوشستان، وكان هناك مقاومة بينهم إلا أنها انتهت بانتصار المسلمين، وفي عهد الدولة الأموية فُتحت السند وما جاورها من المناطق، الحدث الذي مثّل نقطة تحول في تاريخ العلاقات الهندية العربية، إذ ظهرت في السند دولة إسلامية ذات جذور ثقافية.

ولعلي أركز في هذا المقال على الحياة العلمية والمدارس الدينية والعربية في مدينة عريقة في هذه البقعة من العالم، ألا وهي مدينة غجرات.

غجرات (كُجرات): بضم الكاف بالفارسية وإسكان الجيم، مقاطعة شهيرة من مقاطعات الهند، تقع في الغرب الجنوبي من الهند على ساحل بحر العرب، وتقدر مساحتها بـ: ١٩٦٠٢٤كم٢.

عاصمتها القديمة أحمد آباد، أما عاصمتها الحالية فهي غاندهي نغر، وهي مدينة معروفة بآثارها الإسلامية، ومشهورة بصناعة النسيج، يبلغ عدد سكانها: ٦٢ مليون نسمة، ١١٪ منهم مسلمون.

في غجرات

مازالت المدارس العربية في مدينة غجرات من الشواهد القوية على الحضارة الإسلامية التي دخلت هذه البلاد إبان الفتوحات الإسلامية، وهي تزين المدينة بطرازها المعماري القديم، وبأجوائها الإيمانية التي لا تخفى على كل من زار هذا المكان، ومن أبرز هذه المدارس التي تحكي تاريخا عريقا:

١- مدرسة عربية في نهروالا فتن:
أسست سنة ٦٥٥هـ-١٢٥٧م، في مسجد عظيم بني في فتن، وكانت تدرس فيها العلوم الإسلامية واللغة العربية.

٢- مدرسة محمد بن أبي بكر الدماميني:
أسست في عهد السلطان أحمد الأول، ومحمد بن أبي بكر الدماميني عالم فقيه ونحوي بارع ولد في الإسكندرية، وتعلم في القاهرة ومكة، ثم هاجر إلى اليمن ومنها إلى غجرات حيث دخلها سنة ٨٢٠هـ-١٤١٧م، فاستقبله الناس بحفاوة وعيّن على منصب صدر المدرسين بأمر السلطان.

٣- مدرسة سرخيز:
أصل تأسيسها يعود للشيخ أحمد كتّو حيث بنى مسجدا وغديرا وزاوية، وبعد وفاته أسس السلطان محمد شاه الثاني فيه مدرسة عظيمة ومساكن للطلبة، بقيت معالمها حتى سنة ١٩٢١م.

٤- مدرسة خان سرور:
أسست سنة ٨٥٥هـ-١٤٥١م، في نهروالا، وقد تخرج منها جمع من العلماء الأكابر.

٥- مدرسة شمع برهاني:
أسست على يد الشيخ محمد عثمان الملقب بـ شمع برهاني المتوفى سنة ٨٦٣هـ- ١٤٥٣م، فكانت مدرسة عربية لتدريس القرآن والحديث والفقه وأصوله، وكانت مصاريف المدرسة على نفقة السلطان محمود ابن محمد المعروف بـ «بيكرة».

٦- مدرسة الشيخ حسام الدين الملتاني:
وهي مدرسة عربية شهيرة، درس فيها الشيخ تاج الدين أحمد الله، وخلفه فيها ابنه الشيخ محمد بن تاج الدين.

٧- مدرسة القاضي برهان الدين:
كان القاضي برهان الدين علما مشهورا، وكانت مدرسته مملوءة بالطلبة، فانتشر طلابها في أنحاء غجرات، ومن طلابه الذين تخرجوا على يده الأمير عبدالعزيز آصف خان.

٨- مدرسة الشيخ مته (حتا):
صاحبها كان عالما مشهورا، وكانت تدرس في مدرسته العلوم الإسلامية والدينية.

٩- مدرسة شاه عالم:
وقد أسس هذه المدرسة خلفاء الشيخ شاه تذكارا له بعد وفاته سنة ٨٨٠هـ-١٤٧٥م، فكانت تدرس فيها جميع العلوم والفنون، وقد تخرج منها العالم المشهور بـ «شيخ الكل» الشيخ نور الدين.

١٠- مدرسة الشيخ محمد بن طاهر:
وهي مدرسة كانت في مدينة نهروالا، إلا أنها اشتهرت بتدريس الحديث، وذلك بسبب أن الشيخ محمد بن طاهر الفتني كان يدرس فيها علوم الحديث.

١١- مدرسة مانكرول:
وهي مدرسة عربية بنيت بجانب المسجد الجامع الذي أسسه ناظم بلدة مانكرول سنة ٧٨٥هـ-١٣٨٥م، وقد بقيت آثارها حتى سنة ١٩٢٦م.

١٢- مدرسة عالية علوية:
كانت هذه المدرسة في زمن العلامة

الشاه وجيه الدين العلوي (٩٩٨هـ)، في مدينة أحمد آباد أمام قصر السلطان، فهي تعد جامعة تدرس فيها علوم الفلسفة والمنطق والعلوم الإسلامية والعربية، وقد بقي هذا الصرح العلمي قائما إلى القرن الحادي عشر.

١٣- مدرسة الشيخ إسحاق:
وهي مدرسة عربية شهيرة كانت في مدينة بروص سنة ١٠٢٥هـ، وهي لتلميذ الشيخ وجيه الدين الشيخ محمد إسحاق البروصي. وبقيت هذه المدرسة مدة من الزمن إلى أن أصابها الزوال فصارت كتابا صغيرا، وهي الآن إقامة للطلبة الذين يدرسون اللغة الإنجليزية في كليات بروص.

١٤- مدرسة السلطان عالمكير:
وهي في مدينة نهروالا في عهد السلطان عالمكير، وقد اشتهرت باسم «فيض صفا»، تدرس فيها جميع العلوم الإسلامية والفنون، كما أنها تحتوي على مكتبة قيمة جل ما فيها مخطوطات عربية وفارسية، وقد توقفت الدراسة في هذه المدرسة العريقة إلى أن تمّ تجديدها باسم «كنز مرغوب»، وإعادة إعمارها من طرف علماء فتن وبإعانة التجار الفتنيين المقيمين في جدة.

١٥- مدرسة صدرجهان:
وهي مدرسة لقبيلة مشهورة في غجرات جل أفرادها من أهل العلم والفضل ومن أهل التصنيف والتأليف، وكان رئيس هذه القبيلة ملك القضاة: صدرجهان حسام الدين بن القاضي صدر الدين، وهو عالم بارع وفاضل كبير.

١٦- المدرسة الكردية:
نسبة إلى الشيخ أحمد بن سلمان، من أشهر علماء زمانه، وكانت مدرسته مشهورة جدا، وتخرج منها علماء كبار أمثال الشيخ نور الدين الغجراتي وكفى به فخرا.

١٧- المدرسة العالية في كتيانة:
وقد بناها الشيخ إبراهيم بن سليمان الكردي، وهو الأخ الشقيق الصغير للشيخ أحمد بن سليمان الكردي، وبقيت هذه المدرسة حتى بدايات القرن الرابع عشر من الهجرة.

١٨- مدرسة أعظم خان:
بناها ناظم غجرات أعظم خان في حوالي سنة ١٠٥٢هـ-١٦٤٢م، في أحمد آباد.

١٩- مدرسة سيف خان (مدرسة العلماء):
بنيت سنة ١٠٣٢هـ-١٦٢٢م، أمام قلعة أحمد آباد على يد النواب سيف خان، وكانت ذات عمارة شامخة وجميلة لم يوجد مثلها في غجرات.

٢٠- المدرسة العيدروسية:
أسست على يد التاجر الحاج زاهد بك، سنة ١٠٤١هـ-١٦٣١م، وقد كان يدرس فيها مختلف العلوم.

٢١- مدرسة مرجان شامي:
وهي في مدينة سورت قائمة في مسجد مرجان شامي، بناها النواب ظفر ياب وأكملها حفيده النواب حاج ميان.

٢٢- مدرسة أمانت خان:
وهي أيضا في سورت، بناها حاكم المدينة سنة ١١٢٣هـ-١٧١١م، في زاوية الشيخ خواجه دانا.

٢٣- مدرسة شجاعة خان:
وهي مدرسة عظيمة بناها حاكم غجرات شجاعة خان سنة ١١٠٤هـ-١٦٩٢م، تدرس فيها مختلف العلوم الإسلامية، ويفد إليها الطلبة من كل مكان.

٢٤- مدرسة هدايت بخش:
وهي في أحمد آباد، ناظمها الشيخ نور الدين، كما أن السلطان كان يتفقد أحوالها بنفسه.
بنى هذه المدرسة الشيخ إكرام الدين شيخ الإسلام في أحمد آباد سنة ١١٠٩هـ-١٦٩٧م.

٢٥- مدرسة فيروز جنك:
بناها غازي الدين خان بهادر فيروز جنك سنة ١١٢٢هـ، وهو حاكم غجرات في ذلك الوقت، وقد دفن فيها بعد موته.

٢٦- مدرسة الخيرتية:
تأسست على يد الشيخ خير الدين ابن محمد زاهد في سورت، وقد اشتهرت بتدريس علوم الحديث الشريف.

٢٧- دار الإرشاد:
وهي مدرسة في أحمد آباد، ولم يعرف عنها أي تفاصيل، إلا أنها كانت موجودة في سنة ١١١٢هـ-١٧٠٠م، وكانت فيها مكتبة عربية.

٢٨- مدرسة الإلهية:
وهي مدرسة عربية أسسها الشيخ الحاج سليمان بن عبدالأحد بن حافظ أحمد سنة ١٢٨٣هـ، في لاجفور مديرية سورت، وقد أغلقت المدرسة سنة ١٢٨٩هـ بعد أن ألقت الحكومة البريطانية القبض على الشيخ سليمان، واستأنفت المدرسة عملها بعد أن خرج الشيخ من السجن سنة ١٢٩٤هـ.

وفي ختام هذا الجزء الأول من هذه الإطلالة السريعة للتعريف بهذه المدارس فإنه لا يخفى على أحد ما قدمته هذه المدارس من حفاظ على التراث العربي والإسلامي في شبه القارة الهندية عموما، وفي الهند ومدينة غجرات خصوصا.
ولعلي في القسم الثاني من هذه الدراسة أسلط الضوء على المعاهد الدينية العلمية في المدينة ذاتها.

كيفية الترجيح (٤-٤)



د. صالح النهام
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

الترجيح باعتبار الأمور الخارجية

أتممنا حديثنا في حلقة سلفت عن الترجيح باعتبار المدلول والحكم، وفصّلنا ما تعلق به في فروع وجزئيات، وحديثنا اليوم، وهو خاتمة الكلام عن الترجيح - دائر على أثر الأمور الخارجية في التحكم في موازين الترجيح.

ومعنى الترجيح بأمر خارجي: أن ينضم إلى أحد الخبرين أو الدليلين أمر خارجي يرجح به غيره، وهو عدة أنواع ذكرها الأصوليون، ومنها:

الترجيح بالخبر الموافق لظاهر القرآن أو السنة على ما لم يوافقه

ومعناه: أن يتعارض خبران، ويكون أحدهما وافقه دليل آخر من القرآن أو السنة، والآخر لم يوافقه من ذلك شيء، فيقدم الذي وافقه دليل آخر؛ لأن الظن في الموافقة أقوى (١).

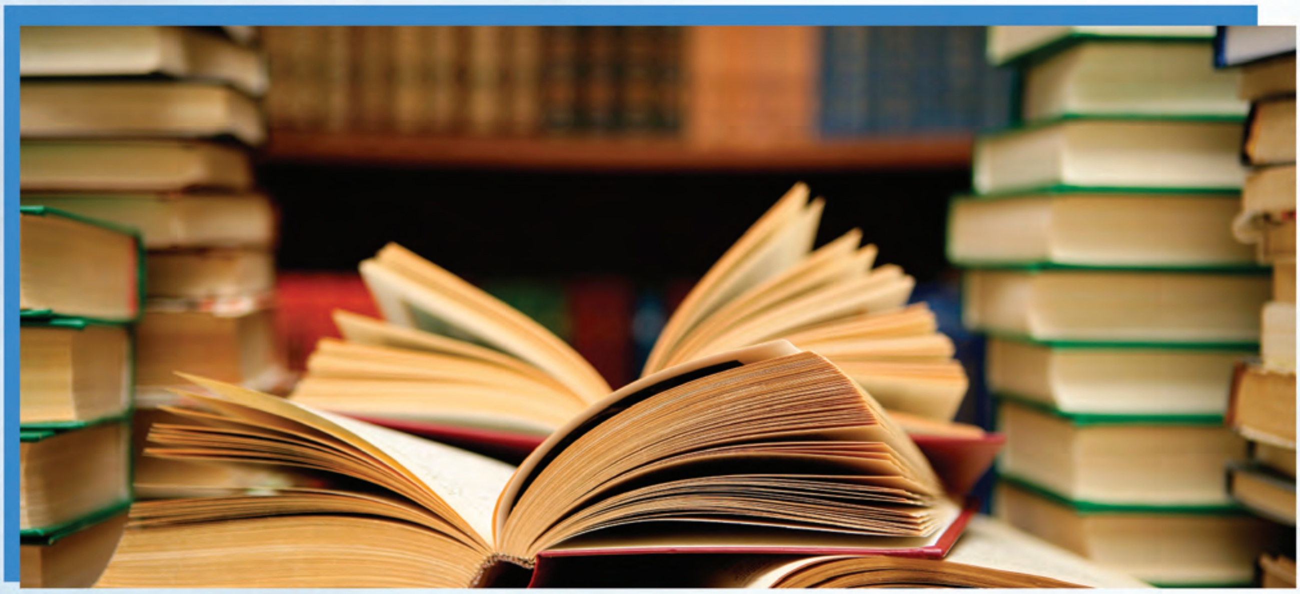
ومثل لذلك، بترجيح حديث التغليس (٢) على حديث الإسفار (٣)؛ لموافقته ظاهر القرآن؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾(آل عمران:١٣٣)، ولقول رسول الله: «أول الوقت رضوان الله» (٤)، وقولهم: أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «الصلاة لأول وقتها» (٥).

فتقديم الموافق ترك شيء واحد، وتقديم ما لم يوافق ترك لشيئين، وهما الدليل وما عضده؛ ولذلك كان قول الموافق أولى.

الترجيح بالخبر الموافق للإجماع على الذي لم يوافقه

ومعناه: أن يتعارض خبران، ويكون أحدهما يوافقه الإجماع، والآخر لا يوافقه، فيقدم الخبر الموافق للإجماع؛ لأن المقصود من الترجيح بيان القوة في أحد الدليلين المتعارضين، وقد وضح أن القوة في الدليل الذي وافقه دليل آخر، فوجب ترجيحه على معارضه (٦).

ومثل لذلك، بترجيح حديث أم حبيبة -رضي الله عنها- زوج النبي حين دخلت على زينب بنت أبي



سلمة، لما توفي أبوها أبوسفيان بن حرب، فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا» (٧)، على حديث أسماء بنت عميس -رضي الله عنها- قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر بن أبي طالب فقال: «لا تحدي يومك».

ورواية قال لها: «تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت» (٨).

فترجيح حديث أم حبيبة أخذ به جمهور العلماء لتأييد الإجماع له، وهو إيجاب الإحداد أربعة أشهر وعشرا للتي يتوفى عنها زوجها (٩). وقال ابن حجر -رحمه الله- عن حديث أسماء: إنه شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة، وقد أجمعوا على خلافه (١٠).

الترجيح بالخبر الموافق للقياس على ما لم يوافقه

ومعناه: أن يتعارض خبران أو دليلان، ويكون أحدهما موافقا للقياس، والآخر يخالف القياس، فالموافق للقياس أقوى وأولى؛ لأنه يفيد ظنا أقوى مما يفيده معارضه، والظن الحاصل من دليلين أقوى من الظن الحاصل من دليل واحد، فيعمل بالأقوى لكونه أقرب إلى القطع (١١).

ومثل لذلك، بترجيح حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «ليس على المسلم في فرسه وعبده صدقة» (١٢). على حديث غورك السعدي: أن رسول الله قال: «في الخيل السائمة في كل فرس دينار» (١٣).

لأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه يعضده القياس؛ لأن الخيل لا تجب فيها زكاة السوم ولا زكاة التجارة، ولا تجب في ذكورها إذا انفردت، فهي خارجة عن القياس. ألا ترى أن سائر الحيوان الزكائي تجب في ذكوره إذا انفردت؟ وكذلك تجب في زكاة السوم فيؤخذ في بعضه، وتجب في زكاة التجارة ربع عشر قيمتها، وأما إيجاب الدينار عن الفرس مع اختلاف قيمتها، فغير موافق للقياس (١٤).

الترجيح بالخبر الموافق لعمل الشيخين أبي بكر وعمر على ما لم يوافقه

ومعناه: أن يتعارض خبران، ويكون أحدهما وافقه عمل الشيخين أبي بكر وعمر، على ما لم يوافقه، فيقدم الموافق لهما؛ لأن هذا أمر طريقه غلبة الظن، ولاشك أنهما بلغا من الإسلام المبلغ الذي حازا به الفقه، ولَمّحَ أقواله ﷺ وأفعاله، يَقْوَى الظنُّ فيما تضمنه الخبر من الحكم إذا كانا به عاملَيْن وقائلَيْن، فيرجح على الحديث الذي لم تعضده أقوالهما وأفعالهما (١٥).

ومثل لذلك، بترجيح حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «رأيت النبي وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة» (١٦)، على حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألنا رسول الله عن المشي خلف الجنازة؟ قال: «ما دون الخبب، فإن كان خيرا عجلتموه، وإن كان شرا فلا يبعد إلا أهل النار، الجنازة متبوعة ولا تتبع، وليس منا من تقدمها» (١٧).

فترجح حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- لموافقته لعمل الخليفتين الراشدين، حيث كانا يمشيان أمام الجنازة كما فعل رسول الله، وضعفوا حديث ابن مسعود رضي الله عنه الدال على أن المشي خلف الجنازة أفضل، والصحيح أن المشي أمام الجنازة هو الأفضل، وهو رأي جمهور العلماء (١٨).

الترجيح بالخبر الذي اقترن تفسير الراوي بفعله أو قوله على ما لم يقترن به تفسيره

ومعناه: أن يتعارض خبران، ويكون أحدهما فسّر راويه بفعل أو قول، والآخر لم يكن كذلك، فيقدم ما فسره راويه بفعل أو قول؛ لأن الظن يكون به أوثق، وأنه أعرف بما رواه (١٩).

ومثل لذلك، بترجيح حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيما رجل أُعْمِرَ عُمْرى له ولعقبه فإنها للذي يُعطاها، لا ترجع إلى الذي أعطاها؛ لأنه أعطى عطاء وقعت فيه المواريث» (٢٠). على حديث «مَنْ أُعمِرَ عُمرى فهي له ولعقبه، يرثها مَن يرثُهُ مِن عقبه» (٢١). لأن جابرا رضي الله عنه قال: «إنما العُمرى التي أجازها رسول الله أن يقول: هي لك ولعقبك، فأما إذا قال: هي لك ما عشت، فإنها ترجع إلى صاحبها» (٢٢). وهذا بيان من الراوي قطع على النبي، وهو أعرف بما أراد؛ لأنه شاهده وتفقه في قوله (٢٣).

الترجيح بالخبر الذي توارثه أهل الحرمين على الذي لم يتوارثه أهل الحرمين

ومعناه: أن يتعارض خبران، ويكون أحدهما توارثه أهل مكة والمدينة، والآخر لم يتوارثه أهل مكة ولا المدينة، فيقدم ما توارثه أهل الحرمين (٢٤).

ومثل لذلك، بترجيح حديث أبي محذورة رضي الله عنه أن نبي الله علمه هذا الأذان: «الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، ثم يعود فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة مرتين، حي على الفلاح مرتين. زاد إسحاق: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله» (٢٥). على حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده، فقلت: يا عبدالله، أتبيع الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك. فقلت: بلى. ولقنه الأذان المشهور بلا ترجيع، وقصه على النبي، فقال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله». ثم أمر بالتأذين (٢٦)؛ لأن رواية أبي محذورة متأخرة عن رواية عبدالله، فيقدم العمل بالترجيع، ولأنه عمل به أهل مكة والمدينة. وأيضا رواية أبي محذورة فيها زيادة، وقد تقرر في الأصول أن العمل بالحديث المشتمل على زيادة أولى من الحديث الذي لم يشتمل على الزيادة (٢٧).

الترجيح بالخبر الموافق لعمل أكثر السلف

ومعناه: أن يتعارض خبران، ويكون أحدهما موافقا لعمل أكثر السلف، والآخر على خلافه، فيقدم الخبر الموافق لعمل أكثر السلف؛ لأن الأكثر يوفق للصواب ما لا يوفق له الأقل، ولأنه يغلب على الظن قوته -أي الخبر الموافق لعمل أكثر السلف- في الدلالة وسلامته من المعارض (٢٨).

ومثل لذلك، بترجيح حديث عائشة -رضي الله عنها- مرفوعا: «تكبيرات العيدين سبعا وخمسا» (٢٩). على رواية سعيد بن العاص حين سأل أبا موسى الأشعري وحذيفة بن اليمان -رضي الله عنهم: كيف كان رسول الله يكبر في الأضحى والفطر؟ فقال أبوموسى: كان يكبر أربعا. فقال حذيفة: صدق. فقال أبو موسى: كذلك كنت أُكبِّر في البصرة حيث كنت عليهم (٣٠). وقدم حديث عائشة -رضي الله عنها- لأنه عمل به أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم.

قال الخطابي، رحمه الله: «وهذا قول أكثر أهل العلم»، وروي ذلك عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري، وبه قال الزهري، ومالك، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. وأما حديث أبي موسى الأشعري فضعيف (٣١).

الترجيح بالعام المتنازع في تخصيصه على المتفق على تخصيصه

ومعناه: أن يتعارض عمومان، ويكون أحدهما متنازعا في تخصيصه، والآخر متفقا على تخصيصه، فيكون التعليق بعموم ما لم يجمع على تخصيصه أولى (٣٢).

ومثل لذلك، بترجيح قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ (النساء:٢٣)، على قوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ (النساء:٣)، فالآية الأولى قصد بها تحريم الجمع بين الأختين في الوطء بنكاح وملك يمين، بينما الآية الثانية لم يقصد بها بيان حرمة الجمع (٣٣)؛ لأنه لا خلاف في تخصيص عموم قوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾، بالأخوات والأمهات من الرضاع، وتحريم ما نكح الآباء وحلائل الأبناء، ولم يثبت تخصيص في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ (النساء:٢٣)،

بوجه: فتخصيص ما قد اتفق على تخصيصه أولى، وحمل العموم الذي سلم من التخصيص على عمومه أظهر (٣٤).

وبمعنى آخر، إن دلالة الآية الأولى على تحريم الجمع مطلقا في النكاح والملك، أولى من دلالة الآية الثانية على جواز الجمع في ملك اليمين؛ لأن هذه الآية ما سيقت لبيان حكم الجمع (٣٥)، وإنما المقصود بها الزواج.

وهناك ترجيحات كثيرة بحسب الأمور الخارجة منها أيضا:

تقديم ما ذكر راويه سببه على ما لم يذكر راويه سببه؛ لأن ما ذكر راويه سببه يدل على زيادة اهتمام الراوي بروايته. وكتقديم الخبر المؤرخ بتاريخ مضيق على الخبر المؤرخ بتاريخ موسع، فالمضيق كأن يقول: أول شهر كذا من سنة. والموسع كقوله: في سنة كذا. لأنه هنا يحتمل كونه قبل الشهر المذكور في المضيق أو بعده؛ ولذا قُدِّم المضيق على الموسع؛ لأنه يدل على زيادة اهتمام راويه به. وتقديم الخبر النافي للنقص عن الصحابة على المثبت للنقص بالصحابة، فيكون الذي ينفيه عنهم أولى كترجيح حديث: «الضحك في الصلاة ينقض الصلاة، ولا ينقض الوضوء» (٣٦). على حديث «بينما نحن نصلي خلف رسول الله إذ أقبل رجل ضرير فوقع في حفرة، فضحكنا منه، فأمرنا رسول الله بإعادة الوضوء والصلاة» (٣٧). فترجيح الأول أولى؛ لأن الخبر الثاني فيه إضافة نقص وقسوة إلى صحابة رسول الله أن يشتغلوا عن الصلاة بالضحك من رجل تردى في بئر. وهذا ضد ما كانوا عليه من الإقبال على الصلاة، وضد ما وصفهم الله به من التراحم والتعاطف، فقال جل وعلا: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩). فالثاني خالف الأصل العام؛ لأن الضحك لا ينقض الوضوء خارج الصلاة، فكذلك لا ينقضه داخل الصلاة (٣٨).

الهوامش

١- انظر: شرح العضد: (٣١٦/٢)، جمع الجوامع: (٣٧١/٢)، العدة: (١٠٤٦/٣)، إرشاد الفحول: (ص:٤٦٤).
٢- إشارة إلى حديث عائشة -رضي الله عنها- في «صلاة الفجر بغلس» الذي رواه البخاري وأصحاب السنن.
٣- إشارة إلى حديث رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الإسفار بصلاة الفجر»، المروي في السنن.
٤- أخرجه الترمذي، برقم: (٢٧٢).
٥- أخرجه الترمذي، برقم: (١٧٠).
٦- انظر: البحر المحيط: (١٧٦/٦)، التمهيد للكلوذاني: (٢١٨/٣).
٧- أخرجه البخاري، برقم: (١٢٨٠)، ومسلم، برقم: (١٤٩١).
٨- قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: عن حديث أسماء بنت عميس: أخرجه أحمد. انظر: الفتح: (٣٩٧/٩)، شرح معاني الآثار: (٥/٣).
٩- انظر: فتح القدير: (١٦٠/٤)، بداية المجتهد: (١٢٢/٢-١٢٣)، المجموع: (٣٤/٢٠)، المغني: (٢٩٩/١١-٣٠٠).
١٠- انظر: فتح الباري: (٣٩٧/٩).
١١- انظر: الإبهاج: (٢١٦/٣)، التمهيد: (٢١٨/٣).
١٢- أخرجه البخاري، برقم: (١٤٦٣)، مسلم، برقم: (٩٨٢).
١٣- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، برقم: (٧٤١٩).
١٤- انظر: التمهيد: (٢١٩/٣).
١٥- انظر: تيسير التحرير: (١٦٣/٣)، تنقيح الفصول: (ص:٤٢٥)، التمهيد: (٢٢٠/٣)، إرشاد الفحول: (ص:٤٦٤).
١٦- أخرجه أبو داود، برقم: (٣١٧٩)، الترمذي، برقم: (١٠٠٧).
١٧- أخرجه أبو داود، برقم: (٣١٨٤)، الترمذي، برقم (١٠١١).
١٨- انظر: الشرح الكبير مع الدسوقي: (٤١٨/١)، المجموع: (٢٤٠/٥)، شرح منتهى الإرادات: (٣٤٧/١).
١٩- انظر: شرح العضد: (٣١٦/٢)، الإحكام للآمدي: (٢٦٧/٤)، نهاية السول: (٩٨٤/٢، ٩٨٦)، العدة: (١٠٥٣/٣).
٢٠- أخرجه مسلم، برقم: (١٦٢٥)، أبوداود، برقم: (٣٥٥٣).
٢١- أخرجه أبوداود، برقم: (٣٥٥١)، النسائي، برقم: (٣٧٤٠).
٢٢- أخرجه مسلم، برقم: (١٦٢٥)، أبوداود، برقم: (٣٥٥٥).
٢٣- انظر: التمهيد: (٢٢٢/٣)، الواضح في أصول الفقه: (١٠٢/٥-١٠٣).
٢٤- انظر: البحر المحيط: (١٧٨/٦)، أصول الفقه لابن مفلح: (١٥٩٠/٤).
٢٥- أخرجه مسلم، برقم: (٣٧٩)، البيهقي، برقم: (١٨٤٥).
٢٦- أخرجه أبو داود، برقم: (٤٩٩)، الترمذي، برقم: (١٨٩).
٢٧- انظر: حاشية الدسوقي مع الشرح الكبير: (١٩٣/١)، المجموع: (١٠٠/٣)، نيل الأوطار: (٣٧/٢).
٢٨- انظر: تنقيح الفصول: (ص:٤٢٥)، الإحكام للآمدي: (٣٥٩/٤)، المحلي على جمع الجوامع: (٣٧٠/٢)، العدة: (١٠٥٠/٥).
٢٩- أخرجه أبوداود، برقم: (١١٤٩)، ابن ماجه، برقم: (١٢٧٧).
٣٠- أخرجه أبوداود، برقم: (١١٥٣)، البيهقي، برقم: (٦١٨٣).
٣١- انظر: معالم السنن للخطابي: (٢٥١/١).
٣٢- انظر: إحكام الفصول في أحكام الأصول: (ص: ٦٦٣)، شرح العضد: (٢١٦/٢)، العدة: (١٠٣٥/٥).
٣٣- انظر: إحكام الفصول للباجي: (ص:٦٦٣).
٣٤- انظر: العدة: (١٠٣٥/٥).
٣٥- انظر: تيسير التحرير: (١٦٠/٣)، شرح العضد: (٣١٦/٢)، جمع الجوامع: (٣٦٣/٢)، شرح الكوكب المنير: (٧١٠/٤).
٣٦- أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى، برقم: (٦٧٥).
٣٧- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، برقم: (٦٨١).
٣٨- انظر: إحكام الفصول: (ص: ٦٦٨-٦٦٩)، المغني: (٢٣٩/١-٢٤٠).

طارق زوكاغ
باحث مغربي



أحد منارات الفكر المالكي:

مقاصد «المعيار المعرب»

ولد أبوالعباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد بن علي الونشريسي - رحمه الله - بجبال وانشريس التي تعد أكثر الكتل الجبلية ارتفاعا في غرب الجزائر؛ حوالي عام (٨٣٤هـ/١٤٣١م)، ونشأ بمدينة تلمسان (١)، ومن المعلوم عن شخصية الونشريسي أنه رجل شديد الشكيمة في الحق (٢)؛ لذلك كان دائم الخلاف مع أمراء البيت الزياني، حيث أجمعت المصادر التي ترجمت للونشريسي على أن سبب مغادرته لتلمسان هو الخلاف الذي دار بينه وبين السلطان أبي ثابت المتوكل الزياني (٣)، الأمر الذي اضطُر بسببه أبوالعباس إلى الهجرة من تلمسان سنة (٨٧٤هـ)، إلى مدينة فاس التي «لقي من حفاوة فقهائها، وإقبال طلبتها عليه؛ ما أنساه الغربة، وجعله ينسجم في بيئته الجديدة انسجاما تاما، ويتخذ من هذه البلدة موطنا له ولأبنائه من بعده» (٤)، وعاش فيها إلى أن وافته المنية بها يوم الثلاثاء موفى عشرين من صفر من عام أربعة عشر وتسع مئة (٩١٤هـ)، ودفن بمقبرة باب الفتوح (٥)، وبوفاته فقد الغرب الإسلامي منارة عالية في الفقه المالكي والنوازلي، وقد خلف الونشريسي مؤلفات لاقت قبولا وعرفت رواجا بين أهل العلم منذ كتابتها إلى يومنا هذا، يأتي على رأسها موسوعته النوازلية الموسومة بـ«المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب»؛ التي استغرق في تأليفها ما يربو عن أربعة عقود، وضمنها حوالي ألفين ومئتين وخمس وثلاثين مسألة؛ جمعها من مختلف المصادر النوازلية والفقهية والأصولية وغيرها (...)، ساعيا بذلك المجهود كله إلى تحقيق عدة مقاصد؛ منها ما صرح بذكره، ومنها ما نستشفه من ثنايا المنهج الذي سلكه في تأليف «المعيار»، ويمكن أن نجمعها في أربعة مقاصد رئيسة؛ هي:



أولا: المقصد الرسالي التعبدي من تأليف «المعيار المعرب»: بدأ الونشريسي مقدمة «المعيار» بتذكيره أن الله - سبحانه - «جعل العلم النافع من أعظم الأسباب الموصلة لمقاصد السعادة الأخروية» (٦)، ثم صرح بقصده التعبدي من بذل الجهد في تأليفه؛ فقال رحمه الله: «رجوت من الله أن يجعله سببا من أسباب السعادة، وسننا موصولا إلى الحسنى والزيادة، وهو المسؤول -عز وجل - في أجزل الثواب، وإصابة صوب الصواب» (٧)، وتظهر هذه الغاية بشكل جلي في أجوبته التي يثبت فيها بعض العبارات الدالة على هذا القصد من قبيل «فأجبته في ذلك رغبة في الثواب» (٨)، وذكر في موضع آخر أنه أثبت قصة ابن مرزوق مع السلطان؛ لتكون «منقبة جالبة للدعاء له والترحم عليه والضراعة إلى الله في تأييد من خلفه، وتوفيقه وتسديده» (٩).

وعموما؛ فإن العالم الرباني هو الذي يرسخ فيه علمه خشية الله تعالى، فيتخذ من اجتهاده في تحصيله أعظم القربات التي تنفعه يوم القيامة.

ثانيا: المقصد التربوي من تأليف «المعيار المعرب»: لا يخفى القصد التربوي في تأليف «المعيار»، حيث نلمس الحضور القوي للشخصية التربوية للونشريسي في منهج تحريره لفتاويه المدبجة في هذه الموسوعة النوازلية، حيث يحرص على تضمينها العديد من القواعد التربوية التي تهذب سلوك المستفتي، وترسخ القيم الحميدة في نفسه، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- «القول فيما يرجع إلى الدين بمجرد الشهوة باطل» (المعيار ١/١٩٤)؛
- «شرط العبادة الإخلاص» (المعيار ٢/٨٦)؛
- «كل ما يؤدي إلى قطع ما أمر الله به أن يوصل فمطلوب الترك، وعكسه عكسه» (المعيار ١/٣٤٧).
- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتعلقان إلا بالواجب والحرام عند المحققين؛ ومن شرطه القطع به كوجوب الصلاة وتحريم الخمر؛ لا مختلفا فيه كشرب النبيذ» (المعيار ١/٣٥٤).
- «الكذب على العالم كالكذب على رسول الله عليه الصلاة والسلام» (المعيار ١٢/٢٦).
- «فساد الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال» (المعيار ٢/٤٩٢).
- «أعظم فوائد المال وأجلها؛ إنفاقها في سبيل الله وابتغاء مرضاته» (المعيار ٢/١٣١).
- «اتبع لا تبتدع، واتضع لا ترتفع» (المعيار ٢/٥١٠).
- «إذا فقد اللسان العربي جملة؛ فقد فقدت متعبداته» (المعيار ٢/١٤٠).
- «ما ترتب في الدنيا ولم يستوف فيها؛ استوفي في الآخرة» (المعيار ٢/١٠٥).
- «فروض الأعيان لا تقابل بالأعواض» (المعيار ٣/٣٦٨).
- «الإلغاء والإعراض دواء الوسوسة» (المعيار ٤/٤٢٥).
- «تصرف الخلق في المنافع فقط لا في الأعيان» (المعيار ٥/٣٣٤).

ثالثا: المقصد العلمي من تأليف «المعيار المعرب»: وصف الونشريسي صنيعه في مقدمة «المعيار» بكونه؛ جمع مغرب لفتاوى المتقدمين والمتأخرين المعاصرين له لـ «ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكامنه، لتبدده وتفريقه، وانبهام محله وطريقه» (١٠)، وفي الخاتمة ذكر أنه ترك «أجوبة كثيرة من الفقه والأحكام؛ مما لا تضطر إليه القضاة والحكام» (١١). وهذا ما يعرب عن رغبة أبي العباس في أن يسهم مؤلفه في «توحيد الاجتهاد الفقهي من خلال الجمع والتأليف؛ لكي تكون في متناول القضاة والمفتين،



واطِّلاعهم على اجتهادات فقهاء المذهب، ولا يخفى ما في ذلك من فوائد» (١٢)؛ يأتي على رأسها توفير المجال لدراسة التراث الإفتائي في الغرب الإسلامي وتقييمه وتنقيحه (...)؛ ليس بالشكل الذي يقتصر فيه التأليف على تكديس أكبر عدد من الفتاوى وتضخيم التراث وإعادة تسويد الأوراق، وتكرير إنتاج ما سبق في هذه الموسوعة النوازلية، وإنما من خلال دراسة ذلك التراث الإفتائي المجموع والقيام بتحليله ومقارنته، ونقده وإظهار فقهه (...)، وهو الملاحظ من صنيع الونشريسي في «المعيار»؛ بالرغم من بعض الملاحظات التي سجلها عليه بعض العلماء والباحثين من أنه ضم بعض الفتاوى الضعيفة، كقول الفقيه أبي صالح بأن الجراد يخلق من الحوت (١٣)، وعذر أبي العباس في ذلك؛ سيادة بعض المعارف العلمية الخاطئة في زمانه، و«ضخامة الكتاب وتعدد المراجع، وانصرافه إلى المقارنة والتعليق» (١٤).

رابعا: المقصد التعليمي من تأليف «المعيار المعرب»: يظهر هذا القصد من خلال منهج تأليف «المعيار المعرب» بشكل عام؛ الذي عمد فيه الونشريسي إلى إدماج الإجابات المتشابهة والإقران بينها، نظرا لما يحمله ذلك الوصل من الأهمية التي تتمم الفائدة التعليمية؛ لذا نجد أبا العباس يقدم بعض المسائل بعبارة «مسألة في معنى ما تقدم، أو من هذا المعنى،...»؛ تأكيدا منه على أهمية الالتفات لهذا الربط المقصود بينها؛ إضافة لتذييلها بتعليقات تتضمن فوائد مختلفة تعمق من فقه المسائل.

كما نلمس هذا المقصد التعليمي أيضا؛ في العديد من المسائل التي تطلعنا على مجموعة من القواعد المنهجية لعلم الفتوى (١٥)، المصوغة بطريقة تطبيقية تنزل فيها الأصول على الفروع، وتمحص فيها نصوص أمهات أصول الفتيا في مدى قدرتها على تأطير واقع المكلفين المتجدد؛

الأمر الذي يزيدها وضوحا، فـ «لا تبقى سابحة في المطلق كما هو الشأن في كتب الفقه عامة، وإنما تتحدد مسائلها في المكان والزمان والموضوع بحسب ما تأتي به الأسئلة التي تبنى عليها» (١٦)، ويستعمل الونشريسي للتنبيه على تلك الإفادات مصطلحات تعليمية تحفز همة الطالب على الإفادة منها؛ من قبيل: «فافهم وتأمل (٥٨٣/٦)؛ فتأمله فإنه دقيق المعنى (١١٣/٨)؛ من تشوفت نفسه لتحصيل هذه المسألة فليلتمسها في كتابي (١٨٣/٤)؛ فتدبره وأمعن النظر فيه (٥٥٠/٦)؛ فانظر وتأمل (٣٥١/١)».

ومما يزيد من صقل الملكة الاجتهادية لقارئ «المعيار»؛ إفادته من آليات الجدل خلال اطلاعه على العديد من المناظرات المفيدة، والحوارات الفقهية بين المفتين في المسائل المعروضة عليهم، مثل: «الحوار بين الإمام الشاطبي ومعاصريه من علماء فاس وإفريقية حول مراعاة الخلاف (٣٨٧/٦)، ومناظرة بين المشدالي وابن الإمام التلمساني في مسألة من البيوع (٣٣١/٥)، وتحاور الإمامين التلمسانيين محمد المقري وإبراهيم ابن الإمام (٢٦٨/٩)، ومذاكرات ومناقشات في القراءات بين مقرئين أندلسيين؛ وتعقيب بعض الأندلسيين على المناقشة (١٥٧/١٢)»، وغيرها.

هذا؛ بالإضافة إلى إشارة أبي العباس في أجوبته وتعليقاته لوجه الاستدلال بالنصوص المبثوثة في «المعيار» (١٧)، وبيانه لطرق الاستدلال العلمي الرصين وقواعده، والتنبيه إلى الخلل المنهجي الذي يمكن أن يسقط به الاستلال على حكم المسألة؛ كقوله: «هذا استدلال بمحل النزاع والخصم لا يسلمه» (المعيار ٣٦٠/١).

- الشك لا يكون حكما (المعيار ٣٦١/١).
- لا ينبغي النظر في الفروع حتى تصح الأصول (المعيار ٥٤٥/٦).
- مجرد الدعوى الهائلة لا يفيد فائدة (المعيار ٦/٥٥٢-٦٠١).
- التطرق للاحتمال مسقط للاستدلال (المعيار ٦٦/٤).
- الاستدلال في محل الضرورة لا يسمع (المعيار ٥٧٨/٦).

فكل هذا وذاك يقوي ملكة الفهم والتحصيل والاجتهاد عند طالب العلم الذي يتخذ من نوازل «المعيار» مجالا لبحثه ودراسته وتفقهه.

وأخيرا؛ وبالنظر في المكانة التي تبوأها «المعيار المعرب» عند علماء الغرب الإسلامي في مختلف التخصصات المعرفية (الفقهية، والتاريخية، والاجتماعية، والعمرانية، والقانونية، وغيرها)؛ يتبين تحقيق جل المقاصد التي سعى إليها أبوالعباس الونشريسي من تأليفه.

الهوامش

١- ينظر «المعيار المعرب» للونشريسي، مقدمة التحقيق للدكتور محمد حجي (أ/١)، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، سنة النشر (١٩٨١م/١٤٠١هـ).
٢- المصدر نفسه (١/ج).
٣- المصدر نفسه (١/ج).
٤- المصدر نفسه (١/ج).
٥- ينظر «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس» لمحمد بن جعفر الكتاني (١٥٤/٢-١٥٥)، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني، وحمزة ابن الطيب الكتاني، عبدالله الكامل الكتاني، منشورات دار الثقافة للطباعة والنشر - الدار البيضاء.
٦- «المعيار المعرب» (١/١).
٧- «المعيار المعرب» (١/١).
٨- «المعيار المعرب» (٥٤٣/٦).
٩- «المعيار المعرب» (٤٧١/٢).
١٠- «المعيار المعرب» (١/١).
١١- «المعيار المعرب» (٣٩٥/١٢).
١٢- ينظر مقال: «المدونات الجامعة للفتوى في المذهب المالكي»؛ للدكتور جمعة محمود الزريقي، مجلة «المذهب المالكي/المغرب» (العدد الرابع، ص:١٧٧).
١٣- ينظر «المعيار المعرب» (٩٦/١١)، وينظر أمثلة أخرى في «المعيار المعرب» (١١/٩٥-١٦٧).
١٤- «المعيار المعرب» (١/ ز).
١٥- أنقل من تلك القواعد المنهجية على سبيل التمثيل ما يلي:
- وجوب الاجتهاد في التكاليف الشرعية (١١٨/١)؛
- للمفتي أن يفتي بما يحفظ إن أخذ عن شيخ (٢١٩/١١)؛
- الكتب المعتمدة في الفتوى (١٠٩/١١)؛
- العمل والفتوى بغير المشهور (١٠٠/١١)؛
- إذا أفتى المفتي بباطل هل عليه غرم أم لا؟ (٣٢٥/٨)؛
- صفة من ينبغي أن يشاور من أهل العلم (٤٩/١٠)؛
- قالوا: إذا اختلف أصحاب مالك فالقول قول ابن القاسم (٤٥/١٠)؛
- لا ينبغي للمفتي أن يفتي بغير المشهور (٢٩٣/٤)؛
- من أفتى فقلد ثم أفتى بغير ذلك لزمه الأخذ بالأول (٣٢٤/٤)؛
- ذم التوليد عموما في كل المذاهب (٤٨٣/٢)؛
- هل يعتمد الحاكم على العلم الحاصل له من التواتر؟ (٤١٦/١)؛
- أقوال الشيوخ في التزام المشهور في الفتاوي والأحكام (٣٨/١٢)؛
- اجتناب الشيوخ الفتيا من كتاب اللخمي (٣٧/١).
- هل يجوز الحكم والفتيا بضعيف الأقوال (٥/١٢)؛
- ما حكم الروايتين إذا نقلتا عن مجتهد في المذهب؟ (٣٦٢/١١).
١٦- «نظرات في النوازل والفقه» لمحمد حجي (ص:٥٩)، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
١٧- ينظر التنبيه إلى محل الاستدلال في النص والإشارة إليه على سبيل المثال في «المعيار المعرب» (٦/١٣٠-٥٣٢).

د. سمير أيت أومغار
باحث أكاديمي

مدينة مراكش (المغرب) في العهد السعدي نموذجا ..

الأندلسيون والحركة العلمية

شكلت مدينة مراكش المغربية منذ تأسيسها قبلة لكثير من العناصر الإثنية التي استقرت بها، والتي كان لها الفضل في مدها بكثيرٍ من المقومات الثقافية؛ أبرزها العنصر الأندلسي الذي لم يقتصر وفوده على فاس ومدن شمال المغرب الأقصى فحسب، بل تعدى ذلك إلى مراكش وغيرها. وقد اضطلع بمجموعة من الوظائف والأدوار الإدارية والعسكرية، وساهم في إثراء الثقافة والعمارة والحياة الاقتصادية بالمغرب عامة ومراكش خاصة. في هذه الورقة سنقتصر على دور الأندلسيين في الحركة العلمية بمراكش زمن السعديين.

تقدم لنا مجموعةُ من المصادر خبرَ وفود عدد كبير من الأندلسيين على مدينة مراكش خلال فترة حكم السلطان عبدالله الغالب (١٥٥٧-١٥٧٤)، فقد «اتصل لعهد الغالب بالله بعظيم دولته أبي علي الحسن بن أبي بكر واختلف لداره بفاس أيام رياسته، فجذب بطبعه ومكن قومه عند الخليفة وعقد له على الغرباء من قومه النازعين إلى المغرب من بلاد الأندلس، فجمعهم من كل قطر وتألف منهم على يده جيش كثيف من النار بمراكش، وأقطعتهم الدولة أراضي فسيحة بالجانب الغربي من فحصها الأفيح فاغترسوا بها جنات معروشات وغير معروشات، وحصلوا من استغلال ذلك إلى اليوم على ما أنساهم ذكر وطنهم واعتاضهم مما فاتهم به» (١). في نفس السياق، أشار مارمول كربخال إلى هذه الجالية الأندلسية المُستقدمة إلى مراكش، وحدد بدقة أصل أوائل الوافدين منها على المدينة بقوله إنهم «يقيمون في مراكش بحي يسمى الآن أورخيبا الجديدة، لأن أول من سكنها منهم جاءوا إليها من تلك المدينة» (٢). وبالرجوع إلى الوثائق الكارطوغرافية والتاريخية، سنجد أن حي أورخيبا الجديدة هو الحي الذي سيحمل فيما بعد اسم روض الزيتون (٣)، والذي مازالت أسماء بعض دروبه شاهدة على الحضور الأندلسي، كدرب الطليطلي ودرب البلنسي ودرب غرناطة (٤)، إضافة إلى مجموعة من البساتين المنسوبة لأسر أندلسية توجد داخل وخارج أسوار المدينة كعرصة ابن الشبلي وجنان الشاطبي وعرصة القرطبي (٥).

لقد استطاع بعض الأندلسيين بفضل مؤهلاتهم وخبراتهم العلمية، إيجاد مكان لهم بين العلماء المغاربة، حتى باتوا منافسين لهم في جملة من العلوم. ومن بين هؤلاء العلماء الأندلسيين نذكر:

• المعلم يوسف الأندلسي

استقر هذا الأندلسي بمراكش في العهد السعدي، ويرجح أن يكون هو يوسف الحكيم المذكور عند عبدالرحمن الفاسي بقوله: «وكان رجل أندلسي يقال له يوسف الحكيم ممن له خبرة بالعلوم الحكيمة كالطب والتنجيم، خرج من عدوة الأندلس فارا من النصارى...، وكان حكيما يشهد له

الشيخ «أبوزيد الفاسي» بالتقدم في علم الكلام والفلسفة».

● أبو القاسم بن محمد

ينتسب هذا العالم لأسرة عريقة اشتهرت بالعلم والجاه، يرجع أصلها إلى مدينة غرناطة (٦). وُلد سنة ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م، وتلقى العلم في فاس (٧). وقد تفرد حسب المقرّي بعلم الطب بالحضرتين (فاس ومراكش)، وشارك في سائر العلوم (٨). وأضاف ابن القاضي إلى ذلك أن «له في الطب موضوعات وله شرح على حميات ابن عزرون وغير ذلك، وله كتاب في الأعشاب وغير ذلك، ونظمه جيد وله موشحات جيدة... وله مشاركة ولطافة إلا أنه اختص من بين الأطباء بسلامة الاعتقاد» (٩). أما عن مؤلفاته، فقد أحصاها محمد العربي الخطابي، فوجدها ثلاثة مؤلفات كلها في الطب والأعشاب، وهي: «الروض المكنون في شرح أرجوزة ابن عزرون»، و«مُغني الطبيب عن كتب أعداء الحبيب»، و«حديقة الأزهار في شرح ماهية العُشب والعقار».

● أحمد بن قاسم الحجري

أندلسي من قرية أحجر بضاحية غرناطة، عاش هو وأجداده في إشبيلية. نشأ يبطن الإسلام ويظهر المسيحية، فتعلم العربية وأحكام الشريعة عن أسرته وأتقن اللغة القشتالية واطلع على آدابها، زاده الاضطهاد الذي لقيه المسلمون بالأندلس من المسيحيين تشبثا بدينه وارتباطا بجماعة الأندلسيين؛ فخرج متنكرا في ربيع سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م من مرسى شنتمرية الغرب على ظهر باخرة تحمل القمح إلى المغرب (١٠)، فاتصل بأحمد المنصور وانخرط في سلك الكتاب بديوانه كمترجم، وقام بعد ذلك بنفس المهمة مع كل من زيدان وابنيه عبدالملك والوليد (١١). وقد استوطن مدينة مراكش طيلة مقامه بالمغرب، وامتدت هذه الإقامة من أواخر سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م حتى سنة ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م، استغلها في ربط العلاقة ببعض علمائها؛ فأخذ علم النجوم بمراكش عن الفقيه أحمد المصيوب الفاسي، وجالس قاضي الجماعة بنفس المدينة عيسى ابن عبدالرحمن السكتاني وربط علاقة حميمية بالفقيه أحمد بابا التمبكتي (١٢). أما مؤلفاته المعروفة فهي «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب»، ألفه بطلب من الشيخ علي الأجهوري ليثبت فيه مناظراته للمسيحيين واليهود، و«العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع» وهو ترجمة لكتاب المُهاجر الأندلسي إبراهيم غانم بن أحمد غانم الأندلسي في المدفعية، من الإسبانية إلى العربية، و«ترجمة الرسالة الزكوطية» للإسرائيلي إبراهيم السلمنقي، و«ناصر الدين على القوم الكافرين» وهو مختصر لرحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، فرغ من تأليفه بمصر سنة ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م (١٣).

● علي بن إبراهيم الأندلسي

يدعى القائد والرئيس والطبيب (١٤). لا تسعفنا كتب التراجم بمعلومات وافرة عنه، فلا نكاد نعلم بالتحديد تاريخ ميلاده ووفاته، وإنما نستشف أنه كان بقيد الحياة أواسط القرن ١٧م. ينتمي هذا الطبيب الأندلسي إلى بيت علم وصلاح ودين ورياسة. أما آثار علي ابن إبراهيم الأندلسي المراكشي فهي: «أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية» في ثلاثمائة بيت، و«أرجوزة طب العيون»، وصف فيها ثلاثة وعشرين من العقاقير في مختلف أورام العيون، و«أرجوزة في الأعشاب وخواصها في شفاء الأمراض»، رتب فيها الأعشاب بحسب حروف المعجم وهي في نحو عشرة كراريس، و«منظومة في النكاح»، اشتملت على جوانب من التربية الجنسية، وأرجوزة باسم «الأيارج» في ستة عشر بيتا، وهي في وصف معجون طبي لعلاج أورام العيون (١٥).

بناء عليه، نستنتج أن الأندلسيين الغرباء والمهجرين ساهموا مساهمة فعالة في الحركة العلمية بمراكش في العهد السعدي؛ فقد كانت لهم مشاركات في علوم مختلفة تتراوح بين العلوم النقلية: كالفقه والأصول والعلوم العقلية: كالطب والتنجيم والتعديل والتوقيت والأزياج وعلم الاقتباس وعلم الجدول وسر الحرف والحساب والهندسة وعلم الهيئة والطبيعة والترجمة. كما أننا نلاحظ اتجاه جل هؤلاء الأندلسيين لدراسة العلوم المتصلة بالفلك والتنجيم اللذين ظلا مرتبطين ببعضهما البعض ارتباطا وثيقا منذ العصر الوسيط.

الهوامش

١- الفشتالي عبدالعزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالكريم كريم، الرباط، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م. ص. ٤٢.

٢- كربخال مارمول، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، الرباط، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٨-١٩٨٩م. الجزء الثاني، ص. ٥٧.

٣- الزياني أبوالقاسم، الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم ٦٥٨



د، ص، ٣٥٠. نقلا عن رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، الطبعة الرابعة، ٢٠١٤م. ص، ٣٧٥.

٤- لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، «مدونة دروب وأحياء وحومات مدينة مراكش العتيقة»، مجلة جامعة ابن يوسف، العدد ٥، ٢٠٠٦م. ص، ٢١٢.

٥- جلاب حسن، معجم عراصي مدينة مراكش، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م. صص، ٣٨-٥٠-٥٥.

٦- الغساني أبوالقاسم بن محمد، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد العربي الخطابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م. قسم الدراسة، ص، ج.

٧- المقري أحمد بن محمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م. ص، ٢٢٢.

٨- المصدر نفسه، ص، ٢١٧.

٩- ابن القاضي أحمد، درة الحجال...، المصدر السابق، القسم الثاني، ص، ٤٦٦.

١٠- الحجري أحمد بن قاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين (مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب)، تحقيق محمد رزوق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (١) بالدار البيضاء، رقم ٣، ١٩٨٧م. صص، ٣٧-٤٤.

١١- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب...، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص، ٤٠٣.

١٢- المنوني محمد، «ظاهرة تعريبية...»، المرجع السابق، صص، ٣٣٧-٣٣٨. ورزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم...، المرجع السابق، ص، ٣٧٦.

١٣- الحجري أحمد بن قاسم، ناصر الدين...، المصدر السابق، قسم الدراسة، ص، ٦. والمنوني محمد، «ظاهرة تعريبية...»، المرجع السابق، صص، ٣٤١-٣٥٣.

١٤- الإفراني محمد، نزهة الحادي...، المصدر السابق، ص، ٣٥٤.

١٥- العلوي عبدالله بنّصر، «علم التغذية في التراث المغربي من خلال أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية لأبي الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي المراكشي»، مجلة دعوة الحق، السنة الأربعون، العدد ٣٤٤، صفر ١٤٢٠هـ/ يونيو ١٩٩٩م. صص، ١١٨-١١٩.



ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي:

ما يتعلق بالكاتب

- يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- إرسال صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير.
- يذكر العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الإستعانة بمصادر ومراجع.
- لا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلا.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com

الوعي الإسلامي

أحمد أبو زيد
كاتب صحفي

حكم مملكة الهند الإسلامية ٥٢ عاما

أورانك زيب .. سلطان تشبه بالراشدين

ظلت سيرة الخلفاء الراشدين عبر العصور نبراسا ومثلا أعلى للكثير من الخلفاء والسلاطين والأمراء، الذين حاولوا الاقتداء بسيرتهم الرشيدة في الحكم، وعدلهم بين الرعية، وكان عمر ابن عبدالعزيز، الذي اعتبره المؤرخون خامس الخلفاء الراشدين، على رأس هؤلاء الذين تشبهوا بالسلف الصالح من الراشدين المهديين، فنشروا بين الناس العدل والفضل والأمن والأمان، وحفروا بذلك سيرتهم العطرة على صفحات التاريخ، وعظم بذلك شأنهم ورفع بذلك ذكرهم.

ولم ينته التشبه بالخلفاء الراشدين عبر العصور، فوجدنا السلطان المجاهد محمود بن سبكتكين، والسلطان نور الدين محمود زنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، ثم وجدنا سلطانا آخر يظهر في الهند المسلمة خلال العصور الوسطى، لكي يحيي سيرة الراشدين في حكمه وسيرته، ويقتدي بهديهم وسنتهم في سياسة الناس.

إنه السلطان المعظم «أبوالمظفر محيي الدين محمد أورانك زيب عالم كير»، سلطان الهند، في القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الهجري، الذي حكم شبه القارة الهندية ٥٢ سنة، فكان أعظم ملوك الدنيا في عصره، وأعظم من حكم مملكة الهند الإسلامية في أقصى اتساعها.. تشبه في حكمه وسيرته بالخلفاء الراشدين، وأقام العدل في سلطنته، وقضى على مظاهر الشرك، وأقام للمسلمين دولة ذكرتهم بأيام أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، حتى قال عنه الشيخ علي الطنطاوي: «بقية الخلفاء الراشدين» أو «سادس الخلفاء الراشدين».

اشتهر هذا السلطان بلقب «عالم كير»، وكان من المجتهدين في العبادة، تقيا ورعا، سنيا على مذهب أهل السنة والجماعة، مكثرا في نوافل الطاعات، مجافيا للمعصية وأهلها، موزعا لأوقاته: فوقت للعبادة، ووقت للمذاكرة، ووقت لمصالح العسكر، ووقت لأصحاب الحاجات، ووقت لمجلس الأمراء والوافدين، وهكذا لم يعرف فراغا ولا لهوا طوال حياته.

استهدف من حكمه إقامة العدل ونشر التوحيد وخدمة الإسلام والمسلمين، ولما جلس على عرش المملكة الهندية، بدأ يسير على منهاج النبوة الأولى في إقامة شعائر الدين، وإنصاف المستضعفين، ورفع راية الجهاد على

• أعظم ملوك الدنيا في عصره.. ظل في جهاد دام حتى خضعت له شبه القارة الهندية

سائر المرتدين والمعاندين، وأخذ الجزية من الهندوس وغيرهم، مع القيام على حوائج الأرامل والثكالى والفقراء من المؤمنين، كل هذا مع الزهد والعبادة، ونشر العلم والعلوم بين سواد الناس، والقضاء على كثير من البدع والخرافات التي كانت ذائعة بمملكته العريضة في عهد أسلافه.

المولد والنشأة

ولد السلطان أورانك زيب عالم كير في بلدة «دوحد» في كجرات بالهند في (١٥ من ذي القعدة ١٠٢٨هـ - ٢٤ أكتوبر ١٦١٩م)، وأورانك زيب: معناها بالفارسية «زينة الملك»، وعالم كير: معناها بالفارسية «جامع زمام الدنيا أو العالم»، فهي ألقاب وليست أسماء.

وقد نشأ في بيت عز وترف وشرف،

• زهد في أموال المسلمين وعاش حياة متقشفة وكان يكتب المصاحف ويعيش بثمنها

فأبوه هو «السلطان شاه جيهان» أحد أعظم سلاطين دولة المغول المسلمين في الهند، وأمه «أرجمند بانو» المعروفة باسم «ممتاز محل» صاحبة مقبرة «تاج محل»، إحدى روائع الفن المعماري في العالم، والتي تعد الآن من عجائب الدنيا السبع الحديثة، والتي تم بنائها في ٢٠ عاما وعمل على إنشائها أكثر من ٢١ ألف شخص.

فروسية منذ الصغر

ومنذ صغره ظهر من أورانك زيب علامات الجد والإقبال على الدين والبعد عن الترف والملذات، وكان فارسا شجاعا لا يشق له غبار، ويروى في ذلك قصة: فقد كان مع إخوته في يوم بحضور أبيه السلطان شاه جيهان في احتفال، وكان في الاحتفال فقرة لحلبة أفيال، فشرد فيل من الحلبة وجرى نحو «أورانك زيب» وهو آنذاك ابن ١٤ عاما، فضرب الفيل الفرس الذي يمتطيه أورانك زيب بخرطومه وطرح أورانك أرضا وأقبل نحوه، فثبت أورانك في مكانه واستل سيفه وسط ذهول الناس وإكبارهم لهذا الأمير الصغير وظل يدافع عن نفسه أمام الفيل الضخم، حتى جاء الحرس وطردوا الفيل.

فقيه وخطاط وشاعر

وقد نشأ أورانك وترعرع وتربى تربية إسلامية خالصة، محبا لمذهب أهل السنة، واستقى الدين على مذهب الإمام أبي حنيفة، فقد كان أبو جده «جلال الدين أكبر» في أواخر أيامه قد حمل الناس على دين جديد يجمع بين الديانة الهندوسية والإسلام، ومنع الجزية عن الهندوس وغير المسلمين، فأتى بذلك أمر لم يسبقه إليه أحد من سلاطين المسلمين من قبل، ولم يقم في وجه هذا السلطان أحد، وظل الأمر كذلك، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره، فظهر الشيخ الجليل أحمد السرهندي، وأخذ يدعو الأمراء وقواد الجيش وذكرهم بالله، وأحيا في نفوسهم حمية الدين.

ولما مات السلطان أكبر وجاء من بعده السلطان «شاه جيهان»، تولى الشيخ محمد معصوم السرهندي ابن الشيخ أحمد السرهندي تربية هذا الطفل الصغير أورانك، وبذل له رعايته كلها فنشأ نشأة دينية وقرأ القرآن فجوده، والفقه الحنفي وبرع فيه، والخط فأتقنه فكان خطاطا بارعا، وأحب الشعر فكان شاعرا، وتربى على الفروسية والقتال، وتعلم اللغة العربية والفارسية والتركية.

وبذلك عني شاه جيهان بتربية ابنه تربية إسلامية على يد كبار العلماء، حتى برع في كثير من العلوم الإسلامية وتبحر فيها، وشب متمسكا بالإسلام حريصا على الالتزام به، غيورا عليه، وصاحب تلك الروح الفتية خبرة إدارية وعسكرية اكتسبها من خوضه المعارك مع أبيه، وتوليه شؤون بعض الولايات، فلما تولى الحكم كان قد نضجت خبراته واستوت ملكاته الإدارية، فظهر أثر ذلك على الفور، وقدم لدولته على طول عمره المديد ما يشهد على ذلك من قوة وإخلاص وعزيمة وصبر، وتطلع إلى المعالي والرقي.

• دون الأحكام الشرعية في كتاب «الفتاوى الهندية» ليصبح قانونا للحكم
• قاد بنفسه ١١ معركة من بين ٣٠ معركة خاضها المسلمون في عهده

إداري بارع

وكان أورانك زيب الأخ الثالث بين ثلاثة أبناء هم «شجاع» و«مراد بخش»، فتولى «شجاع» إمارة البنغال، وتولى «مراد بخش» إمارة الكجرات، وتولى «أورانك زيب» إمارة الدكن في وسط الهند، فتعلم أورانك الإدارة وأتقنها وسبر أغوارها فكان من ملوك المسلمين القلائل الذين برعوا في إدارة الدولة، ومع ذلك قاد الجيوش بنفسه في عهد أبيه، فقمع الثورات وطهر البلاد وأظهر في الأرض العدل، وكانت له هيبة وسمة الملوك، وظل الأمر كذلك حتى كان ما كان من وفاة أمه «ممتاز محل» التي بوفاتها انشغل السلطان «شاه جيهان» ببناء مقبرة يخلد فيها ذكراها، وصرف لذلك الأموال، وحمل الناس على العمل الشاق فأهملت السلطنة، وظهرت بوادر الفتن والثورات، ولم يكن للسلطان يومها من همّ إلا النظر إلى ضريح امرأته، وكان قد أمر ببناء ضريح أسود اللون له، مماثل لضريح زوجته، وفي هذه الظروف التي يمر بها السلطان، وثب الأخ الأكبر لأورانك على أبيه فاستولى على كل شيء إلا الاسم، فظل يحكم باسم أبيه.

بداية عهد العدل والحق

ولكن هذا الأخ الأكبر كان مائلا للدنيا، يريد إرجاع الهند إلى ما كانت عليه في عهد أبي جده «جلال الدين أكبر»، فرفض ذلك أورانك المسلم الورع التقي، وقام معه أخوه الآخر، فاستطاع أورانك أن يأخذ الحكم لنفسه، وقمع الثورات التي شنها إخوته عليه، ووضع أباه المنصرف عن الحكم في حصن أكرا، وأحاطه بكل

• استطاع تحويل شبه القارة الهندية إلى ولاية مغولية إسلامية تحت قيادة واحدة

أنواع التقدير، دون أن يكون له يد في مباشرة الدولة، وكانت للحصن شرفة تطل على تاج محل ضريح زوجته، فكان دائم النظر إليه، وظل كذلك حتى مات، وبذلك أعلن أورانك زيب نفسه سلطانا على البلاد، وكان وقتها في الأربعين من عمره، وابتدأ عهد العدل والحق، فقد آن الأوان أن يرى المسلمون صورة أبي بكر وعمر وعثمان في شخص أورانك زيب عالم كير.

جهاد دائم

فعندما وصل إلى منصب السلطان حكم البلاد بالحزم والعدل، وعزم على الجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فلم يركن أورانك إلى الدعة والراحة، بل لبس ثياب الحرب من أول يوم، وظل في جهاد دام ٥٢ سنة، حتى خضعت له شبه القارة الهندية كلها من مرتفعات الهيمالايا إلى المحيط ومن بنجلادش اليوم إلى حدود إيران.

فقد شهدت إمبراطورية المغول الإسلامية بالهند في عهده (١٦٥٨ – ١٧٠٧م) أقصى امتداد لها، وذلك بفضل الجهود العسكرية التي بذلها السلطان، حيث خاض المسلمون في عهده أكثر من ٣٠ معركة قاد هو بنفسه ١١ معركة منها، وأسند الباقي لقواده، ولم يبق إقليم من أقاليم الهند إلا خضع تحت سيطرته، فاستطاع تحويل شبه القارة الهندية إلى ولاية مغولية إسلامية، ربط شرقها بغربها وشمالها بجنوبها تحت قيادة واحدة، وقضى على فتنة البرتغاليين في المحيط.

إبطال الضرائب

وقد أبطل أورانك زيب ٨٠ نوعا من الضرائب التي أثقلت كاهل الناس، وشجعهم على زراعة الأراضي وعاونهم على إصلاح البور منها، وفرض الجزية على غير المسلمين بعدما أبطلها أجداده، وفي الوقت نفسه تمتع الهندوس مع المسلمين بإلغاء الضرائب عليهم، كما أبعد طائفة كبيرة من الهندوس عن المناصب الرفيعة والوظائف الكبرى في دولته، وعين القضاة، وجعل له في كل ولاية نائبا عنه، وأعلن في الناس أنه «من كان له حق على السلطان فليرفعه إلى النائب الذي يرفعه إليه».

وخصص موظفين يكتبون كل ما يقع من أحوال رعاياه ويرفعونها إليه، وأبطل عادة تقديم الهدايا إليه كما كان يفعل من قبل مع أسلافه، وكان يجلس للناس ثلاث مرات يوميا دون حاجب يسمع شكاواهم.

تواضع وزهد وتقشف

وكان هذا السلطان يحيا حياة زاهدة متقشفة، فقضى على الأبهة والفخامة التي كانت تحيط بالملك في قصره، وألغى المبالغات المخالفة للشرع في استقبال السلطان وتحيته، فمنع عادة تقبيل الأرض بين يديه والانحناء له، ومنع الخطب الطويلة التي تقال لتحية السلطان، واكتفى

• أبطل عادة تقديم الهدايا إليه.. وكان يجلس للناس يوميا بلا حاجب يسمع شكاواهم

• أقام المساجد والحمامات والمدارس والبيمارستانات وأصلح الطرق

بتحية الإسلام، وحفظ القرآن الكريم كله بعدما أصبح سلطانا.

وأظهر تمسكه بالإسلام والتزامه بشرائعه، فأبطل الاحتفال بالأعياد الوثنية مثل عيد النيروز، ومنع دخول الخمر إلى بلاده، وصرف أهل الموسيقى والغناء عن بلاطه، وتروى في ذلك قصة: أنه كان يوما خارج قصره فرأى الموسيقيين والقينات يلبسون السواد ويبكون ويحملون نعشا، فسأل ما هذا؟، قالوا: هذا الغناء والمعازف نذهب لدفنها، فقال رحمه الله: إذن أحسنوا دفنها لئلا تقوم مرة أخرى.

وعني بإقامة نظام الحسبة ودعمه بما يكفل قيامه بوظيفته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت هذه السياسة ضرورية لإنقاذ الدولة مما أصابها من عوامل الضعف والتفكك، وإصلاح أحوال المسلمين بعد أن ساد بينهم منذ عهد السلطان «أكبر» تهاون شديد في أمور العقيدة. وبفضل سيرته الحسنة وعدله وورعه دخل الملايين من البوذيين في الهند إلى الإسلام.

مسجد باد شاهي

وفي مجال العمارة أقام المساجد ومدها بالعلماء والخطباء والوعاظ، وعمرها بالعلماء وطلبة العلم، وشيد الحمامات والخانقاوات والمدارس والبيمارستانات، وأصلح الطرق وبنى الحدائق، حتى أصبحت «دلهي» في عهده حاضرة الدنيا.

ومن أشهر المساجد التي شيدها مسجد باد شاهي في لاهور بباكستان، الذي يعد من معالم هذه المدينة التاريخية، ومن أكبر المساجد في العالم، لما يتميز به من جمال العمارة وشموخها، فهو تحفة فنية ومعمارية، يتميز بواجهته الهائلة الارتفاع والمبنية على النسق المغولي، وهو رمز شامخ

للتراث المغولي بباكستان.
ويعتبر ثاني أكبر مسجد في البلاد بعد مسجد الملك فيصل بإسلام أباد، فله ساحة هائلة مترامية الأطراف، ويقدر عدد المصلين الذين يمكن أن يستوعبهم المسجد وساحته الواسعة، بحوالي (١١٠ آلاف شخص)، وخاصة في المناسبات الكبرى، مثل صلاة العيدين، حيث تتسع قاعته الداخلية لعشرة آلاف، وساحته الخارجية لمئة ألف مصل.

مصحفان للحرمين بخط يده

وكان يكتب بخطه المصاحف ويبيعها ويعيش بثمنها لما زهد في أموال المسلمين وترك الأخذ منها، ولم يستطع أن يحج إلى بيت الله الحرام، فاستعاض بذلك أن كتب مصحفين بخط يده وأرسل واحدا إلى مكة والآخر للمدينة.
كما كان صاحب عبادة عظيمة، يكثر من الصوم ويصلي الفرائض في وقتها جماعة مع المسلمين، ويؤم المصلين في رمضان، ويعتكف العشر الأواخر، وألّف كتابا شرح فيه أربعين حديثا شريفا، على غرار الأربعين النووية.

الفتاوى الهندية العالمكيرية

وتميز عهد أورانك زيب بإضفاء الصبغة الإسلامية على شؤون الحياة، فازدهر التعليم في عهده، وكثرت المدارس، وأنشأ دورا للعجزة والمستشفيات وأقام الحمامات والاستراحات لأبناء السبيل.
وقد وُفّق السلطان، كما يقول الأديب الشيخ علي الطنطاوي في كتابه: «رجال من التاريخ»، إلى أمرين لم يسبقه اليهما أحد من ملوك المسلمين:
الأول: أنّه لم يكن يعطي عالما عطية أو راتبا إلا طالبه بعمل، بتأليف أو بتدريس، لئلا يأخذ المال ويتكاسل، فيكون قد جمع بين السيئتين، أخذ المال بلا حق وكتمان العلم.
والثاني: أنّه أول من عمل على تدوين الأحكام الشرعية في موسوعة واحدة، تتخذ قانونا للحكم والفتوى، فوضع له وبأمره وتحت إشرافه «الفتاوى الهندية» أو «الفتاوى العالمكيرية» على المذهب الحنفي، قام بإعدادها نخبة من كبار الفقهاء الأحناف، وعينها للقضاة يفتون بها، وقد طبعت هذه الموسوعة بمصر سنة (١٢٨٢هـ –١٨٦٥م) وبحاشيتها كتابان من أهم المصادر التي اعتمدت عليها، وهما: الفتاوى الخانية، والفتاوى البزازية، وهي موسوعة يعرفها كل طلبة العلم.

• شيد جامع باد شاهي بلاهور الذي شارك فيه ٩٠ ألف عامل وهو تحفة فنية ومعمارية
• أبطل الضرائب وخصص موظفين يكتبون ما يقع من أحوال رعاياه ويرفعونه إليه
• حفظ القرآن بعدما أصبح سلطانا ومنع عادة تقبيل الأرض بين يديه واكتفى بتحية الإسلام

السلطان في نظر المؤرخين

وينظر المؤرخون المسلمون إلى هذا السلطان نظرة إجلال وتقدير، لجليل أعماله والتزامه قبل غيره بشرائع الإسلام، وحرصه على نشر الإسلام، فقد قال عنه «المرادي» في ترجمته التي ضمها كتابه «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»: «سلطان الهند في عصرنا، وأمير المؤمنين وإمامهم، وركن المسلمين ونظامهم، المجاهد في سبيل الله، العالم العلامة الصوفي العارف بالله، الملك القائم بنصرة الدين، الذي أيد الإسلام وأعلى في الهند مناره، وجعل كلمة الله هي العليا، وقام بنصرة الدين، وفتح الفتوحات العظيمة، ولم يزل يغزو، وكلما قصد بلدا سلكها، إلى أن نقله الله إلى دار كرامته وهو في الجهاد، وصرف أوقاته للقيام بمصالح الدين وخدمة رب العالمين من الصيام والقيام والرياضة التي لا يتيسر بعضها لآحاد الناس فضلا عنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكان موزعا لأوقاته: فوقت للعبادة، ووقت للتدريس، ووقت لمصالح العسكر، ووقت للشكاة، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم وليلة من مملكته، لا يخلط شيئا بشيء. والحاصل أنه كان حسنة من حسنات الزمان، ليس له نظير في نظام سلطنته ولا مدانٍ، وقد ألِّفت في سلطنته وحسن سيرته: الكتب الطويلة بالفارسية وغيرها فمن أرادها فليطلع عليها».

وصية قبل الموت

وقد توفي السلطان في (٢٨ من ذي القعدة ١١١٨هـ – ٢٠ من فبراير ١٧٠٧م)، وهو في التسعين من عمره، بعد أن حكم ٥٢ سنة، تاركا ذكرى عطرة لحاكم مسلم لم تشغله دنياه وحروبه المتوالية عن دينه وآخرته، فكان إمبراطورا لم تشهد الهند مثله في اتساع ملكه وصلاح خلقه، وحسن سيرته وسريرته.
وكان قد بلغ من تقواه أنه حين حضرته الوفاة أوصى بأن يدفن في أقرب مقابر للمسلمين وألا يعدو ثمن كفنه خمس روبيات. وبوفاته انتهت عظمة دولة المسلمين في الهند، فجاء من بعده حكام ضعاف وظل الأمر كذلك حتى انتهت تماما بسقوط آخر سلطان «بهادر شاه الثاني» عام ١٨٥٧م بواسطة الإنجليز، ولم تقم للإسلام قائمة منذ ذلك الزمن في تلك البلاد الشاسعة.

القاهرة - إسلام لطفي
تصوير: رمضان إبراهيم
دار الإعلام العربية



علماء ومفكرون يرثون نائب رئيس مجمع اللغة العربية

د. محمد حماسة.. في ذمة الله

«لا نريده لقاء يطغى عليه الحزن، بل لقاء حميميا لمحبيه وتلاميذه يمتاز بالحب؛ لأنه الأقدر على استمرار قيمة نهج العلم والعطاء وروح التفاؤل والبساطة والتلقائية والإنسانية، وهي من أبرز الصفات التي امتاز بها بين تلاميذه وزملائه وأساتذته».. بهذه الكلمات استهل مدير معهد المخطوطات العربية د. فيصل الحفيان، حديثه خلال لقاء وفاء للراحل د. محمد حماسة عبداللطيف، نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة وأستاذ النحو والصرف بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، الذي وافاه الأجل صباح يوم الخميس ٣١ ديسمبر ٢٠١٥م عن عمر يناهز الرابعة والسبعين.



وأوضح الحفيان أن اللقاء يأتي تكريما لواحد من الأساتذة المخلصين، الذين لم يدخروا جهدا في إفادة الطلاب الذين تلقوا عنه في قسمي البحوث والدراسات التراثية والبحوث والدراسات الأدبية.

وأضاف: «كان د. حماسة يشعر بالسعادة في القرب من الناس وخدمتهم وتشجيعهم، وله حضور طاغ ومؤثر في حلبة العلم وفسحة الإنسانية، كما كان يتصف بالانفتاح والإخلاص، فهاجر دنيانا التي تمتلئ ظلما وقهرا إلى مكان لا قهر فيه ولا ظلم».

نفس ذكية وقلب متفتح

أما رئيس مجمع اللغة العربية د. حسن الشافعي فقال: «كان حماسة فنانا ومبدعا وشاعرا وأديبا وناقدا، ويتولاه الآن من هو أولى منا، فكنت أقدمه وأصلي خلفه وأستمتع بسماع تلاوته لكلام الله رب العالمين، فصلته بالجملة والكلمة القرآنية ولفظة العربية في أحلى صورها. وكان معطاء يمتلك النفس الذكية والقلب المتفتح الذي وهبه الله، وهو خلية من العلم والوطنية، ودرّست له بعض الأفرع في كلية دار العلوم وكان يقول إنه تأثر بي».

وأضاف الشافعي: «يقول الشيخ جلال الدين الرومي: إن الواحد منا يقف على رأس حقل القطن، وينظر إلى حوض من الزهور المتجهة إلى السماء، ويتساءل أي هذه الأزهار سيدخل في نسيج خرقة تمسح بها الأرض، وأيها سيدخل في تكوين جُبّة لعالم، وأيُها سيكون راية جهاد، وأيها سيكون كفن شهيد؟!.. إنها أزهار متجاورة متماثلة لكن المصير ليس واحدا.

فالرومي يعبر عن الموهبة التي لا تعد من صنع البشر أنفسهم إنما هي عطاء إلهي أو اختيار رباني فطري يهيئ به الإنسان لما سيكون عليه في قابل الأيام، لكن ليست هذه الموهبة إلّا تهيؤا

> **د. سعد مصلوح: عرفت عنه صلته الوثقى بالقرآن الكريم**

واستعدادا وصلاحية وإمكانية، ولابد لكي تأخذ طريقها وتبلغ مداها وتؤدي وظائفها من التكوين التعليمي الرصين بأي سبيل يكون، فمن المفكرين والمبدعين من أخذها من أسرته ثم الدخول في مجال الإبداع وميدان الكشف والبناء، ومنهم من تعلم في أسرته ثم انتقل إلى شيوخه ثم هاجر وسافر يطلب العلم من منابعه حتى استقام له قدر يصقل الموهبة ويثريها ويدفعها في مجال الإنتاج والإبداع، ثم يأتي دور الطعم الثقافي أو الرسالة العلمية.. تلك هي المنظومة لكل موهوب قدر له ألا تموت موهبته أو تنتهي، ويطغى عليها التجاهل، وكل من تهيأت له تلك الظروف يقدم له ما يشاء من الثمار».

وتابع: «استعداد البحث العلمي والإبداع الفكري في غير نطاق الفن المعهود يحتاج إلى موهبة وطعم ودور خاص، مثل د. حماسة الذي ولد في عام ١٩٤١م، إذ كان والده عالم القرية ومفتيها، وحفظ على يديه القرآن



الكريم، ولذلك كان حماسة وثيق الصلة جدا بالقرآن».

أنبغ الجيل الثاني من اللغويين

بدوره، تحدث الناقد الأدبي د. صلاح فضل قائلا: «هذا الغياب أوجعنا وأدمعنا، لكنه يدعونا إلى أن ندلي بشهادتنا عن حماسة، فلقد صنعت موهبته الشعرية وغرامه بالفن وحلاوته وجماله ومعرفته بالقرآن والإدراك لديه الثقافة والإبداع، فمن دون إدراك المعاني العليا من البلاغة لا يمكن لعالم أن يدرك سر الإبداع، فيعتبر من أنبغ لغويي الجيل الثاني، حيث إن الجيل الأول ذهب إلى الغرب واكتسب جديدا وربما أنسته من عراقة علمه القديم وربما اشتط بعضهم، لكن الجيل الثاني استخلص العناصر الحية من التراث القديم، وأخلاقه كانت مشوبة بكثير من الحياء، ومن أعظم ميزاته التي جعلته محبوبا أنه كان يعرف مقدار الآخرين».

وأضاف: «كنا نمثل طرفي معادلة في مجمع اللغة العربية، فحماسة بحسه الدقيق الجميل ووعيه العميق بالنحو واستيعابه الذي لم أشهد مثله، كان يمثل ذروة التيار المحافظ الأمين الراعي القائم على اللغة، وكنت أمثل من يريد التوسع في اللغة ويحاول فيها من الحداثة، لكن ما من مرة إلا وعجبت بما يبسطه ضدي من حجج، واقتنعت بما يقول، وآمنت، ثم أعارضه حتى أفتح بابا للتطوير وإعادة النظر، وكان يعبر عن تقديره لما أقول دائما، ولم ينته بنا الأمر إلى لغط في الجدل أبدا.

رعاية أبوية لتلاميذه

وقال أستاذ اللسانيات في كلية الآداب جامعة الكويت د. سعد مصلوح: «أنا المُعزّي والمُعزّى حماسة عزيز العربية وعزيز إلى العربية، وعام التحاقه بكلية دار العلوم كان عام تخرجي فيها وتعييني معيدا، وانعقدت بنا

د. حسن الشافعي: عرف بالدفاع عن علم اللغة وجعله دأبه ورسالته

صلة ظلت إلى ما قبل رحيله بأيام قليلة، وأعجبت بشخصيته في المطارحات الشعرية، وكان يمتاز بالذكر الحسن والعلم والرعاية الأبوية للباحثين، وكلامه كان نموذجا رائعا في الرعاية، وعرفت عنه صلته الوثقى بالقرآن الكريم».

وقال صديقه العميد الأسبق لكلية دار العلوم جامعة القاهرة د. أحمد كشك: «كان حماسة أستاذي، ويخطو خطا فنمشي وراءه ونقلد ما يخطوه. فكان ضحوكا ومبتسما. وهو أوّاب. وإذا حدث نقاش وشعر أنه تجاوز سرعان ما يعتذر ويعود عن خطئه».

وأخيرا، أكدت الأستاذة بكلية الآداب جامعة القاهرة د. وفاء كامل، أنها عرفت د. حماسة منذ عشرين عاما، إذ لاحظته فصيحا، ويحسن الشعر، وعلى علم بما يخص الطلاب، ويحرص على تشجيع الصغار، وكان كثيرا ما يساعدها ويشجعها كغيرها من تلاميذه.

يسار الحبيب
شاعر وأديب

على حِضْنِ أُمِّي

أمّـي الـتي تَحتـارُ فيكِ مطالعي ... حَسبي بأنّكِ للقصائدِ مطلعا
وبحضنِكِ الحاني عِشاشُ حمائمٍ ... نأوي إليه - على الكهولةِ - ركّعا
عشبُ الطفولةِ في نداكِ يلفُّني ... ويعلِّلُ الآهاتِ شدوكِ بالدّعا
وعلى يديكِ لكلّ ثغرٍ قُبلةٌ ... وشميمُ كفكِ بالصّلاةِ تلفّعا
كلُّ الدروبِ إلى سواكِ عواصفٌ ... عبثًا أحاولُ غيرَ دربِكِ مرجعا
فندى خطاكِ على الطفولةِ جنّةٌ ... إنْ فاضَ ريّانًا بدوحِكِ أمرعا
حظّ الفراشةِ ذاكَ عمرُ طفولتي ... ويغُرّنا عهدُ الطفولةِ أجمعَا
واليتمُ عندَ الناسِ فَقْدُ أبوّةٍ ... واليتمُ عندي بالفطامِ تَذرّعا
لم يقرأوا لبنَ الأمومةِ مرّةً ... في بسمةِ الأطفالِ يومَ تضوّعا
هي أيقظتْ ببراعمِ التُّربِ الندى ... حتى تبسّمَ بالورودِ وأينعا
هي علمتني أن أكونَ معاندًا ... وجعَ الحياةِ - إذا ظُلمْتُ - ليخضعا
هي علمتني أن أزيِّنَ تمتما ... تِ طفولتي بالياسمينِ موقّعا
يا أيُّها الملقى بكفّ الريحِ ما ... لكَ صامتٌ والقلبُ منكَ تولّعا
وهَبَتْ لعينِ الليلِ عينَ نهارِها ... وجفَتْ لذيذَ النومِ دونكَ موضعا
سكبتْ عليكَ الحبَّ شهدَ أمومةٍ ... فعلى القلوبِ نمَتْ صلاتُكَ أضلعا
نارٌ بوادي الطورِ جمرُ بخورِها ... يعشو له فجرُ الحياةِ تطلُّعا

وليد عبدالماجد كساب
كاتب مصري

العنزة

لم يطل فكر الأمير، ولم تلبث خطراته كثيرا، ولا طالت رؤيته للطيور المنتظمة في أسرابها. تمنى لو كان الفرقاء مثلها، ينحون خلافاتهم جانبا، ويعيشون حياة مطمئنة لا حقد فيها ولا حسد؛ ولكن أنى لهم هذا؟! إنها السلطة التي تريق الدماء، وتقطع الوشائج مع إقبال ليل وإدبار نهار، وآلة الحكم التي لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم!

– «أراك تطيل التفكر».. قالت له زوجته والخادمة تضع بين يديه منقوع الزبيب وبعضا من الحلوى.

انتشلته من دوامة الفكر والظنون، بدا منهكا أكثر من أي وقت مضى، رأسه مزدحم بالخواطر التائهة، كميدان حرب ضروس لم تضع بعد أوزارها. حدق في أصابعه، وبدا كأنه يقرأ تلك التهاويل المبهمة المنقوشة في فصوص خواتمه! وسرعان ما حام بعينيه في أرجاء الحديقة.. وتنفس نفسا عميقا، ثم قال:

– وهل هناك أجمل من هذا؟! أغصان حيرى، وزهور شتى، وماء زلال، ونسيم عليل..

– أهروبا من الواقع؟!

أجابها بتململ وهدوء، متحاشيا عينيها الواسعتين اللتين بدتا كلؤلؤتين لم تفقدا بريقهما رغم تعاقب الليل والنهار:

– ربما!

لم يكن الأمير عبدالرحمن كتخدا القازدغلي ليطلع الغيب، ولا أن يعلم ما ينتظره في قابل الأيام، ولا دار بخلده أنه سينفى بالحجاز اثنتي عشرة سنة حتى يهرم. لقد كان حسن الظن أكثر مما يجب، وهذا إن جاز لكل أحد، فلا يجوز لمن جلس على كرسي الحكم. إنه يحتاج إلى أنياب بارزة، ومخالب قوية، وقدرة على الركض في فيافي السياسة، ودراية بدهاليز الحكم الملتوية. ما ألعن السياسة وما أقسى الحكم!

– دعك من هذا؛ فلكل حدث حديث.

– أقصد..

احتد كتخدا صارخا في عصبية بالغة:

– قلت لك دعك من هذا.

انزوت وراء غيمة ثقيلة من الصمت.. عزت عليه في انزوائها، فرمقها بابتسامة ساخرة وهو يقول: اليوم سيأتينا ضيفان.

– ضيفان؟!

– نعم، رجل يقال له جودة، ومعه عنزته وبعض الأمراء ورجال الدولة.

كان وقع الكلام عليها غريبا بعض الشيء. وسرعان ما ملأ البشر وجهها.

بادرته بسؤال تعلم إجابته، لكنها غير مصدقة: صاحب العنزة التي تتكلم؟!

ضحك الأمير حتى بانت سنه الذهبية، رفع حاجبيه كمثلثين ضخمين تجاورا، صاح: أو تتكلم العنزة؟!

– ألم تسمع بهذا؟! إن مصر كلها تضج بذكر كراماتها، ويسعى بسيرتها الرائح والغادي!

– أتصدقين ما يقوله المبطلون؟!

– أراك تستهزئ بكلامي!

– أي أناس تقصدين؟! أهل الزعارة أو البطالة الذين يجوسون الأزقة بلا عمل؟! أم السوقة والكلابزية الذين صدقوا هذا الهراء؟! لقد افتتن الناس بها، المرضى تركوا العلاج في البيمارستان، والنساء يأتينها بالنذور والقرابين، وكبير الدجالين (جودة) يقول إنها لا تأكل إلا اللوز والفستق، ولا تشرب سوى ماء الورد، والسكر المكرر. حتى المتصوفة هجروا خانقاواتهم وخلواتهم، لم يتبق إلا أن تعبد العنزة من دون الله! هذا هراء يا زوجتي.. هراء!

– فلم أرسلت في طلبه؟!

قهقه الأمير فتحركت غمامة.. ارتعدت أوراق الشجر.. وأرعب حفيفه القطا ففرت من أغصانها.. ولم يستطع منع السخرية من التسلل إلى وجهه المجهد، لمعت عينه كبارق السيف.

أردف قائلا: كي نلتمس البركات.

●●●●

بشق الأنفس أفلت جودة، ومعه العنزة، من أصحاب الحاجات، احتشدوا أمام المقام الزينبي، هكذا اعتادوا، تجمعهم الخرافة، وتستهويهم الأساطير.

لم يلتفت إلى هذه السيدة المكلومة، التي تجر ما تبقى من أسمال ثيابها، جاءت ترجو شفاء صغيرها من مرض عضال، انحنت لتقبل قدميه، كجدولين صغيرين تدفقت دموعها؛ لكنه لم يكترث لها، جذب طرف ثيابه، وأسرع الخطى!

كان موكبه يشق الشوارع والأزقة، لم يعكر صفوه إلا الروائح المنبعثة من أكوام القمامة.. صغار يلعبون ويمرحون.. تتعالى ضحكاتهم من حين لآخر.. ومجاذيب يتوسدون التراب ويلتحفون السماء.

– ألسنا هنا في باب اللوق يا ولد؟!

– بلى، يا سيدي.

– فلنمر سريعا على مزرعة الإمبابي،

اجلب لنا قطعة حشيش تعيننا على أمر دنيانا!

- لكن أخشى أن نتأخر!

- طيب، أسرع يا حرفوش يا ابن الحرفوش.

- «حاضر يا سيدي».. قالها الغلام مغتاظا.

في بركة الفيل، حيث القصر السامق، توقف الغلام بالبغلة. كان السور عاليا، لا يسمح للدهماء بالرؤية.. ها هم العسكر كعادتهم، يقفون مدججين بالسلاح، يرقبون كل رائح وغاد.

وسط دهشة الحراس، ولج جودة القصر بعنزته، كانت أنفاسه تسابق دقات قلبه، هَمَّ الغلام بالدخول، أشار إليه سيده؛ فلزم الدابة يتباثان الشكوى.

●●●●

أحس جودة بمعدته تتقلص، جاشت نفسه، أحس بدوار، أراد إمساك قلبه لئلا يبرح مكانه!

كان الأمير يمعن النظر في بعض الخطط المعمارية، أذن لضيفه بالجلوس، تفلتت العنزة لتتجول في السلاملك.. فترة من الصمت لفت المكان.. عبثا حاول استعادتها بإشارة خفية؛ لم تعره اهتماما، واصلت تجوالها، رضي بالأمر وتركها، مكث غير بعيد يدير حبات مسبحته الطويلة.

التفت الأمير إلى الشيخ، وسرعان ما سأله: أو تتكلم هذه العنزة؟!

غاضت الكلمات في جوفه، ولكنه استجمع شجاعته: نعم يا مولاي؛ لقد سمعتها بأذني هاتين تتحدث عند مقام السيدة نفيسة، وسمعها خلق كثير.

- آه، ويقول الناس إن السيدة أوصت أهل الصلاح في المنام بها!

- أجل.. أجل، يا مولاي.

- نعم، ولهذا دعوناك لإكرامكما معا!

نادى الأمير أحد الخصيان: خذ العنزة إلى الحرملك ليتبارك بها الحريم، إنهن ينتظرنها بشوق.

لم يدخل الخصي إلى الحرملك، لكنه اتجه إلى مكان آخر!

●●●●

أخيرا جاءه من يدعوه إلى الخوان. اتخذ سبيله في القصر فرحا، مشى في حياء مصطنع، تدور عينه في كل مكان، ينظر إلى كل ما يصادفه، أسكرته رائحة الصندل والعود الفواحة.

كان الأمير يجلس وسط حاشيته. المأدبة عامرة بصنوف الطعام، الجميع يتضاحكون، يتغامزون. جلس جودة، بجثته الضخمة وكرشه المنتفخ وعمامته الكبيرة، فقال له الأمير: باسم الله يا شيخ.

لم يمر وقت طويل، فاجأ الأمير الجميع: يا شيخ جودة، نحن في شوق لسماع قصة العنزة؛ لكن دعنا أولا نسأل الشيخ مبروك أبوالعمايم.

- أمر مولاي الأمير.

- هل تتحدث العنزة؟!

- نعم.. نعم، لابد أن لها نصيبا من كرامات الأولياء.

زم الأمير شفتيه، وهز رأسه الضخم متظاهرا بالاقتناع.. وسرعان ما أومأ إلى جودة ليتحدث.

أخذ جودة يكرر ما يقوله في كل مكان، ويزيد عليه من خيالاته، عن طعامها، وشرابها، وكراماتها التي لا تنتهي.

لم يصدق جوده نفسه، أهو في حلم أم في علم، كان الأمير بين الفينة والأخرى يقول: كل من هذه، وهذه، وهذا.. فيقول: إي والله إنه لطيب ومستو ونفيس!

انتهت مراسم الطعام، لم يكن بإمكانه طلب عنزته للانصراف. لمحه الأمير بركن عينه الحادة، ضحك بخبث وقال: تريد أن تسأل عن العنزة؟!

- «تمنيت لو أذن لي سيدي بالانصراف».. قالها منحنيا غضيض الطرف والنفس.

- وددت لو سألتك في أمر يا شيخ جودة..

- رهن إشارة مولاي.

- ألم تفكر في ذبح هذه العنزة؟!

- كيف ذلك مولاي الأمير؟! والله لئن فعلت هذا لمسني السوء، ولمسخت قردا في حينها.

- كفى.. كفى يا جودة، ها ها ها ها، لقد أصبحت أثرا بعد عين.

- لم أفهم مقصود مولاي!

- ها ها ها.. تلك عظامها ماثلة في الصحن.. ألم تقل إن لحمها طيب ومستو ونفيس؟! لقد انكشف دجلك.. وذلك إفككم وما تفترون. زعمتم أن العنزة تتكلم، وأنها لا تأكل إلا قلب اللوز والفستق، ولا تشرب إلا ماء الورد والسكر المكرر.. وهي مسكينة لا تجد غير لقيمات تتسولها من فتات مائدتك يا ابن آكلة الخبيزة!

عنت الأبصار للأمير، خيم الصمت على كل شيء، هز صوته الجدران العالية هزا، زاده رجع الصدى رجا، نكس الشيخ رأسه من هول الموقف، وبدا منكسرا ذليلا، عندها تمنى لو انشقت الأرض فابتلعته في حينها.

جال الأمير بعينيه بينهما، وصرت أسنانه، وواصل صياحه: إلى متى تستغلون جهل الناس وتغررون بهم، باسم آل البيت؟! تمنيت -والله- لو أمرت برقابكم معشر الدجالين فضربت.. فاستراح الناس من شروركم وتدليسكم.. وكنتم لمن خلفكم آية. لابد أن يكون الجزاء من جنس العمل.

- «يا سليمان».. نادى الأمير.

- أمرك يا مولاي.

- خذوا هذا الرجل فأركبوه على أتان زعراء هزيلة، ومعه عصابته والحرافيش الذين اعتادوا المشي في ركابه، وضعوا جلد العنزة على عمامته، واجعلوا من ينادي في الناس ويقول: «هذا جزاء كل مدلس يستخف بالناس باسم الدين».. وإياكم أن تفارقه الأشاير والطبول!

أبو عبيدة علي أحمد
كاتب وقاص



يحدث في بلاد الغرب

«السجينة»

على ضفاف نهر الراين جلس مدير المركز الإسلامي وهو يباشر بعض المهام التي يقوم بها، انكب مستغرقا على كومة الأوراق بين يديه ينجز الواحدة منها بعد الأخرى، قطع عليه عمله صوت أحد العاملين معه وهو يخبره بوجود سيدتين ترغبان في الالتقاء به، ترك ما بيده من أوراق وأذن لهما بصدر رحب وقام لاستقبالهما.

دخلت السيدتان، وأدرك من النظرة الأولى أن إحداهما عربية والأخرى ألمانية. ألقت السيدة العربية السلام، فرد وطلب منهما بأدب الجلوس.

بادرته السيدة بقولها: «هذه صديقة ألمانية ترغب في دخول الإسلام». لم يكن الأمر مفاجئا للرجل، فقد اعتاد على هذا الأمر كثيرا، فمن الراغبين في دخول الإسلام من يأتي ليتعرف عليه، ومنهم من يأتي وقد تعرف عليه أو درسه ولم يبق إلا إتمام الإجراءات الشكلية.

رحب مدير المركز بإتمام الإجراءات لها، ولكنه اتبع ذلك بلغة ألمانية راقية: «ولكن أحب أن أسمع منك القصة، فهلا تفضلت بسرد قصتك على مسامعي؟».

وكأن المرأة الستينية كانت تنتظر أن يطلب منها هذا الطلب، فقد انسابت الكلمات من فمها بسلاسة وتدفق وهي تعرض قصتها المثيرة، وهذه هي القصة:

«أنا امرأة ألمانية أعيش بمفردي بعد وفاة زوجي، عندي ولد وبنت، كلاهما متزوجان ويعيشان بعيدا عني، وفي يوم من الأيام رغبت في السفر، ونظرا لقلة المال في يدي، ولعدم قدرتي على السفر بالقطار، وعدم امتلاكي سيارة، لجأت إلى الوسيلة التي يلجأ إليها من هو في مثل حالي، أو من يرغب



في وسيلة مواصلات رخيصة الثمن نسبيا، ألا وهي البحث عمن يسافر بسيارته إلى المدينة نفسها التي أرغب في السفر إليها، أو يمر بها، على أن أدفع له مقابلا ماديا يبقى قليلا بالمقارنة مع غيره. ولا يخفى عليك أن هذا الأمر سهل في ألمانيا.
وجدت من أسافر معه، فرحت كثيرا؛ فقد كان السفر مهما لي، وكانت قدراتي المالية حائلا ومانعا من إنجازه.
غير أن فرحي هذا لم يكتمل، فقد لاقيت من الأهوال ما الله به عليم، ولقد قلت لنفسي بعد ذلك كثيرا: «ليتني لم أسافر، ليتني بقيت في بيتي».. وجاهرت بهذا القول في كل مكان ومناسبة، قلته لمن أعرف ولمن لا أعرف. غير أنني تعلمت بعد ذلك أن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي «الإيمان بالقدر»، وأن المرء مطلوب منه الأخذ بالأسباب مع الإيمان بأن قدر الله المخبوء عنا سينفذ، فلا يغني حذر من قدر، وقد آمنت به وارتاح قلبي إليه.
وتعلمت أن «لو» تفتح عمل الشيطان.. والآن أقول: «الحمد لله»، وأردد هذه الآية كثيرا وقد أخذت بعقلي وفكري وقلبي: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ (البقرة:٢١٦).
سامحني فأنا أتذكر هذه الأحداث بمشاعر متضاربة.. نسيت أن أقول لك إن سفري كان لخارج ألمانيا، وفي الطريق أوقفتنا وحدة مراقبة شرطية، وطلبت منا الوثائق، ولم يكن لدي مشكلة في الأمر، غير أن المخاوف بدأت تتسرب إلى قلبي، فالطريقة التي كان يتعامل بها رجال الشرطة تنبئ أن سيارتنا كانت مقصودة بهذا التفتيش.. وسرعان ما وقعت الواقعة وأصبت بصدمة هائلة، إذ تبين أن أصحاب السيارة يحملون معهم مخدرات، وهم يحاولون نقلها من بلد إلى بلد، انقلب الأمر تماما، وعوملنا بشدة، فقد اعتبرتني الشرطة شريكة في الجريمة، وسرعان ما تم نقلنا جميعا إلى مركز الشرطة لإجراء التحقيقات اللازمة، ثم إلى المدعي العام.. إلى آخر الإجراءات القانونية المعقدة، التي لم أستطع أن أثبت في واحدة منها أنني بريئة، وأنني لا أعدو أن أكون مسافرة معهم ولست شريكة، ولا معينة، ولا أعرفهم.
وقد عانيت كثيرا في فترة الحبس على ذمة القضية من المجتمع الذي صرت أعيش فيه: مجتمع المجرمين أو المشبوهين، وعانيت من جحود ولدي وتنكرهما لي، غير أنني كنت أصبِّر نفسي بأني قد أحصل على البراءة وسيعرفان حينها أن أمهما بريئة، ولكني كنت أخدع نفسي، فلا يوجد لدي أي دليل على براءتي.
سارت إجراءات المحكمة ثقيلة بطيئة كئيبة، وصدر الحكم القاسي بحبسي خمس سنوات؛ مراعاة لسني، وعدم إثبات العلاقة بيني وبين ركاب السيارة، غير أن فقداني للدليل لم يمنحني البراءة الكاملة.
نقلونا من قاعة المحكمة إلى السجن وأنا لا أقوى على السير: هل ستداهمني الأمراض والعلل وتكون هذه هي النهاية؟ هل سأموت في السجن؟ هل يمكن أن أرى ولدي من جديد؟ كم أشعر الآن بالشوق إليهما وإلى أولادهما!
دخلت إلى الزنزانة وكأني أدخل إلى القبر، بقيت أياما وليالي لا أستطيع النوم، ولا أنقطع عن التفكير في المستقبل وما يحمله لي، وعن اجترار الأحزان والأحداث المؤلمة. وعلى الرغم من محاولات بعض المسجونات معي في الزنزانة، فإنني بقيت على هذه الحالة ما يزيد على شهر، حتى بدأت في التعود على أجواء السجن والتكيف مع الوضع الجديد. وكان من بين من ساعد على إخراجي من هذه الحالة امرأة عربية ظلت تتحدث معي، على الرغم من جفوتي وغلظتي معها في الأيام الأولى، وقد تعجبت من سلوكها معي، وصارحتها بهذا بعد انقضاء هذه الفترة العصيبة، فذكرت لي بأننا جميعا مررنا بهذه التجربة، وإننا نكون في حاجة حينها إلى من يساعدنا على تجاوز الأزمة.. وأنه كان من حسن حظها أنها وجدت حين دخلت السجن مثلي من أخذت بيدها وجعلتها تتجاوز هذه المرحلة العصيبة.
مرت أيام السجن بطيئة كئيبة ثقيلة.. وقد لاحظت على هذه السيدة أنها

كانت تقوم ببعض الطقوس الدينية، ولم يكن هذا الأمر غريبا علي، فأنا أعلم أن لكل دين طقوسا من العبادات التي يطلبها من أتباعه، لكن العجيب عندي أنها كانت تفعل هذا يوميا، ولعدة مرات، وأنها تفعل هذا في السجن ونحن في هذه الحالة النفسية السيئة، بل إنني أذكر أنني أصابني الأرق في ليلة من الليالي فلم أستطع النوم من كثرة التفكير، فرأيتها قامت مع واحدة أخرى وتسللتا بخفة وسط الليل، أو هكذا خيل إلي وقتها، وقد توجست حينها خيفة من الأمر، فقد بدا أنهما اتفقتا على الاستيقاظ في هذا الوقت، وخفت أن يقوما بشيء غير محمود.. نظرت إليهما بطرفي عيني، فإذا بهما تقومان وتدخل الواحدة منهما بعد الأخرى إلى المرحاض، ثم تضعان غطاء رأس، وتؤديان بعض الشعائر الدينية معا. وقد راقبتهما بعد ذلك فوجدت أن هذا الأمر يتكرر يوميا وبالأسلوب نفسه، وتعجبت أن تكون هذه الطقوس يومية، وأن تفعل في أثناء الليل!

عشت فترة سجني ما بين فرح وحزن وانقباض وانبساط، حتى قضيت فترة عقوبتي وأنا لا أدري إلى الآن كيف مرت وانقضت. خرجت وأنا أكاد أطير من الفرحة، فهأنذا حرة بعد سجن.. أشتاق إلى ولدي وأحفادي. سارعت بالذهاب إلى بيت ابني وأنا أكاد أطير من الشوق إليه وإلى أولاده، ضغطت على جرس الباب، فتح هو لي، ولم يبد على وجهه الفرح برؤيتي! ظننت أنه سيأخذني في حضنه ويعتذر لي عن عدم زيارته هو أو أخته في فترة سجني، غير أن ما حدث كان العكس تماما لكل ما توقعت، فلا رحب بي، ولا أذن لي بدخول بيته، ولا حتى برؤية أحفادي! بكل بساطة، وبلا تزيين للكلمات، لقد طردني بكل قسوة وجفاء!

خرجت من عنده ولا تقوى قدماي على حملي، لقد فقدت بيتي بعد سجني وأنا الآن أفقد ولدي.. لم يكن أمامي من طريق سوى الذهاب إلى ابنتي.. طرقت الباب فاستقبلتني بالأحضان، أدخلتني إلى البيت، أكلت وشربت، قبلت أحفادي واحتضنتهم، التقطت أنفاسي واسترحت، شرحت لها ما حدث وأنني بريئة، لم أعاتبها على عدم زيارتها لي في السجن، غير أنها فاجأتني بقولها: «أماه، آسفة، لا أستطيع أن تبقي معنا بالبيت.. أنا أعلم أنه ليس لديك بيت، لكن زوجي يرفض بقاءك معنا.. أصدق روايتك، لكن هذه هي ظروفي».

وضعت في يدي بعض المال، وودعتني وأنا أعلم أنها تقول لي بلسان الحال إن ما حدث لن يتكرر.. أماه! أرجوك لا تأتي إلي مرة أخرى!

خرجت من عندها فتهاويت على أقرب مكان يمكن الجلوس عليه بعيدا عن بيتها.. جلست لأنني لا أقوى على المشي، وجلست لأنني لا أستطيع رؤية ما أمامي، فالدموع تملأ عيني، وجلست لأنني لم أكن أدري أين أذهب، لا أدري كم بقيت على هذه الحالة. قمت لأواجه مصيري المجهول، سرت في الطرقات على غير هدى حتى أخذ مني التعب كل مأخذ، ركبت الحافلة إلى غير هدف، جلست ودموعي لا تنقطع، لاحظت أن من يجلس أمامي ينظر إلي، رفعت وجهي فإذا بها امرأة أجنبية تنظر إلي بعطف وشفقة، بدأت المرأة في الحديث معي وهي تحاول التخفيف عني، قالت لي: «أراك في حالة غير طبيعية؛ هل أنت بخير؟ احكي لي؛ لعلك إذا تكلمت استرحت، ولعلي أستطيع مساعدتك». حكيت لها قصتي باختصار، فوجئت بها تقول لي: «اسمعي! أنا امرأة مطلقة أعيش مع ولدي الصغير، وعندي بيت صغير، تعالي لتعيشي معنا، نأكل معا ونشرب معا». لم أتمالك نفسي من البكاء، فأخذتني في أحضانها وهي تربت علي. ذهبت معها إلى بيتها، هيأت لي مكانا للنوم وأعطتني بعضا من ملابسها، وبالليل.. سمعتها تتسلل من فراشها وتمارس الطقوس ذاتها التي تعرفت عليها في سجني.. رباه لقد نسيت كل شيء.. الآن أرى كل شيء أمام عيني واضحا: الصلاة، الصوم، غطاء الرأس، الحب، المودة... المساعدة، لقد رأيت في هذه المرأة ما وجدته نفسه عند رفيقة السجن، أداء العبادة التي أرى أثرها في السلوك الشخصي وفي التعامل مع الناس، بغض النظر عن دينهم أو لغتهم أو عرقهم.

لقد رأيت في رفيقة السجن الأخلاق الحسنة والتعامل الطيب مع الجميع، لم تكن ملاكا، فأنا أعرف أننا لسنا ملائكة، ولكنها كانت امرأة طيبة، ظننت في بداية الأمر أنها صفات شخصية فيها وخلال أخلاقية نشأت عليها، وكان هذا الأمر صحيحا، غير أنني غفلت عن أن المؤثر الأكبر في هذه السلوكيات والأخلاق كان هو الإسلام، وقد تأكد لي هذا كله عندما التقيت بهذه السيدة الطيبة.

سيدي، لقد عشت مع هذه السيدة الطيبة ولم تعرض علي الإسلام ولم تدعني إليه، لكنني رأيت الإسلام في عباداتها وخلقها وفي تعاملها مع الآخرين. بدأت بسؤالها عن الإسلام، فأجابتني بما تعلم وبما تعمل.

هكذا سيدي، جئت إليك لأتم إجراءات دخولي الإسلام راضية مطمئنة فرحة بأن الله تعالى قد ساق إلي الخير في ثنايا المحنة العصيبة التي مررت بها، وكأن كل ما مر بي كان يعدني لهذه اللحظة التي أجلس فيها أمامك، لم يقو الرجل على تمالك نفسه من البكاء، بل لعله لم يسمعها وهي تردد قول الله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ (البقرة:٢١٦)».

أبو بكر فرحان
شاعر



القلب الكبير

قلب كبير ضمني وحواني
من عطفه وحنانه رواني
قلب يسر لما أسر لأجله
بل إنه يبكي لما أبكاني
قلب إذا ملئت حياتي بالأسى
كان الجلاء لها وللأحزان
إن خالطت بعض المخاوف خاطري
فالقرب منه يعيد كل أماني
قلب حوى كل المحاسن واحتوى
خير الصفات على مدى الأزمان
عجزت حروف الأرض ذكر وصوفه
وقفت أمام جلاله بهوان
أماه يا قلبا كبيرا ذكره
ينسي مآسي هدمت أركاني
أماه يا لحن الحنان ودوحة
فيها أردد أعذب الألحان
بل أنت نبع للأمان ومورد
يروي القلوب برأفة وحنان

أماه يا حلما جميلا رائعا
تشتاقه روحي وكل كياني
أماه يا قمري إذا ما أظلمت
أماه يا شمسي ويا أكواني
أماه لو أفنيت عمري كله
وبقيت أنظم أجمل الأوزان
ومكثت في الدنيا لأمرك مذعنا
ذلا وحبا فيك يجتمعان
أم ليلة صارعت فيها علة
في علة دفعا لما أعياني
أماه أنت الحب أنت نبضه
أنت رحاه تدور في وجداني
ولك من الرحمن خير وصية
في محكم التنزيل في القرآن
وكذا النبي المصطفى أوصى بك
عطفا وحبا وابتغاء جنان
يكفيك يا أماه مفخرة
أن الجنان بأخمص القدمين

عرض وتحليل :
السيد أحمد المخزنجي

تأليف: أ. محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله المغربي

«الماء» في الفكر الإسلامي

الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي.. كتاب من إعداد د. حمد محمد بورحمة، دبلوماسي كويتي صاحب عدة دراسات وبحوث في مجال موارد المياه.. وصدرت طبعته الأولى عن مؤسسة الجزاف رويال للدعاية والإعلان بالكويت. والكتاب في الأصل للعلامة محمد بن عبدالعزيز بنعبدالله المغربي، ويحتوي على كل ما يتعلق بالماء من جوانب عديدة، بالإضافة إلى ما ورد حول الماء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ويعد الكتاب من المراجع التراثية والعلمية المهمة، ويقع في أربعة أجزاء وسبعة عشر بابا، ويبلغ عدد صفحاته ١٧٦٧ صفحة.

ومن ثم ولدت للدكتور بورحمة فكرة إعداد «المختار من كتاب الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي»، عندما كان يبحث ويجمع مادة علمية ومراجع لتأليف كتاب حول المياه في الفكر والتشريعات الإسلامية.

موضوعات الكتاب

يقع كتاب «المختار من كتاب الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي» في نحو ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على أربعة أبواب، يندرج تحت كل باب منها عدة موضوعات، على النحو التالي: الماء في القرآن الكريم والحديث الشريف والأثر، والمياه في القرآن الكريم والتراث الإسلامي، والماء في الحضارة الإسلامية والأدب العربي، ثم الماء: أدب وفنون وعلوم.

وفيما يلي عرض موجز لأبرز موضوعات الكتاب، يشير د. محمد بورحمة في بداية كتابه إلى أن قضية الماء في الفقه الإسلامي تأتي بعد قضية التوحيد والإيمان، فالواجب الأول بعد الإيمان هو إقامة الصلاة، والصلاة لا تصح إلا بالطهارة، والطهارة الأصلية إنما تكون بالماء، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ (المائدة:٦).

ويشير المؤلف (المعد) إلى أن القرآن الكريم ربط سلوك الإنسان التقي في هذه الحياة بنعمة الماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ (هود:٥٢).



إن القرآن الكريم يلفت أنظار المؤمنين إلى مظاهر الكون في العالم البيولوجي، فيذكر أن كل شيء خلق من الماء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء:٣٠)..

قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الأنعام:٩٩)، أي أخرجنا بالماء نبات كل صنف، بمعنى أن السبب واحد، وهو الماء.

ويوضح الكتاب أن هذه الآية الكريمة تعطينا فكرتين واضحتين عن علاقة الماء بالحياة: الفكرة الأولى هي علاقة الماء بأصل الحياة على هذه الأرض، والفكرة الثانية هي علاقة الماء بالفعاليات الحيوية التي تجري في «البروتو بلازم» مادة الحياة (ص٤٥ من الكتاب).

ويذكر الكتاب في هذا الصدد أن الإنسان إذا فقد ٥ في المئة من وزنه ماء، فقد صواب قلمه على الأمور، وجف حلقه ولسانه، وأصيب بانهيار، أما إذا فقد نحو ١٠ في المئة من وزنه ماء صُمّت أذناه وخلط وتعذى، وفقد إحساسه بالألم ويشرف على الموت والهلاك، ولا ينقذه من ذلك إلا جرعة ماء، أما إذا تجاوز وفقد ١٢ في المئة من وزنه ماء، فيفقد قدرته على البلع وتستحيل عليه النجاة حتى إذا وجد الماء إلا بمساعدة منقذيه، وهو في هذه الحالة لن يكون بينه وبين الهلاك المحتم سوى نحو ثلاثة أكواب من الماء. وعلى الجانب الآخر، فإن ازدياد كمية الماء في الجسم يعد أمرا خطيرا، لأنه يسبب الغثيان والضعف، ثم يؤدي بعد ذلك إلى التشجنات والغيبوبة، ثم الموت؛ ومن أجل ذلك حرص الإسلام على أن يكون كل ما هو ضروري لحياة الناس ملكية عامة، فقال رسول الله ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ (الحشيش الأخضر للمراعي) والنار، لكثرة استخدامها واحتياج الناس إليها» (ص٥٧ من الكتاب).

ماء زمزم

ينتقل الكتاب بعد ذلك للحديث عن «فضائل بئر زمزم» فيقول: وردت في ماء زمزم أحاديث عديدة، وكتبت في فضائله عدة كتب، وأخرج الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لِما شُرب له، إن شربته تشتفي به، شفاك الله، وإن شربته ليشبعك، أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله،...» الحديث. وكان رسول الله ﷺ وهو بالمدينة يطلب ماء زمزم من مكة ويحرض على التعجيل به حضارة، كما في رواية قرة بن موسى بن طارق أن النبي ﷺ كتب إلى سهيل بن عمرو: «إن جاءك كتابي ليلا، فلا تصبحن، أو نهارا، فلا تمسين حتى تبعث إليّ من ماء زمزم».

وقد شرب جماعة من العلماء «ماء زمزم» المقاصد وغايات، فحصلت -بإذن الله- أي تحققت غاياتهم، ومن

هؤلاء الإمام الشافعي -رحمه الله- الذي شرب للرمي، فكان يصيب المرمى بدقة، وشربه الحاكم (صاحب المستدرك) لحسن التصنيف وإجادة التأليف، فكان أحسن أهل عصره تصنيفا (ص٨٢ من الكتاب). وأكد العلماء أن ماء زمزم نافع لما شرب له، وشاف من الأمراض والأسقام، على ما جاء في الحديث الشريف: «إنهاء شفاء سقم».

في الحضارة الإسلامية

ينتقل الكتاب بعد ذلك للحديث عن الماء في الحضارة الإسلامية والأدب العربي فيقول: إن الحضارة انحصرت في الأماكن التي توجد فيها الجعافر والحمى والعيون والآبار، ولهذا السبب انتشرت الزراعة في الأماكن التي توجد فيها هذه الموارد المائية. وكان في الحجاز، لاسيما ما وقع منه في شمال المدينة عند ظهور الإسلام، مواضع كثيرة ذات عيون ومياه جارية غرست بالنخيل واشتغل أهلها بالزراعة، وكان وادي القرى كثير المياه بصورة خاصة بالنسبة إلى باطن الجزيرة العربية، وأقيمت مستوطنات وقرى ومدن عديدة على مواضع المياه.

ويضيف الكتاب أنه وردت أسماء مواضع عامرة آهلة بالسكان في غزوات النبي ﷺ تقع كلها في شمال «يثرب» إلى فلسطين، وبين مكة ويثرب بعض مواضع مياه عاش سكانها على النخيل والقوافل والرعي وبعض الزرع، وكذلك وفّرت بعض مواضع مياه مكة والعربية والجنوبية، ومن الأماكن الخصبة «وادي الغرس»، قرب «فدك»، بينها وبين معدن النقرة، وكانت فيها منازل بني النضير.

ويرى الكتاب أنه إذا كانت حركة التاريخ العربي القديم تقدم قصة انفجار سد مأرب في اليمن، وقيام العديد من الحضارات العربية في الشمال، فإن هذا يؤكد حقيقة واحدة، وهي أن الماء وحده، كان سببا لقيام هذه الحضارات، سواء من حيث كثافة السكان التي توافرت مع السدود والحضارة في الجنوب، أو في انتشار هذا الشعب إثر انفجار السد على ضفاف النيل ودجلة والفرات حتى راح يبني الحضارات من جديد، فالتقت حضارات الفراعنة مع «سومر» والعموريين والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين والآرميين في الشمال مع حضارات معين وسبأ وحمير في الجنوب، مع حضارات تدمر والأنباط، وهجرة الغساسنة والمناذرة من بعدهم لتعبر جميعها عن الروح العربية أكثر، مما أعطى للإنسانية الشيء الكثير.

فالماء روح الأرض يحييها الله به، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ (الفرقان:٤٨-٤٨) والمدن -كما قالوا- «لا تبنى إلا على الماء والكلأ والمحتطب» (ص ١٤٤ من الكتاب).

دور استراتيجي في المعارك

يوضح الكتاب أن للماء دورا مهما في الحرب، فهذه غزوة بدر (مكان للماء مشهور بين مكة والمدينة) الكبرى، والتي كانت من الغزوات الحاسمة التي قام بها الرسول ﷺ وصحابته الكرام، في ١٧ رمضان المعظم من السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة انتصارا لدينهم ضد المشركين، وقد شاءت الإرادة الإلهية أن تهيئ أسباب النصر ومؤيداته، وفي مقدمتها الماء الذي تجلى تأثيره وأهميته في مسار هذه الغزوة الإسلامية، عندما تمت عرقلة جيش المشركين الذين كانوا يتحركون فوق أرض طينية، وأيضا عندما لبّد الطريق الرملي ليتمكن جند المسلمين من التنقل والحركة السريعة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (الأنفال:١١). وكانت الضربة القاضية حينما حول المسلمون مياه مختلف القُلب والموارد، التي طمسوا ملامحها، إلى قليب واحد محصن، وحجبوا عن عدوهم مصادر المياه.

الحضارات الإنسانية

يتحدث الكتاب بعد ذلك عن أن الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريخ ترعرعت على ضفاف المجاري المائية، وفي بطون الوديان، والماء والحرب. وللماء دور استراتيجي في المعارك، ففي غزوة بدر -كما حكى الزجاج- أنزل الله عز وجل المطر في الليلة السابعة عشرة من رمضان حتى سالت أودية (أي نزل الماء بكثرة)، فشربوا وتطهروا (أي صحابة رسول الله ﷺ)، وسقوا الظهر (أي الإبل)، وتلبدت السبخة (أي الأرض التي تسوخ فيها الأرجل) التي كانت بين الصحابة والمشركين، حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال (ص ١٥٦ من الكتاب).

كما تحدث بورحمة عن «إشكالية الماء اليوم وفي المستقبل»، فقال: غدا ستصبح قطرة الماء أغلى من قطرة الدم، عندما تفقد «الدول المعنية» السيطرة عليها أمام دبلوماسية الكبار (أي ما يعرف بالدول العظمى) المدججة بتكنولوجيا الاستشعار عن بُعد، والتي تراقب عدد قطرات كل شربة ماء تروي ظمئنا وتكاد تحصي أنفاسنا.. فهل نتنبه من الآن لهذه الكارثة المقبلة؟!

محمد خمسي
كاتب صحفي



من خلال بعض النماذج التراثية:

آداب المتعلمين

يقاس تقدم أمة من الأمم بمستوى التعليم فيها، والإقبال عليه، فالأمة الإسلامية لما كانت تحمل مشعل تقدم البشرية، كانت المنظومة التعليمية فيها رائدة، تعرف شتى أشكال الإبداع والتطور، وكانت الناشئة متشبعة بأفكار دينية ودنيوية تخدم هذه العملية التعليمية التعلمية، وإذا كان للمدرس الدور الفعال في تحقيق التطور المنشود، فإن للمتعلم الفضل كل الفضل في الحفاظ على جذوة حب العطاء مشتعلة لدى معلمه. فما هي آداب المتعلم في التراث الفكري العربي القديم من خلال بعض ممثليه؟

لقد كانت أطراف العملية التعليمية على وعي تام بأن الإفادة، والتعلم لا يمكن أن تتحقق بدون احترام لمصدرها، والقيّم عليها، وهو المعلم لذلك كان المجتمع برمته حريصا على ترسيخ قيم مرتبطة بتقديره، وبتبجيله فقد كان يعتبر المثال، والنموذج الذي يجب أن يحتذى، وهذا كان يساعد على الاستيعاب، فأنت لا يمكن أن تأخذ، وتستفيد من إنسان لا يمثل في وجدانك شيئا ذا بال كما هو الحال اليوم حيث غدا المدرس موضوعا للنكت، ونموذجا سيئا في كثير من الأعمال المسرحية والسينمائية؛ بخلاف الحال في الماضي وإلى عهد قريب. ويمكن عرض بعض الأمثلة الدالة على طبيعة العلاقة التي كانت بين طالب العلم ومعلمه:

ولعل قصة المأمون الخليفة العباسي مع الفراء النحوي (١) مؤدب ولديه المعتصم والواثق خير شاهد على ذلك، حيث يحكى أن الفراء هم بالانصراف من قاعة الدرس وتنازع الأميران أيهما يقدم له نعله، فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة، وبلغ الأمر أباهما فظن من كان معهما في المجلس أنه معاقبه، لكن المأمون كافأه وكافأ ولديه لحسن خلقهما.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما رغم كونه ابن عم رسول الله ﷺ، وأحد أشراف قريش لا يتحفظ على أن يأخذ بركاب زيد بن ثابت الخزرجي إذا أراد الركوب ليضع رجله في الركاب إجلالا له، وتقديرا لعلمه.

وهذا الإمامُ مسلمٌ يَهُمُّ بتقبيل رِجْلِ البخاريِّ، ويقولُ: دَعْني حتى أقبلَ رجليك يا أستاذَ الأَستاذينَ، وسيدَ المحدثينَ، وطبيبَ الحديثِ في عللِه (٢).

هذه الصور المشرقة في تاريخ أمتنا تساعدنا على أن نأخذ نظرة عن مكانة أهل العلم في المجتمع الإسلامي، وهذا ما نفتقده اليوم.. قد نحتفي بالمغني وبالرياضي وبالممثل... إلخ، ولكن لا نعير أي اهتمام للعالم والمربي صانع الأجيال.

ولنا في تراثنا أمثلة يمكن الاقتداء بها في زمن قل فيه الصبر على مصاعب طلب العلم، فقد كان طالب العلم يتجشم الصعاب.. ويهون كل صعب في سبيل العلم يساعده في ذلك المناخ الفكري السائد، والذي كان يدفعه دفعا إلى أن يعب من معين المعارف. يقول ابن فارس النحوي مقرعا المتقاعس عن أخذ العلم:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ... ويبس الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع ... فأخذك للعلم قل لي متى (٣)!

ولهذا نجد أن الكل كان يساهم في التوجيه والتربية، ويحض على مراجعة الذات، والبحث في نقط ضعفها حتى غدا طالب العلم لا يأنف من الاعتراف بضعف تكوينه، ويسارع إلى تدارك الأمر بالاستزادة من العلم، وإن كان الأمر يستدعي التخلي عن مسار يكون قد بدأه كما فعل كل من سيبويه وابن جني:

فهذا سيبويه (١٤٨هـ-١٨٠هـ) قدم من قرية من قرى شيراز، يُقَال لَهَا الْبَيْضَاء إلى الْبَصْرَة يكتب الحَدِيث، فَلَزمَ حَلقَة حَمَّاد بن سَلمَة، فاستملى مِنْهُ يَوْمًا قَول النَّبِي ﷺ: «لَيْسَ أحد من أَصْحَابِي إِلَّا لَو شِئْت أخذت عَلَيْهِ، لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاء»، فَقَالَ سيبَوَيْه: لَيْسَ أَبُوالدَّرْدَاء. فَقَالَ لَهُ أَبُوحَمَّاد: لحنت يَا سِيبَوَيْه، لَيْسَ هَذَا حَيْثُ ذهبت، «لَيْسَ» اسْتِثْنَاء. فَقَالَ: «سأطلب علما لَا تلحنني فِيهِ. فَلَزمَ الْخَلِيل» (٤) مدة حتى مات، وأصبح أكثر شهرة من أستاذه بل وألَّفَ «الكتاب» وهو أهم مصدر في النحو العربي.

وقصة ابن جني (٥) (...هـ-٣٩٢) مع أستاذه أبي علي الفارسي مشهورة؛ فقد مر بالجامع فوجده يقرئ النحو، وهو شاب، فسأله أبوعلي عن مسألة في التصريف فقصّر فيها، فقال له: زبّبت قبل أن تحصرم، فسأل عنه فقيل له: هذا أبوعلي الفارسي، فلزمه من يومئذ، وصحبه أربعين سنة واعتنى بالتصريف، حتى لم يعد أحد أعلم منه به، ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه.

من خلال هذين النموذجين يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

إن طالب العلم كان غير متكبر ولا متعجرف، معترف بالأمر الواقع «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ» (٦) كما يقول عمر بن عبدالعزيز.

لم تكن الوظيفة هي كل ما يتمناه طالب العلم كما هو الحال بالنسبة لابن جني الذي آثر التخلي عن التدريس لاستكمال تكوينه، فبمجرد معرفته مكامن النقص المعرفي بمساعدة شيخه لازمه لمدة طويلة حتى اشتد عوده، وبلغ من العلم مبلغا لم يبلغه كثير ممن قنع باليسير منه.

لم يجد سيبويه غضاضة من أن يغير توجيهه من طلب الحديث إلى طلب النحو لما علم أن فهم الحديث لا يكون إلا بالإحاطة بالنحو.

وإذا كان سيبويه قد غير توجيهه في إطار مادة التكوين فإن كثيرا من الشخصيات الفكرية التراثية غيرت مجرى حياتها وإن بعد الكبَر فالجهل قد يزين للإنسان التقاعس عن طلب العلم، والخلود إلى الراحة، والاستمتاع بالجهالة، فلا يدري بأنه لا يدري.. يقول أبوالقاسم الآمدي متعجبا من أمر هؤلاء:

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذ ... يسائل من يدري فكيف إذن تدري
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل ... فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري
إذا كنت من كل الأمور معميا ... فكن هكذا أرضا يطأك الذي يدري
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري (٧)

ولكن لحسن الحظ أن دوام الحال من المحال، فهناك من الناس من يكفيه استفزاز بسيط من الآخر لكي تتحول حياته، ويتخلى عن عمله الذي اختاره ليعود إلى النهل من معين العلم، ولو بعد الكبر كما فعل غير واحد في التراث الإسلامي ويمكن أن نعرض لبعضهم:

خالد الأزهري (٨): (٨٣٨هـ-٩٠٥هـ) رحل مع أبويه إلى

القاهرة قادما إليها من جرجرة بصعيد مصر ليعمل وقادا بجامع الأزهر، فعُرِفَ بذلك أي: بالوقاد، وحدث أن سقطت منه فتيلة على كراس أحد الطلبة، فشتمه وعيره بالجهل، فترك مهنة الوقادة، وعكف على طلب العلم، وأصبح من كبار النحاة في عصره.

إبراهيم بن السري بن سهل، أبوإسحاق الزجاج (٩) (٢٤١-٣١١هـ): الذي كان يخرط الزجاج ويكسب من ذلك درهما ونصف الدرهم يوميا، فقد عقد اتفاقا مع المبرد يتخلى له بموجبه عن الدرهم مقابل أن يعلمه النحو، فبرع فيه، وطلب عبيدالله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة، وظل يخدم أستاذه المبرد إلى أن مات.

عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، أبومنصور الثعالبي: (٣٥٠هـ-٤٢٩هـ) من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور. كان فراءً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته. واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ.

وأهم الملاحظات التي يمكن أن نبديها تعليقا على هذه النماذج هي كالآتي:

إن تخلي الأزهري عن مهنة الوقادة للاستزادة من العلم دليل على مدى تعلقه به، وإرادة الارتواء منه لإشباع نهمه، فلم يتحفظ في ذلك بسبب كبر سنه، وانقطاعه عن التعلم مدة طويلة.

إن مفهوم الجهل كان يساوي عند السلف العار فلا شيء يزيله إلا العلم، ولذلك حز في نفس الأزهري أن يعير به فسارع إلى إزالته.

الزجاج نموذج للعامل الذي يضحي بجزء كبير من دخله الشهري من أجل طلب العلم كما يمثل طالب العلم الذي يعترف بالجميل لشيخه الذي درسه فقد ظل يعتني به إلى أن مات.

رغم أن المتعلم في الزمن الماضي كان يحترم أهل العلم إلى درجة التقديس في بعض الأحيان، فهذا لم يمنعه من أن يُكوِّنَ لنفسه شخصية متميزة، ومستقلة لا تابعة مستسلمة، ولذلك نجد معظم هؤلاء أدلوا بدلوهم في القضايا الفكرية واللغوية، فأبلوا فيها البلاء الحسن وتفوقوا على أساتذتهم.

لقد خالف كثير من التابعين بعض الصحابة الذين كانوا قد أخذوا عنهم العلم، فقد خالف مالك كثيرا من أشياخه، وخالف الشافعي، وابن قاسم، وأشهب مالكا في كثير من المسائل، وخالف سيبويه أستاذه الخليل في كثير من القضايا النحوية وقس على ذلك في مختلف مشارب العلم والمعرفة.

الهوامش

١- يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلميّ (١٤٤هـ-٢٠٧هـ) من كتبه «المقصور والممدود - خ» و«المعاني» ويسمى «معاني القرآن - ط» أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا، و«المذكر والمؤنث - ط» وكتاب «اللغات» و«الفاخر - خ» في الأمثال، و«ما تلحن فيه العامة» و«آلة الكتاب» و«الأيام والليالي - خ» و«البهي» ألفه لعبدالله بن طاهر، و«اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف» و«الجمع والتثنية في القرآن» و«الحدود» ألفه بأمر المأمون، و«مشكل اللغة».

٢- انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ٤١.

٣- تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٤٨/٦٤، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٨٧/٢٧.

٤- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم للتنوخي تح عبدالفتاح محمد الحلو، ص ٩٣.

٥- من تصانيفه رسالة في «من نسب إلى أمه من الشعراء - خ» و«شرح ديوان المتنبي - ط» و«المبهج - ط» في اشتقاق أسماء رجال الحماسة، و«المحتسب - ط» في شواذ القراءات، و«سر الصناعة - ط» الأول منه، في اللغة، و«الخصائص - ط» ثلاثة أجزاء، في اللغة، و«اللمع - خ» في النحو، و«التصريف الملوكي - ط» و«التنبيه - ط» في شرح ديوان الحماسة، و«المذكر والمؤنث - ط» و«المصنف - ط» باسم «المنصف» و«الصنف في شرح» التصريف «للمازني»، و«التمام - ط» في تفسير أشعار هذيل، و«إعراب أبيات ما استصعب من الحماسة - خ» و«المقتضب من كلام العرب - ط» رسالة، وغير ذلك وهو كثير. انظر: الأعلام للزركلي ٢٠٤/٤، ومعجم الأدباء للحموي تح إحسان عباس ١٥٨٩/٤، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢٤٦/٣.

٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٩/١٠.

٧- أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٧٦.

٨- له «المقدمة الأزهرية في علم العربية - ط» و«موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب - ط» و«شرح الأجرومية - ط» و«التصريح بمضمون التوضيح - ط» في شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، و«شرح البردة - ط» و«شرح مقدمة الجزرية - ط» في التجويد، و«الألغاز النحوية - ط».
= انظر: الأعلام للزركلي ٢٩٧/٢، وشرح التصريح على التوضيح ٥/١.

٩- من كتبه «معاني القرآن - خ» و«الاشتقاق» و«خلق الإنسان - ط» و«الأمالي» في الأدب واللغة، و«فعلت وأفعلت - ط» في تصريف الألفاظ و«المثلث - خ» في اللغة، مهيأ للنشر في بغداد، و«إعراب القرآن - ط» ثلاثة أجزاء. ويلاحظ أن في خزانة الرباط (٣٣٣ أوقاف) مخطوطة
انظر: الأعلام للزركلي ٤٠/١، ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ٢٧٥/١.

محمد حسن بدرالدين
باحث دراسات إسلامية



عطف الرسول ﷺ على الأطفال

غمر الرسول ﷺ الطفولة بفيوض من العطف والخلق الجليل، فكان مجليا لمبادئ الرعاية والتذكير والامتنان الواردة في القرآن الكريم، ومطبقا لمنهج متكامل في الحفظ والإعداد من خلال المواقف والتوجيهات التي تجلت أولا في مظهر التكريم: فقد روى البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ/٩٩٤-١٠٦٦م) في سننه: «عن عبدالله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها. قال أبي فرفعت رأسي من بين الناس فإذا رسول الله ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: كل ذلك لم يكن، إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته» (١).

واتخذ هذا التكريم صيغا عديدة من صور الحماية والعطف، فقد وقف مرة في المسجد النبوي يخطب المسلمين، فأقبل الحسن والحسين من بعيد يجريان ويتعثران، فقطع حديثه ونزل واستقبل الطفلين وحملهما على ذراعيه ثم صعد المنبر ثانية وقال: «صدق الله العظيم: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ (التغابن:١٥) رأيت هذين يمشيان ويعثران في قميصيهما فلم أصبر حتى نزلت فحملتهما» (٢).

إن الأطفال عند رسول الله ﷺ مثل الحمام الوديع، يرفرف في فضاء البيئة الإسلامية، فيشيع البهجة والجمال، ويجد الرعاية والحنان. لقد تعود الطفلان على ارتياد المسجد من دون خشية أو تجهم، وهذا تشريع نبوي رفيع، جعل للطفولة محضنا إسلاميا ساميا في قلب المجتمع، وحباه بالعناية واللطف، لتتفتح على الحياة في أجواء الحرية، مستقبلة استعدادات الخير على هدي الفطرة النقية من دون عوائق أو قيود اجتماعية ضاغطة.

إعلاء شأن الطفولة

من المواقف النبوية الخالدة في إعلاء شأن الطفولة، ما أخرجه ابن عساكر عن عبدالله بن جعفر، قال: «عن خالد ابن سارة أن عبدالله بن جعفر قال: لو رأيتني وقثم وعبيدالله ابني عباس رضي الله عنهم ونحن صبيان نلعب، إذ مر النبي

ﷺ على دابة فقال: ارفعوا هذا إلي. فحملني أمامه وقال لقثم: ارفعوا هذا إلي. فجعله وراءه وكان عبيدالله أحب إلى العباس من قثم. فما استحيا من عمه أن حمل قثم وتركه. قال: ثم مسح رأسي ثلاثا كلما مسح قال: اللهم اخلف جعفرا في ولده» (رواه الحارث بن أبي أسامة وأحمد بن حنبل).

تضمن هذا النص الفريد مشهدا إسلاميا رائعا؛ رسول الله ﷺ يكرم الطفولة في أحد شوارع المدينة في السنة الثامنة للهجرة، المحتفى بهم ثلاثة أطفال: الأول هو عبدالله بن جعفر الطيار، ولد بالحبشة أثناء الهجرة الأولى، وذاق مرارة الهجرة والتشريد، ثم فجع باستشهاد والده في غزوة مؤتة من العام الثامن للهجرة. رفعه رسول الله ﷺ إلى الأعلى، ووضعه أمامه؛ تكريما للطفولة، وإعزازا لما تحمل، ومواساة وتعزيزا. والثاني: قثم، والثالث: عبدالله، وهما ابنا العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو عم الرسول ﷺ، ومن أحب الناس إليه، كان يجله إجلال الولد للوالد، ولكن عبدالله أحب إلى العباس من قثم، والرسول ﷺ يعرف ذلك. فأي واحد منهما يرفعه إليه، والدابة لا تتسع للجميع؟! لقد اختار قثم؛ لأنه خشي على الطفولة الإحباط والانكسار، وأبى قبول أي صورة من صور التفضيل والتمييز بين الأطفال ولو من عمه العباس! وأعاد الاعتبار إلى الطفولة، وصحح الموازين الحق في التعامل معها بالعدل والإحسان، فرفع قثم وكرم الأبناء والآباء.

لقد فجر الرسول الكريم أعذب ينابيع الرحمة والرأفة في قلوب الأطفال، فكان بره وملاعبته لهم موضعي دهشة من بعض الصحابة الذين لم يتعودوا على هذه الشفقة والعناية في بيئة جاهلية جامدة. روى أبوهريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يدلع لسانه للحسين، فيرى الصبي حمرة اللسان فيهش له، وقد شهده بعض الصحابة في إحدى المرات، فدهش لذلك، وقال متعجبا: يصنع هذا بهذا؟! إن لي الولد وما قبلته قط، فقال ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم».

وفي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعنده الأقرع بن حابس التميمي. فقال الأقرع: إن لي عشرة ما قبلت منهم أحدا قط. فقال الرسول ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم». وفي رواية أخرى من سنن أبي داود، قال له: «وهل أملك لك شيئا إن نزع الله الرحمة من قلبك، من لا يرحم لا يرحم».

بكاء الأطفال

ويصل مستوى العطف النبوي إلى حد التأثر ببكاء الأطفال، فحين يقترب موعد الصلاة يدعو بلالا فيقول له: أرحنا بها يا بلال، ولكنه حين يسمع بكاء طفل، يعجل في صلاته ويقول إني أكره أن أشق على أمه. وحين تنشغل ابنته فاطمة -رضي الله عنها- عن الحسين فيأخذه البكاء، يعاتبها برفق قائلا: أو ما علمت أن بكاءه يبكيني.

وقد تفرعت هذه الرعاية النبوية للطفولة لتشمل الأسماء، فقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على أن يتخير الآباء أحسن الأسماء لأبنائهم، لما في ذلك من أبعاد عميقة في نفسية الطفل، الذي حرص الإسلام على سلامتها من كل عيب. فحين ولد الحسن، دخل على أمه فقال: ما سميتم ابني؟ فقالت: صخرا. فقال بل حسنا. وحين ولد الحسين سأل عن تسميته، فقال علي: سميناه حربا، فقال بل حسينا.

رسم النبي ﷺ للمجتمع الإسلامي سبل العلاقة السوية التي يجب أن تقوم بين الآباء والأبناء، ومهد لقيام فقه حضاري يرعى الطفولة ويؤسس حقوقها؛ لذلك استنبط عمر بن الخطاب ﷺ من هدي الرسول ثلاثة حقوق للطفل: «من حق الولد على أبيه ثلاثة أشياء: أن يحسن اسمه إذا ولد، ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوجه إذا أدرك». وهي مفاتيح أساسية في التربية والنجاح وسبيل البناء السليم الذي يقوم على مبادئ الحقوق والواجبات وترتيب الأولويات.

ويبلغ التوجيه النبوي مستوى التأديب الكامل فيقول: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق كل يوم بصاع على المساكين». ولم ينس عليه السلام رعاية الأيتام، فشجع على الاهتمام بهم وكفالتهم: «أنا وكافل اليتيم هكذا في الجنة، وأشار بأصبعي السبابة والوسطى» (٣).

كما عمل جاهدا من أجل إعادة الاعتبار إلى البنات في مجتمع كان لا يقيم لهن وزنا، فأراد أن يعود الناس على حب الأطفال، بناتا وبنين، ويصحح خللا في الموازين المتعلقة بأساليب الترغيب والتبشير في الحفاوة بالبنات، فقال: «من رزقه الله بثلاث بنات فأحسن تربيتهن أدخله الله الجنة. قالوا: واثنتين، قال: واثنتين، قالوا: وواحدة. قال: وواحدة» (٤).

لم ير أكرم من رسول الله وألطف في معاملة بناته وحسن استقبالهن، فقد كان يبتهج كلما بُشِّر ببنت، ويأمر أن تذبح الذبائح احتفاء بمولدها، وكان حبه للزهراء -رضي الله عنها- صورة إنسانية مضيئة في إعلاء شأن البنات.

الهوامش

١- أبوبكر البيهقي، السنن الكبرى، دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ، ٢/٢٦٣.

٢- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، ٣/٢١٢، حديث رقم:١٥٨٤.

٣- عبدالله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ.

٤- جامع معمر بن راشد (ت: ١٥٣هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٠/٤٥٨، حديث رقم: ١٩٦٩٧.

علاء الدين حسن
كاتب سوري



العنـــوســـة.. مشكلة وحل

خلق الله عز وجل هذا الكون وأقامه على ظاهرة الزوجية، أي: الازدواج. جاء في محكم التنزيل: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات:٤٩).
أي أن ثمة ذكرا وأنثى في الإنسان، وفي الحيوان، وحتى في النبات هناك حبوب التذكير وحبوب التأنيث، وحتى في الكهرباء نجد السالب والموجب، والذرة فيها إلكترون وفيها بروتون..

فأساس البناء الكوني هو هذا الازدواج، والإنسان لا يستطيع أن يعيش دون طرف يكمله؛ ولذلك لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام، لم يدعه وحده؛ بل خلق له من نفسه زوجا ليسكن إليها وتسكن إليه: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة:٣٥).

وقال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

يقول الإمام أحمد رحمه الله: ليست العزوبة من الإسلام في شيء، ومن دعاك إلى غير الزواج فقد دعاك إلى غير الإسلام (١).

ويقول عبدالله بن مسعود ﷺ: لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، أعلم أني أموت في آخرها، ولي طول على النكاح؛ لتزوجت مخافة الفتنة (٢).

مقابل هذه الدعوات، تأتي مشكلة العنوسة لتشكل أخطر المشكلات التي تعاني منها مجتمعاتنا، وهي مكملة لمشكلة أخرى هي مشكلة العزوبة بالنسبة للرجال، هما في الحقيقة والواقع مشكلة واحدة: تأخر الزواج بالنسبة للفتى وبالنسبة للفتاة. والأسباب كثيرة، ولعل في مقدمتها أن الزواج صار يكلف كثيرا، ولا يستطيع الشاب في بدء حياته العملية حينما يخطو خطوات أولى على السلم الوظيفي أن يتحمل الأعباء وحده، فالناس اليوم عسروا ما يسر الله، وعقدوا ما سهله الشرع، فالزواج في شرعنا سهل يسير، ولكن الناس هم الذين وضعوا في طريقه العقبات، وأكثروا من التكاليف التي ترهق كاهل الشباب.

ثمة سبب آخر هو أن بعض الآباء يتشدد في مسألة من يتقدم لخطبة ابنته، ويشترط شروطا ما أنزل الله بها من سلطان، ولا جاء لها في محكمات الشرع أصل ولا برهان، فكثيرا ما يأتي الخاطب ويرد؛ لأنه من قبيلة دون قبيلته، أو من عشيرة دون عشيرته، وقد يكون الشاب أسمر اللون، وهذا عنده غير مقبول وإن كان صاحب دين وخلق، مخالفا بذلك حديث رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (٣).

وهناك بعض الأمهات يحرصن على تأكيد زواج البنت من ابن عمها، فإذا رفضت البنت ذلك، بقيت محجوزة إلى أن يشاء الله..

في مصر - مثلا - لا تقبل بعض قبائل الصعيد أن تتزوج البنت إلا من أحد أبناء القبيلة، ويسمون كل من هم من خارج القبيلة «فلاحين»، وعندهم مثل معروف يقول: «ياكلها تمساح ولا ياخدها فلاح». وقد يكون هذا «الفلاح» أستاذا جامعيا، وقد تكون له مرتبة عظيمة..

وفي بعض بلاد الخليج، لاتزال البنت مأسورة لابن عمها، وابن عمها أحيانا لا يفك أسرها، وقد يتزوجها عدة أشهر، ثم إما يتركها معلقة، وإما يطلقها ويتزوج غيرها، والمطلقة في مجتمعاتنا - للأسف - كأنها ارتكبت جريمة، وإن لم يكن لها في الغالب أي ذنب سوى أنها ضحية الطلاق.

ومن أسباب العنوسة والعزوبة:

- إصرار الشباب والبنات على إتمام التعليم، واستبعاد فكرة الزواج أثناء مشوار الدراسة. والإسلام لا يقف بوجه التعليم، ولكن لا يمنع أن تكون هناك مقدمات للزواج أثناء فترة التعليم. ويمكن للفتاة إتمام تعليمها بعد الزواج.
- البحث عن العمل بعد التخرج، والحرص على تأمين المستقبل الدنيوي، ونسيان أن السنوات تمضي كسرعة البرق.
- طمع الكثيرين من الآباء في مرتبات أبنائهم وبناتهم؛ مما يؤدي إلى إضاعة فرص قد لا تعوض.
- البطالة المنتشرة على أوسع نطاق، وعدم توفر فرص عمل للكثير من الشباب.
- تدخل قصار النظر بحجج واهية، كالقول بأن الخاطب كبير السن، أو فقير، أو...
- اتباع مبدأ الترتيب في الزواج؛ وذلك بعدم تزويج الصغرى إلا بعد الكبرى، وهنا قد يبقى الجميع دون زوج؛ وهذا ظلم صريح.
- رفض البعض لفكرة التعدد، مع أن الله تعالى أباح ذلك بشروط معينة حتى تتحقق الغايات السامية؛ خاصة وأن عدد النساء في معظم دول العالم يزيد على عدد الرجال وفق إحصاءات رسمية.

هذا وفي منع الفتاة من التزويج بالكفء جناية للولي على نفسه بمعصية الله ورسوله، وجناية على الفتاة بحرمانها من حقها المشروع، وجناية على الخاطب بمنعه من حقه الطبيعي. وفي مثل هذه الحال تسقط ولاية الأب على ابنته وتنتقل إلى من هو أصلح منه.

ولو عدنا إلى عصر الرسالة؛ لما وجدنا مشكلة عنوسة، ولما وجدنا مشكلة عزوبة؛ لأن الزواج كان سهلا ميسرا.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: ألا لا تغالوا في صداق النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى في الآخرة؛ لكان النبي ﷺ أولاكم بها (٤).

وقد زوج النبي ﷺ رجلا بما معه من القرآن (٥). وقال لرجل: «التمسْ ولو خاتما من حديد» (٦).

وزوج النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها وهي سيدة نساء العالمين، لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمهر كان مجرد درع، والمرأة ليس لها أي شأن بالدرع؛ لكنه أشبه برمز فيه تطييب للقلب.

وتزوج عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه على وزن نواة من ذهب (٧).

لقد كانت الأمور ميسرة إلى أبعد حد.. عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرض ابنته حفصة رضي الله عنها على أبي بكر رضي الله عنه، بعد أن مات زوجها فلم يرد عليه، فذهب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقال له: هل لك في حفصة؟ فلم يستجب. فذهب إلى رسول الله ﷺ وذكر له ما جرى، فقال ﷺ: «يزوج الله حفصة خيرا من عثمان، ويزوج عثمان خيرا من حفصة» (٨). وقد تزوج عثمان ابنة رسول الله الثانية بعد وفاة الأولى، وتزوج رسول الله حفصة.

الأرامل كن يتزوجن بسهولة بعد استشهاد أزواجهن، وخير مثال هنا: السيدة أسماء بنت عميس رضي الله عنها.. كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه؛ الذي استشهد في غزوة مؤتة الشهيرة، فلما انتهت عدتها تزوجها أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وأمضى معها سنتين ونصف ثم توفي، فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان عندها أولاد من الجميع، وكان كل ولد يأتي ويقول للآخر: أنا أبي خير من أبيك. وعندما تحتدم المنافسة كانوا يحتكمون إلى الأم، فكانت تحل الإشكالية بحكمة وذكاء فتقول: جعفر سيد الكهول، وأبوبكر سيد الشيوخ، وعلي سيد الشباب. فيطمئن الجميع إلى هذا الكلام.

أما اليوم؛ فنجد المرأة إذا مات زوجها تصبح في نظر الناس وكأنها اقترفت إثما، وكأن الموت بيدها وبقرار منها.

كان من سبقنا من المسلمين يركزون على الجانب الديني عند المرأة، ممتثلين حديث رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفرْ بذات الدين تربتْ يداك» (٩). فالنبي ﷺ حثنا على الدين، والدين خلق، وكانت الأمور سهلة في السابق إلى أبعد غاية في كل ما كان يتعلق بالزواج، أما اليوم فالناس اخترعوا ما اخترعوا.. حفلة للخطوبة، وحفلة لعقد القران، وهدايا عند الخطوبة، وهدايا في حفل الزفاف...

في السابق كان أهل الزوج يذبحون خروفين ويدعون الناس.. أما في عصرنا؛ فقد أصبحت الحفلات تقام في الشيراتون أو الهيلتون، أو في صالات تخالف الأدب الرفيع.. الناس يريدون أن يتفاخروا ويتباهوا، وإن كان ذلك يفوق قدراتهم المالية.

الحل الجذري

- ينبغي أن يعرف كل شاب وشابة أنه لا يوجد إنسان مثالي، فالكمال لله وحده.

- أن لا تكون غاية الشاب جمال البنت، وأن لا تكون غاية البنت وسامة الشاب؛ فالجمال جمال العلم والعقل والروح والدين قبل جمال الشكل الذي يعد شيئا عارضا في الغالب.

- التخفيف من غلاء المهور، وعدم إرهاق كاهل الشباب بالمصاريف التي تنوء بحملها الجبال الراسيات، وسن قوانين تحدد المهور وتكاليف الزواج.

- منح كل من الفتى والفتاة حرية الرأي والاختيار في حدود ضوابط الدين والأخلاق والسلوك الإنساني المتعارف عليه.

- إنشاء صناديق للزواج برأسمال معين من تبرعات التجار ورجال الأعمال والأثرياء؛ لتقديم المساعدات للراغبين في الزواج.

- العودة إلى التقاليد الأصيلة أثناء مراسم الخطوبة والقران، واتباع منهج الوسطية والاعتدال، والبعد عن الإسراف والتبذير.

هوامش

١- انظر: المغني لابن قدامة: ٣٤١/٩.

٢- أخرجه عبدالرزاق: ١٧٠/٦ عن معمر بن أبي إسحاق.

٣- رواه الترمذي في كتاب النكاح، رقم ١٠٨٤، وصححه الحاكم: ١٦٤/٢.

٤- أخرجه الإمام أحمد ٤٠/١، والترمذي في النكاح ١١١٤، وقال حسن صحيح.

٥- رواه البخاري في النكاح ٥١٢١، من حديث سهل بن سعد.

٦- رواه مسلم في النكاح، حديث ١٤٢٥.

٧- رواه البخاري في النكاح عن أنس، حديث ٥١٦٧.

٨- رواه البخاري في كتاب النكاح من حديث ابن عمر ٥١٢٢.

٩- رواه البخاري في كتاب النكاح - حديث ٥٠٩٠، ومسلم في الرضاع، حديث ١٤٦٦.

محمد عباس
كاتب إسلامي

دور الأناشيد في التربية

إن أناشيد الأطفال وأشعارهم لون من ألوان الأدب الذي يعبر عن العواطف الإنسانية، ويعكس الشعور، ويرسم الطريق إلى المثل العليا بأسلوب أخّاذ يصل تأثيره إلى أعماق النفوس، ويساعد على تكوين قيم متعددة ومفاهيم واضحة لدى النشء، كما يعمل على الرقي بالوجدان والتعاطف مع الناس، فهو بذلك وطيد الصلة بالقيم، ويساعد بصورة مباشرة وغير مباشرة في غرس القيم في نفوس النشء، وهو بذلك يعتبر وسيطا مهما في تربية وتنشئة الأجيال على القيم الأصيلة.

وأناشيد الأطفال صورة من صور الإبداع الفني التعبيري، تعتمد على الإيقاع والنغم في صورة سهلة يسيرة، ويستطيع من خلالها المربون وواضعو المناهج والقائمون على الفضائيات التلفزيونية تثقيف الأطفال، وتربيتهم على الالتزام بالآداب الإسلامية، وتهذيب سلوكهم، وترسيخ المبادئ والمفاهيم الأصيلة والميول الصحيحة والاتجاهات؛ وذلك من خلال الأناشيد المقدمة إلى الأطفال، حيث يبرز دورها في المساهمة في إعداد شخصيات الأطفال، وعن طريقها يتمكن المربون من غرس حب التربية الإسلامية، والشوق إلى تعلمها في نفوس الأطفال؛ وذلك باستغلال حبهم للأناشيد.

فلأناشيد الأطفال العديد من الفوائد التربوية في صقل شخصية الأطفال، وتزويدهم بالقيم السامية والأخلاقيات الحميدة والمبادئ الأصيلة والسلوكيات الحسنة، وتنمية الذوق الرفيع والأحاسيس المرهفة لديهم، وهذا المقال يحاول بيان دور أناشيد الأطفال في تربية النشء وتنشئتهم.

فأناشيد الأطفال تحمل في ثناياها قيما فنية وفكرية ولغوية، وفي الوقت نفسه قادرة على المزج بين مطالب الطفولة وأهداف المجتمع، وأهداف التربية والتعليم بما يجعلها دعوة إلى البناء والمتعة، ومن أهم وسائل الأطفال لتحقيق ذواتهم في عالم الكبار. وللأناشيد مكانة أساسية في تعلم الطفل المفاهيم، فالأطفال يميلون إلى الإيقاع، وهذا يؤدي إلى مساهمتهم بالحركات وحفظ الكلمات، ويسعدهم ترديدها في لعبهم كل يوم دون ملل. وتؤدي الأناشيد دورا مهما في جلب المتعة والبهجة والسرور إلى الأطفال، وقد تساعدهم في التغلب على الكثير من المشاكل الاجتماعية والنفسية، وهي تعمل على غرس القيم والأخلاق الحميدة المرغوبة، وتساعد الأطفال على الإبداع والتفكير الجيد، وإكسابهم كثيرا من المرادفات اللغوية، والتركيز، والاستماع الجيد، والتمييز بين الأصوات، وتعلم القراءة، والتعبير عن الانفعالات.

وإذا امتزج شعر الأطفال بالدين تصبح فاعليته أقوى، ويصبح تأثيره أعظم في النفوس؛ لذلك «يجب أن يظل شعر الأطفال شعرا ملتزما بقيم الإسلام وتصوراته، بل وينهض بمسؤولياته نحو الطفل المسلم. والشاعر مسؤول ومؤتمن، وعليه أن يدرك خطورة ما يقدم، وأهمية ما يكتب للنشء» .

ولأناشيد الأطفال دور كبير في تربية النشء وتنشئتهم، فمن أهداف تدريس الأناشيد الإسلامية للأطفال:

- تهيئة أذهان الأطفال لتقبل بعض الحقائق الدينية المتصلة بالعقيدة، كقدرة الله وصفاته؛ وذلك لأنها تخاطب الوجدان، وتسبح بالفكر إلى التفكر في مخلوقات الله في كونه
- اكتساب الأطفال القيم الإسلامية والآداب من خلال الكلمات المعبرة ذات المعاني السامية، التي تتفق مع مبادئ الإسلام.
- تعويد الأطفال على الجرأة في القول والتخلي عن الخجل؛ وذلك من خلال المشاركة في إلقاء النشيد وترديده.
- تعويد الأطفال تذوق الكلمة الجميلة، وتربية الذوق الفني من خلال تحليل بعض كلمات الأناشيد، وموازنتها بغيرها .
- بعث روح البهجة والمرح والسرور في نفوس الأطفال، مما يحببهم في مادة التربية الإسلامية، ويدفع عنهم الملل والسأم.
- تواصل التلاميذ مع مجتمعاتهم، ومشاركتهم في المناسبات الدينية بما يحفظون ويرددون من أناشيد في الأعياد والمناسبات مع الأهل والأصدقاء في رحاب المدرسة.
- إثراء حصيلة الأطفال اللغوية، بما تمدهم به الأناشيد من مفردات وتراكيب جميلة وجديدة، ومعان ثرية.
- تمكين الأطفال من الأداء والإلقاء الجيد للشعر الديني وتمثيل معانيه.
- معرفة الشعراء وتقديرهم، ومعرفة طرائقهم في التعبير عن المعاني الدينية.
- حفظ مجموعة من الأناشيد الإسلامية التي تكون أساسا جيدا؛ لاستخدامها في مواقف الحياة، ومواقف الدراسة، وبخاصة الدراسة اللغوية فيما بعد.
- تنمية قدرة الأطفال على فهم الشعر الديني، واستنتاج معانيه وعظاته.
- الكشف عن عيوب النطق وأخطائه في أثناء إلقاء الأناشيد، ومعالجتها.

وبناء على ذلك، يجب الاهتمام بشعر الأطفال وتضمينه كل ما من شأنه أن يربي هؤلاء الأطفال على القيم والعادات المرغوبة، حيث يلعب المضمون دورا خطيرا في بناء أجيال الغد المرتقب «فما يكتسبه الطفل في سنوات عمره الأولى من معلومات وعادات واتجاهات وقيم ومثل، يؤثر في تكوين شخصيته وأفكاره وقيمه واتجاهاته في المستقبل بدرجة يصعب تغييرها أو تعديلها فيما بعد».

د. عبد الفتاح العيسوي
باحث أكاديمي



فوائد اللعب التربوية

للنظر إلى اللعب على أنه عملية تربوية تاريخ بعيد، فقد رأى أفلاطون أنه أفضل طريقة للبدء في تعليم الأطفال لأن أية طريقة أخرى ستستخدم في هذا السن المبكر ستحمل معها إرغام الأطفال وهذا يتعارض مع ما يجب أن يكون عليه الإنسان الحر، كما يرى أن اللعب يتيح لنا الفرصة لمعرفة طبيعة الطفل وأي المهارات ستقدم له لتتفق مع ميوله ورغباته وقدراته ليتدرب عليها. ومضت قرون ووجد فردريك فروبل قيمة تربوية عظيمة في اللعب، وكانت آراؤه عن الطفل من ركائز التربية الإنجليزية، وهو القائل بأن «اللعب عمل جاد وعظيم الأهمية، ويستمد اللعب أهميته من كونه تفتحا للجوهر المقدس للطفل الذي نعتبر أوجه نشاطه رموزا يفسرها هؤلاء الذين يعرفون قوانين النمو الغامضة ولا يستطيع تفسيرها غير هؤلاء»، ذلك لأن لعالم الطفولة جوه الخاص به، وحين يعجز المربي أن يفهم هذا الجو، سوف ينتقل بالطفل إلى عالم من العقد النفسية بدلا من أن يسير في مسار الفطرة السوية، فللطفل حاجاته وميوله ورغباته وغرائزه، وطاقاته، وإمكانياته ومواهبه واستعداداته.

ولاشك أن اللعب يعتبر عنصرا أساسيا في عالم الطفل. حيث يكتسب الطفل أثناء حياته اليومية ونشاطه الحر غير الموجه الكثير من المهارات والخبرات والمعلومات والعادات والميول والاتجاهات سواء قصدنا تعليمه وتهذيبه وتهيئة الظروف المناسبة لذلك أو لم نقصد.. ذلك أن الطفل عن طريق ما وهبه الله من حواس ونشاط Activity طبيعي وميل للتقليد والمحاكاة، واستعدادات Altitudes لمشاركة الآخرين مشاعرهم وأفكارهم وانفعالاتهم وحركاتهم وسكناتهم ينمو ويتطور جسميا وعقليا ووجدانيا لأن الطفل ما هو إلا جسم ينمو ونفس تتكون، ونموه عقليا مرتبط بنموه جسميا ومعروف أنه على أساس من عملية النمو يتوقف تمتع الفرد بالصحة النفسية والعقلية وبالتكيف النفسي والصحة الجسمية، فإذا سارت في مسارها الصحيح شب الطفل متكيفا مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه ومتمتعا بالقوة والصحة، ومن ثم يضحى قادرا على الإنتاج وعلى الخلق والإبداع والابتكار Creativity وعلى التفكير الصائب ويتمشى ذلك مع ما ذهبت إليه المربية الإيطالية «ماريا منتسوري» التي ترى أن تعليم الأطفال يعتمد على التدريب الحسي الشامل والنشاط الحركي الحر والتعليم الذاتي والاكتساب المبكر للمهارات المختلفة.. هذا ويؤثر في تربية الطفل عوامل كثيرة يمكن إرجاعها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى

عوامل التربية المقصودة وهي الوسائل المدبرة التي يقوم بها الكبار والمعلمون حيال الصغار للتأثير في جسومهم وعقولهم وأخلاقهم ووجدانهم تأثيرا يعدهم للحياة.

المجموعة الثانية

عوامل التربية غير المقصودة وهي العوامل التي تؤثر في تكوين الأطفال ونموهم بدون أن يكون للكبار دخل في توجيهها نحو هذه الغاية ولا في أدائها لهذه الوظائف، وتتضمن هذه المجموعة عدة عوامل أهمها ما يلي:

١ - عوامل طبيعية كالوراثة والبيئة الفيزيقية.

٢ - عوامل اجتماعية كحضارة الأمة ومعتقداتها الدينية ونظمها السياسية والقضائية والاقتصادية وما إلى ذلك من الأمور التي تشملها البيئة الاجتماعية تلك التي تصبغ الطفل بصبغة معينة وتشكل جسمه وعقله وخلقه تشكيلا خاصا بدون أن يقصد منها هذا التأثير.

٣ - الأمور التي يقوم بها الطفل نفسه مدفوعا بفطرته كالألعاب الحرة والتقليد أو المحاكاة.

فوائد اللعب

من بين فوائد اللعب إنقاذ الإنسان من الملل والضجر وضيق الصدر. بل وتخفف الآلام الجسمية والنفسية، فكثيرا ما تهون على المرضى احتمال أوجاعهم وعلى المنكوبين احتمال نوائب الدهر، وكثيرا ما تلهي الجنود المحاربين أغانيهم وجلباتهم اللعبية عن التفكير فيما يحيط بهم من الأهوال. كما يعدل اللعب الغرائز Instinet الفردية ويعمل على إرهاف أو إعلاء الغرائز الاجتماعية، ويقصد بها العملية العقلية التي يتمكن الفرد من خلالها من التعبير عن دافع ما مكبوت بطريقة غير مباشرة، ولكن مقبولة اجتماعيا.

فالفرد الذي يشعر بالرغبة في العدوان مثلا يمكن أن يعلى هذا الدافع إلى المناشط الرياضية أو الفنية التي تمتص فائض طاقته مما يؤدي إلى خفض حالة التوتر وتفريغ ما لديه من نشاط زائد عن الحاجة.

كما يتضمن ذلك إشباع ميول غير ميسور إشباعها، وبالإضافة إلى ذلك فللعب فوائد علاجية حيث يعالج الاضطرابات المختلفة في الأطفال، ومنها القلق anxiety والاضطرابات السيكوسوماتية أي تلك الأمراض التي تنشأ من أسباب نفسية وتتخذ أعراضها شكلا جسميا، ومن ذلك السمنة وضغط الدم المرتفع والصداع النصفي، وكذلك اضطرابات الخلق أو السلوك وفصام الشخصية، ولا يخفى أن مجموعة كبيرة من الألعاب تشعر الطفل بالحاجة إلى الجماعة والانتماء إليها وتعوده الخضوع للقانون وطاعة الرؤساء وإيثار المصلحة والتضحية في سبيل الجماعة التي ينتمي إليها والمنافسة Competition البريئة واحتمال الغلبة والرحمة للمغلوب، وما إلى ذلك من الأمور التي تتطلبها الحياة الاجتماعية.. هذا ولبعض الألعاب أثر كبير في صيانة العادات والتقاليد الاجتماعية وتخليدها بنقلها من السلف إلى الخلف،كالألعاب القصصية والغنائية فإن لكل شعب مجموعة من الأساطير والقصص والأغاني التي تتمثل أو تتجسد فيها عاداته وتقاليده وأعرافه Conventions ونظمه الاجتماعية؛ تلك التي يرددها الأطفال في ألعابهم: الألعاب التي يحاكي بها الصغار الكبار فترسخ لديهم بفعلها تقاليد أمتهم مثل ما يفعله الكبار في الأفراح والتحية والمصافحة وطريقة الاستقبال وإكرام الضيوف وآداب الشعائر الدينية وتدبير المنزل والشؤون السياسية والاقتصادية وما إلى ذلك، وقد تكون المحاكاة لفظية Echolalia or Echophrasia أو حركية Echoparaxia فاللعب هو الطريق الطبيعي لتشجيع التكوين الذاتي وعن طريقه يتمكن الطفل من التعبير عن نفسه بعيدا عن ضغط الكبار وسلطانهم.

أقسام اللعب الإنساني

يمكن تقسيم اللعب الإنساني من حيث إنه عامل من العوامل التي تدرب القوى الجسمية والعقلية والنفسية على القيام بوظائفها إلى ما يلي:

١ - الألعاب الحركية التي من شأنها أن تدرب القوى الحركية على القيام بوظائفها العامة وتتضمن ما يأتي:

أ - ألعاب تعود الطفل تنسيق الحركات وأداءها على شكل خاص يؤدي إلى غايات معينة كالتآزر الحركي، وذلك كالقذف بالكرة لتصيب هدفا منصوبا أو لتتجه اتجاها خاصا.

ب - ألعاب تعود الطفل القيام بحركات قوية يتوقف نجاحها على المجهود المبذول فيها أكثر من توقفه على تنسيقها وذلك كالوثب من مكان مرتفع والتدرج وما إلى ذلك.

٢ - ألعاب الحواس: يأتي الأطفال وخاصة في طفولتهم، بأمور لعبية الغرض منها مجرد الإحساس بالأشياء. فتراهم يضعون على ألسنتهم كل ما تصل إليه أيديهم يتذوقون طعمه ويحدقون في الكرات ذات الألوان المختلفة ليروا بريقها وتعبث أناملهم ليدركوا ملمسها وما بها من خشونة أو نعومة، وقد أطلق المربون على هذه الألعاب «ألعاب الحواس» أو الألعاب الحسية.

٣ - الألعاب اللفظية وتشمل كل لعب من شأنه أن يدرب أعضاء النطق على القيام بوظائفها العامة ويدخل فيها ما يسميه علماء اللغة بالتمرينات النطقية وهي «أصوات ذات مقاطع يولع الطفل بلفظها في المرحلة السابقة لمرحلة التقليد اللغوي ويؤدي تكرارها أو التدريب عليها إلى الطلاقة اللفظية Ability ward fluency أو على حد تعبير ابن خلدون تتكون ملكة اللغة بتكرار المحاكاة في المفردات والتراكيب كالتدريب على لعبة القراءة reading game وهي لعبة مصممة لتعليم القراءة وإثارة الطفل بها لأن تعلم عناصر الكلام يتم من خلال لعب الطفل الصوتي فيستمر في اكتساب ألفاظ جديدة وتراكيب جديدة طوال أيام حياته، وعن طريق الاحتكاك والاتصال بغيره ومواجهة مشكلات الحياة، ويتدرب على التفكير والتعليل والاستنتاج ويتعلم كيفية الاستدلال.

٤ - الألعاب العقلية: وتشمل كل لعب من شأنه أن يدرب قوى الذهن كالتفكير والتخيل والتذكر والإدراك والوجدان أو النزوع Conation على القيام بوظائفها العامة وتنقسم تلك الألعاب إلى ما يلي:

١ - الألعاب الإدراكية: وهي الألعاب التي تعتمد على قوى الإدراك والملاحظة والتخيل الحضوري أو الاختراعي أو الابتكاري والاسترجاع الإبداعي Cryptomnesia ومن أهم الألعاب الاستطلاعية التي يحفز الطفل عليها ميله الغريزي إلى الاطلاع على ما يجهله، ومن أهمها الألعاب السؤالية التي يلقيها الصغار على الكبار لمعرفة ما يحيط بهم من الأمور المادية، وكذا ألعاب التحطيم والتحليل Analysis والتركيب، وفيها يحلل الطفل الأشياء إلى أجزائها أو يضم الأجزاء المتفرقة بعضها إلى بعض بغية الاطلاع أو الإحاطة بما تحتويه هذه الأشياء، ومعلوم أن الخيال الإبداعي من أهم قوى الإدراك التي يحتاج إليها الإنسان، فهو الدعامة لجميع أعماله العقلية والخاصة التي باعدت ما بينه وبين بقية أصناف الحيوانات ومكنته من السيطرة على العالم المادي وهدته إلى تلك المخترعات العلمية والصناعية التي يرجع إليها الفضل في حضارة بني الإنسان، على أننا لا نكاد نعثر على نوع من الألعاب لا يحتاج الطفل في أدائه إلى استخدام خياله الإبداعي، فبفضل هذا الخيال يتمكن الطفل أثناء لعبه من أن يعطي كل شيء ما يشاؤه من الصفات ينظر إلى دميته نظرته إلى طفل صغير وينزل نفسه حيالها منزلة الوالد أو الوالدة، يرى في عصاه الصغيرة أحيانا فرسا، وأوانا سفينة وتارة قاطرة بخارية وأخرى إنسانا... يمنح نفسه ما يشاء له خياله من الحرف والمناصب والألقاب، فتارة يرى نفسه مزارعا يحرث الأرض ويسقي الزرع ويتعهد الماشية، أو يرى أنه سائق يدق أجراس سيارته وينذر الناس بالخطر، أو يعد نفسه أستاذا يتعهد أخلاق تلاميذ ويحرص على تزويدهم بالمعلومات، أو قاضيا يحكم بين الناس، أو خطيبا دينيا أو جنديا وقد تشتد سيطرة خياله اللعبي على نفسه فيظن أن الواقع يتفق مع مخترعاته أو مع ما يذهب إليه في خياله فيرى حقيقة ما خارجية لا وجود لها إلا في ذهنه ولا يتوقف هذا على حياته اللعبية، بل قد يتعداها أحيانا إلى حياته الجدية. فكثيرا ما يغير الأطفال حقائق الأشياء والوقائع وعندما يسألون عنها يحملوننا على أن نصفهم بالكذب في أقوالهم، وما هم في الغالب بكاذبين، وإنما هو خيالهم الاختراعي قد استحوذ على نفوسهم فيختفي أمامه مظاهر تفكيرهم الصائب.

٢ - الألعاب الوجدانية: وتصدق على كل لعب من شأنه أن يثير لدى الطفل مظهرا من مظاهر وجدانه كالألعاب التي تثير انفعال الألم، ففي بعض الألعاب مثلا يتضارب الأطفال بصغار العصى لينظروا أيهم يستطيع تحمل أكبر قدر من الضربات دون أن يتوجع وما إلى ذلك مما يعودهم على الصبر والمثابرة وقوة التحمل والألعاب التي تثير عاطفة الجمال كعمل نماذج من الصلصال وبناء منازل من الرمل ورسم صور للأشخاص وعمل تماثيل وتلوين الصور والألعاب التي تثير المودة والتراحم والتعاطف والشفقة والتعاون والأخذ والعطاء والمشاركة الوجدانية وما إلى ذلك مما يثير الاستجابات الجمالية Aesthetic response لدى الأطفال.

٣ - الألعاب الإرادية: ويقصد بها كل لعب من شأنه أن يدرب قوة الإرادة على القيام بوظائفها، وأهمها الألعاب التي تتطلب من الطفل مجهودا إراديا لوقف حركة من حركات جسمه كالتي يختبر فيها اللاعبون بعضهم بعضا لينظروا أيهم أقدر على كتمان ضحكة

عند وجود ما يثير الضحك أو على عدم إغماض جفنيه أو عدم الحركة محاكاة للتماثيل أو كتم التنفس وما إلى ذلك.

٤ - ألعاب المقاتلة: وتشمل كل الألعاب التي من شأنها أن تدرب الطفل على الشجاعة والتضحية والفداء وحب العطاء والإقدام والبسالة والدفاع وتنقسم إلى قسمين:

أ - ألعاب مقاتلة جسمية كالمصارعة والملاكمة.

ب - ألعاب مقاتلة عقلية كالشطرنج والتنس وكرة القدم وتسلق الجبال وما إلى ذلك من الألعاب التي تحفز اللاعب على حب التغلب على خصم حسي أو معنوي أو على صعوبة.

٢ - ألعاب الصيد: وتشمل كل الألعاب التي من شأنها أن تدرب الطفل على الاختفاء والبحث والمتابعة وتنقسم قسمين:

أ - ألعاب صيد حقيقي ويكون المجهود فيها موجها إلى قنيص حقيقي، ومنها ما يولع به الصبيان الذكور في بعض مراحل طفولتهم من متابعة الحشرات والجراد، وصيد الطيور بالشراك وهدم أعشاشها للحصول على صغارها.

ب - ألعاب تشبه عناصر الصيد الحقيقي كلعبة البحث والاختفاء «الاستغماية».

٥ - ألعاب الجمع والادخار: وتشمل كل الألعاب التي يرضي بها الطفل غريزة التملك أو الاقتناء والتي من شأنها أن تعوده الحرص وبعد النظر والادخار للمستقبل والاستقلال بملك الأشياء ومنع غيره من أن تمتد يده إلى ما يملك كجمع طوابع البريد أو قطع من الصدف أو قصاصات أقمشة مختلفة الألوان ...إلخ.

٦ - الألعاب الأسرية: وتشمل كل لعب من شأنه أن يدرب الطفل على حياة الأسرة وعلى ما يتطلبه تكوينها وتقتضيه إدارتها، وهي على النحو التالي:

أ - ألعاب الدمى «العرائس» وهي من أكثر الألعاب انتشارا ومن أقدمها، تقوم بها الطفلة استجابة لغرائز كثيرة كالأمومة والسيطرة والتقليد وتدرب بواسطتها على ما ستقتضيه حياتها عندما تصبح زوجة وأما.

ب - ألعاب الزواج: وهي التي يتزوج فيها ذكور الأطفال بإناثهم ويحاكون في أثنائها تقاليد وعادات أمتهم القضائية والعرفية المتبعة في الخطبة والعقد وزف العروس إلى زوجها.

ج - ألعاب الأب والأم: بعد إتمام حفلة الزواج يهتم العروسان بتنظيم حياتهما الأسرية فيعمدان إلى مكان ما من المنزل فيجعلانه محلا مختارا لإقامتهما ويقسمانه حجرات ومرافق يجهزانها بما يشاءان من الأثاث، وسرعان ما يرزقان بمولود سعيد «دمية» Puppet وعندئذ يستقبلان حياة جديدة كلها جد فيوزعان الأعمال بينهما توزيعا يتفق وطبيعة كل منهما نحو أسرته، على الأب السعي في مناكب الأرض ابتغاء الرزق وعلى الأم تدبير شؤون منزلها كالطهي والخبز والغسل وما يليها، وهي منتشرة بين إناث الأطفال أكثر من ذكورهم.

٧ - الألعاب الاجتماعية: وتشمل كل لعب من شأنه أن يدرب الطفل على الحياة الاجتماعية وتكوين الجماعات والانتماء إليها كلعبة كرة القدم.

٨ - الألعاب الصناعية: كالنسيج والخياطة أو الحياكة والحدادة والنجارة والبناء وما إلى ذلك.

٩ - الألعاب الزراعية: كالحرث والسقي والبذر وتربية الدواجن ويدخل فيها السباحة والرقص ومحاكاة أعمال النواب والشيوخ، هذا ويجدر بنا أن نلفت النظر إلى أن الألعاب كلها ليس منفصلة أو مستقلة بعضها عن بعض، فقد تتوفر في نوع واحد عدة صفات تجعله يدخل تحت أقسام كثيرة، فالشطرنج مثلا يصح اعتباره من الألعاب الإدراكية لأنه يتطلب استخدام كثير من مظاهر الإدراك ويمكن اعتباره من الألعاب الوجدانية لأنه يثير عدة انفعالات وكذلك يمكن اعتباره من ألعاب المقاتلة لأنه يسوده حب التغلب على الخصم.

ومما سبق نجد أن اللعب حاجة ضرورية للطفل لأنه المجال الأساسي للتعبير عن نفسه وعن طريقه يدرك ذاته ويختبر قدراته مثيرا ومستجيبا وعن طريقه أيضا يمكن اكتشاف ميوله ورغباته واستعداداته واتجاهاته.

وينبغي توفير اللعبة المناسبة لكل سن، فالطفل في أول إدراكه للأمور يحتاج اللعبة اللينة التي يستطيع رميها على الأرض دون تحطيمها على أن تكون اللعبة كبيرة الحجم حتى لا يبتلعها ثم بعد ذلك تقدم له اللعب الملونة سريعة الحركة مثل الكرة التي يطلقها ويجري وراءها ثم بعد ذلك تقدم له اللعبة التي يمكنه مسكها أو تحليلها وتركيبها مثل المكعبات حتى تساعده على الإبداع وخلق أشكال جديدة وبعد ذلك نوفر له الورق والأصباغ لكي يضع عليها تصوراته وتخيلاته، ويجب الحرص على سلامة الأصابع بقدر الإمكان من المواد السامة.

وعلى أية حال ينبغي تقديم الألعاب التي تساعد الطفل على السلوك المقبول اجتماعيا ودينيا كاحترام مشاعر الغير وكالتي لا تحدث ضوضاء شديدة أو تلوث الجو حتى يتعود المحافظة على البيئة فيرسخ لديه حب الوطن والاستقامة والإيمان بالله، وهي من أهم القيم التي يجب غرسها في الطفل عن طريق اللعب مما يعطيه الأمل في الحياة والاعتماد على الخالق، وتخلق لديه الوازع الديني الذي يحميه من اقتراف الآثام، ففي التربية الإسلامية والعربية جوانب خاصة فيها حياة ونماء وقوة وفيها ما يصلح لإقامة جيل عربي واع مستنير يتسم بالبر والإحسان والتقوى والورع والخشوع والرضا والقناعة والزهد.

عزة الغامدي
كاتبة كويتية



بين الواقع والتحديات

الإعلام الديني الموجه للناشئة..

نعيش في عالم متداخل.. عصر العولمة والفضائيات، عصر بات تداخل ثقافات الشعوب فيه أمرا طبيعيا ومحببا لدى الكثيرين، على اعتبار أن ذلك هو التقدم والتحضر من دون مراعاة لعاداتنا وتقاليدنا وتعاليم ديننا الحنيف.

فمن الجميل أن يكون لكل مجتمع خصوصيته وعاداته وصبغته الخاصة به، وإلا ما فائدة الحديث عن اللحمة والتجانس والتآلف؟! كيف تخلق الشعوب وتنصهر فيما بينها إن لم تكن هناك صبغة خاصة بها؟! وكيف نحكم على تقدم دولة ما من تأخرها إن لم تكن لها ميزتها التي تميزها عن بقية الشعوب؟!

إن محاولة البعض تقليد الغرب في عاداته وتقاليده ولغته -على اعتبار أن هذا تقدم- أمر يخالف الطموح، بحيث نجده -في الحقيقة- تبعية مطلقة، فقد بتنا شعوبا مستوردة لا مصدرة، نستورد عادات وتقاليد وثقافات.

لكن السؤال: أين إنتاجنا المحلي؟ أين هويتنا؟ أين لغتنا؟

كل هذا بات شبه منعدم في ظل ما يصنعه الإعلام في حياتنا، فقد تقاربت الثقافات بشكل لافت ومتسارع، بحيث دخلت علينا عادات دخيلة، شبت عليها أجيال من دون أن تشعر، وهناك من أسعفه الله ورجع إلى أصوله، وهنالك من لايزال غائبا عن هويته الأصلية.

فقد نمارس -في كثير من الأحيان- عادات غير إسلامية، ونردد أقاويل غير إسلامية.. من أين استقيناها؟ من أين تعلمناها؟ لقد أكسبنا إياها الإعلام منذ نعومة أظفارنا.

والإعلام ربانا على ما هو دخيل علينا كشعوب إسلامية، وكبرنا، والسؤال الذي يطرح نفسه: لو كان الإعلام مختلفا، ولو كان ما شاهدناه في الطفولة ليس هو الذي شاهدناه، بل شاهدنا برامج تربوية دينية، فماذا عسانا أن نكون الآن؟

فمن ليس لديه أبوان ملتزمان التزاما حقيقيا بقواعد الدين الحنيف، غالبا ما يرث هذا التسيب الديني منهما، إلا لو كان هناك إعلام ديني يربي؛ لأن الحقيقة التي نريد ألا نعترف بها هي أن من يربي اليوم هو الإعلام وليس الأم والأب في كثير من الأحيان.

فأسهل الأمور على الأبوين هو تشغيل التلفاز للطفل ليشاهد مسلسلا كرتونيا، أو يشاهد قناة غنائية للأطفال، فتلهيه ويتسلى ويشعر بالسعادة. لا أحد يزايد على الأبوين في أن هذا الطفل لابد أن يشعر بالسعادة، نحن نريده أن يشعر بالسعادة، ودائما نناشد ونطالب بضرورة توفير مناخ ملائم للأطفال؛ حتى يشعروا بالسعادة، وبالحد من الجرائم التي نسمع بها بين فينة وأخرى التي يتعرض لها الأطفال.

ولكن فليستمتع أطفال المسلمين ببرامجنا نحن، بحبنا نحن لأطفالنا، بالطريقة التي نريد نحن أن ننشِّئهم عليها وليس الغرب، لماذا الاعتماد على الغرب في كل صغيرة وكبيرة؟ ولماذا الكسل الذي بات يكبلنا حتى عن التفكير في كيفية إمتاعنا لأطفالنا؟ فالغرب يحبون أطفالهم، ويتعبون من أجلهم، ينتجون لهم، يحاولون أن يسلوهم؛ اخترعوا لهم كل ما هو جميل وفقا لعاداتهم ومعتقداتهم ودينهم، وهذا حقهم، ولكن ماذا قدمنا نحن لأطفالنا؟!

هل فكر أحد ما في خلق عالم إسلامي للطفل قبل أن نفكر في إنجاب الأطفال؟! فالطفل ليس أرنبا أنجبه ويحيا كما يشاء أن يحيى. هذا الطفل هو امتداد سلالات وعادات شعوب وأديان؛ لذا قبل المزيد من الأطفال في عالمنا علينا أولا أن نخلق لهم مناخا دينيا تربويا مناسبا.

قد يستهتر البعض بمثل هذا الرأي، ولكنه حقيقة. إن إنجاب طفل وتركه في أجواء عالم غير إسلامي، وتركه يصارع ذاته بين ما تعود عليه وما فرضه عليه دينه، أجد أنه أكبر جريمة بحق هذا الطفل. نحن في البداية لابد أن نخلق عالما إعلاميا، بحيث يولد هذا الطفل وتكون هذه هي البرامج التي سيشاهدها، وهذا هو المناخ الذي سيكون محيطا به، وهؤلاء هم من سيكونون أقرانه.. عالم كامل؛ حتى لا نحمل وزرنا ووزر أبنائنا معنا.

إن حقيقة الكون والبعث لابد أن تكون راسخة في عقل الطفل منذ نعومة أظافره؛ فيتعرف على الله، ويعرف البعث والحساب والصراط.. كل هذا لابد أن يعرفه، ويدركه، ويعرف كيف يتعامل مع غير المسلمين، وأن ينبذ العنف والتطرف، ويعلم حرمة قتل النفس التي حرمها الله.. كل ذلك لابد أن يسقيه له الإعلام.

من قال إن كل الأمهات والآباء لديهم مهارة في كيفية التعامل مع الأطفال والتأثير عليهم؟! فنحن في عصر أجياله غاية في الذكاء؛ لذا لابد لهذا الذكاء أن يتم توجيهه بطريقة أذكى منه؛ حتى تتم السيطرة على هذا الطفل منذ نعومة أظفاره.

لذا فإن المطالبة بضرورة تواجد إعلام ديني معاصر يوجه إلى الناشئة، باتت مطلبا رئيسيا في ظل ما نشهده من تداعيات الإعلام الغربي وسلبياته، إذ بات يسلخ الأطفال من هويتهم.

وعند الحديث عن الإعلام، فنحن بالتالي نقصد كل الوسائل الإعلامية، مقروءة ومسموعة ومرئية، التي تتم مشاهدتها في التلفاز وعبر والإنترنت.. وغيرهما من وسائل التواصل الاجتماعي، التي باتت تشكل اليوم وسيلة إعلامية لجذب الأطفال إليها.

الأشهر الأولى

لكن هناك منعطف مهما يجب الوقوف عنده، وهو: ما الذي نريد أن نوجهه إلى الأطفال؟ ما التوجيهات والتعليمات والركائز التي لابد أن تشتمل عليها هذه المواد العلمية بمختلف الأعمار؟ فأنا أتوقع أن توجه إلى الطفل في الأشهر الأولى من عمره الأناشيد والألوان والأصوات الخالية من

الموسيقى، المشتملة على إيقاع الدف والطبل، كما شرع الإسلام لنا ذلك، ومتى ما بدأ ينتقل إلى المرحلة العمرية التي تليها نبدأ في تعليمه -من خلال مشاهدة التلفاز- كيفية الحركة والاعتماد على الذات؛ للتمكن من الوقوف على قدميه والمشي عن طريق برامج المحاكاة، من خلال رسوم كرتونية توضح له كيفية الاعتماد على الذات للتمكن من الوقوف.

أيضا من البرامج التي لابد أن توجه إليه وهو ما بين العامين الأول والثاني، الحروف والكلمات، ولابد أن تشتمل على كلمات: إسلام، الله، نبينا محمد ﷺ، وأسماء الأنبياء.. بكل بساطة ويسر.

الأمر الآخر، برامج أخرى تعلمه تعاليم الإسلام. فبماذا وصانا نبينا محمد ﷺ من تعاليم تخص الدخول لدار الخلاء، والخروج من المنزل ودخوله، وتناول المشروبات والمأكولات.. وغيرها من التعليمات التي تركز على شعائر أساسية لابد من الوقوف عليها، وأن يزداد الاعتناء بالبرامج المقدمة إلى الطفل في السنوات الخمس الأولى من حياته.

بعد ذلك يتم الانتقال به تدريجيا إلى نظام تربوي متكامل عن لباس كل من الرجل والمرأة الشرعي، وعما هو مباح وما هو غير مباح؛ وفقا للكتاب والسنة.. كل ذلك من خلال برامج المحاكاة بالصوت والصورة، وبطريقة مبسطة ومبهرة، من خلال الاعتماد على الألوان وأصوات الطبيعة، كالأمواج وتغريد العصافير.. وغيرهما من المؤثرات الصوتية التي تتناسب مع المنهج الشرعي.

إن الهدف من خلق مثل هذا العالم الإعلامي لأطفالنا -بالدرجة الأولى- تربيتهم وتنشئتهم التنشئة الصحيحة، فنحن لا نريدهم ملتزمين دينيا فقط، نحن نريد خلق الجوانب الإبداعية والطاقات الكامنة في نفوس أطفالنا واكتشافها منذ الصغر.

لا أحد ينكر أن الغرب قد صنع إعلاما رائعا لأطفاله، ولكن هذا الإعلام لا يناسب واقعنا الشرعي، ولا يربي أبناءنا وفق المنهج الذي وصانا به رسولنا ﷺ، فنحن لسنا بحاجة إلى استيراد ثقافات غربية بهدف تنمية عقول أبنائنا وفقا لعادات الغرب، بل ما نريده وننشده أن ينشأ هؤلاء الأطفال وفق المنهج الإسلامي.

زاوية محدودة

ولدى الحديث عن المنهج الإسلامي، يعتقد البعض أن الإسلام منحصر في زاوية محددة لا نستطيع أن نتحرك بعيدا عنها، ولكن الحقيقة تخالف ذلك، فديننا أباح الكثير من الأمور، ونحن مازلنا في حالة من القصور في فهم الدين الإسلامي، ولايزال علماء الدين مستمرين في البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فديننا خاتم الأديان، ومعجزة نبينا المصطفى ﷺ بين أيدينا، وعلى منهج القرآن ننطلق من جميع التوجهات التي تجعلنا نبني إعلاما مرئيا ومقروءا ومسموعا للناشئة.

إن قصور التفكير وابتعاد الكثير من الطاقات الكامنة لدى البعض، والتي غالبا ما يوجهونها إما في تقليد الغرب أو مخالفة تعليمات الشريعة الإسلامية، فلو تم توجيه هذه الطاقات العربية وفقا لتعاليم ديننا الحنيف لصنعنا لأطفالنا إعلاما يتفوق على إعلام الغرب، وقد يساهم هذا الإعلام في نشر الدعوة الإسلامية؛ لأنه قد يجذب أطفال غير المسلمين إليه، لأنه بالتأكيد متى ما كان إعلاما رائدا قويا فسيجذب كل الشعوب لمشاهدته، وسيساهم في ترويج اللغة العربية عوضا عن اعتبارها لغة ثانوية ليست لغة رئيسية.

ألم نسأل أنفسنا كيف أصبحت اللغات الأجنبية هي الرائدة والكل يريد أن يتعلمها ويتقنها؟ وذلك لأجل علوم الغرب التي اخترعها وطورها وترك فيها بصمة تحسب للغاته، أما نحن فماذا قدمنا للغتنا؟ كيف خدمناها؟ هل اعتززنا بها؟ هل حاولنا تقديم ما هو جديد حتى يحب الغرب تعلم لغتنا كما أحببنا نحن تعلم لغاته؟

قد يظن البعض أن تنفيذ مثل هذه المشاريع التربوية يحتاج إلى ميزانيات ضخمة. نعم، هي في حقيقتها كذلك، لكن مردودها سيكون ضخما متى ما تم السير بها في الخطوات الصحيحة. وهنا ليس من الضروري أن تتبنى حكومات الدول مثل هذه المشاريع، بل إن الكرة في ملعب القطاع الخاص، الذي من الضروري أن يساهم بشكل فاعل في خدمة مثل هذه المشاريع التربوية.

وهي بالتالي بحاجة إلى دقة شديدة، فصناعة إعلام ديني تربوي ليست وجبة غذائية يتم الترويج لها ليتم شراؤها وجني المال لقاء بيعها، صناعة الإعلام الديني تحتاج إلى دقة. أي نعم إن مردودها مربح، لكن الأهم، والذي لابد أن يوضع في الاعتبار، ليس الربح المادي فحسب، وإنما الربح المعنوي، المكسب البشري الذي نرجوه، ففكر هؤلاء الأطفال كيف من الممكن أن يتم اجتذابه وإكسابه عاداتنا وتقاليدنا؛ لنجدهم -مستقبلا-

ملتزمين على منهج الكتاب والسنة من دون الحاجة إلى تربية شديدة وصارمة من آبائهم، لكن من خلال خلق شخصيات إعلامية مثالية لهم يسعون إلى تقليدها والسير على نهجها.

صحافة وانستغرام

وسائل الإعلام اليوم انضمت إليها وسائل وتقنيات جديدة من الجميل أن يتم استثمارها من خلال المساهمة في خلق جيل متكامل على أسس سليمة وصحيحة، بحيث من الجميل أن تكون هناك صحافة مقروءة إلكترونية مخصصة للناشئة ممن يعرفون القراءة، فتساهم في تعزيز الوعي الثقافي لديهم، وتدعم بذلك الإعلام الورقي، وتفتح الآفاق لعدد أكبر من المجلات بتكاليف أقل؛ وهذه بعض الإيجابيات التي ذكرها التربويون من مشاهدة الطفل للرسوم المتحركة:

١- أنها تزود الطفل بمعلومات ثقافية كثيرة، وبشكل سهل محبب، فبعض أفلام الرسوم المتحركة تسلط الضوء على بيئات جغرافية معينة، والبعض الآخر يسلط الضوء على قضايا علمية، كعمل أجهزة الإنسان المختلفة، الأمر الذي يكسب الطفل معارف متقدمة في مرحلة مبكرة.

٢- تنمية خيال الطفل وتغذية قدراته، وتنمية الخيال من أكثر ما يساعد على نمو العقل وتهيئته للإبداع، ويعلمه أساليب مبتكرة ومتعددة في التفكير والسلوك.

٣- تعلم اللغة العربية الفصحى، التي غالبا لا يسمعها الطفل في بيته ولا حتى في مدرسته. ومن المعلوم أن تقويم لسان الطفل وتعويده على اللغة السليمة مقصدان من مقاصد العلم والتربية.

٤- تلبية بعض الحاجات والغرائز النفسية النافعة، كالرحمة والمودة وبر الوالدين، والمنافسة في الخيرات والتعاون مع الأصدقاء، والسعي للنجاح، ومواجهة التحديات.. وغير ذلك كثير من المعاني الإيجابية التي يمكن غرسها في ثنايا حلقات أفلام الكرتون.



وفي المقابل، هناك مجموعة من السلبيات المترتبة على مشاهدة الرسوم المتحركة:

١- الإضرار بصحة العينين، والتعويد على الكسل والخمول والتلقي وعدم المشاركة، وبذلك تعيق النمو المعرفي الطبيعي؛ وذلك لأن العلم بالتعلم والبحث والطلب، حيث إن التلفاز ينتقل بالمتابع من البحث إلى التلقي فقط، كما أن في متابعة التلفاز إضعافا لروح المودة بين أفراد الأسرة، وذلك حين ينشغلون بالمتابعة عن تبادل الأحاديث بعضهم مع بعض.

٢- تقديم مفاهيم عقدية وفكرية وعملية مخالفة للإسلام؛ فتبث روح التربية الغربية، وتروج للتقاليد الغربية، وترغب في الحفلات والأندية الغربية، وذلك حين تعرض في بعض الأفلام مفاهيم الاختلاط بين الرجال والنساء، والتبرج المحرم، وبعض أفلام الكرتون تحوي مفاهيم محرفة عن الآخرة، والجنة والنار والحساب، كما أن بعضها يحتوي على قصص مشوهة للأنبياء والرسل، وبعضها الآخر يحتوي على السخرية من الإسلام والمسلمين، وأفلام أخرى تحوي عقائد لديانات شرقية وثنية كالبوذية وغير ذلك كثير. هذا، وإن كانت لا تحمل ما يخالف الإسلام مخالفة ظاهرة، فهي تحمل في طياتها ثقافة غربية غريبة عن مجتمعاتنا وديننا.

٣- ومن التأثر المقيت بهذه الأفلام الكرتونية اتخاذ القدوة المثالية الوهمية بدلا من أن يكون القدوة الرسول ﷺ والعلماء الربانيين والمجاهدين والفاتحين، فنجد الطفال يقلدون BATMAN وSUPERMAN وSPIDERMAN ونحو ذلك من الشخصيات الوهمية التي لا وجود لها، فتضيع القدوة في خضم القوة الخيالية المجردة من الإيمان.

وبعد تبيان هذه الإيجابيات والسلبيات يبدو الموقف الشرعي بعد ذلك واضحا إن شاء الله تعالى، فكلما كانت السلبيات أكثر اقترب الحكم إلى التحريم أكثر، وما أمكن فيه تجنب هذه السلبيات اقترب إلى الجواز.

وهذا يدلنا على ضرورة السعي لإيجاد شركات إسلامية لإنتاج أفلام الكرتون، بحيث تغرس فيها جميع الفضائل وتنفي عنها جميع المضار والرذائل، والله تعالى أعلم.

نجلاء محفوظ
مساعدة رئيس تحرير
الأهرام

راقب نيتك.. تقترب من جنتك



يحرص رجال الأعمال على مضاعفة أرصدتهم دوما؛ لتنتعش تجارتهم.

ونود أن نتعلم منهم كيف ننمي تجارتنا مع الله عز وجل، «فنهتم» بمراقبة النية دائما؛ لننزع منها كل ما يخصم من الثواب، «ونزرع» ما يضاعف الأجر، ونتسلح بالدافع والعزيمة لشحذ طاقاتنا لنحقق أفضل ما يمكننا، دينيا ودنيويا، بعد الاستعانة بالرحمن بالطبع.

النية تعني: القصد، أي: عزم القلب على الشيء؛ تقربا إلى الله تعالى.

لنجدد النية يوميا فور الاستيقاظ وخلال اليوم، بأن تكون أفعالنا وأقوالنا طاعة لله ورسوله، وتبرؤا من حولنا وقوتنا، وتسليما للخالق، وتقربا إليه سبحانه وتعالى، وتجديدا للعبودية للرحمن وحده، وسعيا للفوز برضاه والتبرؤ من الشرك كله ما ظهر منه وما خفي.

ونجتهد بتوسيع النوايا؛ لنحصد أوسع الأجر بفضل الرحمن، ونجعل في كل أعمالنا نية شكره سبحانه وتعالى على «نعمة» الإسلام بالتنافس مع النفس قبل الغير في الطاعة بحب يتنامى، وتفان لا يعرف النقصان، مع نية أن

نصبح مرآة للإسلام، ويكون حسن الطاعة للرحمن «سببا» في تعجيل الفرج والتمكين للمسلمين في كل زمان ومكان.

سرور وقوة

نبدأ بحسن التعامل مع الآخرين، فنجعل «النوايا» إدخال السرور على مسلم، ومنح الغير حقه، وإعطاء النفس حقها، فحسن التعامل سيقلل مضايقاتهم لنا والعكس صحيح.

وعندما نتناول الطعام لتكن نوايانا إعطاء البدن حقه، وشكر الرحمن على النعمة باستخدامها، والسعي لنكون مؤمنين أقوياء، ففي الحديث الشريف: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، والسرور بنعمة الطعام، كذلك عند النوم والترفيه المباح للترويح عن النفس.

مثابرة وشكر

عندما نسعى إلى طلب الرزق لنزرع في قلوبنا نوايا اكتساب الرزق الوفير لنتصدق ولإعمار الأرض، والوعي بالسعي الجاد بمثابرة للاستفادة من المواهب والقدرات التي أكرمنا الرحمن بها وفضلنا على غيرنا، فلنكن من الشاكرين، ونجتهد في استخدامها طلبا لرضا الرحمن، ونصبح قدوة حسنة للغير ومحفزين لهممهم.

ونضيف نية إقامة العدل -بعد التمكين- بين العاملين، وتشجعيهم على النجاح وإعمار الحياة، وإدخال السرور على قلوبهم بحسن المعاملة، وتدبر الحديث الشريف: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»، ونية أن يحبنا الله ففي الحديث الشريف عن اليد التي تعمل: «هذه يد يحبها الله ورسوله».

ونتقرب إلى الرحمن بنوايا عديدة عندما نتعامل مع صلة الرحم، كتوقير الكبير، والعطف على الصغير، وبر الوالدين إذا كانا على قيد الحياة وبالصدقة الجارية وبر من يحبونهما إذا غادرا الحياة..

ولنكن نموذجا أمام أولادنا للبر مع نية إسعادهم وإعطاء النفس حقها بنيل ثواب صلة الرحم ففي الحديث القدسي: «من وصلها فقد وصلني ومن قطعها فقد قطعني»، وأيضا: «من أراد أن ينسأ له في عمره فليصل رحمه».

إغاثة وستر

عندما ننصح مسلما فليكن سرا، ولا نخبر أحدا، ونسارع بطرد أي شبهة عجب بالنفس أو رياء، ونضع نوايا متعددة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإدخال السرور على قلب مسلم، وإغاثة الملهوف، والإصلاح بين المسلمين، والتراحم والحفاظ على طاقاتهم لما يفيدهم وإيقاف تبديدها بمعاناة يمكن تجاوزها، ومساعدتهم على النجاح بالدين والدنيا، وإعانتهم على قهر شياطين الإنس والجن.

لتكن نيتنا عند ترك النميمة التأدب مع الرحمن بالطاعة، والخضوع لأوامره عز وجل وتجنب نواهيه، وستر عيوب المسلمين وعدم تتبع عوراتهم، وادخار الطاقات للعمل الديني والدنيوي لتقديم صورة إيجابية للمسلم.

وعند ترك المعاصي لتكن النية، بالإضافة إلى الطاعة، شكر الرحمن على نعمة الحرص على إرضائه.

تذكر دوما

نتمنى التنبه عندما نتعامل مع الضعفاء والفقراء؛ فنشكر الرحمن على نعمة أننا اليد الأعلى، ولننعم بنية التراحم والمحبة في الله ففي الآية الكريمة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩).

والحديث: «أحب الناس إلى الله أنفعهم. وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا. ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام. وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل».

ولنطرد الإعجاب بالنفس أو الرغبة في الفوز برضا الناس وإعجابهم أو شكرهم لنتطهر من شبهة الرياء.

توحيد وحياء

نجدد عند الصلاة نوايا تجديد العبودية والتوحيد وطاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وفي تربية الأبناء لتكن نوايانا متعددة، كزرع الرحمة في قلوبهم عندما يرون رحمتنا بهم، وإعانتهم على التقوى وخدمة دينهم بالنجاح الدراسي وبالعمل مستقبلا وبمد يد العون إليهم دائما ومساعدتهم على البر: «رحم الله أمرأ أعان ابنه على البر».

ولتكن النية عند غض البصر الطاعة والخضوع للرحمن والحياء منه عز وجل وصيانة النفس عن الوقوع في الحرام.

وعند إتقان العمل فلتكن نيتنا السعي إلى القيام بإتقان المؤمن ونترك «آثارا» تدل على أن الساعين للإيمان بالإتقان «كانوا» هنا لتشجيع من يأتون بعدنا على طرد التكاسل أو الادعاء بأن التدين يمنع صاحبه من «الإقدام» بجدية ومثابرة على فتح كل الأبواب.

وننوي مع الاهتمام بالمظهر إعطاء النفس والبدن حقهما، وطاعة الله ورسوله، وتذكر أن الله يحب أن يرى نعمته على عبيده..

ونية إعفاف الزوج عند تزين المرأة لزوجها «إذا نظر إليها سرته»، وإعطاء نفسها حقها، فالمرأة المهتمة بجمالها تسعد وتتمتع برضا نفسي يساعدها على الفوز بحياة أفضل.



إعداد : خالد خلاوي

حوار

د. أحمد هارون: لا تستجب لضغوطك النفسية

«ارض ربك. صارح نفسك بعيوبك. ابذل أقصى جهدك للتغلب على سلبياتك. اضرب بكل المعوقات عرض الحائط. استمتع بنجاحك»..
هذه خلاصة روشتة نفسية يقدمها مستشار العلاج النفسي وعلاج الإدمان وعضو الجمعية العالمية للصحة النفسية الدكتور أحمد هارون، لزوار عيادته وقراء مؤلفاته، مؤكدا في حواره مع «الوعي الإسلامي» أن جميع الناس عرضة للضغوط النفسية بالدرجة نفسها، لكن بمعدلات استجابة مختلفة، مؤكدا أنه على الإنسان أن يتقبل نفسه، ويعالج جوانب النقص والتقصير، ومن ثم ينمي الإيجابيات. وإلى التفاصيل:

■ **يشتكي كثيرون من أن حياتهم أضحت ممتلئة بالتوتر والإحباط، فما السبب؟**

- جميع الناس عرضة للضغوط النفسية بالدرجة نفسها، لكن ليس جميعهم يستجيبون لهذه الضغوط بنفس الدرجة، فمقدار التعرض للضغوط أو الألم أو المصادر النفسية التي تجعل الناس أكثر توترا قد يكون واحدا عند معظم الناس. ويمكن القول إن الـ٣٠ عاما الماضية تمثل عصر القلق والتوتر، إذ كلما زاد حجم التكنولوجيا من حولنا زادت المثيرات، ويصبح الإنسان أكثر عرضة للضغوط والتوتر. والغريب أننا نجد أن الأشخاص الأكثر قدرة على التماسك في البداية، هم الأكثر عرضة للضغوط والتوتر، وحتى نتجنب الضغوط يجب أن نتسم بالمرونة في تقبل الضغوط والتعامل معها بسلاسة.

■ **وكيف يمكن معالجة التوتر والإحباط؟**

- أولا أن يفهم الشخص نفسه، وهذا لا يحدث إلا عندما يقرأ أكثر عن نفسه. ومستشار العلاج النفسي هو أكثر الأشخاص قدرة على أن يجعل الشخص يفهم نفسه، ومعظم المشكلات ناتجة عن سبب من اثنين: إما أن لديه نقصا في المعلومات عن نفسه أو إدارة ما يحدث له، وإما خطأ في المعلومات عن إدارة نفسه، وأن يعلم أنه لا توجد مشكلة ليس لها حل.



■ **وبماذا تنصح من يعانون من التقلب المزاجي؟**

- التقلب المزاجي له شكلان: مرضي وآخر عابر. المرضي يسمى اضطراب التقلب المزاجي، إذا زاد على ثلاثة أسابيع، والمشكلات زادت مع الناس، وأصبح الشخص غير قادر على التعامل مع عمله ومع من حوله، فيجب أن يلجأ إلى المشورة النفسية. أما النوع العابر، فيجب أن نؤمن تماما أن الفرد منا ليس شخصا واحدا، بل اثنان: «أنت ونفسك»؛ فالنفس يستحيل أن تترك الإنسان في حاله، ونجد أن الله عندما تكلم عن النفس سبقها بأحد عشر قسما؛ لعظم خطورتها، وقال سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «إني بليت بأربع: إبليس والدنيا ونفسي والهوى.. كيف الخلاص وكلهم أعدائي». فالنفس دائما ما تمد الشخص بأكبر قدر من المعلومات الخاطئة عنه وعمن حوله ومستقبله، كما تفترض كل ما هو أسوأ في حياته. لذلك، عندما نظرنا إلى خصال الناجحين في جميع المجالات وجدنا بعضها مشتركا، أهمها أنه لا يصدق نفسه ولا يستجيب للحوار الداخلي، لأنه أكثر شيء يخلق اضطراب المزاج، والمزاج المكتئب، والاعتلال المزاجي، وكل الناس عرضة للاعتلال المزاجي بشكل أو بآخر.

طور نفسك

تأثير الذكاء العاطفي في النجاح المهني

الذكاء العاطفي هو القدرة على معرفة عواطفك والتحكم فيها، وفي الوقت نفسه فهم مشاعر الآخرين. وتشمل هذه القدرة ٣ مهارات:

أولا - الوعي العاطفي؛ وهو القدرة على إدراك مشاعرك ومشاعر الآخرين.

ثانيا - القدرة على تسخير هذه العواطف والمشاعر وتطبيقها على مهام معينة، مثل التخطيط وحل المشاكل.

ثالثا - القدرة على إدارة عواطفك وعواطف الآخرين، سواء عن طريق كبحها أو إثارتها، والقدرة على تشجيع أو تهدئة نفسك والآخرين.

ويمكن تلخيص فائدة الذكاء العاطفي وضرورة تنميته وتطويره في عدة نقاط مبنية على دراسات وإحصائيات سابقة، بحسب ما تحدث عنها الطبيب النفسي الشهير ريلي نادلر، صاحب أشهر الكتب في مجال تطوير القيادة والذكاء العاطفي.

أولا - تنبع أهمية تطويرك لذكائك العاطفي وحسك القيادي بسبب النقص الحاد الذي يواجهه سوق العمل في الموظفين والإداريين الذين يجمعون بين الكفاءة وهذا النوع من الذكاء والقدرات القيادية. فبحسب نادلر فإن ١٠ في المئة فقط من الموظفين أو العاملين يمتلكون قدرات تؤهلهم للإدارة، كما أن ٤٠ في المئة من الشركات والمنظمات قدمت تقارير حول عدم وجود العدد الكافي من القياديين المدربين وأصحاب الكفاءة ليقودوا المنظمة لمستقبل أفضل.

ثانيا - من المهم أن تعرف أن الموظف الذي يمتلك ذكاء عاطفيا بنسبة عالية يؤثر إيجابيا في بيئة العمل، فهو يعتبر مصدرا للطاقة، فمزاجه وطبعه ينتقلان لا شعوريا إلى من حوله، وهو ما يحسن من أدائهم كفريق عمل ويرفع إنتاجيتهم.

من ناحية أخرى، يرفع الذكاء العاطفي من احتمالات تطورك أنت في السلم الوظيفي، ويفتح أمامك فرص التطور بشكل مستمر، لأن الإنسان مهما كان صاحب كفاءة وخبرة عالية لا يرتقي إلى مناصب أعلى إلا إذا كان ذكيا عاطفيا أيضا ومحترفا في التعامل مع الآخرين.

ناجحون

جائزة أفضل طالب مؤثر في جامعته بأميركا لمبتعث سعودي

كرمت جامعة روبرت موريس بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأميركية، طالبا سعوديا لتأثيره بأعماله القيادية على مستوى الجامعة والمجتمع الأميركي، حيث تم تكريمه في حفل ضخم بأشهر الملاعب بالولايات المتحدة.

ويأتي التكريم، الذي تقوم به الجامعة في هذا الشهر من كل عام، من خلال ترشيح إدارتها أسماء الطلاب والطالبات الذين كانت لهم أعمال مؤثرة ومختلفة على الصعيد الاجتماعي والثقافي والرياضي، حيث تقوم الإدارة العليا للجامعة، ممثلة برئيس الجامعة، باختيار أفضل خمسة عشر طالبا مؤثرين من بين الأسماء المطروحة بين أكثر من ٧ آلاف طالب، وتكرمهم في حفل ضخم يقام في أشهر ملاعب الولايات المتحدة (Steelers)، وبحضور رؤساء جامعات ومديري شركات حتى تستعرض إنجازات طلابها وتفتخر بهم وبعطائهم أمام الجميع.



وقال الطالب خالد القحيص الشمري: «من فضل الله ونعمه علي أن تم اختياري من بين هذه النخبة من الطلبة المتميزين بعطائهم، فقد حصدت هذا التكريم للعام الثاني على التوالي»، مضيفا: «إن التكريم بالنسبة لي يوم الحصاد بعد جهد جهيد وتعب لا يوصف، فمسح من على صدري ليؤكد لي أنه لا يوجد صعب ولا مستحيل عندما نريد الوصول، ولا يمنعنا مكان ولا اختلاف بالثقافات واللغات، هكذا نحن السعوديون التميز حليفنا الدائم».

وتابع قائلا لصحيفة «سبق» السعودية: «أتى هذا التكريم بناء على الجهود والأعمال التطوعية التي قدمتها للجامعة والمجتمع منذ أول فصل دراسي لي بالجامعة منذ عامين».

شباب الجامعة

بماذا ينصح الجامعيون طلاب الثانوية العامة؟

في جولة بين أروقة كليات وجامعات عديدة، قدم كثير من طلابها نصائحهم لمن يواجهون ضغط فترة الثانوية العامة خلال الامتحانات.. فإلى أبرز ما قالوا:



اسخر من خوفك

ينصح كثير من الطلاب الجامعيين بالتقليل من شأن الامتحانات، فيقول مشعل محمد: «في بداية دراستي الجامعية، كنت لا أزال تحت سيطرة النمط الدراسي في الثانوية، لكن مع الوقت اكتشفت أن أجواء المرح والسخرية من الضغوط التي بدأت أعيشها في الجامعة جعلتني أخوض امتحاناتي بارتياح، بل وتحسن مستواي الدراسي خلال السنة الأولى للجامعة».

العلامات ليست دليل نجاح

تقول سهيلة طارق: «أنصح طلاب الثانوية بمحاولة فهم أن العلامات العالية ليست دائما دليل نجاح مستقبلي أو قدرات مميزة، وعليهم أن يكتشفوا ما يحبون حتى يبرعوا فيه، فالكثير ممن اختاروا القسم العلمي فيما مضى فعلوا ذلك خوفا من ذويهم أو في محاولة لإثبات أنهم أذكى، بسبب الصورة النمطية عن التخصصات الأدبية، لكن ذلك خطأ برأيي، وهذا بالطبع سيجعل الامتحانات صعبة عليهم كونهم لا يحبون تلك المواد».

«ثق في نفسك»

وتنصح سلمى محمد الطلاب بتنظيم وقتهم والتركيز، فتقول: «عليكم بوضع ملاحظات والعمل على أكبر قدر من التركيز، وتنظيم الوقت، إن فعلتم ذلك، فبكل تأكيد سيتحسن أداؤكم. حاولوا جعل الأمر عادة، فالأهم من أن تتحلوا بالتنظيم اليوم، هو أن تجعلوه عادة لحياتكم فيما بعد».

موضوع العدد

معركة الوعي: سؤال الواقع



د. عمرو عبدالكريم

سؤال الواقع من أشد أسئلة الوعي الحضاري إلحاحا، إذ إن الأحكام ليست معلقة في فراغ، والتصورات والأفهام لا منتهى لها، وكلاهما يضبطه ويؤثر فيه الواقع المتعين الذي تتنزل عليه الأحكام.

ولقد دلتنا الأصول الإسلامية، قرآنا وسنة، على أهمية إدراك الواقع ومعرفة ملابساته، فحدثنا القرآن عن: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ (الروم:٢-٣)، وكيف كان الصحابة يتابعون الوقائع العالمية، مثل معارك فارس والروم، بل وينحازون إلى فريق دون آخر. ودلت سيرة النبي ﷺ على المعرفة العالية بواقع عصره عندما تخير الحبشة مهجرا لأصحابه؛ معللا ذلك بأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد. واستقر في الشريعة على أن من ضرورات السياسة الشرعية إدراك الواقع وفهمه وتحليله ومعرفة مآلاته.

لذا كان من عادة كثير من العلماء عندما يسألون عن مسألة تتعلق بالأعراف وأحوال البلدان أن يحيلوا السائل إلى علماء بلده، وما ذلك إلا لإدراكهم أن معرفة واقع المستفتي وحاله جزء لا يتجزأ من كمال الفتوى واعتدالها، لأن الفتاوى تتغير بتغير الزمان، والمكان، والعوائد، والأحوال، وذلك كله من دين الله، كما قال ابن القيم الذي عقد فصلا بهذا المعنى في كتابه «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (ج ٣/٣).

وعندما تكلم ابن القيم عن شروط المفتي قال: «ولا يتمكن المفتي، ولا الحاكم، من الفتوى، والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع، بالقرائن، والأمارات، والعلامات، حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به، في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر» (إعلام الموقعين ٨٧/١).

ثم قال: فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف -عليه السلام- بشق القميص من دبر إلى براءته وصدقه، وكما توصل سليمان -عليه السلام- بقوله: «ائتوني بالسكين حتى أشق الولد بينكما» إلى معرفة عين الأم.

وعندما نقل ابن القيم عن الإمام أحمد قوله: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال ومنها: «معرفة الناس»، علق قائلا: «وهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي، والحاكم، فإن لم يكن فقيها فيه، فقيها في الأمر والنهي، ثم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فإنه إذ لم يكن فقيها في الأمر، وله معرفة بالناس، تصور له الظالم بصورة المظلوم، وعكسه، والمحق بصورة الباطل وعكسه» (إعلام الموقعين، ١٥٢/٤).

وذلك لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول المناطقة، وأي خلل في إدراك الواقع يستلزم الخلل في عملية إنتاج الخطاب لعدم مطابقتها للواقع أو انحرافها عنه، وربما كرت على مقاصد الشرع ذاته بالبطلان، وأتت على معاني النصوص.

ونظرا للواقع الجديد الذي طرأ على الإمام الشافعي عندما قدم إلى مصر، تغيرت كثير من فتاويه عما كانت عليه في العراق، وذلك مراعاة للعرف والمصلحة التي قد تتغير بتغير الأماكن والأزمان.

ومن ثم فلا ينبغي للعالم الذي يكشف عن حكم الله في الوقائع أن يصدر الأحكام والفتاوى الشرعية إلا بعد رفع دقيق للواقع، وتكييف متوازن له، ويكون كما قال الخطيب

البغدادي وهو يعدد شروط الفتيا: «مشرفا على اختلاف أهل الأمصار» (الفقيه والمتفقه، ٢/٣٣٢).

وفي سبيل إدراك دقيق للواقع لابد من القيام بعدة عمليات فكرية ومنهجية متعاقبة ومترابطة، وخطوات بعضها متواز، وبعضها متوال، وذلك في منظومة ومراحل عملية إصدار الأحكام، مع التأكيد على أن هذه المراحل والخطوات مترابطة ومسلسلة بشكل منهجي.

وتوجد في أدبيات علم التفكير والتخطيط الاستراتيجي عدة منهجيات لرفع الواقع كتحليل سوات وبست وبستل وغيرها. وإن وجد بعض التفاوت في هذه المنهجيات إلا أن الخطوات الرئيسية المشتركة بينها واحدة، وكلها تندرج ضمن الأساليب العلمية المتبعة لمعرفة الواقع. ويفرض سؤال الواقع نفسه، معرفة وإدراكا، تقديرا وإحكاما على أي عملية منهجية لإنتاج خطاب حضاري يجيب على هذا السؤال ويستجيب لتحدياته، حيث يلاحظ في كثير من الخطابات الشرعية، أحكاما وفتاوى، غياب التشخيص الدقيق للواقع وتحليله، سواء كان التحليل على المستوى الكلي للواقع، أو التحليل الجزئي لبعض مفرداته.

وهذا جهد علمي متعين لا يمكن أن يصدر خطاب شرعي من دونه، لأنه سيكون بلا أساس، ولن يكون في موقعه الصحيح، خصوصا أن كثيرين من العلماء والفقهاء الذين يتصدون لعملية إنتاج الخطابات الشرعية يعانون من نقص كبير في معرفة الواقع الفعلي المحلي والدولي معرفة علمية منهجية، وذلك بسبب ضعف القدرات في رصد الأحداث، وغياب الشفافية، وضعف أدوات البحث الميداني والتحليلي، بالإضافة إلى ضعف القدرات في تحليل الأوضاع والسياسات الدولية، وأوضاع الاقتصاد العالمي -وهما جزء لا يتجزأ من الواقع الدولي وتحليله- عند كثير من هؤلاء المنوط بهم إنتاج الخطاب الشرعي.

وطبقا للمناهج الرئيسية في التفكير الاستراتيجي، تعد عملية تشخيص الوضع الراهن أولى عمليات التخطيط والتفكير، إذ لا يوجد تخطيط يمكن أن يتم بكفاءة من دون معرفة الوضع الراهن لما سوف يتم تخطيطه. وتعتبر عملية التشخيص هذه عملية فائقة الأهمية، خصوصا عند إنتاج الخطاب الشرعي لعدة اعتبارات:

أولها: يرتبط بتحديد أهداف واقعية ملموسة.

ويتصل ثانيها: بالتحديد الدقيق للوسائل الضرورية لتحقيق هذه الأهداف.

أما الثالث: فيقوم على تقدير معقول لإمكانية تحقيق هذه الأهداف ولتكلفتها.

والرابع: يهدف إلى تحديد مواطن القوة والضعف في بيئة النظام محل الخطاب الشرعي.

كما تستلزم عملية التشخيص توافر بيانات إحصائية موثوقة ومفصلة عن جميع عناصر البيئة محل الخطاب، وبعد أن تتوافر للعالم هذه البيانات والمواد الخام من المعلومات والحقائق من الضروري تحويلها إلى بيانات عامة تأخذ شكل نسب مئوية، هدفها إعطاء مؤشرات ترابطية عن العملية العلمية الشاملة في إصدار الخطاب الشرعي ومآلات ذلك الخطاب في الواقع.

أما تحليل عملية إنتاج الخطاب فيمكن أن تستخدم فيها نظرية النظم، والذي لا يستلزم دائما القياس والتعبير الرياضي لكل ما تتضمنه العملية من مكونات وعناصر، وإنما يشبه إلى حد كبير ما تفعله عدسة مكبرة واسعة المدى للتصوير، فهي تظهر صورة كاملة للعملية تبدو فيها العلاقات بين مكوناتها المختلفة، كما تبدو فيها أيضا العلاقات بينها وبين بيئتها.

وعلى هذا تعد دراسة تشخيص الوضع الراهن (أو عمليات رفع وإدراك الواقع) دراسة تقوم ابتداء على إمكانية «التقييم الذاتي» وهي تمثل دراسة الأساس؛ وتهدف إلى الإجابة على سؤال: ما هو الواقع الفعلي الآن؟

وما الوضع الشرعي الذي نريد أن نصل إليه في المستقبل؟

وذلك من خلال عدة آليات معتمدة: كالملاحظة واستمارة جمع بيانات، وسؤال أهل العلم.

وتشمل عمليات تشخيص الوضع الراهن: تحديد البيانات والمعلومات، وجمعها، وحصر الدراسات والوثائق ذات العلاقة، وعمل المسح المعرفي والفكري للموضوع محل الخطاب.

ويفيد رفع الواقع الراهن في: إعادة النظر في مكونات الواقع الحالي، وكيفية إدراكه، وتحديد تشابكاته الحالية والمتوقعة، وأوجه التداخل بينها، وإدراك مكامن القصور والعوائق، وأخيرا تقدير الموقف المستقبلي وموقع الخطاب الشرعي فيه.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية



يقول الفضيل بن عياض:

«أحسن العمل أخلصه وأصوبه.. والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«لا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع ما لم يكن في الصحابة كما ذكره النبي ﷺ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين؛ ولهذا قال عبدالله بن مسعود وأبي بن مالك: اقتصاد في سُنّة خير من اجتهاد في بدعة».

مقولات

«إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجيح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما». (مجموع الفتاوى، ج٢٠، ص٤٨).

شيخ الإسلام ابن تيمية



فقه الواقع (أصول وضوابط) للكاتب أحمد بوعود

دولة قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كتاب الأمة، العدد ٧٥، مايو ٢٠٠٠م.

هذا الكتاب مساهمة في تحقيق الوعي الحضاري والحصانة الثقافية، وإحياء المنهج السنني، كسبيل لإعادة قراءة الواقع بدقة وموضوعية، والتبصر بكيفيات تغييره، وتحديد مواطن الخلل وأسبابه، التي لحقت بالأمة المسلمة فأقعدتها عن ممارسة دورها في الشهادة على الناس وإلحاق الرحمة بهم، والتحقق بالرؤية الاستراتيجية التي تفقه الحاضر، وتستشرف الماضي، وتبصر المستقبل، وتدرك العواقب والتداعيات المترتبة على فعلها.

الفصل الأول: فقه الواقع: مفهومه.. عناصره.. أهميته

وهذا الفصل يتكلم عن فقه الواقع: معناه، وتعريفات بعض المفكرين، وذلك لوضع عناصره الأساسية، وفيه عدة مباحث.

الأول: ما المقصود بفقه الواقع؟

حيث الواقع هو معرفة ما عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعاتهم وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تتنزل عليهم في واقعهم في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة، إذ إن فقه وفهم الواقع ضروري إلى جانب فقه النص.

أما المبحث الثاني: العناصر الأساسية لفقه الواقع، فيحتوي على: الشروط والعوامل الفكرية المؤثرة في فقه الواقع وهي:

١- إدراك التأثيرات البيئية الطبيعية باعتبارها محددا أساسيا وموجها رئيسيا لحياة الناس.

٢- فقه الحركة الاجتماعية، على اختلاف أنواعها، باعتبارها الروابط التي تربط بين الناس.

٣- سبر أغوار النفس البشرية باعتبار الإنسان المحور والأساس في هذا الوجود.

المبحث الثالث: لماذا فقه الواقع؟

والإجابة باختصار لأن الإنسان إذا غفل عن واقعه وأعمى بصره وبصيرته عنه، فإنه لا يعبد الله حق عبادته كما أمره، ومن لا يتصفح مع نصوص القرآن الكريم وصحيح الحديث حقيقة الواقع المتغير الذي جعل الله تغيره بلاء يعجز عن عبادة الله وعن تحقيق مناطات الاجتهاد.

الفصل الثاني: الدعوة الإسلامية وفقه الواقع.. أصول العلاقة

ويتحدث الفصل عن علاقة الدعوة بفقه الواقع، وكيف كانت مصادرنا الأساسية تعتبر الواقع، وكيف كانت تقومه وترشده، وفيه عدة مباحث:

الأول: مكانة الواقع في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم المكي والمدني هما أول ما يسترعي انتباهنا عند قراءة كتاب الله، وكلنا يعرف الفرق بين الوحي الذي كان ينزل بمكة، وبين الذي كان ينزل بالمدينة اختلافا في الواقع الزماني والمكاني.

أما المبحث الثاني فعن: مكانة الواقع في المنهاج النبوي

وسيرة النبي ﷺ خصبة بمظاهر التعامل مع الواقع واعتباره، ذلك أنها التطبيق الفعلي للقرآن الكريم. ويبين الفصل وجهين لمظاهر الواقع: يتمثل الأول في الإجابات المختلفة عن السؤال الواحد الذي كان يوجه إلى النبي من سائلين مختلفين، ويتمثل الوجه الثاني في صور التعامل مع الواقع في السيرة النبوية الشريفة.

أما المبحث الثالث فهو: مكانة الواقع في سنن الراشدين

فهذا معاذ بن جبل أخذ الثياب اليمنية بدل العين من زكاة الحبوب والثمار من أهل اليمن، وهذا عمر سمع امرأة تشكو غياب زوجها فسأل ابنته حفصة: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر، فقال: لا أحبس أحدا في الجيش أكثر من ذلك.

الفصل الثالث: الدعوة الإسلامية وفقه الواقع.. ضوابط العلاقة

وبمقدار فقه الواقع، وبحجم استيعابه، ينجح الفقيه والداعية في تحقيق أغراض الدين ومقاصده، حيث إن أي تعامل مع الواقع ينبغي أن يؤطر بمقصد من المقاصد، وفي الفصل ثلاثة مباحث:

الأول هو ضابط المقصد.

أما المبحث الثاني فعن الضوابط من مصادر التشريع، وهي: ضابط القياس، وضابط الاستصلاح، وضابط الاستحسان، وضابط العرف.

أما المبحث الثالث، فعن مهمة الترجيح، حيث لا مناص من اجتهاد جماعي شوري، يجمع إلى المجتهدين الفقهاء جماعة من العدول أولي علم بشؤون الدنيا في مجالاتها المختلفة، اجتماعية، اقتصادية، وسلطة تنفيذ الأحكام في الأمور العامة للمسلمين إنما يمتلكها الحاكم أو الوالي أو من ينوب عنهما.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

حقوق المرأة ومجالات عملها في الإسلام

الخلاصة الحكمية

١- أعطى الإسلام للمرأة حقوقها كاملة على أساس ينسجم مع طبيعتها، وقدراتها؛ قوة وضعْفا.

٢- دعا الإسلام إلى احترام المرأة؛ فرفض استغلالها جنسيا، وثقافيا، وماليا، وإعلاميا.

٣- حفظ الإسلام للمرأة حقها في التعلم، والتعليم، والعمل، والبيع، والشراء، وفق ضوابط شرعية تحفظ مكانتها، واستقلالها، وعرضها، وأنوثتها.

٤- الأصل في الشريعة الإسلامية: أن تَقَر المرأة في بيتها لحق زوجها، وتربية أبنائها، ويجوز لها الخروج للعمل بشروط شرعية.

● القرارات، والتّوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا **الموضوع:**

■ **أولا:** قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ إلى ١ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠م.

بعد اطلاعه على توصيات ندوة الخبراء حول دور المرأة في تنمية المجتمع الإسلامي التي عقدت بطهران بالجمهورية الإسلامية الإيرانية في الفترة ١٧ - ١٩ من ذي القعدة ١٤١٥هـ الموافق ١٧ - ١٩نيسان (أبريل) ١٩٩٥ بموجب القرار رقم ٧/١٠ - ث (ق.أ) الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي السابع، تلك التوصيات التي تم تعديلها من قبل شعبة الفتوى في دورتي المجمع التاسعة والعاشرة.

وتأكيدا للقيم التي أحاط الإسلام المرأة بها، وناقضتها مؤتمرات المرأة العالمية وبخاصة مؤتمري القاهرة وبكين، وما تلاهما، وفي ضوء ما صدر من بيانات إسلامية لمواجهة تلك الحملات المنكرة.

قرر ما يلي:

أولا: إن من أهداف الإسلام بناء مجتمع يكون فيه لكل من الرجل والمرأة دور متكامل في عملية البناء والتنمية، وقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها كاملة على أساس ينسجم مع شخصيتها، وقدراتها وكفاياتها، وتطلعاتها ودورها الرئيس في الحياة. وفي التصور الإسلامي يشكل المجتمع وحدة متكاملة يتم فيها التعامل مع الرجل والمرأة بصورة شاملة، ويؤكد القرآن الكريم، والسنة النبوية على وحدة الأمة الإسلامية بعناصرها الحيوية، فلكل من المرأة والرجل شخصيته، ومكانته في المجتمع الإسلامي.

ثانيا: الأسرة المبنية على الزواج الشرعي حجر الزاوية في البناء الاجتماعي السليم، ولذا فالإسلام يرفض أية صورة مزعومة أخرى للأسرة، وأية علاقة بديلة خارج هذا الإطار الشرعي. وللمرأة بمقتضى أمومتها وخصائصها الأخرى الدور الأساس في استقرار ورفاه هذا البناء العائلي.

ثالثا: إن الأمومة هي إحدى وظائف المرأة الطبيعية في حياتها، ولن تستطيع أداء هذه الرسالة النبيلة على أحسن وجه وتكوين الأجيال القادمة إلا إذا حصلت على جميع حقوقها الإسلامية لتقوم بمهمتها في مجالات الحياة الخاصة بها.

رابعا: المرأة والرجل متساويان في الكرامة الإنسانية، كما أن للمرأة من الحقوق وعليها من الواجبات ما يلائم فطرتها وقدراتها وتكوينها، وبينما يتمتع كل من الرجل والمرأة بصفات طبيعية متفاوتة فهما متكاملان في المسؤوليات المنوطة بكل منهما في الشريعة الإسلامية.

خامسا: الدعوة إلى احترام المرأة في جميع المجالات، ورفض العنف الذي مازالت تعاني منه في بعض البيئات، ومنه العنف المنزلي، والاستغلال الجنسي، والتصوير الإباحي، والدعارة، والاتجار بالمرأة، والمضايقات الجنسية مما هو ملاحظ في كثير من

المجتمعات التي تمتهن المرأة، وكرامتها، وتتنكر لحقوقها الشرعية، وهي أمور منكرة دخيلة لا علاقة للإسلام بها.

سادسا: قيام الوسائل الإعلامية بتعزيز الدور الإيجابي للمرأة ورفض جميع أشكال استغلال المرأة في وسائل الإعلام والإعلان، والدعاية المسيئة للقيم والفضائل مما يشكل تحقيرا لشخصيتها وامتهانا لكرامتها.

سابعا: ينبغي بذل جميع الجهود لتخفيف آلام النساء والمجموعات الضعيفة وبصفة خاصة النساء المسلمات اللائي ما زلن ضحايا النزاعات المسلحة والاحتلال الأجنبي والفقر وضحايا الضغوط الاقتصادية الأجنبية.

ثامنا: إن التنمية الشاملة المتواصلة لا يمكن تحقيقها إلا على أساس من القيم الدينية والأخلاقية، وهذا يقتضي رفض محاولات فرض مفاهيم ثقافية واجتماعية دخيلة وإدانة الهجمات المتواصلة من بعض الجهات ضد المفاهيم والأحكام الإسلامية المتعلقة بالمرأة.

تاسعا: الإنكار الشديد لأساليب بعض الحكومات في منع المرأة المسلمة من الالتزام بدينها وإقامة شعائره وما افترضه الله عليها كالحشمة والحجاب.

عاشرا: العمل على جعل مؤسسات التعليم النسوي بجميع مراحله منفصلا عن تعليم الذكور وفاء بحقوق المرأة المشروعة وقياما بمقتضيات الشريعة.

حادي عشر: إن الشريعة الإسلامية في مصادرها الأساسية هي المرجع الوحيد لتفسير أو توضيح أي مادة من مواد هذا الإعلان.

■ **ثانيا:** عرض على لجنة الفتوى الكويتية؛ في موضوع «أحكام وشروط عمل المرأة»؛ ما نصّه: أرجو إفادتي في سؤال يؤرقني؛ وهو:

ما هي شرعية عمل المرأة؟ وما هي شروط عمل المرأة؟ وما هي كيفية عملها؟ وما هي نواهي عمل المرأة؟ وقد علمت أنه في المخالطة إثم ومعصية؛ فهل هذا صحيح؟ فإن كان عمل المرأة حراما؛ فلماذا إذن يتم تعليمها؟ وكيف تستفيد المرأة المسلمة من عملها؟ وما هي الأدلة من القرآن والسنة عن هذه الأسئلة؟ مع الشرح؛ أفادكم الله.

فأجابت اللجنة بما يلي:

الأصل أن تَقَر المرأة في بيتها لحق زوجها وتربية أبنائها، ويجوز لها الخروج للعمل بالشروط التالية:

١- أن تلتزم باللباس الشرعي.

٢- أن تلتزم بعدم اللين والخضوع في الكلام.

٣- أن تقتصر في تعاملها مع الرجال ومحادثتهم على قدر الحاجة والضرورة.

٤- ألا تختلط بالرجال إلا أن تدعو الحاجة المشروعة لذلك.

٥- أن تعمل في عمل يناسبها شرعا.

٦- أن تكون محتاجة للعمل.

٧- أن يأذن الزوج أو الولي بالعمل.

والله أعلم.

انتهت الفتوى؛ ينظر: (ج٢٢/ص٣٨٥/ ف٧٢١٠).

■ **ثالثا:** عرض على لجنة الفتوى الكويتية؛ في موضوع «استقلالية ذمة المرأة المالية»؛ ما نصّه: أنا متزوجة وعملت لمدة ٦ سنوات، وكان زوجي يأخذ الراتب أولا بأول، ولم أكن أستطيع الاعتراض لشدة المشاحنات والمشاكل، ولم يكن يسمح لي بأخذ أي مبلغ منه، وسبب سكوتي وجود أهلي حولي الذين كانوا يعطونني ما أريد ويلبون طلباتي، ولكن بعد أحداث الحرب التي أدت إلى خروج الجميع من حولي أصبحت في حاجة إلى مالي، والسؤال هو: هل يحق لي استرداد مالي كله منه؟ وهل يجوز حجه لبيت الله قبل أن يفي لي ديني؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

للزوجة ذمة مالية مستقلة عن زوجها، وعلى ذلك فإن راتبها يكون ملكا لها وحدها، ولا يجب عليها أن تعطي راتبها كله أو جزء منه لزوجها ولا غيره إلا برضاها، كما لا يجب عليها أن تنفق على نفسها من مالها مادامت زوجة؛ لأن نفقتها واجبة على زوجها.

أما ما أخذه زوجها منها في السابق من المال، فإن كان أخذه منها برضاها فهو هبة لا رجوع لها فيه، ما لم تبين له أنه دين عليه، وإن أخذه بغير رضاها فهو دين عليه؛ لها مطالبته به، وتحصيله منه كسائر الدائنين مادام ميسورا، فإن كان معسرا فنظرة إلى ميسرة.

وأما حجه فصحيح، وإن كان الأولى به أن يوفي ديونه أولا ثم يقوم بالحج، والله أعلم.

انتهت الفتوى؛ ينظر: (ج١١/ص٤٠٩/ ف٣٤٩٧).

تعليق

وبالجملة؛ فالإسلام رفع من شأن المرأة، وسوى بينها وبين الرجل في أكثر الأحكام:

فهي مأمورة مثله بالإيمان والطاعة، ومساوية له في جزاء الآخرة، ولها حق التعبير، تنصح، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله، ولها حق التملك؛ تبيع وتشتري، وترث، وتتصدق، وتهب، ولا يجوز لأحد أن يأخذ مالها بغير رضاها، ولها حق الحياة الكريمة، لا يُعتدى عليها، ولا تُظلم، ولها حق التعليم، بل يجب أن تتعلم ما تحتاجه في دينها.

تذكير تاريخي (البردي)

يرجع استخدام ورق البردي كحامل للكتابة إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وعرف واستخدم كذلك في جزيرة العرب قبل الإسلام بكثير. وصاحب انطلاق الدولة الإسلامية في القرن الهجري الأول فتح المناطق التي تنمو فيها النبتة التي تستخدم ساقها في إنتاج البردي، واستخدمت الإدارة والخواص والموظفون هذا الحامل في احتياجاتهم المختلفة؛ الرسائل والكتب والعقود وسجلات الضرائب، وظل البردي مستخدما حتى نحو منتصف القرن الرابع الهجري عندما أصبحت مزاحمة الورق له قوية جدا.

(المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ٦٧).

المعرفة الحقيقية

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «فلو عرف العبد كل شيء، ولم يعرف ربه؛ فكأنه لم يعرف شيئا، ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها، ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه والأنس به؛ فكأنه لم يظفر بلذة، ولا نعيم، ولا قرة عين».

(إغاثة اللهفان ١١٢/١).

أفعال الأراذل

قال العلامة ابن حزم رحمه الله تعالى: «إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علما وأجرا، لا حضور مستغن بما عندك طالبا عثرة تشيعها أو غريبة تشنعها، فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبدا؛ فإذا حضرتها على هذه النية -الاستزادة-؛ فقد حصلت خيرا على كل حال، وإن لم تحضرها على هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم لخلقك وأسلم لدينك».

(مداواة النفوس، ص ٩٢).

ترك العداوة أحوط

قال أبوحاتم الدارمي البستي رحمه الله تعالى: «الواجب على العاقل: أن يعلم أن من يوده لم يحسده، ومن لم يحسده لم يعاده، فيكون للعدو المكاتم أشد حذرا منه للعدو المبارز، ومن وجد عنده مغترا وكان ممن لا يعفو، ثم لا ينتصف منه أصابته الندامة، والرأي إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها».

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٩٨).

أيهما أشعر

تحاكم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وعبدة ابن الطبيب والمخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر، أيهم أشعر؟ فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر.

(الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ٩١/١).

أسماء العلماء

- «ابن تيمية رحمه الله تعالى» سبب التسمية: أن جده حج فلما كان بتيماء (بلدة قرب تبوك) رأى جارية حسنة الوجه، فلما عاد وجد امرأته قد وضعت، فلما قدموا له مولودتها قال: يا تيمية، يا تيمية، يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء، فسمي بها.
- «ابن القيم رحمه الله تعالى» نسبة إلى المدرسة التي أنشأها محيي الدين أبوالمحاسن يوسف بن عبدالرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة (٦٥٦هـ) لأن أباه كان قيما عليها.

(إتحاف النبلاء ببيان تسمية العلماء، ص ٧).

ذل بين يدي الله

سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: ما معنى وضع اليمين على الشمال في الصلاة؟ فقال: «ذل بين يدي الله».
فولد منها ألفاظا كثيرة».
(طبقات الحنابلة ١/٨٤).

مفسدات العمل

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «لا شيء أفسد للعمل الصالح من العجب ورؤية النفس».
(الفوائد، ص ١٥٢).

التورع عن العيوب

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «ومن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته وفضحه، ومن تورع عن عيوب الخلق كف الله عن عرضه».
(الفواكه الشهية، ص ١٩).

من درر السلف

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى:

- إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل، إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان فضله أكثر من نقصه لفضله.
- من علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه.
- حسن اللقاء نصف السخاء، ولين الكلام دين الكرام، وحلاوة اللسان بعض الإحسان.

(أخبار العرب ٥/٧١)

أبو حنيفة

قال الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام أبي حنيفة رحمهما الله: «هو من العلم والورع والزهد وإيثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحد».
(نقله الذهبي بمناقب الإمام، ص ٤٣).

القلوب

- قال ابن مسعود: «العلم أكثر من أن يؤتى على آخره، فخذ من كل شيء أحسنه».
- قال علي بن أبي طالب: «القلب إذا أكره عمي».
- قال الحسن رحمه الله: «حادثوا هذه القلوب، فإنها سريعة الدثور، واقدعوا هذه الأنفس، فإنها طلعة، وإنكم إلا تزعوها تنزع بكم إلى شر غاية».
- قال أنوشروان: «القلوب تحتاج إلى الحكمة، كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١/١٦٩).

جنة المشرق

قال العلامة الرحالة ابن جبير رحمه الله: «دمشق جنة المشرق، ومطلع حسنه المونق المشرق، قد تحلت بأزاهير الرياحين، وتجلت في حلل سندسية من البساتين».
(رحلة ابن جبير، ص ٢١٠).

إعداد: علاء عبدالفتاح

سهيل بن عمرو والتوبة النصوح

التوبة النصوح ذكرها الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه، وحث المؤمنين على لزومها قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (التحريم:٨).

وسهيل بن عمرو - الذي كان من أشراف قريش وأعيانها، ومن خطبائها المفوهين - كان مشركا وشارك في الدفاع عن الشرك بمحاربة الإسلام، لكن لما تجلت له حقيقة الدين الجديد؛ انخلع انخلاعا كليا عن الشرك، وكل ما يمت إليه بصلة، وتحلى بحلية الإسلام الصافية.

لما وقع سهيل بن عمرو في الأسر قال عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ مقترحا عليه: يا رسول الله، دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا. فقال رسول الله ﷺ: «إنه عسى أن يقوم مقاما تحمده عليه».

كان هذا تنبؤًا بإسلام سهيل بن عمرو، وأنه سيقدم للإسلام خدمة جليلة، يشكر عليها في موطن شديد الحرج، يكشف بها كربة عن المسلمين.

حقا لقد كانت لهذه الكلمة الحكيمة «إنه عسى أن يقوم مقاما تحمده عليه» صدى في فؤاد سهيل بن عمرو.

وتحقق فعلا كلام رسول الله ﷺ، فقد أسلم سهيل بن عمرو عام الفتح وحسن إسلامه، وظهرت عليه أمارات الصدق والإخلاص في إسلامه.

● وشيد محمد كرموت

قصور التربية من القسوة أو التدليل

بعض الآباء والمعلمين يظن أن الهيبة لا تأتيه إلا إذا ضرب ابنه ضربا مبرحا أو إذا داوم على التهجم وتقطيب الجبين في كل لحظة ولا يكون مهابا في البيت إن لم يصفع أبناءه على جبينهم الرقيق ولأتفه الأسباب؛ فضلا عن المنع المطلق لكل صور الحنان، فكلها في نظره تقلل الهيبة، ولعل هذا يذكرنا بالرجل الذي رأى رسول الله ﷺ يقبل الحسن والحسين فقال الرجل: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فقال الرسول ﷺ في رد حازم على تلك القسوة «من لا يرحم لا يرحم». إن هذه القسوة الزائدة في معاملة الصغار لتورثهم الكثير من الأمراض السلوكية والنفسية في المستقبل، فالتبول اللاإرادي والخوف والانطوائية والكذب وغيرها من المشكلات تأتي القسوة الزائدة في مقدمة المسببات لها.

على الجانب الآخر هناك الطفل المدلل الذي يحوط عليه الأبوان ويأتون له بكل ما يريد وبكل ما يطلب مهما كان طلبه.. إن كل ذلك يؤدي في النهاية إلى إنسان مريض مشوه يعجز عن أخذ قرار ويخشى من جميع المحيطين به.. يزداد خوفه وكذبه وشعوره بالنقص ويضعف جانب تحمل المسؤولية في الابن، لأن جميع طلباته مجابة.. وتحكم الابن في أبويه وخضوعهما له وتملكه مشاعر الغرور والتكبر لدى الابن وتكراره لعبارة أبي لا يرفض لي طلبا وأمي لا تقول لي لا أبدا.. وتمرد الابن على سلطة والديه وعدم احترامه لوالديه ويتحول الابن المدلل إلى شخص غير قادر على التكيف الاجتماعي، وإنما يتوقع من أصحابه وأقرانه أن يستجيبوا لغروره وطلباته، لذلك تراه دائما وحيدا بدون أصدقاء.

● نعيم السلاموني

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

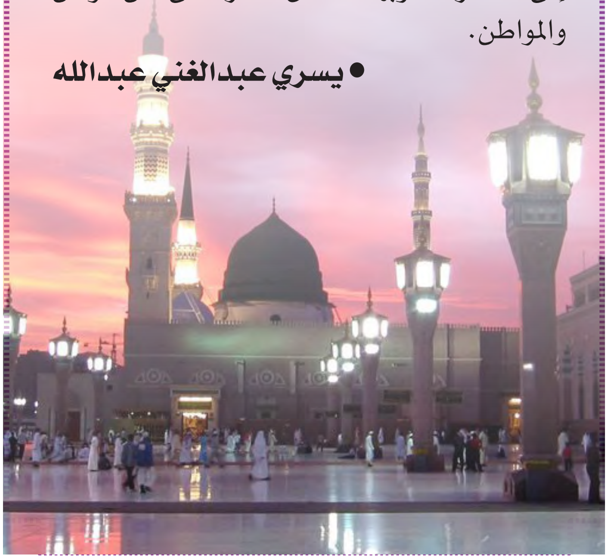


المدينة قاعدة الإسلام

كان مجتمع المدينة مجتمعا يضم جماعات عرقية ودينية مختلفة لكل منها معتقداتها وشعائرها وتقاليدها، ومن الطبيعي أن تكون أولى المشاكل في مثل هذه المجتمعات، مشكلة: الفرقة والانقسام وعدم الانسجام، ومن أهم المتطلبات تحقيق الوحدة الوطنية بين أفراد هذا المجتمع، ليستطيع البناء، والدفاع عن نفسه ضد العدو المتربص به، وهو قريش التي ظلت تقاوم تيار الدين الإسلامي.

وقد أخذ الرسول ﷺ على عاتقه وضع أسس وركائز هذا المجتمع الجديد، وأعد وثيقة ترسي قواعد التعاون، وأدخل نظاما يذيب الأساس القبلي الذي كان سائدا، ويلغي نظام العصبية، وهذه الوثيقة حددت أسس التعامل بين الجماعات، ومن أسمى أهدافها توفير الأمن للجميع، وبدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، أي أنه ألف بينهم بأخوة الإسلام والإيمان، فالمسلم أخو المسلم، وكان الهدف من الأخوة القضاء على وحشية الغربة التي تدخل القلق على النفس، وتدفعها دفعا في بعض الأحيان إلى الانحراف، وبهذا تشكل خطرا على أمن الوطن والمواطن.

• يسري عبدالغني عبدالله





الرحمة والبشرية

لقد سمى الله تعالى نفسه الرحمن الرحيم، وجعل هاتين الصفتين آية من سورة الفاتحة التي هي أم الكتاب وأساس القرآن الكريم، كذلك وصف الله تعالى نفسه بالرحمة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف:١٥٦)، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، والسنة النبوية المطهرة مليئة بالتوجيهات التي تحث وتحض على التحلي بهذا الخلق العظيم، ولم لا وهو ﷺ نبي الرحمة؟، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، فقد روى أبوداود، والترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء»، فالرحمة تشمل الإنسان والحيوان والطير، وأول من يشملهم هذا الخلق الوالدان، فالرحمة بهما، والإحسان إليهما، تاليان لعبادة الله تعالى في المنزلة، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (النساء:٣٦)، والرحمة بالوالدين تكون في الحياة وبعد الممات، ففي الحياة تكون بطاعتهما في المعروف، والرفق بهما، واللين في التعامل معهما، وبعد الممات تكون بالدعاء والاستغفار لهما، والصدقة عنهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

• كمال عبدالمنعم خليل

بريد القراء

دمشق

علـى أبـوابـهـا قـلـبـي يـدق
هـي الـفـيـحـاء شـهـرتـهـا دمـشـق
تـشـد الـشـمـس فـي وضـح الـلـيـالـي
تـغـنـي والـشـذى فـي الـكـف رق
أجـيـئـك والمـدى نـار تـلـظـى
مـن الآلام فـي عـيـنـي حـرق
ولـكـن نـبـض قـلـبـي مـطـمـئـن
فـبـعـد سـحـائـب الأحـزان ودق
أنـا يـا ربـة الـريـحـان صـب
يـقـلـب مـهـجـتـي فـي الجـمـر شـوق
ورائـي ظـلـمـة.. فـوقـي.. أمـامـي
وفـي كـفـي قـبـض الـريـح رزق
أتـيـت.. رفـيـقـي الـصـديـق شـعـري
يـضـيء الـروح فـالأيـام زرق
أعـانـي أيـهـا الـلـهـب المـغـنـي
يـقـول لـي الأمـيـرة تـسـتـحـق
«مـعـاويـة» يـقـبـل وجـنـتـيـهـا
حـبـيـبـتـه لـهـا الـتـقـديـس حـق
يـداعـب خـصـرهـا «بـردى» نـديـا
يـراقـصـهـا ووجـه المـاء طـلـق
أصـلـي و«الـولـيـد» إلـى جـواري
يـؤم صـلاتـنـا فـي الـفـجـر عـشـق

• عادل حماد سليم

آداب حوار النبي ﷺ في عيون محاوريه

اتصَفَ مَجلس النّبي ﷺ وحواره مع أهله وأصحابه الكرام والنّاس أجمعين بآداب وصفات فاضلة كثيرة، حيث كانت صفات مجلسه ﷺ تتحلّى وتتزيّن بآداب الأخلاق القُرآنية الرفيعة، لأنه «كان خلقه القرآن»، كما وصفته السّيّدة عائشة (رضي الله عنها). وبذلك أثّر ﷺ تأثيرا عظيما على مُحاوريه من الصّحابة والمسلمين خصوصا، وأهل الكتاب والمشركين والعَجم عموما.

فمثلا النضر بن الحارث الذي نَصَحَ المُشْركين من قريش بعد فشل مفاوضاتهم مع النّبي ﷺ قال: «يَا مَعشر قريش، والله لقد نَزَل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد عرفتم محمّدا فيكم غُلاما حَدَثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حَديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السّحرة وَنفْثهم وعَقْدَهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتَخَالُجَهم وسمعنا سَجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشّعر وسمعنا أصنافه كلها هَزَجه ورَجَزَه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم».

•عبد محمد بركو

عبدالله العروي



كان لابد أن يحتجب عنا المفكر الموسوعي الأستاذ عبد الله العروي حتى يتحفنا بآرائه في السياسة و يعرج بنا عبر دهاليز التاريخ، فالفكرة الواحدة عنده قد تحيلك إلى فصل في كتاب أو بحث أكاديمي وربما تكون لها امتدادات في المنظومة الفكرية التي بنى عليها مشروعه الفكري. ولعلي لا أجانب الصواب إذا اعتبرت نصوص العروي، سواء أكاديمية أو إبداعية أو في شكل حوارات، ذات ثقل معنوي في الخطاب الفكري المعاصر، وذلك لموقع صاحبها في الجدال الواقع حول الحداثة والتراث.

وكان لابد أن يطل علينا من خلال مجلة تعنى بكل ما هو مغربي، إنه إذن الاختيار الذي يفصح عن كثير من الدلالات والإحالات التي يتقنها ويبدع فيها بشكل مبهر الأستاذ العروي. ولا يهم القالب الذي يضع فيه أفكاره إن كان رواية أو حوارا أو بحثا أكاديميا أو محاضرة، لكن المحتوى الذي يحمل المعنى والعقيدة والإشكالية هو المبتغى. إن ما يقدمه من أفكار ورؤى حول الراهن والآتي مبنية على مقدمات غير قابلة للتجزئة تشكل بناء فكريا متماسكا، فالإطار الموسوعي الذي يؤثث البنية الفكرية للأستاذ يوحي بأفق ثقافي متجانس ومتنوع في الآن نفسه.

● **محمد العلوي**

الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة الأنصاري

هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث.

كان عظيم القدر في قومه، سيدا من ساداتهم، وشاعرا من شعرائهم الذين كانوا يردون على أعداء قومه، وقد كان يناقض الشاعر قيس بن الخطيم في الحروب التي جرت بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

وكان عبدالله بن رواحة من الأنصار الذين حضروا العقبة الثانية لمبايعة رسول الله ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وكان عددهم ثلاثة وسبعين.

وكان رسول الله ﷺ قد طلب من القوم في هذه البيعة أن يخرجوا له منهم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم، فكان عبدالله بن رواحة أحد هؤلاء النقباء الذين أعطوا لرسول الله ﷺ عهدا وميثاقا لحمايته ونصرته على أعدائه، وعدم التخلي عنه ولو أصابتهم الشدائد والمحن.

● **محمد بن محمد الحجوي**

وقود التقدم

الوطن أرض وأمة وحب.. الوطن ليس كلاما مرسلا ولا يثبت بأفعال سطحية جوفاء تنتهي كما تنتهي فقاعات الهواء..
وحب الوطن ليس أغنية حماسية وليس مباهاة وتفاخرا على سائر الأوطان، وإنما عمل؛ سرا وعلانية لصالح أبنائه مع استشعار مراقبة دائمة من خالق العالمين.
فإذا ما انتهج كل منا نهجا سليما إيجابيا عفيفا في أرض الوطن حيث بيته وعمله وطريقه وسائر المزارات لتغير الحال باضطراد إلى الأفضل ولحل الرخاء على الجميع ولأصبحنا مسلمين متقنين لأعمالنا متعاملين بالحسنى فيما بيننا قدوة للآخرين.
ويتجسَّد في الوطن قيمة المواطنة التي تقوم على مبادئ ومقومات ينبغي مراعاتها والالتزام بها؛ كي تحقق صلاح المواطن في المجتمع.
والوطن.. أرض وأمة والحنين إليهما فطرة إنسانية خلق الله الإنسان عليها إعمارا للأرض، ومن هنا لا تكون ذكرى الانتصارات والتحرر واستعادة الأرض بعد الفقد إلا وقودا معنويا لشحذ الهمم وبدايات متجددة لتغيير النفس إلى الأفضل من أجل مجتمع ووطن وأمة إسلامية قوية أمام جيرانها من أمم لا يستهان بها ولا بفرد من أبنائها..
كذلك لابد من إعداد مواطنين صالحين متمسكين بهويتهم الإسلامية، وغرْس حبِّ الوطن في نفوس الشباب؛ ليزدادوا اعتزازا به مع العمل من أجل تقدُّمه وإعلاء شأنه، وتأهيلهم على كيفية التصدي لمشكلات مجتمعهم للوصول الى أنجح السبل.

فهد الخزي
مدير التحرير

العدد (٦١٠) جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ - مارس - إبريل ٢٠١٦ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

هدية العدد: بوستر «سند الخطاطين»

إمام الحرم المكي في ضيافة «الأوقاف»



- عتاب القلم
- الاعتدال في الإسلام
- معايير فقه الموازنة بين المصالح
- إنسانية الثقافة الإسلامية (ملف العدد)

ملتقى المفكرين العرب الأول.. تعزيز الحوار بين الثقافات



مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعى الإسلامى

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا



الإسلام الحق

الإسلام هو دين الله الخاتم، ومما يتميز به أنه ليس جامدا، وإنما فيه المتغير والثابت، ولو كان صلبا لا مرونة فيه؛ لانتهى إلى ما انتهت إليه الأديان المحرفة، والأفكار البشرية البائدة.

إنه يمتاز بقدرته الفائقة على التأقلم مع كل واقع يوجد فيه، فطبيعة نصوصه تلائم جميع الظروف والملابسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من مناحي الحياة، ولأجل هذا التميز كان هذا الدين الحنيفي هو الأفضل لكل زمان ومكان، هذا هو الإسلام الموحى به من الله تعالى..

أما فهوم علمائه فهي -على جلالتهم ورفعة أقدارهم- تظل اجتهادات تصيب وتخطئ، والمجتهد مأجور في حالتي الخطأ والصواب، إذا استفرغ الوسع في البحث، وكان أهلا للاجتهاد، مع توفر النية الحسنة والقصد الطيب.

إن النصوص الشرعية القاطعة في ثبوتها ودلالاتها هي اليقينيات الثابتة التي تدور عليها رحى الشرع المطهر.

إن الإسلام متسع المجال رحْب الدائرة، بما يجعله فضاء للكثير من الرؤى والأفكار، ما لم تخرج على أصوله وثوابته اليقينية، ومن حكمة الله عزوجل أن كان وجود خصوم الشرع المناوئين له، وجودا أسهم في تجلية محاسن الإسلام لدى كل ذي فطرة سليمة، بما أثاروه من شبه وخيالات فاسدة، وكان الرد العلمي الصحيح عليها وجها من وجوه عظمة هذا الدين.

ولهذا السبب وغيره، لم يُكره الإسلام المخالفين في الدين على التحول عن دينهم إلى الإسلام، وفي الفتوحات الإسلامية لم يكن الإسلام خيارا يجبر عليه أحد من الناس، بل ظل غير المسلمين على دينهم، في إطار شرعي يحفظ الحقوق والحرية والكرامة، وفي ظل سلطان الإسلام وشريعته العادلة، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٧)

د. صالح سالم النهام

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٠ | جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
مارس - ابريل ٢٠١٦م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد











التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

حوار الثقافات

يمتلك المسلمون رصيدا ثريا في هذا الموضوع الحساس، فالإسلام في جوهره دين حواري، يقوم على أساس استخلاف الإنسان في الأرض لإقامة أمة وسطية متوازنة، قوامها العدل والحرية والعبودية لله؛ فيعيش الإنسان -بغض النظر عن دينه- حياة آمنة يسودها الأمن والعيش الكريم. والقرآن الكريم، في بنائه للأساس الحواري، دعا الخلق جميعا إلى التعارف فيما بينهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات:١٣)؛ فإذا تمت لهم معرفة بعضهم بعضا؛ فقد حدد لهم القرآن الكريم الأصول التي يجب أن تكون أساسا بين كل متحاورين، قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:١٢٥)، وقال أيضا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (العنكبوت:٤٦).

إن هذه المبادئ الحوارية الحضارية التي أرساها الدين الإسلامي، وأعلنها النبي ﷺ حين مارسها بقوله وفعله وتقريره، هي التي يمكن بها نجاح أي حوار بين أي ثقافتين مهما كانتا مختلفتين؛ على أن يكون حوارا بناء يحث على الخير أيا كان مصدره، ويحذر من الشر، أيا كان مصدره، وليس على أساس الذوبان في المبادئ الغربية المنافية للدين والأخلاق.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التحرير



إمام الحرم المكي وشيخ الأزهر في ضيافة «الأوقاف»

قال وزير العدل ووزير الأوقاف يعقوب الصانع إن الكويت تحتفل بتظاهرتها الثقافية الكبيرة بمناسبة اختيارها من قبل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة لتكون عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م، وتحتفي بشخصية إسلامية عالمية وهو د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف.

وأكد الصانع، خلال حفل تكريم شيخ الأزهر في المسجد الكبير، أن الأزهر وشيخه يمثلان في عالم الإسلام والمسلمين المرجعية الدينية والشرعية الأولى وذلك لما يحملانه من تاريخ وعلم وما يمتازان به من وسطية واعتدال وما يقومان به من جهد ونشاط وبذل في سبيل نشر رسالة الإسلام السمحة.

وأوضح أن الكويت كانت ومازالت بلد الخير والعطاء والثراء الإنساني والمعرفي، والعمل الخيري والمشاريع الإسلامية الرائدة، وتسعد بهذا الحدث الثقافي الكبير، فالكويت موطن الخير لا تألو جهدا في كل ما يكرس قيم الحق والخير والجمال في أمتنا العربية والإسلامية.

بدوره قال شيخ الأزهر د. أحمد الطيب إن الإنصاف يقتضيني أن أقول إنني لاأشك لحظة في أن هناك مؤامرة من وراء البحار، لكن هناك أيضا قابلية نكراء من جانبنا لتنفيذ هذه المؤامرة، ولعلي لا أقع في الاختصار المخل وأنا أذكر وجهة نظري في الأسباب التي أدت إلى ما نحن فيه من آفاق التكفير والإرهاب والقتل على الطائفة والمذهب.

وأضاف: علماء الأمة لم يعد همهم الأكبر حفظ وحدة الأمة ومصلحة المسلمين وحماية شعوبهم من التمزق والتنازع الذي يصل أحيانا إلى درجة تكفير المسلم للمسلم، أو إخراجه من الملة في أمور خلافية، وانشقاق العلماء أنفسهم، وانغلاقهم في مذاهب بعينها، مما فتح الباب على مصراعيه لتغذية حروب أهلية يدفع المسلمون الآن ثمنها دماء وأشلاء ودمارا وتشريدا، ولو أن العلماء كانوا قد تخلوا عن التعصب المذهبي

والطائفي، ولجأوا إلى الحوار والنصح والحكمة، ومجابهة القضايا الشائكة بتجرد وموضوعية لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

وهنأ الطيب الكويت أميرا وحكومة وشعبا باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية، وهي بلاريب جديرة بهذا التقدير، لما تميزت به الكويت من ريادة مبكرة في نشر الثقافة والعلم وإحياء لعيون كتب التراث العربي والإسلامي وإصدارات الدوريات الأدبية والفكرية والمجلات الإسلامية والتي لا يوجد مثقف أو متعلم في العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه إلا وأفاد من هذه الإصدارات القوية علما وثقافة ولغة، وإذا كان لي مقترح فهو أن تخصص الكويت هذا العام عاما لثقافة الحوار تأصيلا وتطبيقا، حتى تفوز بلقب عاصمة الثقافة الإسلامية وعاصمة الحوار العربي والإسلامي، بعد أن أكرمها صاحب السمو الأمير بجعلها مركز الإنسانية.



شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ود. خالد شجاع في ندوة بالكويت



إدارة الثقافة تهدي شيخ الأزهر إصدارات «روافد»

إمام الحرم المكي

واستقبلت إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف إمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ د. خالد الغامدي، والمؤذن في المسجد الحرام الشيخ أحمد النحاس، ضمن انطلاقة الموسم الدعوي والثقافي.

وأكدت الإدارة على أهمية المردود الطيب الذي ترسخه أنشطتها الدعوية، والتي تهدف بالأساس إلى إعادة توجيه الخطاب الديني ليتناسب وطبيعة المرحلة الراهنة من عمر العمل الدعوي، وما يترتب عليها من تزويد المسلم بالعلوم النافعة والآداب الفاضلة وما تسهم فيه من تنمية القيم وتنشيط الفضائل، وتكريس الرسالة المجتمعية للوزارة وإحياء المناسبات الدينية والوطنية على مدار العام.

وقال الغامدي في محاضرة بمسجد بلال: التفاؤل خلق الأنبياء والصالحين وهو ضروري لمن أراد النصر والعزة وتجاوز النكبات.. التفاؤل حياة ولا يعرفه إلا من ذاقه.

وأضاف: نحن بحاجة ماسة إلى التفاؤل لأن الأمة تعيش ضعفا وآفات متنوعة، لترصد الأعداء بها، فنحتاج خلق التفاؤل.

وأشاد الغامدي برعاية وزارة الأوقاف الكويتية للمساجد وتبنيها رسالة الأمة الوسط.

التحرير



«الأوقاف» تشارك في الملتقى الأول للمفكرين العرب بأبوظبي:

تعزيز الحوار بين الثقافات

شارك وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت في «الملتقى الأول للمفكرين العرب»، الذي استضافه مركز الإمارات للدراسات والبحوث خلال المدة ١٧-١٨ يناير الماضي في أبوظبي، بمشاركة نخبة من المفكرين ورجال الدين، وشخصيات علمية وأكاديمية عربية وعالمية، وعلى رأسهم مدير عام مركز الإمارات للدراسات والبحوث د. جمال السويدي ووزير الأوقاف المصري د. محمد مختار جمعة، ورئيس الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف في الإمارات د. محمد مطر الكعبي، ومفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ عبداللطيف دريان، والأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء في المملكة المغربية د. أحمد عبادي، وسكرتير المجلس البابوي للحوار بين الأديان في الفاتيكان الأب ميغيل أنخيل أيوسو غيسكو، وعلي بن السيد عبدالرحمن آل هاشم مستشار الشؤون القضائية والدينية، ووزارة شؤون الرئاسة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

تناول الملتقى قضايا الإرهاب والتطرف، وسبل التصدي لها على الصعد العربية والإسلامية والعالمية كافة، ودور الثقافة الصحيحة في ذلك، مع استشراف أبرز التحديات التي تواجه الأمتين العربية والإسلامية والعالم في هذا المجال، ووضع الحلول العلمية للتعامل معها.

وقد ضمت أجندة الملتقى خمس جلسات، وقامت أعماله، في مجملها، على النقاش المفتوح والعصف الذهني بين المفكرين ورجال الدين والمشاركين، الأمر الذي ساعد على طرح الكثير من الأفكار والقضايا والحلول بشأن تحديات الإرهاب والتطرف.

وخرجت أعمال الملتقى بحزمة كبيرة من التوصيات المهمة وعلى رأسها:

- ضرورة بلورة مناهج وبرامج مشتركة لبناء القدرات، وتأهيل القائمين على الشأن الديني في مختلف دول العالم، والعناية بالطفولة والنشء والشباب، والاستثمار في هذه الفئات المهمة.



مكتبة مركز الإمارات للدراسات والبحوث

- التأكيد على أهمية تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات المختلفة، والعمل على ردم الفجوة بين المثقفين وعلماء الدين.
- اقتراح تشكيل لجنة ثلاثية أو خماسية لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات، برئاسة مدير عام مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، وإنزالها على أرض الواقع على النحو الذي يتناسب وطبيعة المركز.

وقال الوكيل المساعد للشؤون الخارجية في وزارة الأوقاف الكويتية خليف الأذينة، إن عصرنا يختلف اختلافا جذريا عما سبقه من حقب تاريخية، فالواقع المعاصر فاق كل التوقعات، وهذه المستجدات تحمل معها تحديات كثيرة لعالمنا العربي والإسلامي.

وأوضح الأذينة أن التحديات الداخلية تتمثل في ظاهرة التخلف الشاملة لشتى النواحي العلمية والفكرية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى الفهم الخاطئ للإسلام، ووجود اتجاهات تفسر الإسلام على هواها، وتريد أن تشده ناحية اليمين أو ناحية اليسار بتفسيرات خاطئة.

وأكد أن التحديات الخارجية تتجلى في الخوف من الإسلام في الغرب، حيث اختلطت الأوراق وتاهت الحقائق وسط التدفق الإعلامي الغربي في هذا التيار الجارف.

إلى جانب صدام الحضارات وأن هذا الصدام أمر حتمي، وكذلك العولمة، فلم يعد يخفى على أحد أن هناك تيارا جارفا تقوده بعض القوى في العالم يتمثل في الترويج للقيم والمعايير التي تعتمدها الحضارة الغربية القائمة، ولاشك أن هذه الظاهرة فيها ما يتلاءم مع الداخل العربي والإسلامي، ثقافة وتعايشا، وفيها ما يتنافى معه بالكلية، مما يتسبب بتكوين تحد واضح من التحديات الخارجية المعاصرة.

وبين الأذينة أن مواقع التواصل الاجتماعي عندما يساء استخدامها؛ فإنها تشكل أحد التحديات الكبيرة التي تنمي الإرهاب في الداخل والخارج، تاركة أثرا سلبيا على فكر الناشئة



يمين الصورة د. النهام والمستشار آل هاشم ود. المطيري والوزير د. جمعة والوكيل الأذينة ود. عبادي

خصوصا، والأمة عموما.

من جهته، قال مدير عام مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية د. جمال السويدي، إن الفكر المتطرف يؤدي إلى هدم الدول وسيادة النزاعات الطائفية وزعزعة الاستقرار في المجتمعات، وهناك واجب عربي وإسلامي ودولي لمواجهة هذا الفكر الضال، ووأد النزعات الطائفية، التي نتج عنها نزوح آلاف الأشخاص وتشريدهم من أوطانهم وديارهم، وتسببت في مشكلات الهجرة غير الشرعية، وما يرتبط بها من مشكلات ممتدة.

وذكر السويدي أن من أهم ما نحتاج إليه في وقتنا الراهن إقناع العقل، والرقي بالمشاعر، وتنمية المواهب الإبداعية، وإشاعة روح التسامح، واحترام التعددية الفكرية، واحترام الآخر، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، خصوصا بين الشباب وصغار السن، مع تفعيل الدور الذي يقوم به العلماء في مواجهة الفكر المتطرف، والأفكار المنحرفة.

وأكد أنه على يقين بأن توصيات أعمال هذا الملتقى ستتحول إلى واقع ملموس يتمثل في سياسات وقرارات فعالة تحقق آمال شعب دولة الإمارات العربية المتحدة، وشعوب الأمة العربية.

في السياق نفسه، أكد وزير الأوقاف المصري د. محمد مختار جمعة، ضرورة ضبط المصطلحات، وضرب مثالا على ذلك بالجهاد، فمن له الحق في أخذ قرار الجهاد؟ ومن له الحق في تكفير الآخرين؟ ومن صاحب الحق في إصدار حكم كافر على الناس؟ مشيرا إلى أن هناك أكاديمية متخصصة لتدريب الدعاة والأئمة بأكثر من لغة، وهناك مجموعة من المواقع التي تخدم الدعوة الإسلامية بأكثر من لغة، تابعة لوزارة الأوقاف المصرية.

بدوره، شدد مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ عبداللطيف دريان، على أهمية الرجوع إلى النهج المستنير الذي أسسه الأزهر الشريف؛ بصفته مدخلا مهما لمواجهة التطرف والإرهاب، لافتا النظر إلى أن منطقة الشرق الأوسط تتسم بالثراء والتنوع الثقافي والديني والعرقي، وليس من المقبول أن يتم الحكم على الدين الإسلامي من خلال الجماعات المتطرفة التي تقدم صورة مشوهة عن سماحة هذا الدين. وشدد على أهمية التوصل إلى توصيات عملية قابلة للتنفيذ من أجل التصدي للفكر المتطرف.

وتطرق إلى جذور ظاهرة التطرف في الإسلام، التي تحولت إلى عنف



جانب آخر من مركز الإمارات للدراسات والبحوث

باسم الدين، مشيرا إلى أن هناك تحولات فكرية كبيرة حول مفاهيم عدة في الإسلام، منها: الشرعية والشريعة والجهاد والدولة.

فيما أشار رئيس الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف في الإمارات د. محمد مطر الكعبي، إلى ضرورة العمل على تحصين مجتمعاتنا العربية من مخاطر الفكر المتطرف، وذلك من خلال الوصول إلى أفكار جادة لتفويت الفرصة على قوى التطرف والإرهاب التي تحاول التأثير في المواطن العربي.

ولفت الكعبي النظر إلى مسألة مهمة، هي ضرورة تقصي الأسباب التي أدت إلى ظهور الجماعات المتطرفة في العالم العربي، وتشخيص العلاج لمواجهتها، وضرورة الاستعانة بالمفكرين والمثقفين العرب في هذا الشأن.

من جانبه، أشار الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء في المغرب د. أحمد العبادي، إلى أن الدول الإسلامية مجتمعة لديها من القدرات والإمكانات ما يتيح لها مواجهة التطرف، والتصدي للتنظيمات التي تشوه الدين الإسلامي، لافتا النظر إلى أنه في سياق الحرب مع هذه التنظيمات من المهم والضروري تفكيك الفكر المتطرف لها وتعريته، خصوصا أمام الشباب الذي قد يعجب بأفكارها.

مركز الإمارات في سطور

- أسس عام ١٩٩٤م بناء على توجيهات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات، عندما كان يشغل منصب ولي عهد أبوظبي.

- له العديد من الإصدارات العربية والأجنبية في مختلف المجالات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية.

واقترح العبادي أن يطلق هذا الملتقى مشاريع لخدمة العالم الإسلامي، مع ضرورة الاتفاق على مجموعة من المضامين التي تفيد فئات المجتمع كافة، وتسهم في الوقت نفسه في تصحيح صورة الدين الإسلامي.

من جانب آخر، شدد علي بن السيد عبدالرحمن آل هاشم، مستشار الشؤون القضائية والدينية، وزارة شؤون الرئاسة في دولة الإمارات، على أهمية التعليم في تنشئة الشباب وتحصينهم في مواجهة الفكر المتطرف، كما دعا إلى ضرورة دعم الأزهر في هذه المرحلة.

وسلط المستشار آل هاشم الضوء على نقطة أخرى مهمة، وهي قضية استيراد القوانين من الخارج وتطبيقها في الدول العربية والإسلامية، على الرغم من أنها لا تناسب خصوصيتها الثقافية والحضارية والدينية.

أما د. عبدالحميد الأنصاري،

فاقترح تضمين الأوراق التي قدمت في هذا الملتقى في كتاب؛ حتى تعم الاستفادة منها، والعمل على عودة الثقة بالعلماء، والبعد عن النقد المشوه، وضرورة إصلاح الفكر الديني، والعمل على تقوية المؤسسات الدينية وتفعيل دورها، ولابد من العمل على ضبط المفاهيم والمصطلحات، ووضع المسمى الصحيح في مكانه المناسب.

ودعا الوزير المصري د. مختار إلى ضرورة التواصل بين المثقفين وعلماء الدين، وكذلك دعا إلى عدم الانكفاء على الذات والانفتاح على المنتديات العالمية لإيصال رسالة الإسلام السمحة إلى المغرب.

من جانبه شدد رئيس هيئة الهلال الأحمر الإماراتي حمدان المزروعي، على ضرورة إعلاء قيمة الإنسانية، مشيرا إلى دور العمل الخيري في التصدي للتطرف، وإبراز الصورة الإيجابية عن الإسلام والمسلمين.

ودعا المزروعي لتطوير برامج المناصحة لتأهيل المضللين، والتنسيق بين المؤسسات المعنية بالشأن الديني (الدولية والمحلية، حكومية وغير حكومية)، ومراكز البحوث والدراسات في المنطقة، ضمانا لجودة وفاعلية أكبر، عبر تكامل الجهود وتعاضدها.

أما الأب ميغيل أيوسو غيسكو، سكرتير المجلس البابوي للحوار بين الأديان في دولة الفاتيكان، فقد أشار إلى أنه بغض النظر عن الاختلافات في الثقافات فالإنسان واحد، إما في طريق الخير وإما في طريق الشر. وللأسف، فإن بعض الشباب يميلون إلى ارتكاب الأعمال التي تندرج ضمن الشر.

ولفت الأب ميغيل أنخيل النظر إلى أن هناك نقاط التقاء كثيرة بين الإسلام والمسيحية، ولابد من الاتفاق على أننا -بني البشر- مؤمنون مواطنون نعيش في عالم واحد لخدمة الإنسانية.

وفي ختام الملتقى أشاد السويدي بالحضور من رجال دين وعلماء ومفكرين وأكاديميين، الذين قدموا عصارة أفكارهم خلال أعمال الملتقى، والذين ألقوا الضوء على الواقع الحالي الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية، وكل المجتمعات في العالم، في ظل تنامي مظاهر الإرهاب والتطرف، التي باتت بمنزلة الآفة التي تهدد استقرار العالم كله.

وأوضح أن التوصيات البناءة والرؤى الهادفة؛ من شأنها أن تساعد على مواجهة التحديات المحتملة جراء تنامي تلك المظاهر الضارة، وفي رسم خريطة طريق تساعد الدول والمجتمعات على تخطي هذه المرحلة الحساسة التي تمر بها الآن، والانتقال بشعوبها إلى مستقبل آمن، يقوم على التسامح والانفتاح، وصون المكتسبات، والبناء عليها.

وقد أشاد وفد «الأوقاف» المشارك، ممثلا في الوكيل المساعد للتنسيق الفني والعلاقات الخارجية والحج خليف الأذينة، والمراقب المالي والإداري في مجلة «الوعي الإسلامي» د. صالح النهام، ورئيس قسم في مجلة «الوعي الإسلامي» د. سلطان المطيري، بجهود دولة الإمارات العربية المتحدة، قيادة وشعبا، مقدرين ما بذله مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ومديره العام د. جمال السويدي، من جهود واضحة في التنظيم والترتيب للملتقى الذي جمع نخبة متميزة من المفكرين العرب.





ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي:

ما يتعلق بالكاتب

- يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- إرسال صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير.
- يذكر العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الإستعانة بمصادر ومراجع.
- لا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلا.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com

الوعي الإسلامي

د. فرغلي هارون
باحث في علم الاجتماع



الثقة بالنفس.. أهميتها وطرق تنميتها

الثقة بالنفس هي: إيمان الإنسان واطمئنانه المدروس إلى قدراته وإمكاناته على تحقيق أهدافه، واتخاذ قراراته، والتحكم في أقواله وأفعاله وقناعاته، ومواجهة المواقف الحياتية الصعبة. وهي مفتاح النجاح في جميع مجالات الحياة المختلفة، وأساس في تكوين الشخصية السوية البعيدة عن المرض والاضطراب النفسي.

والشخص الواثق بنفسه حقيقة يتميز بالسمات التالية:

١- يتقبل نفسه كما هي بإيجابياتها وسلبياتها: فلا ينزعج من سلبياتها لدرجة تجعله يكره نفسه، ولا يعجب بإيجابياتها لدرجة تجعله يغتر بنفسه ويعطيها فوق حجمها.

٢- يعرف حدود قدراته وطاقاته وإمكاناته: فلا يغالي فيها، أو يحط من شأنها. وتتوازن طموحاته مع قدراته وإمكاناته وطاقاته، فلا تهبط إلى القاع، ولا تطير مع الأحلام.

٣- يتقبل النقد من الآخرين ولا يضيق بهم، ويسعى دوما للاستفادة من النقد البناء لتطوير ذاته باستمرار.

٤- يتجنب التسويف ولا يهرب من المسؤولية: فهو يقوم بواجباته ويتحمل مسؤولية قراراته وأفعاله، يجتهد في عمله، ويثابر عليه، ويتقنه لتحقيق الإنجاز الذي يرضيه.

٥- مستقر نفسيا وناجح في علاقته مع الآخرين: فهو مطمئن النفس،



يتصرف باتزان ويتجنب الغضب والتعصب، يتفاهم مع الآخرين من حوله، ويقدر ظروفهم وينصح لهم ويحب لهم ما يحب لنفسه.

٦- يتحمل نتائج أفعاله واختياراته بشجاعة: فيفخر بما ينجزه، ويشكر ربه على توفيقه، ولا يغتر بعمله، وكذلك لا يصاب باليأس إذا واجهته حالات الفشل، وإنما يستأنف الكفاح لتحقيق النجاح.

والثقة بالنفس ليست فطرية، وإنما يكتسبها الإنسان أثناء حياته من خلال عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة عبر مراحل العمر المختلفة، وإن كان لمرحلة الطفولة تأثير خاص على هذه العملية، فالتنشئة الاجتماعية السليمة هي التي تغرس في نفوس أبنائها الثقة بالنفس والاعتداد بالذات وتقديرها، بينما تؤدي التنشئة غير السليمة إلى فقدان الطفل لثقته بنفسه وبالآخرين، فينشأ سلبيا اتكاليا، لا يستطيع الاعتماد على نفسه، ولا يستطيع أحد الاعتماد عليه. وكما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا

على ما كان عوده أبوه

فإذا تم بناء قاعدة سليمة وصحية لتقدير الذات واحترام قدراتها ومواهبها وإمكاناتها خلال مرحلة الطفولة، تصبح للفرد قدرة أكبر بعد ذلك على الحفاظ على ثقته بنفسه. ولكن إذا امتلأت سنوات الطفولة بالكثير من النقد والقسوة وعدم التشجيع، فمن المؤكد أن يقل تقدير المرء لنفسه ويصبح شديد الحساسية لردود الأفعال السلبية من الآخرين، وتقل ثقته بنفسه وقدراته.

ولكن هذا لا يعني أن يقف الفرد مستسلما لهذه الحالة، على اعتبار أنها مفروضة عليه وجزء من تركيبة شخصيته التي تكونت منذ طفولته، وإنما يمكنه -إذا أراد- أن يغير من طريقة فهمه وتعامله السلبي مع نفسه، إلى طريقة أخرى أكثر إيجابية، تمكنه من تحسين تقديره واحترامه لذاته وتقوي ثقته بنفسه.

ومن أهم الوسائل والطرق التي تساعد الفرد على زيادة تقديره لذاته، وثقته بنفسه، ما يلي:

أولا - تقوية الثقة بالله عز وجل

فالثقة بالله هي المنبع الأصيل للثقة بالنفس، فمنه -عز وجل- يستمد المرء القوة والعون والسند، فلا يخشى سواه ولا يرجو غيره. والمؤمن الواثق بربه شعاره دوما: ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (التوبة:١٢٩)، ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (هود:٥٦). وهو واثق من نفسه في كل أعماله؛ لأنه متوكل على خالقه، واثق من توفيقه ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

ثانيا - إعادة برمجة الذات

معرفة النفس هي أول الطريق لتغييرها وإصلاحها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الرعد:١١). فالإنسان يجب أن يعرف سلبياته وإيجابياته بحجمها الحقيقي، وأن يعترف بالسلبيات ويتقبلها ويسعى إلى علاجها.

ويجب عليه أن يواجه مخاوفه ويتغلب عليها، وأن يكون متزنا في توقعاته وطموحاته، ويتجنب الخضوع أو الذوبان في الآخرين والانقياد إليهم في كل شيء، فإن ذلك دليل على ضعف الشخصية وفقدان الثقة بالنفس وعدم التمييز، وهو أمر مهلك ومدمر أن يصير الإنسان ذيلا لغيره يتبعه في حقه وباطله، وهذا ما عابه الله تعالى على المشركين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ (البقرة:١٧٠).

ثالثا - تحسين صورته عن نفسه ومعاملتها باحترام

فإذا كان مفهوم الإنسان عن نفسه أنه شخص جدير باحترام الناس وحبهم

وتقديرهم، وأنه ناجح وكفء، كان سلوكه في العادة متفقا مع هذا المفهوم. أما إذا كان مفهومه عن نفسه أنه غير جدير بحب الناس وتقديرهم، وأنه شخص فاشل غير كفء، كان سلوكه أيضا متفقا مع ذلك، فيفقد ثقته بنفسه، ويشعر بعدم القدرة على جذب اهتمام الناس وتقديرهم، كما يتردد في القيام بأي عمل مهم؛ خوفا من الاخفاق والفشل. فيجب عليه أن يصنع لنفسه صورة إيجابية عن ذاته، وأن يعمل على تأصيلها وتعميقها بداخله، حتى تكون نبراسا له في سلوكه، وقائدا له نحو المعالي.

رابعا - اكتشاف القوى الكامنة

ففي داخل كل منا قوى خفية وطاقات هائلة لا يعلم سرها إلا الخالق سبحانه وتعالى، وتؤكد الدراسات أن أكثر أهل الأرض ذكاء لم يستغل أكثر من أربعين في المئة فقط من قواه العقلية، ولو استطاع الإنسان استخراج بعض قواه الداخلية لتغير الكون من حوله ولرأينا منه العجائب. والعقل الباطن يقوم على أن الإنسان لديه قوة كامنة فيه منذ ولادته وحتى آخر يوم في حياته تتحكم بشكل كبير في تصرفاته، وبإمكان الإنسان أن يبرمج هذا العقل بشكل إيجابي أو سلبي.

والإيحاءات الإيجابية التي يبثها الفرد في نفسه تعتبر وسيلة فعالة لتقوية ثقته بنفسه وتغيير شخصيته إلى الأفضل، ومن خلالها يستطيع غرس المعاني الفاضلة والأخلاق النبيلة في نفسه، ويجب عليه أن يتأكد من أنه يرسل إلى عقله الباطن باستمرار بإيحاءات إيجابية تعزز قدراته وصفاته الجيدة وتضعف صفاته التي لا يحبها.

خامسا - التغلب على النقائص

الشعور بالنقص والعجز والخوف من الفشل من ألد أعداء الثقة بالنفس، فكم من أشخاص كانت نقائصهم دافعا قويا لتحقيق ذواتهم والنجاح في حياتهم، كما أن الشخص الواثق من نفسه يعلم أن الفشل هو بداية الطريق إلى النجاح، وأن الإنسان الوحيد الذي لا يفشل أبدا هو الإنسان الذي لا يفعل شيئا أبدا.

فعلى الفرد أن يحول نقائصه وفشله إلى طاقة يبدأ بها من جديد لتحقيق النجاح، وأن يتعلم من أخطائه ويستمد منها زادا وخبرة لمواجهة ما يقابله في حياته من صعاب. فالثقة بالنفس تعتمد على قوة الإرادة والصبر وتحمل الشدائد والصعاب، وهذه من صفات المؤمنين الصالحين، الواثقين بما عند الله تعالى من خير وأجر. وسر النجاح هو أن يتعلم كيف يتحكم في حياته، فليس المهم أن يستثمر الفرد مكاسبه، لكن المهم حقا أن يحيل خسائره إلى مكاسب.

سادسا - المثابرة وعلو الهمة

هناك ارتباط وثيق بين الثقة بالنفس والهمة العالية، وما أجمل قول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

لذلك على الفرد أن يطلب النجاح بإلحاح، وأن يحاول أن يصبح خبيرا في شيء ما، سواء عن طريق الدراسة المتخصصة المتعمقة، أو عن طريق القراءة والاطلاع والتثقيف الذاتي، وعند ذلك سيأتي الناس إليه ليستفيدوا من علمه وخبرته، ويستنيروا برأيه وذكائه. وكما قال الإمام علي رضي الله عنه:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمو
على الهدى لمن أستهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

سابعا - حسن التخطيط

فمن العوامل المهمة التي تساعد على تدعيم الثقة بالنفس، معرفة الأهداف المستقبلية وتحديدها بأولوياتها الشخصية والاجتماعية والوظيفية، ووضع الخطط التنفيذية للوصول إلى الأهداف في الوقت المناسب والطريقة المناسبة. ويتطلب ذلك التحلي بالحكمة في التعامل مع الوقت، وحسن إدارته، واستثماره، وتجنب تضييعه وهدره. وقد دلت كل التجارب البشرية للمفكرين والعباقرة والعلماء على أن تنظيم الوقت وحسن استخدامه مع التخطيط الجيد للأهداف والأولويات، كانت هي الركيزة الأساسية لما حققوه من إنجازات ونتائج باهرة، فحسن استغلال الوقت وتنظيمه وتخطيطه، يضمن للفرد إنجازات متتالية مطردة بشكل يومي أو شهري أو سنوي، ينتهي به إلى تحقيق كل ما يصبو إليه من آمال وطموحات، ويقوي ثقته بإمكاناته وتقديره لذاته.

المراجع:

١- إبراهيم الفقي، حياة بلا توتر، إبداع للإعلام والنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٢- أرنولد كارول، قوة الثقة بالنفس، ترجمة: إيهاب كمال، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٣- ألكسيس كارليل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: عادل شفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
٤- جمال ماضي أبو العزايم، القرآن والصحة النفسية، د.ن، القاهرة، ١٩٩٤م.
٥- سيد صبحي، الإنسان وصحته النفسية، الدار المصرية اللبنانية، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٦- محمد عبدالله الصغير، مادة صوتية بعنوان: الثقة بالنفس سبيل النجاح.

حوار: علاء عبد الفتاح



ترأس المجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية بالبرازيل

خالد تقي الدين لـ «الوعي الإسلامي»: طالبت بوثيقة لاحترام الأديان

هو الشيخ خالد تقي الدين أحد أشهر الدعاة في أميركا اللاتينية ورئيس المجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل.. ولد بمدينة بلطيم بجمهورية مصر العربية، حصل على الإجازة العالية من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٨٦م، وتتلمذ على يد ثلة من كبار العلماء، منهم الشيخ أبوبكر الجزائري، والشيخ محمود عبدالوهاب فايد.. بعد تخرجه توجه إلى أميركا اللاتينية ليساهم في تأسيس العمل الدعوي في هذه القارة الشاسعة الأطراف، أسس -بفضل الله- مراكز إسلامية بدولة الباراجواي، كما أسس أول قناة عربية في منطقة الحدود الثلاثية (البرازيل - الباراجواي - الأرجنتين)، وأول موقع على شبكة الإنترنت باللغة البرتغالية ١٩٩٨م، وعلى مدار ٢٥ عاما قام الشيخ تقي الدين بإمامة وإدارة الكثير من المساجد في أميركا اللاتينية، كما تولى إدارة الشؤون الإسلامية باتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل لمدة ثمانية أعوام، فاستطاع خلالها تأسيس عمل احترافي للدعوة إلى الإسلام في بلاد عانت من غياب ضوء الدعاة طويلا.

«الوعي الإسلامي» حاورت الشيخ خالد تقي الدين وسألته عما دفعه لاختيار البرازيل كبلد ينطلق فيها كداعية؟ فقال: حينما تخرجت من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٨٦م، كان هناك مشروع من الشيخ سليمان الراجحي لإرسال دعاة لأميركا اللاتينية لتفعيل الدعوة الإسلامية والمحافظة على هوية المسلمين هناك، ووقع اختياري لدولة الباراجواي ووفقني الله هناك لتأسيس مركز إسلامي في العاصمة أسنسيون وآخر في مدينة الشرق على الحدود مع البرازيل، ثم انتقلت بعد ١١ عاما لدولة البرازيل، فلم يكن هناك اختيار للدولة بقدر ما كان حبا للدعوة إلى الله في أي بلد من العالم.. هذا الحب الذي دفعني للسفر إلى تلك البلاد البعيدة.

- كمدير للشؤون الإسلامية باتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل نود لو تحدثنا عن تلك المؤسسات وعلاقتها بتطور الحركة الإسلامية هناك؟

اتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل مؤسسة عريقة أسست عام ١٩٧٩م على يد الحاج حسين محمد الزغبي وبعض المؤسسات الإسلامية، ولها برامج دعوية متميزة، حيث تبنت مشروع «اعرف الإسلام» الذي تقدمت به عام ٢٠٠٩م حين توليت إدارة الشؤون الإسلامية بالاتحاد، وقد استطاع المشروع توزيع ٤ ملايين كتاب داخل البرازيل وبعض دول أميركا اللاتينية للتعريف بسماحة الإسلام ودوره في الحضارة الإنسانية، وكذلك يقدم الاتحاد مساعدات للجمعيات والمراكز الإسلامية، ويقيم دورة لوزارة الخارجية البرازيلية لتعريف المسؤولين بالثقافة الإسلامية وطلاب كلية العلوم السياسية، ويقدم الاتحاد المساعدات التضامنية للأحياء الفقيرة.

١٠٠ مسجد ومصلى و٥٠ داعية وشيخا ينظمون برامج دعوية متميزة للمهتدين الجدد

وتوجد مؤسسات أخرى تؤدي دورا نشطا للحفاظ على هوية الجالية المسلمة مثل مسجد البرازيل الكبير أقدم المساجد بأميركا اللاتينية ويقوم على إدارة شؤون المقبرة الإسلامية الوحيدة وكذلك المدرسة الإسلامية البرازيلية، ومسجد الرحمة بمنطقة سانت أمارو، والاتحاد الوطني الإسلامي وهو يهتم بالقضايا القانونية والإعلامية التي تخص الجالية، ومكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي وتهتم بعقد اللقاءات للشباب المسلم، ومركز الدعوة الإسلامية بأميركا اللاتينية ويهتم بعقد مؤتمر سنوي.

والمجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل وهي المؤسسة البرازيلية التي تضم علماء أهل السنة والجماعة، ومرجعية المسلمين الدينية والشرعية في البرازيل، حيث يقوم باستطلاع الأهلة والعناية بتدقيق ما ينشر حول الإسلام، وبه لجنة للفتوى فيما يخص أمور الجالية في البرازيل، ويبتعد المجلس عن التحزب والخوض في المسائل السياسية، ويعمل على مساعدة المشايخ وتذليل العقبات التي يتعرضون لها والدفاع عن حقوقهم، ووضع الخطط والبرامج الدعوية بما يتناسب مع وسطية الإسلام، وإنشاء صندوق للزكاة.

- في عجالة تعريفية كيف يمكن تلخيص تاريخ الإسلام في البرازيل؟

من المؤرخين من يقول إن البحارة المسلمين اكتشفوا شواطئ البرازيل وأميركا قبل «كولومبوس»، وبعضهم يذكر أن كولومبوس كان معه بعض البحارة من الموريسكيين المسلمين.

غير أن العبيد الأفارقة الذين تم استجلابهم لاستصلاح أرض البرازيل، كان أغلبهم مسلمين أصحاب ثقافة وعلم وحضارة، واستطاعوا المحافظة على دينهم من خلال عمل منظم داخل أكواخهم لتعليم القرآن، بل قاموا بنشر الإسلام وسط بعض العبيد الأفارقة الوثنيين، وحاولوا القيام بأكثر من ثورة للتحرر ونيل حقوقهم كاملة، كان آخرها ثورة العبيد ١٨٣٥م، والتي تم القضاء عليها دون رحمة، وفقدنا ذلك الجيل، وتبع ذلك مرحلة الهجرة الحديثة والتي بدأت عام ١٨٦٧م، وظلت تتزايد وخصوصا بعد النكسات والنكبات والحروب التي كانت شهدتها بلاد المسلمين.

غالبية المهاجرين كانوا من لبنان ثم فلسطين فسوريا وبقية البلدان الإسلامية الأخرى، وتتراوح التقديرات لأعداد المسلمين بحوالي مليون ونصف، يتمركزون في ولاية ساو باولو، ثم ولاية بارانا، ثم بقية الولايات: ريو جراندي دو سول – باهيا – ريو دي جانيرو.

- هل يمكن القول إن الإسلاموفوبيا نال من الجالية الإسلامية في البرازيل خاصة بعد أحداث باريس الأخيرة؟

بلاشك تأثرت البرازيل، لكن بشكل بسيط وإن كان الخوف من الإسلام يتنامى بشكل تصاعدي، من خلال بعض الممارسات العدوانية التي أقدم عليها بعض الأشخاص ضد بعض الأخوات المسلمات أو الرسوم العدوانية على بعض المساجد، وتنامي حدة العداء من الكنيسة الإنجيلية من خلال خطابها المحذر من التواجد الإسلامي وسعي بعض نواب البرلمان المتأثرين بالكنيسة

لإصدار قانون مكافحة الإرهاب والذي تحول لاستعراض التخوف من الإسلام عن طريق عرض بعض المقتطفات الإعلامية الكاذبة أو التي لا تمثل دين الإسلام العظيم مما ترتكبه جماعات التكفير وداعش وغيرها من المجموعات الإرهابية.
ولذلك تقدم المجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل بمشروع لرئاسة الجمهورية البرازيلية، لعقد لقاء للأديان المختلفة والتوقيع على وثيقة للتعايش السلمي وحفظ الحقوق واحترام الأديان، ويكون اللقاء تحت رعاية رئاسة الجمهورية البرازيلية، كما وضح المجلس إدانته لكل الممارسات الإرهابية التي تدعو لقتل وترويع الآمنين من خلال بيانه وأدبياته ومتحدثيه الرسميين

- ماذا عن حرية ممارسة العقيدة الإسلامية في البرازيل؟

تعد البرازيل نموذجا حقيقيا للتعايش السلمي والاحترام المتبادل بين الأديان المختلفة، ويمكن رصد هذه الحقيقة من خلال التعامل الطيب للحكومة البرازيلية مع الأقلية المسلمة داخل البرازيل حيث سنجد المعطيات التالية:
يكفل الدستور البرازيلي حرية ممارسة الشعائر الإسلامية، والدعوة إليها، ونشرها بكل الطرق السلمية، وتساعد الحكومة الفيدرالية، وحكومات الولايات وكذلك البلديات في فتح الآفاق وإعطاء المساحات المناسبة لممارسة هذا الدور.
فتساعد الحكومة البرازيلية والبلديات المؤسسات الإسلامية التي تريد بناء مساجد أو مدارس أو مراكز ثقافية بمنحها أراض مجانية لإقامة مشاريعها عليها، وتسهيل حصولها على التراخيص اللازمة، وإعفائها أحيانا من الضرائب السنوية، وقد صدر قرار جمهوري باعتبار يوم

الدعوة الإسلامية في البرازيل تتقدم ببطء شديد نتيجة قلة الدعاة وضعف الإمكانات المادية

٢٥ مارس من كل عام يوما لتكريم الجالية العربية، كما صدر قرار من برلمان ولاية «ساو باولو» باعتبار يوم ١٢ مايو من كل عام يوما لتكريم الدين الإسلامي، وتم نفس القرار في برلمان مدينة «فوز دو إيجواسو» بولاية بارانا.
من جهة أخرى صدر قرار من برلمان ولاية «ساو باولو» باعتبار يوم ٢٩ نوفمبر من كل عام يوما للتضامن مع الشعب الفلسطيني وحقه المغتصب، أيضا صدر قرار من قبل السلطات الفيدرالية يقضي باستطاعة المرأة المسلمة البرازيلية أو المقيمة في البرازيل استخراج أوراقها الرسمية أو جواز سفرها بصورتها وهي ترتدي الحجاب، وفقا للدستور البرازيلي.

- دائما يقال إن الأجيال الجديدة من المقيمين المسلمين في الغرب تنسلخ عن قيمها الاسلامية شيئا فشيئا.. فهل ترى ذلك حيث تقيم وما السبيل إلى معالجة مثل هذا الأمر إن حدث.

يحدث هذا الانسلاخ حينما تضعف الدعوة الإسلامية مع عدم وجود المحاضن التربوية وقلة الدعاة والعلماء، وهناك نسبة من أبناء الجالية ابتعدت وانسلخت عن دينها وبعضهم تحول إلى النصرانية، والحمد لله شهدنا في السنوات الأخيرة عودة لتلك الأجيال إلى دينها وبعضهم يتولى رئاسة بعض المراكز الإسلامية، والدعوة تحتاج إلى صبر شديد مع تلك الأجيال الجديدة، لأن ثقافتهم مختلفة عن ثقافة الآباء والأجداد الذين أسسوا المساجد والمدارس للمحافظة على الأجيال الجديدة.

- ما هي المعوقات التي تواجه المسلم المهتدي حديثا في البرازيل؟

تعاني نسبة من هؤلاء المسلمين نوعا من التهميش وعدم الاهتمام، والتمييز العنصري في المعاملة من بعض المؤسسات الموجودة على الساحة البرازيلية، وكذلك هنالك صعوبة اندماجهم في المجتمع المسلم، وفي الوقت نفسه صعوبة حياتهم مع الأسرة غير المسلمة بعد اعتناقهم الإسلام. ويحتاج المسلم الجديد لمؤسسات متخصصة للعناية بأموره، وهذا غير متوفر حتى الآن، كما أنه بحاجة لرعاية علمية وتربوية تحميه من التطرف والانحراف الفكري الذي يحدث عن طريق تواصله مع فضاء الإنترنت وترجمته لكل ما يقع تحت يديه حيث يكون فرصة لانحرافه عقديا وفكريا.

- هل يمكن أن نقول إن الدعوة في البرازيل ناجحة وعدد المهتدين في ازدياد؟ وهل ثمة إحصاءات لديكم بهذا الشأن؟

الدعوة الإسلامية في البرازيل تتقدم ببطء شديد لكثير من العوامل السلبية التي أثرت عليها، ولكننا نستطيع التفاؤل بالخير، حيث توجد نهضة دعوية في جميع الولايات البرازيلية، ويوجد في البرازيل مئة مسجد ومصلى، وخمسون داعية وشيخا وهو عدد قليل إذا ما قورن بأعداد المسلمين وانتشارهم داخل البرازيل، كذلك تنشط الجالية في إنشاء المدارس لعلمها بأهمية هذه المحاضن التربوية، وبدأت بعض المؤسسات الإسلامية تسير نحو المهنية والاحتراف وهذا يبشر بالخير، وعدد من يعتنقون الإسلام في تزايد مستمر، ولا يوجد إحصاء دقيق بأعدادهم.

محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي

إنسانية الثقافة الإسلامية

قبل الولوج في الحديث عن «إنسانية الثقافة الإسلامية» نريد أن نضع أيدينا على ما تعنيه كلمة: «الثقافة» في اللغة والاصطلاح؛ حتى تكون المصطلحات واضحة في أذهاننا عند الحديث في هذا الموضوع.

الثقافة لغة

فقد جاء في «لسان العرب»: ثَقِفَ الشيء: حذقه، ورجل ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذق فَهِمٌ.

وقال ابن السكيت: رجل ثَقْفٌ لَقْفٌ: إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به.

ويقال: ثَقِفَ الشيء، وهو سرعة التعلم.

وقال ابن دريد: ثَقِفْتُ الشيء: حَذَقْتُهُ، وثقفته: إذا ظفرت به.

وثَقُفَ الرجل ثقافة، أي: صار حاذقا خفيفا (١).

وعرفها المعجم الوسيط بقوله: «الثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها» (٢).

الثقافة اصطلاحا

أما في الاصطلاح فإننا نجد أن «كلاكهوهن» و«كروبر» قد أحصيا في كتاب لهما صدر عام ١٩٥٢م ثلاثمائة تعريف للمصطلح.

وتضخم عدد التعريفات يشي بعدم حسم ذوي الاختصاص لطبيعة «ظاهرة الثقافة» ومكوناتها وللعلاقات بين هذه المكونات (٣).

ولكننا نقف على بعض التعريفات لعلها تبين لنا جانبا من بعض الرؤى لهذه الكلمة.

فقد رأى العالم الألماني فيبر أن الثقافة هي مظاهر الحياة الروحية والأخلاقية التي تسود المجتمع (٤).

بينما يرى السير إدوارد بيرنت تايلور في كتاب صدر عام ١٨٧١م بعنوان: «الثقافة البدائية» أن الثقافة هي ذلك الكل الديناميكي المعقد الذي يشتمل على المعارف والفنون والمعتقدات والقوانين والأخلاق والتقاليد والفلسفة والأديان والعادات التي اكتسبها الإنسان من مجتمعه بوصفه عضوا فيه (٥).

أما المعجم الفلسفي فقد رأى أنها «كل ما فيه استثارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع.

وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه. ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية.

ولكل جيل ثقافته التي استمدها من



الماضي، وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية» (٦).

ثقافة العرب قبل الإسلام

العرب قبل الإسلام لم تكن عندهم من العقائد السماوية مثلما كان عند غيرهم؛ بل هي بقايا من الحنيفية في نفر قليل تمسكوا بها، أما باقي القبائل فعلى الشرك والوثنية، عدا بعض القبائل التي كانت على النصرانية.

وكان العرب أمة أمية؛ فالقراءة والكتابة فيها نادران، وعدم وجود دين سماوي بينهم منزل في كتاب زاد في بعدهم عن القراءة والتأليف والكتابة.

فالكتب السماوية تحتاج لمن يقرأها ويقوم على شرحها وتفسير نصوصها، وهذا كان موجودا في العراق والشام ومصر.

ولم يكن في العرب فلاسفة مثلما كان في الهند والصين واليونان، بل هم حكماء قليلون يعبرون عن رؤيتهم للحياة في قالب حكمي أدبي.

وطبيعة جزيرة العرب منعت غيرهم من الاختلاط بهم.

وكان العرب هم الذين يخرجون من بلادهم لبلاد غيرهم، فكان اختلاط العرب بغيرهم عن طريق التجارة في رحلتي الشتاء والصيف، ولكن الغرض الأكبر والرئيس كان للتجارة والاستثمار، فقل نقل العلم والثقافة التي كانت عليها بقية المناطق والدول المجاورة والمحيطة.

وكانت عنصرية العرب واضحة، فسموا أنفسهم عربا من الإعراب وهو الإفصاح والإبانة، أما غيرهم فهم عجم، وهم الذين لا يفصحون ولا يبينون كلامهم (٧).

جاء الإسلام فأحدث انقلابا هائلا في أفكار العرب ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وجميع مناحي حياتهم.

فالرسالة الأولى في القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ (العلق:١).

والهدف الأخلاقي من رسالة الإسلام واضح لا التباس فيه، قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٨).

بل كان الأمر بالكتابة يدخل في أدق المعاملات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ (البقرة:٢٨٢).

وكان الانفتاح على الآخر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات:١٣).

فأدلى الجميع بدلوهم، وانصهرت الثقافات في بوتقة الإسلام، فكان العربي والفارسي والبربري وغيرهم، الكل يساهم، والكل يبذل، والكل يبني مجد الإسلام وصرحه العظيم.

«لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة، والإيمان العميق والصلة الروحية القوية، وكان أوسع عالم عرفه التاريخ، وكانت الشعوب التي تكون هذا العالم أقوى أسرة عرفها التاريخ، تنصهر فيها الثقافات المختلفة، والعبقريات المختلفة، فتكون منها ثقافة واحدة هي الثقافة الإسلامية، التي لم تزل تظهر في نوابغ الإسلام الذين لا يحصيهم عدد» (٩).

هذه الثقافات الممتدة من الصين وإندونيسيا شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، بكل الأعراق والأجناس أظهرت ثقافة إسلامية قد تختلف في بعض تفصيلاتها وتفريعاتها، لكن الإطار الجامع لها واحد، والمشرقي يقرأ للمغربي، ولا يشعر بهذا التباعد الجغرافي والاختلاف العرقي.

فقد «تنوعت الثقافة الإسلامية تنوعا عظيما؛ إذ هي في الأندلس تختلف -مثلا- عنها في الهند. وهي في الغابات أو المراعي أو السواحل الإفريقية تختلف عنها في الشام أو في العراق.

ولكننا نجد من وراء ذلك التنوع الطابع الإسلامي المشترك الذي أشرنا إليه، وكان بناء الثقافة الإسلامية على هذا النحو من أعجب فصول التاريخ الإنساني وأعظمها؛ فهي ثقافة واسعة سمحة، مكنت الشعوب التي عملت بها من أن تجاري مزاجها الخاص أو عبقريتها القومية مع اعتناقها الإسلامي.

وقبلتها شعوب على درجات متفاوتة من الحضارة، أو كانت تنتسب لسلالات بشرية مختلفة، أو لأصول تاريخية متباعدة، فقبلها الحضري والبدوي، وقبلها السامي والحامي والآري، ونعم بها ذو العقل البدائي، كما نعم بها ذو العقل الراقي، وهكذا» (١٠).

ونتيجة لهذا التنوع الثري المتميز ظهرت الثقافة الإسلامية كأنها «بحر متلاطم الأمواج، واسع الأبعاد، يقف الإنسان بشاطئه فيجد أمامه من جهود الفكر البشري في فهم الوحي الإلهي وخدمته، وفي فهم اللغة العربية وتوسيع دائرتها، يجد من

ذلك العجب العجاب، وكما أن بحار العالم ومحيطاته كثيرة فإن الثقافة الإسلامية بحار شتى ومحيطات شتى» (١١).

الثقافة الإسلامية حلقة

لم تكن الثقافة الإسلامية عنصرية أو منغلقة على نفسها، بل كانت ثقافة عالمية، استفادت مما سبقها من ثقافات وهضمتها وصاغتها بما يتوافق مع رؤيتها وعقيدتها، وكانت النهضة الإسلامية العظيمة.

هذه النهضة التي أشعت بأنوارها على العالم كله، و«لقد رأينا كيف أن الإسلام أمد أوروبا الجنوبية الغربية بالعلم والثقافة، وكيف أن ترجمة القرآن إلى اللاتينية، ودراسة اللغة العربية مكنتا دول أوروبا الغربية من الوصول إلى المعرفة الدقيقة بالدين الإسلامي، ولكن المسيحيين قد أخذوا عن المسلمين أمورا كثيرة أخرى..

فقد كانت الثقافة الإسلامية والعربية الغذاء الأول للعلماء المسيحيين في القرون الوسطى..

ولم يمض حين قليل على حركة الترجمة حتى ظهر علماء وأساتذة مسلمون تمثلوا الثقافة الإغريقية وجعلوها جزءا لا ينفصل من ثقافة المسلمين وحضارتهم، وقد نقل كل ذلك فيما بعد إلى الغرب.

ومما يعنينا في هذا الصدد عناية خاصة أن نذكر أن المسلمين قد هضموا العلم والفلسفة الهيلينية، ثم حوروا فيهما ليلائموا بين معرفتهم الجديدة وبين روح العقيدة القرآنية» (١٢).

هذا الإشعاع الحضاري والثقافي الإسلامي جعلهم المركز العالمي الثقافي، والقبلة التي يسعى إليها من يريد النهضة، فتقول «الروايات التاريخية: إن رجال الدين المسيحي أنفسهم كانوا يتعاطون الثقافة الإسلامية في المدارس، أو فيما ينقل منها إلى اللغات الأوروبية، وأنهم كانوا يترقون في مناصب الأكليروس بقدر ما يحصلون عليه من تلك الثقافة» (١٣).

هذه الثقافة التي ساهم فيها ابن سينا والرازي وابن خلدون وابن رشد وجارودي ومحمد أسد ومريم جميلة وعلي عزت بيجوفيتش، وغيرهم على اختلاف الأزمان والأماكن.

ثقافة متسعة باتساع الزمان والمكان، تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وتقبل الإضافة وتهضمها، فهي ثقافة إنسانية بامتياز، وليست عرقية ولا إقليمية، وليست ثقافة عفا عليها الزمن.

الهوامش

١- ابن منظور: لسان العرب، مادة «ثقف» باختصار وتصرف.
٢- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (٢٠٣/١).
٣- موقع جامعة أم القرى.
٤- موقع موسوعة مقاتل الصحراء.
٥- السابق.
٦- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص(٥٨).
٧- انظر: الصحاح في اللغة، مادة «عجم وعرب».
٨- أخرجه أحمد في «مسند أبي هريرة رضي الله عنه»، ح (٨٩٣٩)، وقد صحح إسناده شعيب الأرناؤوط.
٩- أبوالحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص (٢٥٥).
١٠- محمد الغزالي: الخديعة حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص (١٢٦).
١١- خطب الشيخ محمد الغزالي، (٢/ ١١٨).
١٢- د. عماد الدين خليل: قالوا عن الإسلام، ص (٣٨٧).
١٣- محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، (٣٠/٢).



د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية



الثقافة الإسلامية في الكويت

اعتنت دولة الكويت منذ نشأتها بالثقافة الإسلامية باعتبارها الرافد الرئيس لتشكيل المجتمع الكويتي، وباعتبار دولة الكويت ذات أغلبية مسلمة، وباعتبار أن أمراء دولة الكويت عرف عنهم احترام الإسلام وتقدير العلماء، بل كان منهم من انتمى إلى طلب العلم، وقد ظهرت أمارات هذا في مناحي الدولة ومؤسساتها، وعناية الدولة بالثقافة الإسلامية.

ولقد كانت عناية أهل الكويت بالثقافة الإسلامية قديما، حيث اشتهر عن عدد من أهل الكويت عنايتهم بالعلم منذ قرون التاريخ، ويظهر ذلك جليا في الحرص على حضور دروس العلم منذ القدم، خاصة دروس الحديث، والعناية بالأسانيد، والعناية بطباعة الكتب الإسلامية والعربية، وتحقيق المخطوطات، ونسخها، حيث حفظ عن عدد من علماء وطلاب العلم بالكويت نسخهم لعدد من المخطوطات العلمية.

ومما يدل على ذلك ما قاله المؤرخ عبدالرحيم السويدي: «وقرأت



فيها الحديث في ستة جوامع، نقرأ في الجامع يومين أو ثلاثة، فيضيق من كثرة المستمعين، فيلتمسون مني الانتقال إلى أكبر منه، وهكذا استقر الدرس في جامع ابن بحر».

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عن زيارته للكويت سنة: ١٣٣٠هـ = ١٩٥٠م: «وأقمت في الكويت أسبوعا، كنت كل يوم -ما عدا البريد- ألقي فيه خطابا وعظيا في أكبر مساجد البلد، فيكتظ الجامع بالناس، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم، يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم».

مظاهر الثقافة الإسلامية بالكويت

ومن أهم مظاهر عناية دولة الكويت بالثقافة الإسلامية ما يلي:

أولا- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية:

تعد وزارة الأوقاف أحد أهم روافد تشكيل الثقافة الإسلامية في دولة الكويت، بما عرف عنها من تميز في خدمة الثقافة الإسلامية، مما يشهد له كل من زار الكويت وتعامل مع وزارة الأوقاف، فهي تعد من أبرز وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي، وقد تمثل ذلك في نشاط قطاع المساجد من دعوة العلماء من خلال الدورات العلمية لتدريس كتب التراث ومعالجة الواقع، ومن خلال دعوة الدعاة من أنحاء العالم، فترى كل إدارة من إدارات قطاع المساجد شعلة نشاط في الثقافة الإسلامية، ومن خلال إدارة الثقافة الإسلامية التي تعنى بالدورات والمحاضرات ونشر كتب العلم، وقد توجت بسلسلة «روافد» التي بلغت ما يزيد عن مائة كتاب، بخلاف الرسائل التربوية.

ثم تجد قطاع الدراسات الإسلامية وشؤون القرآن من خلال دور القرآن والمعاهد الشرعية والقرآنية ومعاهد القراءات والأترجة، حيث تجد عناية فائقة بالقرآن الكريم وعلومه والعلوم الشرعية، مما شكل عاملا مهما من عوامل الثقافة الإسلامية في الكويت.

ثم قطاع الإفتاء والبحوث الإسلامية، والذي أنتج درة الثقافة الإسلامية المعاصرة «الموسوعة الفقهية الكويتية» التي تعد أضخم عمل علمي معاصر في الفقه والثقافة الإسلامية، بجوار هيئة الإفتاء التي تعد ركيزة أساسية لبيان حكم الله تعالى للمجتمع الكويتي بشقيها: لجنة الأحوال العامة، ولجنة الأحوال الشخصية، مع إدارة المخطوطات والمكتبات، والتي تغذي المجتمع الكويتي بالكتب الإسلامية التي تساعد على تشكيل الوعي الثقافي الإسلامي فيه.

حتى القطاعات الأخرى التي يبدو أنها لا تهتم بالثقافة نجد لها نشاطا كبيرا، كقطاع التخطيط الذي يقوم على إخراج موسوعة العالم الإسلامي، وقطاع العلاقات الخارجية الذي يهتم بالمبتعثين والجاليات والحوار مع الآخر، والمسجد الكبير الذي يقوم بنشاط كبير في إرساء قواعد الثقافة الإسلامية، والمركز الثقافي الإسلامي وغير ذلك من الإدارات في الوزارة التي تقوم على رعاية الثقافة الإسلامية حتى أصبحت الثقافة الإسلامية جزءا لا يتجزأ من طبيعة المجتمع الكويتي.

جامعة الكويت

وتعد جامعة الكويت عامة وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية على

وجه الخصوص، وكذلك كلية التربية وكلية الآداب وغيرها من الكليات تعد رافدا هاما من روافد تشكيل الثقافة الإسلامية في الكويت، وإذا نظرت إلى طبيعة التعليم في جامعة الكويت رأيت أن طلاب جامعة الكويت بكل كلياتها يدرسون الثقافة الإسلامية في مقررات ليست بالقليلة، يضاف إلى هذا التعليم التطبيقي وكلية التربية الأساسية التي تدرس الثقافة الإسلامية واللغة العربية لتساهم بشكل رئيس في تشكيل الثقافة الإسلامية في المجتمع الكويتي.

اللجنة العليا لاستكمال تطبيق الشريعة

وتعد اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة والتي أنشئت في عهد الراحل سمو الأمير الجابر الصباح -رحمه الله تعالى- نقلة نوعية في تشكيل الثقافة الإسلامية في المجتمع الكويتي بشكل متميز عن الوعظ والإرشاد في وزارة الأوقاف، وعن التدريس في جامعة الكويت والتعليم التطبيقي لتدخل الثقافة الإسلامية في المجتمع الكويتي بصورة أكثر تأثيرا من خلال قوانين دولة الكويت، وهي في حقيقتها تعد أهم عوامل تشكيل الثقافة من خلال اعتبار الثقافة الإسلامية موجها للقانون الكويتي، وقد قامت اللجنة بتصحيح بعض القوانين التي فيها بعض المخالفات للشريعة الإسلامية، ومازالت تقدم الاقتراحات.

الأمانة العامة للأوقاف

وتعد تجربة الأمانة العامة للأوقاف بالكويت من أنضج التجارب في فقه الوقف وإدارته، وإحياء تلك الفريضة التي غابت عن كثير من الدول الإسلامية، ولقد كان لذلك أثر كبير في نفوس أهل الكويت الذين جبلوا على حب الخير والإحسان، ومن يراجع وثائق الوقف يجده في كل بيت كويتي من بيوتات الكويت قديما وحديثا.

بيت الزكاة

كما كان لبيت الزكاة الكويتي دور هام في تعميق الثقافة الإسلامية من الناحية الاجتماعية، والوقوف مع المحتاجين، بل يعد جانب الإحسان في الكويت جزءا من سياستها الخارجية وملمحا من ملامح المجتمع الكويتي، وقد قدم بيت الزكاة تطورا كبيرا في إدارة مؤسسة الزكاة، وهو نموذج يحتذى به وينتفع منه في البلاد الإسلامية.

إذاعة القرآن الكريم

وتعد الإذاعات في الكويت نموذجا راقيا لتقديم الثقافة الإسلامية من خلال إذاعة القرآن الكريم على وجه الخصوص، وكذلك إذاعة البرنامج العام، والبرنامج الثاني وغيرها من الإذاعات بما تقدمه من برامج يتابعها مئات الآلاف، وكل من يتابع الإذاعات يدرك تماما دورها في تشكيل الثقافة الإسلامية في الكويت، هذا بجوار التلفزيون الكويتي والفضائيات الكويتية العامة والخاصة.

البنوك الإسلامية في الكويت

وتعد البنوك الإسلامية في الكويت تطورا كبيرا للثقافة الإسلامية في مجال الاقتصاد الإسلامي والمال والمؤسسات المالية والاستثمارية، وتعد الكويت من أكثر الدول العربية عناية بالصيرفة الإسلامية، حتى وصل الأمر أن تحولت عدد من البنوك الربوية إلى بنوك إسلامية، ورغم ما قد يؤخذ على بعض المعاملات من ملاحظات، فإن صناعة الصيرفة الإسلامية في الكويت تقدم نموذجا رائعا وحقيقيا في غالبه فيما يتعلق بالتزام البنوك بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، مما يساهم في تشكيل الوعي وبناء ثقافة إسلامية أصيلة تدخل كل البيوت من خلال البنوك والمال.

الفقه الكويتي

ومن العوامل التي أسهمت في تشكيل الثقافة الإسلامية بالكويت عناية الكويت دولة وشعبا بالفقه الإسلامي، وقد تجلت الاستفادة من المذاهب الفقهية في الكويت على المستوى الرسمي والشعبي، أما على المستوى الرسمي فغالب القوانين المأخوذة من الفقه في القانون من المذهب المالكي، وأما على مستوى دراسة المذهب فينتشر المذهب الشافعي والمذهب الحنبلي، وهناك وجود أقل للمذهب الحنفي، بجوار المذهب الجعفري للطائفة الشيعية في البلاد.

ومن يتابع تدين الشعب الكويتي في ممارساته لشعائره وما يتعلق بالحياة الاجتماعية يجد الالتزام بالسنة في شؤون الحياة واضحا.

طلب العلم من خارج الكويت

ومن الأمور المشاهدة التي تشكل عاملا من عوامل تشكيل الثقافة الإسلامية في الكويت كثرة الابتعاث الخارجي، خاصة في الدراسات العليا إلى البلاد خارج الكويت، كالمملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والمملكة الأردنية الهاشمية، ودولة ماليزيا، وفي الجانب الإداري والتجريبي نجد الابتعاث إلى أميركا وأوروبا وماليزيا وغيرها من بلاد العالم.

وغير ذلك من قطاعات الدولة وإداراتها ومؤسساتها.

والحق: إن كل من يزور الكويت أو يعيش بها يجد أن الثقافة الإسلامية هي العامل الأول لتشكيل بنية المجتمع الفكرية، وأن التدين جزء أصيل في مجتمع الكويت، وهذا يرجع إلى التكوين الأصلي للأجداد المؤسسين والمستوطنين للدولة، وإلى حرص حكام الكويت ومؤسسات الدولة أن تكون الثقافة الإسلامية هي أول ما يظهر ويبين عن المجتمع الكويتي من حيث الوعي والتشكيل.

القاهرة – إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

أكد أن الأمة تسربلت طويلا في التخلف بعد أن سادت الأمم قرونا

د. أحمد فؤاد باشا: تراثنا الثقافي كنز حاضرنا ومستقبلنا



أكد الدكتور أحمد فؤاد باشا، صاحب نظرية «العلم الإسلامية»، أن نظريته تنادي بالإسراع في تكوين رؤية فلسفية تشمل علاقة الإنسان بخالقه وعلاقته ببني جنسه، وتأسيس تصور جديد لرؤية كونية تقوم على أسس ومفاهيم الثقافة الإسلامية الرشيدة.

وأوضح خلال حواره مع «الوعي الإسلامي» أن الثقافة الإسلامية أصابها كثير من التلوث الفكري؛ نتيجة عدم الاستيعاب الواعي بحقائق الدين الحنيف.

واعتبر فكرة العواصم الثقافية الإسلامية من الأفكار المحمودة التي يجب الإعداد لها بحصافة حتى تؤتي ثمارها. مزيد من التفاصيل في السياق التالي:

إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية تضمن لأمتنا التقدم والارتقاء

• نظرية «العلم الإسلامية» أحد إنتاجاتك البحثية العديدة. فماذا عن هذه النظرية؟

– في البداية، يجب الاعتراف بأنه –للأسف– لا توجد اليوم فلسفة خاصة بنا معشر العرب والمسلمين، صحيح أن ديننا الإسلام ولنا حضارة رائدة سادت العالم في فترة طويلة من الزمن وأسهمت في دفع المسيرة الإنسانية نحو التقدم والتطور والارتقاء، لكن بعد فترة تراجع طويلة أصبحنا في حاجة إلى من يذكرنا بذلك التاريخ العظيم وهذا الرصيد الحضاري الهائل، فغابت فلسفتنا ورؤيتنا للكون والحياة عن كثير من الناس، وأصبحنا مسرحا لفلسفات وضعية وافدة تنتهي بانتهاء أصحابها. ومن هنا يكون السؤال: من نحن الآن أبناء الأمة العربية والإسلامية؟! فهذا السؤال مهم، وإجابته كذلك؛ لأنه في إطار هذه الرؤية الكونية الواضحة يمكن التعامل مع جميع الأشياء.

وعندما ننظر إلى قضية العلم –على سبيل المثال– نجد أن كلمة العلم مصطلح له في ثقافتنا الإسلامية معنى، وهو الإدراك السليم لحقائق الأشياء؛ ولهذا يكون لدينا العلوم الطبيعية، المتمثلة في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وكذلك العلوم الإنسانية؛ مثل: التاريخ والجغرافيا وغيرهما، والعلوم الدينية؛ مثل: التفسير والحديث. لكن في الغرب كلمة علم مقتصرة على العلوم الطبيعية مثل الفلك والطب. إذن، هنا كلمة علم نفسها تحتاج إلى إيضاح؛ لأنه يجب ألا ننساق دون تفكير وراء كل ما يأتي إلينا من ثقافات أخرى، ويجب أن ندقق ونتحرى المصطلحات التي

تنسجم وتتوافق مع الفكر الخاص بنا، وهنا يحدث التواؤم بين الفكر والواقع، وحتى نأخذ الدرس من أسلافنا العظماء، الذين فهموا تعاليم القرآن الكريم حق الفهم، دعانا الإسلام إلى العلم والبحث العلمي وإعمال العقل والتفكير في ظواهر الكون والحياة، ففي قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ (ق:٦)، يقول عبدالله القزويني: «ليس المراد بالنظر أن نقلب الحدقة نحو السماء، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ومن الأرض إلا غبرتها فهو أشبه حالا بالبهائم، بل أشد غفلة منها»، واستشهد بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩). إذن، كانت التعاليم الإسلامية من القرآن والسنة، وكان المستقبل من جموع المسلمين على موجة واحدة واتفاق مهيئين لاستقبال التعاليم، لهذا حدث التقدم، وعندما انفصلت هذه العلاقة حدث التخلف الذي طالت فترته خلال القرون الماضية وتسربلنا فيه زمنا طويلا.

ومن هنا، نظرية «العلم الإسلامية» تنادي بأن نسرع بتكوين رؤية فلسفية تشمل علاقة الإنسان بخالقه وعلاقة الإنسان ببني جنسه وكونه، وهنا يكون العلم مجموعة علوم، منها منهجيات العلم وتاريخه وفلسفته واجتماعياته، وهذا تخصص يهمنا نحن أكثر من غيرنا، وهذه النظرية تدعو إلى تأسيس تصور جديد لرؤية كونية تقوم على الأسس والمفاهيم الإسلامية الرشيدة. وإن من يسارع ويقول «هل هناك علم إسلامي؟»، أقول له إن هذه التساؤلات فات وقتها، ونحن نتكلم بموضوعية ومن واقع التاريخ والحال، وأيضا نستشرف آفاق المستقبل، فهي ليست نظرية معطلة، بل طموحة، تأخذ في الاعتبار السيرة الكونية كاملة.

حضارة الإسلام أول من جسد «العولمة».. وهي الأقدر على قيادة حركة الحياة

إنقاذ الأمة من مستنقع التخلف

• وما إمكانية الاستفادة منها في وقتنا الحالي؟

- هناك فرق بين أن يعمل الناس ويكدوا من دون مرشد، وجهودهم في إطار وكنف فكري يحكم حركتهم ويرشدها. لذا، إذا أخذنا بهذه النظرية فسيكون مردودها واقعيا وعظيما لإنقاذ هذه الأمة من مستنقع التخلف الذي تسربلت فيه طويلا، وتلحق بركب الحضارة المعاصرة، وتستعيد أمجادها ورصيدها الذي نتفاخر به حتى يومنا هذا؛ فالبعض يسميه تراثا على أنه شيء انتهى مفعوله، لكن التراث هذا بما فيه من قيم ومبادئ وأدلة هو كنز مهم جدا نأخذ منه لحاضرنا ومستقبلنا.

• من آرائك أن المنهج العلمي الإسلامي هو الأنسب في عصرنا الحالي.. لماذا؟

- لأن العقيدة الإسلامية علاقتها بالخالق سبحانه وتعالى واضحة، والقوانين والتعاليم التي يكون مصدرها الواحد الأحد لابد أن تكون هي الأمثل والأنجح لقيادة حركة الحياة، بدليل أن حركة هذه التعاليم من الحضارة العربية الإسلامية ظلت لأكثر من ثمانية قرون، فلا توجد حضارة أخرى في التاريخ عاشت هذا الوقت، إلا بعض الحضارات القديمة، مثل المصرية، وكانت محدودة في مكان معين، لكن الحضارة الإسلامية كانت عالمية، تناظر ما نسميه اليوم «العولمة»، فكانت لغة وحضارة وإنتاجا وفكرا، كانت هي الحضارة السائدة، ولهذا عندما نقارن هذا الأنموذج الرائد بنماذج وضعية مبتسرة وضعها مجموعة أفراد تنتهي بانتهاء أصحابها يظل دائما المنهج الإسلامي هو الأقدر على استيعاب حركة المجتمع البشري، وهو أيضا الأقدر على تفسير كل ما تسفر عنه الحضارة البشرية، سواء في الحاضر أو المستقبل، فمثلا القرآن الكريم ليس كتاب علم ولا هندسة، لكن فيه لطائف تذكر الإنسان دائما أن هذا الدين مصدره الخالق سبحانه وتعالى، وعندما لا نجد تفسيرا فالعلم وصل الآن إلى مرحلة تجاوزت مرحلة الاقتناع التي تعودنا عليها، فأصبح يتكلم عن أشياء أقرب إلى الغيب، فمن منا رأى الإلكترون ومن يستطيع أن يصدق أنه موجود في مكانين في وقت واحد، فأصبح العلم يتعرض لمفاهيم غير مألوفة عقلا، فعندما نرى معجزات الأنبياء والرسل نستطيع أن نتقبل الآن هذه المعجزات التي يعجز العلم عن تفسيرها. وبالتالي، أقول إن الرؤية الإسلامية مرنة وفيها كل الميزات التي توافق مسيرة التقدم البشري بعد أن نضج العقل وأحرز انتصارات كثيرة.

ثقافتنا تملك مقومات البقاء

• برأيك، إلى أين وصلت الثقافة الإسلامية؟

- للأسف، نحن نعيش الآن عصر التلوث، ليس البيئي فقط، بل الفكري والثقافي أيضا. ومن هنا أقول إنه حتى الثقافة الإسلامية أصابها كثير من هذا التلوث؛ نتيجة عدم الاستيعاب الواعي لحقائق الدين الحنيف والتصورات الإسلامية الرشيدة، بدليل تعارض كثير من الآراء حول موضوع واضح

جـدا، والمسـؤول عـن هـذا بالدرجة الأولى هو الإعلام بكل أشكاله، المقروء والمسموع والمرئي، لأن من يدير هذه الآلة الإعلامية أيضا يحتاج إلى ثقافة واسـعة جـادة، فـإذا كـان فاقد الشيء لا يعطيه فكيف ننتظر أن يكون لدينا شيء خال من التلوث تماما؟!

● وهل لها مكان في المستقبل أم أنها فقدت أدوات صمودها؟

– لـن يفقد الإسـلام ولا ثقافته كل مقومات الاستدامة والبقاء. دائما نلقي بالعتاب على أنفسنا، لأنه إذا كان هذا الـديـن بـدأ بـدعـوة سيدنا محمد ﷺ الـذي أعـد أفـرادا مـن صحابته ومن معتنقي هذا الدين ففتحوا الدنيا كلها، فهل يعجز عـن أن يسد الـفـراغ الذي يعيش فيه العالم في عصرنا وربما في العصور المقبلة؟! فدائما ما نلوم أنفسنا، وليس على ديننا وعقيدتنا اللوم.

● ومـا الـتـحـديـات الـتـي تـواجـه المثقفين فـي الـوقـت الـحـالـي من وجهة نظرك؟

– التحديات تتركز في التربية والتعليم، بدءا من الأسرة ومراحل التعليم المختلفة، التي أصبح تدريس الثقافة الإسلامية فيها هامشيا، يأخذه الطلاب تحصيل حـاصـل، فهنا يـتـخـرج الـشـبـاب غير مزودين بثقافة قوية رشيدة تستطيع أن تحميهم من محاولات الاستقطاب والاحـتـواء، فلهذا تقع المسؤولية أولا على التعليم، وكـل الـمـنـافـذ الثقافية، والبيئة الاجتماعية الـتـي تلعب دورا كبيرا، فلنا أن نتخيل الغزو الثقافي من كل الجهات، واللغة التي هي لغة القرآن الـكـريـم، وهـي مـحـفـوظـة بـوعـد الله تعالى ولا خوف عليها ولا على بقائها، بل الـخـوف على بقائنا نحن أن نظل متفرجين على حضارة الآخرين وغير فـاعـلـين ومـشـاركـين فيهـا، فـالإصـلاح والتجديد يجب أن يشملا كل المنافذ الثقافية في المجتمع العربي والإسلامي حتى تستطيع مجابهة كل فكر وافد

ثقافتنا أصابها شيء من الـتـلـوث لكنها لـن تـفـقـد مقومات الاستدامة والبقاء

بقوة وبصرامة.

● وكيف السبيل إلى تخطيها؟

– أن نلجأ إلى التجربة لكي نصل إلى حقيقة. فقديما كان التفكير قائما على التأمل العقلي الخالص المنهج الصوري لأرسطو، فما يقوله العقل هو القانون الـذي يجب أن يـسـود، ولـهـذا تعددت آراؤهـم حـول القضية الـواحـدة؛ لأنهم لا يحتكمون إلـى شـيء يحسم هذا الخلاف، وهـو التجربة الحقيقية التي كلما كـررتهـا جـاءت بالنتيجة نفسها، فـالـخـروج مـن هـذه الأزمـة أن نعود إلـى التجربة الأولـى؛ لأننا نتميز عن غيرنا بأن لنا رصيدا حضاريا عربيا وإسلاميا علينا أن نستثمره، بشرط أن نأخذ في الاعتبار ظروف الواقع وما استجد عليه، وأيضا يكون لدينا توقع لآفـاق المستقبل، وهـنـا نضع تصورا كاملا، يندرج ضمن ما قلنا عنه باسم نظرية العلم الإسلامية.

مفاتيح الحضارة

● البعض يدعي أن تخلف الدول العربية والإسـلامـيـة، خصوصا عـلـى الـمـسـتـوى الـعـلـمـي، بسبب تمسكها بالدين والعكس بالنسبة إلى الغرب.. فما ردك؟

– كـثـرت الادعــــاءات والافـتـــراءات، وعليهم أن يأتوا بآية واحدة أو حديث واحد يدعو إلى عدم العلم، فـ «الحكمة ضـالـة المؤمن أنـى وجـدهـا فهو أحق بها»، والرسالة الإسلامية بدأت بكلمة «اقرأ»، وهل يمكن أن نقرأ إلا بالعقل والتفكير السليم، فالقضية محسومة من أول كلمة نزلت في القرآن الكريم، وبأول قسم ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم:١)، فالحضارة المدونة التي تركت علومها موجودة في مخطوطات وكنوز مـازالـت مهجورة فـي مكتبات العالم، فهؤلاء الذين يكررون هذا الكلام أقول لهم يكفينا فقط أن نتأمل في معاني أول تكليف إلهي «اقرأ»؛ لذلك عندما نزل الوحي على الرسول ﷺ وقال له جبريل «اقرأ» فالرسول ببشريته قال: «ما أنا بقارئ»؛ لأنه تسرب إلى تفكيره أن المقصود هو القراءة، لأنه كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة، لكن في تكرارها ٣ مرات دعوة إلى تأمل معانيها القوية، لأن هـذا الدين جـاء ليؤسس حضارة، وروعـة الاستهلال فـي هـذه الحضارة أن تـبـين لنا مفتاحها، فعظمة القرآن الكريم أعطتنا مفتاح الحضارة، ولذلك عندما أقـول «التعليم ثـم التعليم ثم التعليم» معناه تأكيد المبدأ الإسلامي الذي يرقى إلى درجة التكليف «اقرأ»، بـالمعنى الـقـديـم لـيـس الأبـجـديـة، بل بالمعنى المعاصر «أين الحاسوب؟».

هـذه الـدعـاوى فـقـدت مفعولها؛ لأنها مـكـررة، وأصـبـح الـرد عليهـا مكررا أيضـا، والإسـلام ديـن واضـح ورسالة قوية، ويدعو إلـى التعايش مع العالم ويظهر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجـرات:١٣)، فليس هناك تعارض بين الدين والعلم.

● فـكـرة الـعـواصـم الـثـقـافـيـة الإسلامية التي اختيرت الكويت لـدورتـهـا الـحـالـيـة.. كـيـف تنظر إليها؟

– أرى أنه يجب أن نحسن الإعداد لمثل هذه الظواهر المهمة، فمثلا «اليونيسكو» دعت العام الماضي إلى الاحتفال بعلم الضوء وتطبيقاته، وكان هذا الاحتفال أساسا على شرف الحسن بن الهيثم،


الضيف أثناء حديثه لمراسل الوعي الإسلامي

عبقري الحضارة العربية والإسلامية وصاحب الفضل والإنتاج الذي تأثرت به أوروبا في عصر النهضة، والذي أفاد كل من جاء في علم البصريات، وعندما أجد حدثا عالميا كهذا وأقارن ردود أفعال الدول العربية والإسلامية، أجد أن استقباله كان ضعيفا جدا. والمشكلة أنه من المفترض استخدام هذه التظاهرات في زيادة الوعي، فالخروج من الأزمة بإنقاذ الوعي ومجابهة دعاوى التغييب وطمس كنوز ومعالم حضارتنا الإسلامية والعربية الراقية، فإذا كانت هناك دعوة لأن تكون كل عاصمة عربية في عام من الأعوام موضع احتفال وتكريم، فيجب الإعداد لها، واختيار يوم للغة العربية لأنها تعاني من أزمات، ويوم للمترجم العالمي، وجربنا أكبر وأعظم تجربة في الترجمة في عصر المأمون وإنشاء بيت الحكمة، فهل فكرنا في أن نستعيد تجربة المأمون في إنشاء بيت حكمة عصري يربط العالم العربي والإسلامي بالفكر العالمي، من خلال ترجمة الإنتاج العلمي إلى العالم العربي وزيادة الوعي والتواصل مع العالم، فنحن لا نتعامل مع هذه الأمور بالاهتمام الكافي الذي يسهم مع أشياء أخرى كثيرة، والإنقاذ يجب أن يكون في إطار استراتيجية متكاملة، فأتمنى أن يزداد الوعي بأهمية هذه الدعوات ونشكر من دعا إليها، لكن استقبالنا لها مازال متواضعا.

● وما إمكانية الاستفادة من هذه الفكرة؟

- يجب تسخير المنافذ الإعلامية بمختلف أنواعها على اتساع الأمة العربية والإسلامية وفي المدارس والجامعات؛ لتشجيع مثل هذه الأفكار والإسهام في إنجاحها، لأن ذلك من شأنه إحياء الثقافة الإسلامية.

● التعليم واللغة من أهم مقومات ثقافتنا.. كيف يمكن استعادة دورهما الحقيقي لتحقيق النهضة الثقافية الإسلامية؟

- أولا يجب النظر إلى تجارب الماضي أو العالم المعيش، فهناك جامعات متقدمة تكاد تكون احتكرت الاكتشافات العلمية، وهناك أبناء يحصلون على الجوائز العلمية. إذن، لا العيب فينا ولا في مبادئنا، لكن المهم أن نتعلم بالطريقة السليمة، فبجوارنا دول يتعلم أبناؤها بلغات ميتة، وعلى الرغم من هذا فإنهم متقدمون علميا، أما أن نجد في كل وطن عربي تعددية في نظم التعليم وفي لغته بعيدا عن العربية، فهناك جامعات صينية وإنجليزية وألمانية حتى تنتج مع الوقت مجتمعا متعدد الطبقات، فأصبحنا مسرحا للتعليم والأفكار والنظم الوافدة، ولهذا لن نستطيع بهذه الصورة. فصحيح أن هناك أفرادا حققوا نجاحات، لكن لكي تصبح ظاهرة علينا أن نعيد التعليم باللغة العربية، على أن نتعلم لغات أجنبية، لأن العالم هو الذي يصنع المصطلحات والأفكار والنظريات العلمية. وفي الوقت ذاته، يجب أن تكون لدينا حركة ترجمة قوية، فكان البيروني يقول إن «الهجو إلي بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية»؛ فلم الانسياق وراء الدعوات الهدامة والابتعاد عن تعاليم ديننا، على الرغم من أن الطريق إلى التقدم واضح؟! لكني أقول إن سلوكياتنا وتعاملنا ليسا على المستوى الكافي.

● هل من خطوات عملية يستطيع من خلالها المسلمون أن يعيدوا مجد حضارتهم؟

- يجب أن نبدأ بإصلاح وسيلة التفاهم: اللغة العربية، وندعها تكون عصب التعليم، فإذا أصلحنا اللغة أمكننا أن نتفاهم بعضنا مع بعض، فاللغة تتوارى شيئا بعد شيء.



د. محمد عطية متولي
باحث دراسات إسلامية

عبقرية الثقافة الإسلامية

لكل أمة على مدار التاريخ ثقافتها التي تميزها عن غيرها وتعبر عن خصوصيتها، وبهذه الثقافة تسهم في بناء صرح الحضارة الإنسانية أو في هدمه.

وأعظم مكون في الثقافة العربية هو الإسلام؛ ذلك الذي بلغ بها شأوا بعيدا، بل رفع آفاق الحضارة الإنسانية بأسرها مقاما عليا.

ونظرة واحدة على مبدأ قرآني تثبت صدق ذلك وهو قول الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام:١٤٨)، هذا نداء قرآني لكل من يدعي ادعاء: هل تملك دليلا على صدقه؟ عندما تحول العلم من ظنون وأوهام لا تقوم على أساس ثابت من دليل نظري أو عملي إلى استخدام الأدلة والبراهين في إثبات الأشياء أو نفيها انطلق من عقاله وجال في آفاق الإنسان والكون من حوله وعاد باكتشافات عادت على الإنسانية بالخير إذا أحسن استغلالها.

وقد حملت الثقافة الإسلامية في طياتها عوامل بقائها، وهذا يتطلب منا حسن التعامل معها بعين بصيرة بالعصر خبيرة بهذا التراث الثري والذي سبق له أن قاد البشرية ردحا من الزمن قدم خلالها للإنسانية الحق والحكمة، ووجدت البشرية في ظلاله العدل والرحمة.

كما أنه ينبغي أن لا تبقى الثقافة سلعة لا تجد لها سوقا إلا بين المثقفين يتبادلونها في أبراجهم العاجية، بل ينبغي أن يشاركوا الناس آلامهم وآمالهم، وأن يساعدوهم على الوصول إلى طموحاتهم وتجاوز عقبات الحياة، وإلا بقيت سلعة راكدة، مكانها عقول المثقفين وأرفف المكتبات.

وينبغي أن نتجه أولا إلى تراثنا الثقافي لنزيل ما فيه مما يتناقض مع الأصول والقيم التي قامت عليها الثقافة الإسلامية، وهذا واجب أهل الخبرة والدراية بالتراث وأغواره، وهي مهمة تتجدد بمرور الزمان.

وهذا بعض ما يمكن أن تقدمه الثقافة الإسلامية للإنسانية:

١- **السلام**: تنظر الثقافة الإسلامية إلى بني آدم على أنهم إخوة، فكلهم لآدم، والإنسان إما أخ لك في الدين أو شريك لك في الإنسانية، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

والأخ لا يتعامل مع أخيه إلا بالإحسان ورد العدوان بأقل الخسائر للطرفين، وتعتبر الثقافة الإسلامية أن السلم والسلام جوهر عقيدة التوحيد وأن العلاقة بينهما وطيدة من وجوه:

الوجه الأول: أنهما من جذر لغوي واحد، وأبرز معاني السلم، السلام من حيث إنه يؤدي إلى السلامة من الآفات بما يحقق من سكينة وطمأنينة للإنسان.

الوجه الثاني: أن أحد أسماء الله الحسنى «السلام» وهو اسم يشيع السلام والأمن والطمأنينة في جنبات الوجود وفي قلب المؤمن.

الوجه الثالث: أن المسلم لا يكون مسلما إلا إذا تجسد إسلامه في كفالة السلم وإشاعته له ولغيره من منطلق قوله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» (سنن النسائي).

وعلى ذلك فالثقافة الإسلامية تسعى إلى تكوين الإنسان الصالح المصلح المحب للخير الساعي إليه الكاره للشر الذي يدفعه بكل ما يملك من قوة والذي يتمكن من التعايش السلمي مع عامة الناس على اختلاف أديانهم ولغاتهم وألوانهم وأجناسهم وأوطانهم، إنها تسعى لتكوين الإنسان الإيجابي الذي يقلب الجوع إلى شبع ويحول الجهل إلى علم ويشيع جوا من الطمأنينة والسكينة بدلا من الخوف والقلق.. (ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل د. محمد الناصري، بتصرف). وهذا يتطلب توفير القوة التي تحمي الوادعين في ديارهم وتمكنهم من العمل البناء وهم في ظلالها.

٢- **ثقافة الحياة:** تعتبر الثقافة الإسلامية مساعدة الفرد على الحياة وتقديم الدعم والمعونة المادية والمعنوية له بمثابة إحياء للإنسانية بأسرها مهما بلغ تعدادها؛ منطلقة في ذلك من قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢) وليس ذلك فحسب بل تكافئ من عمر الأرض التي لا مالك لها بتمليكها له «من أحيا أرضا مواتا فهي له» (موطأ مالك) وعن جابر رفعه: «من أحيا أرضا ميتة، فله فيها أجر» (مسند أحمد) بل تجعل من إنقاذ حياة أحد الكائنات الحية سببا لمغفرة كبائر الذنوب، فقد سقت بغيٌّ كلبا فغفر الله لها، بل تحث على عمارة الدنيا لآخر لحظة فيها، قال ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل». انظر إلى ثقافة ترعى الحياة وتحوطها بسياج يعظم حرمتها ويجعل الاعتداء عليها جرما فظيعا ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢) وجعلت جزاء المعتدي من جنس عمله، وسمت هذا الجزاء الوفاق حياة قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٩). ثقافة تحافظ على الحياة ليس في حدها الأدنى من توفير الغذاء والدواء والكساء فحسب، بل في آفاقها السامية فاعتنت بما يحافظ على البدن والروح والعقل والقلب والظاهر والباطن.

٣- **ثقافة الشراكة:** تعاملت الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى تعامل البصير بما عنده الواثق بأن لديه ما يقدمه للعالمين المتطلع إلى الشراكة مع غيره في سبيل رقي الإنسانية وتقدمها، فقد «استخلص المسلمون علوم الهند والفرس والإغريق فحفظوها وعدلوها وزادوا عليها زيادات لا تحصى في الطب والصيدلة والفلك والجغرافية والعلوم والرياضة وغيرها، وأقاموا المراكز الثقافية في الأندلس وغرناطة التي أمدت أوروبا بزاد النهضة الحديثة» (دراسات في الثقافة الإسلامية لمجموعة من الكتاب). وقد قدمت هذه الثقافة أعظم نموذج للتعاون بين بني البشر على اختلاف أعراقهم حيث «تضافر على نشرها خالد بن الوليد المكي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وطارق بن زياد المغربي ومحمود الغزنوي وطغرل السلجوقي وصلاح الدين الكردي ومحمد الفاتح التركي، وساهم في بنائها محمد بن إدريس الشافعي القرشي ومحمد ابن إسماعيل البخاري وابن جرير الطبري وابن ماجه القزويني وابن رشد الأندلسي» (دراسات في الثقافة الإسلامية لمجموعة من الكتاب).

٤- **ثقافة الجمال:** وكما اعتنت الثقافة الإسلامية بمبدأ الشراكة بين بني البشر وحثتهم على المحافظة على الحياة في صورها العليا والدنيا اهتمت كذلك بالجمال مستندة في ذلك إلى قول النبي ﷺ «إن الله جميل يحب الجمال» (صحيح مسلم). ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسا وزينة تجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم فقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف:٢٦). وقال في أهل الجنة ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ (الإنسان:١١-١٢). فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيأة يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيأة، فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله.. ونلحظ أن الجمال الذي تقدمه الثقافة الإسلامية للعالمين هو جمال يفيض من باطن الإنسان على ظاهره ولا يتوقف عند حدود البدن فحسب فما جدوى الملابس الأنيقة والبيوت العصرية وسلوك ساكنيها يتسم بالهمجية ويخلو من الذوق.

ومازالت الثقافة الإسلامية قادرة على تقديم القيم والمناهج التي تقود العالم إلى الحق والخير والجمال، ومجال عملها الإنسان تزكي نفسه وتنمي مواهبه وتضبط علاقته مع غيره من بني آدم ومع الكون من حوله.



إشادة باختيار الكويت عاصمة لها..

الثقافة الإسلامية.. هل تنهض مجددا؟

القاهرة- عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

أكد عديد من المثقفين والمفكرين والعلماء أن الثقافة الإسلامية تواجه عديدا من التحديات، إلا أنها قادرة على أن تؤسس مستقبلا واعدا يعكس حضارة الأمة ومنجزاتها الثقافية عبر التاريخ، وأن تظل حصنا منيعا ضد الأفكار الهدامة وغزو الثقافات الغربية المتحررة.

وشددوا في حديثهم إلى «الوعي الإسلامي»، لاسيما مع اختيار دولة الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية، على ضرورة أن يبادر علماء الأمة بالتصدي للثقافات الفوضوية الوافدة من خلال التمكين للثقافة الإسلامية التي تتسم بمرونة يمكنها احتواء الجميع.

«الثقافة الإسلامية ينتظرها مستقبل واعد، جنبا إلى جنب مع ما يطرأ على ظاهرة الصحوة الإسلامية من نضج ووعي».. بهذه الكلمات بدأ حديثه د. حسام عقل، الناقد والأستاذ بكلية الآداب جامعة عين شمس، موضحا أن اقتراب الثقافة الإسلامية مع الفنون والآداب جعلها تسير بخطى واسعة نحو التقدم.

وتابع موضحا: لدينا روائيون وشعراء على أعلى مستوى، فقد تألق عدد من الشعراء الذين أثرى بهم المشهد الشعري وتطور بصورة جذرية في التقنيات والرؤى؛ فأصدر السعيد عبدالكريم ديوانه اللافت «ركعتان مما علي» وأصدر عبدالله الشوربجي ديوانه الثاني عشر في مسيرته الشعرية التجريبية، ويواصل الشوربجي مساحته التجريبية بتطوير «رباعية الفصحى»، وهي تجربة جديدة تماما على المشهد الشعري.. كما وجدنا من يكتب مسرحا، وخير مثال على ذلك الدكتور صلاح عدس، فضلا عن تطور الخطاب الدرامي.

رشاد ونضج

وأضاف د. عقل: لاشك أن لجوء

الخطاب الإسلامي المعاصر إلى وسائل الأدب وما يتضمنه من احترام الآخر والأقليات يعكس ما طرأ على الثقافة الإسلامية من رشاد ونضج، وما يصاحب ذلك من محاصرة جيوب التزمت والتطرف، وأعتقد أن هناك كتبا كثيرة تؤشر على هذا التطور الإيجابي المهم.

وتابع: لا ننكر الدور الذي تلعبه دول الخليج بشكل عام والكويت بشكل خاص، وقد كنت شخصيا ممن أسهموا في تطوير الخطاب الديني من خلال تجربة منتدى الفكر الإسلامي التي حاولت من خلالها التعريف بالخطاب الديني المعاصر والتركيز على ترسيخ التعامل الناضج مع الآخر ومحاولة التوصل لترسيخ دليل عقلي للرد على الملحدين.

وتابع: تواجه الثقافة في مسيرتها العديد من التحديات، أهمها وجود خطاب عشوائي لا يستند إلى ثقافة وعلم، وتدخل قوى خارجية كبرى في المنطقة لفرض نموذج معين من الإسلام.

وأكد أن الأزمات السياسية العاصفة التي تمر بها البلاد الإسلامية من أهم معوقات مسيرة الثقافة الإسلامية. فالخطاب الإسلامي لا يظهر إلا في بيئة حاضنة ومستقرة، فعلينا جميعا تطويق المشكلات السياسية والاقتصادية التي تعصف ببلداننا العربية والإسلامية.

واعتبر إعادة التعريف برموز الثقافة الإسلامية مجددا، أمثال الغزالي والبشير الإبراهيمي، من أهم وسائل تعزيز الثقافة الإسلامية، بالإضافة إلى تطوير البرامج الإعلامية وعقد مؤتمرات وندوات في مراكز الشباب في القرى والنجوع والأقاليم المترامية الأطراف لتطوير الخطاب الإسلامي.

وطالب بتطوير «الإصدار الإسلامي» الصادر عن الدول الإسلامية لجذب عدد أكبر من القراء لتزويدهم بشكل راق ومكثف بالمحتوى الثقافي، لاسيما الإسلامي.

العلماء والثقافات الفوضوية

بدوره، يؤكد المفكر الإسلامي د. محمد سليم العوا أن مفهوم الثقافة الإسلامية «واسع عميق الفهم»، ويحتاج إلى أبحاث ودراسات لفهمه ومن ثم تطبيقه، مشيرا إلى أن الثقافة تتكون لسنوات طويلة وليست وليدة اللحظة.

وأضاف: الأفكار الآتية من خارج الحدود أثرت بشكل كبير على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في بلاد المسلمين، فعندما تتابع أي وسيلة اتصال عربية (تلفزيونا أو مذياعا أو صحفا) تجد الصور العارية والأفكار الهدامة، والأخطاء في أهم روافد الثقافة وهي «أخطاء اللغة».

وأوضح: الثقافة الإسلامية تواجه تحديات كثيرة بعد أن انقلبت موازين كل شيء وتمكنت الثقافات الفوضوية من العرب والمسلمين. مشيرا إلى أن العلماء عليهم النهوض بقوة لمواجهة هذه الفوضى، من خلال إشاعة الثقافة الإسلامية التي تحتوي الجميع وتنمي العقل وتصلح ولا تفسد.

وتابع: كتبت من قبل أن الإسلاميين يرون كل وافد ثقافي أو فكري أو سياسي أو سلوكي غزوا غير مقبول، ويرون مواجهته وتحديه بأفكار ونماذج سلوك فردي واجتماعي مستفادة من أصول ثقافتنا العربية والإسلامية واجبا على أولي النهى وأصحاب القدرة على التأثير في الناس. هذا الصراع كله حول الوافد والموروث، وحول الفكر المستورد والثقافة الغازية، والفكر المحلي والثقافة العربية والإسلامية الراسخة، كان يجري بين المثقفين وحدهم، وكان الخطر الذي يخافه كل فريق أن تسود الأفكار التي يرفضها على ألسنة المتحدثين إلى العامة، وعلى أقلام الكاتبين الذين لا يقرأ ما يكتبون إلا الخاصة وخاصة الخاصة، ولو كتبوها في الصحف السيارة والمجلات الأسبوعية والفصلية.

وتابع: لكن الغزو الآن أدى إلى فساد الذوق وامتهان الإنسان، وإلى شيوع الفوضى في السلوك الخاص والعام، ولم يعد الأمر خاصا بفئة من الناس دون أخرى، ولا الخوف من آثار هذه الفوضى، وذلك الإفساد مقتصر على طبقة من طبقات المجتمع دون سواها.

عاصمة الثقافة الإسلامية

أما الشاعر والأديب د. عبدالله الشوربجي فيقول: الثقافة الإسلامية عالم كبير من الإبداع والروح، والأدب بصفة عامة لون من ألوان الفنون، وهو أكثرها شيوعا وتأثيرا وشعبية، لأنه يضم الشعر والقصة والمسرحية والمقالة والخاطرة وترجمة الحياة وغيرها، ومسؤولية الكلمة -إن كنا نؤمن بها- تقتضي الوضوح دون إهدار للقيم الفنية الجمالية، ولنتوقف عند هذه النقطة الجوهرية، فالقرآن -قمة البيان

وصورة الأدب الخالدة- واضح ميسر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر:٢٢)، فالكلمة رمز يحمل رسالة ما تتوقد حيوية وإثارة، وتتسم بالجمال والمتعة، يخضع مبدعها للحساب كالفعل تماما، وتتحدد المسؤولية بداهة فيما تحمله الكلمة من معنى وما تخلفه من انطباع أو تأثير.

وتابع: المسؤولية الإسلامية التزام نابع من قلب المؤمن وقناعاته، التزام تمتد أواصره إلى كتاب الله، ولا يصح أن ننخدع بالتزام الوجوديين وغيرهم، فـ«سارتر» يقرر أن حريته تبدأ عندما «يموت» الإله -والعياذ بالله-؛ لأن فلسفته تقوم أساسا على رفض الأديان والقيم والأعراف السابقة، أي إن التزامه يبدأ بعدم الالتزام بأي قيم سابقة.

وأضاف: ارتباط الأدب الإسلامي بالمسؤولية النابعة من صميم الإسلام يقي أجيالنا من السقوط في براثن تيه مئات الفلسفات، حيث يتحرك الأدب الإسلامي وسلاحه الكلمة الطيبة، ويحرص أشد الحرص على مضمونه الفكري النابع من قيم الإسلام العريقة، ويجعل من ذلك المضمون ومن الشكل الفني نسيجا واحدا معبرا أصدق تعبير، ويعول كثيرا على الأثر أو الانطباع الذي يترسب لدى المتلقي ويتفاعل معه، ويساهم في تشكيل أهوائه ومواقفه وحركته الصامدة أو المتدفقة إلى الأمام. فالأدب الإسلامي يستوعب الحياة بكل ما فيها، ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة، ولا يزيف حقيقة أو يخلق وهما فاسدا، أو يحابي ضلالا أو يزين نفاقا، فقط يطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم، ومن ثم ينهض بعزائم المستضعفين وينصر قضايا المظلومين ويبشر بالخير والحب والحق والجمال.

وتابع: الأدب الإسلامي يعبر بصدق وأمانة عن آمال الإنسان الخيرة، ويتناول نواحي الضعف والتردي والانحراف فيه بتسليط الأضواء عليها لفهمها والشفاء منها، لا لمجرد تبريرها، والأدب الإسلامي ليس «عبثيا»، ولا يمكن أن يكون عبثيا.

وقال الشوربجي إن اختيار الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية يوضح المكانة الكبيرة التي تحتلها بين مدن العالم الإسلامي وما يميزها من خصوصية، لكونها مشهورة بمدارسها العامرة بالعلم والمعرفة، لذا هي جديرة باختيارها عاصمة للثقافة الاسلامية لما تقوم به من دور ريادي في نشر الثقافة الإسلامية من خلال مطبوعاتها العديدة ومنها «الوعي الإسلامي».

وختم قائلا: الثقافة الإسلامية يمكن وصفها بالضمير الحي والوجدان السليم والتصور الصحيح والخيال البناء، ولا تنطلق إلا من ذات نعمت باليقين وسعدت بالاقتناع وتشبعت بمنهج الله ونهلت من ينابيع العقيدة الصافية. لذا؛ ينبغي تضافر كل السبل حتى تستعيد مكانتها الحقيقية التي تعبر عن عالمية الإسلام وسماحته.

قيمنا الحضارية

بينما يوضح د. محمد العجرودي، عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أن الثقافة الإسلامية مجموعة من القيم والأخلاق والأحداث استنبطت وضبطت وشكلت من القرآن الكريم الذي حقق للأمة المسلمة حين تعلمته وعملت به السيادة والقيادة، موضحا أن الإسلام فتح كل المجال للإبداع بضوابط، أهمها القيم.

ويتابع: نحتاج إلى أن نأخذ من القرآن الكريم القيم الحضارية والأخلاقية فننشرها، ونحتاج أن نأخذ من القرآن الكريم آفاق التفكير العلمي فنتعلمها ونعلمها، ونحتاج أن نأخذ من القرآن الكريم عوامل بناء الأمم وعوامل انهيارها لنميز بين السمين والغث، فنحن لم نتخلف عن الغرب أو الشرق، وإنما تخلفنا عن فهم القرآن الكريم والعمل بالإسلام العظيم.

وأضاف أن الغرب يشهد ويتعلم من الثقافة والتاريخ الإسلامي ويعلم أن أسباب نصر الإسلام العظيم وظهوره على المناهج المغلوطة والعقائد الفاسدة هو اتباع آيات الله العليم الحكيم وملء القلوب والعقول بها. فلو أن المسلمين تعلموا كلام ربهم ومنهجه وفهموه وعملوا به بشكل صحيح، ولو أنهم ائتمروا بأوامر نبيهم ﷺ وانتهوا بنواهيه بشكل عملي جاد لسعدوا وأصلح حالهم وتيسرت حياتهم وندرت مشاكلهم في الدنيا وفازوا في الآخرة، ولسادت ثقافتهم كل الثقافات.

وتابع: لا يمكن التمكين للثقافة الإسلامية -في عالمنا المعاصر- إلا بالتمكين للعلماء الربانيين والمثقفين المعتدلين وعدم التضييق عليهم في دعوتهم إلى سبيل ربهم، ونشر العلم على أوسع نطاق وإعطائه الاهتمام التام إعلاميا وماديا ومجتمعيا وجعله على رأس الأولويات، وتذليل جميع السبل والعقبات ليصل إلى أقل الناس علما وأبعد الناس سكنا، وتوسيع دائرة نشر العلم في جميع بلاد المسلمين بحركة العلماء والدعاة، والنزول -في التخطيط لأمور الأمة أو فيما اختلف فيه بين فئات الناس- على آرائهم المبنية على الدليل الواضح من القرآن والسنة ثم ما أجمعوا عليه من القياس، وترجمة هذا العلم إلى جميع اللغات ونشره مترجما، ومتابعة تطبيق المتعلمين عمليا لما تعلموه

على أرض الواقع -لاسيما الشباب- لإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة وتصحيح أخطائهم بالرفق واللين حتى يفشوا العلم في الأمة وينفضوا عنها غبار الجهل، ولتمحى من بين أفرادها مناهج الجاهلية ونعرة الكبر التي تعطل مسيرة العلم، فيغير الله حال الأمة إلى خير حال.

مبشرات

أما د. عوض إسماعيل، وكيل كلية الدراسات الإسلامية بالقاهرة وعضو لجنة الثقافة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فيؤكد أن الزخم الفكري السائد الآن في الوطن العربي بشكل عام وفي بلدان الخليج بشكل خاص يعد من المبشرات، فالناس تعود إلى الثقافة الإسلامية حيث الفكر الوسطي الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، والعودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأكد إسماعيل أن عودة الأصوات المعتدلة التي نسمعها الآن واستعادة مكانها الطبيعي لنشر الثقافة الإسلامية من أهم مبشرات انتشار الثقافة بشكل سوي.

وأوضح أن التحديات التي تقف في وجه المثقفين والثقافة الإسلامية بشكل عام تكمن في «التطرف»، وكذلك في «التفريط» الذي يشكله الإلحاد بأفكاره الهدامة.

واعتبر أن الفتاوى الشاذة وصعود من ليسوا أهلا للتحدث عن الإسلام إلى المنابر من أهم تحديات نشر الثقافة الإسلامية المعتدلة، فكلا الخطرين الإسلام منهما براء.

وقال: نحن أمة وسطية، فقوتنا في وسطيتنا، والوسطية ليست اختراعا جديدا، بل منهج سارت عليه الأمة الإسلامية كلها، وليس معناها أيضا التنازل عن الثوابت الشرعية، فالوسطية قمة الاعتدال والقوة.

وأضاف أنه على الجميع التكاتف في وجه الخطر المحيط بنشر الثقافة الإسلامية بالشكل اللائق بالإسلام، فلابد من تطوير وتكثيف الخطاب الديني وتنوع المنابر الإعلامية لنشر الأفكار البناءة، ومنها فكرة العواصم الثقافية الإسلامية، والتي اختيرت دولة الكويت هذا العام بموجبها لتكون عاصمة الدورة الحالية، معتبرا أن الكويت رائدة في العمل الإسلامي ولديها رصيد كبير من النشر والمعرفة في هذا الميدان، ولذلك توقع أن تضيف زخما كبيرا في بناء الثقافة الإسلامية ككل.

وأكد عوض أن اختيار الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية مسؤولية كبيرة وشرف عظيم ينبغي استغلاله لتحقيق ما يفيد الأمة ورفعتها.

وأضاف أن الكويت حريصة كل الحرص على تنقية الثقافة الإسلامية من أي شائبة، وإيقاف عوامل وعمليات الهدم والتشكيك الممنهجة في التراث الإسلامي.

وأشار إلى أن العالم الإسلامي متشتت ويعيش أقسى عصور التفرق، لذا يجب تقديم ما يجمع ولا يفرق، وما يثبت العقائد ولا يزرع الشك فيها.

وتابع: «نتمنى أن يسطع نور الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية» وأن يعيد لثقافة أمتنا مجدها الآفل.

اللغة والإبداع

في السياق ذاته، يقول المفكر الإسلامي د. محمد الدسوقي، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، إن اللغة العربية أساس الأمة، وهي اللغة الخالدة التي نزل بها «القرآن الكريم» المعجز، وهي أساس الثقافة الإسلامية.

وأضاف أن الثقافة الإسلامية تبني الإنسان وتحثه على التصدي لكل خطأ وانحراف عقدي، وتمثل شكل المجتمع وفكره ولغته وأخلاقه وتاريخه، مشيرا إلى أن الثقافة الإسلامية تضبطها مبادئ للإصلاح تهتم بالمساواة ومعاقبة المخطئ الضال وتكريم الناجح الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وتابع: الثقافة الإسلامية تحتاج إلى تطوير وإتاحة الفرصة للإبداع وعدم كبت الشباب، وعشنا فترة في السابق كان يسمح لشباب لم يتجاوزوا العشرين بالكتابة والتعبير عما في داخلهم من أفكار، ولن يتعلم الشباب ضوابط الثقافة الإسلامية إلا بالتجربة والخطأ.

وقال: أخاف على مستقبل الثقافة الإسلامية والأمة، فقد قل العلماء والكتاب والمفكرون وانشغل الشباب بأشياء تافهة، وقل القراء وأصبح ما ينشر الآن أقل قيمة، وهناك رسائل ماجستير جاءت إلي لا تساوي ثمن الحبر الذي كتبت به.

وتابع: هناك تحديات شديدة تواجه الثقافة الإسلامية، منها قلة دعم المثقفين والكتاب المعتدلين، فضلا عن أحداث العنف التي تمر بها بعض البلدان وضعف التنشئة، حيث خرجت أجيال لا تفقه شيئا.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ
والفكر الإسلامي



مآلات الثقافة الإسلامية

كانت الثقافة، ولاتزال، مصطلحا مختلفا حول معناه ومضمونه، فقد أغرق المصطلح بتعريفات لا حصر لها بين عموم الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ويكفي القول إن هناك اتجاهين في تلك التعريفات يتنافسان على الصدارة: أحدهما ينظر إلى الثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والأيديولوجيات وما شاكلها من المنتجات العقلية. والآخر يرى الثقافة على أنها تشير إلى النمط الكلي لحياة شعب ما، والعلاقات الشخصية بين أفراده وكذلك توجهاتهم (١).

ماهية الثقافة الإسلامية

لقد استمدت الثقافة الإسلامية مضامينها ومفاهيمها من الإسلام ذاته؛ فـ «المسلم لا يملك أن يتلقى في أمر يختص بحقائق العقيدة أو التصور العام للوجود، أو يختص بالعبادة، أو يختص بالخلق والسلوك، والقيم والموازين، أو يختص بالمبادئ والأصول في النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، أو يختص بتفسير بواعث النشاط الإنساني، وبحركة التاريخ الإنساني إلا من ذلك المصدر الرباني» (٢).

إن «الثقافة تبدأ بالتمهيد السماوي، بما اشتمل عليه من دين وفن وأخلاق وفلسفة، وستظل الثقافة تعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، فكل شيء في إطار الثقافة إما تأكيد أو رفض أو شك أو تأمل في ذكريات ذلك الأصل السماوي للإنسان» (٣).

وقد ساهمت الثقافة الإسلامية بمزج ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام؛ حيث بات عليهم أن يمزجوا في أذهانهم ما تلقوه في الماضي من العلم بدراساتهم القرآنية؛ فإذا بمساهماتهم تصب في التيار العام للفكر الإسلامي، «وإذا بثقافة إسلامية قائمة بذاتها تتشكل نتيجة لهذه المساهمات.. ويمكن القول بأن الثقافة الإسلامية شبت عن الطوق في نحو منتصف القرن العاشر، وأنها ظلت على مستواها الرفيع حتى القرن السابع عشر على الأقل. ولم تكن هذه الثقافة قاصرة على منطقة معينة من الدولة الإسلامية، وإنما كانت منتشرة انتشارا واسعا أينما كان الإسلام قويا مترعرعا. وقد كان طالبو العلم يسافرون لمسافات بعيدة من أجل الاتصال بمشاهير العلماء والاستماع منهم، ورغم أن أسبانيا في عهد الأمويين لم تكن تعترف بالخليفة العباسي في بغداد، فقد ظلت صلاتها الثقافية قائمة بالمشرق الإسلامي، وكان من السهل السفر من أسبانيا إلى مركز العلم كالمدينة ودمشق وبغداد» (٤).

ثقافة مستوعبة

وعلى الرغم من وضوح معالم الثقافة الإسلامية، واتكائها على مرتكزات صلبة أملتها العقيدة والشريعة والأخلاق والنظم وروح المجتمعات الإسلامية؛ فإن هذه الثقافة لم تكن طاردة للآخر، أو قاهرة لأفكاره؛ لقد رأت هذه الثقافة الآخر إنسانا له حق الحياة وحق اعتناق المعتقد، حيث ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة:٢٥٦)، واعترفت بتعدد الدين ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦)، وحرمت علينا المساس بحياته، وتوعد القاتل بالطرد من الجنة، قال ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما» (٥).

وتزخر مصنفات المؤرخين الغربيين بوصف أوضاع اليهود والنصارى في ظل الثقافة الإسلامية في عصورها الزاهرة، وما لاقوه من أمن واطمئنان، بل ومشاركة في فنون مختلفة في ظل هذه الثقافة الجامعة المستوعبة، فقد «ظل يهود العصور الوسطى وهم في غمار المشاغل التجارية ينتجون النحويين، وفقهاء

الدين، والمتصوفة، والشعراء، والعلماء، والفلاسفة، ولم يضارعهم في آدابهم الواسعة وثرائهم العقلي إلا المسلمون فيما بين ١١٥٠م و١٢٠٠م، وكان مما يسر لهم أسباب هذا النبوغ أنهم يعيشون بين المسلمين أو على اتصال بهم، وإن كثيرين منهم كانوا يعرفون اللغة العربية، فكان عالم الثقافة الإسلامية الثري بأجمعه في العصور الوسطى مفتوحا أمامهم يغترفون من بحره الطامي في العلوم، والطب، والفلسفة، وبفضل وساطتهم أثاروا عقل العالم الغربي المسيحي بما بثوا فيه من تفكير المسلمين» (٦).

على الجانب الآخر، و«منذ أيام الحروب الصليبية، والغربيون يتفاخرون بتميزهم العنصري على باقي البشرية، ويبدون ازدراء صريحا إلى حد ما تجاه الأجناس غير الأوروبية، باعتبار ذلك إحدى خصائص الحضارة الغربية، ومثال على ذلك اضطهاد الجالية اليهودية في انجلترا وفرنسا وألمانيا في العصور الوسطى الأولى، وفي إسبانيا في العصر الحديث وطرد المورسكيين واستعباد المسلمين» (٧).

تحديات ومآلات

على أن الثقافة الإسلامية اليوم تقف أمام تحديات حقيقية، أدناها إعادة تجديد وبسط المفاهيم والتصورات، وأعلاها من حيث الفاعلية والانتشار والتأثير. إن الغالب على مصطلح الثقافة هو الجمع بين عوالم الأفكار والأشياء والفاعلية، وهي العوالم التي ناقشها المفكر الجزائري مالك بن نبي بأناة وبسط ماتعين في كتابه «مشكلة الثقافة»، لقد رأى أن المصطلح تطور بتطور الأنساق الفكرية الغربية حتى استحال إلى معنيين متناقضين في النسقين: الغربي، الذي اهتم بعالم الأفكار. والماركسي، الذي اهتم بعالم الأشياء. ورأى في ذات الوقت أن الثقافة تمثل مشكلة في العالم العربي والإسلامي لضعف فاعليتها على الصعيد العالمي (٨).

كتب بن نبي كتابه ذاك في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، حين كان الصراع بين الاشتراكية والليبرالية على أشده، وجرى تحت نهر التاريخ نصف قرن من الأحداث الكبرى، وأطل العالم الإسلامي فاعلا ومشاركا وباحثا ومبحوثا عنه عند الآخر الغربي منذ ما بعد حقبة الحرب الباردة، وسقوط جدار برلين، وحتى أحداث سبتمبر وما بعدها. وبدأ هؤلاء الباحثون من جديد في الحديث عن الثقافات ودورها في تشكيل الهويات الاجتماعية، وعلى رأسها الثقافة الإسلامية، وبقي بن نبي محقا حين كشف أن الثقافة ترسخ الحدود الجغرافية والإنسانية (٩)؛ وذلك ما يتكشف في الأطروحات التي تتناول العلاقة بين الثقافتين الغربية والإسلامية، وبعضها يمثل تحديات كبيرة للثقافة الإسلامية، والتي تتجلى في محاور ثلاثة:

■ الأول: في تفرد الثقافة الغربية بالعقلانية والإبداع وضرورة الهيمنة، وهو ما نراه عند الألماني ماكس فيبر في «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية»، وانتهاء بفرانسيس فوكوياما في «نهاية التاريخ»، وأثرها في تحفيز نظرة الاستعلاء الثقافي عند الغربي.

■ الثاني: أطروحات «صدام الحضارات وحرب الثقافات»، وهي ما نراه عند صمويل هنتجتون وبرنارد لويس والمؤمنين بنظريتهما، وأثرها في تسعير الحروب، وبسط الهيمنة الثقافية بالقوة في كل مكان بما فيه العالم الإسلامي.

■ الثالث: المؤمنون بالتسامح و«حوار الثقافات»، مثل بعض الأطروحات العربية والغربية، وأثرها في التسامح والسلام والتعايش بين الثقافات (١٠).

إن أشد التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية تنبع من ذاتها ومن غيرها؛ من ذاتها بجهل بعض أبنائها بتاريخها ومكوناتها ووضعها الآني العاجز، أو مقدار «فاعليتها»، كما ذكر مالك بن نبي. ومن غيرها من خلال أطروحات العداء الثقافي مثل «حرب الثقافات» وأثرها في الهجوم على الثقافة الإسلامية بكل الوسائل الممكنة؛ فما «يجري في زمننا الراهن هو صيغة أخرى لما جرى في التاريخ من حروب من قبل، بحيث تمثل آليات الاحتكار وتدفق الإعلاميات والإعلام شكلا من العنف الجديد الموصول بذاكرة الهيمنة والتسلط الإمبراطوري القديم. أما المستوى الثاني، فيتعلق بما يسميه «انسياب الأفكار» وعادة ما تجري بصورة هادئة وبطيئة وغير مرئية، ولكن لها رغم ذلك قدر من التأثير العميق في البنى الثقافية والعقلية والنفسية، وإليها يعزى جميع التحولات التاريخية الكبرى والتداخلات الوثيقة» (١١).

يحتاج القائمون على الثقافة الإسلامية اليوم إلى معرفة أين صارت هذه الثقافة من حيث التأثير والانتشار، وإلى إعادة النظر في الأدوات والأشخاص، وإلى ضرورة وجود «مشروع» ذي إستراتيجية محددة المعالم لا تخضع للعشوائية وردة الفعل، وإلى ما يمكن الإفادة منه في الثقافات الأخرى، وإلا صارت الثقافة الإسلامية هدفا مستباحا لمشاريع أخرى، وما أكثرها في عالم اليوم!

الهوامش

١- مجموعة من المؤلفين: نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢٣ - الكويت، يوليو ١٩٩٧م، ص٢٩.

٢- سيد قطب: معالم في الطريق، دار الشروق، الطبعة السادسة - القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٢٦.

٣- علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس، دار النشر للجامعات، الطبعة الثانية - مصر، ١٩٩٧م، ص٩٥.

٤- مونتجومري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، الطبعة الأولى - القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢٢ و٢٣.

٥- البخاري، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (١١٥٥/٣، ح٢٩٩٥).

٦- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل - بيروت، ١٩٨٨م، ٩٥/١٤، ٩٦.

٧- خوليو رييس روبيو: الأندلس؛ بحثا عن الهوية الغائبة، ترجمة غادة عمر ورنا أبو الفضل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى - القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٠٧.

٨- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، دار الفكر - بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٣ - ٤٢.

٩- مالك بن نبي: السابق، ص٩٧.

١٠- انظر: عبدالرزاق الداوي: في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى - بيروت، ٢٠١٣م.

١١- عبدالرزاق الداوي: السابق، ص١٣٨.

د. مجدي حسن
باحث في وزارة الأوقاف الكويتية



التربية الثقافية في القرآن

حمل القرآن على عاتقه إعادة الصياغة الفكرية والثقافية للإنسان، الإنسان الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض ليقوم بتطبيق منهج الله. هذا الإنسان لابد أن تتكامل عنده الرؤية إلى الحياة بكل جوانبها، لابد أن يكون على وعي تام بكل ما حوله من الكون لمعرفة المبدأ والمآل والحكمة والوجهة التي يتوجه إليها.

لقد تردى الجانب المعرفي والثقافي لدى الإنسان زمن الفترة قبل بعثة النبي ﷺ فكان لابد من إعادة صياغة هذه العقول وتربيتها تربية ثقافية تأخذ بأيدي الإنسانية إلى تحقيق المراد من وجودها.

من هنا جاء القرآن بمنهج التنوير ليأخذ بيد العقل الإنساني ليهديه سواء السبيل لاسيما العقل المسلم ليطلق له عنان الفكر والتدبر والنظر في الأنفس والآفاق.

بل أطلق العنان للعقل هناك.. هناك.. في عالم الملك والملكوت والعلم والإبداع والتاريخ القديم



والجغرافيا وعلم الزراعة وعلم الصناعة والعمل التطوعي، بل والأفكار الدائرة في العالم من الملل والنحل ورسالات السماء السابقة على القرآن الكريم وما طرأ عليها من التغيير والتبديل.

لقد ربى القرآن الكريم المسلم على النظر في الآفاق والملكوت الذي لا يدركه بعينه بقدر ما يدركه بعقله وفكره.

فطالب القرآن المسلمين بالنظر والتفكر في مخلوقات الله تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي فقال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس:١٠١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران:١٩٠).

فجعل الكون محرابا للعابدين.

وقال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات:٢١)

ووجه القرآن الكريم العقل المسلم إلى النظر إلى التاريخ والاعتبار بمصير الأمم السابقة كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (الصافات:١٣٧-١٣٨).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سبأ:١٥-١٧)

ومع مراعاة أن القرآن الكريم ابتدأ نزوله بمكة التي لم تشتهر بالزراعة إلا أن القرآن الكريم عمل على تثقيف المسلم بثقافة زراعية بذكر أنواع الزروع والثمار وألوانها.

فقال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد:٤).

ويطوف بالعقل المسلم في مملكة الأنعام ليرشده إلى الحكمة من خلقها وتنوع وظائفها. فقال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (النحل:٥-٧).

وفي الجانب الفكري من العقائد والملل والنحل ارتفع القرآن الكريم بثقافة المسلم حتى يكون على وعي بالحركة الفكرية المنتشرة في المجتمعات، والله تعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام:٥٥).

فيتعرف الفلسفات المختلفة وينقدها ويوجهها ويبين تهافتها.

ويرتقي أكثر بثقافة المسلم حين ينهاه عن الجدال إلا بالتي هي أحسن فيكون على مستوى الحوار العلمي والأخلاقي مما يؤهله لإثبات المطلوب ودحض الشبهات.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ

﴿مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٦)

إن التربية الثقافية في القرآن الكريم لا تنفك عن الأخلاق الكريمة والسلوكات الحميدة فهي جزء منها وليست ندا لها.

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

فهي ثقافة معتدلة عفيفة، الفضيلة جزء منها، أما الثقافة الفاجرة فالقرآن يريد من المسلم أن ينهى عنها وينأى عنها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (النور:١٩).

الجانب التطبيقي لثقافة الآخر في حياة النبي ﷺ

إن النبي ﷺ تعامل مع غير المسلمين أخذا وردا ونقدا، فما كان مما عندهم يحقق المصلحة والمنافع للأمة أو لا يتعارض مع القرآن والسنة فلا بأس أن ننتفع به ونتعرف عليه طالما توافق مع الأصلين العظيمين القرآن والسنة.

وقد قال الفقهاء: حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله.

وقد أخذ النبي ﷺ فكرة الخندق -التي لم يكن يعرفها العرب- من سلمان الفارسي، فتلاقح الثقافات تحت لواء الاسلام لا غبار عليه طالما يخدم المصلحة العامة للأمة.

وقد استفاد النبي ﷺ من خبرة عبدالله بن أريقط الذي كان مشركا في طريق هجرته ليكون دليلا له في هذه الرحلة الخطيرة التي يتوقف عليها مستقبل الدعوة إلى الله.

لقد أسهمت هذه التربية الثقافية في إنشاء جيل يعرف كيف يتعامل مع ثقافة الآخر. وما يأخذ منها وما يذر.

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ بتدوين الدواوين وذلك بعد الفتوحات لبلاد فارس والروم فرأى ذلك النظام في تدوين أسماء الجند والعطايا وغير ذلك، وإن كانت تكتب بلغاتهم حتى ترجمت في عهد الخليفة عبدالملك ابن مروان إلى اللغة العربية.

فكان هناك وعي ثقافي لدى هذه الثلة المباركة تفرق بين ما هو مفيد ونافع يدخل تحت العلم النافع ويفيد المصلحة العامة وبين ما هو تشبه محض لا يفيد ولا يسمن ولا يغني من جوع فيدخل صاحبه تحت حديث رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

ضوابط تقبل ثقافة الآخر

وقد وضع النبي ﷺ ضوابط التلاقح الثقافي مبينا كيف يتعامل المسلم مع ثقافة الآخر.

ففي الحديث الشريف قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (صحيح البخاري).

فهذا إذن من النبي ﷺ يبيح الرواية عن أهل الكتاب، ولكن ليس على إطلاقه، بل بما يوافق الكتاب والسنة.

وللمرويات التي لا نعلم صدقها أو كذبها موقف آخر، روى أبوهريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ (الآية) (صحيح البخاري).

وهذا فيما إذا أخبروا بشيء لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا نقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا، ولا تصديقه فلعله أن يكون باطلا، ولكن نؤمن به إيمانا مجملا معلقا على شرط وهو: أن يكون منزلا، ولا مبدلا، ولا مؤولا.

تلك هي الضوابط التي وضعها النبي ﷺ للتعامل مع ثقافة الآخر بقوله وفعله حتى يكون المسلم خبيرا بالواقع على صلة بالماضي والحاضر والمستقبل.

فأي مرونة وعقل متفتح، وفكر متقد، وفطنة لماحة اتسم بها عقل النبي ﷺ؛ ليربي جيلا من المسلمين متواصلا مع الآخر مخترقا حدود الزمان والمكان فلا يمنعانه من الانتفاع بالعطاء الثقافي في أي زمان ومكان، ليسوا متقوقعين داخل الذات يجهلون ما يحدث خارجها.

إنها رسالة للمسلم في كل مكان وزمان.. اقرأ، اكتب، سطر بالقلم، انطلق، تعلم، تفكر، تثقف، أبدع، قدم جديدا للعالم، وتواصل مع بني جنسك، ولا تكن عالة على الناس في العمل، والإبداع، والفكر، والثقافة، إنها تربية القرآن الكريم.



أحمد أمين
كاتب وباحث في التاريخ الإسلامي

الحضارة الإسلامية في صقلية

تعتبر الأندلس نقطة تحول كبيرة في عملية الفتوحات الإسلامية، فقد نقلت الحركة الجهادية إلى مناطق عديدة، وساهمت في نقل الحضارة العربية الإسلامية، بثقلها العلمي والفكري حينذاك، إلى شعوب وبلاد عديدة في أوروبا. من ضمن تلك البلاد التي شع عليها نور الحضارة الإسلامية جنوب إيطاليا وصقلية، إذ شهدت أزهى عصورها ونهضتها خلال فترة حكم المسلمين.

الصراع في البحر المتوسط

لم يتوقف الصراع بين المسلمين والروم والبيزنطيين على فرض سيطرتهم على البحر المتوسط والتحكم في طرق التجارة البحرية، فمنذ تكوين الأسطول البحري الإسلامي وإدراك أهمية البحر المتوسط، ظلت الأساطيل الإسلامية تجوب عباب البحار فاتحة بلادا ومدنا عديدة؛ ففتح المسلمون جزيرة كريت وقبرص وردوس والجزائر الشرقية (البليار).

مع زيادة القوة البحرية للمسلمين، وضعوا نصب أعينهم فتح باقي جزر المتوسط، وهي الجزر الثلاث الكبرى: صقلية وسردانية وكورسكا. وكانت أهمية الجزر وموقعها الجغرافي المميز وثرواتها الطبيعية مقصدا قويا للمسلمين، فكانت هدفا للبحارة والمجاهدين، لكنها كانت حملات ينقصها القوة والتأييد الرسمي، سواء من حكومة الأندلس أو إفريقيا؛ لذلك لم يتم فتح أي من تلك الجزر فتحا كاملا خلال تلك المرحلة.

حتى الغزوات الإسلامية لصقلية، منذ أيام الأمويين، كانت صغيرة الحجم وغير كافية لفتح البلاد، وكانت أولى المحاولات في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم تلتها محاولات عدة أخرى، لكن لم يثبت للمسلمين فتح خلالها. وفي عام ١٢٢هـ نزل حبيب بن أبي عبيدة (حفيد عقبة بن نافع فاتح إفريقيا) أرض صقلية، ومعه ابنه عبدالرحمن، وفي نيته أن يمضي قدما حتى يفتح الجزيرة كلها، لكن اضطراب الأمور في إفريقيا جعله يعود سريعا للتصدي لإحدى الثورات هناك.

مع بداية القرن الثالث الهجري تزايدت القوى البحرية للمسلمين بشكل كبير للغاية، فأنشأت حكومة قرطبة في الأندلس أسطولا ضخما، كما أنشأت في إشبيلية دارا لصناعة السفن، كما اهتم الأغالبة (حكام إفريقيا) بالأساطيل البحرية لتأمين حدودهم البحرية، وظلت أساطيل الأندلس والأغالبة تجوب عباب المتوسط معلنة السيادة عليه، مما جعل فتح صقلية أمرا سهل المنال وفي متناول قوة المسلمين.

الفتح

في عام ٢١٢هـ سنحت الفرصة للمسلمين لفتح صقلية، حيث وقع الشقاق والخلاف بين قائد الأسطول الصقلي فيمي والإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني، ووقعت بينهما بعض المعارك، فاستنجد فيمي بحاكم إفريقيا زيادة الله بن الأغلب ووعده بتسليم صقلية له والانضواء تحت حكمه (١).

وجد زيادة الله بن الأغلب الفرصة سانحة لفتح صقلية، فعزم على فتحها، وجهز الأسطول، وانضم إليه عدد كبير من المجاهدين والبحارة، وولى ابن الأغلب قيادة الجيش والأسطول إلى أسد بن الفرات، الفارس الفقيه، وعلى الرغم من تجاوزه السبعين من عمره فإنه كان يتقد حماسة ورغبة في الجهاد والفتح.

أسد بن الفرات

وأسد بن الفرات بن سنان ولد بحران عام (١٤٢هـ/٧٥٩م)، كان أبوه من المجاهدين الذين قدموا إلى إفريقيا في زمن العباسيين. طلب أسد العلم منذ صغره، ونبغ في علم الفقه، ورحل في طلب العلم، وأخذ عن الإمام مالك، وعن أئمة مصر وبغداد، وصنف كتاب الأسدية أو المختلطة في الفقه المالكي. تولى أسد قضاء القيروان في عهد إبراهيم بن الأغلب (مؤسس أسرة الأغالبة). وعلى الرغم من اهتمام أسد بالعلم والنبوغ فيه، فإنه كان ممن جمعوا بين القلم والسنان، فقاد حملة كبيرة لفتح جزيرة قوصرة (٢).

تحرك أسد بن الفرات بالأسطول من مدينة سوسة يوم السبت، النصف من شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ، في نحو مئة مركب متوجها إلى صقلية، وقد تجاوز تعداد جيشه العشرة آلاف مقاتل.

هاجم أسد بن الفرات الجزيرة بكل قوة وبسالة، وعلى الرغم من كثرة عدد الجيش البيزنطي وتفوقه فإن ابن الفرات حقق انتصارات حاسمة في فترة وجيزة، واستطاع فتح الكثير من الحصون، لكن فجأة انتشر وباء قاتل في معسكر المسلمين، ووقع ضحيته الكثير، ومن بينهم الشيخ المجاهد أسد بن الفرات، حيث وافته المنية في مدينة قصريانة ووري هناك الثرى، ليختم التاريخ صفحة رائعة من صفحات الجهاد والحماسة، كان بطلها الشيخ المجاهد القائد الجريء، الذي أنهى حياته وختمها بنصر عظيم.

بعد وفاة ابن الفرات واصل المسلمون فتحهم للجزيرة، ورغم مواجهة بعض المشاكل والعقبات فإنه في النهاية تكلل جهاد المسلمين بالفتح والسيطرة على الجزيرة.

عصر النهضة الإسلامية

بعد سقوط حكم الأغالبة في تونس وانتقاله إلى الفاطميين، تولى الإمارة في الجزيرة في سنة ٣٣٦هـ الحسن بن علي الكلبي، ولم تحب صقلية ولاة من قبل الخليفة الفاطمي كما أحبت بني أبي الحسين (٣).

اشتهر الكلبيون بالعدل والمساواة، ونشطوا الحركة التجارية والصناعية في الجزيرة؛ فحل الرخاء والأمن، كما كان لجهادهم القوي في الجنوب الإيطالي عامل كبير في استقرار أحوال صقلية وتأمين حدودها وحمايتها من الأعداء.

وتعاقب على صقلية من الكلبيين عشرة ولاة في مدة خمس وتسعين سنة، شهدت في أثنائها تقدما في الحياة العمرانية وفي العلوم والآداب، كما شهدت جهادهم المستمر في جنوب إيطاليا وفي مقاومة أطماع الروم في الجزيرة.

وأخلدت صقلية إلى الهدوء، وجنت من ذلك خير الثمار. وكان من أسباب هذا الهدوء انشغال الجند في أكثر الأوقات بالحروب في جنوب إيطاليا، وإخلاص الكلبيين في الدفاع عن صقلية، واعتبار أنفسهم مستقلين استقلالا داخليا في شؤون الجزيرة (٤).

النهضة الإسلامية في صقلية

حرص المسلمون خلال حكمهم على تشجيع الزراعة والتجارة والفنون والعلوم والآداب، واشتهرت صقلية بخصوبة أراضيها وجودتها، فلما جاءها العرب المهرة، وأحسنوا تنظيم أحوالها الاقتصادية، جنوا ثمار هذا التنظيم، وأضحت مدينة بالرم (باليرمو) ثغرا تجاريا عظيما بين أوروبا المسيحية وإفريقيا الإسلامية، وما لبثت أن صارت من أغنى المدن في بلاد الإسلام، كما أدخلوا إلى صقلية كثيرا من أنواع الزراعة، فجاءوها بالليمون والبرتقال والقصب والأرز والنخيل والقطن والبردي، حتى نشأت في صقلية أساليب زراعية تلائم بيئتها، وأصبحنا نسمع في كتاب الفلاحة بما يسمى طريقة صقلية في زراعة البصل مثلا، أو عادة أهل صقلية في زراعة القطن، أو طريقتهم الخاصة في عمل معنب من عصير العنب الحلو. وأكثر الناس من زراعة الخضروات، وبعض أنواعها أدخلها المسلمون إلى الجزيرة. وكانت بلرم وضواحيها عامرة بالبساتين والأجنة والطواحين على وادي عباس، وكانت الأراضي السبخة القريبة منها مزروعة بالقصب الفارسي وبالمقاثي الصالحة، وكان في خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها البربير، وهو البردي المعمول (٥).

كما اشتهرت صقلية بصناعة الجلود والحرير والصوف والقطن والكتان الصقلي الذي كانت له شهرة واسعة، كما قامت فيها عدة صناعات كبيرة كصناعة السفن.

وبعث علم النبات بعثا جديدا على أيدي المسلمين في ذلك العصر، وقد كاد ينسى بعد ثاوفراسطوس (٦)؛ فقد وضع الإدريسي كتابا في النباتات وصف فيه ثلاثمئة وستين نوعا مختلفا

منها، ولم يقتصر اهتمامه بها على الناحية الطبية، بل عني أيضا بالناحية العلمية النباتية (٧).

سقوط صقلية

وقعت في نهاية حكم الكلبيين صراعات داخلية دامية أدت إلى تفكك قوى صقلية الإسلامية، مما جعل الفرصة سانحة أمام النورمان (٨)، فغزا الجزيرة ملكهم روجار ٤٨٤هـ، واستخلصها من يد المسلمين بعد صراع عنيف بين المسلمين والنورمان استمر حوالي عشرين عاما. وقد حاول المعز بن باديس (حاكم تونس) مساعدة المسلمين الصقليين فأرسل أسطولا ضخما لكن الأسطول تعرض لعاصفة بحرية رهيبة أدت إلى غرق معظمه.

بدأ المسلمون في تنظيم المقاومة في الجزيرة، خصوصا في جزيرة سرقوسة، وكان قائدها رجلا مغوارا شهما اسمه ابن عباد، وخاض معارك عديدة ضد روجار، وحقق انتصارات باهرة، وحرر بعض المدن، لكن سنة ١٠٨٥ وقعت معركة رهيبة بين روجار وبين ابن عباد، وعلى الرغم من ثبات ابن عباد والمسلمين فإن حجم الأسطول النورماني كان يفوقهم عدة وعتادا فوقعت الهزيمة في جيش المسلمين وقتل ابن عباد وخمدت الثورة.

اضطهاد المسلمين في صقلية

بعد سقوط صقلية عانت بعض المدن الإسلامية، التي كان المسلمون يشكلون فيها أقلية، من اضطهاد ديني ملحوظ، وصل لدرجة فرض التنصير بالقوة، حتى إن الرحالة ابن جبير وصف في رحلته ما شاهده من اضطهاد المسلمين ومعاناتهم على الرغم من تسامح الملكين روجار وغليام معهم، إلا أن الكثير من المسلمين كانوا يعانون بشدة، مما اضطرهم إلى إخفاء دينهم والتظاهر بالنصرانية لحماية أنفسهم من القتل والتعذيب.

وقد روى ابن جبير تلك الحادثة المؤلمة التي شاهدها بنفسه فقال: «في مدة مقامنا بهذه البلدة تعرفنا ما يؤلم النفوس تعرفه من سوء حال أهل هذه الجزيرة مع عباد الصليب بها، دمرهم الله، وما هم عليه معهم من الذل والمسكنة، والمقام تحت عهدة الذمة، وغلظة الملك، إلى طوارئ دواعي الفتنة في الدين على من كتب الله عليه الشقاء من أبنائهم ونسائهم، وربما تسبب إلى بعض أشياخهم أسباب نكالية تدعوه إلى فراق دينه، فمنها قصة اتفقت في هذه السنين القريبة لبعض فقهاء مدينتهم التي هي حضرة ملكهم الطاغية، ويعرف بابن زرعة، ضغطته العمال بالمطالبة حتى أظهر فراق دين الإسلام والانغماس في دين النصرانية، ومهر في حفظ الإنجيل ومطالعة سير الروم وحفظ قوانين شريعتهم، فعاد في جملة القسيسين الذين يستفتون في الأحكام النصرانية، وربما طرأ حكم إسلامي فيستفتى أيضا فيه؛ لما سبق من معرفته بالأحكام الشرعية، ويقع الوقوف عند فتياه في كلا الحكمين. وكان له مسجد بإزاء داره أعاده كنيسة، نعوذ بالله من عواقب الشقاوة وخواتم الضلالة، ومع ذلك فأعلمنا أنه يكتم إيمانه. فلعله داخل تحت الاستثناء، في قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (النحل:١٠٦)» (٩).

ولعل أخطر ما جرى للمسلمين في صقلية تلك الحادثة المؤلمة عندما قامت ثورة على مايون وزير غليام الأول منتصف عام ١١٦٠م، فقد كان مايون نزع السلاح من أيدي المسلمين. فلما قام النبلاء والبارونات بالثورة عليه، انتهز المسيحيون هذه الفرصة وهاجموا المسلمون، وأثخنوا فيهم قتلا وذبحا في شوارع بلرم، ثم قتلوا المسلمين الذين كانوا في الدواوين أو في الفنادق والحوانيت، ونزعوا الأكفان عن جثث الموتى، ولم يكن عدد من هلك من المسلمين قليلا، وممن قتل في هذه الواقعة الشاعر القفصي يحيى بن التيفاشي، ولعل الإدريسي كان من ضحاياها أيضا، ثم إن اثنين من اللمبارديين خرجا إلى بثيرة وغيرها، وجمعا الفلاحين اللاتين، وأغارا بهم غارات متتالية على المسلمين الذين كانوا يعيشون بين المسيحيين، من دون أن يراعوا في ذبحهم عمرا أو جنسا، حتى أبادوهم إلا قليلا نجوا بأنفسهم، ولجأوا إلى الغابات والجبال لتخفيهم عن أنظار المسيحيين، وبعضهم لجأ إلى قلعة في جنوبي صقلية يسكنها بعض إخوانهم في الدين (١٠).

صقلية

هي كبرى جزر البحر الأبيض المتوسط وأكثرها سكانا، وتعتبر منطقة ذاتية الحكم في إيطاليا، وكان لموقعها الجغرافي المميز عامل رئيسي في جعلها مقصدا للفاتحين والغزاة، فتناوب السيطرة عليها الفينيقيون ثم القرطاجيون، ومن بعدهم الإغريق والرومان، وصولا إلى البيزنطيين ثم المسلمين، الذين حكموها فعليا لمدة ٢٦٤ سنة، مما جعل التأثير الحضاري والثقافي والفكري العربي مازال ممتدا حتى يومنا هذا.

الهوامش

١- انظر: الكامل في التاريخ، (٤٨٩/٥).
٢- تاريخ ابن خلدون، (٣١٤/١).
٣- إحسان عباس: العرب في صقلية، ص٤٤.
٤- المصدر السابق.
٥- إحسان عباس: العرب في صقلية، ص٧٢.
٦- فيلسوف يوناني من تلاميذ أرسطو برع في علوم كثيرة أخصها النبات ٣٧٢ - ٢٨٧ ق.م.
٧- قصة الحضارة، (٣٥٩/١٣).
٨- شعوب الدول الإسكندنافية (الدانمرك والسويد والنرويج)، ويطلق عليهم غزاة الشمال أو الفايكنج.
٩- المصدر السابق، ص٢٧٨.
١٠- إحسان عباس: العرب في صقلية، ص١٤٩.

د. محمد بلاسي
باحث أكاديمي

الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصاحف

لقد قدس الله تعالى قرآنه المجيد، ومن مظاهر هذا التقديس: الرسم المصحفي، ويراد به الوضع الذي ارتضاه سيدنا عثمان ﵁ في كتابة كلمات القرآن وحروفه؛ حيث إن الأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق، من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير. لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل؛ فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق؛ وذلك لأغراض شريفة ظهرت، ومنها ما هو مكنون على أسرار كتاب الله، والتي تفسر يوما بعد آخر!

كتابة القرآن الكريم

اتخذ رسول الله ﷺ كتابا للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته؛ مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ.

وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، فيهم أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وغيرهم.

وكان رسول الله ﷺ يدلهم على موضع المكتوب من سورته، ويكتبونه فيما يسهل عليهم من العُسُب (١) أو اللخاف (٢)، والرقاع (٣)، وقطع الأديم (٤)، وعظام الأكتاف والأضلاع. ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ.

وهكذا انقضى العهد النبوي الشريف والقرآن مجموع على هذا النمط، بيد أنه لم يكتب في صحف ولا في مصاحف. بل كتب منثورا بين الرقاع والعظام ونحوها مما ذكرناه (٥).

ولما توفى النبي ﷺ وقام بالأمر بعده أحق الناس به أبوبكر الصديق ﵁ وقاتل الصحابةُ، رضوان الله عليهم، أهلَ الردة وأصحاب مسيلمة وقتل من الصحابة نحو الخمس مئة أشير على أبي بكر بكتابة القرآن في مصحف واحد (٦)؛ خشية أن يذهب بذهاب الصحابة فتوقف في ذلك من حيث إن النبي ﷺ لم يأمر في ذلك بشيء. ثم اجتمع رأيه ورأي الصحابة، رضي الله عنهم، على ذلك؛ فأمر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر ﵁ حتى توفي، ثم عند عمر ﵁ حتى توفي، ثم حفصة، رضي الله عنها (٧).

ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان ﵁ حضر حذيفة ابن اليمان فتح أرمينية وآذربيجان فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم للآخر: قراءتي أصح من قراءتك.. فأفزعه ذلك! وقدم على عثمان وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى؛ فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك. فأرسلتها إليه؛ فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هاشم أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم.

فكتب عنها عدة مصاحف؛ فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الشام، وترك مصحفا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين.

وأجمعت الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه؛ توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتا مستفيضا أنه من القرآن، فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ، كما صرح به غير واحد من أئمة السلف كمحمد بن سيرين وعبيدة السلماني وعامر الشعبي. قال علي بن أبي طالب ﵁: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل (٨).



وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من فِيِّ رسول الله ﷺ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبيِّ ﷺ.

فمن كان بالمدينة: ابن المسيب، وعروة، وسلم، وعمر بن عبدالعزيز، وزيد بن أسلم.

وبمكة: عبيد بن عمير، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مليكة.

وبالكوفة: علقمة، والأسود، والحارث ابن قيس، وعمرو بن ميمون، وأبوزرعة.

وبالبصرة: عامر بن عبد قيس، وأبوالعالية، ونصر بن عاصم، ويحيى ابن يعمر.

وبالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة وغيره.

ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية؛ حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان؛ ولتصديقهم للقراءة نسبت إليهم:

فكان بالمدينة: أبوجعفر القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبي نعيم.

وكان بمكة: عبدالله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصن.

وكان بالكوفة: يحيى بن وثاب وعاصم ابن أبي النجود وسليمان الأعمش ثم حمزة ثم الكسائي.

وكان بالبصرة: عبدالله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبوعمرو بن العلاء ثم عاصم ثم يعقوب الحضرمي.

وكان بالشام: عبدالله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي وإسماعيل ابن عبدالله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف؛ وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق؛ فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصلوها، وأركان فصلوها (٩).

وخلاصة القول:

إنك تستطيع أن تفرق بين مرات كتابة القرآن في عهودها الثلاثة: عهد النبي ﷺ، وعهد أبي بكر رضي الله عنه، وعهد عثمان رضي الله عنه:

أ- فجمع القرآن في عهد النبي ﷺ كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها، ولكن مع بعثرة الكتابة وتفرقها بين عُسُب، وعظام، وحجارة، ورقاع، ونحو ذلك، حسبما تتيسر أدوات الكتابة؛ وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثق للقرآن، وإن كان التعويل أيامئذ كان على الحفظ والاستظهار (١٠).

وإنما لم يجمع القرآن أيامئذ في صحف ولا مصحف لاعتبارات كثيرة:

أولها: أنه لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر حتى كتبه في صحف، ولا مثل ما وجد على عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف.

فالتعويل لايزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة.

ثانيها: أن النبي ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات.

ثالثها: أن القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل نزل منجما في مدى عشرين سنة أو أكثر.

رابعها: أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فمن المعلوم أن نزوله كان على حسب الأسباب، أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات.

والقرآن لو جمع في مصحف أو مصاحف والحال على ما شرحنا لكان عرضة لتغيير الصحف أو المصاحف كلما وقع نسخ، أو حدث سبب (١١).

ب- أما كتابة القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في صحف مرتب الآيات أيضا، مقتصرا فيه على ما لم تنسخ تلاوته مستوثقا له بالتواتر والإجماع؛ وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعا ومرتبا، خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفاظه.

ج- وأما كتابة القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل ما في تلك الصحف في مصحف واحد إمام، واستنساخ مصاحف منه ترسل إلى الآفاق الإسلامية؛ ملاحظا فيها تلك المزايا السالف ذكرها مع ترتيب سوره وآياته جميعا.

وكان الغرض منه إطفاء الفتنة التي اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل (١٢). ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (يونس:٦٤)

الرسم المصحفي

مزايا الرسم المصحفي:

للرسم العثماني مزايا وأغراض عديدة، منها: (١٣)

١- أن الرسم العثماني يدل على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة،

ولتوضيح ذلك، رسمت: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ (الشورى:٥) هكذا ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ من غير ضبط ولا نقط، فهي برسمها هكذا تحتمل قراءة نافع والكسائي بالياء: «يكاد السموات» كما تحتمل قراءة الباقين من السبعة بالتاء» تكاد «وقراءة حفص والكسائي» «تتفطرن» - بالتاء وفتح الطاء مشددة - وقراءة الباقين بالنون وكسر الطاء مخففة.

٢- إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة، وذلك نحو قطع كلمة «أمْ» في قوله تعالى: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ (النساء:١٠٩)، ووصلها في قوله تعالى ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الملك:٢٢)، إذ كتبت هكذا «أمّن» بإدغام الميم الأولى في الثانية وكتابتها ميما واحدة مشددة، فقطع «أمْ» في الآية الأولى في الكتابة للدلالة على أنها أمْ المنقطعة التي هي بمعنى بلْ، ووصل أمْ الثانية للدلالة على أنها ليست كذلك!؟

٣- الدلالة على معنى خفي دقيق، كزيادة الياء في كتابة كلمة «أيْد» من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ (الذاريات:٤٧) - بياءين - وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة: «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى»..

ومن هذا القبيل: حذف الواو من قوله: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ (الإسراء:١١) ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ (الشورى:٢٤)، للدلالة على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل، للتأثر به في الوجود؟

٤- إفادة بعض اللغات الفصيحة، مثل قوله سبحانه وتعالي: ﴿يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ (هود:١٠٥) كتب بحذف الياء هكذا «يَأتِ» للدلالة على لغة هذيل!

٥- حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال، ولا يتكلوا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة.

وينضوي تحت هذه الفائدة مزيتان:

أ- التوثق من ألفاظ القرآن وطريقة أدائه وحسن ترتيله وتجويده، فإن ذلك لا يمكن أنْ يعرف على وجه اليقين من المصحف، مهما تكن قاعدة رسمه واصطلاح كتابته؛ فقد تخطئ المطبعة في الطبع، وقد يخفى على القارئ بعض أحكام تجويده، كالقلقة والإظهار والإخفاء والإدغام والإشمام ونحوها، فضلا عن خفاء تطبيقها.

ولهذا قرر العلماء: أنه لا يجوز التعويل على المصاحف وحدها، بل لابد من التثبت في الأداء والقراءة، بالأخذ عن حافظ ثقة. وإن كنت في شك فقل لي بربك: هل يستطيع المصحف وحده بأي رسم يكون، أن يدل قارئا - أيا كان - على النطق الصحيح بفواتح السور الكريمة، مثل: كهيعص، حم، عسق، طسم؟ ومن هذا الباب الروم والإشمام في قوله سبحانه: ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ (يوسف:١١).

ب- اتصال السند برسول الله ﷺ، وتلك خاصية من خواص هذه الأمة الإسلامية امتازت بها على سائر الأمم.

هل الرسم المصحفي توقيفي؟

لقد انقسم علماؤنا الأجلاء عند الإجابة عن هذا التساؤل إلى فرق ثلاثة:

الفريق الأول:

ويرى أن الرسم المصحفي توفيقي لا تجوز مخالفته، وذلك مذهب الجمهور، واستدلوا بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم وأقرهم الرسول على كتابتهم، ومضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل، بل ورد أنه ﷺ كان يضع الدستور لكُتّاب الوحي في رسم القرآن وكتابته.

ومن ذلك قوله لمعاوية رضي الله عنه - وهو من كتبة الوحي - «ألق الدواة وحرِف القلم، وانصب الباء، وفرِق السين، ولا تعور الميم، حسِن الله، ومدَ الرحمن، الرحيم، وضَعْ قلمك على أذنك اليسرى، فإنه أذكر لك».

ثم جاء أبوبكر فكتب القرآن بهذا الرسم في المصحف، ثم حذا حذوه عثمان في خلافته، فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الكتبة وأقر أصحاب النبي ﷺ عمل أبي بكر وعثمان - رضي الله عنهم أجمعين -، وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين وتابعي التابعين، فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم، ولم ينقل أن أحدا منهم فكَر أن يستبدل به رسما آخر من الرسوم التي حدثت في عهد ازدهار التأليف، ونشاط التدوين، وتقدم العلوم، بل بقي الرسم العثماني محترما متبعا في كتابة المصاحف لا يمسُ استقلاله، ولا يباحُ حِماه! (١٤).

كما احتج هذا الفريق بأن للرسم العثماني أسرارا - كالتي سقناها آنفا -؛ لذا يجب الالتزام بهذا الرسم، ويستشهدون على ذلك بقول إمامين جليلين من أئمة المذاهب.

فقد سئل الإمام مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى.. والإمام أحمد بن حنبل يقول: «تحرم مخالفة خط عثماني في ياء أو ألف أو واو أو غيره» (١٥).

وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية ما نصه: «كلمة (الربا)

تكتب بالواو والألف كما جاء في الرسم العثماني، ولا تكتب في القرآن بالياء أو الألف؛ لأن رسمه سنة متبعة» (١٦).

وجاء في المحيط البرهاني في فقه الحنفية ما نصه: «إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني» (١٧).

هذا، وقد أثيرت هذه المسألة في زماننا، وكان للجنة الفتوى بالأزهر الشريف إسهام فيها؛ إذ رأت الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه، واحتجت لما رأته: «بأن القرآن كتب في عهد النبي ﷺ برسم كتب به مصاحف عثمان. واستمر المصحف مكتوبا بهذا الرسم في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعا أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولا إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة...» (١٨).

ورأى حفني ناصف - عليه رحمة الله -: وجوب المحافظة على الرسم العثماني؛ لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة، وفي المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظا وكتابة، فلا يفتح فيه باب الاستحسان (١٩).

الفريق الثاني:

ويرى أن رسم المصاحف اصطلاحي لا توفيقي، وعليه فتجوز مخالفته.

وممن جنح إلى هذا الرأي ابن خلدون في مقدمته، وتحمس له القاضي أبوبكر الباقلاني في الانتصار.

ويرى هذا الفريق: أن ما في الرسم العثماني من زيادات أو حذوف لم يكن توقيفا أوحي به من عند الله على رسوله. ولو كان ذلك لآمنا به وحرصنا عليه، بل إن هذا الفريق ليذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فيرى أن هذا الرسم بما فيه من زيادات أو حذوف أو غيرها هو خطأ من الكتاب!! (٢٠).

يقول ابن خُلدون: «فقد كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط؛ لمكان العرب من البداوة والوحش وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها»! (٢١).

هذا؛ ولقد رد على هذا الفريق بما يلي: (٢٢)

١- بالأدلة التي ساقها جمهور العلماء لتأييد مذهبهم، والتي بعضها من السنة وبعضها الآخر من إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم.

٢- أن ما ادعاه بعضهم من أنه ليس في نصوص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه - مردود بما سبق من إقرار الرسول كتاب الوحي على هذا الرسم، ومنهم زيد بن ثابت الذي كتب المصحف لأبي بكر وكتب المصاحف لعثمان.. والحديث الآنف، وفيه يقول الرسول لمعاوية: «ألق الدواة وحرف القلم...إلخ»، فإنه حجة على أنه ﷺ كان واضع دستور الرسم لهم.

الفريق الثالث:

ويتزعمه سلطان العلماء العز بن عبدالسلام، وتبعه صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان.

وذهبوا إلى أنه يجوز بل تجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثماني الأول؛ لئلا يوقع في تغيير الجهال. ولكن في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني، كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح، فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض (٢٣).

يقول الشيخ عزالدين بن عبدالسلام: «لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة، لئلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه، لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين... ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة» أ. هـ (٢٤).

ولقد مال إلى هذا الرأي من المحدثين الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، إذْ يقول: «إن كل دعوة لإضافة أي جديد للرسم العثماني كانت تتلقى بالتحرج أولا، ولكنها على الرغم من ذلك - أخذت طريقها إلى الرسم؛ إيمانا من القائمين بها بأن فيها بيانا وتوضيحا...

لقد كان المصحف خاليا من النقط، ولما اتجه بعضهم إلى نقطه رأينا من يقف دون ذلك ويقول: جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء، ثم كان أن ترخص العلماء فيه، وقالوا: العجم نور الكتاب، وأنه لا بأس به ما لم تبغوا.

وبدأ أبوالأسود الدؤلي بالنقط في الحركات والتنوين لا غير، وجعل الخليل بن أحمد الهمز والتشديد والروم والإشمام، وقفا الناس في ذلك أثرهما، واتبعوا فيه سنتهما» (٢٥).

وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني

مما سبق يتضح: أن ابن خلدون يتزعم الفريق القائل:

بأن رسم المصاحف اصطلاحي لا توقيفي؛ وعليه فتجوز مخالفته.
ويرى هذا الفريق: أن ما في الرسم العثماني من زيادات أو حذف لم يكن توقيفا أوحي به من الله على رسوله، ولو كان كذلك لآمنا به وحرصنا عليه، بل إن هذا الفريق ليذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فيرى أن هذا الرسم بما فيه من زيادات أو حذوف أو غيرها إنما هو خطأ من الكتاب! (٢٦).

يقرر ذلك ابن خلدون بقوله: كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع.

ويضيف قائلا: وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخط عند أهلها. ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه، كما يقتضي لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركا، ويتتبع رسمه خطا وصوابا. وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه، فاتبع ذلك وأثبت رسما، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه.

ويتحمس ابن خلدون لما جنح إليه؛ قائلا: ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس ما يتخيل؛ بل لكلها وجه. ويقولون في زيادة الألف في (لا أذبحنه): أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض. وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط. وحسبوا أن الخط كمال، فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح. واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس وقد كان النبي ﷺ أميا، وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة إلى مقامه؛ لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها. وليست الأمية كمالا في حقنا نحن؛ إذ هو منقطع إلى ربه، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا، شأن الصنائع كلها، حتى العلوم الاصطلاحية. فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا (٢٧).

الرد على ما جنح إليه ابن خلدون

يمكن الرد على ابن خلدون فيما جنح إليه هو ومن تابعه بما يلي: (٢٨)

أولا: بالأدلة التي ساقها جمهور العلماء لتأييد مذهبهم، والتي بعضها من الكتاب والسنة وبعضها الآخر من إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم.

ويرى هذا الفريق: أن الرسم المصحفي توقيفي لا تجوز مخالفته.

ثانيا: أن ما ادعاه بعضهم من أنه ليس في نصوص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه- مردود بما سبق من إقرار الرسول ﷺ كتاب الوحي على هذا الرسم، ومنهم زيد بن ثابت الذي كتب المصحف لأبي بكر وكتب المصاحف لعثمان... والحديث الآنف، وفيه يقول الرسول ﷺ لمعاوية: «ألق الدواة، وحرف القلم... الخ»؛ فإنه حجة على أنه ﷺ كان واضع دستور الرسم لهم.

ثالثا: ما احتج به جمهور العلماء بأن للرسم العثماني أسرارا، ومزايا وأغراضا عديدة، على النحو الذي وضحناه (٢٩).

مما سبق يتضح: أنه لا صحة لما جنح إليه ابن خلدون في مقدمته من أن الرسم المصحفي اصطلاحي، وأن ما ورد فيه من زيادات أو حذف أو غيرها إنما هو خطأ من الكتاب!

فالأمر، كما وضحنا بالأدلة والبراهين، لا يتعلق بإحكام الخط من عدمه، كما جنح إلى ذلك ابن خلدون وتحمس؛ إن الأمر متعلق بتوقيفية الرسم المصحفي كما سبق وأوضحنا!

من هنا؛ يجب الالتزام بالرسم العثماني، وذلك مذهب جمهور العلماء؛ على النحو الذي وضحناه آنفا.

أقول: إن رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة، خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية! وحيث إن الإعجام والضبط ظاهرة لغوية عامة طرأت على العربية؛ فلا حرج أن يلحق ذلك بالرسم المصحفي - فيما أرى - مادام هذا لا يغير شكل الرسم العام، والذي هو مكمن السر. أما كتابة القرآن بالطريقة الإملائية ففيه من الخطر ما فيه؛ حيث يكتب هؤلاء بطريقة

وأولئك بأخرى، وتتطور الطرق؛ مما يحدث اللبس؟

«فليتعلم كل مسلم أصول الرسم المصحفي كما يتعلم أصول العبادات»، والله أعلم..

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن: للعلامة السيوطي (ت ٩١١هـ). الطبعة الرابعة، مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٩٧٨م.

٢- بحوث ومقالات في فقه العربية: د. محمد السيد علي بلاسي، الطبعة الأولى، دار الولاء للتراث، سنة ١٩٩٤م.

٣- تاريخ القرآن الكريم: د. محمد سالم محيسن، ط. رابطة العالم الإسلامي، سنة ١٤٠٢هـ.

٤- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، ط. دار نهضة مصر، سنة ١٣٨٠هـ.

٥- قطوف من فقه اللغة: د. محمد السيد علي بلاسي، الطبعة الأولى- دار ظافر، سنة ٢٠٠٠م.

٦- مقدمة ابن خلدون، ط. مصطفى محمد.

٧- مقدمة لدراسة القراءات القرآنية: د. محمد السيد علي بلاسي، الطبعة الأولى، مركز آيات للطباعة، سنة ١٤٢٩هـ.

٨- مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، ط. عيسى البابي الحلبي.

٩- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، ط. مصطفى محمد بمصر.

الهوامش

١- العُسُب - بضم العين والسين -: جمع عسيب، وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.

٢- اللخاف - بكسر اللام - جمع لخَفَة بفتح اللام وسكون الخاء: وهي الحجارة الرقيقة.

٣- الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

٤- الأديم: الجلد.

٥- مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، ٢٤٦/١، ٢٤٧ وهامشها، ط. عيسى البابي الحلبي، د. ت.

٦- اعتاد الكثيرون من العلماء - قديماً وحديثا - أن يقولوا في مثل هذا الموطن: «جمع القرآن»، ونسوا أنّ الجمع يراد به أحد أمرين:

أ- جمعه بمعنى حفظه.

ب- جمع القرآن بمعنى: الكتابة.

وقد تحقق كلا الأمرين في عهد النبي ﷺ.

٧- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، ١/ ٧ / ط. مصطفى محمد، بمصر، د. ت.

٨- المصدر السابق: ١/ ٧، ٨ - بتصرف يسير -.

٩- نفس المصدر: ١/ ٨/ ٩ - باختصار -. وقارن بـ: مناهل العرفان: ١/ ٢٤٦ وما بعدها. والإتقان في علوم القرآن: للعلامة السيوطي (ت ٩١١هـ)، ١/ ٧٦ وما بعدها، الطبعة الرابعة - مصطفى البابي الحلبى، سنة ١٩٧٨م. وتاريخ القرآن الكريم: د. محمد سالم محيسن، ص ١٢٨ وما بعدها؛ ط. رابطة العالم الإسلامي، سنة ١٤٠٢هـ؛ تجد مزيدا من التفصيل.

١٠- مناهل العرفان: ١/ ٢٦٢.

١١- المرجع السابق: ١/ ٢٤٨.

١٢- نفس المرجع: ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.

١٣- انظر: المرجع السابق: ١/ ٣٧٣ وما بعدها. وراجع: رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، ص ١١٤ وما بعدها، ط. دار نهضة مصر سنة ١٣٨٠هـ؛ تجد مزيدا من التفصيل.

١٤- مناهل العرفان في علوم القرآن،: ص ٣٧٧ - بتصرف -.

١٥- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: ص ١١٦، ١١٧، نقلا عن المحكم: ص ١٥.

١٦- مناهل العرفان في علوم القرآن: ص ٣٧٩.

١٧- نفس المرجع والصفحة.

١٨- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: ص ١١٨، نقلا عن مجلة الرسالة: العدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧م.

١٩- المرجع السابق: ص ١١٨، نقلا بتلخيص عن مجلة المقتطف: عدد يوليو سنة ١٩٣٣م.

٢٠- نفس المرجع: ص ١١٩ - بتصرف يسير -.

٢١- مقدمة ابن خلدون: ص ٤١، ط. مصطفى محمد.

٢٢- مناهل العرفان في علوم القرآن: ص ٣٨١، ٣٨٢ - بتصرف يسير - وراجع ما بعدهما من صفحات؛ تجد مزيدا من التفصيل.

٢٣- مناهل العرفان في علوم القرآن: ص ٣٨٥، ٣٨٢ - بتصرف - وراجع رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: ص ١٢١ وما بعدها، تجد مزيدا من الإيضاح.

٢٤- مناهل العرفان في علوم القرآن: ص ٣٨٥.

٢٥- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: ص ١٢١.

٢٦- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: د. ت. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، ص ١١٩- بتصرف يسير -، ط. دار نهضة مصر، سنة ١٣٨٠هـ. وراجع؛ بحوث ومقالات في فقه العربية: د. محمد السيد علي بلاسي، ص ٨٨ وما بعدها، الطبعة الأولى، دار الولاء للتراث، سنة ١٩٩٤م؛ تجد مزيدا من التفصيل حول هذه القضية. هذا؛ ولعل ما تحمس له ابن خلدون في قضية الرسم المصحفي وعدم توقيفه ما قد يفتح المجال للمستشرقين المغرضين ومن تابعهم من أمثال جولد تسيهر وآرثر جفري: من أن الرسم المصحفي أصل لاختلاف القراءات! لمزيد من التفصيل؛ ينظر: قطوف من فقه اللغة: د. محمد السيد بلاسي، ص ٦٤ وما بعدها، الطبعة الأولى دار ظافر، سنة ٢٠٠٠م.

٢٧- مقدمة ابن خلدون: ص ٣٣٠، ٣٣١.

٢٨- مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/ ٣٨١، ٣٨٢ - بتصرف يسير -، وراجع ما بعدها من صفحات؛ تجد مزيدا من التفصيل.

٢٩- نفس المرجع: ١/ ٢٧٧ - وما بعدها.

د. رضا عبدالحكيم
باحث دراسات إسلامية



معلقا عليها بأحكام الدفن في الشريعة

مراسم وطقوس الموتى

خلق الله الإنسان، فيحيا ويرزق، ثم كتب عليه الموت، تصديقا لذكره الحكيم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠). والإنسان حال حياته مكلف بعبادة خالقه، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦). يعيش الإنسان في أرض الله، طال عمره أو قصر، فهو ملاقي الموت، وبعد الموت، محقق بعثه بإذن الله؛ ليمثل أمام خالقه، قال تعالي: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (البقرة:٧٣)، وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه:٥٥). والقبر في تراب الأرض هو المثوى الأخير لموتانا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ (عبس:٢١).

كان أهل قبيلة عاد العربية البائدة يصنعون قبورهم في الجبال، وكان العرب قبل بزوغ الإسلام يضعون الميت على جانبه الأيمن، ويوجهون وجهه نحو الشرق، ويمدون رجليه، وكانوا يصنعون تلالا من قطع صخرية، ويجعلون بعضها فوق بعض لتشكل غرفة أو أكثر، ويتخذون منها قبورا، كما دفنوا مع الإنسان حيوانات وجرارا طينية وبيض نعام (على شكل



كؤوس وأوان فخارية) وقطعا عاجية وأسلحة برونزية، ليستفيد منها في العالم الآخر. كان من عادات العرب أن توقف ناقة ملفوفة الرأس معكوسة إلى يديها على قبر الميت، فلا تطعم ولا تسقى إلى أن تموت، زعما منهم انه يمتطيها يوم الحشر حين يخرج من قبره، وإلا حشر على رجليه. وتعقر الإبل مكافأة له على ما كان يبذله ويعقره أثناء حياته، وعربونا على أنها قد هانت عليهم أمام هول الفاجعة وعظم المصيبة التي حلت بهم لفقده.

● دلت المواثيق التاريخية وكشوف علم الآثار على ابتداع شعوب العالم القديم مراسم وطقوسا تتبع عند مواراة الموتى، وأن التدابير التي اتبعتها الأمم البائدة إنما تجد أساسها في المفهوم العقائدي لكل حضارة وعاداتها وتقاليدها السائدة. لقد سادت في العصور القديمة والوسيطة وسائل وأساليب متنوعة تتبع عند وفاة الفرد، وجلها ممارسات غير منبتة الصلة بما جرت عليه العقائد والعادات والتقاليد المستمدة من بيئة كل شعب من الشعوب، وهذا يفسر اختلاف الطقوس ومراسم الدفن، إذ اختلفت الشعوب في نظرتها إلى الموت، فحرص بعضها على الحفاظ على الجثث، فيما يسمى بـ «التحنيط»، إيمانا بعودة الروح إلى الجسد في يوم ما، ومن هنا وجب بقاء الجسد لتتلبس به الروح عند عودتها، واشتهر ذلك عن فراعين مصر القديمة وبعض شعوب الإنديز الأميركيين في العصر الوسيط. كما عبدت بعض المجتمعات موتاها، وأقامت الصلات معهم بعد الموت؛ تلمسا للبركات والدعاء. أيضا قدم بعضها القرابين تقربا للآلهة عند الموت وممارسة الدفن. وأوقدت شعوب أخرى النيران في جثث موتاها، وأكلت غيرها جثث الموتى، وتركت شعوب جثثها تأكلها الطير في أعالي الجبال، وأخرى دفنت موتاها أسفل قصورها مقيمة الأضرحة التي صارت مزارات، ودفنت النفائس والكنوز والملابس والأدوات مع أصحابها.

عبد الساميون والمصريون أمواتهم، إذ كانوا يحجون إلى قبورهم، ويحلقون شعورهم عندها، ويعقرون لها، ويعقدون المناحات بها، ويشيدون بفضائل الميت وشيمه، ويشربون الخمر، ويسكبون منها على قبره؛ ليسكر هو الآخر أيضا. وكانوا يخصصون مما يأكلون حصة تكون من نصيبه. كما عبد الصينيون أرواح أسلافهم، فقدسوا الموتى من آبائهم وأجدادهم وآباء أجدادهم وأجداد أجدادهم وحكمائهم وأباطرتهم وأبطالهم الوطنيين.

دفن المصريون واليونانيون قديما الذهب والفضة والجواهر واللآلئ مع موتاهم. ودفن السومريون جرارا من الجعة، وأرغفة من الخبز والحنطة، وعباءة، ووسادة، والحلي، والملابس، وعدة الحرب. وكانت مقابر الملوك تحويهم وجثث عدد من خدمهم وحاشيتهم الذين كان عليهم أن يموتوا بموتهم، لمرافقتهم إلى العالم الأسفل والعالم الآخر.

ولضمان حياة الميت في العالم الآخر، لابد من سلامة جسده لتعود إليه روحه، فابتكروا تقنية التحنيط، وعمدوا إلى مساعدته في أن يبدأ رحلته الجديدة وهو في كامل زينته، إذ جملوا جثته بالمجوهرات الذهبية والفضة والأحجار الكريمة وبجميع أنواع الحلي الملائمة لمقامه ومركزه الاجتماعي، وزودوها بالرقيات والتمائم الخاصة باستحضار الآلهة التي تحمي الفقيد، وترد البصر إلى عينيه والسمع إلى أذنيه والنطق إلى لسانه والمضغ إلى فمه والحركة إلى أطرافه.. من بينها تميمة رئيسية تقول كلماتها: «سوف تحيا في العالم الآخر أو سوف ترد إلى الصبا والشباب إلى أبد الآبدين».

في مملكة قطنة وتقع غربي سوريا، أقام شعبها حضارة امتدت إلى حوالي ٣٥٠ سنة. وبحسب كشوف علم الآثار، ذكر أن ملوكهم كانوا يتناولون الطعام والشراب نخب أسلافهم ممن

قضوا نحبهم وذلك في موعد القمر، باعتبار أن هذا التاريخ يلتقي فيه عالم الأحياء بعالم الأموات بحسب معتقداتهم، وحيث كان الشعب يتجمع خارج القصر، والمقامة أسفله المقابر الملكية، ليتناولوا الطعام في جو احتفالي يطلق عليه اسم «كيسبوم»، كانت الأسر، وعلى رأسها الابن الأكبر، تجزل الطعام والشراب لأجدادها.

كان من عادة الملوك، ومعهم الكهنة والبطانة، النزول إلى حيث حجرات الدفن، التي كانت تقام أسفل القصور بعمق كبير في الأرض، وحيث يتخذ الملك مقعدا لتناول العشاء مع الموتى من ذويه، وهم أبواه وجداه وآباء أجداده وبعض أسلافه، وينادي عليهم بدءا بوالده الذي كان يعتقد أن روحه حين تستدعى فهي تستلقي فوق سرير في غرفة في مؤخرة القبر.

دفن الفينيقيون والقرطاجيون في القرن السابع قبل الميلاد في قبور اتخذت شكل البيوت الحقيقية في باطن الأرض، وزينوها بالحجارة البهية الجميلة، وغطوها بالسقف المبلطة، وحفروها أحيانا في الصخور مباشرة في ثغور آبار تراوح عمقها بين خمسة أمتار و٢٠ مترا، يفضي كل منها إلى حجرتين أو ثلاث، وتجعل بها الجثث ملفوفة بالكفن فوق مقعد أو في تاووس، وتمدد داخل نعش دهن باللون الأحمر.

حضارة الواري، أولى إمبراطوريات الإنديز، والتي سبقت الأنكا في بيرو في حدود القرن السابع الميلادي، أقام ملوكها مقابر جنائزية خصصت لعبادة الأسلاف والأجداد. ويرافق الدفن أغراض ثمينة للمتوفى من الذهب والفضة ومصنوعات من سبائك النحاس.. وغيرها. وعرفوا التحنيط في شكل جلوس المومياء وإلباس المتوفى أنفس الثياب والزينة بالمجوهرات القيمة والتي تلف في شكل رزمة مع كسوتها ببزخ.

كان يدفن مع الملك مآثره في حياته، كلوحات ورسوم انتصاراته الحربية، وأعلى مدفنه يقام الضريح المزينة جدرانه بالألوان المميزة، وتوضع كنوز ونفائس الملك المتوفى في حجرات مجاورة لقبره، ومنها أنسجة بديعة الصنع. وفي الحجرات كانت تقام طقوس تبجيل الأجداد. وكانت المومياء تلف بأربطة جنائزية.

دفنت النساء في وضعية الجلوس، التي تعد وضعية تقليدية لدى شعب الواري في دفن موتاهم. وكانت الاختلافات الطبقية في مجتمع الواري حاضرة بقوة، كما في الحياة. فقد كان الحشم يدفنون علية القوم من النساء، وقد تكون إحداهن ملكة أو أميرة، في ثلاث حجرات خاصة داخل المقبرة. كانت نساء الواري النبيلات يزين آذانهن بأقراط بعضها في حجم مقبض الباب. وينتعلن نعالا من الجلد مزينة بألوان زاهية. وخارج جدران الحجرات الخاصة بالدفينات الوجيهات، في مكان فسيح ومشترك، كانت الخادمات تدفن النسوة الأقل وجاهة.

وقبل أن يغلق القبر فور انتهاء مراسيم الدفن، كان الخدام يستقدمون آخر العطايا عبارة عن قرابين بشرية، قد تكون لأطفال أو شبان يافعين، وبعد أن يفرغ الخدام من قتلهم يلقون جثثهم داخل القبر تعبيرا عن الوفاء للسلالة الحاكمة. ومن ثم يعمدون إلى إغلاق الحجرة ويختارون لحراستها شابا في مقتبل العمر وامرأة أكبر سنا، إذ يقتل الشاب والسيدة وتبتر الساق اليسرى لكليهما وتسجى جثتاهما في رداءين فتوضعان أمام مدخل الحجرة لحراستها؛ اعتقادا بأن بتر الساق يضمن ألا يبرح القربانان مكانهما في الحراسة.

حضارة الأنكا بالإنديز خلال القرن الثالث عشر عرف عن شعبها دفن المتوفى «بعد تحنيطه» في قبره. وقد كشف علماء الآثار، بالنسبة إلى وفاة أحد ملوك الأنكا، أن أقاربه كانوا يزورونه باستمرار ويسألونه النصيحة بشأن القرارات المصيرية للدولة، ومن ثم يأتمرون بما يرشدهم به على لسان وسيط يجلس بجانبه، كانوا يعتقدون أنه قرين روح الملك المتوفى.

يقام موكب يضم مومياء الملك المتوفى ومومياوات أسلافه (ملوكا وملكات) التي زين كل منها بأبهى الحلي والحلل، وتجلس في محفات غاية في التنميق، أي استعراض المومياوات.

الأزتك قامت حضارتهم في مطلع القرن الرابع عشر ١٣٢٥ بالمكسيك. مارسوا طقس القرابين البشرية على نطاق واسع. تثبت الشواهد قيام احتفالات سنوية يحمل فيها الكهنة أطفالا لتقديمهم قربانا لآلهة المطر. وكان الكهنة يلطخون وجوههم بدماء هؤلاء الأطفال داخل معابدهم. قدم الأسرى كقرابين، وكانت جثة أحدهم تقسم إلى قطع، فالفخذ كان يرسل إلى الإمبراطور، أما باقي الجثة فكان مادة وليمة من الطعام المطبوخ يتألف من الذرة والفول مضافا إليهما شرائح من اللحم الآدمي.

● وفي زمننا الحاضر، أضف إلى عبادة أسلافهم يحرق الهندوس موتاهم، ويلقون الرماد في الأنهار أو يعرض للرياح لتذروه. ومازالت بعض الشعوب تحنط جثث الموتى وتحتفظ بها في أماكن خاصة، مثلجة أو معالجة كيميائيا بالمواد الحافظة. واستمرت بعض الأمم إلى اليوم في إلقاء جثث الموتى في العراء، لاسيما في بعض ولايات أميركا بحدائق تسمى حدائق الجثث. وتأكل بعض قبائل إفريقيا موتاها وفق طقوس قل فيها ما شئت (١).. والله المستعان.

في شرعتنا

لا تحرق جثث موتانا، ولا تحنط، ولا تؤكل، ولا تلقى في العراء، ولا تقدم

لها القرابين، ولا تعبد.
انظر ما فعله الغراب الذي وارى جثة أخاه ليعلم الإنسان ما سنه الخالق تكبر وعلا في شأن مواراة الموتى، قال في علاه: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ (المائدة:٣١).
هكذا خلق الله الإنسان من التراب، وإلى هذا التراب يرتد عند موته، قال بحكمته: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ (الكهف:٣٧).
والأرض التي خرج منها الإنسان، ترابها الذي خلق منه، هو ذاته الذي يقبر فيه، قال جلا جلاله: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ (عبس:١٨-٢٢).
إن قبر الميت، أي دفنه، تشريع ملزم أمر به رب العالمين. قال ابن السكيت: «أقبره: صير له قبرا يدفن فيه.
وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾، أي جعله ممن يقبر ولم يجعله يلقى للكلاب. فالقبر مما أكرم به بنو آدم» (٢).
وتكفين الميت من سنن المصطفى ﷺ.
قال ابن الإعرابي: الكفن: التغطية.
قال أبومنصور، في معنى الكفن: ومنها سمي كفن الميت، لأنه يستره. وقال ابن سيده: الكفن: لباس الميت معروف، والجمع: أكفان. كفنه يكفنه كفنا وكفنه تكفينا. ويقال: ميت مكفون ومكفن. وورد الكفن في الحديث كثيرا، وذكر بعضهم في قوله: إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه، أي تكفينه. قال: وهو الأعم؛ لأنه يشتمل على الثوب وهيئته وعمله (٣).
ووجب الغسل قبل التكفين. فغسل الميت، أي تطهيره بالماء، فتغسل أعضاؤه وجسده كله، وذلك على المغسلة، وهي خشبة يغسل عليها الميت (٤).
وفي أحكام الجنائز يهيأ الميت مغسولا مكفنا ليصلى عليه، ثم يحمل على نعش يتوجه به حاملوه إلى حيث قبره بأرض الله كما أمر سبحانه وتعالى، لتكتمل دورة التصرف في جسد الميت كما نصت عليها الشريعة.
يتولى إنزال الميت إلى القبر ذووه من الرجال دون النساء، حتى لو كانت المتوفاة امرأة، لأن هذا هو الأمر المعهود في زمن رسول الله ﷺ والتابعين، ولأن الرجال أقوى، ولأنه يترتب على إدخال النساء الميت القبر تكشف عورات. وأولياء الأمر مقدمون على غيرهم، وقد صح أن الذي تولى دفن النبي ﷺ وإنزاله في قبره علي والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولقبه سفران، وهؤلاء من ذويه، ولما فرغوا قال علي رضي الله عنه: «إنما يلي الرجل أهله».
يتم إدخال الميت القبر من مؤخرة القبر، من جهة الرجلين، فقد أخرج أحمد وابن شيبة بسند صحيح عن ابن سيرين قال: «كنت مع أنس بن مالك في جنازة، فأمر بالميت فسل من قبل رجل القبر»، أي من جهة الرجل.
من السنة أن الذي يدخل الميت القبر يقول في لحده: «بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ»، كما ثبت ذلك في صحيح حديثه ﷺ.
ثم يجعل الميت على جنبه الأيمن، ويجعله جهة القبلة، ويجعل تحت رأسه حفنة من تراب كوسادة، ويفك العقد كما صح عن أبي هريرة، ويجعل خد الميت على هذه الوسادة من التراب، هذه الأمور المسنونة في إدخال الميت القبر (٥).
والتعزية مستحبة، وهي تشرع قبل الدفن وبعده، وتؤدى بكل صيغة، يكون فيها تسلية المصاب من أهل الميت وحثه على الصبر. بشرط خلوها من المحاذير الشرعية (٦).
قال الدردير المالكي: «وندب تعزية لأهله، وهي الحمل على الصبر بوعد الأجر، والدعاء للميت والمصاب» (٧).
وقال البهوتي الحنبلي: «معنى التعزية: التسلية والحث، أي حث المصاب على الصبر بوعد الأجر، والدعاء للميت إن كان مسلما» (٨).
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من عزى أخاه المؤمن في مصيبة كساه الله حلة خضراء يحبر بها يوم القيامة. فقيل: يا رسول الله، ما يحبر؟ قال: يغبط» (٩). عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من عزى مصابا فله مثل أجره» (١٠).

الهوامش

١- الجيلاني الغرابي، (٢٠١٥م): الفراق والموت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، ص:٩٧-١٠٥. ولائم الأموات في سوريا، مجلة ناشيونال جيوغرافيك، (٢٠١٢م)، المجلد الخامس، العدد ١٩. مدافن الواري المهيبة، مجلة ناشيونال جيوغرافيك، (٢٠١٤م)، المجلد ١٢، العدد ٤٥. الأنكا إمبراطورية بطموح جامح، مجلة ناشيونال جيوغرافيك، (٢٠١١م)، المجلد الثاني، العدد السابع. حول فهم القرابين البشرية لدى الأزتك، (١٩٨٣م)، مجلة الثقافة العالمية، المجلد الثاني، العدد ١١، أعداد من مجلة النيوزويك الأميركية.
٢- مختار الصحاح، ص٥١٨.
٣- لسان العرب لابن منظور، مج١٣، ص٣٥٨ و٣٥٩.
٤- المعجم الوجيز، ص٤٥٠.
٥- ما هي السنة في انزال الميت القبر؟ انظر: مشهور حسن سلمان. الشبكة: أحكام الغسل والتكفين والجنائز.
٦- د. عادل المطيرات، أحكام التعزية دراسة فقهية مقارنة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٦٠، السنة ٢٠، محرم ١٤٢٦هـ، مارس ٢٠٠٥م.
٧- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير (٩١٤/١)، وانظر: للمالكية: حاشية الخرشي على مختصر خليل (١٢٩/٢)، والذخيرة للقرافي (٤٨١/٢).
٨- كشاف القناع (١٦٠/٢).
٩- أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٠٨/٧). والألباني في حكام الجنائز (١٦٣).
١٠- أخرجه الترمذي (٣٨٥/٣) في كتاب الجنائز رقم الحديث (١٠٧٣).

سعيد الشوي
باحث من المغرب

عند العز بن عبدالسلام:
معايير فقه الموازنة بين المصالح

الأصل في الشريعة الإسلامية أنها جاءت لتحصيل المصالح جميعها؛ لأن الشرائع إنما وضعت لتحصيل مصالح العباد في الدنيا والآخرة، والمصالح كما هي في اصطلاح العز بن عبدالسلام، رحمة الله عليه، أربعة أنواع: اللذات وأسبابها، والأفراح وأسبابها (١).

لكن ومما لاشك فيه، أن هذه المصالح قد تتعارض وتتزاحم وتتنازع فيما بينها، بحيث لا يمكن تحصيل إحداها إلا بتفويت أخرى، فهنا لابد من الموازنة بينها لمعرفة أوزانها؛ ليترجح الراجح ويترك المرجوح؛ لأن تحصيل المصلحة المرجوحة بتفويت المصلحة الراجحة مفسدة مردودة شرعا.

وخاصة إذا علمنا أن المصالح رتب متفاوتة فيما بينها، فهي تتقسم حسب تفاوت رتبها إلى: الحسن، والأحسن، والفاضل، والأفضل، ولها رتب: عاليات، ودانيات، ومتوسطات متساويات وغير متساويات (٢)، والشارع يتشوف إلى تحصيل أحسن المصالح وأفضلها.

وعليه، فقد استنبط العلماء جملة من المعايير من نصوص الشرع وروحه؛ ليستندوا إليها في عملية الترجيح بين المصالح المتعارضة والمتنازعة، وكان لفارس المصالح العز بن عبدالسلام، رحمة الله عليه، النصيب الأوفر منها؛ إذ استطاع بحنكته المقاصدية بناء العديد من قواعد فقه الموازنة بين المصالح، مستندا في ذلك إلى معايير دقيقة تحقق مقصود الشرع في درء مفسدة تعطيل المصالح المتعارضة أو تحصيل مصلحة مرجوحة بتفويت أخرى راجحة، ومن هذه المعايير:

الأول: ترجيح تحصيل أعلى المصلحتين رتبة

قسّم العز، رحمة الله عليه، المصالح باعتبارها آجلة أو عاجلة إلى: مصالح أخروية ودنيوية، وقسم كلا منها باعتبار قوتها في ذاتها إلى ثلاثة أقسام: ضرورية، وحاجية، وتكميلية (٣). أعلاها رتبة الضروريات، وهي لابد منها في قيام مصالح الدارين. ثم تليها في المرتبة الثانية: الحاجيات، وهي ما يُفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى المشقة والحرج. ثم تأتي التحسينات في المرتبة الأخيرة، وهي أمور تقتضيها محاسن العادات ومكارم الأخلاق (٤).

وتتجلى أهمية هذا الترتيب بين المصالح عند تعارضها؛ إذ يلزم تقديم الأهم على المهم، والمهم على الأقل أهمية؛ فيقدم الضروري على الحاجي والتحسيني، ويقدم الحاجي على التحسيني. وقد سلك العز، رحمة الله عليه، هذا المسلك خلال عملية الموازنة والترجيح بين المصالح المتزاحمة، كما يتضح ذلك جليا من خلال: قاعدة «يقدم ما اشتدت الضرورة إليه على ما مست الحاجة إليه» (٥)، وقاعدة «الحاجات مقدمة على التتمات والتكملات» (٦)، وقاعدة «الضرورات مقدمة على الحاجات عند التزاحم» (٧).

الثاني: ترجيح تحصيل أعلى المصلحتين نوعا:

الضروريات خمسة أنواع، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال. وهذا الترتيب هو الذي ارتضاه الإمام الغزالي، رحمة



الله عليه، إذ قال عند تعريفه للمصلحة: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم...» (٨)، فبهذه العبارات المقتضبة حدد، رحمة الله عليه، مسلكه في ترتيب الضروريات الخمس. وتظهر قيمة ترتيب هذه الأنواع عند تعارض المصالح المتساوية من حيث الرتبة؛ إذ يُلجأ حينئذ إلى تقديم الأهم ثم المهم ثم الذي يليه؛ فيقدم حفظ الدين على باقي الأنواع، وتقدم مصلحة النفس على مصلحة العقل والنسل والمال، وتقدم مصلحة العقل على مصلحة النسل والمال، وتقدم مصلحة النسل على مصلحة المال.

والعز، رحمة الله عليه، وإن لم يصرح بترتيب هذه الضروريات، فقد سار على هذا النهج؛ فأعمل ووظف هذا المعيار في الموازنة بين المصالح المتساوية من حيث الرتبة والمتعارضة من حيث النوع، كما يتضح من خلال قاعدة «صون النفس مقدم على صون البضع» (٩)، والتي عبر عنها في موضع آخر بلفظ: «حرمة الدماء آكد من حرمة الأبضاع» (١٠)، وقاعدة «حرمة الأبضاع آكد من حرمة الأموال» (١١)، اللتين وازن فيهما بين المصالح مستندا في ذلك إلى ترتيبها من حيث النوع.

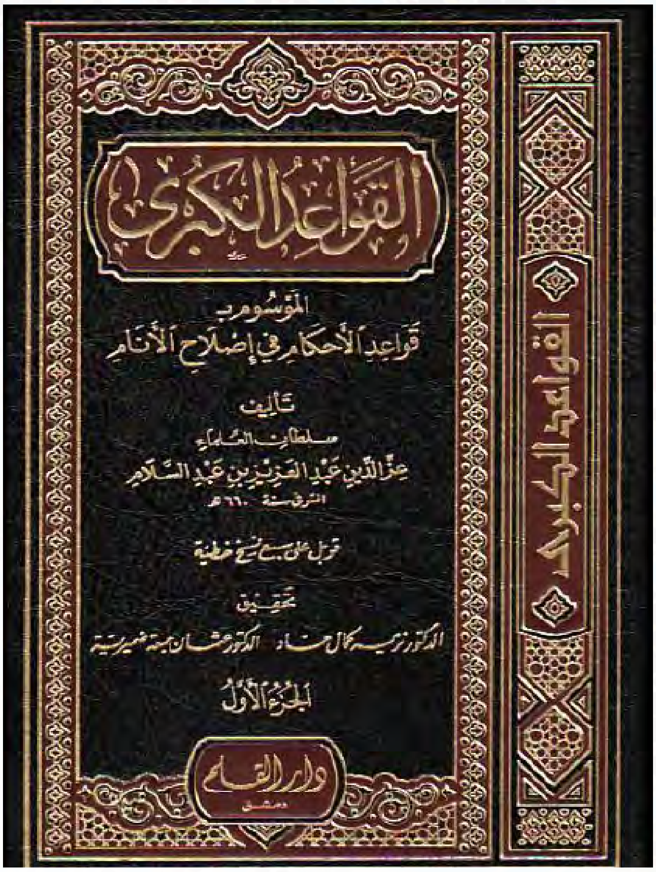
غير أنه في نسبة الدكتور جمال الدين عطية للعز، رحمة الله عليه، تقديمه مصلحة النفس على مصلحة الدين عند تعارضهما، فيه نظر، وقد صرح بهذا في قوله: «ذكر العز بن عبدالسلام أن الكفر القولي والفعلي يباح بالإكراه مع طمأنينة القلب بالإيمان، أما كفر القلب فلا يتصور الإكراه فيه، وأن واجبات دينية أخرى كالصلاة والصيام والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها يجب تركها بالإكراه بالقتل، وأنه إذا علم الغازي أنه يقتل من غير نكاية في الكفار وجب الانهزام، وفي هذا كله تقديم للنفس على الدين» (١٢).

فالعز، رحمة الله عليه، هنا، نظر إلى هذه المسالة بالنظر الجزئي، ولم ينظر إليها بالنظر الكلي، فهو، رحمة الله عليه، لم يقدم كلي النفس على كلي الدين، وإنما طبق قاعدة مقاصدية، مفادها أن «حفظ كلي النفس مقدم على حفظ جزئي الدين» (١٣)، وهذا هو شأن رخص الشرع وتخفيفاته؛ فيبيح للمسافر ترك إتمام الصلاة وترك أداء الصيام... وهذا في الحقيقة، ليس تقديما للنفس على الدين؛ لأن فروع الشيء غير أصوله من جهة، ومن جهة أخرى فإن مراعاة حفظ النفس في هذه الحالة هو حفظ لاستمرارية الدين؛ لأنه إذا فقدت النفس فقد من يتدين.

ويستشف من كلام العز، رحمة الله عليه، أنه يقدم حفظ أصل الدين

على أصل النفس، ومن ذلك مثلا قوله: «التلفظ بكلمة الكفر مفسدة محرمة، لكنه جائز بالحكاية والإكراه، إذا كان قلب المكره مطمئنا بالإيمان؛ لأن حفظ المهج والأرواح أكمل مصلحة من مفسدة التلفظ بكلمة لا يعتقدها الجنان. ولو صبر عليها لكان أفضل، لما فيه من إعزاز الدين وإجلال رب العالمين، والتغرير بالأرواح في إعزاز الدين جائز. وأبعدَ من أوجب التلفظ بها» (١٤).

وقوله كذلك: «ومن قدر على إنكار (المعاصي كلها) مع الخوف على نفسه، كان إنكارها مندوبا إليه ومحثوثا عليه؛ لأن المخاطرة بالنفوس في إعزاز الدين مأمور بها، كما يغَرّرُ بها في قتال المشركين وقتال البغاة المتأولين» (١٥).



ويفهم من هذا الكلام أمور:

الأول: أن العز، رحمة الله عليه، اشترط في جواز التلفظ بكلمة الكفر الحكاية فقط، مع اطمئنان القلب بالإيمان. ويُفهم من هذا، أنه لا يجوز العكس، أي: لا يجوز حفظ النفس بالتلفظ بكلمة الكفر مع اعتقاد القلب بها.

الثاني: أنه، رحمة الله عليه، فضّل عدم النطق بكلمة الكفر - حكاية - والصبر عليها؛ إعزازا للدين، وهنا فضل تقديم إعزاز الدين على حفظ النفس.

الثالث: أنه، رحمة الله عليه، قال بأن المخاطرة بالنفوس في إعزاز الدين مأمور بها.

الرابع: أنه، رحمة الله عليه، جوّز التغرير بالأرواح في إعزاز الدين، فما بالكم بالتغرير بها في سبيل حفظ الدين.

الثالث: ترجيح تحصيل أعلى المصلحتين حكما:

الأحكام التكليفية عند جمهور الفقهاء خمسة، وهي: الواجب، والمندوب، والمحرم، والمكروه، والمباح. وهي تختلف من حيث القوة والإلزام بحسب ما تحققه من المصالح وما تدرأه من المفاسد، فكلما كان الحكم جالبا لمصلحة كبرى أو دارئا لمفسدة عظمى كانت مرتبته أعلى. وقد أشار العز، رحمة الله عليه، إلى هذا التفاوت بين الأحكام الفقهية بحسب ما تحققه من مصالح، حين قال: «ولاتزال رتب المصالح الواجبة التحصيل تتناقص إلى رتبة لو تناقصت لانتهينا إلى رتب المصالح المندوبات... وأعلى رتب مصالح الندب دون أدنى رتب مصالح الواجب، وتتفاوت إلى أن تنتهي إلى مصلحة يسيرة لو فاتت لصادفنا مصالح المباح» (١٦).

وقد استند، رحمة الله عليه، إلى مراتب الأحكام الشرعية وتفاوتها من حيث الجلب للمصالح والدرء للمفاسد في الموازنة بين مصالح الواجب والمندوب والمباح عند تعارضها، وكذا مفاسد المحرم والمكروه عند تزاحمها، وهذا ما يتضح من خلال قاعدة «تقدم كل فريضة على نوعها من النوافل» (١٧)، وقاعدة «مصالح الإيجاب أفضل من مصالح الندب» (١٨)، وقاعدة «مصالح الندب أفضل من مصالح الإباحة» (١٩)، اللاتي وازن فيها بين مصلحتي الفرض الراجحة والنفل المرجوحة، وكذا بين مصالح الواجب والمندوب والمباح عند التعارض؛ فقدم الراجح على المرجوح.

الرابع: ترجيح تحصيل أكبر المصلحتين قدرا

منطق الموازنات يفرض عند تعارض المصالح المتساوية من حيث الرتبة والنوع الاحتكام إلى مقدار المصلحة، فتقدم المصلحة الكبيرة على المصلحة الصغيرة، وتقدم المصالح الكثيرة على المصالح القليلة... وهذا ما أكده العز، رحمة الله عليه، بقوله: «إذا اتحد نوع المصلحة... كان التفاوت بالقلة

والكثرة، كالصدقة بدرهم ودرهمين، وثوب وثوبين، وشاة وشاتين... وإن كان أحد النوعين أشرف قدم، عند تساوي المقدارين بالشرف كالدرهم بالنسبة إلى زنته من الذهب أو الجوهر، وكثوب حرير وثوب كتان وثوب صوف وثوب قطن، فإن تفاوت المقدار: فقد يكون النوع الأدنى مقدما على النوع الأعلى بالكثرة، فيقدم قنطار الفضة على دينار من الذهب أو الجوهر، ويقدم ألف ثوب من القطن على ثوب حرير» (٢٠). ولم يكتف، رحمة الله عليه، بذكر معيار الموازنة بين المصالح المتعارضة استنادا إلى مقدارها، بل وظف ذلك وأعمله في أكثر من مناسبة، كما هو واضح من خلال قاعدة «يُحفظ الأكثر بتفويت الأقل» (٢١)، وقاعدة «إن استوت أنواع المصالح قدِّمَ الكثير منها على القليل» (٢٢)، وقاعدة «إن تساوت أنواع المصالح كان الترجيح بكثرة المقدار» (٢٣).

الخامس: ترجيح تحصيل أدوم المصلحتين نفعا

إذا تعارضت المصالح المتساوية من حيث الرتبة والنوع والمقدار، فإنه ينظر إلى أطولها نفعا وأدومها مصلحة، فتقدم المصلحة ذات الامتداد الزمني على المصلحة الآنية، كما في قاعدة «الأجر الدائم أولى من الأجر المنقطع» (٢٤).

السادس: ترجيح تحصيل المصلحة المجمع عليها على غيرها

من المعايير التي استند إليها العز، رحمة الله عليه، في الموازنة بين المصالح المتعارضة، الاتفاق على المصلحة وعدمه؛ إذ قدم المصلحة المجمع عليها على المصلحة المختلف فيها؛ لأن الأولى أقوى من الثانية وأرجح، فلزم مراعاتها عند التعارض. ولهذا صاغ، رحمة الله عليه، قاعدة «فعل ما أجمع عليه أفضل من فعل ما اختلف فيه عند التفاوت» (٢٥)، وهذه قاعدة ضابطة للموازنة بين المصالح المتعارضة من هذه الجهة.

السابع: ترجيح تحصيل أعم المصلحتين

قال العز بن عبدالسلام، رحمة الله عليه، بأنه إذا اتحد نوع الإحسان، كان عامها أصلح من خاصها، فليس من أصلح بين جماعة؛ كمن أصلح بين اثنين، وليس من تصدق على جماعة، أو علّم جماعة، أو ستر جماعة، كمن اقتصر على واحد أو اثنين (٢٦).

الثامن: ترجيح آكد المصلحتين تحققا

إن هذه المعايير السالفة الذكر كلها مرتبطة بمعيار بالغ الأهمية، وعليه يترتب مصير هذه المعايير جميعها، ألا وهو معيار درجة تحقق المصلحة في الواقع. فالمصلحة التي درجة تحققها عالية مقدمة على غيرها من المصالح التي درجة تحققها أقل، مهما كانت رتبتها أو نوعها أو حكمها أو مقدارها؛ ولهذا فلا يجوز تقديم مصلحة رتبتها عالية، ولكن درجة تحققها دانية - مشكوك فيها أو موهوم وقوعها - على مصلحة درجة تحققها عالية وإن كانت رتبتها دانية. كما تبين جزء من ذلك قاعدة «حفظ الموجود أولى من تحصيل المفقود» (٢٧)، وهي قاعدة تنص على ترجيح حفظ المصلحة الموجودة؛ لأنها متحققة الوجود على المصلحة المفقودة؛ لأنها غير مؤكد تحصيلها.

الخاتمة

الملاحظ من خلال ما سبق أن العز، رحمة الله عليه، استند في الترجيح بين المصالح المتعارضة، على معايير مختلفة ومتنوعة، مرتبة ترتيبا منطقيا، مؤسسا على قواعد الشرع وأسراره، وقد استطاع من خلالها تأسيس جملة من قواعد فقه الموازنات، ضمّنها - خاصة - كتابه «قواعد الأحكام»، إذ يحوي بين صفحاته ثروة من الموازين الشرعية لدرء التعارض بين المصالح المتنازعة.

الهوامش

١- قواعد الأحكام، ١/ ١٥.
٢- الفوائد في مختصر القواعد، ص ٤١.
٣- قواعد الأحكام، ٢/ ١٢٣.
٤- ينظر الموافقات للإمام الشاطبي، ٢/ ٧- ٨- ٩.
٥- قواعد الأحكام، ٢/ ١٢٣.
٦- قواعد الأحكام، ٢/ ١٢٣.
٧- قواعد الأحكام، ٢/ ١٢٣.
٨- المستصفى للغزالي، ص ٢٧٥.
٩- قواعد الأحكام، ١/ ١٠٤.
١٠- الفوائد في مختصر القواعد، ص ٦٥.
١١- الفوائد في مختصر القواعد، ص ٦٥.
١٢- نحو تفعيل مقاصد الشريعة للدكتور جمال الدين عطية، ص ٣٦.
١٣- ينظر القواعد الأصولية وتطبيقاتها الفقهية عند ابن قدامة في كتابه المغني، للدكتور الجيلالي المريني، ٢/ ٦٢٥.
١٤- قواعد الأحكام، ١/ ١٣٧.
١٥- قواعد الأحكام، ١/ ١٥٠.
١٦- قواعد الأحكام، ١/ ٧٧.
١٧- قواعد الأحكام، ١/ ٩٤.
١٨- الفوائد في مختصر القواعد، ص ٤٢.
١٩- الفوائد في مختصر القواعد، ص ٤٢.
٢٠- الفوائد في مختصر القواعد، ص ٦٤-٦٥.
٢١- قواعد الأحكام، ٢/ ١٥٨.
٢٢- قواعد الأحكام، ١/ ٢٤٦.
٢٣- قواعد الأحكام، ١/ ٢٤٦.
٢٤- قواعد الأحكام، ٢/ ١٣٨.
٢٥- قواعد الأحكام، ١/ ٢٤٨.
٢٦- الفوائد في مختصر القواعد، ص ١٧١.
٢٧- قواعد الأحكام، ١/ ١١٣.

سالم بن عميران
أديب يمني



عتاب القلم

علام الهجر أيها الصديق؟! هل تجحد فضلي ومنزلتي؟ ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم:١)؟! كفى بي شرفا وفخرا أنه أقسم بي في كتابه الكريم، وسماني بسورة في كتابه؛ بل ذكرني في أول آيات أنزلت على نبيه ﷺ وهو في الغار، وقال عني الأدباء إنني أحد اللسانين، وإنني أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا (١).

قلت له مترفقا: مهلا أيها الرفيق الكريم، إنني لم أنكر فضلك، ولم أجحد منزلتك؛ ولكنني رغبت عن صحبتك ومرافقتك لما سودته من صحائف تسوء الصديق المحب!

تبرم وجهه، وبدت عليه ملامح الحيرة والاستهجان وقال:

وما الذي لا يروق لك في صحائفي؟! ألم أخبرك بأحداث الليل والنهار، وأصلك بالأهل والخلان؟! أرشدني أيها الصديق زادك الله علما وفضلا!

قلت له: بوركت من رفيق كريم؛ فإنه قد شد انتباهي يوما غلاف كتاب جميل فاقتنيته، ولما قرأته تألمت مما فيه من التعدي على القيم والأخلاق والأسس التي قام عليها بنيان الإسلام، وقلت: بئس قلما تخلى عن قيمه الأصيلة وأخلاقه النبيلة!

ثم أخذت صحيفة أعجبني جمال رونقها وحسن قشابتها؛ فلما طالعتها، ساءني كثيرا تشويه لغتي الفصحى بألفاظ عامية أو دخيلة وأساليب لا قواعد لها ولا أسس؛ فأصابني هم شديد من إذلال للغة العربية، وقلت: سحقا لقلم تخلى عن لغته الفصحى التي نزل بها القرآن العظيم، وتكلم بها رسوله الكريم، ودون بها العلماء مصنفاتهم على مر العصور.

ثم جئت إلى الشبكة (الإنترنت)؛ لعلي أجد ما يطفئ غلتي ويروي عطشي، فتصفحت بعضا مما يكتب في المنتديات والمواقع؛ فأصابني سوء هضم من كلام لا يقرأ لفظه ولا يستساغ معناه حتى خفش بصري (٢)، وصدأ عقلي من سطوة التشويه والتحريف في قواعد اللغة!

فيممت وجهي نحو الشارع ولسان حالي يقول:

قوم إذا جالستهم
صدئت بقربهم العقول
لا يُفْهِمُوني قولهم
ويدق عنهم ما أقول

وفي الشارع ثار قلبي حزنا وألما مما رأيت؛ حيث استبدلت ألفاظ أعجمية بالألفاظ العربية على واجهات بعض المحال والفنادق (مول، سوبر ماركت، سنتر، فون...)، وقلت: بئس لأقلام تخلت عن لغة الضاد واغتالتها في عقر دارها وهي لا تشعر!

فأبت عيناي إلا أن تقرأ كل جميل وفصيح! واعتكفت على قراءة كتب الأدب العربي من شعر ونثر ولسان حالي يقول:

رأيت العز في أدب وعلم
وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بحسن
إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه
له وجه وليس له لسان

نظرت إلى رفيقي وقد نكس من الخجل رأسه وصعد من صريره أنفاسه (٣) وقلت له: ما بالك أيها الرفيق؟!

فأخذته الحمية وقال غاضبا:

ألا قاتل الله تلك الأقلام التي تمشي في أيدي الجهال الأغمار ولم تعلم أنها كجواد تمشي تحت حمار، ولو



أنه لا يتطاول إليها إلا أهلها لبان الفاضل من الناقص (٤)، ولم تلتزم بأصول وقواعد الكتابة!

قلت: أدام الله عزك وفضلك أيها الرفيق الكريم، ولكن أرجو منك أن تحدثني عن شيء من أصول الكتابة وآدابها؟

هز رفيقي بالإيجاب رأسه وقال: اعلم -رعاك الله- أن الكتابة ركن من أركان الشرف والمنزلة؛ قد صرف إليها العلماء والأدباء همتهم؛ لكشفها عن أسرار العقول وخواطرها؛ وفي ذلك يقول البحتري: «الأقلام مطايا الفطن». وقال أبودلف العجلي: «القلم صائغ الكلام يفرغ ما جمعه الفكر ويصوغ ما يسبكه اللب». وقال سهل بن هارون: «القلم أنف الضمير إذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره، ولولا الكتابة يا صديقي العزيز لما رفرفت العقول في بساتين المعرفة وقطفت منها أزهار الفوائد والحكم، فبالقلم تزف بنات العقول إلى خدور الكتب، ويقال عقول الرجال تحت أسنة أقلامهم وبنوء الأقلام يصوب غيث الحكمة».

وقال جعفر بن يحيى: «لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم» (٥).

واعلم أيها الصديق أن من أهم أصول الكتابة وآدابها إتقان علوم الآلة التي تقي اللسان من الخطأ، كالنحو والصرف والإملاء وحفظ شيء من كلام العرب مما تحصل به الملكة، وأخذ قسط من علوم الشريعة، فإنه من جهل شيئا عاداه؛ فليس يخشى على من قد ثبت قدمه في علم الشرع من شيء وإنما يخشى على من كان غير ثابت القدم في علوم الكتاب والسنة.

وينبغي عليك أيها الصديق أن تتحلى بالأمانة والنزاهة فيما تنقل وتكتب، وأن تحترز من المعائب والتكلف والتكرار مما يخل بفهم المعنى المراد ويوجب صعوبته.

وهنا هذه قاعدة عظيمة يجب أن تعيها أيها الصديق قبل الكتابة وهي: أن تكتب ما يراد لا ما تريد(٦)؛ فلا تتجاوز الحدود وتنقض الثوابت والأسس وتخرج عن المألوف الذي يقوم عليه المجتمع المسلم!

وبالجملة أيها الصديق العزيز الكلام يطول حول أصول الكتابة وآدابها، وتذكر دائما قبل أن تكتب قول الشاعر:

ولا تكتب بكفك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

قلت: بارك الله فيك من رفيق نصوح، وأعدك بأنني سألتزم بتلك النصائح والإرشادات فيما أكتب؛ ليحيا جيل قوي معتز بلغته وإسلامه.

الهوامش

١- انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، دار صعب، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ج١، ص٥٧.

٢ - «الخفش»: صغر العينين وضعف البصر. ويقال: إنه فساد في العين يضيق له الجفن من غير وجع ولا قرح، ينظر: فقه اللغة، لأبي منصور الثعالبي، ج١، ص٣٦٦.

٣- «الصرير»: صوت القلم، ينظر: فقه اللغة، لأبي منصور الثعالبي، ج١، ص٧٨٧.

٤- ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥م، ج١، ص٣٣٩.

٥- ينظر: المرجع السابق، ج٢، ص٤٧٥.

٦ - ينظر: المرجع السابق: ج٢، ص١١٥.

منير خلف
شاعر سوري

في مدح رسول الله محمّد ﷺ

وما بلَغَتْ ثُرَيَّانا ثَرَاكا..

سُدىً يحيا الذين بقوا وَراكا ... ولم يشمَخْ بأعينهمْ لِواكا

سيفنى كلُّ مَنْ في الكون لكنْ ... سيبقى حبُّكَ الأعلى ملاكا

بنيتُ لحالتي أبياتَ شعر ... فخلْتُ الحبَّ مكتملًا بذاكا

وجُبْتُ مناسكَ العشّاق سرًا ... وكم جلبتْ لحالاتي ارتباكا

ولمّا أنْ رأيتك ملْء قلبي ... جُعلْتُ بكلِّ أطواري فِداكا

وقسّمتُ الحياةَ إلى بلاد ... ليسكُنَ كلُّ مَنْ فيها هواكا

فحلّ الحبُّ مدرسةً بجسمي ... تعلّمُ جيلَ أحلامي مُناكا

ولِدْتَ كآيةٍ تُتلى عبيرًا ... وما في الأرض روضٌ ما عَداكا

وما سلك الغريبُ سبيلَ قرب ... بغير سناء وجهك أو رضاكا

وما سَعِدَتْ بنو سَعْدٍ بشيءٍ ... بمثلِ الرّضع إذْ رضعُوا نَداكا

ضياءُ الكون مفتونٌ بنجم ... وليس القولُ عنكَ كمَنْ رآكا

أتاكَ الوحيُ قرآنًا ونورًا ... فسرنا في الطريق على هُداكا

وكان لورْقَةَ القرشيِّ علْمٌ ... رآكَ بقلبِ ما أبدتْ رؤاكا

حراءُ.. الغارُ عطّرَ ساكنيه ... بأهدى ما يُقالُ وقد حواكا

وبعضُ القوم إنْ ظلموك جهلا ... فريُّك قد حماكَ وما قَلاكا

لقد آذوك إذ كذبوا.. وفيهمْ ... عِراكٌ أزَّ في دمهمْ عِداكا

وكلُّكَ في رِضا المولى ثباتٌ ... ولم تكُ آبهًا فيما اعتراكا



وما هاجرتَ من وَجَلٍ ولكنْ ... لفتحٍ كنتَ تُقرئُهُ مَدَاكا
فهلّلَ في المدينةِ كلُّ نبْضٍ ... سَمَا بكَ خافقًا، وَلهَا هَوَاكا
بنيتَ لشامخِ الإسلامِ صَرحًا ... لنحظى في عُلاكَ بما أتاكا
بسطتَ لنا المحجّةَ من نهارٍ ... فمنْ يرضى لوجهته هلاكا؟
وقد أسرى بكَ الرّحمنُ ليلا ... وزيّنَ من سماتكَ ذي السِّمَاكا
وعدتَ متوَّجًا بجلالِ حقٍّ ... وربُّكَ بالصّلاةِ سقى ذُراكا
وجاء النّاسُ أفواجًا لديْنٍ ... ضمَمْتَ الكلَّ عندَكَ في ذَراكا
لكَ البدرانِ: بدْرٌ في عُلاه ... يسطّرُ بدْرَ ما ظفرَتْ يداكا
وتُطوى الأرضُ تحتك حين تمشي ... ويُخصبُ جدْبُها بندى خُطاكا
نحبّك هاديًا للخيرِ فينا ... فهل بلَغتْ ثُريّانا ثَراكا؟
وما أحَدٌ على أُحُدٍ رأينا ... سميعَ مشورةٍ لبَّى نداكا
لذلك كانَ نصرٌ ليسَ نصْرًا ... ويرْدَى كلّ مَنْ ينوي جَفاكا
وتعفو عند مقدرةٍ بحِلْمٍ ... فكلُّ الصبرِ تملكُهُ امتلاكا
وما الأحزابُ إلا قومُ شركٍ ... بنابِ الغدْرِ قد مكروا اشتراكا
فجاءَتْهُمْ من المولى جنودٌ ... وريحٌ ألحقَتْ بهمُ الهلاكا
شَغفْتَ بقامتَي صدقٍ وعدلٍ ... وكلُّ الخَلْقِ دونهما خلاكا
مليحَ الوجه، وصفُك شاءَ قلبي ... وعمّرَ مهجتي، ودمي اصطفاكا
حنينُ الجذعِ أبكى كلَّ حرفٍ ... على شفتي.. وكم صَلْدٍ بَكَاكَا
وسبّحَ في يديك الرّملُ صبّا ... وما ذَوْبٌ بصبِّكَ قد وَفَاكَا
جمالُ الخَلْقِ كحّلَ مقلتيه ... بأدعجِ مقلتيكَ.. فهل أراكا؟
سليلُ الغيمِ في يدِكَ امتدادٌ ... وطُهْرُ الماءِ ما نضحتْ يداكا
عبستَ، وما عبستَ لسوءِ خُلْقٍ ... وربُّك ما بمكروهٍ نَهَاكا
لنفسكَ ما انتقمتَ، وأنتَ سيفٌ ... لِمَا في الله يُنتهَكُ انتهاكا
تقومُ الأرضُ تحتك إذ تصلّي ... لتحملَ فوقَ كاهلها عَناكا
وأعجزُ عن إحاطتك اعترافا ... وتقصيرًا بما هو فوق ذاكا
ومَنْ ذا يومَ حشرٍ يا حبيبي ... يشفّعُ في خطايانا سواكا؟
وما كنتُ اهتديتُ إلى قصيدٍ ... بغيرِ ضياءِ حبّك في ثَنَاكا
هُنا في القلبِ منزِلَةٌ لذكرى ... تجودُ بكلِّ ما نهوى هُناكا



د. رياض العيسى
باحث في التراث الإسلامي

سلسلة الأعلام المتشابهة (١)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب

علم المتفق والمفترق فن عويص، والحاجة إليه حاقة، لا غنى عن معرفته؛ للأمن من اللبس، فربما يظن الأشخاص شخصا واحدا، وربما يكون أحد المتفقين ثقة، والآخر ضعيفا، فيضعف ما هو صحيح، أو يصحح ما هو ضعيف (١).
والمتفق والمفترق كما عرفه بدر الدين بن جماعة: «هو ما اتفق خطا ولفظا، وافترق مسماه» (٢)، أو بعبارة أخرى: أن تتفق أسماء الرواة وأسماء آبائهم فصاعدا، خطا ولفظا، وتختلف أشخاصهم، سواء اتفق اثنان منهم أم أكثر، وكذلك إذا اتفق اثنان فصاعدا في الكنية والنسبة.
وقد جمعت بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، خصوصا طلاب العلم، وترجمت لهم ترجمة موجزة؛ حتى يزول اللبس والاشتباه.

في اسم «ابن تيمية»

١- فخر الدين ابن تيمية (ت٦٢٢هـ)

هو: أبوعبدالله فخر الدين محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي ابن تيمية الحراني الحنبلي، مفسر، خطيب، واعظ، كان شيخ حران وخطيبها، ولد سنة ٥٤٢هـ.
من مؤلفاته: «التفسير الكبير»، و«تخليص المطلب في تلخيص المذهب»، و«ترغيب القاصد» في الفقه، و«شرح الهداية»، و«ديوان الخطب الجمعية».. وغيرها.
توفي فخر الدين ابن تيمية وله ثمانون سنة. وابن تيمية (شيخ الإسلام) يتصل نسبه مع والد هذا العالم الخضر بن محمد. فيكون هذا الإمام من أعمامه (٣).

٢- مجد الدين ابن تيمية (ت٦٥٢هـ)، جد شيخ الإسلام

هو: أبوالبركات مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، وهو جد الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام.
فقيه حنبلي، محدث، مفسر، ولد بحران سنة ٥٩٠هـ. وحدث بالحجاز، والعراق، والشام، إضافة إلى بلده حران، وكان فرد زمانه في معرفة المذهب الحنبلي.
من كتبه: «تفسير القرآن العظيم»، و«المحرر في الفقه» وهو في الفقه الحنبلي، و«المنتقى في أحاديث الأحكام» الذي شرحه الشوكاني في «نيل الأوطار».
توفي بحران يوم الفطر (٤).

٣- شهاب الدين ابن تيمية (ت٦٨٢هـ)، والد شيخ الإسلام

هو: شهاب الدين عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر ابن تيمية الحراني، شيخ حران، وحاكمها، وخطيبها. ولد سنة ٦٢٨هـ.
كانت له فضائل حسنة ودرس

الحديث. قرأ عليه ابنه في الفقه والأصول، وروى عنه بعض كتب الحديث. قال عنه الذهبي: «كان الشيخ شهاب الدين من أنجم الهدى، وإنما اختفى بين نور القمر وضوء الشمس (يشير إلى أبيه وابنه)».

من مؤلفاته المطبوعة: «المسودة في أصول الفقه» التي اشترك ثلاثة من آل تيمية: شيخ الإسلام، وأبوه، وجده.

توفي في دمشق يوم الأحد من شهر ذي الحجة، ودفن بسفح قاسيون (٥).

٤- شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)

هو: أبوالعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، الإمام شيخ الإسلام.

ولد في حران سنة ٦٦١هـ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ، واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق، فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ، سجن عدة مرات في دمشق، والقاهرة، والإسكندرية، مات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ.

أما تصانيفه فهي كثيرة: «الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان»، و«الصارم المسلول على شاتم الرسول»، و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، و«التوسل والوسيلة»، و«السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» و«الفتاوى الكبرى».. وغيرها.

ولابن قدامة كتاب في سيرته سماه: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية». وللشيخ مرعي الحنبلي كتاب «الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية»، ومثله لسراج الدين عمر بن علي بن موسى البزار، وللشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (٦).

في اسم «ابن عبدالهادي»

١- شمس الدين بن عبدالهادي (ت٧٤٤هـ)

هو: أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد بن عبدالهادي، الجمّاعيلي الأصل، ثم الدمشقي الصالحي.

حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة. وتسميته بابن عبدالهادي نسبة إلى جده الأعلى.

ولد سنة ٧٠٥هـ.

أخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبي.. وغيرهما. وصنف ما يزيد على سبعين كتابا، مات قبل بلوغ الأربعين، ولو عاش لكان عجبا.

من كتبه: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية»، و«المحرر في الحديث»، و«الصارم المنكي في الرد على السبكي».. وغير ذلك.

توفي بظاهر دمشق (٧).

٢- جمال الدين بن عبدالهادي (ت٩٠٩هـ)

هو: جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبدالهادي الصالحي، المعروف بابن المبرد، علامة متفنن من فقهاء الحنابلة من أهل الصالحية. ولد سنة ٨٤٠هـ.

من كتبه: «مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام» في فقه الحنابلة، و«النهاية في اتصال الرواية»، و«الاقتباس تعليقات وشروح على سيرة ابن سيد الناس»، و«الميرة في حل مشكل السيرة»، في شرح ما أبهم من سيرة ابن هشام، و«العقد التام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام»، و«محض الشيد في مناقب سعيد بن زيد»، و«محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص» (٨).

الهوامش

١- ينظر الاقتراح في فن الاصطلاح للحافظ ابن دقيق العيد، ص٢٧.

٢- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ص١٢٧.

٣- ينظر الوافي بالوفيات للصفدي (٣/٣٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٣٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢/٢٨٩)، والأعلام للزركلي (٦/١١٣).

٤- ينظر سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٩١)، وجلاء العينين للآلوسي، ص٨٠، والأعلام للزركلي، (٤/٦).

٥- ينظر تاريخ الإسلام للذهبي (٥١/١٠٥)، والمقصد الأرشد لابن مفلح (٢/١٦٦).

٦- ينظر فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١/٣٥-٤٥)، والدرر الكامنة للحافظ ابن حجر (١/١٤٤)، والأعلام للزركلي (١/١٤٤).

٧- ينظر البداية والنهاية (١٤/٢١٠)، والأعلام للزركلي (٥/٣٢٦).

٨- ينظر شذرات الذهب (٨/٤٣)، والأعلام للزركلي (٨/٢٢٥).

أبوالحسن الجمال
كاتب صحفي

من محلة مرحوم إلى ربوع «بطرسبورغ»

الشيخ محمد عياد الطنطاوي

ما كان يتوقع، وهو يخرج من بيته كل يوم في قرية «نجريد» (من أعمال محافظة الغربية في مصر)، إلى الكُتّاب ليحفظ حزبه من القرآن على شيخه، ثم يتجول بعد ذلك في دروب القرية وبين جداولها وحدائقها ونخيلها وأشجارها وريفها الجميل القابع في وسط الدلتا نبع الخير- أن ينتهي به المطاف في سهول مدينة «بطرسبورغ» الروسية.. في هذا الوقت، حيث الفطرة النقية لم تتلوث كما تلوثت الآن، كان الناس يخفون الآلام والأتراح والمتاعب من جراء سياسة الوالي محمد علي باشا، الذي استولى على أراضي الفلاحين وصار المالك الوحيد، واحتكر التجارة والزراعة وكل شيء في مصر، وانتقل الفلاح المصري من تعاسة وسوء حال إلى شقاء تام.. صار الفلاح المصري يعمل أجيرا في أرضه التي كان يمتلكها بالأمس.. وسط هذا الجو المشحون بالآلام كان الناس يهبون أولادهم للعلم الأزهري.

في هذا المناخ ظهر عالمنا الجليل محمد عياد الطنطاوي، الذي انتهى به المقام في بلاد روسيا، وبالتحديد في مدينة «بطرسبورغ» العريقة؛ ليشغل أستاذ كرسي العلوم العربية في جامعتها، وقد شحت الأخبار عنه لولا جهود المخلصين من آل العلم، وعلى رأسهم المستشرق الروسي المحب للعلوم العربية إغناطيوس كرتشكوفسكي (١)، الذي خصه بدراسة صارت مرجعا معتمدا لكل الباحثين والمحبين للشيخ عياد الطنطاوي، ومنهم العلامة أحمد تيمور، والدكتور جمال الدين الشيال، ومحب الدين الخطيب، والعلامة المحقق محمد عبدالغني حسن الذي خصه بأكثر من دراسة في كتبه، وقد علق تعليقات مفيدة على كتاب كرتشكوفسكي، الذي ترجمته الأديبة الفلسطينية الأصل كلثوم عودة (١٨٩٢-١٩٦٥م). وقد خلف الشيخ مؤلفات في مجالات شتى في اللغة والأدب والتاريخ، ومن أشهرها كتابه «تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا»، الذي وصف فيه رحلته إلى روسيا منذ أن خرج من القاهرة وسلك طريق الترعة المحمودية، ثم أبحر من الإسكندرية حتى تركيا، ومن تركيا إلى ميناء «أوديسا»، ومنه إلى «بطرسبورغ»، ثم فصل القول عن تاريخ روسيا، ووصف معالمها وثقافتها وعاداتها، وأسهب عند الحديث عن قيصرها بطرس الأكبر، الذي تنسب إليه مدينة بطرسبورغ، التي غير اسمها إلى «ليننغراد» زمن الحقبة الشيوعية، وعند سقوط الاتحاد السوفيتي رجعت إلى اسمها القديم. وقد تلقى عليه العلم زمرة من كبار المستشرقين في الشرق والغرب.

وقد ولد الشيخ محمد بن عياد بن سعد بن سليمان الشافعي سنه ١٨١٠م في قرية «نجريد» من أعمال مركز بسيون بمحافظة الغربية، وينتمي أبوه إلى قرية «محلة مرحوم» بجوار مدينة طنطا، وكانت تسبقها في الشهرة قبل أن يأتي طنطا السيد أحمد البدوي، وكانت طنطا تدعى «طنتدتا». كان الأب يعمل ببيع القماش والصابون والبن، وعندما أتم السادسة من العمر تردد على الكتّاب في طنطا، وبعد أن أتم حفظ القرآن، أرسله والده إلى طنطا، حيث حفظ متونا كثيرة جريا على القول السائر «من حفظ المتون حاز الفنون»، منها: «متن المنهج في علم الفقه» و«ألفية ابن مالك»، ثم بدأ في دراسة الشروح والتعاليق على المتون التي حفظها على يدي الشيخ محمد الكومي، والشيخ محمد أبوالنجا، لكن أكثرهم تأثيرا في الطالب الوافد إلى طنطا كان شيخ الجامع الأحمدي الشيخ مصطفى القناوي، الذي أعطاه إجازة تدريس الحديث من الكتب الستة، إضافة إلى موطأ مالك. وفي سن الثالثة عشرة انتقل إلى القاهرة، حيث قام بالدراسة في الأزهر، وقرأ في رحابه على كبار علمائه، منهم: الشيخ حسن العطار (ت١٨٣٥م)، والذي تولى مشيخة الأزهر فيما بعد، والشيخ محمد بن أحمد البيجوري (ت١٨٦٩م) وقد ولي المشيخة أيضا، والشيخ برهان الدين إبراهيم السقا (ت١٨٨٠م)، وقد تولى المشيخة بعد ذلك (٢).

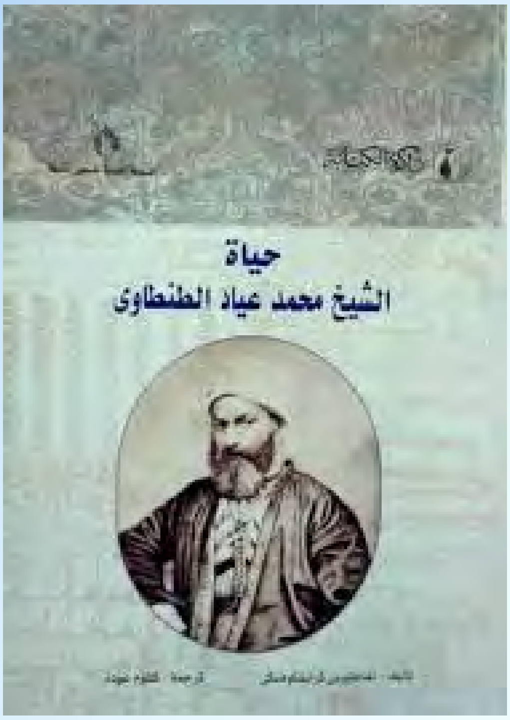
بعد أن انتهى من دراسته في الأزهر بدأ في تدريس تفسير القرآن والمنطق بالجامع الأزهر، ولكنه كان مولعا بعلوم اللغة وآدابها، فبدأ يعطي دروسا في الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب، وبسبب هذا العشق صار لا يضاهيه أحد في هذا المضمار، ينقل الدكتور محمد عيسى صالحية في مقدمة تحقيقه لكتاب «تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا» أن الطنطاوي «اتهم بترويج البدع، إذ انصرف

إلى الشعر والأدب بدلا من الانصراف إلى مباحث الفقه والحديث، حتى تمنى البعض موته حين أصيب بطاعون سنة ١٨٣٦م، المرض الذي عاناه مدة عشرة أيام بلا نوم، وغاب عنه الإحساس والإدراك حتى سلمه الله وانفتحت البثور ثم تعافى بعد أسبوعين. وفي هذا يقول حين أشيع خبر موته شعرا:

تمنى أناس أن أموت وإن مت
فتلك طريق لست فيها بأوحد
وإن أظهروا موتي فليس بمنكر
إذا أظهر الشيطان موت محمد (٣)»

توطدت صلته بأعلام عصره في مصر قبل سفره وبعده. وبالرجوع إلى أوراقه، نجد أنه كان يراسل هؤلاء ويطلعهم على أخباره وأعماله في روسيا، منهم الشيخ الأشموني، ومحمد قطة العدوي (رائد فن التحقيق ومن أوائل أعلامه في مصر، حيث حقق عشرات الكتب بمطبعة بولاق الأميرية، ومن أعماله تحقيق خطط المقريزي، وألف ليلة وليلة، وخزانة الأدب)، ومن الذين راسلهم وصادقهم: عبدالسلام الحلبي الترمانيني، وعبدالهادي نجا الإبياري، وسرور الدمنهوري، ورفاعة رافع الطهطاوي (رائد النهضة العلمية)، ويوسف الصيداوي.. وغيرهم (٤).

وقد كان مشغولا بأتراح وطنه وتمنياته له بالرقي والتقدم، مثلما تمنى صديقه رفاعة، الذي تعلم في باريس، ولاحظ الفروق الحضارية والبون الشاسع بين مصر والغرب، الذي وصفه في رحلته «تخليص الإبريز». كتب إلى صديقه رفاعه الطهطاوي هذه الرسالة: «أنا مشغوف بكيفية معيشة الأوروبيين وانبساطهم وحسن إدارتهم وتربيتهم، خصوصا ريفهم، وبيوته المحدقة بالبساتين والأنهار إلى ذلك مما شاهدتهم قبلي بمدة في باريز، إذ بطرسبورغ لا تنقص عن باريز في ذلك، بل تفضلها في ذلك كاتساع الطرق، وأما ما قبل البرد فلم يضرني جدا، إنما ألزمني ربط منديل في العنق ولبس فروة إذا خرجت، وأما في البيت فالمدافئ متينة معدة لإدفاء الأرض ولطالما أنشدت قرب النار:



النار فاكهة الشتاء فمن يرد
أكل الفواكه في الشتاء فيصطل (٥)».

اشتغل بتدريس اللغة العربية وآدابها للأجانب، فعمل في المدرسة الإنجليزية في القاهرة.

ونتيجة للحركة العلمية في مصر في عهد محمد علي، واتجاه محمد علي لجذب العقول الأوروبية للعمل بمختلف الوظائف بمصر، بدأت تفد إلى مصر مجموعات من المستشرقين في مختلف المجالات. ولحاجتهم إلى تعلم العربية بدأت علاقة الشيخ عياد بمجموعة من المستشرقين بغرض تعليمهم اللغة العربية، أشهرهم الفرنسي فرنيل صاحب «الرسائل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، الذي قدم إلى مصر عام ١٨٣١م، والفرنسي بيرون (طبيب بقصر العيني) وله كتاب حول علم الخيل وأنسابها، والألماني فايل مؤرخ الخلافة ثم مدرس الآداب الشرقية في جامعة هايدلبرغ، والألماني برونر، والإنجليزي إدوار وليم لين مترجم كتاب ألف ليلة وليلة (٦).

رحلة بلا عودة إلى روسيا

كان لاحتكاك الشيخ المستمر بمن يفد على مصر من المستشرقين والأعلام، أن كون له تلاميذ ومريدين من أنحاء العالم القديم، كان منهم المستشرقان الروسيان موخين، الذي كان يعمل مترجما للقنصلية في إسطنبول سنة ١٨٤٠م، والذي كان قد قرأ شيئا من المعلقات عليه، أما الثاني، ويدعى فرنيل، فقد توطدت صلته بالشيخ الطنطاوي، الذي قدمه إلى القنصل الجنرال الكونت ميدن، الذي عمل سفيرا لروسيا في فارس بعد ذلك، وحيث إن معلم اللغة العربية البروفيسور يوليان سينكوفسكي بالقسم التعليمي التابع لوزارة الخارجية الروسية قد ترك عمله، فكلف وزير الخارجية الروسي قنصله العام في الإسكندرية بالبحث عن معلم مناسب من علماء العرب، وقد وقع اختيار القنصل عليه نتيجة الترشيح منهما، وقد حث محمد علي باشا (والي مصر) الطنطاوي على تعلم اللغة الروسية وإتقانها (٧).

ويروي الشيخ الطنطاوي القصة كاملة، وبمنتهى البساطة، في كتابه «تحفة الأذكياء» يقول: «ومن حيث إن سعادة الوزير الروسي مفتن بإحياء مدرسته «مدرسة الألسن الشرقية» فلهذا لما توجه جناب الكونت ميدن إلى الديار المصرية كلفه بالتفتيش على معلم عربي للمدرسة. ومن حيث أني تعرفت بجنابه بواسطة المسيو فرنيل الذي طالع معي كتبا عربية أدبية وتاريخية، واكتسب في هذا اللسان مهارة المعية، بسبب كثرة صحبة العرب، طلب مني الذهاب. وبعدما رضيت، استأذن لي جناب الكونت من حضرة الباشا عزيز مصر وممدنها، وحامي ذمارها ومؤمنها، فأذن لي وطلب حضوري. فمثلت بين يديه، فأمرني بالجلوس، فامتثلت أمره المأنوس، ثم حضني على تعلم لسان الروسيا، ووعدني بالإكراء إذا تعلمته، لأنه مشغوف بجلب الألسن الغريبة إلى بلاده. ولذلك ترى في مدارسها نجابة التلاميذ، خصوصا في اللسان الفرنساوي، وكتب لي مرسوما..» (٨).

وقد غادر الطنطاوي القاهرة عام ١٨٤٠م، وكان السفر عن طريق النيل إلى الإسكندرية، ومن هناك ركب الباخرة، وقد وصل إلى أوديسا على ساحل

البحر الأسود يرافقه تلميذه السابق موخين، ومن هناك غادر إلى كييف، ثم واصل رحلته بعد ذلك ليصل إلى سانت بطرسبورغ في مايو سنة ١٨٤٠م من ذلك العام كان قد غادر مصر في مارس من السنة نفسها. فيكون قد قضى في طريقه نحو سبعين يوما.

ابتدأ الطنطاوي عمله بإلقاء محاضراته في «كلية اللغات الشرقية» (٩) بجامعة سان بطرسبورغ في أوائل أغسطس من ذلك العام، وكان للعلماء والمدرسين العرب في معاهد الاستشراق والجامعات الروسية شأن كبير في إعداد أجيال المستعربين الروس في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، منهم علامتنا الشيخ محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠-١٨٦١م) أستاذ مادة اللغة العربية وتاريخ العرب في جامعة بطرسبورغ (موضوع دراستنا)، والدمشقي مرقص (١٨٤٦-١٩١١م)، والأستاذ قلزي (١٨١٩-١٩١٢م)، والأستاذ فضل الله صروف (١٨٢٦-١٩٠٣م)، والأستاذ عطايا (١٨٥٢-١٩٢٤م)، والعلامة الفلسطيني بندلي الجوزي (١٨٧١-١٩٤٢م) أستاذ مادة اللغة العربية في جامعتي قازان وباكو، وصاحب عشرات الدراسات التاريخية والأبحاث العلمية في مجال الآداب العربية، والبروفيسورة الفلسطينية كلثوم عودة فاسيليفا (١٨٩٢-١٩٦٥م) أستاذة مادة اللغة العربية في جامعة لينينغراد والأكاديمية الدبلوماسية في موسكو ومؤلفة كتب تعليم اللغة العربية وتاريخ الأدب العربي.. وغيرهم الكثير (١٠).

وظل يعمل في التدريس خمسة عشر عاما لم يغادر فيها روسيا منذ قدومه إليها إلا مرة واحدة عام ١٨٤٤م، زار خلالها القاهرة وطنطا، واهتم بجمع المخطوطات الشرقية واصطحب معه زوجته علوية وابنه أحمد، وقد ذاع صيته في المجتمع الروسي فنشرت صحيفة «أخبار بطرسبورغ» مقالة بعنوان «شارع نيفا». ورد فيها: «تسألونني من يكون ذلك الرجل الوسيم، الذي يرتدي لباسا شرقيا وعمامة بيضاء، وله لحية سوداء كالفحم، وعيون متقدة يشع منها البريق، ويعبر وجهه عن النباهة وهو المسمر البشرة، ولكن ليس من شمس سان بطرسبورغ الباهتة. لقد التقيتم به مرارا وهو يتمشى في شارع النيفا بكل زهو وفخار وخاصة عندما يكون الطقس لطيفا. وبالطبع فأنتم تتشوقون لمعرفة ذلك الشخص الغريب.. إنه الشيخ محمد عياد الطنطاوي الذي وصل للتو من شاطئ النيل؛ ليشغل مكان أستاذ اللغة العربية في معهد اللغات الشرقية في وزارة الخارجية الروسية». ويضيف الكاتب: «يمكنكم الآن تعلم اللغة العربية من دون مغادرة بطرسبورغ». وكاتب المقالة هو الشاب -حينها- ب. سافيلييف، تلميذ المستعرب سينكوفسكي، والذي أصبح فيما بعد عالما في الآثار والمنمنات (١١).

لم يقتصر دور الشيخ الطنطاوي على التدريس فقط، بل إنه عين مستشارا في الدولة الروسية، وقلده القيصر وسام ستانيسلان ووسام القديسة حنة، بسبب امتياز التلاميذ في البحث.. كما قلده القيصر خاتما مرصعا بالألماس الغالي. جمع الطنطاوي في تدريسه بين الطرق العملية والنظرية، فمن جهة كان يدرّس قواعد اللغة، ويشرح أمثال لقمان، ويقرأ قطعا من مؤلفات تاريخية، ومن مقامات الحريري، كما كان يدرّس الترجمة من الروسية إلى العربية، والخطوط الشرقية، وقراءة المخطوطات، والمحادثة باللغة العربية، وزاد على ذلك عام ١٨٥٥م تدريس تاريخ العرب (١٢).

عانى الشيخ الطنطاوي في سبتمبر ١٨٥٥م شللا أصاب أطرافه السفلى، ثم امتد هذا إلى يديه. ومع ذلك، فقد ظل يعمل، بقطع النظر عن الصعوبات المرضية، متسلحا بإرادة حديدية، لكنه خضع للضعف العام الذي ألم بجسمه إلى أن استعفي من الخدمة في ٣١ يناير عام ١٨٦١م، ووري الثرى في مقبرة فولكوفو الإسلامية. وكتب على شاهد قبره: «هذا مرقد الشيخ العالم محمد عياد الطنطاوي. كان مدرس العربية في المدرسة الكبيرة الإمبراطورية بسانت بطرسبورغ المحروسة. وتوفي في ٢٩ أكتوبر ١٨٦١م» (١٣).

مؤلفاته وآثاره

أثرى الشيخ عياد الطنطاوي المكتبة العربية بالعشرات من الكتب والأبحاث، تنوعت بين اللغة والأدب والشعر والتاريخ وتقويم البلدان والبلاغة، ألف بعضها قبل سفره إلى روسيا، وألف الأخرى في «بطرسبورغ»، يأتي على رأسها كتابه الفريد «تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا»، ويعتبر أهم مؤلفاته، وهو يتكون من قسمين واضحي الفرق: الأول هو رواية الرحلة وأخبارها من القاهرة إلى «سانت بطرسبورغ». أما القسم الثاني، الذي يتناول فيه روسيا، فقد اعتمدنا طبعة مؤسسة الرسالة التي حققها الدكتور محمد عيسى صالحية سنة ١٩٩٢م، وله «أحسن النخب في معرفة لسان العرب» كتبه باللغة الفرنسية، وهو كتاب أكسب الطنطاوي شهرة واسعة في كل أوروبا، «ترجمة تاريخ روسيا الصغير» لأوسترالوف، «قاموس عربي فرنسي» طبع في قازان سنة ١٨٤٩م، كما ترجم الباب الأول من كلستان لسعدي الشيرازي، و«مجموعة الحكايات وملاحظات في تاريخ الخلافة والشرق الإسلامي، وقواعد اللغة العربية» (وهو مكتوب بالروسية)، ومجموعة أمثال عربية مترجمة إلى الروسية، وله مؤلفات أخرى مازالت مخطوطة ومبعثرة في كل مكتبات روسيا وأوروبا، وقد أحصاها الأستاذ المستشرق إغناطيوس كرتشكوفسكي في رسالة بعث بها إلى الأستاذ أحمد تيمور باشا؛ استدراكا منه على مقاله المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي عام ١٩٢٢م. ومن هذه المؤلفات نذكر: «حاشية على الأزهرية» كتبه بخط يده عام ١٢٥٣هـ، «نظم التصريف للزنجاني» ١٢٥٥هـ، و«منتهى الآراب، في الجبر والميراث والحساب» كتبه ١٢٩٥هـ بخط يده، و«الحكايات المصرية العامية»، و«مسودات لتاريخ العرب»، وكتاب «لذيذ الطرب بنظم بحور العرب»، وسوف يصدر بتحقيقنا (١٤).

عياد الطنطاوي أديبا وشاعرا

لم يُجمع شعره إلى الآن، ولم يدرس بما فيه الكفاية، ولم يتعرض له من درس أدبنا العربي في المراجع العديدة. وقد نظم الطنطاوي شعرا بأسلوب عصره، يعتمد على المحسنات البديعية واللفظية، ويفتقر إلى الصور والأخيلة، وقد وجدنا له قصائد في كتاب «أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»، وله نماذج في كتاب «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي»، وله نماذج في كتاب «أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث» (١٥)، وله قصائد مخطوطة محفوظة بمكتبة لينينغراد، ومنها شعر المديح، والرثاء، والوصف وتقريظ بعض كتب شيوخه نظما: ومنها قصيدة «هنئت بالعيد»، وهي مهداة إلى الشيخ إبراهيم البيجوري (شيخ الأزهر)، وفيها يقول:

أثغور غيد أم ثغور زهور
بسمت لنا عن لؤلؤ منثور
أم مطرب يشدو بلحن معربا
قانون أفراح عن السنطير
أم فاح عرف المسك أم ضاع السنا
من صندل العطار والكافور
أم بعد طول عبوسه متبسم
ورد الرياض على كنار غدير
أم عم بشر السعد بالبشري لنا
من منذ بشرنا وفود بشير
أم سر تقديم الأفاضل جهبذا
من بعد طول الحزن بالتأخير
بحر سفائن علمه مشحونة
ببدائع التحقيق والتحبير
قد ثقف الطلاب منه كامل
آثاره تروي عن ابن أثير
من لا يشق غباره عن أعين الـ
أعدا ولا في حلبة قد جوري
ببديع منطقه وحسن بيانه
تبدو المعاني في لباس حرير
فاقصد حماه ولُذْ به إن أعضلت
شُبَهٌ فما يُنبيكَ مثل خبير

كما له قصيدة في رثاء الشيخ محمد الترمانيني يقول فيها:

مالي لاه باللاحين
وغرابُ البين يناديني
وصروف البين تحاربني
بحسام أزرق مسنون
أنجوم الفضل قد انكدرت
فخبا منها نور الدين
أم روض الفضل غدا زل
ذاوي زهر ورياحين
أنهار رباه غائضة
والدوح بغير أفانين
لا بل قلبي جزء من فَقْـ
ـد محمد التِّرْمانيني

وله نظم ضمنها في كتبه منها «حاشية على متن الزنجاني في الصرف المشهور بمتن العزي»، قال في أولها موريا بالمتن المذكور:

الصرف زين أهله
وهو لهم مثل الكنز
قالوا لم تقرؤه
قلت لأجل «العز» (١٦)

وفي حاشيته على رسالة شيخه إبراهيم الباجوري يقول مادحا ومقرظا:

إن علم الكلام أفضل علم
فيه وصف الإله والرسل يسرد
فإلى هذه الرسالة يمم
فهي حازت لما عليك تأكد (١٧)

وفاته

وبعد حياة حافلة من العلم والسفر، توفي الشيخ محمد عياد الطنطاوي، واختلف الناس في تحديد تاريخ وفاته، ولكن الأستاذ كرتشكوفسكي حقق هذا التاريخ وأثبته في الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام ١٢٧٨ للهجرة، الموافق ٢٩ أكتوبر ١٨٦١م استنادا إلى رواية أمين فكري التي نقلها عن المستشرق جوتالد، ودفن في مقبرة تترية في قرية فولكوفا بالقرب من بطرسبورغ، وكان قد اصطحب معه زوجته وابنه، وبقيا بعده فيها إلى أن توفيا ودفنا مثله بمدافن المسلمين في بطرسبورغ. وقد صور كرتشكوفسكي ما كتب على شاهد مقبرته وهذا نصه العربي: «البروفيسور ذو كرسي في جامعة سان بطرسبورغ ومستشار الدولة، وقد توفي رحمه الله في ٢٧ أكتوبر – تشرين الأول ١٨٦١م وهو يناهز الخمسين من عمره» (١٨). رحمه الله رحمة واسعة.

الهوامش

١-المستشرق إغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٣-١٩٥١م)، مؤسس مدرسة الاستعراب السوفيتي، أسدى قسطا عظيما في الاستعراب العالمي بما ترك من أبحاث ودراسات علمية رائدة في مجال الأدب العربي القديم والحديث، وتحقيق وترجمة المخطوطات العربية والإسلامية، وتدريس علوم اللغة العربية وآدابها والقرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الروسية، وإشرافه على تنظيم وإدارة عشرات المؤتمرات والجمعيات والحلقات والدوريات العلمية الروسية والدولية. الجدير بالذكر أن الأكاديمي كرتشكوفسكي كان عضو شرف في المجامع العلمية في سوريا وإيران وبريطانيا.. وغيرها. هذا وترك العلامة كرتشكوفسكي تراثا غنيا ضم ٤٥٠ دراسة ومقالا في مختلف حقول علم الاستشراق، وإليه يعود الفضل في تعريف روسيا والغرب بالأدب العربي الحديث، ولاحقا واصل المستعربون السوفييت رسالة الرواد الأوائل بنجاح شامل.

٢- إغناطيوس كراتشكوفسكي «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي»، ترجمة السيدة كلثوم عودة، مراجعة وتحقيق عبدالحميد حسن، محمد عبدالغني، الناشر: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر عام ١٩٦٤م، ص٢٧؛ أحمد تيمور باشا، «أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث»، دار الآفاق العربية ٢٠٠٢م، ص٤٥-٥١.

٣- محمد عياد الطنطاوي «تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا»، تحقيق محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م، ص١١-١٣.

٤- «تحفة الأذكياء»، مرجع سابق، ١٩٩٢م، ص١٠.

٥- أنور الجندي «أعلام لم ينصفهم جيلهم»، القاهرة، سلسلة كتب ثقافية، د.ت، ص١٧.

٦- أحمد تيمور، أعلام النهضة مرجع سابق، ص ٥٠؛ ولويس شيخو «الآداب العربية في القرن التاسع عشر»، ج١/٨٥.

٧- «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي» تأليف إغناطيوس كرتشكوفسكي، مرجع سابق.

٨- «تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا»، تحقيق محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م، ص٥٧-٥٨.

٩- أنشئ قسم العلوم الشرقية في كلية الفلسفة (١٨٣٥م)، وضم ست كراسي هي: ١- كرسي اللغة العربية وآدابها، وترأس هذا الكرسي حتى عام١٨٤٧م البروفيسور يوليان سينكوفسكي وعاونه في تدريس مادة اللغة العربية وآدابها المستعربون: فولكوف (ت١٨٤٦م) وموخلينسكي (١٨٠٨-١٨٧٧م)، وكاظم بيك (أول عميد لكلية اللغات الشرقية)، وبعد اعتزال البروفيسور يوليان سينكوفسكي التدريس دعي العلامة المصري الشيخ محمد عياد الطنطاوي للإشراف على تدريس مادة اللغة العربية وآدابها، وقبل ذاك ومنذ عام ١٨٤٠م كان الشيخ الطنطاوي يشغل منصب أستاذ في قسم اللغات الشرقية التابع للدائرة الآسيوية بوزارة الخارجية الروسية. ٢- كرسي اللغة الفارسية وآدابها.٣ - كرسي اللغة التركية وآدابها، أدرج تدريسها في لائحة النظام الداخلي للجامعات الروسية عام١٨٣٥م. ٥- كرسي اللغة الجورجية وآدابها، بدأ تدريس هذه اللغة عام ١٨٤١م. ٦- كرسي اللغة الأرمنية وآدابها، شرع في تدريس هذه اللغة عام ١٨٤٥م، وتشير المصادر إلى أن لائحة النظام الداخلي للجامعات الروسية عام ١٨٣٥م لم تتضمن تدريس اللغتين الجورجية والأرمنية.

١٠- تاريخ الاستغراب الروسي، منتديات ستار تايمز، الحلقة الأولى.

١١- جريدة أخبار روسيا، http://www./russiannewsar.com

١٢- «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي» مرجع سابق، ص٢٨.

١٣- «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي»، مرجع سابق، ص٧٨.

١٤- أحمد تيمور، مرجع سابق، ص٤٨.

١٥- أنور الجندي، مرجع سابق، ص١٨؛ أحمد تيمور، مرجع سابق، ص٤٧.

١٦- أحمد تيمور، مرجع سابق، ص٤٦.

١٧- أحمد تيمور، مرجع سابق، ص٤٦.

١٨- إغناطيوس كرتشكوفسكي «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي»، مرجع سابق، ص ٩؛ وأمين فكري «إرشاد الإلباء إلى محاسن أوروبا» مطبعة المقتطف، ١٨٩٢م، ص٦٠٩-٦١٠.



النخبة .. ووهم الفهم العميق

د.خالد محمد راتب
باحث أكاديمي

التفكر والنظر في الكون والاطلاع على القدرة الإلهية التي ظهر أثرها عبر التاريخ والأزمان -ولا تزال تضرب- بجذورها في ملكوت السماوات والأرض- عبادة يثاب عليها الإنسان؛وذلك لأن الإنسان إذا نظر في ملكوت السموات والأرض ،وتدبر في نعماء الله يكون قد امتثل للأمر الإلهي:» ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(العنكبوت:٢٠)،ولقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ (الغاشية: ١٧- ٢١)..إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التأمل والتدبر والتفكر...

ولا يستطيع التفكر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض إلا أصحاب العقول وأولو النهى،قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١).

وانطلاقا من دعوة الإسلام إلى التفكر فقد عاب القرآن الكريم على طائفة من الناس عطلت عقلها وسمعها وأبصارها فصارت كالأنعام بل أضل منها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩).

ومن الأمور البدهية أن الفكر والتدبر والتأمل ليس حكرا على أحد، ولكن تتفاوت الأفكار بسبب تفاوت العقول، وتفاوت العقول والأفهام بقدر الله، قال ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»(١)، ومعنى (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس)،

يعني الذكاء والغباوة، الفطنة والجهالة، كلها بعطاء من الله وبقدر منه (٢).
وللأسف فإن طائفة من الناس زعمت احتكار الفهم وأصابها الوهم، حيث زكت نفسها وعقلها انطلاقا من أن فهمهم مستورد من الغرب حيث البضاعة الرائجة وأن فهمهم ليس فهما محليا بدويا ينطلق من الصحراء حيث ضيق الفهم وكساد البضاعة!! وأطلق كثير من الناس على هذه الطائفة مصطلح النخبة، ذلك المصطلح الذي انتشر بطريقة مذهلة!!.
نقول لهؤلاء النخب المتوهمين أن النبي ﷺ لم يدع لنفسه الفهم المطلق رغم تأييده بالوحي، فقد سمح لأصحابه أن يتبادلوا معه الأفكار عن طريق المشورة، فيأخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق، وأخذ برأي الشباب في غزوة أحد مع وجود الخبرات، حيث كان في الجيش أبوبكر وعمر وغيرهما من أكابر الصحابة واحترم ﷺ عقول أمته وسمح لصغار الصحابة أن يجلسوا في مجالس النخب -إن صح التعبير-، فقد أجلس ابن عمر مع كبار الصحابة وسألهم جميعا عن النخلة التي تشبه المسلم.. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم حدثوني ما هي». فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبدالله فاستحييت، فقالوا يا رسول الله أخبرنا بها، فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» . قال عبدالله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا (٣).
وسار الصحابة على نفس المنهج، حيث أجلس الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما مع أشياخ قريش حتى غضب البعض منهم من هذا التصرف، ولكن عمر رضي الله عنه أثبت لهم أن فكر ابن عباس -رغم صغر سنه- يفوق فكر الأشياخ الكبار، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدني ابن عباس فقال له عبدالرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾. فقال: أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، قال ما أعلم منها إلا ما تعلم» (٤).
إن بضاعة النخب الفكرية -وخصوصا من أكل وشرب على موائد الغرب- أكثرها من المشتبهات وتعتريها الشبهات، حيث يروج النخب المتغربون لفكرهم بمصطلحات في ظاهرها النفع والخير وباطنها يحوي الخبث والدمار، فاستخدام مصطلح العلمانية -مثلا- ظاهره الدعوة إلى العلم والثقافة والرقي... وباطنه فصل الدين عن الحياة والاحتكام فقط للأمور المادية المشاهدة، ومصطلح العولمة ظاهره انفتاح الدول على بعضها والاستفادة بما لدى هذه الدول ليعم الخير الجميع وباطنه السيطرة الاستعمارية على العالم كله وإخضاع العرب لهيمنة ذلك الاستعمار..
إن هذه السيطرة الفكرية المعوجة تحتاج منا إلى تحصين الأجيال الحالية والقادمة، وهذا يتطلب جهودا كبيرة لبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة القادرة على مواجهة التحديات عن وعي وبصيرة، وعلى أساس من الفهم العميق للإسلام بوسطية واعتدال وتوازن، بحيث تجمع بين العلم والإيمان، وبين الأصالة والمعاصرة، وبين التمسك بالثوابت والانفتاح على إنجازات العصر، وهذا يوجب العناية البالغة بمناهج التربية والتعليم خاصة تقوية المواد الدينية، ورفض أي تدخل فيها من القوى الخارجية، كما يجب الإمساك بزمام المبادرة في التعامل مع أدوات العولمة وآلياتها وفق خطط شمولية واعية تخاطب المجتمعات الإنسانية المعاصرة، بالطريقة التي تفهم واللغة التي تدرك؛ بعيدا عن الارتجال والسطحية، أو التنظير المحدود القاصر، بما يشمل مجالات الفكر والثقافة والإعلام، ويهدف إلى تحقيق الممارسات الإبداعية والإنجازات العلمية والاقتصادية التنموية التي تؤمن الحياة الكريمة لكل إنسان في المجتمع (٥).

الهوامش

١- أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر.
٢- شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم ٧/٦٣.
٣- أخرجه البخاري، باب الحياء في العلم، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة.
٤- أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.
٥- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بتصرف.

محمد علي الخطيب
مدرس في التربية والتعليم

الاعتدال في الإسلام

مصطلح قد كثر تداوله مؤخرا، والذي يتبادر إلى الذهن لدى سماعه أن الإسلام أكثر من دين أو نسخة، ومنه الإسلام المعتدل، والإسلام غير المعتدل أو المتطرف، فهل هو كذلك فعلا؟!

ثم السؤال الذي يطرح نفسه: ما السمات والمواصفات التي يجب توافرها في الدين حتى يكون معتدلا؟! وما المعايير التي تميز المعتدل عن غير المعتدل؟!

طبعا هذه السمات والمعايير الغربية لمفهوم «الاعتدال»، هي معايير

الغزو الفكري والثقافي والسياسي، بل بقوة الاستعمار العسكري

وقد بات الإسلام مطلبا أساسيا جماهيريا في البلاد الإسلامية؛ صبغة للحياة وصيغة للحكم والسياسة

إن الإسلام المعتدل المطلوب دوليا هو إسلام مستأنس طيع متسامح يتنازل عن الحقوق ويرضى بالدون ودين الله أحق أن يتبع، وحدود الله يجب أن تصان، وأحكام الإسلام يجب أن تطبق ويحكم بها، لا نخشى لومة لائم.

السمات والمعايير الغربية لمفهوم «الاعتدال»، معايير خاصة تنبع من ثقافة الغرب وتصوره المادي للحياة، بل كثيرا ما تفرضها أهواء الساسة وأمزجتهم!

بينما الإسلام هو دين الاعتدال والوزن بالقسط في أحكامه وتعاليمه وشؤونه كلها

فيما تقوم مناهج الغرب على الفصل بين الدين والدولة وبين الدين والحياة، يظل الإسلام دين شامل .
هم يحاولون جاهدين إزاحة الإسلام، كدين شامل، من خلال عمليات



خاصة تنبع من ثقافة الغرب ومنظومته القيمية وتصوره المادي للحياة، بل كثيرا ما تفرضها أهواء الساسة وأمزجتهم، وضعها من اخترع مصطلح «الإسلام المعتدل» وروج له، حسب ما يرمي إليه من أهداف وغايات، وهي معايير نسبية قد تتغير وتتطور بحسب الزمان والمكان والسياسات والمصالح.

دين الاعتدال والوزن بالقسط

لابد أن نقرر هنا -بوضوح تام وجلاء يزيل الشك- أن دين الإسلام الذي أنزله الله تعالى وأكمله ورضيه لنا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة:٣)، هو دين الاعتدال والوزن بالقسط في أحكامه وتعاليمه وشؤونه كلها، وهو لا يحتاج إلى شهادة الغربيين له بالكمال والاعتدال، كما لا يضره لمزهم له وطعنهم فيه واتهامه بالتطرف والحيف.

وأمر آخر ننبه إليه، وهو أن أصل هذا المصطلح (الاعتدال) قرآني، هو «التوسط أو الوسطية»: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣)، وهي منزلة بين طرفي نقيض، كلاهما مذموم، وهو مصطلح شرعي أصيل واضح المعنى ومحدد المعالم، وضده مصطلح شرعي آخر هو «الغلو»، وهو كسابقه موصوف وموضح في شرعنا المطهر، ولا غضاضة في استعمال هذه المصطلحات التي جاء بها الكتاب والسنة، لكن حين يشوه المصطلح ويميع حتى تنصرف مدلولاته إلى: «التحلل من التكاليف الشرعية وتعطيلها وإلغائها أو تحريفها وتبديلها، من مثل: (الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحدود، والحجاب، والحكم،.... إلخ)، لتتوافق مع ثقافة الغرب وتصوراته، أو مع مصالحه الاستعمارية»، ويصبح المرجع في الحكم بالاعتدال أو نقيضه «القيم والتصورات الغربية والأعراف الدولية، أو أهواءنا وأمزجتنا وأذواقنا وأعرافنا»، بغض النظر عن موافقتها لمراد الشارع، حينئذ يصير المفهوم محل ارتياب وتوجس عند «المستقبِل»، ولعل هذا ما يفسر رد الكثيرين لمصطلح «الوسطية» رغم أصالته ودلالته الشرعية الواضحة.

من وجهة نظر الإسلام، فإن التوسط والعدل والتوازن والاعتدال، تتمثل في المنهج الذي رضيه الله تعالى لعباده، الذي أرسل به أنبياءه ورسله بأصوله وفروعه، وما دونه من المذاهب الوضعية والمناهج البشرية فإنها ذات عوج وقصور.

ثم إن هذا المنهج الرباني «منهج كلي شامل»، يستوعب كل مناحي الحياة ويصبغها بصبغته: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ (البقرة:١٣٨)، بينما تقوم مناهج الغرب على الفصل بين الدين والدولة وبين الدين والحياة، وهم يريدون أن يفرضوا هذا النمط الغربي على العالم عن طريق تسويق أنماط ثقافاتهم ومعيشتهم أو فرض مفهوماتهم ومصطلحاتهم، من مثل: «العولمة، والحداثة، والحضارة، والتمدن، والديموقراطية، والمجتمع المدني، وحقوق المرأة، وحقوق الإنسان، والحريات، والمواطنة.. ونحوها». وهم يحاولون جاهدين إزاحة الإسلام، كدين شامل، من خلال عمليات الغزو الفكري والثقافي والسياسي، بل بقوة الاستعمار العسكري، وهو الخيار الذي تمارسه أميركا وحلفاؤها مؤخرا، باسم الحرب على الإرهاب ومكافحة التطرف، منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، التي استغلتها حكومة بوش الابن في غزو العالم الإسلامي من جديد.

الحرب على الإسلام؟!

هم يقولون -أقصد الخطاب السياسي الغربي العام- إننا نحترم الإسلام المعتدل كدين ينادي بالتسامح والمحبة والسلام، لكننا نحارب التطرف والإرهاب والثقافة العنصرية التي تغذي الكراهية، وحسب دانيال بايبس (مفكر أميركي): «الإسلام المتطرف هو المشكلة، والإسلام المعتدل هو الحل». لكننا إذا بحثنا عن التطرف الذي يحاربونه، لوجدناه هو الإسلام نفسه، فهم يحاربون جماعات وجمعيات ومؤسسات إسلامية للدعوة والعمل الخيري والتطوعي، تتمثل الإسلام في نسيجها ومناهجها ونظامها وعلاقاتها، وتعرف به، وتدعو إليه.. ولا اعتبار هنا لـ «القاعدة» وفكره، ولا يحتج به علينا، فهو خارج هذا السياق، لأنه يمثل حالة من الاضطرابات والشذوذ الفكري والنفسي والسلوكي التي تولدت في بيئة القهر والكبت والجور الذي يمارسه الغرب ضد المسلمين؛ إما عن طريق الغزو العسكري المباشر أو بالوكالة عن طريق أدواته وآلاته (السلطات العلمانية اللادينية والدكتاتوريات العسكرية) التي فرضها على العالم الإسلامي، ومن ورائها النخبة التي نشأت على الثقافة العلمانية الغربية المتطرفة، ورعاها الغرب إثر انتصاره على

المسلمين في مطلع القرن العشرين مع سقوط دولة الخلافة، واستمرت حتى يومنا هذا.

الإسلام المعتدل

بعد فشل العلمانية وسقوطها المخزي في جميع الميادين، حيث عاش العالم الإسلامي في ظلها في تخلف تام وانحطاط عام في الميادين كافة، وهنا نهض أهل الإسلام من جديد، ونادوا بالفكرة الإسلامية من حيث هي نظام للحياة والمجتمع والدولة، وبات الإسلام مطلبا أساسيا جماهيريا في البلاد الإسلامية؛ صبغة للحياة وصيغة للحكم والسياسة.

ولأن مواجهة الفكرة الإسلامية بشكل صريح مجازفة محفوفة المخاطر وعديمة الجدوى أمام افتضاح النخبة العلمانية الفاسدة وبضاعتها الكاسدة، كان لابد للغرب من أن يبحث عن حاضنة جديدة للمشروع الغربي ترتدي لباس التدين وتدعي تمثيل الإسلام، لكنها لا تحمل أي مشروع إسلامي حقيقي، وإنما تصدر عن الثقافة الغربية نفسها التي كان يصدر عنها العلمانيون، ولا تتعامل مع الإسلام على أنه نظام حياة شامل يخضع له الفرد والمجتمع والدولة، بل تتعامل معه بوصفه مجرد مرجعية عامة للقيم التي يجب أن تراعى في السياسات العامة للدولة، لا أن تطبق شريعته وقوانينه وأحكامه. وقد شاع مؤخرا تعبير: نظام حكم تكون فيه «المرجعية للقيم الإسلامية»، بدلا عن الحكم بما أنزل الله أو تطبيق الشريعة أو الحكم بالإسلام.

وفوق ذلك، فإن الإسلام المعتدل المطلوب دوليا، هو إسلام مستأنس طيع يقوم على التسامح والوئام والسلام. ويقصد بالتسامح: التنازل عن الحقوق مع العدو وإقراره على عدوانه وطغيانه، والرضا بالهيمنة الغربية على العالم والاستسلام لها. وهذا النوع من الإسلام تخلع عليه أميركا والغرب صفة «الإسلام المعتدل».

ويمكننا أن نقرر هنا -من دون تردد- أن الغرب يرى أن مشكلته ليست مع المسلمين فحسب، بل في جوهر الإسلام ذاته. وهم لا يتوقفون عن كيل الاتهام تلو الآخر للإسلام والمسلمين: بالأصولية والراديكالية والإرهاب والتطرف، ويعتبرونه وباء وخطرا على شعوبهم!

حقيقة الاعتدال

الاعتدال في الشرع حقيقة هو التزام أحكام الشرع، والاستقامة عليها، والإتيان بها على الوجه الذي شرعه الله؛ لأنها الدين القيم الذي لا عوج له. وأما التطرف، فهذه اللفظة لم ترد في النصوص، لكن يأتي في معناها الطغيان، الذي يدل على مجاوزة الحدود الشرعية والمغالاة فيها.

وعليه، فإن التزام اللباس الشرعي اعتدال؛ وإن لم يرضوا عنه. والزواج الشرعي هو الاعتدال؛ وإن أرادوا ترويج الزواج المدني أو فرضه. وتحريم الربا والاستغلال اعتدال؛ وإن قالوا عنه ضرورة اقتصادية. والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتدال؛ وإن اعتبروه تدخلا في الحرية الشخصية. والجهاد في سبيل الله -بضوابطه الشرعية- اعتدال؛ وإن عدوه إرهابا. والحكم بما أنزل الله، وتطبيق الحدود والعقوبات الإسلامية، وحفظ حقوق المسلمين، وصون ثرواتهم، والدفاع عن أراضيهم وأعزها الأرض المقدسة المباركة بلاد الشام.. فهذا كله هو عين الاعتدال؛ وإن سموه تطرفا. والمتمسك به هو المعتدل الموزون؛ أفرادا أو جماعات أو حكومات، حتى لو ناقض هذا النموذج مصالح الغرب وأهواءهم وعاداتهم وأذواقهم وقوانينهم ودساتيرهم، فدين الله أحق أن يتبع، وحدود الله يجب أن تصان، وأحكام الإسلام يجب أن تطبق ويحكم بها، وأن يدعى لها، لا نخشى لومة لائم، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ (المائدة:٤٩).

وكل من يسعى في هذا الطريق ويقوم بذلك من الأفراد والجماعات والمؤسسات والحكومات، فهو ملتزم بالصراط المستقيم ومتمسك بالعروة الوثقى ومعتدل وموزون، وإن اختلفت الرؤى والاجتهادات أحيانا.

والحاصل أن أميركا والغرب يحاربون الإسلام كدين تحت غطاء محاربة «الإرهاب» وتشويه «الإسلام السياسي»، ويقومون على تسويق «إسلام معتدل» لا يمت إلى الإسلام بنسب، يرعى مصالحهم، ويخدم أجنداتهم ومشاريعهم الاستعمارية، ويستوعب ثقافتهم المادية وتصوراتهم الوضعية، أي إعادة تشكيل الإسلام وصياغته كدين «إسلام ديموقراطي مدني مستأنس». وهذا النموذج الأميركي ليس من الإسلام في شيء: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥).

فهل يدرك المنخرطون في مشروع «الإسلام المعتدل» أن دعوتهم -رغم حسن نية بعضهم- تخدم أعداء أمتهم ودينهم؟!

سليمان خالد الرومي
سكرتير التحرير

الخجل لدى الأبناء

الولد الخجول ولد وَجِلٌ يفقد إمكانياته حالما يوجد أمام الغير، فيتردد ويرتبك ويحاول بشتى الوسائل أن يحول الانتباه عنه وأن يحتَجب عن الأنظار. إن القيام بأية مهمة، مهما كانت يصبح لديه صعبا أو مستحيلا حالما يجد نفسه في جماعة. إنه يخفق في ما هو بصدد القيام به إذا شعر أنه هدف لمراقبة الغير.

وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال، ولا ينكر ما للبيئة من أثر كبير في الخجل أو تعديله، فإن الأطفال الذين يخالطون غيرهم ويجتمعون معهم يكونون أقل من الأطفال الذين لا يخالطون ولا يجتمعون.

هناك أعراض للخجل وهي على النحو التالي:

١- الانطواء والانزواء سواء في مكان وحده أو بالابتعاد عن الناس وعدم صحبتهم.

٢- أحلام اليقظة والشرود والسرحان.

٣- الحساسية الشديدة: المتمثلة في الظن السيئ، وعدم تقبل المزاح بطريقة عادية والتأثر الشديد من أي كلمة، وتحوير الكلمات، ليفهمها على غير مرادها كما تقتضيها حساسيته، وقد يرى أبويه يتحدثان في موضوع سرا، فيظن أن الحديث عنه هو. وهكذا مع باقي الناس.

٤- القلق الشديد: عدم الثقة في النفس نتيجة الإحساس بالنقص.. توقع الخطر وإن كان بعيدا.

٥- الخوف من نقد الغير له: الجمود والخمول في الوسط المدرسي/ اللامبالاة في بعض الأحيان.

٦- الامتناع عن الاشتراك مع الأقران في أنشطتهم: وبالتالي عدم الاندماج في الحياة فلا يتعلم من تجاربهم.

٧- التمارض: لجذب الأنظار إليه، الأنانية ومحاولة فرض رغباته على من حوله.

علاج الخجل

١- عدم إخفاء الأبناء عن المجتمع: ومحاولة خلطهم بالرفقاء الصالحين، ومن يخشى الحسد يكفيه أن يرقي أولاده بما يقيهم شر الحسد بدلا من إخفائهم؛ بما يأتي.

٢- يكثر من قول «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

٣- يحفظهم سورة الإخلاص والمعوذتين (سورتي الفلق والناس): وليأمرهم أن يقرأوها يوميا في الصباح والمساء، وقبل النوم أو يضع يده على رؤوسهم ويقرأها هو إن كانوا صغارا.

٤- يكثر من الدعاء لهم: بأن يحفظهم الله من كل مكروه وسوء ومن شر حاسد وحاقد ويتوكل على الله.

٥- التوسط في المعاملة بين التدليل والقسوة: ويعاقب ويؤنب ويشجع، مع شدة في غير عنف ولين في غير ضعف.

٦- اهتمام الأب بأبنائه منذ ولادتهم كالأم تماما: وإحاطتهم بجو من الحب والتقدير والدفء العاطفي ولا يشغله عن ذلك كثرة أعماله وانشغاله.

٧- إبراز جوانب التميز في الطفل الخجول: وإشعاره بالثقة في النفس وإن كان ذا عاهة يلقن دائما أنه ليس الوحيد في ذلك ومثله فلان وفلان المتفوقان المشهوران ويذكر له أمثلة مثل الصحابي عمرو بن الجموح الذي كان أعرج وجاهد في سبيل الله واستشهد وخلدت ذكراه ومنهم الكثيرون.

٨- عدم مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظا منهم: سواء في الاستعداد الذهني أو الجسمي، من حيث الوسامة أو القدرات والاستعدادات الاجتماعية لأن مثل هذه المقارنات تضعف ثقة الطفل بنفسه وتؤدي إلى الخجل.

٩- لا تدفع الطفل للقيام بأعمال تفوق قدراته: فليس معنى تشجيع الطفل وبث الثقة في نفسه، أن يدفع إلى القيام بأعمال تفوق طاقته الجسمية وقدراته العقلية أو اللفظية بل ندفعه إلى الأعمال التي في استطاعته لنكسبه شعورا بالأهمية والتقدير في نظر نفسه والآخرين من حوله بدلا من الانزواء والخجل والبعد عنهم.

١٠- يجب تدريب الطفل الخجول على الأخذ والعطاء: وتكوين الصداقات مع أقرانه من الأطفال.

١١- تشجيع الطفل على ممارسة أحد الألعاب في النادي: أو ممارسة هواية ما كالرسم أو الزخرفة أو الكمبيوتر أو غير ذلك.

١٢- الإكثار من ذكر الأمثلة التاريخية والأحاديث النبوية التي تعطي للمربين جميعا الذين يربون أبناءهم على الجرأة ومعالجة ظاهرة الخجل في نفوسهم.



د. سمير أيت أومغار
باحث في التراث
الإسلامي- المغرب

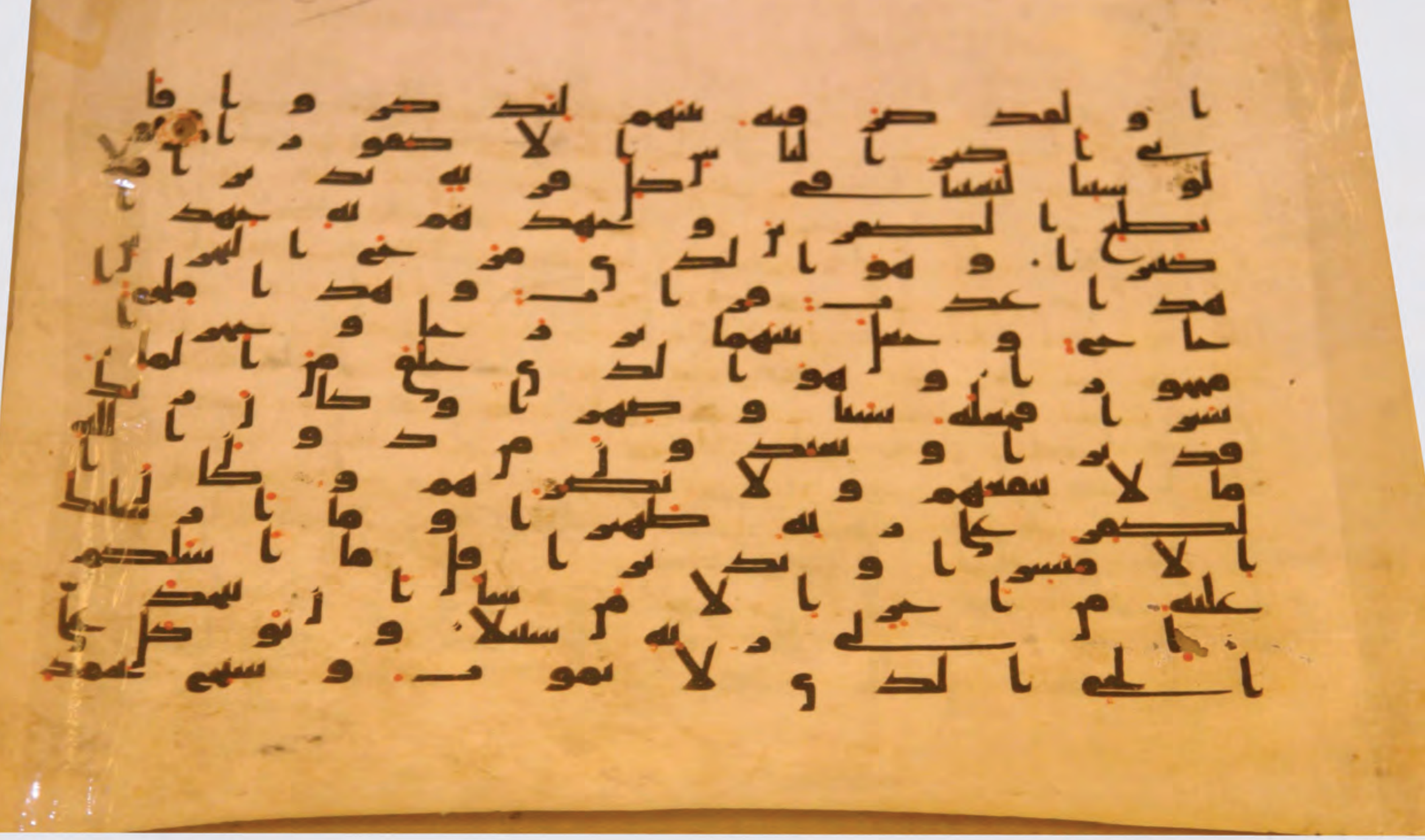


«خطوة الأقلام» للأديب المغربي بن المواز.. نموذجًا

التربية والتعليم في مخطوط

اشتغل المغاربة منذ العصر الوسيط بالتأليف في قضايا التربية والتعليم، فألفوا رسائل وكتبا حول طرائق ومناهج التعليم، كشفوا فيها عن تصورهم للفعل التربوي، وهو تصور يستند أساسا إلى المرجعية الإسلامية، لكن مع حلول القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بدأت معالم الضعف والركود تدب إلى التعليم المغربي، فسارع مجموعة من العلماء لإنقاذ الموقف، بتحرير عدة مؤلفات ذات مقاصد إصلاحية الهدف منها الوصول إلى نموذج جديد في التعليم يتماشى مع العصر الذي عرف تطورا كبيرا في ميادين الصناعة والفنون والفكر وطرق التربية والتعليم.

ومن بين هذه المؤلفات نذكر على سبيل المثال «الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر»، لمحمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي، المتوفي عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م، و«هدية المؤدب المبينة أحكام المؤدب وللصبيان في المكتب»، لمحمد المهدي بن عبدالسلام متجينوش بن المعطي الأندلسي الرباطي، المتوفي سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، و«هدية الولدان»، وهي أرجوزة لنفس المؤلف في ٦٩ بيتا، خاصة بأعمال المتعلمين في مرحلة الكُتّاب، و«دلالة المؤدبين على نكتة المعلمين»، لمحمد بن أحمد بن الحاج الهاشمي التريكي الأسفي، المتوفى سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، شرح فيها أرجوزة «نكتة المعلمين» للقاضي محمد بن عبدالعزيز الأندلسي الأسفي، و«الابتهاج بنور السراج»، لأبي العباس أحمد بن المأمون البلغيثي الحسني الفاسي، المتوفى سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، وهو شرح موسع على أرجوزة «سراج طلاب العلوم» للفشاري، و«بغية المعلمين والمتعلمين ونصيحة المتعلمين»، للحاج الأحسن الباعقيلي بن محمد بن بوجمعة السوسي، المتوفى سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، و«تقرير عن المعارف»، لمحمد بن الحسن الحجوي، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، كتبه في ٩ أبريل ١٩١٢م، انتقد فيه النظام التعليمي في القرويين، و«إصلاح التعليم العربي»، لمحمد بن الحسن الحجوي، و«المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات بالديار المغربية»، وهي محاضرة ألقاها الحجوي سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بالمدرسة العليا الرباطية يحض فيها على تعليم الفتيات وكيفية ذلك، و«المعارف في المغرب وجهود الحكومة»، وهي محاضرة ألقاها الحجوي في نوفمبر ١٩٣٩، وأخيرا وهذا موضوعنا كتاب «خطوة الأقلام في التعليم والتربية في الإسلام»، لأحمد بن عبدالواحد ابن المواز، المتوفى سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، وهي



مسامرة طويلة، ألقاها في نادي المسامرات بفاس سنة ١٩١٨م، عرض فيها طرق التربية والتعليم من ظهور الإسلام إلى عصره، وقارن بين طرق التعليم في المغرب وتونس ومصر وفرنسا.

يعتبر المؤلّف أحمد بن عبدالواحد ابن المواز واحدا من الأدباء المغاربة الذين زاوجوا بين الأدب والسياسة، وعاصروا فترة الاستقلال وما تلاها من حادثة الحماية، وبرعوا في الإنشاء والتدوين، ونافسوا في ذلك كُتاب الدواوين (١)، بل وصفه البعض بخاتمة الأدباء في المغرب (٢).

وُلد ابن المواز ونشأ بمدينة فاس (٣)، لكنه قضى جزءا كبيرا من حياته بمدينة الرباط (٤)، وقد عُرف بانغماسه في طلب العلم والأدب والحكمة قراءة وإقراء وتأليفا وإفتاء (٥). وهو ما خول له تقلد وظائف سامية في العهود الحسنية والعزيزية والحفيظية واليوسفية (٦). توفي ابن المواز يوم الخميس ثالث عشر صفر الخير عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بالرباط، ودفن بمدينة فاس (٧). وتتجلى براعته وسعة علمه في لائحة كتاباته التي بلغ عددها ثلاثة عشر تأليفا، ما بين كتب فقهية وأشعار ورحلات وتواريخ، وهي: حجة المنذرين على تنطع المنكرين، ودفع الوسواس عن مخالجة الأنفاس، والمراحل السنية للأصقاع السوسية، والمقالة المُرضية في الدولة العلوية والتوسل بالنسب الطاهر للعلي القادر، ومطلع الضياء في الاستدلال على صحة الكيمياء، والطليعة الجلية على نظم الدلالة الكلية في الأحكام الفلكية، ونيل الأرب في بيتي العقل والأدب، والنفائس الإبريزية في هدية الفيل الوافدة من فخامة الحضرة الإنجليزية، وتهنئة المسافر بالفوز الباهر، واللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسني، وشرح على قصيدة الوأواء الدمشقي الشهيرة، وديوان شعر، وخطوة الأقلام في التعليم والتربية في الإسلام.

كان ابن المواز ممن اهتم بموضوع إصلاح التربية والتعليم في المغرب، فألف كتابه خطوة الأقلام في التربية والتعليم في الإسلام، وهو كتاب اشتمل على عرض لطرق التربية والتعليم من ظهور الإسلام إلى عصر السلطان مولاي يوسف، وجعله في عشر مقامات وخاتمة سمّاها الخاتمة الإنصافية في فضل التعاليم الفرنساوية. وتتفق النسخ المخطوطة لكتاب خطوة الأقلام على أن الفراغ من تأليفه كان أواخر ربيع الأول من عام ١٣٣٦هـ الموافق لسنة ١٩١٨م، أي بعد ست سنوات من فرض الحماية الفرنسية على المغرب، بطلب من «الفاضل المعتبر رئيس المدارس العلمية بفاس الحكيم برينوا الفرنسوي» (٨). ويوجد الكتاب مخطوطا بالخزانة الحسنية تحت رقم ١٢٣٩٤/٢ ضمن مجموع، من الصفحة ٧٧ إلى الصفحة ١١٠. وبالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم حـ ٤٠ ضمن مجموع.



قدم ابن المواز في كتابه خطوة الأقلام تصورا جديدا للمنظومة التربوية يختلف عن سابقيه، فقد جاء داعيا لإصلاح قطاع التربية والتعليم وتجديده وتحديثه عبر الانفتاح على العلوم الطبيعية والعقلية وعلى اللغات الأجنبية. مؤكدا على أن التدبر في الطبيعة والخلق سبب في إدراك وجود الله وقدرته على الخلق والتدبير. ويعترض ابن المواز هنا على رأي الطبيعيين الذين يقولون بأن الطبيعة بذاتها هي المسؤولة عن كل هذا، وينتقد هذا الرأي مبرزا أن ذلك إنما هو التباس على هؤلاء العلماء في تسمية الله باسمه فسموه بالطبيعة التي لا قدرة لها على الخلق. وهنا يشدد ابن المواز على أن التربية والتعليم لابد أن يتأسسا على صحة الاعتقاد الديني، حتى إذا درس المتعلمون علوم الطبيعة والظواهر الطبيعية علموا أن ذلك من صنع الله عز وجل. ويميز ابن المواز بين ثلاثة أنواع من التربية: تربية تقوم على عقائد الدين وتهذيب الأخلاق مع النظر في باقي العلوم الدنيوية، وهي أحسن نوع، لأنها ترقى بالإنسان إلى الكمال في سعادتي المعاش والمعاد، وتربية لا تتأسس على مبادئ الدين وهي مضرة بصاحبها، لأنها تعدم منه الثقة والأمانة العلمية، فينقلب علمه ضررا عليه وعلى غيره، وتربية على مجرد الدين دون العلوم الدنيوية، وهي تربية ناقصة لأنها لا تجمع بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، فيصبح الإنسان عاجزا عن تدبير أموره الدنيوية، وقد استشهد ابن المواز من أجل ذلك بمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال السائرة.

ويخلص ابن المواز إلى أن سبب تقهقر الأمة هو انقسامها إلى فريقين: ديني ودنيوي، وكل واحد يلوم الآخر ويعزو التقهقر والتخلف له، وهذا ليس من الإسلام في شيء، فقد جاء الإسلام بالاعتدال وجمع بين مطالب النفوس ومطالب الأجسام على السواء. ويعود ابن المواز ليؤكد على أن التربية على علوم الدين واجب قبل التطلع إلى العلوم الطبيعية، فذلك أفضل للمتعلم لأنه يدفعه إلى النهج القويم. أما إذا سبق العلم الدنيوي قبل رسوخ الدين وآدابه فإن المتعلم ينشأ مرتبكا ويكون إيمانه إيمان العادة فيصبح عُرضة للتغير والتقلب في دينه وذلك سبب الانحطاط.

دينية ودنيوية

وبعدما خلص ابن المواز في بداية الكتاب إلى أن أحسن وأفضل أنواع التربية ما يمزج ويوازن ويعدل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، انتقل للحديث عن العلوم اللازم النظر فيها وأولها اللغة العربية، ثم النحو والشعر والنثر، وتاريخ العرب ووقائعهم، وهي العلوم التي كانت سوقها نافقة في عهد الدولة الأموية. وفي أواخر هذه الدولة وبداية الدولة العباسية، بدأ التوجه إلى دراسة العلوم العقلية كالرياضيات والصناعة والطب والفلك حتى أصبح بكل مدينة عدد كبير من المدارس والمكتبات وخزائن الكتب، وظهر بموازاة مع ذلك عدد كبير من الحكماء والعلماء المشهورين في المشرق والمغرب. وينتقل ابن المواز بعد ذلك ليثبت أثر الحضارة العربية على أوروبا وكيف ساهمت العلوم الإسلامية في الانتقال بأوروبا من عصر الانحطاط والجمود إلى عصر الابتكار والإبداع.

أما فيما يخص المغرب، فابن المواز ينوه بما قامت به الدول التي تعاقبت على المغرب من إنشاء المدارس والزوايا والمساجد من أجل نشر العلوم والمعارف، وركز أساسا على ملوك الدولة العلوية ومآثرهم في حفظ العلوم وتشجيعها بتقديم المساعدات والمعونات المالية للمتعلمين وإنشاء المدارس ومراكز العلم، ثم أشار في الأخير إلى حكومة الحماية الفرنسية بالمغرب، فأشاد بها وبجهودها الجبارة للنهوض بالمغرب، ثم قام بعد ذلك بتفصيل الحديث عن العلوم التي كانت مدروسة منذ صدر الإسلام إلى تاريخ كتابة الكتاب، فأشار إلى أن العلوم المقصودة في صدر الإسلام تعليما وتعلما هي التوحيد وعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه. أما العلوم الآلية التي يتوصل بها إلى فهم هاته العلوم السابقة، فقد ظهرت بعد صدر الإسلام الأول ومن بينها العربية والنحو وعلم أصول الفقه والمنطق والتصوف والفلسفة والجغرافيا والتاريخ، والطبيعيات والرياضيات واللغات الأجنبية.

بعد ذلك تخلص ابن المواز إلى التعريف بالطرق المتبعة في التربية والتعليم منذ صدر الإسلام إلى بداية القرن العشرين: فقد كان التعليم

في البداية على طريقة التلقي من أقوال وأفعال الرسول ﷺ، أما بعد الصدر الأول للإسلام فقد أصبح التعليم على خمس مراتب: بالسماع من الأشياخ، بالقراءة على الشيخ، بالكتابة المقترنة بالإجازة من الشيخ، بالمناولة، ثم أخيرا التعليم بالإجازة.

الترتيب

أما فيما يخص العلوم المدروسة في سائر أقطار وجهات العالم الإسلامي فقد اختلف ترتيبها حسب أهميتها، ففي الأندلس يتم تعليم الولدان حفظ القرآن ثم فن العربية والشعر والترتيل وتجويد الخط، ثم فن الحساب ثم درس القرآن وأصول الدين وأصول الفقه، والجدل وعلم الحديث. أما في إفريقية فكانوا يقدمون تعلم القرآن والحديث ثم يأتون على غيرهما من العلوم، أما في المغرب فيقتصرون في البداية على القرآن ثم يتلونه النحو والفقه ثم باقي العلوم. أما في مصر فطرق التعليم تختلف، فهي أقرب إلى المحاضرات التي تلقى على الطلبة، أما العلوم المدروسة بهذا القطر فهي علم الفقه وأصوله وتفسير القرآن والحديث والنحو والتصريف والمعاني والبديع والمنطق والحساب والجبر والعروض والتاريخ والجغرافيا.

ثم ينتقل ابن المواز لذكر الشروط والصفات الواجب توفرها في المعلم ومن بينها: أن يكون عارفا، أمينا، ثقة، مهذب الأخلاق. أما فيما يخص مناهج التعليم حسب ابن المواز، فيجب التدرج في التعليم وعدم تفريق التدريس، وتقديم العلوم المهمة على غيرها، وعدم المبالغة في شرح القواعد، وعدم تشغيل المعلم للتلاميذ بعلمين فأكثر في وقت واحد، وعدم القراءة بالكتب الرديئة... ثم جاء بعد ذلك على ذكر حالة العالم الإسلامي بعد ازدهاره، حيث عمت الفتن والبدع والاستبداد، وانحرفت الأخلاق وبردت القرائح والفهوم وتقلصت المعارف والعلوم.

ويختم هذا الحديث بذكر واجبات العلماء وحقوقهم، فمن حقوق العلماء: الإنفاق عليهم والإكثار في ذلك لأنه بهم يتم حفظ الديانة وإرشاد العقول وتطهير النفوس، ومن أجل أن لا يشتغل فكر العلماء بقوت الأولاد والمسكن ويشتغلون فقط بالعلم ولا يعوقهم عنه شيء. وتقديمهم في كل عمل مشكور من الهيآت الاجتماعية ومراعاة التفاوت بين أهل العلم كل حسب درجته، والصفح عن العلماء إذا صدرت عنهم عثرة أو هفوة، وعدم معاملتهم معاملة العوام، وقبول شفاعتهم وإعانتهم في ولائم أنكحتهم وختان أولادهم ومصاريف جنائزهم. أما ما يجب على العلماء فهو نشر العلم بمختلف الطرق كالتدريس والتأليف والإفتاء والتلقين والمراسلات والوعظ والتذكير.

تخلص ابن المواز في خاتمة الكتاب إلى الحديث عما بلغته واختصت به فرنسا من المعارف والعلوم والفنون إقرارا منه لهم بالإنصاف وفضل تعاليمهم، فتناول طرق التعليم الفرنسية ومحتوياتها وبرامجها وتدرجها في الصعوبة والتعمق. كما ذكر ابن المواز كثرة خزائن الكتب الفرنسية، ثم انتقل لذكر بساتين النباتات الفرنسية التي تستخدم كمختبر للتجارب العلمية، ثم المراصد الفلكية ومجامع العلماء، إضافة إلى الجمعيات العلمية والمدارس، وختم ابن المواز كل هذا بذكر أهم الاختراعات الفرنسية كالأسلاك البرقية وآلات الطيران في الهواء، والغوص في البحر، وفنون التمثيل وآلات حفظ الأصوات.

الهوامش

١- بوجندار محمد بن الحاج مصطفى، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، دراسة وتحقيق عبدالكريم كريم، الرباط، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص.٩٣.

ابن سودة عبدالسلام بن عبدالقادر، سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، فهرس الشيوخ، القسم الأول، في موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الجزء الثامن، ص ٢٩٢٩.

٢- ابن سودة، سل النصال، ص. ٢٩٢٩.

٣- مازال تاريخ ولادة ابن المواز مجهولا، لأن المصادر لم تقدم أية إشارة في هذا الموضوع.

٤- زنيبر محمد، «الحركة السلفية بالعدوتين سلا والرباط»، ضمن أعمال ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، جمعية المحيط الثقافية، أصيلة، الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، ١٩٨٩، ص ١٠٠.

٥- بوجندار محمد بن الحاج مصطفى، المصدر السابق، ص ٩٣.

٦- إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني، معجم المطبوعات المغربية، مطابع سلا، دون تاريخ النشر، ص ٣٣٧.

٧- الجراري عبدالله، «من أدبائنا البارزين، أحمد بن عبدالواحد بن المواز»، مجلة دعوة الحق، العدد ٦-٧، السنة ١١، صفر ١٣٨٨ ماي ١٩٦٨، ص ١٣٨، وبوجندار، المصدر السابق، ص ٩٣، والماحي الإدريسي، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

٨- تبين لنا بعد البحث أن برينوا الفرنسوي هو Louis Brunot. وقد كان أستاذا للغة العربية بمعهد الدراسات المغربية العليا، ومديرا للمدرسة الإسلامية بفاس، وكان له إنتاج كبير في التاريخ والأنثروبولوجيا والاثنوغرافيا واللغة والبيداغوجيا.

هبة محمد أبو الفتوح
باحثة أسرية - مصر

كيف يستعيد طفلك الخجول ثقته بنفسه؟

الطفل الخجول أو المنطوي على نفسه في الواقع هو طفل مسكين وبائس، يعانى من عدم القدرة على الأخذ والعطاء مع أقرانه في المدرسة والمجتمع، فهو يعاني من ضعف في علاقاته الاجتماعية حيث يتصف بالخجل الشديد فينكمش نشاطه، وتضطرب تصرفاته، وينطوي على نفسه، ويمتنع من مخالطة الآخرين، ويخاف من التجمعات والحفلات، أو قد يخجل من شكله ومظهره، وبذلك يشعر بالنقص بالمقارنة مع غيره من الأطفال.

ومن سمات الطفل الخجول أنه ميال للعزلة والانطواء على النفس، وقد يبدو أنانيا في كثير من الأحيان لأنه يسعى إلى فرض رغباته مع من يعيشون من حوله. ومرجع ذلك أن تفكيره مركز في ذاته، ولا يمكن أن ينفذ هذه الرغبات إلا في أسرته، ولا يقوى على فرضها على أقرانه.

كما يبدو الطفل الخجول حساسا وعصبيا، وهذا يجعله أحيانا كثير الحركة غير مستقر، فيبدو تارة قلقا متشائما حذرا، وتارة أخرى يبدو عديم المبالاة، وقد يكون أحيانا عدوانيا لأتفه الأسباب. ومما يقلل بعض الشيء من خطورة الخجل عند الأطفال أننا نجد أن معظم الأطفال الخجولين غير مرضى، إذ إنهم يظهرون خجلهم وعدم قدرتهم على الأخذ والعطاء مع الأفراد الجدد الذين يقابلونهم في المجتمع؛ على حين نجدهم على درجة كبيرة من النشاط والتعاون مع إخوانهم وأقاربهم في الوسط العائلي.

أهم أسباب والخجل

والخجل له أسباب كثيرة أهمها الشعور بالنقص نتيجة نواقص جسمية أو عاهات بارزة أو بعض الظواهر كالتأتأة أو اللجلجة في الكلام، أو السمنة المفرطة أو الطول الفارع، أو ظهور البثور في الوجه. وقد يعاني الطفل الخجول نتيجة إشعار البيئة له بالنقص لعدم وسامته أو لضعف قدراته العقلية وتحصيله الدراسي، أو لجهل الأبوين وسوء معاملتهما له كالتشدد في عقابه لأتفه سبب.

التنشئة الخاطئة للفرد خاصة في المجتمعات التي يسودها التحفظ أو تطغى عليها الأبوية والتسلط فينشأ الفرد وهو يراقب كل حركاته وسكناته، فهذه نتيجة حتمية للتخويف من الناس ومن المجتمع.

ومثلما يتسبب التشدد في معاملة الأطفال وزجرهم وتوبيخهم وتأنيبهم أمام الغير في شعورهم بالخجل، فان التدليل الشديد يؤدي بالأطفال إلى الخجل وعدم القدرة على الأخذ والعطاء بطلاقة (١).

من هو الطفل الخجول

ويمكن التعرف على الطفل الخجول الذي يعاني من الانطواء والانزواء بعدة طرق، منها الأمور التالية: الحساسية الشديدة من التوبيخ والزجر والنقد لاسيما من الكبار. الاعتماد التام على الاحتكاك ببيئة مغلقة قد تتمثل في الوالدين. عدم التعبير عن أحاسيسه ومشاعره الدفينة، ومواقفه وذكرياته الأليمة بل إنه يلجأ إلى الصمت والكبت، ويلوذ بالكتمان والعزلة. الابتعاد عن الأنشطة التي تتطلب الثقة بالنفس مثل النزول إلى الملعب، المسرح...الخ. يرتبط بشبكة صداقات محدودة وغير مستقرة ويعجز عن تكوين صداقات جديدة. يختار الأنشطة الفردية في الفصل (الرسم والقراءة) ولا يستطيع الانخراط بسهولة في العمل الجماعي مع أقرانه، ولا يندمج بسهولة مع المجموعة التي يلعب معها. يشعر بحرج وارتباك (الرهاب الاجتماعي) عندما تتجه نحوه الأنظار في المواقف الاجتماعية، وقد يتلعثم في الكلام، وتتشتت أفكاره، ويحمر وجهه، ويصبح فمه جافا، ويشعر بسرعة خفقان قلبه. ويمكننا أن نقرر -بدون مبالغة- أن درجة نجاح الأب في تكوين شخصية أبنائه تقاس بدرجة نجاحه في كسب ثقتهم ومودتهم بحيث يتخذونه صديقا حكيما يلجأون إليه لحل مشاكلهم. ولكننا في البلاد العربية نجد أن أغلب الآباء لا يهتمون بصداقة أبنائهم أو بناتهم ولا يشجعونهم على التحدث عن مشاكلهم، فينشأ الأطفال على درجة كبيرة من الخجل مما يدفعهم إلى دفن مشاكلهم في نفوسهم ومعاناة القلق والحيرة والمرض النفسي.

الوقاية والعلاج

هناك العديد من الوسائل المعينة على مواجهة أسباب الخجل وضعف الجانب الاجتماعي لدى الأطفال الخجولين أهمها:

- الرفق والحميمية في المعاملة، فالطفل الخجول هو بحاجة إلى المدح والثناء والدفء العاطفي ليشعر بأنه شخص



مهم، عنده جوانب مضيئة، وأنه مقبول وله قيمة كشخص خلقه الله تعالى في أحسن تقويم.

ويمكن للآباء والمربين أن يقوا الأطفال مشاعر الخجل والانـزواء والحساسية المفرطة إذا ما شجعوا كل طفل على الثقة بنفسه، والتعرف على النواحي التي يمتاز فيها الطفل عن غيره حتى تشغله هذه النواحي عن التفكير في نواح قد يكون فيها ضعيفا.

- فتح قنوات الحوار والمصارحة بين الطفل ووالديه لتعزيز الثقة وكشف أسباب معاناة الطفل.

- يجب على الآباء والمربين عدم مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظا منهم سواء في الاستعداد الذهني أو الجسمي لان مثل هذه المقارنات تضعف ثقة الطفل بنفسه وتؤدي به إلى الخجل.

- على الآبـاء توفير قدر معقول من العطف والرعاية والمحبة لأبنائهم، مع عدم نقدهم أو تعريضهم للمهانة أو الهوان بخاصة أمام الآخرين سواء من الكبار أو الصغار، لأن النقد الشديد، والإفراط في التوجيه، يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه، ويفقده الثقة بالنفس، ويدفعه إلى الانزواء.

- ومن الأهمية بمكان تهيئة الجو الآمن الودي عن طريق الألفة والطمأنينة مع الأشخاص الكبار الذين يعيش معهم الطفل في الأسرة أو المدرسة، فالجو العاطفي الدافئ في البيئة يشعر الطفل بالأمن والطمأنينة ويدفعه إلى الإفصاح عما يساوره من شكوك ومخاوف أو هواجس وقلق، وبذلك يتغلب على خجله.

- التربية الاستقلالية تعيد الطفل إلى ثقته بنفسه وتقلل من اعتماده على أسرته وتجعله يتغلب على خجله (٢).

- تشجيع الطفل على تكوين الصداقات والتفاعل مع من حوله في البيئة التي يعيش فيها أمر ضروري، ينبغي على الآباء والأمهات أن يساعدوا أطفالهم على التقدم إلى الأمام وأن يشعروا بالأمان وأن يشعر الطفل بأنه ذو قيمة تبعده عن الانطوائية، وتجعله دوما يقوم بمجموعة من الأعمال التي تتسم بالجرأة أمام الآخرين.

- تجنب الإسراف في إعطاء الأوامر للطفل الخجول بصورة مفرطة مما يجعله ضعيفا وغير اقتحامي أمام المشكلات التي تواجهه (٣).

وفي الختام فإن من أخطر مضاعفات الخجل والانطوائية أن ينشأ قلق عام تنطبع به شخصية الفرد دون معرفة أي سبب له ثم يولد ذلك حب الفرد للعزلة والانطواء على النفس ويدخل الفرد في صراع مع نفسه لا يدري له أي مبرر، ويؤدي إلى ظهور الخجل المبالغ فيه، خاصة أمام الناس بمعنى أن يصير الفرد ينظر إلى نفسه نظرة دونية، ومن هنا يبدأ الداء الذي قد يستمر معه سنوات طويلة، ربما تمتد لتغطي عمره بالكامل، وبالتالي فإن المسؤولية في علاج الأطفال الخجولين تقع بالأساس على عاتق الآباء والأمهات، فعدم الاهتمام بتنمية ثقة الطفل بنفسه، بل ربما يقوم بعض الآباء أو الأمهات بما يجعل الطفل يفقد ثقته بنفسه تماما خلال سنوات عمره الأولى بأن يكثروا من توجيه اللوم له على كل كبيرة وصغيرة يقوم بها أو السخرية منه أو التحقير من شأنه أمام الآخرين.

الهوامش

١- بلقيس إسماعيل داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، مكتبة العبيكان، السعودية، ص ١٤٩،١٤٨.

٢- المرجع السابق ص ١٥٠.

٣- ميري والاس، الأسلوب الأمثل لتربية الطفل بعد عامه الرابع، مكتبة جرير، السعودية، ص ١٤٧.

عبدالفتاح العيسوي
خبير أسري



دورها بالغ في تكوين شخصية الطفل

التربية الجمالية ..

لاشك أن الهدف الأول للتربية هو تكوين الشخصية المتكاملة بجوانبها المختلفة، ومنها الجانب الجمالي الذي لا يقل أهمية عن الجوانب الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية. ومعلوم أن الكون منذ بدايته إلى نهايته خلق وفيه جمال الصنعة، وروعة في الدقة والبساطة، والكمال في الشكل، والتوازن في التنظيم، والإبداع والحكمة في الأداء والمعنى، وهو الذي يغمر النفس البشرية بالسعادة والاستمتاع بالجمال والزينة (١) قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ (القصص:٦٠)، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ (ق:٦). وهذا الجمال وتلك الزينة ينكشفان بالإدراك والوعي consciousness والفهم والتأمل والتدبر والتفكير، ولهما درجات ومقامات لا نهاية لها، فمنه الجمال الحسي الذي يدرك بالحواس، والجمال الباطني الذي نصل إليه عن طريق الإدراك العقلي الصافي. والإدراك في الفن هو البصيرة النافذة من علاقات أساسها الحجم والشكل واللون والارتفاع والانخفاض والتعامد والاتزان والحركة وغير ذلك من القيم التعبيرية.

كما أن الإدراك الفني ينمو بالتعليم، ويزداد عمقا بالممارسة والنقد والتدريب على لغة الإشكال، والتربية الجمالية توسع الإدراك وتمكن الطفل من رؤية الأبعاد، وترهف حسه بقيم لم يكن يدركها إلا بوسائل التربية الفنية (٢). وعلى ذلك يجب أن ينظم الأطفال في المدارس على شكل نواد أو لجان للقيام بأحد أوجه النشاط من أجل اكتشاف المواهب والقدرات والمهارات الفنية والجمالية وتنميتها، مع ترك المجال لكل طفل ليختار نوع النشاط الذي يتفق مع ميوله ورغباته وقدراته واستعداداته، على أن يستمر التدريب من دون وجود فترات انقطاع بين الطفل والنشاط الذي اختاره ذلك، لأن مهمة المدرسة

تنقية وثقل وشحذ القدرات الفنية والجمالية والكشف عنها، فمثلا في قرض الشعر لابد من مراعاة الأوزان الشعرية وتصحيح الأخطاء أو استبدال بعض الألفاظ وتعديلها، أو حذف بعض السطور كما يجب أن يطلع التلميذ بعد ذلك على قصة حياة فحول الشعراء والأدباء من أجل إثارة طموحه ورغبته ورفع دافعيته للوصول إلى الكمال الفني والجمالي (٣)، لأن ذلك من بين الأهداف التي تسعى إليها التربية الجمالية.

أهداف التربية الجمالية

١- تهدف التربية الجمالية إلى إنماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس عن طريق تقدير الجمال والإبداع والابتكار creativeness.

٢- كما ترمي إلى تهذيب الحياة وترقيتها عن طريق تشجيع وتدريب الأطفال والشباب على الموضوعات الفنية والجمالية، إذ وجد فيهم الاستعداد لذلك.

٣- مساعدتهم على قضاء أوقات فراغهم واستغلالها فيما يعود عليهم بالنفع، وعلى ذلك ينبغي توجيه ميولهم ورغباتهم وقدراتهم واتجاهاتهم إلى تقدير الجمال.

٤- كما تهدف إلى تكوين عاطفة تذوق الجمال لدى الطفل، تلك التي تشجعه على الانتهاج الفني الذي يعد من وسائل التعبير عما في النفس من انفعالات (٤)، ورغبات كامنة أو مكبوتة، ذلك لأن الدافع (٥) للابتكار هو تحقيق لرغبات لم تتحقق، فإذا تحققت شعر الإنسان بالسعادة وراحة البال وزوال التوتر والقلق.

٥- وكذلك تهدف إلى تفريغ الشحنات الانفعالية أو تخفيف الضغوط النفسية، فإذا مارس الإنسان الفن كالرسم أو الزخرفة أو النحت والتصوير أو الأدب بأنواعه المختلفة، شعر بالراحة النفسية.

٦- مساعدة الفرد على عملية التكيف النفسي مع ذاته ومع مجتمعه، أي إعداد الطفل إعدادا يجعله يزداد توافقا وتفاعلا مع البيئة والمجتمع.

٧- زد على ذلك أن الفن يعتبر وسيلة لاكتساب العيش، فضلا عن قدرته على جلب السرور، والترويح عن النفس وتخليصها من الملل؛ لما يحتويه من الرشاقة والانسجام forfeits، وإبراز عنصر الإبداع والابتكار لدى الإنسان، علاوة على أن هناك ارتباطا وثيقا بين الجمال والأخلاق morality، ذلك لأن تقدير الجمال أمر متغلغل في صميم حياة الفرد، وبمقتضاه يمكن تحديد نمط التفكير ونوع السلوك عند مختلف الناس(٦)، لذلك ينبغي فتح ميادين الجمال أمام الأطفال، فالطفل إذا قدر الجمال وتبلورت لديه هذه العاطفة تطلع إلى مثالية سامية فيتصور الفضيلة (٧) في شكل شيق وجذاب يليق أن يتحلى به، كما يتصور الرذيلة في شكل قبيح دميم يتجنبه.

ولما كان للتربية الجمالية هذه الأهمية في تكوين شخصية الطفل، فقد اهتم بها المربون منذ زمن بعيد، وذلك لدورها في التأثير المادي والمعنوي في ميادين التعليم المختلفة، فنادوا بأن تفتح المدارس برامجها للفنون والآداب، كما أوصوا بأن نقدم للطفل بعض الفنون التي تتفق مع المرحلة العمرية التي يمر بها.

ولقد اعتبر أفلاطون الفن تقليدا للطبيعة، وأن الجمال صورة للخير، وأن الفن تمثيل لأشياء خاصة حقيقية، فالشيء الجميل يبعث في النفس الراحة والسرور، كما يشبع حواسنا عن طريق تذوقه وتقدير وحدة الانسجام الكامنة فيه، كما يعطي قيمة للعلاقات الموجودة بين مدركاتنا الحسية، ويغرس في الفرد معرفة قيمة الشيء، وهو ما يعرف بالحكم. فلابد أن يكون الغرض من التعليم العام غرس القدرة على الاستمتاع بكل ما تمدنا به الطبيعة أو ما يصل إليه العلم في عصرنا الحالي من إنتاج صناعي متطور. هذا، ولتقدير الجمال عدة جوانب، منها ما يلي:

١- تقدير الطبيعة البشرية وما يتجلى فيها من تضحية وفداء أو هدوء وسكينة وصبر وحلم، وبر وتقوى.. إلخ.

٢- تقدير الأشياء التي تبعث في النفس البهجة والسرور وراحة الضمير.

٣- تقدير القوة العقلية، مثل: جمال الأسلوب، وحسن البيان، ودقة التعبير والسبك، والتتابع المنطقي في الفكرة المعروضة.

أهمية التقدير الجمالي

١- يستمد التقدير الجمالي أهميته من كونه وسيلة للاستمتاع والتسلية، وذلك عن طريق قيام الأطفال بأعمال فنية، وإدخال عنصر اللعب في حياتهم الفكرية، وإمدادهم بأفضل الطرق لقضاء أوقات فراغهم والانتفاع بها.

٢- اندماج الفرد وتكيفه وتفاعله مع البيئة الاجتماعية، والتمسك بالحق والعدل والمساواة والإنصاف والخير والفضيلة والعفة والشرف والأمانة والخلق الرفيع.. إلخ.



٣- ترقية الإنسان وتمكنه من القيام بعملية الإعلاء أو التسامي sublimation، وهي واحدة من الحيل الدفاعية التي يستبدل فيها الإنسان أنشطة مقبولة اجتماعيا بالدوافع الغريزية أو العدوانية، فالدافع الجنسي يمكن إعلاؤه عن طريق الاهتمام بالفنون والآداب، كالتفوق في كتابة الشعر أو القصص أو الرسم والنحت والتصوير أو اللعب (٨) أو غير ذلك من أجل الاقتراب من المثل العليا، زد على ذلك التخلص من الطاقة أو النشاط الزائد hyperactivity.

٤- إثارة شعور الطفل إلى تقدير الجمال والقدرة على الإبداع أو الابتكار، والتعبير عما يدور في خلجات نفسه، وكذلك القدرة على مشاركة الآخرين في أفكارهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ووجدانهم، حيث إنه من المرغوب فيه غرس الذوق الجمالي في حس الطفل ووجدانه وعقله، فينزع نحو ما هو جميل يجاري ذوقه ويساير فطرته وينسجم مع عواطفه. ويتم تقدير الجمال في الطبيعة البشرية من خلال دراسة التاريخ والشخصيات البارزة والأدب والفنون، والتمتع بالأسلوب العلمي وبقطع الشعر والنثر والاطلاع على البحوث، العلمية ورؤية صور فنية جميلة الألوان تنم عن فكرة قيمة وعاطفة جياشة (٩).. إلخ.

دور المدرسة في تدريب حواس الأطفال على تقدير الجمال

لاشك أن من بين مهام المعلم أن يشعر الطفل بالجمال في كل أشكاله وصوره، ويوقظ فيه هذه العاطفة عن طريق تهيئة الفرص وتشجيعه بكل السبل الممكنة على الإبداع، ذلك لأن الاهتمام بالجمال ينمي ذكاء الطفل ويوسع خياله ومداركه، ويجعله أكثر حساسية، أي يرهف حسه. كما يجب على المدرسة أن تقوم بتدريب حواس الأطفال من أجل تنمية الحساسية والقدرة على التمييز والوصول بجميع حواسه إلى درجة تمكنه من تقدير الجمال، بحيث يمكن الانتقال بالطفل من مرتبة السذاجة والإعجاب بالمميزات الشكلية في العمل الفني، كاللون مثلا، إلى تقدير شخصي للجوانب المعنوية الدفينة التي تنم عنها الصورة الفنية. وعلى ذلك، ينبغي أن توفر المدرسة الأجهزة الآتية:

١- أجهزة خاصة للتدريب على التمييز البصري بين الألوان المتعددة، أو التمييز بين ظلال اللون الواحد.

٢- أجهزة لتدريب حاسة اللمس، وذلك بتمرير الأصابع على الأشياء الخشنة، ثم التدرج منها إلى الأشياء الناعمة، وصولا إلى الأشياء الملساء.

٣- التدريب على التمييز بين الروائح الذكية المختلفة.

٤- أجهزة للتدريب على التمييز السمعي.

٥- الحرص على تكوين عاطفة الحب بين الطفل والمدرسة والمجتمع الإنساني.

٦- ارتباط الشيء المراد تقديره بذكريات تبعث على السرور والسعادة والراحة النفسية، مع الحرص على رعاية الطفل من جميع النواحي الجسمية والنفسية والروحية والخلقية.



٧- البعد عن كل ما يشتت الانتباه أثناء الدروس، مع مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، لتكون الدروس أكثر دواما وأبقى أثرا في ذهن الطفل، ذلك لأن عملية تقدير الجمال تتكون شيئا فشيئا.

٨- لابد من العمل على وجود ألفة وميل لدى الطفل نحو الشيء المراد تقديره، لأن الألفة تؤدي إلى المعرفة التي توصل إلى التقدير الصحيح.

٩- عدم إجبار الأطفال على وجهة نظر معينة في تقدير الأشياء، بل تجب موافقتهم فيما يرونه من نواح جمالية.

١٠- تشجيع الأطفال على اختيار الأشياء التي تتفق مع ذوقهم، والعمل على أن تسود روح اللعب في عملية التقدير، فإن للروح الديموقراطية أعظم الأثر في هذه العملية.

١١- العمل على تنمية مواهب الطفل عن طريق التدريب والممارسة والتكرار والتقليد والمحاكاة، فمثلا في مجال اللغة نستطيع أن نقول «انعطف النهر، وأمطرت السماء لؤلؤا»، إلى غير ذلك من معان واستعارات وتشبيهات، ذلك لأنها مدركات جمالية متبلورة ترد على الألسنة عن طريق التقليد والمحاكاة فتشعرنا بالرضا والارتياح.

١٢- تنمية قدرة الطفل على إدراك الشيء كوحدة عن طريق تركيز انتباهه على الشيء بحيث يجعله يشغل كل حواسه شغلا كاملا، فمثلا توجيه انتباه الطفل تجاه لعبة، إذ تسمح له خصوبة خياله أن يهيئ لنفسه من لعبته أشياء حسية حقيقية بالنسبة له تحقق ما هو محبب إلى نفسه، وهذا ما يسمى باللعب الإبهامي (١٠).

١٣- وقبل كل ذلك، إعداد المعلم إعدادا تربويا وأكاديميا؛ حتى يتمكن من القيام بالدور المنوط به خير قيام، ذلك لأن الحقيقة الجمالية شيء عظيم، وسر دفين ينكشف لمن لديه بصيرة ورؤية صادقة وصافية، فكل ما نراه في الآفاق وفي أنفسنا آية جمالية لها معناها ومغزاها ومراميها ودلالتها الحقيقية، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت:٥٣).

الهوامش

١- رؤية عبدالمنعم عباس، تاريخ الفن وفلسفة الجمال، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠م، ص١٠.

٢- إبراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٨٥.

٣- صالح عبدالعزيز، التربية وطرق التدريس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ص٣٤٢.

٤- الانفعالات: حالة جسمية نفسية، وقد عبر عنها أرسطو بقوله «ليس الذي ينفعل هو النفس أو الجسم بل الإنسان»، حيث يمثل وحدة متكاملة يتأثر بعضها ببعض: عبدالفتاح محمد العيسوي، فلسفة الإسلام في تربية الطفل وحل مشكلاته، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص٢٣.

٥- الدافع: حالة جسمية أو نفسية داخلية، تؤدي إلى توجيه الكائن الحي تجاه أهداف معينة، ومن شأنه أن يقوي استجابات محددة من بين عدة استجابات: حامد زهران، الصحة النفسية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٧.

٦- صالح عبدالعزيز، مرجعه السابق، ص٢٤٤.

٧- الفضيلة: هي التمسك بالعفة والشرف والأخلاق القويمة، وهي الصفة التي تنحو بالفرد إلى فعل الخيرات وتجنب الشر، وهي جوهر السنن الخلقية: أحمد زكي بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م، ص٢٧٤.

٨- هـ. دان كورين، الترويح فن وريادة، ترجمة سعيد حشمت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ب ت، ص٢٢١.

٩- إبراهيم عصمت مطاوع، مرجعه السابق، ص١٨٦.

١٠- صالح عبدالعزيز، مرجعه السابق، ص٢٤٧.

حوار

د. أحمد المعتصم: العدسات الملونة قد تسبب فقدان البصر



الدكتور أحمد المعتصم، أول جراح عيون يؤدي عمليات الحلقات لعلاج القرنية المخروطية في أميركا ومصر والإمارات منذ أكثر من ١٠ سنوات، كما أنه من الرواد في إدخال تقنيات جراحة الليزر.

«أمراض العيون» هاجس يؤرق كثيرا من الشباب، خصوصا مع زيادة التقنيات وطول ساعات البقاء أمام الشاشات، «الوعي الشبابي» التقته ليضع روشتة للحفاظ على العين وعلاج أمراضها المختلفة.

■ ما أكثر أمراض العيون شيوعا في العالم العربي؟ وهل هنالك دولة قد تصاب أكثر من أخرى؟ ولماذا؟

- «القرنية المخروطية» هي أكثر الأمراض شيوعا في العالم العربي، والسبب التحسس الشديد وزواج الأقارب، حيث إن المرض فيه عامل وراثي.

■ هل توجد علاجات ناجعة للمياه السوداء والبيضاء أم فقط الجراحة؟ وكيف يتم تشخيصها؟

- الماء الأبيض هو عتامة في عدسة العين، يبدأ مع المريض بتدهور تدريجي في قوة الإبصار، ويرى «شبورة» أمام العين، وعلاجه بسيط الآن، بسحب الماء الأبيض بالموجات الصوتية من دون جراحة أو غرز تحت بنج موضعي، ويرجع المريض إلى حالته الطبيعية في خلال ٣-٥ أيام، ولا علاقة لمرض المياه البيضاء بالسرطان، والشبورة التي تغطي العين ليس لها علاقة بإجهاد العينين، وهي لا تمتد من إحدى العينين إلى الأخرى، على الرغم من أن في بعض الحالات قد تصاب العينان معا.

أما الماء الأسود فهو ارتفاع ضغط العين، ونطلق عليه «سارق البصر»، حيث إن النظر ممكن أن يستمر ٦/٦ لآخر لحظة، فقط يحدث تأثير في مجال الرؤية، وقد لا يلاحظ المريض هذه المشكلة حتى يفقد النظر تماما، والعلاج يكون بالقطرات، وإذا لم تتحسن الحالة فيجب إجراء عملية لإنزال ضغط العين.

■ هل هنالك من تباشير جديدة بشأن أمراض العيون والحول والعشى الليلي والأمراض المستعصية للعيون مستقبلا؟

- علاج الحول الآن بسيط جدا، بإجراء عمليات سهلة جدا، أما العشى الليلي فمازلنا في انتظار العلاج بالخلايا الجزعية إن شاء الله.

■ ما سلبيات استخدام السيدات للعدسات الملونة بشكل متواصل؟ وما انعكاس الكحل المغشوش على سلامة العيون وصحتها؟

- تؤدي إلى التهابات مزمنة، وتحسس دائم، وقرحة في قرنية العين، التي قد تؤدي إلى فقدان البصر، أو لأمراض، مثل «جفاف العين» الذي تتلخص أعراضه في كثرة الحكة والإحساس بوجد جسم صلب بداخلها واختلاف الرؤية.

ومن أبرز طرق العلاج «الدموع الصناعية»، التي تؤدي وظيفة الدموع الطبيعية، إذ تقوم بتشحيم العين والمحافظة على رطوبة سطحها، وتوجد بعض أنواع القطرات الخالية من المواد الحافظة تستعمل أكثر من مرة كل ساعتين.

الحفاظ على الدموع الطبيعية للعين هو شكل آخر للحفاظ على العين في حالة رطبة. وفي الوضع الطبيعي، فإن تصريف الدموع يتم من خلال قناة صغيرة إلى الأنف، وذلك هو سبب الرشح من الأنف أثناء البكاء، ويمكن لطبيب العيون غلق هذه القناة بصفة مؤقتة أو دائمة للحفاظ على الدموع الطبيعية لفترة أطول فوق سطح العين.

■ هل مرض «السكر» أو «الجولوكوما» يعيق إجراء عملية «الليزك»؟

- مرض السكر لا يعيق، لكن هناك شروطا، فيجب على مريض السكر فحص العين خلال ٥ سنوات من تشخيص مرض السكر لو كان المريض يبلغ من العمر ٣٠ عاما أو أقل، وفحص العين خلال شهور من تشخيص السكر لو كان المريض يبلغ من العمر أكثر من ٣٠ عاما.

ناجحون

المشروع الشبابي الكويتي «ثمانون في المئة» يفوز بجائزة خليجية



حقق المشروع الشبابي الكويتي «ثمانون في المئة» جائزة فئة «اختيار الجمهور» ضمن فئات «جائزة الإمارات لشباب الخليج العربي ٢٠١٥»، التي تهدف إلى دعم المشاريع الشبابية في منطقة الخليج.

وتقوم فكرة مشروع «ثمانين في المئة»، الذي قدمه كل من نجاة الصايغ ورابعة الهاجري وراوية الهاجري، على تشجيع الأفراد على التواصل، والمساهمة في التغيير عبر المشاريع الرياضية وبرامج المسؤولية الاجتماعية للشركات والفعاليات العامة، والترويج لأسلوب حياة يتميز بقدر أكبر من الحيوية والأنشطة البدنية.

طور نفسك

كيف تؤسس مشروعا ربحيا مستداما؟

يبدأ العمل بشكل رائع، لكنه ربما لا ينجح في الاستمرار لفترة تزيد على سنة؛ لنفاد الموارد، ذلك أن التعثر المالي أو الإفلاس من أهم المواضيع التي وجه الباحثون اهتمامهم لها، وذلك لما قد ينتج عنها من آثار سلبية على العديد من الفئات العاملة في المؤسسات والشركات.

والطريقة المثلى لتفادي هذا الأمر هي النظر إلى المتطلبات المالية للشركة كعنصر مستقل بذاته، والتعامل معها على هذا الأساس منذ البداية.



ويمكنك حساب نفقات بداية العمل عبر كتابة ثلاث قوائم بسيطة، وبضعة تخمينات مدروسة، ثم إضافتها جميعا إلى الخطة المالية للمشروع وهي:

● قائمة نفقات الأصول

فكر في الأجهزة والأدوات التي تحتاج إلى استخدامها في بداية إطلاق عملك، وفي حالة العمل من خلال الإنترنت أو تقديم الاستشارات أو التدريب، ربما لا تحتاج إلى كل تلك الأدوات، وربما تستبدل بها برامج وتطبيقات تعمل على الإنترنت أو الحاسوب أو أجهزة الهاتف النقال.

وأيا كان الأمر، احسب نفقات الأصول وما تحتاج إليه من مال لتغطيتها، لا تخمن، بل اتصل بالمزودين الفعليين لتلك الأجهزة أو الأثاث أو المباني، واعرف الأسعار بالتفصيل وقت بداية العمل، ثم اختر أفضلها من حيث السعر والمزايا، ودوّن السعر في القائمة واخصمه من رأس المال، ثم انتقل إلى القائمة التالية.

● المصروفات

وهي النفقات على الأشياء الأخرى غير الأصول، والتي تحتاج إليها لبدء العمل، على سبيل المثال فإنك تحتاج إلى تسجيل شركتك، وشراء اسم نطاق، أو استضافة أو كليهما.

والأجور التي تدفعها لمن تعينهم من موظفين تدخل هي الأخرى في هذه القائمة، وكذلك بعض الأجهزة التي قد تحتاج إلى استئجارها في البداية من دون الحاجة إلى شرائها أو الاحتفاظ بها.

● متطلبات رأس المال الاحتياطي

وتتمثل في المبلغ المالي الذي تحتاج إلى أن تحفظه بعيدا للاستعانة به في حالة تعثر الخطة الرئيسية، أو قبل أن تحقق المبيعات أهدافها الربحية المرجوة والمخطط لها.

يفضل بعض الأشخاص أن تكون لديهم مصروفات تكفيهم ستة أشهر في حال تعثرت مبيعاتهم أو تأخر تحقيق الأرباح عمّا هو متوقع له.

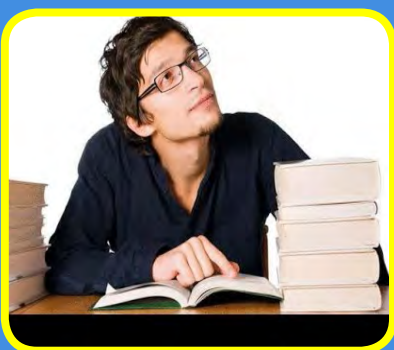
والبعض الآخر يفضل أن يحتفظ بأموال تكفيه سنة، والخيار الأفضل والأكثر جدوى هو أن تضع ميزانية عامة، ولكن في الوقت نفسه تقوم بمتابعة مبيعاتك شهرا بشهر وتسجيل البيانات حول الأرباح التي تم تحقيقها، والتي كان من المتوقع تحقيقها والبحث عن الأسباب ومحاولة معالجتها.

شباب الجامعة

المذاكرة الذكية في خطوات بسيطة

يرى معظم الطلاب أن استذكار دروسهم ومحاضراتهم بمنزلة مهمة صعبة وعبء يقع فوق كاهلهم، وليست فرصة ذهبية للتعلم والاستمتاع باكتساب معلومات جديدة. والمذاكرة الفعالة لا تعني اكتظاظ العقل بالمعلومات أو المذاكرة لفترات طويلة، لذا وجد الباحثون التربويون طرقا تساعد الطالب على الدراسة بشكل ذكي وفعال.

تقول اختصاصية العلاج النفسي للأطفال والإرشاد الأسري منى جابر، إن هناك ثلاثة أنماط للتعلم، نمط بصري يستدعي مثيرات بصرية كرسومات أو مقاطع فيديو أو باوربوينت لإثارة انتباه الطالب والاحتفاظ بالمعلومة، ونمط سمعي يعتمد على طبقة الصوت أثناء الشرح لتذكر المعلومة حال نسيانها، ونمط حسي يستند إلى اللمس والإحساس والعمل اليدوي كتجربة عملية لثبات المعلومة.



وتشير جابر إلى ضرورة اعتماد طريقة تقسيم الوقت، والاتفاق على جدول مذاكرة؛ كي يشعر الطالب بالمسؤولية والالتزام وعدم المذاكرة لفترة طويلة، فمثلا بعد ساعة من المذاكرة، يستطيع الطالب أن يأخذ راحة ٥ دقائق ويتناول شيئا يحبه، موضحة أنه ينبغي تقسيم الدرس الصعب فهمه على الطالب إلى أجزاء.

وفي حال نجح الطالب في تحقيق هدفه يمكن أن يكافئ نفسه أو أن يكافئ الوالدان نجلهما على المذاكرة الناجحة بهدية حقيقية حسب رغبته، فالمكافأة بعد أداء مهمة، حتى وإن كانت بسيطة، تعمل على التشجيع وتعويد الذات على الانضباط وإنجاز واجباته أولا للحصول على مكافأة ثانيا.

معركة الوعي: سؤال المفاهيم



د. عمرو عبدالكريم

المفهوم لغة مأخوذ من الفهم، وهو معرفتك الشيء بالقلب.

أما اصطلاحا فيطلق ويراد به عند المناطقة: الصورة الذهنية، سواء وضع بإزائها الألفاظ أو لا، كما أن المعنى هو الصورة الذهنية، من حيث وضع بإزائها الألفاظ؛ وقيل: هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق.

والمفهوم في جوهره هو فكرة قادرة على التعميم، وتتضمن رؤية فلسفية للإنسان والكون والحياة، وهي رؤية محددة عن المجال الذي تتحرك فيه؛ ولا يمكن تصور أي تواصل لغوي بين الناس إلا عن طريق المفاهيم.

كما أن تحليل البنية المعرفية لمحتوى أية حضارة يرتكز -غالبا- على ثلاثة عناصر هي: المفاهيم، والعلاقات التي تؤلف من هذه المفاهيم حقلا معرفيا، والعلاقات التي تشكل من الحقول نسقا أو إطارا فلسفيا أو معرفيا.

وتطور العلوم لا يكون إلا بتحولات معرفية في النمط الفكري السائد، أو ما يطلق عليه في نظريات المعرفة Paradigm Shift كما يؤكد على ذلك توماس كون أول من استخدم مفهوم «تحول البارادايم» في كتابه «بنية الثورات العلمية» الذي ألفه عام ١٩٦٢م، ليفسر به عملية ونتيجة التغيير التي تحدث ضمن المقدمات والفرضيات الأساسية لنظرية لها القيادة للعلم في مرحلة محددة من الزمن.

لذا تحتل المفاهيم من البناء الفكري لأي نسق معرفي موقع حجر الزاوية لأن أهم وظائف المفاهيم هي بناء وتصنيف المعرفة العلمية وتنظيمها وتعليمها وتعلمها؛ وإدراك العلاقات بين الظواهر -بل وإدراك العالم المحيط- ومحاولة الخروج بتعميمات علمية أو استقراءات تمكننا من استشراف المستقبل على نحو يسمح ببناء رؤى ذات مقدرة تفسيرية عالية على إصلاح واقع الأمة.

وللمفاهيم مع حقائقها حالات: فإذا تخلف مضمون المفهوم عن مسماه وإطاره كان «تعطيل المفهوم» وهنا يحتاج المفهوم إلى إعادة تشغيل، أما إن أطلق المفهوم على غير مسماه فيكون «تحريف المفهوم» وهنا يحتاج المفهوم إلى إعادة بناء.

وتفرض ضرورة ضبط المفاهيم والمصطلحات القيام بعمليتين في آن واحد وهما:

الأولى: تحرير المفاهيم الأساسية التي شاعت بشأن قضايا الفكر والاجتماع والعلاقات الإنسانية مما علق بها من مضامين ومعان تخالف حقيقتها، لأن الكلمات نفسها كأداة للتعبير وإطار للمعاني تحمّل بمدلولات فكرية ونفسية تلقي بظلالها على عقل وقلب السامع والقارئ، فـ«اللغة» ليست مجرد أداة رمزية للتواصل بين البشر، بل إنها جوهر التفاعل الحضاري، ومن أهم محددات هوية أي أمة.

ومن أهم ما يتصل بقضية تحرير المفاهيم هو عدم قبول المفاهيم الغربية في مجال الفكر والشأن الاجتماعي جملة، لأنها محملة بمسلمات فكرية وأسس فلسفية نابعة من البيئة الحضارية التي أفرزتها، ذلك أنه من المسلم به أن كلمات اللغة التي تنطق بها الأمة هي أفكارها وقيمها، وهي ذات صلة عميقة بعقيدتها وتصوراتها الكلية للإنسان والكون والحياة.

وعلى هذا فإن مفاهيم الغرب ومصطلحاته لا يمكن فصلها عن ملابساتها الفكرية وسياقاتها الحضارية والتاريخية، ولا يمكن التعامل مع المفاهيم والمصطلحات

الخاصة بمجال الفكر والشأن الاجتماعي كما نتعامل مع ألفاظ الاختراعات وأسماء الأشياء.

الثانية: استبطان المفاهيم الإسلامية الخالصة التي تمثل منظومة أو نسقا مفهوميا مترابطا، يتداعى تلقائيا عند التعامل مع أحد مكوناته، حيث إن المفاهيم الإسلامية تنطلق من التوحيد كأساس وغاية، مما يجعل منها وحدة متراصة متكاملة تتصف بمجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من الأنساق، كما تعبر المفاهيم الإسلامية عن الحقيقة التي تتناولها في شمولها واختلاف أبعادها ومستوياتها، كما تعطي تلك المفاهيم والمصطلحات دلالات معينة عند كل مستوى للتحليل، أو عند كل بعد من أبعاد الظاهرة، ذلك أن الوعي بأهمية الكلمة ومسؤوليتها وفق البيان القرآني إنما يشكل حجر الأساس في عملية تحرير العقول.

وتهدف عملية استبطان المفاهيم الإسلامية إلى:

١- تحقيق الهوية والاختصاص والتمايز لمنظومة المفاهيم الاسلامية (الطابع والمصدر والوسائل والغايات)، فالمفاهيم والمصطلحات وإن كانت «حمالة» لرسائل فكرية موجهة، فهي أيضا «أدوات للتواصل والتعبير» عما نحمله من حقائق أو مسلمات يتصورها الإنسان عن الله والكون والحياة.

٢- التعامل مع الإنسان المسلم بوحدات من المفاهيم قادرة على أن تمس حقيقة تكوينه الفكري والنفسي، حيث تستطيع تلك المفاهيم أن تفجر طاقاته الكامنة من خلال التعامل بمفاهيم الإيمان: (الفرض- الحلال والحرام- رقابة الله) بما يحقق أقصى درجات الفاعلية، إذ تظل هذه المفاهيم رغم سنوات التغريب هي لغة إحياء الضمير الديني والوازع الأخلاقي وهي أهم مفاتيح الشخصية المسلمة.

٣- نقض دعوى «عالمية» المفاهيم الغربية بحسبانها مجمع تراث الإنسانية، ذلك أن مصطلح «العالمية» متصل بتحديد الأنا والذات، وبالموقف من الآخر، وبالدوائر الحضارية، وبتفاعل الحضارات كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد صدقي الدجاني، حيث يلاحظ احتكار الغرب لصفة «العالمية» بحيث أصبح المصطلح ينصرف إليه، فكل ما هو غربي عالمي في نظره، فكأن العالم مقتصر عليه، وكل ما له صلة بالغرب نطلق عليه عالمي فنقول: وكالات الأنباء العالمية، والصحافة العالمية، والاتفاقات العالمية، وغيرها من المفاهيم والمصطلحات التي استبطنت مركزية الغرب في العالم، بل عرفت الاتجاهات الأربعة الأساسية بموقعها منه؛ فيقولون: الشرق الأوسط على تلك الكتلة الحضارية التي تشكل عالم العرب والمسلمين، ونردد نحن وراءهم كالببغاوات: «الشرق الأوسط»، ونعتقد أننا فعلا شرق أوسطيين؛ وهكذا في إمعية بالغة، واستتباع تام حتى صدق فينا: لو دخلوا جحر ضب لدخلناه معهم، أو بالأحرى وراءهم.

لذا تنبع أهمية المفاهيم والمصطلحات عموما من كونها الوعاء الذي تطرح من خلاله الأفكار؛ فإذا ما اضطرب ضبط هذا الوعاء أو اختلت دلالاته التعبيرية أو تميعت معطياته اختل البناء الفكري ذاته واهتزت قيمه في الأذهان، أو خفيت حقائقه، فضبط المفاهيم والمصطلحات ليس من قبل الإجراء الشكلي أو التناول المصطنع؛ بقدر ما هو عملية تمس صلب المضمون، وتتعدى أبعادها إلى نتائج منهجية وفكرية خطيرة، مما يحدونا للبحث عن علمي: «اجتماع المعاني» و«التطور الدلالي للمصطلحات».

لقد كان علماؤنا يحرصون قبل تناول أي قضايا شرعية أو فكرية على ضبط مفاهيمها ومصطلحاتها، وتحرير محل النزاع فيها، والمتأمل في تراثنا الفقهي يلاحظ مدى الدقة والتحديد في ضبط المفاهيم والمصطلحات والألفاظ، لاسيما ما ارتبط منها بموقف شرعي أو فكري محدد، بل حرصت النصوص الشرعية على إلزام المسلمين بمصطلحات وألفاظ بعينها ونهت عن الحيدة عنها أو تسميتها بغير ذلك الاسم، حتى لو كان التقارب بين اللفظين شديدا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ (البقرة:١٠٤).

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية



يعرف ابن خلدون الحضارة بقوله هي:

«سر الله في ظهور العلم والصنائع».

المقدمة، ص ٥٤٤

يقول ابن القيم:

«أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١). وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية».

كتاب الفوائد، ص١٥١.

مقولات

«وأما التكفير، فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه. ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر. ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقا، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته.

فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرا، بل ولا فاسقا، بل ولا عاصيا». مجموع الفتاوى (٩٩/١٢).

شيخ الإسلام ابن تيمية

«لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، كنت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها».

(ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٦٢/١).

سيدنا معاوية رضي الله عنه

«آلات الرياسة خمس: صدق اللهجة، وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة».

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٠/١٩).

الإمام الشافعي

عرض كتاب

بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية



مجموعة من المؤلفين

القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٨.

جاء في التعريف بالكتاب ما يلي:

«يتحرك العالم الآن نحو ما يسمى بالتحول النماذجي، حيث يتزايد الشك في المفاهيم والنظريات والعلوم التي كانت راسخة فيما مضى إبان ما سمي بمرحلة الحداثة، تلك المرحلة التي اتسمت بسيادة النموذج التطوري الخطي الحتمي، وانتشار مفاهيم التقدم والتنمية والريادة، وغيرها من مفاهيم تطرح الزيادة الكمية والعلوم الطبيعية بوصفها النموذج المحتذى.

ولم تعد تلك النظريات الراسخة تمثل قناعات حقيقية لدى العديد من الباحثين، لقد انهارت المنظومات المفاهيمية التابعة لهذه النظريات، وازداد الشك فيما دعي قبلا بالعلم والمنهج العلمي وفي يقينيته وفي حتميته.

يقدم هذا الكتاب رؤية مفاهيمية جديدة، تبلورت من خلال رحلة طويلة استمرت أكثر من سنتين، رحلة تخللتها مناقشات وأبحاث وخلافات ونكسات ومقابلات مستمرة بين أفراد مجموعة المفاهيم. وتنطلق هذه الرؤية من أرضية معرفية إسلامية تجعل التوحيد نبراسها والمسؤولية شعارها. وتطرح الرؤية آليات عديدة لتقويض المفاهيم القديمة ولبناء مفاهيم جديدة، يأتي هذا من خلال استكشاف مجالات متعددة ورؤى أخرى وعلوم مختلفة.

وهذا الكتاب رحلة بحث واستكشاف تحاول تقديم رؤية الأنا الإسلامي ولا تزعم أنها تقدمها، وتحاول أيضا استكشاف رؤية الآخر في تعدديتها وتنوعها».

فالكتاب عبارة عن حصاد مشروع بحثي تأسيسي يسعى لتأصيل وبناء وصياغة المفاهيم الإسلامية الأساسية، وهي المفاهيم التي تعاني من محاولات مستمرة لطمس هويتها وتشويهها ومحاولات تفريغها من معانيها الأصلية ثم إعادة حشوها بمعاني ومضامين غربية، أو إنكارها وتنحيتها جانبا بحجة أنها مثالية، ولا يمكن أن تفعل في مجال البحوث بشكل واقعي.

وهذه الحرب المفاهيمية ضد المفاهيم الإسلامية هي إحدى ساحات الصراع الفكري في البلاد المحتلة مفاهيميا من قبل العالم الغربي: السياسي والحضاري، ولاتزال تلك الحرب الضروس دائرة في مختلف الساحات العلمية والفكرية، ولا يبدو أنه ستضع أزارها قريبا.

والمشروع هو أحد أهم إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وقام على تأصيله مجموعة من أهم الباحثين في مجال دراسات الإسلام الحضاري في مختلف العلوم الاجتماعية والسياسية والشرعية.

والكتاب يتكون من جزأين:

الأول: ويتكون من ٣٦٠ صفحة ويضم جهود مجموعة من الباحثين وهم:

د. علي جمعة: مدخل لقضية المفاهيم والمصطلحات.

د. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: مقدمة أساسية حول عملية بناء المفاهيم.

د. صلاح إسماعيل: توضيح المفاهيم؛ ضرورة معرفية.

د. سيف الدين عبد الفتاح: بناء المفاهيم الإسلامية ضرورة منهجية.

د. إبراهيم البيومي غانم: السياق التاريخي والمفاهيم.

د. أسامة القفاش: في الترجمة وبناء المفاهيم.

هشام جعفر: بناء المفهوم بين التقويض والتشغيل.

د. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: نماذج مفاهيمية تطبيقية.

د. صلاح إسماعيل: مفهوم المعرفة.

د. علي جمعة: مفهوم الأفكار.

د. نصر محمد عارف: الحضارة. الثقافة. المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم.

د. علي جمعة: مفهوم العلم.

د. سيف الدين عبد الفتاح: مفهوم التجديد.

أما الجزء الثاني فيتكون من ٣٢٦ صفحة، وفيه مجموعة أخرى من البحوث وهي:

د. سيف الدين عبد الفتاح: مفهوم الشريعة.

د. أسامة القفاش: قراءة مفاهيمية في قاموس التنمية.

د. السيد عمر: العبث بالمفاهيم دراسة نقدية في «الكتاب والقرآن» لمحمد شحرور.

وأخيرا: الخاتمة وخلاصة الخبرة البحثية وفيها ثلاثة موضوعات أساسية وهي:

أولا: خطوات بناء المفهوم.

ثانيا: التواصل مع الجهود المعرفية السابقة.

ثالثا: نماذج من المفاهيم التي تم بناؤها.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

عقود المقاولة والصيانة

الخلاصة الحكمية

١- عقد المقاولة: عقد يتعهد أحد طرفيه بمقتضاه بأن يصنع شيئا، أو يؤدي عملا مقابل بدل يتعهد به الطرف الآخر، وهو عقد جائز.

٢- المقاولة نوعان؛ تقديم المقاول العمل والمادة، وهو المسمى عند الفقهاء بـ «الاستصناع»، أو تقديم العمل فقط، وهو المسمى عند الفقهاء بـ «الإجارة على العمل»؛ وكلاهما جائز.

٣- إذا شرط رب العمل على المقاول أن يقوم بالعمل بنفسه؛ فلا يجوز له أن يتفق مع مقاول آخر من الباطن.

٤- عقد الصيانة: هو عقد مستحدث مستقل تنطبق عليه الأحكام العامة للعقود. ويختلف تكييفه وحكمه باختلاف صوره.

٥- عقود الصيانة التي يحدد فيها المقابل، ويكون العمل حسب محل العقد (وهو الأجهزة المراد صيانتها) جائزة شرعا، وإن كان العمل قد يقل وقد يكثر؛ ما لم يؤد إلى تنازع.

● **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

● **أولا:** قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي؛ رقم ١٢٩ (١٤/٣) المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الرابعة عشرة بالدوحة (دولة قطر) (٨ - ١٣ ذو القعدة ١٤٢٣هـ)، الموافق (١١ - ١٦ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣م).

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «عقد المقاولة والتعمير: حقيقته، تكييفه، صوره»، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، ومراعاة لأدلة الشرع وقواعده ومقاصده، ورعاية للمصالح العامة في العقود والتصرفات.

ونظرا لما لأهمية عقد المقاولة ودوره الكبير في تنشيط الصناعة، وفتح مجالات واسعة للتمويل والنهوض بالاقتصاد الإسلامي.

قرر ما يلي:

١- عقد المقاولة: عقد يتعهد أحد طرفيه بمقتضاه بأن يصنع شيئا، أو يؤدي عملا مقابل بدل يتعهد به الطرف الآخر -وهو عقد جائز- سواء قدم المقاول العمل والمادة، وهو المسمى عند الفقهاء بالاستصناع، أو قدم المقاول العمل، وهو المسمى عند الفقهاء بالإجارة على العمل.

٢- إذا قدم المقاول المادة والعمل فينطبق على العقد قرار المجمع رقم ٦٥ (٧/٣) بشأن موضوع الاستصناع.

٣- إذا قدم المقاول العمل فقط؛ فيجب أن يكون الأجر معلوما.

٤- يجوز الاتفاق على تحديد الثمن بالطرق الآتية:

أ- الاتفاق على ثمن بمبلغ إجمالي على أساس وثائق العطاءات، والمخططات، والمواصفات المحددة بدقة.

ب- الاتفاق على تحديد الثمن على أساس وحدة قياسية يحدد فيها ثمن الوحدة، والكمية، وطبقا للرسومات والتصميمات المتفق عليها.

ج- الاتفاق على تحديد الثمن على أساس سعر التكلفة الحقيقية، ونسبة ربح مئوية. ويلزم في هذه الحال أن يقدم المقاول بيانات وقوائم مالية دقيقة ومفصلة، وبمواصفات محددة بالتكاليف يرفعها للجهة المحددة في العقد ويستحق حينئذ التكلفة بالإضافة للنسبة المتفق عليها.

٥- يجوز أن يتضمن عقد المقاولة شرطا جزائيا، بمقتضى ما اتفق عليه العاقدان ما لم يكن هناك ظروف قاهرة. ويطبق في هذه الحال قرار المجمع في الشرط الجزائي رقم (١٠٩ (١٢/٣).

٦- يجوز في عقد المقاولة تأجيل الثمن كله، أو تقسيطه إلى أقساط لآجال معلومة، أو حسب مراحل إنجاز العمل المتفق عليها.

٧- يجوز الاتفاق على التعديلات والإضافات.

٨- إذا أجرى المقاول تعديلات، أو إضافات بإذن رب العمل دون الاتفاق على أجرة، فللمقاول عوض مثله.

٩- إذا أجرى المقاول تعديلات، أو إضافات دون اتفاق عليها؛ فلا يستحق عوضا زائدا على المسمى، ولا يستحق عوضا عن التعديلات، أو الإضافات.

١٠- يضمن المقاول إذا تعدى، أو فرط، أو خالف شروط العقد، كما يضمن العيوب والأخطاء التي يتسبب فيها. ولا يضمن ما كان بسبب من رب العمل، أو بقوة قاهرة.

١١- إذا شرط رب العمل على المقاول أن يقوم بالعمل بنفسه؛ فلا يجوز له أن يتفق مع مقاول آخر من الباطن.

١٢- إذا لم يشرط رب العمل على المقاول أن يقوم بالعمل بنفسه جاز له أن يتفق مع مقاول من الباطن، ما لم يكن العمل بعينه مقصودا أداؤه من المقاول نفسه لوصف مميز فيه مما يختلف باختلاف الأجراء.

١٣- المقاول مسؤول عن عمل مقاوليه من الباطن، وتظل مسؤولية المقاول الأصلي تجاه رب العمل قائمة وفق العقد.

١٤- لا يقبل في عقد المقاولة اشتراط نفي الضمان عن المقاول.

١٥- يجوز اشتراط الضمان لفترة محددة.

١٦- لا يقبل في عقد المقاولة اشتراط البراءة من العيوب طيلة فترة الضمان المنصوص عليها في العقد.

توصيات:

يوصي المجمع بدراسة بعض صيغ عقود المقاولات من مثل ما يسمى (BOT) أي بناء وتملك وإدارة ونقل ملكية، والله أعلم.

انتهى القرار.

● **ثانيا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم: ٩٤ (١١/٦) المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الحادي عشر بالمنامة في دولة البحرين، من (٢٥-٣٠ رجب ١٤١٩هـ) الموافق (١٤-١٩ نوفمبر ١٩٩٨).**

بعد اطلاعه على الأبحاث المقدمة إلى المجمع بخصوص موضوع «عقد الصيانة»، واستماعه إلى المناقشات التي دارت حوله.

قرر ما يلي:

أولا: عقد الصيانة هو عقد مستحدث مستقل تنطبق عليه الأحكام العامة للعقود. ويختلف تكييفه وحكمه باختلاف صوره، وهو في حقيقته عقد معاوضة يترتب عليه التزام طرف بفحص وإصلاح ما تحتاجه آلة، أو أي شيء آخر من إصلاحات دورية، أو طارئة لمدة معلومة في مقابل عوض معلوم. وقد يلتزم فيه الصائن بالعمل وحده أو بالعمل والمواد.

ثانيا: عقد الصيانة له صور كثيرة، منها ما تبين حكمه، وهي:

١. عقد صيانة غير مقترن بعقد آخر يلتزم فيه الصائن بتقديم العمل فقط، أو مع تقديم مواد يسيرة لا يعتبر العاقدان لها حسابا في العادة.

هذا العقد يكيف على أنه عقد إجارة على عمل، وهو عقد جائز شرعا، بشرط أن يكون العمل معلوما والأجر معلوما.

٢. عقد صيانة غير مقترن بعقد آخر يلتزم فيه الصائن تقديم العمل، ويلتزم المالك بتقديم المواد.

تكييف هذه الصورة وحكمها كالصورة الأولى.

٣. الصيانة المشروطة في عقد البيع على البائع لمدة معلومة.

هذا عقد اجتمع فيه بيع وشرط، وهو جائز سواء أكانت الصيانة من غير تقديم المواد أم مع تقديمها.

٤. الصيانة المشروطة في عقد الإجارة على المؤجر أو المستأجر.

هذا عقد اجتمع فيه إجارة وشرط، وحكم هذه الصورة أن الصيانة إذا كانت من النوع الذي يتوقف عليه استيفاء المنفعة فإنها تلزم مالك العين المؤجرة من غير شرط، ولا يجوز اشتراطها على المستأجر، أما الصيانة التي لا يتوقف عليها استيفاء المنفعة، فيجوز اشتراطها على أي من المؤجر أو المستأجر إذا عينت تعينا نافيا للجهالة.

وهناك صور أخرى يرى المجمع إرجاءها لمزيد من البحث والدراسة.

ثالثا: يشترط في جميع الصور أن تعين الصيانة تعيينا نافيا للجهالة المؤدية إلى النزاع، وكذلك تبيين المواد إذا كانت على الصائن، كما يشترط تحديد الأجرة في جميع الحالات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

● **ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٤/ص١٥٦/ف١١٥٨)؛ في موضوع «عقد الإجارة مع شركات الصيانة»؛ ما نصه:**

عقود صيانة أجهزة تكييف ومصاعد سلالم... حيث يقوم الشخص بالاتفاق مع الشركة على مبلغ محدد كأن يدفع ١٠٠ دينار للسنة الواحدة بحيث تقوم هذه الشركة بصيانة الجهاز، سواء ما يتعلق بتشغيل الجهاز أو ما يتعلق باستبدال القطع إذا ما لزم ذلك ويلاحظ أن هذا المبلغ ربما لا يستغرق جميع تكلفة الصيانة وإن كان يستغرق جزءا منه، وربما أحيانا تدفع الشركة أضعاف هذا المبلغ عند وجود خلل كبير، فما هو الحكم وما هو تكييفه الشرعي؟ وجزاكم الله خيرا.

فأجابت اللجنة بأن:

عقود الصيانة التي يحدد فيها المقابل، ويكون العمل حسب محل العقد (وهو الأجهزة المراد صيانتها) جائزة شرعا، وإن كان العمل قد يقل وقد يكثر، شريطة أن تكون العقود واضحة بحيث لا تؤدي إلى تنازع، بتحديد الشروط ومراعاة العرف المستقر.

والوصف الشرعي لهذه العقود (أي تكييفها)؛ هو أنها: عقود «جعالة»؛ وهي جائزة يحدد فيها الأجر دون العمل، وقد ذهب إلى جوازها جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية والحنابلة).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ (يوسف:٧٢)؛ فقد حدد الأجر، وهو حمل بعير مع أن مقدار العمل مجهول، ومنه الجعل على رد الآبق، وقد أجمع على جوازه بالنص الوارد فيه. والله أعلم.

الحاجة إلى الناس منقصة

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: «... فأعظم ما يكون العبد قدرا وحرمة عند الخلق: إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم، كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم -ولو في شربة ماء- نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، ليكون الدين كله لله، ولا يشرك به شيء. ولهذا قال حاتم الأصم، لما سئل: فيم السلامة من الناس؟ قال: أن يكون شيؤك لهم مبذولا وتكون من شيئهم آيسا».

(مجموع الفتاوى، ١/٣٩)

أصل الفتن

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «أصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل».

(إغاثة اللهفان، ٢/١٦٥)

مطالعة الكتب

قال الشيخ مصطفى الغلاييني: «وعلى المتأدب أن يكثر من مطالعة الكتب والرسائل الأدبية المشتملة على الجيد المنظوم والمنثور؛ ليكون له من وراء ذلك سليقة عربية، ومادة وافرة، يودع حافظته مختار اللفظ وشريف المعنى، وبليغ الأسلوب، بحيث يستعمل ذلك عند الحاجة، ويحتذي مثاله. وأما درس الأدب مجردا عن المطالعة، فلا يفيد الطالب فائدة تشكر؛ لأن العلم بلا عمل أضر على صاحبه من الجهل، فالمطالعة تطبع في الذهن ملكة البلاغة.

ولا ينبغي للمطالع أن يقرأ من الكتب إلا ما هو مشتمل على كلام فحول البلغاء، حتى ينطبع في ذهبه أسلوبهم، فينحو منحاهم».

(رجال المعلقات العشر للغلاييني، ص٣٣ ٢/٢٤٣)

الإخلاص والمتابعة

قال بعض السلف: «ما من فعلة، وإن صغرت، إلا ينشر لها ديوانان: لم فعلت؟ وكيف فعلت؟

فالأول: سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه؛ هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل؟ أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى، وابتغاء الوسيلة إليه؟

ومحل هذا السؤال: أنه، هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟

والثاني: سؤال عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك التعبد، أي هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسولي، أم كان عملا لم أشرعه ولم أرضه؟ فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني عن المتابعة، فإن الله سبحانه لا يقبل عملا إلا بهما. فطريق التخلص من السؤال الأول: بتجريد الإخلاص.

وطريق التخلص من السؤال الثاني: بتحقيق المتابعة، وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهوى يعارض الاتباع. فهذه حقيقة سلامة القلب الذي ضمنت له النجاة والسعادة».

(إغاثة اللهفان، ص٧)

التعبير والإنشاء

«التعبير أوضح دلالة، وأشمل دائرة من الإنشاء، وهو يشمل مواقف الحياة والتفاعل مع المجتمع، شفويا أو كتابيا. في حين أن الإنشاء يقتصر على الكتابة. وبقدر ما يتمكن الإنسان من التعبير بوضوح وصدق وعفوية عن مشاعره وعواطفه وآرائه وأفكاره؛ يستطيع أن يؤثر في الآخرين، وأن يستميلهم لمشاركتهم وجدانيا، وأن يتعاطفوا معه».

(المعجم المفصل في الأدب للدكتور التونجي، ١/٢٦٤)

لا يعيب هذا على هذا

قال العلامة الحافظ يحيى بن سعيد القطان رحمه الله تعالى: «أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون، فيحلل هذا ويحرم هذا، فلا يعيب هذا على هذا، ولا يعيب هذا على هذا».

(تذكرة الحفاظ، ١/١٠٥)

التمس العذر

قال أبو قلابة رحمه الله تعالى: «إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس العذر جهدك، فإن لم تجد عذرا فقل: لعل لأخي عذرا لا أعلمه».

(روضة العقلاء، ص١٨٤)

درجة الأبرار

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من أحب أن يلحق بدرجة الأبرار، فلينوِ في كل يوم نفع الخلق فيما يسر الله له من مصالحهم على يديه».

(الإيمان الأوسط، ص١٨٤)

دعائم المقالات

«الكلام أربعة: سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء.. فهذه دعائم المقالات، إن التمس إليها خامس لم يوجد، أو نقص منها رابع لم تتم، فإذا طلبت فاسجح، وإذا سألت فأوضح، وإذا أمرت فاحكم، وإذا أخبرت فحقق».

(أدب الكاتب، ص٧٥)

المحسن المتصدق

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «... فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد».

(بدائع الفوائد، ٢/٢٤٣)

من لطائف المكاتبات

قال العلامة ابن فضل الله العمري: «من لطائف المكاتبات أن لا يوسع الكاتب بين السطور، ولا يُكبرها، ولا يطول الألفاظ؛ فإنه كلما كثر اللفظ في المكاتبة، أو اتسعت سطورها، أو غلظ القلم؛ كان ذلك نقصا في حق المكتوب إليه، ويغتفر ذلك لمن لا يعرف القاعدة، وللأصحاب الذين سقطت الكلفة من بينهم».

(النبذة الكافية في معرفة أوضاع الكتابة والقافية، ص٥)



التحرير

حكم النبي محمد

للأديب الروسي نيقولا يفيننتشي تولستوي كتاب اسمه «حكم النبي»، ترجمه إلى العربية الكاتب الفلسطيني سليم قبعين، وقدم له وعلق على محتوياته محمود النجيري.

والكتاب يقع في ١٤٥ صفحة من الحجم المتوسط، ويتضمن أحد عشر مبحثا ومقدمة وخاتمة، بالإضافة إلى قائمة بالمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات. وقد سعى تولستوي، كما يظهر من عنوان الكتاب، إلى إحقاق الحق في العهد الذي كانت تنتشر فيه الأكاذيب والمسرحيات الساخرة من النبي محمد ﷺ والإسلام من كبار المفكرين آنذاك، أمثال فولتير وغيره. كما حاول الكاتب تقديم شخصية النبي ﷺ لمن لا يعرفونه، ويدحض التهم والأكاذيب المنتشرة حينها عن الدين الإسلامي ونبي الرحمة محمد ﷺ.

فعمل على تأليف رسالة عن نبي الإسلام محمد ﷺ، وجوانب من تاريخ حياته، قال فيها: «لا ريب أن هذا النبي من كبار المعلمين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء، وفتح لها طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم، لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما.. ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام».

● **سعيد عبيدي**

فتح قبرص

ما كاد العرب يستقرون على ساحل البحر المتوسط في سوريا وفلسطين ومصر، حتى تدربوا على ركوب البحر وصناعة السفن باستعانتهم بخبرات الروم وسكان فينيقيا القديمة.

وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، استأذن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أمير المؤمنين سيدنا عثمان ليسمح له بغزو الروم بحرا، ووافق عثمان رضي الله عنه، واشترط على معاوية ألا يحمل الناس على ركوب البحر كرها، فتكون الخدمة البحرية عن طريق التطوع، واستعمل على البحر عبدالله بن قيس، فغزا معاوية خمسين غزوة، بين شاتية وصائفة، هاجم فيها الجزر اليونانية، وتمكن المسلمون من فتح جزيرة قبرص سنة ٨هـ على يد حملات بحرية خرجت من شواطئ الشام ومصر.

ويذكر المؤرخون العرب أن الأسطول الذي هاجم قبرص بلغ ١٧٠٠ سفينة، واستولى معاوية على الجزيرة في يسر، كما غنم مغانم كثيرة، وفرض على أهلها جزية بلغت ٢٧٠٠ قطعة من الذهب تدفع إلى دمشق سنويا، ويضاف إلى هذا أن يتعهد أهل قبرص بإبلاغ العرب عن أي استعدادات يقوم بها الروم ضدهم.

● **الطيب أديب**

رسالة من المغرب

سلام عليكم، سلام الإله من الغرب إلى بلدكم، بلد الأمان والطيبة، أسأل الله أن يحفظ أهلكم وبلدكم ورائد بلادكم، أكتب لكم سيدة الحاجة نعيمة منذ ٥ سنوات وأنا أقرأ مجلتكم التي أفادتني كثيرا وأنا من أشد المعجبات بمجلتكم، أنا أشكر كل من ساهم في هذه المجلة، احترامي لكم، دمتم في أمان الله.

صديق المجلة

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com



تبليغ الدعوة بالقدوة

إن الأقليات المسلمة المتواجدة في بلاد المهجر يمكن أن تقوم بدور فعال في دعوة أهل الغرب إلى الإسلام، وتعريفهم بحقيقته، فهؤلاء يعدون بمنزلة سفراء الإسلام ورسله في الغرب. يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «ومن المقطوع به أن جماهير المسلمين المهاجرين -وهم ألوف مؤلفة- يمكن استبقاؤهم على دينهم، بل يمكن جعلهم طلائع لنشره، لو أرادت الأمة الإسلامية ذلك وعملت له».

فهذه الأقليات بإمكانها أن تكون مصدر إشعاع دعوي وروحي بما تحمله إلى العالم من خير، وبما تقدمه للناس من فضل.

ولعل من أهم وسائل دعوة الغرب للإسلام، القدوة الحسنة؛ فالمسلم في الغرب مكلف بتطبيق إسلامه، اعتقادا وقولا وعملا، أينما وجد، وهو بذلك يقدم شهادة عملية للإسلام. فعلى المسلم في بلاد المهجر أن يكون كتابا مفتوحا، يقرأ فيه أهل الغرب أخلاق الإسلام وتعاليمه السمحة التي ترتقي بالإنسان، وتسمو به إلى القمم السامقة.

جاءت امرأة عربية مهاجرة مع امرأة سويدية لتعلن إسلامها في المركز الإسلامي، ولما سألوها عن سبب رغبتها في اعتناق الإسلام، قالت: «إن جارتي المسلمة حين حانت ساعة ولادتي أخذتني إلى المستشفى، وقامت على خدمة أبنائي ورعايتهم، وحتى عندما خرجت من المستشفى كانت تهتم بي، وتعد لي الطعام، وتنظف بيتي، حتى عادت إلي صحتي وعافيتي، وعندما سألتها: لم تفعلين هذا؟ قالت: إن ديننا يوصينا بهذا ويحثنا عليه. فأعجبت بهذا الدين وأردت أن أعتنقه».

● **محمد الدرداري**



سلمان الفارسي: سيرة مؤمن

سمعته يقول لي: كنت في بلاد فارس أعبد النار.. غادرتها. سألت النصارى عن أصل دينهم، فقالوا: في الشام.

خرجت وكانت رحلة.

أسقف يسلمني إلى أسقف.. وظللت على هذه الحال حتى لحقت برجل في عمورية من بلاد الروم، فرحلت إليه، وأقمت معه، ثم حضرته الوفاة، فقلت: إلى من توصي بي؟ فقال يا بني: ما أعرف أحدا على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، لكن قد أظللك زمان نبي يبعث بدين إبراهيم حنيفا، يهاجر إلى أرض ذات نخل، فإن استطعت أن تخلص إليه فافعل.

مر بي ركب فسألتهم عن بلادهم، فعلمت أنهم من جزيرة العرب.. اصطحبوني معهم حتى قدموا بي وادي القرى، وهناك ظلموني وباعوني إلى رجل من يهود.. وأقمت عند الرجل الذي اشتراني، حتى قدم عليه يوما رجل من يهود بني قريظة، فابتاعني منه، ثم خرج بي حتى قدم المدينة، فوالله ما إن رأيتها حتى أيقنت أنها البلد الذي وصف لي.

وأقمت معه أعمل له في نخله حتى بعث الله رسوله ﷺ، وحتى قدم المدينة، وكما أخبرني عابد النصارى في عمورية من بلاد الروم أن نبي الله «لا يأكل الصدقة.. يقبل الهدية.. وأن بين كتفيه خاتم النبوة، إذا رأيته عرفته».. فلما قدم النبي ﷺ المدينة ونزل بقباء، انتظرت إلى المساء فجمعت ما كان عندي، ثم خرجت أطلبه، فوضعت بين يديه وأصحابه طعاما قائلا: إنه لكم صدقة. فدعا النبي ﷺ صحابته قائلا: «كلوا باسم الله»، وأمسك هو. فقلت: هذه الأولى؛ إنه لا يأكل الصدقة.. ثم رجعت وعدت إلى الرسول ﷺ في الغداة أحمل طعاما وقلت له ﷺ: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وقد كان عندي شيء أحب أن أكرمك به هدية.. ووضعته بين يديه، فقال لأصحابه: «كلوا باسم الله»، وأكل معهم. قلت لنفسي: هذه والله الثانية؛ إنه يأكل الهدية.. ثم رجعت فمكثت ما شاء الله، ثم أتيته فوجدته بالبقيع قد تبع جنازة وحوله أصحابه.. فسلمت عليه، ثم عدلت لأنظر إلى ظهره، فعرف أني أريد ذلك، فألقى بردته عن كاهله فإذا بالعلامة بين كتفيه (خاتم النبوة).. فأكببت عليه أقبله وأبكي، ثم دعاني فجلست بين يديه، وحدثته حديثي.. ثم أسلمت.

● **أحمد يحيى علي محمد**



«الرباط» تطور حضاري

يرتبط نظام المرابطة في الفكر الإسلامي بنظام الجهاد، الذي يشكل سنام الإسلام، وإن لكل دولة فتية طرقها وأساليبها للحد من غارات الأعداء ومطامعهم، وقد ظهرت حاجة المسلمين إلى تحقيق هذا الهدف منذ عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين، رضوان الله عليهم. لذا سنحاول أن نسلط الضوء على مصطلح الرباط من خلال التعرف على معناه اللغوي والاصطلاحي، وبالتالي إثبات أن الرباط الإسلامي لم تكن مهماته مقصورة على العبادة والنسك، بل كان له دور قيادي جهادي لحماية بيضة الإسلام ورد عادية المعتدين. ويطلق لفظ «الرباط» في الاصطلاح العربي على كل موضع حصين ينشأ على الحدود، يقيم فيه ويلازمه أولئك الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، ورغبة في نيل ثوابه، وتأهبوا بخيولهم وعدتهم، مستعدين للدفاع عن حدود البلاد وحراستها، وصد هجمات الأعداء وغاراتهم، ومراقبة تحركاتهم، وهم يقضون وقت فراغهم بالمجاهدة النفسية عن طريق إقامة العبادات من صلاة طويلة، وصيام مستمر، وتلاوة دائمة للذكر الحكيم، كأنهم يعدون أنفسهم لنيل شرف الشهادة في سبيل الله، وفي سبيل العقيدة والمبادئ، وحماية الأوطان، دون أي طمع مادي في الأجر والحصول على المرتبات.

● د. إكرام شقرون

المادة والروح وأخطار الغلو

التوسط غاية الكمال، وأساس اليسر والاعتدال، وأمتنا هي أمة الوسط: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣).

وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»، أي: المتشددون في غير موضع التشدد.

والإسلام أجاز للعاجز أن يصلي قاعدا، وأجاز لمن يشق عليه الصيام أن يفطر، وكذا للمريض والمسافر. وأجاز التيمم في حال المرض والبرد الشديد.. وكل هذا رفق بالإنسان، وتيسير عليه، فمن أفرط فذلك غلو لا يرضاه الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ (النساء:١٧١). وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

ومن أخطار الغلو في الدين: التقصير في الحقوق والواجبات. جاء في الحديث: «إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه».

ومن أخطار الغلو: نفور الناس وانقطاعهم عن الإقبال على الطاعة. روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ويسروا».

● علاء الدين حسن



النسل وموارد الأرض

أخرجت الحضارة المادية إنسانا غير إنسان الأمس، إذ حولته إلى إنسان أناني، يؤمن بالأثرة بدل الإيثار، ويدور حول نفسه، ولا يلين قلبه لمآسي الآخرين، حتى صار كل همه أن يوفر لها من اللذة ذروتها، ومن المتعة أعلاها وأمتعها.

لذلك فهو لا يفكر في غيره، ولا يكترث له إلا في حدود المصلحة الشخصية والنفع المادي العاجل. وبلغ به الإعراض عن الآخرين حتى فر من أخيه وأبيه وأمه وبنيه؛ لأنه في سباق مع الزمن للظفر بأكبر حظ من الترف، وأعظم قدر من وسائل الرفاهية المتنوعة التي هي في تجدد دائم وتطور مستمر، فهو يلهث وراءها ولا يكاد يشبع منها، فنفسه تغريه وتقول له هل من مزيد.

وهكذا تقلصت المسؤولية أو الشعور لدى الإنسان المعاصر في ظل المفاهيم المادية، وتلاشى تدريجيا حتى لم يعد يحس بأي مسؤولية تجاه أخيه الإنسان.

وهذا ما جعله يسعى إلى التخفيف من أعباء الأسرة، والتقليل من نسله وما يستتبع من نفقات؛ ليوفر لنفسه من المتع ألذها، ومن الرفاهية أعلاها، بل أعرض كثير من الشباب عن الزواج الشرعي (لأنه مسؤولية) مع قدرتهم عليه؛ لأن الحرام ميسور وبأقل التكاليف.

لكن الشريعة الإسلامية شريعة واقعية ملبية لطلبات الإنسان وحاجاته ورغباته في دائرة من الطهر والعفة، فدعت إلى الزواج ورغبت فيه فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (النور:٣٢).

وحث الرسول الكريم ﷺ على الزواج وحض الشباب عليه، فقال ﷺ موجها خطابه إلى الشباب: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج».

• خاشع بن الشيخ إبراهيم

شكر وتقدير

تحية طيبة معطرة من أرض العود الأصيل ومهد الحضارات والثقافات والأديان من إخوانكم في الله المتمنين لكم سلاما أبدا وعيشا رغدا هنيئا آمنا إلى أبد الآباد.

الكلمات تعجز عن وصف الشكر النابع من أعماق الجنان إلى مجلتكم السامية ذات الفكر الأصيل والأدب العربي العذب والآراء الراقية التي تغذي الأرواح بماء غير آسن يترقرق من نهر عدنان الفياض.

ونقدم إليكم باقات الشكر الخالص على إرسال مجلتكم الشامخة «الوعي الإسلامي» قبولا لطلبنا المتواضع. ولا يسع فرحنا بكم حروف ولا مداد. فقد كنتم لنا عونا حين كنا أحوج إلى المنشورات العربية الأصيلة التي لا تتوافر لدينا في الهند.

أسأل الله أن يجعل مجلتكم نبراسا دائما ومصباحا أبدا يضيئ الطريق إلى القلعة العربية الشامخة ويثقف الأذهان ويغذي الأرواح. نرجو لمجلتكم وفرقة عملها نجاحا مستمرا وتفوقا دائما وارتقاء أبدا.

محمد سيف

كون مربوب طائع

إن قراءة كتاب الله سبحانه وتعالى المنظور في هذا الكون وتأمل صفحاته، هي استجابة لأمر الله جل شأنه بالتفكر والتدبر والتأمل في خلقه، فضلا عن أنه أسلوب القرآن الفريد في إرساء العقيدة وتعميقها ومعرفة للأدلة الحية المتحركة التي توصلك إلى اليقين وتنأى بك عن التقليد يقول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ (محمد:١٧)، ومن هنا كان لابد من تأمل كتاب الله سبحانه وتعالى وتدبر آيات الكون فيه لمعرفة التفسير الشامل للوجود، وهذا أمر ضروري للمسلم كي يتعامل على أساسه مع هذا الوجود بشرط أن يكون تفسيرا يقرب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها، وطبيعة العلاقات والارتباط بين هذه الحقائق: حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، وهذه تشتمل على حقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة الإنسان.

إن هذا الكون المشاهد قد يتأمله إنسان رقيق الحس والمشاعر كالشاعر أو الأديب أو الفنان فيتأثر بمشهد من مشاهده كرؤيته القمر ليلة البدر أو الظل الظليل مع جدول ماء ينساب، أو الفلك تجري في البحر، أو البساط السندسي الأخضر يتساقط عليه مطر السماء، أو جنات من الفواكه والأعناب وتجري من تحتها الأنهار، أو باقة ورد تناسقت بيد الإله، أو صحراء جرداء تتلألأ نجومها في السماء، أو عسعسة ليل وتنفس نهار، فيتأثر بهذا كله فيعبر عنه بأبيات شعر، أو سطور نثر، أو لوحة فنية تبهر الأنظار، وتبرز جوانب الإبداع والجمال.

يستطيع أن يفعل ذلك المسلم، وغير المسلم وإن كان شعور المسلم أعمق، وإحساسه أرق وانفعاله أدق وقوله أصدق، فغيره إن تأثر بالمصنوع غفل عن الصانع وإن تأثر بالمخلوق نسي الخالق، فيتأثر بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وينسى الذي خلق الذكر والأنثى.

ورضوان الله على الإمام أبي حنيفة حين أراد أن يستثير قومه ويلفت نظرهم لا إلى الكون وما فيه فحسب بل إلى رب الكون وخالق كل شيء جلت قدرته فوعظهم يوما وقد حضره جمع من غلاظ القلوب، وكانت عظة عملية موفقة أظهر للناس أنه مفكر في أمر خطير، فلما سألوه عن شأنه قال: إني مفكر في أمر قد أخبرت عنه.. ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة بأنواع المتاجر، وليس بها أحد يحركها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتدخل المرافئ وتخرج منها، وتسير حيث شاءت فلا تتجه إلا إلى ما هو مطلوب من غير أن يسوقها أحد، فقالوا له: هذا شيء لا يصح أن تشغل به نفسك لأنه لا يقوله عاقل، ولا يصدقه أحد، فقال: أيها الناس، إنكم أنتم الذين تقولون هذا الكلام.. تقولونه بلسان الحال، إن لم يكن بلسان المقال، فهذه سفينة الموجودات بما فيها من العوالم العلوية والسفلية وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، فهلا تأملت عجائبها وحكمة المصرف لها، فهل تغدو وتروح بغير مدبر يصرفها؟ فخشعت قلوب الناس لموعظته، وأسلم منهم من كان على غير الإسلام.

د. ربيع خليفة
باحث أكاديمي

براعم الإيمان
قلم صغير وفكر منير

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

موقع براعم الإيمان في حلته الجديدة



مجلتكم تقترب منكم أكثر

www.baraemaleiman.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

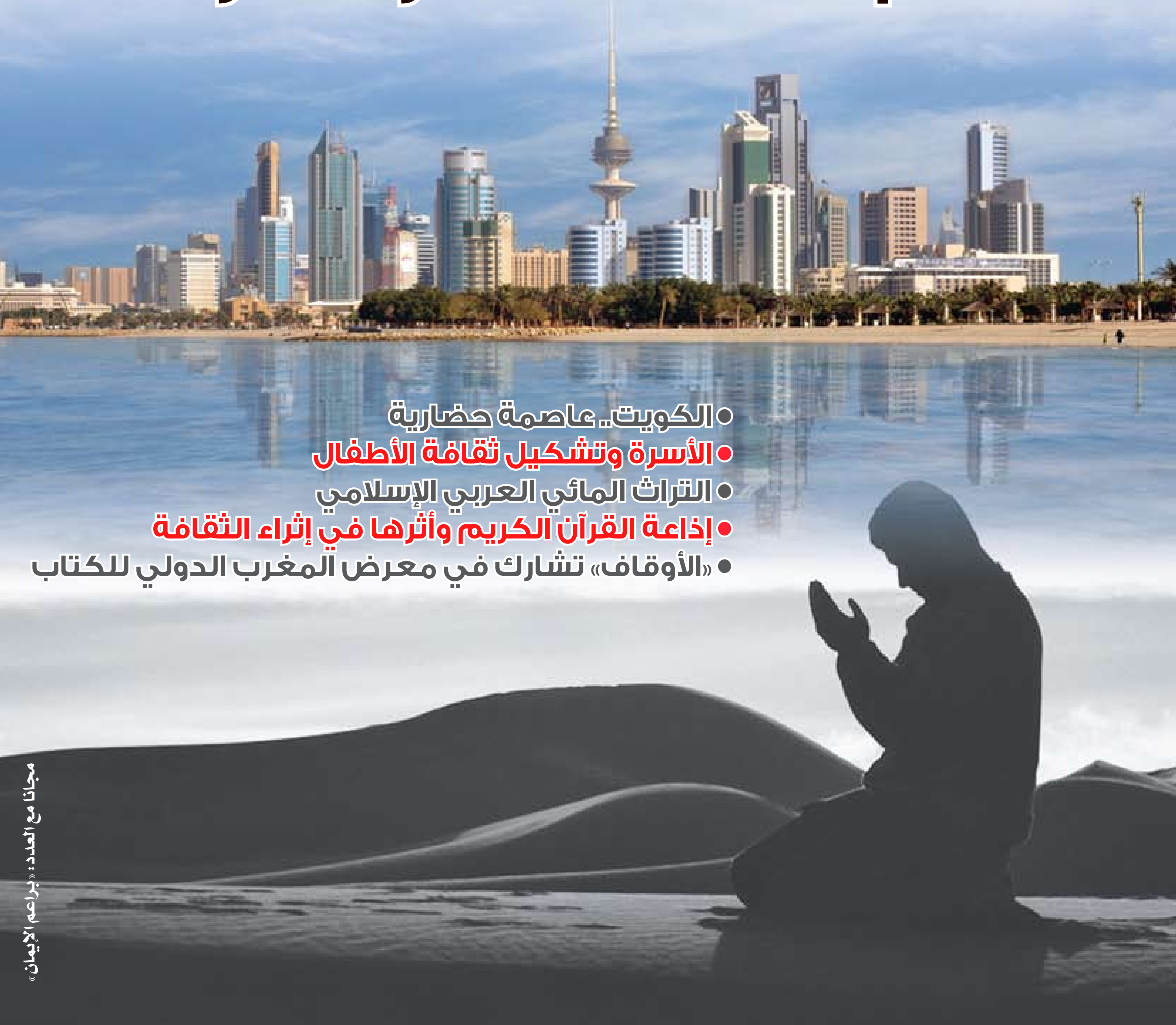
الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦١١) رجب ١٤٣٧ هـ - ابريل - مايو - ٢٠١٦ م

نعم الله.. حفظها وشكرها



- الكويت.. عاصمة حضارية
- **الأسرة وتشكيل ثقافة الأطفال**
- التراث المائي العربي الإسلامي
- **إذاعة القرآن الكريم وأثرها في إثراء الثقافة**
- «الأوقاف» تشارك في معرض المغرب الدولي للكتاب

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

مجلة الوعي الإسلامي www.alwaei.gov.kw info@alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

جديدنا



بركة الترشيد

لم يحرم الإسلام الحنيف زينة الحياة الدنيا، ولا ضيق مجال الطيبات من الرزق، وإنما حرم الاعتداء والطغيان في الاستمتاع بها، ونهى عن الإسراف والتبذير، وفي الوقت ذاته حرم الشح والتقتير، ذلك أن المسلم الحق معتدل ومقتصد في أموره كلها؛ لا إفراط عنده ولا تفريط، لا غلو ولا مجافاة؛ لأنه ينطلق في حياته كلها من تعاليم دينه ومنهاج شريعته، التي تأمره بالاعتدال والتوازن والاقتصاد في جميع الأمور؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١)، وقال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة» (البخاري: ٥٧٨٣)، وهذا هو مقتضى شكر نعم الله العظيمة الكثيرة.

الترشيد مظهر حضاري، وواجب شرعي على كل مكلف؛ فهو السبيل الأمثل في استخدام المرافق الحيوية التي تقوم عليها حياة الناس اليوم؛ من ماء وكهرباء ولباس ومال، ونحو ذلك؛ فمثلا: الماء الذي هو أرخص موجود وأعز مفقود؛ يهدر بالكميات الكبيرة الهائلة، والنبي ﷺ نهى عن الإسراف فيه ولو كان استعماله في عبادة؛ فضلا عن غيرها؛ فقد مر بسعد رضي الله عنه وهو يتوضأ؛ فقال: «ما هذا الإسراف؟». فقال: أفي الوضوء إسراف؟! قال ﷺ: «نعم، وإن كنت على نهر جار» (أحمد: ٧٠٦٥).

وعكس الترشيد خُلق الإسراف والتبذير، مع عدم الشكر وكفران النعمة؛ فذلك منذر بالخطر؛ ليس على الواقعين فيه فقط، بل العقاب ينزل على من أسرف وعلى من رضي وتابع ولم ينكر؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ (الإسراء:١٦)؛ كما حذر سبحانه من أن عدم إنكار هذا المنكر مؤذن بعموم العذاب إذا نزل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ (الأنفال:٢٥).

ألا فما أحوجنا إلى أن نمارس فقه الترشيد في حياتنا كلها؛ حفاظا على مكتسباتنا من الضياع في الدنيا، والحسرة والإثم في الآخرة، قال ﷺ: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (الترميذي: ٢٤١٦).

والعاقل المراقب لربه يضع نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ (التكاثر:٨)، وقد وعدنا الله سبحانه إن امتثلنا أمره بخير الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ (إبراهيم:٧)، وقديما قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١١ | رجب ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
ابريل - مايو ٢٠١٦م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

التحدث بنعمة الله يكون بشكرها وإظهار آثارها، فيرغب المحرومون فيما لدى المنعّمين منها، ويحرص المحاويج من الخلق على أن يصدروا عنها، وهذا هو سرّ الأمر بالتحدث بها، في قوله عز اسمه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١)؛ ففي الآية تنبيه على أدب عظيم، وهو التحدث بالنعمة وعدم كتمها؛ حرصا على التفضل والجود والتخلق بالكرم، وفرارا من رذيلة الشح الذي رائده كتم النعمة والتمسكن والشكوى.

فمن عادة البخلاء أن يكتموا مالهم، لتقوم لهم الحجة في قبض أيديهم عن البذل، فلا تجدهم إلا شاكين متذمرين، أما الكرماء فلا يزالون يظهرون بالبذل ما آتاهم الله من فضله، ويجهرون بالحمد لما أفاض عليهم من رزقه.

وليس القصد من التحدث بالنعمة هو مجرد ذكر الثروة، بل المقصود أن من جرّب الفقر والحاجة بنفسه، فإنه سيوسع في البذل على الفقراء والمساكين، وذلك من تمام تحدّثه بنعم الله عليه، وهو شامل للنعم الدينية والدنيوية؛ فإن التحدث بنعمة الله داع لشكرها، وموجبٌ لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها؛ فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. أماني خليل
كاتبة سورية

تاريخها عامر بالعطاء ومعالمها كنوز التراث:

الكويت.. عاصمة حضارية

هي منبت الأحرار، هي نجمة للسنا على جبين المنى، السحر لما دنا غنى لها الأشعار، التبر في برها، والدر في بحرها، والحب في صدرها، نبع من الأعطار.. هذه الكويت التي تجمع بين جمال البحر وإشراقة الصحراء، وتراث الأجداد.

تبوأت مدينة الكويت مكانها عاصمة للثقافة الإسلامية؛ خلفا لمدينة «نزوى» العمانية، التي حملت اللقب في عام ٢٠١٥م. وقد اختارت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) الكويت لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م؛ ضمن برنامج عاصمة الثقافة الإسلامية، التي تسند سنويا إلى ثلاث مدن إسلامية عريقة؛ واحدة عن كل من المناطق الإسلامية الثلاث (العالم العربي وإفريقيا وآسيا)، وتمتد الاحتفالات والتظاهرات في هذه المدن المختارة عاما كاملا.

تعتبر مدينة الكويت عاصمة حضرية كبيرة، تتميز بمبانيها الشاهقة الارتفاع وفنادقها الفخمة ومجمعات التسوق الضخمة وشوارعها الواسعة وحدائقها ومنتزهاتها الجميلة، وأينما ذهب السائحون في أنحاء المدينة سيجدون معالم ذات أهمية تاريخية وثقافية كبيرة، ومن أبرز معالمها:

١ - أبراج الكويت

عندما تذكر الكويت، فإن أول صورة تتبادر إلى أذهان الجميع هي أبراج الكويت الثلاثة التي صممت على شكل مرش العطر التراثي الكويتي، وتقع على ساحل الخليج العربي في منطقة «رأس عجوزة»، وقد تم افتتاحها رسميا في الأول من مارس من عام ١٩٧٩م، ثم أعيد افتتاحها في ٢٦ ديسمبر ١٩٩٢م بعد أن تعرضت أثناء الغزو العراقي للدمار.


أبراج الكويت

البرج الرئيسي يبلغ ارتفاعه ١٨٧ مترا عن سطح البحر، ويبلغ قطر البرج عند الأرض ٢٠ مترا، ويحتوي البرج على خزان للمياه يتسع لمليون جالون. ويتكون من كرتين الكرة العليا كاشفة وتدور دورة كاملة حول نفسها كل نصف ساعة، ويتاح رؤية مناظر دولة الكويت كاملة من خلالها، وتتميز بوجود تلسكوب لمشاهدة المعالم المحيطة حول الأبراج ومناطق الكويت، أما الكرة السفلية فتضم مطاعم وقاعات. ويحتوي البرج على مصعدين لنقل الزوار من الأرض للكرة الكاشفة على ارتفاع ١٣٣ مترا في ٢٥ ثانية فقط.. أما البرج الأوسط فهو عبارة عن خزان للمياه يبلغ ارتفاعه ١٤٧ مترا ويتسع لمليون جالون مكعب، ويبلغ قطره عند الأرض ١٨ مترا.. وأما البرج الأصغر فيبلغ ارتفاعه ١١٣ مترا وقطره عند الأرض ١٢ مترا، وهو مخصص للتحكم بتوصيل الكهرباء للمنطقة المحيطة وضواحيها وإنارة البرجين الآخرين عن طريق كشافات قوية

مثبتة فيه ويصل عددها إلى حوالي ١٠٠ كشاف.

٢ - برج التحرير

يتوسط مدينة الكويت، ويشغل مساحة ٢١ ألف متر مربع، ويبلغ ارتفاعه ٣٧٢ مترا، ويستخدم كبرج للاتصالات. توقف بناؤه أثناء الغزو العراقي للكويت سنة ١٩٩٠م، وبعد التحرير تم إكمال البناء والانتهاء منه في عام ١٩٩٦م، وتمت تسميته بهذا الاسم نسبة للتحرير. بلغت التكلفة الإجمالية للبرج ٥٠ مليون دينار كويتي (١٦٥ مليون دولار أميركي)، ويبلغ عمق القاعدة ١٨ مترا تحت مستوى سطح البحر وتضم ٣ سراديب متتالية.

وقد صنف برج التحرير عالميا على أنه خامس أعلى برج على مستوى العالم آنذاك، أما اليوم فأصبح ترتيبه الحادي عشر كأعلى برج في العالم، ويشتمل على مبنيين: السفلي منهما على ارتفاع ١٥٠ مترا ويحوي مطعما دوارا فاخرا وشرفة للمشاهدة، ومبنى آخر على الارتفاع من ١٧٠ إلى ٢١٠ أمتار ويتكون من ٦ طوابق تحتوي على مكاتب فنية تستفيد منها وزارة المواصلات وجهات رسمية أخرى في الدولة. ويفتح للزوار مرة واحدة في السنة لزيارته ومشاهدة الكويت من قمته، وغالبا ما تكون تلك الفترة خلال شهر فبراير.

٣ - برج الحمراء

أحد الصروح العمرانية الحضارية التي تفتخر بها دولة الكويت، بلغت تكلفته مليار دولار، ويعد أول ناطحة سحاب منحوتة في العالم، وأطول


برج التحرير

ناطحة سحاب ملبسة بالحجر في العالم، ويعد أيضا أضخم برج تجاري على مستوى الشرق الأوسط. بدأ البناء به عام ٢٠٠٦م وانتهى ٢٠١١م، وتم الافتتاح عام ٢٠١٢م.

يتمتع البرج بتصميم فريد جعل من تنفيذه تحديا عمرانيا على مساحة تصل إلى ٣٠٠ ألف متر مربع، ويصل ارتفاعه إلى ٤١٤ مترا في ٨٠ طابقا، تبلغ مساحة الطابق ٢٤٠٠ متر مربع بارتفاعات طوابق تختلف عن أي برج آخر في العالم لتصل إلى ١٠ أمتار في بعض الطوابق، أي إنه يساوي ١٠٠ طابق بالمعايير العالمية، ويحيط بالمشروع ٦٠٠٠ متر مساحات خارجية خضراء ونوافير مائية، بالإضافة إلى مبنى سيارات مصمم ليحتوي على ٢٠٠٠ سيارة تقريبا، ومتصل بجسور إلى مركز التسوق والبرج. والمبنى ذكي بالكامل، فهو مدعوم بهيكل من الألياف الضوئية لضمان تقنية عالية الجودة، علما بأن إدارة كل مرافق البرج عالمية المستوى، وتعمل على جميع متطلبات البرج الذكية بدقة عالية وإتقان مطلق. ويخدم البرج ٤٠ مصعدا هي الأكثر تطورا بسرعة ١٠ أمتار بالثانية، ويتسع الواحد منها لنحو ٤٠ شخصا. وفي القمة مطعم عالمي عند ارتفاع ٣٧٠ مترا بأعلى نقطة في الكويت، ويتميز بأجواء ساحرة ونوافذ بانورامية فريدة يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٣٠ مترا مع إطلالة تسلب القلوب والعقول.

بدأ المشروع بتحقيق أهدافه وإنجازاته قبل الانتهاء من أعمال التشييد، حيث حاز على عدة جوائز عالمية، أبرزها جائزة ميامي بينال للهندسة ٢٠٠٧م (ميامي أميركا)، وحصل على الجائزة الأولى في مسابقة «ميبيم» العقارية العالمية في منتصف شهر مارس ٢٠٠٨م، وأفضل ابتكار عقاري في عام ٢٠١٢م من مجلة «تايم»، وحصل على الجائزة الأولى عن فئة أفضل تصميم ناطحة سحاب، وجائزة أفضل مشروع عقاري في جميع الفئات، وقد منحته الجائزة المجلة البريطانية السنوية The Architectural Review، وأخيرا جائزة «إمبوريس»، التي وضعت برج الحمراء في المركز الثاني من أعلى عشر ناطحات سحاب اكتمل بناؤها عام ٢٠١١م.

٤ - بوابات سور الكويت

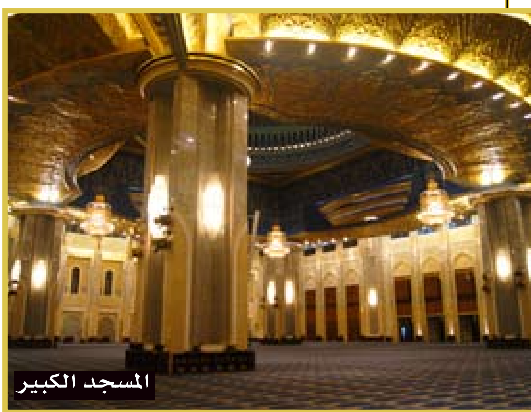
شيد حول مدينة الكويت خلال تاريخها ثلاثة أسوار من الطين: الأول بني في عهد الشيخ عبدالله بن صباح الصباح عام ١٧٦٠م، وشيد السور الثاني عام ١٨١٤م، وشيد الثالث عام ١٩٢٠م في عهد

الشيخ سالم المبارك الصباح. ويبلغ طول السور ٧ كيلومترات ويمتد حول مدينة الكويت بارتفاع قدره ٤ أمتار وسمك ٣ أمتار، وكان له خمسة أبواب وستة وعشرين برج مراقبة، والبوابات هي:

- **بوابة الشامية:** تبلغ مساحتها حوالي ٣٤٥ مترا مربعا، وهي مؤلفة من مدخلين رئيسيين وعدد من غرف الحراسة والخدمات، وقد تم الحفاظ على وضعها الأصلي وأعيد ترميمها من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- **بوابة الشعب،** أو بوابة البريعصي: تبلغ مساحتها حوالي ١٧٧ مترا مربعا، وهي مؤلفة من مدخلين رئيسيين عرض كل منهما ٥,٣٠ أمتار تقريبا، و ثلاث غرف حراسة بمساحة ٤٢ مترا مربعا تقريبا، وقد تم الحفاظ على وضعها الأصلي وأعيد ترميمها من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- **بوابة الجهراء:** تبلغ مساحتها حوالي ٢٥٠ مترا مربعا، وهي مؤلفة من مدخلين رئيسيين وعدد من غرف الحراسة والخدمات، وقد تم الحفاظ على وضعها الأصلي


المسجد الكبير

وأعيد ترميمها من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- **بوابة المقصب:** وتبلغ مساحة البوابة حوالي ٩٢ مترا مربعا، وهي مؤلفة من مدخل رئيسي بعرض ٥,٣٠ أمتار تقريبا، وغرفة حرس بمساحة ٢٥ مترا مربعا تقريبا، وقد تم الحفاظ على وضعها الأصلي وأعيد ترميم الحوائط والأسقف والأبواب والنوافذ وإعادتها إلى ما كانت عليه، حيث إن الحوائط مبنية من الصخر البحري.

- **بوابة دسمان:** تقع في أقصى الجزء الشرقي من المدينة في «رأس عجوزة»، وهي تقع الآن ضمن قصر دسمان الذي أنشئ في عام ١٩٠٤م، وأنشأه الشيخ جابر المبارك الصباح، وهذه البوابة خاصة للقصر، حيث تطل أمامها مباشرة الأبراج في وقتنا الحاضر. وقد أصاب الدمار هذه البوابة خلال الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠م، ولكن تمت صيانتها بعد التحرير.

هدم السور في عام ١٩٥٧م نتيجة التوسع العمراني لمدينة الكويت، وتم الإبقاء على البوابات فقط وذلك لما تشكله من أثر تاريخي يجب الحفاظ عليه.


المسجد الكبير

٥ - مساجد مدينة الكويت

تزخر مدينة الكويت بالعديد من المساجد التراثية والحديثة التي تبهر زائريها بالتصميم المعماري الإسلامي الدقيق والرائع، نذكر منها:

- **المسجد الكبير:** يعد أكبر مساجد الكويت، افتتح عام ١٩٨٦م بالقرب من شاطئ الخليج العربي، ويتسع لحوالي ١٧٠٠٠٠ مصل. استغرق بناؤه ٧ سنوات، تم تصميمه على الطراز الأندلسي الفاخر، وتبلغ مساحة المسجد ٤٥ ألف متر مربع، منها ٢٥ ألفا مبنية، و٢٠ ألفا مكشوفة تشكل حدائق المسجد الخارجية وممراته، وله مئذنة منفصلة عن البناء في الجهة الغربية الشمالية منه، تمتد في السماء كالسهم بارتفاع ٧٢ مترا، وهي مضلعة الشكل، ويبلغ عدد أضلاعها اثني عشر ضلعا، وفي داخلها استخدم مصعد كهربائي يصل إلى أعلاها بدلا من الدرج المعتاد.

- **مسجد سعد أخو ناهض:** هو أحد المساجد التراثية المميزة، يقع على شارع الخليج العربي بجوار المرسم الحر، قرب سوق شرق، بجوار المستشفى الأميري في مدينة الكويت. وقد أنشئ هذا المسجد عام ١٩١٦م، وجدد أول مرة في عام ١٩٥٤م، ومنذ ذلك التاريخ قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ببعض الإصلاحات والتعديلات اللازمة للتجديد وذلك على فترات مختلفة إلى أن قامت الأمانة العامة للأوقاف بعمل الإصلاح والترميم وتعديل الوضع المعماري للمسجد لإعادته إلى صورته الأصلية التي

كان عليها سابقا.

ـ مسجد الناهض: من المساجد التراثية المميزة في دولة الكويت، ويشرف على شارع عبدالله الأحمد، بين مركز عبدالله الأحمد وشارع خالد بن الوليد بميدان الشرق بمدينة الكويت في مواجهة ميدان شعبان، والمدخل الرئيسي للمسجد من شارع جابر المبارك.

وكان ناهض بن علي السهلي قد انشأ المسجد عام ١٩٠٠م بمنطقة الشرق. وطراز المسجد يعود إلى فترة ما بين ١٩٠٠م و١٩١٠م، وكانت الأمانة العامة للأوقاف قد قامت بترميم المسجد مرتين، والأخيرة قامت بها هيئة الأوقاف عام ١٩٥٦م، وشملت عملية الترميم آنذاك صيانة مبنى المسجد داخليا وخارجيا، واستخدمت في أعمال الترميم تقنيات ومواد مستحدثة.

٦ - المتاحف والمعارض الفنية

تزخر الكويت بالكثير من الآثار قبل الميلاد أو الآثار الإسلامية، حيث يوجد عدد من المتاحف الأثرية والعلمية، الحكومية والخاصة، والتي تحتوي على كم كبير من المقتنيات الإسلامية والعلمية والتراثية والبيئية والترفيهية والفنية التي تستحق الزيارة، ومنها:

ـ متحف الكويت الوطني: افتتح متحف الكويت الوطني في ٢٤ فبراير ١٩٨٣م ليكون ممثلا أو مصورا لعادات أبناء الكويت وتقاليدهم وتراثهم، بالإضافة إلى أهميته كمؤسسة ثقافية تعكس تاريخ هذا البلد وحضارته، ويتألف


المتحف الوطني

مبنى المتحف الجديد من ثلاثة مبان: يضم المبنى الأول مكاتب الإدارة ومكتبة وقاعة للمحاضرات ومسرحا ومعرضا للآثار القديمة ومجموعة من أعمال الفنانين الكويتيين المعاصرين، ومبنى آخر خصص لخزن الآثار وصيانتها، والقبة السماوية التي تتكون من طابقين يضمان أدق الآلات وأحدث الكتب والخرائط الفلكية، كما يجري في هذه القبة عرض برامج فلكية حول الكون والظواهر الفلكية.

ينقسم المتحف إلى سبعة أقسام هي: قسم الآثار القديمة، قسم الحياة البحرية، قسم الحياة المدنية، قسم الحياة البدوية، معرض الفنون التشكيلية، القبة السماوية، مجموعة الصباح في دار الآثار الإسلامية.

ـ المتحف العلمي التربوي: يقع في وسط مدينة الكويت في منطقة المرقاب، ويعتبر من أقدم المتاحف الموجودة في مدينة الكويت، حيث تم افتتاحه في عام ١٩٧٢م، ويتكون المتحف العلمي من طابقين يضم كل منهما مجموعة من القاعات المتعددة الأحجام والأغراض، وينقسم المتحف إلى أربعة أقسام (قسم العلوم والفضاء، قسم التاريخ الطبيعي، قسم العلاقات المتحفية، قسم الخدمات الفنية)، كل منها يساند الآخر؛ ليظهر المتحف بأفضل صورة ويكون مكانا ممتعا ويستفاد منه في الوقت نفسه.

يحتوي المتحف على مجموعة من الحيوانات المحنطة من الثدييات والأسماك والبرمائيات والحشرات، بالإضافة إلى النباتات، ومجسمات للهياكل العظمية لحيوانات مختلفة، ونماذج من أعضاء جسم الإنسان ومراحل التطور البشري؛ كما يحتوي المتحف على مجموعة من وسائل النقل الكويتية القديمة، والمعروضات العسكرية من الألغام والذخائر التي يعود تاريخها لفترة الاحتلال العراقي لدولة الكويت في عام ١٩٩٠م.

كما يضم المتحف مكتبة تحتوي على ٣٠٠٠ كتاب في المجالات العلمية والتربوية والدينية والاجتماعية، ويصدر عن المتحف: دليل المتحف، مطويات عن المتحف، والمسابقات العلمية.

ـ متحف طارق رجب: تأسس عام ١٩٨٠م، ويقع في منطقة الجابرية، ومتخصص في الفنون


قصر السيف

الإسلامية والحرف، يضم المتحف مجموعات نادرة من المصاحف ومخطوطات عربية وفخاريات إسلامية وأدوات موسيقية وأثاثا عربيا إسلاميا قديما. هذا بالإضافة إلى المجوهرات الذهبية منها والفضية والمشغولات المعدنية والمطرزات والأزياء العربية القديمة والسيراميك والمنمنمات والدروع، وكلها تعود إلى عصر الحضارة الإسلامية.

ـ متحف الفن الحديث: تابع للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في مدينة الكويت، ويحتوي على لوحات فنية تعود إلى الخمسينات من القرن العشرين، وتشمل لوحات محلية وعربية وعالمية من مختلف المدارس الفنية (منحوتات، تماثيل، خزفيات). ويضم المتحف العديد من الأعمال التشكيلية الرائعة التي وزعت بشكل متناسق وجذاب في أرجاء المكان.

٧ - قصور مدينة الكويت

تضم مدينة الكويت، حتى أيامنا هذه، نماذج رائعة من القصور لاتزال تقف شواهد على عظمة وعبقرية أولئك المهندسين والفنانين والبنائين الذين عاشوا هناك في وقت من الأوقات. نذكر منها:

ـ قصر السيف العامر: هو المقر الرسمي للأمير وولي العهد ومجلس الوزراء، بني عام ١٩٠٤م في عهد الشيخ مبارك الكبير. وتم تطوير القصر في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح في عام ١٩٦١م، وقد أخذ بناء قصر السيف الطابع المعماري الإسلامي نظرا لاستخدام الأقواس والزخارف الإسلامية، إضافة إلى لمسات من التراث الكويتي القديم، وقد استخدمت في بنائه المواد الأولية البسيطة من الطين وحجر البحر والأخشاب والمعادن. جاءت تسمية القصر بالسيف نسبة إلى قربه من البحر أو السيف؛ لهذا أخذ التسمية الملاصقة للبحر، وكلمة «السيف» معناها ساحل البحر.

مر القصر بعدة توسعات متعاقبة، وأصبحت مساحته تقارب يقارب ٢١٠ آلاف متر مربع، وبلغت مساحة البناء من المساحة الكلية ما يقارب ١٦ ألف متر مربع. وأهم الأحداث التاريخية التي شهدها قصر السيف إلغاء اتفاقية الحماية البريطانية، وإعلان استقلال الكويت في ١٩ يونيو ١٩٦١م، والتصديق على دستور دولة الكويت في ١١ نوفمبر ١٩٦٢م. وفي عام ١٩٦٢م تمت تسمية مقر الحكم في قصر السيف بالديوان الأميري. كما شهد قصر السيف رفع أول علم من العلم الكويتي الجديد في ٢٤ نوفمبر ١٩٦١م، حيث قام الشيخ سعد العبدالله الصباح بإنزال العلم القديم ورفع العلم الجديد.

ـ قصر دسمان: يعتبر أحد القصور التاريخية في الكويت، مازال محافظا على البناء القديم الذي بني فيه مع بعض التطورات الطفيفة. ويقع القصر على شارع الخليج العربي بالقرب من أبراج الكويت. بناه حاكم الكويت الثامن الشيخ جابر المبارك الصباح في عام ١٩٠٤م وأكمل بناءه الشيخ أحمد الجابر الصباح (حاكم الكويت العاشر) في عام ١٩٣٠م وجعله مقر سكنه الرسمي. وسمي قصر دسمان نسبة إلى الدسم و كثرة الولائم (الذبائح) التي تقام في القصر على شرف ضيوف الشيخ أحمد الجابر الصباح.

ـ قصر مشرف: بناه الشيخ مبارك الصباح في عام ١٩٠٠م، وقد تم ترميمه في بداية الأربعينيات من القرن العشرين بالطين. وفي عام ١٩٥٧م أعيد بناؤه على يد الشيخ عبدالله المبارك الصباح. وسمي القصر باسم مشرف؛ لأنه يقع على ربوة تشرف على المنطقة التي حولها. وفي ٧ يوليو ٢٠٠٨م اقترحت نائبة المجلس البلدي فوزية البحر بأن يتم استملاك القصر من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ـ قصر خزعل: بناه الشيخ خزعل الكعبي (أمير المحمرة(في عام ١٩١٦م في منطقة دسمان. تميز القصر بالطراز الفارسي، مما جعله مميزا مقارنة بالبناء الكويتي البسيط. كان القصر ذا طابقين، وبني في كل ركن من أركانه الأربعة برج دائري. أقيم في القصر أول متحف في تاريخ الكويت عام ١٩٥٧م، وفي عام ٢٠٠٨م قام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب باستملاك القصر بغرض تجديده.

٨ - بيت السدو

معلم تراثي أصيل يجتهد في الحفاظ على الصناعات الكويتية اليدوية التقليدية، كنسج الصوف وحياكته وصناعة الخيام وبيوت الشعر....إلخ. أسس في عام ١٩٧٩م للحفاظ على تلك الفنون والنهوض بها، وفي عام ١٩٩١م

طور المشروع ليصبح أول جمعية حرفية تعاونية. يقع بيت السدو قرب المتحف الوطني على شارع الخليج العربي، ويهدف إلى تشجيع هذه الحرف والعمل على تطويرها وإنقاذها من الاندثار، إضافة إلى تقديم الإرشادات الفنية ونشر الوعي بأهمية هذه الفنون وتسويق منتجات الأعضاء من خلال إقامة المعارض داخل الكويت وخارجها. وينشط بيت السدو في إقامة الدورات التدريبية وورش عمل خاصة في الصباغة للارتقاء بنوعية المنتج اليدوي وجودته.

٩ - قرية يوم البحار التراثية

مدينة تراثية تقع على شارع الخليج العربي أمام مجلس الأمة، حيث تعكس حياة الكويت القديمة بأسواقها ومقاهيها ومطاعمها الشعبية، وتمثل تراثها البحري القديم، حيث توجد أصناف من قوارب وسفن الغوص والسفر التي كان يستخدمها الأجداد، إضافة إلى معرض يحتوي على معظم أنواع القواقع البحرية، كما جهزت هذه المدينة المصغرة بكل الخدمات والألعاب لتسلية الأطفال.

١٠ - مركز بيت ديكسون الثقافي

يرجع تاريخ إنشائه إلى بداية القرن التاسع عشر عقب الاتفاقية التاريخية التي تمت بين حاكم دولة الكويت الشيخ مبارك الصباح وبريطانيا عام ١٨٩٩م. وفي عام ١٩٠٤م أصبح سكنا ومكتبا للمعتمد السياسي البريطاني، كما افتتح به أول مكتب للبريد عام ١٩١٥م، وفي عام ١٩٢٩م أصبح مقرا لأول معتمد بريطاني الكولونيل هارولد ديكسون وزوجته السيدة فيوليت، ومن هنا اكتسب البيت تسميته الحالية. يضم المركز حاليا معرضا لمقتنيات الكولونيل ديكسون وعرضا لتلك الحقبة من تاريخ دولة الكويت.

١١ - جزيرة فيلكا

هي ثاني أكبر الجزر الكويتية مساحة بعد جزيرة بوبيان، وأهم المناطق الأثرية في دولة الكويت. تزخر الجزيرة بشواهد أثرية تمثل حقبة حضارية وتاريخية متسلسلة منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد وحتى العصر الحديث. وهي من أول المواقع الأثرية التي أجريت فيها أعمال المسح والتنقيب الأثري بأسلوب علمي منذ عام ١٩٥٨م. وقد توقفت هذه الأعمال بسبب الغزو العراقي لدولة الكويت عام ١٩٩٠م، ولم تستأنف مرة أخرى إلا في عام ١٩٩٩م.

تقع جزيرة فيلكا إلى الشمال الشرقي من مدينة الكويت العاصمة، وتبعد عنها مسافة ٢٠ كلم تقريبا. ويبلغ أقصى طول للجزيرة ما يقارب ١٤ كلم، ويبلغ أقصى عرض لها ما يقارب ٦ كلم. وأقرب نقطة من اليابسة الكويتية إليها شرقا هي رأس السالمية، وأقرب نقطة إليها من اليابسة الكويتية إلى الشمال الغربي هي رأس الصبية.

وسواحل الجزيرة أكثرها رملية، وهناك جزء منها صخري في بعض السواحل الجنوبية الغربية وفي منطقة الرويسية شمالا. ويغلب على سطحها الانبساط، وأعلى نقطة ارتفاع في الجزيرة عن مستوى سطح البحر تقع في الجنوب الغربي بمنطقة «تلال شبيجة» ويصل ارتفاعها إلى ١٠ أمتار تقريبا. وتمتاز الجزيرة بصلاحية شواطئها لرسو السفن؛ لأنها محمية من العواصف البحرية. وتشير الدراسات الأولية إلى أن الميناء القديم للجزيرة كان يقع بالقرب من منطقة «رأس الخضر»، التي تقع في الجهة الشمالية من الجزيرة. كما يوجد ميناء آخر في الجزء الجنوبي من الجزيرة قرب موقع المدينة الدلمونية.

لم يكن ما ذكرناه هو كل معالم مدينة الكويت، والمجال لا يتسع لذكر كل التفاصيل؛ لأن هناك معالم أخرى كثيرة مثل: أسواق الكويت التقليدية والحديثة، والنوافير الموسيقية، والجزيرة الخضراء، ومدينة الكويت الترفيهية، وحديقة الحيوان.. ولكن تبقى الكويت ديرة العز والشهامة، ديرة الكرم والطيب.. تنطلق في مسيرة البناء والتنمية محافظة على تراثها، لتبقى درة تزين عقد الخليج.

المراجع:

١ - هند سمير: الكويت.. درة الخليج، مجلة إدارة، ع ١٢، يوليو ٢٠١٢م.

٢ - ميمونة خليفة آل صباح: نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٤٦، أبريل ١٩٨٦م.

٣ - المهندس عبدالحميد شقير: مدينة الكويت.. عروس الخليج العربي، مجلة المسافر، ع ٦٤، مارس ٢٠٠٥م.

٤ - معالم الكويت السياحية والتاريخية: نشرة سياحية ٢٠٠٢م.

٥ - بعض مواقع الإنترنت ذات الصلة بالموضوع.

٦ - الأرشيف الخاص بالكاتبة.

التحرير



في معرض المغرب الدولي للكتاب الـ٢٢

العسعوسي: للكويت دور ريادي في المحافل الدولية الثقافية

أشاد الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية م. داود العسعوسي بتنظيم المملكة المغربية ممثلة بوزارة الثقافة للدورة الثانية والعشرين للمعرض الدولي للنشر والكتاب المقام من ١٢ إلى ٢١ فبراير الماضي في الدار البيضاء.

وأوضح العسعوسي الذي ترأس وفد «الأوقاف»: أن قطاع الثقافة في وزارة الأوقاف له دور مهم وحيوي في تسويق الثقافة والأدب والمنهج الوسطي المعتدل، وكذلك إبراز دور الوزارة على

المستويين المحلي والخارجي.

وقال العسعوسي إن الجناح شهد إقبالا كبيرا من قبل زوار المعرض بمختلف شرائحهم وانتماءاتهم، فضلا عن الوفود الرسمية وفي مقدمتهم أعضاء من الهيئة الدبلوماسية الكويتية لدى مملكة المغرب، ومنهم نائب رئيس البعثة المستشار غازي حامد الفضلي ونائب القنصل علي الظفيري.

وأكد أن مشاركة الوزارة في المعرض بهدف التأكيد على دور دولة الكويت الريادي في هذه المحافل الدولية الثقافية نظرا لما تتمتع به الكويت من سمعة مميزة في هذا المجال من خلال نشر دوريات متميزة ولها متابعون من جميع المثقفين العرب.

وأكد على دور الوزارة في المجال الثقافي عبر مؤلفات علمية ودوريات تقوم بنشرها مثل مجلة «الوعي الإسلامي» العريقة في الفكر الوسطي المعتدل، إضافة إلى المؤلفات العلمية المختلفة التي لقيت إقبالا منقطع النظير من قبل الكثير من المثقفين، فضلا عن إصداراتها المتعددة الصوتية والمرئية التي يصدرها قطاع الثقافة.

يذكر أن وفد الوزارة ضم الوكيل المساعد للشؤون الثقافية م. داود العسعوسي ومدير إدارة الإعلام الديني صلاح أبا الخيل والمراقب في الإعلام الديني خليفة الهاجري.



إقبال جماهيري على جناح الوزارة



لقطة لوفد الوزارة في جناح المعرض



القاهرة : إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

كشف عن الحلقة المفقودة بين البحث وصداه

د. محمود صقر: توجه عربي لدعم البحث العلمي بقوة

أكد رئيس أكاديمية البحث العلمي المصرية د. محمود صقر، وجود توجه عربي قوي خلال الفترة الأخيرة لدعم البحث العلمي وزيادة الاستثمار فيه، مشددا على أهمية التعاون البيني في هذا الصدد.
وأشار في حواره مع «الوعي الإسلامي» إلى وجود طرق حديثة لتعليم العلوم بأساليب تعزز الابتكار، وتخرج بسوق العمل العربي من إطار الاستهلاك إلى الإنتاج. وكشف عن الحلقة المفقودة بين البحث العلمي وصداه مجتمعيا.. فإلى التفاصيل.

• تتولى مسؤولية إحدى أعرق مؤسسات البحث العلمي في الشرق الأوسط، فكيف تقرأ وضع البحث العلمي في مصر والوطن العربي؟

- واقع البحث العلمي في مصر حاليا أفضل من ذي قبل، إذ يوجد تحسن نسبي، فالبيئة حاليا داعمة، حيث التقى رئيس الجمهورية عديدا من المبتكرين والعلماء ثلاث مرات خلال عام واحد، وكذلك هناك مجلس تخصصي للتعليم والبحث العلمي، ومجلس استشاري يضم علماء مصر ويتم الاعتماد عليه في التخطيط، مما يعد رسالة للجميع بأن القائمين على الدولة مهتمون بالبحث العلمي. ولعل البعض يقولون إن المردود غير ملموس، لكن الأمر يحتاج إلى وقت، والمعطيات تبشر بخير، فالدستور ينص على أن ١ في المئة من الدخل القومي مخصص للبحث العلمي، كما ينص على حرية البحث والتفكير. ويمكنني أن أؤكد أن تمويل البحث العلمي في ٢٠١٥م كان أفضل من الأعوام السابقة، والدولة تعمل من خلال رؤية تنموية حتى عام ٢٠٣٠م. ومن خلال تعاملنا مع عديد من الدول العربية، مثل الكويت والسعودية والإمارات والأردن ودول الخليج عموما، نلاحظ أن هناك توجها قويا جدا لدعم البحث العلمي، حيث تم إنشاء العديد من المؤسسات المعنية لتمويله وإنشاء أجهزة معنية بالابتكار والعلوم والتكنولوجيا، وتوجهات نحو توطين تكنولوجيا متقدمة.

لدينا مجموعة من قصص النجاح أثبتت كفاءتها في معرض القاهرة للابتكار

الحلقة المفقودة

• كيف تخرج النتيجة لو قارنا وضع البحث العلمي في الوطن العربي بنظيره في الغرب؟

- نحن نقيس عطاء العلماء من خلال مخرجات البحث العلمي، التي تتمثل في أبحاث علمية منشورة في مجلات علمية دولية، فبذلك نجد ترتيب مصر في المركز الـ٣٧ من ٢٢٥ دولة، بناء على عدد الأبحاث المنشورة في مجلات علمية دولية، ونجد أن مصر من ضمن ٤ دول موجودة في منطقة الشرق الأوسط (مصر وإيران وتركيا والكيان الصهيوني)، من حيث إنتاج البحث العلمي، لكن العائد من البحث العلمي على التنمية والاقتصاد في مرتبة متأخرة، وذلك يظهر من مؤشر الابتكار العالمي.

• ما السر في ذلك؟

- نحن في مجتمع قادر على إجراء البحث العلمي وإنتاج المعرفة، لكنه غير قادر على تحويل المعرفة ومخرجات البحث العلمي إلى قيمة اقتصادية مضافة، وبالتالي المردود منه ضعيف، ونحن نعمل على ذلك



أطلس العلوم والتكنولوجيا والابتكار يعزز التكامل العربي في هذا المجال

في الأكاديمية، حيث نربط البحث العلمي بالصناعة واحتياجات المجتمع، إذ هناك دائما حلقة مفقودة بين البحث العلمي والمجتمع، والربط يتم من خلال تطوير شبكة من مكاتب نقل التكنولوجيا على مستوى الجامعات والمراكز والمعاهد البحثية المصرية، فلدينا برنامج يسمى «نقل التكنولوجيا»، ففي كل جامعة مكتب خاص بنقل التكنولوجيا من داخل الجامعة إلى المجتمع المحيط، ويصل عددها إلى ٣٠ مكتبا تغطي معظم الجامعات المصرية والمراكز البحثية، كما أن لها دورا آخر يكمن في التوعية بثقافة الملكية الفكرية والابتكار.

ومن الآليات التي نعمل عليها: تطبيق مخرجات البحث العلمي، فمثلا في مجال الزراعة سنجد المراكز البحثية، مثل مركز البحوث الزراعية، قد طور أصنافا جديدة ذات إنتاجية عالية، فوصلت في الحقول التجريبية للفدان من القمح إلى نحو ٢٢ إردبا، لكن عندما نرى متوسط الإنتاجية عند المزارعين ١٨ إردبا للفدان فهناك فجوة، نظرا لأن التوصيات ونتاج الأبحاث التي تتوصل إليها المراكز لم يتم تطبيقها لدى المزارعين، فالأكاديمية تدعم برامج لتطبيق مخرجات البحث العلمي حتى تساعد في زيادة الإنتاجية.

كذلك ندعم الابتكار والمبتكرين، وفي الأعوام الأخيرة فقط نظمنا معرض القاهرة الدولي للابتكار، وكانت النسخة الأولى منه في نوفمبر ٢٠١٤م، والثانية في نوفمبر ٢٠١٥م، وكان بمنزلة سوق للابتكار يتم عرض الابتكارات فيه وتقييمها فنيا واقتصاديا، وما يرى منها أن له جدوى اقتصادية وأنه قائم على أساس علمي سليم، تتبناه الأكاديمية وتدعمه حتى يصل الابتكار إلى مراحله النهائية، ولدينا مجموعة من قصص النجاح في ذلك، فالآن توجد منتجات في السوق، مثل الجهاز الآلي لإطفاء الحريق ذاتيا، الذي تم تصنيعه واستثماره لإحدى الشركات، وحصل المبتكر على مبلغ مالي وقيمة من الأسهم في الشركة، وأيضا جهاز يستخدم في غرف العناية المركزة في المستشفيات كان يتم استيراده من الخارج بـ٥٠ ألف دولار تم تصنيعه محليا وحصل على الاعتماد من الاتحاد الأوروبي.

مازلنا نحتاج إلى جهد أكثر، ونعمل على إطلاق برنامج الحضانات التكنولوجية، بالتعاون مع الهيئة العامة للاستثمار، لاحتضان أفكار

المخترعين حتى الوصول بها إلى التنفيذ، ولدينا ٦٠ مبتكرا ومخترعا في الحضانة الأولى.

شبكة قومية وأطلس عربي

• إذن، ما خطط الأكاديمية في نقل وتوطين التكنولوجيا والشبكات العلمية؟

- مجتمع البحث العلمي في مصر كان يعمل في جزر منعزلة لفترات طويلة، لكن عندما توجهت مصر نحو الاستثمارات في مجال الطاقة الجديدة والمتجددة، سواء كانت شمسية أو نووية أو غيرها، كان تفكيرنا «أين الكتلة الحرجة من العمالة المصرية في هذه التخصصات؟»، فالأكاديمية لديها المرصد المصري لمؤشرات العلوم والتكنولوجيا والابتكار، الذي تم إنشاؤه في فبراير ٢٠١٤م، ويرصد حالة البحث العلمي في مصر، ففي الأكاديمية نعرف جميع المعلومات عن أفضل الباحثين في المجالات المختلفة وجميع أبحاثهم، وعندما حللنا خريطة البحث العلمي في مصر وجدنا أن هناك إمكانات لكنها مبعثرة في جميع الجامعات والمراكز والمعاهد البحثية، ولا يوجد هيكل إداري يضمهم لأنهم يتبعون وزارات مختلفة، فاقترحنا شبكات علمية لربط تلك الإمكانات ربطا وظيفيا بحيث تكون شبكة قومية للنانو تكنولوجي والبيوتكنولوجي، وبذلك فكل أعضاء الشبكة يتمثلون في المدارس العلمية المتميزة في المراكز والمعاهد البحثية. وتهدف الشبكة إلى وضع خطة موحدة لتطوير هذا القطاع، وألا تتراجع الأبحاث، وألا يكون هناك تكرار، وأن تنفذ مشاريع قومية.

وكذلك نتوجه إلى نقل التكنولوجيا من الخارج، والأهم من ذلك هو

أكثر من ٦٠ مبتكرا يتم تأهيلهم في حضانات تكنولوجية قبل تنفيذ أبحاثهم

توطينها، فمثلا إذا أنشأنا محطات نووية لإنتاج الكهرباء فذلك يحتاج إلى تشغيل وصيانة وتصنيع قطع الغيار والمعدات اللازمة لها، وهذا ما يسمى التوطين، ولدينا هدف أن تكون نسبة المكون المحلي في أي صناعة موجودة في مصر لا تقل عن ٥٠ في المئة مهما كانت الصناعة متقدمة.

• «الشبكة المصرية القومية للنانو تكنولوجي».. ما مدى أهميتها، وكيف تفيد العالم العربي؟

- الاستثمارات في مجال النانو تكنولوجي والأجهزة والمعدات مكلفة جدا وباهظة الثمن، وأيضا مبعثرة، إذ وجدنا أن هناك مجموعة من الأجهزة في جامعة المنصورة ثمنها يصل إلى عشرين مليون جنيه، وهناك أخرى في جامعة القاهرة والمركز القومي للبحوث وغيرها ممن يمتلكون وحدة للنانو تكنولوجي، وكلها تبلغ مئات الملايين من الجنيهات، لكن لا توجد واحدة منها مكتملة قائمة بذاتها تستطيع أن تعمل بمفردها، فكانت الفكرة أن نربط بين تلك الموارد بعضها مع بعض، ونضع إطارا ولائحة تكون بمنزلة دستور لهذه الشبكة، حيث تنص على أنه «من يقبل أن يكون عضوا في الشبكة فله الحق في استخدام الأجهزة والمعدات في الأماكن الأخرى»، ويوقع عليها رئيس الجهة وكل المسؤولين عنها؛ حتى تكون ملزمة، وأن يتعامل مع مشاريع وفرق قومية بحثية، والشبكة تمثل التعاون الدولي.

أما بالنسبة إلى فائدتها للعالم العربي، فمصر بحكم عضويتها في اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ومركز الإسكوا للعلوم والتكنولوجيا التابع للأمم المتحدة ومقره الأردن، وكذلك مؤسسات جامعة الدول العربية، فنعمل على ما يعرف بأطلس للعلوم والتكنولوجيا والابتكار في العالم العربي، وهذا مشروع بدأ في الأردن من الأميرة سمية بنت الحسن، رئيسة الجمعية الملكية الأردنية، حيث اقترحت أن كل دولة يكون لها أطلس للإمكانات البحثية المتاحة لديها، وتجمع في النهاية لتصبح أطلسا للعالم العربي، حتى نظهر للعالم إمكاناتنا في مجال البحث العلمي، وسيتم الانتهاء منه قبل عام ٢٠١٧م.

أزمة التعليم العربي

• برأيك.. لماذا يشهد التعليم العلمي حالة من العزوف؟

- بسبب استخدام طرق تقليدية غير مشجعة. لكن أصبحت هناك طرق حديثة جدا الآن لتعليم العلوم، وفيها ابتكارية؛ لأن سوق العمل في الفترات السابقة في معظم الدول العربية كان استهلاكيا، ولا توجد صناعة وتكنولوجيات قوية تخلق فرص عمل في مجالات الكيمياء أو الفيزياء أو الطاقة أو غيرها، فكان الكل يتجه إلى الكليات النظرية التي يحتاج إليها سوق العمل، على خلاف الوضع الآن.

• يعاني التعليم المصري والعربي من خلل رهيب، فكيف يمكن الارتقاء به ومن ثم بالبحث العلمي؟

- التعليم في العالم العربي يعاني من إشكاليات، والارتقاء به يكون من

خلال التوسع في بنية تحتية، حتى تكون القدرة الاستيعابية للطلاب في الجامعات أفضل، والتوسع في التعليم التكنولوجي على حساب التعليم النظري، وتطبيق معايير الجودة على كل الجامعات بحيث تكون معتمدة، كذلك نربط التمويل بترتيب الجامعات في الترتيبات العالمية، إضافة إلى رصد ميزانية جيدة للبحث العلمي.

٣ فئات من المبتكرين

● كثيرا ما نقرأ عن شباب وأطفال مخترعين أو على الأقل لديهم أفكار إبداعية.. فما مدى اهتمام الأكاديمية بهم؟

- هناك ٣ أنواع ممن يطلق عليهم مبتكرون: هناك شاب أو طفل لديه تفكير علمي جيد، ويفكر بطريقة جيدة، وشغوف بالبحث العلمي، ويعطي فكرة لكنها موجودة أو مسجلة براءة اختراع أو سبق تطبيقها في دول أخرى، فيتم التعامل معه من باب التشجيع، حتى يستمر في التفكير العلمي ويطور نفسه وإمكاناته فقط. وهناك مجموعة أخرى تكون لديها ابتكارات بالفعل على أساس علمي سليم، تكون جديدة وليست مسجلة في أي مكان في العالم، لكن ليس لها مردود اقتصادي، فيتم التعامل معها بطريقة أخرى، بحيث نجعله يتقدم بطلب براءة اختراع حتى يحمي حقه، وما ليس له فائدة اقتصادية في الوقت الحالي قد تظهر له قيمة اقتصادية في المستقبل. والمجموعة الثالثة هي الأهم، وهم من يكون لديهم ابتكارات جديدة ذات قيمة اقتصادية عالية جدا، لكن عددهم قليل جدا، فتهتم بهم الأكاديمية، وما يحدث هو الخلط بين الأنواع الثلاثة، ويتم تسويق أحد من المجموعة الأولى على أن لديه شيئا جاهزا للتطبيق وله قيمة اقتصادية، والأكاديمية لما لديها من خبرات وإمكانات تهتم بما يعرض عليها، وفي المقابل هناك من لا يتوجهون إلينا بأفكارهم ويسوقونها من خلال الإعلام على أنها ابتكارات فريدة من نوعها.

شبكة قومية لكل خبراء النانو تكنولوجي والبيوتكنولوجي تعمل بخطة موحدة

● ما العقبات التي تعترض طريق الأكاديمية في مد يد العون للباحثين والمخترعين ومن ثم يضطرون إلى قبول أي يد تمد لهم من خارج وطنهم؟

- لدينا مشكلة تكمن في أن جميع المبتكرين والمخترعين لا يستطيعون الوصول إلى أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، وواضح أننا لا نستطيع الوصول إلى الجميع، وهذه إشكالية عملنا عليها، فدشنا مكاتب نقل تكنولوجيا في الجامعات على مستوى الجمهورية، ونعمل مع مؤسسات المجتمع المدني، حيث لديها تواجد في المجتمع أكثر من المؤسسات الحكومية، لأن طبيعة عملها مع الجمهور غير المؤسسات الحكومية التي تعمل مع النظام الأكاديمي والجامعات والمراكز والمعاهد البحثية، في حين أن نسبة كبيرة جدا من المبتكرين من خارج الجامعات والمعاهد البحثية.

● هل هناك تعاون عربي في مجال البحث العلمي؟ وهل يمكن تحويله إلى قيمة اقتصادية؟

- بالتأكيد، وأكبر تعاون بين مصر والأردن، وهناك تمويل مشترك بين صندوق العلوم والتنمية التكنولوجية في مصر وصندوق دعم البحث العلمي في الأردن، وكذلك مصر وتونس والمغرب والسودان، كما نتعاون مع دول الخليج من خلال تبادل الخبرات.

ويمكن تحويل البحث العلمي إلى قيمة اقتصادية إذا تم توجيهه إلى حل مشاكل المجتمع، ويكون هناك تسويق للفكرة قبل البدء في تنفيذها.

نستقطب الشباب

● يتهم البعض الأكاديمية وكل الأكاديميات المشابهة في الوطن العربي بأنها تنطلق من أفكار وأسس تقليدية، بينما الابتكار والإبداع ينطلق من الخيال واللامتوقع.. فكيف يمكن الالتقاء بين النقيضين؟

- الآن نعمل مع الشباب بفكرهم، فلأول مرة في تاريخ الأكاديمية أطلقنا معرضا دوليا للابتكار وبرنامجا تلفزيونيا للمسابقات يسمى «القاهرة تبتكر»، وهو عبارة عن مسابقات بين المبتكرين الشباب، وسيؤدي إلى تحول جذري في مصر.

● كلمة أخيرة توجهها إلى الباحثين والمبتكرين، خصوصا من فئة الشباب.

- أعلم أن هناك ثقة مفقودة بين الشباب ومؤسسات البحث العلمي، لكن أقول لهم: «حاولوا تجربوا» فنحن نريد تغيير ذلك المفهوم ونتعامل مع الشباب بقوة، والأكاديمية تعطي برامج لا حصر لها لدعم الشباب، ومنها برنامج «جامعة الطفل» وكذلك «الجيل القادم»، وجهاز تنمية الابتكار وأكاديمية الشباب.

سعد عبدالله الجدعان
باحث أكاديمي



شفعةُ الجار

الشفعة في اللغة

الشفعة (بضم الشين وسكون الفاء): اسم مصدر بمعنى التملك (١).

تعريف الشفعة اصطلاحا

هـي استحقـاق الشـريك فـي الأرض انتزاع حصة شريكه ممن انتقلت إليه بعوض (٢).

مشروعية الشفعة

ثبتت مشروعيتها بالسنة الشريفة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «قضى النبي ﷺ بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة» (٣).

وهذا الحديث أصل في ثبوت الشفعة.

وفـي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشفعة في كل شرك (٤): في أرض أو ربع أو حائط، لا يصلح أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو يدع، فإن أبى فشريكهُ أحق به حتى يؤذنه» (٥).

الإجماع

أجمع أهل العلم على إثبات الشفعة للشريك الذي لم يقاسم فيما بيع من أرض أو دار أو حائط (٦).

حكمة مشروعية الشفعة

الشفعة من محاسن الإسلام، شرعت لنفع الشريك ودفع الضرر عنه، فربما يشتري نصيب شريكه عدو له، أو ذو أخلاق سيئة، أو ممن لا يرغب في جواره، فيحدث بسبب ذلك التباغض والتقاطع، ويتأذى الجار، وتزيد الفرقة والخلاف، لهذا شرع الله الشفعة؛ دفعا للأذى والضرر (٧).

حكم شفعة الجار

اختلف الفقهاء في ثبوت شفعة الجار الملاصق الشريك على قولين:

القول الأول

ذهب مذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى عدم ثبوت الشفعة للجار ولا الشريك في حقوق المبيع (٨)، واستدلوا بقول النبي ﷺ: «الشفعة فيما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة» (٩).



وقوله ﷺ: «إذا قسمت الأرض وحدة فلا شفعة فيها» (١٠).

وجه الدلالة من هذين الحديثين: الشريك إذا قاسم ووقعت بينه وبين شريكه الحدود وصرفت الطرق، أصبح جارا فلا شفعة له.

القول الثاني

ذهب الحنفية إلى إثبات الشفعة للجار الملاصق والشريك في حق من حقوق المبيع، وسبب وجود الشفعة عندهم أحد شيئين:

- شركة في ملك المبيع.
- شركة في حقوقه؛ كالشرب والطريق.

واستدل هؤلاء بالحديثين الآتيين:

١- ما رواه أبو رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجار أحق» (١١).

٢- ما رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «جار الدار أحق بالدار» (١٢).

شروط الشفعة

١- أن يكون الملك المباع مشاعا غير مقسوم.

٢- أن يكون المباع أرضا.

٣- أن يكون المبيع مما يمكن قسمته.

٤- أن يكون شقصا بعوض منقلا بعوض (١٣).

الهوامش

١- المختار من صحاح اللغة، ص٣٧.
٢- المغني لابن قدامة، (٥/٤٥٩).
٣- صحيح البخاري في الشفعة، ٢٢٥٧.
٤- أي كل مشترك.
٥- صحيح مسلم (٣/١٢٢٩).
٦- الإجماع لابن المنذر، ص١٢١، رقم الإجماع ٥١٢.
٧- إعلام الموقعين ٢/٤٧٢.
٨- حاشية الدسوقي ٣/٤٧٤، والشرح الصغير ٢/٢٢٨، ومغني المحتاج ٢/٢٩٧، حاشية البجيرمي ٣/١٣٦، وفتح العزيز شرح الوجيز ١١/٣٩٢، والمغني ٥/٤٦١، والمقنع ٢/٢٥٨.
٩- صحيح البخاري في الشفعة، ٢٢٥٧.
١٠- أخرجه أبو داود ٥٣١٥، ابن ماجه ٢٤٩٧، والنسائي ٧/٣٢١.
١١- رواه البخاري، رقم ٢٢٥٨، وأبو داود، رقم ٣٥١٦.
١٢- رواه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح.
١٣- اختيارات ابن قدامة الفقهية، ص ٤١٨.

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية - الكويت

فقه التعامل مع النعم



امتن الله تعالى على عباده بالنعم، وأسبغ عليهم تلك النعم ظاهرا وباطنا، فالمرء محاط بنعم الله، كيف لا، وهو نعمة من نعم الله تعالى، فالمرء نعمة الله على والديه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ (النحل:٧٢).

ولما خلق الله تعالى الإنسان، فأوجد له السبل للعيش والحياة، وسخر له ما في السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣)، فيتفكر المسلم في خلق الله تعالى وأن هذا الكون بكل ما فيه مسخر له؛ حتى يكون عبدا لله حقا، كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ (إبراهيم:٣٢-٣٣)، فكل ما في الكون من سماء وأرض، وأنهار وبحار، ونبات وأشجار، وشمس وقمر وليل ونهار وغير ذلك من المخلوقات من نعم الله تعالى على الإنسان.

وهذه النعم هي النعم الكونية، وهناك نعم دينية، كنعمة الإسلام، ونعمة الرسول ﷺ، وختم الرسالات به، ونعمة الهداية.

وهناك نعم دنيوية، كنعمة الولد ونعمة المال، ونعمة الزوجة، ونعمة الغنى، ونعمة الصحة وغيرها من النعم الدنيوية.

وفي عدة الصابرين (ص:١٤٢): قال وهب بن منبه: رؤوس النعم ثلاثة؛ فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها. والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا به.

وقسم الإمام ابن القيم النعم إلى ثلاث، فقال في الفوائد (ص:١٧٢): النعم ثلاثة؛ نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة

هو فيها لا يشعر بها. فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده؛ عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدا به حتى لا تشرد؛ فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدها، وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه وعرفه النعم التي هو فيها فلا يشعر بها.

ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها، بحسن الظن به، ودوام طاعته، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها. فأعجبه ذلك منه، وقال: ما أحسن تقسيمه!

ولما كانت النعم ابتداء من المنعم سبحانه وتعالى، وجب على العبد أن يفقه حسن التعامل مع تلك النعم لبقائها وزيادتها، ومن فقه التعامل مع نعم الله تعالى ما يلي:

أولا- العلم بالمنعم على الحقيقة

من فقه النعمة أن يوقن المسلم أن المنعم هو الله تعالى ليس غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل:٥٣)، ذلك أن طبائع بعض البشر إذا كثرت عندهم النعم غرتهم أنفسهم، وظنوا أنهم هم مصدر النعمة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٤٩)، وكما قص الله تعالى على لسان قارون، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص:٧٨).

ثانيا- شكر النعمة

ومن فقه النعم أن يشكر الإنسان المنعم سبحانه وتعالى على ما وهبه من النعم الكثيرة، وهذا الشكر مردود عليه محفوظ له عند ربه سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان:١٢). وشكر النعم من الواجبات المفروضة، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢)، وقوله سبحانه: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:٦٩)، قال الحليمي: فثبت بهاتين الآيتين ونحوهما وجوب شكر الله تعالى على العباد لنعمه السابقة عليهم.

وأفضل الشكر يكون على نعمة الإسلام، كما قال الحليمي: «وأولى النعم بالشكر نعمة الله تعالى على العبد بالإيمان والإرشاد إلى الحق، والتوفيق لقبوله، لأنه هو الغرض الذي ليس بتابع لما سواه، وكل غرض سواه فهو تابع له، والتيسير له نعمة عظيمة تقتضي الشكر لها بالانتهاء عن المعاصي وإتباع الإيمان حقوقه؛ لأن الإيمان بالله عهد بينه وبين العبد ولكل عهد وفاء. وكل عبادة تتلو الإيمان من فعل شيء فهو شكر لنعم الله تعالى، والتيسير لكل شيء من ذلك نعمة يجب شكرها بالقلب واللسان» (المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٥٥٤).

ثالثا- عدم الإفراط في الفرح بالنعمة

ومن فقه العبد أن لا يبالغ في الفرح بالنعمة فرحا يخرجه عن حد العبودية، فيكون فرحه -كما في الظلال (٥/ ٢٧١١)- فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال، والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالملك والاستحواذ.. لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال وينسي نعمته، وما يجب لها من الحمد والشكران. لا تفرح فرح الذي يستخفه المال، فيشغل به قلبه، ويطير له لبه، ويتطاول به على العباد..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.. فهم يردونه بذلك إلى الله، الذي لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال، المتباهين، المتطاولين بسلطانه على الناس.

ولهذا قال الله تعالى على لسان العقلاء من قوم هارون ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (القصص:٧٦-٧٧).

والاعتدال في النعم أن يرجو المرء الدار الآخرة فيما آتاه الله من تلك النعم، كما قال ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧).

فنعم الله تعالى خلقت ليستمتع بها الخلق في طريقهم إلى الله تعالى، فتحقق الموازنة والاعتدال في حياة المسلم الذي يجعل الدنيا مزرعة للآخرة.

رابعا- استعمال النعمة في الطاعة

ومن فقه النعمة أن يستعمل المرء نعمة الله تعالى عليه في طاعته، فقد قال المناوي في (فيض القدير ٢/٢٩٣) في شرح حديث الترمذي:

«إن الله تعالى يحب أثر نعمته على عبده... أن الله تعالى يحب أن يرى مزيد الشكر لله تعالى بالعمل الصالح والثناء والذكر له بما هو أهله والعطف والترحم والإنفاق من فضل ما عنده في القرب ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ﴾ (القصص:٧٧)، والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله فيرى في أثر الجدة عليه زيا وإنفاقا وشكرا، هذا في نعمة الله».

أما في النعمة الدينية، فبأن يرى على العبد نحو استعماله للعلم فيما أمر به، وتهذيب الأخلاق، ولين الجانب والحلم على السفيه، وتعليم الجاهل، ونشر العلم في أهله، ووضعه في محله بتواضع ولين جانب في أبهة واحتشام.

وفي ولاة الأمور بالرفق بالرعية، وإقامة نواميس العدل فيهم، ومعاملتهم بالإنصاف، وترك الاعتساف، إلى غير ذلك من سائر ما يجب عليهم ويطّرد ذلك في كل نعمة مع أن نعمه تعالى لا تحصى.

خامسا- إظهار النعمة

ومن فقه النعم -كما قال الصنعاني في سبل السلام- أن الله إذا أنعم على عبد نعمة فإنه يحب أن يرى أثرها عليه في مأكله، وملبسه، فإنه شكر للنعمة؛ ولأنه إذا رآه المحتاج في هيئة حسنة قصده ليتصدق عليه؛ ولأن بذاذة الهيئة سؤال وإظهار للفقر بلسان الحال، ولذا قيل: ولسان حالي بالشكاية ينطق

وقيل: وكفاك شاهد منظري عن مخبري.

وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أوسع الله عليكم فأوسعوا على أنفسكم.

وروى النسائي عن مالك بن نضلة الجشمي قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالسا، فرآني رث الثياب فقال: ألك مال؟ قلت: نعم، يا رسول الله، من كل المال. قال: ﷺ «إذا آتاك الله مالا فلير أثره عليك». وروى أبوسعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

سادسا- التحديث بنعمة الله

ومن فقه النعم أن يحدث المسلم بنعمة الله تعالى عليه، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ (الضحى:١١)، وقد كان هذا منهج السلف الصالح، فقد أخرج الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٨٩) عن أبي نضرة، قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها.

وفي تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٤) عن الحسن بن علي في قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ قال: إذا أصبت خيرا فحدث إخوانك.

وفي تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٢): قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء. والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر. وعن الحسن ابن علي رضي الله عنهما قال: إذا أصبت خيرا، أو عملت خيرا، فحدث به الثقة من إخوانك.

وعن عمرو بن ميمون قال: إذا لقي الرجل من إخوانه من يثق به، يقول له: رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا.

وكان أبوفراس عبدالله بن غالب إذا أصبح يقول: لقد رزقني الله البارحة كذا، قرأت كذا، وصليت كذا، وذكرت الله كذا، وفعلت كذا. فقلنا له: يا أبا فراس، إن مثلك لا يقول هذا! قال يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ وتقولون أنتم: لا تحدث بنعمة الله!

وقال بكر بن عبدالله المزني قال النبي ﷺ: «من أعطي خيرا فلم ير عليه، سمي بغيض الله، معاديا لنعم الله».

وقد جعل النبي ﷺ التحدث بنعمة الله تعالى من شكره نعمه، فقد روى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ: «من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر الله، والتحدث بالنعم شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب».

سابعا- ترك العجب بالنعمة

ومن فقه النعمة أن لا يعجب المرء بالنعمة وينسى صاحب النعم سبحانه وتعالى، لأن هذا يورث العجب بالنفس، ففي (المدخل لابن الحاج ٣/ ٥٤) أن أصل العجب عند العلماء هو حمد النفس، ونسيان النعمة، وهو نظر العبد إلى نفسه، وأفعاله، وينسى أن ذلك إنما هو منة من الله تعالى عليه، فيحسن حال نفسه عنده، ويقل شكره، وينسب إلى نفسه شيئا هو من غيرها، وهي مطبوعة على خلافه.

ثامنا- عدم تبديل النعمة

فالمحافظة على نعم الله تعالى من فقه النعم، وعدم تغييرها وتبديلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (البقرة:٢١١).

فإن يبدل نعمة الله عليه بالآيات الدالة على الحق، والوحدة الداعية إلى الشكر «من بعد ما جاءته» بالبيان، وأبرهت بالبرهان، بجعلها مثارا للتفرق والاختلاف، وجعل الأمة الواحدة شيعا وأحزابا ومذاهب وفرقا بسوء التأويل وعصبيات الرياسة والسياسة «فإن الله شديد

العقاب» لمن تنكب سنته وخالف شرعته (تفسير المنار ٢/ ٢١٤).

تاسعا- تذكر نعم الله

فمن فقه النعم أن يتذكر الإنسان نعم الله تعالى عليه دائما، لأن تذكر النعم فيه تذكر للمنعم سبحانه وتعالى، والتذكر هنا بمقام الشكر والحمد والثناء عليه سبحانه وتعالى، والتذلل والتضرع له -جل في علاه-، وقد خاطب الله تعالى عباده بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (الأحزاب:٩)، وطالب أنبياءه أن يذكروا أتباعهم بتذكر نعم الله عليهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة:٢٠).

قال الطبري في تفسيره (١٠/ ٩١): واذكروا نعمة الله عليكم أيها المؤمنون، بالعقود التي عقدتموها لله على أنفسكم، واذكروا نعمته عليكم في ذلك بأن هداكم من العقود لما فيه الرضا، ووفقكم لما فيه نجاتكم من الضلالة والردى في نعم غيرها جمة.

فتذكر النعم فيه ضمان السعادة في الدارين، كما جاء في (تفسير المنار ٢/ ٣١٧):

«واذكروا نعمة الله عليكم» بإرسال هذا الرسول، وبيان الحدود والحقوق التي تحفظ لكم الهناءة في الدنيا، وتضمن لكم السعادة في الآخرة.

عاشرا- ثبات النعم وتغيرها

ومن فقه النعم أن الله تعالى لا يغير ما بقوم من نعم أنعم بها عليهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من أهلية حلول النعم عليهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال:٥٣).

وهو تعبير عما آلت إليه أمة الإسلام كما في تفسير المنار (١٠/ ٣٨): «أرشدنا سبحانه في محكم آياته إلى أن الأمم ما سقطت من عرش عزها، ولا بادت ومحي اسمها من لوح الوجود إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنها الله على أساس الحكمة البالغة، إن الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة، حتى يغير أولئك ما بأنفسهم من نور العقل، وصحة الفكر، وإشراق البصيرة، والاعتبار بأفعال الله في الأمم السابقة، والتدبر في أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا، وحل بهم الدمار، ثم لعدولهم عن سنة العدل، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة، حادوا عن الاستقامة في الرأي، والصدق في القول، والسلامة في الصدر، والعفة عن الشهوات، والحمية على الحق، والقيام بنصره، والتعاون على حمايته، خذلوا العدل، ولم يجمعوا هممهم على إعلاء كلمته، واتبعوا الأهواء الباطلة، وانكبوا على الشهوات الفانية، وأتوا عظائم المنكرات، خارت عزائمهم، فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة واختاروا الحياة في الباطل على الموت في نصرة الحق، فأخذهم الله بذنوبهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين.

حادي عشر: سؤال الله النعم

ومن فقه النعم أن يسأل العبد ربه سبحانه وتعالى مسألته، ولا يمل من السؤال، فالله تعالى يعطي الناس ما سألوه من النعم وما لم يسألوه، فهو ينعم على عباده بالطلب وبدون الطلب، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (إبراهيم:٣٤).

ثاني عشر- نعم الله غير محصورة

ومن فقه النعم أن يدرك العبد أن نعم الله تعالى غير محصورة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (إبراهيم:٣٤)، لا يمكن الإنسان حصرها ولا عدها، ولو حاول ذلك، «وذلك مثل النعم المعتاد بها التي ينسى الناس أنها من النعم، كنعمة التنفس، ونعمة الحواس، ونعمة هضم الطعام والشراب، ونعمة الدورة الدموية، ونعمة الصحة. وللفخر هنا تقرير نفيس فانظره. (التحرير والتنوير ١٣/ ٢٣٦).

فنعم أكبر وأكثر من أن يحصيها فريق من البشر، أو كل البشر. وكلهم محدودون بين حدين من الزمان، بدء ونهاية. وبين حدود من العلم تابعة لحدود الزمان والمكان. ونعم الله مطلقة -فوق كثرتها- فلا يحيط بها إدراك إنسان» (في ظلال القرآن ٤/ ٢١٠٨).

وأكثر النعم لا يدريها الإنسان، لأنه يألفها فلا يشعر بها إلا حين يفتقدها.. وهذا تركيب جسده ووظائفه متى يشعر بما فيه من إنعام إلا حين يدركه المرض فيحس بالاختلال؟ إنما يسعه غفران الله للتقصير ورحمته بالإنسان الضعيف «إن الله لغفور رحيم».. (في ظلال القرآن ٤/ ٢١٦٤).

وإن كانت نعم الله لا تعد ولا تحصى فكيف يشكرها المسلم؟

يجيب عن ذلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٤/ ١٢٣)

بأن قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: «للتنبيه على وفرة نعم الله تعالى على الناس بحيث لا يستطيع عدها العادون، وإذا كانت كذلك فقد حصل التنبيه إلى كثرتها بمعرفة أصولها وما يحويها من العوالم».

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية



وقليل من عبادي الشكور

جاءت خادمة لتعمل لدى امرأة كبيرة في السن في بيتها، فلاحظت هذه المرأة المتقدمة في العمر أن تلك الخادمة تسرف كثيرا في عيدان الثقاب حين تشعلها، فتستخدم العديد منها لإشعال النار في حين قد تستخدم واحدا أو عددا أقل، فما كان من صاحبة البيت إلا أن عاتبت تلك الخادمة على إسرافها وطلبت منها الاقتصاد في أعواد الثقاب، تعجبت الخادمة من كلام هذه المرأة وقالت في نفسها: ما أشد بخل هذه المرأة! ويبدو أن حياتي ستكون صعبة في هذا البيت الشحيح، وبعد فترة وجيزة جاء سائل محتاج إلى البيت وطرق الباب ففتحت الخادمة له، وعندها قالت له الخادمة: اذهب من هنا فهذه المرأة صاحبة البيت لن تعطيك شيئا، فانصرف السائل حزينا، ثم سألت صاحبة البيت عن الطارق، فأخبرتها الخادمة، فقالت لها المرأة انطلقي بسرعة لتنادي على هذا السائل لأعطيه ما تيسر، فانطلقت الخادمة متعجبة وعادت ومعها السائل، فأعطته صاحبة البيت المال الوفير، وملابس وطعاما حتى انشرح وجهه. فتعجبت الخادمة من صنيع المرأة، وقالت لها أتسمحين لي بسؤال؟ فقالت المرأة: نعم، فسألت الخادمة: بالصباح عاتبتني على عيدان ثقاب لا تساوي شيئا حتى ظننت أنك شديدة البخل ولكن عندما جاء السائل أكرمته على أحسن ما يكرم المرء ضيفه، فكيف ذلك؟ فقالت المرأة: يا بنيتي، أنا عاتبتك على عيدان الثقاب ليس لثمنها وليس بخلا مني، بل لأنها من نعم الله تعالى علينا والتي يجب ألا نضيعها دون فائدة أو أن نسرف في استخدامها، فأنا لا أريد منك تعلم الإسراف وإضاعة المال بغير فائدة، فأنت إن تعودت الإسراف فستسرفين في الماء والطعام والكهرباء وكل النعم، أما ما فعلته مع السائل فهو من شكر النعم وحمد الله المعطي،

وبالشكر تدوم النعم، وبالإسراف تزول النعم وتستجلب النقم.

نعم الله لا تعد ولا تحصى

لو جلسنا نعدد نعم الله فلن تنتهي، فيكفيك مثلا ذاك الجسد بما تملك من نعم به ومن صحة وعافية، فالبصر نعمة لا تقدر بثمن، وكذا السمع الذي هو أول حاسة للتعلم واللغة، ونعمة العقل والذكاء والإدراك والتفكير والتحليل الذي لولا العقل لما طاب لنا عيش ولما افترقنا عن الحيوان، وتفكر كم جهازا في جسمك: جهاز هضمي، وجهاز تنفسي، وجهاز عضلي، وأسنان، وجهاز تناسلي، ودموي، وجهاز عصبي، وعضلي... وكل جهاز منها دقيق بشكل يصعب تصوره، ويكفيك أن تتخيل كيف لأطباء الأرض أن يتخصص كل واحد منهم بواحد من تلك الأجهزة فقط، فالحمد لله على نعمة الصحة والجوارح، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١) .

● نعمة الحياة، نعمة الأمن والرفاه في بلدك، ولا يشعر بمقدار تلك النعمة إلا من فقدها، فاسأل من تشرد أو نام تحت قصف المدافع والطائرات، فأي نعم تلك التي نتقلب فيها! والتي نسأل الله أن يديمها على بلادنا العربية والاسلامية.

● نعمة الأهل والأسرة والعائلة الحاضنة، ونعمة الأبناء، ولا يعرف تلك النعم إلا من تجرع بشيء من فقدها، فاللهم احفظها وبارك لنا بها .

● نعمة المال، ونعمة الطعام بشتى أصنافه، والمسكن الحسن، والماء البارد النظيف، والسفر والاستمتاع بجمال الطبيعة وبما خلق الله تعالى في شتى البلاد، ونعمة الطائرات ووسائل النقل المختلفة.

● نعمة العلم والتعليم لك ولأبنائك، وتوفر المدارس والمعاهد والجامعات.

● ونعمة الجمال وحسن المظهر وكمال الأعضاء.

● نعمة الرأفة بنا والتلطف من كثير من العواقب، ونعمة الدواء والشفاء، والرحمة بين البشر كالأمهات لأبنائهن.

● نعمة الإسلام وأن من الله علينا بدين عظيم شامل كامل لكل مناحي الحياة والآخرة، وهي أعظم نعمة منها الله بها علينا إذ بها الخلود في الجنان بإذن الله.

● نعمة اللغة، والله من علينا بأن جعلنا من العرب، ولغتنا عربية، فنحن نقرأ القرآن الكريم بكل سهولة ويسر ونفهم ما نقرأ، وهذه نعمة لا يقدرها إلا غير العرب من المسلمين.

نعم كثيرة لا يمكن حصرها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (ابراهيم:٣٤). فأغدق علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

القاعدة في دوام النعمة

فكيف نحفظ النعم؟ قال الله تعالى:

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ (ابراهيم:٧).

فالله تعالى أوضح بأنه أعطى نعما لا تعد ولا تحصى، ومن أجل بقاء واستمرار تلك النعم فلابد من شكر الله تعالى عليها، لأن جحود النعم والاستخفاف بها وعدم الاعتراف بفضل الله تعالى كواهب ورازق وخالق لتلك النعم، ومعصيته والمجاهرة في تحدي الخالق يؤدي لغضب الله وعذابه والحرمان من تلك النعم.

ولنضرب مثلا لذلك، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف:١٧٥-١٧٦).

فهذا الرجل المقصود اسمه بلعام وهو من بني إسرائيل، كان مع موسى عليه السلام، علمه الله التوراة، فمن الله عليه بنعمة العلم والفهم والفقه للتوراة، فلما تعلمها ذهب إلى قوم كفار ليفاوضهم على الصلح مع نبي الله موسى عليه السلام والإيمان به واتباعه، ولكنه عندما رأى دنياهم وكنوزهم وذهبهم وفضتهم كفر بالله العظيم، وآثر الدنيا على الآخرة فنسي حق الله بإيصال العلم والرسالة وشكره على نعمه الكثيرة! فكان أن سلبه الله نعمة الفقه والفهم منه وتركه بليدا كالحمار، لأنه أصبح من الغاوين قائدا في الضلالة، وأستاذا في الجهالة فشبه الله تعالى هذا الرجل كمثل الكلب، الذي يمد لسانه ويلهث إن كان في الظل أو في الشمس، فهو يلهث في الجهل وفي المعصية سواء تعلم أو لم يتعلم، فقد اختار الدنو من الأرض باتباع هواه، فضربه الله سبحانه وتعالى مثلا لكل من جحد نعمة الله ورد معروفه عزوجل.

وكذا كثير من الناس ينعم الله عليهم بنعم ظاهرة وباطنة فيكفرونها، ويجحدون خالقها فيسلبها سبحانه وتعالى منهم، ثم ينكل بهم جزاء لما

جحدوا من المعروف وأنكروا من الحق، فيصبحون أذلاء محتاجين للناس بعد أن كانوا ذوي رفعة وشأن وغنى.

مثال آخر لعاقبة جحود النعمة:

قال عز من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ (سبأ: ١٥-١٧).

فهذه قرية سبأ رائعة الجمال في اليمن، كانت واقعة بين الحدائق والبساتين يمنة ويسرة بين جبلين، لها من بين يديها ومن خلفها أنواع الثمرات، وعندهم سد عظيم يختزن آلاف البراميل من المياه، وأغدق الله عليهم النعم، سماؤهم تمتلئ بالغيوم، شمسهم غير حارقة، وثمارهم يانعة يقطفونها، يشربون ماء باردا، يتظللون في ظل وارف، يتنعمون في معيشة ساكنة محببة للنفس، وأرسل الله إليهم الرسل ليرشدوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وليشكروا نعم الله عليهم ويؤدوا حقها، والابتعاد عما يغضب الله، ولكن هل صدقوا وآمنوا؟

لقد كفروا وجحدوا بنعم الله وأنكروا وجود الله وتمردوا على الخالق الواهب، فكفروا وبخلوا ورفضوا إطعام الفقراء، فقالوا ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، من أجل منع الزكاة والصدقة من أموالهم حتى لا يأتيهم فقير ولا مسكين! فماذا كانت عاقبتهم؟

أرسل الله عليهم العقاب، فالجزاء من جنس العمل، فيقال أرسل الله عليهم فأرا صغيرا؛ نحت في سد مأرب العظيم، فسقط السد وذهبت دنياهم وآخرتهم، اجتاحتهم مياه السد العارمة كالسيل فدمرت قراهم جميعا، وهدمت بيوتهم، وأغرقت أشجارهم وأعنابهم ونخيلهم وبساتينهم، فتحولت جناتهم إلى أكل خمط كريه للنفس فثمارهم فسدت، وأصبحوا عبرة لكل من يتحدى الله ولا يؤدي شكر الله تعالى على نعمه ولا يطعم منها المحتاجين.

بطر النعمة يذهب النعم

كثيرا ما نسمع عن أطعمة ترى في النفايات بعد دعوة إلى طعام أو احتفال بفندق أو صالة أو مطعم، ولك أن تعلم أن كل ما نتركه في أطباقنا حينما نذهب إلى حفلة أو مطعم فإن مصيره يكون سلة النفايات، ولا يسمح بإعادته إلى مائدة الطعام مهما كانت حاله نظيفة، وراقب ذلك وسترى كم الأطعمة التي ترمى في الحاويات للمهملات! والأسوأ أن عمال تنظيف الموائد تعطى لهم التعليمات برميها ولا يسمح لهم بالأكل منها البته، ولا بالأخذ منها لعيالهم وعائلاتهم! فهو يرمي تلك الأطعمة في الحاويات، ونفسه تشتاق للقمة منها، ونفسه تتحسر على عياله الجوعى الذين يتركهم خلفه كل يوم، ولو خالف الأنظمة لوجد نفسه مفصولا من العمل!

فالحذر الحذر من ذلك البطر فالله تعالى يقول: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص:٥٨). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:١٦). فالله يعطي البشر فرصة للإصلاح وتغيير المسار والسلوك عن الترف والبطر ومعصية الله، ولكن إن تكررت تلك السلوكات وأصبحت عامة وطامة وثقافة مجتمع، وأصبح المجتمع لا يلقي لها بالا ولا يحرك لها ساكنا، فعندئذ عليها أن تنتظر مصيرا سيئا ساحقا لذاك الجحود والنكران.

واليوم نسمع الدعوات من أجل الصحوة من تلك الغفلة والترف والبعد عن الله تعالى، فهي دعوات لعدم الإسراف والتبذير في المال والطعام والملابس والأحذية والسيارات والمقتنيات والأبنية والبيوت وأثاثها ووسائل الترفيه.

أو كلما اشتهيت اشتريت!

ونسمع عن جمعيات وبجهود فردية تعمل على جمع بقايا الموائد في الحفلات وإعادة ترتيبها وتجميعها بشكل لائق ووضعها في علب نظيفة من أجل توزيعها على العائلات المستورة الفقيرة والتي لا أكثر منها في زماننا، وبالمقابل ما أقل تلك الجمعيات! ونسمع عن مبادرات لمخالفات تعطى في المطاعم لمن يترك طعاما في صحنه وذلك في الدول الغربية، فلماذا لا يطبق في بلادنا الإسلامية ونحن الأولى بالتطبيق من باب حفظ النعمة التي أمرنا بها؟

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا

﴿يَصۡنَعُونَ﴾ (النحل:١١٢)، فكفر النعم يكون بإنكار فضل الله بها ومعصيته، والتبذير بالنعم، كمن يرمي الأطعمة في النفايات ويحرم الفقراء!

ونسمع توجيهات تحذر من أن الإسراف والترف وارتكاب المعاصي يؤدي إلى زوال النعم ويدفع إلى النقم، فالله تعالى قادر على تحويل القرى والمدن الآمنة إلى قرى خاوية غير مسكونة لتعاني الجوع والفقر والحرمان وعدم الأمن بعد أن كانت في رغد من العيش، وذلك بسبب الجحود ونكران حق الله تعالى والبعد عن منهج الحق وعن شكر الله تعالى.

شكر النعم

وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣) فتلك طبيعة الكثير من البشر النسيان للنعمة والاستخفاف بها ونسيان واهبها. وكان أحد الأعراب يدعو: اللهم اجعلنا من القليل اللهم اجعلنا من القليل، فسأله عمر بن الخطاب عما يقصد بالقليل؟! فأخبره: من هؤلاء الفئة القليلة التي تشكر الله تعالى ولا تنسى فضله. فأعجب عمر بدعائه وفهمه وأصبح يدعو مثله! وبالمقابل، انظر إلى الشاب الذي يسمع الأذان ويجلس في بيته ولا يحرك ساكنا للذهاب إلى الصلاة أو حتى لأدائها في البيت، فكيف يتمنى من الله تعالى أن يتم عليه نعمه وهو يلهث راكضا وراء شهواته؟!

والأمثلة عبر الزمن كثيرة لأمم وأقوام سادوا ثم بادوا لكفرهم بالله تعالى وبطر نعمه، ومنها جنات سبأ التي ذكرنا، ومنها ما حل بالبرامكة الوزراء الذين سجنوا في عهد هارون الرشيد، فقد سئل أحدهم وهو خالد البرمكي: لم سجنتم وذهبت دنياكم؟ لم أخذت قصوركم؟ لم جلدت ظهوركم؟ فدمعت عينا خالد البرمكي وقال: بغينا وطغينا ونسينا الله، وسرت دعوة مظلوم في جنح الليل فسمعها الله والناس عنها نيام.

فكثيرا ما تزول دول ومناصب، وإذا زالت فإنها لا تعود كما أشار لذلك رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فرأى كسرة ملقاة فمسحها، فقال: «يا عائشة أحسني جوار نعم الله عزوجل فإنها ما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم». وبالرغم من أنه حديث ضعيف فإنه قد يؤخذ به من أجل صالح الأعمال كحفظ النعمة من الزوال.

وقارن بين موائد الغرب في حفلاتهم ودعواتهم وموائد العرب اليوم، وقارن بين حجم نفاياتهم وحجم نفاياتنا لترى كم نطرح من مخلفات وحاجيات بلا وجه حق أو مبرر سوى الاستخفاف واللامبالاة! ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ (الاسراء:٢٧).

وقارن بين استهلاك الأفراد في الغرب للكهرباء والماء وبين حجم استهلاكنا، وبين نوع السيارات التي يركبونها وبين الفارهة التي في بعض بلادنا العربية والتي تصمم خصيصا بملايين الدولارات لبعض الأشخاص الأثرياء! فترى العجب العجاب، فأين ضاعت تلك الأخلاق الإسلامية؟! وكيف حفظ الله تعالى لهم بلادهم وأمنهم بحفظهم لنعم الله؛ فإعادة التدوير المنتشر في بلادهم هو مثل عملي لنوع من أنواع حفظ النعمة واستغلال الموارد فيما ينفع البشر.

ما دورنا لاستمرار النعم؟

قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» فتوظيف هذه النعم والفرص يكون بالإنتاج والعطاء وما يلي:

- شكر الله يوميا وحمده باللسان على آلائه الكثيرة.
- شكر الله تعالى بالطاعة والأعمال الصالحة وفيما افترض كالصلاة والصيام وإخراج الزكاة والصدقة.
- تعليم الأبناء الحفاظ على النعم وعدم رمي بقايا الطعام وعدم الإسراف بالماء أثناء الاستخدام، وتعليمهم تقليل المشتريات والكماليات، وإطعام الفقراء وعونهم.
- تذكير الناس بنعم الله تعالى وإيراد القصص الكثيرة لذلك والعبر المستفادة، وذلك من قبل الآباء والمربين والمعلمين في المدارس.
- تعليم الأبناء وتعويد النفس مراقبة الله تعالى والحياء منه واستغلال النعم فيما يرضي الله تعالى، فلا نسمح بالمحرمات وإن اختلينا بأنفسنا، فهل نحفظ البصر برؤية المحرمات، والسمع بسماع ما يغضب الله تعالى، ونعمة الجوارح بارتكاب المعاصي والسير نحوها؟!
- المساهمة بحفظ أمن البلاد والعباد، فإن فسد الأمن زالت الدولة وتجبر القوي على الضعيف، وانتشر قطاع الطرق والعصابات وعم الفساد وتشرد أهل البلاد، ولا تعود الحياة تطاق.
- إنشاء جمعيات المحافظة على النعمة، وتقليل المصروفات في الحفلات والمناسبات، وإعادة التدوير للنفايات.
- والدعاء لله تعالى بحفظ النعم ودوامها، فمن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ (البقرة:١٢٦)، فالدعاء لله يحفظ النعم.

القاهرة - عبدالله شريف
دار الإعلام العربية



نعم الله.. حفظها وشكرها

خلق الله الإنسان وفرض عليه عبادته وحده لا شريك له، وهيأ له ما يعينه على ذلك، فبسط له من النعم ما لا يحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ (إبراهيم:٣٤)، وأوجب عليه شكرها، ووعده بالزيادة إن صانها وحمد الله عليها، وبالخسران إن جحدها: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ (إبراهيم:٧)، ودعاه إلى النظر والتفكر في كل شيء حوله، المنعم والمحروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (الروم:٤٠). فكيف نحفظ نعم الله علينا، ونؤدي شكرها، ونحسن استخدامها، بل ونقتصد في التمتع بها؟ هذا ما نتعرف إليه في الصفحات التالية:

بداية، يؤكد أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية د. صبري عبدالرؤوف، أن الله خلق الناس لعبادته وحده لا شريك له، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، وأعد للمؤمنين أجرا عظيما وفوزا كبيرا: دخول الجنة (النعمة الكبرى)، بل والمزيد: رؤية وجه الله عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ (ق:٣٤ و٣٥).

تبدل النعم

وأضاف د. عبدالرؤوف: يجب أن نؤمن بأن نعم الله تعالى على العبد في الدنيا لا تعد ولا تحصى، إعمالا لقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (إبراهيم:٣٤)، بداية من نعمة الخلق في أحسن تقويم، والتمتع بالصحة والعافية، وكمية الأجهزة الدقيقة التي تعمل في الجسم -ولا يستطيع أي عقل حصرها- ولا تُعرف هذه النعمة إلا بالمرض وتعطل أحد الأجهزة، ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ (فصلت:٥١)، مرورا بنعمة الإسلام، أعظم النعم، ونعمة الفطرة السليمة الداعية إلى كل خير والرافضة لكل الشرور، ونعمة الوسطية التي تحقق الأمن والتنمية؛ شرط الالتزام بمصدري التشريع (الكتاب والسنة)، ونهاية بالنعم المتفاوتة الموزعة بين البشر، المسلم والكافر، صغيرهم وكبيرهم، وتشمل: الرزق والعلم والنسب ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾(النحل:١٠ و١١)

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (الروم:٤٠).

وتابع: كل هذه النعم تتغير أحوالها لدى الإنسان، فالصحيح يصبح مريضا، والغني يصبح فقيرا، وقد يمسي الإنسان مسلما ويصبح كافرا. وللحفاظ على دوام النعمة لابد من شكرها وأداء حقها؛ فالمال يستخدم في أوجهه السليمة، وكذلك الصحة والدين لابد من الالتزام بهما والالتزام بدعاء: «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك». وقد تكون هناك ابتلاءات واختبارات من الله تستوجب الصبر والتمسك؛ لأن في ذلك الخير الكثير.

وأشار إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ (النحل:١٢٠-١٢٢)، داعيا إلى شكر نعمة الله تعالى والالتزام بمنهج النبي محمد ﷺ في ذلك.

وطالب د. عبدالرؤوف أئمة ودعاة العصر بالحث على التمسك بالدين، ودعاء الله أن يعيد الأمة إلى رشدها، قائلا: «الأمن والأمان نعمتان ذكرهما الله عن أهل مكة، وفقدت أغلب الدول الإسلامية هاتين النعمتين؛ لعدم شكرهما والإحساس بهما، بل ولكثرة المعاصي والتبعية»، مشيرا إلى أن الوقت الحالي هو وقت العودة إلى الله والتمسك بكتابه والندم على ما فات والبعد عن الظلم حتى تعود النعمتان من جديد.

وقال: «بالتأكيد على المسلم أن يكون قدوة في حسن استخدام نعم الله؛ فلا



د. الراوي: الفشل في إدارة النعم وعدم شكرها يؤديان إلى زوالها ورفعها

إسراف ولا تبذير كما نرى من شباب المسلمين، كما حثنا ديننا، ولا تضييع للصحة في كل ما يفسد، كالمخدرات والسجائر وغيرهما. وعلى الحكومات الإسلامية أن تكثف جهودها لمواجهة هذه المفسدات، كما يجب على الحكومات ألا تنفق الأموال في بناء المباني وتنظيم المهرجانات وتتغافل عن بناء الإنسان وتنشئة الأطفال على الأخلاق».

شكر النعمة مفتاح زيادتها

بينما يؤكد أستاذ الحديث وعلومه في كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر د. موسى فرحات الزين، أن الله أمر نبيه محمدا ﷺ بالحديث عن نعمه وشكرها، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١)، مشيرا إلى أن شكر النعمة مفتاح زيادتها ودوامها.

وأضاف أن محمدا ﷺ أعظم الشاكرين للنعم، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا عائشة: أفلا أكون عبدا شكورا».

وأشار إلى أن سيرة رسول الله ﷺ ممتلئة بالأحاديث التي تحث على شكر النعمة والحفاظ عليها، فعن النعمان ابن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة بركة والفرقة عذاب»، وقال: «إن الله يحب أن يرى آثار نعمته على عبده»، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

وقال ﷺ أيضا: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». وقال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قالها حين يمسي أدى شكر ليلته».

وتابع: «علينا الالتزام بسنة الرسول حتى نحقق المنهج القويم في استقبال نعم الله علينا ولا نكون من الذين ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (النحل:٨٣)، موضحا أن الدين والنفس والعقل والعرض والمال هي الضروريات الخمس في الإسلام، وكل ضرورة نعمة، وكل نعمة لها ضوابط وشروط على المسلم أن يتعلمها ويحفظها، فيجب الحفاظ على الدين ومحاربة أعدائه والخارجين عليه وإبطال ما يثار من شبهات حوله، والأداء بحقه، ومعرفة نواقض الإسلام وشروطه، ومحاربة البدع والإلحاد. وعن نعمة النفس، فلا يجوز الانتحار، ولا قتل النفس إلا بالحق، ولا حتى الإشارة بالسلاح إلى الغير، فضلا عن أي وسيلة أخرى من وسائل الاشتباك

والاقتتال، حتى اللفظة».

وأضاف د. موسى: «وحفظ نعمة العقل بالبعد عن إفسادها حسيا ومعنويا، ولذلك وضعت عقوبات على شارب الخمر ومروج المخدرات. وعن حفظ العرض، فقد خلق الله الذكر والأنثى وشرع الزواج وحرم الزنا، وما نراه من تحرش وانتشار الدعارة والمحادثات عبر الوسائل الإلكترونية المختلفة خير دليل على الكفر بالنعمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٣)، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:٣٢). أما بالنسبة إلى نعمة المال، فقد وضع الإسلام نظاما يضبط البيع والشراء، وحذر من الغش والكذب والتدليس والمغالاة ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء:٥)، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين:١)، كما وضع أوجها لصرف المال وأمر بالزكاة وحث على الصدقة والإنفاق للفقراء وفي سبيل الله، وعدم الإسراف: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١)، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨).. وكل ما سبق من ضوابط وشروط وسبل جاء في سيرة الرسول ﷺ، وقد حذا الصحابة والتابعون حذوهم، وكلها من أجل الحفاظ على نعم الله التي لا تعد ولا تحصى.

الفشل في إدارة النعم يبددها

بدوره، يوضح أستاذ التفسير بجامعة الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء وعضو مجمع البحوث الإسلامية د. محمد الراوي، أن الله أنعم على أمة الإسلام بنعم كثيرة، إلا أن الفشل في إدارتها وعدم شكرها يؤديان إلى زوالها ورفعها، مشيرا إلى أن بلاد المسلمين تحمل من الخير الكثير، لكن الفساد وتضييع الدين والانشغال بالنعمة عن المنعم عجل بذهابها.

وأضاف: «الإسلام أعظم نعمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:٣)، واتباع الأوامر واجتناب النواهي يحققان شكر النعمة لتزيد وتنمو، بينما البعد عن الدين وتعاليمه وكثرة المعاصي والذنوب سبب زوال هذه النعم. وفي نعمة المطر مثلا آيات كثيرة في كتاب الله، منها ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى:٢٨)، وشرع صلاة الاستسقاء حال منعها»، مشيرا إلى أن في ذلك دلالة على أن العودة إلى الله سبب تدفق النعم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٥٣). وبالتالي فإن شكر النعمة يزيدها، وقد جاءت آيات في كتاب الله واضحة مباشرة لا تحتاج إلى تفسير، يقول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم:٧)، ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر:٦٦).

وتابع د. الراوي: «هناك ضوابط في شكر النعمة، أولها نسبها إلى الواحد الأحد، وألا ننشغل بالنعمة عنه سبحانه، وألا ننسى حقه، وأن نتحدث بها بين الناس؛ فالشكر يكون بالعمل وليس قولا باللسان فقط، قال الله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣)».

وأضاف: «هناك دول غير إسلامية سارت على نهج شكر النعمة، فحافظت على مواردها، ووضعتها في محلها وحاربت الفساد والمفسدين، وقدرت الإنسانية والصحة، ولم تهدر الوقت، ومن ثم حكموا الأمم. ونحن المسلمون تجاهلنا التعاليم، بل وكفرنا بالنعمة، فوصل حالنا إلى ما نحن عليه».



د. فاضل: لم نحسن استغلال نعمة الإعلام فأصبحت وبالا علينا

نعمة الإعلام

أما عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر د. عبدالصبور فاضل فيقول: «للأسف وسائل الإعلام الجماهيرية المختلفة أبرز دليل على كفر النعمة، فعندما يسر الله سبل التواصل بين الناس وصلة الأرحام ونشر المعلومات والدعوة إلى الله، حتى أصبح العالم قرية صغيرة كما يقولون، وأصبح من الضروري على بني الإسلام نشر

الدعوة كما فعل أجدادهم الذين نحتوا في الصخر وعذبوا من أجل الرسالة، تجدنا نستخدمها في نشر الأكاذيب والتشويه».

وأضاف: لم نحسن استغلال نعمة الله علينا، فأصبحت وسائل الإعلام العربية أكثر ضررا على عقل المسلم -إلا ما رحم ربي- فامتلأت عقول الشباب بالأفكار الإلحادية الوافدة التي تهدم الدين، وقلت البرامج الدينية الوسطية، وكثرت قنوات الأغاني والأفلام، بل وقلت الوسائل التي تبني وتنمي العقل وتحث على الخير ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩)، وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته».

وطالب د. عبدالصبور بالعودة إلى الصواب وتحقيق شكر نعمة التواصل بإغلاق قنوات المفاسد، ونشر كل ما يعين على الوحدة ويقوي أواصر التعاون بين البلاد العربية والإسلامية ومحاربة التطرف، إضافة إلى دعم الوسطية.

وأشار إلى ضرورة الاهتمام بسيرة الرسول ﷺ، حيث أصبح أكثر العامة جاهلين بأمور دينهم، مشيرا إلى أن ذلك من حسن استغلال النعمة التي يثاب عليها المرء، فضلا عن التخفيف من حدة الصراعات المذهبية والعمل على إطفاء نار الفتن وليس إشعالها.

كما طالب بالالتزام بضوابط شكر النعمة في الإعلام، وهي عدم التسرع في نشر الإشاعات وعدم تضييع أوقات المتابعين، والتذكير بمواعيد الصلاة في وقتها حتى لا يتأثر المتابع ويتغافل عن أدائها، وعدم تشويه



د. موسى فرحات: شكر النعمة مفتاح زيادتها ودوامها

الناس. ولفت إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا»، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور:٢٤).

وأشار إلى أن من الأحاديث التي يجب على الإعلاميين التنبه إليها جيدا: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»، موضحا أن الصمت أصبح واجبا في ظل الكلام الكثير الذي لا فائدة فيه والذي يضر أكثر مما ينفع.

إفشاء النعم صلاح المجتمع

وأخيرا، يؤكد أستاذ علم الاجتماع بجامعة حلوان د. شحاتة محمد، أن الإسلام حث على التفكر في نعم الله التي لا تحصى، كما أمر بشكرها والعمل على إفشائها، وفي سنة رسول الله ﷺ الكثير من ذلك، موضحا أن الحديث عن النعم من بين الأمور التي تنشر البهجة في المجتمع، خصوصا أصحاب القلوب السليمة، وربما تكون سببا لإيمان أحدهم.

وأضاف: «من نعم الله علينا الأمة الواحدة التي يربطها كتاب واحد، ومن نعم الله أن أخبرنا بطرق التواصل بعضنا مع بعض، فنعلم أن إفشاء السلام وإطعام الفقراء وعدم الغيبة والنميمة وشكر الناس والتعامل بلين وعدم الغلظة جميعها تساعد على التقارب والتآلف الاجتماعي، قال رسول الله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله». ومن نعم الله الحث على تكوين الأسرة والزواج في سن مبكرة؛ عفة للنفس ولحمايتها من الوقوع من الزنا».

وتابع: «ينبغي التفكر في نعم الله علينا، فهي مرتبطة كثيرا بعلم الاجتماع، فلو نظرنا إلى نعمة الإيمان نجد الملحد المتخبط في أفكاره يكون عقله مثل الساقط في بئر يحتاج إلى من ينتشله، وتجده كارها للناس منعزلا ودائما ما يحمل السب والشتائم للملتزمين، ما يخلق حالة من الانقسام في المجتمع وربما يؤدي إلى حرب أهلية».

وأضاف: «المحروم من نعمة السمع أو البصر أو فقدان أحد الأطراف، أو ذوو الاحتياجات الخاصة، يشعر حقيقة بتلك النعمة، والأحرى بنا نحن أصحاب الجسد السليم أن نشكر هذه النعم. وبعض المحرومين يكونون أقرب إلى الله بفعل صبرهم وإيمانهم بقضاء الله».

وتابع: «الضيق الذي يخنق روح المسلم عندما يرتكب معصية إشارة له إلى أنه لم يعط النعمة حقها واستخدمها في غير موضعها، وهذا الضمير إذا لم يردع المسلم فإنه يصبح بمرور الوقت شيئا عاديا وتستباح المعاصي وتكفر النعم».

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

النعم المسلوبة.. هل تعود؟!



ثمة نص نفيس كتبه المؤرخ والفقيه الحنفي شهاب الدين بن عربشاه الدمشقي (ت ٨٥٤هـ) في كتابه «التأليف الطاهر» جاء فيه: «اعلم أن نعمة واحدة من نعم الله تعالى تستغرق جميع عمر المنعم عليه؛ بيانه: أنه لو شكر الله تعالى واحد على نعمة فتوفيق الله تعالى إياه لأداء ذلك الشكر نعمة أخرى يجب الشكر عليها، وإذا شكر عليها يجب عليه شكر آخر، فيتسلسل إذ ذاك إلى ما لا نهاية له، فتستغرق نعمة واحدة جميع العمر في أداء شكرها، فما ثم غير التشبث بذيل ما أرشد إليه النبي بقوله: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». واعلم أيضا أن نعم الله تعالى لا تتناهى كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، وأفعال العباد محصورة فكيف يفي ما يحصى ويحصر بما لا يحصى؟!» (١).

نعم لا تحصى

على أن المتدبرين في كتاب الله وسنة رسوله رأوا أن النعم الإلهية على الإنسان وإن كانت لا تحصى، إلا أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين؛ هما: النعم المطلقة، والنعم المقيدة. وقد فصل ابن القيم كلاما طيبا حول هذين القسمين قائلا: «النعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام والسنة؛ وهي النعمة التي أمرنا الله سبحانه أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩). فهؤلاء الأصناف الأربعة، هم أهل هذه النعمة المطلقة... والنعمة الثانية: النعمة المقيدة كنعمة الصحة، والغنى، وعافية الجسد، وبسط الجاه، وكثرة الولد وأمثال هذه، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر» (٢).

ولما كان المسلم معترفا بفضل الله عليه، وإسباغ نعمه الظاهرة والباطنة إليه، متأملا في تلك النعم التي صدرها الله في الآيات الأولى من سورة النحل جاء تعقيبه تعالى بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل:١٨)، فكأنه مع إسباغ النعم على المؤمن، أخذ الجائزة الأكبر، والنعمة الأوفر وهي مغفرة الله ورحمته، لكنه لما بدل نعمة الله كفرا، برغم ما رأى ويرى من النعم المحيطة به، جاء تعقيبه تعالى في سورة إبراهيم على خلاف ما جاء في سورة النحل، فقال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٤).

وقد ساق جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) رحمه الله، تعليقا لابن المنير وغيره حول هاتين الآيتين في سورتي إبراهيم والنحل، قائلا: «قال ابن المنير: كأنه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوما وكونك كفارا، يعني لعدم وفائك بشكرها، ولي عند إعطائها وصفان وهما: أني غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير، ولا أجازي جفاك إلا بالوفاء. وقال غيره: إنما خص سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه وسورة النحل بوصف المنعم؛ لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان، وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات ألوهيته» (٣).

فهذا المنعم الغفور الرحيم الذي أنعم على الإنسان بهذه الآلاء الكثيرة يجب ألا يقابل عطاؤه بالنسيان والنأي وقت الإغداق، ثم يضطر إلى الدعاء العريض أو اليأس عند السلب، وهو الحال الذي يقع فيه كل البشر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ (الإسراء:٨٣).

وقال: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ (فصلت:٥١).

معيد النعم ومبيد النقم

فاستلاب النعم شر يراه الإنسان، ويسعى بكل ما أوتي من سبيل لعودة تلك النعمة السليبة من مال أو متاع أو ولد أو صحة، لكن لما كان السبيل عزيزا، والطريق إلى ذلك وعرا، وكانت الحيرة من نصيب اللاهث، كان اللجوء إلى العلماء هو الطريق الأنجع.

لقد كان سؤال: هل يمكن أن تعود النعم المسلوبة، للعلامة تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) باعثا لإفراده مؤلفا خاصا، فصل فيه هذه المسألة في القسم الأول منه، ذلك المؤلف هو «معيد النعم ومبيد النقم»، قال: «ورد علي سؤال مضمونه: هل من طريق لمن سلب نعمة دينية أو دنيوية، إذا سلكها عادت إليه، وردت عليه؟ فكان الجواب: طريقه أن يعرف من أين أتي فيتوب منه، ويعترف بما في المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها، ثم يتضرع إلى الله تعالى» (٤).

لكن السائل أعاد الكرة، حيث لم يقنع بهذا الاختصار، وأراد أن يفصل الشيخ بجواب يريحه من حيرته، فأطنب الشيخ وأجاد.

لقد رأى السبكي أن عودة النعم المسلوبة لا تكون إلا بثلاثة أمور:

فالأمر الأول: «أن تعلم من أين أتيت، وما السبب الذي زالت به عنك النعمة؟ فإن النعمة لا تزول عنك سدى، واعلم أنها لم تزل عنك إلا لإخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها وهو الشكر، فإن كل نعمة لا تشكر جديرة بالزوال، ومن كلامهم: النعمة إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرت... والحاصل أن كتاب الله وسنة رسوله دالان على أن كفران النعمة يؤذن بزوالها، وشكرها يقضي بمزيدها» (٥).

والأمر الثاني: «أنه يتعين على ذي النعمة أن ينظر إليها -وإن قلت- بعين التعظيم؛ لكونها من قبل الله تعالى؛ فإن قليله لا يقال له قليل، وإلى نفسه بالتحقير بالإضافة إليها، معترفا بأنه ليس أهلا لها، وأن أصله نطفة من مني يمنى، وقد وصله الله إليها لا باستحقاق عليه... وتعلم أن العظيم إذا أسدى إلى عبده الحقير معروفا وإن قل فقد ذكره، وما حقرك من ذكرك، وما ذكرك الكريم إلا وفي نيته أن يجبرك، فتلقى ما يتأتى منه بالبشرى، واحذر الأخرى» (٦).

والأمر الثالث: أن «لكل نعمة شكر يخصها، والضابط أن تستعمل نعم الله تعالى في طاعته، وتتوقى من الاستعانة بها على معصيته، فليس من شكر النعمة أن تهملها وتشكر على وجه غير الوجه الذي عليه بنيت» (٧).

لقد رأى العلماء الراسخون أن الإنسان لا يقدر على أداء حق النعم إلا بالشكر، وأفاضوا في بيان كنه الشكر، وكيفية أدائه، وقد أدلى حجة الإسلام الغزالي رحمه الله (ت ٥٠٥هـ) بدلوه قائلا: «اعلم أن الشكر ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال، والحال يورث العمل. فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان» (٨).

على أننا نملك نموذجا حيا خلده القرآن لرجل سلبت منه النعم، ثم أعادها الله عليه خيرا مما سلب، ذلك العبد هو أيوب النبي عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنبياء:٨٣-٨٤).

وقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (ص:٤١-٤٤).

لقد اتصف بالصبر والأوبة والإلحاح بالدعاء إلى الله في أزمته وابتلائه؛ وهي الصفات التي يمكن أن تضاف لما سبق وذكره السبكي في كتابه، وبهذا يمكن لمن سلبت منه نعمة أن يتدارك فارطه، ويؤوب إلى رشده، عسى الله أن يمن عليه بعودة ما سلب.

الهوامش

١- ابن عربشاه، التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر ق ١١٥ أ. تحت الطبع، بتحقيق الباحث.

٢- ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، تحقيق عواد عبدالله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٨٨م، ٢/٣٣-٣٦.

٣- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ٣/٣٥٠.

٤- التاج السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١.

٥- السبكي، معيد النعم ص ٣.

٦- السبكي، السابق ص ٨،٩.

٧- السبكي، السابق ص ١٢.

٨- الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ٤/٨١.

السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي - مصر



نعم تترى.. ظاهرة وباطنة

لا يخلو أحدنا من نعم كثيرة، هو مغمور فيها، أنعم الله عز وجل عليه بها، سواء أدرك الإنسان ذلك لرهافة حسه ويقظة عقله، أو غفل عنه لقلبه اللاهي وفهمه السقيم؛ بل إنه حتى لو أدرك أنه مغمور في نعم الله فإنه عاجز عن الإحاطة بهذه النعم على وجه الحصر، وعاجز عن شكرها على وجه الحقيقة؛ ولهذا كان القرآن الكريم جازما بمصارحتنا بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (إبراهيم:٣٤).

جاء في «لطائف الإشارات»: «كيف يكون شكركم كفاء نعمه، وشكركم نزر يسير وإنعامه وافر غزير؟! وكيف تكون قطرة الشكر بجوار بحار الإنعام؟! إن نعمه علومكم عن تفصيلها متقاصرة، وفهومكم عن تحصيلها متأخرة. وإذا كان ما يدفع عن العبد - من وجوه المحن وفنون البلايا من مقدوراته- لا نهاية له، فكيف يأتي الحصر والإحصار على ما لا يتناهى؟ وكما أن النفع من نعمه، فالدفع أيضا من نعمه. ويقال: إن التوفيق للشكر من جملة ما ينعم به الحق على العبد؛ فإذا أراد أن يشكره لم يمكنه إلا بتوفيق آخر» (١).

فالنعم لا تقتصر على جلب ما يحب الإنسان فحسب، بل تشمل دفع الشر عنه، وصرف البلاء من طريقه؛ بجانب أن التوفيق للإحساس بالنعم هو نعمة أخرى تستوجب الشكر؛ وهكذا يجد الإنسان نفسه في متوالية لا نهاية لها من نعم تحوطه، ومن شكر

مستحق عليه.

وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠). جاء في «تفسير النسفي»: «النعمة كل نفع قصد به الإحسان؛ «ظاهرة» بالمشاهدة، و«باطنة» ما لا يعلم إلا بدليل. وقيل: الظاهرة: البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة، والباطنة: القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك. وقال ابن عباس: الظاهرة: ما سوى من خلقك، والباطنة: ما ستر من عيوبك» (٢).

فانظر كيف امتن الله تعالى علينا بتسخيره السماوات والأرض وما فيهما لنا، وبنعمه الظاهرة والباطنة، مما هو واضح للعيان أو يحتاج إلى تدبر، ومما هو مادي أو معنوي، وكيف مهد لذلك كله بكلمة «أسبغ»، بما فيها من معنى الزيادة والوفرة والتمام.

قال القشيري: «الإسباغ ما يفضل عن قدرة الحاجة ولا تحتاج معه إلى الزيادة» (٣).

النعم.. معنوية وحسية

أشرنا إلى ما أوضحته آية سورة لقمان -في موضع الامتنان- من نعم الله الظاهرة والباطنة، أي المعلومة والخفية، المادية والمعنوية؛ وتلك حقيقة مهمة يغفل عنها بعضنا؛ فالإنسان بسبب من قصور العقل، وبسبب من الحجب التي تتراكم على القلب، لا يلتفت إلا إلى النعم المادية الواضحة وضوح الشمس، كزيادة في المال أو وفرة في الولد، أو عافية في الجسد؛ هذا إن التفت إليها أصلا!

لكنه لا يلتفت بالقدر ذاته إلى نوع آخر من النعم، لا يقل أهمية عن النوع الأول، بل يفوقه مكانة وحيثية؛ إذ النعم الأولى (المادية)، يشترك فيها المسلم وغيره، بل قد يتشاطر الحيوان في بعضها مع الإنسان أو يفوقه؛ أما النوع الثاني فلا يستحقه ولا يلتفت إليه إلا ذوو البصائر والفطر النقية.

فالهداية نعمة، ورهافة الحس نعمة، وخشوع القلب نعمة، وتذوق جليل المعاني وصحيح الأفكار نعمة، والركون إلى أوامر الشرع والعمل بها نعمة، والنفرة من الباطل وأهله نعمة، والتلذذ بأكل الحلال وكراهة الحرام نعمة، كما أن إدراك النعمة وشكرها نعمة.

ومن ثم، كان لابد أن يستوقفنا تعبير القرآن الكريم عن «الإسلام» بوصفه «نعمة» يمتن الله على عباده بإتمامها لهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة:٣).

قال ابن كثير: «هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام:١١٥)، أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي. فلما أكمل الدين لهم، تمت النعمة عليهم» (٤).

النعم.. طريق إلى المنعم

إن المؤمن وهو يستقبل نعم الله ويأخذ حظه منها، بالمشروع من الأفعال، يرى فيها -أي في تلك النعم- إشارة إلى المنعم، وطريقا إلى استشعار العبودية تجاه من أنعم عليه وتفضل؛ أما غيره فهو يرتع في نعم الله ويتقلب في ظلالها الوارفة من دون أن يتخطى النعمة إلى المنعم، ومن دون أن يرى الأثر الجميل دالا على صاحب الخلق والإنعام.

ولهذا، نعى القرآن الكريم على من يعرف النعمة ويجحد المنعم، فقال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (النحل:٨٣).

قال ابن عاشور: «استئناف بياني؛ لأن توليهم عن الإسلام مع وفرة أسباب اتباعه، يثير سؤالا في نفس السامع: كيف خفيت عليهم دلائل الإسلام؟ فيجاب بأنهم عرفوا نعمة الله، ولكنهم أعرضوا عنها إنكارا ومكابرة. والمعنى: هم يعلمون نعمة الله المعدودة عليهم فإنهم منتفعون بها، ومع تحققهم أنها نعمة من الله ينكرونها، أي ينكرون شكرها؛ فإن النعمة تقتضي أن يشكر المنعم عليه بها من أنعم عليه؛ فلما عبدوا ما لا ينعم عليهم فكأنهم أنكروها» (٥).

بجانب ذلك، فإن من حسن استقبال النعمة أن تنظر إلى المنعم وتفضله، لا للنعمة ومقياسك لها؛ صغيرا كان أم كبيرا. وقد سمعت الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- في حديث إذاعي يقول: قد يعطي سيد عبده طبقا من عنب، فيتناوله العبد

وعينه على العنب.. بينما عبد آخر يأخذ الطبق وعينه على سيده!

من أعظم النعم

وإذا أردنا أن نتلمس أهم نعم الله التي تغمرنا ولا نطيق لها حصرا ولا شكرا، فسنرى أن نعمتي العقل والإسلام هما من أجل النعم، ومن أعظم ما أفاء الله به علينا. فبالأولى يتميز الإنسان عن الدواب والجماد، ويصير محلا للتكاليف الشرعية، وأهلا للخلافة والعمارة التي أناطها الله به. وبالثانية يرتفع الإنسان عن التردي في وهدة الجحود والشقاء، ويفارق المعيشة الضنك والعذاب الأليم إلى السعادة والنعيم في الدارين.

وقد أشار ابن الجوزي إلى هاتين النعمتين وهو يحذرنا من «تلبيس إبليس»، لافتا إلى العلاقة الوثيقة بينهما بقوله: «إن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل؛ إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بعث الرسل وأنزلت الكتب؛ فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين؛ فإذا فتحت وكانت سليمة، رأت الشمس. ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة، بدلائل المعجزات الخارقة، سلم إليهم، واعتمد فيما يخفى عنه عليهم» (٦).

وإذا كان شكر النعمة إنما يكون من جنسها، وبأن تستعمل فيما جعلت له؛ فإن شكر نعمة الإسلام يتحقق بالحفاظ عليه، وصونه عن الأهواء ونزغات النفس والشياطين، كما يكون أيضا بالدعوة إليه وبتعريف الناس بربهم المستحق للعبادة لا شريك له، وبإرشادهم إلى منهجه القويم الذي رضيه للناس كافة.

وأما شكر نعمة العقل فيكون بالمحافظة عليه من حيث المادة والمعنى؛ فلا يعتدي على مادته بالمسكرات والمخدرات، ولا يعرضه لما يؤذيه ويشل فاعليته وقدرته على التمييز والإدراك؛ كما لا يعتدي على معناه بالتقليد واتباع الغير اتباعا لا يقوم على دليل صحيح ولا فهم سليم؛ بل على المرء أن يحفظ لعقله استقلاله، وأن ينميه ويوسع مداركه؛ موقنا بأن لا كمال إلا لله سبحانه ولا عصمة إلا لأنبيائه، وأن كل إنسان عدا النبي ﷺ يؤخذ منه ويرد عليه.

ولقد عاب القرآن الكريم على من يسلكون طريق التقليد على غير هدى وبصيرة، فيحجبون عن أنفسهم نور العلم وسكينة الإيمان، حيث قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٧٠).

قال البيضاوي في تفسيره: «وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد. وأما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق، كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام، فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله» (٧).

بهذا التوظيف لنعم الله فيما جعلت له، وبحيث يكون نفعها متعديا المنعم عليه إلى غيره من بني الإنسان؛ يمكن أن يكون المرء قد أدى شيئا قليلا جدا مما يجب عليه تجاه نعم الله الكثيرة، التي تغمره ظاهرة وباطنة.

الهوامش

١- تفسير «لطائف الإشارات»، لأبي القاسم القشيري، ٢/١٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢- تفسير النسفي، سورة لقمان، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٣- «لطائف الإشارات»، ٣/٢٠، المصدر السابق.

٤- تفسير ابن كثير، سورة المائدة، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب». وروى البخاري بسنده في صحيحه، كتاب الإيمان، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال له: «يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة» أ. هـ. ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى أن «إتمام النعمة» هو فتح مكة ودخولها آمنين.

٥- تفسير «التحرير والتنوير»، سورة النحل، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب». وروي عن مجاهد أن سبب نزول هذه الآية الكريمة أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فسأله، فقرأ عليه رسول الله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ (النحل:٨٠)، فقال الأعرابي: نعم. قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ (النحل:٨٠)، قال الأعرابي: نعم. ثم قرأ عليه، كل ذلك يقول الأعرابي: نعم. حتى بلغ: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (النحل:٨١)، فولى الأعرابي؛ فأنزل الله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل:٨٣).

٦- «تلبيس إبليس»، ابن الجوزي، ص٥، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٧- تفسير البيضاوي، سورة البقرة، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».



ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي:

ما يتعلق بالكاتب

- يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- إرسال صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير.
- يذكر العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الإستعانة بمصادر ومراجع.
- لا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلا.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com

الوعي الإسلامي

د. عادل عبدالرشيد
باحث أكاديمي

التراث المائي العربي - الإسلامي

التراث بمفهومه البسيط، هو كل ما خلفته الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة في مختلف المجالات الفكرية والمادية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث يندرج مفهوم التراث في أنه امتداد السلف في الخلف، وبما يتيح الاستفادة من تجارب الأجداد، والانطلاق من خلاله نحو مستقبل أفضل.

ونجد تراثنا العربي والإسلامي يتميز بالغنى والغزارة في محتواه، فكم فيه من كنوز عظيمة، ومن الإجحاف والغبن الشديد إضاعة هذه الكنوز وعدم الاستفادة منها. وكنموذج من النماذج المتميزة في تراثنا، نختار في مقالتنا هذه الإطلالة على مكنوزات التراث المائي، الذي تكتسب عملية إعادة إحيائه أهمية كبيرة، خصوصا في ظل تفاقم مشكلات المياه في معظم البلدان العربية والإسلامية.

اهتمام الإسلام بالماء

من المفيد الإشارة في البدء إلى أن تميز تراثنا المائي نابع أساسا من أن له مرجعية عقائدية دينية مساندة ومحفزة، وهي الشريعة الإسلامية، التي اهتمت بالماء اهتماما كبيرا. فقد وردت كلمة الماء في القرآن الكريم ثلاثا وستين مرة. من أمثلة الآيات التي جاءت فيها كلمة الماء الآتية: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ (الفرقان:٤٨ و٤٩)، ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ (الأنفال:١١)، ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ (الحجر:٢٢)، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ (ق:٩). ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (البقرة:٢٢).

إلا أن هناك آية قرآنية تأتي في بداية معظم الدراسات والخطب التي تصف أهمية الماء ومكانته في الإسلام، وهي الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠)، وفيها تنبيه من سبحانه وتعالى للأهمية البالغة لنعمة الماء وتأدية شكرها. قال المفسرون: إن ما تعنيه هذه الآية الكريمة، هو أن الماء سبب حياة كل شيء حي في الأرض. وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون المهم في تركيب مادة الخلية، وهو وحدة البناء في كل كائن حي، نباتا كان أم حيوانا.

واهتم الإسلام بصورة خاصة بالنهي عن الإسراف في الماء. جاء في حديث نبوي: «أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار» (١). ونستنبط من هذا الحديث قاعدة عامة مفادها أن الإسراف حرام، سواء كان المورد الذي نستخدمه قليلا أم كثيرا. وفي حديث آخر، يقول الرسول ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة» (٢). وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

ونجد في حياة الرسول ﷺ تطبيقات عملية في عدم الإسراف، فمثلا كان مقتصدا في استخدام الماء في الاغتسال والوضوء، جاء في الحديث: «كان رسول الله ﷺ يغسله الصاع من الماء من الجنابة ويوضئه المد» (٣).

وكما لا يجوز الإسراف في الماء في الإسلام، فإنه لا يجوز أيضا في الإسلام إفساد الماء وتلويثه. ومن الأحاديث النبوية الواردة في هذا الصدد: «اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق» (٤)، «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه» (٥)، «عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يبال في الماء الراكد» (٦)، «لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه» (٧).

حسن تنظيم استخدام الماء

نجد أنه على مر العصور كانت إدارة الموارد المائية في المنطقة مسؤولية محلية. فالمجتمعات المحلية تتولى إدارة توزيع المياه، وتعنى بنوعيتها، وتعتمد على حس الالتزام وتحميل أصحاب المصلحة مسؤولية إدارة الموارد. وكان للقرارات التي تتخذها القبائل -حينئذ- مفعول مهم في توزيع الموارد المائية المحدودة. كما كان لمؤسسات المياه غير النظامية، التي أنشأها المزارعون والبدو في أنحاء عدة من المنطقة العربية، دور أساسي في تحسين الممارسات الزراعية، ونشر التقنيات التي لا تغفل ندرة الموارد



المائية وصعوبة الحصول عليها. وقد ابتكرت تلك المجتمعات تقنيات متقدمة في الزراعة والري، اعتمدت لاحقا في الكثير من أنحاء العالم (٨).

وفي إطار الحكم الإسلامي، تم تنظيم توزيع المياه بشكل قل نظيره في أي قانون دولي، ولا تزال كتب الفقه الإسلامي تسهب في تفصيلات تنظيم المياه والسقي. فمن هدى الشريعة الإسلامية أنها جعلت حق الانتفاع بالماء مكفولا للجميع، بلا احتكار ولا إفساد ولا تعطيل، فهو حق شائع بين جميع البشر، حيث نجد في السنة النبوية أدلة على منع احتكار الماء باعتباره سلعة حياتية لا يمكن الاستغناء عنها. جاء في الحديث النبوي: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع فضل الماء» (٩). وفي حديث آخر، قال رسول الله ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث في الكلأ والماء والنار» (١٠). وهذا يعني أن مصادر الماء لا يجوز لأحد أن يحتكرها لنفسه أو يمنعها عن الآخرين. ولذلك حرص فقهاء المسلمين على جعل الارتفاق بالمياه حقا عاما تحميه الدولة، بل ألزموا الدولة بتطهير الأنهار العامة وصيانة جسورها، أما إذا كان مورد المياه يخص طائفة بعينها، فإن عليهم صيانته.

وقد تطورت الأحكام المتناثرة للمياه في كتابات الفقهاء أو في المحاكم الشرعية، لنرى الفقهاء وخبراء المياه يجمعون أحكام المياه في أبواب متكاملة، تعكس مدى ما وصلت إليه أحكام المياه من تقدم ومدى ما وصل إليه المسلمون من تقدم في حل مشكلات المياه. كما تطورت قوانين المياه سريعا في التشريع الإسلامي، فأصبح يردد في المجتمع الإسلامي مصطلحات فقهية خاصة بالمياه دون غيرها، مثل حق جريان المياه، أو حق إجراء الماء، وحق الشرب، بل أصبحت كتب فقه العمارة لا تخلو من أبواب تتعلق بقضايا المياه في الحضارة الإسلامية تجاوزت هذا بكثير، بحيث أصبح لدينا الآن من واقع سجلات المحاكم الشرعية قضايا تتعلق بنزاعات أو أوقاف خاصة بالمياه (١١).

وحتى التقانات والأنظمة المائية لم تخل من الجوانب التنظيمية والإدارية. فعلى سبيل المثال، في نظام الأفلاج، نجد عادة يشارك المستفيدون من الفلج في ملكيته، وتحدد حصص المياه، بما يشبه مجلس إدارة من القرية. كما يراقب جهاز إداري خاص عملية التوزيع التي تتم عادة عند مدخل الفلج. بواسطة حاجز خاص يسمى الشريعة أو القصرية، ويسمى الشخص الذي يراقب عملية التوزيع كيال (لأنه يكيل الماء)، وهناك مواثيق متفق عليها حسب الأعراف القديمة تنظم توزيع المياه، وتوجد دورة توزيع عبارة عن برنامج زمني، وعادة تتراوح الدورة الزمنية للري بين ٤ و١٨ يوما. وأساس أنظمة توزيع المياه هو التناوب، فالفلج هو شبكة من القنوات مصممة لسد الحاجة إلى الماء في أماكن معينة، وبجداول زمنية محددة (١٢).

ومن الأمثلة المميزة في التاريخ الإسلامي بصدد تنظيم استخدام المياه، إنشاء محكمة متخصصة بالمياه بأمر عبدالرحمن ناصر سنة ٣١٨هـ، والذي أحدث وظيفة وكالة الساقية، وهي عبارة عن ممثل يقوم بتمثيل الأراضي التي تسقى من ساقية معينة كقاض في محكمة المياه (١٣). وكانت أهم مميزات محكمة الماء الأندلسية هذه الآتي (١٤):

- البساطة: بإمكان المشرف أو الطرف المتضرر أو المتهم أن يرفع قضيته إلى المسؤول، وأن يحضر الأدلة والشهود من دون شكليات ورسميات وصيغ قانونية.
- الشفهية: كانت كل مراحل المحاكمة شفهية، وهي تشمل تقديم الشكوى، والاستجواب (لتوضيح الوقائع أو شرحها أو تبريرها، مع تدخل الرئيس والمسؤولين الذين يستجوبون الطرفين) وإصدار الأحكام.
- السرعة: تلتئم المحكمة كل أسبوع، وتعالج التعديات الحاصلة منذ يوم الخميس السابق، ولا يمكن تأجيل القضايا أكثر من ٢١ يوما، وذلك في حال عدم الحضور إلى المحكمة، حصرا.
- الاقتصاد: لا يفرض في المحاكمة أي نوع من الرسوم الإجرائية. كما أن المسؤولين لا يتلقون رواتب أو مصروفات. وعلى المتهم أن يدفع نفقات انتقال المشرف أو محضر المحكمة، علما أن التعويضات عن الأضرار لا تعتبر من الرسوم الإجرائية.

براعة في علم استنباط

رزق العرب منذ قديم الدهر فراسة حاذقة يتعرفون بها على مكامن الماء في باطن الأرض ببعض الإشارات الدالة على وجوده، بعده وقربه، بشم التراب، وبرائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص. وسمى العلماء معرفتهم هذه علم الريافة (١٥).

وتعددت الكتب المتخصصة في علم استنباط المياه. عرف طاش كبرى زاده (١٦) هذا العلم: «هو علم يتعرف منه كيفية استخراج المياه الكامنة وإظهارها، ومنفعته إحياء الأرضين وأفلاجها». ويقصد بالإنباط لغويا إخراج الشيء وإظهاره بعد خفائه. وأنبطنا الماء، أي استنبطناه، وانتهينا إليه. والاستنباط: الاستخراج.

ولعل من أوائل الكتب في هذا الفن كتاب «علل المياه وكيفية استخراجها

وإنباطها في الأرضين المجهولة»، الذي ألفه أبوبكر أحمد بن علي، المعروف بابن وحشية، من أهل المئة الثالثة الهجرية.

وهناك كتاب «إنباط المياه الخفية» لمحمد ابن الحاسب الكرجي، المتوفى في القرن الخامس الهجري، وهو كتاب نفيس يعد موسوعة فنية في دراسة المياه الجوفية «الخفية»، وقد أحاط الكرجي بموضوعه إحاطة الخبير المثقف الذي أدرك أهمية كل فكرة تحدث فيها، فدقة التفاصيل التي شرحها في هذا الكتاب وجمعه بين الهندسة العلمية والبرهان الرياضي، لاسيما في «باب وزن الأرض» يدلان دلالة واضحة على أن الكرجي -وهو العالم الرياضي- زاول مهنة المهندس وتعرف على دقائقها بالشكل الذي كانت تعرف به في ذلك الوقت. وثق الكرجي في هذا الكتاب خبرة هندسية اختزنتها وطورتها الذاكرة العلمية والعملية للحضارة الإسلامية في مجال الاستفادة من المياه الجوفية. وقد لفت هذا الكتاب انتباه المستشرقين فترجموه إلى الألمانية والفرنسية والإنجليزية (١٧).

وهناك كتاب «البئر»، ألفه أبوعبدالله محمد بن زياد الأعرابي، ويعد هذا الكتاب من الرسائل التي كانت نواة للمعاجم العربية الكبيرة فيما بعد، وجمع الكتاب مجموعة لا بأس بها من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها واستخراج المياه منها، وقلة تلك المياه وكثرتها، وأجزاء البئر وأنواعها، وأسماء كل نوع ، وأنواع المياه الخارجة منها، وآلات استخراج المياه من الآبار.

وهناك كتاب «عين الحياة في علم استنباط المياه» لأبي العباس أحمد ابن عبدالمنعم الدمنهوري، المتوفى سنة ١١٨٢هـ، وكتاب «علم المياه الجارية في مدينة دمشق أو رسالة في علم المياه» للشيخ محمد حسين العطار.

ومن الكتب غير المتخصصة في المياه ولكنها لم تخل من الاهتمام بها، كتاب «الخراج» للقاضي أبي يوسف، تعرض فيه للعديد من القواعد التي تتعلق بالمياه، والتي يمكن أن نعدها قوانين شرعية تحدد العلاقة بين الماء والأرض والإنسان. كما اهتمت المؤلفات الكبرى بالزراعة والنبات مثل «المقنع في الفلاحة» للإشبيلي، و«الفلاحة» لابن البصال، و«الفلاحة النبطية» لابن وحشية، بطرق إنباط المياه الجوفية وهندستها (١٨).

وأخيرا نختار مما جاء في كتاب «الفلاحة» لابن العوام (من أهل القرن ٦هـ) عن طرق الاستدلال على وجود الماء في باطن الأرض عند حفر الآبار، حيث أشار الكتاب إلى أنهما قسمان:

أولهما - ما كان عن دراية وخبرة وإدامة الطلب. والجامع من الناس لهذه الصفات يمكنه الاستدلال على وجود الماء باستعمال حواسه كالتالي:

- عند رؤية الندى بالعين ولمسه باليد، خصوصا في أول ساعة من النهار وآخر ساعة منه.
- إذا كانت حجارة الجبل مغبرة بتراب ناعم، فإن تندت دل على وجود الماء، ومع كثرة الماء وقلته تكون كمية الندى.
- بالتنصت على سطح الجبل، فإذا





سمع للجبل دوي دائم على حال واحد لا يختلف كان صوت ماء.

– إذا كانت التربة سوداء أو شديدة الغبرة، لزجة إذا أصابها أدنى ماء، دل ذلك على وجود الماء.

– إذا كان طعم التربة عديم المرارة والملوحة، فهي ريانة ذات ماء.

– إذا وجد نبات البابونج والحبق والخبازى ولسان الثور ففي الأرض ماء.

– إذا كانت رائحة التربة كرائحة الطين المستخرج من الأنهار والسواقي، فالماء قريب من سطح الأرض.

ثانيهما – ما كان عن تجربة عملية.

ومن التجارب أن تحفر حفرة في الأرض بعمق ذراع، ثم يؤتى بإناء من نحاس أو رصاص أو فخار على هيئة نصف دائرة، تتراوح سعته ما بين تسعة أرطال وواحد وعشرين رطل ماء، وتلصق في قعر الإناء قطعة من الصوف الأبيض المنفوش بالشمع أو الزفت، وتمسح جوانب الإناء الداخلية بالزيت، ثم يكب الإناء على وجهه في الحفرة، ويغطى بالتراب ويترك يوما وليلة، ثم ينبش التراب عنه آخر الليل قبل طلوع الشمس ويخرج، فإن وجدت الصوفة مبتلة رطبة، دل ذلك



على وجود الماء، وعلى حسب رطوبة الصوفة تكون كثرة الماء وقلته.

استخدام التقانات المائية

صاحبت الكتابة في علوم المياه تطبيقات عملية لتقانات متعلقة بالمياه، عرفتها المنطقة العربية، كتقانات حصاد المياه والحفاظ عليها، ونقلها، ورفعها، وغير ذلك من الممارسات المختلفة. وقد عملت هذه التقانات على حل مشكلة ندرة المياه بطرق ابتكارية.

وعلى سبيل المثال، نجد أن الري بالتنقيط، الذي عرف حديثا في القرن العشرين كتقنية مقتصدة لكمية المياه، قد سبق العرب في الوصول إليه وتطبيقه، فيما يسمى بطريقة الري بواسطة الجرار، كما يتضح ذلك من كتاب «الفلاحة» لابن العوام، الذي عاش في القرن السادس الهجري، حيث أشار في الفصل السادس من مؤلفه إلى هذه الطريقة بقوله: «ولنجعل عند أصل الشجرة جرتين كبيرتين من فخار جديد مملوءتين بماء عذب، وفي أسفل كل جرة منها ثقب لطيف يجري منه الماء إلى أصل الشجرة المغروسة جريا لطيفا دائما، وليكن الثقب على حائل بينه وبين الأرض لكي لا يسد الطين الثقب، وكلما نقص ماؤهما ملئتا...».

ولعل ما يجده الأثريون فيما بين النهرين بالعراق وفي المناطق الجافة بالوطن العربي من جرار وفخاريات يكون من بقايا ما استعمل في الري بهذه الطريقة التي تمثل اقتصادا في الماء. ونعتقد أنها أفضل من استعمال الري بالتنقيط، فطريقة ابن العوام تساعد على ترطيب حجم أكبر من التربة مما يساعد على انتشار المجموع الجذري، كما يقلل من تركيز الملوحة عند الجفاف؛ لأن هذه الطريقة ترطب حجما أكبر من التربة (١٩).

أهم التقانات المائية

لأهمية توفير التمويل اللازم للحصول

على المياه، فقد احتوى هذا التراث جانبا تمويليا يتمثل فيما يمكن تسميته بالوقف المائي، الذي نشأ كنتيجة لحث الشريعة الإسلامية الغراء على الإنفاق في أوجه البر، كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٩٢)، وما جاء في هذه الشريعة من ذكر لجوانب مائية، مثل ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»، حيث وردت في الحديث أعمال متعلقة بتوفير الماء مثل: إجراء نهر، وحفر بئر.

فقد كان للوقف دور كبير في توافر الأمن المائي للمسلمين منذ بداية نشأة الدولة الإسلامية في مدينة الرسول ﷺ، وقد شاع الوقف لهذا الوجه من البر في سائر أنحاء العالم الإسلامي، لعظم فضله وثوابه (٢٠). وليس من قبيل المصادفة أن يكون وقف بئر رومة في المدينة المنورة من أوائل الأوقاف التي ظهرت في عهد رسول الله ﷺ، فقد روى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قدم المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة، وكانت لرجل من بني غفارة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال: بعنيها بعين في الجنة. فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها. فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي ما جعلت له؟ فقال: نعم. وفي رواية أخرى قال ﷺ: من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها – أي عثمان – من صلب مالي (٢١).

فلما كان الحصول على المياه العذبة من المهام الشاقة في كثير من العصور الإسلامية، أصبح تسبيل الماء العذب، وتسهيل الحصول عليه من وجوه البر التي اهتم بها الواقفون، وهنا جاء الاهتمام بالسقايات، التي يطلق عليها أيضا «السبل» أو «الأسبلة»، التي كان الغرض من إقامتها توفير مياه الشرب للمحتاجين في أماكن محددة داخل المدن، وقد اهتم السلاطين والموسرون بهذا الجانب، سواء للناس أو للحيوانات، في مختلف المواضع (٢٢).

لقد أسهم نظام الوقف في انتشار الأسبلة، وصادفت مبانيها رواجا وترحيبا حارا من المسلمين، نظرا لما ترتبط به من فعل الخير بتوافر مياه الشرب للمارة في الشوارع والطرق، لاسيما في أوقات القيظ (٢٣). ويمكن القول: إن الأسبلة كانت تقوم مقام مرفق المياه حاليا في المدن وبدرجة أقل في القرى (٢٤)، وغالبا ما كانت تلحق أسبلة المياه الصالحة للشرب بالمساجد أو تكون وسط المدينة أو على طرق القوافل، لتكون في متناول الجميع (٢٥). وقد أنشئت الأسبلة بين الحارات لتقديم الماء البارد، خصوصا في مناطق ازدحام السكان (٢٦)، بل كانت هناك الأسبلة التي تقوم بتخصيص جزء منها للنساء اللاتي لا يقدرن على دفع أجور السقاة للحصول على حاجاتهن المنزلية من الماء (٢٧).

ومن أشهر نماذج الوقف المائي في التاريخ العربي الإسلامي «وقف عين زبيدة» زوجة هارون الرشيد، وقد وقفتها للإسهام في إمداد مكة بالمياه العذبة. ويذكر اليعقوبي في تاريخه أن السيدة زبيدة أمرت خازن أموالها بعمل ما يلزم كي تصبح العين صالحة لإنتاج المياه وانتفاع أهل مكة بها، ونقل عنها أنها قالت للخازن: «أعمل ولو كلفتك ضربة الفأس دينارا». ويذكر المسعودي أن جملة ما صرف من أجل تجهيز «عين زبيدة» وتشغيلها بألف وألف وألف وسبعمئة ألف دينار ذهبا. وحسب رواية الأزرقي عن أخبار مكة، فإن السيدة زبيدة بعد انتهاء العمل وتمام المشروع قامت برمي المستندات في نهر دجلة، وقالت: تركنا الحساب ليوم الحساب، ومن بقي عنده شيء من المال فهو له، ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه (٢٨). ومن الأمثلة الأخرى ما نص عليه في وثيقة وقف السلطان المملوكي الأشرف برسباي (ت٨٤١هـ) في أنه يصرف في كل شهر من الشهور من ريع الوقف ما يضمن ثمن ماء عذب ينقل إلى الصهريج من ماء النيل (٢٩).

أهمية إحياء التراث المائي

بما أن الحيز المتاح لنا في هذه الإطلالة لا يكفي للتطرق إلى كل مكنوزات بحر تراثنا المائي، فإننا سننهي إطلالتنا بإضاءة حول أهمية إحياء هذا التراث. فقد تنبهت الدراسات العلمية الحديثة إلى ما يتميز به التراث المائي العربي – الإسلامي، وأوصت بإعادة الاستفادة منه وتطبيقه. نختار هنا نماذج لعبارات مقتبسة من تلك الدراسات بهذا الصدد، وهي الآتي:

- تعتبر أنظمة الماء أو مؤسساته القديمة شواهد حية على عبقرية أسلافنا، وهي تعبر عن الأهمية التي أولوها للماء، ومنها السدود في سبأ وبلاد ما بين النهرين، وحدائق قصر الحمراء، ومحكمة الماء في بلنسية (الأندلس)، والأفلاج في سلطنة عمان. وقد ساهم العرب، عبر العصور، في التقدم الذي أحرزه الإنسان في مجال

الماء، ومارسوا بعضا من أفضل أنظمة حوكمة المياه. وما من شك في أن زيادة الاطلاع على أنظمة المياه القديمة ومؤسساتها تزيد من القدرة على معالجة موضوع المياه، وتساهم في التغلب على التحديات العالمية في هذا المجال (٣٠).

● إذا كانت التقنيات الحديثة والأقمار الاصطناعية وأجهزة الاستشعار عن بعد تعطي مؤشرات عن إمكانية وجود المياه الجوفية في أماكن معينة، وهذه المؤشرات لا تتسم بالدقة الكافية أو الثبات، فإن الحضارة الإسلامية من خلال علمائها النابهين الأفذاذ قد تميزت في هذا المجال تميزا أبهر الدنيا كلها، مما يدعونا إلى دراسة تراث علمائنا وما سطروه في هذا المجال، تحقيقا لتعظيم الاستفادة من المياه الجوفية التي يمكن أن تؤدي دورا كبيرا في علاج مشكلاتنا المائية الحالية والمستقبلية (٣١).

● لا نكون مبالغين عندما نقول إن المعارف التقليدية التي مارسها القدماء قد تكون حلا للعديد من المشكلات المعاصرة، وإن ما يبحث عنه العلم الحديث من حل لقضايا اقتصادية ترتبط بالبيئة، يكون كامنا في المعارف التقليدية، حيث إن كثيرا من هذه المعارف وممارساتها تساعد على إعادة استكشاف الجذور البيئية والبشرية للقضايا المختلفة (٣٢).

واستنادا لكل ما سبق، خصوصا في ظل تفاقم مشكلات المياه في معظم البلدان العربية والإسلامية، فإنه صار من الأهمية البالغة إعادة النظر في مكنوزات تراثنا المائي، والعمل على إعادة استكشافها وإحيائها، بما يفيد في تحقيق الأمن المائي لحياتنا المعاصرة ومستقبلنا المقبل.

الهوامش

١- سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه، (رقم ٤٢٥).
٢- سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة، (رقم ٣٦٠٥).
٣- صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة وغسل أحدهما بفضل الآخر، (رقم ٣٢٦).
٤- سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، (رقم ٣٢٨).
٥- سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الماء الدائم، (رقم ٥٧).
٦- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، (رقم ٢٨١).
٧- سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في البول في المستحم، (رقم ٢٧).
٨- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، تقرير المياه والتنمية (العدد الرابع) تعزيز القدرات في إدارة الموارد المائية المشتركة في البلدان الأعضاء في الإسكوا، الأمم المتحدة، نيويورك،٢٠١١م، ص٢٦.
٩- صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع فضل الماء الذي يكون بالفلاة، (رقم ١٥٦٥).
١٠- سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في منع الماء، (رقم ٣٤٧٧).
١١- خالد عزب، كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٦م، ص١٩.
١٢- كمال الدين حسن البتانوني، المعارف التراثية في صحاري الوطن العربي، سلسلة عالم البيئة، رقم ٥، إصدار جائزة زايد الدولية للبيئة، دبي، ٢٠٠٦م، ص١٠٨.
١٣- سيمون الحايك، محكمة المياه في بلنسية، ندوة إسهامات العرب في علم المياه والري، الكويت، ١٩٨٨م، ص٢١٤.
١٤- Majzoub, T. (٢٠٠٥). "Potential 'Legislative Water Governance' in the ESCWA Region." Seminar on Water Governance: The Role of Stakeholders and Civil Society Institutions, ١٤-١٨ November, Beirut.
١٥- خالد عزب، مصدر سابق، ص٢٩.
١٦- أحد أشهر الموسوعيين العثمانيين.
١٧- انظر فصل «علم استنباط المياه عند المسلمين» صفحات ٢٨-٤٦ من كتاب خالد عرب، مصدر سابق.
١٨- المصدر نفسه.
١٩- كمال الدين حسن البتانوني، مصدر سابق، ص١٧٠.
٢٠- محمد عبدالقادر الفقي، دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت، العدد ٤٩٣، ٢٠٠٦م.
٢١- إبراهيم البيومي غانم، إسهام الوقف الإسلامي في الإدارة المتكاملة لمصادر المياه، الحلقة النقاشية حول الوقف المائي - مناهج مبتكرة في التمويل، على هامش المؤتمر العربي الإقليمي الثالث للمياه، تنظيم المجلس العربي للمياه ومنظمات أخرى، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٤٦.
٢٢- المقريزي، (د.ت)، ج ٢/ ص٣٠٩.
٢٣- أحمد الصاوي، الأسبلة ماء الحضارة، حورس، عدد أبريل - يونيو ١٩٩٥م، ص٥٩.
٢٤- إبراهيم البيومي غانم، الأوقاف السياسية في مصر، دار الشروق، القاهرة بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٩١.
٢٥- أحمد أبوزيد، نظام الوقف الإسلامي: تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٤٩-٥٠.
٢٦- نعمت عبداللطيف مشهور، أثر الوقف في تنمية المجتمع، مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٧- أحمد الصاوي، مصدر سابق، ص٥٩.
٢٨- إبراهيم البيومي غانم، ٢٠٠٦م، مصدر سابق، ص٤٧.
٢٩- محمد محمد الأمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٤٨-١٤٩.
٣٠- المنتدى العربي للبيئة والتنمية، تقرير المياه إدارة مستدامة لمورد متناقص، تحرير محمد العشري وآخرون، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ص١٣٨.
٣١- أحمد علي سليمان، منهج الإسلام في مواجهة مشكلات المياه، منظمة الأسيسكوا، الرباط، ٢٠١٠م، ص٩٣.
٣٢- كمال الدين حسن البتانوني، مصدر سابق، ص٣٤.

عدنان مرون الوهابي
باحث وناقد أدبي

المستشرق «رايسكه» عند الأدب العربي

لم تبدأ الدراسات الشرقية في ألمانيا مبكرا مثلما هو الشأن في بقية الدول الأوروبية، كإسبانيا أو إيطاليا؛ نظرا لبعدها عن العالم الإسلامي أولا، وغياب الروابط الاستعمارية مع دول المشرق ثانيا. ولم تكن هذه الدراسات نابعة كذلك من أهداف دينية تبشيرية، «فلم تحاول ألمانيا أن تستعمر البلاد العربية؛ لذلك نجا مستشرقوها من الخضوع للسياسة، ولم تحاول التبشير فنجا مستشرقوها من العبث بالتاريخ الإسلامي، أو تفسيره على شكل يخدم مصالحهم» (١).

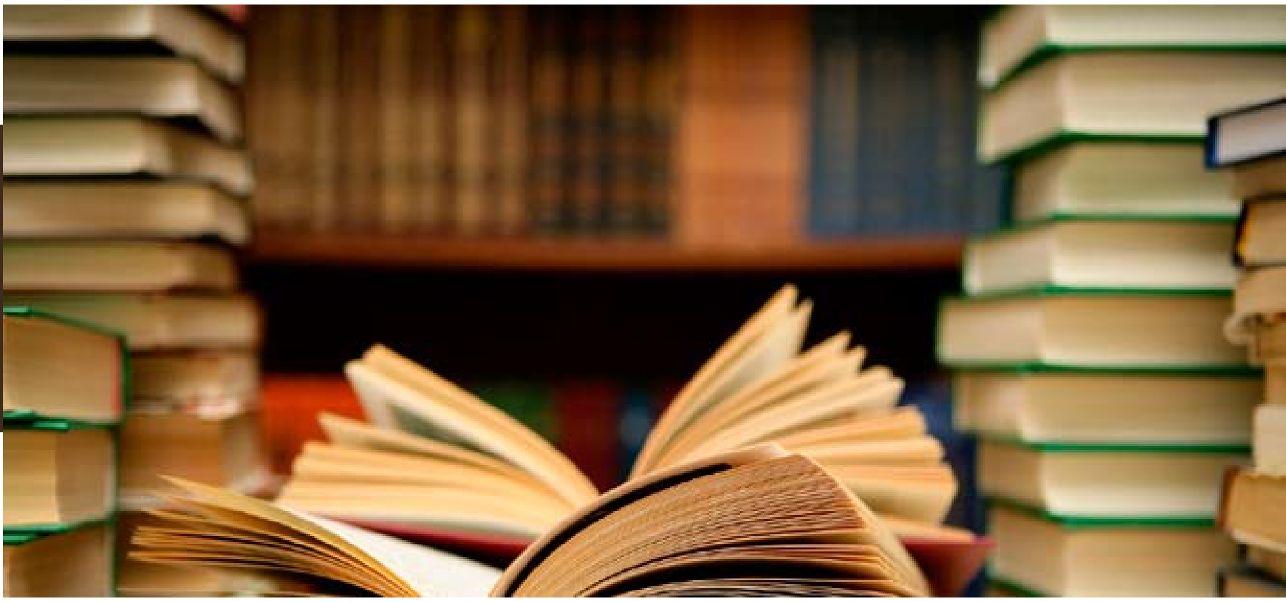
توضح لنا مسيرة الاستشراق الألماني بجلاء غياب النظرة العدائية إلى العرب خاصة، والإسلام بصورة عامة. وإذا وجد من المستشرقين الألمان من تحامل على العرب وحضارتهم ودينهم، فهو غالبا ما يفعل ذلك بسبب الجهل وليس تعمدا. ومرد ذلك إلى اطلاع مستشرقيها العميق على الحضارة الإسلامية وتراثها عبر المصادر المخطوطة، ففي مكتبة برلين وحدها ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط، وفي تركيا ربع مليون مخطوط، غاصوا في بحرها، واستخرجوا دررها وجواهرها، وانصرفوا؛ نتيجة لذلك، إلى دراسة اللغة والثقافة والتاريخ بشكل مجرد، هدفهم العلم والمعرفة، ملزمين أنفسهم بمنهج علمي دقيق؛ حتى اشتهروا: «بدقة البحث والصبر عليه، والاستطاعة العجيبة في أن يؤلفوا بين أجزائه المتنافرة، وأن يصلوا منه إلى أدق النتائج وأعمقها» (٢).

وفوق ذلك أوتي بعضهم الإخلاص والتفاني وحب اللغة العربية، فالمستشرق ويستلفد نشر من تراثنا القديم ما يعجز عنه مجمع علمي، وبلغت دراساته ومؤلفاته المئتين، وفقد بصره في آخر حياته لكثرة ما اشتغل عليه من المخطوطات طوال ستين عاما! والمستشرق الألماني اهلفارت تعلم «العربية» وأتقنها، ووضع فهرس المخطوطات العربية لمكتبة برلين في عشرة مجلدات ضخمة، أمضى في تصنيفها عشرين سنة (٣)، ويوهان جاكوب رايسكه (١٧١٦-١٧٧٤م) الذي يعتبر أول مستشرق أوقف حياته على دراسة «العربية» والحضارة الإسلامية.

الدراسات العربية

هو مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا، وشهيد الأدب العربي، فبعد أن أتقن «اليونانية» و«اللاتينية» في المرحلتين الابتدائية والثانوية، شرع في ربيع ١٧٣٣م بمدينة ليبستك في تلقي العلم في جامعتها، فشغف باللغة العربية حبا، وأحس بشعور قوي لتعلمها، فاقتحم يمّها غير متردد، متسلحا بحبه، ومعتمدا على نفسه، فتمكن من إتقان النحو العربي، وتجاوز كل صعوبات قواعد اللغة، حارما نفسه من ضروريات العيش، فلم يتقاض من أهله طوال سنوات دراسته الخمس غير مئتي «تالر»، سخّر معظمها، إن لم نقل كلها، في اقتناء الكتب العربية المتيسرة في تلك الفترة. وفي ظرف سنتين (١٧٣٣-١٧٣٥م) تمكن من فهم السجع العسير في «سيرة تيمور» لابن عربشاه. والاطلاع على الكتب العربية المطبوعة حتى سنة ١٧٣٦م. وأخذ ينسخ ما وجد في مكتبة ليبزج من مخطوطات عربية، ما حمل المستشرق الألماني الشهير فلايشر أن يقول عنه: «من النادر أن نجد الآن شابا في الثانية والعشرين من عمره، تسلح بأفضل الدروس، وموثوق المصادر. ربما كان قادرا على تقديم الأفضل» (٤).

وعثر في مكتبة ليبزج على مخطوط «رسالة هرمس في معادلة النفس» (٥)، فقام بترجمتها إلى اللاتينية. كما



درس مقامات الحريري، ونشر المقامة السادسة والعشرين في نصها العربي مع ترجمة لاتينية، لكنه لم ينظر إليها بعين الرضا، إذ اعتبرها تجربة تلميذ بائس (٦).

وكان كلما تعمق في الأدب العربي، أصبح حبه أكثر إشراقا، وامتلأت روحه بسحر الشرق، وفتن بعلومه وآدابه، فازداد شوقا للغوص في مخطوطاته ومتونه. وما كانت هذه الرغبة العلمية الملحة لتتحقق ما لم يتمكن من الدخول إلى مكتبة ليدن (leiden) والاطلاع على كنوز المخطوطات البابوية، مستسهلا في ذلك كل الصعوبات، ومذللا جميع العقبات التي تعترض مشروعه وطموحه، بصبر قل مثيله، وعزيمة تقض الجبال، فقرر في شهر مايو ١٧٣٨م السفر إلى هولندا سيرا على الأقدام(٧)، وحين وصل إلى أمستردام عرض عليه اللغوي الكلاسيكي أوفيل -وبتوصية من صاحبه فولف- العمل لديه، إلا أن رايسكه -وقد غلب عليه حب «العربية»- أبى أن تقيده أي ارتباطات، ورفض ذلك العرض السخي بشدة، فواصل رحلة الشوق والحنين إلى النهل من معين المخطوطات.

ولما وصل إلى ليدن في السادس من شهر يونيو ١٧٣٨م، اصطدم بحاجز العطلة الصيفية التي على الأبواب، «لكن الشيء الذي آلمه بشكل خاص أن المكتبة التي جاء من أجلها موصدة في وجهه؛ وذلك لافتقاره إلى المال» (٨)، إذ كان التردد عليها مقابل مبلغ مادي، لم يكن في استطاعته دفعه، مما دفعه لأن يعمل عند أحد الناشرين مصححا لتجارب الطبع في مقابل أن يكفل له المسكن والمأكل. وفي الوقت نفسه كان يعطي دروسا خصوصية في «اليونانية» وفي المحادثة باللاتينية للطلاب الهولنديين.

سحر الشعر العربي

ولما بدأت الدراسة في جامعة ليدن، تخلى عن عمله، وسارع إلى قراءة المخطوطات التي طال حنينه إليها، واشتد شوقه إليها. ولو تُرك له الخيار، لما اختار على المؤرخين والجغرافيين العرب شيئا. لكن أستاذه اسخولتنز وجهه إلى دراسة الشعر العربي، فنسخ مخطوطات تتناول التاريخ والشعر العربي القديم، أمثال دواوين طرفة وجرير وطهمان وحماسة البحتري ولامية العرب للشنفرى، لكنه اهتم كثيرا بالمعلقات، فعكف على دراستها مع شروح التبريزي وابن النحاس، ووقع اختياره أخيرا على أطولها للعمل بها، وهي معلقة طرفة بن العبد، وأعدها للنشر سنة ١٧٤٢م بعنوان: «معلقة طرفة بشرح النحاس، بحسب مخطوطات ليدن العربية، نشرها وترجمها إلى اللاتينية وشرحها يوهان ياكوب، وفي مواجهة ترجمة لاتينية وتحتها، شرح أبي جعفر النحاس».

إن ملاحظات رايسكه النقدية تظهر اطلاعه الكبير على مصادر الشعر العربي ودواوينه، وعلمه العميق بتاريخ العرب وأنسابهم، وترسم لنا شخصية ناقد متمكن في مجاله، متسلح بأدوات التحليل والتركيب، قادر على الجمع بين الأشباه والنظائر، واستخراج بواطن النص وكوامنه، هكذا نجده يظهر استدلال الناظم، ويبين ما طرأ على الموضوعات جميعها من تغييرات شعرية من خلال مقارنتها بنظائرها من المعلقات الأخرى، وبمجموعة من مصادر الشعر العربي، مثل ديوان الهذليين والحماستين وأشعار المتنبي وأبي العلاء وغيرهم من فحول الشعر.

وتعالج المقدمة كتابه: «الخطوط،

والحواشي، وشروح المعلقات، بناء على بعض الملاحظات حول الترجمة اللاتينية والهوامش، ثم مختلف الإشارات والرموز المعروفة من بينها. وقدم من كل واحدة على حدة نظرة شاملة عن المحتوى، فضلا عن مختصر لسيرة المؤلف، ثم يناقش في الختام حياة طرفة بإطناب. وتوضح شجرة الأنساب علاقات قربى طرفة وغيره من شعراء الشمال العرب، وتسهل ضبط النصوص التاريخية المقترحة في المقدمة» (٩).

وكان نشرُ رايسكه معلقة طرفة فتحا جديدا عظيما في ميدان الدراسات العربية، إذ وضع بذلك الأساس العلمي لدراسة الشعر العربي. لأن الاهتمام سابقا كان للدراسات الدينية ولما يلقي الضوء على العهد القديم، «ولعل ما يميز هذا الأسلوب عن غيره، شدة بعده عن الخيوط التي بحث المستشرق اسخولتنز فيها قبله عن الجذور السامية وسط ضباب أوهامه، في حين أن رايسكه لم يجشم نفسه حتى عناء الإشارة إليها. فمن رغب في الاستدلال بأسلوبه على أن نشأة المعلقات ترجع إلى القرن السادس الميلادي، عرف على أي حال الموقف الذي ينبغي اتخاذه من اكتشاف المستشرق اسخولتنز حول الشعر العربي» (١٠).

رايسكه والتاريخ العربي

أثناء فهرسته للمخطوطات العربية الموجودة في مكتبة ليندن، قام رايسكه باستنساخ كتاب معارف ابن قتيبة، وتاريخ وجغرافيا أبي الفداء، وتاريخ حمزة الأصبهاني، وفصول من سير الأطباء لابن أبي أصيبعة.. وغيرهم. وترجمة مقدمة كتاب «تقويم التواريخ» لحاجي خليفة، وهذا الكتاب يتكون من مقدمة بالتركية تتحدث عن التاريخ الإسلامي، ومن سرد للسنوات من لدن الخليقة حتى ١٠٥٨هـ مع ذكر لأهم ما وقع فيها من أحداث. وقد أضاف رايسكه بعض الإضافات إلى هذه الطبعة (١١).

وفي هذه المقدمة يرفض رايسكه نعت العربي «بالشرقي»، باعتباره مصطلحا يفتقر إلى الدقة والعلمية، ويغيره «بالمحمدي» أو «المسلم»، لأن المسألة في نظره تتعلق بـ «تاريخ المسلمين» في جميع أصقاع العالم وليس المشرق وحده.

إن هذه النظرة تعبر عن نظرة رايسكه الثاقبة الإجمالية للمسائل والقضايا التاريخية. فتبرزه في صورة مؤرخ يتأمل تاريخ الآخر بموضوعية وتجرد من الأهواء والضغائن والعدائية، ويعتبر دراسته ضرورية لأسباب حركة التاريخ وتطوره، كما هو الشأن في القرون الماضية التي كان معترفا بأهميتها في الماضي، إنه تعقب لمصائر دول ومناطق الشرق وإفريقيا على مدى قرون خلت. فيولي العلاقات المتبادلة القائمة منذ عهود شارل الكبير والبيزنطيين، مرورا بالرومان والحملات الصليبية، وحتى الحروب التي دارت بين الأتراك وأوروبا والعالم الإسلامي، اهتماما كبيرا. ويشير إلى الملاحظات التي عبر عنها المؤرخون الغربيون من معرفتهم بالشرق. لكنه يشدد على أن تاريخ الشرق في محتواه ليس دون الأوروبي منزلة.

وبمثل هذه النظرة المتعالية عن الأهواء، والمتسمة بالموضوعية، يرى في هذه المقدمة أيضا أن ظهور الرسول ﷺ وانتشار دينه في مختلف أرجاء البسيطة من الأحداث التاريخية التي يعجز العقل البشري عن سبر أغوارها، وإدراك كنهها، ولا يجد لذلك تفسيرا سوى أنها دليل على العناية الإلهية. ويعتبر عليا -كرم الله وجهه- أفضل فارس أنجبه تاريخ الإسلام مقارنا إياه بالفيلسوف مارك أوريل.

وفي خاتمة كتابه، وبعد أن أنهى رايسكه معالجة قضاياه التاريخية في الأجزاء الثلاثة، يختتم بعبارات الثناء الجديرة بالقراءة حتى في عصرنا الحاضر عن التاريخ الإسلامي، الذي نصح بالاطلاع على مناقبه بشتى الطرق (١٢).

إن هذا الميل إلى التركيز على موازيات الأحداث التاريخية، وإظهارها بالمقابلة مع ظواهر مشابهة من التاريخ الأوروبي، تحمله دائما على كشف النقاب عن نظائر بين التاريخين الإسلامي والأوروبي؛ بقصد إطلاع قرائه على أن مشاهد رائعة ممتلئة بالعبر قد جرت على مسار الشرق مثلما كانت عليه الحال في أوروبا (١٣).

محنته

إن رايسكه، الذي تفانى في حب اللغة العربية والدفاع عنها، عانى شدة المحن، وضيق اليد، وقسوة الفقر، واتهامات متعددة بالكفر والهرطقة وضعف المهنية، فبعد أن حصل على لقب الأستاذية من بلاد درسدن، كان يُدفع له بغير انتظام معاش ضئيل مقداره ١٠٠ تالرن سنويا، قبل أن يتوقف نهائيا بعد عام ١٧٥٥م.

وظل تحت وطأة الفاقة والحاجة. وتحت رحمة سهام النقد والتكفير والمقت من اللاهوتيين، لتمجيده الإسلام ورفضه لأكاذيبهم واتهاماتهم الدينية وشبهاتهم حول الرسول ﷺ. فقد أبى أن يصف النبي عليه الصلاة والسلام بالزيف والدجل، وأن يصم أذنيه عن تعاليمه لأنها محض أساطير. وقسم رايسكه التاريخ الإسلامي إلى شقين: شق مقدس وآخر مدنس، بل وضع

العالم الإسلامي في نقطة الوسط من التاريخ البشري. وعبر عن رأيه بكل شجاعة غير خائف ولا مبال بالعواقب والتبعات، ولا الخصومات التي أوقع نفسه بها.

وحاربه أيضا أستاذه السابق اسخولتنز، بعد أن ألف هذا الأخير كتابين: الأول هو: «كتاب أربينوس في النحو العربي»، وأضاف إليه مختارات من «الحماسة»، وقدم لها بمقدمة حاول فيها أن يفند آراء لشراح التوراة اليهود وخلفائهم من المسيحيين الذين ادعوا أن العبرية لغة مقدسة، وأن يثبت بالتالي المصاهرة بين اللغتين العربية والعبرية. أما المؤلف الثاني فهو ترجمته لسفر «الأمثال» المنسوب إلى سليمان، مع شرح استخدم فيه منهج الاشتقاق من دون تحفظ ولا احتياط.

فانتقد رايسكه هذين الكتابين، خصوصا بعد أن قال إنه كان من الأفضل لو كان أحد آخر غير اسخولتنز قد تولى هذا العمل (١٤). مما جر عليه غضب أستاذه السابق وحنقه، فرد عليه ردا عنيفا غير موضوعي، وكال إليه الشتائم والإهانات، في رسالتين نشرهما في كتاب، مما جعل الجامعات الألمانية أو حتى غير الألمانية ترفض تستدعي رايسكه للتدريس فيها.

وفي سنة ١٧٥٣م أجرى الأستاذ النمساوي بوبوفيتش محاولة لتوظيفه في البلاط التركي، لكن هذه المحاولة فشلت؛ لأن رايسكه، وهو بروتستنتي، رفض اعتناق المذهب الكاثوليكي الذي كانت النمسا تلزم موظفي سفاراتها به.

وظل حبه للغة العربية هاجسه الذي لا يفارقه حتى وهو يرسف في أغلال الحاجة. فلجأ عند نهاية ١٧٥٦م إلى صديقه السابق يوهان دافيد ميخائيلي، ليمد له يد العون، ولم يجل في خاطره لوهلة أن زميله هذا كان يغار منه ويحسده لتفوقه في الدراسات العربية. فرغم أن ميخائيلي كان موهوبا مثله، فإنه لم يكن يمتلك القدرة على تحليل الأشياء والتأليف بين النظائر والأشباه التي كان يتميز بها رايسكه. ولم يسع إلى تحرير اللغة العربية من اللاهوت، كما رأى رايسكه، الذي اعتبر أنه لا يمكن أن تدرس اللغة العربية لذاتها، فقال صراحة: «لو شاء المرء النهوض باللغة العربية، فينبغي عليه ألا يتناولها تناول اللاهوتي» (١٥). في حين أن ميخائيلي كانت معارفه واهية، حين اعتبر الإعراب بمنزلة اختراع من النحويين، ويسير وفقا للصورة الأوروبية. وقد سلم هو نفسه بأنه لم يتمكن من وزن القوافي العربية. وكان بادئ الإخفاق في أثناء دروسه بالعربية. وعمل على الرغم من ذلك كله على ألا ينازعه فيها منازع (١٦). إلا أن هذا الأخير وبدافع الحسد قام بوشاية به عند الوزير فون مونشهاوزن مشفوعة بتعليق ضد رايسكه، وأوقف السير في إجراءات النظر في طلب رايسكه (١٧).

وهكذا تحطمت آمال رايسكه في الحصول على وظيفة أستاذ في إحدى الجامعات الألمانية، وكان عليه أن يقبل بوظيفة في مدرسة ثانوية، فصار ناظرا لمدرسة نيقولاي في ١٧٥٨م، وأوشك قرار تعيينه أن يلغى بسبب خيانة صديق له. لكنه ولحسن حظه في سنة ١٧٥٨م، وبعدما حدد النقود العربية بإيعاز من ناظر مكتب سك النقود في مدينة درسدن، مستشار البلاط، رشتر، حول اهتمام الوزير النبيل (فاكربارت) لفائدته. وكانت توصية الوزير كافية لإبطال كل التحفظات التي أبرزها رجال الكنيسة ضد اختيار رايسكه لهذا المنصب (١٨).

ومنذ تعيينه في هذا المنصب تحسنت أحواله المادية، بعد أعوام طويلة من المتاعب والصعاب. وما كان منصبه يترك له من فراغ، كان يعكف على دراساته في الأدب العربي والأدب اليوناني (١٩).

من أعماله

قام رايسكه بأعمال عظيمة في ميدان الدراسات اليونانية، ويبدو أنه كان يريد أن يقوم بمثلها في ميدان الدراسات العربية، لولا أن حال دون ذلك عدم رواج المنشورات العربية، وعدم وجود من يتولى نشرها على حسابه من الناشرين. إن رايسكه الذي وجد ناشري النصوص اليونانية يتهافتون عليه، لم يجد ناشرا واحدا يقبل أن ينشر له كتبه في ميدان الدراسات العربية (٢٠). فاضطر إلى أن ينشر ما نشر من ذلك على نفقاته الخاصة، وهو الفقير الذي لا يمتلك مالا، كما رأينا من ظروف حياته، ويتجلى ذلك في قوله: «إن فقره فقط، هو الذي أثناه عن إنجاز المزيد للأدب العربي. فلو أن ظرفه المادي كان أفضل، لأقدم على طبع كتب عربية، وبخاصة معجم للجيب، وإذا لم تدركه العناية الإلهية ضاع فداء للغة العربية» (٢١). ويقول عن المخطوطات: «ليس عندي أولاد، ولكن أولادي يتامى من دون أب، وأعني بهم المخطوطات» (٢٢).

فنشر الجزء الأول من ترجمته اللاتينية لتاريخ أبي الفداء في عام ١٧٥٤م، فلم يبع منه سوى ثلاثين نسخة. وطبع على نفقته «لامية الطغرائي» فباع منها مئة نسخة. ومن ثم اقتصر على نشر نصوص صغيرة (٢٣):

- نشر رسالة «ابن زيدون إلى ابن عبدوس»، النص العربي مع ترجمة

لاتينية ١٧٥٥م، وحقق فقرات من شرح ابن نباتة على رسالة ابن زيدون وترجمه إلى اللاتينية مع تعليقات.

- رسالة هجاء لأبي أوس بشرح الصفدي ١٧٥٥م (٢٤).
- نزهة الناظرين في من ولي مصر، من الخلفاء والسلاطين لمرعي بن يوسف ١٧٥٥م (٢٥).
- ترجم إلى الألمانية لامية العجم للطغرائي في عام ١٧٥٦م.
- سبعة أمثال للميداني (٢٦).
- ونشر في عام ١٧٦٥م نماذج للشعر العربي: بعض أبيات في الغزل ومرثيتان كاملتان للمتبني: النص العربي، مع ترجمة ألمانية وتعليقات، وقد أهداها إلى زوجته.
- وكان رايسكه قد بعث برسائل إلى مستشار القصر رشتر (RICHTER) المشرف على متحف النقود في درسن، فنشرت بعنوان «رسائل عن النقود العربية».

خاتمة

وفي الختام يمكن القول إنه يكفي رايسكه هذا شرفا أنه يعتبر مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا، وواضع حجر أساسها فيها. وازدهرت الدراسات الاستشراقية من بعده بفضل إنشاء كراسي عديدة لتعليم «العربية»، وازدياد المكتبات الشرقية التي اكتظت بالآلاف من المخطوطات والمؤلفات العربية والشرقية النادرة، وإنشاء المطابع الشرقية، وتأسيس الجمعيات الشرقية، كالجمعية الشرقية الألمانية التي أسست على غرار الجمعيتين الآسيوية الفرنسية والآسيوية البريطانية، وإصدار المجلات المتخصصة، كالمجلة الشرقية الألمانية(٢٧). ويكفيه الفخر أيضا أنه بعد قرن من وفاته ازدهرت هذه الدراسات في المدينة التي عاش وقضى حياته فيها، التي تعتبر أهم مدرسة اعتنت بالدراسات العربية، ليس في ألمانيا وحدها، بل وفي العالم أجمع.

لقد تفانى الرجل في حب العربية وعلومها، ولم يكن الربح المادي وراء محبته وعشقه لها، بل على العكس، إن حبه لها، وتعظيمه للرسول الكريم، وتنزيهه لدينه، وتقديره لأبطال المسلمين، ورفضه تهديدات الكنيسة، كانت جميعها سببا في أن يحيا حياة قاسية، تعتريها المشقة والضنك وشظف العيش؛ حتى مات مسلولا. وهكذا يجب أن ندرك الظروف الصعبة التي عمل فيها هذا المستعرب، وأي جهد عظيم بذله في خدمة التراث العربي في فترة لم يكن أحد يهتم بالدراسات العربية، فكان كما قال هو عن نفسه: «لقد أصبحت شهيد الأدب العربي».

الهوامش

١ - المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، صلاح الدين المنجد، ص١٨٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

٢- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشال جحا، ص١٨٥، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، معهد الإنماء العربي، بيروت.

٣- الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات العربية، ساسي سامي الحاج، ج١ و٢، ص١٤٩، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا.

٤- تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، يوهان فوك، ص١١١، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ليبيا.

٥- نشرها الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه «الأفلاطونية الحديثة»، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٥م، الطبعة الثانية، الكويت، ١٩٧٦م.

٦- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص٢٠٣، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٧- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشال جحا، مرجع سابق، ص١٩٠.

٨- تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، مرجع سابق، ص١١٢.

٩- تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، مرجع سابق، ص١١٢.

١٠- المستشرقون والقرآن: دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، عمر لطفي العالم، ص١٩٤، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا.

١١- موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، ص٢٠٥.

١٢- تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، يوهان فوك، ص١١٥، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ليبيا.

١٣- المستشرقون والقرآن: دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، عمر لطفي العالم، ص١٩٧، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا.

١٤- موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٢٠٦، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٥- موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٢٠٥، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٦- المستشرقون والقرآن: دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، عمر لطفي العالم، ص١٩٨، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا.

١٧- موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٢٠٧، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٨- تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، يوهان فوك، ص١٢٠، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ليبيا.

١٩- موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٢٠٧، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٢٠- موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٢٠٨، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٢١- تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، يوهان فوك، ص١١٩، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ليبيا.

٢٢- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ميشال جحا، ص١٩٠، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، معهد الإنماء العربي، بيروت.

٢٣- انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ج٢، ص٣٥٥، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، مغفول تاريخ الطبع.

٢٤- الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات العربية، ساسي سامي الحاج، ج١ و٢، ص١٤٨، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا.

مرهف بن حسين أسد
باحثة إسلامية



الأخــــلاق وأثـــرهـــا في إحياء الأمة

لقد جاء الإسـلام ببرنامج تربوي منظم على أسـاس فطرة الإيمان، لبناء أمة صالحة تحتضن أجيالا تؤمن بالله واليوم الآخر.

وهـو يستند في برامجه على قوة الضمير الأخلاقي الـذي زرعـه الله سبحانه وتعالى في نفوس البشر، بهدف بناء مجتمع تحكمه الصفات الإنـسـانـيـة والـسـجـايـا الأخلاقية النبيلة المبنية على أساس من المبادئ الإيمانية المتينة، التي ترسخ في المجتمع الإسـلامي مجموعة من المقومات التي تحدد أسـاس وجوده وقوة شخصيته، سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي أو الأخلاقي أو الاقتصادي أو السياسي...

غير أن تلك المبادئ باتت تؤرق الكثير من أعداء هذا الدين، وتجعلهم يسعون بشتى الوسائل الممكنة لإقصاء الدين الإسلامي عن ساحة الحياة، لأنه وكما يعتقدون يمثل بمبادئه وأخلاقه المعارض الأول والخطر الأكبر الذي يهدد وجودهم ومصالحهم، خاصة في ظل هـذه الظروف التي نعيش فيها، إذ تكشف ما كان سرا وأصبح العمل مكشوفا على سمع الناس وأبصارهم.

فجندوا جـنـودا مدربين ومزودين بأفكار تؤجج الفتن والشتات في صفوف المسلمين، وتسعى في انتشارها بينهم انتشار النار في الهشيم.

إن مستعمري العالم يخافون دائما من وعي الشعوب المسلمة، وخاصة الشباب فيها، ولذلك فإن جانبا من برامجهم الواسعة لاستمرار سيطرتهم وتبعية المجتمعات الإسلامية لهم، موجهة لإغراق المجتمعات بالغفلة والجهل والضلال، وإبعادهم عن تلك المبادئ الإيمانية التي تمثل أساس وجودهم، وإشاعة الرذيلة وتخدير الـنـاس عـن الأمـور الجليلة التي

تنتظرهم.

من هنا لم يجد الغربيون وسيلة أفضل ولا أسرع من هدم أخلاق تلك المجتمعات ومبادئها لتصل إلى مبتغاها، ولتحقق مآربها.

مكانة الأخلاق في الإسلام

إن الأخلاق شطر من صميم الإسلام، تجتمع مع العقيدة والشريعة في منهج متكامل يمثل بمجموعه الدين الإسلامي، فهي داخلة في دائرة الدين لا تنفصل عنه ولا تتغير بتغير الأزمان والبيئات كغيرها من التقاليد والعادات، وهي الركيزة الأساسية للحضارات والمجتمعات، لهذا ربطها الله سبحانه وتعالى جنبا إلى جنب مع الشعائر والعبادات حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون:١-١١).

وفي لوحة أخرى من لوحات كتاب الله، يمزج سبحانه بين الأخلاق الربانية كخشية الله سبحانه وتعالى، وخوف سوء الحساب، والأخلاق الإنسانية من وفاء وصبر وصلة وإنفاق ودرء للسيئة بالحسنة، فيقول: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ (الرعد:١٩-٢٢).

وليست آيات سورة الفرقان والرحمن ببعيدة عمن أراد قطف طاقات من مكارم الأخلاق ومحاسنها، واستشعار حسن الدين وكماله فيها: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ (الفرقان:٦٣-٧٦).

من خلال هذه اللوحات تتضح منزلة الأخلاق في الإسلام، ومكانتها في تكوين بنيان المجتمع المسلم، وترسيخ دعائمه.

وكما هي وظيفة السنة الشريفة من تبيين وتأكيد لما جاء في القرآن، فقد بين النبي ﷺ وأكد أهمية محاسن الأخلاق في حياة المسلم، ومدى عظم الأجر الذي يصيبه إن اصطبغ بها.

فقال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

وقال أيضا في وصيته لأبي ذر رضي الله عنه: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: لقيت رسول الله ﷺ، فبدرته، فأخذت بيده، وبدرني فأخذ بيدي، فقال: «يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ألا ومن أراد أن يمد في عمره، ويبسط في رزقه، فليصل ذا رحمه».

وسئل ﷺ يوما: أي المؤمنين أفضل؟ فقال: «أحسنهم أخلاقا». فقيل: فأي المؤمنين أكيس؟

قال: «أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا، أولئك الأكياس».

وقال: «أكثر ما يدخل الجنة، تقوى الله وحسن الخلق».

وقال: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام، وإن أحسن الناس إسلاما

أحسنهم خلقا».
وليس أدل على أهمية ومكانة الأخلاق من قوله: «ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة» فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثا، ثم قال: «أحسنكم أخلاقا».
فالأخلاق في الإسلام بعد تلك النصوص البينات، لابد وأن تكون في مستهل أولويات الناس على اختلاف سوياتهم وطبقاتهم، لأنها تمثل معيار تقدمهم أو تخلفهم في الدنيا والآخرة، لهذا قرن سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بين تغير أوضاع الإنسان الفردية والاجتماعية وبين تغيير أخلاقياته وملكاته النفسية حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١).
وهذا ما فهمه عطاء رحمه الله تعالى وعبر عنه بقوله: «ما ارتفع من ارتفع إلا بحسن الخلق، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى، فأقرب الخلق إلى الله عزوجل السالكون آثاره بحسن الخلق».

حقيقة حسن الخلق

جمع بعض الصالحين علامات حسن الخلق، فقال: هو أن يكون الفرد كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل التذلل، قليل الفضول، برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رقيقا عفيفا شفيقا، لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا، بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله، فهذا حسن الخلق.
غير أن تلك الصفات إن لم تصدر عن هيئة راسخة في النفس بسهولة ويسر وعفوية، من غير حاجة إلى فكر وروية، ودون تصنع، لم تكن معبرة عن الخلق الحسن، وإنما هي هيئة مريضة بأمراض الرياء والنفاق والدجل.
أما إن صدرت الأفعال المحمودة شرعا وعقلا عن هيئة مستقرة فطرت على تلك الأفعال وحافظت على نقائها وصفائها، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وتلك التي يريدها الإسلام.
أما إذا كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة خلقا سيئا.
وسبب كونها راسخة في النفس هو أن من يصدر منه بذل المال على النادر لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، فيشترط إذن في حسن الخلق أن تصدر عنه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم، وكذلك بالنسبة لجميع مكارم الأخلاق.
من هنا كانت الأخلاق مرتبطة بالإيمان، وتمثل مكارمها شعبه، فمن كان إيمانه قويا كان خلقه قويا حتما، وانهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه، كما قال النبي ﷺ: «الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر».
لذلك كان الالتزام الخلقي المحيط بالإنسان المسلم إحاطة السوار بالمعصم، دافعا له دائما إلى الطريق الصحيح، وحاميا له من أخطار المعصية والخطيئة والفساد والانحلال والإباحية، وجاعلا منه إنسانا قويا قادرا على مواجهة كل خطر كالعولمة وغيرها، والوقوف في وجه كل عاصفة.

موقف الغربيين من أخلاقنا

لقد أدرك أعداء الإسلام حقيقة الأخلاق وأثرها في حياة الفرد المسلم إن تأصلت في نفسه وسرت في عروقه، وأدركوا شدة تمسك الشباب بتلك الهالة الأخلاقية، وطموحه في أن تكون له شخصيته المرموقة، ليعمل من خلالها على كبح جماح رغباته وأهوائه، ليعيش حياة ملؤها الطهر والنقاء، لذلك وجهت حملات الغزو الثقافي الذي حمل شبهات الاستشراق حول مفهوم الأخلاق في الإسلام، دافعة إلى الساحة العربية والإسلامية بموجات من النظريات التي تتنكر لمفهوم الأخلاق وتهاجمه في عنف من خلال الصحافة التي روجت لذلك، وتبنت دعوات الإقليمية التي فرقت وحدة الأمة الإسلامية، ودعوات التحلل والإباحية بالقصة المكشوفة والصورة العارية والكلمة الجارحة.
إن الهدف من كل تلك المحاولات، هو تقليم أظافر هذه الأمة حتى تكون عاجزة عن المقاومة للدفاع عن كيانها ووجودها، فتهوي عاجزة عن حمل أمانة هذه الرسالة التي اعتنقتها وعاهدت الله على الدفاع عنها وحمايتها ونشرها في العالمين، من خلال الجهاد كمفهوم شامل، والذي لا تفتأ كل القوى والفعاليات الخارجية الناقمة، والداخلية العميلة تعمل جاهدة لتزيل هذا الركن العظيم من أذهان المسلمين من خلال طرح المفاهيم السلمية وغيرها، مما يزرع الجبن والخور والتخاذل وعدم الفاعلية في نفوس المسلمين..
لقد تكاتفت قوى الاستعمار وغيره من ماركسية وصهيونية بكل وسائل إعلانها وإعلامها وفعالياتها على تركيز جميع القيم السلبية في المجتمعات الإسلامية والتي تنافي مبادئها، سعيا وراء إزالة القيم الأساسية المعارضة لأهدافها، ساعدهم على القيام بهذا العمل مستشرقون ومبشرون وكتاب غربيون.
ثم نشأت فئة -وللأسف- من الذين

يكتبون بالعربية من أصحاب القراءات المعاصرة، ممن تربوا في تلك المعاهد الغربية ليكونوا رسلا للدعايات الغربية في بلادهم، وليكونوا عونا لهم في تحقيق ما تصبو إليه أفئدة زعمائهم من أحفاد القردة والخنازير، من طمس معالم الهوية الإسلامية عند المسلمين.

وهذه بعض من أقوالهم تبين بكل وضوح خططهم وسوء نواياهم.

يقول الفرد كانتول: «إن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى العالم الإسلامي بغرض إذلاله وتحقيره، وإشعاره بالضآلة والخنوع، وإن الغرب وقف مع الصهيونية ضد العرب والمسلمين لهذا الهدف».

ويقول ماسنيون: «إن هؤلاء الطلاب المسلمين الذين يصلون إلى فرنسا يجب أن يصاغوا صياغة غربية خالصة حتى يكونوا أعوانا لنا في بلادهم»

ويقول المارشال ليوتي: «إننا نعد العدة لإنشاء جيل لا صلة له بالماضي، معزول عن مبادئه وأخلاقه، هذا الجيل نصنعه وننشئه على الإيمان بالغرب، وبذلك يتم لنا عن طريقهم وضع يدنا على البلاد».

فلا يظنن ظان بعد هذا العرض المجمل أن تلك النقولات ما هي إلا مجرد أقوال تقال، ليس لها رصيدها العملي في الواقع الإسلامي، ولمن أراد الدليل فلينظر إلى المخدرات مثلا، التي لم تعد تتصف بصفة تجارية فحسب أو أداة للكسب، وإنما أصبحت إحدى الوسائل السياسية الهامة، والتي يستخدمها المتنفذون في كل مكان لنشر الرذيلة، مع كونها من أكبر الرذائل.

إن السياسات الاستعمارية تسعى إلى إيجاد مراكز الفحش ونوادي القمار ووسائل اللهو الفاسدة الأخرى وفي جملتها نشر الغناء الفاحش الماجن والموسيقى بدعوى أنها لغة العالم، وهي من أهم الوسائل التي يصر عليها المستعمرون لتخدير أفكار الناس.

وهذا ما حذر منه النبي ﷺ بقوله: «إياكم والغناء، فإنه ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء الشجر».

لهذا بات الغناء الفاحش الماجن والموسيقا الهابطة، تشغلان القسم الأكبر من أوقات إذاعات العالم وفضائياته، لأنهم علموا أن الرذائل إن نمت في النفس، فشا ضررها، وتفاقم خطرها، وانسلخ الإنسان من دينه كما ينسلخ المرء من ثيابه، وأصبح ادعاؤه للإيمان زورا، إذ لا قيمة لدين بلا خلق، وذلك تماما ما حذر منه النبي ﷺ بقوله: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

وانظر ما يقوله الأستاذ الشيخ عبدالله علوان في ندائه للشباب والشابات في كتابه تربية الأولاد في الإسلام: إياكم أن تسمعوا إلى أدعياء التقدمية الذين يزينون لكم المنكر، ويحسنون الفجور بقولهم: إن حل المشكلة هو تهذيب الغريزة بالاختلاط منذ الصغر، أو إشباع الغريزة... فهؤلاء الهارفون بما لا يفهمون، والمتبجحون بما لا يعقلون، ما هم في الحقيقة إلا منفذون من حيث يعلمون أو لا يعلمون لمخططات اليهود والصليبية، ومؤامرات الماسونية والشيوعية، لجر الشباب والشابات في المجتمعات الإسلامية إلى وجودية فاجرة، وإباحية داعرة، أتدرون من أجل ماذا؟

من أجل أن ينصرف شباب الإسلام عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد.

من أجل أن يطأطئوا رؤوسهم لحكم الطغاة والمستبدين.

من أجل أن يصفقوا لكل ناعق، ويقبلوا حكم كل ملحد.

من أجل أن يكونوا قطعانا تسوقها عصى العبيد.

فحذار يا شباب من هذه الادعاءات الكاذبة، فتحصنوا بالصبر، واربطوا قلوبكم بالله، وتوجوا رؤوسكم بعزة الإسلام، وارفعوا بكليتكم دعوة كل إباحي فاجر، وتبجح كل وجودي ملحد، واسمعوا ما يقوله سبحانه في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة:٧٧).

إن حضارة الإسلام تهاجم بضراوة وشراسة على نحو لم تهاجم به أية حضارة أخرى على مر التاريخ، لكن والحمد لله والمنة، فقد من عليها ربها بدين ثابت الدعائم والأسس، تتكسر على صخراته فؤوس المخربين ومؤامرات الكائدين.

سبيل المواجهة

لابد لكل إنسان مسلم غيور على دينه وعرضه وأخلاقه، متنبه لما يحدق بدينه وأمته من أخطار ومواجهات، أن يسعى لدرء الخطر والفساد من باب المسؤولية التي حملنا إياها الله ورسوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (الحجر:٩٢-٩٣)، «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخاري)

تلك المسؤولية يجب أن تجسد في البيت والمسجد وفي الشارع وفي المجتمع بشكل عام، ليعم الوعي وتبصر العين ويعي العقل، فتبطل المؤامرات وتفشل.

تبدأ من البيت من خلال الأب والأم بحسن التربية وزرع الفضائل

السلوكية لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم، حتى يعتادوا عليها إلى أن يصبحوا مكلفين، لتصاحبهم في شبابهم وتعينهم في كبرهم، فالأولاد يستحقون تلك العناية لأنهم كما قال الأحنف بن قيس لمعاوية بن أبي سفيان: «هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، فإنهم يمنحونك ودهم، ويحبونك جهدهم، ولا تكن ثقيلا فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك».

فلابد من زرع القيم النبيلة والأهداف الجليلة في نفوس أبنائنا، لأن الشاب يسعى دائما إلى إيجاد نوع من التوافق بين أخلاقه وصفاته، والأشياء التي تكون حسب رأيه ذات قيمة، فطبيعي أن تؤثر الأشياء في تكوين أخلاق الشاب ونمو شخصيته كل حسب قيمتها لديه، فمن اعتبر العلم والدين هما الأكثر قيمة في هذه الحياة فإنه يسعى إلى بناء أخلاقه وأفكاره على أساسها، ويحاول أن يكتسب الصفات التي تتلاءم وتحصيل العلم والإلمام بأمور الدين.

أما الشاب الذي يعتبر الثروة والمال أو التجمل والتزين أو الرياضة قيمة سامية رفيعة في هذه الحياة، فإنك تراه يسعى لأجلها ويحاول أن يكتسب من الصفات ما يتناسب وأهدافه.

فإذا ما أراد الفتيان أن يكتسبوا من الأخلاق والصفات أحسنها، ويحققوا لأنفسهم شخصية متكاملة يحبطون من خلالها مخططات أعدائهم، فينبغي أن يأخذوا بعين الاعتبار ما لأيام العمر التي يمتلكونها من قيمة، وليس من قول أدل على قيمتها من قول الحسن البصري: «يابن آدم إنما أنت أيام معدودة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك».

فهذا يجعل المرء في سعي دائم وراء الأفضل حتى في انتقاء الأخلاق الحميدة، فلا يكتفي بالحسن منها وإنما يسعى وراء الأحسن.

ولابد من مراعاة شيء هام في تلك الأخلاق ألا وهو معرفة حدودها، فمثلا بعض الأخلاق الحسنة إن زادت عن حدها أصبحت ذميمة، فقد يصبح الإنسان صاحب الخلق الحسن صاحب خلق سيئ إن هو تغافل أو تجاهل حدود الأخلاق، فعزة النفس مثلا تتحول إلى تكبر مذموم إذا ما فاقت حدها الطبيعي، وكذلك التواضع يصبح تملقا مذموما إن هو زاد عن حده.

بين تلك المعاني كلها تكمن مسؤولية الشباب بالإضافة إلى التحلي المستمر بالحذر المدعوم بالتوجيه السديد السليم، فإنه نعم الحاجب عن الوقوع في أشراك التيه والحيرة.

وأما مسؤولية المجتمع تجاه الأخلاق والفضائل فتنحصر في ثلاثة أمور: التوجيه والتثبيت والحماية.

فالتوجيه يكون بالنشر والدعاية في مختلف وسائل الإعلام والتثقيف والدعوة والإرشاد، والتثبيت يكون بالتعليم الطويل المدى، والتربية العميقة الجذور على مستوى الأسرة والمدرسة والجامعة، والحماية تكون برقابة الرأي العام اليقظ الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكره الفساد، وينفر من الانحراف، وبالتشريع الذي يمنع الفساد قبل وقوعه، ويعاقب بعد وقوعه زجرا للمنحرف وتأديبا للمستخف، وتطهيرا لجو الجماعة من التلوث.

في إطار تلك المسؤولية تبطل مكائد الكائدين، وترتد إلى نحورهم بإذن الله وتنتشر أخلاق الإسلام وتسود، وتسري فضائله لتعم المجتمع بأسره.

كلمة أخيرة

إن الدوافع الموجودة في الإنسان أشبه ما تكون بالرياح التي تكون ضرورية لحركة السفن الشراعية، ولكن هل له أن يبقي أشرعته مرفوعة تتلاعب بها الرياح كيفما كان اتجاهها؟ كلا، لأنها في هذه الحالة ستؤدي إلى الحيد بالسفينة عن مسارها، فإذا ما استسلم الإنسان لتلك الدوافع والشهوات جعلته عبدا ذليلا لها، تماما كتلك السفينة التي تتخبطها الريح.

إن إعطاء الحرية المطلقة لأي من هذه الدوافع والصفات سيؤدي إلى تفسخ الخلق والطباع، لذلك كان لازما تغليب المعرفة والحذر على الميل والرغبة، لأنهما أساس ضبط النفس وسلاحه، ولأن ضبط النفس من أهم عوامل تكوين حسن الخلق.

ولابد في النهاية من التنويه والتأكيد على أمر بغاية الأهمية، وهو أن حسن الخلق لا يعني السلبية والانطواء وعدم الإيجابية في التعاطي مع الظروف والأحوال التي تفرض وجودها علينا، لكنه يعني النهوض بالمسؤوليات وأداءها على الوجه الأكمل المتقن، والتفاعل مع القضايا كافة على أساس من الوعي والفهم.

وكتاب ككتابنا «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» لاشك أنه يمثل ركيزة هامة في تعزيز وبناء الأخلاق السامية التي يسعى الإسلام لغرسها في قلوب وعقول بنيه، سيما وأنه يعزز المبدأ التربوي الفاعل في غرسها بشكل عملي، وهو مبدأ التربية بالقدوة.

فمن وصفه ربه وزكاه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) يحق له أن يكون قدوة في سائر شؤونه وأحواله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

فعلى الأمة المسلمة حسن الاتباع والاقتداء والحب، لرسولها ﷺ، لتعود لها مكانتها بين الأمم، ويعود لها مجدها المفقود، ومستقبلها الموعود، إن شاء الله تعالى.

صلاح الدين الخلفي
باحث لغوي- المغرب

الأحكام المتعلقة بلام الأمر

وضعت لام الأمر في اللغة العربية للدلالة على الطلب (١).

وتدخل على الفعل المضارع الدال على الاستقبال فتجزمه، وهذا من المسلم به في كتب النحو، على خلاف فلسفي لا ينبني عليه حكم؛ لذلك آثرت الإعراض عن ذكره (٢) وأما الفعل المضارع الذي تصحبه لام الأمر فينقسم إلى المضارع الدال على الغائب؛ فيكون المأمور غائبا نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ (الطلاق:الآية٧).

ونحو قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ (النور:٥٨).

والمضارع الدال على الخطاب على وجه التوكيد، ومنه قراءة بعض القراء ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا﴾ (يونس:٥٨) بتاء الخطاب، أكثر القراء قرأوا ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ بالياء على الغيبة.

ومن دخول لام الأمر على الفعل المضارع الدال على الخطاب: قوله ﷺ عن ابن جريج أخبرني أبوالزبير أنه سمع جابرا يقول: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» (٣). حيث أدخل لام الأمر على الفعل المضارع الدال على الخطاب.

حركة لام الأمر

١ الأصل في لام الأمر الكسر نحو: قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ (الطلاق:الآية٧). وإلى ذلك أشار مولاي عبدالحفيظ بقوله:

وحركت بكسرة لدى العرب (٤).

٢ – إذا اتصل بها واو العطف، أو فاؤه، جاز فيها الوجهان: الكسر على الأصل، والسكون بناء على التخفيف، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ (الحج:١٥). ونحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦) (٥).

وقد قرئ بالوجهين: قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ (النور:٢٢) بكسر لام الأمر على الأصل، وبإسكانها تخفيفا.

٣– إذا اتصل بها حرف «ثم»، فإنها تكسر بناء على الأصل. والبصريون لا يجيزون غير الكسر. وأجازه بعض النحويين، ومنه قراءة بعض القراء ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (الحج:٢٩) بإسكان لام «ليقضوا».

لكن الكسر هو الأجود والراجح. ونقل ابن مالك أن فتحها لغة، وحكاها الفراء عن بني سليم كما أشار إلى ذلك صاحب السبك العجيب بقوله:

وفتحها لدى سليم وردا
وبعد فا واو سكونها بدا (٦).
وسكنوا من بعد ثم (٧).

وأوضح من ذلك ما أشار إليه البيتوشي (ت ١٢٢١هـ) في كفاية المعاني بقوله في أوجز عبارة:

ورجح الإسكان في ولْيسعفوا
فلْيعبدوا وجاز ثم لْيفوا
في سعة من غير ما ضعف ومن
رأى خلاف ما ذكرته وهن (٨).

يعني أن الراجح في لام الأمر بعد واو العطف وفائه السكون، وبعد «ثم» يجوز التسكين لغة، لا ضرورة.

ومن أقرب الحروف اشتباها بلام الأمر، لام كي، أو لام العلة، أو لام

السبب كما يسميها المالقي في رصف المباني (٩).

وبناء على تلك الأوجه الواردة في حركة لام الأمر، وقع الاختلاف في بعض الآيات، هل اللام فيها للتعليل، أم للأمر الحقيقي، أو المجازي؟ وسأكتفي بذكر مثالين:

الأول: قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:٦٦) فيحتمل اللامان التعليل، فيكون ما بعدهما منصوبا بحذف النون، ويحتملان التهديد، فيكون ما بعدهما مجزوما بحذف النون أيضا. لكن يتعين التهديد في اللام الثانية في قراءة من سكنها. والقرينة المرجحة للتهديد في الفعل الثاني لفظية، وهي قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. وإذا ترجح أن اللام الثانية هي لام الأمر، - أي في قوله تعالى: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ وقد دل هنا على التهديد -، فإن اللام الأولى كذلك فهي للطلب، وقد خرج عن معناه الحقيقي إلى التهديد (١٠).

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (المائدة:٤٧). فقد قرئ بسكون اللام وسكون الميم على الطلب، وقرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم على التعليل. والمعنى يختلف تماما؛ لأنه هناك فرق بين الطلب والخبر. وإذا اختلف المعنى، اختلف الحكم الفقهي المستنبط من النص. وهذا ما يؤكد وجوب التمييز بين لام الأمر ولام التعليل (١١).

حركة لام العلة

١- من العرب من يفتح لام العلة الداخلة على الفعل المضارع. وعلى هذه اللغة قرأ سعيد بن جبير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (إبراهيم:٤٦) بفتح اللام، ونصب الفعل، وإلى ذلك أشار البيتوشي في منظومته بقوله:

وفتحها إن يتلها الفعل لغة
بها أتت قراءة مسوغة

أي: فتح لام التعليل إذا دخلت عل الفعل المضارع لغة، وليس ضرورة شعرية (١٢).

هذا ما تيسر اصطياده، وتمكن القلم من اقتناصه من بعض الأحكام اللغوية المتعلقة بلام الأمر.

خلاصة

- من خلال هذا البحث نستخلص ما يأتي:

- ما تقدم يدل على سعة اللغة العربية ومرونتها؛ إذ الكلمة الواحدة، بل الحرف الواحد قد ينطق بأكثر من وجه.

- لا يمكن فهم النص الشرعي فهما صحيحا إلا بعد الإحاطة بأوجه الكلام العربي، ولاسيما لام التعليل ولام الأمر اللذين يمثلان دعامة أساسية في أصول الفقه؛ إذ التعليل عليه يقوم أصل القياس، والأمر عليه مدار التكليف.

والله أعلم

الهوامش

١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ت ٧٦١هـ) ومعه كتاب: السبك العجيب في نظم مغني اللبيب لمولاي عبدالحفيظ، حرف اللام المفردة ص ٣٠٦ تحقيق د. صلاح عبدالعزيز علي السيد ج١ دار السلام ط الأولى، ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م.

٢- كتاب اللامات لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، حرف اللام بتصرف.

٣- صحيح مسلم «كتاب الحج» باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ﷺ «لتأخذوا مناسككم» رقم الحديث ١٢٩٧.

٤- السبك العجيب في مغني اللبيب لمولاي عبدالحفيظ سلطان المغرب الأقصى وهو مطبوع ضمن مغني اللبيب ج ١، ص ٣٠٥.

٥- رصف المباني للمالقي حرف اللام ص ٢٢٨، وتقريب الأماني شرح كفاية المُعاني في حروف المَعاني على المنظومة المسماة: بكفاية المُعاني في حروف المعاني، للشيخ عبدالله بن محمد البيتوشي الكردي تأليف محمد صالح موسى حسين، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

٦- السبك العجيب في مغني اللبيب لمولاي عبدالحفيظ سلطان المغرب الأقصى وهو مطبوع ضمن مغني اللبيب ج ١ ص ٣٠٥.

٧- نفس المصدر.

٨- الجنى الداني في حروف المعاني، للزجاجي ت ٣٣٧هـ حرف اللام. وتقريب الأماني شرح كفاية العاني في حروف المعاني للشيخ عبد بن محمد البيتوشي الكردي.

٩- رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبدالنور المالقي ت ٧٠٢هـ تحقيق أحمد محمد الخاطر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٢٢٣.

١٠- مغني اللبيب بتصرف ص ٣٠٦.

١١- نفس المصدر بتصرف ص ٣٠٦.

١٢- «تقريب الأماني شرح كفاية المُعاني في حروف المَعاني» على المنظومة المسماة: «بكفاية المُعاني في حروف المعاني»، للشيخ عبدالله بن محمد البيتوشي الكردي تأليف محمد صالح موسى حسين، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م. الباب الأول في الأحادي حرف ٨ اللام ص ٢٠.



علاء الدين حسن
أديب وكاتب سوري

إنها الشجرة..

إنها رمز الحياة، أعطت الإنسان معنى الصفاء والهناء.. حياتها هدوء واطمئنان، ولها سحرها الأخاذ.. تنمو بصمت، ولا تموت إلا بعد عمر مديد.. أجمل ما فيها أنها تموت وهي واقفة.. وهي شامخة.. النظر إليها سكن وارتياح، والبعد عنها ضجر ومكابدة.

تمنحنا النقاء والوفاء.. أسرارها كالبحر زاخرة بالحكمة والمحار.. ما أدركنا روعة الألوان إلا بها.. لها معان عديدة بعيدة جديدة.. هي صديقة الغيث..

إنها الشجرة.. تسبح لله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ (الإسراء:٤٤).

تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن.. تقدسه المخلوقات، وتنزهه، وتعظمه، وتجله، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته.

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ (الرحمن:٦). ومعنى «النجم» هنا، هو هذا النبات الصغير الذي لا ساق له.

ومن رحمة الله بنا أن أنبت لنا الشجر؛ لتكون هذه الأرض نضرة وزينة.. أما قال ربنا جل جلاله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا﴾ (الكهف:٧).

ولو خلت الأرض من زينة الأشجار؛ لاستحالت إلى جحيم لا يطاق.

وقد جاء التأكيد على الغرس في أحاديث عديدة، منها: «ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا؛ فيأكل منه: طير، أو إنسان، أو بهيمة؛ إلا كان له به صدقة» (١).

وفي هذا الحديث حض على الزرع، وعلى الغرس، وحث على عمارة الأرض، وفيه بيان على أن الزرع والغرس فيه الخير الكثير.. فيه مصلحة في الدين، ومصلحة في الدنيا.

أما مصلحة الدنيا؛ فما يحصل فيه من إنتاج. ومصلحة الغرس والزرع ليست كمصلحة الدراهم والنقود؛ لأن الزرع والغرس ينفع نفس الزارع والغارس، وينفع البلد كله، وكل الناس ينتفعون منه، ويكون في هذا نمو للمجتمع وكثرة لخيراته.

أما المنافع الدينية؛ فإنه إن أكل منه



طير؛ عصفور، أو حمام، أو دجاجة، أو غيرها.. ولو حبة واحدة، فإنه له صدقة إلى يوم القيامة.

ولو قامت القيامة، وبيد الإنسان شتلة؛ فإن استطاع أن يغرسها قبل أن تقوم، فله بذلك أجر.

ونحن اليوم في مسيس الحاجة إلى بعث جديد حول هذه القيم، فالقيم الكريمة والأخلاق الرفيعة هي أسباب الاستقرار النفسي، وقاعدة الانطلاق لتحقيق الطمأنينة الحقيقية.

وكان من وصايا السابقين: «لا تقطعوا شجرا».

وميزة الإنسان الحضاري أنه: يزرع ولا يقطع، يزرع لينفع العباد والبلاد.. يزرع ليعبر عن حضارة أمته.. يزرع ليخدم الأجيال القادمة. ومن هنا قال آباؤنا: «غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون».

تناغم مع الكون

والمؤمن يتناغم في هذا الكون مع حكمة الله، ويلاحظ في هذا الكون جمال الله، ويستدرك في هذا الكون جلال الله؛ فيبني ولا يهدم، ويعطي ولا يحرم، ويسبح ويصغي إلى تسبيح مخلوقات الله.. أما غير المؤمن؛ فقد قال عنه رب العالمين: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة:٢٠٥).

وفي بعض الدول غرامة قطع شجرة تقارب المليون من الليرات؛ لأن الشجرة هي التي تأتي بالأمطار بقدرة الله.. لأن الشجرة هي التي تحقق الظلال.. لأن الشجرة هي التي تمنح الجمال الطبيعي.. لأن الشجرة هي التي تعطي الأوكسجين.. لأن الشجرة هي التي تحفظ التربة.. لأن الشجرة هي التي تخفف من سرعة الريح وتخفف من ارتفاع الحرارة.. لأن الشجرة هي التي تمتص الضوضاء.. ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» (٢).

يعني: من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم، من قطعها عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار (٣).

والحفاظ على الأشجار عبادة، والعناية بالأشجار عمل صالح يثاب عليه الإنسان؛ انظر..

انظر لتلك الشجره
ذات الغصون النضره
كيف نمت من حبة
وكيف صارت شجره
فابحث وقل: من ذا
الذي يخرج منها الثمره
وانظر إلى الغيم فمن
أنزل منه مطره
فصير الأرض به
بعد اصفرار خضره
ذاك هو الله
الذي أنعمه منهمره
ذو حكمة بالغة
وقدرة مقتدره

ركيزة البيئة

إن التشجير ركيزة من ركائز المحافظة على البيئة، وقد قال الإمام القرطبي في شرح الصحيح: الزراعة من فروض الكفاية، يجب إجبار الناس عليها (٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من نصب شجرة، فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر؛ فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله» (٥).

وقال ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها؛ فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها، فليمنحها أخاه المسلم» (٦).

وللشجرة دعاء تقول فيه:

يا من ترفع فأسك لتهوي به علي فتقتلعني!.. استمع إلي قبل أن تؤذيني؛ فأنا ظلك الظليل في أيام الشمس المحرقة.

أنا شجرة الفاكهة التي منها تأكل، وأنا أدويتك التي بها تشفى.. أنا زهرة البستان.. أنا جمال الطبيعة.. أنا البهجة والسرور.

ولله در القائل:

أشجارنا هي نعمة؛ فلنحمها
هذا العطاء الزاخر الوضاء
أبدا هي الأشجار ظل وارف
نعمى تجمل أرضنا، وغذاء

الهوامش

١ – رواه مسلم: ٢٨/٥.
٢ – رواه أبوداود، برقم ٥٢٣٩.
٣ – تفسير القرطبي، ٨٧/١٧.
٤ – عمدة القارئ، ١٥٦/١٢.
٥ – رواه أحمد، ٦١/٤.
٦ – رواه مسلم، (١٥٣٦).



علي المرضي
كاتب دراسات إسلامية

ماذا يقرأ شباب الجيل؟!

ماذا يقرأ شباب الجيل؟!..سؤال إنكاري أطرحه عليكم، كما طرحته من قبل على نفسي؛ لأجيبكم كما أجبتها، علني أقنعكم كما أقنعتها، فليس غرضي إذن من طرحه هنا إرشاد شباب الجيل أو دلالتهم على ما يقرأونه، أو اقتراح ذلك عليهم. لا، فأنا مجرد متعجب مستنكر، أضرب أخماسا في أسداس كلما رأيت ما تحويه موائد قراءة الشباب من خشارة لا تسمن ولا تغني من جوع، فتعاف ذلك نفسي وتزدريه، فأدخل في لجج من الحيرة لا تكاد تخرجني من دائرة العجب! وسأزيد الأمر بيانا حتى لا تعجب لعجبي فتقول: وهل يقرأ الشباب شيئا حتى تعجب لما يقرأون؟ وسريعا سأجيبك ماحيا تلك البسمة الساخرة التي رسمها ثغرك قائلا: إنما عن الثلة القارئة أحدثك؛ لأن من لا يقرأ لا تصله مثل مقالتي هذه، فمن العبث الكتابة له ومخاطبته، بل كلمتي هذه إلى القارئ منهم، أضع يدي وبصره على العلة حتى يتفطن..

يذكر الأطباء شيئا يسمونه «الدواء السلبي»، وهو عبارة عن أدوية وعقاقير يصفونها للمريض على أنها علاج لمرضه، وما هي في الحقيقة بشيء، فلا تحوي مواد معالجة، ولا تراكيب فعالة، بل هي حيلة يتخذها الأطباء يزنون بها مدى قابلية المريض للشفاء بمجرد توهمه أنه يتعالج، ويقيسون قوة العامل النفسي في الشفاء. والعجيب أن هذه التجربة لاقت نجاحا كبيرا، وظهر أن نسبة كبيرة من المرضى دخلت عليهم الحيلة وتماثلوا حقيقة للشفاء.. وبعد قليل ستفهم سبب إدخالي هذه الكلمات في هاته المقالة، فلا تعجل!

إن القراءة زاد معرفي، وقوت روحي، ومنهل روي، وبناء حضاري؛ فالإنسان القارئ أحق بغيره أن يوصف بكل جميل، فهو الصالح المصلح، والباني المشيد، والمبدع الرائد، والزعيم القائد، والحكيم الخريت، وقل بعدها ما شئت من أوصاف؛ فأفراد أمة هذه صفاتهم أحق الناس بالسؤدد والرفعة، وكذلك كانت أمتنا يوما، وكان أفارادها لما قرأوا.. فقد كانت أمتنا قاطرة للحضارة، ومنبعا للمعارف، ومهدا للعلوم، ومشتلا للعلماء، ومستقرا للحكماء، حتى انفردت بصناعة العلم مدة طويلة؛ تسخر في سبيل ذلك كل غال ونفيس، وتبذل في سبيله كل عزيز وشريف، ليقينها أنه سبب قوتها، وأساس عزتها، وسر كرامتها، فشادت بذلك لنفسها صرحا عظيما، وارتقت مرتقى بلغت فيه ذرى المجد في عليائه، ونزلت منه منازل الجوزاء في أقطار السماء..



وما هي إلا أن دارت الأيام دورتها، ودالت الأحوال دولتها، حتى أفلتت زمام القيادة من يدها، فألقت الكتاب وراءها، حينها حلت الأقدار المكتوبة، فتهاوت من أعلى الدرجات، ونزلت إلى أسفل الدركات، فها قد جهلت فذلت، وصغرت فغلبت، وقهرت فتقهقرت، وكسرت فتضعضعت، وهصرت فعصرت، فصارت أمة جاهلة تجر أسمال الجهل والأمية، بعدما كانت بالأمس ترفل في أثواب الحضارة الإنسانية، وكذلك سنن الله لا تتخلف ولا تتغير ولا تتبدل، لا تحابي أحدا، ولا تظلم جادا، ولا تبخس عاملا، فكان ما كان وما هو كائن بعد..

إلا أن الأمة لا تموت، لكنها تمرض، ومرضها قد يطول، وككل الأجساد -حال المرض- تتحرك المضادات الحيوية من عناصر الجسم نفسه، تحارب من أجل بعث العافية، وتجديد الصحة، وما جسد أمتنا بخلاف هذا، وما كانت أمتنا لتثكل كل رجالها، وتخسر كل عتادها، فهي تبعث بين الفينة والأخرى رجالا شدادا يوقظون همتها، ويستنهضون عزمها، وينفخون في نار تنورها، فهم لا ينقطعون عن العلوم تدريسا ومدارسة، وعن الثقافة تداولا وممارسة، ولكنهم قليل، لا تكفي سواعدهم لرفع دعامات الصرح الكبير، تنأى بهم الأحمال وتعجزهم، فالأمة وإن شكرت جهدهم وهمتهم وشجاعتهم، إلا أنها لن تنهض بغير تكاتف الجهود، وتوحد الهمم، فهي تنتظر موعدها الموعود، حتى تعلو وتسود وتعود للصدارة التي لا يليق بها مكان غيره..

وكما أن لله في رفع الأمم وخفضها سننا، فإن له سننا أخرى في وجود الخير والشر في الخلق، يتدافع فيه الصالح والطالح، والباني والناقض، فأتراح قوم عند قوم أفراح؛ ولذلك تأبى على أمتنا أمم الأرض أن تعود لسكتها وترسم خطوات عزها وطريقها اللاحب المخرت؛ لذلك تنصب في طريقها كل ما تقدر عليه من حواجز وسدود، وتستميت في ذلك وتستقتل وتستبسل، لعلمها أن حياة الأمة المسلمة هلاك لها، ولاعتقادها أن الأمة ما تبني صروح نهضتها إلا من تراب قبورها، فهي حينئذ لنا عدو لدود، وخصم عنيد، وند عتيد، تستقوي علينا بما لها من قوة ومكر، وبما فينا من عجز وجبن وضعف وخور، فنحن نواجه عدوين في آن، عدوا من عندنا فينا ومنا، وعدوا من سوى أنفسنا، والأول أخطر من الثاني لو ينصف المنصفون!

لطالما كان سر كل نجاح هو الانطلاق الصحيح، وتعاهد السير بالتوجيه والتصحيح، ولذلك كان تصحيح البدايات مهما في حسم النهايات، وبدايتنا رجوعنا إلى تراثنا الغني، والنهل منه، والتزود من درر علومه، ولوامع أفكاره، وصياغة ذلك وغيره صياغة جديدة تنفض عنه الغبار المتراكم، وتلائم العصر الحاضر، وتسرع خطوات التقدم، دون مسخ ولا سلخ، وهذا لا يتم إلا بأمور عديدة يهمني منها الآن، إتقان اللغة العربية والتمسك بزمامها، وفهمها حق الفهم، وتذوقها تذوقا شفيفا. وهنا أصوب سهمي إلى مستقره، وأضع العلامة الأولى لما أصبو إليه في مقالتي هذه، فإن العربية مفتاح لا يُفتح باب حياة الأمة إلا به، إلا أنه مفتاح طوحت به الأيادي الآثمة في قعر بعيد، وغور ناء،

وسرداب مظلم، لا يصل إليه إلا الجاد في سيره، والمستحث لخطاه، وهذا عسير على أبناء الجيل، فقد قبّحت الأيادي اللعينة والأفكار الحاقدة لغتهم إليهم، وصعّبوها في مدارسهم، واحتقروها في مسارحهم، وسخروا منها على شاشاتهم، فاجتواها أبناء الجيل وأجموها، فقلوها وفارقوها فراق الطلاق البائن، وعاملوها معاملة الزوج الخائن، ففاتهم الفتح المبين!

وما أحسن هؤلاء المسيئون لهذه اللغة إحسان أهل كل لسان إلى ألسنتهم، بل استعاضوا عن لغة القرآن بلغات أعجمية، يرطن بها الشباب ويلوون بها ألسنتهم، ويتنافسون في ذلك، فصاروا غرباء في أوطانهم، وعجما في ألسنتهم، وكذلك ما زالوا يفعلون! إلا أن للغة القرآن سلطانا على القلوب، وتأثيرا في الفطرة، فرجوع النشء إليها حتم لازم، ومآل لا مفر منه. وحين علم الآثمون هذه الحقائق، وفطنوا أنه أمر واقع ما له من دافع، عمدوا إلى حيلة نكراء، ودسيسة خبيثة خفية، فكان أن أدخلت اللغة العربية مختبرات التجميل، وتم تعديل هيكلها، ونحت جسمها، وتقويم اعوجاجها، وأضيفت إليها المساحيق والأصباغ، فخرجت لغة ممسوخة، لا تدري أهي العربية التي نعرف أم أنها كما قالت بلقيس: كأنه هو! فكان مثل هذا الكلام: «نظرا للتواريخ القديمة إن ماء زمزم خرجت من ضربة قدم سيدنا إسماعيل ومن المعاني والمعالي..زيارة بيت الله المقدس أهم المادة وهي اجتماع مسلمي العالم في كل سنة في الأراضي المقدسة الحجازية بتأبيد الولاء والمخالصة بين العالم الإسلامي». ولا أظنك إلا قد ضحكت كما ضحكت، ثم تألمت كما تألمت، فهذا وأمثاله مما هو أسوأ، هو ما ابتلينا به، وليس لنا معه غير العجب!

فهذه اللغة الجديدة، لا تخضع اطرادا لقواعد النحو، ولا تستسلم لضوابط الوضع العربي، ولا يخضع شعرها لقواعد العروض، ولا يلزمه ما يلزم الشعر السليم المفهوم، فالأسلوب غير الأسلوب والنظم غير النظم، فهي لغة عامية فصحى أو أعجمية معربة، أو خليط من هذا وذاك! فكان هذا التلفيق سببا بعث الجهال الأغمار للكتابة، وجرأهم على التأليف، وحرضهم على النشر، فصارت تطفو على سطح صفحة الثقافة هذه الأساليب الركيكة الغامضة المضطربة، وصارت مادة لتنشئة الجيل عليها، فانقلبت أذواقهم، وشوهت فطرهم، فلا تعجب بعد ذلك أن تجد مؤلفات لا تدري بما تصفها، وتسمع عناوين كتب يتغضن لها جبين الحر.

وهذه هي نظرية الدواء السلبي نفسها التي أحلت عليها أول المقالة، فالشاب يتوهم أنه يقرأ، وأن ذهنه يتغذى، وأن سليقته تصقل، وأن ذوقه يترقى، وأنه يحيا حياة القراءة، وأنه يبدع وينبغ، إلا أنه مخدوع كذلك المريض، فما هي إلا خيالات تتراءى، وأحلام تتوهم، فلا يستفيد مما قرأ شيئا، ولا ينتفع بما تلاه، لأنه ردد كلاما غير مفهوم، وتصفح كتابا غير معلوم، وقرأ ما يشبه الأحاجي والألغاز، أو سمع ما يشبه كلام السياسي حين يهذرم ساعة من الزمن، غير أنك لا تفهم مراده. فهي في الحقيقة أقرب إلى هممهات المصروع، أو رقية الكاهن، أو هذيان المحموم، فليته ما قرأ ولا درى، لكان صاحب فطرة سليمة، نأمل أن تشرق شمسه إذا انجاب عنه سحاب الجهل، ولكنه لوث ذوقه وأحال سليقته، وطربت أذن قلبه لنشاز، فملأت عليه هذه الأسفار رفوف مكتبته، غير أن فكره ظل خاويا فارغا، إذا عرض عليه الذهب الصافي أو الحرير الخالص، أنكره ودفعه واشمأزت نفسه منه، فصار فكره عديم النفع، إلا أن يغتسل من هذه الزبالات، ويعيد تأسيس فكره وتطهير ذوقه، وذلك دونه خرط القتاد..

وليس يعني كلامي هنا أنني أحجر على العقول المبدعة أو أصدها دون التجديد، لا، معاذ الله، ولكنني ككل غيور على لغته وحضارته، أرجع المنفلتين إلى الطريق، وأحضهم على التقعيد لا التعقيد، وعلى التجديد لا التقليد، فلا تحيا لغة ولا معرفة بالجمود ولا بالهمود، فأتوا البيوت من أبوابها. «فليست الأساليب اللغوية دينا يجب أن نتمسك به ونحرص عليه حرص النفس على الحياة، إنما هي أداة للفهم وطريق إليه، لا تزيد على ذلك ولا تنقص شيئا. فيجب أن نحافظ على اللغة باتباع قوانينها والتمسك بأوضاعها ومميزاتها الخاصة بها، ثم نكون أحرارا بعد ذلك في التصور والتخيل واختيار الأسلوب الذي نريد» (١).

أعلم أن مقالة مختصرة كهذه، لن تفي بالغرض المطلوب، ولن تبلغ الحظ المرغوب، لكنها إشارة ونذارة، إشارة إلى هذا الغزو الذي يتعرض له عالم الثقافة من نوعية الكتب هذه، والتي تلقى ترويجا ودعاية لافتة، يعرضها أصحابها عرض الدسم المسموم، ونذارة بما حل بشبابنا من نكاية ونكبة، أتت على عقولهم وأفكارهم، ألوح بيدي وإن كلت أو تعبت، لعل أحدا يبصرها فيعيد النظر فيما يقرأ، ويزن كلامي ويروزه بإنصاف وروية، ويقلبه ظهرا لبطن، متجردا للحق وطالبا للصواب، حتى يتبين له الحق الواضح، أو يظهر له الخطأ المبين، فينتفع بهذا ويترفع عن ذاك، فيعجب لعجبي ويقول معي بلسانه: ماذا يقرأ شباب الجيل؟!

الهوامش

١- من مقالة للمنفلوطي بعنوان: البيان، من كتابه النظرات (٣/١٠)، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، دار اليقين.

عبدالعزيز بن صالح العسكر
كاتب- المملكة العربية السعودية

القراءة مصدر علم ونبوغ

كنت أسأل لمَ رأينا علماء صغارا في السن يبهرون الناس بسعة علمهم وتعدد معارفهم وقوة حفظهم وجمال منطقهم وحب الناس لهم وهم عدد كبير في القديم والحديث، ومنهم في زماننا الشيخ عبدالكريم الخضير وسعد الشثري وعايض القرني وصالح المغامسي وعدد كبير غيرهم كانوا منذ شبابهم يملكون علما غزيرا وفقها واسعا؟!

ولم أجد جوابا أكبر ولا أقوى من جواب واحد يسبق ما سواه؛ أتدرون معشر القرّاء ما هو؟ إنه ما رأينا وسمعناه منهم، حفظهم الله.

لأنهم يقرأون

نعم قرأوا كثيرا ومازالوا.. وقد علمت وسمعت ذلك منهم، فمكتباتهم كبار فيها من كتب العلم والفقه الآلاف؛ في التفسير والعقيدة والنحو والتاريخ وعلوم كثيرة.. لا تكاد تجد كتابا إلا وفيه تعليقات وشروح مما يدل على أنّ الشيخ قرأه مرة أو مرارا.

جعلوا من القراءة زادا وسلوة وصديقا لا يفارقونه.

مجلدات كثيرة قرأوا فيها قراءة:

تَدبُّر، وتفقه، وشغف بما فيها.

لم يكن همهم أن يقلبوا الصفحات.

ولم يكن همهم أن يبلغوا نهاية الكتاب.

ولم يكن همهم أن يقولوا قرأنا أو يقال عنهم قرأوا.

كَلاَّ؛ فقد قرأوا حبّا للعلم ورغبة في التّزَوُّد منه، وغوصا في مسائله وفنونه.

ولذلك فإنا نطرب لحديثهم ونسعد بسماع أصواتهم ويملكون شغاف قلوبنا.

لقد رفع «الكتاب» أقواما عرفوا مكانته وأحبوه من قلوبهم وجعلوه أنيسهم وقرينهم، وزاد شوقهم له مع مرور الأيام، كبروا فما هجروه وحملوا الشهادات وما حالت بينهم وبين سعة البحث وشراء الكتب وقراءتها ونقدها،

فرأينا الشيخ محمد بن ناصر العبودي تبلغ مؤلفاته أكثر من مئة وخمسين كتابا في علوم كثيرة، ورأينا من علمائنا من يُسأل سؤالا في الفقه أو العقيدة فيقول لكاتبه اذهب إلى المكتبة وانظر الرف الرابع من اليمين وخذ كتاب كذا وافتح صفحة كذا واقرأ جواب السؤال.

أكرمهم الله تعالى بقدرة عالية على الحفظ وصبر وجلد على القراءة. وفي عصرنا كان الشيخ عبدالله الغديان قد وضع له فراشا في المكتبة، فإذا انتهى من القراءة ليلا نام فيها وعرف ذلك أهل بيته فلا يرونه إلا فجرا وقد حدثني بذلك ابنه الشيخ الدكتور محمد. وزار شيخ صديقا له في الخرج وبات عنده وطلب بعد العشاء كتابا يعلم أنه لا يجده عند غيره، ولما أتى صاحب البيت ليوقظه لصلاة الفجر وجده مستيقظا وقد أكمل قراءة الكتاب.

أحبتي القراء:

فتشبَّهُوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

ويكفي القراءة شرفا أنها أول كلمة خوطب بها نبينا محمد ﷺ.

فاقرأوا يا أيها الآباء والمربون والطلاب والباحثون اقرأوا كي تزدادوا علما وفقها، ففي القراءة علم وفقه ومتعة وغذاء للفكر والعقل.

وكما أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فكذلك لا يستوي طلبة علم يقرأون وطلبة لا يقرأون.

زادنا الله وإياكم علما وفقها وإيمانا.

د. خالد التوزاني
باحث أكاديمي

كتب العجائب في التراث العربي

يحفل التراث العربي بظواهر أدبية وإبداعية أصيلة لها أهميتها في تأريخ الفكر والإبداع العربيين، ولعل ظاهرة كتب العجائب من أهم الظواهر الثقافية التي تؤثث الخزانة العربية بنمط من المؤلفات المثيرة للدهشة والإعجاب، تعكس غنى الثقافة العربية وشموليتها، وفي الآن ذاته تستبطن جوانب من العبقرية العربية زمن النهوض.

وظّف المبدع العربي مكونات الثقافة الإنسانية لإغناء رصيد المكتبة العربية بمصنفات فريدة يصعب النسج على منوالها أو تقليدها، وإنما استعان أحيانا بعجائب ثقافات أخرى، حيث ترجم عبدالله بن المقفع أبرز الخرافات الهندية، المتمثلة في كتاب «كليلة ودمنة» الذي «جعل الحكمة والكلام البليغ، على ألسنة البهائم والطير» (١)، وعلى الرغم من اختلاف النقاد العرب حول هذا الكتاب، هل هو ترجمة ابن المقفع أو تأليف له (٢)، فإنه شكل تحولا في مسار الحكي العجيب، الذي أصبح كلاما في الممنوع، وغدا توظيف كلام الحيوان، نوعا من التوازن، «بين عمل غير منطقي ابتدعه الخيال، وحادث لا يمكن التصريح به مباشرة بسبب الخوف والكبت» (٣). وهكذا تفاعل المبدع العربي مع كل ما يمكن أن يخدم تأليف نصوص عجيبة وغريبة، لم تنل إعجاب المتلقي العربي فحسب، وإنما حظيت كذلك بتقدير الإنسان الغربي، الذي استلهم منها ما عزز به إبداعه في هذا الفن (٤).

نماذج من كتب العجائب

من كتب العجائب التي حفل بها التراث العربي، نستحضر النماذج الآتية: «عجائب البحر» لهشام بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، و«عجائب الدنيا» للمسعودي (ت ٣٤٦هـ)، و«المسالك والممالك» لأبي القاسم ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ)، و«عجائب البلدان» لأبي دُلف الينبوعي (ت ٣٨٥هـ)، و«مختصر عجائب الدنيا» لابن وصيف شاه (ت ٥٩٦هـ)، و«عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني (ت ٦٨٢هـ)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني أيضا، و«نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» للدمشقي (ت ٧٢٧هـ)، و«عجائب المقدور في أخبار تيمور» لابن عربشاه (ت ٨٥٤ هـ)، و«نزهة الأمم في العجائب والحكم» (٥)، لابن إياس الحنفي (ت ٩٠٨ هـ)، وغيرها من الكتب التي تشكل مدونة ضخمة من المصنفات تستحق القراءة (٦).

ويندرج في السياق ذاته، العديد من الكتب المتعلقة بالملاحم والفتن والحروب، وأخبار الحيوان والملائكة والجن والشياطين، وأحوال الخلق ووصف العوالم الأخرى... فضلا عن كتب الرحلات والجغرافيا والحكايات وكتب التراجم والمناقب والسير الشعبية... حيث وحّد تلك الأعمال عشق العجيب والمدهش.

وهناك صنف من التآليف التي «تعنى بجمع مختارات من الطرائف والنوادر والفوائد النثرية والشعرية، التي يرويها المؤلفون عن أشياخهم وأصحابهم، في مواضيع مختلفة، ويهدف إلى الإحاطة بالفوائد العلمية، وتوفير زاد من المعارف التي قد لا يربطها سلك يجمعها لتشحذ الأذهان، وتؤنس المجالس» (٧)، وتشبع فضول الناس من كل غريب ونادر. وقد عرف هذا النوع من التأليف، روجانا في الأوساط العلمية، وهو نوع من تلقي العجيب قبل إعادة إنتاجه.

من غرائب التأليف وصناعة الكلام في بعض الكتب، كتابة النصوص التي تُقرأ على أوجه عدة، وموضوعات مختلفة، مثل كتاب «عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعَروض والتاريخ والنحو والقوافي» (٨)، جاء على شكل أعمدة وجداول ملونة؛ فأول عمود يقرأ في موضوع العروض، وما بعده في التاريخ، يليه النحو، وآخر الأسطر القوافي، وقراءة النص بأسطره المتصلة بالصورة المعتادة فقه.

على غرار ذلك، يأتي كتاب «النفحة المسكية والتحفة المكية» (٩)، وهي رسالة في بضع صفحات ألفها السيوطي في مكة خلال يوم واحد؛ وعند قراءة الرسالة كلها في سياق



متصل فهي في علم النحو، وعند تقطيع الرسالة إلى جمل في جداول طويلة يتغير مفهوم الكلمات وسياقها فتتوزع على علوم العروض ثم المعاني ثم البديع، وأخيرا ترجمة المؤلف التي تتألف من حروف الأسطر المرتبة بعناية فائقة عند قراءتها من أعلى إلى أسفل.

ويأتي كتاب «طرح المدر لحل الآلاء والدرر» (١٠)، عبارة عن مواعظ في الحياة والسلوك وردت في سياق متصل غير مبوب، ولا ترى فيه أثرا للنقط على الحروف، فجميع نصوصه الشعرية والنثرية من الحروف المهملة، أي غير المنقوطة.

ولعل انتشار كتب العجائب في التراث العربي، راجع إلى جمالية اللغة العربية التي تتيح إمكانات كبيرة في تركيب الحروف وإنشاء المعاني؛ إذا صادفَت مؤلفا متمكّنا ومتذوقا، أمكنه ذلك التنسيق بين الحروف لإبداع كلام غير مألوف، يُقبل عليه المتلقي بلهفة كبيرة، وقد تكون هذه الكتب بابا لولوج عالم القراءة، لما تحمله من مقومات الدهشة والجمال.

الهوامش

١- عبدالفتاح كيليطو، «زعموا أن..»: ملاحظات حول كليلة ودمنة بين الرواية والسرد الكلاسيكي، مجلة «آفاق» ع:١٢، أكتوبر ١٩٨٣م، ص ٨٠.

٢- ينظر مقال فاروق خورشيد، كليلة ودمنة، تأليف لا ترجمة، ضمن: عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، القاهرة، ط:١، ١٩٩١م، صص ١٦٤-١٨٠.

٣- نمر سرحان، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٧٤م، ص ٩٣.

٤- ينظر: لوسيان بورتييه، المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية، ترجمة ابتهال يونس، مجلة «فصول» ع: ٣، ١٩٨٣م. وأيضا: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م. وهي مراجع تحدثت عن تأثر الغرب بكتابات العرب.

٥- ابن إياس، أبوالبركات محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٠٨هـ)، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م.

٦- للاطلاع على بعض النماذج المنتقاة من نوادر الكتب، ينظر: محمد خير يوسف، نوادر الكتب: غريبها وطريفها، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٩٩٤م.

٧- محمد أبوالأجفان، من مقدمة تحقيقه لكتاب «الإفادات والإنشادات» لأبي إسحاق الشاطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، صص ٦-٥٧.

٨- ألفه ابن المقرئ، شرف الدين أبومحمد إسماعيل بن أبي بكر (ت ٨٣٧هـ) وطُبع مرات كثيرة، كان أولها في المطبعة العزيزية في حلب، سنة ١٢٩٤هـ، بتحقيق عبدالله إبراهيم الأنصاري.

٩- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، النفحة المسكية والتحفة المكية، تحقيق السائح علي حسين، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، د.ط، ١٩٩٢م. وكان قد طُبع قبل ذلك مرات كثيرة؛ في لاهور وبومباي.

١٠- من تأليف يوسف بن محمد بن عبدالجواد بن خضر الشربيني (كان حيا ١٠٩٨هـ)، نشر مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، ط ١، ١٣٥٠هـ.

صلاح حسن رشيد
باحث مصري

تاريخ من العصامية والموسوعية

العلامة الطاهر أحمد مكي..

للعلامة الدكتور الطاهر أحمد مكي (١٩٢٤م-...) أستاذ الأجيال، والناقد الأدبي البارز بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وعضو مجمع الخالدين اللغوي القاهري.. مكانة علمية بين العرب؛ لا تضاهيها مكانة؛ فهو الذي أتى بالأندلس المفقود وحضارته الرائعة إلى عرب اليوم؛ عبر مؤلفاته، ومترجماته، وتحقيقاته! فهو أعجوبة بحق في دنيا العلم، والتأليف، والثقافة! ولم لا؟! وهو العصامي؛ الذي علم نفسه بنفسه؛ فلم يكتف بشهادة الدكتوراه من إسبانيا في عام ١٩٦١م؛ وإنما بدأ بنفسه مشوار التنقير، والتنقيب، والاستنباط، والبحث الدؤوب في التراث العربي، وفي الآداب الغربية، والتي يجيد خمسا من لغاتها بمهارة فائقة، وهي: «الإسبانية، والبرتغالية، والفرنسية، والإيطالية، والإنجليزية» إلى جانب العربية طبعا، كما كتب في تاريخ الثقافة العام، من خلال الأدب المقارن؛ فهزم حملة الدكتوراه الكسالى؛ بموسوعيته، وتبحره، وقامته الفكرية المديدة؛ فأعاد لنا عصر الأجداد العباقرة الموسوعيين!

فلو لم يؤلف الطاهر مكي سوى كتابه الفذ «الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه» لكفاه شاهدا على عبقريته، واستطالته العلمية، ومبايعة له عميدا للأدب المقارن في مصر والوطن العربي!

كتب في الأدب؛ فأخرس النقاد! وكتب في المعارف، وفي الأدب المقارن، وتاريخ الآداب، والتحقيق، وفي الحضارة، والتلاقح الحضاري؛ فكان دائرة معارف حوت الشرق، والغرب، والقديم، والجديد.. وبارى عظماء الإنسانية؛ فصال وجال معهم بقريحته الوقادة، وألمعيته النفاذة.. وكتب في التاريخ؛ فأرخ ما غاب عن أهل التاريخ!

هاضم للتراث

كشف عن صفحات مجهولة من عبق الماضي عبر كتابه العمدة؛ الذي راج بين العلماء؛ فتم طبعه أكثر من ثلاثين طبعة، وهو كتاب «دراسة في مصادر الأدب» الذي ألفه وهو معيد بكلية دار العلوم؛ حتى إن المحقق الراحل/ محمود الطناحي (١٩٣٥-١٩٩٩م) كتب عنه مقالين في مجلة «الهلال» في الثمانينيات، وصف جهد الطاهر مكي في هذ الكتاب بالخارق! وتظهر مكانة الطاهر مكي الموسوعية، والفكرية بحق؛ من خلال تحقيقه الأهم، والأعلى قدرا بين جمهور المحققين لمخطوطة «طوق الحمامة» للفقيه الظاهري/ ابن حزم الأندلسي؛ حتى أضحى أفضل تحقيق لهذا الكتاب، وصار اسم الطاهر مكي على طوق الحمامة شهادة ميلاد جديدة له؛ بعد ضياع القديمة!

ولكم تمنى المحقق الراحل/ عصام الشنطي (١٩٢٩-٢٠١٢م) عندما شرع معهد المخطوطات العربية بالقاهرة في عمل كتاب تذكاري عنه؛ أن يكتب عنه الطاهر مكي، ولو كلمة صغيرة.. فحالت ظروف الطاهر مكي، وانشغاله بالعديد من الموضوعات البحثية الشائكة؛ التي ينوء بالتفكير فيها العصبة من الرجال الأشداء؛ دون تلبية رغبة الشنطي يرحمه الله تعالى.

الطاهر مكي وملحمة السيد

أما تحقيقه وترجمته ودراسته لـ«ملحمة السيد» عن اللغة القشتالية الصعبة؛ فهي آية الآيات على تمكنه من ناصية اللهجات الإسبانية القديمة، واللغة اللاتينية، واللغة العربية. فقد أخرج للعرب أول ملحمة شعبية إسبانية من ركام وسراديب المجهول؛ تحكي قصة الأندلس وما مر به من محن وكروب.. حتى إن الدكتور حامد أبوأحمد وصف جهد أستاذه الطاهر مكي المضني في نقل وتعريب هذه الملحمة؛ فقال: «لقد أخرجها الطاهر مكي من العدم، إلى واقع الحياة؛ فتغلب على صعوباتها اللغوية، واللهجية القديمة؛ بصبر العالم الموسوعي، وهمة المحقق المترجم، وقلم الأديب الفنان»!

ويعد كتابه «دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة» من أهم الدراسات المتعمقة في تاريخ الأندلس الثقافي، والحضاري؛ حتى إن طبعته قد نفدت الآن؛ جراء كثرة رواج طبعات الكتاب بين المتخصصين، والعامة.

قال عنه تلميذه الدكتور الراحل عبداللطيف عبدالحليم (أبوهمام) (١٩٤٥-٢٠١٤م): «الطاهر مكي هو

شيخ الأدب والنقد في دار العلوم؛ بلا منازع! فمن تتلمذ على يديه؛ حاز الفخار والرفعة، ومن لم ينل منه أنوار المعرفة، وقبسات اليقين والعلم الروحاني؛ فلا يلومن إلا نفسه»!

وصفه الدكتور أحمد فؤاد باشا (١٩٤٢م-...) في مقاله بمجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية قبل عدة أشهر؛ فقال: «الطاهر مكي عميد الدراسات الأندلسية في مصر والوطن العربي»!

ترجماته الفريدة

وأما مترجماته؛ عالية القدر العلمي والفني؛ فتنبئ بأن الطاهر مكي وقف على أعظم ما أنتجه عقل المستشرقين المنصفين حول الأندلس: حضارة، وثقافة، واجتماعيات، وسياسة.. فنقل للعرب بعبقريته ولماحيته: الفن العربي في إسبانيا وصقلية للمستشرق الألماني فون شوك، والحضارة العربية في إسبانيا للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، والتربية الإسلامية في الأندلس للمستشرق الإسباني خوليان ريبيرا، والشعر الأندلسي في عصر الطوائف للمستشرق الإسباني هنري بيريس، والأدب الأندلسي من منظور إسباني لكبار المستشرقين.

صلاح الدين في الآداب الأوروبية

ومازلنا ننتظر خروج كتابه المهم؛ العاكف عليه منذ فترة، وهو كتاب «صلاح الدين الأيوبي في الآداب الشعبية الأوروبية» وهو أوفى كتاب تناولته أقلام الغربيين المنصفين، وغير المنصفين لشخصية البطل صلاح الدين.. ونلحظ فيه مدى التعب، والنصب في الترجمة، لاسيما من اللغات الأوروبية، ولهجاتها الصعبة.

وهو ما يؤكد على تمكن الطاهر مكي من أدواته في الأدب المقارن ولغاته؛ بصورة مذهلة!



ولإخلاص الطاهر مكي لابن حزم؛ أديبا، وشاعرا ومصلحا، وفقيها؛ فقد عقد دراسة مقارنة رائعة بينه وبين دانتي الليجيري؛ من خلال فلسفة الحب الإنساني؛ بعنوان «الحب بين دانتي وابن حزم» مع ترجمة كتاب دانتي (الحياة الجديدة) وعسى أن نراه قريبا بإذن الله تعالى.

واعترافا بمكانة دار العلوم في قلب الطاهر مكي، وعقله، وروحه، وكيانه؛ فقد ترجم كتاب مستشرقة أميركية عن أثر دار العلوم الثقافي البارز في مصر في منتصف القرن العشرين. ونحن بانتظار خروجه إلى النور قريبا إن شاء الله تعالى.

الطاهر مكي.. تاريخ يتحرك

ولكون الطاهر مكي.. شخصية غير نمطية، ولا متكررة؛ عاصرت الكثير من الأحداث الفاصلة والمؤثرة في مصر والعالم العربي فقد سجل قلمه الموثق للأحداث، والأشخاص، بمهارة الأديب المؤرخ، وعقل الناقد الحصيف، والفنان المرهف.. كل هذه العصور، والعهود، والنكبات، والانتصارات؛ فضلا عن همومه الشخصية، وأتراحه، وأفراحه؛ من خلال سيرة حياته المديدة؛ التي حوت علما، وتاريخا، وأدبا، ولغة، وتراثا، وحضارة، وثقافة، ورجالا، والتي حملت عنوانا هو «الطاهر مكي.. صعيدي في قلب القاهرة» والتي شرع فيها قبل مدة من الزمان، ونتمنى من سيادته الإسراع فيها؛ لكي يقرأها الجميع، ويفيدوا منها، ومن خبرة صاحبها، وشهادته على عصره، ورؤيته للأحداث عن قرب، ومن علمه الغزير.

لكل ما سبق، وأكثر منه؛ فلم نعرج عليه؛ خوفا على الطاهر مكي من الحسد، والحاسدين؛ فقد خاطبته جامعات العرب؛ للنهل من علمه الواسع، وخصاله الزاكية؛ فاستجاب إلى البعض، واعتذر إلى البعض الآخر بلباقة، وحسن أدب.. حكى المؤرخ الدكتور مجاهد الجندي عن حرص هذه الجامعات على وجود الطاهر مكي على رأس أساتذتها؛ فقال: «زرت أستاذي الطاهر مكي في أحد الأيام؛ فوجدته يتلقى مكالمة هاتفية من مسؤول سعودي كبير؛ بجامعة الملك سعود بالرياض؛ حرص هذا المسؤول فيها؛ على أهمية التعاقد مع الطاهر مكي؛ كي يضع لهم مناهج الدراسات العليا بالكلية، مع إشرافه عليها، مع إعطائه أعلى راتب، وتوفير كل سبل الراحة له، من مسكن، وسيارة، وإجازات كما يحب؛ فاعتذر له؛ بكل لطف ومودة؛ شاكرا للرجل ذلك العرض الجميل».

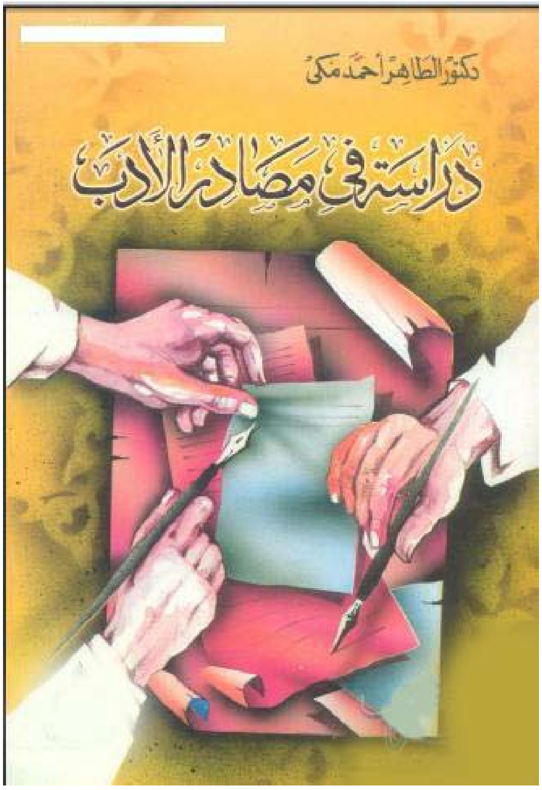
ومن حسنات الطاهر مكي العلمية الكثيرة، والتي تستعصي عن الحصر؛ أنه أول من أشار إلى رحلة الأمير علي بك العباسي إلى العالم العربي في مطلع القرن العشرين في مجلة «المجلة» القاهرية في الستينيات من القرن الماضي. ولم يكن هذا الرجل إلا دومنجو باديا؛ أحد الإسبان القادمين إلى أراضينا؛ لدراسة أوضاعنا

السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ بإيعاز من الحكومة الإسبانية؛ تمهيدا لكتابة تقرير لها عن أحوالنا؛ ليتسنى لها بعد ذلك الإغارة على بلاد العرب، واحتلالها، ونهب ثرواتها!

ولا يمكن أن ننسى؛ موقف الطاهر أحمد مكي النبيل والعادل، والمدافع عن المظلومين ضد عتو البعض؛ والذي حكاه الدكتور الراحل جابر قميحة (١٩٣٤-٢٠١٢م) للأديب السوداني محيي الدين صالح قبل عقد من الزمان، عن أيدي الطاهر مكي البيضاء؛ بحق البحث العلمي الجاد، والباحثين الأكفاء؛ فقال له: «تقدمت إلى لجنة الترقيات؛ لنيل درجة الأستاذية بجامعة عين شمس في الأدب العربي ونقده في الثمانينيات؛ فتعرضت لظلم بين؛ لاسيما أن اللجنة كان يسيطر عليها أنصار الحداثة؛ فلم ينصفني من جبروتهم؛ إلا تقرير الطاهر مكي؛ رئيس اللجنة؛ الذي رأى في بحوثي إضافة، وقيمة فنية، وأدبية؛ فخرست ألسنتهم أمام إنصاف الطاهر مكي، وعدله، وإحقاقه للحق! فهو أستاذ كبير، وناقد فذ، ومنصف إلى أبعد مدى، ومتواضع زاهد؛ فكأنه الجنيد، وذو النون المصري في العصر الحديث»!

سئل الدكتور الأردني الراحل ناصر الدين الأسد (١٩٢٢-٢٠١٥م) عن الطاهر أحمد مكي؛ فقال أثناء مشاركته في مؤتمر مجمع الخالدين اللغوي بالقاهرة: «تأتي بحوثه في الأندلسيات في القمة العلمية، وترجماته تكشف عن إلمامه بناصية اللغات؛ بفهم عجيب، وآراؤه النقدية، والفكرية تعطي الباحثين المصداقية، والنزاهة العلمية، والرأي البعيد عن الهوى والغرض»!

أما الدكتور العراقي الراحل يوسف عز الدين (١٩٢٢-٢٠١٣م)؛ فقال عنه: «أتابع بحوثه، ومؤلفاته بدأب؛



فهو باحث يمتلك العدة الثقيلة، ولديه إبحار، وتمكن في التراث، والمعاصرة، ودراساته عن الأندلس تقف شاهدة على ريادته؛ فإضافة الطاهر أحمد مكي البارزة في الأدب المقارن؛ تمنحه لقب عميد الأدب المقارن اليوم»!

عاش الطاهر مكي؛ وهو لا يتكسب من نشر وطبع مؤلفاته؛ تلك التي حملها الركبان؛ فانتشرت وراجت في طبعات وطبعات من المحيط إلى الخليج! فأثناء عمادة الدكتور علي أبوالمكارم (١٩٣٦م-٢٠١٥م) لكلية دار العلوم في تسعينيات القرن الماضي قرر إحياء سنة قديمة؛ كانت متبعة في الدار من قبل؛ وهي اختيار مجموعة من المؤلفات الأمهات، والمصادر الأساسية؛ للأساتذة الكبار، وإعطائها إلى الطلاب مجانا؛ لتكون معهم زادا فكريا، وعونا معرفيا في حياتهم العملية؛ أثناء التدريس بعد ذلك! فلما سمع بهذا الأمر؛ الدكتور الطاهر مكي وافق على الفور على طبع كتابه الكبير «الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه» الذي وقع عليه الاختيار.. طبعة خاصة للطلاب؛ بلا أي مقابل مادي!

اتصلت به قبل سبع سنوات دار المتنبي للطبع والنشر بالسعودية؛ للتعاقد معه على إعادة طبع كتابيه «الشعر العربي: روائعه ومدخل لقراءته»، و«القصة القصيرة.. مختارات ودراسة» طبعة خاصة بالمملكة؛ فوافق على الرحب والسعة؛ لكنه لم يدر أن كتابيه سيروجان بين الجيل الجديد هناك؛ بهذه الصورة المذهلة؛ فقد تلقفها الناس على الفور؛ حتى نفدت في أيام قلائل!

والعجيب؛ الغريب حقا وصدقا؛ أن كتابه المهم «مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن» الذي ساح فيه؛ فدرس سمات التأثير والتأثر بين آداب الشعوب الإسلامية، ولغاتها كـ:الهوسا، والسواحلية، والفارسية، والتركية، والأردية. هذا الكتاب؛ الذي ألفه الطاهر مكي في أوائل التسعينيات من القرن الماضي.. أصبح العمدة لدى رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض؛ مع أنه ليس عضوا فيها! وقد وجه الأنظار في الأدب المقارن إلى وجهة أخرى غير الوجهة الغربية التي فتن بها الحداثيون؛ ماتزال بكرا بين الدارسين في العالم العربي! تماما؛ كما فعل العلامة الدكتور حسين مجيب المصري رحمه الله تعالى (١٩١٦-٢٠٠٤م) عميد الأدب الإسلامي المقارن، في دراساته الرصينة بين هذه الآداب، واللغات.

بل؛ إن الدكتور صابر عبدالدايم دائم الإشادة بالطاهر مكي، والاستشهاد بكتابه، في الدفاع عن الأدب الإسلامي ضد مناوئيه.. فقد حوى هذا الكتاب من العلم، والحقائق، والبراهين؛ ما عجزت عن تلمسه، وكشفه الرابطة طوال أكثر من ثلث قرن.

عزة الغامدي
كاتبة كويتية



«اللهم اشدد أزرنا بروح القدس»

من لنا في هذه الحياة سوى الله، من لنا من ولي ولا نصير سوى الله، من الذي يجيب المضطر إذا دعاه سوى الله عز وجل وحده، ألم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابة الكريم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة:١٨٦).

ويبين لنا قوله سبحانه وتعالى أن الله جل جلاله قريب من كل مخلوقاته وعباده، إلا أن استشعار قرب الله عز وجل من الفرد يحتاج إلى أن يكون هذا المرء قريبا من الله بوجدانه وأفعاله وأقواله، وأن يستجيب لله سبحانه وتعالى بترك نواهيه والإقبال على ما أحل الله له، وأن يخلص في عبادته لله عز وجل.
فعبادة الله سبحانه وطاعته هي أولى القربات إلى الله عز وجل، وهي أولى مسببات قبول الدعاء بعد أن يصبح الله جل شأنه في قلوب المسلمين المخلصين له في عبادتهم الطائعين له سبحانه.
ومن وسائل الله عز وجل في تكريم عباده الطائعين له، إرسال ملائكته إليهم، فهناك من يبعث الله سبحانه وتعالى ملاكا ليحرسه، وآخر تنزل عليه ملائكة تلهمه بما قد نسي، ومن الناس من يرسل الله إليهم ملائكة تكون لهم جنودا في هذه الحياة.
فالمحظوظ هو الذي تتنزل عليه من السماء ملائكة تحرسه بأمر الله سبحانه، وتعينه على تحمل أعباء هذه الحياة، فمتى ما تقطعت السبل ووجد المرء منا نفسه وحيدا في هذه الدنيا، بعد أن تخلى عنه القريب والبعيد، ولا يجد له ملجأ يلجأ إليه، حينها ما على هذا المرء إلا أن يردد «اللهم اشدد أزري بروح القدس».
وهو دعاء جميل يناجي من خلاله العبد ربه، سائلا إياه عز وجل أن يشد عضده بجبريل عليه السلام رئيس الملائكة، الذي كان الوحي لكثير من الرسل والأنبياء، فيقول الله

سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (البقرة:٨٧).

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان جبريل عليه السلام هو وحي سيدنا محمد ﷺ، فكان يأتيه بتعاليم الله، وعلّمه الدين والقرآن، وكان يتلو عليه القرآن بأمر الله، حتى إننا نقرأه اليوم كما كان جبريل عليه السلام يقرأه للرسول ﷺ بأمر من الله سبحانه على مدار أكثر من ألف وأربعمئة عام، وقراءة جبريل عليه السلام للقرآن الكريم ما زلنا نتعاقبها على مختلف الأجيال.

وقد كرم الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فوصفه بأنه هدى وبشرى للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٩٧).

أي إن الله سبحانه وتعالى جعل جبريل عليه السلام هدى وبشرى لنا، فالمحظوظ الذي يوصل دعاءه لله سبحانه وتعالى ويحرسه ويقف بينه وبين أعدائه جبريل عليه السلام.

فمن كان وحيدا يفترش العراء لا ملجأ له، يعيش تحت زخات المطر وفي أجواء البرد القاسية شتاء، وتحت لهيب أشعة الشمس الملتهبة صيفا، إلى كل من لا يجد ملجأ له أو رفيقا يعينه على نكبات هذه الدنيا، فليردد «اللهم اشدد أزري بروح القدس»، فتتنزل عليه الملائكة وتحرسه وتعينه وتهون عليه مصيبته، فمتى ما تقطعت وسائل الاتصال في ما بين البشر وانقطعت الروابط الاجتماعية، يبقى باب الله سبحانه مفتوحا لمن يلجأ إليه، لمن يستغيثه من قسوة ومرارة الحياة، فباب الله دائما مفتوح لا يرد، والاتصال به لا ينقطع بين عباده الذين يتصلون به دوما من خلال صلواتهم واستغفارهم وذكرهم لله عز وجل.

فالله ملجأ من لا ملجأ له، والإخلاص في عبادته، والمضي قدما في ترك نواهيه، والامتثال لأوامره، وتنفيذ تعليمات الرسول ﷺ، والحذو حذوه ﷺ على قدر المستطاع، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، المهم أن يكون قلب المؤمن معمرا وممتلئا بذكر الله سبحانه وتعالى.

هنا سيكسب الإنسان الطائع لربه كنزا ثمينا من كنوز الدنيا وهي القناعة، فما فائدة أن نمتلك الثروة وكل ما في هذه الدنيا من متع ونفتقد القناعة والإحساس بالرضا بما قسم الله وقدره لعباده؟! ما فائدة أن نمتلك الكثير من كنوز الدنيا ونفتقد رضا الرب علينا بحيث نكون من المطرودين من رحمة الله عز وجل؛ نتيجة عصياننا له وعدم امتثالنا لأوامره، فيعصيه البعض منا جهرا وعلنا من دون استحياء منه جل شأنه، وهو الذي يرانا من حيث لا نراه ويعلم أسرارنا وظاهرنا ويسمع نجوانا.

لذا، فإن من يطيع الله سبحانه وتعالى ويجتهد في دينه، يكسبه الله القناعة، فلا تغريه بعدها متع الحياة الزائفة، بل يكفيه تلمس مباركة الرب له في ما يملك وحلول البركة في حياته.

فحين يمتحن الله سبحانه عباده ويبتليهم؛ ليعلم قوة إيمانهم، وعزيمتهم على تحمل تبعات هذه الدنيا والصبر على قضاء الله وقدره، واليقين التام بأن دار الدنيا ما هي إلا دار امتحان من الله سبحانه وتعالى؛ ليعلم من هو المؤمن المخلص في إيمانه المستحق للفوز بالجنة.

فيقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة:٢١٤).

وفي هذه الآية السابقة يبين الله سبحانه وتعالى كيف يكون المؤمن الطائع لربه، المتمسك بقيمه، المتحلي بالصبر، الموحد بالله سبحانه وتعالى، وهذه بشرى الصابرين التي بشر بها الله سبحانه عباده وهي الفوز بالجنة.

وأن يتحلى بخلق الرسول ﷺ وخلق صحابته حين كانت تأتيهم الشدائد ويبشرهم الله بالنصر والفوز بدرجات الجنة العليا.

إن الدعاء هو وسيلة العبد الوحيدة في هذه الحياة، فنحن لا نملك سوى الدعاء، فحتى لو كنا نملك كل المقومات والمعدات والآلات وآخر ما توصل إليه العصر من علوم لن تحدث منفعة لنا إلا متى ما شاء الله ذلك فتتحقق المنفعة بمشيئة الله وقدرته.

ولنا في قصص الأنبياء قدوة وعبرة في كيفية مناجاة الله سبحانه وتعالى واستجابته سبحانه للدعاء، فحين ناجى سيدنا زكريا -عليه السلام- ربه مناجاة خفية من قلب مؤمن طائع لله يترجى منه الولد، استجاب الله له، ولم يرده، ووضع الله سبحانه معجزته؛ فكانت زوجة سيدنا زكريا -عليه السلام- عقيما وعجوزا، ولكن مشيئة الله وقدرته شاءت أن تنجب لسيدنا زكريا الولد الذي كان يتمناه.

وفي رواية أخرى لسيدنا يونس كيف أن تسبيحه ودعاءه لله سبحانه وتعالى أنجياه من بطن الحوت، فبعد أن ابتلعه الحوت، وكان يسبح وهو في بطنه قائلا: ﴿لَّآ إِلَٰهَ

﴿إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧)، فأمر الله بعدها الحوت أن يلقي بسيدنا يونس على الشاطئ، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وعاد يتنفس الحياة مجددا من خلال دعائه وتسبيحه لله سبحانه وتعالى.

فمشيئة الله وقدرته تحول المستحيل إلى ممكن وذلك بقدرة الله عز وجل وعظمته، فكل ما نحتاج إليه أن يرضى عنا الله سبحانه وتعالى وأن نحسن الدعاء وننتقي العبارات الجميلة للتودد لله سبحانه وتعالى.

فدعاء المعجزات لم يقتصر على الرسل والأنبياء فقط، وإنما يشمل كل مخلص النية لله سبحانه وتعالى، فهذه حكاية تاريخية لامرأة فقيرة هدم منزلها رجل ثري واستولى على مكانه، وبعد أن عادت المرأة إلى منزلها لم تجده، فرفعت رأسها للسماء مناجية الله وسألته معجزته وسألته النصر، فأصاب منزل ذلك الرجل زلزال ابتلعه في حينه وهدم منزل ذلك الرجل الثري من خلال دعوة مظلومة فقط أخلصت النية لله سبحانه.

إن الحديث عن معجزات الله السماوية التي حدثت نتيجة الدعاء لا تنتهي، وهي مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكم من أناس تغيرت حياتهم بفضل بركة دعائهم لرب العباد ومكافأة الله لهم على صبرهم وثباتهم على الحق وعدم انحرافهم عن تعاليم ديننا الحنيف، فوضع الله لهم القبول في الأرض، وبارك لهم في ما يملكون، وأغناهم من بعد الفقر، وشافاهم من بعد المرض، وقومهم من بعد الاعوجاج.

وهذا كله يحتاج إلى إخلاص النية مع الله سبحانه وتعالى وصفاء السريرة ونقائها، موحدين بوحدانية الله جل شأنه، فيسخر الله لنا من ملكه ما يشاء.

إن الإنسان هو الذي يحدد طريقه، فإما أن يبتغي طريق الهداية والحق والثبات على المنهج وكتاب الله وسنة رسوله، أو أن يختار الضلال، فمن يرد الهداية ويسأل الله أن يعينه عليها يهبها له رب العباد ويزده علما ونورا.

ومن يرد الضلال يضله الله، فالله سبحانه وتعالى منح ابن آدم العقل ليميز به بين الخير والشر، فطريق الجنة معروف، وطريق النار أيضا معروف، وتعاليم ديننا واضحة، ووصايا رسولنا محمد ﷺ كلها تقدم الكثير من التسهيلات للمسلم ليرتفع رصيده عند الله من خلال اتباع السنن والأذكار والتسبيح، فقال الرسول ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (متفق عليه).

فكم كريم هو جل شأنه فمئة تسبيحة تحط عددا غير متناه من الخطايا والذنوب، ولو سأل المرء نفسه كم يستغرق في اليوم الواحد ترديد مئة تسبيحة، فهي إن طالت ستتجاوز الدقائق الخمس بدقيقة أو دقيقتين على الأكثر.

إن صفاء النية والسريرة يأتي بالهداية لصاحبه، فعمل بسيط يقوم به صاحب النوايا الطيبة يفتح الله له طريقا وبابا للجنة من خلالها، ويحميه الله من أن تزل قدماه بالمعاصي، فيحول بينه وبين الخطايا؛ وذلك بسبب الأعمال البسيطة التي يقوم بها بصفاء نية جرته في ما بعد للالتزام على طريق المنهج الحق باتباع تعاليم الكتاب والسنة.

إن الخير لا يأتي إلا بالخير، والخلق الحسن يأتي برضا الرب، والالتزام بأهم العبادات على الإطلاق يتم بعده الالتزام التام بكل الفرائض والنوافل، فالإسلام بني على خمس، وعمود الإسلام هو الصلاة، ومن يحرص أن يكون ملتزما بها منذ بداية سنوات حياته الأولى فحتى لو لم يكن ملتزما بكل التعاليم، وحتى لو لم يكن يصلي السنن، الصلاة فقط، يلتزم بها التزاما حقيقيا وهو في سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، متى لم يجد أحدا يعينه ويعلمه تعاليم دينه الحنيف، فهذه الصلاة ستجر بعدها النوافل وتجر بعدها الالتزام بكل تعاليم الدين، كل ما يحتاج إليه المرء فقط أن يخلص النية لله سبحانه، ويدعو لنفسه بالهداية والثبات على الكتاب والسنة.

فمن يسأل الله سبحانه أن يهديه يرسل إليه ملكا يدله على طريق الخير والهداية، فقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ (الأحزاب:٤٣).

فالله سبحانه وتعالى هو الذي يخرج الإنسان من حياة يسكنها الشيطان وأعوانه إلى حياة منيرة تزين سماءها الملائكة والنور والرحمة ومباركة الرب لها، حتى إن من فضل الله سبحانه وتعالى أن جعل الملائكة تستغفر للمؤمنين الذين يقترفون الذنوب، فقال الله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشورى:٥).

ومن خلال الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نستطيع التأكيد على أهمية الدور الذي تقوم به الملائكة في حياة المؤمنين الطائعين، فهم الرقيب علينا وهم الحراس علينا وهم الذين جندهم الله لعباده المخلصين في السراء والضراء.

صبحه بغوره
كاتب جزائرية



ضبط غريزة التملك ونبذ الأنانية

حب الذات إحدى أهم الغرائز التي تسيطر على الإنسان منذ نعومة أصابعه مثلما هو الشعور بالامتلاك، نحن نحب ما نملكه ونحاول دائما أن نملك ما نحبه، لكن إفصاحنا عن هذا يبدو أكثر تحفظا، لكن لدى الطفل تبدو هذه الغريزة بوضوح وتعبر عن نفسها لتؤكد أهميتها في حياته، فمن منا لم يجرب يوما أن يسحب من طفل لعبته وتفاجأ بصراخه وبكائه ومقاومته واحتجاجه العنيف!؟

تلعب البيئة وأساليب التربية دورا كبيرا في تقوية حب التملك وتنميته، أو التخفيف من حدته، ومدار التهذيب لهذه الغريزة الفطرية هو التربية الأسرية السليمة القائمة أساسا على القدوة الحسنة والتلقين الجيد نظريا وعمليا، فالطفل الصغير في بداية نشأته، وخاصة دون السادسة من عمره لا يميز بين ما هو له وما هو لغيره فنراه يندفع يطلب كل ما ترغب فيه نفسه فيأخذ لعبة هذا ويطالب بثوب أخيه زاعما أنه ثوبه وربما وجد قطعة نقدية على الأرض فأخذها ونسبها لنفسه، الطفل بدون التربية الرشيدة والتوجيه الحكيم في وقت مبكر وبالتركيز على الجوانب المهمة في تكوين شخصيته لن يستطيع التعود على ضبط رغباته الجامحة نحو امتلاك الأشياء، خاصة إذا كان وسط أهل اعتادوا أن يغدقوا عليه بالهدايا والألعاب بمناسبة ودون مناسبة، والطفل في الحقيقة يستطيع أن يميز بين أغراضه الخاصة وأغراض غيره، ولكن إحساسه الطاغي بحب الامتلاك سيكبر معه، وسيترسخ أكثر بمجرد أن يطلب الأهل منه المحافظة على هذه الأغراض وإشعاره بالمسؤولية ليتعلم كيف يرتبها ويضع كل شيء في مكانه، وهذا أمر طبيعي وسليم يقوم به الأهل لتعويد الطفل على الحرص والالتزام ولا يمكن هنا النصح بغير ذلك، وحديث الأهل مع الطفل عندما يهمل ألعابه أو يكسرها هو محاولة لتقريبه من أغراضه بوجوب الحرص عليها كي لا تضيع أو تعطب، وهذه عبارات تتردد كثيرا، وهكذا يبدأ الطفل بالتمسك بما يملكه ليس فقط لحبه له بل لينال رضا والديه، وعندما يبدأ الطفل بالاهتمام بحاجياته يتسلل إليه الشعور بأنه ليس هناك من يحرص على ما يملكه مثله، وهنا تبدأ المشكلة بعدم سماحه لأي شخص أن يقترب مما يملكه.

• بعث مفهوم المشاركة

على ما سبق تأتي أهمية تعليم الطفل مفهوم المشاركة، وهو أمر يبدأ الوالدان تعويده عليه تدريجيا وسنلاحظ أنه سيسمح لبعض الأشخاص بمشاركته ألعابه بينما سيرفض ذلك مع أشخاص آخرين، وعلى الوالدين الجلوس مع طفلهما أثناء لهوه مع أطفال آخرين بألعابه واللعب معه وإضفاء جو من المرح كي يجعلاه يربط بين شعوره بالمتعة وبين مشاركة الآخرين له، ومن ثمة إدراك أهمية أن لا يترك أحدهم مكانه كي لا تفقد اللعبة حماسها.

من المفيد بين الفترة والأخرى إقناع الطفل أن يرتب ألعابه ويحاول الاستغناء عما لا يريده منها، خاصة تلك التي لم تعد تناسب سنه، وأنه قد كبر ويستطيع الاستمتاع بألعاب أكثر إثارة ومتعة تناسب عمره، وإقناعه في نفس الوقت أن هناك أطفالا أصغر منه كإخوته مثلا أو أقاربه أو جيرانه سيفرحون بمنحهم هذه الألعاب وسيحبونه ويشكرونه على ذلك، مع الطلب في نفس الوقت من إخوته الكبار أن يقدموا له أيضا بعض أغراضهم الخاصة التي أصبحت غير مناسبة لهم كي نعزز في نفسه قيمة الأخذ والعطاء.

من المهم أن لا نفصل بين أغراض البيت وأغراض الطفل الخاصة، وأن ننمي لديه الوعي بأن كل ما هو بالبيت يعود للأسرة الواحدة، فمثلا عند اقترابه من إكسسوارات البيت محاولا العبث بها لا ننهره بل نحاول أن نشجعه على الاهتمام بأغراض المنزل ليدرك أنّ على الجميع مهمة الحفاظ عليه كي يبقى جميلا ومرتبا، فهو بيت لجميع أفراد الأسرة، وسيسهم استمرارنا بتعزيز فكرة كهذه في إزالة الشعور بالأنانية من عقل الطفل.

• الطفل يتعلم بالتجربة

من المعروف أن الطفل كالصفحة البيضاء لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا الأنانية ولا العنف ولا الكرم ولا المشاركة، ولكنه يتعلم ويكتسب الخبرات طوال رحلة حياته، وخاصة في سنوات عمره الأولى التي ستشكل رجل المستقبل، فالطفل لا يعرف معنى أشياء كثيرة ما لم يدخل في تجربة



أو يمر بموقف يتعلم منه، وقد يخرج بفهم صائب أو بتعليم صحيح أو بآخر مخطئ يظل يتبعه طوال حياته «لا تدع أحدا يلعب بلعبتك حتى لا يحطمها»، «تذهب إلى الجيران لتلعب معهم لكن لا تدعهم يأتون حتى لا يتسخ المنزل وحتى لا يثيروا الضوضاء».. هذه العبارات وغيرها كثيرا ما تقولها الأمهات بقصد توفير بعض الراحة لهن وتجنب صخب الأطفال ولكنهن لا يعلمن أنهن بذلك ينشئن أطفالا أنانيين منعزلين وغير متعاونين ولا يقدرون مشاعر الآخرين، إن الطفل حتى سن الرابعة يستطيع التمييز جيدا بين أشيائه وأشياء الغير، سواء كانوا إخوته أو أصدقاءه، إذ نلاحظ أن الطفل ذا العامين يمسك بلعبته ثم لا يلبث أن يرى أخرى فيترك ما بيده ليتشبث بالأخرى ويبكي إن حاولنا أن ننزعها منه، لذلك قبل أن نعلم الطفل المشاركة يجب أن نعلمه معنى الخصوصية، أي أن يعرف أن هناك أشياء تخصه لا يستعملها آخر سواه مثل طبق طعامه وكوبه، ملابسه وفراشه.. والأمر نفسه بالنسبة للأطفال الآخرين، وفي سن الثالثة من عمره يكتشف معظم الأطفال بهجة وجود زملاء اللعب معهم والحاجة إلى الأخذ والعطاء والتبادل أثناء اللهو والمرح، فالجري والتناوب على الانزلاق والأراجيح تصبح أكثر متعة له مع الأصدقاء، ويستطيع الطفل الذي لم يبخل عليه والداه بالحب والرعاية أن يستجيب لمشاركة طفل آخر يحتاج إلى اللعب بدراجته لأنه لا يملك مثلها، يبدأ الوالدان في تأصيل مبدأ تحديد الملكيات لدى طفلهما بتحديد ملكياته أولا ليعرف ما له من أشياء وما لغيره فيحترمها ولا يعتدي عليها، كما يمنح الوالدان طفلهما صلاحيات التصرف في أشيائه الخاصة كيف يشاء ويفضل أن تكون تلك الممتلكات في حجرته الخاصة أو داخل خزانة تخصه وحده.

• إشباع رغبة التملك

لابد من إشباع رغبة الطفل في تملك النقود بأن يخصص له الوالدان مصروفا يوميا أو أسبوعيا على أن يرشدانه لأفضل طرق الإنفاق، وأن يفسح له في شراء بعض ما يحب من ألعاب وحلوى، فإن ذلك يعني الكثير عنده لأنه يحمل العديد من القيم الإيجابية بالنسبة له، بداية من الشعور بالملكية الخاصة والقدرة على التصرف في حدودها إلى تنمية ملكات التدبير والتوفير والادخار والكرم والعطاء للغير، كما يجعله لا يتطلع لممتلكات الآخرين، ولا بأس أن يعطى الطفل فرصة للادخار وجمع المال ولكن مع توضيح الفرق بين الادخار المحمود والشح المذموم، وأن يسمح له باستغلال بعض ما جمع في شراء أشياء جديدة فيشبع بذلك رغبته الفطرية في حب التملك.

• ترسيخ فضائل المشاركة

قد يرفض الطفل بشدة مشاركة طفل آخر لعبته.. حينها ينبغي عدم معاقبته بقسوة على رفضه، بل بتوضيح أن الآخرين أيضا لن يسمحوا له أن يشاركهم لعبهم وأنه سيبقى وحيدا، فإن ظل على عناده ورفضه يجب منعه أن يلعب مع باقي الأطفال حتى يشعر بقيمة المشاركة وبهجة الصحبة مع تركه يستسلم لمشاعر الغيرة والحسد تجاه لعب وحاجات الآخرين، كما يجب شرح أنه ليس بإمكان الإنسان أن يمتلك كل ما لدى الآخرين، والطفل يستطيع أن يفهم ويقدر مادام يحب والديه ومادام الوالدان يتعاملان معه بحب وعطف واحترام، وتدريجيا سيفهم وسيتعلم أن يقبل الاختلاف بين الناس سواء فيما يمتلكون من أشياء أو صفات أو مواهب.. ولن يتولد لديه الحسد أو الرغبة في تدمير ما لدى الآخرين.

استغلال قيم ديننا الحنيف من أهم ما يمكن به تقويم سلوك الأطفال، كتربيتهم على التعاطف مع الفقراء والمساكين ومساعدتهم بما يستطيعون سواء بما يملك من مصروفه الشخصي أو بلعبة أو ببعض الملابس، وهذا السلوك يجنبهم الشعور بالتكبر على الضعفاء، بل سيشعرهم بأنهم إخوة وباستطاعتهم أن يجعلوهم سعداء بفضل مشاركتهم لهم، وفي هذا تطبيق عملي لتوضيح المعنى الحقيقي للغنى، وتأكيده في ذهن الطفل مع التلقين المستمر بأن المندفع وراء حب التملك دون عقل أو روية لن يشعر بالغنى ولن يتمتع به ولن يكتفي بما لديه وسيظل يطلب المزيد بلا حدود ولن يقنع أو يرضى، فهو في الحقيقة فقير مع كثرة ما يملك، أما من رضي بما قسمه له الله تعالى وهو عامل وآخذ بأسباب الرزق في غير تكلف فإن قلبه يمتلئ بالاطمئنان، وكلما كبر الطفل زادت معلوماته عن فضائل المشاركة، وعلى الوالدين أن يدعاه في كل مناسبة يتعلم أن يشارك ليس فقط بالمال بل بالتجاوب بالمشاعر والأحاسيس مع المريض بعيادته والتزام الهدوء معه أو مع المحتاج بالمبادرة لمساعدته دون انتظار أن يطلب هو تلك المساعدة.

إن غرس الصورة الصحيحة لمفهوم الملكية مثلها مثل أي قيمة طيبة يعتمد على توافرها القدوة الحسنة الثابتة على المبدأ الذي يدعو إليه الوالدان أمام ناظري الطفل حتى يعيها عقله وتنتشي بها نفسه ومن ثمة يتخلق بها ويشب عليها.



محمد عباس
كاتب صحافي

الأسرة وتشكيل ثقافة الأطفال

تعد الأسرة المؤسسة التربوية الأولى التي تقوم بالتنشئة الثقافية والاجتماعية لأبنائها، فهي المصدر الأول الذي تتشكل منه ثقافة الطفل «فالأسرة هي الحضن الأول الذي يتولى رعاية وتهذيب وتعليم النشء، وتزوده بالخبرات والمعارف والمهارات الحياتية، كما تبذل جهودا متواصلة لتنمية شخصية أبنائها، وتحديد معالمها الرئيسة ومساعدتهم لتحقيق ذواتهم، فهي أولى الجماعات التي يتفاعل معها الطفل ويمارس فيها ألوان الأخذ والتأثر الشديد بالكبار» (أبومرسة، ٢٠١٢، ص ٢).

وللأسرة دور في تشكيل ثقافة الأطفال، ويتمثل هذا الدور في قيام الأسرة بما يلي: البناء القيمي والأخلاقي للأطفال، التوعية الفكرية للأطفال، ترسيخ حب الوطن والانتماء إليه لدى الأطفال، وفيما يلي بيان ذلك:

• البناء القيمي والأخلاقي للأطفال

إن صياغة شخصية الطفل السوية التي تظهر ذاتيته الثقافية لابد وأن تستند إلى أساس ديني وعقائدي؛ من أجل بناء ذاتية للطفل تصغي إلى أوامر بارئها، وتطيع أحكامه (علي، ٢٠٠٤، ص ٣٥)، وهذا يتطلب من الأسرة التأكيد على القيم الأخلاقية التي تدعم الهوية الثقافية، وتواجه تداعيات العولمة السلبية على الأطفال، وعلى الأسرة أن تبني شخصية الطفل المؤمن البعيد عن الضلال في الفكر والعقيدة والسلوك والأخلاق، وأن تحقق لديه الانسجام النفسي، والارتقاء بالنفس إلى الطمأنينة؛ لتجنب الباطل، والابتعاد عن الوقوع في الأخطاء، التي يقع فيها البعض من خلال الثقافات الوافدة (حمش، ٢٠١٣، ص ٤٩).

• التوعية الفكرية للأطفال

للأسرة دور كبير في التوعية الفكرية للأطفال، وذلك بتوعية الطفل فكريا منذ نعومة أظفاره، وذلك من خلال ربط الطفل بالمطالعة الواعية التي تنمي لديه الفهم الصحيح للإسلام، والوعي الفكري النابه، والثقافة الإسلامية الأصيلة (علوان، ١٩٩٦، ج ١/ ص ٢٢٧).

- ربط الطفل فكريا بثقافة المجتمع، والعلم المحيط بأحداث الحياة بحيث يتكون لديه حصانة الإيمان، ورسوخ العقيدة (علوان، ١٩٩٦، ج ٢/ ص ٦٢١).

- الأخذ بكل الوسائل والطرق التي تؤدي إلى تربية الأطفال تربية عقلية سليمة تحميه من كل المفاسد الخطيرة التي تضر بعقله (المسعودي، ١٤٣٦، ص ٢٧٣).

- توعية الأطفال بأبعاد العولمة الثقافية، وتحقيق التوازن بين الثقافة المحلية والثقافات الوافدة.

• ترسيخ حب الوطن والانتماء إليه لدى الأطفال

مما لاشك فيه أن للأسرة دورا كبيرا في تنمية الوطنية والمواطنة وحب الوطن والانتماء إليه لدى الأطفال، حيث تغرس وتنمي فيهم مشاعر الحب والولاء والانتماء للوطن من خلال السلوكيات العملية، ومن خلال تعريفهم بحقوق الوطن عليهم، وتحثهم على الحرص عليه والدفاع عنه ضد كل من تسول له نفسه بالاعتداء عليه، فالأسرة تقوم بدور كبير في مجال دعم قيم الولاء والانتماء للوطن، والتأكيد على الثوابت الوطنية، وبالتالي لها دورها الكبير في تشكيل الهوية الثقافية للطفل وترسيخ ثوابتها ودعائمها الأساسية.

وهكذا يتضح مدى مساهمة الأسرة الفعالة في تشكيل ثقافة الأطفال فكريا وأخلاقيا ووطنيا.

عبدالمجيد إبراهيم قاسم
باحث تربوي

البيئة الأسرية.. وتنمية قراءات الأطفال



تـؤدي عملية الـقـراءة دورا محوريا في بـنـاء شخصية الـطـفـل، وتحقيق نموها من النواحي التربوية والنفسية والاجتماعية بشكل مـتـوازن، وتشكل مصدرا مهما لتنمية خبرات الأطفال وقدراتهم المختلفة، وتسهم في توسيع آفـاق مـداركـهـم ورؤاهـــم، وتطوير مهاراتهم وإغناء عواطفهم وخيالاتهم.

تـعـرف د. هــانـم عـبـاس الـقـراءة بأنها (١): «عملية استرجاع شيء منطوق أو ذهني لمعلومات مخزنة، سواء كانت تلك المعلومات على شكل حروف، رموز، أو حتى صور، وذلك عن طريق النظر أو اللمس (كما في لغة «برايل» للمكفوفين). وهناك أشكال من القراءة لا تـكـون لـلـغـة، وذلـك كـقـراءة الـصـور التوضيحية.. وفـي مصطلحات علم الحاسوب، فإن القراءة هي استرجاع مـعـلـومـات مـن أمـاكـن تـخـزيـنـهـا على الحاسوب».

تـتـعـدد فـوائـد الـقـراءة وتـتـنـوع، بدءا من إتـاحـة الـفـرصـة لهم بـأن يعيشوا الخبرات والتجارب ويستكشفوا البيئة المحيطة بهم، مرورا بإسهامها في تنمية العمليات المعرفية المختلفة، وإثراء معارفهم ولغتهم والارتقاء بأساليبها. كـمـا أن الـقـراءة وسـيـلـة جيدة لغرس القيم والاتجاهات الإيجابية في نفوس الأطفال، ولتهذيب انفعالاتهم وتوجيهها الوجهة السليمة. إضـافـة إلـى دورها في تعويدهم على عـادات اجتماعية إيجابية، والارتـقـاء بحسهم التذوقي، وإضـفـاء المرح والمتعة على حياتهم..

وبالمحصلة تأهيلهم للحياة تأهيلا سليما، وبروح يملؤها الطموح والتفاؤل والتطلع إلى المستقبل بأفق واسعة.

وإذا كانت القراءة توفر أكبر مورد لتنوع ثقافة الطفل، والسبيل الذي يقوده إلى المعرفة، فإنها تدل على القيمة العظيمة للكتاب، كأهم وسائط القراءة، وأفضلها في تقديم الثقافة والمعرفة للأطفال، على الرغم من تقدم الوسائط المعرفية الأخرى. ولكتاب الطفل «الثقافي» خصائص وشروط، أولها: المضمون أو المحتوى، وما يتضمنه من معارف وأفكار وقيم مناسبة، ومدى تحقيقه للاعتبارات التربوية والنفسية والتذوقية الخاصة بالطفل، كملاءمته للبيئة التي يعيش فيها الطفل، ولعمره الزمني والعقلي، ومقدرته على إرضاء ميوله ورغباته وإشباع بعض احتياجاته والاهتمام بها. وثانيها: إخراج الكتاب وشكله الذي يؤدي دورا مهما في جذب الطفل، وتنمية حبه للمطالعة، كأن يكون حجم الكتاب مناسبا، وغلافه جذابا، شكلا ولونا، وأن يحتوي على رسوم مناسبة، ملونة ومعبرة.

والأسرة كأهم مؤسسة اجتماعية يترعرع بين أحضانها الطفل، والمعين الأول لثقافته ونقل أساليبها إليه، فإنها تؤدي دورا كبيرا في إكسابه العادات والاتجاهات والقيم المرغوبة. وبمقدورها أن توجه ميول طفلها نحو عملية القراءة، وتساعده على اكتشاف أهميتها، وأن تعرفه بالكتاب وتوفر له ما يناسبه، حتى يبلغ مرحلة يشعر فيها بحميمية العلاقة معه.. يقلب صفحاته بشغف، ويتخذه رفيقا له.. يمكن للأسرة أن تستغل أمورا عدة لهذه الغاية، كتعويده القراءة في سن مبكرة، وغرس حبها في نفسه منذ سنيه الأولى، فالعلاقة -حينئذ- ستكون وطيدة ومستمرة. وأن تؤمن بأهمية القدوة القارئة في الأسرة والمدرسة، وما لها من دور في إكسابه هذه العادة والمداومة عليها.. فعندما يرى أفراد أسرته ومعلميه يقرأون، فإنه سيحاول تقليدهم مرارا ليتعلق بالكتاب. وعلى الأسرة أن تقدم لطفلها كتب «أدب الأطفال» باختلاف أجناسه، بوصفها دعامة أساسية في بناء ثقافته، وإتاحة نتاج أدبي ذي قيمة.

تقع على الأسرة مسؤولية كبيرة في تنمية ميول الأطفال نحو الكتاب، وتهيئة بيئة ثقافية جيدة من خلاله.. لكن السؤال: كيف تقدم الأسرة الكتاب لطفلها؟ وكيف تساعده على أن يزرع في نفسه رغبة التواصل معه؟ إن عليها أولا أن تكون على دراية كافية بأسس اختيار الكتاب المناسب، وأن تأخذ بعين الاعتبار أوجه اختلاف كتب الأطفال -محتوى وأسلوبا- عن كتب الكبار، كذلك أن تراعي اختلافها بحسب أطوار الطفولة من جهة، وتباين الميول والرغبات، والتي تختلف هي الأخرى من طفل لآخر. على الأسرة أيضا اختيار الكتب الملائمة لأطفالها، والمتميزة بالمضمون الهادف والأسلوب السهل، وانتقاء ما يثير خيالهم، ويجلب لهم المتعة والسرور.

يقول نزار نجار (٢): «لتوجيه الوالدين، وإرشادهما إلى الطرق العملية في حث ميول الطفل إلى القراءة؛ أثر بالغ في هذا الإطار، فالوالدان يهيئان الأجواء التي تشيع المتعة والمرح والحب والأمان، وهما أكثر قدرة على استمالة فضول الطفل، وأكثر قدرة على تحريك طموحه، وتحفيزه وجذبه نحو القراءة، وليس هناك شك أن لكل طفل ذوقه الشخصي الخاص به، ولكن هناك خصائص مشتركة لدى الأطفال بالنسبة إلى القراءة والمطالعة، خصائص يشترك فيها معظم الأطفال».

ومن أهم الأساليب التي ترغِّب الطفل في القراءة، وتحرض ميله تجاهها:

١- تشجيع الطفل عليها، وتنمية حبه لها، وتعريفه بأهميتها في سن مبكرة.

٢- القراءة له قبل أن يقرأ بنفسه، والقراءة أمامه بصوت واضح ومفهوم.

٣- ترغيب الطفل فيها بشتى الوسائل، وإغراؤه بالكتب المحببة إليه، ومساعدته في اختيار القصص الملائمة والمثيرة لاهتمامه.

٤- القراءة له أولا، ثم تركه مع الكتاب عند بلوغه التشويق.

٥- مراعاة رغباته القرائية، والاهتمام برأيه حول ما يقرأ، والتعليق على موضوعاتها.

٦- محاورة الطفل عقب القراءة، بقصد المشاركة والتوضيح، أو معرفة مدى فهمه لمضمون ما قرأ.

٧- تخصيص زاوية في البيت؛ تضم الكتب والقصص والمجلات الخاصة به، لتشكل لديه حافزا لنشوء العلاقة المرغوبة مع الكتاب.

٨- تخصيص المكان المناسب للقراءة، بحيث تتوافر فيه الراحة والإنارة، واختيار الوقت المناسب للقراءة.

٩- تشجيعه على ارتياد المكتبات العامة بانتظام، واصطحابه لزيارة معارض الكتب.

١٠- تحقيق متوازن للمعادلة بين القراءة ومشاهدة التلفاز، وتشجيع الطفل على توزيع وقته بين مشاهدة برامجه التلفزيونية، والقراءة، وبقية النشاطات.

١١- تشجيعه ومشاركته بعض الألعاب القرائية التي تنمي ميوله تجاهها.

الهوامش

١- الرافد، مجلة شهرية ثقافية، تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة. العدد ١٦٠، سبتمبر ٢٠١٠م. مقالها: القراءة وأهميتها في حياتنا الثقافية.

٢- الأسبوع الأدبي، جريدة أسبوعية تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ١١١٤، تاريخ ٢٠٠٨/٨/٢م، مقالة: من أجل طفل قارئ.. كيف ننمي القراءة عند الأطفال.

سليمان خالد الرومي
سكرتارية التحرير



تكريم الأم وبرها

لنتأمل كيف جعل الإسلام الصفا والمروة من شعائر الله فرفع الأمومة لمكانة سامية وحولها من خصيصة أنثوية لقيمة إنسانية تتجاوز النساء ليهرول الحجيج جميعهم -رجالا ونساء- بين الصفا والمروة يستحضرون هلع هاجر الأم الرحيمة المشفقة التي قطعت الأشواط تبحث لوليدها عن قطرة ماء، فكان جزاء الجهد بعد سبعة أشواط كاملة أن تفجر الماء من تحت قدميه ولو شاء الله لفجره مع أول صرخة عطش، لكنه أراد -عزوجل- أن يعلمنا أن الأمومة عطاء وسعي وجلد، و«هرولة» و«جهاد».

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ التحذير من المحدثات في الدين وعن مشابهة أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين مثل قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (متفق عليه).

وفي لفظ لمسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد». والمعنى: فهو مردود على من أحدثه، وكان ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» (أخرجه مسلم في صحيحه).

ولاريب أن تخصيص يوم من السنة للاحتفال بتكريم الأم أو الأسرة من محدثات الأمور التي لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا صحابته المرضيون، فوجب تركه وتحذير الناس منه والاكتفاء بما شرعه الله ورسوله.

الصفا والمروة يستحضران هلع «هاجر» الأم الرحيمة المشفقة على وليدها وهي تبحث عن قطرة ماء له

إن الشريعة الإسلامية قد جاءت بتكريم الأم والتحريض على برها كل وقت، وقد صدق في ذلك، فالواجب على المسلمين أن يكتفوا بما شرعه الله لهم من بر الوالدة وتعظيمها والإحسان إليها والسمع لها في المعروف كل وقت وأن يحذروا من محدثات الأمور التي حذرهم الله منها، والتي تفضي بهم إلى مشابهة أعداء الله والسير في ركابهم واستحسان ما استحسنوه من البدع، وليس ذلك خاصا بالأم بل قد شرع الله للمسلمين بر الوالدين جميعا وتكريمهما والإحسان إليهما وصلة

جميع القرابة، وحذرهم سبحانه من العقوق والقطيعة وخص الأم بمزيد العناية والبر، لأن عنايتها بالولد أكبر وما ينالها من المشقة في حمله وإرضاعه وتربيته أكثر، قال الله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (الإسراء:٢٣)، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤).

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، وقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور».

والآيات والأحاديث في بر الوالدين وصلة الرحم وبيان تأكيد حق الأم كثيرة مشهورة، فقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من متابعة هذه الأمة -إلا من شاء الله منها- لمن كان قبلهم من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة في كثير من أخلاقهم وأعمالهم، حتى استحكمت غربة الإسلام، وصار هدي الكفار وما هم عليه من الأخلاق والأعمال أحسن عند الكثير من الناس مما جاء به الإسلام، وحتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة، عند أكثر الخلق؛ بسبب الجهل والإعراض عما جاء به الإسلام من الأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة المستقيمة، فعلى علمائنا وكتابنا العمل على نشر محاسن ديننا والتحذير من البدع والمحدثات التي تشوه سمعته.

عندما استشهد أبناء الخنساء الأربعة ولامس الإيمان قلبها قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»

دور الأم التربوي

لقد قامت الأم بدورها الريادي في التربية والتوجيه، متمثلا في شخصيات وسلف هذه الأمة من حسن تربية، ولا تفسد على زوجها إصلاح بيتها، تطلعه على كل ما من شأنه إصلاح البيت المسلم، بيتها دار الحضانة الأسمى، لا دور الحضانة المنتشرة في آفاق المسلمين، والتي ينبغي ألا تقبل إلا في الضرورات الملحة.

في الخنساء عبرة وعظة

في سير الأسلاف عظة، وفي مواقفهم خير وعبرة، والخنساء رضي الله عنها عرفت بالبكاء والنواح، وإنشاء المراثي الشهيرة في أخيها المتوفى إبان جاهليتها، وما أن لامس الإيمان قلبها، وعرفت مقام الأمومة ودور الأم في التضحية والجهاد في إعلاء البيت المسلم ورفعة مقامه عند الله، وعظت أبناءها الأربعة عندما حضرت معركة القادسية تقول لهم: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لابن أب واحد وأم واحدة، ما خبث آباؤكم، ولا فضحت أخوالكم. فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا، ولما بلغها خبرهم ما زادت على أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

يجب على الأولاد أن يقدروا دور الأم وأن يعطوا لها حقها وأن يبروها

هذه هي الخنساء.. فأين جملة من رائدات نهضة الأمومة منها؟ هذه هي الخنساء.. فأين المتنصلات عن واجب الأمومة منها؟ إن جملة منهن ولاشك أقصر باعا وأنزل رتبة من أن يفقهن مثل هذا المثل، ربما كرهت إحداهن أن تكون أما لأربعة، ولو تورطت بهم يوما ما لما أحسنت حضانتهم وتربيتهم، فلم تدرك ما ترجو، ولم تنفع نفسها ولا أمتها بشيء طائل، وكفى بالأم إثما أن تضيع من تعول. وفي مثل الخنساء تتجلى صورة الأمومة على وجهها الصحيح، وما ذاك إلا للتباين الذي عاشته في جاهليتها وإسلامها، ومن هنا يظهر عظم المرأة، ويظهر تفوقها على رجال كثير مع أنوثتها وقصورها عن الرجل، ولو كانت الأمهات كأم سليم، وعائشة، وأم سلمة، والخنساء، لفضلت النساء على كثير من الرجال في عصرنا الحاضر.

لا للعقوق

ألا فليتق الأولاد الله، وليقدروا للأم حقها وبرها، ولينتهين أقوام عن عقوق أمهاتهم قبل أن تحل بهم عقوبة الله وقارعته، ففي الصحيحين يقول النبي ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات»، وعند الترمذي في جامعه عن النبي ﷺ قال: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء... وذكر منها: وأطاع الرجل زوجته وعق أمه».

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون بارين بأمهاتنا، ويجب أن نحتفل ونكرم الأم كل يوم وكل لحظة ولا ننساها، وأنصح بقراءة كتاب «نساء يضرب بهن المثل» إعداد الأستاذ منصور بن ناصر العواجي.

د. مولاي البرجاوي
باحث في علوم التربية



فوبيا المدرسة.. الأسباب والعلاج

يعد الخوف من المدرسة، أو «فوبيا» المدرسة، حالة انفعالية وشعورية تنتاب المتعلم الذي يلج المدرسة لأول مرة أو بين أحضانها؛ نتيجة تمثلاته الخاطئة عنها، أو التعامل العنيف للمدرس والإدارة التربوية أو الخوف من الفشل الدراسي.

لكن في هذا الصدد نجد انقساما حادا بين الاختصاصيين حول العلاقة بين الخوف من المدرسة والفوبيا المدرسية؛ فبعضهم يرى أن الأعراض التي تنتاب المتعلم، مثل الشعور بالغثيان أو آلام الرأس والبطن، قبل الذهاب إلى المدرسة، سببها الشعور بالخوف منها. بينما يرى الفريق الآخر أنها فوبيا ورهاب مدرسي.

إذن؛ ما الذي يجعل المتعلم يتوجس ويخاف من المدرسة؟ هل ذلك مرتبط بطبيعة البناء النفسي؟ أم بطريقة المدرس؟ أم بالمجموعة الصفية غير المنسجمة؟ أم بهذه العناصر كلها؟ أم أن هذه «الفوبيا» لحظة عابرة سرعان ما تزول بتعود المتعلم على الوسط البيئي- التربوي الجديد؟ وما الحلول المقترحة لمواجهة استفحال الظاهرة؟

تباين الرؤى والمواقف تجاه الخوف المدرسي

في هذا المضمار يمكن التمييز بين ثلاثة مواقف متباينة:

● الموقف الفطري: يرى الخوف حالة انفعالية داخلية طبيعية، يشعر بها الطفل في بعض المواقف، ويسلك فيها سلوكا يحاول به الابتعاد عن مصدر الضرر، هذا كله ينشأ عن

استعداد فطري أوجده الخالق في الإنسان (١).

● الموقف المكتسب: يرى أن الخوف ينشأ نتيجة لمؤثرات خارجية معينة، فليس عند الكائن الحي دوافع فطرية تدفعه للخوف (٢).

● الموقف التفاعلي بين الفطري والمكتسب: يرى الخوف أحد الانفعالات البدائية العنيفة، يتملك الفرد فيشله عن الحركة، ويخمد نشاطه. ويتصف الخوف بحدوث تغيرات واسعة المدى في الجسم، كما يتصف بسلوك لدى الشخص قوامه الهروب أو الفرار أمام المثير الخارجي (٣).

أسباب الخوف من المدرسة

تتعدد الأسباب المؤدية إلى ظهور حالة الرهاب والخوف من المدرسة (فوبيا المدرسة)؛ نعرض لبعضها بشكل مختصر:

● التمثلات الخاطئة المرتبطة بالمدرسة: فالمدرسة في مخيلة المتعلم مجالا لردعه وشل حركته الزائدة، أضف إلى ذلك تخويف من المدرسة من طرف الأبوين؛ خصوصا عندما يتحدثان أمام الطفل عن العقاب في المدرسة أو يصفان المدرس بأنه شديد غليظ ويستعمل أساليب عديدة لتأديب المتعلمين. ومنها ما يقع فيه كثير من الآباء في وضع صورة في ذهن هذا الطفل عن المدرسة غير سليمة، من خلال تهديدهم عندما يرتكبون بعض الأخطاء بأنهم سوف يزورون المدرسة من أجل أن تقوم بمعاقبة الطفل، مما يتسب في خوف الطفل من المدرسة (٤).

● سوء المعاملة وسرعة غضب المدرس: مثل تهكم المدرس من المتعلمين والاستهزاء بهم، مما يجعلهم في حيطة وخوف من أمرهم؛ خشية أن يصدر منهم أي حركة أو سلوك يصبح مادة دسمة للتنابز من قبل الأقران خارج الفصل الدراسي.. كما يلتجئ المدرس إلى أسلوب التهديد بالعقاب البدني أو الرمزي بالتخويف من الامتحانات التي تفتقد مقومات الصدق والثبات والموضوعية.

● الاستجابة الفورية للخوف: ويظهر ذلك بشكل جلي وقوي بشكل خاص في عمر سنتين إلى ست سنوات (٥). كما أجمع الباحثون في علم النفس التربوي أن الأطفال في سن ٣ إلى ١٠ بنسبة ٢ في المئة يعانون من هذه الحالة وتكثر عند الإناث عنها لدى الذكور، فعند التحاقه لأول مرة يبدي عدم رغبته في الذهاب إلى المدرسة فيصحب خوفه الشديد أعراض جسمية تظهر كالقيء والإسهال وألم البطن.. وكل ذلك أعراض نفسية، أي إنها لا يصاحبها سبب عضوي وتزول بمجرد الرجوع إلى المنزل.

● البيئة الأسرية: فالطفل في غالب الأحيان مدلل من طرف والديه، بل لا يتمتع بالاستقلالية في اتخاذ القرار، فهو عالة على أفراد أسرته في كل شيء.

● القمع والتوبيخ على الخطأ: فالتهديد المستمر والمبالغ فيه لأخطاء الأطفال يقود إلى الخوف والاضطراب النفسي، فالأطفال الذين يهددون وينتقدون على نشاطهم وإبداعهم يبقون في خوف وتردد دائمين.

من هنا ظهرت بيداغوجيا الخطأ التي تعتبر الخطأ منطلقا مهما لبناء التعلمات بشكل وظيفي وأساسي للمتعلمين فتصبح راسخة في ذهنه، عكس التلقي السلبي الذي يجعل المعلومات تندثر وتتلاشى من ذاكرة المتعلم بمجرد انتهائه من اجتياز الامتحان.

● الشجار بين زملاء الفصل: في حالة غياب الانضباط التربوي في المؤسسة التعليمية، فغالبا ما يقع شجار بين زملاء الفصل، ونتيجة عدم قدرته على مواجهة التلميذ العنيف (الخصم) وردعه عن عنفه واستهزائه وتهكمه.. يكون له تأثر سيئ في نفسيته فيزعزع الثقة في انخراطه السليم في البيئة الصفية. فالطفل المتوجس والخائف يجد صعوبة في تكوين أصدقاء من داخل الفصل، فيعيش في عزلة وانطواء على ذاته.

● الخوف من الفشل الدراسي: بحكم أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية تركز بشكل كبير على نتائج التحصيل الدراسي من دون التركيز على تكوين المتعلم وتأهيله للانخراط في الحياة اليومية.. جعل المتعلم يشغل باله بالنتيجة النهائية هل ستكون إيجابية فيحمد عليها من طرف آبائه أم تكون سلبية فيتعرض لشتى أصناف العذاب (البدني أو النفسي).

● الخوف ذريعة اللامبالاة المدرسية: قد يصطنع بعض الأطفال سلوكا من أجل اجتذاب اهتمام والديهم أو معلميهم في بعض الأحيان، وقد يوافق الآباء أو الكبار على مثل هذا السلوك، فيغضون الطرف عن تصرفات الطفل هذه، مما يدعم فكرة الخوف لديه لتصبح مع مرور الزمن عادة سلوكية لديه.

● الخوف من الامتحانات: هو ظاهرة طبيعية يشعر بها كل طفل يطمح إلى النجاح في امتحانه. وكل امتحان من الممكن أن يثير عدة مخاوف منها: الخوف من المجهول، الخوف من التعرض للعقاب، أو السخرية أو الخوف من التعرض للطرد من المدرسة.. كل هذه المخاوف من الممكن أن تؤثر في نفسية الطفل المتحن، إلا إذا أعطي

شيئا من الثقة في نفسه وقدراته واطمأن بأن الامتحان أمر طبيعي ومتوقع لتحديد اختلاف القدرات (٦).

● أسباب غير واضحة: قد تحدث بعض مخاوف الأطفال لأسباب غير مفهومة وغامضة. لكن سرعان ما تتلاشى وتنمحي إذا تم تجاوزها ولم يتم الاهتمام الشديد بها وعدم التركيز عليها.



طرق المواجهة

بعد أن استعرضنا مجموعة من الأسباب التي تجعل الطفل يتوجس ويزداد خوفا من المدرسة، يكون لزاما طرح واقتراح مجموعة من الحلول لمواجهة هذه الظاهرة، أو على الأقل الحد من استفحالها. وفيما يلي أبرز الطرق:

● المواكبة والمصاحبة عن بعد: من خلال زرع الثقة بنفس الطفل، وتشجيعه بالتربية على الاختيار والاستقلالية. من جهة أخرى، فإن الإكثار من العطف الزائد والرعاية الزائدة واتهامه بالجبن وغير ذلك من الأساليب القاسية، من شأنها أن تؤدي إلى تفاقم الإحساس بالخوف ليصبح مشكلة مرضية.

●الدعم النفسي: عندما يجد الأطفال أن هناك من يشاركهم في مشاعرهم من الجو المخيف الذي يعيشون فيه، فإنهم يتعلمون أن الهموم والمخاوف هي أمور مقبولة، لكن يجب عدم المبالغة في ذلك، كأن يشارك الطفل الراشدين في مشاعرهم وأفكارهم، وإنما التحدث عن المخاوف الواقعية التي توجد لدى الجميع (٧).

● الاستفادة من نماذج: ومن الأمثلة على ذلك استخدام نماذج متلفزة من الرفاق لمساعدة الطفل في التغلب على قلق الامتحان، فقد تم تعريض النماذج بشكل تدريجي لمواقف امتحان تزداد إثارتها للخوف شيئا فشيئا، وبذلك أصبح الأطفال الذين قاموا بالملاحظة أقل خوفا من الامتحانات المدرسية (٨).

● مكافأة الشجاعة: إن مكافأة الطفل على السلوك الشجاع؛ درءا لمخاطر الخوف المرضي من المدرسة، من شأنها أن تعزز الثقة في نفس المتعلم، وتشجعه على التعلم الطبيعي، وتنمي فيه الرغبة الجامحة في الإبداع والابتكار، وتكسر حواجز الخوف التي تعترض مسيرته الدراسية.

وختاما؛ فالخوف قد يكون حالة شعورية طبيعية وتلقائية تظهر عند الطفل في حالته المدرسية الأولى من منطلق لكل مبتدئ دهشة، إذ سرعان ما يزول بتكيفه وتوافقه مع الوسط المدرسي وتفاعله معه.

لكن في المقابل يوجد خوف مرضي (فوبيا المدرسة) يلحق الضرر الشديد بالمتعلم فيعجزه عن الاندماج والاستمرار في التعلم، فتظهر عليه علامات وأعراض مستمرة من آلم البطن والرأس والتلعثم والعجز عن الكلام... وقد تستمر معه مدى الحياة إن لم يتم تدارك الموقف، ما يستدعي المتابعة والمصاحبة الأسرية والنفسية والاجتماعية، لتجاوز هذه الحالة المرضية، لتصبح لحظة عابرة طبيعية.

الهوامش

١ - عبدالعزيز القوصي، ١٩٨٢م: أسس الصحة النفسية، دار النهضة، الطبعة الأولى، القاهرة، ص٣١٦.

٢ - إبراهيم وجيه محمود، ١٩٨٠م: مدخل علم النفس، دار المعارف، الطبعة الأولى، ص٥٠.

٣ - أسعد رزق، ١٩٧٧م: موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ص١٢٨.

٤ - عبدالعزيز محمد نعيم، ٢٠١١م: خوف الطلاب الجدد من المدرسة، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، عدد خاص ٢٠، ص٩٢.

٥ - شارلز شيفر وهوارد ميلمان، ٢٠٠١م: مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، ترجمة نسيمة داود ونزيه حمدي، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى، عمان، ص١٣٢.

٦ - محمد سعيد عبدالغني، ١٩٩٦م: آراء علماء النفس في الخوف ومثيراته، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، ص١٠٩.

٧ - شارلز شيفر وهوارد ميلمان، ٢٠٠١م: مرجع سابق، ص١٨٣.

٨ - شارلز شيفر وهوارد ميلمان، ٢٠٠١م: مرجع سابق، ص١٤١.

محمد خاطر
باحث دراسات إسلامية

الوقاية من الظلم

انتشار المظالم بين الناس في الدنيا له ارتباط وثيق بضعف الإيمان باليوم الآخر في نفوس من يؤمنون به، وبعدم الإيمان أصلا بوجود يوم للحساب والجزاء، لأن الإنسان الذي يؤمن باليوم الآخر والحساب والجزاء بعد الموت، لن يفكر في إيذاء الناس، أو ظلمهم والانتقاص من حقوقهم، حتى إن ملك السلطة والجاه والحكم.

وتحقيق العدل بين الناس يقتضي وجود يوم للحساب والجزاء، لأن الكثير من المظالم لا يفصل فيها في الدنيا، والموت قد يغيب الظالم أو المظلوم قبل القصاص، والدنيا دار ابتلاء واختبار للجميع. والصبر على الابتلاءات وعلى الحرمان في الدنيا، والنجاح في اجتياز الاختبارات الدنيوية المتعددة، لابد لهما من جزاء، وهذا الجزاء يلقاه العبد في الآخرة.

والفطرة السوية تدل على ضرورة وجود يوم للجزاء والحساب، وإلا لما أصبح للعدل معنى أو قيمة، ولتحولت الدنيا إلى مرتع وخيم للظلم. واليوم الآخر يوصف بأنه يوم الدين ويوم الحساب، لأن من خصائص ذلك اليوم الفصل بين الخلائق، ومجازاة المحسنين من الناس على ما قدموا، ومعاقبة الظالمين على ظلمهم.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد التذكير باليوم الآخر، وبالحساب والجزاء، وبالعدل الإلهي المطلق في محاسبة الناس والقصاص من الظالمين وإعطاء المظلومين حقوقهم كاملة، ففي الحديث عن الجزاء يقول الله عز وجل: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (إبراهيم:٥١).

وفي المحاسبة والفصل بين الناس يقول الله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (غافر:١٧).

ومن آخر آيات القرآن نزولا قول الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٨١).

ويقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر:١٨).

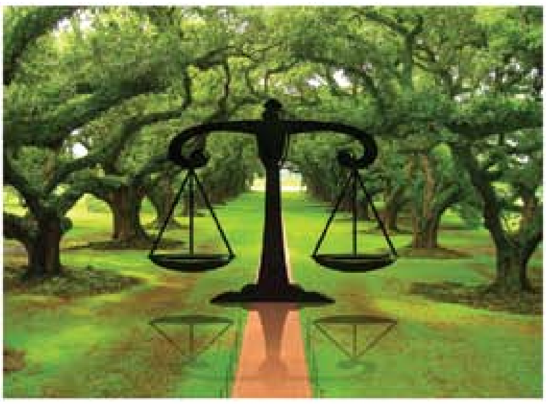
وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين» (صحيح البخاري: ٢٤٥٢).

والإيمان باليوم الآخر من الأمور التي تعين المؤمن على الصبر، وعزاء الضعفاء والمقهورين والمظلومين في الدنيا هو وجود اليوم الآخر، الذي تعاد فيه الحقوق لأصحابها، ويقتص فيه للمظلومين من الظالمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» (صحيح مسلم: ٢٥٨٢).

والإيمان باليوم الآخر مدخل جيد لدعوة غير المسلمين، سواء الذين ينغمسون في متع الدنيا الفانية ثم ينهون حياتهم بالانتحار، أو مع أولئك الذين لا يرون من الدنيا إلا الكدر والظلم. فالإيمان باليوم الآخر يمنع الإنسان من ظلم نفسه والإسراف في الملذات والمعاصي والموبقات، والإيمان باليوم الآخر يريح الإنسان من نكد الدنيا وقسوة الحياة وظلم الآخرين، ويجعله يتطلع إلى النعيم الأبدي الذي لا ينقطع.

وغرس الإيمان بالله وباليوم الآخر في نفوس النشء له أثره العميق في الوقاية من الظلم، ولذلك ينبغي أن يعلم الأولاد أن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا والآخرة، وأن الظالم لن يفلت من عقاب الله، وإن أفلت منه في الدنيا لسبب من الأسباب فإنه لن يفلت منه يوم القيامة، وهو اليوم الذي يجمع فيه الخلائق للفصل بينهم ومحاسبة كل إنسان على ما قدم في الحياة الدنيا، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته».

ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢) (صحيح مسلم: ٢٥٨٣).



د. مجدي محمد حسن
إمام في وزارة الأوقاف الكويتية



في ظل الاحتفال بالكويت عاصمة للثقافة الإسلامية

إذاعة القرآن الكريم وأثرها في إثراء الثقافة

لاشك في أن الاستماع وسيلة ناجعة في طلب العلم والتلقي، وقد علمنا القرآن الكريم ذلك عندما قدم ذكر السمع على البصر في آيات عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون:٧٨).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦).

وقد كان القرآن الكريم يتداول وينتشر شفهيا -مع وجود كتبة بعدد محدود- نظرا للأمية السائدة. كذلك حظيت السنة الشريفة بالحفظ في الصدور والتلقي الشفهي مع الإذن الخاص لبعض الصحابة -رضي الله عنهم- بالكتابة، كعبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما.

فالسماع هو السبيل الأيسر لتلقي المعلومات والتعليم والتعلم، ونستطيع القول إن الإعلام السمعي ضرب

بجذوره في أعماق التاريخ، وأصبح ظاهرة إعلامية بعد الاكتشافات العلمية والتطور التكنولوجي في عالم صناعة أجهزة البث والاستقبال، وهذا ما يسر السبيل أمام إذاعة القرآن الكريم في دولة الكويت -وغيرها- ليتلقاها الناس بالقبول، وتحدث أثرا ثقافيا ملموسا لا ينكر مع كل الفئات العمرية. لقد ولدت إذاعة القرآن الكريم يوم ولدت عملاقة بما تقدمه من برامج وتلاوات للقرآن الكريم، ومحاضرات تهم الجميع، ويتلهف إليها المستمع، ويتلقاها بشغف، ويسمعها بحب.

إن إذاعة القرآن الكريم لها حاضر مشرف ومستقبل واعد. وإذا كنا نقول إن المستقبل لهذا الدين فالله وعد بالنصر والتمكين، قال تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

ولأن النبي ﷺ قال في الحديث: «لاتزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله» (البخاري ومسلم).

لقد ارتبطت إذاعة القرآن الكريم برسالة الإسلام، وكتب لها الخلود بخلوده إلى قيام الساعة.

إن القائمين على أمر إذاعة القرآن الكريم، بدءا من وزير الإعلام الشيخ سلمان صباح السالم الحمود الصباح مرورا بمدير إذاعة القرآن الكريم وانتهاء بالعاملين فيها، يبذلون جهودا كبيرة من أجل إيجاد إعلام إسلامي يتسم بالاعتدال والوسطية، ويرتقي بالمستوى الثقافي للمستمعين، وذلك من خلال الحرص على تجديد المحتوى للمواد المعروضة، وتنوعها، وشمولها للفكرة الإسلامية المعروضة في السوق الإعلامي، والتي تشمل كذلك الفئات العمرية في كل مستوياتها، لاسيما من هم في عمر الزهور من الفتية والشباب، وسائر المهتمين بالثقافة الشرعية.

لقد حمل مدير إذاعة القرآن الكريم على عاتقه استرجاع ما حجب من برامج ومواد علمية، وعمل جاهدا على تطوير ما يقدم من برامج لتتلاءم مع ما تنشده إذاعة القرآن الكريم من عرض الإسلام المعتدل الوسطي، الذي يدعو إلى السلام وينبذ العنف، لاسيما في هذه الحقبة التي ظهرت فيها بعض الأفكار المتطرفة في بعض البلاد فهددت أمن المجتمعات.

هذا الفكر المتطرف، الذي هون من سفك الدماء وبرر العدوان على الآمنين وأباح السطو على الأرواح والأموال وتدمير الممتلكات العامة، يجعل مسؤولية إذاعة القرآن الكريم تتضاعف في هذا الوقت العصيب.

ولاشك في أن القائمين على أمر إذاعة القرآن الكريم فطنوا وتيقنوا أن رسالة هذه الإذاعة المباركة ليست في بث تراتيل القرآن الكريم، وترانيم الدعاء، وسرد الأحاديث الشريفة، بل نشر الوعي الإسلامي الصحيح، والتأكيد والإصرار على فهم الإسلام فهما سليما يفيض اعتدالا ووسطية، ذلك المنهج الوسطي الذي ينبئ عن فهم عميق صحيح لرسالة الإسلام.

وقد قال ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

إن إذاعة القرآن الكريم تتكلم بصوت عال مع حشد من الأدلة والبراهين لتصل عبر الأثير إلى كل من ينشد الحق، وتطارد بقوة الفكر المشبوه، وتدحض وتنقض الشبهات الهزيلة التي لا تتفق مع وسطية الإسلام وعظمته.

إن إذاعة القرآن الكريم تبذل جهدا كبيرا في محو الأمية الدينية، وتجديد الخطاب الديني بما تقدمه من علوم شرعية وبرامج ثقافية يصعب حصرها.

وإذا كان العالم العربي والإسلامي يحتفل بدولة الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية في عامنا هذا (٢٠١٦م)، فإن إذاعة القرآن الكريم -بحق- لابد أن يكون لها احتفال خاص بها؛ نظرا لأياديها البيضاء في تدعيم الحركة الثقافية ومساهمتها الفعالة في إثراء الثقافة الإسلامية عبر الأثير، حيث يستمع إليها الناس في بيوتهم وأماكن عملهم ومنتدياتهم، حتى وهم يسلكون الطريق.

وقد تملكني العجب عندما رأيت بعض المواقع على الإنترنت تحرص على نشر المواد العلمية التي تبثها إذاعة القرآن الكريم!

أليس هذا إقرارا واعترافا صريحا بجودة البرامج والمواد المطروحة من خلال هذه الإذاعة؟!

إن إذاعة القرآن الكريم بهذا التطور المذهل وهذه الجهود الجبارة وهذا الإبداع الإعلامي، تستحق أن تكون جامعة إسلامية مفتوحة للجميع، ليس لها أوراق رسمية للتسجيل والقبول، كما أن عدد المتقدمين لها والمقبولين للدراسة بها في ازدياد مستمر ولله الحمد والمنة. فالعدد ليس محدودا، كما أن العمر ليس شرطا للدراسة بها، يكفي أن تكون مميزا تفهم الخطاب وترد الجواب.

بقي على إدارة إذاعة القرآن الكريم أن تسعى جاهدة في محاولة منها لمخاطبة وزارة التعليم العالي، لاستصدار قرار للاعتراف بإذاعة القرآن الكريم كجامعة إسلامية، لها حضورها وقوتها وتواجدها وتأثيرها في عالم الفكر والعلم والثقافة، وذلك على غرار الدكتوراه الفخرية التي تمنح لبعض الشخصيات العامة. فإلى مزيد من العمل والتقدم والإبداع وخدمة الإسلام والمسلمين.

إعداد: خالد خلاوي

حوار

«التعلم الذكي» كتاب يقدم لك المفاتيح الخمسة لتتفوق دراسيا

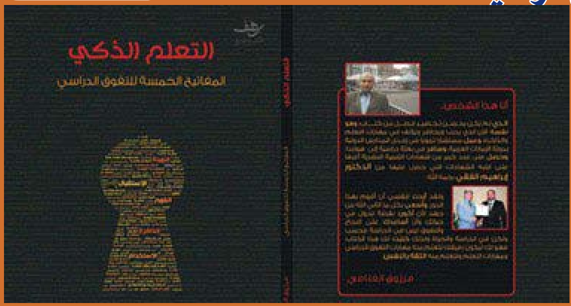
التفوق الدراسي لا يأتي من فراغ، فدائما ما يكون حصاد جهد متواصل وثمرة عمل دؤوب، من أجل تحقيق هدف قد يبلغ تعلقنا به حد الخيال ونراه بعيد المنال لدرجة تجعلنا نحاول أن نمسكه في اليقظة ويداعبنا طيفه في المنام، وعلى قدر الجهد يكون الحصاد.

لكن يظل هذا الجهد وهذا السعي على المحك، بل قد يذهب أدراج الرياح مادام عشوائيا وبلا آلية تنظمه، فالجهد والجد بلا تنظيم كحرث في الماء لا يفضي إلى تحقيق المطلوب.

وفي كتابه «التعلم الذكي.. المفاتيح الخمسة للتفوق الدراسي» الصادر عن دار رهف للنشر والتوزيع يصف مرزوق الغنامي الطريق لطالبي التفوق، وينطلق الكاتب فيه من تجربته الشخصية مع المذاكرة، حيث انتقل من خلالها من مرحلة التفوق ومن الحفظ إلى الفهم عبر مذاكرته بعد أن اهتدى أخيرا إلى طريقة غيرت حياته على يد أخصائي نفسي بقسم الإرشاد النفسي والتوجيه لطلاب الجامعة، لتتغير حياته رأسا على عقب، بعدها يكمل مرحلة الماجستير ويحصل على الدكتوراه ويسافر للبعثات ويحاضر ويؤلف، ويدون هذه التجربة في هذا الكتاب.

يتكون الكتاب من ٥ فصول أو ٥ مفاتيح لا يمكن لأحدها أن يكون في إطار بعيد عن الآخر، يقول عنها: «قام المؤلف بتأسيسه لنجد كل ما نحتاجه ويتعلق بالتفوق الدراسي في نظام متكامل وليتخلص به الطلاب من النصائح المتفرقة أحيانا والمتضاربة أحايين كثيرة».

ويضيف الكاتب: استفدت في تأسيس هذا النظام استفادة بالغة من مؤلفات كولن روز وتوني بوزان، صقلتها على مدى عشرين عاما من التعامل مع الطلاب العرب والمناهج العربية مما جعل لنظام التعلم الذكي smart learning system خصوصية تناسب مجتمعنا لا توجد في أي من النظم الأخرى



الغربية. والمفاتيح الخمسة للتفوق يكاد يكون كل واحد منها نتيجة لما قبله ومقدمة لما بعده وهي:

«التهيئة: وهي الحالة المثالية للتعلم.

والاستقبال: ويعني انتقال المعلومات بسرعة وسهولة إلى عقلك.

ثم الفهم، وهو التفكير في المعلومات لتصير جزءا من عقلك ومعلوماتك.

والذاكرة: ويقصد بها تخزين المعلومات بشكل دائم واسترجاعها وقت الحاجة إليها.

وأخيرا الاستخدام، وهو أفضل طرق التطبيق والمراجعة والاستعداد للامتحان».

ولا يكتفي المؤلف بتقديم الكتاب وحسب، ولكن ينبهنا إلى الطريقة المثلى لتحقيق أكثر قدر من الاستفادة: «اقرأ الفصول قراءة عامة سريعة لا تتعمد أن تحفظ شيئا، ضع علامات وخطوطا عند الأفكار التي تنوي العودة لها، اجعل الكتاب مرجعا ومستشارا لك ترجع إليه من أجل استخراج وتطبيق أفكار جديدة، فهذا الكتاب يحتاج أن تعاود النظر فيه وتصفحه مرارا وتكرارا دون محاولة حفظه، ولا تحاول أن تطبق كل النظام الذي في الكتاب مرة واحدة. ابدأ بالذي تشعر بحاجتك إليه أكثر وطبق فكرة واحدة في كل مرة.

شباب الجامعة

ما الذي يعكسه مجال دراستك عن طبيعة شخصيتك؟

يميل الناس بشكل تلقائي إلى اختيار صفات معينة وتعميمها على كل أصحاب مهنة؛ فهناك كثير من الأفكار المسبقة عن الأطباء والمحامين والمتخصصين النفسيين والفنانين، وفي حين لا تعتبر الأفكار المسبقة المنتشرة دقيقة لافتقارها إلى السند العلمي، بينت دراسة أن هناك صفات في الشخصية تنطبق فعلا على طلاب أقسام معينة وخريجيها دون أخرى.



فبحسب الدراسة التي أجريت في جامعة «أراهوس» الدنماركية ونشرت في مجلة Personality and Individual Differences، هناك رابط بين موضوع الدراسة في الجامعة وشخصية الطالب؛ فطلاب إدارة الأعمال والقانون لديهم ميول أنانية وغير متعاونة، وهم أقل تعاطفا مع الآخرين في مشاعرهم.

وفي إطار الدراسة قامت الباحثة بتحليل معطيات أكثر من ١٣ ألف من طلاب الجامعات من ١٢ قسما مختلفا، فوجدت علاقة بين نظرية «الصفات الخمس للشخصية» المعروفة في علم النفس وبين طلاب التخصصات المختلفة؛ هذه النظرية تتحدث عن الأبعاد التي تكون شخصية الإنسان وهي خمسة: الانفتاح والاجتهاد والاختلاط أو الاجتماعية، والتوافق والاضطراب (أو القلق).

طور نفسك

«العاجل» و«المهم».. كيف تفرق



بينهما وأيهما تقدمه على الآخر؟ غالبا ما نلهث وراء الأمور العاجلة كالمواعيد النهائية في العمل، واحتياجات الآخرين، وحتى التزاماتنا الذاتية. وعادة ما تشغلنا هذه الأشياء عن الأمور التي تعد أكثر أهمية كالمواعيد الاعتيادية مع شريك حياتنا، أو الوقت الذي نقضيه مع أطفالنا أو نخصصه لبعض العزلة الشخصية، أو حتى وقت أداء الرياضة أو التأمل على سبيل المثال لا الحصر.

وفي كتابه «طغيان العاجل» وصف « تشارلز هامل» حالة الشد والجذب التي يقع فيها المرء بين ما هو عاجل وما هو مهم، فيتنافس الاثنان في معركة ضارية لجذب انتباهنا.

كما لاحظ الكاتب أن الأشياء المهمة مهذبة فهي تجلس بانتظار أن نستجيب لها بصبر بالغ دون أن تتذمر لجذب انتباهنا. لكن الأشياء العاجلة بالمقابل تكون متذمرة تصرخ وبلا صبر لتستولي على وقتنا وتستأثر باهتمامنا.

وعلى المدى الطويل تتراكم فاتورة إهمال الأمور الهامة وعندها يتوجب علينا دفع الثمن الباهظ. تماما كالبركان الذي ينفجر فجأة، إذ سيأتي الوقت الذي تنفجر فيه المناطق المهملة وتفسد كل الأمور، ولعل من المفارقات حينها أننا سنتساءل كيف فاتتنا مؤشرات التحذير. وقد يأتي الثمن على شكل فتور في العلاقة بين الأزواج لانغماس أحد الطرفين بمشاغل العمل، أو بعد عن الأولاد ليتفاجأ المرء بعد حين أنهم كبروا ولم يعودوا أطفالا. لذا علينا أن نولي أنفسنا قدرا من الاهتمام ونضع الأمور العائلية في مكان مرتفع ضمن سلم أولوياتنا.

البعض يبرر عدم قدرته على إيجاد التوازن بين العاجل والمهم بالقول «حسنا، لم يكن لدي الوقت الكافي لفعل كل شيء». ولكن على الأغلب فإن ضياع الوقت هذا هو مجرد مشكلة في الترتيب المناسب للأولويات. وكما قال الفيلسوف الصيني لاو تسو: «الوقت هو شيء نحن من يصنعه. فعندما نقول «ليس لدينا الوقت لذلك» فكأننا نعني «لا نريد فعل ذلك»».

ناجحون

طالبات يبتكرن أول روبوت لتربية الأطفال

أصبح تصميم أنواع وأشكال جديدة من الإنسان الآلي من متطلبات التقنية الحديثة، فهو يخدم كل المجالات سواء كانت طبية أو اجتماعية أو حتى خدمية، ومؤخرا عرض فريق طلابي في جامعة البحرين مشروع روبوت «المربية» يحمل اسم «ناني» هذا الروبوت بمهام تعليمية عدة، بالإضافة إلى مراقبة الأطفال الرضع في المنزل، وأوضح الفريق الطلابي المؤلف من عدد من الطالبات في كلية تقنية المعلومات بجامعة البحرين، «أن ناني هو روبوت تم تطويره لمساعدة الآباء في تربية أبنائهم وتعليمهم بطريقة حديثة، وكذلك رياض الأطفال، كما يمكن التحكم بالروبوت عبر نظام الأندرويد، حيث يستطيع المستخدم تحريك الروبوت إلى جميع الاتجاهات والتحكم بالسرعة أيضا، بالإضافة إلى تحريك أيدي الروبوت إلى الأعلى والأسفل.

وذكرت الطالبات بحسب ما نقلت وكالة الأنباء البحرينية أن «ناني مدعَّم بقدرات تساعده على تعليم الأطفال الألوان باللغة الإنجليزية، فعندما يعرض الطفل أي مادة على جهاز الاستشعار الخاص بالألوان المركب في الروبوت، فإن الروبوت يبادر بنطق اسم اللون مباشرة، كما يمتاز بتعليم الأطفال الحروف الهجائية والأرقام بالإنجليزية، بالإضافة إلى رواية بعض القصص القصيرة للأطفال بهدف تنمية الجانب الخيالي لديهم».

كما ويقوم «ناني برسم ثلاثة أشكال هندسية، وهي المربع، والدائرة، والمثلث، وذلك عند اختيار الطفل لواحد من هذه الأشكال المتوفرة في التطبيق، كما يساعد الأمهات على الاطمئنان على أطفالهن في أي وقت ومكان عندما يَكُنّ بعيدات عن أطفالهن عن طريق مشاهدة فيديو حي لأطفالهن عبر موقع على الإنترنت».



ومن الخدمات التي يقدمها «ناني» مراقبة الطفل، وذلك عندما يكون نائما والأم مشغولة بأعمال المنزل، إذ يستطيع الوجود بالقرب من الطفل وحالما يستيقظ من نومه ويبدأ بالبكاء يتحسس الروبوت بواسطة جهاز الاستشعار الصوتي، ثمَ يعمل على إرسال رسالة قصيرة SMS على الرقم المكتوب في التطبيق، بالإضافة إلى تشغيل موسيقى هادئة لتهدئة الطفل.

موضوع العدد

معركة الوعي: سؤال الاختلاف



د. عمرو عبدالكريم

الاختلاف حقيقة ماثلة للعيان، وهو سنة ماضية إلى يوم القيامة، فلا يمكن جمع الناس على رأي واحد، خصوصا في فروع المسائل.

ولقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون الاختلاف بين البشر سنة من سننه الكونية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

يقول الشيخ رشيد رضا في تقدمته لكتاب «المغني لابن قدامة»: «ولما كان الاختلاف في الفهم من طبائع البشر خص الاختلاف المذموم بما كان عن تفرقة أو سببا للتفرق، وجرى على ذلك السلف الصالح فحظروا باب الآراء في العقائد، وجعلوها في الفروع، وكان بعضهم يعذر بعضا في المسائل الاجتهادية، ولا يكلفه موافقته في فهمه».

وعندما أوجب الإسلام على العلماء الاجتهاد فيما استجد من قضايا، وفيما لا نص فيه من قرآن وسنة، وكان من العسير أن تتفق آراؤهم تبعا لاختلاف أفهامهم، كان من الطبيعي أن تتعدد مذاهبهم وتتباين آراؤهم في فهم النصوص، وتقدير مدلولاتها، وتعدد زوايا النظر.

لذا تقوم شرعية الاختلاف على أن:

- الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (النساء:١).
- هناك انتماء يجمع الناس على الولاء لهذه الأمة.
- الإنسان مخلوق له حق الكرامة بغض النظر عن دينه أو لونه أو عرقه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء:٧٠).
- الاختلاف بين الناس سنة من سنن الله لحكمة أرادها، ولو أراد الناس جميعا أمة واحدة لفعل ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (الشورى:٨)، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ (يونس:٩٩)، بل ويقرر حق الاختلاف ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ (هود:١١٨-١١٩)، وهذا يجعل للآخر شرعيته التي هي حق من حقوقه شأنه شأن المسلم.

وعالم الأفكار كعالم الخلق، كلاهما قاما على التعددية: سنة وقانونا عاما لا تبديل لها ولا تحويل، بل إن هذا الاختلاف بين الناس بلغ برأي بعض المفسرين أن اعتبروه «حكمة الخلق» فقالوا: «وللاختلاف خلقهم الله سبحانه وتعالى» (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٩/ ص١١٥).

فالاختلاف هو منطق التدافع الفكري والاجتماعي، حيث تتميز التعددية في التصور الإسلامي بالجامع الذي يجمع فرقاءها، والأصول التي توحد جماعاتها وتياراتها ومذاهبها وطبقاتها، فلا هي الوحدة التي لا تعدد فيها، ولا هي التعددية التي لا جامع لأجزائها.

وإذا كانت التعددية الفكرية هي تنوع في الاجتهاد بإطار وحدة التصديق بالبلاغ، فإن معايير الاختلاف في هذا الاجتهاد هي الصواب والخطأ، والنفع والضرر، وليس الإيمان والكفر، لأن الإيمان والكفر هما معايير الاختلاف فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو بذاته أمر نسبي باختلاف البلدان والأمصار ودرجة انتشار العلم.

ومن ثم فاختلاف وجهات النظر وتقدير الأشياء والحكم عليها أمر فطري له علاقة بالفروق الفردية، إذ يستحيل بناء الحياة وقيام شبكة العلاقات بين أصحاب القدرات الواحدة والنمط الواحد، ذلك أن الأعمال الفكرية «الذهنية والعلمية» تتطلب مهارات متفاوتة، وكأن حكمة الله اقتضت أن يكون بين الناس بفروقهم الفردية -سواء أكانت خلقية (بفتح الخاء) أم مكتسبة- وبين الأعمال في الحياة تواعد والتقاء، وكل ميسر لما خلق له.

ولقد اختلف الناس قديما وحديثا في كثير من الأمور، بل واختلف الصحابة -رضوان الله عليهم- في كثير من المسائل، ولكن رغم الاختلاف فإن

نقاط الالتقاء كثيرة بين البشر؛ ولذا يحسن التركيز عليها لتوفر جوا من التعاون، ثم بعد ذلك ينبغي أن يعذر الناس بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، مما هو محل للاختلاف.

لكن الناس في حالات التخلف تشتد بينهم النزعة إلى التماثل كما يقول د. عبدالكريم بكار، (مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص٢٧)، أما في حالات التقدم فيكون إدراكهم لحدود ذاتيتهم أفضل، ويكون الشعور بالمسؤولية أعظم، وهذا وذاك يؤديان إلى الثقة بالنفس واستخدام الحرية المتاحة لهم استخداما مسؤولا، وهذا ما نجده في القرون الفاضلة الثلاثة الأولى.

ومن فوائد الاختلاف:

- أنه يتيح التعرف على جميع الاحتمالات التي يمكن أن تعتري الكلام.
- تلاقح الآراء وفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها.
- تعدد الحلول أمام كل صاحب مشكلة ليهتدي إلى الحل المناسب للوضع الذي هو عليه، (طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ص٢٧).

لكن أدى سوء فهم كثير من المسلمين للمقصود بوحدة الأمة إلى حد اعتبارهم مطلق الخلاف شر، وحملوا الآيات التي تنهى عن التفرق في الدين على قضايا الاختلاف في الرأي، كما أدى الخطأ في إدراك حقيقة الوحدة المرتبطة بالإيمان إلى تدمير الوحدة والإيمان والمساس بهما كليهما.

ولقد كانت محاولات إلغاء الاختلاف من أصله ضربا من المحال بحكم مخالفتها لفطرة الله التي فطر الناس عليها، فالله قد أنزل الكتاب بالحق، وهو سبحانه قد خلق السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات -بينها الإنسان- بالحق، وإنما يتوافق الحق في دينه وخلقه وفي شرعه وقدره: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤).

وقد شاء الله أن يخلق الإنسان مزودا بطاقة العقل والتفكير والتعبير، وهي قدرات مبدعة، ولكنها غير معصومة، وتحكمها حدود الفرد وظروف البيئة وواقع الزمان والمكان. كما شاء الله تعالى أن يخلق الإنسان مزودا بحرية الإرادة؛ ليقرر لنفسه ويختار طريقه، وليس مجرد خاضع لنواميس الكون أو الغريزة، كالجماد والنبات والحيوان، وليس مجبولا على الطاعة وحدها كالملائكة، أو مرتدا إلى العصيان الدائم كالشياطين، وإنما قادر على التمييز والتفكير واتخاذ القرار وإنفاذه بالعمل والسلوك وهو يصيب ويخطئ في تقديره وسلوكه، كما يستقيم وينحرف في نواياه وأخلاقه ولا يشترط في خطئه أن يكون مقرونا بسوء النية وخبث الطوية وتبييت الشر.

ولما كانت هذه طبيعة الإنسان وقدراته لم يكلفه تعالى إلا في حدودها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، ولم يحاسبه على الخطأ الناتج عن القصور البشري كما قال ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه» (حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما). واقتضت مشيئته الكونية خلق الناس مختلفين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، ومن المفسرين من قال في معنى هذه الآية: إن الله خلق الناس للرحمة، ومنهم من قال: إنه خلقهم للاختلاف، كما قال ابن كثير في تفسيره: وقيل: بل المراد: وللرحمة والاختلاف خلقهم كما قال الحسن البصري في رواية عنه (انظر: تفسير ابن كثير).

ولم يستبعد القرآن احتمال اختلاف المؤمنين، بل أمر عند التنازع بالرد إلى الله ورسوله ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (النساء:٥٩).

وإذا كان الإسلام قد أعطى للبشر الحق في الاختلاف، فإنه علم المسلمين كيف يختلفون وسط الضوابط المنهجية التي ينبغي أن يكون عليها المسلمون حين الاختلاف، فالاختلاف في الرأي غير الهوى، فلابد للرأي أن يكون له مسوغ من تعارض الأدلة واحتمال اللغة العربية كلغة للخطاب الديني لمعاني الاختلاف، ولا يدفع الاختلاف أيا من الطرفين إلى التجريح، أو اتهام النيات، أو التشنيع بسوء القصد، أو تعمد مخالفة الشرع.

ولابد مع الاختلاف من جدال بالتي هي أحسن، أي الاستناد إلى المنهج القويم والمنطق السليم والحجة المقنعة من جهة، واستخدام الكلام استخداما أمينا مع دقة التعبير والعرض من جهة ثانية، والتذرع بأخلاق أهل الإيمان التي تنفر من الحقد والتشنيع وسوء الظن والجهر بالسوء من جهة ثالثة.

والتسليم بالاختلاف والحق فيه واقع لا يسع عاقل إنكاره، فالاختلاف حق للمختلفين لا يملك أحد أن يحرمهم منه، ممارسة أو اعتقادا أو دعوة إلى ما يعتقدون، وهو حق يتأسس ويستند إلى أسس كونية وقدرية وعقدية وشرعية، وسيرة السلف الصالح في خير القرون.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

مفهوم الحياة الطيبة



يقول الإمام ابن القيم: «وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضا والرزق الحسن.. وغير ذلك. والصواب أنها حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب. وقال غيره: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا، وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح فإنه ملكها؛ ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة».

(مدارج السالكين، ج ٣/٢٥٩)

مقولات

يقول كلثوم بن عمرو العتابي التغلبي:

«لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف».

ياقوت الحموي

(معجم الأدباء، ٥/١٨).

يقول ابن الجوزي:

«اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١٤٠) فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت الأعادي، فالسعيد من لازم أصلا واحدا على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل، فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه، لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام».

(صيد الخاطر، ص١١٨)

أدب الاختلاف في الإسلام

الدكتور طه جابر فياض العلواني
قطر: سلسلة كتاب الأمة
رقم ٩، ١٩٨٥م، ١٦٨ صفحة

هذا الكتاب كما قدم له الكاتب المبدع عمر عبيد حسنة: «يأتي مساهمة جديدة في تحقيق الوعي الثقافي، ومحاولة لرأب الصدوع في البناء الإسلامي، ومعالجة جذور الأزمة الفكرية التي أورثتنا الخلاف والتآكل الداخلي، وإيقاظ البعد الإيماني في نفوس المسلمين، بعد أن كاد يغيب عن حكم علاقاتنا وتوجيهها الوجهة الصحيحة بسبب من الفهم المعوج والممارسات المخطئة ومن ضغوط المجتمعات غير الإسلامية».

يقع الكتاب في: مقدمة، وستة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: في بيان حقيقة الاختلاف وما يتصل بها، وفيه أنواع الاختلاف المقبول منه والمردود، وموضوعاته هي: الاختلاف والخلاف وعلم الخلاف، والشقاق، وبعض فوائد الخلاف المقبول.

أما الفصل الثاني فعن تاريخ الاختلاف وتطوره، وبدأ من اختلاف الصحابة في عصر رسول الله ﷺ وموقف الرسول من هذا الاختلاف، من ذلك ما روي أن النبي قال يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، أي: نأتي ديار بني قريظة. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي، فلم يعنف واحدا منهم. وظاهر الحديث أن الصحابة -رضوان الله عليهم- انقسموا إلى فريقين من أداء العصر: فريق أخذ بظاهر اللفظ، وفريق استنبط من النص معنى خصصه به، وتصويب الرسول للفريقين دليل على مشروعية كل من المذهبين.

كما تحدث الكاتب عن التأويل وأنواعه وعن ضوابط التأويل وعن الآداب التي التزم بها الصحابة لدى الاختلاف، وكذلك تحدث عن أهل الاجتهاد من الصحابة، وقال فيه: «ونظرا لأهمية الاجتهاد وخطورته، وما يترتب عليه من آثار، لم يكن يمارسه من أصحاب رسول الله ﷺ إلا الأكفاء القادرون، وحين يمارسه غيرهم فيخطئ، كان عليه الصلاة والسلام ينكر ذلك ولا يقر أحدا عليه».

وكذلك تحذير النبي ﷺ أصحابه من الاختلاف. وأخيرا: معالم أدب الاختلاف في عصر النبوة.

أما الفصل الثالث فيتناول اختلاف مناهج الأئمة في الاستنباط، باعتباره أحد أسباب الاختلاف. وعلق المؤلف على اختلاف مناهجهم بالقول: «والحقيقة أن كثيرا من الأصول التي نسبت إلى الأئمة المتبوعين، هي أصول مخرجة على أقوالهم، لا تصح بها الروايات عنهم، فالتشبث بها، والدفاع عنها، وتكلف إيراد الاعتراضات والإجابات عنها، والرد على ما يخالفها، والانشغال بكل ذلك عن كتاب الله وسنة رسوله، ذلك كله من أبرز دواعي الاختلاف السيئ، الذي لم يهدف إليه الأئمة أنفسهم رحمهم الله، وقد أبعد هذا المتأخرين من المسلمين عن معالي الأمور، وشغلهم بسفاسفها حتى تدنت الأمة إلى ذلك الدرك الهابط الذي تتمرغ فيه اليوم».

والمشكلة، كما يرى المؤلف، ليست في اختلاف مناهج أئمة الفقه، بل في الأتباع المتأخرين الذين حملوا أئمة الفقه ما لا يحتملوه وعمقوا الفجوة بين مذاهبهم.

والفصل الرابع عن أسباب الاختلاف وتطوره من عهد النبوة حتى عهد الفقهاء، وذكر فيه أسباب اختلاف الفقهاء وهي:

١- أسباب تعود إلى اللغة.

٢- أسباب تعود إلى رواية السنن.

٣- أسباب تعود إلى القواعد الأصولية وضوابط الاستنباط.

أما في الفصل الخامس فانتقل إلى الحديث عن معالم الاختلاف بين الأئمة وآدابه.

وذكر في ذلك: رسالة الليث بن سعد إلى الإمام مالك. ثم ذكر نماذج من أدب الاختلاف بين كرام الأئمة من السلف الصالح مثل: أبو حنيفة ومالك، محمد بن الحسن ومالك، الشافعي ومحمد بن الحسن، مالك وابن عيينة، مالك والشافعي، أحمد بن حنبل ومالك.

وفي الفصل السادس تحدث عن الانحدار الذي هبط فيه العالم الإسلامي بعد أن انتهى الاجتهاد في القرن الرابع الهجري وغربت شمسه -كما يقول- «واستمر الانحدار، واشتد الخلاف وتعمق، ونشأت بعد ذلك قرون على التقليد المحض، فركدت حركة الفكر، وذوت شجرة الاجتهاد، وانتشرت الفتن، وعم الجهل، وأصبح الفقيه العالم -في نظر الناس- هو ذلك الذي حفظ جملة من أقوال الفقهاء وتزود بعض الآراء، دون تمييز بين قويها وضعيفها، وصار المحدث من حفظ جملة من الأحاديث صحيحها وسقيمها».

وفي خاتمة الكتاب أكد الدكتور طه جابر العلواني على جملة أمور هي من الأهمية بمكان حتى تأمن الطليعة المؤمنة على نفسها من العثار.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

عقود المزايدة والمناقصة والتوريد وعقود المشاركة المتناقصة

الخلاصة الحكميّة:

١- عقد المزايدة: عقد معاوضة يعتمد دعوة الراغبين نداء، أو كتابة للمشاركة في المزاد، ويتم عند رضا البائع.

٢- طلب الضمان ممن يريد الدّخول في المزايدة جائز شرعا، ويجب أن يرد لكل مشارك لم يرس عليه العطاء، ويحتسب الضمان المالي من الثمن لمن فاز بالصفقة.

٣- عقد التوريد: عقد يتعهد بمقتضاه طرف أول بأن يسلم سلعا معلومة، مؤجلة، بصفة دورية، خلال فترة معينة، لطرف آخر، مقابل مبلغ معين مؤجل كله أو بعضه.

٤- إذا كان محل عقد التوريد سلعة تتطلب صناعة، فالعقد استصناع تنطبق عليه أحكامه.

٥- إذا كان محل عقد التوريد سلعة لا تتطلب صناعة، وهي موصوفة في الذمة فهذا يأخذ حكم السلم فيجوز بشروطه المعتبرة شرعا؛ وإلا كان بيع دين بدين؛ وهو لا يجوز.

٦- المناقصة: طلب الوصول إلى أرخص عطاء، لشراء سلعة أو خدمة، تقدم فيها الجهة الطالبة لها الدعوة للراغبين إلى تقديم عطاءاتهم، وفق شروط ومواصفات محددة؛ وهي كالمزايدة جائزة؛ فتنطبق أحكامها عليها.

٧- المشاركة المتناقصة: معاملة جديدة تتضمن شركة بين طرفين في مشروع ذي دخل يتعهد فيها أحدهما بشراء حصة الطرف الآخر تدريجا؛ وهي مشروعة إذا التُزم فيها بالأحكام العامة للشركات، وروعيت فيها الضوابط.

- القرارات، والتّوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

- أولا: مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم: ٧٣ (٨/٤)؛ المنعقد في دورة مؤتمره الثامن ببندر سيري بيجوان، بروناي دار السلام من ١ - ٧ محرم ١٤١٤هـ الموافق ٢١ - ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٩٣.

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «عقد المزايدة»، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، وحيث إن عقد المزايدة من العقود الشائعة في الوقت الحاضر، وقد صاحب تنفيذه في بعض الحالات تجاوزات دعت لضبط طريقة التعامل به ضبطا يحفظ حقوق المتعاقدين طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، كما اعتمدته المؤسسات والحكومات، وضبطته بتراتيب إدارية، ومن أجل بيان الأحكام الشرعية لهذا العقد؛ قرر ما يلي:

١- عقد المزايدة: عقد معاوضة يعتمد دعوة الراغبين نداء أو كتابة للمشاركة في المزاد ويتم عند رضا البائع.

٢- يتنوع عقد المزايدة بحسب موضوعه إلى بيع وإجارة وغير ذلك، وبحسب طبيعته إلى اختياري كالمزادات العادية بين الأفراد، وإلى إجباري كالمزادات التي يوجبها القضاء، وتحتاج إليه المؤسسات العامة والخاصة، والهيئات الحكومية والأفراد.

٣- إن الإجراءات المتبعة في عقود المزايدات من تحرير كتابي، وتنظيم، وضوابط وشروط إدارية أو قانونية، يجب أن لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.

٤- طلب الضمان ممن يريد الدخول في المزايدة جائز شرعا، ويجب أن يرد لكل مشارك لم يرس عليه العطاء، ويحتسب الضمان المالي من الثمن لمن فاز بالصفقة.

٥- لا مانع شرعا من استيفاء رسم الدخول - قيمة دفتر الشروط - بما لا يزيد عن القيمة الفعلية لكونه ثمنا له.

٦- يجوز أن يعرض المصرف الإسلامي، أو غيره، مشاريع استثمارية ليحقق لنفسه نسبة أعلى من الربح، سواء أكان المستثمر عاملا في عقد مضاربة مع المصرف أم لا.

٧- النجش حرام، ومن صوره:

أ- أن يزيد ثمن السلعة من لا يريد شراءها ليغري المشتري بالزيادة.

ب- أن يتظاهر من لا يريد الشراء بإعجابه بالسلعة وخبرته بها، ويمدحها ليغر المشتري فيرفع ثمنها.

ج- أن يدعي صاحب السلعة، أو الوكيل، أو السمسار، ادعاء كاذبا أنه دفع فيها ثمن معين ليدلس على من يسوم.

د- ومن الصور الحديثة للنجش المحظورة شرعا اعتماد الوسائل السمعية، والمرئية، والمقروءة، التي تذكر أوصافا رفيعة لا تمثل الحقيقة، أو ترفع الثمن لتغر المشتري، وتحمله على التعاقد. والله أعلم.

انتهى القرار.

- ثانيا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم: ١٠٧ (١٢/١)؛ المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ-١ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠م.

بعد اطلاعه على الأبحاث المقدمة إلى المجمع بخصوص موضوع «عقود التوريد والمناقصات». وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة أعضاء المجمع وخبرائه وعدد من الفقهاء؛ قرر ما يلي:

١- عقد التوريد:

أولا: عقد التوريد: عقد يتعهد بمقتضاه طرف أول بأن يسلم سلعا معلومة، مؤجلة، بصفة دورية، خلال فترة معينة، لطرف آخر، مقابل مبلغ معين مؤجل كله أو بعضه.

ثانيا: إذا كان محل عقد التوريد سلعة تتطلب صناعة، فالعقد استصناع تنطبق عليه أحكامه. وقد صدر بشأن الاستصناع قرار المجمع رقم ٦٥ (٧/٣).

ثالثا: إذا كان محل عقد التوريد سلعة لا تتطلب صناعة، وهي موصوفة في الذمة يلتزم بتسليمها عند الأجل، فهذا يتم بإحدى طريقتين:

أ- أن يعجل المستورد الثمن بكامله عند العقد، فهذا عقد يأخذ حكم السلم فيجوز بشروطه المعتبرة شرعا المبينة في قرار المجمع رقم ٨٥ (٩/٢).

ب- إن لم يعجل المستورد الثمن بكامله عند العقد، فإن هذا لا يجوز لأنه مبني على المواعدة الملزمة بين الطرفين. وقد صدر قرار المجمع رقم ٤٠ و ٤١ المتضمن أن المواعدة الملزمة تشبه العقد نفسه فيكون البيع هنا من بيع الكالئ بالكالئ. أما إذا كانت المواعدة غير ملزمة لأحد الطرفين أو لكليهما فتكون جائزة على أن يتم البيع بعقد جديد أو بالتسليم.

٢- عقد المناقصات:

أولا: المناقصة: طلب الوصول إلى أرخص عطاء، لشراء سلعة أو خدمة، تقدم فيها الجهة الطالبة لها الدعوة للراغبين إلى تقديم عطاءاتهم، وفق شروط ومواصفات محددة.

ثانيا: المناقصة جائزة شرعا، وهي كالمزايدة، فتطبق عليها أحكامها، سواء أكانت مناقصة عامة، أم محددة، داخلية، أم خارجية، علنية، أم سرية. وقد صدر بشأن المزايدة قرار المجمع رقم ٧٣ (٨/٤) في دورته الثامنة.

ثالثا: يجوز قصر الاشتراك في المناقصة على المصنَّفين رسميا، أو المرخص لهم حكوميا، ويجب أن يكون هذا التصنيف، أو الترخيص قائما على أسس موضوعية عادلة. والله أعلم.

- ثالثا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ١٣٦ (١٥/٢)؛ المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عُمان) ١٤ - ١٩ المحرم ١٤٢٥هـ، الموافق ٦ - ١١ آذار (مارس) ٢٠٠٤م.

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع المشاركة المتناقصة وضوابطها الشرعية، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله؛ قرر ما يلي:

١- المشاركة المتناقصة: معاملة جديدة تتضمن شركة بين طرفين في مشروع ذي دخل يتعهد فيها أحدهما بشراء حصة الطرف الآخر تدريجا سواء كان الشراء من حصة الطرف المشتري في الدخل أم من موارد أخرى.

٢- أساس قيام المشاركة المتناقصة: هو العقد الذي يبرمه الطرفان ويسهم فيه كل منهما بحصة في رأس مال الشركة، سواء أكان إسهامه بالنقود أم بالأعيان بعد أن يتم تقويمها، مع بيان كيفية توزيع الربح، على أن يتحمل كل منهما الخسارة -إن وجدت- بقدر حصته في الشركة.

٣- تختص المشاركة المتناقصة بوجود وعد ملزم من أحد الطرفين فقط، بأن يتملك حصة الطرف الآخر، على أن يكون للطرف الآخر الخيار، وذلك بإبرام عقود بيع عند تملك كل جزء من الحصة، ولو بتبادل إشعارين بالإيجاب والقبول.

٤- يجوز لأحد أطراف المشاركة استئجار حصة شريكه بأجرة معلومة ولمدة محددة، ويظل كل من الشريكين مسؤولا عن الصيانة الأساسية بمقدار حصته.

٥- المشاركة المتناقصة مشروعة إذا التُزم فيها بالأحكام العامة للشركات، وروعيت فيها الضوابط الآتية:

أ- عدم التعهد بشراء أحد الطرفين حصة الطرف الآخر بمثل قيمة الحصة عند إنشاء الشركة، لما في ذلك من ضمان الشريك حصة شريكه، بل ينبغي أن يتم تحديد ثمن بيع الحصة بالقيمة السوقية يوم البيع، أو بما يتم الاتفاق عليه عند البيع.

ب- عدم اشتراط تحمّل أحد الطرفين مصروفات التأمين أو الصيانة وسائر المصروفات، بل تحمّل على وعاء المشاركة بقدر الحصص.

ج- تحديد أرباح أطراف المشاركة بنسب شائعة، ولا يجوز اشتراط مبلغ مقطوع من الأرباح أو نسبة من مبلغ المساهمة.

د- الفصل بين العقود والالتزامات المتعلقة بالمشاركة.

ه- منع النص على حق أحد الطرفين في استرداد ما قدمه من مساهمة (تمويل). والله أعلم.

تركي محمد النصر

آفة الكذب

قال أبوحاتم رحمه الله: «لو لم يكن للكذب من الشين إلا إنزاله صاحبه بحيث إن صدق لم يُصدّق لكان الواجب على الخَلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم. وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسيا، فإذا كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخزي في كل لحظة وطرفة».

ويُقال: «الكذب جماع النفاق، وعماد مساوئ الأخلاق، عار لازم، وذل دائم، يخيف صاحبه نفسه وهو آمن، ويكشف شر الحسب عن لؤمه الكامن».

(روضة العقلاء ص٢٧٥، ونهاية الأرب ص٧٢)

السعي سعيان

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «السعي سعيان: سعي فيما نصب للرزق؛ كالصناعة، والزراعة، والتجارة. وسعي بالدعاء، والتوكل، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك».

(مجموع الفتاوى ٥٤٠/٨)

أمثال في الحلم والغضب

- الغضب غولُ الحلم.
- غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.
- غضبه على طرف أنفه.
- مَن أطاع غضبه؛ أضاع أدبه.

(مجمع الأمثال ص٦٧ و٣٢٧)

السنة الشمسية والسنة القمرية

السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج إذا تحركت على خلاف حركة الكل إلى أي نقطة فرضت ابتداء حركتها، وذلك أنها تستوفي الأزمنة الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، وتحوز طبائعها الأربعة وتنتهي إلى حيث بدأت، وفي هذه المدة يستوفي القمر اثنتي عشرة عودة وأقل من نصف عودة، ويستهل اثنتي عشرة مرة، فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح، وأسقط الكسر الذي هو أحد عشر يوما بالتقريب، فصارت السنة على قسمين: سنة شمسية، وسنة قمرية، وجميع مَنْ على وجه الأرض من الأمم أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر.

(المواعظ والاعتبار للمقريزي ٢٦١/٢)

إدراك العاقل

العاقل هو مَن يدرك «أنه في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، وأن الضيف مرتحل، والعارية مردودة، والدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وهي مبغضة لأولياء الله، محببة لأهلها، فمن شاركهم في محبوبهم أبغضوه».

(شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص١٠٥)

ما أبردها على الكبد

خرج الحسن بن علي -رضي الله عنهما- إلى أصحابه مرة وهو يقول: «ما أبردها على الكبد! ما أبردها على الكبد!». فقيل له: «وما ذاك؟!». قال: «أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم».

(جامع بيان العلم وفضله ٨٣٦/٢)

يجلس الرجل حيث ينتفع

كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- كثيرا ما يجالس أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قيل له: «تدع قريشا وتجالس عبد بني عدي (لأنه مولى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه)؟!».

فقال رحمه الله: «إنما يجلس الرجل حيث ينتفع»

(سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٤)

المواعيد شباك الكرام

قال يحيى بن خالد رحمه الله: «المواعيد شباك الكرام، يصيدون بها محامد الإخوان، ألا تراهم يقولون فلان ينجز الوعد، ويفي بالضمان، ويصدق في المقال، ولولا ما تقدم من حسن موقع الوعد؛ لبطل حسن هذا المدح».
وكان يُقال: «مَنْ خاف الكذب؛ أقلّ المواعيد».
وقيل أيضا: «وعد الحر دين عليه».
(**بهجة المجالس لابن عبدالبر** ١٠٧/١)

رأس التواضع

قال العلامة ابن المبارك رحمه الله: «رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا؛ حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل».
(**الكشكول للياسين** ص١٧٦)

صغر الهمة

لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء، واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم.
(**المستطرف للأبشيهي** ٢١٨/١)

أثر الكبر في المعصية

قال العلامة سفيان بن عيينه رحمه الله: «مَن كانت معصيته في الشهوة؛ فارجُ له. ومن كانت معصيته في الكبر؛ فاخشَ عليه، فإن آدم عصى ربه مشتهيا؛ فغفر له، وإبليس عصى متكبرا فلُعِن».
(**سير أعلام النبلاء للذهبي** ٤١٨/٧)

من حقوق الشرف

كان يُقال: «من حقوق الشرف أن تتواضع لمن هو دونك، وتنصف بمن هو مثلك، وتتبل على مَنْ هو فوقك».
(**الكشكول للياسين** ص١٧٥)

أبواب مصر

كان لفسطاط مصر أبواب في القديم خربت، وتجدد لها بعد ذلك أبواب أخر.
باب الصفاء: هذا الباب كان باب مصر وهي في كمالها، ومنه تخرج العساكر، وتعبر القوافل، وهدم في أيام الملك الظاهر بيبرس.
باب الساحل: كان يفضي بسالكه إلى ساحل النيل القديم، وموضعه قريب من الكبارة.
باب مصر: هذا الباب هو الذي بناه قراقوش، ومنه يسلك من دخل إلى مدينة مصر من الطريق التي تعرف بالمراغة.
باب القنطرة: هذا الباب في قبليّ مدينة مصر، عرف بقنطرة بني وائل التي كانت هناك، وهو أيضا من بناء قراقوش.
(**المواعظ والاعتبار للمقريزي** ٣٤٧/٢)

أكل الحلال

سئل الإمام أحمد رحمه الله: «ما يلين القلب؟». فقال: «أكل الحلال».
وقال رحمه الله: «بأكل الحلال تطمئن القلوب وتلين».
(**الآداب الشرعية** ص٢٧٧، **والزهد للبيهقي** ٨٨/١)

إعداد: علاء عبدالفتاح

لماذا نحلم

لاشك أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل هذه الرؤى والأحلام التي نراها في منامنا إلا لحكم كثيرة، ليس أقلها أن أحلام النوم تعتبر ظاهرة صحية هامة لاحتفاظ العقل بلياقته أثناء النوم حتى لا يتكاسل حين يعود إلى اليقظة، ولقد كشف العلم النقاب عن بعض الحكم، وبقيت هناك الكثير من الأسرار تحتاج إلى تنقيب أعمق.. فمن وظائف الأحلام:

– أنها مهمة لنمو المخ، وخاصة لحديثي الولادة حيث يقضون حوالي ٥٠٪ من نومهم في مرحلة الأحلام، ومهمة للحفاظ على درجة حرارة المخ، حيث إن حرارته ترتفع خلال مرحلة الأحلام.

– الأحلام ضرورية لإتمام عملية التذكر، إذ يتم بواسطة الأحلام سحب المعلومات المخزنة في الذاكرة اليومية والمتوسطة ثم إبعاد ترميزها ويتم خزنها في الذاكرة البعيدة.

– الأحلام ضرورية لإتمام عملية التعليم، ولقد وجد بالتجارب أن الحرمان من النوم الحالم يؤثر سلبا على عملية التعليم.

– وبالأحلام تحافظ النفس البشرية على توازنها الانفعالي، وذلك بإفراغ الشحنات الانفعالية، وخاصة العدوانية والجنسية بشكل رمزي أثناء النوم، وهذا يمنع تراكم هذه الانفعالات وبالتالي يمنع تأثيرها الضار على الشخصية الإنسانية.

– تعتبر الأحلام من وجهة نظر علماء النفس «الباب الملكي» لقراءة وفهم كثير مما يدور في العقل الباطن، وبالعكس أيضا فهي طريقة لوصول محتويات اللاوعي إلى الوعي بشكل رمزي ومختصر وسريع.

– فإذا ما فشلت هذه الوظائف للأحلام فقد تظهر بعض الظواهر المرضية، فمثلا قد تضطرب الذاكرة طويلة المدى، وتنشأ صعوبات التعلم، وتراكم الشحنات الانفعالية حتى تخرج في صورة ثورات أو انفعالات أو نوبات غضب غير مبررة في غالب الأحيان.

د. أنس محمد الشومي

تأثير دور الحضانة على قدرات الطفل

للحضانة تأثير كبير على تطور قدرات الطفل، وهذا التأثير له علاقة مباشرة بنوعية الرعاية التي تقدم للطفل فيها. فكلما كان مستوى الخدمات بهذه الدور مرتفعا كان تأثيرها إيجابيا على تطور المهارات الفكرية والاجتماعية لدى الطفل، كذلك يكون الإنجاز المدرسي للأطفال الذين استفادوا من هذا النوع من الخدمات في طفولتهم المبكرة أفضل، كما يصبح لديهم قدرة كبيرة على التأقلم الاجتماعي خلال سنوات الطفولة.

والحضانات هي أحد الحلول لمشاكل الأسرة رغم ما بها من سلبيات.

وهنا تلعب الأم الدور الرئيسي في نقل ثقافة المجتمع إلى هذا الجيل الجديد من خلال ما يعرف بالتنشئة الاجتماعية، ثم تنتقل المسؤولية بعد ذلك للمدرسة مما يعني أننا أفقدنا الطفل التنشئة الاجتماعية الأسرية، وهذا ينعكس سلبا على العلاقات الأسرية وعلى تكوين شخصية الطفل منذ البداية.

أما إيجابيات التحاق الأطفال بالحضانة فهي أن الطفل يكتسب عادات حميدة من الحضانة مثل كيفية صياغة الجمل، والتحدث بسرعة، والتعبير عن نفسه، وتكوين صداقات، وإقامة علاقات اجتماعية بسيطة، كما أن الطفل يألف الخروج من المنزل ويتعود على الغرباء وتقبل فكرة الانتقال من الألعاب التي هي مجرد تسلية إلى الألعاب المفيدة التي تساعد على تنمية عقله وتنظيم وتصريف طاقاته وتوجيهها لأغراض تربوية، وتدريبه على تذوق الموسيقى والآداب من خلال الأناشيد والرسم بالألوان.

خالد الحارثي

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

info@alwaei.com



كيف ينمي الآباء ميول أطفالهم للقراءة؟

- هناك مجموعة من التوصيات التي يمكن عن طريقها تشجيع الأطفال على القراءة وتنمية ميولهم نحوها فيما لو لقيت من الأسرة عناية أو حظيت باهتمام، وهي كما يلي:

- للقدوة دور كبير في ذلك لأن القراءة شأنها شأن أي سلوك آخر تلعب القدوة فيه دورا كبيرا في تنميته، ولنتصور طفلين أحدهما يرى والده يتصفح قبل أن ينام أو يقرأ كتابا، وثانيهما طفل لا يعرف الكتاب منزلة لديه ولا يطرق بابه.

- ينبغي تخصيص جزء من ميزانية الأسرة ولو قليلا لشراء ما يناسبها من كتب أو تنظيم علاقة بين الطفل والكتاب أو مجلة بعينها بحيث تثري وجدانه وعقله بالمعلومات أو الحقائق وتوسع مداركه وتنمي وعيه الثقافي والتعليمي وزيادة حصيلته الفكرية.

- ضرورة أن يتناقش الوالدان أمام أطفالهما حول كتاب أو مجلة يعبر كل منهما عن رأيه فيما قاله المؤلف.

- ينبغي اصطحاب الأولاد إلى مكتبات الأطفال أو أقسام كتب الأطفال في المكتبات العامة.

- تشجيع كل مبادرة عند الطفل للقراءة بل يجب إن لم نشهدها منه أن نخلقها فيه، لنحثه بذلك على تصفح مجلة نعدها له أو كتاب نهيئه له.

- ينبغي أن يكون الوالدان على صلة مستمرة بالمدرسة يتعرفان من خلالها إلى عادات أطفالهم وهواياتهم وميولهم نحو المدرسة.

- أن نحبب للطفل القراءات المختلفة في شتى المجالات، وألا نكره الطفل على مطالعتها.

- يجب أن تتم مكافأة الطفل بين الحين والحين تشجيعا وتحفيزا له على القراءة كإهدائه مجموعة من الكتب والمجلات القيمة مثلا.

● **رفعت محمد بروبي حسين**

الضرب وتدليل الأطفال

لم تعد التربية عملا ارتجاليا بل أصبحت علما وفنا تدرس في بعض كليات التربية ورياض الأطفال ولاسيما بعد التقدم التكنولوجي الهائل، وقد أكدت دراسة فرنسية حديثة أن الإفراط في تدليل الطفل ينطوي على مخاطر نفسية كثيرة ربما تكون أشد خطورة من ضربه، خاصة إذا كان الطفل وحيدا.. ويرى خبراء التربية أن التدليل يقضي نهائيا على فرص تكوين الإرادة لدى الأطفال، محذرين في الوقت نفسه من التعامل بقسوة مع الطفل لأن خير الأمور الوسط. وأوضحت الدراسة أن الطفل المدلل قلق بطبعه ويتعجل الأمور ويحكم على المواقف دون تفهم كما تسيطر عليه الأنانية وحب السيطرة على إخوته وتتسم تصرفاته بالعنف تجاههم لشعوره بالتميز عنهم كما أنه لا يستطيع الاعتماد على نفسه.

إن الطفل إذا تعلم أن يأخذ فقط فإنه يصبح أنانيا، فهو لم يتلق فكرة العطاء من أسرته ولم يتعود عليها.. وعلينا أن نعلمه أن يعطي مثلما يأخذ (أنا أحصل على حقوقي فينبغي إذن أن أقوم بواجبي) ولكن لابد من التأكد من أن ما نطلبه من الأولاد ليس خارج طاقتهم، فالواجبات لابد أن تكون في مستوى طاقتهم، أما إذا زادت عن الحد ولم يستطع الطفل تنفيذها ويواجه الوالدان ذلك بالعقاب فإنهما يقعان في خطأ جسيم، فمثلا سن الرابعة هي سن بداية الكتابة ويجد الطفل صعوبة في ذلك لأن حركاته العضلية للقيام بمهام دقيقة محدودة تشكل صعوبة لديه، كذلك قدرته البصرية وتكون أكثر نموا في سن السادسة، فلا داعي لأن نضغط عليه مبكرا معتقدين أنه إذا امتنع عن ذلك فهو يتدلل بالرفض.. بل ينبغي عدم إعطاء مسؤولية للأطفال أكبر من قدراتهم الجسمانية والعقلية والنفسية ثم معاقبتهم على عدم إتمامها بحجة الدلال، في حين أنه يمكن أن يقوم بنفس المهمة بشكل أسهل وأدق في السن المناسبة لذلك.

● **آمال عبدالرحمن محمد**



الحب مطية لا يضل راكبها

المحبون لا يرغبون في الخلاص ولو برحت بهم الآلام.. عن عائشة -رضي الله عنها- أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا» فلما كثر لحمه صلى جالسا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع (رواه البخاري).

قال أبوهلال العسكري:

دعا لومي فلومكما معاد
وقتل العاشقين له معاد
ولو قتل الهوى أهل التصابي
لما تابوا ولو ردوا لعادوا

يقول ابن القيم رحمه الله: «إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، فأما من تركها صادقا مخلصا من قلبه لله فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب، فإن صبر على تلك المشقة قليلا استحالت لذة».

وللمحب همة عالية فيما لم يؤمر به لزوما من صنوف النوافل، ويشتاق للعبادة شوق الظمآن للماء البارد.. فالمحب لايزال في الترقي، فهو متعطش للزيادة على الدوام، كما قال النقشبندي رحمه الله:

وذو الصبابة لو يسقى على عدد الا
أنفاس والكون كأس ليس يرويه

وما يعرف فضل المرء المحب إلا بالمستحبات.. فمن يقوم الليل فإنه يستحيل أن يهمل في أداء الفرائض الخمس المكتوبة، ومن يصوم الاثنين والخميس فإنه يستحيل أن يترك صوم رمضان.

والمحب يؤثر رضا الله تعالى على هوى نفسه. لذلك أعظم الله الجزاء لأحبائه، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١٠٠). قال جمهور المفسرين: «أبهم الأجر لعظم الجزاء».

فترك الديار ليس بالأمر الهين، خاصة أن النفس تتعلق بجذورها، لكن حب الديار هان أمام محبة الله تعالى ورضاه.

● منى السعيد الشريف

المرأة في الإسلام

قالوا: إن حرية المرأة في الإسلام لم تكن كاملة خصوصا في اختيار شريك حياتها، فهي لا يمكنها أن ترفض رجلا، ولا حق لها في اختيار من ترغب فيه، ذلك لأن أهلها يرغمونها على الزواج بمن يريدون لا بمن تريد هي.

- هذا الكلام ومثله يردده من لم يطلع على حقيقة الإسلام ومبادئه، وكان عليهم قبل أن يتكلموا أو يقولوا ويحكموا أن يطلعوا على آي القرآن الكريم والسنة النبوية.

فحينئذ يعلمون أن الإسلام أو الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ قد أكدت إعزاز المرأة وتمتعها بحريتها إلى أعلى وأرقى مستوى رفيع في احترامها واحترام حريتها، وحرية اختيارها.

- ولا يجوز لأي أحد في دنيا البشر مهما كان أن يرغمها على ما لا تحب وترغب.. ذلك لأن الإسلام يبيح للمرأة أن تشترط على خطيبها -بعد أن ترضاه زوجا لها- ما تريد ضمانا لراحتها وسعادتها، ولقد خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما كان خليفة المسلمين ورئيسا لأعظم دولة، عاتكة بنت زيد القرشية، فشرطت عليه ألا يمنعها من المسجد فأجابها إلى ذلك.

وعندما قدمت المدينة أم سمرة بنت جندب، وكانت امرأة جميلة فخطبت، فقالت: لا أتزوج إلا برجل يقوم بنفقة ابني سمرة حتى يبلغ، فتزوجها رجل من الأنصار على ذلك.

- وخطب عمر رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه، وطلحة رضي الله عنه أم أبان بنت عتبة، فاختارت طلحة فتزوجها، وكان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ففضلت غيره عليه وهذا من حقها الذي يقره الإسلام ويقرها عليه.

- وهذا يعني أن الإسلام لا ينكر على المرأة فيما اختارت أو اشترطت لنفسها، فهل بعد هذا يقولون: إن المرأة المسلمة خرساء أو صماء أو عمياء.

● د. مي علي كشك

الزواج.. شراكة بالعقل والعاطفة

الإنسان اجتماعي بالفطرة.. وهو بحاجة إلى البيت الذي يخرج به من دائرة الفرد إلى دائرة المجموع.. لذلك نرى الإنسان ذكرا أو أنثى يترقب ذلك اليوم الذي يتاح له فيه تحقيق هذا الحلم الجميل بالزواج.. ومن ثم فهو يريد تلك العلاقة الزوجية لينعم بالحياة الهادئة.. والأمل المنشود..

والشاب الذي يرغب في الزواج يدقق في اختيار شريكة حياته.. وليس له الحق أن يخوض بين الأسر.. ويقف على دقائقها وأسرارها ثم يتركها إلى غير رجعة، هذا فضلا عما يسببه ترك الفتاة من تأثير شديد على نفسها وحياتها وسمعتها.. ولكي تتجح الأسرة في أداء رسالتها يجب أن تهذب الطباع.. ويتحرك الزوج والزوجة بالتعاون مع الآخر.. والإنسان ذكر وأنثى يحمل أمانة.. ويتساويان في البعدين الديني والروحي..

لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء:١٢٤).

وحينما تتحرك الأسرة بقيمة الشراكة ينشأ الأبناء وفق ثوابت العقيدة، والله عزوجل خلق الناس من نفس واحدة..

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

الزواج في الإسلام عقد اتفاق وبميثاق.. وله حقوق وواجبات والإسلام أعطى المرأة حقها في الحياة.. وجعلها عضوا فاعلا في حركة المجتمع ولها عزتها.. وكرامتها.. ومكانتها.. ورسالتها.. والمرأة مثل الرجل كلاهما يمتلك عقلا.. ولكل عقل أفكاره.. كما أنه ليس هناك تفريق بين الرجل والمرأة في طلب العلم والمعرفة..

وقد قال الرسول ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (رواه البخاري ومسلم).

كما أن المرأة تمثل نقطة الثقل في محيط الأسرة.

• يحيى السيد النجار

العناد.. السير في الاتجاه المضاد

العناد كلمة فضفاضة تدور حول مجافاة الحق مع تعصب الرأي، وتصلب العقل، وانغلاق الفكر حول رؤية محددة لا يرى صاحبها غيرها، بل ويعتقد اعتقادا جازما بصوابها وضلال غيرها.. العناد: عنصرية وأحادية الرؤية وضبابية وعمى بصيرة، وهوى متبع، ورؤية الحق باطلا والباطل حقا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

والمعاند لا يجدي معه إقناع، لأنه مصاب بغبش الرؤية، وجحد الحقائق، ونكران الغير، مع قناعة تامة بموقفه لدرجة اليقين الذي لا يخالجه شك.

والعناد قد يقوم على معطيات مغلوطة ومعلومات مضللة أو غياب آليات البحث عن البيانات ومصادرها، وتحري الحق ومواطنه «عناد مفتقد للوعي والإدراك والنضج»، يقول ابن القيم رحمه الله: «صحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والغي والرشاد، ويمده: حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته: اتباع الهوى، وإيثار الدنيا.

وقد يكون العناد عن هوى يعمي صاحبه عن التفكير المنطقي والبحث الحيادي، كمن يكره بلدا بعينها أو شعبا أو شريحة المتدينين أو يحقد على المتعلمين أو ينفر من المتميزين «عناد عدواني».. وهذا أخبث أنواع العناد الذي يغذيه نفسية مريضة ومزاج غير سوي، وغيرة خبيثة.

قال ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله: الألد الخصم» (متفق عليه).

• د. خالد النجار

مسك الختام

الطموح والجنوح

حق مشروع لأي إنسان أن يبذل قصارى جهده من أجل طموحه الذي يسعى لتحقيقه، شريطة ألا يجنح بطموحه هذا إلى ارتكاب ما يخالف الدين والشريعة، وإلا تحول هذا الطموح بذلك إلى جنوح عن الطريق المستقيم، طريق الحق والخير والجمال، الطريق الذي يسلك للوصول إلى مرضاة الله تعالى والذي بدونه لا راحة ولا سلام يعرف أو يلتمس.

إن طالب العلم عليه أن يطمح إلى الاستزادة منه، والعامل عليه أن يطمح إلى إتقان عمله على أفضل صورة ممكنة، ليس العالم والعامل فحسب، بل على كل إنسان أن يطمح إلى حسنة الدنيا وحسنة الآخرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة:٢٠١).

واختلف المفسرون في تفسير «حسنة الدنيا»، وبحسب تفسير ابن كثير فإن «الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك»

وبحسب ما جاء في تفسير الطبري: «قال أبوجعفر: اختلف أهل التأويل في معنى «الحسنة» التي ذكر الله في هذا الموضع. فقال بعضهم يعني بذلك: ومن الناس من يقول: ربنا أعطنا عافية في الدنيا وعافية في الآخرة.

من الخطأ أن يظن أحد أن هناك تعارضا بين أن يكون الإنسان راضيا بحاله، قانعا بما قدره الله له، وبين أن يتطلع إلى حياة أفضل، ومن الخطأ أيضا أن يسخط الإنسان على حاله، فيتبرم ويغضب ويقارن بين حاله وأحوال الناس، وهو لا يعلم أن لكل إنسان نصيبه من الابتلاء، ومن الوارد أن يدفعه سخطه إلى طموح أهوج غير مدروس، تكون نتيجته وبالا على صاحبه، ولذلك فإن من يسخط على حاله فهو في فقر حقيقي، لأن الغنى في القناعة.

ومن ثم فإننا جميعا يجب أن نأمل ونطمح أن نتحلى جميعا بالرضا والقناعة، فالقناعة تجعل الإنسان في غنى عن الناس، وفي فقر إلى رب الناس فقط.

يصل الطموح ببعض الناس إلى آفة الطمع، فإن كان ما يطمح إليه الإنسان هو جني المزيد والمزيد من الأموال، ليحقق الثراء والرفاهية وفقط، فربما يصل به طمعه إلى فكرة الحصول على المال بأي وسيلة ممكنة، مشروعة أو غير مشروعة، فالمهم عنده فقط هو المال، حتى وإن مال عن طريق الحق من أجل الحصول عليه.

إن مثل هذا الإنسان هو الراكض اللاهث على الدنيا وزينتها، يعمل ويجهد بدنه وحاله من أجل طمعه في المال، ومثل طموحه هذا هو جنوح إلى دنيا تصير إلى زوال.

وإن من الناس من يلهيه الطمع الدنيوي في جمع المال عن ذكر ربه وعن دينه، يقول المولى عزوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (المنافقون:٩).

إن من يعي الحقيقة يعلم جيدا أن ذكر الله سبحانه وتعالى هو المكسب الحقيقي، بل إن من يظن أن دينه يؤثر على طموحه، فلا وقت عنده إلا لصراعات المال والتجارة الدنيوية، فليعلم أن الخسارة في انتظاره، ولا يوجد خسارة أكبر ولا أعظم من خسارة الدين.

ومن الوارد أن ينجح مثل هذا الإنسان في حياته وترى الحيرة في عقول البعض من فكرة كيف يكون الرزق الوفير من نصيب البعيد عن الله، الغافل عن دين الله، ولكن لنقرأ جميعنا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (الأنعام:٤٤).

علياء ناصف
كاتبة وباحثة مصرية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

براعم الإيمان
قلم صغير وفكر منير

موقع براعم الإيمان في حلته الجديدة



مجلتكم تقترب منكم أكثر

www.baraemaleiman.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦١٢) شعبان ١٤٣٧ هـ - مايو- يونيو ٢٠١٦ م

الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية 2016

الخمول.. آفة حضارية



- جوانب تربوية عند الشيخ علي الطنطاوي
- الشخصية الخيرية.. المفهوم والملامح والقيم
- جلال الدين السيوطي.. موسوعي سبق عصره
- التحقيق في دعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

مجلة الوعي الإسلامي | www.alwaei.gov.kw | info@alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

جديدنا



الإبـــــــــــداع

الإبداع كلمة مؤثرة تستهوي ذوي الهمم العالية والنفوس التّواقة؛ لأنهم يرون أن الدافع الرئيس للإنجاز أن يسيروا قُدُما في طريق النجاح وتحقيق الذات، والإبداع الحقّ يحتاج إلى عقول ذكية متّقدة بالنشاط والحيوية، متحررةٍ من قوالب التكرار، منبعثةٍ نحو آفاق التجديد.

إن النجاح الحقيقيّ للمبدع لا يتحقق له بمفرده، وإنما يتكوّن تدريجيا بمشاركة الآخرين في تحقيق أحلامهم، ورسم خريطة آمالهم، بعيدا عن ثقافة التحبيط والاستهزاء والاستخفاف، ذلك أن روح الإبداع من ضرورات الحياة التي لابد منها لتطوير مهارات الإنسان وإثراء معارفه؛ فالشخص المبدع هو القادر على حسن الإنتاج والعطاء، وتغيير الواقع نحو الأفضل.

وإذا كـانت الـنفـوس كـبـارا   تعـبتْ فـي مـرادها الأجـسام

إن الحرمان من الإبداع يمثل جريمة حقيقية؛ لأنه يقتل الطاقات ببطء، ويفتح أبواب الجمود الفكري، ويفرض أنماط التبلد العقلي، ويُفقد الإنسان الثقة فيما لديه؛ فينهزم ويفشل داخليا، عندما يصبح طموحه مرتبطا بتقليد الآخرين، وتبنّي أفكارهم، دون القدرة على تربية أفكاره الخاصة وتنميتها، والانطلاق بها إلى فضاء الإبداع والنجاح؛ مع تجرّد وإخلاص في العمل؛ لأن الهوى والغرور قد يطغيان على صاحبهما ويدفعانه نحو الإخفاق.

لقد تميّز جيل الصحابة رضوان الله عليهم بعباقرة أفذاذ، كان لكلٍّ منهم صبغته الخاصة، وطريقته في النجاح؛ تميّز أبوبكر الصديق بورعه، وعمر الفاروق بحزمه، وأبوعبيدة بن الجراح بأمانته، وكان فيهم أبوذر الزاهد، وابن عباس الفقيه، وخالد المقاتل، وأبوالدرداء الحكيم، وجميعهم تربّى على مائدة واحدة، وتتلمذ على يديّ معلم واحد ملهمٍ في صناعته، فريدٍ في تربيته، مؤيَّد بالوحي في خطواته. ومع روعة الانبهار به وعظيم شخصيته، وتعدد من كانوا حوله؛ غير أنه ﷺ أبدع في كسر قوالب الجمود، فأخرج جيلا ربّانيا متفرّدا في فكره، متفردا في عظمته، يحمل كلٌّ منهم عالَمًا من التميّز الخاص والإبداع الفريد، وصدق أبوالطيب المتنبي:

على قَدْر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قـــدْر الكِرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٢ | شعبان ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
مايو – يونيو ٢٠١٦م

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣
شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول
العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد











التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦– ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ – فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ – فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

داء التكاسل

الكسل.. ذاك الداء العضال، فهو يمنع من العمل الجاد والفكر المثمر والسعي النافع، ويعوق نهضة الأمم والشعوب، حتى إنه ما أصاب أمة إلا أضعفها وأخرها ودمرها؛ إنه التثاقل عما ينبغي المسارعة إليه في أمور الدين والدنيا.

وقد ذم الله التكاسل، وجعله وصفا ملازما للمنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:١٤٢)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (التوبة:٥٣-٥٤).

لهذا استعاذ النبي ﷺ من العجز والكسل؛ لأنهما يمنعان من المسابقة في الخير والمنافسة في البر، وهما باب الخذلان والخسران، وسبب وجيه للحرمان، قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل...» (متفق عليه).

إن أنجع علاج لهذا المرض المهلك بعد التوكل على الله وطلب عونه وتوفيقه، ألا يسترسل العبد مع أوهامه وينساق مع الأماني الكاذبة، فالنعيم لا يدرك بالنعيم، والراحة لا تنال بالراحة.

مدير التحرير

فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التحرير



اليوحة يستمع لشرح مسؤولي «براعم الإيمان»

بحضور فاق (٥٠٠٠) زائر في مركز عبدالعزيز حسين الثقافي

«براعم الإيمان» تنظم معرض الطفل التفاعلي «قطار الثقافة»

ضمن فعاليات مهرجان أجيال المستقبل (السابع والعشرون) الذي يقيمه سنويا المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت شاركت مجلة «براعم الإيمان» ملحق مجلة الوعي الإسلامي بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتنظيم معرض الطفل التفاعلي «قطار الثقافة» خلال المدة من ٢٤ إلى ٣١ مارس الماضي، والذي افتتح بحضور كل من الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب المهندس علي اليوحة والوكيل المساعد للشؤون الثقافية بالمجلس محمد صالح العسعوسي، ومدير التحرير فهد محمد الخزي ورئيس قسم البراعم د. سلطان المطيري ومديرة مهرجان أجيال المستقبل مريم سالمين.

وصرح الوكيل المساعد للشؤون الثقافية بالمجلس م. محمد العسعوسي عقب الافتتاح: أن المهرجان أصبح من علامات العمل الثقافي البارزة لدى المجلس لاسيما أنه يخصص جانبا مهما من استراتيجيته لتنمية مدارك الطفل عبر مختلف قوالب العمل الثقافي، مشيرا إلى أن المهرجان يقدم جرعة ثقافية للأطفال تزيد من اهتمامهم بالعمل الثقافي وتطوير إمكاناتهم، وذلك بمساهمة واسعة من الجهات المعنية بالدولة للوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوة.

ومن جانبه قال مدير تحرير «الوعي الإسلامي» فهد محمد الخزي: تنظم مجلة «براعم الإيمان» قطار الثقافة ضمن فعاليات مهرجان أجيال المستقبل هذا العام مشاركة منها مع الاحتفال بإعلان الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية، وذلك بهدف رفع مستوى ثقافة الطفل وبيان الواجهة الثقافية الإسلامية لدولة الكويت تحت إشراف كادر تربوي متخصص.

وأشار الخزي إلى أن قطار الثقافة يهدف إلى تعريف الطفل بأبواب وشخصيات المجلة، مؤكدا على اهتمام أسرة التحرير بالتنوع في الأبواب وفي أساليب الطرح لتناسب جميع الشرائح السنية، وإبراز الأخلاق والقيم من خلال الصورة والقصة والألوان الجذابة التي تجعل الطفل يحرص على اقتنائها وقراءتها والاحتفاظ بها، والاستفادة منها في دراسته قدر الإمكان.

وختم الخزي بتوجيه الشكر إلى فريق مجلة «براعم الإيمان» على هذا الإبداع والعطاء المتميز للطفل خلال أيام المهرجان.

يذكر أن معرض قطار الثقافة استمر لمدة أسبوع استقبل خلاله أكثر من ٥٠٠٠ زائر من الجمهور من أطفال المدارس والمهتمين بالمجال التربوي والإعلامي، وذلك من خلال زيارات الرحلات المدرسية في الفترة الصباحية وزيارات الأندية والمراكز بالفترة المسائية، كذلك الجمهور العام.

رئيس التحرير في سطور



الاسم: صالح سالم أحمد النَّهام.

المؤهلات العلمية:

حصل على العديد من الشهادات العلمية، أبرزها:

١) شهادة «الليسانس»، كلية الشريعة - جامعة الكويت، تخصص الفقه وأصوله.

٢) شهادة «الماجستير» كلية الشريعة - جامعة الكويت، تخصص الفقه المقارن وأصول الفقه. عنوان الرسالة: «الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره».

٣) شهادة «الدكتوراه» جامعة الجنان، تخصص أصول الفقه، عنوان الرسالة: «الضوابط الأصولية للفتوى وأثرها في أهم القضايا المعاصرة، دراسة تطبيقية».

الخبرات الإدارية:

تدرّج في العديد من المناصب الإدارية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، بالإضافة إلى أنه شغل منصب مدير إدارة العناية بالسنة النبوية وعلومها في الهيئة العامة للعناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما.

الخبرات العملية:

شارك - داخل الكويت وخارجها- في العديد من:

١) الدورات العلمية والتخصصية والإدارية.

٢) المؤتمرات الدولية.

٣) الحوارات العلمية الصحفية.

٤) الزيارات الميدانية.

٥) قدّم العديد من البحوث العلمية والدراسات التخصصية، وتم نشرها في العديد من الصحف والمجلات.

٦) له العديد من الإصدارات (تأليفًا- تحقيقًا).

٧) ترأس وشارك في عديد من اللجان.

د. أحمد محمود عيساوي
أكاديمي وباحث جزائري



أيـن نحن مـن عصر ما بعد المعرفة؟

عـرفـت الـبـشـريـة خـلال مسيرتها الحضارية تطورات مذهلة في مجال الإبداع والابتكار والاختراع والإضافة.. وبعد أن كان عمر المعلومة أو المعرفة أو الاختراع أو الابتكار -الذي يضيف للتطور الحضاري خطوة إلى الأمام- يقدر بمئات السنين، صار عمره اليوم لا يتعدى ثلاث دقائق، ليتقادم بعدها بشكل خاطف وسريع خلف الابتكار الجديد، ويصبح اختراعا أو اكتشافا قديما، ويعرف مبدعه -مسبقا- أن اختراعه لن يعمر طويلا في عالم الاكتشافات والاختراعات المذهلة، وهكذا تطور الحضارة الإنسانية دواليك..

والمتتبع لمسار الحضارة الإنسانية يعرف أن الإنسان ظل منذ اكتشافه: النحت والرسم والتدوين المسماري والطيني قرونا طويلة ينتظر صناعة الورق (الكاغد الصيني) أو (البردي المصري) ليتحول بعدها نحو النسخ والتدوين قرونا طويلة أيضا، إلى أن تمكن بعد حقب طويلة -تقدر بأكثر من ألف وخمس مئة سنة- من اكتشاف تقنية الطباعة الآلية على يد المخترع الألماني «يوهان غوتنبرغ» سنة ١٤٥٣م، إلى أن وصل أخيرا إلى صناعة الكتابة الإلكترونية ونظيراتها الشبكية ومشتقاتها الوسائطية، وتطوير أساليب النسخ والحفظ الحاسوبية فالرقمية.. وهكذا تقدرت المسافة بين سائر المنجزات الحضارية، كـ: قوة الرياح، فالبخار، فالديزل، فالمحركات النووية، فالسيف والرمح والقوس والمنجنيق، فالبنادق والمدافع والدبابات، والجمال والبغال والحمير.. فالقطارات فالسيارات فالبواخر العملاقة فالطائرات فالصواريخ فالمسابر الفضائية.. وصولا إلى اكتشاف مجاهيل الفضاء والإبحار نحو الكواكب الأخرى كالمريخ.. ومن السنة الضوئية إلى الكوانتم فالنانو.. فالشفرة والهندسة الجينية فالذرة.. فتصغير العالم كله واختزاله في عوالم وفضاءات أجهزة الحاسوب الرقمية المتطورة جدا، فيما سمي بالفضاء الافتراضي..

وقد ذهب فلاسفة المعرفة وأساطين الإلكترونيات والرقمنة بعيدا في ذلك التدوين الحضاري، فصنفوا وأرخوا لتطور مسار الحضارة الإنسانية نهاية القرن العشرين، ونعتوا عصر ومجتمع نهاية الألفية الثانية بمجتمع الإعلام، وعصر بداية الألفية الثالثة بمجتمع المعلومات، وعصر بداية العقد الثاني منه بمجتمع المعرفة، ونصف عقده الثاني -الذي نعيشه- بمجتمع التسخير والسيطرة على سائر قوى الطبيعة، انتظارا لولوج مرحلة ومجتمع الفضاء الكوني منتصف الألفية الثالثة أو بعدها.. وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. وهنا وجب علينا أن نسأل أو -بالأحرى- نسائل أنفسنا اليوم، وبكل شجاعة وجدية وعقلانية محضة، قائلين: أين هو موقع ومكانة أمة العرب والمسلمين من هذه التطورات الحضارية المذهلة؟ ومتى نستطيع صناعة موطئ قدم في نسق هذه التصنيفات التي غدت قدر البشرية؟ أو -على أقل تقدير- الاستفادة من مرحلة وعصر ومجتمع الإعلام أو المعلومات أواخر الألفية الثانية لصناعة فرد ومجتمع ناهض؟

تصنيفات حضارية

والملاحظ بجلاء في مسار التطور الحضاري العالمي أن مفكري وفلاسفة الحضارة المعاصرة قد أسهبوا في وصف وتمجيد المستوى الحضاري الرفيع الذي وصلته الإنسانية -ولاسيما الشعوب المتقدمة في أوروبا وأميركا وآسيا- نهاية الألفية الثانية، في مجالات التطور العلمي والتكنولوجي والصناعي.. وفي مجال الثقافة الإلكترونية والمعلوماتية المذهلة، من: إنتاج، ونشر، وجمع، وحفظ، وفهم، وتطويع، واسترجاع، وتفسير، وإعادة فهم وتفسير، ودمج، وقص ونسخ ولصق، وصياغة، وتفاعل.. وصاروا يفتخرون بتسميته «مجتمع المعرفة».

وشجعهم على إطلاق اسم مصطلح مجتمع المعرفة على المجتمعات التي تعطي جل اهتماماتها لبناء المهارات والقدرات وتنمية المواهب للبحث عن المعلومات، وتصنيفها، وتنظيمها، ومعالجتها، وإتاحتها للجميع من أجل استخلاص المعرفة وإبداع معرفة جديدة، وتوسيع نطاق تطبيقاتها في شتى أغراض التنمية الإنسانية عموما والتنمية الاقتصادية والاجتماعية خصوصا، بحيث تغدو صناعة المعرفة قطاعا اقتصاديا منتجا، قائما بذاته يفوق في أهميته أي قطاع آخر.

وهو المجتمع الذي تبنته الدورة الأولى للقمة العالمية حول مجتمع المعلومات المنعقدة في «جنيف» شهر ديسمبر ٢٠٠٣م بدلا من «مجتمع المعلومات» الذي يركز على البنى التحتية التي توفر تقنيات المعلومات والاتصالات والإعلام، وتكفل نشر المعلومات وتبادلها وتسويقها واستهلاكها، ليصبح مفهوما وعملية بديلة لمرحلة ومجتمع المعلومات حسب ما أكده الخبير العربي «نبيل علي» لإقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة القادمة.

والجدير بالتنويه به هنا أن مصطلح «مجتمع المعلومات» سبق أن سيطر على البنى الفكرية والمعرفية والتطبيقية في العقد الأخير من القرن العشرين، وصار مواكبة هذا التطور السريع والمذهل في تدفق المعلومات أمرا عسيرا على الأفراد والمجتمعات، لأنه على حد قول المفكر الفرنسي «فرانك كليش Frank ouelich»: «بتنا ننتظر فجرا جديدا سرعان ما يلوح بعده مغيب جديد، لن يمكننا من

التمتع بأشعة الشمس»، فيما ينقله الخبير المتخصص في التكنولوجيات والوسائط الإعلامية «سمير إبراهيم حسن» وهو يتناول موضوع «الثورة المعلوماتية عواقبها وآفاقها»، إذ توصل إلى حقيقة مفادها عجزنا -كأمة عربية- عن مواكبة واستيعاب القديم فضلا عن اللحاق بالجديد الثر والمتجدد الغزير.

وقد حل مصطلح «مجتمع المعرفة» في الأدبيات التواصلية العالمية بعيد جلاء الرؤية عن مفهوم «مجتمع المعلومات» الذي هيمن على ساحة التواصل والتفاعل العالمي في العقد الأخير من القرن العشرين، متجاوزا مصطلح «مجتمع الإعلام العالمي» الذي رسمت معالمه الولايات المتحدة الأميركية بعيد عام ١٩٩٥م من خلال مشروع الطرق السيارة والمتدفقة للمعلومات الذي يبشر «العائلة الإنسانية العالمية» بخيرها الوافر لبني البشر. الذي سرعان ما تلقفت الدول السبع الكبرى الفكرة لتقرر في العام نفسه قيام «مجتمع الإعلام الشامل»، وما لبثت أن أقرت الدول الـ ١٥ الكبرى في عام ٢٠٠٠م تفعيل مجتمع الإعلام هذا من خلال التركيز على الشبكة المعلوماتية (الإنترنيت).

وهو المجتمع الذي يقوم على تقنيات الإعلام والاتصال فائقة القدرة، وعلى تبادل المعلومات ونشرها في كل دول العالم، أو هو مجتمع الثورة الرقمية، التي أدمجت نظم دلالات (المكتوب/الصوت/الصورة)، من خلال نظام وحيد يمكن من نقل الصوت والصورة بسرعة الضوء، محدثا بذلك تحولات جذرية في عالم الاتصال والترفيه، وشجع من جهة على اندماج المؤسسات الإعلامية، وأدى من جهة أخرى إلى تحكم الشركات الصناعية المرتبطة بشبكة الإنترنيت وشبكة الهاتف الجوال والكابل والإشهار والرياضة والبنوك بوسائل الإعلام والاتصال، وما لبثت أن اندمجت كلها في شركات عملاقة متعددة الوسائط، تنتج الأفلام والكتب والأقراص المغناطيسية والألعاب، وتقديم خدمات البيع بالمراسلة، ومعاملات البنوك، وتمتلك فرق كرة القدم وغيرها حسبما يشير بذلك خبراء الرقميات والإلكترونيات.

وقد أدى هذا المستوى التكنولوجي والإلكتروني الهائل إلى طرح جملة من التساؤلات الإشكالية حول أمة العرب ومصيرها بين عالم الأقوياء!! وعن موقعها أمام الزخم التقني والصناعي والعلمي والمعرفي والفكري والثقافي، بل إلى طرح تساؤلات محورية حول مناهج ومخططات وتصاميم البنية المعرفية لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، في مجال البنية التحتية لأنظمة التربية والتكوين والتعليم والتثقيف في ظل هذا التسارع المعلوماتي المذهل.

والسؤال المطروح هنا بقوة هو: هل أمكننا أن نستفيد من فتوحات العولمة في بناء فرد ومجتمع مسؤول وناهض، نستطيع أن نعول عليه في بناء نهضة عربية وإسلامية قادمة ومنتظرة؟

وهل يمكننا أن نستفيد عمليا من خلاصة ما قرره خبراء المعلوماتية في هذا المجال؟

ومن هنا فقد أمكن للخبراء أن يحصروا إيجابيات مرحلة و«مجتمع المعلومات» ممثلا بقوة عبر إنجازاته الحديثة في عالم تكنولوجيا الاتصال والإعلام الجديد، والتي بدت في الآتي:

١ - أنها اكتسحت كل دول العالم، بما فيها الدول التي كانت توصف بالمعزولة، وأوجدت أسواقا جديدة موصولة ببعضها البعض على الصعيد العالمي، ضمن نسق حرية النقد ورأس المال الأجنبي.

٢ - أنها فككت وأنهت حدود الزمان والمكان، وتجاوزت الحدود الجغرافية والسياسية، واخترقت الثقافات والخصوصيات القومية.

٣ - أنها أدت إلى الزيادة المذهلة في انتقال السلع والخدمات والاستثمارات نتيجة التحرير المتنامي للأسواق، والفضاءات الاقتصادية الحرة، والتبادلات التجارية.

٤ - أنها أدت إلى النمو المتسارع في تبادل المعلومات والأفكار والمعرفة والقيم، والتعامل معها وفق آليات السوق.

٥ - أنها عملت على إيجاد هيئات ومنظمات دولية فاعلية لها من الهيمنة القوية على الحكومات الوطنية ما يضطرها للتنازل والانقياد أحيانا.

٦ - أنها نوعت أشكال الكتاب الإلكتروني، وانتشار التدوين والنشر الذاتي.

٧ - أنها دشنت نهاية عصر المؤلف التقليدي وتزايد عدد الكتاب والمؤلفين والمدونين.

٨ - أنها أعادت صياغة مؤسسات وبرامج التعليم التقليدية، وبدأت نهاية عهد مؤسسات التعليم عن قرب، نظرا لاختراع وسائل التعليم عن بعد.

وقد ذهب الكثير من الباحثين عند تناولهم لتداعيات الثورة المعرفية بعيدا في دراسة أثر وسائل الإعلام الجديد على مختلف ميادين الحياة إلى نتائج مذهلة ومثيرة معا، فقد تبين لهم حدوث تطورات جذرية في ميادين التربية والتعليم والتكوين والتثقيف والتدريب والتمهين، حيث سيغيب فيها الإنسان كفرد من مسرح العمليات التكوينية كخطوة أساسية وأولى، أمام سطوة الآلات والتقنيات العالية التأثير، كالتعليم والتكوين عن بعد، والتعليم بواسطة البرامج العملاقة والحواسيب الآلية و«الروبوكوب».. وغيرها، من فتوحات الإعلام الحداثي الجديد. وفي رأيهم سينتهي عصر المعلم والفصل والحجرة الدراسية والمدير والوثائق والامتحانات والورق

وغيرها من مخلفات الأنظمة التربوية والتعليمية البائدة..

وقد رأى بعضهم أن التعليم الجامعي العالي سيحظى بالنصيب الأكبر والأول والأوفى من هذا التطور الإلكتروني المذهل.. متناسين الآثار السلبية لهذا الانعزال القسري، الذي سيكون له فوائد ومضار مشتركة معا، وإن كنا نعتقد أنه لا يوجد خير محض، ولا شر محض، فالمشرع الحكيم عند مراحل ذمه للخمر تمهيدا لتحريمها اعتبر أن فيها منافع وآثاما كثيرة أيضا، فالفتوحات العولمية لها منافعها وفوائدها الكثيرة، وكذلك لن تعدم الكثير من التأثيرات والارتجاعات والتداعيات السلبية أيضا.

ولكن السؤال الملح والاستراتيجي هنا هو: أين العرب والمسلمون من كل هذه التطورات والتصنيفات؟ وأين موقعها حاضرا ومستقبلا؟

رؤية نهضوية شاملة

لاشك أن المتوسم في الخريطة الجيوسياسية العربية والإسلامية اليوم يقف أمام حقائق مؤلمة وقاسية جدا في شتى الحقول والميادين، فعلى صعيد الاستقرار السياسي، وهو الركن المهم والأساسي؛ بله الرئيسي في عملية النهضة والتنمية، فإن العالم العربي يشهد حراكا مبهما وغير واضح المنطلقات ولا الوسائل ولا الأهداف، فعدا دول مجلس التعاون الخليجي والأردن والجزائر والمغرب وموريتانيا، فإن باقي الدول العربية الأخرى صار بعضها على شفير الاهتزازات والأزمات الارتدادية، والأخرى يعتورها العصيان والثورات والتبرم والنقمة، كما يسودها مناخ الانفصام والتباين بين طموحات وتطلعات الجماهير وسلطاتها الحاكمة.. ويماثله الحال في الكثير من الأقطار الإسلامية، ما يجعل أي مراهنة على عملية بناء الفرد الناهض وتكوينه في مهب المصير المجهول، وعرضة لكل الاحتمالات المفتوحة على أسوء الاختيارات.

وعليه فإن نصف طاقة العالم العربي البشرية القوية والمتميزة خارجة من أي مراهنة أو مشروع حضاري نهضوي، ومن أي عملية تطلعية نحو صناعة فرد وأمة ناهضة، وأغلب طاقات وموارد وإمكانات الأمة الإسلامية عرضة للتفكك أيضا، فضلا عن التهديدات الداخلية والخارجية من المنظمات والجماعات التكفيرية والإرهابية والمعارضة الداخلية المرتبطة بالقوى الخارجية، وتهديدات الأخطار الخارجية تحت مختلف المسميات الاقتصادية والقانونية والأمنية..

وما يزيد الأمور تعقيدا والأوضاع سوءا معاناة الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي وانتهاك المقدسات الإسلامية وغياب رادع أممي لحل القضية الفلسطينية، والخوف من زعزعة استقرار دول مجلس التعاون الخليجي، التي باتت تشكل اليوم ملجأ للعرب وموئلا للمسلمين، وأنموذجا تطلعيا ناهضا، المأمول اقتفاء أثره؛ وترسم انعكاس تأثيراته الإيجابية في العالم العربي والإسلامي؛ واحتذاء نموذجه في العلاقة القائمة على احترام القيم الدينية والوطنية والنهضة بالأمة والوطن والثقة والطاعة والمحبة والاحترام بين ولاة الأمور والرعية.

ولكي لا يسود الأفق التطلعي المستقبلي للجماهير العربية والإسلامية المتطلعة للنهضة والحياة الكريمة، يجدر بالنخب المثقفة العمل بكل الوسائل المتاحة على توسيع هذه الرؤية والمرجعية الناجحة، والتي استطاعت أن تبني نهضة خليجية، صارت أنموذجا حضاريا يحتذى في العالم استطاع أن يخرج بدول المنطقة من مأزق التخلف نحو بوابات النهضة العالمية في مختلف المجالات.

وتبعا لهذا الاستقرار السياسي المنتظر، أمكن صناعة نهضة وفرد ومجتمع ناهض متطلع نحو صناعة الحضارة والمشاركة في المجهود الإنساني العالمي، في ظل هذا الاستقرار السياسي والأمني والإداري والتنظيمي القانوني والمؤسسي.. يجد -وبكل طمأنينة- الفرص الكثيرة والمتعددة والمناسبة لـ: التربية والتعليم والتكوين والتأطير والإعداد العلمي والمعرفي والمهني والسلوكي والأخلاقي والتوعوي والديني.. ومنها تنطلق الأمة العربية والإسلامية بعد جيل أو جيلين لرتق الفجوة القائمة بين عالم الأقوياء المقتدرين وعوالم التخلف والتبعية..

وما ذلك المستوى السامق ببعيد المنال، لو أمكن للقائمين على مؤسسات الأمة وطاقاتها وإمكاناتها الحية، من ولاة الأمور وقادة الرأي والنخب صناعة مكونين ومؤطرين ومربين ومشرفين ومعلمين ومديرين ونواب وإعلاميين.. أكفاء ومخلصين وقادرين ومتميزين وغيورين على مجد الأمة الإسلامية وعزها الغابر، وعلى راهنها ومصيرها ومستقبلها بين الأمم الناهضة.

ويدعم ذلك كله.. ولي أمر عادل، رؤوف رؤوم بشعبه، وجيش مدرب مخلص قوي، وأجهزة أمن ونظام ساهرة، ومؤسسات وإدارة ونظام اقتصادي عقلاني، وركيزة مالية قوية ومحمية من كل أشكال الفساد، وعوائد واستثمارات بشرية وتجارية متنوعة، ومداخيل ثرية، وسياسة اقتصادية واجتماعية وتعليمية وتثقيفية ودينية وإعلامية.. رشيدة، لتهيئ الأسباب اللازمة والكفيلة بخلق المناخ الصحي والسليم لهذا الفرد الناهض، ليمارس ويبدع ويفتق مواهبه التطلعية لصناعة النهضة المنشودة. وما ذلك على الله بعزيز.

التحرير



«الثقافة الإسلامية» تقدم أعمالها الثقافية للمكفوفين

٧ إصدارات مكتوبة بطريقة «برايل»

في خطوة صنفها البعض بأنها سابقة من نوعها على صعيد العمل الثقافي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، تبنت إدارة الثقافة الإسلامية في الوزارة مشروعا جديدا للإصدارات الثقافية يوجه خصيصا لخدمة شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة من المكفوفين من خلال إتاحة مجموعة من روائع الإصدارات الثقافية في حقول علمية ومعرفية متنوعة بطريقة «برايل» المعروفة.

مدير إدارة الثقافة الإسلامية بدر العقيل العازمي أشاد بهذه الخطوة الجدية، معتبرا إياها تجسيدا حقيقيا لروح الشراكة المجتمعية التي أعلت الإدارة رايتها، خصوصا خلال المرحلة الراهنة من عمر العمل الثقافي.

وأثنى العازمي على الدور الذي لعبه مراقب المطبوعات والمصنفات الفنية في الإدارة عبدالله الشنفا، في ترجمة الأهداف الإسلامية لخدمة القارئ، وجعلها واقعا بانتقاء المواد الثقافية، والتواصل مع جمعية المكفوفين الكويتية للاستفادة من خبراتها وجلب تجربتها وتطبيقها ليخرج المشروع بهذا التألق المشرف.

وكشف الشنفا لجمهور الإدارة عن جاهزية سبعة إصدارات ثقافية من حقول منوعة، شملت: كتاب صفة صلاة النبي ﷺ

للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، وكتاب شرح معاني أذكار الصلاة للدكتور عمر خليفة الشايجي، وكتاب صفة وضوء النبي ﷺ للشيخ فهد بن عبدالرحمن الشويب.

إلى جانب أربعة كتب أخرى من إصدارات مشروعها الثقافي (روافد)، وهي: ديوان شعر تلاميذ النبوة للشاعر عبدالرحمن العشماوي، رواية عينان مطفأتان وقلب بصير للدكتور عبدالله الطنطاوي، رواية فراشات مكة دعوها تحلق للكاتبة زبيدة هرماس، رواية ظلال وارفة للدكتورة سعاد الناصر.

وقد جرى تحويل الإصدارات إلى طريقة «برايل»، على أن يجري توزيعها بالتعاون ما بين الإدارة وجمعية المكفوفين الكويتية خلال الفترة المقبلة.

وأشاد العازمي بهذا التوجه الذي يستطيع الخروج بأنشطة الإدارة من أطر التقليد إلى رحاب التجديد، وهضم تجارب الغير واستيعاب خبراتهم ليمتزج من خلال ذلك الانتقاء الجيد بالوسائل العصرية ليفتح الباب على مصراعيه أمام تتابع حلقات من الشراكة مع هذه الفئة، وإتاحة مصادر الثقافة والفكر والمعرفة لها، ومحاولة امتلاك مقومات التواصل المستمر معهم.

ونبه العازمي إلى أن المشروع يسطر ملامح جديدة لمرحلة من أدق مراحل التواصل



الثقافي، مقدما بذلك النموذج الأمثل الذي تتكاتف من خلاله مؤسسات الدولة لخدمة المجتمع وتطوير أفراده.

وفي سياق متصل، عول العازمي على هذه الخطوة، معتبرا إياها فاتحة خير تبشر بالمزيد من صور التقارب لاقتحام عوالم ذوي الاحتياجات الخاصة وتلبية مطالبهم، كاشفا عن أن الإدارة تعكف حاليا على طرح مجموعة جديدة من الإصدارات الثقافية التي تتناسب مع شريحة الصم والبكم سيجري تهيئتها لترى النور قريبا، متمنيا أن يستطيع المشروع تحقيق أهدافه، وتقديم خدمة معرفية لأبنائنا من ذوي الاحتياجات الخاصة، تترجم توجيهات قيادات العمل في الوزارة التي أعطت إشارة البدء للتواجد المكثف مع هذه الجهات ومعاونتها.

القاهرة - إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

٣ أسباب وراء إقبال الأفارقة على الإسلام أكثر من غيرهم

الشيخ وحيد بالي: إفريقيا قارة الإسلام



أكد الداعية الإسلامي المعاصر في القارة السمراء الدكتور وحيد عبدالسلام بالي، أن إفريقيا دولة خصبة يدخل مواطنوها الإسلام أكثر من أي قارة أخرى.
وأوضح في حواره مع «الوعي الإسلامي» أن الداعية الكويتي الراحل الدكتور عبدالرحمن السميط -رحمه الله- بذل جهودا كبيرة في نشر الإسلام في إفريقيا، وترك آثارا حميدة في كل ربوع القارة السمراء يسير عليها الدعاة المعاصرون حاليا. وتطرق بالي إلى تجربته الدعوية، وإلى العقبات التي تصادف الدعاة هناك، إلى غير ذلك من التفاصيل التي نتعرف عليها في الحوار التالي:

■ لك تجربة دعوية مثمرة في إفريقيا، حدثنا عنها.

- في البداية، حينما فكرنا في أن نتجه إلى دعوة غير المسلمين في إفريقيا انطلقنا من جمعية «تبليغ الإسلام»، التي تطبع الكتب الإسلامية بأكثر من ١٣٠ لغة وتوزعها مجانا في كثير من دول العالم، وتلقينا رسالة من أحد أعضاء الجمعية في دولة ملاوي، أوضح فيها أن عدد سكانها ١٥ مليونا ونسبة المسلمين فيها قرابة ٣٠ في المئة، وأنهم أرسلوا هناك أحد الدعاة ودعا بعض الناس إلى الإسلام فأسلموا، وهو يعلم المسلمين القدامى ويعلم المسلمين الجدد، وطلب منا في رسالته الحضور لتعليم المسلمين أمور دينهم، وبالفعل ذهبنا إلى ملاوي، وكنا في بداية الرحلة نصل إلى القرى التي فيها مسلمون وغير مسلمين، ونلتقي بالمسلمين فقط نعلمهم أمور دينهم، وفوجئنا بعدد من القرويين غير المسلمين يسألوننا عن الإسلام والمسلمين وموقف الإسلام من عيسى ابن مريم، فنبين لهم أن الإسلام يؤمن بأن عيسى -عليه السلام- رسول من عند الله، فكانوا يتعجبون جدا، وكأنهم لأول مرة يسمعون هذه المعلومة، وكانوا يظنون أننا كمسلمين نكذِّب بعيسى كما أنهم يكذبون بمحمد ﷺ، فقلنا لهم بل نحن نؤمن بعيسى وجميع الرسل، وأي مسلم لا يؤمن بعيسى -عليه السلام- لا يصح

إسلامه، فكانوا يشعرون بالصدق في كلامنا، وبفضل الله تعالى أسلم سبعة من الرجال، وكانت هذه أول مرة يسلم على أيدينا أحد هناك، مما أعطانا دفعة قوية بأن نناقش الناس ونكلمهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ونبين لهم ما يخفى عليهم من أمور الإسلام ونوضح لهم أنه من تمام إيمانهم بعيسى -عليه السلام- أن يؤمنوا بالنبي الذي بشر به عيسى.

وفي خلال أسبوع من مرورنا على عدة قرى أسلم قرابة الألف شخص، وهذه الرحلة طبعت في كتاب بعنوان «رحلتي إلى ملاوي وموزمبيق التي أسلم فيها ألف شخص».

وفي يوم خرجنا من الفندق إلى السوق والتقينا بالناس هناك وكلمناهم عن الإسلام، فأسلم ١٣ رجلا وامرأة وحضروا إلى الفندق وعلمناهم الوضوء والصلاة. والمرأة هناك إذا أسلمت تطلب الحجاب مباشرة، فوزعنا عليهن الحجاب فسعدن جدا به، فسألت أحد المترجمين: «لماذا تفرح المرأة بالحجاب هكذا؟»، فقال لأن المرأة هنا فقيرة تستر نفسها به إذا خرجت، وفي الليل تستخدمه غطاء لأنها لا تملك شيئا.

وجلسنا نضع استراتيجية كاملة لكيفية العودة إلى دول إفريقيا بشيء من الترتيب والتنظيم والجهد الذي يجب أن يضاعف، وأبلغنا بعض إخواننا من الدعاة ورجال الأعمال والتجار، وأنشأنا مؤسسات في ٤ دول.

٩٥٠ قرية أسلمت

■ ما استراتيجيتكم في الدعوة إلى الله؟

- إذا أردنا أن ندخل قرية ننشئ فيها مؤسسة دراسية دعوية تعليمية بإدارة قانونية وفقا لبلدها، وهذه البلاد مفتوحة جدا، وفيها حرية في جميع الأديان، فمن يرد أن يدعو إلى الإسلام أو النصرانية أو اليهودية أو أي ديانة أخرى فالحرية مكفولة لهم، وأينما كانوا.

نشرنا الإسلام في ٩٥٠ قرية برواندا وأوغندا وتنزانيا وملاوي خلال ٣ سنوات

درسنا هذه الدول فوجدنا أن لكل قرية ملكا عليها، فنتفق معه ليجمع الناس وندخل عليهم بالهدايا والمساعدات، ثم نكلمهم عن الإسلام ومحاسنه، ونتلقى منهم الأسئلة ونجيب عليها، ثم ندعوهم إلى الإسلام، يعتنقه البعض، ونخبرهم أن ديننا لا يكره أحدا على الدخول فيه، بل لابد أن يكون مقتنعا، وأن الهدايا نوزعها على من أسلم ومن لم يسلم، لا نفرق؛ حتى لا يطمع أحد ويعتنق الإسلام من أجل المساعدات، فيفرحون جدا ويعرفون أننا منصفون.

ولابد أن نقرر لمن أسلم مرحلة ثانية تكمن في المتابعة؛ حيث تعتمد على ٤ أشياء لكل قرية: الأول استئجار بيت وجعله مسجدا ومدرسة لتقام الصلاة من أول يوم، الثاني الإتيان بمدرس ليعيش معهم عاما كاملا يعلمهم دينهم ويؤمهم ويصلي بهم، الثالث حفر بئر للقرية إن لم تكن فيها بئر، الرابع بناء مسجد في القرية. ونعمل الآن في ٤ دول: رواندا وأوغندا وتنزانيا وملاوي، وكل دولة اعتنق فيها عدد كبير من القرى الإسلام، تقريبا ٩٥٠ قرية خلال الأعوام الثلاثة الماضية، وأنشأنا فيها ٩٥٠ مدرسة، وما زال التثبيت قائما.

وقد طبعنا كتبا بلغات هذه البلاد، صفحة باللغة العربية وأخرى باللغة المحلية، ولابد أن يكون المعلم لهم من هذه البلاد، خريج الأزهر الشريف أو الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أو خريج مركز من المراكز الإسلامية هناك؛ حيث يعلم لغتهم واللغة العربية فيشرح لهم، وأصدرنا كتبا للمبتدئين في الإسلام في الفقه والعقيدة والسيرة والحديث، وطبعنا منها أكثر من ١٩٠ ألف نسخة وتم توزيعها على المدارس القائمة، وما زالت القوافل الدعوية تجوب البلاد، والحكومات والمسؤولون متعاونون جدا؛ لأنهم يرون أننا إذا نزلنا قرية حفرنا بئرا ونترك المسلمين وغيرهم يشربون منها، لأن الآبار هناك مهمة جدا وليست هناك مصادر للمياه غيرها.

السميط.. آثار حميدة

■ هل التجربة الناجحة للداعية الكويتي الراحل الدكتور عبدالرحمن السميط كانت دافعا لمزيد من الجهد لك؟

- مما لا شك فيه أن الدكتور عبدالرحمن السميط -رحمه الله- بذل جهودا كبيرة في هذا المجال، وهو أكثر منا عطاء؛ لأنه استقر في إفريقيا بينما نحن نذهب أسبوعا ونعود شهرا أو أقل أو أكثر، ونترك هناك موظفين قائمين على هذه المناطق، لكنه -رحمه الله- وكما قرأت عنه استقر هناك قرابة الـ٢٥ عاما، يسكن هناك ١٠ أشهر ويعود إلى الكويت شهرين فقط، مما جعله يقدم عطاء أكثر. وبلا شك استفدنا من مؤسساته، فما نزلنا دولة من الدول إلا وجدنا له فيها مؤسسة تعمل على قدم وساق. وكان يعمل على عدة محاور: الطبي؛ لكونه طبيبا، فيبني المستشفيات، ويعمل على المحور الدعوي، وكذلك بنى جامعات ومدارس، وحفر آبارا، وبنى مساجد، وله آثار حميدة ملموسة



في معظم المناطق التي نزلناها في إفريقيا.

■ وكيف ترى وضع الإسلام في إفريقيا في ظل وجودك داعية بها؟

- إفريقيا دولة خصبة، والأفارقة يدخلون الإسلام أكثر من الأوروبيين؛ لعدة أسباب: أولا قلة التشويه الإعلامي الموجود هناك، أما في أوروبا فالتشويه الإعلامي للإسلام أكبر.

الأمر الثاني أن الرجل الإفريقي ينظر إلى العربي على أنه مثقف ومتعلم فيصغي إليه، بخلاف الأوروبي الذي ينظر إلى العربي نظرة أنه أقل منه في الثقافة فلا يصغي إليه بسهولة.

الأمر الثالث أن الإفريقي ليست عنده دنيا يسعى إليها، والأوروبي قد يعلم أن الإسلام حق لكنه لا يعتنقه خوفا على منصبه أو مكانته أو ماله وتجارته، أما الإفريقي الفقير إن اقتنع بالإسلام اعتنقه وإن لم يقتنع فلا يمكن أن يدخل مهما أغريته، وهو مؤدب جدا في ذلك، فهذه الأسباب الثلاثة أعطت الدعاة حرية كاملة في عرض الإسلام بأسلوب طيب.

ومن الأشياء التي أثرت فينا أننا ذهبنا إلى أهل بعض القرى وسألناهم: «هل جاءكم أحد قبل ذلك ودعاكم إلى الإسلام؟». قالوا: «لا، ما الإسلام؟». كدت وقتها أن أبكي؛ لأنه ما زال أناس على وجه الأرض لا يعلمون ما هو الإسلام، فينبغي أن نبلغ عنه بشتى الوسائل؛ أما الهداية فبيد الله سبحانه وتعالى، وكذلك دعونا إلى الإسلام في كنيسة، واعتنق راعيها الإسلام، وهذا يدل على أنه ليس هناك تعصب وأن الأمر حرية شخصية.

■ وكيف تقيم تجاوب الأفارقة مع الإسلام؟

- الناس هناك ينتظرون من يبين لهم الحقائق، ولا يترددون في اعتناق الإسلام إذا عرض عليهم بشكله النقي الصافي وأنه دين الصدق والسماحة والعفو والأمانة وبر الوالدين ونحو ذلك من الأخلاق الطيبة المباركة.

الدعوة بالرفق واللين

■ حدثنا عن أهم مشايخك، وماذا استفدت منهم؟

- من العلماء الذين تتلمذت على أيديهم واستفدت منهم: الشيخ أبوبكر الجزائري، الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، كذلك الشيخان ابن باز وابن عثيمين، والمحدث محمد ناصر الدين الألباني -رحمهم الله تعالى- وغيرهم من العلماء.

ومما لاشك فيه بعد أن أخذت العلم كنت أستفيد من طريقتهم في التدريس والفتاوى والمعاملات، ومن أهم الأشياء التي استفدت منها الرفق واللين في الدعوة إلى الله والتماس العذر للمخالف في وجهة النظر، وأيضا حسن الخلق مع الناس جميعا، وإن النبي ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك

بحسن خلقه درجة الصائم القائم». وكذلك تعلمت الصبر على طلب العلم ومحبة الخير للمسلمين جميعا، وأن يبيت الرجل وليس في صدره شيء لمسلم، لأن هذا سبب من أسباب دخول الجنة، وغير ذلك من الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها العالم مهما كان علمه كثيرا، فإن فقد الأخلاق الطيبة والمعاملة الحسنة لن ينتفع الناس بعلمه، وإن فقد الرفق واللين مع العامة والطلاب على حد سواء سيكون تأثيره في الناس قليلا.

■ لك محاضرة عن «فضائل العلماء».. ما أبرز هذه الفضائل من وجهة نظرك؟

– هناك حقيقة تاريخية لابد أن يعرفها الناس جيدا، ولو عرفوها لأدركوا قيمة العلماء: كان بنو إسرائيل إذا مات النبي لا ينقادون إلا لنبي؛ فيبعث الله نبيا بعده يقودهم إلى الله عز وجل، إلا هذه الأمة؛ فقد جعل الله النبي محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، وأقام العلماء مقام الأنبياء، فقال النبي: «العلماء ورثة الأنبياء»، فالعلماء ورثوا علم النبي ﷺ، فالعالم قد يدعو الله وقد يصاب أو يضطهد أو يسجن أو غير ذلك، وتصيبه البلايا كما كان الأنبياء، من قتل وتشريد وتعذيب وغيرها. لو نظرنا إلى العالم هذه النظرة لوجدنا أن العالم يستحق الاحترام والتقدير.

العالم يترك أهله وزوجه وتجارته وأشياءه ويسعى إلى تعليم الناس مجانا لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا، بينما يصبح الآخرون من أهل الدنيا ويمسون على تجارتهم وهمومهم وهموم أولادهم، أما العالم فيمسي ويصبح على هموم الآخرين، فهمومه هي هموم الأمة. ومن هنا نعلم أن العلماء لهم قدر عظيم عند الله، ولذلك قال النبي ﷺ: «معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر».

ما نزلنا دولة إلا ووجدنا فيها للسميط رحمه الله مؤسسة تعمل على قدم وساق

■ إلى أي مدى ترى أهمية الدعاة في توضيح تطورات الواقع مع الإبقاء على ثوابت الشرع؟

– العالم يجب أن يفهم الواقع قبل أن يصدر الفتوى، وعلماء الأصول يقولون إن «الفتوى فرع التصور، فلابد أن يتصور الإنسان الواقعة تصورا جيدا ثم يفتي، فإن لم يستطع التمكن من هذا التصور فيكفيه قول: لا أدري». فلو أن عالما من العلماء سئل عن مسألة وهو لا يعرف الواقع فيها، فعليه أن يسأل أهل الاختصاص، فمثلا لو سئل عن حكم زراعة الكبد وهو لا يعرف كيف تتم الزراعة فلا يجوز له أن يفتي، وعليه أن يسأل طبيبا متخصصا فيشرح له كيفية الزراعة تماما وما هي المضاعفات إلى آخره، وبناء على هذه التصورات يستطيع أن يفتي بالجواز أو عدمه.

وسائل الدعوة

■ نشهد حالة من الدعوة لتجديد الخطاب الديني.. فما وسائل الدعوة في هذا العصر الحديث؟

– وسائل الدعوة في العصر الحديث كثيرة ومتشعبة، وينبغي أن يستثمر كل مسلم وسيلة من هذه الوسائل المتاحة للدعوة إلى الله، فمن يستطع أن يدعو عبر خطب الجمعة فليفعل، أو من خلال المحاضرات أو الصحف والمجلات وتأليف الكتب وعبر وسائل التواصل الاجتماعي مثل «فيسبوك» و«تويتر» و«واتس آب» و«يوتيوب» وغيرها، فهذه الوسائل الحديثة أصبحت الآن تجوب الأرض كلها، ويستطيع العالم أن يلقي محاضرة عشر دقائق مركزة يبثها على وسائل التواصل يسمعها الملايين، فينبغي أن تستثمر هذه الوسائل في الدعوة إلى الله قدر الإمكان لإيصالها إلى المسلمين أجمعين في شتى أنحاء العالم، وكذلك إلى غير المسلمين، وهناك أناس يسلمون عبرها.

■ من أكثر الفئات التي تهتم بها في دعوتك؟

– ينبغي أن تكون دعوتنا شاملة لكل الفئات، للرجال والنساء والشباب، لكن أرى التركيز على الشباب خاصة؛ لأنهم عماد المجتمع ويستطيعون أن يتحركوا بهذه الدعوة، وبعدهم مباشرة نركز على النساء لإعداد داعيات مسلمات عالمات يقمن بالدعوة في المجتمع النسائي، لأن المرأة قد تؤثر في زوجها وأبنائها، بل إنها كما قال البعض: «المرأة تلد نصف المجتمع وتربي لنا النصف الآخر، فهي المجتمع بأسره».

■ أسلم على يديك كثيرون.. فما الصفات التي ينبغي أن تتوافر في الداعية الذي يقوم بنشر الإسلام؟

– إذا أراد الداعية أن تكون دعوته ناجحة، لاسيما إذا كان يتعرض إلى دعوة غير المسلمين، فعليه بأمور أولها سعة الصدر والسماع من المخالف حتى ينتهي من إلقاء حجته كاملة، الثاني الإخلاص، فإن العمل القليل مع الإخلاص له ثمرة عظيمة جدا، الثالث يكمن في أن يكون العمل ذا استراتيجية منظمة ومركبة، بمعنى أن العمل المؤسسي أكثر أثرا من العمل الفردي، وهناك أيضا ما يكمن في معرفة المجتمع بعاداته وتقاليده قبل أن يدخل فيه، فنقوم بدراسة كاملة على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وجميع الأعراف ونفسيات المجتمع.

د. محمد رشيد العويد
إستشاري شؤون الأسرة

حوار مع مبتلى حزين

ألقيت عليه السلام، فرد علي بصوت واهن حزين: «وعليكم السلام».
مازحته قائلا: «الله أمر أن تحييني بأحسن من تحيتي ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ (النساء:٨٦)».
قال: «أكمل الآية: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾»!
ابتسمت وقلت: «إنما أردت أن أخرجك من حزنك الذي ملأ قلبك وكشفته تعابير وجهك».
قال: «هموم يا أخي أتعبتني، وديون أرهقتني، وأمراض تكاد تفتك بي».
قلت: «أغبطك».
قال منفعلا: «تغبطني على هموم وديون وأمراض؟!».
قلت: «لو صبرت عليها، واحتسبتها، وعلمت ما لك من أجر على صبرك واحتسابك لعذرتني على غبطتي إياك».
قال: «أي أجر يا أخي؟!».
قلت: «إنه أجر عظيم، وثواب جزيل، سيغبطك عليه الذين لم يصابوا بمثل ما أصبت به، ولكن ليس اليوم».
قال: «متى؟ غدا؟».
قلت: «يوم القيامة، حين يجدون ما يعطيك الله سبحانه وتعالى جزاء صبرك واحتسابك في الدنيا، حتى إنهم ليتمنون أنهم أصيبوا بأكثر مما أصبت به أنت».
قال: «كيف هذا؟».
قلت: «هذا ما أخبرنا وبشرنا به النبي ﷺ في حديثه الذي يقول فيه: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض» (حسنه الألباني في صحيح الجامع)».
قال: «قرض الجلد بالمقاريض ألمه شديد يكاد يكون الصبر عليه من المحال».
قلت: «أرأيت؟! ومع ذلك فإن أهل العافية، أي الذين لم يصبهم بلاء في الدنيا، يتمنون ذلك؛ لينالوا ما يناله أهل البلاء من ثواب في الآخرة».
قال: «خصوصا أن عذاب الدنيا الفانية أهون وأقصر من عذاب الآخرة الباقية فهو أشد وأبقى».
قلت: «أحسنت، بارك الله فيك. قال عز وجل: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه:١٢٧)».
قال: «قرض الجلود بالمقاريض هل يعني تقطيعها؟».
قلت: «جاء في تحفة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي: قوله: يود، أي: يتمنى. «أهل العافية»، أي: في الدنيا. «قرضت» بالتخفيف، ويحتمل التشديد للمبالغة والتأكيد، أي: قطعت في الدنيا قطعة قطعة.
بـ«المقاريض»، جمع مقراض؛ ليجدوا ثوابا كما وجد أهل البلاء. قال الطيبي: الود: محبة الشيء وتمني كونه له، ويستعمل في كل واحد من المعنيين من المحبة والتمني، وفي الحديث هو من المودة التي هي بمعنى التمني».
قال: «ولكني أخشى أن ما أصابني دلالة على غضب الله علي!».
قلت: «بل دلالة على حبه سبحانه إن شاء الله، كما أخبرنا ﷺ: «عظم الأجر عند عظم المصيبة، وإذا أحب الله قوما ابتلاهم» (صحيح الجامع)».
قال: «طمأنتني وأسعدتني أسعدك الله».
قلت: «ومحبة الله تعالى عبده ليست بالشيء الهين، إن أمرها عظيم، وتعني كثيرا».
قال: «حدثني عن بعض ما تعني محبة الله».
قلت: «يقول ابن القيم رحمه الله: إذا أحب الله عبدا أنشأ في قلبه محبته، فإذا أحبك جعلك من خاصته، إنها درجة الولاية، وهبك الإيمان فأعلى درجتك عنده».
قال: «هل أستبشر من هذا بأني سأنجو من النار فلا أدخلها؟».
قلت: «إذا ظفرت بمحبته سبحانه فلن تدخلها إن شاء الله».
قال: «أحق ما تقول؟».
قلت: «لقد أقسم النبي ﷺ على ذلك فقال: «والله لا يلقي الله حبيبه في النار» (صحيح الجامع)».
قال: «زادك الله سرورا كما زدتني راحة وسرورا».
قلت: «أتضيق بعد هذا بما يصيبك؟».
قال: «كيف أضيق إذا كان هذا من محبته تعالى لي؟!».
قلت: «قال ﷺ: «من يرد الله به خيرا يصب منه» (صحيح البخاري)».
قال: «الله الله، ما أجمل هذا، إنه سبحانه يريد بي خيرا إذن حين أصابني بما أصابني به».
قلت: «جاء في شرح الحديث: إن من أراد الله به خيرا في الدنيا وفي الآخرة؛ برفع الدرجات، وحط الخطايا والسيئات، وتعظيم الأجور؛ فإنه سبحانه يرسل إليه ألوان المكاره، فيصيب منه في نفسه بالأوجاع والأمراض والهموم والأمور المؤلمة المتنوعة التي يسوقها الله إليه، مما يكدر خاطره. ولربما كان ذلك في ماله، ولربما كان ذلك في ولده، أو في من يحب، كل هذه الأمور يسوقها

عز وجل إلى المؤمن ليكون ذلك خيرا له، فإذا استشعر المؤمن هذا المعنى -أن ذلك لإرادة الخير به- فإنه لا مجال للحزن والحسرات التي تنتاب الكثيرين على ما فاتهم من هذه الحياة الدنيا، وما يقع لهم فيها من الأمور المشوشة والمؤلمة، فإن ذلك يكون خيرا لهم».

قال: «الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله».

قلت: «هل أنت بلا ذنب؟ هل أنا بلا ذنب؟ من منا يخلو من الذنوب؟!».

قال: «قال ﷺ: «كل بني آدم خطاء» (صحيح الجامع).

قلت: «والله يكفر عنا ذنوبنا وخطايانا بما يصيبنا به من البلاء.. قال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» (صحيح الجامع)».

قال: «ما أجمل هذا وما أحسنه، ألقى الله وما علي خطيئة فأنجو من النار وأدخل الجنة!».

قلت: «وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن؛ أن يعلم أن أمره كله له خير، يشكر الله على السراء فيؤجر، ويصبر على الضراء فيؤجر، كما قال ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (صحيح مسلم)».

قال: «كيف يحزن المؤمن بعد هذا؟!».

قلت: «لهذا قالوا إن السعادة في ثلاث: من إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر».

قال: «ينبغي أن نربي أبناءنا على هذا».

قلت: «ولن يتربى الأبناء عليه إذا كان الآباء والمعلمون يفقدونه، كما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه».

قال: «ما أهم ما نحتاج إليه لنستقبل الابتلاء بالرضا والتسليم؟».

قلت: «الصبر. والصبر رزق من الله، كما قال ﷺ: «ما رزق عبد خيرا له ولا أوسع من الصبر» (صحيح الجامع). ولذا علينا أن نسأل الله أن يرزقنا إياه».

قال: «هذا يعني أن الصبر من الله؟».

قلت: «نعم، ذكر ذلك النبي ﷺ في قوله: «تنزل المعونة من السماء على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة» (صحيح الجامع)».

قال: «المشكلة أننا لا نصبر، إذا صبرنا، إلا متأخرين، فنجزع حين تدهمنا المصيبة، ثم يأتي من يذكرنا فنرجع، كما حدث معي اليوم فذكرتني ووعظتني».

قلت: «لهذا ينبغي أن ننتبه؛ فالصبر يكون عند الصدمة الأولى، كما قال ﷺ».

قال: «هل من آداب في الصبر على البلاء؟».

قلت: «لعل آداب الصبر على البلاء ظهرت لنا جلية خلال حوارنا، ومنها الرضا وعدم التسخط، والاستبشار بالأجر، والثناء على الله فلا يشكوه إلى الناس».

قال: «يشكو الله إلى الناس؟!».

قلت: «حين يعبر عن تبرمه وضيقه بما ابتلاه الله من مرض وسواه، فإنه يشكوه سبحانه إلى الناس».

قال: «وإن تأدب العبد بتلك الآداب فلاشك في أنه يحظى برضا الرب عنه، وينال ثوابا منه وأجرا».

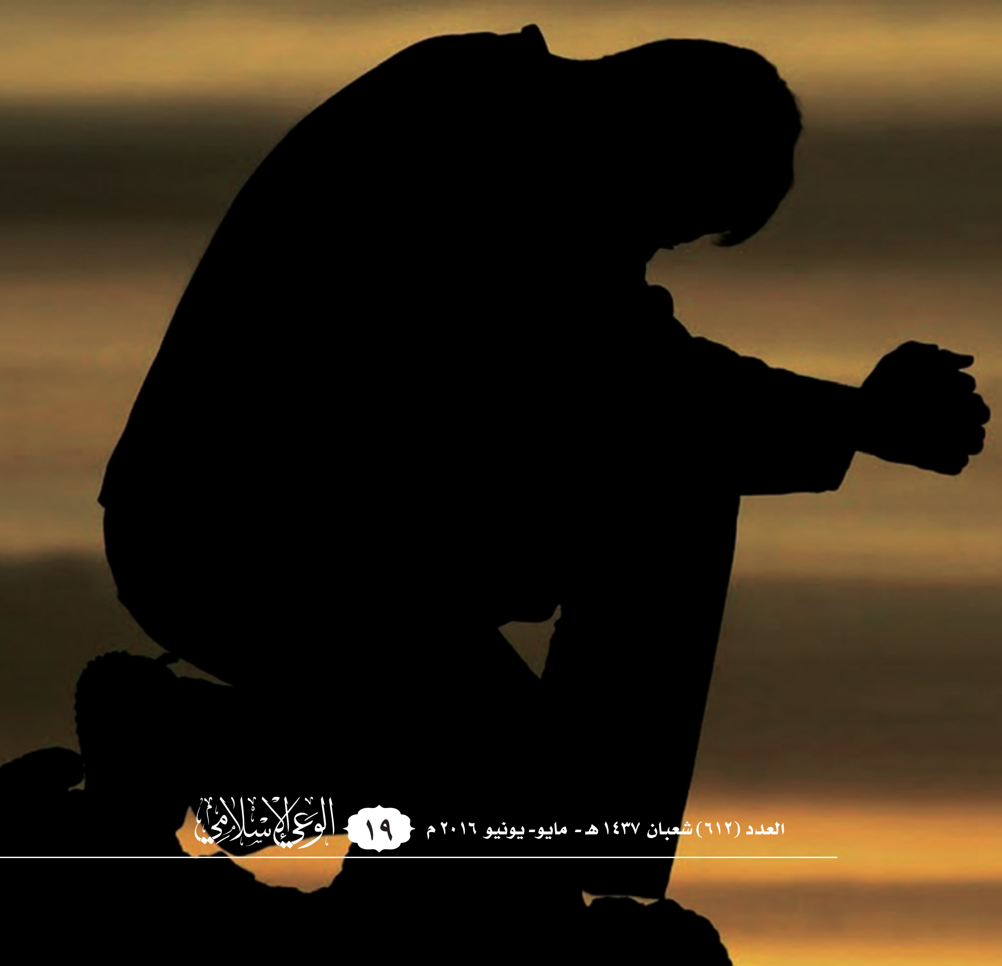
قلت: «يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «إذا ابتليت عبدي المؤمن؛ فلم يشكني إلى عواده، أطلقته من إساري، ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه، ودما خيرا من دمه، ثم يستأنف العمل» (صحيح الجامع)».

قال: «المقصود بعواده هم الذين يزورونه في مرضه، أليس كذلك؟».

قلت: «بلى، وقال المناوي في شرح الحديث: «إذا ابتليت عبدي المؤمن»، أي إذا اختبرته وامتحنته ولم يخبر بما عنده من الألم زواره في مرضه، شفيته منه، وأخرجت المرض من لحمه ودمه، وكفرت عنه عمله السيئ ليخرج كيوم ولدته أمه، ثم يستأنف حياته صحيحا معافى».

قال: «جزاك الله خيرا، فقد شرح الله صدري بكلامك، وأزال همي ببيانك، وليتك تنشر ما دار بيننا ليطلع عليه أكبر عدد من المؤمنين المبتلين، فيكونوا من الصابرين الراضين».

قلت: «أفعل إن شاء الله».



السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

الخمول.. آفة حضارية



حينما تؤذن شمس حضارة ما بالغروب، فإنها تكون على حالة تشبه حالة من أشرف على الهلاك من كثرة ما أصابه من علل وأمراض؛ لا تكاد تسمع لها صوتا ولا تدرك لها أثرا، كأنها اختفت من عالم الوجود، وطواها النسيان طيا..!!

أمتنا قد طال العهد بها قريبا من هذه الحالة التي أصابت أمما وحضارات كثيرة دون محاباة؛ فللنهوض سننه وقوانينه، وللسقوط أيضا سنن وقوانين، ومازالت تلك السنن والقوانين تفعل فعلها، وتترك بصماتها، وتفصح عن نفسها بلسان مبين: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ (الأحزاب:٦٢). (١).

وإذا فتشنا وراء الأسباب التي أدت إلى حالة الخمول الحضاري، التي لا تخفى شواهدها، فيمكن أن نخلص إلى عدة أسباب، من أهمها:

غفلة الأمة عن رسالتها

فالمسلم له رسالة، ودوره في التاريخ مرتبط بكون الإسلام هو كلمة الله الأخيرة للبشرية، وهذا الارتباط لا يعطيه استعلاء على الآخرين وإنما يحمله مسؤولية تجاههم. وإذا غفل المسلم عن رسالته وعن المنهج الذي يحمله صار مثل آحاد الناس؛ غايته في جسده، وهمه محصور في متاع فان؛ وبالتالي يكله الله إلى نفسه، ويحق عليه القانون الذي صاغه عمر ابن الخطاب حين قال لأبي عبيدة بن الجراح: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله» (٢).

ولا يوجد لدى المسلم دافع يبعثه على العمل والجد وعمارة الكون، مثل الدافع الإيماني الذي يجعله يملأ الأرض حركة وإبداعا في شتى المجالات؛ فعمارة الأرض بما تستلزمه من حيوية وهمة وفاعلية هي مطلب قرآني، وإحدى الغايات الكبرى للوجود الإنساني؛ قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هو:٦١).

اختلال العدالة الاجتماعية

حتى يكون المجتمع فاعلا حيا يأخذ بزمام المبادرة، فلابد من ضبط العلاقة بين فئاته وطبقاته، خاصة من الناحية المالية؛ فلا تستأثر فئة بالمال والامتيازات دون فئة، وإلا أصيب المجتمع بالوهن والتفسخ والتنابز والتناحر، وصارت طاقاته موجهة للهدم لا البناء، والتآكل لا التكامل.

وقد وضع الإسلام قاعدة مهمة جعل عليها المدار في تشريعاته المالية، وهي قوله تعالى: ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ ﴾ (الحشر:٧)، أي حتى لا يكون المال متداولا بين الأغنياء دون الفقراء والضعفاء.

ولاشك أن تحقيق العدالة الاجتماعية -في الناحية المالية وغيرها- ينزع أسباب الشحناء من النفوس، ويحول ما هو حاصل من تفاوت إلى تكامل وتساند. أما غياب هذه العدالة فإنه قد يدفع الشرائح المهملة إلى التعدي على ما بأيدي الآخرين، وإلى الانزواء والانتحاء جانبا واللامبالاة بالمصلحة العامة.

شيوع الظلم

وقد اختصر لنا فقيه الحضارة الإسلامية، ابن خلدون، الآثار الوخيمة المترتبة على غياب العدل، في عبارة صارت حكمة، وهي: «الظلم مؤذن

بخراب العمران».

كما تدلنا تجارب العصر الحديث على أن الحرية شرط أساس للنهضة والتقدم والفاعلية، وأن عدم ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم يكبت طاقات المجتمع ويهدرها، بحيث لا يشعر أصحاب المواهب -فضلا عن عموم الناس- بدافع للتقدم والمشاركة في البناء؛ الأمر الذي يؤثر سلبا على حركة المجتمع، ويوجد مناخا عاما مضادا للإبداع والنشاط.

الترف

العلاقة وطيدة بين الخمول والترف؛ ذلك أن المترف يفتقد الدافع النفسي للإنجاز والدأب، ويحمله توافر الإمكانات لديه على الخمول والكسل، وقد يغريه بالجري وراء شهواته وإرواء ظمئها الذي لا ينتهي.

وقد فصل الشيخ أبوزهرة عند تفسيره قول الله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء:١٦)، العلاقة بين الخمول والترف، وذكر ما يتصف به المترف، فقال: «الترف أن يسترخي الإنسان في إرادته وعزيمته وصبره، فيكون كل شيء فيه مسترخيا، فإرادته مسترخية، وعزيمته لا قوة فيها، ونفسه غير منضبطة، والشهوات حاكمة، والأهواء جامحة. والمترف يختص بثلاث خصال: ضعف في الإرادة، واندفاع وراء الأهواء والشهوات، وأثرة تجعله يعيش في محيط نفسه ولا يخرج عن دائرتها؛ ولذا كان المترفون دائما هم أعداء الأنبياء؛ لأنهم أوتوا أثرة مقيتة، وكل حق يحتاج إلى فداء، وجهاد وبلاء وجلاد» (٣).

في كيفية الخروج من الخمول

إن الأمم يعتريها من النشاط والكسل، ومن الهمة والخمول، ما يعتري الأفراد؛ غير أن من السهل أن نميز حالة الفرد وندركها ونحللها، بخلاف حالة الأمم؛ فتمييز حالتها يحتاج إلى زيادة في الفهم، ودقة في الملاحظة، ويقظة في العقل، ومعرفة بالسنن.. ولذلك فإن الفرد يسارع للطبيب بمجرد أن يحس أنه على وشك أزمة صحية، بينما أمة مثل أمتنا قد أصابتها السهام والأوجاع في مقتل منذ عقود ثم لا نجد رد فعل يكافئ هذه الحالة المخيفة من الخمول والتراجع الحضاري.

ومن هنا، نبه القرآن الكريم إلى أنه لا ينتفع بالسنن، ولا يدرك إشارات التنبيه والإيقاظ، إلا أصحاب العقول والبصائر؛ فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ (طه:١٢٨). جاء في «التفسير الكبير»: «قال الزجاج: يعني أفلم نبين لهم بيانا يهتدون به لو تدبروا وتفكروا. وأما قوله: (كم أهلكنا) فالمراد به المبالغة في كثرة من أهلكه الله تعالى من القرون الماضية. وأراد بقوله: (يمشون في مساكنهم) أن قريشا يشاهدون تلك الآيات العظيمة الدالة على ما كانوا عليه من النعم، وما حل بهم من ضروب الهلاك؛ وللمشاهدة في ذلك من الاعتبار ما ليس لغيره. وبين أن في تلك الآيات آيات لأولي النهى، أي لأهل العقول. والأقرب أن للنهية مزية على العقل، والنهى لا يقال إلا فيمن له عقل ينتهي به عن القبائح؛ كما أن لقولنا أولو العزم مزية على أولي الحزم» (٤).

كما نعى القرآن الكريم على المنافقين غفلتهم وعدم إفادتهم من الحوادث ومواطن العبر، فقال: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٦). قال ابن عاشور: «والاستفهام هنا إنكار وتعجيب لعدم رؤيتهم فتنتهم؛ فلا تعقبها توبتهم ولا تذكرهم أمر ربهم. والغرض من هذا الإنكار هو الاستدلال على ما تقدم من ازدياد كفر المنافقين وتمكنه، كلما نزلت سورة من القرآن بإيراد دليل واضح ينزل منزلة المحسوس المرئي، حتى يتوجه الإنكار على من لا يراه» (٥).

فلكي تخرج الأمة من حالة الخمول هذه التي أصابتها وتوطنت فيها، لابد من توافر الوعي والاستبصار بالسنن وبقوانين النهوض والسقوط، وأن ننفض عنا أردية الغفلة والتواكل والانهزامية، إضافة إلى الإفادة، لا أقول من تاريخ الأمم السابقة فحسب، وكيف نهضت ثم تحللت واندثرت، بل الإفادة من تاريخنا نحن في عصور تألقه وازدهاره؛ بإعادة قراءته قراءة واعية، وليس مجرد التباهي به والارتكان إلى عظمة ما قدمه أوائلنا المبدعون.

كما أننا بحاجة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ليقوم كل مواطن بدوره الفعال في معادلة «الحقوق والواجبات»، وإلى ضبط العلاقة بين الحكام والمحكومين، وإفساح المجال نحو مشاركة أوسع من الجماهير، ليشعر كل مواطن بأن لرأيه قيمة ولحقوقه كامل الاحترام؛ ومن ثم يبادر من تلقاء نفسه ليكون عضوا فاعلا في مجتمع موار بالحركة والنشاط والإبداع.

الهوامش

١- قال الرازي: «يعني هذا ليس بدعا بكم، بل هو سنة جارية وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين. (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يبدل وينسخ؛ فإن النسخ يكون في الأحكام، أما الأفعال والأخبار فلا تنسخ». انظر له: «التفسير الكبير»، تفسير سورة الأحزاب، نقلا عن «المكتبة الإسلامية»، موقع «إسلام ويب».

٢- رواه المنذري في «الترغيب والترهيب»، ٣/ ٣٥١، برقم ٤٣٩٣، نقلا عن «المكتبة الشاملة».

٣- «زهرة التفاسير»، للشيخ محمد أبوزهرة، سورة الإسراء، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٤- «التفسير الكبير»، للرازي، سورة طه، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٥- «التحرير والتنوير»، لابن عاشور، سورة التوبة، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

د. آندي حجازي
علم النفس التربوي



موجة التبعية والخمول.. كيف نواجهها؟

تمر على الأمم والشعوب موجات من الصعود والهبوط، موجات من الإتقان وموجات من الخذلان، موجات من التقدم وموجات من التراجع، وموجات من العطاء والإبداع والهمة العالية وموجات من التبعية والتقليد والخمول. والناظر لحال أمتنا العربية اليوم يرى أنها قد هبت عليها رياح التأخر والتبعية والخمول! يراها وكأنها لا تملك الدافعية للإنتاج والعطاء والسير قدما مع أن لديها أعظم دين وأعظم رسالة للبشرية! ويجد أنها أصبحت أمة تابعة للغير ومقلدة ومستهلكة، تلفها موجة من الخمول والكساد والاتكال على الآخر، ويسود أبناءها التفكير السلبي المعتمد على الغير وأن لا قدرة لدينا للإنتاج والإبداع أو حتى التفكير!

أبناء أمتنا اليوم في سبات عميق، في شغل عظيم، في وهم كبير، استمرأوا الراحة والدعة، أعجبهم الخمول والنوم في أحضان الأمم الأخرى، فهم في راحة وكسل وغيرهم في شغل وعمل؛ يواصلون الليل بالنهار ليبدعوا وينتجوا ويغيروا من تاريخ أمتهم ليصنعوا فرقا وحضارة ترسم الحاضر والمستقبل، ونحن في انبهار وشكر وتقليد لهم وكأننا ليس لنا باليد حيلة! فثقافتنا أصبحت ثقافة الخمول والاتكال على الآخر وثقافتهم أصبحت ثقافة العلم والإنتاج والاعتماد على

الذات وسبق الآخر! ومن يكون حاله الخمول يخشى على أمته من الاندثار والاحتلال والسير خلف الركب.
أين ينفق أبناؤنا جل وقتهم واهتماماتهم؟
إنهم ينعمون صبح مساء في نتاجات التكنولوجيا ووسائل الترفيه والتواصل الاجتماعية، فتارة تجدهم على الفيسبوك أو الواتسآب وتارة على التويتر والإنستجرام، وتارة يقلبون القنوات التلفزيونية يبحثون عن جديد الأفلام والأغاني... يضيعون أوقاتهم بلا مساءلة أو اكتراث، بين أيديهم إما هاتف متنقل أو جهاز محمول أو ثابت يتنقلون بين البرامج والأفلام والرسائل.
لقد وفرت لنا التكنولوجيا اليوم كل وسائل الراحة والرفاهية والوقت، ولكننا في المقابل لم نستثمر تلك الأوقات بما يعود بالنفع والفائدة، بل العجيب أنه زاد حجم الكسل والخمول بين أبنائنا، وصار الواحد منهم يقضي يومه وجل أوقات فراغه في النوم أو في تصفح ومتابعة كل ما تبثه تلك الوسائل الترفيهية، وكأنه لا قيمة للوقت لدينا! ولذلك سبقتنا كل تلك الأمم التي ترعرعت على تقدير قيمة الوقت.
بل وانظر لطلبتنا كيف يتفنن الكثير منهم في أساليب الغش في الامتحانات، طلبا للراحة والدعة والخمول العقلي والذهني! فكيف سيكون مستقبلهم إن استمروا في طلب الراحة بدلا من الجد والمثابرة؟
وتأمل على سبيل المثال لا الحصر؛ إلى أحد التابعين الكبار عطاء بن أبي رباح الذي أمر أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك بأن لا يفتي في المسجد الحرام غير عطاء لسعة علمه، فقد سما إلى مرتبة لم ينلها إلا نفر قليل من معاصريه، وجلس للفتوى في المسجد الحرام أكثر من عشرين عاما، وقد ورث هذا المنصب من الصحابي الجليل عبدالله بن عباس حبر الأمة، وقد كان عطاء عبدا وأعتقته سيدته المكية لِما وجدت به من همة ونشاط في حب العلم والتعلم وكثرة العبادة، فقد كان يقسم وقته ثلاثة أقسام: قسم لخدمة سيدته، وقسم لعبادة ربه، وقسم لطلب العلم، فقد كان يقبل على من بقي حيا من الصحابة الكرام فينهل من علمهم.
وسأل محمد بن سوقة -وهو أحد علماء الكوفة وابن أخي عطاء- سأله يوما نصحية: فأجاب عطاء: يابن أخي، إن الذين قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام، فقال محمد بن سوقه: وما فضول الكلام؟ فأجاب عطاء: «كانوا يعدون كل كلام فضولا ماعدا كتاب الله عزوجل أن يقرأ أو يفهم، وحديث رسول الله ﷺ أن يروى ويدرى، وأمرا بمعروف أو نهيا عن منكر، وأن تتكلم بحاجتك ومعيشتك التي لابد لك منها»، وأضاف: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ (الانفطار: ١٠-١١).
فانظر كم نخوض اليوم في فضول الكلام، وكم نضيع من أوقات في التوافه! جعلتنا نوصم بوصمة الكسل والخمول بدل الإنتاج، فكيف فهم الأئمة الأربعة الدين وكيف فهمه علماؤنا الأجلاء فأبدعوا وأنتجوا وكيف نفهم نحن الدين؟

أين تكمن المشكلة؟

لا مشكلة في أن يصبح العالم بين يديك وأن تحصل على المعلومة في أقل من ثانية، فهذه من نعم الله علينا، ولكنها تصبح نقمة إن أصبحت فقط للتسلية وإضاعة الوقت والاسترخاء والخمول لا للفائدة والبناء والعطاء.
والمشكلة الحقيقية تبرز في حجم الإنتاج المسجل لأمتنا العربية اليوم؛ فكم من اختراع يذكر لنا؟ وكم براءة اختراع مسجلة لأبناء أمتنا العربية من أقصاها إلى أقصاها؟ وكم من عالم أخرجنا في هذا الزمان؟ وكم من سلعة عربية منافسة في السوق العالمية؟ وكم من وسيلة تكنولوجية أنتجنا؛ لا استخدمنا؟ وكم من أمة لحقت بنا وأعجبت بما أبدعنا وبما وصلنا إليه اليوم؟ وكم من فكرة تم اقتباسها عالميا من أفكار مبدعينا؟ وكم نظرية في العلم أنتجنا؟ وكم بحث نشرنا؟ وكم قضية إنسانية ساهمنا في حلها؟
قد يقول قائل: هناك الكثير، فهناك مجهودات بحمد الله ومحاولات جادة، ولكنها مازالت فردية لا ترتقي للمستوى المطلوب فتصبح سمة تميزنا، بل باتت الصورة النمطية التي تميز العربي والمسلم اليوم سلبية في أذهان الشعوب الأخرى للأسف، وقد ساهمت وتساهم وسائل الإعلام العالمية في نشر وتعميق تلك الصورة في الأذهان حول العالم العربي اليوم والذي يوصف بأنه ضمن العالم الثالث أو النامي أو النائم أو المتأخر. وعلينا أن نسعى جاهدين لتغييرها.
ما العوامل التي أدت لنشر ثقافة التراجع والخمول؟
لكي نساهم في فهم المشكلة وإيجاد حلول لها؛ علينا البحث في أسبابها التي أدت إليها والتي أعتقد أن منها:

- **حب الراحة والكسل**

فكثير من أبنائنا وجدوا أن لا مشكلة في الراحة والاستغراق في الدعة، فغيرنا يخترع ونحن نشتري ما ينتجون ونريح أنفسنا بلا جهد أو تعب وكد الليالي، فبأقل الجهد العقلي نصل إلى وسائل التكنولوجيا والترفيه والاستمتاع والحاجة، فأضحى الكسل والخمول ظاهرة شبه مرضية وسمة عامة ونرجو ألا تكون ثقافة طاغية تعم أبناء أمتنا صغيرها وكبيرها، وغنيها وفقيرها.



- **ضعف القراءة وضحالة العلم**

إن من أهم أسباب رقي الشعوب وتقدمها كثرة القراءة والاطلاع في الكتب والأبحاث وما وصل إليه الآخر للاستفادة منه والبناء عليه، ولكن الإحصاءات العربية مخيفة جدا في قلة عدد الصفحات التي يقرأها المواطن العربي وعدد الساعات التي يقضيها في ذلك وفي المكتبات العامة وبين الكتب، مقارنة بالقارئ الأجنبي الأميركي والياباني والصيني والأوروبي.. الذي أصبح نهما في القراءة فتجده لا يضيع لحظة تتاح له دون قراءة، ففي الحافلة وفي العيادة وفي الطريق يقرأ ويقرأ. وعلينا أن نعلم أن القراءة هي أساس العلم، وأن ضعف القراءة تورث الجهل وفاقد الشيء لا يعطيه، فلن نساهم في رقي الشعوب مادامت حجم معلوماتنا ضئيلة لا توازيهم!

- **ضعف صلتنا بماضينا العريق**

لقد عمل الغرب ومن في صفهم ولأهداف تخدمهم على إضعاف ثقتنا بأنفسنا وإضعاف اعتزازنا بماضينا لقطع صلتنا به، ونجح بإقناعنا بأن أمتنا العربية لم تنتج شيئا يوما ما، وأنها لا حضارة لها ولا تستحق التقدير والاعتزاز بماضيها، ونحن آمنا بذلك وصدقنا!

بينما الحقيقة أن الكثير من الاختراعات والاكتشافات والمعارف البشرية اليوم بنيت على ما وصل إليه علماؤنا العرب والمسلمون في السابق على مر العصور، فالنهضة الأوروبية قامت على نواتج الحضارة العربية الإسلامية، فكتب ابن سينا والرازي وابن البيطار والخوارزمي وابن ماجد وابن الهيثم وابن رشد والإدريسي وجابر بن حيان وغيرهم الكثير... أخذت ودرست في جامعاتهم وبنيت عليها أبحاث كثيرة، فلا تصدق يوما أن حضارة تقوم من الصفر، بل الحضارة تبنى فوق الحضارات السابقة، وإلا لما وصل الإنسان إلى ما وصل إليه اليوم لو كان سيبدأ من نقطة الصفر، فعندها سنظل في العصور الحجرية بلا تقدم يذكر!

- **الدور السلبي لوسائل الإعلام**

فكثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة العالمية والعربية عملت وتعمل على نشر ثقافة الخمول والإحباط للإنسان العربي ولمحاولات الإبداع العربي، وهي تحاول توجيه اهتمامات شبابنا وأبنائنا إلى تحقيق الأهداف الدونية غير المنتجة أو المفيدة للمجتمعات، فتصب اهتمامها على تشجيع الغناء والرقص والتمثيل ولعب كرة القدم ومتابعة الأفلام (على ما تتضمنه من توافه وعنف وقتل...) فترفع من شأن هؤلاء المغنين والممثلين ولاعبي الكرة وتعلي قدرهم وتحط من قدر العلماء والمبدعين ولا تعيرهم أدنى اهتمام! وهي تواصل الليل بالنهار ببث سمومها ومعتقداتها وأهدافها الخبيثة التي توجهها قوى خفية غير مرئية تلعب بقدر أمتنا ومصيرها وعقول أبنائها، وهي تنجح في ذلك للأسف!

- **تراجع دور الأبوين في التربية والتوجيه**

فما دور الآباء والأمهات اليوم في التربية؟ من المؤسف أنه لم يعد الكثير من الآباء يزرعون في نفوس أبنائهم قيم الإنتاجية وحب العمل والإبداع

وأهمية التقدم لأمتنا وكيفية الاعتزاز بها.. فهم لا يحدثونهم عن ماضيها العريق، وعلمائها الأجلاء ومخترعيها الأفاضل، لا يؤكدون لأبنائهم قيمة الوقت وأهمية استغلاله بما يفيد ويعود بالنفع عليهم أولا وعلى المجتمع ثانيا.. إنما يرسخون لديهم قيمة واحدة وهي حب المال فقط وحب الذات والمصلحة الشخصية والانتهازية، لا المصلحة العامة! لقد ضعفت التربية والتوجيه والرقابة، بل وأصبح الوالدان أنفسهم يحتاجون للتوجيه والتعليم والتثقيف فيما يخص قضايا التربية، فالذي لا يملك ذلك العلم وذاك الفن والمنهج لا يتوقع منه الكثير.

● **طرق التعليم والمناهج المستخدمة**

مازالت مناهجنا العربية وأساليب تعليمنا -في أغلبها- لا تنمي التفكير الإبداعي والتفكير الناقد ومستويات التفكير العليا، فمعلمونا غالبا ما يصبون اهتمامهم على استيعاب المادة التعليمية وحفظها عن ظهر قلب لإعادة صبها في ورقة الامتحان، دون تركيز حقيقي فاعل على التطبيق العملي لتلك المعلومة في واقع الحياة، وكيفية استخدامها لحل مشكلاتنا ومشكلات العالم، والارتقاء بعقولنا وتفكيرنا واختراعاتنا واكتشافاتنا، فمازالت أساليبنا التربوية المستخدمة في المدارس والجامعات في أغلبها لا ترتقي بعقول طلبتنا بل وفي أحيان كثيرة تعينها على الخمول والتكرار الببغاوي الأصم.

● **انتشار فكر الإحباط والخمول وضعف الثقة بالنفس**

إن من أسوأ الأمور أن ينشأ أبناء المسلمين على فكرة أنهم أضعف الناس قدرة على التفكير والإنتاج، وأن العرب والمسلمين ليسوا أهلا للإبداع! وبالمقابل، النظر إلى مفكري الغرب نظرة تقدير وإعظام وإعجاب! ما أشاع روح الهزيمة في نفوس وعقول أبناء أمتنا، فتفشى الإحباط بما نملك من إمكانات ومواهب، وضعفت الثقة بأنفسنا، ففترت الهمم، وضعفت العزائم أمام العوائق النفسية والمجتمعية والمادية. وكثيرا ما يعمل الرؤساء في العمل أو المعلمون في المدارس والجامعات على إحباط الهمم، كأن يقولوا: «ليس بالإمكان أحسن مما كان» أو «أنت من ستصلح العالم أو تحل مشاكله؟!»، فلا ثقة بطالبنا العربي وبقدرته على التفكير والإنتاج، فنامت الأفكار وانعدم التشجيع وقلت الحوافز في الأمة العربية، فالأفكار تدفن والعقول تضمحل طاقاتها وإبداعاتها بتكرار الإحباطات.

بعض الحلول لمشكلة الخمول

● زرع الأمل وتعزيز ثقتنا بأنفسنا من خلال الاعتزاز بماضينا والقراءة عنه والاطلاع على تجارب الآخرين وقصص نجاحاتهم والأخذ من علمهم وأفكارهم.

● تعليم التفكير وتدريبه وتشجيع التفكير المنتج والإبداعي منذ الصغر وفي كل المراحل التعليمية والدراسية.

● نشر ثقافة العلم والعمل والإنتاج واستثمار الوقت بما يعود بالنفع ونبذ الكسل والخمول من خلال كل مؤسسات التنشئة ابتداء من الأسرة والمدرسة والمسجد والجامعة وانتهاء بالإعلام.

● تشجيع المسابقات العلمية والفكرية والنشاطات الإبداعية وتشجيع الأبحاث والاختراعات والاكتشافات، ورصد الأموال لها وتوزيع الحوافز المادية والمعنوية لأبناء أمتنا، وتقديم الدعم المالي الكافي لأبحاث جامعاتنا العربية، فلن تقوم لنا قائمة بلا علم.. وهذا ما فهمه علماؤنا الأجلاء في العصور الذهبية للإسلام.

● تعويد الأبناء تنظيم الوقت والسيطرة على متطلبات النفس والهوى وتحديد الأولويات، فلا ندع لأنفسنا سبيلا لترتع فيما لا ينفع، وإهدار الوقت في فضول الكلام والعمل والسمع، وعلينا أن نكون القدوة لهم في ذلك، فلا نأمر بما لا نفعل وننهى عما نفعل، فكم من أم أو أب يقضي الساعات وراء أجهزته الإلكترونية، والأبناء يرقبون ويقلدون!

● التذكير دوما بالهدف من الحياة كالإنتاج وإعمار الأرض وعبادة الله تعالى وفائدة بني البشر والعمل على حل مشاكلهم في التعليم والصحة والطرق ووسائل الطاقة والصناعة والزراعة والسكن والمياه.. وما أكثرها!.

● التذكير دوما وفي المساجد ووسائل الإعلام بالآيات والأحاديث النبوية التي تحض على العلم والعمل وتنبذ الكسل وهي كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥). وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧). ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ (الأنبياء:٨٠). وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد:٢٥). فالحديد جعله الله تعالى للصناعة والإنتاج والانتفاع به.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» أخرجه الطبراني، وصححه الالباني. قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» فهذا تشجيع للعمل والإنتاج والاعتماد على النفس لا على الآخر. وقد تعوذ رسول الله ﷺ من الكسل: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم»، فاللهم إنا نعوذ بك من الكسل والخمول اللهم ارفع هممنا نحو القمة.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والفكر الإسلامي

بالخمول تسقط الأمم!



كان علم «فلسفة التاريخ»، ولايزال، أحد الحقول المعرفية التي تهتم باستنباط العلل والأسباب والبواعث التي تحرك مجرى التاريخ، وما من أمة تملك تراثا وتاريخا وثقافة إلا وظهر فيها فلاسفة ومؤرخون نقبوا خلف الأسباب التي أدت إلى قيام الدول والحضارات وسقوطها؛ ليستلهموا من هذه التأملات الرصينة دروسا واستراتيجيات في تماسك البناء الداخلي لأممهم، أو استمرارية النمو والتوسع.

وكان من جملة ما وقف معه هؤلاء المؤرخون والفلاسفة قضية «الخمول»، باعتبارها المرحلة التي تسبق السقوط والاندثار.

أمة البكور!

وإذا كانت الحضارات والدول تنحو في القيام والسقوط منحى الإنسان وأطواره، من ولادة وحبو وفتوة وشباب ثم هرم فموت، فقد اهتمت تلك الأمم الواعية بالإنسان، باعتباره مادة الحضارة وأساسها، وحرصت على أن يكون فاعلا نشيطا ومؤثرا.

إن الأمة المسلمة هي أمة البكور، وقد ورد عن النبي أنه دعا بالبركة لأهل البكور من أمته قائلا: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» (١)، ولم يكن هذا الحديث مختصا بطلب المعاش والتجارة فقط، بل كان رؤية متأصلة عند النبي ﷺ، فـ «كان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار» (٢). واستنبط الفقهاء من هذا الحديث الشريف عدة أمور؛ منها أنهم «ندبوا الإبكار لطلب العلم. وقيل: إنما ينال العلم ببكور الغراب» (٣)؛ ذلك أن الغراب والطيور عموما من أول ما يبكر في غدوها لطلب رزقها.

على الجانب الآخر، حرص النبي على أن يكون من ذكره في الصباح والمساء الاستعاذة من العجز والكسل، ذلك أن «العجز هو عدم القدرة على الخير، أو هو ترك ما يجب فعله والتسويف به. وأما الكسل؛ فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه. والكسل؛ التثاقل والتراخي مما ينبغي مع القدرة والاستطاعة والقوة. فالعاجز معذور والكسلان لا، ومع ذلك هو حالة ردية» (٤).

وكما دعا الإسلام لكي يبادر أهل الأرزاق والأعمال وطلبة العلم إلى البكور في طلب حاجاتهم، فقد حرض جميع المسلمين على فعل الخيرات، وجاء هذا التحريض على الخير بألفاظ المسارعة والمبادرة، فمن القرآن في قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣).

ومن سنة النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» (٥). ولأهمية هذا الحديث الشريف، فقد أدرجه الإمام مسلم في باب سماه «باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن».

ولم يكن نبينا خاملا في دعوته، بل شغوفا متعلقا بها، بوده أن يهدي الله به كل الناس، لا يتوانى في أوامر الله ودعوته، وكان، كما يقول توماس كارليل متعجبا: «ماضي العزم، لا يؤخر عمل اليوم إلى غد» (٦).

خملوا فسقطوا!

وانطلاقا من دعوة الإسلام إلى المبادرة، واعتبار البكور «فلسفة» متكاملة للحياة، سار صحابته -رضي الله عنهم- على دربه؛ انطلاقا في الآفاق، ونشرا للدين، فوصلت رقعة دولة الإسلام ذروتها «منذ أوائل القرن الثاني من الهجرة، وبلغت من الحدود ما لم تقدر على مجاوزته، باسطة حكمها من جبال البرنات وجبل طارق إلى الهند، ومن شواطئ المتوسط إلى رمال الصحراء. وصار معظم آسيا خاضعا لسلطان الخلفاء الممتد من جزيرة العرب إلى التركستان، ومن وادي كشمير إلى جبال طوروس، وعبدت بلاد فارس، وصار ملوك كابل وجميع أمراء وادي

السند يعطون الجزية، وأضحى العرب في أوروبا مالكين لإسبانيا ولجزر البحر المتوسط، وأضحوا في إفريقيا مالكين لشمالها ولمصر» (٧).

لكن ما لبث الخمول يدب في أوصال العباسيين، وركن الخلفاء إلى الدعة والراحة، فاستحالت هذه الوحدة والقوة إلى تشرذم وضعف في غضون القرن الثالث الهجري، وأمسى الخلفاء العباسيون محجورا عليهم، كأنهم الأطفال الصغار، من قادتهم الأتراك تارة، ومن القوى الغازية أخرى كالبويهيين، وحتى السلاجقة ثم المغول.

إن الدعة والراحة وأثرهما السيئ في الأمم، هما ما جعلا العلامة ابن خلدون (٨٠٨ هـ) يسطر فلسفته حول أسباب سقوط الدول والحضارات بقوله: «إذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا وخلقا؛ صار لهم ذلك طبيعة وجبلة، شأن العوائد كلها وإيلافها، فتربى أجيالهم الحادثة في غضارة العيش، ومهاد الترف والدعة، وينقلب خلق التوحش، وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس، وتعود الافتراس، وركوب البيداء، وهداية القفر، فلا يفرق بينهم وبين السوقة من الحضر إلا في الثقافة والشارة، فتضعف حمايتهم، ويذهب بأسهم، وتتخضد شوكتهم، ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس من ثياب الهرم» (٨)، ثم لا تلبث أن تسقط وتتلاشى.

وقد كان من لافت ما رأيت اتفاق أرنولد توينبي (ت١٩٧٥م) -وهو الفيلسوف والمؤرخ البريطاني- مع ابن خلدون في بعض ما ذهب إليه، بعد دراسته لتاريخ الحضارات البشرية، وهي الدراسة التي استمرت بضعة عقود استثمرها في كتابه القيم «مختصر دراسة للتاريخ»، رأى فيها أن سقوط الحضارات يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي: ضعف القوة الخلاقة في الأقلية الموجهة (النخبة)، وتخلي الأكثرية عن موالاة الأقلية الجديدة المسيطرة وكفها عن محاكاتها، ثم الانشقاق وضياع الوحدة وكيان المجتمع. ومن إحدى وعشرين حضارة درسها توينبي لم يتبق اليوم إلا خمس حضارات فاعلة، هي المسيحية الغربية، والمسيحية الأرثوذكسية، والإسلامية، والهندية، والشرق الأقصى الآسيوي (٩).

فضعف القوة الخلاقة لدى الأقلية الموجهة عند توينبي؛ يعني من جملة ما يعني استعلاء ثقافة الخمول والدعة والترف التي تناولها ابن خلدون عند السلطان وعصبته الحاكمة، بل يرى توينبي أن هذا الفيروس الداخلي هو السبب الأقوى لزوال الحضارات والدول من الهجوم الخارجي الذي يعد مجرد سبب نهائي، فهو يقول: «تكشف لنا أن الحضارات المنهارة لم تواجه الموت على يد قاتل، وقادتنا عملية الاستنفاد المنطقي في كل حالة تقريبا إلى العودة إلى الفكرة القائلة بأن الانتحار هو علة الانهيار» (١٠)، وإن «الانهيار خسارة في الطاقة المبدعة التي تضمها بين جنباتها نفوس المبدعين أو الأقليات المبدعة. وهي خسارة تجردهم من قدرتهم على التأثير في نفوس الجماهير العاطلة من الابتداع، فالواقع أنه حيثما ينتفي الإبداع؛ تنتفي المحاكاة» (١١)!

والحق أن ما ذهب إليه توينبي تؤيده في ذلك أمثلة لا حصر لها من التاريخ؛ ذلك أننا -على سبيل المثال- نرى دولة المماليك تنهار أمام العثمانيين قبل سقوطها العسكري في موقعتي «مرج دابق» و«الريدانية» بربع قرن على الأقل، إنه انهيار حضاري وثقافي في جوهره، سببه الكسل والخمول لمعرفة واقع التقدم العسكري والتقني الحاصل حينئذ، ولما جاء أحد تجار السلاح المغاربة إلى القاهرة لعرض البندقية في مستهل القرن الخامس عشر كسلاح جديد وفعال آنذاك، هب السلطان قانصوه الغوري من مقعده بعدما فشل مماليكه وجنوده في تعلم الرمي بها أمامه، لا مقرعا لهم لسوء صنيعهم، وإنما هب الرجل قائلا: «نحن لا نترك سنة نبينا لنتبع سنة النصارى... فرجع المغربي وهو يقول: من عاش ينظر هذا الملك وهو يؤخذ بهذه البندقية» (١٢). وقد صدق المغربي وصدقت فراسته؛ إذ سقط قانصوه الغوري بعد ذلك ببضع عشرة سنة تحت بنادق ومدافع العثمانيين في مرج دابق، ثم لم يعثر له على أثر!

إن الخمول مفسدة ومضيعة للأمم، وكم كنا كفرسي رهان مع الحضارة الغربية حتى القرن الثامن عشر، حتى سبقونا، ولم يفق مراد بك زعيم المماليك في مصر العثمانية إلا على وقع مدافع نابليون بونابرت وتنظيمه العسكري المحكم في موقعة الأهرام في ختام ذلك القرن؛ تسحقه سحقا أمام حركات بهلوانية لهؤلاء المماليك الخاملين بالسيوف؛ مكررا مأساة سلفه الغوري من بعده بقرنين ونصف القرن، وكم تكرر الأمة اليوم مآسي الأمس بهذا الخمول!

الهوامش

١- أخرجه أبوداود في سننه (٤١/٢ ح٢٦٠٦)، والترمذي في سننه (٥١٧/٣ ح١٢١٢)، وقال الألباني: صحيح.

٢- مسند أحمد (٤١٦/٣ ح١٥٤٧٦).

٣- المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى - مصر، ١٣٥٦هـ، ١٩٥/٣.

٤- المباركفوري: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الطبعة الثالثة - الهند، ١٩٨٤م، ٢١٦/٨.

٥- صحيح مسلم (١١٠/١ ح١١٨).

٦- توماس كارليل: الأبطال، تلخيص عبدالرحمن البرقوقي، مكتبة مصر - الفجالة، ص٧٩.

٧- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، ٢٠١٣م، ص١٥٣.

٨- مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، الطبعة الثانية - بيروت، ١٩٨٨م، ص٢١٢.

٩- أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ٢٠١١م، ٤١٢/١.

١٠- توينبي: السابق ١/٢.

١١- توينبي: السابق ٤١٢/١.

١٢- ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك، تحقيق عبدالمنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٣٩ و١٤٠.

د. صلاح فضل توقه
باحث أكاديمي

التوجيه الإيماني للطموح



يحرص الكثيرون منا على تصفح السير الذاتية والتراجم الخاصة بالعظماء والمشاهير في جميع الميادين؛ رغبة في اقتفاء آثارهم وخوض التجارب التي خاضوها من قبل، لعلها تصل بهم إلى المكانة نفسها التي تبوأها أمثال هؤلاء العظماء والمشاهير. لكن نهج مثل هذه الأساليب، وإن كان يبدو مقنعا من وجهة نظر منتهجيها، ويرجى منها تحقيق ما تصبو إليه نفوسهم من النجاح والمكانة، فإنه في حقيقة الأمر يفتقد كلمة السر أو بوصلة التوجيه السليم، المتمثل في خُلق «الطموح»، الذي يعتبر القاسم المشترك في حياة هؤلاء جميعا. ويتضح ذلك جليا من تحليل سيرهم وتراجمهم التي احتوت على خلاصة تجاربهم في الحياة، كيف كانوا؟ وماذا أصبحوا؟ وكيف كانت نهاياتهم؟

وقد استرعت ظاهرة «الطموح» اهتمام العديد من العلوم الإنسانية، وجميعها تناولت الطموح من زاويتيه:

المرئية، التي تتعلق بالنشاط المبذول من الشخص الطموح لتحقيق هدف ما يسعى إليه، مثل الاجتهاد في العمل أو الدراسة.

وغير المرئية، التي تتمثل في حديث الإنسان لنفسه، وأحلامه وأمنياته التي يتمنى أن يحققها في حياته المستقبلية.

وحاولوا تفسير «الطموح» من خلال العديد من النظريات الوضعية التي تفسره ومستوياته والعوامل التي تتحكم فيه.

من جانبهم، حاول علماء العلوم الإنسانية، وفي مقدمتها علم النفس،

وضع تعريف اصطلاحي لـ«الطموح»، وهناك محاولات كثيرة لتعريف هذا مصطلح نختار منها:
تعريف فرانك لمستوى الطموح بأنه: «مستوى الإجادة المقبل في واجب مألوف يأخذ الفرد على عاتقه الوصول إليه بعد معرفة مستوى إجادته من قبل في ذلك الواجب».
تعريف إيزانك: «الميل إلى تذليل العقبات وتدريب القوة، والمجاهدة في عمل شيء بصورة سريعة وجيدة لتحقيق مستوى عال، مع التفوق على النفس».
تعريف راجح: «المستوى الذي يرغب الفرد في بلوغه أو يشعر أنه قادر على بلوغه، وهو يسعى لتحقيق أهدافه في الحياة، وإنجاز أعماله اليومية» (١).
والتعريفات السابقة لا تخرج عن كونها تعبر عن وجهة نظر أصحابها المنبثقة بالضرورة عن نظريات وتصورات خاصة بالعلوم الإنسانية، نشأت في حاضنة الغرب، وتشبعت بمعتقداته وقيمه التي تصطبغ عادة بالمادية والنزعات الفردية، والذي يرى أيضا مشروعية مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»؛ ولذلك جاءت نظرتهم إلى الطموح فردية مادية دنيوية، لا تخرج عن كونه جهدا مبذولا بهدف التغلب على كل العقبات التي قد تواجه الإنسان في طريق تحقيق طموحه والتفوق على الآخرين من أجل تحقيق إنجاز دنيوي في أي مجال من المجالات التي يتنافس فيها البشر، مستعينا على ذلك بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وقد يعود هذا الإنجاز بالنفع على صاحبه في الحياة الدنيا، ولكنه ينقطع بمجرد موته.
والإنسان الطموح، وفقا لهذه النظرة، لا يخلو من الصراعات والضغوط النفسية، التي تصاحب عمله ونشاطه من أجل تحقيق أهدافه وسبقه للآخرين، فهو يعاني القلق والتوتر الدائمين؛ خوفا من وقوع ما يعطل عمله، أو يؤجل إنجازه، مما يؤثر في علاقاته الاجتماعية مع الآخرين في محيط أسرته وعمله، وهذه الصراعات تستمر معهم حتى بعدما يحققون أهدافهم لدرجة قد تؤدي بهم إلى الجنون أو الانتحار، يحدث هذا وهم في قمة مجدهم! فعلى الرغم من أن طموح أمثال هؤلاء وضعهم في مصاف العلماء الأفذاذ والمشاهير الأعلام، فإن الكثيرين منهم عانوا حياة البؤس والشقاء النفسي، فلقد تشبعت أنفسهم بكل ثمرات ما حققوه من مكانة ومجد وشهرة عريضة، وثروات طائلة، لدرجة ضاقت بها أنفسهم وأغلقت أمامهم الأفق في تحقيق إنجاز جديد يمنحهم نفس الشعور بالمكانة والثروة والشهرة، فانعدمت لديهم قيمة الحياة التي أودت بهم إلى اللامعقولية والهروب من الواقع، فمنهم من اختلت قواه العقلية والنفسية فأصابه الجنون، ومنهم من سئم الحياة فأقدم على الانتحار (٢).
ولعل السر في مادية الطموح وفرديته، هو افتقادهم الموجهات الإيمانية المنبثقة عن تعاليم الوحي لمناحي الحياة، والتي ترشدهم وتجعلهم يجمعون في طموحهم بين خيري الدنيا والآخرة.
لكننا عندما نؤصل للطموح وجوانبه المتعددة تأصيلا إسلاميا، فإن النظرة ستختلف كلية؛ لأن الطموح في التصور الإسلامي ينبثق عن عقيدة التوحيد، وكون الإنسان إنما خلقه الله ليفرده بالعبادة وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، فأمر الإنسان المسلم كله يجب أن يكون لله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢)، وهذا هو الفارق الجوهري والأساسي بين حياة المسلم وغيره، فحياة المسلم وما يقوم به من عمل أو يبذله من نشاط حتى الموت، بل الموت نفسه، إنما هي لله وحده، وذلك على عكس اللاهثين وراء الدنيا ومتاعها الزائل، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان:٢٣)، وهذا حال من افتقد عمله الإخلاص والتوجه به إلى الله سبحانه وتعالى.
وقد تناولت المعاجم اللغوية -على كثرتها وتنوعها- معنى كلمة «الطموح» ومرادفتها، ومن عدة جوانب، تغطي في مجملها معاني «الطموح». وقد وجدت أن من أقرب هذه المعاني لموضوعنا هذا ما جاء في المعجم الغني وجاء فيه:
طُمُوح: رغبة شديدة لتحقيق شيء.
طُمُوح لا يشيخ: يسعى جاهدا لتحقيق طموحاته.
طَموح: (ط م ح) مصدر (طَمَحَ): شاب طَمُوحُ: الساعي برغبة للحصول على ما هو أعلى ومحمود ونبيل (٢).
وهو تعريف جامع مانع للطموح، شمل كل بذل شرعي من أجل تحقيق مقاصد شرعية، فالطموح يعتمد على الجهد المبذول لتحقيق ما يرغب فيه الإنسان بصورة شرعية، وبذلك لا يعد طَموحا من يحصل على مكانة أو مركزا مرموقا في مجتمعه عن طريق الرشوة أو الغش والواسطة، فهذه كلها سلوكيات لا مكان لها في حياة المسلمين، لاسيما النجباء منهم.
والتصور الإسلامي للطموح، يجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ويفتح الأفق رحبا واسعا أمام الطموحين، بحيث تتخطى آثار طموحهم الحياة الدنيا لتصلها بالآخرة، وإلى قيام الساعة، فهو ليس مجرد ومضة ما تلبث أن يخفت بريقها، أو لذة عابرة ينتهي أثرها.
قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

فهو عمل يقع في نطاق العلم المُنتفع به، أو الصدقة الجارية، وقد يجمع بين الأجرين فيكون علما وصدقة في الوقت نفسه. ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (٣).

وهذا بدوره ينعكس على شخصية الطموح المسلم الذي يتسم بالثقة، والهدوء، والإيثار، والتعاون بعيدا عن أجواء الصراع التقليدية، لأن الأمور تجري بمقادير ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر:٤٩)، فهو يجتهد ويبذل كل ما في وسعه من وسائل مشروعة، لتحقيق ما يطمح إليه، وفي يقينه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، منطلقا في ذلك من عقيدة المؤمن في إيمانه بالقضاء والقدر خيره وشره.

ولقد حث الإسلام المسلمين على الطموح؛ باعتباره من الخلق القويم والعمل الصالح الذي يمكن للأمة أمر دينها ودنياها. والقاعدة العامة في حث الإسلام على الطموح وطلب معالي الأمور قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (البقرة:١٤٨).

يقول العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره: «والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها. ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة. والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات، وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر» (٤).

كما حوت السنة المطهرة الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، التي يفهم منها الحث على الطموح، ومن هذه الأحاديث: عن الحسن بن عليّ -رضي اللّه عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اللّه -تعالى- يحبّ معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها» (٥).

عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» (٦).

ودلالة ذلك من أعمال تعبدية حث عليها النبي ﷺ وهي ترجمة عملية للحديثين السابقين من الحرص على إتيان معالي الأمور وأشرافها، والسعي للفوز بالفردوس الأعلى من الجنة، ولما كانت النفس هي موطن الطموح، فالنفس الطامحة هي التي تقود صاحبها إلى حيث تريد تحقيقه، ومن هنا كان الطموح لدى الجيل الأول من الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- الذين رباهم النبي ﷺ على معالي الأمور التي يحبها الله ورسوله، إلى أن يبذلوا النفس والنفيس في سبيل الله، الطموح إلى مرضاة الله ورسوله ومرافقته في الفردوس الأعلى من الجنة.

والنبي ﷺ في تربيته للصحابة لم يكن يقف بهم عند مواقف الاستضعاف والاضطهاد التي كانوا يلاقونها، لاسيما في الفترة المكية من الدعوة، بل كان ينتقل بهم من هذه المواقف إلى المستقبل المنتظر في الدنيا والآخرة، فيمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول لهم: « صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

ورغم الظروف الشديدة التي تعرض لها المسلمون أثناء حصار الأحزاب للمدينة، وما لاقوه أثناء حفر الخندق، ونقلتها لنا كتب السيرة، فإن النبي ﷺ لم يقف بهم عند هذه اللحظات العابرة في تاريخ الأمة ليحدثهم عن واقعهم، وإنما انتقل بطموحهم من مجرد اجتياز الحدث المعاش حاليا، بكل تفاصيله وأجوائه المحيطة بهم، إلى حيث المستقبل، ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول ثم قال: «بسم الله». فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر. أعطيت مفاتيح الشام. والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا». ثم قال: «بسم الله». وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر. أعطيت مفاتيح فارس. والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا». ثم قال: «بسم الله». وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر. أعطيت مفاتيح اليمن. والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا» (٧).

إن حياة الجيل الأول من جيل الصحابة -رضي الله عنهم- كانت ممتلئة بالأحداث الجسام، والمؤلمة، من قتل وتعذيب وتجويع ومطاردة، كما تعرضوا للكثير من الضغوط النفسية والاجتماعية، من أجل صدهم عن الإيمان بالله ورسوله؛ ولذلك كان النبي ﷺ لا يهدف في تربية أصحابه إلى مجرد تجاوز الظروف المعاشة فقط، وإنما كان يتجاوز ذلك، كما رأينا من قبل، ليعيد صياغة شخصياتهم صياغة جديدة، ويعيد معها أيضا

صياغة البناء النفسي بصورة إيمانية تمكنهم من مواجهة وتجاوز الضغوط النفسية والاجتماعية، وتعزيز قدراتهم على تحقيق أهداف مستقبلية، تجاوز الواقع الذي يعيشونه مجرد خطوة في طريق تحقيقه، وهذه العملية هي التربية على الطموح.

وغني عن القول إن دولة الإسلام التي قامت في شبه الجزيرة العربية، ثم ما لبث أن امتد سلطانها إلى معظم أجزاء الكرة الأرضية، لتكون كلمة الله هي العليا، ولترفرف راية التوحيد خفاقة عالية فوق قصور كسرى وفارس التي بشر بها النبي ﷺ من قبل، هذه الدولة بحضارتها التي سادت الدنيا في زمن قياسي قصير بالنسبة إلى تاريخ الدول والحضارات، قامت على سواعد جيل رباه النبي ﷺ على الطموح، فجعلهم يشمون رائحة الجنة وهم ما زالوا أحياء بين ظهراني إخوانهم، فها هو ذا أنس بن النضر رضي الله عنه يوم أُحد يخاطب سعد بن معاذ رضي الله عنه بقوله: «يا سعد ابن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحد» (٨).

والأمة اليوم، وقد غاب عن الكثير من أبنائها الطموح الموجه إيمانيا، مازالت تعيش في جحر ضب، تعيش على فتات الحضارة الغربية، ماديا وأخلاقيا، جاهلين ومغيبين عن حقيقة وجودهم ودورهم المنوط بهم في هذه الحياة بعد عبادة الله وإفراده وحده بها، وهو سيادة الأمم وريادتها بتعاليم الإسلام، لتكون كلمة الله هي العليا، وما دونها من عقائد وملل هي السفلى.

فالأمة في حاجة إلى جهود المخلصين من أبنائها الطامحين إلى رفعة الإسلام وعز المسلمين، كل في مجاله؛ من أجل إعادة صياغة وبناء شخصية الإنسان المسلم على هدى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ليكون طموحا راغبا في معالي الأمور، معرضا عن سفاسفها. وهذا العمل يبدأ من البيت، من الوالدين وتربيتهما للأبناء، وغرس الطموح في نفوسهم، وتقديم القدوة الحسنة لهم؛ ومن الدعاة عن طريق التربية العقدية السليمة بفهم سلف الأمة، بلا إفراط أو تفريط؛ وفي المدرسة؛ وفي كل مراحل التعليم بالتربية، وتعليم الأجيال تاريخ الأمة، وكيف كانت رائدة للأمم، وتنمية أصحاب القدرات الإبداعية من الطلاب وتشجيعهم، وإتاحة الفرصة لهم ليعبروا عن هذه القدرات، وتوجيهها الوجهة السليمة.

كما أن على الحكومات الإسلامية أن تحتضن أبناءها من العلماء ودعمهم بكل السبل؛ من أجل أن تستفيد منهم الأمة، وإزاحة العقبات عن طريقهم والتي قد تؤدي بهم إلى العمل في البلاد الغربية، كما يحدث الآن مع الكثير من نوابغ المسلمين الذين استقطبهم الغرب بإمكاناته فأبدعوا ودعموا حضارته.

ومازالت الفرصة سانحة أمامنا لتربية جيل طموح إلى تحقيق بشريات النبي ﷺ بالنصر والتمكين والسيادة، كما حققها الصحابة -رضي الله عنهم- وقد تحققت من قبل على يد القائد محمد الفاتح -رحمه الله- الذي طمح إلى أن يكون هو قائد الجيش الذي سيفتح القسطنطينية وبشر به النبي ﷺ بقوله: «لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش» (٩).

وعن عبدالله بن عمرو قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولا قسطنطينية أو رومية؟ فقال النبي ﷺ: «لا، بل مدينة هرقل أولا (يعني القسطنطينية)» (١٠).



هل حدث أحد منا أو من أبناء المسلمين نفسه، بأن يكون فتح «رومية» على يديه كما فعل محمد الفاتح من قبل؟!

في رأيي أن الإجابة على هذا السؤال ستكشف عن مستوى الطموح لدى المسلمين في كل المجالات.

الهوامش

١- كاميليا عبدالفتاح، دراسات سيكولوجية في مستوى الطموح والشخصية، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م، ص٩ و١٠.

٢- للاستزادة حول انتحار بعض مشاهير العلماء يمكن مراجعة هذا الرابط
http://www.arageek.10-scientsts-/14/11/com/2013 suicide.html

٣- http://www.almaany.com

٤- رواه مسلم.

٥- تفسير السعدي
http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi-saadi/sura2-aya148.html#saadi

٦- صحيح الجامع.

٧- البخاري.

٨- رواه أحمد.

٩- جزء من حديث رواه البخاري.

١٠- رواه أحمد والحاكم.

د. مصطفى عطية
باحث أكاديمي



تمثل الشخصيات الخيرية النموذج البناء لنهضة المجتمع، فهي تسعى من خلال جهودها إلى القيام بجهد كبير في مساعدة ذوي الحاجات والمعسرين، من دون كلل أو تفرقة بين صغير أو كبير.

الشخصية الخيرية.. المفهوم والملامح والقيم

عندما نتأمل مختلف المجتمعات الإنسانية، نجد أمثال هذه الشخصيات تقوم بأعمال توازي في ثمراتها ما تقوم به الحكومات والمؤسسات.

ويطلق الباحثون الاجتماعيون المعاصرون على عمل هذه الشخصيات مصطلح «العمل التطوعي»، الذي يعرف بأنه: «كل ما يبذله الفرد بهدف تقديم الخدمات الاجتماعية أو الإغاثية أو التربوية، بلا أجر مادي، سواء كان ما يبذله علما أو وقتا أو جهدا بدنيا أو رأيا.. مما يمتلكه الفرد ويحتاجه الآخرون» (١)، وجاء في بيان المؤتمر العالمي للتطوع في العام ٢٠٠١م أن التطوع هو: «اللبنة الأساسية في بناء المجتمع المدني. فالتطوع يجسد في الحياة أنبل أماني الإنسان في تحقيق السلام والحرية، وإيجاد مختلف الفرص والأمان والعدالة لكل البشر» (٢).

ونلاحظ أن كلا التعريفين السابقين يحدد أطر العمل الخيري التطوعي وماهيته، وفي الوقت نفسه يبتعد عن المذاهب السياسية وصراعاتها واختلافاتها الأيديولوجية، ويصف العمل التطوعي (الخيري) بأنه بلا أجر، وهو ما ينطبق على العاملين في مجال الأعمال الخيرية، مثل الموظفين والفنيين... إلخ.

إن هذين التعريفين يتناولان العمل الخيري من منظور مدني بحت، فهما يتعاملان من منطلق الرؤية الغربية التي تعزز الخدمة المجتمعية المدنية، من منطلق علماني، كما أنه

لا يشير إلى الأفراد أو الشخصيات الداعمة للعمل الخيري، لذا يجدر بنا أن نتبنى تعريفا يستقي الرؤية الإسلامية، يكون مقتصرا على مفهوم الشخصية الخيرية، وسماتها، ودورها المجتمعي.

يقصد بالشخصية الخيرية: هي الشخصية التي تتطوع دائما لفعل الخير في المجتمع المسلم، لا تضن في سبيل ذلك بمال أو جهد أو وقت، وتتوجه بجهودها نحو الفئات المحرومة والمحتاجة في المجتمع المحلي والمجتمع الخارجي (٣).

يسم التعريف السابق الشخصية الخيرية بملامح وسمات عديدة، أبرزها:

- أن عملها يتجه إلى ميادين الخير دائما، وهي متسعة ومتعددة بتعدد أبواب الخير وأفعاله.

- أنها لا تكتفي بفعل الخير مرة أو مرات، بل إن الديمومة تميز حركتها.

- أنها تتجه بفعل الخير نحو أبناء المجتمع المسلم، محليا (داخل المجتمع) أو دوليا (على صعيد الدول الإسلامية الأخرى).

- أنها لا تبخل بالجهد أو بالمال أو بالوقت في سبيل ذلك، وبالطبع تختلف الشخصيات الخيرية في هذه الأمور، فبعضها يبذل المال، ويقعده السن الكبيرة أو ضعف الصحة عن العطاء، وبعضهم يقدم جهوده مضحيا براحته، مفارقا أهله ووطنه، وبعضهم يضع وقته للتيسير على الناس في حاجاتهم ومصالحهم، والكثير يجعل حياته مسلطة على عمل الخير كله فكل ما يملك من مال أو صحة أو وقت أو جهد مبذول في سبيل الله والخير.

ولعل الشيخ عبدالله علي المطوع يمثل النموذج الثالث؛ فقد كان ماله ووقته وجهده مسخرا في سبيل الدعوة الإسلامية والناس.

ومن أبرز القيم التي تؤمن الشخصية الخيرية:

● **قيمة الإخاء مع أفراد المجتمع المسلم:** فالأخوة الإسلامية تفوق كل العصبيات (عصبية القبيلة والأرض والنسب..)، وأساسها الاعتصام بحبل الله الذي يجعل الجميع سواسية، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ (آل عمران:١٠٣).

والإخاء عام في كل زمان ومكان، يستشعره ويعمل به كل من ترسخ في قلبه الإيمان، فيسعى إلى مساعدة إخوانه المسلمين قدر ما يستطيع، نبراسه خلق الصحابة: المهاجرين والأنصار.

● **قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** ومساعدة المحتاج والمحروم لب الأمر بالمعروف، وكما يذكر رب العزة على لسان لقمان يوصي ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (لقمان:١٧). هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي فتؤكده الآية القرآنية: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠)، فكيف ننهى الجائع والعاري والجاهل عن المنكر وهو لم ير منا معروفا يداوي آلامه؟ وهل سيسمع منا نحن المسلمين ذوي المال واليسار؟ وعندما نأمره بالمعروف ونسمعه كلام الله سينصت ويستجيب لأنه وجد أفعالنا سبقت أقوالنا.

● **قيمة التعاون والتراحم:** وهذا من لوازم الإخاء، إذ ما قيمة الأخوة إذا لم تعاون أخاك عند الحاجة، وتساعده عند الشدة؟ (٤) وقد صور الرسول ﷺ تلاحم المؤمنين بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» (٥).

● **قيمة النصرة:** وتركز على الجانب الإيجابي المتمثل في سرعة الفعل والنجدة نحو كل مستنجد من المسلمين، وكما يقول الرسول الأعظم: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم» (٦).

● **قيمة التكافل المادي والأدبي:**

وهو تكافل مادي ومعنوي، اقتصادي وسياسي، عسكري ومدني، اجتماعي وثقافي (٧)، وكما جاء في الحديث الشريف: «أيما أهل عرصة فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله» (٨)، فلا يقتصر التكافل على البذل المادي، بل يتخطاه إلى سائر الوجوه. فمهمة الشخصية الخيرية لا تنتهي عند تقديم المساعدة المالية، بل تتخطاها إلى المشاركة في إنشاء المساجد والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية والثقافية، كي تؤمن للمحتاج زاد الروح جنبا إلى جنب مع زاد الجسم.

● **الإيمان بنظرة الإسلام للمال:**

وهي تدور حول محورين: الأول: مصدر المال، ولابد أن يكون من حلال، بعيدا عن الغش والاحتكار والربا وكل ما يخالف شرع الله ويلحق الضرر بالمجتمع. والثاني:

وجه إنفاقه، ويكون في أعمال البر والخير، فالمال مال الله، ونحن مستخلفون فيه، والذكي من سلط نفسه لإهلاك ماله في الحق وفي مساعدة الآخرين، دون غمط ورثته حقوقهم (٩)، مصداقا للآيتين الكريمتين: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (آل عمران:١٨٩)، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (النور:٣٣).

العمل التطوعي

إن التطوع جوهر سلوك الشخصية الخيرية بشكل عام، ولكن دوافع التطوع تختلف وفق الثقافة والمعتقد، حيث نرى في المجتمعات الغربية اعوجاجا في السلوك؛ فالمتطوعون قد يكونون لا دينيين (علمانيين) يندفعون إلى العمل الخيري تحت ما يسمى خدمة الإنسان أو المجتمع، وهذا في النهاية هدف دنيوي، تدخل فيه نوازع النفوس الدنيوية من شهرة وجاه وتوسل سياسي، ولعل كثيرا من الشبهات تحيط بالأعمال الخيرية في الغرب؛ لأنها تبغي من وراء ذلك نشر ثقافة دولة بعينها. وفي الغرب أيضا متطوعون خيريون دينيون، يعملون لحساب الكنائس الغربية، ويتوجهون في جل أعمالهم نحو الشعوب الإسلامية في آسيا وأفريقيا، يقرنون الدواء والغذاء بالإيمان بالديانة النصرانية (١٠)، ويسعون لمحو الشخصية الإسلامية في نفوس هؤلاء الفقراء، من أجل خلق مسخ إنساني، لا هو بالمسلم صحيح الإسلام، ولا بالنصراني المؤمن بنصرانيته، لأنه نسي إسلامه، ولم يقتنع بغيره، فإن هدفي التنصير هما: تنصير المسلمين، أو تشكيك المسلمين في إسلامهم وثقافتهم وعقيدتهم، على حد قول زعيم المبشرين زويمر في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م مخاطبا جموع المبشرين: «إن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ولا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في الأعوام المئة السالفة خير قيام» (١١).

يفترق نمط الشخصية الخيرية عن باقي الشخصيات المجتمعية في كونها متطوعة لعمل الخير بدافع ذاتي أساسه السعي لمرضاة الله تعالى، واغتنام كل الفرص للفوز بالمثوبة الربانية، وهذا قوام التطوع في الإسلام، إنه تسابق من المسلمين في فعل الخير، مصداقا للآية الكريمة: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ (المطففين:٢٦).

ومن المعلوم أن فعل التطوع -في منظور الإسلام- يمثل مرحلة تالية، بعد ترسيخ العقيدة، والقيام بالفرائض، فتنطلق إلى مجال أرحب، عبر التطوع، وقد شرع التطوع: «ليكون جبرا عسى أن يكون قد وقع في الفرائض من نقص» (١٢)، وكما جاء في الحديث الشريف، قال المصطفى ﷺ «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة الصلاة، يقول ربنا لملائكته، وهو أعلم، انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك» (١٣)، وهذا يصدق على الصلاة، وسائر الفرائض، مصداقا لقوله: «ثم تؤخذ الأعمال على ذلك».

وهذا المفهوم عن التطوع عمقه القرآن الكريم وربطه بالجانب المادي، حيث يقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ (البقرة:١٧٧)، فالآية الكريمة تحث على التطوع المادي، فيما يسمى بصدقة التطوع، وهي التي: «يتبرع بها المسلم إلى الفقراء والمحتاجين، وإلى أي جهة من جهات البر من غير إلزام مطلقا ومن غير تحديد» (١٤)، والله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٩٢)، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:٧).

لذا، فإن التطوع -بوصفه مفهوما وسلوكا وقيمة- ارتبط في تكويننا بالعبادات، وهذا ما يجعل اللفظة إذا ذكرت في أي سياق معاصر تستدعي الكثير من المستقر في أعماق المسلم عن المبادرة إلى فعل الخيرات، كما أنها تعزز ما يسمى بـ «الضمير الديني»، وصاحبه هو الذي: «يراقب الله في العمل، ويستغني عن إشراف الغير عليه، ويستغني كذلك عن مغالبة هوى

نفسه وشهواتها في أداء ما يجب عليه أداؤه، سواء نحو نفسه أو غيره، لأنه انتقل فيما يعمل من خشية الناس إلى خشية الله، ومن إرضاء نفسه إلى إرضاء الله» (١٥)، ومن المعلوم أن الضمير هو المحرك الأساسي لنفوسنا للخير، فيعرفه العلماء بأنه: «ما استتر في داخل النفس، وهو الوازع الباطني الذي يرشدنا إلى الصواب ويوجه إلى الخير...، إن ضمير الإنسان يتكون من عقيدته التي تحدد نظرة الإنسان للحياة ومفاهيمه عنها» (١٦).

إن الضمير الديني غائب عن نفوس الكثير من المسلمين في الزمن الحاضر، وهذا سبب لتراجع المسلمين الحضاري، فقد صارت العبادات تؤدى بلا روح، وتعمق فصل الدين عن الدنيا، وفصل إيمان القلوب عن رؤى العقول.

لذا، ينتعش العمل التطوعي في المجتمعات المسلمة ذات الفهم الصحيح، وهذا يختلف من مجتمع إلى آخر، ومن فئة اجتماعية إلى أخرى، وكلما ازدهر التطوع دل ذلك على حيوية المجتمع، وعمق إيمان أفراده، وارتباطهم الحميم بمشاكل المجتمع محليا وخارجيا. إذن، التطوع من أنبل أهداف المسلم في الحياة، وكما يقول أحد المفكرين: «إذا كانت التقوى هي معيار الحساب في الآخرة، فإن مصلحة المسلمين، والمجتمع بأسره، هي المعيار الذي ينبغي أن يحتكم إليه في الدنيا، ولا تناقض بين المعيارين في الواقع، لأن الوضع الأمثل في التصور الإسلامي يدعو إلى الجمع بين الاثنين...، والعمل الصالح هو هذا الجهد الذي يلتقي فيه عنصرا نفع الناس وإخلاص النية لله» (١٧).

والتطوع من أجل خدمة الناس جزء أساسي من «العمل الصالح»، وهذا يأتي مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)، فضمير الخطاب موجه إلى المجموع، والأمر بالعمل -بأشكاله كافة- لمصلحة الجماعة، وهو عمل يسير وفق أحكام الشريعة ومقاصدها، وتؤكد الآية على رقابة الله لعمل عباده، وشهادة الرسول والمؤمنين الصالحين.

والمسلم -في المنظور الإسلامي- له شخصيتان: شخصية مستقلة (خاصة): يسأل بها عن نفسه وجسمه وعقله وروحه وماله وعمله، وإليها تتجه التكاليف الفردية، وهي التي تدفع وتحافظ على الضمير الديني في أعماق نفسه.

وشخصية عامة: يكون بها لبنة في بناء المجتمع، ويسأل بها عن صلاح مجتمعه، ومدى ما يقدم له من خدمات، وعما يحققه من سعادة، وإليها تتجه التكاليف الجماعية (١٨).

مكافحة الفقر

عندما يمتنع الأغنياء عن العطاء والبذل، أو يحال بينهم وبين بذل أموالهم، فإن الأثرة والشح والأنانية ستملأ نفوسهم، وسيوجهون أموالهم نحو الشهوات والملذات، وتصبح الكماليات الحياتية -بالنسبة إليهم- ضرورات، ومن ثم يموت الحس الفردي والجماعي في نفوسهم، وتغيب عنهم روح الانتماء الوطني والإنساني، ومن ثم تشتد الضغائن في نفوس الفقراء نحو الأغنياء، ويرتكبون الجرائم؛ إشباعا لحاجاتهم الأساسية من طعام وملبس (١٩).

فكثير من الجرائم التي تكثر في المجتمعات الفقيرة إنما سببها الحرمان لفقير ومسكين، يرى القطط السمان تتنعم بالثروات، بينما أطفاله يتضورون جوعا، ويموتون مرضا، فيكون الحقد والحسد داءين فاتكين في نفسه، ومسوغين له للانتقام ممن ضنوا وهم يملكون. والعجب أن الحكومات تنفق المليارات في مكافحة الجريمة، وتتغافل عن حث الغني على البذل، وإقامة مؤسسات مستقلة له ليضع ما تجود به نفسه بعيدا عن موظفي الدولة وجهازها البيروقراطي (٢٠).

إن الفقر المدقع خطر على العقيدة، حيث يجعل الفرد نهبا للمنظمات التنصيرية، وخطر على الأخلاق والسلوك، فهو مدعاة لانحراف النساء واحترافهن البغاء طلبا للقمة العيش، ومدعاة لانخراط الشباب والأطفال في عصابات الجريمة والمخدرات، وخطر على الفكر الإنساني، حيث يخسر المجتمع طاقات أبنائه المبدعين بسبب فقرهم وعدم قدرتهم على التعلم وتنمية قدراتهم، وخطر على المجتمع واستقراره بصفة عامة (٢١).

وقد عالج الإسلام هذه المشكلة بطرق عدة؛ فأمر الفرد بالعمل والكسب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ (الملك:١٥)، ثم حض الموسرين على كفالة أقاربهم من الفقراء: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال:٧٥)، وفرض زكاة المال وجعلها ركنا مكينا من أركان الإسلام، وشدد على دور بيت مال المسلمين في مساندة الفقراء والمدينين والعجزة، فإن عجز بيت المال فقد أوجب الإسلام على الموسرين من أهل البلد كفالة

فقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن امتنعوا، هذا إذا لم تكف أموال الزكاة عن سداد احتياجات الناس، ثم حبب الإسلام الصدقات الاختيارية والتطوعية فجعل ثوابها سبعمئة ضعف، كما قال المولى تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١)، ولو أخذ المجتمع المسلم بكل الوسائل السابقة فلن يوجد فقير أو محتاج على أرضه (٢٢).

ومن المهم الإشارة إلى أن الوسائل السابقة لا تعمل بشكل متدرج، بل متكامل، فكل وسيلة لها دورها الاجتماعي، ولابد من تفعيل هذه الوسائل، فإن تراجعت الدولة والحكومة عن دورهما، فلتتقدم الشخصيات الخيرية المتطوعة؛ تنظم جباية الزكوات والصدقات، وتنشئ المؤسسات، وتخطط للعمل الخيري داخل البلد وخارجه.

إن الشخصية الخيرية المسلمة تتطوع لفعل الخير منطلقة من فهمها الدقيق لصحيح الإسلام، الذي يكشف الفطرة الصحيحة للنفس البشرية، وهذا الأمر لا يحتاج إلى ثقافة شرعية عميقة للفرد المتطوع، بقدر ما يحتاج إلى نفس عميقة الإيمان، تتألم بألم المحروم، وتبكي لبكاء الطفل والأرملة والشيخ، ويكون تجاوبها فعلا لا قولا.

الهوامش

١- العمل التطوعي، أوراد يحيى، مجلة الهلال الأحمر الكويتي، يونيو ٢٠٠١، ص١٠.

٢- نشرته مجلة الهلال الأحمر الكويتي، عدد يونيو ٢٠٠١، ص٨ و٩، ضمن تغطيتها لأعمال المؤتمر العالمي للتطوع. ومفهوم المجتمع المدني حديث مرتبط بالعصر الحديث، حيث ازدهرت المدن في أوروبا بوصفها حاضنة للمصانع والمتاجر والمؤسسات... إلخ، حيث يتكدس السكان بالملايين، وتغيب القيم الإنسانية الطيبة مثل: الرحمة والتكافل ومساعدة المحتاجين في خضم المادة، بعكس القرية، حيث قلة عدد السكان، وترابط العائلات، وشيوع التكافل فيما بينها. انظر تفصيلا لذلك: المجتمع المدني بين النظرية والتطبيق، د. الحبيب الجنحاني، دراسة منشورة في مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٧، مارس ١٩٩٩م.

٣- تعدد استعمال مصطلح الشخصية الخيرية في كثير من البحوث والكتب والمراجع دون تقديم مفهوم شامل محدد له، فاجتهد الباحث في وضع هذا المفهوم ليكون مرتكزا أساسيا في الدراسة.

٤- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص١٦٣. وقد ذكر ذلك في فصل بعنوان: القيم الإنسانية في المجتمع المسلم، وعدد منها: الحرية والشورى والعدل والإخاء والمحبة والوحدة. وقد وفق المؤلف في عنونة الفصل بالقيم الإنسانية؛ لأنها قيم مشتركة بين بني البشر من ذوي الفطرة الطيبة، تخص المسلم وغير المسلم، وتكون لغير المسلم عونا له على الدخول في الإسلام.

٥- رواه مسلم، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

٦- رواه أبوداود، وابن ماجه، عن عبدالله ابن عمرو بإسناد حسن.

٧- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مرجع سابق، ص١٦٥.

٨- رواه الإمام أحمد، وأبويعلى، والبزار والحاكم.

٩- التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبدالله عوان، الدار السعودية للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ص١٦.

١٠- انظر: حاضر العالم الإسلامي: الآلام والآمال، د. توفيق يوسف الواعي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م. ويعرف المؤلف التبشير (التنصير) بأنه: «نشر المسيحية...، وقد توجه التبشير للعقيدة لمحاولة قتلها، وهو يستغل ذلك لتبييض وجه المسيحية ونشرها»، ص٥٤.

١١- المرجع السابق، ص٥٤.

١٢- فقه السنة، السيد سابق، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، الجزء الأول، ص١٣٤.

١٣- رواه أبوداود في مسنده.

١٤- المجتمع المتكافل في الإسلام، د. عبدالعزيز الخياط، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص١٧٤.

١٥- الإسلام في حياة المسلم، د. محمد البهي، دار الفكر، القاهرة، دون طبعة، ١٩٧٠م، ص٢٢٢.

١٦- المجتمع المتكافل في الإسلام، مرجع سابق، ص١٦١ و١٦٢.

١٧- القرآن والسلطان: هموم إسلامية معاصرة، فهمي هويدي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص٢٣٥.

١٨- انظر: من توجيهات الإسلام (تصحيح بعض المفاهيم الدينية) الشيخ محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، دون طبعة، ١٩٨٧م، ص٢٥٥.

١٩- راجع: التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها، د. محمد عقلة، بحث منشور ضمن كتاب: «أبحاث وأعمال مؤتمر الزكاة الأول»، تنظيم بيت الزكاة بالكويت، شهر شعبان، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص٢٢٨ إلى ص ٢٣٠.

٢٠- انظر: آثار الزكاة في الأفراد والمجتمعات، د. يوسف القرضاوي، بحث ضمن أبحاث المؤتمر السابق، ص ٣٥ وما بعدها.

٢١- انظر بشكل مسهب: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، منشورات دار العرب للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص١٨-٢٥.

٢٢- انظر شرحا تفصيليا للنقاط السابقة في كتاب: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مرجع سابق، الصفحات ٢٤، ٦٢، ١٢١، ١٣٠، ١٣٨، ١٤١.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

د. حاتم باي
جامعة الأمير عبدالقادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة

التحقيق في دعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل

(مظاهرها، وأسبابها، وعلاجها) (١-٢)

من الظواهر التي هي شائعة في الأوساط العلمية، وبين المتفقهة: دعاوى خلو بعض المذاهب في مسائل فقهية عن الدليل الذي يسندها، والمدرك الذي يعمده؛ أو دعوى معارضة المذهب للدليل الراجح. وقد سرى ذلك إلى بلاد المغرب الإسلامي، حيث يتفقه أكثر أهله على مذهب الإمام مالك بن أنس؛ فكثرت دعاوى بعض الناس مخالفة المذهب المالكي للدليل، مما يدعو إلى تركه، واقتفاء أثر الدليل حيث كان.

ودعوى خلو الفروع في المذاهب الفقهية من الدليل، ليس بالدعوى المعاصرة المحدثة، بل إن لها سلفا سبق إليها، وعلى رأسهم كثير من الظاهرية ومن سلك سبيلهم؛ فإنهم حملوا الغارة على أتباع الأئمة في مذاهبهم، وأنكروا عليهم مخالفة الكتاب والسنة، وادعوا عليهم قولهم في الدين من دون حجة لازمة. ومن طالع كتب ابن حزم -رحمه الله- وجد من هذا الكلام الكثير، ووقف على هذه الدعاوى العريضة منه (١).

كما ترى هذا النفس من الإنكار والاعتراض في الكتاب الذي رد عليه ابن أبي زيد بكتابه «الذب عن مذاهب مالك»؛ والمردود عليه قياسي ينتحل مذهب أهل الظاهر، ويجري على إبطال الأقيسة (٢). وسرى ذلك إلى دولة الموحدين التي سعت إلى قطع الاشتغال بالفروع على مذهب مالك، زاعمة أنها مؤسسة على غير أساس من الشرع، وفي كثير منها المخالفة للسنن المروية؛ كما رأوا أن هذه الفروع، شغلت الناس عن السنن طلبا لها، وتفقها فيها (٣).

فتأتي هذه الدراسة لرصد هذه الظاهرة، ببيان أهم صور هذه الدعاوى، والتحقيق في حقيقتها، والتحرير للأسباب المفضية إليها. ثم الخلوص إلى العلاج لها.

المقام الأول: صور ادعاء مخالفة المذهب المالكي للدليل

هناك مظاهر لدعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل؛ وهي:

أولا: دعوى عدم وجود دليل للمالكية في المسألة الفقهية المنتقدة

فنجد بعض المبتدئين في العلم، يكثرون من ترداد القول بأن المسألة هذه مما لا دليل للمالكية فيها، ولا مستند لهم يعول عليه.

وهذه الدعوى باطلة لاشك فيها؛ فالأئمة المقتدى بهم، لا يفتون ولا يجتهدون، إلا معولين على بعض الأدلة التي يرونها حجة؛ أما أن يكونوا قائلين من غير دليل، فهذا هو الباطل الذي لا يصح نسبة أهل العلم المقتدى بهم إليه. ذلك أن القول في دين الله من غير ما حجة، هو من اتباع الهوى المنهي عنه؛ بل هو أقبح من ذلك، إذ فيه نسبة ذلك إلى الشرع وإسناده إليه؛ إذ المجتهدون قائمون في الدين مقام النبي فيه، فهم ورثة الأنبياء والموقعون عن الله عزوجل.

نعم، قد نجد في عبارة بعض أهل العلم، أن مذهب مالك أو غيره، لا دليل له في المسألة. والمقصود من ذلك: «لا دليل صحيحا عنده في عين المسألة»؛ وفرق بين عدم اعتماد الإمام في المسألة على دليل عنده مطلقا، وبين عدم اعتماد الإمام على دليل صحيح بالنسبة إلى غيره. ذلك أن الدليل وحجيته، من جهة الحجية الأصلية ومن جهة تحقيق مناطه في خصوص المسألة، يختلف أهل العلم فيه؛ فما يعده مالك حجة قد يكون عند غيره غير حجة، وربما كان حجة عند غيره في الأصل، لكن يختلفون في تحقيق مناطه في المسألة الاجتهادية المنظور فيها. لذلك وجب أن يتأول ظاهر كلامهم، على وفق ما بينته: من مخالفة الدليل الصحيح عند الناظر. فلابد من هذه النسبة؛ أما الإطلاق بأن إماما من أئمة الإسلام لا دليل له في المسألة، فهو من الباطل الذي ينزه أهل القدوة عنه.

ثانيا: انتقاد الدليل في أصل حجيته أو ثبوته أو دلالته

فيظهر من الصورة الأولى: أن من أهم

مظاهر وصور دعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل، زعم كون الدليل الذي احتج به المالكية في المسألة المنظور فيها: إما أن يكون غير صحيح التعلق به لعدم حجيته في الأصل، أو غير ثابت، أو غير دال على المدلول الذي لأجله اجتلب. وإبطال الدليل من هذه الجهات يجعل المذهب المالكي، متعلقا بأصل غير منتج؛ إذ ما ليس بدليل وما لا يثبت هو بمنزلة التعلق بالعدم؛ وما لا يدل، هو في قبيل الاستمساك بغير متمسك.

بيان ذلك: أن الدليل الإجمالي الذي يندرج فيه الدليل التفصيلي، إما أن يكون متفقا عليه (الكتاب والسنة والإجماع والقياس)، أو مختلفا فيه (عمل أهل المدينة، الاستحسان، الاستدلال المرسل...). فبعضهم ينتقد على المالكيين دليلهم لاندراجه ضمن بعض الأدلة المختلف فيها التي قال بها المالكية، ولم تكن عند المنتقد من الأصول المنتجة.

ويلتحق بهذا الضرب بعض المسائل التي هي مندرجة ضمن الأدلة المتفق عليها في الجملة، لكن وقع الخلاف فيها؛ من مثل القراءة الشاذة، والخبر المرسل، وكثير من شرائط أخبار الآحاد، والإجماع السكوتي، وقياس الشبه، وغيرها من الأصول التي هي فروع من الأدلة المتفق عليها، لكن لم يكن الاتفاق منسحبا عليها، بل فيها الخلاف بين أهل العلم.

أما دعوى عدم الثبوت، فهي راجعة إلى عدم ثبوت الدليل التفصيلي عند المنتقد مع التسليم بحجية الدليل الإجمالي؛ كأخبار الآحاد المروية، والتي هي أصل من الأصول المتفق عليها من حيث الجملة، فإن الضعف قد يسري إليها، ويشترط للاستدلال بها صحة ثبوتها إلى النبي ﷺ. وبمنزلة ذلك، عدم توفر الشرائط المتفق عليها بين المنتقد والمنتقد المشترطة لصحة الإجماع والقياس.

وأما دعوى ضعف دلالة الدليل على المدلول؛ فمعناه: انتقاد جهة الاستدلال بالدليل على القول المنتحل من المالكية في المسألة الاجتهادية. وهذا الانتقاد يكون على سبيلين: إما مع القول بصحة الدليل نفسه؛ وإما أن يكون على جهة النزول بتسليم الدليل عندهم، لكنهم ينتقدونه من ناحية الدلالة.

ثالثا: ومن صور دعوى مخالفة المذهب للدليل، أن الدليل القوي في المسألة هو على خلاف ما ذهب إليه المذهب المالكي.

وكثير من المدعين يستدلون على ضعف الدليل عند المالكية، وقوة الدليل المخالف، بما يجدونه من استظهار تلك الأدلة من قبل بعض أهل العلم الذين يعدونهم -عند أنفسهم- من المحققين، سواء كانوا من داخل المذهب أو من خارجه. فمثلا: ترى كثيرا من المدعين، يجعلون مخالفة ابن عبدالبر أو ابن العربي أو أبي عبدالله القرطبي أو ابن عبدالسلام الهواري، مرشدا لضعف الدليل عند المالكية، وقوة دليل المخالف؛ ذلك أنهم مالكية، وما خالفوا المذهب إلا وقد استعلن عندهم الدليل المعارض.

رابعا: ومن صور دعوى مخالفة المذهب للدليل، ما يُدَّعَى كثيرا من عدم بلوغ الدليل لإمام المذهب

وهذا الأمر مختص بالأخبار المروية عن النبي ﷺ، فهم يدعون على مالك عدم احتوائه على كل السنة المروية، فقد فاته كثير من الأخبار التي بلغت غيره ولم تصله، وهو لو اطلع عليها لكان يترك لها اجتهاده الذي ربما يكون مخالفا لما تضمنته تلك السنن. وهذه الدعوى هي من أكثر الدعاوى الرائجة بين المدعين، فما وجد من خبر مخالف في الظاهر لمذهب مالك، إلا وتراهم يردون سبب مخالفة مالك رحمه الله له إلى عدم علمه به. ورد الخلاف إلى هذا السبب، كان في سبيل إلزام المالكية القول به؛ فلئن كان مالك لم يقل به لعدم بلوغه إليه، فلا سعة لغيرهم في مخالفته، لارتفاع سبب العذر فيه! فمالك يعذر، ومتبعه يعذل!

المقام الثاني: أسباب دعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل

بعد البيان عن مظاهر وصور دعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل، نأتي على تجلية أهم الأسباب التي وقفت عليها من خلال تحليل هذه الظاهرة:

أولا: سوء الظن بفقهاء الإسلام، وعدم تنزيلهم المنزلة اللائقة بهم

وهذا السبب المذكور خاص ببعض الجهلة الذين لم يشدوا طرفا من العلم، ولم يتأدبوا بأدب الإسلام؛ فتراهم في لحن قولهم يسيئون الظن بأئمة المذاهب، ومنهم مالك، فيدعون عليهم القول في دين الله من غير حجة لازمة، ومن غير دليل معتبر. كما تجدهم في الكلام على مسائل المذهب، يعدون مالكا من عرض الناس الذين لا مكنة لهم في الفقه، ولا منزلة له في العلم من بين أئمة الإسلام. وداء الاستهانة هذا، هو من الأدواء التي بلي بها هذا العصر، فجعل كثيرا من الناس يسيئون الرأي في سلفهم وخلفهم (٤).

ثانيا: من أعظم أسباب هذه الظاهرة: عدم فقه الأسباب التي أوجبت الخلاف بين فقهاء المسلمين

فكثير من المدعين لم يفقه أسباب الخلاف بين فقهاء المسلمين، حق الفقه؛ فلا يرى أن الخلاف له أسباب

موضوعية أنتجته، وأدت إليه. وعدم فقه ذلك يؤدي بصاحبه إلى إنكار ما وقع من الخلاف لعدم استيعابه أسبابه، وإحاطته بموجباته. ولو أنه وقف على تلك الأسباب، لكان يتريث كثيرا فيما يدعيه على الأئمة من مخالفة الدليل.

فمن الأسباب البارزة للخلاف بين الفقهاء: المنهج الاجتهادي الذي جرى عليه الأئمة؛ فترى لكل إمام منهجا سلكه في فقهه، وبنى عليه مذهبه؛ وجزء من هذا المنهج ليس محل وفاق بين الأئمة الفقهاء، لذلك نتج عنه الخلاف في الفروع المبنية عليه؛ ذلك أن الاختلاف في المنهج، عادة ما يؤدي إلى خلاف في الفروع المؤسسة عليه. لذلك ما ذكرناه من الأدلة التي عول عليها مالك في فقهه، وكانت محل خلاف من غيره من الفقهاء، من مثل عمل أهل المدينة والاستحسان والاستدلال المرسل-: قد أنتجت خلافا في كثير من الفروع الفقهية؛ فمن تقلد القول بعدم الاحتجاج بهذه الأصول، لا يكون رأيه هذا مبطلا لاجتهاد مالك فيها، فليس الأخذ بقوله أولى من الأخذ بقول مالك ومن تبعه من الأئمة فيها؛ إذ هي أصول اجتهادية لا يلزم المختلفون القول باجتهادات غيرهم.

ثالثا: القصور في فهم مدلول معنى «الدليل»

من أهم أسباب هذه الظاهرة، أن كثيرا من المبتدئين، يقصرون «الدليل» عندهم على كتاب الله تعالى وعلى سنة رسوله ﷺ؛ فهو إن لم يجد في قول من الأقوال المحكية نصا من كتاب الله تعالى، أو نصا من حديث رسول الله ﷺ، يعد القول خلوا من الدليل الصحيح اللازم.

وهذا من الأخطاء المنهجية التي يقع فيها المبتدئون، فالدليل أوسع مدلولا من أن يكون مقتصرا على نصوص الكتاب والسنة؛ فالأدلة عند أهل العلم كثيرة، منها المتفق عليها ومنها المختلف فيها؛ فالقياس وعمل أهل المدينة والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها، كلها أصول استدلالية عول عليها العلماء، وبنوا كثيرا من الفروع الفقهية عليها.

رابعا: من أهم الأسباب التي أنتجت هذه الظاهرة، وجدانهم أحاديث صحيحة عندهم تخالف في ظاهرها ما عليه المذهب المالكي؛ ويقولون: «إن صح الحديث، فهو مذهبي». وظاهر أن هذا السبب يرجع إلى الأسباب السابقة، لكن رغبت في إفراده للاهتمام به، لكونه من أكثر ما يتعلق به المتعلقون في دعواهم مخالفة المذهب للدليل.

وسأبحث هذا السبب في ثلاثة مقامات:

الأول: مفهوم السنة عند مالك

من المقرر في المذهب المالكي أن السنة عندهم ليست محصورة في الأخبار المروية بالأسانيد، بل إن لهم مفهوما أوسع من غيرهم في مدلول السنة؛ فالأخبار المروية المرفوعة، والعمل المدني المأثور في المدينة، وأقوال الصحابة التي لا يعلم لها مخالف منهم؛ كل أولئك من السنة التي يعمل بها مالك، ويعول عليها، ويسند فروع مذهبه إليها. فمثلا، تقديم العمل المدني عند مالك على خبر الآحاد المروي، ليس من قبيل ترك السنة عنده إلى دليل آخر؛ بل هو من قبيل ترك سنة مروية لسنة أخرى أقوى منها وأثبت؛ إذ العمل عنده من السنة التي تلزم بها الحجة.

الثاني: شروط اعتبار السنة للاحتجاج بها

الخبر المروي من طريق الآحاد حجة عند الأئمة من السلف والخلف؛ شرط توفر الصحة فيه. لكنهم قد يختلفون في صحة هذه الأخبار، وسبب ذلك راجع إلى أحد أمرين:

الأول: الاختلاف في بعض الشرائط المشترطة في صحة خبر الآحاد؛ فالشروط منها المتفق عليها، ومنها ما وقع الخلاف فيها بينهم (٥). فمثلا نرى أن أكثر أهل الحديث على تضعيف المرسل، وعدم الاعتداد به. وخالف في ذلك مخالفون، ومنهم المالكيون؛ فجعلوا المرسل من الأخبار الآحاد التي تلزم الحجة به، إن لم يكن في الباب حجة أقوى منه (٦).

الثاني: من أسباب الخلاف في تصحيح الأخبار، الاختلاف في تحقق مناط بعض الشرائط المتفق عليها بين أهل العلم. فمثلا، اتفقوا على أن الخبر يجب أن يكون راويه من العدول الضابطين، لكنهم يختلفون كثيرا في تحقق شرط العدالة والضبط في أعيان الرواة؛ فكم من راو وثقه ابن معين، ضعفه غيره؛ وكم من راو ضعفه ابن مهدي، وثقه سواه!

الثالث: دعوى عدم اطلاع مالك على الحديث

وهذا أمر تقدم البيان عنه في سياقتي لصور دعوى خلاف المالكية للدليل. فأول أمر يذكر أننا نسلم كون مالك وغيره من الأئمة، لم يعلموا كل سنة مروية؛ ولا أحد -من العقلاء- نعلمه ادعى ذلك لنفسه أو ادُّعِي له! ونقر أن مالكا وغيره، قد فاتتهم بعض الأخبار، ولم تبلغهم. لكن الإشكال أن أصحاب الدعوى محل البحث، يردون أكثر ما يجدونه من أخبار تعارض في ظاهرها مذهب مالك إلى هذا السبب، وهو عدم البلوغ. مع أن ترك الخبر، قد يكون لأسباب أخر كثيرة؛ منها: عدم صحة الخبر عنده، ولا يلزم من صحة الخبر عند غيره أن يكون صحيحا عنده، خاصة إن كان الخلاف ناشئا من الاختلاف في بعض شرائط الصحة

للأخبار. ومنها: عدم دلالة الدليل على المدلول، فكثير من الأخبار، قد لا يسلم فيها وجه الاستدلال منها. ومنها: أن يكون الخبر معارضا لأدلة أقوى منه، فيقدم الدليل الأقوى إن تعذر الجمع من غير اعتساف.

كما أن دعوى عدم بلوغ الخبر للإمام مالك يجب أن يتأنى فيها صاحبها، وأن لا يعجل في القول بها؛ فعدم رواية مالك لحديث في «الموطأ» أو خارجه، ليس بدليل البتة على عدم بلوغه إياه، فقد كان مالك من المكثرين من التحمل عن أهل الحجاز (٧)، لكنه من المقلين في التحديث والرواية؛ لأنه جرى على منهج التنخل لما يرويه وما يحدث به.

والأخبار الحجازية وخاصة المدنية منها، يبعد جهل مالك بها، أو عدم بلوغها إليه؛ ويوغل في البعد إن كان رواتها ممن أخذ عنهم مالك؛ كما يزداد بُعْدُ عدم بلوغها إليه: أن يكون رواتها من شيوخه الذين أكثر عنهم، واحتفى بهم؛ فالظن علم مالك بها؛ فهو وارث علم المدنيين، والعارف به. نعم، لو قد كان الخبر مخرجه عراقيا، فيقرب أن لا يعلم به مالك؛ لكن قد علم أن من منهج مالك عدم التعويل على أخبار العراقيين، خاصة الكوفيين منهم، مما لا يوجد لها في المدينة أصل (٨).

خامسا: من الأمور التي تراها تتكرر على ألسنة بعض أصحاب هذه الدعوى: أن الأصول المدونة في أصول الفقه لكثير من المذاهب، إنما أصلت للتفلت من الدليل

وهذه الدعوى تراها كثيرا في كلام ابن حزم في «الإحكام» وفي «المحلى» وغيرها من كتبه؛ فهو يرى أن كثيرا من الأصول هي أصول لم يقل بها أئمة المذاهب، وإنما هي أصول أصلها المتمذهبون ليردوا بها بعض الأدلة اللازمة التي ألفوها مخالفة لمذاهبهم.

ومن دلائل ذلك: الاضطراب من أتباع المذاهب في إعمالها؛ فمرة يعملونها، إن كان ذلك موافقا لمذهبهم؛ ومرة يصدفون عنها، إن كان ذلك الأصل ينتج خلاف ما تقلدوه من قول فقهي؛ وإنما همهم -كما هو في اصطلاح ابن حزم- نصر المسألة الحاضرة، وإن أدى بهم ذلك إلى هدم كثير من مسائل مذهبهم (٩).

وهذه الدعوى باطلة. وجهة بطلانها، أنه يبعد تتابع الأئمة من أتباع المذاهب على نسبة الباطل إلى إمامهم؛ لأن تأصيل الأصل المذهبي، هو من قبيل نسبة ذلك الأصل إليه. وكان منهج هذه النسبة: استقراء استدلالات الإمام الفرعية، وتتبع مسائله الفقهية، لاستخلاص المنهج الذي جرى عليه الإمام في التفريع الفقهي. نعم، نقر أن بعض ما ينسب للأئمة من أصول، قد يكون منظورا فيه، لبعض الخلل الواقع في طريق استخلاص الأصل من الفروع التي كانت مستند هذا العزو. لكن، يبعد أن يتتابع أرباب المذهب على الخلل في النسبة، وإنما يتصور هذا الخلل من بعض من ينتصب لنسبة الأصول للأئمة، ولن تعدم في أتباع المذهب من ينبه على خطأ هذا العزو، أو على وجود قول آخر في المذهب ينسب إلى مالك خلاف ما نسبه إليه الأول.

ثم إن ابن حزم في دعواه هذه، تجده يتعامل مع أصول المذاهب من منطقه الظاهري، فهو يظن أن كل أصل استدل به مذهب، يلزمهم القول به في كل مسألة وجد فيها. وهذا لا يلزم البتة؛ ذلك أن الأدلة المتعارضة قد تتوارد على المسألة الواحدة، وسبيل النظر فيها: السعي للجمع بينها، فإن لم يمكن الجمع سلك سبيل الترجيح، إن تعذر مسلك النسخ. والترجيح يكون منطقه مستندا إلى التعويل على أقوى الأدلة الواردة في المسألة، ويترك في قبالة هذا الدليل الأدلة المعارضة له. وليس يلزم من ترك الدليل المعارض، وجوب تركه في حال انفرد في المسألة؛ فمثلا، لو تعارض منطوق نص، مع مفهوم المخالفة لنص آخر، فالتقديم يكون للمنطوق، لقوته. وهذا الترك للمفهوم لا يكون دليلا على بطلان التعلق به في حال انفرد في المسألة، أو كان أمتن الأدلة فيها. من أجل ذلك، كان تطبيق الأصول في أعيان المسائل، لا يكون على أساس الظاهرية التي يصدر عنها الإمام ابن حزم رحمه الله.

الهوامش

١- كتب ابن حزم طافحة بذلك؛ انظر مثلا: المحلى، (تحقيق أحمد شاكر)، ١/١١١، ٢/١٠٦، ١١٢، ٢٠٣، ٢١٠.

٢- اسم الكتاب المردود عليه: «التنبيه والبيان عن مسائل اختلف فيها مالك والشافعي». انظر: الذب عن مذاهب مالك، (تحقيق محمد العلمي) ١/٢٥٥. أما مصنفه، فليس يدرى من هو؟ إلا كونه ظاهريا يتبع أهل الظاهر في نفيه القياس، وتعويله على الظاهر.

٣- انظر ما وقع في مجلس أمير الموحدين، بينه وبين الفقهاء، وعلى رأسهم ابن زرقون: فتاوى البرزلي، (دار الغرب الإسلامي)، ٦/٣٧٦-٣٧٧.

٤- انظر عن داء الاستهانة: ما كتبه شيخ العربية محمود شاكر، في مقدمة تحقيق كتاب «أسرار البلاغة»، لعبدالقاهر الجرجاني، ١٧-٣٠.

٥- انظر: ابن تيمية، رفع الملام (الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية) ٢٢.

٦- على شروط يعولون عليها في الاحتجاج به. انظر: التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس. (ط. الوعي الإسلامي).

٧- انظر: عياض، ترتيب المدارك، (وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٦٥-١٩٨٣م) ١/١٨٦-١٨٩.

٨- انظر: ابن أبي زيد، الذب عن مذاهب مالك ٢/٦٣١؛ ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، (دار الآفاق الجديدة) ٢/٢٨٤، المحلى ٣/٦٢، ٧/٨٧-٨٨؛ البيهقي، مناقب الشافعي، (تحقيق السيد أحمد صقر) ١/٥٢٦-٥٢٨؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٠/٣١٦، ٤/٤٢٦، رفع الملام، ٢٠.

٩- انظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ٢/١٣٧، ١٨٩، ٣/٣١٩، المحلى، ٧/١٧٨.

محمد توفيق
باحث دراسات إسلامية

أمة السند

وصفت أمة الإسلام في كتاب الله بالخيرية والوسطية في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠)، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣).

وقد رفع الله قدر هذه الأمة وشأنها، وأجل مكانتها، وجعلها في مصاف الأمم والحضارات، حيث ميزت عن غيرها بجملة من السمات والخصائص، وأعطيت خيرية تمتد عبر الزمان والمكان إلى يوم الدين.

ومن هذه الخصائص التي امتن بها الله على الأمة المحمدية الإسناد ونقل الخبر عن قائله، ورحم الله ابن المبارك حيث قال: «الإسناد من الدين» (١). وقد تنافس علماء الأمة وكبراؤها في طلب علو الإسناد واتصاله، فقطعوا الفيافي والقفار، وركبوا عباب البحار، وواصلوا اليل سيرا بالنهار؛ كي ترتفع درجة السند، لذا قال الإمام أحمد بن حنبل: «طلب العلو في السند سنة عمن سلف». وثبت أيضا عن ابن المبارك قوله: «مثل الذي يطلب دينه بلا إسناد، كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم» (٢).

ولما كان هذا شأن الإسناد، فقد أشاد به الأئمة وجعلوه من الدين، سواء في الأخبار النبوية أو الأحكام الشرعية أو المناقب والسير والفضائل أو التربية والقراءات والأنساب... والمحافظة عليه قربة إلى الله تعالى (٣). قال سفيان الثوري: «الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل» (٤).

وقد نقل محدث المغرب عبدالحي الكتاني عن كتاب «سراج المريدين» للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي قوله: «والله أكرم هذه الأمة بالإسناد، لم يعطه أحدا غيرها، فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى، فتحدثوا بغير إسناد، فتكونوا سالبين نعمة الله عن أنفسكم، مطرقين للتهمة إليكم، خافضين لمنزلتكم، ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم، وراكبين لسنّتهم».

وقال أبومحمد بن حزم عن نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبي ﷺ: «وهذا نقل خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، أبقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور».

وقال السيوطي: «خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب».



تعريف السند

السند في اللغة: المعتمد.

قال ابن منظور: السند: ما ارتفع من الأَرض في قبل الجبل أَو الوادي، والجمع أَسناد، لا يُكَسَّر على غير ذلك. وكل شيء أَسندت إليه شيئًا، فهو مسْنَد. وقد سند إلى الشيء يسند سنودا واستند وتساند وأَسند وأَسند غيره. ويقال: ساندته إلى الشيء فهو يتساند إليه (٥).

أما في الاصطلاح فهو الطريق الموصل إلى الخبر. والإسناد: أن يذكر الراوي سنده إلى الخبر، أي رجال الحديث. وتمت تسميتهم بذلك لأنهم يسندون الحديث إلى مصدره، أو لاعتماد الحفاظ على المسند في معرفة صحة الحديث (٦). وقال صاحب «القاموس المحيط»: والمسند من الحديث: ما أسند إلى قائله (٧). ولا يشك عاقل في أن نقل الخبر بالسند أبعث على الاطمئنان إليه، لاسيما إذا تبين أن الناقلين ثقات.

نشأة السند

لقد أجمع المؤرخون والعلماء عبر الأزمان أن الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية. وقد انبثق هذا العلم نتيجة حاجة المسلمين إليه؛ لوضع ميزان بيان الأخبار والأحاديث الصحيحة عن غيرها، وذلك بعد ظهور الفتنة وشيوع الكذب، قال ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم»؛ ولذلك هيأ الله تعالى لحفظ هذا الدين أئمة جهابذة يذودون عن حياضه، ويرفعون الدخيل عن رياضه، فقصدوا دراسة الرجال وأحوالهم وسير أخبارهم، «لأن معرفة الرجال نصف العلم» (٨).

وقد أكد علماؤنا أن بداية استعمال الرواة للأسانيد كانت منذ عهد الرسول ﷺ، ومن الصحابة من ألزم نفسه وغيره بذكر الإسناد عند روايته للحديث، ومنهم من لم يلزم نفسه بذلك. إلا أنه بعد الفتنة وظهور الوضع شاع الالتزام بذكر الإسناد.

ومن يقرأ هذا القول قد يرى فيه تعارضا مع قول ابن سيرين، بل معناه أنهم كانوا يأخذون في ذلك الوقت -زمن الرسالة والنبوة- بظاهر العدالة. وقوله هذا يفيد الإلزام بذكر الإسناد بعد فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، حيث ظهر كذب الرواة. وقد أسفرت جهود أهل الفن عن تأليف موسوعات ضخمة من كتب الرجال، تدقيقا وتنقيحا وتوثيقا ووضع قواعد الجرح والتعديل ودراسة الأسانيد؛ حفظا لميراث رسول الله ﷺ.

السند في الحديث

لقد فطن أئمة الحديث الأوائل إلى فضل الإسناد، فحرصوا عليه، ورحلوا من أجله، واعتبروه جزءا من الدين، وبذلوا كل غال ونفيس في حفظ السنة ونقلها صافية نقية كما صدرت عن الرسول الأمين محمد ﷺ، لهذا نجدهم لا يأخذون إلا من تثبت عدالته وأمانته وتيقن من سماعه وتلقيه، بل تفننوا وأبدعوا علم الجرح والتعديل، وتتبع صلة السند وانقطاعه؛ وذلك صيانة للرواية من الوهم والنسيان والتدليس ومن العوارض البشرية، وكذا حفظ الحديث من الوضع والافتراء، خصوصا مع شيوع الوضع والاختلاق في السنة والتاريخ وظهور الفتن السياسية وانقسام المسلمين مع الانكسار التاريخي وسقوط الخلافة الراشدة، فكان هذا الرواج في وضع الحديث سببا لعلماء الجرح والتعديل في الوقوف موقف التبصر والحذر في نقل الرواية وقبولها، وذلك عبر قواعد دقيقة وضوابط تميز الصحيح من السقيم «ولهذا نجد من عناية المحدثين أنهم اشترطوا في الحديث الصحيح أن يكون متصلا من أوله إلى منتهاه، وقسموا أنواع الخلل الذي يطرأ على الإسناد، وأعطوا لكل واحد منها اسما خاصا به» (٩)، وكان هذا الجهد العظيم سببا في رد أقوال العديد من الذين «اندسوا بين المحدثين، ولم يبق لهم إلا سيئ الذكر وإثم الضلالة، ومن هؤلاء ابن الرواندي، وحماد عجرد، وبشار بن برد، ومطيع بن إياس» (١٠). وبذلك حفظ الله حديث رسول الله ﷺ من العبث والوضع، فكان الإسناد سلاحا طاعنا في وجه كل وضاع كذاب.

السند في القراءات

مما هو معلوم أن النص القرآني يعتمد في كليته على المشافهة والضبط من أفواه الرجال والحفاظ، وكان العمل بذلك منذ نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، حيث كان الصحابة يتلقونه من في النبي الكريم عليه ازكى الصلاة والسلام، ويضبطونه عنه. وقد شاع بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم عبر القرون وتأكد حفظ الله لهذا القرآن، وذلك لما ألهمه الله لرجال حملوا أمانة التبليغ وحفظ كتاب الله من التحريف والتبديل والتغيير ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩). فقد هيأ الله للأمة على امتداد التاريخ سبل



خدمة القرآن منذ عهد الرسول ﷺ ثم الصحابة من بعده الذين حرصوا على نقل ما سمعوه وتلقوه، فدونوه في قراطيس وكتب، وعلموه للأجيال اللاحقة بعدما وحد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه القراءات.

وقد وضع العلماء في قبول القراءات وردها ميزانا ومعيارا يرجع إليه في بيان صحة القراءة، فأكدوا على ضرورة صحة السند واتصاله في رواية القراءة، لهذا نجد ابن الجزري يقول: «كل قراءة وافقت العربية، ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة» (١١).

«فرواية أحرف القرآن كرواية الآثار والأخبار، منها الصحيح ومنها دون ذلك.. والقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، ولهذه الغاية جعل من أركان القراءة المقبولة صحة سندها، والمراد به الطريق الموصل إلى القراءة» (١٢).

«ولقد حرص القراء على السند، وكانوا يسارعون للأخذ بالأسانيد العالية في القراءات، سائرين على نحو المحدثين في ضبط الأسانيد المتصلة إلى النبي ﷺ» (١٣).

السند في التربية

لقد اتصل نور السماء بالأرض عن طريق النبوة. والنبوة تتمثل برجال اختارهم الله تعالى من الأزل، لسابق علمه باتصافهم بما يؤهلهم لحمل أمانة التبليغ، فأدى الأنبياء ذلك على الوجه المطلوب، وكان لهم أتباع وحواريون، تربوا على أيديهم، وأخذوا عنهم الدين، فكانوا صورة صادقة عن أنبيائهم، ومرآة تعكس ما رأوهم عليه.

ولقد قام هؤلاء الأصحاب بنقل ذلك لمن تبعهم وصحبهم، فكانوا كذلك صورة صادقة عمن نقل لهم وحي السماء. وعلى هذا المنوال تناقلت الأمة الدين منذ فجر الإسلام، فكان الإسناد في التربية إحدى دعائم هذا الدين، على اعتبار أن التربية والسلوك لا يؤخذان إلا من صدور الرجال وبالمصاحبة والمخاللة، ولهذا يقول رسول الله ﷺ: «المرء

على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (وفي رواية الإمام أحمد: من يخالط) (١٤)، وغيره من الأحاديث التي تحث على حسن اختيار المصحوب والتقصي في المخالة، لأنه الدين (١٥).

وإذا كانت ميزة العهد الأول للإسلام أنهم صحبوا رسول الله ﷺ، فإن هذا الخير لم ولن ينقطع وهو مستمر إلى قيام الساعة، وهذا فضل وإحسان من الكريم المنان، فقد روى الشيخان (واللفظ لمسلم) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم» (١٦).

فالسلوك إلى الله وترقي درجات الإيمان والإحسان لا يكون إلا بصحبة صالحة لها سند متصل وأصل إلى رسول الله، ولهذا درج أولياء الله الصالحون المصلحون على التأكيد على ضرورة الصحبة الصالحة، والصحابة لم يسموا بهذا الاسم إلا لصحبتهم رسول الله ﷺ، وما فضلوا الأمة إلا بها ولا نالوا الدرجات العلى. فالصحبة محبة تثبت وترسخ وتنمو وتتجذر في القلوب بالملازمة والمخالطة والمعايشة والتلمذة.

والمتفحص في تاريخ الإسلام يجد أن أعلامها وكبراءها، كالغزالي والسيوطي وغيرهما كثر، صحبوا من يدلونهم إلى الله، فبحثوا عن مرب له سند واصل متصل إلى الرسول الكريم، حيث معرفة الله والأنس به وتذوق معاني الإحسان والإيمان.

ذاق الصحابة حلاوة الإيمان، وطعموا طعمه، وحصل لهم اليقين، وذاق طعم الإيمان تابعوهم، وذوَّق تابعوهم تابعيهم، والجداول النورانية حية لاتزال متدفقة، ينور الله بها عباده، ويحيي بها أرض القلوب كما يحيي بغيث السحاب أرض الزرع.

ليس الأمر معلومات وإقناعا فكريا، بل هو إقناع قلبي عقلي وجداني، أفاضه جيل على جيل، وجليس على جلساء، ومحبوب على محبين في الله. إذن، فمدار الدين التبليغ المتصل السند إلى رسول الله ﷺ، فالتبليغ وحده لا يغني عنه كتاب كاتب، ولا صوغ مؤلف؛ لأن في التبليغ والأخذ مباشرة معنى زائدا على المبلغ في أمور ثلاثة: الرواية والدراية وحال المبلغ. وليس في قراءة البلاغ ذلك، فالذي يتلقى الحديث أو القراءة أو التربية أو الفضائل تبليغا ليس ممن وجد ذلك في كتاب، لهذا يقال: «لا تأخذ العلم من كتبي ولا القرآن من مصحفي». فرسول الله ﷺ روى على مسامع الصحابة آيات القرآن والأحاديث الشريفة، فسمعوا ألفاظه، وعرفهم مضمونها فدروها وتخلقوا بمعانيها فتأثروا بحاله، ونقلوا ذلك لمن تبعهم.. وهكذا إلى الأمة جمعاء بالتلقي والصحبة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨). فمن رغب في الدعوة فسبيلها الاتباع، والاتباع يكون باقتفاء أثر المتبع ولا يكون بغير وجود المتبوع، أو من تبعه، أو من تبع من اتبعه، وهذا معنى الصحبة واتصال السند، وهو مطلوب مرغوب في جميع أمور الدين.

الهوامش

١- أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، ١/١٥.

٢- أخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية، ص٥٥٨.

٣- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل لفاروق حمادة، ص٢٣٣، ط١، ١٩٨٢م.

٤- المجروحين لابن حبان، ١/٢٧، مكتبة المعارف، الرباط.

٥- من كتاب لسان العرب لابن منظور (مادة: سند).

٦- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، ص٢٣١.

٧- القاموس المحيط للإمام الفيروزآبادي.

٨- تلخيص علوم الحديث ومصطلحه لمصطفى بن محمد الدغاي القصري، ص١٦، ط ٢٠٠٠م، مطبعة فضالة، المحمدية.

٩- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، ص٩٢.

١٠- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، ص٢٣٥.

١١- النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد الجزري، ١/٩، دار الفكر، بيروت.

١٢- الإيضاح في علم القراءات، د. عبدالعالي المسؤول، ص٣٨و٣٩، ط٢، ٢٠٠٤م، مطبوعات الهلال، وجدة (بتصرف).

١٣- المرجع السابق، ص٤٥.

١٤- رواه أبوداود والترمذي بإسناد صحيح.

١٥- ومن تلك الأحاديث ما رواه أبوموسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة» (الحديث أخرجه البخاري ومسلم).

١٦- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٢٨٩٧)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة (٢٥٣٢).

أ. د. أمان محمد قحيف
باحث أكاديمي



تحويل القبلة.. تمحيص للقلوب المؤمنة

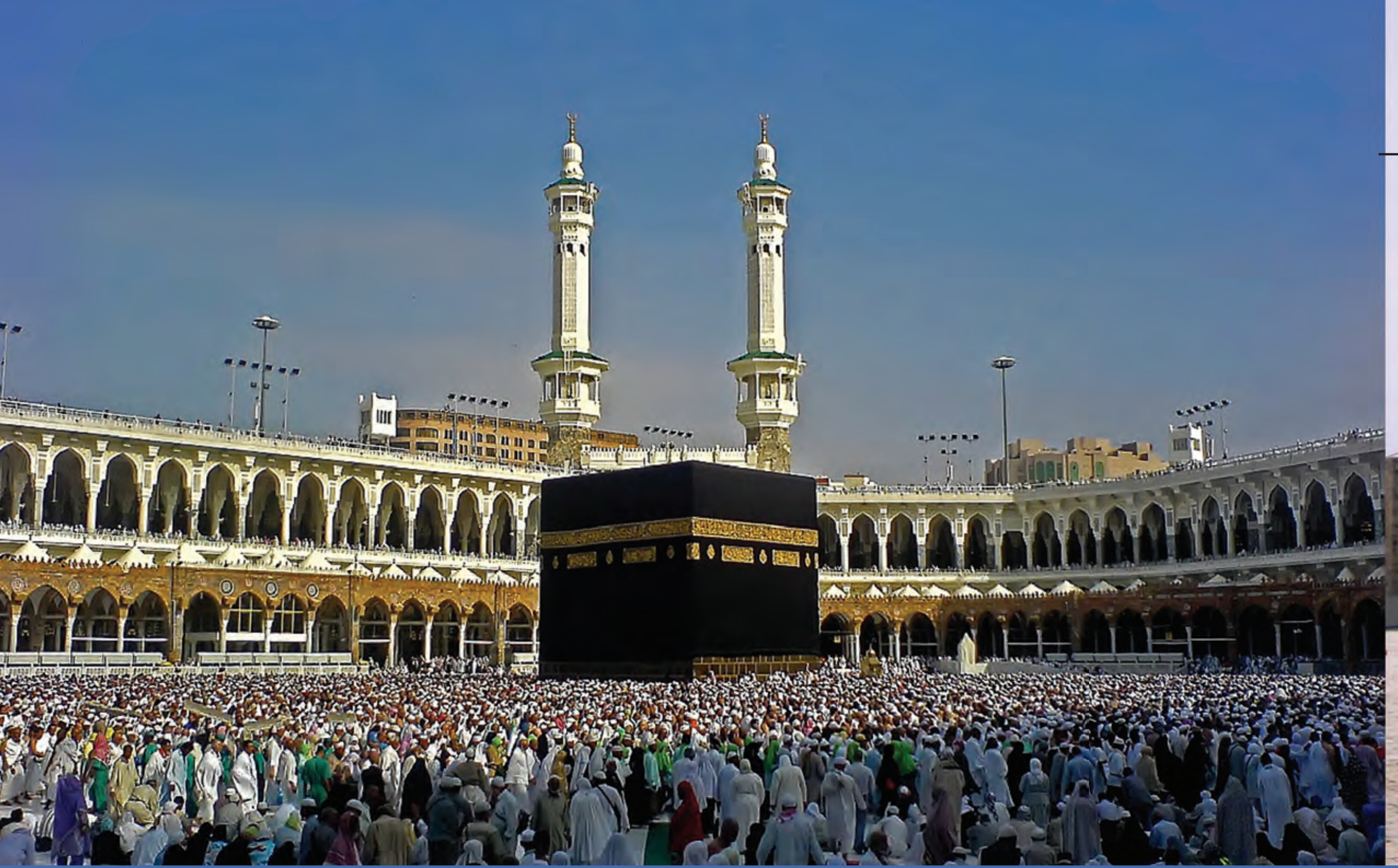
الدعوة، كما الحياة، تمر بالعديد من التطورات والأحداث التي تشكل نقاط تحول وعلامات فاصلة في مسيرتها وانطلاقاتها. وكانت مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة إحدى العلامات الفارقة في تاريخ الإسلام والمسلمين، فقد ساهمت في الكشف والتمحيص عما هو كامن في قلوب وصدور أفراد المجتمع الذي كان النبي ﷺ يعيش فيه وقتذاك.

والحق أن عملية التمحيص هذه كانت ضرورية ومهمة في هذا الوقت بالتحديد؛ لأن الدعوة كانت في أولها، وكان الرسول ﷺ يتأهب لينطلق بها إلى رحاب أفسح وعوالم أوسع، وما كان يتيسر له التوفيق والنجاح إلا إذا كانت قلوب مناصريه راسخة بالإيمان يملؤها اليقين بالله تعالى وبرسوله ﷺ.. من هنا كانت أهمية التمحيص وضرورته.

ولقد تناول القرآن الكريم قضية تحويل القبلة بالتحليل والتفصيل؛ ليرد على اعتراضات المعترضين، وليكشف النقاب عن سذاجة عقولهم وسطحية تفكيرهم، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ (البقرة:١٤٢).. وهنا يرى العلامة القرطبي -يرحمه الله- أن: «سيقول بمعنى قال؛ جعل المستقبل موضع الماضي دلالة على استدامة ذلك وأنهم يستمرون على ذلك القول» (١).

ويرى بعض العلماء أن الله تعالى يريد أن يبطل تشكيكات اليهود والمنافقين في قضية تحويل القبلة «فيقول جل جلاله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، أي إنهم لم يقولوها إلا بعد أن نزلت هذه الآية، لأن حرف السين في كلمة «سيقول» يؤكد هذا المعنى.. ومما يدل على أنهم سفهاء حقا أن الله جل جلاله أخبر رسوله ﷺ في قرآن يتلى ويصلى به ولا يتغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة.. قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.. فلو أنهم امتنعوا عن القول، ولم يعلقوا على تحويل القبلة، لكان ذلك مثارا للتشكيك في القرآن الكريم؛ لأنهم في هذه الحالة كانوا يستطيعون أن يقولوا: إن قرآنا أنزله الله على رسوله ﷺ لا يتغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة.. قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ﴾ ولم يقل أحد شيئا.. ولكن لأنهم سفهاء فعلا، والسفه جهل وحمق وطيش قالوها، فكانوا، وهم الكافرون بالقرآن الذين يريدون هدم هذا الدين، من المثبتين للإيمان!» (٢).

ولنا أن نقول: إن قول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ مازال يتحقق إلى الآن، حيث نقف على تساؤلات -وربما استنكارات- لبعض المستشرقين والماديين في كتاباتهم عن تحويل



القبلة! الأمر الذي يؤكد أن نبوءات القرآن تتحقق في كل عصر وآن.
ولقد أجاب ربنا سبحانه وتعالى على سؤالهم بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ (البقرة:١٤٢)، فكأنما الحق سبحانه وتعالى ينبههم إلى أن الكون كله لله تعالى، ولا فرق عنده سبحانه بين مشرق ومغرب، لأن الكون كله ملكا له وهو خالقه.
واللافت أن المشككين عندما تحدثوا عن تغيير القبلة سألوا عن السبب ولم يسألوا عن المسبب فقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾، ولم يقولوا: «من ولاهم؟».. وهذا يدل على تخبط فكرهم، حيث لم تتعلق قلوبهم بالفاعل بل تعلقت بالسبب دون المسبب!.. ولا حظ هنا أن الله تعالى قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، والرسول بعث إلى الإنس والجن، فنفهم من ذلك أن سفهاء الجن لم يقولوا مثل هذا الكلام.

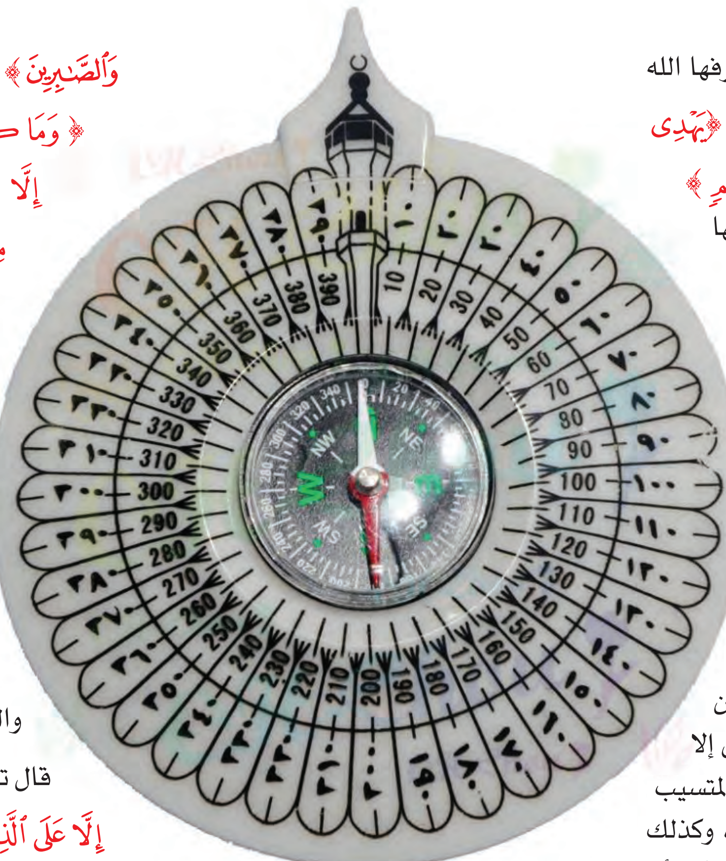
الكعبة هي الأصل

والحق أن قضية تحويل القبلة مازالت تطرح من قبل بعض المعاصرين من المستشرقين والعلمانيين ومن في قلوبهم زيغ، حيث يذهب بعضهم إلى التساؤل عن الحكمة من تحويل القبلة، ولهؤلاء نقول:
أولا: إن الأساس في القبلة هو الكعبة المشرفة بدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ (البقرة:١٤٣)، وهذه إشارة من الله تعالى إلى أن الصلاة صوب بيت المقدس كانت مجعولة لأسباب معينة ولفترة معينة.. فالله عز وجل جعل نبيه ﷺ يصلي صوب بيت المقدس؛ لأن مشركي مكة كانوا يعظمون الكعبة باعتبارها بيت آبائهم وليس باعتبارها بيت الله تعالى.. ولقد صرفه الله تعالى عنها كي لا يظن الكفار والمشركون أنه ﷺ يعظم البيت العتيق ويصلي تجاهه لأنه بيت آبائهم حسب ظنهم.
ثانيا: كانت الكعبة ممتلئة بالأصنام التي تعبدها القبائل العربية من دون الله، وما كان للنبي أن يستقر على الصلاة صوبها وبها أصنام؛ كي لا يحدث نوع من اللبس في مسألة موقف الدين الحنيف من تلك الأصنام.. لذا صلى النبي ﷺ تجاه الكعبة بعد أن ابتعد عنها وترك مكة إلى المدينة المنورة؛ كي لا يظن أنه يمجد الكعبة بالأصنام الموجودة بها.
ثالثا: إن اليهود عيروا المسلمين في المدينة بأنهم هم من هدوهم إلى القبلة (بيت المقدس)، فجاء تحويل القبلة ليذهب عن اليهود الإحساس بالفضل على المسلمين.
رابعا: كان التحول إلى اتجاه الكعبة في الصلاة من جملة نعم الله تعالى على المسلمين، إذ هداهم إلى قبلة أبي

الأنبياء، عليه السلام، التي شرفها الله تعالى عندما أشار إليها بقوله: ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (البقرة:١٤٢)، فالصلاة صوبها هي تعبير عن الهداية إلى صراط الله المستقيم الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام.

ولقد قال القرآن الكريم بعد ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة:١٤٣)؛ وهذا يفيد أن تحقق فعل الشهادة للمسلمين على غيرهم من الناس لن يكون إلا للوسطيين في فهم دينهم، والمتسيب في أمر دينه ليس وسطيا، وكذلك المتشدد ليس وسطيا؛ لذا نستطيع أن نأخذ من النص القرآني أن الشهادة على الناس لن تتحقق لكل المسلمين، لكنها للوسطيين المعتدلين منهم فقط.

وإذا انتقلنا إلى الأمام مع النص القرآني فسنجده يقول: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾.. وهنا تساءل بعضهم: كيف يمكن التوفيق بين هذا النص وبين قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ (الأنعام:٥٩)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ (الطلاق:١٢)... إلى آخره من الآيات التي تتحدث عن علم الله اللامتناه؟



ونرد على هذا التساؤل بقولنا: إن تراثنا الإسلامي تناول هذه القضية سابقا وعالجها علاجا شافيا، فقال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: معنى لنعلم لنرى. والعرب تضع العلم مكان الرؤية، والرؤية مكان العلم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (الفجر:٦) بمعنى: ألم تعلم. وقيل المعنى إلا لتعلموا أننا نعلم.. وقيل: إلا ليعلم النبي وأتباعه.. وقيل: معناه ليعلم محمد، فأضاف علمه إلى نفسه تعالى تخصيصا وتفضيلا، كما كنى عن نفسه سبحانه وتعالى في قوله في الحديث القدسي: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني» (٣). وبهذا المعنى نتعامل مع قوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾ (آل عمران:١٤٠)، وقوله عز وجل: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (محمد:٣١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ (سبأ:٢١).. وكذا كل الآيات التي تدور في الفلك نفسه.

ثم يبين الله عز وجل بعد ذلك أن تحويل القبلة أمر كبير، وفيه صعوبة، ومشقة في الفهم والاستيعاب إلا على أهل التدين الحقيقي والقناعة التامة واليقين الذي لا يتزحزح، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾.. فالحدث كشف حقيقة ومستوى استقرار الإيمان في القلوب؛ حيث ظهر المنافقون وتشككوا وارتدوا، بينما تمسك أهل اليقين في الله ورسوله وامتثلوا في طاعة وهدوء ظاهرين، عندما تحولوا إلى الصلاة تجاه القبلة الجديدة من دون تردد، متابعة وتقليدا وتصديقا لرسول الله ﷺ.

ونتوقف هنا لنقول: إذا كان المتشككون قد قالوا: إن الصلاة تجاه إحدى القبلتين (بيت المقدس أو الكعبة) باطلة؛ لأن إحداهما هي الصواب دون الأخرى.. فإننا نؤكد أنهم وقعوا في خطأ كبير؛ لأنهم فصلوا التشريع عن مرحلته، فالنبي صلى إلى بيت المقدس ثم أمره الله أن يتحول إلى الكعبة فتحول ومعه أهل اليقين والإخلاص.. فلكل مرحلة تشريعها ولا يجوز الخروج على التشريع، لدرجة أنه إذا صلى أحد تجاه الكعبة وقت أن كان النبي ﷺ يصلي تجاه بيت المقدس تكون صلاته باطلة؛ لأن الحكم بتحويل القبلة لم يكن قد جاء بعد والعكس صحيح.. فلكل تشريع وقته ولابد أن ينفذ فيه.

وكان «قد مات أناس من المؤمنين وهم

يصلون إلى بيت المقدس، فقام المشككون وقالوا: صلاتهم غير مقبولة.. ورد الله سبحانه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾؛ لأن الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس كانوا مطيعين لله مؤمنين به فلا يضيع الله إيمانهم» (٤)، تماما مثل الذين يصلون تجاه الكعبة بعد تغيير القبلة لن يضيع الله إيمانهم.

واللافت أن الآية التالية تقول: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ (البقرة:١٤٤).. ويثير لفظ «ترضاها» العديد من المعاني في ذهن المتأمل في النص القرآني.. فهو يفيد أن الله تعالى يعلم ما يرضي نفس وقلب النبي محمد ﷺ فيحققه له.. والله تعالى يعلم مدى الشوق الذي في قلب نبيه ليتوجه في صلاته إلى قبلة غير التي كان عليها.. ولاحظ أن أدب النبي ﷺ مع ربه تجلى في كونه، عليه الصلاة والسلام، كان يقلب وجهه في السماء في صمت فقط، كأنما يدعو الله تعالى بقلبه ويرجوه أن يحقق له أمله من دون أن يظهر ذلك على لسانه، وهذا تمام الإخلاص وكماله، فالعبد الذي يناجي ربه بقلبه هو عبد شديد الإخلاص ما في ذلك من شك.. والله تعالى لا يخذل القلوب المخلصة ولا النفوس الطيبة..

من هنا كانت الاستجابة ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾.. والرسول ﷺ يرضى بالكعبة قبلة، ويسعد بها فؤاده لعدة أسباب منها:

سعادة النبي ﷺ بالكعبة

أولا: أنها قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ورسول الله ﷺ أرسل بالحنيفية السمحة، التي هي ملة إبراهيم عليه السلام.. من هنا يرضيه ويسعده أن يصلي تجاه القبلة التي كان يصلي إليها أبو الأنبياء عليه السلام.

ثانيا: لاشك أن قلب النبي ﷺ كان متعلقا بمكة المكرمة؛ لأنها أحب بلاد الله إلى الله كما علمنا يوم هجرته، وأن الله وضع البيت المعمور فوقها في السماوات العلى.

ثالثا: كان رسول الله ﷺ حريصا على إزالة كل مظاهر الشرك من الكعبة، وكان يرى أن اتخاذ الكعبة قبلة سيعينه على إخلائها تماما من الأصنام عندما ينصر الله دينه ويمكن له في الأرض.. والدليل على ذلك أن أول شيء فعله يوم أن دخل مكة هو تطهير الكعبة من الأصنام والأوثان.

رابعا: أن الرسول ﷺ كان يعلم أن العرب تدين بالولاء والتعظيم للكعبة ويحضرون لزيارتها، واتخاذها قبلة سيتيح الفرصة لنشر الدين الحنيف بين القبائل التي تأتي لزيارتها والطواف بها.

بعد ذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى في الآية نفسها: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾.. ويشير هذا النص إلى أن جماعة من أهل الكتاب كانوا يرفضون الحق لمجرد الجحود والمعاندة.. فلقد كانوا على معرفة بنبوة محمد ﷺ، وأنه لا يقول إلا الصدق، ولا يفعل إلا الصواب والحق، ورغم ذلك تقولوا على تغيير القبلة وتحويلها. ويؤخذ من هذا النص أيضا أن التوراة والإنجيل فيهما إشارات إلى أن النبي، الذي هو من ولد إسماعيل، ستتغير قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وهو صاحب القبلتين، ورغم ذلك عاندوا، ورفضوا، وجحدوا.. ومما أثبت مكابرتهم وضلالهم أن نفرا كثيرا من أهل الكتاب -بني ملتهم- دخلوا في دين الله وانصاعوا للحق والصواب.

وأشار القرآن الكريم بعد ذلك إلى تمايز الأمة الإسلامية، وخصوصيتا، وتفردها، وأكد أن القبلة لن تتحول بعد ذلك مطلقا؛ وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:١٤٥).

وهنا يؤكد القرآن الكريم أن المشككين يتحركون وفق هواهم لا وفق التشريع الإلهي، ومستحيل على النبي أن يتحرك وفق هوى أحد.. وأكد أنهم يعرفون أن محمدا ﷺ صادق ومرسل من ربه كما يعرفون أبناءهم، بل إن بعضهم ذهب إلى أن معرفته لنبوة محمد ﷺ أكثر يقينا من معرفته لنسب ابنه إليه، فقد «روي أن عمر رضي الله عنه قال لعبدالله بن سلام: أتعرف محمدا ﷺ كما تعرف ابنك؟ قال: نعم، وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه» (٥).

هكذا نخلص إلى أن تحويل القبلة كان بمنزلة تمحيص للقلوب ليتبين أهل اليقين من أهل النفاق، وكان تزكية لقلب النبي ﷺ الخاشع والمنكسر لله عز وجل، فالنبي سأل ربه بقلبه تغيير القبلة فاستجاب الله تعالى بفضله وكرمه.. فأنعم به من إله حكيم عليم، وأنعم به من رسول صادق مصدوق ﷺ.

الهوامش

١- القرطبي، تفسير القرطبي، دار الريان للتراث، القاهرة، جـ١، من دون تاريخ، ص٥٣١.

٢- الشعراوي، تفسير القرآن الكريم، طبعة الأخبار، القاهرة، من دون تاريخ، جـ١، ص٦٢٦.

٣- القرطبي، مصدر سابق، ص٥٣٩. راجع: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، قدم له هاني الحاج، وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه عماد الدين البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، من دون تاريخ، المجلد الثاني، جـ٤، ص١٠٣.

٤- الشعراوي، مصدر سابق، ص٦٢٩.

٥- القرطبي، مصدر سابق، ص٥٤٥.

أحمد الحارون
كاتب وأديب

أقبل وسترى!

لو أمكن أن أحدنا يسافر عبر الماضي فيجاور إحدى غرف النبوة، أو يطلع على حياة الصالحين، فسيدرك أن الغنى ليس في الغرف وسعتها، ولكن في النفس وفسحتها، وسيعرف أن أسعد القلوب قلبٌ إذا أقبلت الدنيا عليه أدبر عنها، وترقب زوال نعمته متى جاءت، فإن بقيت فنعمًّا هي وشكر، وإن زالت فقد جهز نفسه لذلك وصبر، وهذا سر من أسرار الروح والغيب، ونعم القول: «اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم»، فلا غرابة أن تجد من يفترش الأرض ويلتحف السماء أكثر سعادة ممن يتقلب في دثاره الناعم، فالسعادة لا تأتي من خارج النفس، بل في السير في طريق الحق مهما كان شائكا.

والنفس العالية لا تخضع إلى الحوادث مهما جل خطبها، ولا تتأثر بالملمات مهما عظم شأنها، بل تزيدها النوائب قوة ومراسا، فهي كالأسد بين السباع، لا تقع عينه أو مخالبه على فريسة غيره مهما قرح الجوع معدته، وغايتها عفو المتعالي ولو كانت في مطارح الاعتقال، لذا تجد في سمت المؤمن أجمل ما رأت عينك صورة، وأرق ما عرفت نفسك شمائل، وأعذب ما سمعت أذنك حديثا، وأوضأ من شاهدت ذاتك ثغرا؛ سئل الشافعي: ما أعظم عمل يتقرب به العبد لمولاه؟ فبكى وقال: أن ينظر إلى قلبك فيرى أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو، وليعلم جميعنا.. لا يؤخر الله أمرا إلا لخير، ولا يحرمك ولا يبتليك إلا لخير، فرب الخير لا يأتي إلا بخير؛ والطريق إليه مفروش بالابتلاء، وهو طويل لا نهاية له، وليس المهم أن تصل إلى آخره، بل أن تموت عليه.

ومن هوان الدنيا على الله أن ترك كلاب المترفين فيها تشبع مع المترفين،

وترك حملة الوحي فيها يهونون مع الوحي، سمع رسول الله ﷺ رجلا يقول: اللهم آتني أفضل ما أتيته عبادك الصالحين! فقال: «إذن يعقر جوادك ويراق دمك»، حتى الجواد يقتل مع صاحبه، فجواد الفارس لا يشبه أخاه الذي يجر عربة البضاعة، ومن اصطفاه الله في الدنيا لا يرجع إلى الآخرة دون أداء رسالته، ولا يعود سالما من طعنات الدنيا الغادرة.

واعلم -رعاك الله- أن للقلوب فقها وللجوارح آخر، وكلاهما مهم، وفقه الجوارح مقارنة بفقه القلوب كذرة في جبل، أو حصاة في فلاة، فلا قبول لعمل إلا باجتماعهما، فهذا يكمل ذاك ويتممه، وحاجة القلوب إلى الإيمان أعظم من حاجة الأبدان إلى الأقوات، وأكثرنا يفهم في فقه الجوارح أضعاف ما يعرف من فقه القلوب، وكل نقص في العمل مرده إلى نقص الإيمان الذي محله القلب، فهذا يرمي بجسده في الصف داخل الصلاة ويسلم نفسه لله، ولكن إذا خرج من المسجد لا يستطيع أن يسلم بعض وقته لدعوته، ولو كان للمسجد إرادة لطردنا جميعا إلا من رحم ربي، ولو كانت لمعاصينا روائح ما هام قلب بقلب، ولا أنست روح إلفها، ومتى زاد النور في القلب ناب إلى الله وأقبل على طاعته، وكل من أحب الله أنس به، ومن أحب غيره عذب به.

وكثرة الجدل مرجعها إلى ضعف الإيمان، فلا جدال إلا بالتي هي أحسن، والتي أحسن يحددها أهل العلم وليس عوام الناس، وأغلبنا قوال وليس فعالا، ونشكو الظلم وفي أعماقنا خناجر الانتقام، ندعي العدل ونحن أبعد الناس عنه، نلعن فاتل الحبال كلما شنق أحدنا ونغدق على الشانق، وما أقبح قوم حين يعتقلون الفكر ويطلقون سراح الجهل! وتتوقف الحياة لدينا إذا انسلت شعرة في العين، ولا ننتبه حين يغزونا النفاق والشرك الخفي.

وتعلمنا من تجارب الصالحين أن العابد لا يتجاوز ميدانه ذاته التي بين جنبيه، أما الداعية فميدانه كل الناس، وفي كليهما خير، وشتان بين واجب الأمة ووظيفتها، فالعبادة واجب الأمة لا تنقطع، والدعوة وظيفة الأمة وفيها حياتها وبقاؤها، والعبادة قطرة والدعوة بحر، وإن كان البحر لا يتجمع إلا من قطرات.

وتعلمنا من ديننا ورحمته أن يسرع الإمام لبكاء طفل غابت أمه، ونقطع الفريضة لننقذ نفسا من شر محدق بها، وهذا واجب، لكن نسينا نفوسا جمة ممن حولنا تغرق في المعاصي، وتناسينا ملايين في أودية الكفر غرقى، وبدلا من أن نسمعهم كلام الله أسمعونا الطعن في ديننا.

ولاتزال أمتنا بخير ما اشتعلت بها قناديل القلوب، وأنارت جوانبها المظلمة، واقتبست من دينها وتراثها شعلات الإيمان التي لا تخبو، ولكن حين خمد قبسها وغرقت في المادية، وانتشر بين أهلها تورم الذات وعبادة الحاكم أصبحت جثة هامدة، تتكالب عليها الأمم ولا تبالي بتاريخها ومجدها، وإذا فقدت الأمة مصدر الخيرية فيها فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر رميت في مزابل الأمم، وحين تربي الأمة شبابها على الليونة والتقليد فكأنها تسمم عقولهم وتسقيهم الهوان عذبا زلالا، لذا غاب فتيل الحب، واشتعل شرر الحرب، فهذا مقدس وذاك مدنس، وبين هذا وذاك ضاعت هيبة الأمة وانكسر إناء الهمة، واليقين الثابت أن تأثيم الآخر ليس من شروط الإيمان، ومن عجز عن إصلاح نيته، فليدع نية الآخرين!

وجميعنا في حاجة إلى لباس الدين والأخلاق، ولا تستقيم الحياة دونهما، فالدين ينظم علاقة المرء بخالقه وعلاقته بغيره، وعلى الدين مناط سعادة الإنسانية، وكانت رسالة خاتم الأنبياء ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فماذا يبقى للأمة حين تتخلى عن دينها وأخلاقها في عاداتها وعباداتها وعقلها الجمعي؟

وللإيمان سعادته القلبية ومحلها الفؤاد، لذا فنفس المؤمن تحلق في آفاق الرضا ولو كانت حبيسة الجدران، ويتحلى بالإيجابية مهما قلت موارده أو جف نبعه، وعنده من الفراسة ما يسمح لطاقاته أن تتوالد وفق انسجام أشبه بالآلي؛ أو تناغم أقرب للدفع الذاتي، فشعاره: «وجعلني مباركا أينما كنت».

والمعتقدات تتحول إلى بذل وعطاء بالإيمان، فهو الخميرة التي تشحن بها طاقته، والفتيلة التي يضاء بها مصباحه، فيمتطي بعير الشكر أو ناقة الصبر؛ غير مبال بدنياه أقبلت أم أدبرت؛ يتساوى تراب الأرض عنده وتبرها، وكأنه ولد من جديد، فيسأل من هو؟ وما غايته من الوجود؟ فيصبح لوجوده غاية ولسعيه هدف، وفي كل حركة من حركاته قصد، وفي كل سكنة من سكناته نية.

ويرحم الله هشام بن عبدالملك حين وصف عمر بن عبدالعزيز قائلا: ما أحسب عمر خطا خطوة قط إلا وله فيها نية. ولذا وفقه الله ليصلح دولة في عامين، وبعضنا يحتاج إلى أعوام لإصلاح غرفته التي يقطنها، فحين يهب المسلم حياته لخالقه يشعر بلذة الحب والمعية، فالحب ليس شعورا فقط، لكنه شعور يغذيه فعل الحب، ومن أقبل على الله رأى من إقبال الله عليه عجبا؛ فـ .....!

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

إيجار متأخر



هبّت نسائم الليل الباردة، فأسرعَتْ نحو النافذة تغلقها قبل أن تستيقظ بناتها مذعورات، أوصدتها بإحكام؛ لكنها ظلت ساكنة لبعض الوقت تحدق في الظلام الخالي من أي ضوضاء في الأرض أو في السماء، وتنصت لأصوات الليل البهيمة.

«ماله الحلو سرحان».

همس زوجها في أذنها وربت على كتفيها بيد حانية، انتفضت كعصفور وقع فجأة في بركة ماء باردة، تلفتت حولها في ذعر لكن لا أحد سواها وبناتها النائمات بعمق، تحسست كتفيها موضع يديه بأصابع مرتعشة، جالت بعينيها مجددا في الغرفة، قبل أن تنهار على الأرض تبكي بصمت وحرقة، لماذا يحدث لها كل هذا وأين كان مختبئا لها كل هذا الألم، وكيف لها أن تتحمل وهي وحيدة وضعيفة.

تكورت على نفسها ودفنت رأسها بين ركبتيها، وراحت تهتز بتناغم كأن جسدها طفل صغير تهدهده كي يهدأ وينام، كان كل شيء يسير على ما يرام، وأكثر ما كان يؤرقها قبل أعوام قليلة هو الولد الذي يرفض أن يأتي ليفرح قلب زوجها ويؤنس بناتها.

عام يمر بعد عام، وبعد كل حمل وانتظار تأتي بنت جديدة حتى صرن أربعا، وبدأت تشفق على نفسها وزوجها من وقع المسؤولية التي بدأت تثقل، بدا لها حينها أنها كانت أكثر النساء بؤسا في هذا الوجود.

توقّفَتْ عن هدهدة نفسها وجالت ببصرها في غرفتها المظلمة، هزت رأسها بأسى، لم تكن بائسة حينها على الإطلاق؛ بل كانت سعيدة وكل شيء لديها: زوج حنون وبيت وأطفال، بنات كأقمار في السماء وهن جميلات ورائعات حتى دون أخ.

وفي غمضة عين، اهتزت الأرض من تحتها لتشعر بأنها تقف على رمال متحركة أو جرف مطل على بحر هائج.

تلاشى كل شيء ومات النبض في قلبها، ربما إلى الأبد، أو هكذا خُيِّل إليها، وكأن قلبها صار أجوف، ومشاعرها ما عادت تجيد سوى فن البكاء والدموع والخوف.

في البداية، يعود لها جسد زوجها مغسولا بدمائه، بعد أن دهسته سيارة مسرعة، رحل بعيدا.. حتى دون كلمة وداع؛ ليتركها وبناتها فريسة الخوف والدموع والشجن، عاجزة حتى عن توفير لقمة العيش لهن، تقتات وإياهن على إحسان الجيران والأقرباء، ومهددة بالطرد من بيتها لعدم قدرتها على دفع الإيجار!

عند هذه النقطة انقبض قلبها، وانسابت الدموع من عينيها، عبرات حارة تلسع وجنتيها، تحمل بين ملوحتها طوفان الوجع الساكن في أعماقها كلما طرحت على نفسها ذات السؤال الذي لا تجد له إجابة مهما حاولت البحث.

فأين يمكنها أن تذهب؟! وهل ستضطر للعيش عند الآخرين ضيفا ثقيلا تتجرع مرارة العجز والفاقة والاحتياج؟!

غطت فمها بيديها تمنع نفسها من الصراخ، بينما سقف وجدران البيت يطبقان على صدرها بقسوة..

«يا الله!»

همست بها بوجع وزحفت نحو بناتها تحتضنهن وتغسلهن بدموعها وآهاتها، لتكتنفها ظلمة المساء جسدا ناحلا يهتز وهو يضم الأجساد الصغيرة بقوة خائرة.

«وحِّدي الله» قالها زوجها وهو يحاول سحب ابنته من بين يديها، وأكمل وهو يقول: «أفلتي ابنتي، ستخنقينها بحماقتك» وحاول جهده لينتزع

الصغيرة من يديها.
«لا إلا بناتي، لا تأخذهن مني، لم يعد لدي سواهن، اتركها، لا تأخذها معك»، صاحت متشبثة برقبة بنتها بكل قوتها.
«حليمة هاتي البنت» قالها بصرامة وهو يسحب يدها من على رقبة الصغيرة ويهزها بقوة. «ماما أنا جائعة»، فتحت عينيها على صوت ابنتها وهي تهزها بيديها الصغيرتين، فركت عينيها وتلفتت حولها كان الصباح قد انبلج وهي لاتزال غارقة في نومها وكوابيسها، وبناتها حولها ينتظرنها أن تصحو لتعد لهن الإفطار.
لم تكد تمضي ساعات حتى سمعت طرقا عنيفا على الباب، وصوت صاحب البيت الأجش يدعوها لتفتح له الباب، لبست عبايتها على عجل وفتحت الباب بيدين مرتعشتين، فلا مال لها لتدفعه له، وهذا هو الشهر الثالث الذي يطالبها بالإيجار.
«تأخذي عفشك وتتركي البيت حالا ودون أي نقاش».. بادرها مهددا دون أي مقدمات.
«يا عم سعيد وين أروح أنا وبناتي، الله يحفظك والله بتبهذل بالشارع» همست متوسلة وهي تتشبث بالباب بيدين مرتعشتين.
«مللت هذا الكلام» قالها وهو يزيحها بعيدا عن الباب وأكمل مناديا على عماله «محمد، فتحي.. اجمعا أغراضها وارمياها في الشارع».
تجمع الجيران حولهم، حاولوا ثنيه عن قراره؛ لكن يبدو أنه لم يكن عنده استعداد للتراجع «إما أن تدفعوا أو تسكتوا»، صاح فيهم مزمجرا، وخلال دقائق بدأ البيت يخلو من العفش الذي أخذ بالتكوم على الرصيف.
«كم حسابك يا أستاذ» ارتفع صوت غريب من بين الجموع.
«ستين ألفا ما ينقصوا ريالا واحدا»، أجاب دون أن ينظر نحو مصدر الصوت، وتقدم شاب أنيق نحوه، أخرج من جيبه المال، وجمعه مع ما أعطاه إياه صديقه، وقبل أن يضعه بين يديه قال «خلي الشباب يرجعوا العفش للداخل وهذا حسابك كاملا مع إيجار شهر إضافي»، حدجه المدعو سعيد بنظرة استهجان، لكن لم يجد بدا من أن يأمر بإعادة العفش، وأخذ المال وذهب وهو يرمق حليمة بنظرات حاقدة؛ ليذهب هو الآخر رفقة صديقه دون أن يقولا كلمة.
حدث كل شيء بسرعة، وقبل أن تستوعب حليمة ما حدث كان الرجلان قد رحلا بعيدا دون أن يسمحا لها بتقديم الشكر لهما.
ساعدها الجيران بإدخال ما تبقى من بطاطين وفرش، عادت إلى الداخل ولاتزال غير قادرة على الحديث؛ لتنفجر أخيرا ببكاء طويل، هو مزيج من فرحة وحزن، أمل وألم، وأمام دموعها غير المفهومة تجمعت بناتها حولها ووجدن أنفسهن يشاركنها البكاء. هاهو أخيرا همٌّ ثقيل قد انزاح عن صدرها، ولو بشكل مؤقت، سيمر شهر إضافي قبل أن يعود صاحب البيت لطردها وبناتها، ثلاثون يوما تنعم خلالها بدفء هذه الجدران التي أصبحت تطبق على صدرها أكثر مما تدفئها.
احتاجت بعض الوقت حتى تستطيع لملمة شتات نفسها، وقامت لتعد الغداء لبناتها، غير مصدقة ما فعله الغريبان معها.
في المساء، طُرق بابها مجددا، وإن كان طرقا خفيفا هذه المرة؛ فتحته لتلتقي بذات الغريبين اللذين دفعا إيجار البيت ومعهما سيدة، بدت أنها والدة أحدهما، تحدث أحدهما وهو يطرق ببصره للأرض: «أعتذر لإزعاجك في هذا الوقت، لكن سألتُ عن حالك من الجيران وقالوا إن زوجك متوفى، فوددت لو تعطيني بطاقتك كي نقدم لك في إحدى المنظمات كي يكون لديك دعم شهري تدفعين من خلاله الإيجار».
تلعثمت، ورغم أنها حاولت أن تصوغ كلمات من الشكر لكنها عجزت تماما، وكل ما فعلته أن هزت رأسها وذهبت لإحضار بطاقتها، ناولتها للسيدة التي كانت تقف على عتبة الباب بينما ابتعد الشابان كلاهما ولسانها لايزال معقودا من المفاجأة.
واستّها السيدة ببعض كلمات، قبل أن يختفوا جميعا في الزقاق المظلم، واختفت معها ابتسامة شاحبة كانت رسمتها على شفتيها. «لاتزال الدنيا بخير»، قالتها وهي تغلق باب بيتها. مرّ أسبوع دون أن يعود الرجل أو يعيد لها بطاقتها، راودتها بعض الشكوك، لكن طردتها أخيرا من رأسها، فأي شر يمكن أن يضمره لها وهو الذي ساعدها دون معرفة سابقة بها.
في منتصف الأسبوع الثاني فتحت الباب لتجدهما أمامها، ومعهما السيدة أيضا، مد لها أحدهما ظرفا وهو يسألها: «هل لديك القدرة على القراءة؟»
أومأت برأسها إيجابا، فسلماها الظرف وهو يقول: «افتحيه وستفهمين كل شيء»، ومضوا بذات السرعة التي أتوا بها.
عادت إلى الداخل وقلبها يخفق، لا تدري لذلك سببا. فتحت الظرف وهي تمنع يديها من الارتعاش، كانت رسالة بالداخل تقول: «أصبح البيت ملكا لك بموجب العقد المرفق، اشتريناه من صاحب البيت وسجلناه باسمك. أعتذرُ عن الكذبة الخاصة بالمنظمة، لكن أردنا أن يكون الأمر مفاجأة لك»، أخرجت العقد وقرأته وهي تشعر أن قلبها يكاد يمزق صدرها من الفرحة، لم تفرح هكذا منذ سنوات طويلة، قلبته وهي غير مستوعبة لكل هذا.
أحد عشر مليون ريال دفعت لأجل البيت؛ ليكون ملكها، كي لا يطردها أحد إلى الخارج. من هو ليفعل ذلك لها؟ ومن هما؟ ثم... ثم أصبح البيت ملكها. أطلقت صيحة فرح وهي تحتضن العقد.
ظلت ساعات كثيرة تقلبه بين يديها وتعيد قراءته، وكلما انشغلت بأمر ما عادت إليه لتتأكد أن كل ما حدث حقيقي وليس محض خيال أو أحد أحلام يقظتها، تودعه قبلة طويلة وتضعه بعناية في دولابها. في تلك الليلة ظلت النافذة مفتوحة يعبث ريح المساء بها مُحْدِثا طقطقة خفيفة، وظلت نوافذ المنازل الأخرى مظلمة والسماء دون نجوم والليل حالكا، لكنها نامت بعمق، تحتضن بناتها وابتسامة رضا لا تغادر شفتيها الناعستين.

محمد عباس
شاعر مصري

الباب الموارب

وكان الباب عبر العمر مفتوحًا
أواربه إذا ما زغت عن دربي
ولكن دون إغلاقٍ ولو مره
وإن جاءت رياح الدهر تغلقه
أعود إليه أفتحه
وأقبل منه بعض حروفه المره
وخلف الباب أبصرُ جنةً عذراءَ يانعةً
ونورًا في الفضاء يدورُ مسبوقًا بنضرته
يشد القلب قبل العين. من نظره
وهمس الروح يدعوني لكي أمضي
وأعبره
أليس هناك مثوى الروح والجنات
منتظره؟
وأرحل في الدجى وحدي
أسامر ظلمة الإحساس منفردًا
وحين أعود تصحبني
لحضن الباب أشجاني مع الحسره
أمام الباب أحزاني بدت ليلًا
بلا صبح بلا نجم بلا قمره
أسائل هل أدق الباب
هل أدنو ولو مره
وقد أرنو
فيدفعني حنين الروح للإفلات من يأسي
فأنظر حاملا شوقي مع العبره
وذاك الباب مفتوحًا أواربه
ولست أطيق إغلاقًا لذاك الباب
رغم مرارة الإحساس أن النفس منكسره
وذاك الباب مفتوحًا أواربه
لعلي مرة أدنو فيدعوني
أرى طيف المنى يرنو
وشوق العمر يدفعني فأعبره
تطيب النفس من كدرٍ
يعود القلب من سفرٍ
تعود الروح للجنات منتصِره!

نوال مهنى
شاعرة

صيرورة

كذا الأيَّامُ حَالٌ لا يدومُ
ومن يرجو صداقتها ملومُ
فربَّ نهارها يأتيكَ صحوا
وأحيانا تَكدرهُ الغيومُ
وقد تأتي الليالي داجيات
وقد تأتي ترصِّعُهَا النجومُ
وإنْ تَصْفُ الحياة لبعض وقت
فتسرع كي تعكرها الهمومُ
ولو وجه الزَّمانِ بدا ضحوكا
سيعقُبُهُ التَّجَهُّمُ والكلومُ
وكأسُ الشهدِ إن لَذّت وطابت
فلا تأمنْ تخَالطها السمومُ
إذا صحّت جسومُ الناسِ حينا
فحتما سوف تلحقها السقومُ
وود البعض لا يبقى طويلا
وقد تسعى لصحبتكَ الخصومُ
ولا حزنٌ يُعَمَّرُ أو سرورٌ
ذَهابٌ وافتراقٌ أو قدومُ
نعيمُ العيشِ يتبعهُ شقاءٌ
فلا هذا ولا ذاكم يدومُ
فذي صيرورةٌ في الكونِ تجري
ولا ترقى لحكمتها الحلومُ

الطيب رحماني
باحث وناقد أدبي

في ديوان «مدينة الكبائر» لنجيب الكيلاني

تكامل الذات والجماعة

تربط الأديب بالنص الذي يبدعه علاقة متينة تعبر عنها طبيعة المواقف الفكرية والنفسية المعلنة ونوعية الضمائر الموظفة، وهذا على خلاف مقولة «موت المؤلف» المفتعلة من قبل بعض الغربيين ومن حذا حذوهم.

والنص الأدبي العربي القديم والحديث، يمثل شاهدا واضحا على حضور الذات المبدعة فيما تبدعه على توالي الليالي والأيام، ففي الشعر الجاهلي لا تخطئ العين والأذن التمايز الواضح بين قصائد أو أبيات للشاعر فيها حضور قوي، مدافعا عن مواقفه، معبرا عن مشاعره الخاصة، وأخرى مخصصة للدفاع عن الجماعة التي ينتسب إليها (أي القبيلة)، وفي كلتا الحالتين الشاعر حاضر في النص، متوار خلف ضمير المتكلم، مفردا أو جمعا.

وبناء على ما ذكرنا، فالأولى أن يُبحث عن موقع الذات الشاعرة من الموضوع الذي تعبر عنه، وكذا موقعها من الأطراف الحاضرة في النص، والعلاقات بينها.. وتجاوز القول بانتهاء دورها عند حدود إبداع النص.

أما في الأدب الإسلامي فحضور الذات في النص منبعث من القيم والمبادئ الإسلامية التي تنص على أن الكلمة مسؤولية تلازم صاحبها، وهو مكلف باختيارها وإنشائها إنشاء حسنا، وسيسأل عنها. ولا يعقل أن يتخلص منها، حسنة كانت أم سيئة، لمجرد اكتمال القول الأدبي، وهو ما يجعل الأديب المسلم إيجابيا في تناوله



لمختلف القضايا الإسلامية، وحتى الإنسانية، منسجما مع الجماعة التي ينتسب إليها، وعلى درجة كبيرة من التواصل مع باقي الأطراف التي يلمح إليها. وهذا ما نلمسه في الشعر الإسلامي، ومنه ديوان «مدينة الكبائر» لنجيب الكيلاني (١).

فمنذ البدء يطالعنا الديوان بعنوان يحمل موقفا قيميا من المدينة: مدينة الكبائر، فهي مضافة إلى كلمة ذات إيحاء شرعي دال على الفعل المحرم ذي العقوبة المغلظة، وبذلك فالمدينة هنا مجتمع متحضر، لكنه أدلج إلى ما يشبه الإجماع والإصرار على مخالفة الشرع والاستهانة بحدود الحلال والحرام:

يا أيها المسافر التعس
لا تنزل إلى الدنس
هناك في مدينة الكبائر
يمارس الرجال والنساء كل شيء
وليس في شرائع المدينة
تساؤل عن الحلال والحرام(٢).

فالشاعر حاضر في هذا المقطع، متوار خلف مخاطبة القارئ المتجه نحو المجتمع الموصوف، معبر عن موقف صريح من هذا المجتمع، وهذا ما يكشف عنه توزيع الضمائر، ففي البداية اختار الشاعر أن يتوارى مفسحا المجال للمخاطب (المسافر/القارئ) والغائب (أغلب سكان المدينة/أبناء المجتمع المتحضر)، قبل أن يظهر بشكل صريح معلنا انتماءه إلى هذا المجتمع، فيقول متسائلا منكرا:

كيف يا مدينتي
أصبحت مأوى العهر والقراصنة (٣).

فهي إذن جماعة مكونة من ثلاثة أطراف تشخصها الضمائر الموظفة، والعلاقات التي تربط بينها:

المتكلم/الشاعر.

المخاطب/المسافر أو المدينة.

الغائب/المدينة أو بعض سكانها.

وهذه الجماعة، وإن كانت غير منسجمة تمام الانسجام، تربط بين عناصرها علاقات قوية تدفع الشاعر إلى عدم التنكر لأي منها، فهو يشفق على مخاطبه، محذرا إياه الركون إلى مجتمع الرذيلة والمعصية، في الوقت الذي يعلن حسرته على ذلك المجتمع من منطلق رابطة النسب التي تربطه به (نسب العقيدة والعرق). وما المدينة هنا إلا المجتمع العربي الذي درج على تقليد الغرب وأحل لنفسه ما حرم الله بدعوى التحضر الذي لا تحده القيم والأخلاق.

وهذا التماهي للذات الشاعرة مع

الجماعة نجده في جل قصائد الديوان، حيث اختار الشاعر الحديث باسم الجماعة/الأمة المسلمة التي يجمعها دين واحد ومصير مشترك على مسرح قضايا مصيرية ما فتئت تشغل بال الكيلاني وغيره من رواد الأدب الإسلامي، ومن المضامين المعبرة عن تلك القضايا ضمن قصائد الديوان:

الماضي المجيد للأمة الذي أصبح إرثا شبه ضائع بين أجيال اليوم

كثيرا ما يسترجع الشاعر عهد المجد الذي صنعه الصالحون من أبناء الأمة، مظهرا أساه على تفريط الأمة فيه، واتباعها زخرفا من الحياة الدنيا زائلا، وتسليم أمرها لغيرها. وهنا يوظف الشاعر ضمير الجمع المتكلم؛ ليشعر القارئ بعمق الانتماء إلى هذا الجسم الواحد الذي أخذ من الأدواء كل مأخذ، باثا شكواه بنبرة ملؤها الحزن والأسى فيقول:

سبانا اللهو والطرب
وشاع التيه والعجب
وضاع النصر من زمن
ونزعم أننا عرب
تولت عزة الماضي
وضاع المجد والحسب

إلى أن يقول مقارنا بين عهدين:

حماة الدين قد ذهبوا
وأمسى فخرنا الذهب
رجال الأسد قد ركبوا
وجند اليوم قد هربوا
يفرق بيننا جشع
ويجمع بيننا صخب (٤)

واقع الشعائر الدينية عند المسلمين

يستدعي الشاعر في إحدى قصائده تنبيه القرآن الكريم والحديث الشريف إلى ضرورة أخذ الإسلام كاملا من دون فصل بين ظاهر وباطن، ومسجد وسوق.. ويشجب التناقضات الصارخة في سلوكيات كثير من الغافلين عن حقيقة الشعائر الإسلامية:

نصوم عن الأطايب والشراب
ونهرع للمآذن والقباب
ومأكلنا ومشربنا حرام
ونسجد للمطامع والرغاب
ونخشع في الصلاة خشوع ذئب
فهل عرف التقى قلبُ الذئاب
كتاب الله نقرأه وندعو
ولم نعمل بمضمون الكتاب

وتشتد نبرة الإنكار لدى الشاعرة حين يسترسل في رصد تناقضات هذا المجتمع، التي تصل إلى حد معاقرة المحرمات بشتى صنوفها وألوانها:

نعاقر في المسامر كل خبث
ونمعن في السفاهة والسلاب
نهيم بصحبة التلفاز عشقا
ونغرق في مفاتنه العذاب
وننعم بالأغاني والأحاجي
وعشق المستهامين العجاب (٥)

إهمال أبناء الأمة قيمة الزمن

يشكو الشاعر جهل المسلمين بقيمة الزمن ودوره في كسب رهان التطور الحضاري إلى أن انتهى بهم المطاف إلى ما يشبه الموت:

جهلنا الزمان
لأن الذي مات لا يدري الأزمنة
ويغرق في ليله السرمدي (٦)

فبينما كان الزمن عامل تفوق أمم أخرى وتقدمها، تأخر المسلمون حتى



أصبحوا مستهدفين من كل جانب.

تكالب القوى العالمية المختلفة على الأمة

يضاف إلى الضعف الداخلي للمسلمين عامل خارجي متمثل في تداعي الأمم عليهم. ولا يرى الشاعر في ذلك فرقا بين الشرق والغرب، والأمة جسد واحد مثخن بجراحه.

وهذا يدل على أن الشاعر متأثر بالقضايا المصيرية للأمة، مستحضر لانتمائه إليها، وهو لايزال يعبر بلسانها غير متجرد من المسؤولية الفردية والجماعية لإصلاحها، رغم ما أنكره من أحوال الضعف والهوان التي تعيشها، وهذا منبعه الحس الإسلامي الذي يستبعد الخلاص الفردي، بل يدعو إلى التماسك والتآزر والسعي الجماعي للإصلاح، كما نصت على ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، كما أن هذا يوحي بأن الشاعر مازال على أمل في ذلك الإصلاح.

وفي الديوان مساحة للذات الشاعرة تتجلى في قصائد المديح النبوي والغزل العفيف والرثاء، وأخرى في الاغتراب والشباب والشيب.. من دون أن تتنازل عن البعد القيمي والامتداد الإسلامي الجمعي، بالقدر الذي يجعل تلك الذات تذوب في ذات جماعية مسلمة.

الهوامش

١ - مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٢ - مدينة الكبائر، ص٥٦.
٣ - نفسه، قصيدة مدينة الكبائر، ص٥٧.
٤ - نفسه، قصيدة «وداع»، ص١٢.
٥ - نفسه، قصيدة «الصوم في زمن الغفلة»، ص٢٣-٢٤.
٦ - نفسه، قصيدة «قياسات الأزمنة»، ص١٦.

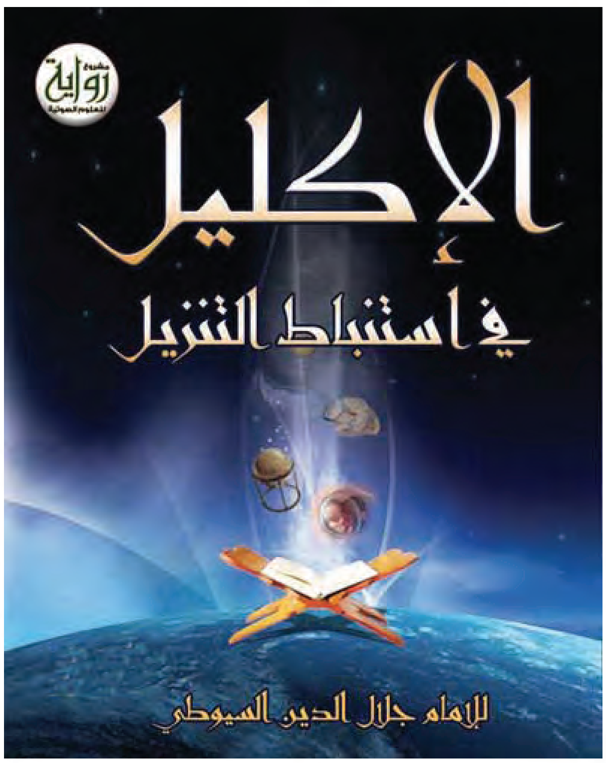
د. مصطفى قنبر
باحث في علوم اللغة - قطر

جلال الدين السيوطي موسوعي سبق عصره

جلال الدين السيوطي علمٌ من أعلام الحضارة العربية الإسلامية، ملأ الأرض بعلومه، وشنف الآذان بدروسه، أعيا من جاء بعده، وشغل بمؤلفاته تواقي المعرفة ومتتبعي سير الأعلام. فهو «الشيخ العلامة، الإمام، المحقق، المدقق، المسند، الحافظ شيخ الإسلام...صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة» (١). قصد -يرحمه الله- ألا يتعب الباحثين عن تاريخه وشيوخه، كما يقول شيخ المحققين العلامة محمد أبوالفضل إبراهيم، فكتب لنفسه ترجمة في كتابه «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (٢). لم يترك السيوطي بابا من أبواب المعرفة في عصره إلا طرقه وعاد منه بحظ وافر -عدا ما استعصى عليه- وأضاف إليه، وترك بصمات ناصعة أثرت الفكر العربي الإسلامي، وسدت فراغا في المكتبة الحضارية الإسلامية والإنسانية.

هو عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين ابن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي.

ولد في أول ليلة مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمئة. نشأ يتيما، وانطلق في بواكير حياته إلى العلم، فحفظ القرآن الكريم وهو دون ثماني سنين، ثم أخذ ينهل من العلوم المتصلة به (٣).



شيوخه

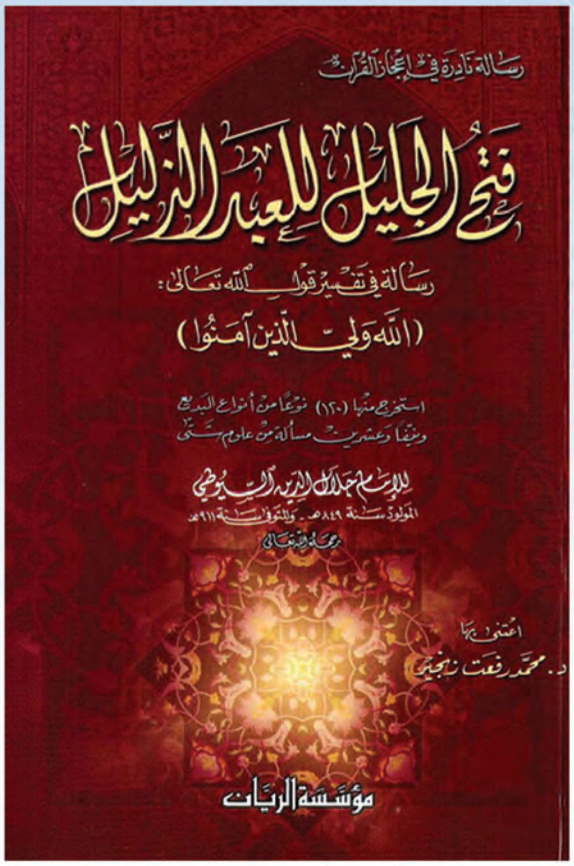
كان السيوطي وفيا لأساتذته، فذكر أياديهم عليه، وأثنى عليهم في الدرس والتحصيل والإجازة، ومن هؤلاء:

الشيخ شهاب الدين الشارمساحي، قرأ عليه في شرحه على المجموع؛ شيخ الإسلام علم الدين البلقيني، وقد لازمه في الفقه إلى أن مات؛ الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي، وقد لزمه في الحديث والعربية؛ شيخ الإسلام شرف الدين المناوي؛ الشيخ محيي الدين الكافيجي، وقد لزمه أربع عشرة سنة، وأخذ عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك؛ الشيخ سيف الدين الحنفي، وقد حضر عنده دروسا عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه، وتلخيص المفتاح، والعضد.. ثم يقول: «وأما مشايخي في الرواية، سماعا وإجازة، فكثير؛ أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه، وعدتهم نحو مئة وخمسين» (٤).

تمكنه من علوم عصره

تمكن شيخنا من علوم عصره إلا ما استعصى عليه، وقد توكل على الله

حق توكله، فأخذ بالتضرع إلى الله، ثم بملازمة العلماء كما رأينا، حتى تبوأ مكانة مرموقة في البحث والدرس العربي والإسلامي، وهذا نص كلامه: «سافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، ولما حججت شربت من ماء زمزم، لأمور؛ منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر. وأفتيت من مستهل سنة إحدى وسبعين. وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين، ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة. والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي؛ فضلا عمن هو دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه؛ بل شيخي فيه أوسع نظرا، وأطول باعا؛ ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والتوسل والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب، وأما علم الحساب فهو أعسر شيء علي وأبعده عن ذهني؛ وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله. وقد كملت عندي الآن آلات الجهاد بحمد الله تعالى؛ أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا؛ وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها، لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله» (٥).



آثاره العلمية

تميزت حياة الرجل العلمية بنشاط غير عادي، فقلمه السيال لم يعرف الملل، ولم يترك قط موضوعا في حقل المعرفة إلا تناوله، فمن علوم قرآنية وحديثية وفقهية إلى علوم لغوية ونحوية إلى علوم في التصوف والتاريخ والفلسفة إلى غير ذلك من مختلف العلوم التي عرفت في عصره. وتشهد آثاره، التي يصعب إحصاؤها؛ لكثرتها وتنوعها بتنوع معارفه وشمول عقليته واتساع أفقه ومشاركته في كل علم، فضلا عن تبحره في جانب كبير من العلوم، وصدق ما وصف به (من وجهة نظر أجنبية) بأنه من أعظم كتاب الشرق قاطبة، وبأن نشاطه العلمي الذي ابتدأه في سن السابعة عشرة كان يتميز بحركة غير عادية (٦)، ترك الشيخ عددا من المؤلفات في كل فروع المعرفة أحصى منها رحمه الله: «ثلاثمئة؛ في التفسير وتعلقاته والقراءات، والحديث وتعلقاته، والفقه وتعلقاته، وفن العربية وتعلقاته، وفن الأصول والبيان والتصوف، وفن التاريخ والأدب، والأجزاء المفردة، ما بين كبير في مجلد أو مجلدات، وصغير في كراريس أو أوراق. وذكر تلميذه الداودي المالكي أنها أنافت على خمسمئة مؤلف. وقال ابن إياس في تاريخه «حوادث ٩١١»: إنها بلغت ستمئة مؤلف» (٧).

وقد سرد الدكتور طاهر سليمان حمودة هذه المؤلفات ما بين المخطوط والمطبوع وقد بلغت بالفعل ستمئة مؤلف (٨)، ابتدأها الشيخ في سن السابعة عشرة حتى وافته المنية في سن الحادية والستين، فكأنه في كل عام كان

يخرج للقارئ العربي أربعة عشر كتابا تقريبا.

تلاميذه

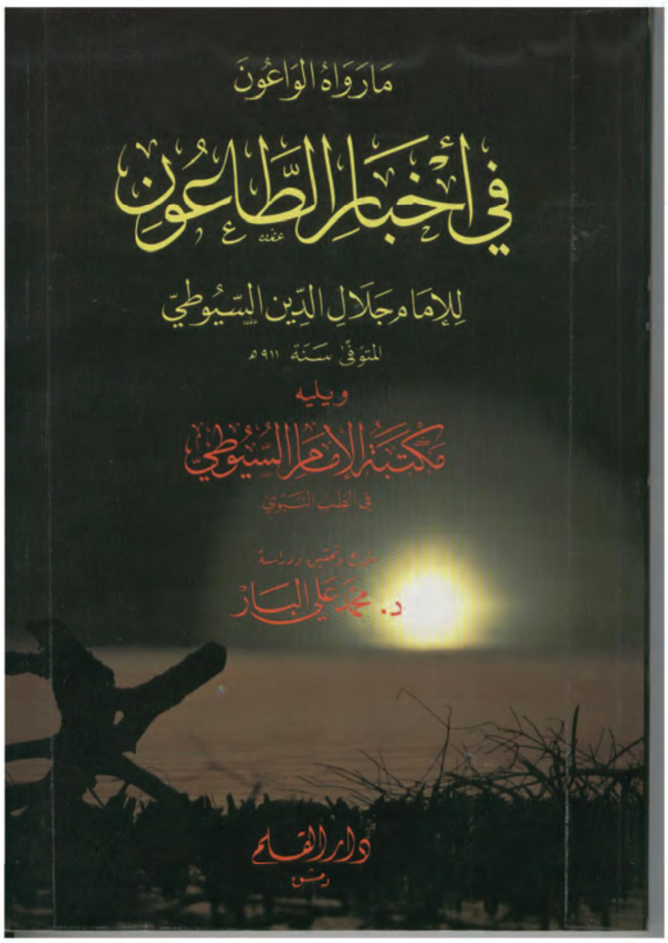
١ـ الشمس الشامي (٩٤٢ هـ)
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، أبوعبدالله شمس الدين الشامي:
مؤرخ، مفسر، حافظ للحديث، من الشافعية. ولد في صالحية دمشق، وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة إلى أن توفي. من كتبه «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (أربعة مجلدات)، يعرف بالسيرة الشامية، جمعه من ألف كتاب، و«الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف»، و«عين الإصابة في معرفة الصحابة» (٩).

٢ـ الأرميوني (٩٥٨ هـ)
يوسف بن عبدالله بن سعيد الحسيني:
مفسر، مجود للقرآن، محدث، إخباري، من أهل أرميون من قرى غربية مصر. له كتب، منها «أربعون حديثا تتعلق بسورة الإخلاص»، و«أربعون حديثا تتعلق بآية الكرسي»، و«المعتمد في التفسير: قل هو الله أحد»، و«رسالة في تجويد القرآن»، و«تحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء والسلاطين»، و«تفسير الغريب في الجامع الصغير».

ذكر السنهوري أنه سأل العلقمي: كيف أخذتم الجامع من مؤلفه؟ قال: كنا نذهب مع السيد الشريف يوسف الأرميوني إلى الروضة، فنطرق باب الحافظ السيوطي، فإن كان السيد يوسف معنا فتح الباب وإلا فلا، والسيد يوسف يقرأ ونحن نسمع (١٠).

٣- الداودي (٩٤٥هـ)
الشيخ الإمام العلامة، المحدث الحافظ، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المصري الشافعي، قيل: وكان مالكيا، كان شيخ أهل الحديث في عصره، أثنى عليه المسند العلامة جار الله بن فهد وشيخ الإسلام الوالد وغيرهما. جمع ترجمة شيخه الحافظ جلال الدين السيوطي في مجلد ضخم. توفي بالقاهرة. له كتب، منها «طبقات المفسرين» و«ذيل طبقات الشافعية للسبكي» و«ترجمة الحافظ السيوطي» في مجلد ضخم (١١).

٤- الشعراني: (٨٩٨ - ٩٧٣هـ)
هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي، أبوالمواهب أو أبومحمد، المعروف بالشعراني أو الشعراوي. ولد ببلدة ساقية أبي شعرة من أعمال المنوفية وتوفي بالقاهرة. كان فقيها محدثا أصوليا صوفيا مكثرا في التصنيف. أخذ العلم عن مشايخ عصره كالشيخ الجلال السيوطي وزكريا الأنصاري. من تصانيفه: «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية»، و«أدب القضاة» (١٢). ومن تلاميذه كذلك المؤرخ المشهور ابن إياس (١٣).



أخلاقه

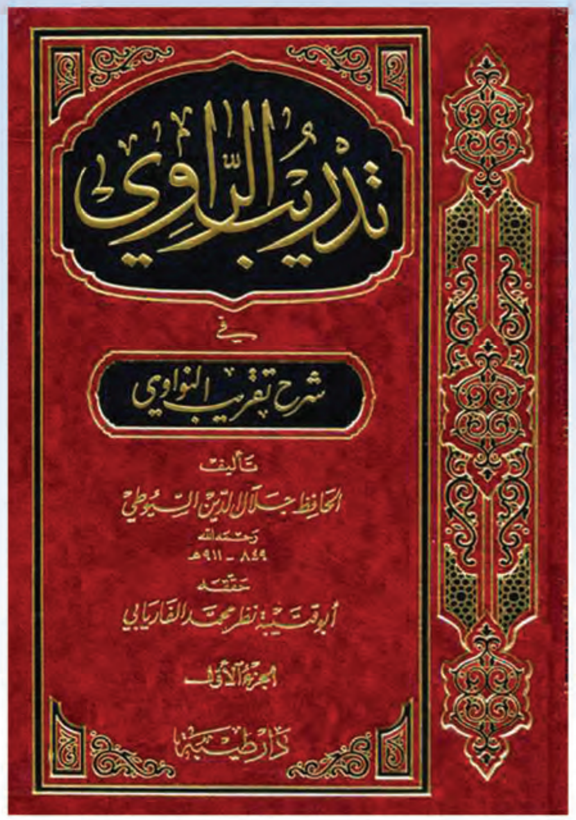
كان -رحمه الله- في حياته الخاصة على أحسن ما يكون عليها العلماء ورجال الفضل والدين، عفيفا كريما، غني النفس، متباعدا عن ذوي الجاه والسلطان، لا يقف بباب أمير أو وزير؛ قانعا برزقة من خانقاه شيخو، لا يطمع فيما سواه. وكان الأمراء والوزراء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطياتهم فيردها. وروي أن السلطان الغوري أرسل إليه مرة خصيا وألف دينار، فرد الدنانير، وأخذ الخصي

ثم أعتقه، وجعله حارسا في الحجرة النبوية، وقال لرسول السلطان: لا تعد تأتينا قط بهدية؛ فإن الله أغنانا عن ذلك (١٤).

محنة السيوطي

وقد تدارس العلماء هذه الكتب في كل مكان، وانتشرت في حياة السيوطي وبعده، وعمرت بها المدارس والمعاهد ودور الكتب، وكاتبه المستفتون في شتى الجهات؛ مما أثار عليه فريقا من أقرانه ومعاصريه من العلماء، وتحاملوا عليه، ورموه بما هو منه براء؛ وكان من أشد الناس خصومة عليه، وأكثرهم تجريحا وتشهيرا، المؤرخ شمس الدين السخاوي، صاحب كتاب «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»؛ فقد ترجم له في هذا الكتاب، ونال من علمه وخلقه؛ مما يقع مثله بين النظراء والأنداد.

وانتصر السيوطي لنفسه في مقامة اسماها: «الكاوي على تاريخ السخاوي»، كما انتصر له فريق من تلاميذه وفريق من العلماء ممن جاء بعده، منهم الشوكاني صاحب «البدر الطالع»؛ قال في ترجمته للسيوطي بعد أن لخص مطاعن السخاوي فيه، ورد هذه المطاعن عنه: «على كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل، بعدم قبول قول الأقران بعضهم في بعض؛ مع ظهور أدنى منافسة؛ فكيف لمثل



هذه المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض! فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول. والسخاوي رحمه الله وإن كان إماما غير مدفوع؛ لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه» (١٥).

وفاته

ظل السيوطي طوال حياته مشغوفا بالدرس مشتغلا بالعلم، يتلقاه عن شيوخه أو يبذله لتلاميذه، أو يذيعه فتيا، أو يحرره في الكتب والأسفار؛ وحينما تقدم به العمر، وأحس من نفسه الضعف، خلا بنفسه في منزله بروضة المقياس، واعتزل الناس، وتجرد للعبادة والتصنيف، وألف كتابه: «التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس». وكانت وفاة السيوطي، على ما ذكره ابن إياس، في الخميس تاسع شهر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ، ودفن بجوار خانقاه قوصون خارج باب القرافة، بعد أن ملأ الدنيا علما، وشهرة وذكرا، رحمة الله عليه (١٦).

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار.

الهوامش

١- نجم الدين محمد بن محمد الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٢٢٧/١.
٢- انظر مقدمة المحقق محمد أبوالفضل إبراهيم في: جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص٩.
٣- جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٣٣٥ــ ٣٣٦).
٤- المرجع السابق (١/٣٣٦-٣٣٩).
٥- المرجع السابق (١/٣٣٨).
٦- د. طاهر سليمان حمودة: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١(١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ص١٤٣.
٧- بغية الوعاة (١٤/١).
٨- د. طاهر سليمان حمودة: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، ص٣٨١.
٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤٠٥/٢)، الأعلام للزركلي (١٥٥/٧)، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٦٥٧/٢).
١٠- ينظر: فهرس الفهارس (٩٧/١)، ديوان الإسلام (١٠٠/١)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٢٥٨/٢)، الأعلام للزركلي (٢٤٠/٨-٢٤١)، معجم المؤلفين (٣١٣/١٣)، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٧٤٧/٢).
١١- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٧٢/٢)، الأعلام للزركلي (٢٩١/٦).
١٢- الموسوعة الفقهية الكويتية (٤١٤/٢).
١٣- جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، ص١٧٠.
١٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص٧.
١٥- المرجع السابق، ص٧ و٨، وبغية الوعاة ١٤/١، والشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة - بيروت، ص٣٣٣/١.
١٦- بغية الوعاة ١٤/١ــ١٥.

محمود أحمد اليوسف
لبنان - طرابلس

طرابلس الشام.. مدينة من عمق التاريخ

طرابلس الشام هي ثاني أكبر مدن الجمهورية اللبنانية بعد العاصمة بيروت.. تكنى بالفيحاء.. تضرب جذورها في عمق التاريخ، وترقى إلى ثلاثة آلاف عام ونيف، حيث أسسها الفينيقيون قبل الميلاد بنحو ألف عام، وتعاقبت عليها الأمم والعهود من الفينيقيين حتى الانتداب الفرنسي، مرورا بالرومان، والبيزنطيين، والعرب، والفرنجة، والمماليك، والعثمانيين.. تضم أكثر من ١٦٠ معلما تاريخيا، بين قلعة، وجامع، ومدرسة، وخان، وحمام، وسوق، وغيرها من المعالم التاريخية والفنية.. حيث أكسبها هذا الغنى التاريخي صفة المدينة الأولى بثروتها التراثية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، والثانية بآثارها المملوكية بعد القاهرة، فهي تمثل متحفا حيا يجمع بين الأوابد الرومانية والبيزنطية، والآثار الفاطمية والصليبية، والعمارة المملوكية والعثمانية.

الموقع الجغرافي والاقتصادي

طرابلس مدينة تتوسط الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وهي ثاني المدن اللبنانية بعد العاصمة بيروت، وتبعد عنها إلى الشمال قرابة ٨٥ كيلومترا كما تبعد عن الحدود السورية نحو ٤٠ كيلو مترا، وتبلغ مساحتها ٢٠,٤ كم٢، تقع على خط العرض ٣٤,٢٦ شمالا وعلى خط الطول ٣٥,٤٤ شرقا، وعدد سكان يقارب ٨٥٠ ألف نسمة، وتشكل الكثافة السكانية فيها نسبة عالية جدا وتصل إلى ٧٠٨٦ شخصا في الكيلومتر الواحد.

تعتبر طرابلس عاصمة لبنان الشمالي والقطب الثاني بعد العاصمة لوزنها الاقتصادي والجغرافي المميز، وتنقسم إداريا إلى سبعة أقضية وهي: قضاء طرابلس - قضاء البترون - قضاء الكورة - قضاء بشري - قضاء الزاوية - قضاء الضنية - قضاء المنية - وقضاء عكار. وهي مدينة مضيافة امتزج فيها الحاضر بالتاريخ، وعرفت منذ القدم بموقعها الجغرافي المميز كونها صلة الوصل ما بين الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والداخل السوري والعربي، مما جعلها مركزا تجاريا مهما على مستوى لبنان والمنطقة.

يعتمد اقتصاد طرابلس على الصناعات الحرفية، وبعض الصناعات التحويلية الصغيرة، والسياحة. وتنقسم المدينة إلى قسمين: القسم الأول هو الميناء والقسم الثاني هو المدينة نفسها إضافة إلى ضاحيتيها، البحصاص والبداوي، وشريطين ضيقين على امتداد شاطئ البحر، واحد باتجاه الشمال، والآخر باتجاه الجنوب ويشكل منطقة القلمون. وتقع أمام ساحلها مجموعة جزر صغيرة أهمها: جزيرة الرامكين وجزيرة النخل وجزيرة سنني، وقد أعلنت جميعها عام ١٩٩٣م محمية طبيعية بحرية تعرف باسم محمية جزر النخل.

تمتاز طرابلس بمناخ معتدل بفضل







موقعها على البحر المتوسط، شتاؤها معتدل ماطر يمتد لحوالي أربعة أشهر، وصيفها حار متوسط الرطوبة يمتد حوالي الخمسة أشهر، أما الخريف والربيع فهما فصلان انتقاليان، وهما الأكثر جمالا وروعة حيث تتشق المدينة رائحة أزهار الليمون المنتشرة في البساتين.

طرابلس.. والماء والخضرة

تستلقي طرابلس كعروس نضرة فوق سهل منبسط أفيح، تغسل أطرافه الغربية مياه البحر الأبيض المتوسط، وتتفيأ بظلال سفوح جبال الأرز التي تتجلبب قممها بالثلوج الدائمة من جهة الشرق والتي تضم في أحضانها المصايف ذات المناظر الخلابة، والمياه العذبة والهواء العليل، مثل بشري وحصرون والحدث وإهدن وسير وبقاع صفرين وفنيدق في جبال عكار حيث غابة القموعة الشهيرة.. ويخترق المدينة نهر يتدفق من مغارة قاديشا في أعالي جبل المكمل، ويجري في واد عميق يعتبر من أشد أودية لبنان وعورة وعمقا، ومن أكثرها روعة وجمالا، ويعرف محليا بنهر أبوعلي نسبة إلى «أبوعلي بن عمار» أحد ولاتها من أسرة بني عمار الذين حكموا طرابلس في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي. يشطر نهر «أبوعلي» طرابلس إلى شطرين، شرقي وغربي، وهو يغذي تربتها ويروي بساتينها التي تغطي سهلها الخصيب.

وكانت طرابلس في كل عهود التاريخ شهيرة في غنى طبيعتها وجمالها وحسن رونقها وازدهارها وكانت حاصلاتها غزيرة جدا بفضل المياه التي تتدفق عليها من نهر رشعين ونهر أبي علي فتروي سهولها وتخلق منها جنة غناء، وقد اشتهرت بزراعة البرتقال والحمضيات والفاكهة بكل أنواعها وأجناسها والحنطة والحبوب والزيتون وقصب السكر.

تسمية طرابلس وألقابها

موضوع أسماء طرابلس لبنان وألقابها في المصادر التاريخية والأخبار المروية هو موضوع مهم تناوله العديد من المؤرخين في كتبهم بألوان مختلفة من التحليل والتعليل، وسنعرض في هذه الدراسة بعض أسماء طرابلس وألقابها عبر التاريخ.

طرابلس هي تعريب لكلمة (تريبوليس) Τρίπολις اليونانية والتي تعني المدن الثلاث، ويعود الاسم إلى تأسيس أول اتحاد لثلاث من مدن فينيقيا القديمة هي: صور، وصيدا، وأرواد، حيث نشأت عنه مدينة فينيقية بثلاثة أحياء عمرانية وهي: «محلاتا»، «مايسا»، «وكايسا». وشكلت تلك المدينة فيما بعد بأحيائها العمرانية الثلاثة النواة الأساسية التي قامت عليها طرابلس اليوم. كما عرفت المدينة بأسماء مختلفة عبر العصور، فقد ورد اسمها في رسائل تل العمارنة «دربلي»، وفي آثار أخرى سميت «حليا» أو «وحليا»، كما وردت التسمية في منحوتات انتصارات الغزو الآشوري للمدينة، بنحو: «مهالاتا، ومهلاتا، ومايزا، وكايزا»، وارتقى شأن طرابلس بين المدن الفينيقية في القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، حيث أصبحت عاصمة للاتحاد الفينيقي، وأصبح اسمها«آثار» Athar في السنة الأولى من عصر الملك أرتخشستا الثالث أوروكس (٣٥٩ق.م – ٣٣٨ق.م)، وهذا ما كشفت عنه قطع النقود المسكوكة فيها بتاريخ (١٨٩ – ١٨٨ق.م) وتحمل كتابة فينيقية تدل على اسم طرابلس الفينيقي.. وإلى جانب هذا الاسم (آثار) أطلق عليها الإغريق اسم «تريبوليس Tripolis» أي المدينة المثلثة في القرن الرابع قبل الميلاد، وظلت تحمل هذا الاسم طوال العصور التاريخية القديمة المتعاقبة، حتى أطلق العرب عليها في القرن السابع الميلادي اسم «أطرابلس» بإضافة الهمزة في أولها تمييزا لها عن «طرابلس الغرب»، ثم حذفت الهمزة، وأصبحت «طرابلس»، وتسمى حاليا طرابلس الشام أو طرابلس الشرق، تمييزا لها عن العاصمة الليبية طرابلس.

كما عرفت طرابلس على مدى العصور بالعديد من الألقاب التي أطلقها عليها أهلها وحكامها، ففي العصر الفينيقي لقبت طرابلس بـ «متروبول فنيقيا» وبـ «دار الندوة» وبـ «دار الشورى» عندما أصبحت مقرا للاتحاد الفينيقي الذي ضم المدن الثلاث الممثلة لمدن فينيقيا الكبرى: صور، وصيدا، وأرواد.

وفي عصر صدر الإسلام استحقت طرابلس أن توصف بأرض الرباط لأنها تشرفت باستقبال أعيان الصحابة والتابعين الذين رابطوا فيها وفي محيطها وفي مقدمتهم ابن عم رسول الله ﷺ الصحابي الجليل عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الملقب بالطيار القرشي الهاشمي.

وفي العصر الأموي استحقت طرابلس لقب الفيحاء الصغرى لأنها كانت تحاكي بجمال موقعها، وتقاليد أهلها، مدينة دمشق، ولأنها كانت محل رعاية

الحكام، وعناية الولاة، حيث كانت آنذاك قاعدة بحرية، ودار صناعة لتوافر أخشاب الأرز اللبناني، وفيها بنى معاوية أسطوله العظيم الذي انتصر فيه على البيزنطيين في «معركة ذات الصواري».

وفي العصر الفاطمي لقبت طرابلس بـ «دار العلم»، لأنها تبوأت مركز الصدارة العلمية في بلاد الشام في عهد بني عمار بحسب رأي المستشرق «فان برشم»، ولذلك يقول المؤرخ ابن فضل الله العمري في تاريخه المسمى «مسالك الأبصار»: إن طرابلس كانت تسمى قديما بـ «دار العلم»، وقال الشاعر شهاب الدين محمود وهو يمدح السلطان المنصور قلاوون، ويهنئه بفتح طرابلس:

وكانت بدار العلم تعرف قبلها
فمن أجل ذا للسيف في نظمها نثر

طرابلس في كتب التراث

العديد من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين وصفوا مدينة طرابلس في كتبهم، فقد وصفها الشريف الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» بقوله: «طرابلس مدينة بالشام عظيمة، عليها سور صخر منيع، ولها رساتيق (جمع رستاق وهي القرى والمقاطعات) وأكوار (جمع كورة)، وضياع جليلة، وبها من شجر الزيتون، والكروم، وقصب السكر، وأنواع الفواكه، وضروب الغلات الشيء الكثير، والوارد والصادر إليها كثير، والبحر محدق بها من ثلاثة أوجه، وهي معقل من معاقل الشام، وتضاف إليها عدة قلاع، وحصون داخلة في أعمالها، وحوالي مدينتها أشجار الزيتون».

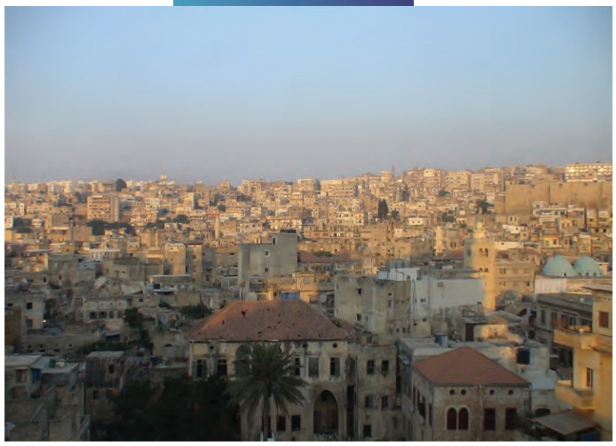
ووصفها ابن بطوطة المتوفى عام ٧٧٩هـ في رحلته المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، بقوله: «هي إحدى قواعد الشام، وبلدانها الضخام، تخترقها الأنهار، وتحفها البساتين والأشجار، ويكنفها البحر بمرافقه العميمة، والبر بخيراته المقيمة، ولها الأسواق العجيبة، والمسارح الخصيبة، والبحر على ميلين منها، وهي حديثة البناء، وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر، وتملكها الروم زمانا، وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي القرمي، وحمام سندمور».

ووصفها الرحالة رمضان بن موسى العطيفي الدمشقي المتوفى عام ١٠٩٥هـ. في «رحلته إلى طرابلس الشام» بقوله: «هي بلدة لطيفة، ماؤها كثير، ورزقها غزير، جميع بنائها بالحجر، ليس فيها شيء من الخشب، حتى كادت أن تكون كلها قطعة واحدة، يشقها نهر عظيم، على حافتيه من الجانبين، الجوامع، والمدارس، والقصور، والشبابيك، وهذا النهر غير نهر السقيا لبيوتها وحماماتها، والماء فيها يصعد إلى أعلى مكان، ولها قلعة في طرفها على جبل مطل عليها».

وقال عنها المؤرخ ابن الأثير المتوفى عام ٦٣٠هـ في كتابه «الكامل في التاريخ»: «وكانت طرابلس -أي في عصر بني عمار- من أعظم بلاد الإسلام وأكثرها تجملا وثروة».

معالم طرابلس.. شواهد حضارية

تعتبر طرابلس المدينة الأولى بثروتها التراثية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وهي الثانية بآثارها المملوكية بعد مدينة القاهرة، وتمثل متحفا حيا يجمع بين الآثار الرومانية والبيزنطية، والآثار الفاطمية والصليبية، والعمارة المملوكية والعثمانية.



وتضم مدينة طرابلس عددا كبيرا من الأبنية التاريخية والأثرية، بأحيائها، وأسواقها، ودورها، وأزقتها المتعرجة الملتوية، والمسقوفة، ومعالمها، وتضم بين جنباتها أكثر من ١٦٠ معلما، بين قلعة، وجامع، ومسجد، ومدرسة، وخان، وحمام، وسوق، وسبيل مياه، وكتابات، ونقوش، ورنوك، وغيرها من المعالم الجمالية والفنية. ومن أشهر معالمها نذكر:

١ - مساجد طرابلس ومدارسها

تعرف مدينة طرابلس بكثرة المساجد والتكايا والزوايا والمدارس الدينية التي يعود بناؤها لأيام المماليك والعثمانيين من بعدهم، حيث عماراتها المزخرفة وقناطرها المتناثرة. ويوجد في طرابلس العديد من الجوامع العريقة ومعظمها ذات طراز مملوكي ومنها:

ـ الجامع المنصوري الكبير: أكبر جوامع طرابلس ولبنان على الإطلاق. أمر ببنائه السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في ٦٩٣هـ - ١٢٩٤م. وبنى السلطان الناصر محمد بن قلاوون رواقاته المحيطة بفنائه الخارجي سنة ٧١٥هـ - ١٣١٥م وله أربعة أبواب، اثنان في جهة الشرق، وواحد في جهة الغرب، وواحد في الجهة الشمالية وهو الأكبر والمزخرف ويحمل الكتابة التاريخية، وفوقه المئذنة ذات الطبقات الأربع، المغربية الطراز. وللجامع محرابان: كبير وصغير، ومنبر خشبي بأشكال هندسية بديعة أمر بإنشائه الأمير شهاب الدين قرطاي ٧٢٦هـ - ١٣٢٦م. وفي وسط باحة الجامع حوض الوضوء والمصلى تعلوه قبة من الحجر الرملي. وعند الباب الغربي من الخارج برج دفاعي لحماية الجامع. وتحت الرواق الغربي غرفة الأثر النبوي الشريف حيث توضع شعرة من لحية الرسول ﷺ يزورها المؤمنون في

شهر رمضان.

- جامع العطار: من أكبر جوامع طرابلس وثالثها من حيث الأهمية بني في عصر المماليك، بناه بدر الدين بن العطار أحد عطاري طرابلس الأثرياء سنة ٧١٦هـ - ١٣١٦م على نفقته الخاصة بإشراف كبير المهندسين في عصره أبي بكر بن البصيص البعلبكي ونقش اسمه فوق بابه الغربي، وتم توسيع الجامع وبناء منبره الرخامي الملون، والباب الشرقي عام ٧٥١هـ - ١٣٥٠م، على يد المعلم محمد ابن إبراهيم المهندس. وللجامع باب ثالث في الجهة الشمالية، وفوقه ترتفع المئذنة الضخمة. ويعتبر الباب الشرقي أجمل أبواب الجامع، في أعلاه تربيعة رخامية رائعة من الزخارف والمنمنمات والأشكال الهندسية والألوان المختلفة.

- جامع البرطاسي: من أجمل مساجد ومدارس طرابلس المملوكية، ويعرف بجامع ومدرسة البرطاسي أو البرطاسية، بناه الأمير عيسى بن عمر البرطاسي حول ٧١٠هـ - ١٣١٠م ليكون مدرسة لطلبة العلم ومسجدا. ويجمع في بنائه عدة خصائص معمارية، فمئذنته أندلسية الطراز، تقوم فوق قوس مجوف نصف دائري بحيث جاء بناؤها الضخم إعجازا يتحدى نظرية الأثقال والفراغ. ويتميز محرابه عن كل محاريب لبنان بالفسيفساء المذهبة والمنمنمات التي تشكل كأسا تخرج منها أغصان نباتية مورقة تذكرنا بواجهة الجامع الأموي بدمشق. ويتميز الجامع بقبته الضخمة، وتحتها بركة الوضوء المرخمة.

- جامع طينال: أجمل وأفخم جوامع طرابلس ولبنان، بناه الأمير سيف الدين طينال الأشرفي الحاجب عام ٧٣٦هـ - ١٣٣٦م. وهو يضاهي أجمل جوامع القاهرة ودمشق. وهو يتألف من باحة رخامية بجانبها أربع حجرات كانت مجالس لقضاة طرابلس في



عصر المماليك: القاضي الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي. وللجامع بيتان للصلاة، الأول تعلوه قبة ضخمة تقوم على أربعة تيجان بيزنطية كورنثية، فوق أربعة أعمدة ضخام من الغرانيت المجلوبة من مصر الفرعونية. ويكسو الرخام أرضية الحرم بأشكال هندسية بديعة. وبين بيتي الصلاة بوابة هي الأروع بزخارفها ونقوشها وبهائها وتضاهي أجمل بوابات مساجد القاهرة المملوكية. أما بيت الصلاة الثاني ففيه المحراب والمنبر الخشبي من عمل المعلم محمد الصفدي ٧٣٦هـ - ١٣٣٦م. وتعتبر مئذنة طينال فريدة من نوعها في العالمين العربي والإسلامي فهي تشبه القلعة في بنائها، وفيها سلمان حجريان فوق بعضهما يفضي أحدهما إلى خارج الجامع، والآخر إلى داخله، ولا يلتقي الصاعدان فيهما أبدا.

- جامع التوبة: هو صورة مصغرة عن الجامع المنصوري الكبير، أمر ببنائه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧١٥عام هـ - ١٣١٥م، وله فناء خارجي تتوسطه بركة للوضوء أزيلت منذ سنوات قليلة، ومازالت قبتها قائمة فوق أربعة أعمدة. وتقوم المئذنة عند الزاوية الجنوبية الغربية من الرواق. وللجامع بابان: شرقي وشمالي. وفيه كتابتان: الأولى عند المدخل الجنوبي للرواق من عهد السلطان المملوكي المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨١٧هـ - ١٤١٣م. والثانية في العصر العثماني أيام والي طرابلس حسين بن يوسف باشا سيفا وهي تؤرخ لإعادة تجديده سنة ١٠٢١هـ - ١٦١٣م.

- جامع سيدي عبدالواحد: أصغر مساجد طرابلس المملوكية، شرقي سوق العطارين، بناه عبدالواحد المكناسي من المغرب ٧٠٥هـ - ١٣٠٥م. وأرخ له في لوحة نقشت بالخط المغربي. يتميز بمئذنته الصغيرة الحجم القليلة الارتفاع، وقبته المتواضعة فوق محرابه المغربي الطراز. كان يتألف من بيت للصلاة وفناء خارجي تتوسطه بركة الوضوء، أزيلت قبل ربع قرن من الآن بعد توسعة الجامع وضم الفناء إلى بيت الصلاة. يقوم على يمين مدخل الجامع مقام عبدالسلام المشيشي أحد المتصوفين. لايزال الناس يضعون أغصان الآس في نافذته المطلة على الطريق، وفوق الجامع رواق فيه عدة غرف يسكنها المغاربة حتى الآن.

- جامع أرغون شاه: كان في الأساس زاوية صغيرة، حوله الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى جامع، بين ٧٩٦ - ٨٠٠هـ/ ١٣٩٣-١٤٠٠م، له بابان، ويتميز بمئذنته الأسطوانية بخلاف المآذن المملوكية المربعة الأضلاع. وهي فوق الباب الشرقي الذي يحمل لوحة تاريخية.

إضافة إلى ما ذكر من مساجد هناك عشرات أخرى تزخر بها طرابلس ومنها: جامع البداوي الذي بناه الأمير دمرداش المحمدي الناصري عام ٧٩٦هـ - ١٣٩٣م. وجامع الأويسية الذي شيده محيي الدين الأويسي عام ٨٦٥هـ وله أكبر قباب جوامع طرابلس. ومسجد البهاء الذي جددت عمارته أكثر من مرة وبداخله عدة قبور لعلماء ومشايخ الطريقة النقشبندية. وجامع الحميدي الذي بناه السلطان العثماني عبدالحميد الثاني عام ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م. ومسجد الحجيجية وله مئذنة مربعة بها تأثيرات صليبية. وجامع الطحام المملوكي وله مئذنة قصيرة

لكنها حافلة بالزخارف الرائعة وفي حرمه أربعة أعمدة غرانيتية لها أربعة تيجان كورنثية.

ومن المدارس التي بنيت بمعظمها في عصر المماليك: مدرسة الشيخ الهندي المعروفة بالمشهد وتحتوي على زخارف ملونة في الخارج والداخل. مدرسة الشمسية وهي أقدم مدارس المماليك في لبنان وهي تقدم أقدم نموذج للبيوت المملوكية القديمة. المدرسة الناصرية التي بناها السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون. مدرسة الأمير شهاب الدين قرطاي التي تضاهي ببوابتها الشمالية أجمل وأفخم مساجد القاهرة ودمشق. المدرسة العجمية في أحد أقدم وأحصن الأزقة في المدينة وأضيقها. المدرسة النورية التي تحتوي على أجمل محراب وبها قبر بناه الأمير المملوكي طرمش الدوادار. المدرسة السقرقية التي بناها الأمير سيف الدين. إضافة إلى ما ذكر هناك: مدرسة الرفاعي من العصر العثماني. مدرسة الأمير سنجر الحمصي. مدرسة القاضي أوغلو العثماني. المدرسة القادرية من عصر المماليك من القرن الرابع عشر الميلادي. المدرسة الطواشية من العصر المملوكي وهي من أجمل مدارس طرابلس ذات التأثيرات الأندلسية، وغيرها...

٢ - خانات طرابلس

تقع خانات طرابلس في وسط المدينة، وهي من خلال عددها ومساحتها تبين أهمية التجارة وخصوصا الأهمية الاقتصادية لهذه المدينة، مما يفسر وجود هذا العدد الكبير من الخانات العائد معظمها إلى العهد المملوكي. وللخانات وظائف عديدة فهي بالإضافة إلى كونها مواقع لبيع وشراء البضائع، تستعمل أيضا لتخزين البضاعة وكمكان سكن التجار. ومن أشهرها نذكر:

ـ خان الصابون: يعرف أيضا بخان العضيمي، وهو من العصر المملوكي، وبه صناعة الصابون الطرابلسي



المعطر والملون، الذي يتمتع بشهرة عالمية عبر العصور، لوفرة الزيت النقي الذي تنتجه سهول الزيتون المحيطة بطرابلس، وخاصة سهول الكورة ذات الشهرة العالمية. وما يميزه أنه الوحيد الذي لايزال يحتفظ ببابه الأصلي المصنوع من الخشب.

ـ خان العسكر: وهو من أكبر الخانات في طرابلس، بني في عصر المماليك أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بهدف استعماله كثكنة للجيش مما يفسر اسمه. ويتميز ببنائه الذي يتألف من مبنيين.

ـ خان الخياطين: أشهر خانات طرابلس وأجملها، ويعرف أيضا بخان الحريريين، متخصص بالخياطة والأزياء الطرابلسية والوطنية والعربية، والتي نالت شهرة عالمية في العصور الوسطى، ولاتزال إلى الآن تنال إعجاب السائحين والزائرين، ولا يفوتهم شراء عباءة، أو زنار حرير، أو ثوب نسائي، مشغول بيد فنان طرابلسي ورث حرفته عن أبيه، عن جده. وتفضل أشهر الفرق الفنية الاستعراضية اللبنانية والعربية أن تأخذ أزياءها المشغولة بأيدي الخياطين الطرابلسيين المبدعين. ويرقى تاريخ هذا الخان إلى ما قبل عصر المماليك، حيث عثر عند بابه الغربي على آثار بيزنطية.

ـ خان المصريين: وهو مربع الشكل، شيده السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون في النصف الأول من القرن الرابع عشر للميلاد وكان خاصا بالتجار والنزلاء القادمين من مصر. ويتألف من فناء تتوسطه بركة ماء وتحيط به طبقتان، خصصت السفلى منهما للبهائم والبضائع فيما خصصت العليا للنزلاء. وتطل هذه الغرف على الفناء من خلال أروقة معومدة.

٣ - أسواق طرابلس القديمة

في أسواق طرابلس القديمة يتنشق المرء عبق التاريخ، ويتنسم روح الشرق، ويشاهد الصناعات والحرف المحلية المستمدة جذورها من الزمان الخالي، ويتذوق أشهى الأطعمة والحلويات، ويشتري مختلف الحاجيات بأرخص الأسعار. ومن أشهر الأسواق:

ـ سوق الصياغين: يعد من أجمل وأقدم أسواق طرابلس، وهو خاص بمحلات صياغة وبيع الذهب والمجوهرات المصنعة بأيدي الفنانين الطرابلسيين، أو المستوردة من الخارج.

ـ سوق النحاسين: أنشئ في العهد المملوكي، وهو خاص طبعا كما يدل اسمه بالنحاسيات. وفي هذا السوق تتجلى براعة الطرابلسيين وهم يصنعون بأيديهم النحاسيات والتحف الرائعة التي يتشوق الزوار لشرائها واقتنائها، وتزيين بيوتهم بها.

ـ سوق البازركان: يعد قلب الأسواق النابضة بالحياة، وهو متخصص بالأقمشة بأنواعها وألوانها. ويمكنك وأنت تسير أن تشرب من عصير البرتقال، أو عصير الجزر، أو التمر الهندي

ـ سوق حراج: يرجع تاريخ إنشاء هذه السوق إلى عصر المماليك في القرن الرابع عشر للميلاد، وترتكز قبابه على أربعة عشر عمودا من الغرانيت

المرتفعة والضخمة، لتشكل سوقا مسقوفا تشغله اليوم الصناعات والحرف الطرابلسية التقليدية، الخشبية، والقطنية، والجلدية، ومن الصناعات اليدوية: كراسي الحمام، والقباقيب، وقوالب الحلوى، وتنجيد الصوف والقطن للفرش والملاحف بالطريقة الطرابلسية، وصناعة الأحذية، والمحافظ الجلدية، وغير ذلك من أدوات يمكن التبضع منها كهدايا وتحف شرقية بأسعار مغرية.

- سوق الكندرجية: وهو أحد الأسواق المزدحمة بالمارة، وفيه محلات بيع الملابس وأحدث الأزياء. ومحلات بيع الأحذية والحقائب النسائية، بأسعار رخيصة لا تضاهى .

٤ - قصور طرابلس

أبرز قصور طرابلس هو قصر نوفل العثماني المعروف بمركز «رشيد كرامي الثقافي البلدي» بعد أن حولته بلدية المدينة إلى مكتبة عامة وقاعة محاضرات ومعارض. وهناك أيضا قصر الأمير المملوكي سنجر الحمصي الذي سكنه عام ١٣٢٤م، وقصر الأمير المملوكي سيف الدين الطنطاش من القرن الثالث عشر الميلادي. وقصر الأمير عز الدين أيبك الموصلي وهو من عصر المماليك، به زخارف أندلسية شبيهة بقصر الحمراء في غرناطة، وبعد القصر ضريح الأمير، وفوق نافذته اللوحة التاريخية العائدة إلى العام ١٢٩٩م.

٥ - أبراج وقلاع طرابلس

وتضم مدينة طرابلس العديد من الأبراج والقلاع الحربية التي أقيمت على امتداد ساحلها للمرابطة فيها والدفاع عنها، ومن أهمها: قلعة طرابلس، وبرج الأمير أيتمش، وبرج الأمير جلبان، وطرباي (الشيخ عفان)، والأمير الأحمدي (الفاخورة)، والأمير برسباي (المعروف بالسباع)، وبرج السلطان قايتباي (المعروف ببرج رأس النهر).

أما قلعة طرابلس المعروفة باسم «قلعة سان جيل» فهي أكبر القلاع الحربية في لبنان وأقدمها، أسسها القائد العربي سفيان بن مجيب الأزدي في العام ٦٣٦م. وبنى فيها الفاطميون مسجدا أوائل القرن الحادي عشر الميلادي. وبنى مؤسس كونتية طرابلس الصليبية «ريموند دي سان جيل» حصنا فوقها عام ١١٠٣م. ثم حوله الأمير المملوكي «أستدمر الكرجي» عام ١٣٠٧م إلى قلعة وبنى بها أبراجا، ثم أضاف السلطان العثماني سليمان بن سليم الأول عام ١٥٢١م البرج الشمالي وفيه باب القلعة.

تقع القلعة فوق تل صخري وتتألف من أربع طبقات، طولها ١٣٠م وعرضها ٧٠م، بها حمام قديم وثلاثة مساجد، وسجن، وإسطبل للخيول، وقاعات للقادة وكبار المسؤولين، وقاعات ضخمة للجند والذخيرة والمدفعية وآبار وخزانات للمياه، وأحواض للشرب، ومقابر، وباحات واسعة للتدريبات العسكرية والاستعراض، وأكثر من ١٠٠ حجرة مختلفة الاتساع، ونحو ١٠ أبواب في أسفل أسوارها، بعضها يؤدي إلى النهر، وبعضها يؤدي إلى الأسواق الداخلية، وترتفع أسوارها بين ١٥-٢٠م بها نوافذ للمدفعية.

ومن على متن السور، يمكن رؤية المدينة مع الميناء وجزرها في البحر، والطريق إلى بيروت، والطريق إلى حمص. ومن فوق السور الشرقي ترى أجمل لوحة ساحرة لجبال الأرز وسفوحها، ووادي قاديشا، وعلى جانبيه أروع ما أبدع الخالق من جمال الطبيعة. وتشرف من القلعة أيضا على «تكية الدراويش المولوية» وهي على مسافة ٢٠٠ متر من القلعة جنوبا، وتعود للعصر العثماني، بناها «صمصمجي علي» عام ١٦١٩م.

٦ - البرك وسبل المياه

عشرات البرك وسبل المياه منتشرة في أسواق المدينة القديمة، وتتميز بها عن غيرها من المدن، ومنها بركة الملاحة التي كانت تملأ في الأعياد بأنواع الشراب، من عصير البرتقال، أو التمر هندي، أو الليمون، أو السوس، ويشرب منها الناس مجانا لمدة ثلاثة أيام، وأحيانا لمدة أسبوع كامل. وسبيل ماء مملوكي يعرف بسبيل التينة، بناه الأمير محمد بن مبارك شاه العلائي في العام ١٤١٤م وفي داخله لوحة تاريخية.

لم يكن ما ذكرناه هو كل معالم طرابلس، فهي مازالت تعج بمساجد، ومدارس، وحمامات، وأسواق، وكتابات، ونقوش، وغيرها من المعالم الجمالية والفنية التي تعود إلى العصور المختلفة من تاريخها والمجال لا يتسع لذكر كل التفاصيل..

هذه هي مدينة طرابلس الفيحاء.. موطن التاريخ والحضارة.. وبلد المساجد.. طرابلس التي تفتخر بأنها قدمت للفكر الإسلامي أعلاما علماء تركوا بصماتهم الواضحة في عالم الفكر والدعوة الإسلامية والأدب والسياسة الذين كان في مقدمتهم: محمد رشيد رضا صاحب «المنار» وحسين الجسر صاحب «الرسالة الحميدية» ونديم الجسر صاحب «قصة الإيمان» وعبدالقادر المغربي عضو المجمع العلمي بدمشق والقاهرة والمجامع العلمية في أوروبا، ومصطفى صادق الرافعي وعبدالرحمن الرافعي وأمين الرافعي الذين لمعوا في سماء مصر الكنانة.

المراجع

١ - الدكتور عبدالسلام التدمري: طرابلس.. ثلاثة آلاف من التاريخ، مجلة الفيصل، العدد ٤٤، كانون الثاني ١٩٨١م.

٢ - عبدالعزيز سالم: طرابلس في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٦٧م.

٣ - فاروق حبلص: طرابلس/ المساجد والكنائس/، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس، ١٩٨٠م.

٤ - فاروق حبلص: تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٨٠م.

٥ - بعض مواقع الإنترنت ذات الصلة بالموضوع.

٦ - الأرشيف الخاص بالكاتب.

د. إبراهيم نويري
أكاديمي جزائري

رؤية إسلامية لمسألة النهضة النسائية

مما لاشك فيه أن قضية المرأة وما يتصل بها من مسائل وتداعيات فكرية واجتماعية وسلوكية وفلسفية، ليست بالأمر الهين أو الثانوي أو الهامشي في مجال الصراع المفاهيمي والفكري والاجتماعي والحضاري، لذلك ينبغي إحلالها مكانتها الحقيقية كقضية مركزية في الخطاب الإسلامي المعاصر، لاسيما إذا وضعنا في الحسبان أن موضوع المرأة بات يوظف على نطاق واسع وفضفاض خلال هذه المرحلة الحساسة من تاريخ البشرية.

وكم نحن بحاجة مؤكدة إلى دراسات ميدانية عميقة ومراجعات نقدية دقيقة، لمختلف أنساق الأطروحات الفكرية والاجتماعية التي عالجت قضايا المرأة. كي نسد الثغرات التي يحدثها دعاة التغريب والإلحاق الفكري والثقافي في البناء الاجتماعي للمجتمعات المسلمة.

يقول المفكر المسلم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إن قضية المرأة ليست قضية جنس يسكن المريخ! إنها قضية أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا، فنحن مدفوعون إلى بحثها وفي جوانحنا عواطف التوقير والحب والحنان، وهي قضية نصف الأمة، النصف الذي لو حكم بإعدامه ماديا وأدبيا، لمات النصف الآخر حتما، فنحن نحفظ ديننا ودنيانا كليهما عندما نحفظ على المرأة وضعها الصحيح في المجتمع، وهي قضية الإسلام الذي كذبوا عليه يوم أوهموا الناس أنه يمحق إنسانية المرأة ويخدش اعتبارها، ويمنع تعليمها.. فليس صحيحا أن الإسلام يعد المرأة (لأنها أنثى) دون الرجل (لأنه ذكر) فرب امرأة أفضل من رجل لأنها أرقى منه عقلا وأسمى خلقا وأنقى ضميرا.. ما قيمة اللحى والشوارب في وزن النفوس وعظمتها؟! إن مريم ابنة عمران وعائشة بنت أبي بكر أفضل من رجال كثيرين.. إن الله سبحانه سوى بين الرجال والنساء في ميادين التقوى والاستقامة ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ (آل عمران:١٩٥).. نعم بعضكم من بعض.. إن الرجل ينسل البنين والبنات فتتوزع صفاته الجسدية وميزاته الأدبية على أولاده كلهم، لا يضع أدناها في جنس وأعلاها في جنس، ثم ينطلقون جميعا في رحاب الحياة ويبتلون بتكاليف المعاش والمعاد، فيكون أولاهم بالله أتقاهم له، ذكرا كان أو أنثى، وهو الأفضل في نفسه وعند ربه..» (من هنا نعلم، ص ١٥٠).

فهذا الخطاب الفكري النقدي الذي يقدمه الشيخ الغزالي مهم، وأشعر أنه ضروري لواقع مجتمعاتنا المسلمة.. أولا: لكونه خطابا ينصف الإسلام مما ألصق به ظلما وبغير وجه حق؛ وثانيا: بوصفه خطابا يعيد للمرأة المسلمة دورها ومكانتها الحقيقية ويحرضها على المبادرة والفعل الإيجابي البناء من منطلق شعورها بشخصيتها المتفردة وثقتها بنفسها وبرسالتها في الحياة.. وبناء على ذلك فإن هذه القاعدة الفكرية أو الرؤية المفاهيمية يجب التمكين لها للاعتبارات المذكورة آنفا.

من قضايا المرأة المسلمة

ومن الكتب النسائية المهمة التي جاءت في سياق مناسب ومعتبر من منطلق المساهمة في وضع بعض المعالجات النافعة لقضايا المرأة المسلمة في خضم التدافع السلوكي والحضاري والمفاهيمي، كتاب الدكتورة ليلى بلخير الأستاذة المحاضرة بجامعة الشيخ العربي التبسي في الجزائر، الموسوم بـ «من قضايا المرأة المسلمة».

إن مضمون هذا الكتاب أجده من وجهة نظري يدور في فلك ثلاثة محاور رئيسة هي «صورة المرأة المسلمة من خلال نماذج من القصص القرآني» وهي مسألة تسلك في سياق التربية بالقدوة، أي الاقتداء بالنماذج الفذة من النساء اللاتي تحدث عنهن القرآن الكريم.. و«هموم المرأة المسلمة المعاصرة» كقضية البحث عن النموذج وضرورة التميز في هذه المرحلة التاريخية الحساسة التي تحتوشها التجاذبات الفكرية والإيديولوجية من كل جهة، ومسألة المرأة المسلمة الباحثة والعاملة بصفة عامة وكيفية تصرفها مع شؤون الحياة، وتوفيقها بين واجبات الأسرة الزوج والبيت والأولاد والمحيط الأسري وبين مقتضيات العمل والبحث العلمي في حالة المرأة الباحثة وما يتفرع عن ذلك من قضايا كقضية التهميش الاجتماعي للمرأة الذي ماتزال بعض التقاليد البالية والراكدة تفرضه على المرأة المسلمة، والغريب أن تلك التقاليد المهترئة تقدم في مجتمعات شتى على أساس أنها جزء أصيل من مفاهيم منظومة التعاليم الإسلامية!. إلى غير ذلك من الهموم والمشكلات التي تعتبر ذات أولوية في البرنامج الحياتي والفكري والنفسي

للمرأة المسلمة المعاصرة.
أما المحور الثالث والأخير من الكتاب فيدور حول فكرة «النهضات النسائية المعاصرة وموقع المرأة المسلمة الرسالية فيها».. لذلك لا أجد أية غضاضة في وصف هذا المحور من الكتاب بأنه الأهم.. على الأقل من زاوية الصراع المفاهيمي والفكري في زمن العولمة وما يندرج في بعض محاورها من تطلعات تستهدف تقارب الحضارات والثقافات والعادات، وبروز رغبة قوية ظاهرة لدى الطرف الحضاري الأقوى في محو خصوصيات الآخر المختلف فكريا وعقديا ونفسيا وحضاريا... وكذلك من زاوية ضرورة دفع الحرج والضغط الإيديولوجي والنفسي الذي باتت المرأة المسلمة الملتزمة تشعر به، بل وتكابد وطأته، وهو حرج وضغط متأتيان من المناشط التي تقوم بها بالوكالة عن الدوائر الغربية المعادية لديننا وأمتنا وقيمنا بعض الحركات والجمعيات النسائية البعيدة كل البعد عن الأصالة، بل المعادية لمرجعية الأمة في الفهم والسلوك والاعتقاد والامتثال والاستجابة.

ولعل الأخت الكاتبة ليلى بلخير نفسها أدركت حساسية وخطورة هذا المحور في كتابها فراحت تحذر من مغبة الانخداع بأساليب هذا التيار التغريبي المنضوي تحت لواء حركات ونهضات نسائية مختلفة المنازع والأهواء والأهداف.. ومن ذلك تصديها العقلاني الذكي للكاتبة المصرية المشهورة «نوال السعداوي» التي تقول عن الحجاب انتصارا للسفور وتقليد المجتمعات الغربية: «إن إجبار المرأة على لبس الحجاب ضد حقوق الإنسان لأنه تدخل غير مشروع في حريتها الشخصية، واختيار ملابسها، وهذا تأكيد للتفاضل والتمييز بينها وبين الرجل»! وترد الأخت المؤلفة داحضة مفتريات السعداوي فتقول: «الملاحظ أن إثارة قضية المساواة والتفاضل هو بهدف ضرب حجاب المرأة المسلمة.. لكن نقول لها إن الحجاب ليس شكلا عقابيا مسلطا على المرأة امتهانا، بل هو تلبية صادقة لنوازع الفطرة في شخصيتها».

ضرورة المتابعة النقدية لأفكار النهضات النسائية

إن الأفكار والطروحات المنحرفة التي تطلقها وتدعو إليها بعض رموز الحركات والنهضات النسائية في أقطار العالم العربي والإسلامي ينبغي مناقشتها وكشف دغلها وزيفها.. ولا يتم ذلك إلا بجهود أقلام نسائية أصيلة متمكنة ومطلعة على شتى التيارات والاتجاهات الفكرية والإيديولوجية، إلى جانب التسلح بفهم سليم لأحكام الإسلام وتعاليمه الراشدة، وكذلك بالسعي الحثيث لتكوين وبعث نهضات نسائية بديلة قائمة على ركيزة ومنطلق الانتصار لقيم ومفاهيم الإسلام والتمكين لصيغه وأنماطه الاجتماعية والسلوكية والحضارية.

إن جهود واجتهادات ومرئيات الدكتورة ليلى بلخير في هذا المؤلف الطيب النافع ينبغي أن تثمن وذلك من خلال النظر فيها والانتفاع العملي الحي بما ورد فيها، لاسيما على صعيد الجمعيات والنهضات النسائية المعاصرة في الوطن العربي والعالم الإسلامي..
ذلك أنها إضافة حسنة لدراسات كثيرة قدمها الفكر الإسلامي المعاصر في مجال قضايا المرأة المختلفة، لعل أشهرها وأهمها الدراسة الموسوعية الضخمة التي قدمها المفكر الدكتور محمد عبدالحليم أبوشقة الموسومة بـ «تحرير المرأة في عصر الرسالة» وكتاب الشيخ محمد الغزالي المتميز بحق لاسيما على صعيد نقد بعض التقاليد البالية: (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والأفكار الوافدة).. ودراسة المفكر الإسلامي الكبير الدكتور مصطفى السباعي «المرأة بين الشريعة والقانون».. وغيرها من الأعمال والأبحاث والدراسات ذات التميز والعمق والأصالة..

إن ما يمكننا التشديد عليه في هذا السياق تحصينا لمجتمعاتنا المسلمة من الأفكار والأنماط الوافدة والراكدة على السواء ضرورة متابعة أفكار وطروحات النهضات النسائية وترشيدها وفق منهج سليم من شأنه أن يعصم ديننا وهويتنا من فريقين؛ الأول جاهل بالإسلام ومقاصد شريعته، والثاني جاحد بمزايا الإسلام وقيمه، علة الفريق الأول متأتية من الجهل وقلة الوعي الإسلامي الصحيح وسيطرة التقاليد الراكدة التي لا صلة لها البتة بالإسلام الحق.. بينما علة الفريق الثاني تكمن في نكران وجحود مزايا الإسلام ومحاسنه، وذلك بسبب لوثات التغريب والتأثر بأنماط وأنساق الثقافة الغربية التي ما فتئت تنخر أفكار وعقول الفتيات المسلمات وتحول بعضهن إلى نماذج طبق الأصل مظهرا ومخبرا لنساء وفتيات الحضارة الغربية، وتلك معضلة عويصة، ينبغي أن يعالجها الفكر الاجتماعي الإسلامي والدعوة الإسلامية في هدوء وتؤدة بعيدا عن بوغاء الصراع الذي تبحث عنه الكثير من دوائر الرصد المعادية لأمتنا وقيمنا وهويتنا، قصد توظيف نتائجه المُرة لصالح الثقافة الغربية الغازية.



سلمان الرومي
سكرتير التحرير





كيف تستثمر الأسرة وقت أبنائها؟

الوقت هو عمر الإنسان ورأس ماله الضخم، ويجب عليه أن يستغله في ما يعود عليه وعلى أمته بالنفع. وليكن حريصا عليه أشد من حرصه على ما يملك من حطام الدنيا؛ لأنه إذا فقده فلا أمل له في استرجاعه، وكل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت.

والرسول ﷺ ما ترك خيرا إلا دل أمته عليه، وسهل لها الطريق إليه، وبين له وسائل تحصيله ونيله، وأسباب تحقيقه وكسبه، قال الله جل وعلا عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧). ومن مظاهر رحمته ﷺ أن دلهم على ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، ومن ذلك دلالته على نعمة الصحة والفراغ حيث قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» (رواه البخاري).

وقال أيضا: «اغتنم خمسا قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك» (رواه الحاكم وهو في صحيح الجامع ١٠٧٧).

وفي هذين الحديثين:

- بيان لقيمة الوقت والفراغ وخطورة الغبن فيهما.
- وتحريض ودعوة لاغتنام الفراغ قبل فوات الأوان. والوقت ذكر في مواقع كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ (الليل:١ و٢)، وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢﴾ (الفجر:١ و٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ (الضحى:١ و٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ (العصر:١ و٢).

قال ابن القيم -رحمة الله عليه- أقسم سبحانه بالعصر لمكان العبرة والآية فيه، فإن مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العليم منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ (الفرقان:٦٢).

أسباب تعين على حفظ الوقت

١- الخوف من الله وخشيته ومراقبته.. تدفع الإنسان لعمارة وقته بالطاعات والإقلاع عن المحرمات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ (الملك:١٢).

٢- صحبة الصالحين ذوي العقول السليمة والمعرفة بقيمة الوقت، وترك صحبة البطالين؛ لأن «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أبو داود وحسنه الألباني).

والشاعر يقول:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

٣- تذكر الموت؛ يقول الرسول ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات» (رواه الترمذي، حديث حسن).

فإن الإنسان إذا تذكر الموت، وأنه لا وقت له معلوم لديه، وأنه قد يفاجئه في أي زمان أو أي مكان، جعله ذلك حريصا على أن تكون خاتمته حسنة، وأن يتوفاه الله على طاعته (والأعمال بالخواتيم).

٤- قراءة سير العلماء الأفذاذ من هذه الأمة، الذين بنوا حافزا كبيرا على حسن استغلال الوقت، خصوصا إذا علمنا عاقبة ونتيجة استغلالهم لأوقاتهم.

٥- الحذر من التسويف (سوف)، فإنها أحد جنود إبليس كما يقول أحد السلف، ومن ثم المبادرة بإنجاز الأعمال كما قال الرسول ﷺ: «بادروا بالأعمال سبعا؛ هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال، فشر غائب ينتظر أو الساعة، والساعة أدهى وأمر» (رواه الترمذي وقال حديث حسن).

٦- الدعاء. إن الدعاء سبب كبير للحصول على كل مطلوب، فالله وحده هو الذي بيده مقاليد الأمور، فهو قادر على أن يعينك على استثمار وقتك بالفائدة، والعكس كذلك، فهو على كل شيء قدير سبحانه. إذن يا أخي، ادع الله أن يعينك على حسن استغلال وقتك في ما يرضيه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠).

٧- تنويع ما يستغل به الوقت، فإن الاستمرار على عمل واحد قد يجلب الملل للإنسان، والنفس على حسب ما تتعود عليه:

النفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فتنويعك لأعمالك قد يكون دافعا لاستغلالك الوقت بنفس أكثر قبولا.

٨- معرفة قيمة الوقت وحاجتك إليه، فإن الجاهل بالشيء لا يعطيه قدره اللازم وقيمته الحقيقية، فإذا عرف العاقل أنه محاسب على وقته وأنه سيمضي، وأنه محتاج إليه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء:٨٨ و٨٩)، فإنه سيحرص عليه أشد الحرص ولن يضيعه.

٩- تنظيم الوقت: إن الإنسان إذا نظم وقته وجعل له جدولا، ولو تقريبيا، ساعده ذلك على اغتنام أكبر قدر ممكن من الوقت في ما يفيد، وإلا تزاحمت عليه الأعمال ولم يدر بماذا يبدأ، قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «إن لله حقا بالنهار لا يقبله بالليل ولله في الليل حق لا يقبله بالنهار» (ذكره ابن الجوزي في مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب).

١٠- مخالفة الهوى: إن مخالفة الهوى أمر مطلوب في كل ما أمر الله به. والهوى يهوي بالإنسان إلى النار، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النازعات:٤٠ و٤١).

ويقول تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:٥٣).

وقفة مع الشعر

قال الوزير الصالح يحيى بن هبيرة:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

قال أبوالعتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

ويقول الشاعر:

لقد هاج الفراغ عليه شغلا
وأسباب البلاء من الفراغ

وقال الشاعر:

وما المرء إلا راكب ظهر عمره
على سفر يفنيه باليوم والشهر
يبيت ويضحى كل يوم وليلة
بعيدا عن الدنيا قريبا من القبر

اهتمام السلف الصالح بالوقت

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه».

ويتحدث العلامة مرعي الكرمي الحنبلي في الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية عن برنامجه اليومي: ولا يزال تارة في إفتاء الناس، وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة، ثم كذلك بقية يومه، ثم يصلي المغرب، ويقرأ عليه الدرس، ثم يصلي العشاء، ثم يقبل على العلوم إلى أن يذهب وقت طويل من الليل، وهو في خلال ذلك كله يقضي الليل والنهار يذكر الله تعالى ويوحده ويستغفره.

كيف يربي الصالحون أبناءهم

- قال عبدالله بن عبدالملك رحمه الله: «كنا مع أبينا في موكبه، فقال: سبحوا حتى تأتوا تلك الشجرة. فنسبح حتى نأتيها، فإذا رفعت لنا شجرة أخرى قال: كبروا حتى تأتوا تلك الشجرة. فكان يصنع ذلك بنا» (الزهد لأحمد بن حنبل ١٩٧/٢٢٩).

- لقد روي في مقدمة ابن خلدون أن هارون الرشيد -رحمه الله- لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته. ثم قال موجها: «ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه».

- كان ابن القيم يتفنن في مسألة استغلال الوقت: «السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرة طيبة» (الفوائد لابن القيم ١٦٤).

- يروي شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال لأبي موسى رضي الله عنه: «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي». سبحان الله حتى في النوم استغل نومته في سبيل الله.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لاستغلال أوقاتهم وقضاء إجازاتهم في ما ينفع ويفيد في الدارين إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد شعطيط
باحث دراسات إسلامية

جوانب تربوية عند الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله

يعتبر الشيخ علي الطنطاوي (ت ٤ ربيع الأول ١٤٢٠هـ-١٨يونيو ١٩٩٩م) أحد أعلام هذه الأمة علما وعملا. فقد ترك ما ينيف عن ستين كتابا، إضافة إلى بنين وحفدة اشتغلوا على إنتاجه الفكري والعملي جمعا وترتيبا وتحقيقا وطباعة وحديثا وكتابة عن جدهم. فكانوا بحق امتدادا روحيا وجسديا للشيخ عليه رحمة الله. فجزاهم الله خيرا عن الإسلام والمسلمين.

وإذا كان الشيخ الطنطاوي رحمه الله قد عرف بغزارة إنتاجه الفكري والإسلامي المتنوع، من مقروء ومرئي ومسموع، كما اشتهر ببيانه وفصاحته وبلاغته حتى لقب بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء. وعرفه الناس -كما تقول حفيدته عابدة المؤيد العظم-: كاتبا خطيبا متحدثا داعيا إلى الحق قويا فيه جريئا على مخالفيه، وكان بذلك علما من أعلام الأمة في هذا العصر (١). كما اشتغل في التعليم العالي والقضاء والصحافة والإعلام. وتميز بخفة روحه ودعابته ومزاحه الهادف الذي يسري عن النفس ويكسبها الخفة والنشاط، فإن هذا الصيت والشهرة في المجالات المذكورة لم يكن ليغطي على جانب مهم من حياة هذا الرجل الرباني. وهو أنه أحد أكبر المربين في العصر الحديث. فقد يسر الله له سبحانه الجمع بين التربية العصرية والتقليدية. كما أن المرء ليعجب من رجل له مشاركة في كل هذه المجالات كيف استطاع أن يجدد في المجال التربوي. وأن تكون



له فيه اليد الطولى والقدح المعلى. وأنى للمرء أن يعرف ما يدور في بيوتات العلماء وأسرار معاملاتهم لولا أن قيض الله لبعضهم أصحابا وأقرباء وبنين وحفدة وتلامذة يكشفون الحقيقة ويظهرون ما تميز به هؤلاء الأفذاذ من أنموذج تربوي ناجح يستحق فعلا أن يتخذ نبراسا يقتدى به في الأسر ورياض الأطفال والمدارس والمعاهد. وينسج على منواله لإخراج جيل تربوي فريد.

من أين ستكون البداية إذن. وكيف نختصر هذه التجربة التربوية الفريدة؟

قيمة التربية

كانت التربية عند الإمام الطنطاوي من أولى الأولويات، وكان يضرب لذلك مثالا ببناء الدور. فكلما احتجنا إلى بناء أكثر علوا كان لزاما أن نضع أساسا متينا. وهكذا التربية. كلما احتجنا إلى بناء جيل متين متكامل التربية كنا مطالبين بتربية إيمانية عميقة أساسها الإيمان العميق والإحساس الدائم بمراقبة الله (٢). كما كان يدعو رحمه الله إلى الاهتمام بمربي الأجيال، فعلى أكتافهم يقوم هذا البناء الشامخ. يقول رحمه الله: «المعلم الابتدائي هو الأساس، والبناء الذي حدثونا عنه في أمريكا وقالوا: إن فيه مائة طبقة، مائة دور بعضها فوق بعض، لا يقوم ولا ينتفع به إن لم يحمله أساس متين غائض في الأرض، والأساس لا يُرَى، ولكن البناء لا يقوم إلا عليه، هذا الأساس هو التعليم الابتدائي، لا يراه الناس على حقيقته ولا يقدرونه قدره، ولو كان بيدي شيء من الأمر، أو كان لرأيي قليل من الوزن، لاقترحت أن يشترط في معلم الابتدائي الشهادة الجامعية، وفوقها دورة في التربية وتعليم الصغار، وأن يُعطى مثل راتب أستاذ الشهادة الثانوية. نطالبه بالكثير بعد أن نعطيه الكثير، إن ضعف معلم الابتدائي لا تصلحه قوة مدرس الثانوي ولا أستاذ الجامعة» (٣).

بين النظرية والتطبيق

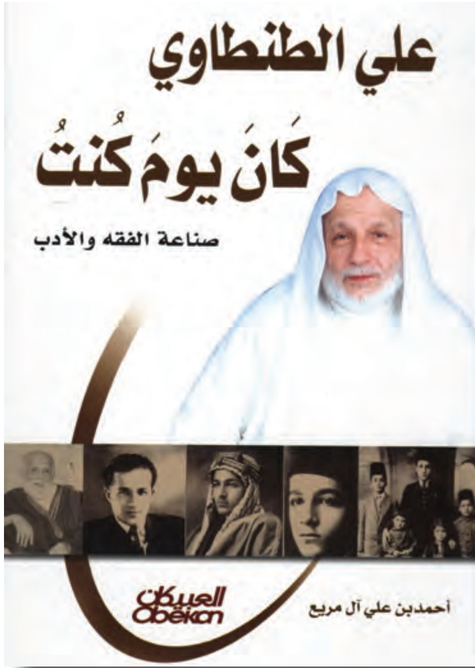
كثير من العلماء على مر التاريخ الإسلامي أسسوا لمذاهب فقهية ومدارس تربوية، لكن هذه المذاهب والمدارس اندثرت أو تلاشت بموت أصحابها نظرا لأنها لم تجد تلامذة ينشرونها ويشتغلون عليها دراسة وبحثا. يؤصلون لفروعها ويفرعون لأصولها. والإمام الطنطاوي رحمه الله قيض الله له من ساهم في نشر تراثه الفكري والتربوي من داخل بيته ومن كثير من تلامذته. وهكذا تمكنا من رؤية فكر الشيخ وعلمه وثقافته متجسدة في

سلوكاته التي نقلها عنه أبناؤه وحفدته خصوصا الحفيدة البارة: مؤيد العظم في كتابيها الذين نشرتهما عن جدها الإمام، كتاب: هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي –رحمه الله– (٤)، وكتاب: جدي علي الطنطاوي كما عرفته. فكان بحق مثالا للعالم الذي يقول ويفعل. ويأتي في بيته ما يأمر الناس به في كتبه وبرامجه ومجالسه العلمية والدعوية.

وإضافة إلى ما ذكر من الشق العملي في التربية عند الإمام الطنطاوي فقد ساهم رحمه الله في الشق النظري من خلال إشرافه على المناهج التربوية للتعليم الشرعي في المرحلتين المتوسطة والثانوية، كما ساهم بإصدار عدة كتب في أدب الأطفال وأعلام الإسلام. وبسط في مذكراته قضايا تربوية عديدة تنم عن شديد اهتمامه بهذا المجال وأنه فارسه المغوار بدون منازع. يقول متحدثا بنعمة الله عليه: «لقد عرفتم أني علمت في المدارس الأولية في القرى. وستعرفون أني علمت في المدارس المتوسطة والثانوية. وعلمت في جامعات كثيرة وفي أقسام الدراسات العليا في هذه الجامعات. وأشرفت على إعداد رسالات الماجستير والدكتوراه. وعلمت بنينا وبنات، ومشايخ في كليات الشريعة وفي المساجد» (٥). جولة –كما يقول رحمه الله– امتدت خمسا وعشرين سنة. وشملت إضافة إلى هذا الامتداد في الزمان امتدادا مقابلا في المكان شمل: الشام والعراق والسعودية ولبنان ومصر حينا (٦).

علم النفس والتدريس

وقد ساعده على التوفيق بين النظرية والتطبيق والجمع بينهما معا في تآلف عجيب، اهتمامه الكبير بعلم النفس، فقد قرأ عنه الكثير من المؤلفات. كما أن اشتغاله بالقضاء لفترة من الزمن ثم مدرسا أعناه –بعد فضل الله– على فهم نفسيات الناس وسبر أغوارهم



مما سهل عليه حسن تربية حفدته وأكسبه تجربة في حسن التعامل معهم وإبداع حلول فريدة لما كان يعترض آباءهم من عقبات وحواجز في تدبير اختلافاتهم؟

القدوة الحسنة

كان الإمام الطنطاوي رحمه الله عالما عاملا، لا يأمر بعمل إلا ويكون مبادرا إلى العمل به –نحسبه كذلك والله حسيبه–. وكان كثيرا ما يجمع حفدته ويقترح عليهم أن يقوموا بتقويمه وتقييمه وإبداء ملاحظاتهم على شخصه. ورغم أنه كان موقفا صعبا إلا أن له وقعا كبيرا على نفوس أبنائه وحفدته. بحيث يحسسهم أن لا أحد فوق النصح والإرشاد والتوجيه، كما أنها كانت فكرة ذكية منه رحمه الله لمعرفة اهتمامات الأطفال والجوانب التربوية التي يركزون عليها أو تلقى عندهم الاهتمام أكثر من غيرها.

الرحمة واللطف

الرحمة باب كبير من أبواب التربية وصدق الله عزوجل إذ يقول: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾ (آل عمران:١٥٩). ورحمة الشيخ الطنطاوي تتجلى في حدبه على حفيداته وأحفاده وحنوه عليهم وحرصه على أن ينعموا بالرعاية اللازمة الكاملة. فكان يمنع إحدى حفيداته من الذهاب إلى الدراسة إذا رأى عليها أمارات التعب أو المرض أو رأى أنها لم تنم جيدا. وكان هذا محط استغراب الأطر الإدارية والتربوية من هذا التدليل الزائد. وقد كان الشيخ رحمه الله ينظر إلى الأمر من زاوية غير الزاوية التي ينظر بها الآخرون. كما كان رحمه الله لا يضرب إلا لماما ولا يلجأ إليه إلا عند الضرورة بحيث يعتبره آخر الدواء. فالضرب عنده للتأديب لا للانتقام كما ذكرت حفيدته. وقد هالته القسوة المفرطة التي يتعامل بها بعض الآباء مع أبنائهم فصور لنا نفوره وكراهيته للقسوة المفرطة في التربية فقال رحمه الله: «كان من المناظر المألوفة كل صباح، منظر الولد «العصيان»، وأهله يجرونه، والمارة وأولاد الطريق يعاونونهم عليه، وهو يتمسك بكل شيء يجده. ويلتبط بالأرض، ويتمرغ بالوحل. وبكاؤه يقرح عينيه، وصياحه يجرح حنجرته. والضربات تنزل على رأسه. يساق كأنه مجرم عات، يرى نفسه مظلوما، ويرى الناس كلهم عليه حتى أبويه. فتصوروا أثر ذلك في نفسه، وعمله في مستقبل حياته» (٧).

تحبيب المطالعة للأطفال

غرس الشيخ رحمه الله في حفدته حب طلب العلم والمطالعة منذ نعومة أظفارهم. وكان شعاره: بدل أن تعطيني سمكة علمني كيف أصطادها. فكان يحيل كل من يسأله من أبنائه على مصادر المعرفة ومراجعها مباشرة تحت إشرافه وبتوجيه منه. حتى يتسنى له شرب الماء من منابعه الأصلية. كما كان هدفه رحمه الله أن يألف الطفل منذ صغره التعامل مع الكتب والمراجع دون أن يجد صعوبة أو رهبة من الغوص في دررها. فقد تعامل أحفاده مع أمهات الكتب وهم أبناء عشر أمثال الأعلام

للزركلي وكتب الشيخ أحمد أمين، وغيرها من الكتب في شتى أصناف المعرفة. فأورثهم هذا حب الكتب وطلب العلم منذ نعومة أظفارهم كما ذكرت حفيدته عابدة جزاها الله خيرا.

حسن الرعاية والاهتمام

تحدثنا فيما سبق عن رحمة الشيخ ولطفه ونتحدث هنا عن حسن رعايته واهتمامه بعائلته الصغيرة والكبيرة. بحيث كان رحمه الله يظهر اهتماما كبيرا وبارزا للجميع، من شتى الأعمار، ذكورا وإناثا، في كل المناسبات وفي كل الأحوال. «يسأل عن المريض حتى يبرأ، وعن الطالب حتى ينجح» (٨)، يمد يد العون للمحتاج، وينفس كربة المكروب، وييسر على المعسر، ويمد ذا الحاجة حتى يكتفي. لا يبخل بالمساعدة مادية ومعنوية. حالا ومقالا. وقد بقيت معه هذه الخصال حتى وهو في التسعين من عمره رحمه الله رحمة واسعة.

الحكمة

من مميزات الشيخ رحمه الله أنه كان حكيما إلى درجة عالية ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة:٢٦٩). يتجلى ذلك في برامجه التي كان يقدمها وأجوبته عن أسئلة الحاضرين. كما يتجلى ذلك في ردود أفعاله المتبصرة على تصرفات أطفال عائلته الكبيرة والصغيرة. فقد كانت هذه الردود تأتي بعد ترو ودراسة وبحث وتقص. وقد استفاد كما أسلفنا من عمله قاضيا لبعض الوقت، ومن تجربته في التربية والتعليم، ومن أسفاره وجولاته في كثير من البلدان. والأمثلة على ذلك كثيرة وفيما كتبته حفيدته غنية (٩). وتكفينا قصة غسل الثياب كمثال حينما كان الأطفال في عطلة صيفية في البادية، وكانت الكهرباء غير متوفرة لاستعمال آلة الغسيل. وكانوا يأتون مساء إلى البيت وثيابهم ملطخة بالأتربة، فكانت الأمهات يعانين من الغسيل اليومي للثياب. فكان أن أتى الله بالفرج بسبب حكمة الشيخ. حيث ألزم الأبناء بغسل ثيابهم في المساء. فأصبح الأبناء يحسبون ألف حساب قبل أن يلطخوا ثيابهم.

التشجيع وقصة النفائس

كان الشيخ رحمه الله يولي عناية بالغة للهدايا والإشارات اللطيفة والتحف الرائعة التي وإن كانت لا تكلف الكثير، لكنها تترك الأثر البالغ في نفوس الأطفال. من ذلك مسألة النفائس التي كان الشيخ رحمه الله يحتفظ بها في خزانة خاصة لا يملك غيره مفاتيحها. نفائس من كل نوع ومن شتى الأشكال والأحجام معدة لمختلف الأعمار. كما كانت هداياه عبارة عن قطع نقدية إضافة إلى شهادات تقدير كان يكتب عليها أسماء الأطفال المراد تشجيعهم بخطه الجميل، ليفرحهم أولا ثم ليغرس في نفوسهم حب المثابرة والإبداع وليحفزهم على مزيد من الجهد والعطاء.

بين الدنيا والآخرة

ما يميز العالم الرباني هو أنه يأخذ بيدك إلى الله عزوجل. لا يشغلك بالدنيا عن الآخرة، ولا بالآخرة عن الدنيا. والإمام الطنطاوي رحمه الله من هذا الصنف. فقد ربى أبناءه وحفدته على ابتغاء الدار الآخرة دون نسيان الدنيا. يتجلى ذلك في سلوك من تربوا على يديه، ونهلوا من معينه من حيث المحافظة على الصلاة والاهتمام بالعبادة إضافة إلى الاهتمام ببعض الرياضات لتقوية الجسم الذي هو في البداية وعاء الروح، يقول رحمه الله: «فإن كل يوم للأب هو يوم الطفل، عليه أن يوليه فيه من نفسه ومن ماله ما يجعل من طفل اليوم.. رجل الغد الذي ينفع نفسه والناس، ينفع بعلمه وبخلقه، وأن يمهد له بحسن التربية طريقة السعادة في الدارين، والنجاة في الحياتين» (١٠).

لتقر عين الشيخ الطنطاوي رحمه الله باثنين وعشرين من أحفاده ومئات من تلامذته وألوف بل وملايين من قرائه الذين ينتشرون في ربوع العالم الإسلامي، الذين يرشفون ويعبون من فكره الذي لايزال غضا طريا كأنما أنتج منذ لحظة. كما نتمنى من الطلبة والأساتذة والمفكرين أن يولوا مزيد عناية لتراث هذا الرجل. فهو البحر في أحشائه الدر كامن. وختاما لا نملك إلا أن نعمل بوصية حفيدته بالدعاء لجدها سائلين الله تعالى ما سأله لنفسه في آخر إحدى مقالاته: اللهم لا تقطعه عنك، ودله عليك، حتى يجد بمراقبتك سعادة الآخرة (١١). كما نسأله سبحانه لشيخنا الرحمة والمغفرة، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر:١٠). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي، عابدة المؤيد العظم ص ٥. دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م جدة، السعودية.

٢- نفسه، ص ١٩.

٣- ذكريات علي الطنطاوي ٣/٢٦٣ دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، جدة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤- وقد استفدت منه كثيرا في تسطير هذه الكلمات.

٥- ذكريات علي الطنطاوي ٣/٢٦٣، مرجع سابق.

٦- نفسه بتصرف.

٧- من حديث النفس، علي الطنطاوي ص ٤٩، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة: ٢٠١١، جدة، السعودية، راجعها وصححها وعلق عليها حفيد المؤلف: مجاهد مأمون ديرانية.

٨- هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي، ص ١٦. مرجع سابق.

٩ - ينظر كتاب هكذا ربانا جدي، فالكتاب كله يستحق القراءة والدراسة فهو رسالة واحدة في الحديث عن المنهج التربوي الفريد لهذا الإمام الجليل رحمه الله رحمة واسعة دائمة.

١٠- من حديث النفس، ص ٥٤ مرجع سابق بتصرف يسير جدا.

١١ - من حديث النفس، ص ١١٧. مرجع سابق بتصرف.

محمود حسانين
كاتب صحفي

أهمية الدمى عند الطفل..

دائما نجد سؤالا يؤرق بعض أولياء الأمور، عندما يطلب أبناؤهم شراء لعب ودمى وعرائس لهم، وغالبا ما تكون دمى مختلفة الأشكال من عرائس وغيرها، فيطرح السؤال نفسه ولي الأمر بكل تلقائية لماذا الدمى؟

هل لأن الدمى يتفاعل معها الأطفال بشكل كبير، أم لأنها دائمة الابتسام وتتقبل كل ما يطرحه الأطفال من أسئلة عليها كما تتقبل أي حنو أو لكمات أثناء اللعب من الأطفال بدون أن تفقد ابتسامتها أو أن تتذمر. أم لأنها سهلة الحمل خفيفة الوزن جميلة المنظر جعل مصمموها ملمسها ذا أثر كبير يبعث على الدفء واللمسات الحانية.

ورغم ذلك نجد الكثير من الأطفال يفضلون أن يتعايشوا مع الدمى بخيالهم وأحيانا بواقعهم، حتى نجدهم يقومون بإطعامها أو التحدث معها، وهذا يجعل العبء أثقل على رب الأسرة حيث إنه بهذا الشكل يكون وصل إلى منحنى خطر من الانفصال بين الأطفال وبين واقعهم، مما جعلهم يلجأون إلى هذه الدمى لتكون خلفا له عن والديه ومن حوله من البشر، وهذا أيضا قد ينتج نوعا من الاضطرابات كالقلق والخجل والميل إلى البكاء والحزن، وقد تظهر على شكل أعراض جسدية كالإسهال واضطراب النوم أو السمنة، وهذا ما تجلبه العزلة بشكل عام لدى الطفل الذي يقضي أغلب أوقاته مع هذه الدمى، إلى جانب الخجل والانطوائية التي يعاني منها الكثير من الأطفال والمراهقين، وهذا النوع من الخجل يكون بشكل اعتيادي، قد يعتقد البعض أن الدمى قد تساعد في تنمية اللغة عند الأطفال من خلال كثرة التحدث إليها، رغم أن هذا أيضا يصنع نوعا من العزلة لدى الأطفال، حيث ينمو داخلهم كأنهم يعيشون في العالم لوحدهم حيث إنهم يتحدثون ويجدون مستمعا ولكنهم لا يجدون من يرد عليهم أو يعلق على أحاديثهم.

إذن لا تقتصر أهمية الدمى لدى الأطفال على كونها تجذب نظرهم وتؤثر على خيالهم بل لها تأثيرات أبعد وأعمق قد تأتي بالضرر على الطفل أكثر من نفعها كأداة للتسلية.

ومن واجب الأسرة الانتباه إلى أفعال الأطفال، فقد تختلف قدرة الأطفال وأساليبهم للتعبير عن أحاسيسهم في كثير من الأحيان، فقد يظهرون أنهم غير سعداء، أو أنهم بحاجة للمساعدة بخصوص مسألة معينة من خلال أعراض تجذب انتباه الأهل واهتمامهم.

ضرورة الاستمرار بالتشجيع المتواصل والدعم النفسي، كالخروج في نزهة مثلا، أو إدماجهم في المساعدات المنزلية الخفيفة.

والموضوع ليس من السهل إهماله وتركه بدون حلول فلماذا لا تكون هناك علاقة وطيدة بين أولياء الأمور وأبنائهم مثل تبادل الآراء والمناقشات في الأمور التي تجعل الطفل يشعر بأهميته في الأسرة، حيث نجعل من الكيان الأسري خلية متكاملة الوفاق فيشعر الأطفال بمدى التجانس الذي يحدث بين الأهل والأبناء.

فالأحداث التي تتوالى على عصرنا الحديث نبهتنا على الحقيقة المخيفة التي تروع كل راع لأسرته بذهاب بعض مواد الدراسة وانصراف وإهمال القائمين والمسؤولين لها، وكأنها شيء أصبح بلا جدوى، كحصص التربية الاجتماعية والمكتبات والموسيقى والخط، التي تخرج الطفل من بين المعرفة الأكاديمية للمواد في اليوم الدراسي إلى عالم رحب من الهدنة والمرح، فقد كانت هذه الحصص والمواد تعد مرفأ تربويا للطفل، فإلى جانب إهمال القائمين عليها أصبح الطفل عازفا عنها، ففي البيت يرى الطفل ما لا يمكن أن يراه في الواقع على شاشات العرض، ولم يعد الطفل أيضا في حاجة إلى المجلات المصورة وإلى الكتب القصصية، ولا إلى أن يسمع الحكايا من الجدة كما كنا نفعل في الماضي، مما أدى أيضا إلى اندثار التراث الشفهي للأطفال، وكثرت المجلات التي أغلقت أبوابها حتى أننا بالكاد نحصل على مجلة ترتقي إلى المستوى الذي نرتضيه لأبنائنا، حتى أصبحت مجلة الحائط في المدارس من التراث..

فأين إشراك الطفل في تحرير أجزاء من المجلة اليومية، والاستفادة من التوجيهات التربوية المعاصرة بحيث تكون المجلة رافدا تربويا هاما للأطفال، وأصبحت الكتابة والرسومات للطفل شيئا أغرب من أن يجذب الانتباه ولم يعد أي أديب أو فنان قادرا على الكتابة والرسم للطفل كما كان من قبل، فلقد أصبح لدى الأطفال مساحة شاسعة من الخيال لما يفرضه عليه اللعب مع الدمى، وأعتقد هذا الذي أدى إلى تراجع حصص الرسم في كثير من المدارس كما الحال مع حصص الخط.

عثمان إسماعيل حسين
باحث تربوي - مصر



الغيرة بين الأبناء.. جنوح وطموح

الغيرة، كما يفسرها علماء النفس، هي مركب انفعالي تتداخل في توهجه مؤثرات عدة، داخلية أو خارجية، وهي استجابة لمثير ما إذا تعدى مداه أصبح يصارع الشخصية، عقلا أو سلوكا.. إيجابا أو سلبا.

والغيرة سلوك نفسي يقتحم عالم الصغار والكبار من الأبناء، حتى إنها تتحول إلى صراع نفسي يودي بهم إلى ضروب القلق والاضطراب وفقدان التوازن في الذات والانفعال، والجنوح إلى كوارث سلوكية غير محمودة العواقب. وقد تكون الغيرة صراعا تجاه عالم الطموح وإشباع الذات بتحقيق ما تصبو إليه وما يتمتع به الآخر من صفات يتمناها الفرد والمجتمع.

وقد وردت تلك الظاهرة النفسية في القرآن الكريم، حيث أتت واضحة جلية في «سورة يوسف»، وذلك عندما تهامس وتحاور إخوة سيدنا يوسف -عليه السلام- ووصل تفكيرهم إلى قتله والتخلص منه لما كان له من مكانة متميزة عند أبيه: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ (يوسف:٩)، وهنا تكمن دوافع الغيرة في ممارسة أسبابها بقصد أو من دون قصد، حيث تبدأ مظاهرها في عالم الأسرة، خصوصا الطفولة المبكرة، حيث «التدليل» لطفل دون الآخر. وتزيد المأساة عند إصرار الوالدين أو أحدهما على هذا التدليل والاستمرار فيه، بعد هذا تفقد المسؤولية التربوية للآباء هويتها ودورها تجاه ما هو أمثل وأفضل في التنشئة والتربية.

وقد تتحول ظاهرة «التدليل» إلى «التشجيع» في الكبر، ومنح هذا «المدلل» أشياء تحرم على أخوته، فتكتظ نفوس الآخرين كمدا وغيظا وحنقا وحقدا، وتفيض بمؤثرات شتى لتصنع خطوطا حمراء تشوه العلاقة والصلة ورابطة الدم بين الأبناء في الأسرة الواحدة.

ومن المؤكد أن هذا التشجيع تزيد سلبياته المدمرة للغير عندما يتحول إلى صفة «التمييز» بالمقارنة بينه وبين إخوته، بمعنى أنه المتضرر في المحاباة والمجاملة والاستثناء من الوالدين في الملبس والمأكل والتعليم والإقامة (حيث تخصص له حجرة مستقلة أحيانا) على سبيل المثال.

تلك الأسباب ترتكبها الأسرة في حق

أبنائها بما تعيشه من عدم ممارسة الثقافة المثلى في التربية، وفقدان ممارسة ميزان العدل الأسري، والتسرع في إصدار الأحكام على شخصية أبنائها؛ التفخيم أحيانا والتحقير أحيانا أخرى.

أما عن أسباب الغيرة (الذاتية والمجتمعية) فهي تتمثل في «الفقد» على سبيل المثال، وهي فقدان الطفل لوالديه أو أحدهما، فتسيطر عليه الغيرة ممن يتمتع بدفء وأحضان ورعاية والديه، تربية ومراعاة وعناية وعطفا وحنانا، أو عندما يتعايش مع ألم وقسوة المنظر عند مغادرته مدرسته وهو ينظر إلى زملائه الذين ينتظرهم آباؤهم، حيث الابتسامات والأحضان والقبلات الأبوية الدافئة وألوان الاطمئنان، بينما هو يجد نفسه وحيدا محروما من مذاق الأبوة، حنوها وأمانها.

أما الحرمان الذي يعيشه الطفل، طبيعيا أو مكتسبا، بمعنى أنه يجد نفسه وقد نشأ فقيرا لا يستطيع أن يجاري أقرانه في نمط حياتهم، أو أنه ضحية أب أو والدين اتخذا من البخل شعارا لهما، فكان الطريق إلى تلك الغيرة، حيث صنوف الحسد والحقد.

وقد تكون «الفروق الفردية» عاملا طبيعيا في إيقاظ الغيرة في نفوس الأبناء، حيث تتباين نسب الذكاء والاستيعاب والفهم والمهارات والقدرات المهارية والابتكارية، وقد تختلف أيضا في مواجهة المواقف المختلفة وحسن التصرف لمن يتمتعون بتلك الصفات، وإحساسه تجاه الغيرة بفقده لها، نظرة تخبئ وراءها العديد من الصراعات وعلامات الاستفهام التي تلقي به في عالم التأسي والتأزم.

ومن المؤكد أن أسباب الغيرة كفيلة أن تدفع بصاحبها إلى عالم الجنوح وفقد توازن الشخصية، مما يجعله يرتكب في حق نفسه آثارا جانبية تكمن في نمو الصراعات النفسية وسيطرتها على طبيعة النفس البشرية، حيث تكتظ بصنوف الحقد والحسد، والإحساس بالفشل، وفساد الشخصية وفقدان هويتها، والبغض والضغينة تجاه الطرف الآخر.

وقد تصل آثار الغيرة، التي يتولد عنها الحقد، إلى التفكير في سبل الانتقام، بعد أن فقدت التركيز والاتزان وقد غلبت عليها وحشة الانطواء وحدة النظرة وقوتها تجاه المجتمع، حتى تصبح مرضا نفسيا يؤدي إلى تدمير الذات وإصابتها بالقلق السلوكي، وما يصاحبها من قهر واضطراب وعدم اتساق وتناغم في معطيات الشخصية، سلوكا وانفعالا.

أما الغيرة المحمودة ففي الغالب تكون نابعة من الشخص ذاته نتيجة مؤثر خارجي استحوذ عليه، فينمو داخله التطلع والطموح اللذان يرقيان بالطفل مستقبلا.

على سبيل المثال الغيرة في فضيلة «العلم» والأخلاق والتجارة الرابحة المشروعة، أو الغيرة ممن يتمتعون بالاستقرار الأسري والمجتمعي الشريف، أو الغيرة ممن يحفظ القرآن ويتلوه كسلاسل الذهب، أو ممن يمارس عبادته لله تعالى حق عبادته.

وهذا الصنف من الغيرة المحمودة يحتاج إلى بذل الجهد في تشجيعها ورعايتها وتنميتها، خصوصا إذا كان الأبناء يملكون ويتمتعون بالمهارات والاستعداد لما يحقق الهدف من وراء تلك الغيرة من أحلام وأمنيات وطموح محمودة آثارها.. وهنا تبرز مسؤولية الآباء وثقافتهم التربوية والنفسية تجاه هذا النوع من الغيرة، التي تستلزم الفطنة والملاحظة والرعاية للوصول إلى ما ينبغي أن تكون عليه.

وهذا يتطلب دقة ومهارة الحوار والتفاهم مع الأبناء، وفتح أبواب النقاش المثمر، والإعداد الجيد للطفولة بمراحلها المختلفة، ومحاولة صقلها أولا بأول، وإشباع رغباتها وتنميتها بما يتناسب وما يتمتع به من قدرات وإمكانات.

ولكي نتجنب الآثار السلبية للغيرة لابد أن نضع نصب أعيننا الوصايا الآتية:

■ محاولة تجنب ظاهرة الإفراط في التدليل لطفل دون آخر في الطفولة المبكرة والمتأخرة، قولا وفعلا، أيا كانت الأسباب والدوافع.

■ إقرار وتفعيل ميثاق الألفة والمحبة والمودة بين الجميع، وتجنب محاولات تعكير الصفو وتكدير النفوس بين الأبناء.

■ معايشة الآباء لأبنائهم، وجعلهم يتنفسون عبق الأبوة في عدالة بين الانفعال والسلوك، بما يؤكد إيجاد هوية المسؤولية التربوية للآباء، وبما يتمتعون به من ثقافة سلوكية ونفسية تجاه أبنائهم.

■ تشجيع الأبناء، كل حسب قدراته ومهاراته، من دون تمييز أو تفريق أو محاباة أو استثناء، وتجنب إيحاءات ألفاظ الإحباط وتثبيط الهمم.

■ محاولة إشباع الأطفال والأبناء في مراحلهم العمرية المتتابعة بالنزعة الدينية القائمة على غرس خلق الإقناع والاقتناع، وأن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بقدر وبميزان محسوب ومعلوم، وما على الإنسان إلا السعي بما يتناسب وطموحه وقدراته وإمكاناته.

■ مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء، كل حسب ما يتمتع به من إمكانات في المهارات، لتحقيق ما يتناسب معها من طموح واستغلال استعداده النفسي والمهاري.

■ إقرار وتفعيل ميثاق العدل الأسري، كما أقره ووضحه ديننا الحنيف بين الأبناء، رعاية وتربية وتعليما وميراثا.

■ ملاحظة الأبناء المستمرة، والمراقبة والتدقيق بشدة تجاه ميولهم ورغباتهم في ظل حوار وجلسات أسرية دافئة، وتحت رعاية أبوية صحيحة تجمع بين طموح الأبناء وحرص الآباء.

ونهاية الأمر أنه إذا تمكنت ظاهرة الغيرة السلبية من صاحبها واستسلم لها، فهي ناقوس خطر تنذر دقاته بدمار نفسي وفقدان ذات كان من الأفضل أن يكون الطموح طريقها، وتحقيقه هدفا تسعى إليه النفس البشرية، إرضاء وطمأنينة وإشباعا لذاتها.

وإذا كانت الغيرة سلاحا ذا حدين، فهي تمثل عبء المسؤولية التربوية على كاهل الوالدين، وأرقى أنماط الأمانة في التربية والمعالجة النفسية لها بغية المحاولة الجادة للوصول إلى أرقى الأهداف والنتائج.

نجلاء محفوظ
مساعد رئيس تحرير
الأهرام

٥٠ طريقة مؤكدة للفشل



لا أحد يصبح «فاشلا» فجأة.

دائما هناك مقدمات وخطوات تسبق الفشل وتقود الإنسان إليه.

فكما أن للنجاح ورودا وعطورا في شتى تفاصيله الدينية والعملية والاجتماعية، فالفشل له أشواكه أيضا، نرصدها لتجنبها مع دعائنا لكم بأجمل النجاحات وأوسعها وأدومها.

١- قل: لا أستطيع عندما يعرض عليك أحد حلا لمشاكلك، واعتبره لا يحس بك، أو لم يمر بمشاكل حقيقية مثلك.

٢- اصرخ: الكلام أسهل عندما يحاول أحد مساعدتك على الحياة الأفضل. وتعامل معه كـ«متطفل» يفرض آراءه عليك، أو يحاول إثبات أنه أفضل منك، وعامله باستهتار لتؤلمه.

٣- ردد دوما لنفسك: الحياة صعبة، حظي سيئ ولا فائدة، والنجاح لم يخلق لمثلي، وستلاحقني المتاعب دوما.

٤- تابع عيوب الآخرين، واعمل على نشرها، وبالغ بذلك؛ لتحس بالرضا عن نفسك، وقلل من نجاحاتهم ما استطعت.

٥- لا تستفد من خبرات أحد، مهما لمست إخلاصهم وحبهم لك، وقاطعهم عندما يتكلمون، وقل أعرف ذلك جيدا.

٦- عندما تتعرض لتجربة سيئة قل: وحدي أتألم والآخرون سعداء ولا يعانون من أي مشاكل، وازرع بداخلك الإحساس بقلة الحيلة وبضعف قدراتك على النهوض.

٧- لا تبتسم لنفسك ولا عندما تتعامل مع الناس، وتجهم دائما، واجعلهم يعرفون أنك تعاني دائما.

٨- عندما يبتعد عنك الناس تدريجيا أو يقل إقبالهم على التعامل معك، فلا تراجع نفسك، وقم باتهامهم بكل ما هو سيئ.

٩- دافع عن عيوبك بشراسة، وهاجم من ينبهك إليها بحدة، وسارع إلى اتهامه بكل نقيصة حتى لو كنت تثق أنه بريء منها؛ حتى يتجنبك تماما فيما بعد.

١٠- ضاعف من ضيقك بكل واجباتك ومسؤولياتك بالحياة، وتعامل معها كأعباء ثقيلة لا مبرر لها سوى مضايقتك، واحرص على تأجيل عملك ودراستك ما استطعت.

١١- احرم نفسك من الهوايات، وقل: هي للترفيه الساذج أو للتافهين. خاصم القراءة، واقض أوقاتا طويلة على الفيسبوك وعلى المنتديات في الإنترنت.

١٢- تخصص في كتابة التعليقات الساخرة والغريبة، راقب «اللايكات»، واعرف كيف ومتى تحصل على أكبر عدد منها، واكتب ما يزيدها مهما خالف معتقداتك ومبادئك.

١٣- استسلم للبدانة. أكثر من التدخين. لا تأكل الطعام الصحي. لا تمارس الرياضة، واسخر ممن يهتمون بغذائهم وبلياقتهم البدنية.
١٤- ارفض نصائح أهلك، وقم بوصفهم بما توقن أنه يؤلمهم، وكن غريبا في بيتك، لا تخبرهم بأخبارك ولا تهتم بهم، وقم «بشيطنة» أسرتك.
١٥- اهمل مظهرك وقل: لا أحتاج إلى العناية به، أو بالغ في الاهتمام بمظهرك، واجعله «وحده» مقياسا لنجاحك في الحياة.
١٦- لا تهتم بمتابعة ما يحدث حولك في الحياة السياسية وبالشأن العام، واكتف بترديد ما تسمعه من دون التأكد من صحته وصدقه.
١٧- لا تطور إمكاناتك في العمل. قم بأداء أقل ما يمكن، وكن متذمرا دائما في عملك.
١٨- عامل زملاءك بتكبر، وأشعرهم أنهم أقل منك شأنا، ولا تتعاون معهم أبدا، وعرقل نجاحهم ما استطعت، واعتبر ذلك نجاحا لك.
١٩- تشاجر مع رؤسائك كثيرا، وأخبرهم أنهم ظالمون وسيئون ولا يقدرون مواهبك النادرة.
٢٠- احرص على الشكوى من كل شيء في الحياة لكل من تقابله وفي أي وقت، وتجاهل رد فعله على كلامك، وواصل الشكاوى وتفنن في ذلك.
٢١- اذهب للنوم دائما وأنت ساخط على حياتك وشاعر بأن الناس لا يحسنون تقديرك، وأنهم لا يستحقون وجودك في حياتهم.
٢٢- استيقظ وأنت تتنفس الإحباط والملل وكراهية الإنجاز، واستعد ليوم مرهق نفسيا وعمليا وستجده.
٢٣- لا تتصدق، وتكبر على الفقراء والمحتاجين، وقل إنهم يستحقون الفقر كما تستحق أنت الثراء.
٢٤- لا تتعاطف مع أي إنسان مهما بلغ تألمه، وقل لدي ما يكفيني من الوجع، حتى لو كنت عندئذ مرتاحا، ولا تساعد أحدا أبدا.
٢٥- تجاهل الصلاة أو قم بتأديتها بلا تركيز، واحرم نفسك من ثوابها ومن متعة الاطمئنان وتجديد الإيمان وتقويته أثناء أدائها.
٢٦- اسخر من أي إنسان يحاول تحقيق أحلامه،
سارع إلى إحباطه بشتى الطرق، واشعر بالسعادة وبتحقيق ذاتك عندما تنجح في ذلك.
٢٧- تابع أخبار الناجحين بشتى المجالات؛ لتثبت لنفسك أنهم نجحوا بطرق ملتوية.
٢٨- تجاهل الناجحين الشرفاء، وأكد لنفسك أنهم -فقط- استطاعوا إخفاء أساليبهم الوضيعة للوصول للنجاح.
٢٩- قل لنفسك يوميا: الحياة ظالمة ولا فائدة من أي محاولات للنجاح.
٣٠- لا تفعل شيئا لتنجح، وانتظر تغير الظروف حتى تبدأ تحسين حياتك، ولا تبادر أبدا.
٣١- إذا استطعت أن تجعل لسانك خنجرا مسموما دائما ومع جميع من تعرف، فلا تتردد أبدا.
٣٢- كن ساخطا دوما، وامنع الرضا عن الاقتراب من حياتك، وازرع الإحساس بأنك «تستحق» أفضل مما لديك، وأن الأقل منك ينعمون بالأحسن.
٣٣- تعامل مع النعم كأنها حقوق تستحقها، ولا تفكر في الشكر أبدا، وهاجم من يذكرك بالشكر للرحمن، واعتبره مدعيا للإيمان وحاسدا أيضا لك.
٣٤- تعامل مع أي نقص لديك، أو مشكلة، ولو كانت مؤقتة، وكأنه كارثة لا تحتمل، ونذير شؤم، وبداية لعذاب وبؤس سيستمر طويلا.
٣٥- قم بتهوين مشاكل الآخرين وتقليلها، وثق بأنها «تافهة» جدا، وبالغ في تقدير مشاكلك وتأكد أنها فظيعة وقاسية.
٣٦- كن مسرفا أو بخيلا.
٣٧- تنفس الإعجاب بنفسك، وازرع الزهو بكل أقوالك وتصرفاتك بعقلك وقلبك، وارفض الاعتراف بعيوبك.
٣٨- اترك نفسك للفراغ ليفعل بك ما يشاء وكأن حياتك ستسمر إلى الأبد.
٣٩- قل كلاما غريبا لتلفت الأنظار، واعتبر ذلك إنجازا لم يسبقك إليه أحد، وتجاهل الاعتراضات، واعتبرها غيرة وحسدا.
٤٠- اشغل نفسك بأخبار الفنانين والرياضيين، وكن موسوعة متحركة لذلك، واسعد بذلك واكتف به.
٤١- لا تنس أي إساءة، وعندما تخطئ فلا تعتذر أبدا.
٤٢- خطط للانتقام ممن ضايقك، ولو كان أمرا بسيطا، وقم بالتشهير به في كل مكان، واعتبر ذلك مسألة حياة أو موت.
٤٣- كن عصبيا، واستسلم للغضب ولا تقاومه أبدا.
٤٤- حافظ على الفوضى بمكتبك وحجرتك وحياتك، وحارب النظام، وقلل من شأن من يحبونه.
٤٥- اسخر من كبار السن واحرم نفسك من دعائهم لك ومن الاستفادة من تجاربهم في الحياة، وكن قاسيا مع الأطفال، وابتعد عن إمتاع نفسك ببراءتهم وجمال صحبتهم.
٤٦- عندما تتزوج امنح زوجتك أقل ما يمكنك من الاهتمام والمشاعر، وتجاهل مجاملتها، وارفض محاولاتها للتقرب منك وتجهم في وجهها ما استطعت.
٤٧- اهمل أولادك وأكثر من انتقادهم، خصوصا أمام الأهل وأصدقائهم، ولا تمتدحهم أبدا، وعاملهم بجفاء أو بحدة.
٤٨- تعامل دائما وأبدا «وكأنك» عرفت كل ما في الحياة واحتكرت الذكاء والحكمة لنفسك وأنه ليس بالإمكان أكثر مما وصلت إليه.
٤٩- لا تقبل أي انتقاد واعتبره إعلانا للحرب عليك، وسارع بالرد عليه بأسوأ وأقسى ما يمكنك، ولا تتراجع أبدا.
٥٠- اهرب من مواجهة مشاكلك دوما ولا تحاول السعي لحلها، واكتف بالشكوى منها، واسمح لها بالتضخم والسيطرة على حياتك.

شيماء مأمون
باحثة - مصر



مفهوم الالتزام في المجتمع الإسلامي

ملتزم.. مصطلح بات شائعا وسط الناس، حتى صار متداولا بينهم في معظم أحاديثهم، لكن يبدو أنه انحصر لدى كثير من الأفراد في المجتمعات الإسلامية في نطاق ضيق ومعنى محدود، وهو المحافظة على المظاهر فقط، وإن كان المظهر الإسلامي جزء أصيلا من الدين، وإن شوهه بعض الملتزمين بتصرفاتهم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (التوبة:١٨)» (رواه الترمذي ٢٦١٧، وأحمد في مسنده ٢٧٣٢٥، وغيرهما). وفي الذكر الحكيم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢ و١٦٣).

فيوصف الشخص بالالتزام إذا كان يتبع هدي الكتاب والسنة، وإذا ترك وفرط في فرائض الإسلام فيوصف بعدم الالتزام.

ويرى آخرون أن الالتزام هو اتباع كل ما أمر به الله عز وجل، والابتعاد عن كل ما يغضبه ونهى عنه. وليس كل من وصف بالالتزام ملتزما، فسمات الالتزام تظهر في المعاملة والسيرة الحسنة وحب الناس له «لأن من أحبه الله أحبه الناس». ويوصف بعدم الالتزام إذا رأى الناس منه ما يغضب الله ويتنافى مع شرعه.

ولكي نستطيع القول إن هذا الشخص ملتزم، لابد أن نعلم أخلاقه ومعاملاته ومدى اهتمامه بقضايا الأمة والمسلمين.

يقول عادل هندي (مدرس مساعد بجامعة الأزهر) إن الأذهان قد شردت إلى فهم التدين بصورة خاطئة، لذا فإن التصورات الخاطئة عن التدين والمتدينين هي:

تصور البعض بأن التدين عبارة عن التزام هدي ظاهريا فقط؛ كإطلاق اللحية، أو تقصير الثياب، أو ارتداء النقاب أو الحجاب (وليس في ذلك عدم تقليل من شأن الهدي الظاهر والتمسك بهدي النبي الكريم ﷺ).

يتصور البعض أن التدين يعني التزمت والعصبية والغضب المستمر والتكشير في وجوه الناس، لاسيما أهل بيته؛ متصورا أن ذلك أدعى لخوفهم منه واعتبار رجولته.

يتصور البعض أن التدين يعني التشدد في كل جانب، وتخيل الحرمة في كل أمر من أمور الحياة، كتحريم لبس الكرافت، أو الأكل بالملاعق، أو ركوب الطائرة، أو الخوف والحذر من التعامل مع غير المسلمين أو المخالفين له في فكرة أو رأي أو وجهة نظر أو حتى الدين.

يتصور البعض أن التدين يعني المكوث في المسجد باستمرار، متناسيا أن عليه واجبا نحو أهله وبلده وأمته ومجتمعه، كما ورد في الحديث «فأعط كل ذي حق حقه».

ومن الناس من يتصور أن التدين هو الالتزام بالعبادات المحضة، كالصلاة والزكاة وترديد الأذكار وحضور مجالس العلم والاستماع إلى القرآن أو قراءته وختمه أكثر من مرة، وربما تجده منفقا متصدقا على الناس، بيد أنك تجده بعيدا عن الخلق القويم.

والحقيقة أن مفهوم التدين الخاطئ رفضه الإسلام جملة وتفصيلا، قولا وفعلا، وأوضح أن الإسلام نظرية وتطبيقا.

والدليل على ذلك ما يأتي:

لا يوجد طريق للإفلاس مثل التدين

المغشوش الوهمي، ففي الحديث، كما في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار». وهذا نتيجة فهم الإسلام والدين والتدين بصورة خاطئة ومغلوطة.

ويكمل قائلا: لعلنا نتذكر قصة المرأة التي ذكرت عند رسول الله، وذكر من صيامها وقيامها ما ذكر، وربما كانت محجبة أو منتقبة، لكنه قال «إنها في النار»! لماذا؟ أليست متدينة تصلي وتصوم وتعبد الله؟ بلى، غير أنها فهمته بصورة خاطئة؛ حيث كانت تؤذي جيرانها بلسانها.

بل اعتبر النبي ﷺ بعض تطبيقات هذا السلوك من الكبر الذي يمنع دخول الجنة، ففي الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال الكبر: «بطر الحق، وغمط الناس».

ويتساءل من هو المتدين الحقيقي في الحياة؟

التدين يعني أخذ الدين سبيلا للوصول إلى مرضاة الله تعالى.. ومن ثم، فإن التدين يعني في حق الملتزم بالإسلام الالتزام به عقيدة وشريعة وأخلاقا وسلوكا. ومن هنا، فإن المتدين يتمثل الخطوات التالية:

تصحيح مفهوم الإسلام والتدين، بأن يكون فهمه للإسلام فهما شاملا لكل نواحي الحياة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾ (البقرة:٢٠٨ و٢٠٩).

فهم التدين في الإطار الصحيح، ومعناه الاستسلام لأمر الله جل جلاله، والانقياد لأوامره والاجتناب لنواهيه، والانسياق في منهجه الذي نظم به شؤون الناس.

المتدين هو من يفعل الخير في الغير، ويترك الشر، ويبعد عن الخلاف.

المتدين هو من يفهم الإسلام، ويعيش بالإسلام سلوكا وخلقا، ويعيش للإسلام عملا ونشرا ودعوة ونصرة له.

المتدين هو من يلعب ويمرح ويمزح مع أصدقائه، وكان هذا هدي النبي ﷺ مع أصحابه الكرام، رضوان الله عليهم جميعا، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين. فالتدين لا يمنع المتدين من فعل هذا كله، لكن بضوابطه الشرعية.

وليس معنى ما ذكرناه سابقا عن المتدين أننا نريد متدينا لا يكون صاحب قضية وغاية وهدف، ولا نريد متدينا أبله أو مغفلا يمكن الغدر به ولا يفقه في الأمور شيئا، ولا نريد متدينا يترك مسؤولياته لغيره، ولا يقوم بها بنفسه.

يذكر محمد علي الطاهر (إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية) أن الالتزام هو الوقوف عند كلام الله ورسوله وعدم تقديم هوى النفس،

ويحمل الالتزام على الظاهر عند الناس، ولكن المراد به التزام الظاهر وانقياد الباطن تحت قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ (النور:٥١).

فالملتزمون حقا تجدهم مطبقين ملتزمين بقول ربنا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ (الأنعام:١٥٣)، ولقول نبينا: «عليكم بسنتي».

ويؤكد أن الملتزمين بينهم تفاوت، كل على قدر المعاملات والعبادات يحكم عليهم لنا الظاهر والله يتولى السرائر.

وهكذا يتم القياس عند الاختيار في الزواج، فبالنسبة إلى الفتاة إذا رأت إجمالا في المتقدم لها «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»، هذا هو المقياس (صلاته، قرآنه، معاملاته، علاقته بصلة الرحم بالجوار بالوالدين، صحبته)، وإن لم يكن سمته كاملا.

كما قال شيخنا المقدم: «رب ملتح ليس له حسنة إلا لحيته، ورب حليق ليس إلا هذه ذلته». والرجل ينطلق بمقياسه (فاظفر بذات الدين تربت يداك)، كذلك صحبتها وصلاتها وحشمتها وعبادتها ومعاملاتها وبرها، فإن برت والديها فستبره.

ويأتي في ذلك أن يأخذ كلاهما وقت الخطبة كافيا، يعرف بعضهم بعضا، ويسأل بعضهما عن بعض بدقة من خلال الجيران والأصحاب والثقات.

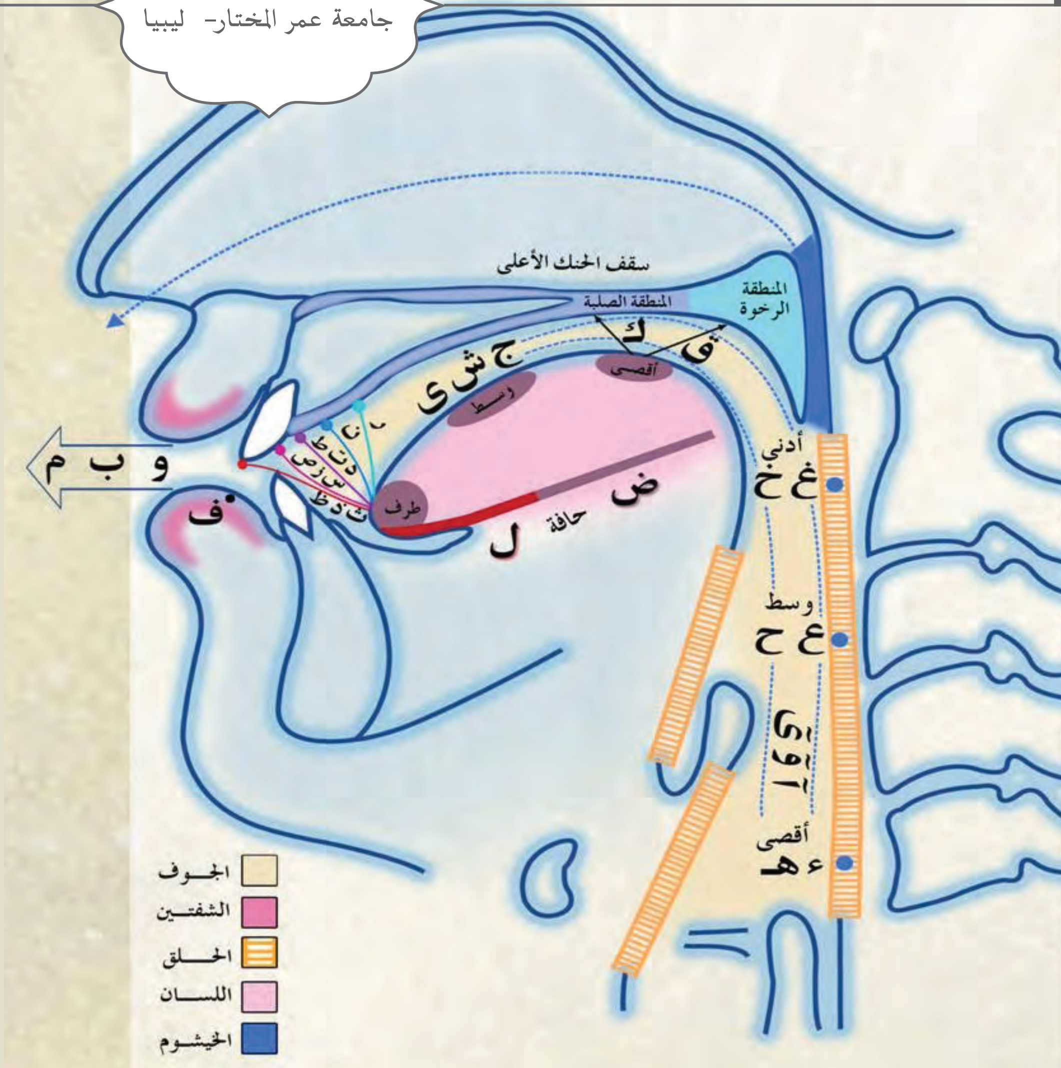
ويرى بأن التزام الشخص يحكم عليه من الظاهر والباطن، وقتها يستطيع أن يطلق على نفسه ونطلق عليه ملتزما، فلا يجوز مثلا أن يكون مصليا ومطلقا لحيته ومع هذا مدخن، فهذا لا يعد ملتزما، لأنه يفعل معصية، ومصيبته إنه يجاهر بها، وكذلك ليس شرطا أن يحكم على التزام فتاة بأنها منتقبة مثلا وأن غيرها محجبة، حيث إن الواقع العملي يشهد بغير ذلك.

ويشير أحمد إسماعيل (موظف) إلى أن سمات الالتزام أن يكون الإنسان على خلق حسن، يراقب الله عز وجل في كل شيء، وأن يجعل الهدف الأسمى له هو وجه الله تعالى، وأن يعامل الناس بخلق حسن، والأهم أن يتخذ النبي ﷺ قدوة له في كل شيء، فنحن لا نعرف ما في قلب أي شخص.

وتقول حنان الليثي (مهندسة): قالوا في الأثر: المعروف عرفا مشروط شرطا، حيث العادات والتقاليد تعتبر من الأمور التابعة للدين ما لم تكن في تعارض واختلاف، فكان سمتا من الالتزام. وعلى الجهة الأخرى، فالالتزام بأمر الله ورسوله وتعاليم القرآن وأركان الإسلام هو الدين، والالتزام وإن كان بظاهر الأمر عند الناس فما أمروا بالكشف عن قلوب الناس.

فالالتزام بالأخلاق والمعاملات المنصوص عليها، والالتزام في نفس الإنسان وقلبه وبينه وبين ربه، فقد يكون باطنه خلاف ما يظهر للناس، فالالتزام ما ظهر من الإنسان وارتضاه الناس في دنيا البشر. أما في حكم السماء فهو عمل قلبي، تخضع له الجوارح، وتخشع له الأنفس، وهذا الذي يداوم على صلاته في المسجد أو هي تلتزم بحجاب شرعي، ومن سلم الناس من لسانه ويده وحسن خلقه وعمله وسيرته وصف بالالتزام.

د. أسماء عبد الكريم خليفة
جامعة عمر المختار- ليبيا



جهاز النطق الإنساني

يتكون جهاز النطق في جسم الإنسان من أعضاء ثابتة وأخرى متحركة يقول بعض المحدثين (١): ليست أعضاء النطق جميعها متحركة أي قابلة للحركة، فمعظمها ثابت لا يتحرك وقليل منها قابل للحركة. ولكن هذه الأعضاء لا تؤدي وظيفة النطق فقط، بل لها وظائف أخرى؛ فمن اختصاص الرئتين عملية التنفس، واللسان التذوق، والأسنان قطع الطعام.

وهدفنا من معرفة جهاز النطق وتكوينه: التعرف على هذه الأعضاء وما تؤديه من وظائف في أثناء إصدار الأصوات.

١- الرئتان: الرئتان هما أهم عضوين من أعضاء النطق فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس، وبغير التنفس لا يكون الكلام بل لا تكون الحياة ذاتها، فالرئتان لا يمكن الاستغناء عنهما في عملية النطق (٢)، فهما الوعاء الرئيسي الذي يخزن فيه الهواء الضروري لعملية الكلام والذي يطلق عليه تيار الهواء (٣).

وكما هو معلوم أن عملية التنفس تتكون من شهيق أي: إدخال الهواء، وزفير، أي: إخراج الهواء، وهذه هي التي تتم من خلالها عملية النطق (٤).

٢- القصبة الهوائية: وهي مكونة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الخلف (٥)، والقصبة الهوائية هي التي تصل ما بين الرئتين والحنجرة، وقديما كان يظن أن القصبة الهوائية طريق للتنفس فقط (٦).

فالهواء يخرج من الرئتين، ثم تتلقاه القصبة الهوائية، ثم الحنجرة، فهذا الكلام صحيح من الناحية العملية. ولكن للقصبة الهوائية أثر كبير في الصوت اللغوي فهي تؤثر أثرا بينا في درجة الصوت وخاصة إذا كان عميقا.

٣- الحنجرة: وهي حجرة غضروفية (٧) تتكون من عدد من الغضاريف، الجزء العلوي (الغضروف الدرقي) ناقص الاستدارة من الخلف،

وعريض بارز من الأمام، ويسمى هذا الجزء بتفاحة آدم، وهذا البروز يظهر في الرجال أكثر منه في النساء. وأما الغضروف الثاني (الغضروف الحلقي) فهو تام الاستدارة (٨). وتقع فوق الحنجرة زائدة لحمية تسمى لسان المزمار، ووظيفتها حماية طريق التنفس في أثناء البلع ومرور الطعام. ولكن لسان المزمار ليس له دخل في عملية الأصوات (٩).

ولقد عد العلماء هذا العضو (الحنجرة) هو الأداة الأساسية للصوت الإنساني، لأنها تشتمل على الوترين الصوتيين الذين يهتزان مع معظم الأصوات هزات منتظمة وهذه الهزات يمكن عدها في الثانية، ويترتب على هذه الهزات الحكم على درجة الصوت (١٠).

٤- الوتران الصوتيان: وهما شفتان تمتدان أفقيا في الحنجرة من الأمام إلى الخلف، ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع مختلفة تؤثر في الأصوات الكلامية (١١)، وهي: الوضع الخاص بالتنفس، وضعهما في حالة تكوين الصوت، وضعهما في حالة الوشوشة، وضعهما في حالة تكوين همزة القطع (١٢). وهذه الأوضاع جميعها تفيدنا في عملية الأصوات، لكن الأمر الثالث (الوشوشة) لا يعنينا.

أ- الوضع الخاص بالتنفس: عندما تتخذ الأوتار الصوتية وضع الانفراج يسمح للنفس بأن يمر خلالها من غير اعتراض، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى في الاصطلاح الصوتي بالهمس مقابل الجهر. فيطلق على الأصوات التي تنطق بهذه الكيفية بالأصوات المهموسة.

ب- وضعهما في حالة تكوين الصوت: وهذه الحالة عكس الأولى فعندما ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا جزئيا يسمح للهواء المندفع من خلالهما أن يحركهما أو يهزهما، في هذه الحالة ينتج ما يسمى «بذبذبة الأوتار الصوتية» وهي ذبذبة تصدر صوتا، هذا الصوت يختلف في الدرجة والشدة، ويطلق عليها «الأصوات المجهورة» (١٣).

٥- الحلق: وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، وهو يضخم بعض الأصوات فضلا عن أنه مخرج لأصوات لغوية خاصة (١٤) وهي: «ء هـ ع ح غ خ».

٦- اللسان: يعد اللسان أهم جزء في الجهاز الصوتي ولأهميته سميت اللغات به،

فيقال: اللسان العربي، أو لسان العربية، ويقصد به اللغة العربية. وهو عضو مرن كثير الحركة، له أهمية كبيرة في عملية النطق، حيث يتخذ أوضاعا وأشكالا متعددة، حيث ينتقل من وضع إلى آخر، فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة، وينقسم اللسان إلى ثلاثة أقسام (١٥):

أ- أول اللسان. وهو ما يطلق عليه: الحنك الأعلى.

ب- وسط اللسان. وهو ما يطلق عليه: وسط الحنك.

ت- آخر اللسان. وهو ما يطلق عليه: أقصى الحنك.

٧- الأسنان: وهي من أعضاء النطق الثابتة، وتقسم إلى: الأسنان العلوية، والأسنان السفلية. ولها وظائف مهمة في العديد من الأصوات، فاللسان يعتمد عليها في نطق بعض الأصوات مثل: التاء، والدال، والطاء، والظاء، والذال، والثاء. وتتصل الأسنان العليا أيضا بالشفة السفلى للنطق بصوت الفاء (١٦).

٨- الشفتان: هما عضلتان مستديرتان ينتهي بهما الفم، وتعد الشفتان من أعضاء النطق المتحركة، وتتمتع الشفتان بحرية الحركة (١٧)، ولهما أوضاع مختلفة عند النطق ببعض الأصوات، ويمكن ملاحظة هذه الأوضاع عند النطق بحرف الباء مثلا، حيث تنطبق الشفتان انطباقا محكما. وعند النطق بالكسرة تنفرجان انفراجا كبيرا. وتستديران عند النطق بالضمة (١٨).

٩- الفراغ الأنفي: وهو العضو الذي يندفع من خلاله التنفس في أثناء انغلاق طريق الفم عند النطق بصوتي: الميم، والنون (١٩).

١٠- الحنك: وهو الجزء الذي يقابل اللسان (٢٠)، ويطلق عليه سقف الحنك، أو سقف

الفم، أو الحنك الأعلى، وينقسم إلى أربعة أقسام:

أ- مقدم الحنك. وهو ما يعرف: باللثة، وأصول الثنايا العليا.

ب- وسط الحنك. أو الحنك الصلب، وهو ما يسمى: الغار.

ت- أقصى الحنك. أو الحنك اللين، وهو ما يسمى: الطبق.

ث- اللهاة. وهي الزائدة اللحمية التي تقع في آخر الحنك الرخو. ولها دور في نطق القاف الفصيحة، كما ينطقها القراء اليوم (٢١).

الهوامش

١- علم اللغة العام (الأصوات): ٦٤ – ٦٥.
٢- الأصوات اللغوية: ١٩.
٣- علم الصوتيات: ١٠٤.
٤- أصوات اللغة: ٤٤.
٥- السابق: ٤٦.
٦- الأصوات اللغوية: ١٧.
٧- أصوات اللغة: ٤٧، وأسباب حدوث الحروف: ١٢.
٨- الأصوات اللغوية: ١٧.
٩- علم اللغة العام: ٦٥.
١٠- الأصوات اللغوية: ١٧.
١١- السابق: ٦٥.
١٢- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١١٣ – ١١٤.
١٣- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بتصرف: ١١٤.
١٤- الأصوات اللغوية: ١٨.
١٥- علة اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١١٥ – ١١٦.
١٦- علم اللغة العام (الأصوات): ٧١.
١٧- الأصوات اللغوية: ١٨.
١٨- علم الأصوات اللغوية: ٣٥.
١٩- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١١١.
٢٠- نفسه: ١١١ – ١١٢.
٢١- علم اللغة (الأصوات): ٧١.

د. عطية الويشي
باحث أكاديمي



الجمعة في الفقه الحضاري

برغم جزالة الحديث حول قدسية الجمعة في كتب الحديث والفقه والتزكية، فإن «الجمعة» لم تزل محتاجة النظر إليها من زوايا أخرى، كي تتجلى المعاني الأوفر تعبيرا عن ذلك اليوم في الفقه الحضاري الإسلامي، والذي يعكس المقاصد «الحضورية» ليوم «الجمعة» بأبعاده الاجتماعية في الفكر الإسلامي، ذلك اليوم الذي يعد بمثابة صيانة دورية لحماية نسيج الأمة من التآكل والتهتك، ووقاية وحدتها من التشقق والتفكك، وتعزيز الأمل في إمكانيات ترميم البناء الحضاري الإسلامي المتكامل الأركان من جديد في دنيا الناس!.

والجُمُعة لغة: بضم الجيم والميم على المشهور: اسم من الاجتماع (١).

وجمع الجمعة: جمع وجمعات، ويقال: جمَّع القوم، بتشديد الميم، أي: شهدوا الجمعة فصلوها، فهم «يجمعون». ومُجَمَّع، هو: لقب قصي ابن كلاب، سمي بذلك لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة، وبنى دار الندوة (٢). ولقد كانت أسماء الأيام معروفة بما هي عليه اليوم منذ قديم الأزل؛ وكانت تلك الأسماء تزدوج لدى العرب بحسب ظروف وذكريات حوادث ارتبطت ببعض هذه الأيام.

وقد قالوا: إن «أسماء الأيام الخمسة جاءت بأسماء العدد أولها الأحد وآخرها الخميس، واختص السادس باسم العروبة، وفي الإسلام باسم الجمعة، والسابع بيوم السبت، فسميا بالحال لا باسم العدد» (٣).

ومهما يكن من اختلاف حول أصله وتسميته، فإن روح التجميع للاجتماع تغلب على إيقاع لفظة «الجمعة» بمختلف اشتقاقاتها... وإن يوم الجمعة هو يوم من أيام الله الذي

أمرنا بتذكرها واستحضار روح الألفة الوحدوية الودودة، وإحياء شعائرها الحضارية؛ فقد ورد فيما صح من الآثار أن «يوم الجمعة يوم جمع فيه أبواكم» (٤). وقد ذكرت المصادر أن كعب بن لؤي: هو أول من سن الاجتماع يوم الجمعة، وكان اسمه «يوم العروبة»، إذ كانت قريش تجتمع إليه فيه فيخطبهم ويعظهم (٥).

ومن لطائف ما يذكر في هذا السياق، أن لفظة «قريش» في معناها اللغوي ودلالاتها الاصطلاحية تشير إلى الاجتماع المتآلف. ومما يصح في أصل التسمية: «قصة تجميع الأنصار مع أسعد بن زرارة، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فصلى بهم، وذكرهم، فسموه الجمعة حين اجتمعوا إليه» (٦).

ويرتسم البعد الحضاري للجمعة في الفكر الإسلامي على ضوء النظر إلى الحضارة باعتبارها: تنظيما اجتماعيا للإقامة في الحضر؛ إذ تأتي الحضارة وفق هذا المفهوم استجابة لوازع الاجتماع الفطري العفوي تارة، وتلبية لوازع الشرع الذي جاء معززا هذا النزوع الفطري موجها إياه إلى أسمى غايات التجمع الوظيفي للاستخلاف تارة أخرى.

ولعل في نص الوحي على هذا اليوم باسمه تحديدا، ما يدل على أن يوم الجمعة كان معروفا قبل الإسلام، سواء بين العرب أو غيرهم؛ فقد كانت العرب في الجاهلية تسمي يوم الجمعة «العروبة»، وقد كان معظما عندهم، لما تعلق به من ذكريات ذات دلالات وحدوية، وبينات شاهدة على الوحدة والتآلف الهادف في ذاكرة العرب... فقد قيل: «إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع؛ فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار» (٧). ومن ثم، فإن الجمعة -كما يبدو من اسمها- هي: سلوك اجتماعي بإيعاز شرعي وجوبي متأكد إلا لعذر غالب...

وتأتي فريضة الجمعة من أجل توجيه نشاط ذلك اليوم بما ينزه هذا الاجتماع عن مجرد كونه لقاء مصالح ذاتية أو منافع دنيوية متبادلة... بل يغذيه بزاد القيم التي تؤمن استقامة النشاط العمراني باتجاه مقاصد الاستخلاف، وبشحنه بالوازع الروحي التعاوني الذي يضمن سلامة الاجتماع من طغيان المادة، وتنزيهه عن سيادة الأهواء... قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الجمعة:٩)، فيوم الجمعة: «وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع» (٨).

وصلاة الجمعة هي بمثابة تشريع إلزامي من شأنه تعزيز فطرة الاجتماع، فالجمعة لا تصلى إلا في مسجد جامع؛ وهذا مما يدل على أن الاجتماع فطرة متعززة بنص شرعي لتوكيدها وتنظيمها وتوجيهها؛ فالإنسان كائن اجتماعي بفطرته، ومن ثم، «فلابد له من الاجتماع، ليحفظ به وجوده وبقاء نوعه، إذ لا يمكنه انفراده بتحصيل أسباب معاشه وإعداد ما يدفع به عن نفسه دون معين من أبناء جنسه، فيضطر بهذا المعين إلى اجتماعه بغيره لتتم حكمة إيجاده وغاية ما خلق له» (٩)؛ ومن أجل ذلك، كانت ليوم الجمعة ترتيبات شعائرية ذات مغزى جمالي بعضه حسي وبعضه معنوي... جوهر حكمتها، أنها: تضفي على الاجتماع روح الإقبال وبهجة اللقاء وحميمية الإخاء... وتنفي عن المسلمين أسباب النفور والمجانبة، وتبعث على المواجهة الإيجابية حتى يتحقق مقصد الألفة في الجمعة، وكان مما يقال في هذا اليوم من عادات اجتماعية: «أدام الله جمعة بينكما، أي ألفة بينكما» (١٠)، فكأنما الجمعة تعبير عن الاجتماع المؤتلف الذي يتمناه الناس لبعضهم بعضا في الدعوات. ومن أبرز مؤشرات الوازع الاجتماعي لصلاة الجمعة، أن للعلماء أقوالا في العدد الذي يكون شرطا لصحتها بما يفيد الزيادة على الواحد، وهو عدد يقتضي حصول الجماعة المجتمعة للجمعة.

وفيما تتعدد فضائل الجماعة... تبقى لفريضة الجمعة أفضليتها الحضارية التي لا عذر فيها لمتخلف عنها؛ فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ فقد ناسا في بعض الصلوات فقال: «لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا لشهدها» (١١)، لأن في التخلف غيابا غير مبرر عن روح الوحدة وانفصالا لا يليق بفريضة الاصطفاف الإيماني والوجداني باتجاه أهداف الاستخلاف.

ولذلك، وحين نقرأ في سير الأئمة الزاهدين والعلماء الذين انقطعوا اشتغالا عن الناس بالعلم والعبادة، نجد نفرا غير قليل منهم: كان ملازما «بيته لا يخرج منه إلا للجمعة والجماعة، ولا يراه في غيرهما إلا من يقصده، طلبا لسلامة دينه وإراحة لقلبه وبدنه». وليس لنا من شاهد في هذا السياق إلا الدلالة على أن الجمعة والجماعة كفريضة شرعية وضرورة حضورية هي: شعيرة وحدوية، وخصوصيات اجتماعية لا تهاون فيها ولا تنازل عنها!.

ولقد كان ليوم الجمعة علاقات بمظاهر النشاط الاجتماعي الذي يعزز من فلسفته الوحدوية؛ فمما ورد بكتب اللغة عن ابن عباس أن النبي ﷺ إذا

أتى يوم الجمعة قال: «يا عائشة، اليوم يوم تبعل وقران» (١٢)، يعني بالقران: التزويج، وباعلت المرأة: اتخذت بعلا. وباعل القوم قوما آخرين، مباعلة وبعالا: تزوج بعضهم إلى بعض، وبعل الشيء: ربه ومالكه. وقد روي عن كعب: أنه رأى رجلا يظلم رجلا يوم جمعة، فقال: ويحك أتظلم رجلا يوم القيامة؟ (١٣).

ففكرة الجمعة إذن، إنما تهدف إلى وضع مقاربة يربط فيها بين منظومة القيم الإسلامية، وبين التركيز على فطرة الإنسان باعتباره مدني الطبع، وبين واقعية المنهج الإسلامي من حيث ملاءمته للفطرة الإنسانية والاحتياجات الغريزية.. كما يبرز جدارة هذا المنهج بالتوفيق بين مطالب الروح ومطالب البدن، بين طموحات الفرد وبين مصالح الجماعة المدنية.. وفي ضوء هذه المعطيات تتشكل الطبيعة الحضارية للأمة المسلمة ومجتمعاتها في كل مكان.

ويسن يوم الجمعة الاغتسال.. لأن الاغتسال من سنن الفطرة التي تراعى فيها نظافة البدن من الأوساخ والروائح غير المستحبة التي تبعث على نفور الناس من بعضهم بعضا، وتنال من حميمية اللقاء، ونحو ذلك مما فيه مراعاة الذوق العام، واحترام مشاعر الآخرين وتقديرهم.. وفيه أيضا تحقيق «مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع.. منها تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلا، والاحتياط للطهارتين والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة» (١٤).

وإذا كان الغسل والنظافة من سنن الجمعة في الفقه الاعتيادي، عن عكرمة: «من لم يغتسل يوم الجمعة فليستوغل أي فليغسل المغابن والأرفاغ ليزول صنانها ونتنها؛ لأن القوم كانوا يعملون الأعمال الشاقة فتعرق منهم مغابنهم ويستنجون بالأحجار، فأراد أن ينظفوا هذه المواضع بالغسل إن لم يكن الغسل» (١٥). وحفاظا على النسق الجمالي الإيماني، كان النبي ﷺ يتعاهد المسلمين بالتوجيه اللطيف من أجل توخي النظافة والزينة عموما، ولاسيما في ذلك اليوم، وتعميق هذه النزعة الجمالية واستدامتها.. إذ إن «من أظهر الأدلة على كمال المروءة: تكميل النظافة بالأرايح الأرجة، التي تتعدى إلى الغير فتلذه وترغبه في الاقتراب والمناسمة، وتخفي ما في الإنسان من العوار والوصمة» (١٦). ويأتي تطهير المظهر في سياق ما يسمى بـ«الفطرة العملية» التي «تشتمل على كل ما كان متعلقا بجمال المظهر عند الإنسان المسلم وحسن سمته» (١٧)، فيما يأتي تطهير الجوهر من كل ما يمكن أن يعوق بلوغ الناس من الجمعة مقاصدها وحكمة مشروعيتها.

سنن الجمعة في الفقه الحضاري

من سنن الجمعة في الفقه الحضاري: التطهر من «جنابة» الفرقة، والاغتسال من آثام التشرذم والانقسام.. والسعي إلى الصلاة بنية الألفة والوئام والانسجام.. والتعطر بروح الوحدة والالتئام والالتحام.. والتجمل بالجماعة وتحقيق مقصد «الجمعية».

ومن سنن الجمعة كذلك، انشراح الصدر برغبة لقاء المؤمنين ورؤيتهم، وإشراق الوجه بالتبسم للناس والتبسط معهم، والتهيؤ لملاطفتهم بما يعزز من فرص تلاقيهم واستدامة اجتماعهم وتواصلهم.. ومن ثم، فإن العبوس والإعراض والأنانية أو الانكماش والانقباض أو التقوقع والانزواء وكل ما كان من هذا الباب: مناف روح الجمعة ومجاف مقاصدها.

إن الجمعة في هذا السياق، هي مثابة المتجردين للمران الروحي على عوائد الوحدة وشعائر التوحد، بعيدا عن مزايدات الأبواق المصرفة، وشغب الأسواق.. مرانا دوريا كل أسبوع لتعويد النفوس المؤمنة على الترابط الأخوي الأليف المتعاضد؛ والألفة هنا، إنما تعكس «اتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش» (١٨) تدبيرا مشدودا بالضمير الجمعي وبروح الشرع ومقاصد العمران.

بين غريزة اللهو والتجارة.. وبين فطرة الاجتماع

والجمعة تأتي في هذا السياق: تلبية لنزوع فطري أصيل في النفس قد تشوش عليه حظوظ النفس، وتشغل عنه الملاهي الدنيوية.. وإذا كان في اللهو انصراف إلى رعاية حظوظ النفس وإشباع رغباتها وتطلعاتها، وانشغال عن مصالح الجماعة ورعاية حقوقها.. وانفضاض عن مقتضى الوحدة المندوبة وقت الجمعة، وإذا كان من شأن التجارة أن تتحول بالحشود المصطفة إلى طوابير منفضة عن زادها الأبقى، منشغلة عن وقودها الإيماني الذي يؤمن إنسانيتها من التبدد، ويصون رصيدها الروحي والأخلاقي من النفاد في خضم تدافعها بالمناكب إلى مغانم الدنيا:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (الجمعة:١١)، حيث «يبعث إبليس يوم الجمعة شياطينه إلى الناس فيأخذون عليهم بالربائث، أي يذكرونهم بالحوائج ليربثوهم بها عن الجمعة. والربائث: العوارض التي تربثهم عن الجمعة أي تحبسهم وتثبطهم» (١٩).

ولذلك، تأتي اللفتة القرآنية إلى قيمة الجمعة في الفكر الحضاري الإسلامي، وأهميتها في ترتيب هذا الاجتماع الإيماني وتنظيمه، واستثماره في مغالبة النفس الأمارة بسوء العزلة والتقوقع والانزواء

المصرف عن رعاية حقوق الناس بعضهم بعضا، والتحذير من إهمالهم والغفلة عن الاهتمام بتحسس حاجاتهم ومعالجة همومهم.. بل كانت الجمعة ترشيدا لتلك الرغبات المحمومة بمتاع الحياة.. الساعية إلى التفرد بمتاعها والاستئثار بتجارتها والانغماس في ملاهيها: ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (الجمعة:١١).

ولئن اقتضت طبيعة الالتزام الإيماني تعليق العمل بغريزتي اللهو والتجارة خلال ساعة «الجمعة»، واستدعاء الناس بغرض وضعهم تحت الرعاية الإيمانية المكثفة.. ذلك ليتزودوا من روح الصلاة بقيم الحياة التي تضمن وحدة الناس من التفرق والاختلاف، وتؤمن أهواءهم من الجموح إلى الأنانية وعبادة الذات.. وهكذا، فإن تشريع الجمعة، لم يسن للناس بغرض قطع الناس عن أمورهم الدنيوية وما تهوى أنفسهم: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة:١٠)، فحين يفرغ المصلون من جمعتهم منتشرين في مسالك الأرض إلى ممارسة عوائدهم المعيشية ومكاسبهم الدنيوية.. مارسوها بروح الجمعة.. ومبتغين من فضل الله تعالى بإيعاز من روح الجمعة التوافقية، فإن ذلك من شأنه أن يتوج هذا الانتشار ببركة السعي، وصلاح الوسائل وفلاح الغايات.. كما أن التوجيه القرآني اللطيف إلى تكثير الذكر، إنما هو نوع من استحضار أسباب المعية الإلهية الرعاية هذا الانتشار.. إنه الذكر يغذي عهد الاستخلاف بالحيوية والتجدد، ويصون أمانات التسخير من الإسراف والتبدد.

الهوامش

١- أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ): الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، جـ١، ص ٣٥٤.
٢- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، جـ ٨، ص ٥٣.
٣- محمد بن علي المعروف بابن عربي الحاتمي الطائي: الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت ١٣٢٩هـ، جـ١، ص ٦٤٣.
٤- رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث ٢٨١٠.
٥- كعب بن لؤي بن غالب قرشي عدناني.. خطيب، كان عظيم القدر عند العرب حتى أرخوا بموته إلى عام الفيل، توفي سنة ١٧٣ قبل الهجرة (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ت ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، بيروت، مايو ٢٠٠٢م، ط ١٥، جـ ٥، ص ٢٢٨، بتصرف).
٦- أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣هـ-٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليقات: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، جـ ٢، ص ٢٥٣.
٧- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، جـ ٨، ص ١١٩.
٨- كمال الدين عبدالرزاق القاشاني (ت نحو :٧٣٠هـ): اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبدالعال شاهين، دار المنار، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٨٧.
٩- محمد بن علي بن محمد الأصبحي بن الأزرق (ت ٨٩٦هـ): بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧م، جـ ٤٦/١ و٤٧، بتصرف يسير.
١٠- محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، جـ ١، ص ١٤٨.
١١- رواه مسلم، في باب الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة والجمعة، حديث: ٦٥١. أخالف إلى رجال: أذهب إليهم (محمد فؤاد عبدالباقي في تعليقه على الحديث في كتاب: مسلم بن الحجاج أبوالحسن القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، جـ ١، ص ٤٥١).
١٢- أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، جـ ٢، ص ١٧٣.
١٣- محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د. ت، جـ ٤، ص ٥٢.
١٤- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ ١٠، ص ٤٠٩.
١٥- الزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر، جـ ٤، ص ٧٣.
١٦- صلاح عبداللطيف الناهي: الخوالد من آراء أبي الريحان البيروني، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م ، ص ٩٢.
١٧- صالح أبوعراد الشهري: سنن الفطرة وآثارها التربوية، مقال بجريدة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد: ١٧٥٤، ص ١٥.
١٨- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ): كتاب التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣٤.
١٩- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، جـ ٨٢، ص ١٢٨. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر، جـ ٢، ص ٢٩.

إعداد : خالد خلاوي

حوار

د. وليد مهدي: الاستقرار النفسي من أهم أسباب نجاح المبتعث

د. وليد مهدي أستاذ مساعد بجامعة جورج ميسن الأميركية، وعالم يمني شاب، حفر باجتهاده مكانة مرموقة في المجتمع الأميركي. التقيناه في حوار موسع يتسم بثراء فكري:

■ بداية، نود أن نتعرف عليك وعلى تجربتك المتميزة في أميركا؟

– اسمي الكامل وليد فارع محمد مهدي الفقيه، وأنا من مواليد مدينة تعز «الحالمة» جنوب اليمن.

تجربتي في الولايات المتحدة مثيرة ومثرية فكريا. في البداية، حصلت على منحة دراسية من جامعة تعز وأخرى عبر برنامج «فولبرايت» الأميركي للتبادل الثقافي، نلت من خلالهما درجة الماجستير من جامعة نيومكسيكو في تخصص الدراسات الثقافية والأدب المقارن. ومن ثم، التحقت ببرنامج الدكتوراه في مجال الدراسات الأميركية في جامعة منسوتا. وفي الجامعة نفسها، حصلت على درجة عليا أخرى في تخصص دراسات التنمية والتغيير المجتمعي في مركز «التخصصات المتعددة لدراسة مفهوم التغيير في العالم». انتقلت بعد ذلك إلى جامعة جورج ميسن؛ حيث أدرس حاليا علاقة الثقافات العربية والإسلامية والأميركية بعضها ببعض.

■ كونك عربيا ومسلما، هل كان الطريق أمامك ميسرا للتحصيل العلمي والمنافسة وتبوؤ مكانة رفيعة في المجتمع الأميركي أم تعرضت إلى عراقيل؟

– يعد الاستقرار النفسي من أهم أسباب النجاح، ويتطلب ذلك إيجاد حالة من التوازن الصحي في تعامل الطلاب العرب والمسلمين مع متطلبات الحياة في الولايات المتحدة، خصوصا مع تداعيات التحولات السياسية في منطقة الشرق الأوسط وارتباطها بطبيعة الخطاب الإعلامي والسياسي الأميركي. مما ساعدني على إيجاد التوازن ووضع الأمور في سياقها الطبيعي، وإيماني بأن المجتمع البشري بكل تنوعه مبني على قوائم مشتركة تمكن الإنسان من إثراء عالمه الخاص عبر التلاقح الثقافي. سهل لي ذلك التواصل مع أفراد المجتمع العربي والإسلامي وكذلك الأميركي باختلاف دياناتهم وعرقياتهم ورؤاهم السياسية، بحيث تضيف كل تجربة تواصلا إلى تكوين شخصيتي بطريقة مكنتني من الابتعاد عن خطر الوقوع في فخ الصدمة الثقافية.



■ ما أبرز الأطروحات التي تتبناها في مجالك وتخصصك؟ وما مدى ما تلمسه من تجاوب؟

– أتبنى ثلاث أطروحات في إطار اهتمامي البحثي والمعرفي. تتناول الأطروحة الأولى الموروث الثقافي الأميركي وما يحمله من تبعات ساهمت في تشويه صورة العرب والمسلمين والتشكيك في مواطنتهم من خلال التعامل معهم على أنهم مجرد ملف متعلق بالسياسة الخارجية والأمن القومي لا أكثر. يبرز نقدي في طياته ماهية الخطاب الذي يستخدمه صناع الثقافة الأميركية في محاولتي لتوصيف ظاهرتي العنصرية والإسلاموفوبيا. بينما تسبر الأطروحة الثانية أغوار الثقافة العربية وتفاعلها مع الصراع الدائر في المنطقة بين مختلف التيارات القومية والإسلامية والشعوبية، والتدخلات الإقليمية والدولية.

ومن أهم ما أقدمه في هذا المجال قراءتي النقدية للواقع العربي، الذي غابت فيه القدرة على صياغة مصطلحات لمفاهيم تعبر عن خصوصية المنطقة وتنوعها الديني والإثني والقومي. من دون أن تتم مراعاة ذلك التنوع حتى أثناء استقدام مصطلحات غربية مثل العلمانية أو الليبرالية أو الأصولية أو الديموقراطية أو الإرهاب. أما الأطروحة الثالثة فتطالب أبناء المجتمع العربي والمسلم في أميركا بلعب دور أكبر في التعاطي مع قضاياهم المتعلقة بالصراع حول المواطنة، والانخراط في قضايا الشرق الأوسط سياسيا وفكريا وثقافيا.

■ ماذا تشكل القدوة في حياتك؟

– بالنسبة إلي، أعتبر أن القدوة بشقها الإيجابي بمنزلة المنارة التي بضوئها تستنير السفن. طبيعة رحلتنا في هذه الحياة تتطلب أكثر من منارة في مختلف الأمكنة والأزمنة. لقد ساعدني كثيرا اعتناقي لهذا المفهوم؛ لأنه مكنني من التمعن في اختيار قدوتي وتوخي الحذر في الاتباع الأعمى لمفردات تلك القدوة. وبهذا فإني أبحث دائما عن ضالتي في كل من أتعرف إليه، كوني مؤمنا بالحكمة القائلة «ابحث عن الخير في كل من تجده». وأنصح باعتناق هذا المنحى؛ لأن فيه من الإيجابية ما يمكن الإنسان من إدراك أهمية رحلته في هذه الحياة وضرورة الاستفادة من الحكمة الإلهية للتنوع البشري.

طور نفسك

كيف تحقق نجاحك المهني عبر شبكات التواصل؟

بينهما وأيهما تقدمه على الآخر؟ غالبا ما نلهث وراء الأمور العاجلة كالمواعيد النهائية في العمل، واحتياجات الآخرين، وحتى التزاماتنا الذاتية. وعادة ما تشغلنا هذه الأشياء عن الأمور التي تعد أكثر أهمية كالمواعيد الاعتيادية مع شريك حياتنا، أو الوقت الذي نقضيه مع أطفالنا أو نخصصه لبعض العزلة الشخصية، أو حتى وقت أداء الرياضة أو التأمل على سبيل المثال لا الحصر.

وفي كتابه «طغيان العاجل» وصف « تشارلز هامل» حالة الشد والجذب التي يقع فيها المرء بين ما هو عاجل وما هو مهم، فيتنافس الاثنان في معركة ضارية لجذب انتباهنا.

كما لاحظ الكاتب أن الأشياء المهمة مهذبة فهي تجلس بانتظار أن نستجيب لها بصبر بالغ دون أن تتذمر لجذب انتباهنا. لكن الأشياء العاجلة بالمقابل تكون متذمرة تصرخ وبلا صبر لتستولي على وقتنا وتستأثر باهتمامنا.

وعلى المدى الطويل تتراكم فاتورة إهمال الأمور الهامة وعندها



يتوجب علينا دفع الثمن الباهظ. تماما كالبركان الذي ينفجر فجأة، إذ سيأتي الوقت الذي تنفجر فيه المناطق المهملة وتفسد كل الأمور، ولعل من المفارقات حينها أننا سنتساءل كيف فاتتنا مؤشرات التحذير. وقد يأتي الثمن على شكل فتور في العلاقة بين الأزواج لانغماس أحد الطرفين بمشاغل العمل، أو بعد عن الأولاد ليتفاجأ المرء بعد حين أنهم كبروا ولم يعودوا أطفالا. لذا علينا أن نولي أنفسنا قدرا من الاهتمام ونضع الأمور العائلية في مكان مرتفع ضمن سلم أولوياتنا.

البعض يبرر عدم قدرته على إيجاد التوازن بين العاجل والمهم بالقول «حسنا، لم يكن لدي الوقت الكافي لفعل كل شيء». ولكن على الأغلب فإن ضياع الوقت هذا هو مجرد مشكلة في الترتيب المناسب للأولويات. وكما قال الفيلسوف الصيني لاو تسو: «الوقت هو شيء نحن من يصنعه. فعندما نقول «ليس لدينا الوقت لذلك» فكأننا نعني «لا نريد فعل ذلك».

ناجحون

كيف تكسبين الصديقات؟

هل أنت ناجحة في علاقاتك الاجتماعية أم تجدين صعوبة في التواصل مع الآخرين؟ هل تجيدين الحديث اللبق وكسب الصديقات أم تجدين صعوبة في بدء الحديث والتعارف؟ هل تتمتعين بمهارة إلقاء الحديث وإقناع الطرف الآخر أم تخجلين من المواجهة وتفضلين الانزواء والاستسلام؟

بهذه التساؤلات، بدأ المؤلف د. أيمن أبوالروس كتابه «كيف تكسبين الصديقات؟»، الصادر عن مكتبة ابن سيناء في القاهرة في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط، مؤكدا أن النجاح في الحياة الاجتماعية لا يقل أهمية عن النجاح الدراسي أو المهني، مشيرا إلى ضرورة أن يبادر الإنسان إلى تكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع المحيطين به.

ويؤكد المؤلف أن الانطباع الأول هو أول ما يكونه الطرف الآخر عنك، فإن كان إيجابيا أصبح من الممكن أن تأخذ العلاقة بينكما مجراها وتمضي في مسارها الصحيح. أما إن كان سلبيا فعوامل فشل هذه العلاقة ستظل كبيرة.

والآن، كيف تتركين انطباعا جيدا عن نفسك عند الآخرين؟ هناك بعض العوامل التي تساعد على ذلك، منها بدء الحديث بإلقاء التحية، وهذه يجب أن تتم بأسلوب فيه تواصل إيجابي، فلو تأملنا «التحية المثالية» لوجدناها تتضمن ٥ عناصر أساسية، هي: اتخاذ وضعية مناسبة للجسم أثناء إلقاء السلام، وكذا توجيه العينين إلى الطرف الآخر لتحقيق التواصل، والعنصر الثالث هو التألق والإشراق؛ بمعنى إظهار الفرحة والتبسم، ومن ثم إلقاء السلام بصوت واضح ممتزج بالدفء، وأخيرا الانحناء بالجسم قليلا تجاه الطرف الآخر كنوع من الود والتقدير.



وينصح المؤلف بالبحث عن اهتمام الأخريات والتحدث فيها، وكل إنسان منا تدور أبرز اهتماماته حول نفسه، فحدثي الآخرين بما يهتمون به لتجذبيهن إلى الحديث والتواصل معك، حتى تكون المحادثة بين الطرفين لائقة وناجحة ومفيدة لابد من أن يعطي كل منهما الآخر فرصة الحديث بدرجة كافية.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

جدة؛ هل تصلح ميقاتا مكانيا للحج والعمرة للقادمين جوا وبحرا؟

الخلاصة الحكمية

١- لا يجوز لمن مر بميقات من المواقيت المكانية، أو حاذى واحدا منها -جوا أو بحرا- أن يتجاوزه من غير إحرام؛ كما تشهد لذلك الأدلة.

٢- إن اشتبه على القادمينَ للعمرة أو الحج ميقاتُهم المكاني، ولم يجدواَ معهم من يرشدهم إلى المحاذاة وجب عليهم أن يحتاطوا، وأن يحرموا قبل ذلك بوقت، يعتقدون، أو يغلب على ظنهم أنهم أحرموا قبل المحاذاة.

٣- من خرج من داره قاصدا الاعتمار، ولم يعتمر إلا في جدة؛ فقد جاوز الميقات بلا إحرام، فإن لم يرجع إلى الميقات؛ فيكون عليه فدية شاة تذبح في الحرم، وليس له أن يأكل منها.

• **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

- أولا: في الدورة الرابعة عشرة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في الطائف من ١٣٩٩/١٠/١٠هـ، حتى ١٣٩٩/١٠/٢١هـ، نظر المجلس في الرسالة التي بعثها الشيخ/ عبدالله ابن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر إلى جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز المتضمنة جواز جعل جدة ميقاتا لركاب الطائرات الجوية والسفن البحرية، والتي أحيلت إلى سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد من معالي رئيس المكتب الخاص لجلالة الملك خالد برقم ١/٥٢١٤ في ١٣٩٩/٥/١٢هـ وقد استعرض المجلس تلك الفتوى فوجد أنها تستند على:

١- أن الفتوى تتغير بتغير الأحوال والأزمان.

٢- أن القضية موضع اجتهاد وتتطلب من العلماء تحقيق النظر في تعيين الميقات لهؤلاء القادمين على متون الطائرات.

٣- إن مرور الطائرات فوق سماء الميقات وهي محلقة في السماء لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم لغة ولا عرفا.

٤- ما يزعمه من أن فتواه تشبه ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وقت لأهل العراق ذات عرق.

٥- قوله: «لو كان رسول الله ﷺ حيا ويرى كثرة النازلين من أجواء السماء إلى ساحة جدة يؤمون هذا البيت للحج والعمرة لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها لكونها من مقتضى أصوله ونصوصه».

وإن المجلس بعد دراسة هذه الأمور الخمسة وغيرها مما ورد في الرسالة يرى أن المسوغات التي استند إليها مردودة بالنصوص الشرعية وإجماع سلف الأمة، فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة».

ولا يصح الاستناد في هذه المسألة إلى تغير الفتوى بتغير الأحوال والأزمان؛ لأنها من العبادات، وهي مبنية على التوقيف، كما أنها ليست من مواضع الاجتهاد لتحديدها بالنص من رسول الله ﷺ.

ومن المعلوم عند أهل العلم أن الهواء تابع للقرار، كما هو مبسوط في موضعه وإنكار ذلك منه غير مسلم.

أما احتجاجه بجعل عمر رضي الله عنه... فعمر لم يجعل لأهل العراق ميقاتا في الجهة الغربية أو غيرها من مكة يحرمون منه بدلا من ميقاتهم الذي يمرون به في الجهة الشرقية منها، بل قال عمر رضي الله عنه: «انظروا حذوها من طريقكم».

وأما قوله: «ولو كان رسول الله ﷺ حيا»؛ إلى قوله: «لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها لكونها من مقتضى أصوله ونصوصه»؛ فهو قول باطل؛ لأن الله أكمل الدين في حياة رسوله ﷺ، وانتهى التشريع بوفاته، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ

﴿لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة:٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ (مريم:٦٤)، وأنه ليترتب على هذا القول أمور كثيرة خطيرة.

وبناء على ما تقدم، وبعد الرجوع إلى الأدلة، وما ذكره أهل العلم في المواقيت المكانية، ومناقشة الموضوع من جميع جوانبه فإن المجلس يقرر بالإجماع ما يلي:

١- إن الفتوى الصادرة من فضيلة الشيخ/ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر الخاصة بجواز جعل جدة ميقاتا لركاب الطائرات الجوية والسفن البحرية فتوى باطلة لعدم استنادها إلى نص من كتاب الله، أو سنة رسوله، أو إجماع سلف الأمة. ولم يسبقه إليها أحد من علماء المسلمين الذين يعتد بأقوالهم.

٢- لا يجوز لمن مر بميقات من المواقيت المكانية أو حاذى واحدا منها -جوا أو بحرا- أن يتجاوزه من غير إحرام كما تشهد لذلك الأدلة، وكما قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى.

انتهى قرار الهيئة.

- ثانيا: جزء من قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في جلسته الثالثة صباح يوم الخميس الموافق ١٤٠٢/٤/١٠هـ. والمصادف ١٩٨٢/٢/٤م موضوع «حكم الإحرام من جدة، وما يتعرض له الكثير من الوافدين إلى مكة المكرمة للحج والعمرة عن طريق الجو والبحر»، لجهلهم عن محاذاة المواقيت التي وقتها النبي ﷺ، وأوجب الإحرام منها على أهلها، ومن مر عليها من غيرهم، ممن يريد الحج أو العمرة. وبعد التدارس واستعراض النصوص الشرعية الواردة في ذلك قرر المجلس ما يلي:

أولا: أن المواقيت التي وقتها النبي ﷺ وأوجب الإحرام منها على أهلها، وعلى من مر عليها من غيرهم، ممن يريد الحج والعمرة هي: ذو الحليفة لأهل المدينة ومن مر عليها من غيرهم، وتسمى حاليا «أبيار علي». والجحفة وهي لأهل الشام ومصر والمغرب، ومن مر عليها من غيرهم، وتسمى حاليا «رابغ». وقرن المنازل، وهي لأهل نجد ومن مر عليها من غيرهم، وتسمى حاليا «وادي محرم» وتسمى أيضا «السيل». وذات عرق، لأهل العراق، وخراسان، ومن مر عليها من غيرهم، وتسمى «الضريبة». ويلملم، لأهل اليمن ومن مر عليها من غيرهم.

وقرر: أن الواجب عليهم أن يحرموا إذا حاذوا أقرب ميقات إليهم من هذه المواقيت الخمسة جوا أو بحرا، فإن اشتبه عليهم ذلك ولم يجدوا معهم من يرشدهم إلى المحاذاة، وجب عليهم أن يحتاطوا وأن يحرموا قبل ذلك بوقت يعتقدون أو يغلب على ظنهم أنهم أحرموا قبل المحاذاة؛ لأن الإحرام قبل الميقات جائز مع الكراهة ومنعقد، ومع التحري والاحتياط، خوفا من تجاوز الميقات بغير إحرام تزول الكراهة؛ لأنه لا كراهة في أداء الواجب.

وقد نص أهل العلم في جميع المذاهب الأربعة على ما ذكرنا.

واحتجوا على ذلك بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ في توقيت المواقيت للحجاج والعمار.

انتهى القرار.

- ومثله قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة رقم: ١٩ (٣/٧) بشأن: «الإحرام للقادم للحج والعمرة بالطائرة والباخرة».

- ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١/ص٣٠٩/ف٢٠٢)؛ حول «تجاوز الميقات بدون إحرام»؛ ونصه: هل يجوز الإحرام من مدينة جدة للمعتمر القادم من الكويت بالطائرة، وما يلزمه إن أحرم منها؟

فأجابت اللجنة:

أنه إذا خرج من الكويت قاصدا جدة، ثم بدا له أن يعتمر فلا شيء عليه، أما إذا خرج من الكويت قاصدا الاعتمار فقد جاوز الميقات بلا إحرام، فإن لم يرجع إلى الميقات فيكون عليه فدية شاة تذبح في الحرم، وليس له أن يأكل منها. والله أعلم.

- رابعا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية كذلك (ج١٦/ص١٢١/ف٤٩٣٩)؛ حول «مَن قدم جدة لغير العمرة، وسافر منها إلى غيرها»؛ ونصه:

رجل يريد السفر لأداء مناسك العمرة بالطائرة عن طريق مطار جدة، لكنه يريد الذهاب أولا إلى المدينة المنورة بعد نزوله في مطار جدة ليمكث في المدينة أسبوعا؛ فهل يلزمه الإحرام من الميقات المحاذي لمنطقة جدة؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

مادام دخول المستفتي إلى جدة بقصد السفر منها إلى المدينة المنورة وليس إلى مكة المكرمة للعمرة، فلا يجب عليه الإحرام عند دخول جدة، وله دخولها من غير إحرام بقصد السفر منها إلى المدينة المنورة، وعند توجهه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة للعمرة يحرم من ميقات أهل المدينة، وهو ذو الحليفة أو آبار علي كما يسمونه، وهو على حدود المدينة على الطريق منها إلى مكة المكرمة. والله أعلم.

سحنون

هو عبدالسلام بن سعيد التنوخي القيرواني (ت ٢٤٠هـ)، أصله من حمص، كان ثقة حافظا للعلم، رفيع القدر عفيفا، أبي النفس، رحل في طلب العلم وهو ابن ثمانية عشر عاما، لم يلق مالكا، وإنما أخذ عن أئمة أصحابه، كابن القاسم، وأشهب، وكان مجتهدا، تولى قضاء إفريقية، وهو الذي جمع المدونة وصنفها ورتبها على أبواب الفقه.

(من مصادر التراث للحموي، ص ٢٠٦).

القلب السليم

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «فمن استقام قلبه ولسانه؛ استقام شأنه كله، فالقلب السليم: هو الذي ليس له فيه شيء من محبة ما يكرهه الله».

(مجموع الرسائل، ص ٣٥٤).

الإمام البخاري

قال الإمام البخاري رحمه الله: رأيت النبي ﷺ في المنام، وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال: أنت تذب عنه الكذب. فهو الذي حملني على إخراج الصحيح.

(تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٧٤).

أبو العلاء المِنْقَري

حكى أبوجعفر النحاس: أنّ المأمون قال لأبي العلاء المنقري: بلغني أنك أميٌّ، وأنك لا تقيم الشعر، وأنك تلحن في كلامك!

فقال المنقري: أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه؛ وأمّا الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول الله ﷺ أميا، وكان لا ينشد الشعر.

فقال له المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل يا جاهلُ! ذلك في النبي ﷺ فضيلة، وفيك وفي أمثالك نقيصة.

(صبح الأعشى، ١/ ٤٣).

حجة بعد حجة

قال العلامة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: «لأن أشبع كبدا جائعة أحبّ إلي من حجة بعد حجة».

(روضة العقلاء، ص ٢٧٥).

وقف الحليب

في شوارع دمشق كان الحليب يُصبُّ من ميزاب على جدران قلعة دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وكان هذا من الوقف.

(توجيه مصارف الوقف للسدحان، ص ١٧).

الصبر المحمود

قال العلامة ميمون بن مهران رحمه الله: والصبر المحمود أنواع: منه الصبر على طاعة الله عزوجل، ومنه صبر عن معاصي الله عزوجل، ومنه صبر على أقدار الله عزوجل.

والصبر على الطاعات وعن المحرمات أفضل من الصبر على الأقدار المؤلمة.

(جامع العلوم والحكم، ص ٢٩٥).

الببليوجرافيا

هو علم المكتبات، ظهر متأخرا على استحياء، ومن أوائل ما ظهر فيه من تأليف على الترتيب: كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي (ت ٣٧٠هـ) وهو كتاب نقديّ أدبي لا يسغني عن قراءته طالبٌ أو أستاذ.

ثم كتاب «الفهرست» لابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، وهو أنفع وأجمع ما كُتِبَ في موضوعه.

ثم ظهر بعد قرون كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كوبري زاده (ت ٩٦٨هـ)، ثم بُذلت العديد من المحاولات الناجحة في هذا المجال.

(مقدمة كتاب عبقرية التأليف، ص ١٠).

لا حول ولا قوة إلا بالله

قال العلامة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته».

(شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/٢٦).

لا تنصح على شرط القبول

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: «لا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه الوجوه؛ فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة لا مؤدي حق ديانة وأخوّة، وليس هذا حكم العقل، ولا حكم الصداقة، ولكن حكم الأمير مع رعيته، والسيد مع عبيده».

(رسائل ابن حزم، رقم ٣٩٤٠).

الصاحب

قال رجل من بني تميم لصاحب له: «اصحب من يتناسى معروفه عندك، ويتذكر إحسانك إليه، وحقوقك عليه».

(البيان والتبيين، ٢/٥٥).

لا يلوموا إلا أنفسهم

قال العلامة ابن عبدالبر رحمه الله: «ستة لا يلوموا إلا أنفسهم: الذاهب إلى مائدة لم يُدع إليها، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلسا ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على مَنْ لا يسمع منه ولا يصغي إليه».

(الآداب الشرعية لابن مفلح، ص ٣٤٧).

طلب العلم

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «من رق وجهه رق علمه». ومعناه: من استحيا في طلب العلم كان علمه رقيقا أي قليلا.

وقال مجاهد رحمه الله: «لا يتعلم العلم مستح ولا متكبر».

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

(بستان العارفين للنووي، ص ٤٠).

إعداد: علاء عبدالفتاح

مواهب الصحابة

أبرزت السيرة النبوية الشريفة نماذج عديدة للمواهب؛ فهذا يتقن لغة عدوه في أيام قليلة، وهذا يحفظ الأنساب والأثر، وهذا يحفظ العلم ويرويه، وهذا يحمل بابا من حديد ينوء بحمله عشرة رجال.. وغير ذلك كثير. والأعظم من استثمار المواهب كشفها ورعايتها.

فلقد كانت للصحابة -رضوان الله عليهم- مواهب عديدة، اكتشفها رسول الله ورعاها؛ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح» (رواه الترمذي).

لقد كان النبي خبيرا بخصائص النفوس، وسبر أغوار الطبائع والأفكار، عالما بقدرات أصحابه ومواهبهم، منزلا كلا في منزله، لا يكلف أحدا أكبر من قدراته واستطاعته، فهذا أبوذر يأتي النبي ويطلب الإمارة، فيصارحه النبي قائلا: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» (صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير).

● محمد عباس محمد

الخطة الاستراتيجية للهجرة

وضع الرسول ﷺ خطة استراتيجية لهجرته إلى المدينة المنورة، تظهر لنا مدى ما يتمتع به الرسول القائد من حس أمني فائق، فقد راعى في خطته أن تتوافر فيها الأبعاد الأمنية اللازمة لنجاحها.

وقد حرص الرسول ﷺ أن يتوافر في خطته للهجرة كثير من الأبعاد الأمنية؛ لضمان نجاحها، والانتقال بالدعوة من مرحلة إلى مرحلة أخرى جديدة. ومن هذه الأبعاد الأمنية: البعد الجغرافي، والبعد الزمني، والبعد البشري، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي. فقد وقع الاختيار على «يثرب» (المدينة المنورة فيما بعد) كبيئة إيمانية خصبة، تحتضن الدعوة الإسلامية، وتهيئ لها مقومات استمرارها، ثم انتشارها في أنحاء شبه الجزيرة العربية.

فالمدينة تمتاز بتحصن طبيعي حربي، حيث تحيط بها الجبال والحرار من الناحيتين الغربية والشرقية، والناحية الشمالية هي الوحيدة المكشوفة، أما الجهات الأخرى، فتحيط بها أشجار النخيل والزروع، تتخللها طرق ضيقة لا يتمكن العدو منها، مما يصعب اقتحامها كما حدث في غزوة الأحزاب، فلم يفلح المشركون آنذاك في اقتحامها بعد حفر الخندق حولها.

وتتمتع المدينة المنورة بمركز اقتصادي مهم؛ فقد كانت مركزا تجاريا مهما بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، وبها ثروة زراعية هائلة، إضافة إلى النشاطين التجاري والصناعي الحيويين بها،

ويتمثل البعد الجغرافي في هذه الخطة كذلك في اختيار طريق الهجرة؛ فقد رأى رسول الله ﷺ أن يخالف ما عليه عادة الناس في السفر من مكة إلى المدينة المنورة، فرأى أن يتجه أولا صوب «غار ثور»، فيمكث فيه مع أبي بكر ثلاثة أيام حتى تهدأ العيون، وينقطع أمل قريش في العثور عليهما وتتبعهما، علما بأن «غار ثور» هذا يقع جنوب مكة المكرمة، على حين أن الطريق المؤدي إلى المدينة يقع شمال مكة، حيث تتجه أنظار قريش، وتجد في طلب محمد وصاحبه، وفي هذا الاختيار نوع من الاحتياط الأمني يدل على دقة التخطيط والبراعة في التمويه.

وبعد خروجهما من الغار كانت الخطة أن يتوجها جنوبا لا شمالا، ثم غربا نحو ساحل البحر الأحمر، إمعانا في التمويه، حتى إذا ما وصلا إلى طريق غير مألوف، فإنهما يتوجهان شمالا صوب المدينة المنورة في طريق لم يكن يسلكه أحد إلا نادرا.

● ماهر عباس جلال

المعاق في الإسلام.. تشريعا وحقوقا

الإعاقة هي الحبس عن أداء شيء ما. والمعاق هو من به عاهة تمنعه وتحبسه عن أداء شيء ما، أو بتعبير أدق، هو كل إنسان يمنع عن أداء شيء يستطيع القيام به الإنسان الطبيعي، يشمل هذا كل قصور يصيب الإنسان في بدنه أو عقله، مثل: الأخرس والمشلول والأعمى والمجنون.. وغير ذلك. وقد أطلق على المعاقين مصطلح «ذوي الاحتياجات الخاصة»، وقد راعى هذا المصطلح نفسية المعاق، ففيه تخفيف على مشاعره، وهذا يتوافق من الناحية الشرعية مع ما أمرنا الإسلام به من حسن معاملة المعاق، حتى ولو باللفظ، فالمسلم مأجور بلفظه الحسن، ومأجور بإدخال السرور على أخيه المسلم، خصوصا إذا كان من ذوي الاحتياجات الخاصة، والمتأمل لسيرة النبي ﷺ يجد أنه كان يغير أسماء بعض أصحابه التي فيها غلظة ونفور، ليس من باب التشاؤم، ولكن من باب إلف النفس لكل جميل، وابتعادها عن كل قبيح، حتى ولو كان اسما من الأسماء، فقد غير جعيل إلى عمرو، وصرم إلى سعيد، وحرب إلى سلم، وغير اسم أرض من عفرة إلى خضرة، و شعب الضلالة إلى شعب الهدى.

ولاشك أن من به إصابة أو عاهة ممتحن في إيمانه، فينبغي أن يعلم كل من به إعاقة أن هذا من التسليم بالقضاء والقدر الذي أمرنا أن نؤمن به، هذا الإيمان يجعل النفس في اطمئنان ورضا، إذ لا ينبغي السخط على قضاء الله تعالى، قال الله تعالى:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (التوبة:٥١).

● كمال عبد المنعم محمد خليل



استغاثة

من مسلمي «الروهينغا» في غرب «ميانمار»

أغيثونا.. أغيثونا … فنار الحقد تغزونا
ونحرق في مزارعنا … ونقتل في أراضينا
ونسحق في مساجدنا … وندفن في مبانينا
وأيدي الجهل تطردنا … وروح الشر تبكينا
أغيثونا على عجل … فلا وقت يراعينا
ولا خل يساعدنا … ولا نسب يزكينا
أغيثونا.. أغيثونا … فنار الحقد تغزونا
ولا ندري لها سببا … يبرر ما يلاقينا
ألسنا مثلهم بشر … لنا حق يقوينا؟
ألسنا بينهم نحيا … كما كنا بماضينا؟
لنا دين.. لهم دين … ورب شاهد فينا
فماذا حل في وطن … على الأيام يؤوينا؟
دعوناهم إلى عهد … به نحيا.. ويحمينا
وراودنا ضمائرهم … فلا أصداء تأتينا
وناشدنا محاكمهم … لتقضي في مشاكينا
شكوناهم إلى أمم … فجاء الرد يخزينا
فلا عهد يساندنا … ولا وعد يعزينا
فأين العالم الراقي … وما هذا الذي فينا؟

● رفعت المرصفي

عمرو بن معد يكرب وسيفه

عمرو بن معد يكرب بن عبدالله الزبيدي، كنيته أبو ثور، فارس وشاعر يمني، اشتهر بالشجاعة والفروسية. قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهما أمر الرسول ﷺ: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا رجل من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان كما يقول فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقينا تبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه. فأبى قيس بن مكشوح، وسفه رأيه. لكن عمرا وفد على الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة في أناس من بني زبيد.

قال عمرو: قدمت المدينة فرأيت الرسول ﷺ قافلا من تبوك، فأردت أن أدنو منه، فمنعني من حوله، فقال: «دعوه». فدنوت منه، فقلت: أنعم صباحا أبيت اللعن! فقال الرسول ﷺ:«يا عمرو، أسلم تسلم ويؤمنك الله الفزع الأكبر». فأسلم وعاش إلى أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

● كافية محل الكبش

النقود الإسلامية في تونس (الدينار)

أول من ضرب النقود بإفريقية في العهد الإسلامي هو موسى بن نصير، فقد أقام بالقرب من مقر ولايته بالقيروان دارا لضرب السكة، ولقد قلد في ذلك (الدينار البيزنطي) الذي كان يضرب في قرطاجنة، فكان شكله وحجمه ووزنه لا يختلف عنه، فقد حافظ على الكتابة باللغة والأحرف اللاتينية، على أنه ليس فيها في الواقع إلا تسبيح واحد بحمد الله، ثم بعد ذلك أدخل الكتابة باللغة والأحرف العربية وسط الكتابة اللاتينية، جاء فيها «لا إله إلا الله جل جلاله.. إلخ»، حتى إذا كانت نهاية القرن الهجري الأول وتعلم البرابرة لغة العرب الفاتحين، انقرضت الكتابات اللاتينية تماما وحلت محلها كتابة عربية صرفة، وبقي الأمر كذلك حتى عهد الحماية الفرنسية.

وكان الدينار العربي اللاتيني الأول الذي ضربه موسى بن نصير، يحمل باللغة والأحرف اللاتينية «بسم الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وباللغة العربية «لا إله إلا الله»، وكان مرسوما عليه في قفاه باللاتينية «ضرب هذا الدينار بإفريقية في عام ٩٥هـ» (أي في عام ٧١٣ ميلادي)، وباللغة العربية في وسطه «محمد رسول الله».

● محمد الصادق عبداللطيف

أثر القرآن في علاج أمراض النفوس

أمـراض النفس كثيرة لا يستطيع عـاد عدهـا أو حصرها، وقد ذكر ابن القيم (ت٧٥١هـ) بعض أخطاء النفس فـقـال: «وفـي النفس: كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عـاد، وطغيان ثمـود، وجـرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة هامان (أي لؤم)، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل. وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشـره الكلب، ورعـونة الـطـاووس، ودنـاءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الصبع». وشرح هذه العيوب يحتاج إلى وقت طويل ومداد كثير وجهد كبير.

● عبدالعزيز عماري

قاعدة «الرضا بأدنى الضررين»

تتعدد صيغ هـذه القاعدة، ومـن صيغها: «الرضا بالشيء يكون رضا بما هو مثله أو دونه عادة لا بما هو أضر منه».

«لا يـسـتـفـيـد أعـظـم الـضـرريـن عـنـد التصريح بأدناهما».

توضح هذه القاعدة أن رضا المكلف بأخف الأضرار ليس معناه الرضا بالأضرار الأخرى الأعلى منها، ولابد من التصريح بالرضا؛ لأن «إذن الشرع أقوى من إذن المالك، فما أذن فيه الشرع أحل مما أذن فيه المالك».

وهـذه القاعدة مهمة؛ لأنها تقيد تصرفات الناس مع الآخرين بعدم الإضرار بهم، وإن رضي الآخرون بنوع من الضرر فليس معناه رضاهم بما هو أعلى منه إلا بتصريح صريح منهم بالرضا، ولا تقبل الكناية في هذه المواقف إلا بنية.

● د. ياسر عبدالرحمن طرشاني

الحسنى وزيادة

قال رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ (الأنبياء:١٠١)، وقال أصدق القائلين ﷺ: «يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (متفق عليه)، هذه الآية وهذا الحديث الشريف يدلان على أن الله أعد للمحسنين والمحسنات الفوز بالجنة والبعد عن النار قبل أن يخلقوا، أما المقام الثاني فهو الزيادة.

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ (يونس:٢٦)، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ (ق:٣٥)، وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ (القيامة:٢٢ و٢٣).

الآيات الكريمة تدل على مقام أعلى وأرقى وقريب من الله: المقربون الذين يقر الله أعينهم ويملأ فؤادهم بالنظر إلى وجهه الكريم، وهذا مناهم. والله أعلى وأعلم.

● محمد مصطفى الفلو

الترويح في الإسلام

الإسلام نظام متكامل -عقيدة وشريعة- تنبثق عنه جميع تصورات ومبادئ وقيم وسلوكيات المسلم. وقد جاءت التشريعات الإسلامية بشرائع تحقق التوازن بين متطلبات الكائن البشري، الروحية والعقلية والبدنية.

ومن أجل تحقيق هذه المتطلبات البشرية أرسل الله -سبحانه وتعالى- رسولا بشرا، ولم يكن ملكا؛ لأن الإسلام دين واقعي، لا يحلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع. لذلك لم يفرض الإسلام على الناس أن يكون كل كلامهم ذكرا، وكل سماعهم قرآنا، وكل فراغهم في المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها. وقد خلقهم -سبحانه- يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، ولقد كانت حياة النبي ﷺ مثالا رائعا للحياة الإنسانية المتكاملة، فهو في خلوته يصلي ويطيل الخشوع والبكاء، ويقوم حتى تتورم قدماه، وهو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشر؛ يمشي في الأسواق، ويأكل الطعام، ويتزوج النساء، ويحب الطيبات، ويبش ويبتسم ويداعب ويمزح ولا يقول إلا حقا. وإننا عند استعراض سيرته وحياته ﷺ، نجدها قد تخللها نوع من الدعابة والمزاح والترويح عن النفس؛ لأن الترويح عن النفس من الأمور المشروعة.

هناك نصوص كثيرة تثبت مشروعية الترويح، وتحريم الرهبانية المبتدعة التي تحرم العباد من الطيبات التي أحلها الله، فالإسلام يقيم توازنا بين المتطلبات الروحية والبدنية منها:

- قول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).
- وقوله تعالى: ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ (الأعراف:٣٢).
- أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

من خلال النصوص السابقة تتبين لنا مشروعية الترويح عن النفس، وأن الإسلام أعطى الإنسان غذاءه الروحي والبدني، فلا رهبانية في الإسلام تلزم العبد الانقطاع الدائم للتعبد من صلاة وصيام وزكاة وحج ...، ولا هو يترك الناس ليكونوا عبيدا للمادة والشهوات فتتساوى حياتهم مع الأنعام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ (محمد:١٢).

فالدين الإسلامي طلب من الناس أن يبتغوا الدنيا والآخرة معا، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ (القصص:٧٧).

فالبدن له متطلبات كمتطلبات الروح، ومن المتطلبات البدنية التي لا يستطيع الإنسان أن يعيش من غيرها الترويح عن النفس، فأثناء العبادات تعطى النفس ترويحا واستراحة لتكمل بعد ذلك العبادة المطلوبة منها، ونرى ذلك في الفترات المتباعدة بين كل صلاة وأخرى، وفي رمضان ما سميت صلاة التراويح ترويحا إلا لما يتخللها من فترات راحة وترويح بين الركعات.

وكذلك بعد كل طاعة يبذلها الإنسان يكافأ عليها بالمراوحة عن النفس، فبعد صيام رمضان يأتي عيد الفطر، وبعد الحج يأتي عيد الأضحى.. وهكذا. الترويح عن النفس أمر مطلوب للنفس البشرية، فإن الله لا يمل حتى تملوا.

د. خالد راتب
باحث أكاديمي

العدد: (٦١٣) رمضان ١٤٣٧ هـ - يونيو - يوليو ٢٠١٦ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

Kuwait Capital of Islamic Culture 2016

رمضان.. شهر الهمة

- أمتنا.. الداء والدواء
- حرية إبداع أم فوضى؟
- القرآن في الدراسات الغربية
- خطورة غياب الزوج عن أسرته

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»



هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي: (١٠)

info@alwaei.com | www.alwaei.gov.kw | مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

جديدنا





شكر الله في رمضان

شهر رمضان وما فيه من أنواع العبادات والأعمال الصالحة، وما يقع فيه من الخير والإحسان؛ هو من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده، واستحضار هذه النعم يقود إلى شكرها، كما يقود إلى إعطاء رمضان ما يستحقه من العبودية لله، والاجتهاد فيه بالأعمال الصالحة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).

ومن موجبات شكر الله في رمضان: ما جعل الله فيه من تكفير السيئات، وزيادة الحسنات، واستجابة الدعوات، والعتق من النار، ومن أعظم ما يوجب شكر الله على رمضان أنه سبحانه يتولى جزاء الصائمين؛ كما في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به» (متفق عليه)، والشكور يجزي على الشكر شكرا أعظم، وقد قال: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٥)، وإعانة الصائمين على أنفسهم وشياطينهم في رمضان، وفتح أبواب الجنة، وغلق أبواب النار، كل ذلك مما يوجب شكر الله تعالى على هذه النعم.

ولقد جاء في القرآن ذكر الهداية والمغفرة والتوبة، وغيرها، وعلقت جميعها بمشيئة الله؛ ففي الهداية قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (النور:٤٦)، وقال في المغفرة: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ (آل عمران:١٢٩)، وفي التوبة: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ (التوبة:١٥).. إلا الشكر؛ فإن الله عزوجل أخبر أنه يجازي به دون أن يعلقه بالمشيئة؛ ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤)، وفي آية أخرى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٥)، وكثيرا ما يعلل الله سبحانه نعمه على الناس في أنفسهم، وما سخر لهم بالشكر؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران:١٢٣) ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس:٣٥).

ووصف الله سبحانه بالشكر نبيه نوحا؛ فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:٣)، وقال في الخليل: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ (النحل:١٢١)، وأمر الله سبحانه بالشكر أنبياءه وصالحي خلقه، حتى كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم اجعلني لك شاكرا»، وفي رواية: «رب اجعلني لك شكارا».

إن الأعمار تطوى بمضي الأوقات، وتدنو الآجال بذهاب الأيام، وليس للمسلم من عمره إلا ما مضى في طاعة الله، وما سواه فهو حسرة وندامة يوم القيامة، فواجب على الصائم شكر الله بصالح الأعمال، وعدم تضييع الأوقات بالغفلة والتفريط والإهمال، وتزيين الشهر الكريم بالصيام والقيام والتلاوة، وبالجود والصدقات؛ فإن المال عارية مستردة، وليس للعبد منها إلا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، فاللهم اجعلنا من الشاكرين الذاكرين.

رئيس التحرير

د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٣ | رمضان ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
يونيو – يوليو ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هدايات الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣
شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول
العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦– ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ – فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ – فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

فرصة.. فاغتنمها

فرصة لاغتنام الحسنات، فرصة للنهوض بعد سبات وفتور، فرصة للهمة في الطاعة والعمل معا، فرصة للتأمل في كتاب الله وسنة رسوله، فرصة لا يضيعها إلا مخبول ناقص العقل لا يعرف وقت الغرس من وقت الحصاد.

هو «رمضان»؛ يهل بالبشرى، ويحاورنا في كل ساعة من ساعات نهاره أو ليله أن هلموا إلى استحضار النية الخالصة لله في كل فعل نقوم به، لا رياء ليقول الناس: صلى وصام وقام، ولا عادة بحكم مرور السنين، ولا ساعة للتعبد وساعة للهو غير المباح، بل الدين كله لله.. نقوم للإجابة عن أسئلة إجبارية: ماذا سنفعل بعد صلاة الفجر؟ وكيف سنؤدي عملنا على أحسن وجه لنرضي ربنا أولا، لا رؤساءنا في العمل، لنبث راحة في صدور من يتعاملون معنا، فلعلها تكون بابا للحسنات مضافا، لنغرس في نفوس الأبناء قيمة جديدة يستندون عليها في مستقبلهم فيكونون عملا صالحا ننتفع به، وكيف ننهي يومنا وقد ارتاحت ضمائرنا عن أفعالنا.

مدير التحرير

فهد الخزي

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

السنوسي محمد
كاتب إسلامي

ميلاد للأمة متجدد

لقد شهد شهر رمضان ميلاد أمة الإسلام حين تنزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ وهو يتعبد في غار حراء، وفاجأه جبريل الأمين بأن قال له: «اقرأ». فمع هذا الأمر الإلهي بالقراءة، ومع هذه البدايات الأولى لتنزل القرآن الكريم، ولدت أمة الإسلام؛ فكان من رفعة مكانتها ومن تشريف الله إياها أن ولدت في زمن مبارك فضله الله على سائر الشهور، وولدت من بين دفتي كتاب مبارك أراد الله له أن يكون ختام رسالاته إلى الناس، ومهيمنا على ما سبقه من شرائع ورسالات: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ **(المائدة:٤٨).**

ما لبثت أمتنا بعد هذا الميلاد -في الزمن المبارك، ومن الكتاب المبارك- أن انساحت في ربوع الأرض؛ تنشر كلمة التوحيد، وتقيم حضارة العدل، وترسخ قيم الإنسانية، وتشيد تجربة حضارية جديدة لم يعرف التاريخ مثلها؛ سواء في امتداد نموذجها القيمي والأخلاقي، أو في انتشارها على مساحات شاسعة في غضون سنوات معدودات.

ثم توالت الأيام والسنون وتاريخنا يتقلب بين مد وجزر، وانبساط وانقباض، وتقدم وتأخر، وفق ما اقتضته السنن الإلهية في الاجتماع البشري وفي حركة التاريخ، وهي السنن التي لا تحابي أحدا ولا تتخلف عن عملها: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ (آل عمران:١٣٧ و١٣٨).

ومن ثم، فحين يهل علينا شهر رمضان كل عام فإنه ينعش ذاكرتنا بميلادنا الأول، ويجدد عهدنا باللحظات الأولى لتنزل هذا الكتاب المجيد الذي ولدت أمتنا من بين دفتيه؛ فهذا الشهر الكريم فرصة ملائمة لنتذاكر كيف كنا وكيف أصبحنا؟! كيف كان ميلادنا وكيف صارت نشأتنا من بعده، اقترابا وابتعادا؟! كيف حدثت النقلة الحضارية وكيف وقعنا في «مرحلة القصعة» والانسحاق أمام الآخرين؟!

وفي إطار هذه «المراجعة الرمضانية» يستوقفني معنيان مهمان؛ أن رمضان فرصة لمراجعة روحية فيما يتصل بعلاقة المسلم بربه سبحانه، وفرصة أيضا لمراجعة اجتماعية فيما يخص علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض.

تجديد للروح

ففي رمضان كان ميلاد أمتنا الأول، وأمتنا بالأساس هي أمة الروح، وحضارتنا هي حضارة الروح. و«الروح» وصف ورد للقرآن الكريم، وللملك الموكل بالوحي جبريل عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ (النحل:٢)، وفي قوله أيضا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ (الشعراء:١٩٣ و١٩٤).

قال ابن عاشور: «والروح: الوحي. أطلق عليه اسم الروح على وجه الاستعارة؛ لأن الوحي به هدى للعقول إلى الحق، فشبه الوحي بالروح كما يشبه العلم الحق بالحياة، وكما يشبه الجهل بالموت قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ (الأنعام:١٢٢)» (١).

و«الروح الأمين»: جبريل وهو لقبه في القرآن، سمي روحا؛ لأن الملائكة

من عالم الروحانيات، وهي المجردات (٢).

فشهر رمضان هو شهر الجرعة المكثفة للروح، ومنه يكون التزود لسائر العام؛ ولذلك كان النبي ﷺ يكثر فيه من النوافل ومن أعمال الخير؛ فكان -كما جاء في الحديث الصحيح- يراجع على جبريل ما أنزل من القرآن مرة كل عام، حتى إذا كان العام الذي قبض فيه راجع مرتين (٣). وفيه شرعت صلاة التراويح بما تعنيه من زاد يضاف إلى زاد الصلوات الخمس.

و«الروح» التي نقصدها هنا، ليست هي التي تعرف بأنها: ملكة لطيفة غير مادية يمدك الله بها لتحتفظ بحياتك، فهي سر وجودك وبقائك، وأيضا يمسكها عنك عندما تنتهي حياتك؛ بل هي -كما يقول أستاذنا د. عبدالحليم عويس- مصطلح جامع ذو إشعاعات ربانية تضيء جوانب الحياة، بل وتنشئ الحياة، وتحفظ الحياة بعيدا عن اليأس، وتعطي للمؤمن طاقة فعالة وإرادة إيجابية تجعله سريع الاستجابة لأوامر الله، قوى الإرادة، يملك نفسه وهواه ويطوعهما لأوامر الله ولإشعاعات الروح، ولا تتملكه نفسه أو يتحكم فيه هواه (٤).

وهذا التجديد للروح فيما يتصل بعلاقة الإنسان بخالقه، ليس دعوة للانعزال عن الحياة، ولا لإكساب الجسد خشوعا مستعارا أو ميتا، بل هو تجديد يسعى لإدراك رسالة المسلم في الحياة التي هي رسالة تزكية وإعمار معا، ورسالة للذات وللمجتمع في آن واحد، ورسالة للروح والعقل والجسد بلا تناقض: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

لكن يوم أن سار المسلمون في تقليد أعمى وراء تيار المادية الغربي، الذي خطف بريقه الزائف أبصارهم وبصائرهم، انحصر همهم في شهوتي البطن والفرج، ونسوا أنهم أصحاب رسالة ومنهج.

ترميم ما تهدم من علاقاتنا

وأما فيما يخص علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض، فإن شهر رمضان فرصة ذهبية لوصل ما انقطع من علاقاتنا الاجتماعية، ولترميم ما تهدم منها بسبب مكائد الشيطان وحبائله.. فإن سمو الروح في رمضان يدفع الإنسان إلى مزيد من العفو والصفح ونسيان السيئات؛ ابتغاء الأجر والمثوبة من الله.

كما أن رمضان شهر المواساة، وشهر العطاء بلا حدود، والإنفاق بلا خوف؛ وقد شرعت في آخره صدقة خاصة به وهي «صدقة الفطر» التي وصفها النبي ﷺ بأنها: «طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين» (٥).

ولاشك أن مجتمعاتنا قد أصابها تدهور كبير، سواء في علاقاتها الإنسانية بين الأصدقاء والأقارب والجيران، أو بين طبقاتها فقراء وأغنياء؛ وهذا ما حذرنا منه النبي ﷺ وسماه «حالقة الدين»، فقال فيما رواه أبوالدرداء: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة» (٦).

فشهر رمضان مناسبة عظيمة لتجاوز الخلافات، وترميم الروابط، وتجديد الأواصر؛ فإن المجتمع المفكك المنشغل بخلافاته البينية لن يجد وقتا للاهتمام برسالته وواجباته!

إن «رمضان» يقدم لنا هداياه كل عام، وينادينا بمصالحة مع الروح، وبترميم ما تهدم من علاقاتنا الاجتماعية؛ عسى أن نجدد ميلاد أمتنا على النحو الذي كان في رمضانها الأول.

الهوامش

١- «التحرير والتنوير»، لابن عاشور، سورة النحل، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٢- المصدر نفسه، تفسير سورة الشعراء.

٣- أخرجه البخاري بسنده في صحيحه، كتاب «فضائل القرآن»، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- انظر مقالة: «الروح وميلاد الحضارة»، مجلة «حراء»، العدد ١٤، ص:٦٠، يناير/مارس ٢٠٠٩م.

٥- أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبدالله ابن عباس، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

٦- رواه الترمذي في سننه، وقال: «حديث حسن صحيح»، وزاد فيه: «لا أقول: الحالقة التي تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».



عبدالله شريف
دار الإعلام العربية -القاهرة

رمضان.. شهر الهمة والإنجاز

ضيف كريم يطل علينا كل عام ببهجته وروحانياته، استقبله رسول الله ﷺ بـ «شد المئزر».. هذا هو ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥). وهو شهر كريم لتثبيت الدين، وتحفيز الهمم، التي يتباين الناس فيها، وكما يقول الحسن البصري: «من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره».

في هذا السياق، يؤكد د. بركات عبدالفتاح دويدار، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر، أن شهر رمضان الفضيل وقت للعمل والجد والاجتهاد؛ وليس للتكاسل وتناول المشهيات من الطعام، ففيه تصفد الشياطين وتكثر أوجه الخير.

وأضاف أن لرسول الله ﷺ عبادات وعادات في هذا الشهر؛ منها الإكثار من قراءة القرآن وتدبره، حيث كان يحفظه جبريل عليه السلام آيات كتاب الله عزوجل. ومن أفعاله أيضا تبشير الناس بالجنة والبشاشة في وجوههم وكأن رمضان عيد فرحة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم».

وأشار إلى أن النبي محمدا ﷺ كان أكثر الناس همة طوال العام، خاصة في رمضان؛ فكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف ويواصل الصيام قائلا: «إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»، موضحا أن الرسول ﷺ كان يحث المسلمين طوال الشهر على عمل الخير والاجتهاد والهمة.

وقال إن الإسراف هو الزيادة عما يحتاجه الإنسان، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال».

وأضاف أن من أنماط الهمة التي ينبغي أن يتبعها المسلم في رمضان منع النفس من الإسراف في الطعام والشراب، وأن يقتصد في المباحات، وأن يشعر المسلم الميسور بمعاناة إخوانه من الفقراء واللاجئين في شتى بقاع العالم، وأن يمد لهم يد العون متى استطاع إلى ذلك سبيلا.

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، وقال النبي ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة».

إصلاح النفس

أما مفتي مصر الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء د. نصر فريد واصل فأكد أن رمضان شهر محاربة النفس، وهنا تظهر الهمة؛ فالنفس باحثة عن الشهوات والملذات ورمضان شهر الإمساك والتقوى، وليس الإمساك حتى أذان المغرب كما وصل الحال بأمتنا؛ لكنه تعويد النفس على الإمساك عن كل ما حرم الله، بالإضافة إلى الالتزام بتعاليم الصيام، وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن كيفية صلاة رسول الله ﷺ في رمضان فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة؛ يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا، فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»، كما أنه ﷺ إذا دخل العشر الأواخر «أحيا ليله وأيقظ أهله وشد مئزره».

وأضاف: «رمضان شهر الهمة في كل شيء؛ فالهمة في طاعة الله والهمة في مساعدة الفقراء والمساكين والهمة في العمل، بل والهمة حتى في الجهاد في سبيل الله.

وتابع: رمضان شهر الهمة في صلة الرحم، وهو فرصة إصلاح النفس والعودة إلى الله، ويجب الابتعاد عن الكسل والتكاسل والنوم وترك الفروض والسنن والنوافل، والخروج من العادات السيئة التي ربطناها برمضان شهر العمل، منها مشاهدة التلفاز ولعب الكرة لتضييع الوقت حتى إذا ما أفطرنا بتبذير وإسراف نمنا حتى السحور وضيعنا رمضان وحرمنا الخير الكثير.

د. دويدار: على الصائم أن يقتصد في المباحات ويشعر بإخوانه المحتاجين

وقال: الأجر عظيم، والله عزوجل يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾، ووعد الصائمين بالفوز العظيم وأعد لهم بابا في الجنة يسمى الريان، قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف؛ الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به».

وأضاف: من هدي المختار في رمضان تأخير السحور وتعجيل الإفطار، قال: «تسحروا، فإن في السحور بركة»، و«لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»، مشيرا إلى أنه كان يفطر على رطبات، فإن لم يجد فتمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء.

وتابع: من أفضل الأعمال في الشهر الكريم قضاء حوائج الناس وإطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائدة:٢)، ومنه تنظيم «موائد الرحمن» والمشاركة في الجمعيات الخيرية التي تنتشر على مستوى العالم.

ومن التعاون على البر أيضا مساعدة الباحثين عن الفتوى والحكم الشرعي في رمضان وغيره، فضلا عن تحفيظ القرآن وتعليمه، ورمضان أفضل وقت لذلك، فصنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد من العمر.

وأشار إلى أن التبسم من هدي رسول الله ﷺ، فعن عبدالله بن

الحارث رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي» (رواه مسلم)، وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

الرياضة والصوم

من جانب آخر، يوضح د. علي محمد بيومي، الأستاذ بكلية التربية الرياضية جامعة الإسكندرية، أن رمضان فرصة لجميع من يعانون من أمراض العظام والسمنة، مشيرا إلى أن هناك برامج يستطيع المسلم أن يخرج من الشهر الفضيل وقد وضع قدمه على بداية الطريق الصحيح.

وأوضح أن كثرة الصلاة في شهر رمضان تقوي العظام، مضيفا أن الصيام على نهج رسول الله ﷺ يساعد على راحة الجهاز الهضمي بشرط البعد عن العادات السيئة، ويجب التنبيه على أن هناك حالات يكون الصوم ضارا بها ويجب مراعاة استشارة الطبيب لمن يعانون من أمراض مزمنة.

وأضاف: «يأتي شهر رمضان هذا العام في مناخ شديد الحرارة، ونحتسب الأجر عند الله، وعلى الصائم أن يكثر من شرب المياه عند الإفطار ولا يكثر من الطعام، والأفضل أن يؤخره حتى بعد صلاة التراويح، وبعده يجب ممارسة الرياضة لمدة لا تقل عن ساعة».

وتابع: المشي أفضل شيء لهضم الطعام وصحة الجسم، بالإضافة إلى بعض التمارين المتاحة للجميع عبر شبكة الإنترنت، ويجب الحذر من ألعاب القوى أو رفع الأثقال في الصيام وبعده إلا بأوزان خفيفة؛ حتى لا يصاب الجسد بتمزقات عضلية.

د. بيومي: ٣ أوقات للتريض في رمضان

ومن المسموح به ممارسة الرياضة لمدة لا تزيد على ٢٠ دقيقة قبل الإفطار مباشرة، لأن ذلك يساعد على تطهير الجسم من السموم.

وأشار إلى ضرورة الاهتمام بنوعية الغذاء في الشهر الكريم، أبرزها الخضراوات والفاكهة والعصائر الطبيعية، محذرا من المشروبات الصناعية و«البودرة» التي تؤثر على القلب ومعدل السكر وتصيب بالإجهاد ولا تعوض ما فقد من سوائل على حد قوله.

وطالب الصائمين بتجنب ممارسة الرياضة تماما في فترات الظهيرة، موضحا أن ذلك يصيب الجسد بالإجهاد ويجد صاحبه صعوبة في إتمام صيامه.

وتابع: «تناول منتجات الألبان والتمور يساعد على تعويض ما نقص من الجسم طوال فترة الصيام، بالإضافة إلى عصائر البرتقال والتفاح والأناناس والرمان»، محذرا من الحلويات التي تنتشر بأنواع مختلفة في رمضان، فضلا عن السمن والزيت والأكلات الدسمة التي تدمر الجهاز الهضمي في الصيام ولا تساعد على أداء الطاعات، بل تجعل الفرد دائما يشعر بالعطش والإجهاد.

وقال: من البرامج التي يمكن تنفيذها في شهر رمضان تقسيم اليوم إلى ٣ أوقات للرياضة: الأول صباحا؛ حيث يؤدي المسلم تمارين أشبه بالطابور المدرسي من تحريك الذراعين والخصر والرقبة، والثاني قبل الإفطار ويشمل المشي الخفيف أو التمارين السويدية والأيروبيك والبيلاتس، التي ترتبط بالعقل والعضلات ولا تفقد الجسم السوائل. أما الوقت الثالث فبعد صلاة التراويح، وللشاب أن يمارس الجري أو السباحة أو رفع الأثقال، وينصح بشرب المياه بكثرة منذ الإفطار وحتى السحور.

د. واصل: فرصة لإصلاح النفس والعودة إلى الله وتجنب العادات السيئة

ترويض النفس

أما د. مجدي بدران، أستاذ علم النفس، فأكد أن شهر رمضان فرصة لترويض النفس وكبح جماحها وحبس شهواتها وتحفيزها على فعل الطاعات وأعمال البر والإحسان، وهو الأمر الذي ينعكس على الإنسان إيجابيا بتغير مزاجه إلى الأفضل وإدخال البهجة والسرور إلى عقله وقلبه.

وتابع موضحا: عمل الخير دائما يبعث السرور والبهجة بين الطرفين، والصدقات وإطعام الطعام وتبادل السلام والأطعمة تزيد من العلاقات الاجتماعية بين المسلمين بعضهم بعضا.

وتابع: رمضان يحقق أحد معاني المشاركة المجتمعية من احتواء الفقراء والمساكين وكثرة الصدقات ومشاركة المقتدرين من بناء المنازل وإغاثة المنكوبين، وهذا ما يجعل الصيام أحد أسباب تحقيق تزكية النفس، فقد قال الله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس:٧-١٠)، والنفس تبحث عن الانفلات والهرب من القيود، وترويضها يكسب الإنسان ثقة في نفسه ويعينه على الطاعة. فالصوم يعود الإنسان على النظام والاتحاد وحب العدل والمساواة، والتسابق إلى الخيرات، ومن ثم صون المجتمع من الشرور والمفاسد الناجمة عن الفقر والحقد والتباغض،

وهي السلوكات التي ستختفي إن أحس الأغنياء بالفقراء وأعطوهم حقوقهم التي جعلها الله في أموالهم، وجادوا بالصدقات.

رمضان بلا إسراف

بينما طالب الخبير الاقتصادي أحمد الوكيل المسلمين بالاقتصاد وعدم الانجراف وراء شره الاستهلاك بصفة عامة وفي رمضان بصفة خاصة، مشيرا إلى أن الشهر الفضيل يشهد حالة من الاستهلاك الشره جدا في جميع الدول العربية، حيث يتضاعف الاستهلاك في رمضان بنحو ١٣٠٪.

وأضاف أن الإنفاق يكون على أمور أولها الطعام والشراب والولائم، يليها المسلسلات والدراما، ثم السياحة، وتكون لبيت الله الحرام أو السياحة في أماكن عديدة حول العالم. ومن الأمور التي ترفع من الأنفاق الحملات الدعائية والإعلانية، وتأتي أخيرا الملابس والألعاب النارية وتكون في آخر الشهر قبل العيد.

وأشار إلى أن تقرير شركة فيزا للمدفوعات الإلكترونية عن رمضان العام الماضي أكد أن إجمالي إنفاق المستهلكين على الأزياء ومحلات السوبر ماركت والسلع الفاخرة والسحب النقدي من أجهزة الصراف الآلي بلغ ٩,٣ مليارات دولار في شهر رمضان.

وأوضح التقرير أن «أكثر الدول المساهمة في رفع حجم المبيعات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خلال شهر رمضان الإمارات والمملكة العربية السعودية وقطر والكويت وعمان ومصر».

ويقترح الوكيل وضع ميزانية من أول الشهر تتضمن المصروفات للبيت الواحد، موضحا أن «تحديد مبلغ يومي للإنفاق من أهم وسائل ضبط الميزانية والمحافظة على الخطة الموضوعة،

د. بدران: التسابق إلى الخيرات والإحسان إلى الفقراء يصون وحدة المجتمع

فضلا عن البحث عن العروض التي تنتشر في هذا الشهر الكريم من المحلات الكبرى، وعدم الإكثار من الأصناف. وأن يتم طهي الطعام بما يوازي عدد أفراد الأسرة، فمثلا إن كان عدد أفراد الأسرة خمسة لا يتم طهي كميات تكفي لعشرة أفراد، أيضا يجب أن لا يتم التنويع في أطباق وأصناف الطعام بصورة مبالغ فيها في اليوم الواحد، إنما يكون التنوع على مدار الشهر، بحيث يكفي نوعين أو ثلاثة أنواع على الأكثر في كل يوم، وينبغي التوقف عن الموائد التي تضم عشرات الأصناف وقد لا تمتد إلى كثير منها يد، وبالتالي يكون مصيرها إلى النفايات.

كما حذر من انسياق ربات البيوت وراء الإعلانات التليفزيونية التي تحفزهن على المبالغة في الشراء والتسوق، خاصة للمواد الغذائية، مشيرا إلى أن الأسرة ينبغي أن تشتري احتياجاتها وفق خطة وميزانية شهرية بعيدا عن إغراءات الدعاية والإعلان.

أجندة إنجازات

فيما أكدت خبيرة التنمية البشرية فدوى عبدالناصر أن رمضان فرصة لتغيير النفس بشكل عام، وفرصة للسيطرة على كل العادات المخططة التي

الوكيل: ضبط الميزانية والاقتصاد في الطعام وتجنب إغراء الدعاية والإعلان

فدوى عبدالناصر: فرصة لتغيير النفس والسيطرة على العادات المخطئة

قد تكون متجذرة في عقل الإنسان.

وأضافت أن أي تغير في سلوك الإنسان يتطلب فترة من الانقطاع عنه أو التدرج في الانقطاع؛ فمثلا مدمن المخدرات لابد أن يتدرج في الانقطاع عن المخدر، كذلك المدخن ومدمن الوجبات السريعة، مؤكدة أن ٣٠ يوما من الصيام فرصة لتغيير العادات السلبية وتنظيم الحياة النفسية والاجتماعية والعملية.

وتابعت: المسلم لا يسب ولا يشتم ولا يأكل الأعراض ولا يترك الصلاة، ويتعود على ورد من القرآن بأوقات منضبطة تساعده على ترتيب حياته العملية. كما أن المسلم يحذر من الغضب والانفعال، فلا يخسر عمله لأي سبب، فضلا عن قراءة القرآن التي تضيف إليه أخلاقا وتعاليم تساعده على معرفة قيمة الحياة الحقيقية؛ كما أن انقطاع المدخن عن التدخين طيلة فترة الصيام يقوي لديه العزيمة والقدرة على اتخاذ القرار.

وكل ما سبق لا يأتي بمفرده، لكن لابد من تخطيط وتنظيم لاستغلال الوقت في الشهر الفضيل؛ فأولا النفس تحتاج إلى تغيير الروتين حتى تتجدد الطاقة ويتحول الإنسان إلى الإبداع، ورمضان فرصة لذلك، حيث تتغير أنظمة العمل والغذاء والعبادة والتحرك والنوم.

وأضافت: المسلم يفطر في وقت واحد، وكذا يصوم ويصلي؛ ما يساعد على تنظيم الوقت الذي هو أساس التنمية البشرية.

وطالبت الشباب بعمل أجندة بالأمور التي يطمحون إلى الخروج منها في رمضان؛ فمثلا قراءة كتب أو حفظ قرآن أو تعلم التجويد والتفسير، وكذا وضع برنامج يومي لتنمية المهارات؛ مثلا القدرة على الخروج بأفكار من العادات والتقاليد، فضلا عن وضع برنامج للطعام الصحي الذي يفيد العقل والنفس والجسم، وبذلك يخرج الشاب من رمضان وقد كسب «الدنيا والآخرة».

محمد شعبان أيوب
باحث في التراث

الهدي النبوي في رمضان

رمضان شهر الخير والبركة، فيه تفتح أبواب الجنة وتتزين، وتغلق أبواب النار وتوصد، وتمسك الشياطين وتصفّد؛ ترغيبا للعباد كي يقبلوا على الله تعالى لنيل جائزة المغفرة، والعتق من النار. وقد قال بعض العلماء إن تسمية هذا الشهر برمضان لم تكن اعتباطية، فالرمض في اللغة هو الإحراق، فكأنه شهر إحراق الذنوب وتبديدها؛ لذا كان من المهم حقا أن نرجع إلى مصادر السنة النبوية المشرفة لنرى كيف كانت عبادة نبينا في هذا الشهر؛ لتكون أسوة لنا وهداية.

نهار النبي في رمضان

كان نبينا يتلهف لدخول هذا الشهر الكريم، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضّله على غيره إلا هذا اليوم؛ يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان (١).

وكان هذا التلهّف لأسباب وجيهة، فمن الليلة الأولى لدخول رمضان تتنزل الرحمات، وتترى النفحات، فقد قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفّدت الشياطين ومردة الجن، وغلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر. ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» (٢).

لذا حرص على استغلال وقته كاملا في الطاعات والأعمال الصالحات، وكان أحرص ما يكون على قراءة القرآن والتصدق على الفقراء والمساكين؛ فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان النبيّ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كلّ ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الرّيح المرسلة (٣).

لقد كان من اللافت أن يربط شهر رمضان بالقرآن، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ (البقرة:١٨٥). والحق أن هذا الربط بينهما مقصود؛ لأن «القرآن هو كتاب هذه الأمة الخالد، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور. وهي من دون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ولا ذكر في السماء. فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن» (٤).

ومن الطاعات التي حضّ على فعلها في رمضان؛ ذكر الله تعالى والابتهال إليه، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ذاكر اللّه في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب» (٥). ويذكر أبوداود في سننه أنه كان يزور البقيع في هذا الشهر (٦). فزيارة القبور

كما أخبر «تذكّر الآخرة» (٧).

ومما يلفت أنه لم يركن للعبادة وينسى أمور دعوته في رمضان، وهي دعوة للناس لئلا يحتجوا بالعبادة والصوم بالتكاسل عن شئون العباد ومصالحهم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: غزونا مع رسول الله غزوتين في شهر رمضان؛ يوم بدر، ويوم الفتح (٨). كما كان يستقبل وفود المسلمين من كل أرجاء الجزيرة حين جاء بعضهم إليه في رمضان، فعن سفيان بن عطيّة بن ربيعة الثّقفيّ، قال: قدم وفدنا من ثقيف على رسول الله، فأسلموا في النّصف من رمضان، فأمرهم رسول الله فصاموا معه ما استقبلهم، ولم يأمرهم بقضاء ما فاتهم (٩).

ليله في رمضان

أما ليل النبي فكان يقضيه في عبادة ربّه قائما بين يديه يصلي. ولقد بيّن أن قيام ليل رمضان يكفر الذنوب، ويرفع الدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله يرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه». فتوفي رسول الله والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنه» (١٠).

لقد كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أخبر الناس بليل النبي، وأثر عنها أنها قالت: «كانت صلاته في شهر رمضان وغيره ثلاث عشرة ركعة بالليل منها ركعتا الفجر» (١١)، وفي رواية النسائي: «ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا. قالت عائشة: فقلت يا رسول الله: أتنام قبل أن توتر؟ قال: يا عائشة إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي» (١٢).

ولحبه في هذه الصلاة، وحثّه أصحابه عليها، فقد «صلّى ذات ليلة (في رمضان) في المسجد، فصلّى بصلاته ناس، ثم صلّى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم». ورغم أنه لم يتم القيام في جماعة خشية على أصحابه، فإن ذكاء الإمام البخاري وفقهه -رحمه الله- جعلاه يضمّن هذا الحديث الشريف في «باب تحريض النبي على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب» (١٣).

وحين جاءه أبيّ بن كعب رضي الله عنه قائلا: يا رسول الله، إنّه كان منّي اللّيلة شيء (يعني في رمضان). قال: «وما ذاك يا أبيّ؟». قال: نسوة في داري قلن: إنّا لا نقرأ القرآن، فنصلّي بصلاتك. قال: فصلّيت بهنّ ثماني ركعات، ثمّ أوترت. قال: فكان شبه الرّضا، ولم يقل شيئا (١٤). ورضا النبي إقرار وسنة!

وبعد قيامه، وقبل دخول الفجر، كان يحرص على وجبة السحور ولو كانت من باب الدعوة، فعن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله وهو يدعى إلى السحور في شهر رمضان فقال: «هلموا إلى الغداء المبارك» (١٥).

العشر الأواخر

ذاك بعض ما كان يقوم به في رمضان، لكن هذه الهمّة في العبادة والطاعة ليلا ونهارا، كانت تزيد في العشر الأواخر بصورة لافتة، وهو ما ترويه عائشة -رضي الله عنها- حين قالت: كان النبي إذا دخل العشر؛ شدّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله (١٦). و«إنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، فلمّا كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين» (١٧)، بل إنه كان إذا شغله شاغل السّفر في رمضان وفاته اعتكاف العشر الأواخر كان يعوّضه في السنة التي تليه (١٨).

إن اهتمامه بهذه العشر الأواخر يرجع لأن فيها ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن، كما أنها ليلة الجائزة الكبرى، فعبادتها تعدل ألف سنة، بل هي بنص القرآن ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر:٣). لذا يخبرنا النّعمان بن بشير رضي الله عنه فيقول: «قمنا مع رسول الله في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، ثمّ قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف اللّيل، ثمّ قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتّى ظننّا أن لا ندرك الفلاح، وكنّا نسمّيها الفلاح، وأنتم تسمّون السّحور» (١٩).

أما آخر ما كان يختم به شهر رمضان؛ فهو إخراج صدقة الفطر (٢٠)، في تأكيد منه على الأهمية الكبرى لهذا الأمر في أول الشهر وآخره.

إن هذه نبذة مختصرة عن سيرة النبي في رمضان، وهي سيرة تكشف لنا همّته العالية، وتفانيه في عبادة هذا الشهر الكريم، ويؤكد بصورة عملية قبل القول على أنه من «أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله»، فكانت همّته في هذا الشهر إنما هي ابتغاء مزيد من القرب من الرفيق الأعلى!

الهوامش

١- البخاري، باب صيام يوم عاشوراء، ح١٩٠٢.
٢- سنن الترمذي، باب فضل شهر رمضان، ح٦٨٢.
٣- البخاري: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي، ح٤٧١١.
٤- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة - القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٧١،١٧٢/١.
٥- الطبراني: المعجم الأوسط، ح٦١٧٠، تحقيق طارق عوض الله.
٦- سنن أبي داود، ح٢٣٦٩.
٧- سنن الترمذي، ح١٠٥٤.
٨- مسند الإمام أحمد، ح١٤٢.
٩- الطبراني: المعجم الكبير، ح٦٤٠١.
١٠- سنن أبي داود، باب في قيام شهر رمضان، ح١٣٧١.
١١- مسلم: باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي، ح٧٣٨.
١٢- سنن النسائي، باب عدد الصلاة بعد العشاء الآخرة في شهر رمضان، ح٣٩٣.
١٣- البخاري، ح١٠٧٧.
١٤- صحيح ابن حبّان، ح٢٥٥٠.
١٥- سنن النسائي الكبرى، باب دعوة السحور، ح٢٤٧٣.
١٦- البخاري، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، ح١٩٢٠.
١٧- مسند أحمد، ح٨٤١٦.
١٨- المستدرك للحاكم، ح١٦٠٢.
١٩- السابق، ح١٦٠٨.
٢٠- السابق، ح١٤٩٣.

علاء الدين حسن
باحث دراسات إسلامية

شهر التقوى والقرآن..



شهر رمضان، شهر عظيم مبارك، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، هو شهر رحمة ومغفرة وعتق من النار، هو شهر عطاء وحب وارتقاء..

والذي يستدرك تقصيره في مثل هذه المناسبة، يقبله الله عزوجل، ولو بلغت ذنوبه أطباق السماء، وهنا نؤكد على ضرورة تنقية أهم ما قد فطر الله عليه الإنسان، ألا وهو القلب، الذي إن صلح، صلح الجسد كله، وإن فسد، فسد الجسد كله.

والذي يعود إلى مكنونات قلبه، يعلم يقينا إن كان قلبه سليما، أم مليئا بالأحقاد.

و«القلب السليم» هو القلب السالم عن كل ما يضر الناس.

قال عليه ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» (١).

وغاية الصوم التقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

ومع التقوى يتفتح باب الخير، ويتسع عمل البر، وتستقيم الأمور وينتظم السلوك.. والتقي لا يكذب ولا يغش، لا يرائي ولا يرتشي، لا يغتاب ولا يعتدي، لا يظلم ولا يخون.. التقي يعطي لصاحب الحق حقه، التقي يبني ولا يهدم، يحب الناس ولا يعرف الحقد، التقي يقول الحق ولو على نفسه، التقي يسعى في حاجة أخيه، التقي كريم معطاء..

والمؤمن ينجح في امتحان رمضان، وتنتصر روحه على الطين والصلصال والحمأ المسنون.. تنتصر أشواق الروح الصاعدة، على غرائز الجسم الهابطة، ويحكم الصائم عقله ودينه في أفعاله حتى يتشبه بالملائكة المقربين، مترفعا عن حياة أولئك الذين عاشوا خداما لأجسادهم. ورحم الله الرافعي؛ حيث قال في ديوانه:

بني الإسلام هذا خير ضيف
إذا غشي الكريم ذرى الكرام
يلمكم على خير السجايا
ويجمعكم على الهمم العظام
فشدوا فيه أيديكم بعزم
كما شد الكمي على الحسام

وفي الحديث: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه» (٢).

دعاء وسلام

ورمضان شهر السلام.. جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (٣).

ورمضان شهر الدعاء.. روى أبوداود عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت» (٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله» (٥).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند قوم دعا لهم فقال: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة» (٦).

«رمضان».. يتجلى فيه شرف الزمان، وتعظم فيه أجر الطاعات؛ فالعمرة في رمضان ليست كأي عمرة، ومأدبة القرآن في رمضان ليست كأي مأدبة، والصدقة فيه ليست كأي صدقة، وليلة القدر ليست كأي ليلة، والأحداث في رمضان ليست كأي حدث.. قال ﷺ: «عمرة في رمضان كحجة معي» (٧).

«أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» (٨).

رمضان شهر القرآن.. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» (٩).

القرآن.. فرقان لا يخمد بركانه، بنيان لا تهدم أركانه، حق لا يخذل أعوانه.. بهرت بلاغته العقول، وفاقت فصاحته كل مقول..

ورمضان شهر التسامح، والمتسامح كالشجرة التي لا تبخل بالظل، حتى على من ينوي تكسير أغصانها، وقطف ثمارها، والنيل من قامتها الشماء التي تزين وجه الأرض.

ورمضان شهر الإخلاص، والإخلاص يجعل الإنسان أكثر عطاء، وأسلم سبيلا، وأنبل هدفا، وأوثق غاية.

وشهر رمضان يجدد التواصل بين المتآلفين، ويصلح بين المتخاصمين، ويزيد الود بين المتحابين..

علم وكفاءة

واللحظة الرمضانية الأهم، هي اللحظة التي تنتقل بالأمة من حالة الركود والسكون والعجز، إلى حالة الحركة والفعالية والكفاءة..

إنها لحظة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ يرويها لنا رسول الله ﷺ حين جاءه جبريل (عليه السلام) في غار حراء، وقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾.

وتمام العقل بالعلم، ومهمة العقل لا تنحصر في جانب محدد؛ بل تمتد إلى ساحة النظر في الكون وتأمل السماء والبحار..

ورمضان شهر الانتصارات، فقد وقعت فيه غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، وتجلى عدل الخالق عزوجل.. وتجلى قصاصه للمؤمنين من الظالمين: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ (آل عمران:١٣).

كما جرت فيه غزوة الفتح، في السنة الثامنة للهجرة، ووقتها انطلقت جحافل المؤمنين من المدينة المنورة، وقد بلغت اثني عشر ألفا تسلك سبيل الحق والحرية، وخفق قلب النبي الكريم ﷺ لرؤية مكة المكرمة، ودخلها راكبا على راحلته في جلال المتواضع بين يدي الله، تظلله رايات الفتح العظيم.. ولاذ المشركون بالصمت، وتواروا وراء الجدران، وعلموا أنه نصر الله.

«رمضان».. هدية السماء، رمضان.. شهر يفيض لعمر مديد.. استراحة قلبية نتخفف فيها من أعبائنا، منحة سماوية نفارق فيها صنوف الرتابة، وتنطلق فيها الروح في أجواء إيمانية نتعايش فيها أكثر مع القرآن ومع القيام، ومع البر والإحسان.

«رمضان».. ساحة السكينة، ومأوى الفضيلة، وملتقى كل الأشياء الجميلة.

«رمضان».. فاتح أبواب النقاء، وموصد منافذ الشر.

إيقاظ الضمائر

«رمضان».. قامع لنار الغرائز الحارقة، وصمام أمان لاندفاعنا وغضبنا، وموقظ لضمائرنا، وثقابة لبصائرنا، ومعالج لأمراض قلوبنا من غل وحقد وحسد، ومهذب لسلوكنا من أوضار الغيبة والنميمة والغش والخديعة وسائر المضار التي مقتتها الشرائع.

«رمضان».. يأخذنا إلى الضعيف والمسكين والملهوف وذي الحاجة، نحس بمعاناتهم إحساسا واقعيا بعيدا عن وصف الكلمات، ومن رأى ليس كمن سمع؛ فيدفعنا بقناعة على أن نخرج من أنانيتنا، إلى الالتفاف حول آلام الغير لاحتوائها، وساعتئذ ندرك أنه من عاش لنفسه عاش صغيرا ومات صغيرا، ومن عاش لغيره عاش كبيرا ومات كبيرا.

رمضان.. أثره عميق في القلوب، يتجلى ذلك في كل مدينة وقرية، وفي كل سوق وبيت، بما يبهج النفس، ويجدد التفاؤل بحسن تمسك المجتمع بالقيم والمبادئ التي ترسخ المحبة والإخاء.

هامش

١- رواه مسلم في «البر والصلة والأدب» عن أبي هريرة برقم ٦٧٠٧.

٢- رواه البخاري ٤/٢٢١، ومسلم برقم ١١٥٣ عن أبي هريرة.

٣ - رواه مسلم في صحيحه برقم ٥٤.

٤ - سنن أبي داود - ك الصوم - ح ٢٣٦٠.

٥- سنن أبي داود - ك الصوم - ح ٢٣٥٩.

٦- سنن أبي داود - ك الأطعمة - ح ٣٨٥٦.

٧ - مسلم ٢/٩١٧.

٨ - الجامع الصغير ١٤٩٧.

٩ - رواه البخاري - كتاب التوحيد باب قول الله: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ﴾، حديث رقم ٧٠٨٩.

كمال خليل
باحث دراسات إسلامية



إرهاصات التوبة

دائما ينتظر المسلم مواسم الخير وأيام البر والمغفرة، من أجل أن يجعلها محطة غسيل لذنوبه، وتطهيرا لنفسه من أدران عام مضى، أو فترة من الغفلة مرت عليه، لم يعصم فيها من ذنب، ولم ينج فيها من شيطان رجيم يوسوس له، ويكيد، ويجلب عليه بخيله ورجله، إلا أن ذلك يستلزم إرادة قوية وهمة عالية، ومن يريد ذلك فيجب عليه أن يتبين الإرهاصات والعلامات والدلالات التي تؤكد صدق نيته، وصحة توجهه.

هذه الإرهاصات تتمثل في عدة أمور منها مقت ما عليه من ذنب، وتركه، والعزم على عدم العودة إلى ذلك مرة أخرى، وذلك لا يتحقق إلا بالبعد عن أماكن اقتراف الذنوب وكبح جماح النفس على الاستقامة والتعود على بيئة صالحة تعينه على هذه الاستقامة، ليس في رمضان فحسب، وإنما في مستقبل حياته كلها.

ومن إرهاصات التوبة مفارقة الخليل الذي يضر ولا ينفع، ويجر صاحبه جرا إلى المعصية، فالصاحب ساحب، والنبي ﷺ يقول: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أحمد عن أبي هريرة)، فالصاحب والجليس من أشد المؤثرين على سلوك الإنسان، إما بالخير، وإما بالسوء والشر، فلاريب أن الإنسان يطاله من هذا الخير أو هذا الشر الآتي من الصاحب والجليس، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة»، فيا من تريد التوبة فارق كل خليل يدلك على السوء، فذلك برهان أكيد على صدق نيتك وتوبتك.

كذلك يتبع مفارقة صاحب السوء ترك البيئة المشجعة على المعصية مهما كلف الإنسان ذلك، فإذا فسد دين المسلم فلا يبقى له شيء بعد ذلك، إذ كيف يريد المسلم صلاحا وكل ما حوله ومن حوله يدفعونه إلى الهلاك دفعا، ولنا في السنة المطهرة أبلغ دليل على ذلك، روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».

ففي الحديث دليل على أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تؤثر فيه ويتأثر بها حسب صلاح أو فساد تلك البيئة.

ومن إرهاصات التوبة المسارعة إلى الخيرات، فذلك من صفات المؤمنين ومع هذه الخيرات والطاعات، الدعوات الصادقة، والخضوع لله تعالى والتذلل إليه بقبول تلك الأعمال قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٩٠)، وفي شهر رمضان ينادي الله تعالى على خلقه: «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر»، فكم من أبواب الخير تفتح في رمضان تنتظر الداخلين فيها، فمن صلاة مفروضة ومسنونة إلى صيام إلى صدقة إلى تلاوة وتدبر للقرآن الكريم إلى إفطار صائم إلى غير ذلك مما يصعب حصره في أسطر محدودة.. فسارع إلى الخيرات، وكف أيها التائب عن المنكرات، فذلك برهان لك ودليل على استقامتك.

ومن إرهاصات التوبة أيضا وصل المقطوع من الأرحام، وبدء السلام على من تواصل هجرانه، فذلك يعطيك الخيرية عند الله «فخيرهما الذي يبدأ بالسلام»، وإذا أردت الظهير والنصير من الله فبادر سريعا إلى صلة رحمك، حتى وإن كنت المظلوم، حتى وإن كان الحق معك، روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والطبراني في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رجل، فقال: «يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، ويسيئون إلي وأحسن إليهم، ويجهلون علي وأحلم عنهم. فقال رسول الله ﷺ: «لئن كان كما تقول، فكأنما تسفهم المل ولا يزال من الله معك ظهير، مازلت على ذلك». ولابد أن تعلم أخي التائب أن أولى الناس بالبر والصلة هما الوالدان، وأن تعلم مع ذلك أن قطع الأرحام إفساد في الأرض كما سماه الله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ (محمد:٢٢).

أما أعظم إرهاصات التوبة، فرد المظالم إلى أهلها، أو استحلالها منهم، إذ ليس من المقبول أن يدعي المسلم التوبة، ووراءه من ظلمهم، أو نهب أموالهم، أو انتهك أعراضهم، فهذه من حقوق العباد التي لا تسقطها التوبة إلا بردها أو طلب العفو من أصحابها.

إن محطة شهر رمضان ينبغي أن يتوقف أمامها المسلم طويلا، لينهل ما استطاع من الخير، ليكون له زادا يؤهله للمسير طوال عام مقبل بما فيه من مغريات وشهوات وشبهات، وليكون ماحيا لعام مضى بما فيه من أوزار وخطايا وسيئات.

نسأل الله تعالى صدق النية، وإخلاص العمل، وقبول التوبة.

د. أمان محمد قحيف
باحث أكاديمي

صوم القلوب مع الجوارح.. ضرورة

حري بنا أن ندرك أن متطلبات تشريعات ديننا الحنيف وتكليفاته، لا تتوقف عند حدود الجوارح الظاهرة، أو الأعضاء الجسدية التي تقوم بتنفيذ أوامر الله تعالى وتعليماته، بل تتجاوز ذلك لتصبغ القلوب والضمائر والنفوس بآثارها الروحية وتجلياتها الإيمانية، فما أنزل الله تعالى الدين إلا ليصلح به الإنسان -كل الإنسان- داخله وخارجه.. فالحركات الجسدية للصلاة لا تغني تأديتها أو الإتيان بها عن خضوع القلب وخشوعه لله تعالى.. وكذلك الصوم لا يجب أن نختزل معناه في الامتناع عن متطلبات الإنسان البيولوجية (كالطعام والشراب والمعاشرة)، بل يتخطى -بإيمانياته- حدود هذا الإطار ليتعلق بصوم القلب عن العديد من المسائل والأمور التي تصرفه عن الإخلاص لله تعالى والانشغال به دون سواه.

ولقد تحدث كثير من علماء الإسلام عن هذا المعنى للصوم وفصلوا القول فيه.. وها هو الإمام أبوحامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ – ١١١١ م) أحد علماء الإسلام ومفكريه الكبار الذين اعتزت الحضارة الإسلامية بأقوالهم وآرائهم؛ لأنه نافح عن الإسلام الوسطي المعتدل في كثير من المجالات، فقد واجه الزنادقة والباطنية، وضبط شطحات الصوفية، ونقد ترهات بعض الفلاسفة، وهاجم تيارات الفكر الإلحادي؛ لذلك لقبه الناس «حجة الإسلام وزين العابدين».

نقول لقد تحدث الغزالي عن كنه الصوم في الإسلام، وأسال مداد قلمه في التعريف بجوهر هذه الشعيرة التي يحتفي بها المسلمون أكبر احتفاء كل عام مع ظهور هلال شهر رمضان لمدة شهر كامل إلى أن يظهر هلال شوال.

ولقد كان الرجل حريصا -شأن جميع العلماء- على أن تكون شعيرة الصوم ربانية وخالصة لله تعالى، وكان حريصا على تنبيه المسلمين إلى السبل التي تتيح لهم الحصول على أكبر قدر من الثواب؛ جزاء إحسانهم لصومهم وطاعتهم لربهم.. من هنا أكد أهمية صوم القلوب وضرورته للارتقاء في مدارج السالكين وطرق العابدين.

والحق أننا سنعمد في مقالنا هذا إلى تحليل ما جاء في بعض كتابات الغزالي حول «أسرار الصوم» الواردة بكتابه ذائع الصيت المسمى «إحياء علوم الدين».. هذا الكتاب الذي قيل فيه: «لو كان وحي بعد القرآن لكان في الإحياء». وقيل فيه أيضا: «ليس من الأحياء من لم يقرأ الإحياء».

نعم، قد يكون في كلام من امتدحوا الكتاب على هذا النحو بعض المبالغة، لكنها أقوال تعكس لنا -على أي حال- سمو مكانته ورفعة قدره في نظر فريق عريض من علماء الأمة وجمهورها.

لقد بدأ الغزالي حديثه عن الصوم بأن كشف النقاب عن أن الصوم ربع الإيمان، منطلقا من قول النبي ﷺ: «الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان» (١). الأمر الذي يؤكد حرصه على توضيح مكانة الصوم في الإسلام باعتباره شعيرة فرضها الله تعالى على المسلمين، ووعد بإجزال العطاء لمن يؤديها ويقوم بها على الوجه الأكمل.

وإمعانا في توضيح هذا المعنى، أشار الرجل إلى عظم أجر الصائمين، فأورد الحديث القدسي الذي قال الله تعالى فيه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» (٢). ولعله يريد من وراء ذلك توضيح أن أجر الصائم لا يعلمه إلا الله عز وجل، وأنه غير محدود بحدود معينة، فقد يزيد على سبعمئة ضعف إذا أحسن الصائم المحافظة عليه، الأمر الذي يؤكد لنا حرصه على توعية الأمة بخصوصية الصوم كشعيرة تعبدية لها مكانتها السامية في النسق التعبدي الإسلامي.

بعد ذلك تحدث الغزالي بلغة الفقهاء عن الواجبات التي يناط بالصائم الاضطلاع بها، وهو ما أسماه بالعلامات الظاهرة التي يجب على الصائم الالتزام بها وإلا فسد صومه، فحددها في عدة أمور نشير إليها على النحو التالي:

أولا – مراقبة أول شهر رمضان؛ وذلك برؤية الهلال، فإن غم فاستكمال ثلاثين

يوما من شعبان، ويفصل كلامه هذا بقوله: «نعني بالرؤية: العلم. ويحصل ذلك بقول عدل واحد، ولا يسقط هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة.. وإذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها» (٣).. ونشير في هذا السياق إلى أن غالبية الدول الإسلامية لديها مؤسسات فقهية ومراصد وآليات حديثة تعين على التحقق والتثبت من ظهور الهلال أو عدم ظهوره.. ومن ثم يناط بنا متابعة دور الإفتاء والمؤسسات المسؤولة بالدولة، درءا لأي تباينات.

ثانيا - النية: وعند الغزالي أنه لابد «لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة. فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه... ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه، إلا من كان في صحراء أو منعزل عن الناس» (٤).

وينتهي الفقهاء في مسألة النية هذه إلى أنها ركن من الصيام لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (البينة:٥)، ولقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (٥). «ولابد أن تكون قبل الفجر من كل ليلة من ليالي شهر رمضان. لحديث حفصة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صوم له» (أي: يحكم النية والعزيمة)» (٦).

ونشير إلى أن النية تصح في أي جزء من أجزاء الليل، ولا يشترط التلفظ بها فإنها عمل قلبي، لا دخل للسان المرء فيه، فإن حقيقتها القصد إلى الفعل امتثالا لأمر الله تعالى، وطلبا لوجهه الكريم، فمن تسحر بالليل قاصدا الصيام، تقربا إلى الله بهذا الإمساك فهو ناو، ومن عزم على الكف عن المفطرات أثناء النهار، مخلصا لله، فهو ناو كذلك وإن لم يتسحر.. ويجوز عقد نية الصيام نهارا في صيام التطوع فقط (٧).

ثالثا - الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا؛ فيفسد صوم الصائم بالأكل والشرب، ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال... إلخ، ولا يفطره ما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر؛ لأنه مقصر، وهو الذي أردنا بقولنا عمدا (٨). ويؤكد الغزالي أن من أكل أو شرب ناسيا ليس مفطرا وعليه استكمال صومه.. والخلاصة أن كل ما يقع دون عمد من الصائم لا يفسد صيامه.

رابعا - الإمساك عن شهوة الفرج: وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر، وتقبيل الزوجة لترضيتها أو لتأكيد المودة بينهما لا يفطر، على ألا يرتبط ذلك بشهوة.. وإن كنا نميل إلى ترك هذه الأمور لما بعد الفطور تبرئة للذمة والتماسا للأحوط.

خامسا - الإمساك عن إخراج القيء: فالاستقاء يفسد الصوم، وإن غلبه -أي الصائم- القيء لم يفسد صومه، وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به، إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عن ذلك.

بعد ذلك ينطلق الغزالي في التحدث عن صوم القلوب المؤدي إلى الارتقاء الروحي، حيث يقول: «أعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.. أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.. وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.. وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله -عزوجل- بالكلية» (٩).

ومن أراد أن يرتقي بصومه إلى صوم الخواص فليتبع الآتي:

الأول - غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل.

الثاني - حفظ اللسان عن آفاته، وإلزامه السكوت، وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن.

الثالث - كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه؛ لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه.

الرابع - كف بقية الجوارح عن الآثام والمكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، فلا يفطر الصائم من طعام لا يثق في كونه حلالا طيبا.

الخامس - أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال.. وكيف يستفاد من الصوم في قهر عدو الله (يقصد إبليس) وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام.. ومعلوم أن المقصود بالصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى.

السادس - أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا بين الخوف والرجاء؛ إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين، وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها.

ويبين الغزالي أن هناك مسائل يلزم على من أفطر في رمضان القيام بها، فيوضحها فيما يلي:

أ - القضاء: فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر؛ فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد، أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم، ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان، ولكن يقضي كيف شاء، متفرقا ومجموعا.

ب - الكفارة: فلا تجب إلا بالجماع، وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب به كفارة، فالكفارة عتق رقبة، وإن أعسر فصوم شهرين متتابعين، وإن عجز فإطعام ستين مسكينا.

ج - إمساك بقية النهار: فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه، ولا يجب على الحائض إذا تطهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا... والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في أوله، ولا يوم يقدم إذا قدم صائما.

د - الفدية: تجب على الحامل والمرضع إذا أفطرن خوفا على وليدهما.. وكذا الشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا، والمريض الذي لا رجاء في شفائه.. ونلفت إلى أن دور الإفتاء هي التي تقوم حاليا بتحديد مقدار الفدية -ماليا- بحسب ظروف كل بلد إسلامي.

ثم ينطلق الغزالي يذكر أقوال بعض الزهاد في الصوم ليذكرنا بتصوراتهم الإيمانية لهذه الشعيرة التي فرضها الله تعالى على عباده ليرحمهم بها.. ونقتطف من بستانه ما ورد عن الحسن بن الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يتنافسون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته: أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك (١٠).

ويؤكد أهمية تعلق النوازع الداخلية للصائم بالله تعالى، مع حرصه على تحقيق أقصى ما يمكنه من درجات الكمال في الصوم من أجل التقرب إلى الله تعالى، مشيرا إلى أن العلماء الربانيين «يعنون بالصحة (أي صحة الصوم) القبول.. وبالقبول الوصول إلى المقصود. ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية.. والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم (أي الملائكة) منزهون عن الشهوات... والملائكة مقربون من الله عز وجل، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم، فإن الشبيه من القريب قريب» (١١).

وخلاصة ما نود التأكيد عليه أنه لا يكفي الحرص على تأدية صيام الجوارح فحسب، بل إن القلب لابد أن يصوم عن الحقد، والحسد، والكراهية، والبغضاء، وعن التفكير في كل ما يضر الإيمان ولا يخدمه.. ونشير إلى أنه يناط بالمسلم -خصوصا عند صومه- أن يكثر من ذكر الله تعالى بقلبه تعبيرا عن الإخلاص لله تعالى وطلبا لاطمئنان اليقين ورسوخ العقيدة، وصدق الله العظيم القائل:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

الهوامش

١- رواه الترمذي وقال حديث حسن.
٢- رواه البخاري، جـ ٢، ص٢٢٦.
٣- الغزالي، إحياء علوم الدين، طبعة دمشق، الجزء الأول، كتاب أسرار الصيام، ص٢١٠.
٤- الموضع نفسه، بتصرف يسير.
٥- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.
٦- رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه ابن خزيمة وابن حبان.
٧- ينظر: السيد سابق، فقه السنة، مكتبة دار التراث، القاهرة، المجلد الأول، ص٣١٢، بتصرف يسير.
٨- الغزالي، المصدر نفسه، ص٢١٠.
٩- المصدر نفسه، ص٢١١.
١٠- الموضع نفسه.
١١- المصدر نفسه، ص٢١٢.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية

ضع خطة لنفسك في رمضان



جعل الله تعالى مكانا في الأرض تتضاعف فيه الأجور والحسنات بارتياده، وهو بيت الله الحرام؛ ففيه تتضاعف الحسنات والثواب فالركعة فيه بمئة ألف، فيقصده كل مسلم من شتى بقاع الأرض مهما تكلف من جهد ومشقة ومال؛ لأداء ما يرضي الله ونيل الثواب العظيم الذي يخزن له في رصيد حسانته، وكذلك جعل الله زمانا تتضاعف فيه الحسنات ويعظم به الثواب، ويزود الله تعالى فيه الإنسان بالدعم النفسي للقيام بالطاعات، ففيه تزداد الحوافز والمغريات، وتقل المثبطات والعوائق، فالشياطين التي توسوس للإنسان وتدفعه إلى الشر والابتعاد عن طاعة الله، تكبل وتصفد في هذا الموسم العظيم، شهر رمضان المبارك، فلا تعود لها تأثيرات، ونفس الإنسان تضيق مجاريها بالجوع والعطش، ما يعينها على الطاعة والعبادة.



ومن رحمة الله تعالى أن جعل هذا الموسم يتكرر في كل عام، يشهده الغني والفقير، والمستطيع والعاجز، فهو لا يحتاج إلى قدرة مادية للوصول إليه كما هي الحال للوصول إلى مكة المكرمة، بل هو وقت أتاحه الله تعالى للجميع، وما على المسلم إلا اغتنام تلك الرحمات وهذه الفرص المتاحة، فرمضان نفحة إلهية، وعطية ربانية، يستطيع المرء أن يجدد بها حياته، قال ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه. ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه).

وأغلب الناس لو علموا عن محل تجاري مشهور يعلن في وقت معين من العام عن تنزيلات حقيقية في الأسعار إلى النصف أو أقل، أفلا يزداد مرتادوه وبأعداد كبيرة لاستغلال تلك الفرصة لما بها من فائدة للشخص وعائلته؟! فكيف بشهر رمضان المبارك الذي ليس به تنزيلات، بل ارتفاعات ومضاعفات في الثواب والعطاء والمغفرة والرحمة والعتق من النيران؟! فهو أفضل الشهور وأعظمها، فهل يعقل أن تضيع تلك المكاسب بالإهمال والنوم والتكاسل؟ فشهر رمضان فرصة حقيقية للتقرب إلى الله تعالى ومضاعفة الحسنات، فيا باغي الخير أقبل.

وهو شهر الإرادة والهمة العالية، فأنت بإرادتك تركت الطعام والشراب ولم يمنعك منهما إلا خوفك من الله، فأنت قادر على التغيير إن عزمت على ذلك واستثمرت في رمضان، ولكن كيف تستثمر تلك الفرصة؟

التخطيط لشهر رمضان المبارك

إن أفضل طريق للانتفاع من موسم رمضان والاستفادة من الهمة العالية فيه، هو التخطيط والتنظيم؛ فالتخطيط هو عملية منظمة واعية لاختيار أحسن الطرق المعينة على الوصول إلى أهداف معينة، فعلى المسلم وضع الخطة للإصلاح والتغيير بالنفس والاستفادة من هذا الموسم الذي سرعان ما ينتهي إن لم يتم استغلال كل لحظة وكل ساعة وكل ليلة من لياليه، فضع لنفسك خطة تتضمن ما يلي:

- تلاوة يومية لجزء أو أكثر أو صفحات من القرآن الكريم، فخطط لنفسك أن تختم القرآن الكريم كاملا ختمة أو أكثر، مع تدبر ما تقرأ.
- صلاة قيام الليل يوميا في المسجد، بحيث يكون المسلم حريصا على أدائها مع الجماعة إن أمكنه ذلك، وإن لم تتمكن الأم من أدائها في المسجد فلا بأس، فالمهم أن تؤديها يوميا وإن كان في بيتها، فلها الثواب لتربية الأبناء والحفاظ عليهم وتأدية السنن والنوافل.
- بر الوالدين، فلابد من التخطيط لإرضاء الوالدين وإسعادهم في رمضان بشتى الطرق ففي ذلك الثواب العظيم، كمساعدتهما ودعوتهما للإفطار مع أسرتك، ومشاركتهما في صلواتك وزياراتك العائلية، والدعاء لهما.
- زيارة الأهل والأقارب؛ وضع مخططا لذلك، ولتكن نيتك صلة الرحم وتحسين العلاقات وزيادة المودة، فلها الثواب الكبير، وهي سبيل لبسط الرزق ومد الأجل والمباركة بالعمر.
- الصدقة على الفقراء والمحتاجين، والمساهمة في إفطار صائم أو توزيع سلات غذائية ما أمكنك ذلك.
- تخصيص أوقات لكل أنواع الذكر (التسبيح والتهليل.. إلخ)، فله متعة

خاصة في رمضان.

- ممارسة أنشطة رياضية، كالمشي أو السباحة، فهي تعين على هضم الطعام وتحفز على العبادة، لأنها تجدد الطاقة في الجسد.

- التخطيط للقيام بعمرة في رمضان إن أمكن، فهي تعدل حجة مع رسول الله ﷺ.

- إغاثة الملهوف أو المحتاج أو من يطلب منك مساعدة، بل هي فرصة عظيمة لك لتسجيل الثواب العظيم من رب السموات والأرض.

كيف أصلح نفسي؟

لو تأمل كل إنسان في ذاته، وقرأ سماته وطباعه، لوجد أن به صفات نفسية وشخصية وسلوكيات معينة تحتاج إلى تغيير وإصلاح ومتابعة، مع أن الكثير يتهرب من مواجهة ذاته لصعوبة تغيير النفس، ولإصرار الإنسان غالبا على عاداته وأخطائه، ولكن إن قرر المرء تغيير نفسه فسيعينه الله تعالى على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، فالتغيير يبدأ من ذاتنا، مع التوكل على الله تعالى ورجائه بالعون والثبات على الحق. ففي الإسلام دعوة مستمرة للانفتاح على الذات ومحاسبتها، بعيدا عن الاستغراق في الحياة المادية والانشغالات اليومية التي لا تنتهي. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا». ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ثمرة المحاسبة إصلاح النفس». فلحظات التأمل للذات وكشف عيوبها، تتيح للإنسان فرصة للتطوير نحو الأفضل، وإلا فسينقضي العمر من دون تعديل في السلوك، وكيف سنلقى الله تعالى بذنوب كثيرة لم نحاول حتى تغييرها؟!

مخططك لإصلاحات النفس

شهر رمضان فرصة لتجديد العهد مع الله تعالى على تغيير أخطاء الذات وإصلاحها، ومن أمثلة ما يمكن عقد العزم على تغييره في رمضان ما يلي:

● الإقلاع عن التدخين:

لابد من اتخاذ قرار حاسم مع النفس باتخاذ رمضان، والصيام فيه، فرصة للإقلاع عن عادة التدخين، فكيف للإنسان أن يبقى من دون ممارسة هذه العادة في أغلب ساعات النهار ليعود لها ليلا؟! مادام أنه قد استطاع الامتناع عنها لساعات طوال فهو قادر على الاستمرار بذلك إن حاول وطلب العون من الله تعالى بالدعاء لنفسه.

● ترك الغيبة:

كثير من الناس يستلذون الحديث عن الآخرين وقصص غيرهم، وتكون فاكهتم التي يتسامرون بها، والله تعالى حرم ذلك: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٢)، فليكن رمضان فرصة لمحاولة تهذيب النفس بالتخلص من عادة التكلم عن الآخرين، وأكل لحومهم، فلا يعقل الصيام طوال النهار عن الطعام والشراب وفي الوقت ذاته لم تصم ألسنتا وقلوبنا عن أعراض الناس وعيوبهم. ولو نظر الناس إلى عيوب أنفسهم ما عاب واحد على آخر، وهل تقبل أن تأتي يوم القيامة مفلسا لتوزيع حسناتك بين البشر الذين اغتبتهم؟!

● هجر النميمة:

وهي المشي بين الناس بالكلام الذي يؤدي إلى الإفساد وتقطيع العلاقات والأرحام، فإن كان قد انتهى إلى مسامعك كلمات سيئة عن أحد الأشخاص فامتنع عن إيصالها إلى أصحابها، بسوء نية أو حسن نية، لأنها حتما ستؤدي إلى نار الفراق والضغينة والطلاق أحيانا ومشاكل كبرى، فاتق الله وحاول نسيان ما سمعت من كلام سيئ يصدر من أحد الأشخاص بحق أخيه المسلم، فلا مكافأة لك بإيصاله إليه، قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

● ترك سماع الأغاني:

البعض قد يتعلق بمغن أو مغنية معينة، ويعشق شخصه وحركاته وسكناته وملابسه! فيتابع معه كل أغانيه، يحفظها ويرددها، وتملأ عليه عقله ووجدانه، مما يبعده عن طريق الحق والهداية، فاحرص على تنقية قلبك من تلك العوالق، وحاول أن تضع في مخططك أن تمنع نفسك عن الاستماع إلى الأغاني الماجنة والمضيعة للوقت والفؤاد، واستبدل سماع القرآن الكريم بها، والأناشيد الإسلامية والبرامج المفيدة. واعلم أن نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، وأعلم كثيرا من الفتيات والشبان كان رمضان بداية التغيير لهم في هذا الشأن.

● مقاطعة حضور المسلسلات والأفلام:

للأسف تكثر في رمضان المسلسلات والأفلام والمسابقات التافهة، بل تخصص بعض الجهات ذات الأهداف الخبيثة مسلسلات خاصة لرمضان؛ بغية إضاعة

الوقت والدين فيه. فاحرص على وضع خطة لك في رمضان بمنع نفسك هذا العام من مشاهدة أي مسلسلات وضيعة المضمون لأنه شهر فضيل، جعله الله تعالى موسما للتقرب بالعبادات والإكثار من الطاعات واستغلال كل لحظاته لأنها ثروة عظيمة.

وقد سمعت عن الكثير ممن قرروا التخلي عن حضور المسلسلات ومتابعتها في رمضان، وقد عقدوا العزم ونجحوا في ذلك بقوة إرادتهم وبتوفيق الله تعالى لهم؛ لإخلاص نياتهم، بل كان رمضان فرصة لهم لعدم العودة إليها حتى بعد الشهر الكريم.

• ترك قطيعة الرحم:

قد يكون لك بعض الأقارب حدث بينك وبينهم خلاف فقطعتهم، أو بسبب تقصير منك لا تقوم بزيارتهم إلا مرة كل عام! بل وتهتم ببعض أصدقائك أكثر منهم! فحاول أن تتخذ من رمضان نقطة إصلاح وتغيير هذه الحال بزيارة من قطعته، فإن الرحم معلقة بين السماء والأرض يصل بها الله من وصلها ويقطع من قطعها! فصلة الرحم تزيد في الرزق وتنسئ العمر فتبارك به.

• عدم تضييع الصلوات والتهاون بها:

حاول أن تعقد العزم في رمضان على الثبات على الصلوات الخمس، وعدم التهاون بها، مهما كلفك الأمر، فرمضان فرصة عظيمة لتثبيت الصلوات. وحاول تعويد أبنائك ذلك بتشجيعهم عليها في أوقاتها، وعزز ذلك لديهم باستخدام المحفزات المادية والمعنوية، فهي مهمة، خصوصا مع الأطفال من أجل تعويدهم على الصلاة. فمن تعلم الصلاة في الصغر وتعود عليها فلن يقطعها أبدا حينما يكبر، بل ستصبح جزءا مهما من حياته اليومية، لا يهدأ له بال ما لم يؤدها في وقتها وقبل كل شيء.

• ترك التسكع في الأسواق والمولات:

هناك من يقضي الكثير من وقته، وقد يكون يوميا، في التسكع في المولات، بل ومعاكسة بعض الفتيات، أو بحضور بعض الأفلام في السينما في ليالي رمضان المباركة، أو بالجلوس على المقاهي من أجل السمر بدلا من الذهاب إلى صلاة القيام أو صلة الأرحام. وترى البعض يمضي الوقت في التسوق والشراء في ليالي رمضان، حيث تحلو لهم الأسواق في تلك الليالي الفضيلة، لاسيما في العشر الأواخر من رمضان، مع أنه كان بإمكانهم شراء ما يحتاجون إليه قبل رمضان أو على الأقل ليس في لياليه الأخيرة!

ولكن بحمد الله هناك من غيروا من نمط حياتهم بالتحول من الأسواق إلى المساجد، فكانت توبة صريحة لهم من إضاعة الوقت بما يغضب الله تعالى إلى ما يرضيه، فأعانهم الله طوال العام على الطاعة والصلاح. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ (الكهف:١٠٣ و١٠٤).

• محاربة الإسراف في الطعام والشراب في رمضان:

كثير من العائلات تعودت الإسراف في الطعام والشراب وقت الإفطار أو بعده، فتملأ المائدة بأنواع شتى من الطعام والشراب، وكأنه شهر الطعام لا شهر الصيام. ومع أن كمية الطعام التي يأكلها الصائم يقل حجمها كثيرا في رمضان، فإن موائدنا تزداد حجما في رمضان وبعد الإفطار، وأنواع الحلوى تستمر حتى وقت السحور! ما يتناقض والهدف الحقيقي من الصيام، وهو التقليل والتقشف وتعويد النفس الصبر والشعور بالفقراء والمحتاجين، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فلم نسمع يوما عن مائدة كبرى أعدها لنفسه وعائلته تعددت بها أصناف الطعام وألوانه، فهذا يناقض السنة النبوية وغايات الصيام!

• هجر السباب والشتائم:

البعض اعتاد الكلام البذيء أو السباب لأقل الأسباب! ولهؤلاء نقول إن شهر رمضان فرصة عظيمة لتغيير ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم». فلديك شهر كامل للتعود والتدرب على حفظ اللسان وضبط الأعصاب من التوتر.

• مقاومة الكسل في رمضان:

رمضان شهر العبادة والعمل الصالح والتقرب إلى الله بصنوف العبادات، فهو ليس شهر النوم والكسل وقضاء الأوقات على الفراش من دون إنجاز! وقد يشعر الصائم ببعض التعب في الأيام الأولى من رمضان لتغير نظام الطعام عليه، ولكن سرعان ما يعتاد الجسم على النظام الجديد، فالطعام يأخذ من طاقة الإنسان، وقلته تعين على العمل. فعليك بالجد في العمل والدراسة وطاعة الله تعالى، فرسول الله ﷺ كان مثالا للعمل الجاد في رمضان، خصوصا في العشر الأواخر، يوقظ أهله ويعتكف في المسجد للعبادة، وهو أجود ما يكون في رمضان في العطاء وإطعام الفقراء والمحتاجين ومساعدة الملهوف. فالإسلام دين الحياة والعمل والاجتهاد في كل وقت وحين، ولنا في رسول الله نعم الأسوة، فحياته حافلة بالعمل والعطاء والجد والصبر وتحمل المشاق.

التحرير



الوعي الإسلامي يكرم وزير الإعلام الشيخ سلمان الحمود

من خلال مشاركتها في معرض الكتاب الإسلامي:

«الوعي الإسلامي» أسهمت في التنمية المعرفية

شاركت مجلة «الوعي الإسلامي»، التابعة لقطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف، في معرض الكتاب الإسلامي ٤١، الذي أقيم في صالة ٥ بأرض المعارض بمشرف في أبريل الماضي، برعاية وزير الإعلام وزير الدولة لشؤون الشباب الشيخ سلمان صباح سالم الحمود الصباح، الذي أكد أن المعرض يعكس اهتمام الكويت بالثقافة بشكل عام، والثقافة الإسلامية على وجه الخصوص، ويرسخ اهتمام الكويت بالثقافة الإسلامية بشكل خاص، لاسيما أنه تضمن العديد من العناوين المهتمة بمجالات وقضايا الطفل والمرأة والأسرة والعمل الخيري بشكل عام.

وأوضح الحمود أن المعرض ساهم، على مدار سنوات طويلة، في ترسيخ مبادئ أساسية للاهتمام بالثقافة الإسلامية المعتدلة، إلى جانب الاهتمام بالكتاب والقراء، بما أسهم في إيجاد متسع لكل الباحثين والمهتمين بهذا المجال.

وأضاف أن المشاركة الكبيرة من دول الخليج العربية ودول العالم الإسلامي في فعاليات المعرض، تؤكد النجاحات السنوية التي حققها، لافتا إلى المشاركة المميزة من قبل

دور النشر الكويتية وجمعيات النفع العام لعرض ما تقدمه الكويت من عمل إنساني يرفع وبكل جدارة اسمها كمركز للعمل الإنساني واسم صاحب السمو الأمير قائد العمل الإنساني.

من جانبه، أعرب رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي حمود الرومي، عن شكره لوزير الإعلام لرعايته المعرض في دورته الحالية، آملا أن ينتفع الجمهور، لاسيما الشباب، بما يعرض من كتب تتناول الثقافة الإسلامية على تنوعها.

وأوضح أنه على الرغم من تنوع وسهولة وسائل التحصيل المعرفي في هذا العصر، فإن الكتاب لايزال من أهمها، مشيرا إلى أن المعرض يحتوي على ٩٠ جناحا موزعة بين المكتبات والجهات الخيرية.

أما مدير المعرض عبدالمنعم الفيلكاوي فقال إن المعرض يكتسب أهمية خاصة، كونه يأتي تزامنا مع تسمية الكويت «عاصمة للثقافة الإسلامية ٢٠١٦م»، لافتا إلى مشاركة نحو ٩٢ دار نشر ومكتبة من داخل الكويت وخارجها، إلى جانب العديد من الجهات الحكومية والجمعيات الخيرية في فعاليات المعرض.

وأضاف أن جمعية الإصلاح رأت تفعيل أنشطة المعرض وزيادتها وإثراءها؛ إيمانا منها بضرورة العمل على تثقيف أفراد الأسرة من خلال توفير جميع المطبوعات، علاوة على إقامة المحاضرات الدينية والتوعوية والثقافية وتخصيص أيام لاستقبال طلبة المدارس والجامعات.

وقال إن معرض هذا العام يكتسب أهمية خاصة لإقامته تزامنا مع الاحتفال بالكويت عاصمة للثقافة الإسلامية.

الحمود: مبادئ أساسية للاهتمام بالثقافة الإسلامية المعتدلة

وذكر أن الجمعية حرصت على جذب أكبر عدد من المشاركين في المعرض انسجاما مع استراتيجيتها في إثراء المعرض بالمطبوعات المرئية والمسموعة والمقروءة وجعلها متاحة أمام الجميع.

وبين الفيلكاوي أن الجمعية تعد «أول مؤسسة كويتية تقيم معرضا متخصصا للكتاب»؛ لإيمانها بأهمية القراءة والكتاب في تقدم الشعوب ونهضة الأمم، ودورهما في تحصين أجيال الكويت من التطرف والغلو من خلال ترسيخ وسطية الإسلام من دون إفراط أو تفريط.

وأكد حرص الجمعية على توفير الكتاب المتميز ليكون في متناول الجميع، حتى يتمكنوا من الاطلاع على جميع معارف وثقافات وأوجه النشاط الإنساني بسهولة ويسر، ولتكون الكويت منارة للثقافة والعلم.

وأضاف أن تنظيم معرض الكتاب الإسلامي ينطلق من إيمان الجمعية بأهمية النشاط الدعوي الخيري الذي يسهم بشكل مباشر في نشر العلم وتسهيل أسبابه من خلال تشجيع القراءة والعمل على نشرها بين جميع فئات المجتمع.

وقال إن المعرض يهدف إلى نشر الثقافة والفكر الإسلامي، وتوفير المعلومات للطالب والباحث بأسهل الطرق، وإبراز التقنية الحديثة في نشر الفكر الإسلامي من خلال تعدد المشاركين وتنوع الكتب المعروضة التي تمثل جميع المعارف والثقافات الإسلامية لجميع الأنشطة الإنسانية.

أما سكرتير تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» سليمان خالد الرومي، فقال إن المجلة شاركت في معرض الكتاب الإسلامي هذا العام بإصدارها الإلكتروني، وهو مجلة «الوعي الشبابي» الإلكترونية الشبابية، بالإضافة إلى إصدارها المتميز للأطفال «براعم الإيمان».

وأضاف: المجلة كونها الأقدم بين المجلات الإسلامية في الكويت، ولاتزال تصدر إلى يومنا هذا، تحمل رسالة ترسيخ القيم الإسلامية، والمساهمة في تأصيل الخطاب الإسلامي وفق خطاب شرعي يجمع كلمة المسلمين.

وأوضح الرومي أن مشاركة المجلة في المعرض جاءت للإسهام في التنمية المعرفية والمعلوماتية، وتعريف الجمهور بأهم إنجازات المجلة ومشاريعها، عارضة أهم الإصدارات والبوسترات والأعداد التراثية الخاصة بها، وعرض تاريخ إصدارات المجلة خلال ٤٥ عاما، والوثائق التراثية، والمقالات القديمة، والرسومات الفنية الجميلة.

وأكد الرومي أن مشاركة المجلة في المعرض تأتي انطلاقا من دورها الاجتماعي في تعزيز الشراكة مع الإدارات والمؤسسات المجتمعية، ولزيادة انتشارها.

وأضاف: تشرّف جناح المجلة في معرض الكتاب الإسلامي بزيارة وزير الإعلام وزير الدولة لشؤون الشباب الشيخ سلمان صباح سالم الحمود الصباح، ورئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي حمود حمد الرومي، وقيامهما بجولة فيه معا، حيث أشادا بالجناح والدور الذي تقوم به مجلة «الوعي الإسلامي» في طرحها الوسطي.

مصطفى القلاوي
باحث دراسات إسلامية



«أمتنا.. الداء والدواء»

إن الأمم لا تتقدم ولا تنال رقيها، ولا تنتصر على عدوها، ولا تحظى بريادة وقيادة بالأمنيات الجوفاء؛ التي لا تؤسس على اعتقاد راسخ وعمل دؤوب يحقق لها آمالها. وكذلك لا ترفع لها الرايات وتحقق لها الغايات بالشعارات الصماء؛ التي لا تنبع من بذل ومصابرة وإصرار على فعل المرغوب وتحدي الصعاب.

فالأمة التي لا تملك من أمرها شيئًا غير المباهاة بالماضي، والتفاخر بالأسلاف، وتتفنن في الهروب من حاضرها فضلا عن مواكبته، لا تستحق أن تزاحم الواقع، ولا أن تراهن على مستقبل.

والأمة التي تنسج على غزل غيرها، معتمدة على الآخرين في كل شيء -في مأكل تقيم به صلبها؛ وكساء تستر به عورتها؛ ودواء تعيد به قواها؛ وسلاح تدفع به خصمها ومغتصبها- أمة لا تهاب ولا يعد لها حساب. بيد أن الغير لن يمدها إلا بالمأكل الهادم للبنيان، والكساء الفاضح للعورات، والدواء المثبط والمضعف لجهازها المناعي، والسلاح الذي يملك هو تصويبه، ويتقن الخلل الموجود بداخله، وكيفية صده ومواجهته.

فأي أمة تعيش عالة على غيرها بهذا اللون، أو تتحرك على خطى يرسمها لها الآخرون بتلك الكيفية؛ هل يسمع لكلمتها، أو تجاب دعوتها، أو توضع في الحسبان عند الإقدام على فعل شيء ما؛ فضلا عن نيل الاحترام بين الآخرين؟!

أظن أنها ستعيش ما بقي من عمرها تابعة لا متبوعة، ومساقة لا قائدة، ليس عليها إلا تنفيذ ما تؤمر به، والذب عن حياض الغير، المتصرف في أمرها، الموجه لبوصلتها؛ وإلا لانقطع عن جسدها شريان الحياة حتى تموت كمدا أو تعيش ذليلة؛ وهو المراد، ويحاك لها في خفاء، وهذا ما وصل إليه حال أمتنا الآن.

وفي هذه الحال لا يضر خصمها أن تدعي البطولات الزائفة، أو أن تردد الشعارات الجوفاء التي لا تثمن ولا

تغني من جوع، طالما أنها لا تحرك ساكنا أو تسكن متحركا، فدورها محدود، ووجودها معدوم.
إن الله قد وضع سننا وقوانين لا تحابي أحدا ولا تجامل مدعيا، والمؤمن الفاهم عن الله ورسوله يوقن هذا جيدا ويؤمن به إيمانا راسخا، ومن ثم يعمل ليل نهار على اتباع السنن الكونية ما أمكنه ذلك، والأخذ بكل أسباب النصر والبقاء؛ وهو متعلق بربه راجيا البصيرة والسداد، وهذا هو المنقذ من حالة التبعية هذه، والأمة بما أوتيت من مقومات معنوية -منهج إلهي معصوم- وثروات بشرية ومادية عبر مئات السنين، قادرة على تحقيق هذا وأكثر، ولكنها تتكاسل مرة؛ وتتغافل مرات، يتمثل فيها قول المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

وأوضح مثال على هذا الذي سبق؛ أصحاب ذي القرنين القابعون بين السدين، الخائفون من إفساد يأجوج ومأجوج، فإنهم لم يأمنوا مكر هؤلاء، ولم يتخلصوا من هجماتهم الوحشية الجالبة للذل والمعرة، والآكلة للأخضر واليابس، إلا بالعمل الدؤوب، وإنفاق النفس والنفائس، واستخدام كل الإمكانات المتاحة. ومن ثم، بين لهم ذو القرنين أنكم لن تنتصروا وتنهضوا إلا بعملكم وبجهدكم أنتم لا بغيركم قائلا ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ (الكهف:٩٥-٩٧).
وهناك ملامح عدة في قصة هؤلاء القوم، لزم تسليط الضوء عليها وإبرازها للجميع؛ هي أن هذه الفئة -القابعين بين السدود- كثيرا ما تنفسوا الصعداء لسنين عدة، فلم يغير فيهم هذا الواقع المرير شيئا يذكر، كأنهم أصبحوا راضين عن حالتهم هذه، حتى تأقلموا عليها وتكيفوها لفترات عدة، غير أنهم باتوا راجين أن يأتيهم المخلّص الذي ينتشلهم من بؤرة الضعف والعجز، وينقلهم إلى مقام القوة والأمن، حتى إذا جاءهم ذو القرنين ورأوه فاتحا فتيا، وتوسموا فيه القدرة على إنقاذهم، استنصروه لتخليصهم من مواجهة ظلم وبطش يأجوج ومأجوج، مقرين بعدم اقتدارهم على التصدي لهم، وفي مقابل هذا تنذل لذي القرنين كل العطايا، وتجمع له كرائم الأموال. لكن الرجل لم يلتفت إلى أموالهم، ولم يكن طامعا فيما عندهم، ولا متشوفا لما عرضوه عليه، وكان رده البليغ عليهم بعفة وقناعة ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ (الكهف:٩٥) مما عندكم من أموال تجمعونها لي. ويدل هذا على عفة القائد، وصيانة نفسه عما في أيدي الآخرين، وعدم تطلعه إلى ما عند الغير. وهو بهذا يضرب لهم أروع الأمثلة العملية التي تؤتي ثمارها في أسرع وقت، وتحفزهم على إنفاق الغالي والنفيس، والتضحية الحية بكل ما تملك النفس وتشتهي.
وكلما كان القائد عفيف النفس، نظيف اليد، مليء العين، راضيا بما أوتي، قانعا بما وهبه الله له، كانت رعيته أعف وأقنع وأكثر عطاء. وهذا ما وقع من ذي القرنين مع هؤلاء القوم، حيث لمسوا عفته عما في أيديهم، فسارعوا إلى البذل والعطاء دون أن يطلب منهم شيء ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ (الكهف:٩٤)، لكنه بادرهم بالتعفف والكرم.
وأما إذا ما كان القائد أو الحاكم شره النفس، ملوث اليد، فارغ العين، ساخطا على ما عنده، طامعا فيما عند غيره؛ فماذا ينتظر بعد من رعيته؟! أن تجود بما بخل هو به، أم أن تعطي ما مسكت يده، أم أن تجوع مما تخم منه؟! فالقائد المعطي يبني شعوبا مضحية، وينشئ أجيالا تجود بما تملك، وتعطي عند الحاجة، وتكافح عند الشدائد.
وهناك ملحظ آخر في جواب ذي القرنين على هؤلاء، هو عندما نسب الفضل والعطاء والقدرة التي عنده، إلى الوهاب المتفضل، جلت قدرته، من باب الإقرار لله بعطاءاته وربوبيته، وبذلك يحمي نفسه من حظها وشررها، ويعلق الآخرين بربهم، حيث قال ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾، فنسب ما هو فيه من تمكين وقدرة على فعل الأشياء إلى الله عزوجل، ولم يدع لنفسه المقدرة على فعل أي شيء، أو حتى استجلاب الخيرات ورد المضرات.
والقائد القوي المخلص، إن كان ينطلق من عقيدة سليمة وإيمان راسخ، يستطيع أن ينشئ أمة مؤمنة، وأن يوزع الصلاح على الجميع، وأن يصبغ المجتمع بصبغة العبودية، فالناس على دين ملوكهم وأمرائهم.
وتدل جملة ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أن الأمة لا تنهض بفرد بعينه، ولو كان قائدا حكيما، ولا تحقق رخاء وتنمية بجهد واحد من أبنائها، ولو كان معطاء كريما، بل لابد من تعاضد الجميع وتكافل الكل. فلا يتوقع القائد من أمته عطاء وتقدما ورفعة قبل أن يكون أول المشاركين وأكثر الباذلين، ولا تنتظر الأمة منقذا ينافح عنها ولا فارسا يدافع عن حقوقها ويضمن لها مستقبلا كريما وهي نائمة، لا تؤدي دورها ولا تخطط لرفعتها وتلقي بالتبعة على الغير.
فلابد إذن من تفهم الأدوار، وقيام كل فريق في موقعه بجد وإخلاص، حتى تستعيد الأمة مكانتها، وتحقق الدور المنوط بها والملقى على عاتقها. وهذا ما يسعى إليه المصلحون في كل مكان، ويتمناه المخلصون في كل زمان، لإحياء الأمة بعد مواتها وتحريكها بعد ثبوتها.
فهل ستعي أمتنا، خصوصا القائمين على أمرها، هذا الواجب المطلوب منها جيدا لتحسن القيام به؟ أرجو ذلك.

إسلام لطفي
تصوير - رمضان إبراهيم
دار الإعلام العربية- القاهرة



العميد السابق لمعهد الدراسات التربوية..

د. سامي نصار: التعليم العربي .. لا يلائم العصر

للدكتور سامي محمد نصار، العميد السابق لمعهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة، رأي واضح وجريء فهو يرى أن التعليم العربي يعاني عديدا من الإشكاليات وأهدافه لم تعد تتلاءم مع طبيعة العصر. مشيرًا في حواره مع «الوعي الإسلامي» إلى ضرورة اعتبار التعليم مشروعا قوميا، وكذا ضرورة التوسع في إدخال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، مؤكدا أن الإجراء الذي يمكن أن يطور التعليم هو أن لا يصطدم النظام التعليمي بالنظام السياسي، وألا يكون هناك ارتباط بينهما.

• سبق أن توليت إدارة معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة.. من واقع ذلك، كيف تنظر إلى حال التعليم المصري والعربي؟

– التعليم العربي والمصري في مجموعه قاصر، وفيه عديد من الإشكاليات، بعضها تاريخية تتمثل في بنية الفكر العربي، حيث تشتمل أهدافا وفلسفة محددة للتعليم لم تعد تتلاءم مع طبيعة العصر، إذ التعليم لدينا قائم على التلقين من أجل الحصول على شهادة وليس إحداث تغيير في الاتجاهات والمهارات، أيضا قائم على إيجاد نوع من الجفوة بينه والثقافات الأخرى، فتعاملنا مع الآخر في التعليم العربي إما نتعالى عليه وإما نشعر بحالة توجس وتخوف منه، وبالتالي فالظواهر التي نراها في المجتمعات العربية من حروب ونزاعات تعود إلى هذه العقلية التي تسللت إلى مناهج التعليم بشكل أو بآخر، ونجد أيضا أن الناس أنفسهم يرون أن التعليم عبارة عن تمثيلية، فبينما تؤكد الحكومات أنها تعلم الناس نلاحظ أن الموازنة لا تكفي، وغالبية المدارس غير صالحة للدراسة فيها، والمدرسين لا يعلمون الطلاب كما ينبغي؛ ومن ثم فإن الطالب يذهب إلى المدرسة دون أن تزيد معرفته ولا يكتسب مهارات حقيقية، وبالتالي لا يستطيع أن يمارس العمل بعد التخرج.

• وهل يمكن لهذا التعليم أن يخرج أجيالا قادرة على الإبداع والمنافسة؟

– بالتأكيد لا. فمثلا عن حالة مصر نحن في المركز قبل الأخير ضمن التنافس العالمي في التعليم، والمشكلة تكمن في تساؤل: ماذا يتبقى في عقل ووجدان وسلوك الطالب بعدما يتعلم في النظام القائم حاليا، وليس ما يحصل عليه من نتائج ودرجات في الامتحانات؟!

• في ضوء حالة تدني المستوى التي يعاني منها التعليم العربي.. ما السبيل إلى تغيير هذا الواقع؟

– أولا يجب أن يكون التعليم بمثابة المشروع القومي للدول العربية قاطبة ويكون في الواجهة وأول شيء يهتم به، ويجب أن نعترف أننا نعيش عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال التي لو دخلت تعليمنا بفاعلية ستغيره رأسا على عقب، ولابد أن نزرع في عقول أبنائنا التفكير العقلاني وليس الخرافي، وأنه في كل مشكلة يوجد حل قائم على العقل، وليس الحفظ. وإصلاح التعليم يكمن في أنه لابد أن نعترف بشيء أساسي نقيم عليه برامجنا التعليمية كلها، وهو الاتفاقيات التعليمية، فبعد الانتهاء من التعليم ماذا سيأوي الطالب؟ فالمدرس مثلا يجب أن يتم اختباره قبل أن يعمل، وإن لم ينجح في الاختبار فيجب ألا يسمح له بالعمل، أيضا يجب توفير الإمكانات المادية والبشرية، فلو تعلم الطالب بطريقة سليمة داخل المدرسة لن يبحث عن الدروس الخصوصية، لكن التلاميذ أحيانا لا يجدون مكانا يجلسون فيه داخل المدرسة.

• لك العديد من الأبحاث العلمية والدراسات التربوية.. ما الأبرز منها في الارتقاء بالعملية التعليمية؟

– لا يمكن لبحث أن يرتقي بالعملية التعليمية منفردا، فتطوير التعليم بصفة عامة يحتاج إلى مجهود جماعي، فلا يكون جيدا بمجرد قرار أو عن طريق بحث أيا كانت جودته، فما يخسره التعليم خلال عام يحتاج عشرة أعوام لعلاج الأمر، وأهم كيان في التعليم هو العنصر البشري؛ فإذا جمعنا كل الطلاب في كليات التربية فكم طالبا منهم سنجده التحق بالكلية برغبته حتى يكون مدرسا؟ الغالبية يكون وفقا لمجموع درجاته؛ لذلك يمارس المهنة كوظيفة فقط.

ونجد أن المسألة فيها جوانب كثيرة ولابد أن تحل تدريجيا وفق رؤية شاملة نلتزم بها، والإجراء الذي يمكن أن يطور التعليم هو أن لا يصطدم النظام التعليمي بالنظام السياسي، وألا يكون هناك ارتباط بينهما، فالدولة هي المسؤولة بحكم القانون والدستور عن التعليم إدارة وتمويلا وإشرافا، ويجب ألا يتم تشويه شخصية الطالب وإفقاده الثقة بالنظام التعليمي، كما يحدث في مادة التاريخ، إذ يتم تعظيم البعض حسب المرحلة التي نعيشها، فيجب أن يكون هناك منهج قومي ثابت لا يتغير ومجلس أعلى قومي مسؤول عن التعليم وسياسة تعليمية ثابتة لا تتغير بتغير الوزراء، مثل الدول المتقدمة، لكنّ لدينا مجلس أعلى للتعليم قبل الجامعي وآخر للجامعات ونجد أن وزير التربية والتعليم هو من يشكل المجلس كما يريد، ويتغير بتغير الوزير، وفي مصر يلاحظ أن الدستور يحدد ٤٪ من ناتج المال القومي للتعليم لكن المجلس من يتابعها وليس الوزير.

• هل فات أوان إصلاح العملية التعليمية أم يمكن البداية إن وجدت الإرادة مع النشء؟

– غير صحيح.. لم يفت الأوان، ولا توجد دولة راضية عن نظامها التعليمي أيا كان وضعها في العالم أجمع، المهم أن نمتلك الإرادة الحقيقية للإصلاح المنشود.

• من وجهة نظرك، ما سلبية تعددية أنماط التعليم في العالم العربي؟

– أنماط التعليم مختلفة، تتمثل في التعليم الفني والعام والزراعي والصناعي، وذلك النوع مطلوب، وكذلك الجامعي وآخر عن بعد، والتعليم المفتوح والإلكتروني

والتقليدي، وهناك أيضا التعليم الأجنبي والدولي الذي يؤثر سلبا على الهوية الثقافية للمجتمع، ولا يوجد دولة تتخلى عن مسؤوليتها تجاه تعليم أبنائها وتعليمهم الانتماء والمواطنة، بينما هذا النوع من التعليم الوافد يفرق المجتمع ويقسمه طبقات، فالأغنياء من يذهبون إلى التعليم الدولي والأقل ثراء يذهبون إلى التعليم القومي بلغات أجنبية والبسطاء يلتحقون بالمدارس الحكومية، وهناك من هم دون ذلك لا يرسلون أبناءهم إلى المدارس أصلا.

● كيف أثر التعليم الأجنبي في بلادنا على هوية الطالب العربي؟

– نحن نتعامل مع إنسان وليس خلية نباتية عندما تروى تخرج لنا بالضرورة أشياء بعينها، فالتأثير يكون على المدى البعيد، وعندما نجد أعدادا كبيرة من الطلاب يتعرضون لأعوام طويلة لنوعية معينة من التعليم فبالتأكيد الهوية تتشكل حسب نوع الثقافة والتعليم الذي لا يتشكل في وقت واحد، ويجب وقفه في الوقت الحالي للحد من تلك الأزمة التي نعيشها ونعاني منها.

● هل يؤخذ بآراء التربويين في مشروعات تطوير التعليم؟

– بالتأكيد، فهم من يعدلون المناهج التعليمية في وقتنا الحالي ويتم التعاون معهم.

● إلى أي مدى هناك تنسيق أو تعاون بين مسؤولي التعليم العربي والأكاديميين منهم خاصة؟

– مسؤولو التعليم العربي أجمعهم أكاديميون من كليات التربية، ولا أستطيع الحكم على كيفية التعاون لأنها تختلف من بلد لآخر.

● نشهد العديد من المؤتمرات والتوصيات دون الوصول إلى نتائج على أرض الواقع.. كيف يمكن التغيير من ذلك فيما يخص التعليم؟

– ذلك يعود إلى الإرادة السياسية؛ فإذا أرادت التنفيذ ستتم النتائج على أرض الواقع، لكن إذا لم توجد الإرادة فلن يتم شيء.

أهداف وفلسفة التعليم لم تعد تتلاءم مع العصر.. ولا بديل عن التكنولوجيا

● طالبت من قبل بوضع مشروع تربوي متكامل لتطوير التعليم.. ما الذي يجب أن يحتويه هذا المشروع؟

– كما قلت من قبل، يجب وضع التعليم كمشروع قومي متقدم للبلاد، وأن يحقق التفكير العقلاني الذي يحقق الانتماء الوطني ويعتمد على تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وكذلك يجب أن يوجد مجلس قومي لتطوير التعليم ووضع رؤية واستراتيجيات التعليم ويراقب تنفيذها.

● لا تنفصل التربية عن التعليم.. كيف نعالج حالة الانحدار في الأخلاق التي وصلنا إليها؟

– التربية مفهوم شامل فيه كل أشكال التعليم التي تقدم للطالب طوال حياته، والأخلاق شيء آخر، فالتربية والتعليم ليسا خاصين بالأخلاق فقط، لكنهما شيء واحد. فالأخلاق لا تحتاج إلى مؤسسة حتى تعلمنا إياها، بل تكون وفق التنشئة الاجتماعية في المنزل والمدرسة والجامعة والمسجد ووسائل الإعلام، فمصادرها مختلفة حتى يستقي منها الفرد قيمه وأخلاقه، لأن المدرسة لها نظام تسير عليه مستمد من العوامل الأخرى، فمثلا أول شيء يتعلمه الطفل هو احترام المواعيد، وأن يوجد نظام في المجتمع مثل تنظيم مدرسته بوجود مدير ومدرس وناظر.

● ما أهمية الأنشطة والرياضة بالنسبة إلى الأطفال وطلاب المدارس؟

– التربية عملية شاملة معرفية ووجدانية، فالأنشطة الفنية والرياضية تكمل ذلك الدور وتهذب جسده وتكسبه لياقة بدنية، والعادات الصحية السليمة تكون في ممارسة الرياضة والغذاء السليم، وكذلك التربية الفنية تهذب ذوق الطلاب، لكن ليس لدينا ذلك الأمر، بل نجد أن كثيرا ممن يحبون الفنون ليس لديهم هذا الحس أصلا.

● هل ترى أن اللجوء إلى التكنولوجيا الحديثة سيحل كثيرا من مشكلات التعليم؟

– بالتأكيد ستحل مشكلة التعليم، فنجد أن لدينا فصولا فيها ١٢٠ طالبا، فهناك ما يسمى الفصول المقلوبة، فإذا قسم الفصل إلى ثلاث مجموعات أو أربع، حيث كل مجموعة تحضر المدرسة يومين فقط في الأسبوع وباقي الأيام يدرسون على أجهزة الآلي أو «التاب» أون لاين، ذلك يكون له الدور الأكبر في حل المشكلة وكذلك في الجامعة التي تحتوي على آلاف الطلاب، فالتعليم الإلكتروني أفضل وأكثر تفاعلية من التعليم العادي.

● هل سوء حال العملية التعليمية المسؤول الأول عن البطالة؟

– البطالة ليست ناتجة عن طبيعة التعليم، ولكن الأزمة تكمن في أنه ليست هناك تنمية اقتصادية ولا توجد فرص عمل ولا مشروعات تخلق فرص عمل جديدة؛ فمن يتخرج من النظام التعليمي لا يجد له سبيلا للعمل، فليس للتعليم دخل في ذلك الأمر.

التحرير

شغل منصب وكيل الأوقاف سابقا فنهض بالوزارة وكان قدوة لغيره:

خالد الزير في ذمة الله



فقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت وكيلها الأسبق خالد عبدالله راشد الزير، الذي كان رمزا من رموز العمل الإسلامي الكويتي، وسباقا في تبرعاته وأوقافه ومساعدته للفقراء والمحتاجين داخل الكويت وخارجها.



كان للفقيد دور كبير وإسهامات عديدة في دعم المشاريع الإسلامية داخل الكويت وخارجها، وساهم في استقلال أمانة الوقف عن وزارة الأوقاف.

وعندما كان وكيلا للوزارة أدار كافة قطاعاتها باقتدار إداري وحكمة، كان فيها صديقا للجميع ومتسع الصدر للصغير والكبير، وكان يرأس مصرف المساجد من عام ٢٠١٢م حتى بداية هذا العام، حيث كان المصرف يهتم برعاية المساجد الموقوف عليها من عمارة وصيانة وبناء وتوفير المستلزمات الداخلية للمسجد ورعاية الأشخاص الموقوف عليهم بالمساجد المبينة بالحجج الوقفية وهم الأئمة والمؤذنون.

وعرف الزير بتواضعه الكبير مع الناس عموما والعاملين معه خصوصا، فقد كان مستمعا جيدا، وساعد الكثيرين ممن كانوا يشتكون إليه، من دون أن يشعرهم بحاجز المكانة والمنصب.

واتصف بتميّزه الإداري، حيث تطورت الوزارة في هياكلها وعملها خصوصا في قطاع المساجد الذي ساهم في ريادته وتوسعه وكذلك تطويره للوقف إلى أن أصبح مستقلا عن الوزارة.

وعرف بمساهماته الخيرية هو وعائلته، وقد كان يحرص على ألا يطلع أحد على تلك الجهود في بناء المساجد والأعمال التطوعية والخيرية الكثيرة إلا المقربون منه.



«الوعي الإسلامي» آلمها المصاب الجلل داعين العلي القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، وأن يجعل ما قدّم في ميزان حسناته، وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.

نوال مهني
كاتبة وناقدة



حرية إبداع أم فوضى؟!

يتفق الناس عادة على المبادئ العامة، لكنهم يختلفون على التفاصيل المتعلقة بهذه المبادئ، ونضرب مثالا على ذلك بما كان يفعله فيلسوف اليونان الكبير سقراط وهو يحاور الناس في الأسواق، فكان يبادرهم بالسؤال عن أحد هذه المبادئ، مثلا: هل تحب العدل؟ فيكون الجواب بالإيجاب. هنا تتتابع أسئلة سقراط التهكمية: ما العدل من وجهة نظرك؟ وكيف يمكن تطبيقه؟ إلى آخره، فتختلف الإجابات. وهكذا يتفق الناس في المبادئ العامة ويختلفون في الفروع. ذلك لأن هذه المبادئ، أو القيم العليا كما نسميها، قيم معنوية أو معيارية، وليست أشياء مادية ملموسة يمكن إخضاعها لمقاييس محددة. فكلنا بالتأكيد نتفق في حب العدل والصدق والحق والخير والجمال والسعادة والحرية... إلى آخره، ولكننا بالتأكيد سوف نختلف في فهمنا لهذه القيم وكيفية تطبيقها.

مثلا الحرية بصفة عامة قيمة عليا ضرورية؛ لكي يحيا الإنسان كريما عزيزا، وحرية الإبداع، بصفة خاصة، ضرورة للمبدع؛ حتى لا يقيد خياله أو تكبل أفكاره، وهذا بالتأكيد يحد من إبداعه.

نحن متفقون إذن على أن حرية الإبداع ضرورة، ولكن ما مدى استخدام هذه الحرية؟ وهل هي مطلقة أم مقيدة؟ وهل هي مسؤولة أم غير ذلك؟ ثم ما العمل مع من يسيء استخدام هذه الحرية؟



في اعتقادي أن الحرية دائما مقيدة، فلا توجد حرية مطلقة حتى في الغابات، ولم تكن الحرية مطلقة في أي مجتمع قديم أو حديث. والذي يريد أن يكون حرا مطلقا، فعليه أن يعيش منفردا في عالم خاص به، وليس داخل مجتمع له قيمه وأعرافه وعقائده. والحرية أيضا مسؤولة، ذلك لأن الفرد داخل المجتمع له حقوق وعليه واجبات، وحريته تنتهي عند حدود حريات الآخرين الذين لهم حقوقه نفسها ولا يحق له أن يجور عليها.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: إذا كانت الحرية مطلقة وغير مسؤولة فما الداعي لسن القوانين؟ وما جدوى وجود التشريعات؟ وعلى من تطبق؟

وحينما يتعلق الأمر بحرية الإبداع. فإن المفترض في المبدع أن يكون صاحب رسالة وصاحب قضية، وأن يكون قدوة لأبناء مجتمعه، ذلك لأن الكاتب والشاعر والأديب بصفة عامة، وهبه الله القدرة على التعبير والابتكار، وبفضل هذه الموهبة الإلهية وضعه المجتمع في مقام رفيع ومنزلة سامية. ولا يخفى تأثير الكاتب والمبدع على المتلقي، خصوصا الناشئة، فهو يشكل جزءا كبيرا من وجدانهم، وبالتالي يوجه سلوكهم، فإما أن يسمو بهم، وإما أن يقودهم إلى الهاوية. إذن ينبغي أن يكون صاحب القلم ملتزما أخلاقيا تجاه مجتمعه وتجاه قرائه.

الحرية إذن مسؤولة، وبالتالي فالمبدع مسؤول عن ممارسة حريته؛ لأن ما يكتبه المبدعون هو انعكاس لنفوسهم من الداخل، ويعبر عن محتواهم الثقافي والفكري والديني ونظرتهم إلى الحياة بما تمليه عليهم ميولهم ورغباتهم وتوجهاتهم، باختصار نتاج الأديب هو نفسه وشخصيته، لذلك يتجه علماء النفس إلى تحليل شخصيات المبدعين الراحلين وتحديد سماتها من خلال تحليل كتاباتهم، على اعتبار أنها تمثلهم، فالإنسان السوي لا يقول إلا ما يعتقد إذا كان صادقا مع نفسه (والإناء ينضح بما فيه).

وإذا كان يحق للمبدع أن يتمرد على واقع ظالم أو مظلم، وأن يشيّد عوالم جديدة من صنع خياله، وأن يرتاد مناطق مجهولة فيكشف عنها، وأن يصوغ أحلاما وآمالا مستقبلية يتنبأ بها ويشير إليها، وأن يسبح أحيانا ضد التيار، فهذا حقه ولكن.. هناك ثوابت يجب عدم المساس بها، ولا تخضع لخيال المبدع. فليس من حقه أن يدس السم في العسل كي يسقيه للمتلقي بدعوى حرية الإبداع.

وهناك حقيقة أخرى يجب أن نعيها جيدا، وهي أن المبدع، أيا كان، هو فرد من أفراد المجتمع، ليس نبيا ولا ملاكا وليس معصوما من الخطأ.

فقد يكون من بين المبدعين بعض ضعاف النفوس، أو رقيقي الإيمان أو غير الأسوياء والمنحرفين ومن لهم شطحاتهم ونزواتهم الخاصة، أضف إلى ذلك الأدعياء والمتسلقين.

فهناك من تجد بداخله جنة وارفة الظلال ممتلئة بالأزاهير والرياحين، وآخر بداخله غابة موحشة ممتلئة بالأشواك، تسكنها الأفاعي والحشرات.

هذا الصنف الأخير من قال فيهم شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وأديب قوم تستحق بنانهُ
قطع الأنامل أو لظى الإحراقِ
في كفه قلمٌ يمج لعابه
سما وينفثه على الأوراقِ
عريت عن الحق المطهر نفسه
فحياته ثقلٌ على الأعناقِ

إن مثل هؤلاء الذين خانوا رسالة القلم الذي أقسم الله به، قد خربت ضمائرهم، وفسدت نفوسهم، فاستهانوا بالقيم، وعاثوا فسادا في حياتنا الأدبية والثقافية، غير مبالين بما يحدثونه من دمار في صرح ثقافتنا ونفوس أبنائنا، متعللين بحرية الإبداع، لا يجب التهاون معهم، بل يجب التصدي لهم، فمن آمن العقاب أساء الأدب، حتى يعودوا إلى الثواب أو يلفظهم المجتمع في زاوية النسيان، بعد أن اختاروا بأنفسهم هذا التردي وذاك السقوط؛ ومن لا يتقي الشتمَ يشتم.

فارق كبيرَ إذن بين الإبداع والعبث، وبين الخيال المبدع والخيال المريض، وبين الحرية والفوضى.



د. مجدي محسن
إمام وخطيب بوزارة
الأوقاف الكويتية

صور من الحضارة الإسلامية

غسل اليدين.. شعيرة دينية وضرورة صحية

كثيرا ما تلتقي شعائر الإسلام مع العلم الحديث والاكتشافات العلمية ويأتي العلم الحديث والبحث العلمي الجاد ليؤكد على حقائق جاء بها الإسلام ويلتقيان معا ولم يحدث أن تعارضت حقائق العلم الحديث مع حقائق الإسلام.

ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن الإسلام هو دين الله تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ لهداية البشرية.. وما زال يؤيده بالأدلة والبراهين العلمية.

هذا الكلام الضخم الكبير العظيم، ينبعث من خلال الكلام عن شعيرة بسيطة سبق الإسلام الدنيا كلها وأكد العلم الحديث على ضرورتها، تلك الشعيرة هي غسل اليدين.

من قديم وقد ترسخ في تربيتنا غسل اليدين قبل الأكل وبعده، وفقه الطهارة في الإسلام رسخ وأكد على غسل اليدين من خلال فقه العبادات، والموضوع قد يبدو بسيطا وساذجا غير أنه من الخطورة والأهمية بمكان.

وقفة للتأمل

كنت أراجع الطبيب في إحدى المستشفيات وبينما كنت جالسا أطالع الإعلانات الخاصة بوزارة الصحة، لفت انتباهي ووقع نظري على لافتة تدعو لانعقاد مؤتمر اليوم العالمي لغسل اليدين.. وليس مؤتمرا علميا لمرض عضال.. أو اكتشاف علمي جديد حول علاج أحد الأمراض في عالم الطب..

وأثار ذلك إعجابي واهتمامي، وتساءلت هل فعلا غسل اليدين أمر يستحق الاهتمام به لهذه الدرجة التي تصل لعقد مؤتمرات عالمية على مستوى وزارات الصحة والكوادر الطبية المتخصصة؟!

مهام اليدين

إن اليدين من أكثر أعضاء الجسد عملا.. فهي من أدوات كسب الرزق، وسبب من أسباب السعي لكسب الرزق، وهي كذلك تقوم على خدمة الجسد بالطعام والشراب، والتعاهد بالتنظيف، والتطهير ، والتجميل.. لذلك هي من أكثر الأعضاء تعرضا للميكروبات والبكتيريا والأدران، فكان لابد من تعاهدها بالنظافة والتطهير حتى لا تكون مرتعا خصبا للميكروبات والجراثيم فتتسبب في نقل العدوى.

لقد اهتم الإسلام بطهارة اليد وتعاهدها بالتنظيف، فجعلها أحد أركان الوضوء نصا، فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى

ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (المائدة:٦).

وهو أيضا أحد أركان الغسل، فالواجب في الغسل: غسل جميع البدن ومنه اليدين، ولم يرد أن النبي ﷺ ترك غسل اليدين في الوضوء.

وقد أمر النبي ﷺ بغسل اليدين قبل إدخالها في الإناء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في إناء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدري أين باتت يده» (رواه الجماعة).

وعن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاستوكف ثلاثا»؛ أي: غسل كفيه ثلاثا. (رواه أحمد والنسائي).

بل أمر النبي ﷺ بتخليل الأصابع فقال: «إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك» (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما). يعني إمرار الماء بين الأصابع مع الدلك.

وأطراف اليدين جملها الله تعالى بالأظافر وأمر برعايتها وتعاهدها، ولخطورة ترك الأظافر حتى تطول وتكون مكانا آمنا للجراثيم، أمر النبي ﷺ بتقليمها وعدها من سنن الفطرة فقال: «خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر».

رواه الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي رواية أخرى لسنن الفطرة ورد فيها «غسل البراجم» أي مفاصل الأصابع، وقيل غير ذلك.

وفي نظافة اليدين عند التعامل مع الطعام نبه النبي ﷺ على ضرورة غسل اليدين قبل الطعام وبعده... فقال: «بركة الطعام الوضوء قبله وبعده».

والمراد بالوضوء هنا هو: غسل اليدين، والبركة التي تحصل بسبب اتباع سنة النبي ﷺ واتباع سبل الوقاية من الجراثيم بتعاهد اليدين بالغسل وبسبب التزام هذا المنهج الوقائي.

وحذر النبي ﷺ من ترك غسل اليدين بعد الطعام فقال ﷺ: «من نام وفي يديه غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه».

غمر: بقايا الطعام، ورائحته، وزهومته.

وقد أثبت العلم الحديث: أن البقايا المتروكة من الطعام ورائحته وآثاره قد تتحلل وتتحول وتمتص ويؤدي ذلك إلى حدوث البرص، وهو مرض تغير الجلد نسأل الله العافية.

ولقد كان النبي ﷺ ينهى عن الاستنجاء باليمين.. فقد تركها لكل ما هو طيب من الطعام والشراب والمصافحة والتطيب والتعطر.

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: ما مسست بيميني شيئا مما يستحيا منه بعد إذ بايعت رسول الله ﷺ.

وهذا من سياسة الإسلام العامة في النظافة، وسبل الوقاية الصحية.

لقد اهتم الإسلام بنظافة اليدين الظاهرة والباطنة، واهتم بها اهتماما كبيرا، وحافظ على اليد من التعدي عليها، وبالغ في تقدير ديتها حتى يحفظها.. ولكنها إذا هانت وسقطت في الرذيلة فلا قيمة لها عند الله؛ فاليد إذا تعدي عليها بقطع كان ديتها خمسمائة دينار ذهبا، أما إذا سرقت فتقطع في ربع دينار، وقد قيل:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

بل المصحف بالريق

أليس ذلك من الإعجاز الطبي للإسلام، حينما يلح إلحاحا شديدا في مواضع مختلفة على غسل اليدين وتقليم الأظافر وغسل البراجم -مفاصل الأصابع- في كل وقت وأكد على ذلك في الوضوء والغسل وقبل الطعام وبعده؟

غسل اليدين ضرورة يجب أن نحرص عليها ولا نهملها، قبل الأكل وبعده، وبعد العمل وبعد العودة للبيت، وبعد قضاء الحاجة، لاسيما من يعملون في صناعة وإعداد الطعام داخل البيت أو المطاعم.

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون من النبي ﷺ أمورا علمية بتسليم شديد، ولم يصل إليها العلم الحديث إلا بعد قرون طويلة من إخبار النبي ﷺ.. وكانوا يصدقون تصديقا جازما لاريب فيه.

ولم يعرف العلم الحديث هذه التطورات ويطلع عليها إلا بعد ما وصل إلى التصوير بالأشعة، والتصوير التلفزيوني المسمى بالسونار.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٥٣).

لابد أن ترسخ هذه الآداب والمفاهيم عبر أجهزة الإعلام وعبر التربية في البيت وفي المدرسة، إن الارتقاء بسلوكات الإنسان لا يأتي دون جهد أو بين عشية وضحاها بل لابد من تضافر الجهود وتعاون سائر المؤسسات لتعليم الإنسان ألف باء النظافة والصحة العامة.

أ. د. حاتم باي
جامعة الأمير عبدالقادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة

التحقيق في دعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل

(مظاهرها، وأسبابها، وعلاجها) (٢-٢)

ذكرنا في الجزء الأول من هذا الموضوع ما يتوهمه بعض الناشئة والمتفيهقة من خلو المذهب المالكي من الدليل أو معارضته له، وبيّنا زيف ذلك الادعاء وتهافته، ومتابعة للسياق نقول: إن بعض الأصول التي يقول بها المالكيون، لها شروط يلزم تحققها لتقوم الحجة بها، فإن افتقد شرط منها، نزل الأصل منزلة العدم؛ لذلك لا يلزم المالكية القول ببعض أصولهم، إن لم تتكامل فيها شرائطهم التي اشترطوها لها. فمثلا المرسل مما يحتج به المالكيون، لكن شرط أن يكون المرسل له من الرواة الذين يتثبتون فيما يروون (١)، أما مراسيل من عهد عنه التجوز فيما يقبل من العلم، وما يتحمل من الآثار؛ فهذا المرسل لم يتحقق فيه شرط مالك لقبوله. فترى مثلا ابن حزم، يلزم المالكيين القول بمرسل أبي العالية الرياحي في انتقاض الوضوء من القهقهة في الصلاة (٢). وذلك لا يلزمهم البتة، فأبو العالية الرياحي، ممن عرف عنه الرواية عمن هب ودرج، فلم يكن يتثبت فيمن يروي عنه (٣). ثم إن مخرج هذا الحديث مخرج عراقي، ومالك يدفع مسانيدهم فكيف بمراسيلهم! مع ما في الخبر من معارضة القياس الجلي!

سادسا: ومن أسباب ادعاء ضعف الدليل في المسألة لدى المالكيين: عدم الاطلاع على الدليل الأصلي للمذهب في المسألة. وهذا ناتج عن أمور:

الأول: القصور في الاطلاع، فلا يستقصي هذا المدعي البحث عن أدلة المالكية في المسألة، ويعجل في دعواه؛ وبقدر القصور في العلم يكون المرء عجولا في أحكامه. ثم إن عدم العلم، لا يلزم عنه العدم في نفس الأمر!

الثاني: طلب الدليل من الكتب المذهبية التي لا تعنى ببيان الدليل. فمن طلب دليل المالكية في كتب شروح خليل، والحواشي الموضوعة عليها، فالغالب أن لا يجد فيها طلبته من الأدلة التي هي أساس لتلك الأقوال؛ ذلك أن هذا النمط من التأليف لم يكن معنيا ببيان أدلة المذهب، وإنما كان قصدهم إلى تحرير المذهب وبيان المعتمد فيه من الأقوال والروايات المنقولة. لذلك من أراد الاطلاع على أدلة المذهب، ومعتصمات المسائل فيه، عليه أن يريغ ذلك في الكتب المذهبية المعنية ببيان الأدلة، ككتاب «عيون الأدلة» لابن القصار، وكتاب «المنتقى» للباجي، وكتابي «التمهيد» و«الاستذكار» لابن عبدالبر، وكتب ابن العربي، كـ«الأحكام» و«القبس» و«العارضة»، وكتب القاضي عبدالوهاب، كـ«المعونة»، و«الإشراف»، و«شرح الرسالة»، وكتب ابن رشد كـ«البيان والتحصيل» و«المقدمات الممهدات»، وكتب المازري، كـ«شرح التلقين»، و«المعلم»؛ وغيرها من الكتب المشحونة بالأدلة التي هي عمدة المالكيين في المسألة.

الثالث: الرجوع إلى بعض الكتب التي لا تحقق أدلة المذهب. فمثلا الرجوع إلى كتب المخالفين من أصحاب المذاهب لاستقاء أدلة المالكية، يوقع خللا في الوقوف على الأدلة الحقيقية للمالكية في المسائل الفقهية. كما أن المالكية ليسوا كلهم على وزان واحد في المعرفة بالمذهب وتحقيقه، خاصة في جانب الاستدلال له؛ لذلك قد يقع لبعض المالكية من المستدلين استدلال في مسألة ضعيف، ولا يكون هو معول المالكيين في مذاهبهم التي انتحلوها، وتقلدوا القول بها. ومع هذا، فإن من الأمور التي تنتقد على أتباع المذهب

المالكي:
١- أن الطبقات المتأخرة من المالكيين، لم يكن أهل المذهب فيها معنيين تلك العناية بالاستدلال لفروع المذهب، بله أن تكون لهم العناية بالخلافيات التي يعنى المشتغلون بها بمناقشة استدلالات المخالفين والذب عن مسائل المذهب. ومن تمام الاستدلال لمسائل المذهب الإجابة عن أدلة المخالفين، وبقدر القصور في الجواب أو الضعف فيه، يكون التقصير في الاستدلال للمذهب (٤).
٢- ومن الأمور التي يجب أن ننظر إليها بعين النصفة والعدل، الضعف الذي كان عليه المتفقهة من المالكيين، والمصنفون في الفقه من أهل المذهب: في علم الحديث؛ مما أثر في الجانب الاستدلالي في الكتب المؤلفة في المذهب؛ قال ابن العربي: «ولم يكن في علمائنا المالكية من يعلم الحديث إلا القاضي أبوإسحاق، وغيره غفل عنه. ومن كان عنده منهم حديث، فلم يكن نظارا؛ فضاع المذهب بعده بينهم!» (٥).
سابعا: من أهم المنطلقات التي ينطلق منها مُدَّعُو مخالفة المذهب المالكي وغيره من المذاهب للدليل: دعوى إمكان ارتفاع الخلاف في أكثر مسائل الفقه. فهم يذهبون إلى أن الخلاف الواقع بين الأئمة، كانت له أسباب موضوعية في وقتها؛ لكن تلك الأسباب، قد ارتفع أكثرها، فلم يكن لبقاء الخلاف في أكثر المسائل من معنى؛ إذ قبيح بالمرء أن يقول بالمسبب مع ارتفاع سببه!
ومناقشة هذا القول يكون بالنظر في دعوى إمكان ارتفاع أسباب الخلاف المنتجة له. فالناظر إلى الأسباب التي أوجبت الخلاف بين الفقهاء، يصل إلى أن هذه الأسباب أسباب موضوعية، وأكثرها أسباب يبعد ارتفاعها، لتعلقها بأمور بعيد انقطاعها كذلك:
١- احتمالية النصوص. فإن قدرا من أسباب الخلاف كان نابعا من عدم قطعية دلالة بعض النصوص؛ وهذه الاحتمالية في النصوص، أنتجت اختلاف أنظار أهل العلم في تفهمها، والمراد منها دلالة. وهذه الاحتمالية لا يمكن رفعها في الغالب.
٢- أن قدرا من الخلاف ناتج عن اختلاف النظر الاجتهادي في المسألة، لكون المسألة في نفسها غير منصوص عليها أو غير بينة الدليل النقلي في دلالته. ومعلوم أن رد المجتهدين -على كثرتهم، وتباين نزعاتهم الاجتهادية، واختلاف مداركهم- إلى أنظارهم، عادة ما يفضي إلى خلاف بينهم.
٣- أن جانبا من الخلاف ناتج عن الاختلاف في المنهج الاجتهادي، الذي يتمثل في أصول الفقه؛ وقدر من هذا المنهج قد اختلف الناس فيه، ويتعذر رفع الخلاف المطلق في أكثر مسائله التي وقع الخلاف فيها.
وتأسيسا على هذا، فإن دعوى إمكان رفع الخلاف في أكثر المسائل، دعوى يبعد تحقيقها.
نعم، نحن نقر أن بعض الخلاف المأثور مما يمكن رفعه، ويقرب من المنصفين دفعه؛ كما ارتفع كثير من الخلاف المأثور في زمن الصحابة والتابعين، من مثل ما يذكر عن المكيين في ربا الفضل (٦) ونكاح المتعة (٧). لكن أن يدعى أن أكثر الخلاف يمكن رفعه، فهذا مما يبعد كل البعد.
ثامنا: بعض المسائل في كل مذهب من المذاهب المتبعة، ومنها المالكي، ضعيفة المدرك، يقف عليها المنصف من نفسه من أتباع المذاهب. والخطأ الوارد من أصحاب دعوى مخالفة المذهب المالكي للدليل، أن يعمموا ذلك في أكثر مسائل الفقه، ببادئ النظر، وأول الخاطر، دون تمحيص ولا استقصاء في البحث؛ فهم يسلكون سبيل النظر في بعض المسائل بأعيانها، ويبينون جهة الضعف فيها، ثم يحملون أكثر مسائل المذهب عليها. وهذا من خطأ الحمل، ومن زلل القياس.
ومما يتصل بهذا الملحظ، أن كثيرا من المبتدئين أصحاب هذه الدعاوى، لم يطلعوا من خلاف أهل العلم إلا على بعض المسائل الخلافية في أبواب الصلاة والصيام، ثم يجعلون المقررات المستخلصة منها، أحكاما عامة تسري على الفقه الإسلامي كله. فمثلا، دعوى عدم بلوغ الحديث، أو عدم صحته عند إمام من الأئمة، قد يكون واردا في المسائل الفقهية في أبواب العبادات؛ ذلك أن مسائلها مسائل تتوقف على التوقيف من صاحب الشرع، ودخول التعليل التفصيلي فيها يكون من بابة ضيقة. أما أبواب المعاملات، فهي أبواب غالب الخلاف فيها بين الأئمة راجع إلى غير سبب الاطلاع على الأخبار أو عدم بلوغها الأئمة؛ بل الأمر في أكثره يرتد إلى الاختلاف في تعليل كثير من الأحكام، والاختلاف في إعمال بعض القواعد الشرعية في آحاد الجزئيات في تلك الأبواب.
تاسعا: من بين أهم الأسباب المنتجة لهذه الظاهرة: ترجع إلى عقلية صاحبها وأتباعه. وهي عقلية لا تؤمن بـ «النسبية» في الاجتهاد، فهي تجعل من الراجح عندها راجحا في

نفس الأمر وحقيقته؛ لذلك تراهم لو خالف أحدهم ما ذهبوا إليه، وما رجحوه، ينسبونه إلى مخالفة الراجح، وهم يعنون بهذا الراجح: «الحق عند الله تعالى»!. والمسألة في نفسها مسألة اجتهادية، مختلف فيها بين أهل العلم اختلافا معتبرا، ولعل هؤلاء أن يروا في قابل أمرهم خلاف ما رأوه قبلُ من رأي راجح! إذ الترجيح في مسائل الاجتهاد والنظر، من المسائل الاجتهادية التي قد يختلف فيها رأي الواحد من أهل العلم. وهذا ما يفسر الخلاف الكثير المأثور عن الإمام الواحد من الأئمة، كمالك وأحمد وغيرهم، فتجد لهم في المسألة الواحدة أكثر من قول، وهذا لعدم القطعية في أدلة المسألة محل الاجتهاد، واحتمالية النظر فيها.

وكثيرا ما ترى بعض أصحاب هذه الدعوى من المبتدئين، يضعفون مذهب مالك، لأنه خلاف الراجح؛ فإن سئلوا: من الذي رجح هذا القول؟ يسمون واحدا من أهل العلم من المتأخرين أو المعاصرين، ويدعون له التحقيق في الاجتهاد والإتقان فيه. ويقصدون من هذا الترجيح، أنه الحق الذي لا تصح المخالفة له. وهذا المنهج في التعامل مع الخلاف، من الخطأ البين؛ ذلك أن الترجيح في نفسه من الأمور النسبية التي تختلف من عالم إلى عالم؛ فما يراه عالم راجحا، يراه غيره من أهل العلم مرجوحا، ويرى الراجح في غيره من الأقاويل؛ ولا يصح جعل ترجيح عالم من العلماء عيارا على غيره، إذ الفرض أن المسألة اجتهادية، والمسائل الاجتهادية يخاطب الله تعالى فيها المجتهد بما وداه إليه نظره واجتهاده، ولا يصح له فيها تقليد غيره من أهل العلم.

أما دعوى أن الراجح هو ما تتابع عليه المحققون من أهل العلم، فيناقش من جهتين:

الأولى: قد يختلف الناس أولا في تحديد هؤلاء المحققين من أهل العلم، فقد يكون علم من الأعلام في غير سلك المحققين عندهم، وهو من المحققين عند الآخرين.

الثانية: أنه يبعد في الأكثر اتفاق المحققين على رأي، بل إن الغالب اختلاف أنظارهم تبعا لاختلاف أنظار الأئمة قبلهم. فمثلا، نجد ابن العربي ممن عرف عنه اتباعه الدليل، ونأيه عن التقليد، وجريه في اجتهاده مع الدليل القوي الذي يقتنع به؛ ومع هذا نراه يتقلد أقوالا، قد ادعي فيها أن المحققين على خلافها، لمخالفتها الحديث الصحيح؛ من مثل خيار المجلس، فإن ابن العربي انتصر فيه لمذهب مالك، ودفع أدلة المخالفين له (٨). ومن مثل صلاة المفترض خلف المتنفل (٩)، وغيرها من المسائل. وعلى هذا فقس؛ فإن المسألة التي ترى فيها مالكيا ممن يعد من المحققين، يخالف فيها المذهب، تلفي غيره ممن يعد فيهم، موافقا مذهب مالك فيها!

عاشرا: ومن أسباب هذه الظاهرة، ما يوجد من عصبية من بعض المتمذهبين بمذهب مالك، فهم يدعون ترجيح قول مالك في كل مسألة من مسائل الفقه، وربما زعموا حقية مذاهبه في مسائل الفروع جميعها! وهذا ما أورث أثرا عكسيا متطرفا، في الجانب الآخر؛ فحمل البعض على الاتساع في دعوى خلو المذهب من دليل أو مخالفته للدليل الراجح.

وظاهر أن هذا الذي كان، هو من الانفعال المتطرف في مواجهة تطرف في جانب آخر. والمتمذهبون على مذهب إمام دار الهجرة، لا يعتقدون في تمذهبهم عصمة مالك، ولا حقية مذاهبه كلها؛ فمالك كغيره من المجتهدين، اجتهاده متردد بين صواب وخطأ. لكن خطأ مالك أو غيره من المجتهدين في أعيان المسائل ليس مما يقطع به، لكون تلك المسائل في الأصل اجتهادية، محتملة الدليل. وهؤلاء يجعلون ترجيحاتهم أو ترجيحات مقلديهم مقياسا يعرف به خطأ المجتهدين وصوابهم!

كما أن اعتساف بعض أهل المذهب، في انتقاد بعض أدلة المخالفين، حمل طائفة على سوء الظن بالمذهب بضعف أدلتهم في كثير من المسائل، لسلوكهم مسلك التكلف في الجواب عن أدلة صحيحة ظاهرة الدلالة -عندهم- على خلاف مذهب مالك؛ فلما وقفوا على ضعف الجواب وتكلفه، حسبوا أن لا جواب سديدا لهم عن تلك الأدلة المخالفة، فدانوا بضعف المذهب في تلك المسائل. لذلك كان من الواجب أن تكون المناقشة لأدلة المخالفين على بصيرة، في اعتدال ونصفة، وأن لا يسلك فيها مسلك التعسف في الرد، ومفارقة العدل فيها. وهذا الملحظ يتصل كذلك بضعف التأليف في الخلافيات في المذهب المالكي في طبقات المتأخرين، وقلة الاهتمام منهم بمصنفات المالكيين في الخلافيات، من العراقيين والإفريقيين المتقدمين؛ وهذا ما سبب فقدان أكثر المصنفات المؤلفة في هذا الفن.

المقام الثالث: علاج هذه الظاهرة

ويكون العلاج لهذه الظاهرة بالأمور التالية:

أولا: توقير الأئمة، والاعتراف بمكانتهم في العلم، وعدم المسارعة

إلى ادعاء المخالفة للدليل منهم.

ثانيا: الوقوف على أن الأئمة لا يقولون القول إلا على أساس من دليل صح عندهم، حتى وإن لم يكن عند غيرهم صحيحا؛ إذ لا يلزم المجتهد بما يراه غيره من المجتهدين، بل الواجب في حقه ما أفضى إليه نظره، وانتهى إليه اجتهاده.

ثالثا: ضرورة فقه الأسباب التي أوجبت الخلاف بين الفقهاء، والتمييز بين الأسباب التي هي أسباب لا يمكن ارتفاعها، وبين الأسباب التي يمكن انقطاعها. كما يجب التنبه إلى أن بعض الأسباب ليست هي السبب الوحيد للخلاف، وليست هي السبب الرئيس في أكثر الخلاف؛ فعدم الاطلاع على الخبر، أو عدم صحته لدى الإمام، ليس هو الذي أنتج الخلاف في أكثره. ثم إن دعوى عدم بلوغ الحديث، مما يعسر تحقيقها في حق الأئمة.

رابعا: الوقوف على منهج مالك وغيره من الأئمة، من أهم المسالك التي ترفع هذه الدعوى، وتجعل المطلع على المذاهب يفقه مدارك الأئمة ومتمسكاتهم في الفروع الفقهية.

خامسا: تصحيح مدلول «الدليل»، وأن المستدل بالأدلة التبعية -على الاختلاف في كثير منها- ليس مستدلا بما يخرج عن دلائل الكتاب والسنة؛ بل إن هذا الاستدلال من دقيق الاستدلال بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ.

سادسا: من أهم ما يولى بالاهتمام، النظر في اتساع «مفهوم السنة» عند الإمام مالك، والنظر في شرائط قبول الأخبار في مذهبه.

سابعا: تصحيح فكرة أن الأصول أصلت من قبل أتباع الأئمة لتلافي نقض مذاهبهم، ببعض الأدلة اللازمة.

ثامنا: التماس الدليل من الكتب التي تعنى ببيان الدليل في المذهب، خاصة كتب أهل التحقيق منهم. والسعي لتحقيق وطباعة بعض كتب أعلام المالكيين المعنية بالدليل، كمصنفات العراقيين من المالكيين، فإنها مشحونة بالأدلة؛ كشرح الشيخ أبي بكر الأبهري لمختصر ابن عبدالحكم، وشرح القاضي عبدالوهاب لرسالة ابن أبي زيد (١٠). كما يحرص على تحقيق وطباعة كتب الخلافيات في المذهب المالكي، ففيها الاستدلال للمذهب ومناقشة المخالفين في أدلتهم واستدلالاتهم.

تاسعا: جمع موسوعة تدليلية لمسائل المذهب المالكي، يلتمس فيها التدليل لفروع الفقه المالكي، كتابا وسنة ومعقولا. مع الحرص على تحرير الأدلة والتحقيق فيها. كما يعنى عناية خاصة بالاستدلال بالسنة المروية عن النبي ﷺ، وما يؤثر عن الصحابة والتابعين في ذلك، ليحرر عمل السلف. مع الحرص على التحقيق في صحة ما يستدل به من ذلك.

عاشرا: دعوى إمكانية رفع الخلاف في كل مسائل الفقه أو في أكثرها، دعوى باطلة.

حادي عشر: الإقرار بأن في المذهب مسائل ضعيفة، ويسعى إلى بيانها وتحقيق القول فيها.

ثاني عشر: تقرير نسبية عملية الترجيح، وأن ترجيح علم من الأعلام لا يجعل المسألة مرتفعا الخلاف فيها.

وتقرير أن العصبية مذمومة، سواء كانت لمذهب متبع، أو لعلم من الأعلام، ممن لا مذهب له معلنا.

ثالث عشر: الاتفاق على أصل من الأصول أو على شرط من شرائط بعض الأدلة، لا يلزم الاتفاق بعدها على تحقيق مناطه في أعيان المسائل؛ فكثير من الخلاف المأثور بين الفقهاء لم يكن في الأصل الذي يصدرون عنه، بل هو راجع إلى تحقيق مناطه في الفروع. وتحقيق مناط الأصول والشروط في أعيان المسائل من الأمور الاجتهادية، التي لا يكون فيها القطع بصواب اجتهاد بعض المجتهدين فيها.

الهوامش

١- الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول، (دار الغرب الإسلامي)، ف ٣٢٠؛ ابن العربي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، (دار الغرب الإسلامي) ٨٤٩/٢.

٢- ابن حزم، الإحكام، ٤/٢.

٣- الدارقطني، السنن، (تحقيق شعيب الأرنؤوط) ٣١٤/١/ رقم ٦٤٤.

٤- ومن دلائل ذلك، ما ذكره ابن العربي عن حال ابن حزم؛ قال: «واتفق له أن يكون بين أقوام لا نظر لهم إلا المسائل، فإذا طالبهم بالدليل، كاعوا؛ فتضاحك مع أصحابه منهم!». العواصم والقواصم، (تحقيق عمار طالبي، مكتبة دار التراث، مصر)، ٢٤٩-٢٥٠. وانظر شيئا من الحالة العلمية في الأندلس لعهد ابن العربي في: العواصم والقواصم، ٣٦٥-٣٦٩.

٥- ابن العربي، عارضة الأحوذي، (دار الفكر، بيروت)، ١٣٠/١٠. والقاضي أبو إسحاق هو القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي (ت ٢٨٢هـ)، ناشر علم مالك في أرض العراق، والناصر لمذاهبه، والباسط لأدلته؛ وقد كان من أعلم الناس بالحديث، وكان من أبرز من تلمذ لعلي بن المديني؛ وناهيك به من عالم! انظر ترجمته في: ترتيب المدارك ٢٧٦/٤-٢٩٣. ولئن كان في كلام ابن العربي شيء من الحق، فإن هذا التعميم فيه نظر، فإن في المذهب كثيرا من العارفين بعلم الحديث مع حسن الاطلاع على علم الفقه، كابن عبدالبر والباجي وغيرهما.

٦- ابن عبدالبر، الاستذكار، (دار الكتب العلمية) ٣٥٣/٦؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (وزارة الأوقاف المغربية) ١٩٠/١٣.

٧- ابن عبدالبر، الاستذكار، ٥٠٥/٥-٥٠٨.

٨- ابن العربي، القبس، ٨٤٥/٢.

٩- ابن العربي، العارضة، ٩/٢، ٦٥/٣-٦٧.

١٠- طبع من الكتاب قطعة منه (تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار ابن حزم، بيروت)، وبقي من الكتاب جزء مخطوط لم يطبع.

ضاحي عثمان
باحث أكاديمي



وحيد في لفظه.. فريد في معناه:

الماء...

الصحراء العربية إقليم طليق، لا يصد هواءه بناء، ولا يحجب شمسه غيم، ولا يحبس أمطاره وسيوله سد.. كل شيء فيه حر على الفطرة. هذا النوع من البيئة حدد نوع معيشة العرب (قبل الإسلام)، فهم رحل يطلبون الكلأ؛ وهم فقراء، ثروتهم في كثرة ماشيتهم، وهذه الثروة تحت رحمة الله، فقد تنفق الماشية، وينضب ماء الآبار، ويقل المطر، فيقل المرعى ويسوء العيش، وبحق سموا المطر غيثا.

واللغة العربية في ذلك العهد (ما قبل الإسلام) كانت نتيجة طبيعية لتلك الحياة، وصورة صادقة لهذه البيئة، فألفاظ العربية -مثلا- في منتهى السعة والدقة، إذا كان الشيء الموضوع له اللفظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية.. وهي قليلة غير دقيقة فيما ليس كذلك!

وحتى نستوعب ذلك انظروا إلى الإبل -مثلا- وهي عماد الحياة البدوية، وهي خير مأكشلهم ومشربهم وملبسهم ومركبهم، فحياة العرب في الصحراء تكاد تكون مستحيلة لولا فضل الجمل، من أجل هذا ملئت اللغة العربية بالإبل، فلم يترك

العرب صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بها إلا وضعوا لها اللفظ أو الألفاظ؛ فوضعوا الألفاظ لها وللحمها ونتاجها، ووضعوا الأسماء لأسنانها (أعمارها) وحلبها، ورضاعها، وفطامها، ونعوتها في طولها وقصرها وسمنها وهزالها وأصواتها وأوصافها وأوبارها، وعلفها واجترارها، ورعيها، وبروكها، وأبوالها، وحركة أذنابها، وأنواع سيرها ورياضتها، والرحال وما فيها، وكل ما يشد عليها، وقيودها ونزع قيودها، وسماتها وعيوبها، وجربها وأمراضها وأدوائها... إلخ.

ولم يقصر العرب على اللفظ الواحد للمسمى الواحد، بل وضعوا له الأسماء المتعددة، فإذا أنت انتقلت من الجمل إلى السفينة رأيت اللغة العربية غاية في القصور، فهم لم يوفوها حقها، كما وفوا حق الجمل، ولم يصفوا كل أجزائها، ولم يضعوا أسماء لكل نوع من أنواعها. نعم، هناك ألفاظ تتعلق بذلك، ولكنها لا تكاد تذكر إذا قيست بالألفاظ الموضوعة للإبل وشئونها، بل إننا إذا فحصنا الألفاظ المستعملة في السفن ومتعلقاتها، وجدنا كثيرا منها معربا غير عربي؛ كالسيابجة والبماسرة والأنجر، وكثيرا منها لا تشك في أنه وضع بعد العصر الجاهلي.

فالأراضي الصحراوية، بما فيها من رماد ونجود ووهاد، وما فيها من كلأ وأعشاب وحشرات وهوام، كل ذلك وصفه العرب، ووضعوا له الأسماء المختلفة، فالأراضي الصلبة والغليظة والمستوية والواسعة والمطمئنة والمجدبة والمخصبة والهضاب والوديان.. قد شرح كل نوع منها ووضع له اسم وأسماء، أما البحار وما حوته من أنواع الأسماك والأصداف والأمواج ومختلف المياه فليست اللغة غنية فيها.

المقارنة بوضوح

وحسبك دليلا على هذا أنك إذا نظرت في كتاب مثل «المخصص» لابن سيدة، وميزته أنه يجمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، أمكنك أن تقارن هذه المقارنة بوضوح، فقد استغرق فيه الكلام عن الإبل وما يتعلق بها ١٧٦ صفحة كبيرة، عدا ما ذكر متفرقا في مواضع أخرى منه، في حين أن السفينة استغرقت منه أقل من سبع صفحات!

فماذا يعني هذا الكلام؟!

هذا القول يعني أن الكلام عن الإبل أخذ نحو جزء من أجزاء الكتاب السبعة عشر، وبالتالي فأنت إذا قلت: إن ما ورد في كلام العرب مما يتعلق بالإبل وحدها يعادل جزءا من سبعة عشر جزءا من مجموع اللغة العربية لم تكن بعيدا عن الحقيقة أبدا، وهي نسبة كبيرة جدا، ولكن هو الجمل.. عماد الحياة العربية البدوية!

هذا في المحسوسات، وإنك لتجد مثله أيضا في المعنويات؛ فكلمات السرور واللهو واللعب والمزاح أقل من كلمات البؤس والقتال والحزن والويل.. ألم تر أنهم تفننوا في الداهية فصاروا يخترعون لها من الأسماء ما أتعب اللغويين؟! حتى جمع حمزة الأصفهاني من أسمائها ما يزيد على الأربعمئة، وحتى قالوا إن كثرة أسماء الدواهي من الدواهي!

ذلك لأن طبيعة البيئة تستدعي ذلك، فهي بيئة شقاء وفقر لا بيئة رخاء ونعيم.

وكذلك الحال بالنسبة إلى الأسد، إذ تتميز لغتنا العربية بغنى كلماتها أو ألفاظها ووجود عشرات المرادفات التي تتعلق بالأسد، فهو يتمتع بأكثر من خمسمئة اسم وصفة، ومن أشهر هذه الأسماء: أسامة - البيهس - التاج - الحرث - حيدرة - الدواس - الرئبال - زفر - السبع - الصعب - الدرغام - الضيغم - العنبس - الغضنفر - الفرافصة - القسورة - الليث - المتأنس - المتهيب - الهرماس.. وغير ذلك. على أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى؛ فالأسد أشرف الحيوانات المتوحشة، إذ إن منزلته منها منزلة الملك المهاب بقوته وشجاعته وقسوته وشهامته وجهامته وشراسة خلقه.. ولذلك يضرب به المثل في القوة والنجدة والبسالة، وشدة الإقدام والجرأة .

عشرات المترادفات

ولكن رغم هذا الغنى للغة العربية وتميزها بوجود عشرات المرادفات لبعض الكلمات، كالجمل والأسد والسيف وغيرها، فإن كلمة مثل «الماء» نجدها وحيدة وفريدة؛ وحيدة في لفظها، فريدة في معناها، لا مرادف لها، حتى قيل «فسر الماء بعد الجهد بالماء»!

وهذا أمر عجيب في لغتنا العربية الغنية في مرادفات كلماتها. ويوم أن يصبح لا مرادف ولا بديل للماء، فهذا يدل على شيء خطير حقا يختص به الماء، بل إن العجب يمتد أيضا إلى الطبيعة من حولنا، فرغم وجود بدائل لكثير من المواد الضرورية لبقاء الإنسان، فإنه لا يوجد بديل للماء، وهو الأمر الذي يدل على أن هذا المركب السحري (الماء) فريد ومهم.. كان، شاء له الله تعالى أن يكون، مصدرا للحياة، وآية من آيات الخالق جل جلاله وتعالت قدرته!

إن الماء يعد المركب الأكثر أهمية في الطبيعة بعد الأكسجين الضروري لتنفس الإنسان والحيوان والنبات. وتأتي أهميته نتيجة أنه -هو الآخر- ضروري لنشوء وبقاء الكائنات الحية

جميعها، وقد ميز الله تعالى الماء بمكانة خاصة عن بقية الموارد، فقد ميزه بخصائص فيزيائية طبيعية وكيميائية وحيوية فريدة، وذكره في كتابه الكريم القرآن الكريم، وربط ذكره بالحياة وبالرزق وبالطهارة، فجعله آية من آيات قدرته سبحانه وتعالى على كل شيء لمن يعتبر ويبصر، فكان بذلك مركبا عجيبا فعلا وآية بينة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى .



إن الماء بحق هو مصدر الحياة على الأرض، ولن تجد للحياة أثرا إذا لم يكن للماء وجود، وسواء أكان الماء عذبا أم مالحا، يجري فوق السطح أو يختزن في باطن الأرض، فإن مظاهر الحياة ترتبط به، فالماء مصدر للشرب، والماء مصدر للري، والماء مصدر للطاقة، والماء مصدر للغذاء، إذ تعيش فيه الأسماك وسائر أشكال الحياة المائية، والماء مصدر للعلاج، والماء منجم لكثير من المعادن ومنذ خلق الله تعالى البشر وهم يتجمعون حيث يجدون مصدرا للماء!

لقد نشأت الحضارات وتطورت على مر العصور وعلى اختلاف ألوانها وتباين أعمارها مع التجمعات السكانية في أحضان الأنهار أو حول عيون المياه الجوفية، وارتبط التطور العلمي والتكنولوجي الحديث بتطور أساليب استغلال وتنمية مصادر المياه المتاحة للأغراض المختلفة، ومنذ أن ارتقى الإنسان وتنوعت مفاهيمه في شتى فروع العلم وتنوعت احتياجاته من ضروريات الحياة.. تطورت لذلك حاجته إلى المزيد من مصادر المياه، يتلمسه تارة في إنشاء الخزانات الكبيرة أمام سدود على الأنهار الجارية، وتارة في البحث والتنقيب عن المياه الجوفية، وتارة في تحلية المياه المالحة على شواطئ البحار، وتارة رابعة في الإمطار الصناعي.

وفي عالمنا الحديث يقاس التقدم الحضاري لأي أمة بمدى ما يتوافر لأفرادها من مياه تفي باحتياجاتهم المتعددة، واستعمال هذه المياه على الوجه الأكمل.

ويستمد الماء أهميته من كونه جواز السفر الذي من دونه لا تتحرك الحياة على الأرض من مكان إلى آخر، ومن دونه يطبق الصمت الرهيب على الكون.. صمت القبور، وصدق الله تعالى عندما قال في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠)، إذ لولاه لما كانت هناك حياة على ظهر الأرض، فالماء هو سر الوجود.

وقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم في ٦٤ سورة.. ولما كان الماء هو عنصر البقاء للبشرية فقد حظي بوجود ٢٨٦ معاهدة حول المجاري المائية التي أصبح أسلوب المشاركة في استخدام مياهها عبر الحدود الدولية سببا من أسباب التعاون الدولي، فعلى سبيل المثال فإن ٢١٤ نهرا للمياه العذبة لها صفة التعدد الدولي، منها ١٥٥ نهرا تستفيد منها دولتان، و٣٦ نهرا تستفيد منها ثلاث دول، و٢٣ الباقية يستفيد منها عدد من الدول يتراوح ما بين ٤ و١٢ دولة وبالطبع أصبح من الشائع بناء السدود والخزانات على الأنهار، فالعالم به أكثر من ٨٣١٦ سدا كبيرا (أكثر من ١٥ مترا)، بل إن الولايات المتحدة الأميركية وحدها بها ٢٨١٠ سدود، وبناء سد على نهر يعني إنشاء بحيرة صناعية.. كما أن المياه العذبة الموجودة حاليا تكفي لحياة أربعة أضعاف عدد السكان الموجودين في العالم، ولكن لسوء الحظ لا تتوزع هذه المياه توزيعا متساويا على خريطة العالم. ففي الوقت الذي تشكو فيه بعض مناطق العالم من الفيضانات المدمرة والمتكررة، تشكو مناطق أخرى من جفاف مستمر، مما يزيد من صعوبة الحياة فيها، لأنه إذا توافر الماء العذب هانت كل الصعوبات الأخرى.

وتبين الإحصاءات العلمية أن ٩٨ في المئة من مجموع كميات المياه العذبة في العالم تختزن كمياه جوفية، وما يتبقى، وهو لا يتعدى ٢ في المئة، هو فقط ما نشاهده في البحيرات والأنهار وخزانات السدود.. وبتعبير آخر نقول: إن الماء يغطي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، وينقسم إلى مياه ملحية تشكل ٩٧ في المئة، ومياه عذبة أقل من ٣ في المئة، وتتوزع هذه المياه العذبة ما بين متجمدة، والتي تمثل ٧٧ في المئة منها، والمياه الأرضية ٢٢ في المئة من المياه العذبة الكلية.. ويتوزع أقل من ١ في المئة ما بين البحيرات والأنهار والنباتات والحيوانات.

وبالنسبة إلى المياه الأرضية، يقدر

العلماء حجم الماء الذي تختزنه صخور القشرة الأرضية بحوالي ٩٠٠٠ مليار من الكيلومترات المربعة، وهو ما يزيد ٣٥ مرة على حجم الماء في المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار، وكذلك المثالج، أي المناطق القطبية. ولو أخرجوها من باطن الأرض لأغرقت كوكبنا بارتفاع مترين ونصف المتر .

ويعتبر الماء من أهم المواد التي يستطيع الإنسان عن طريقها التعرف على الحالات الثلاث للمادة، وهي حالات الصلابة والسيولة والغازية، كما استخدم الماء أيضا كأساس لقياسات الحرارة، فعندما نبرد الماء تدريجيا يتحول عند درجة معينة إلى حالة الصلابة، وهي الثلج بمختلف أنواعه، وقد اتخذت هذه الدرجة على أنها «درجة الصفر» في الترمومتر المئوي، وعندما نسخن الماء تدريجيا حتى يبدأ في الغليان والتحول إلى الحالة الغازية، وهي بخار الماء، فقد اعتبرت هذه الدرجة «درجة المئة» في الترمومتر المئوي، وبالطبع استخدمت درجة الصفر ودرجة المئة في عمل التقسيمات اللازمة للترمومتر المئوي.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل استخدم الماء أيضا كأساس لقياسات الأوزان، واتفق على أن يكون الغرام هو ما يعادل وزن سنتيمتر مكعب من الماء، وأن يكون الكيلوغرام هو ما يعادل وزن لتر واحد ماء، وبالطبع نعرف أن الكيلوغرام يساوي ألف غرام واللتر يساوي ألف سنتيمتر مكعب من الماء

ويعترف «المعجم الوجيز» بأن الماء سائل عليه عماد الحياة، يتركب من اتحاد الهيدروجين والأكسجين بنسبة حجمين من الأول إلى حجم من الثاني. وهو في نقائه شفاف، لا لون له ولا طعم ولا رائحة، ومنه:

١- الماء العذب: وهو ما قلت فيه نسبة الأملاح الذائبة، بحيث أصبح سائغا في الذوق من ناحية ملوحته.

٢- الماء المالح: وهو ما زادت نسبة الأملاح فيه على نسبتها في الماء العذب.

٣- الماء المعدني: الماء الطبيعي الذي يخرج من جوف الأرض، وبه أملاح ذائبة تكسبه طعما خاصا، وقد تكون له خواص طبية.

٤- الماء المقطر: وهو الماء الناتج عن تكثيف بخار الماء، وهو خال من الأملاح.

٥- الماء العسر: وهو الماء الذي لا يحدث رغوة مع الصابون بسهولة عند غسل الثياب، لاحتوائه على أملاح كالسيوم ومغنسيوم ذائبة فيه، وأما الذي يحدث رغوة مع الصابون بسهولة فهو الماء اليسر.

٦- ماء الزهر: محلول مائي يحضر بالتقطير البخاري للزهور الناضرة، ولهذا المحلول رائحة الزهرة المعطرة، ومثله ماء الورد.

ويقال: ما أحسن ماء وجهه: رونقه ونضارته. ويقال: حفظ ماء وجهه: اعتز بكرامته. وذهب ماء شبابه: ذهبت نضارته. والنسبة إلى الماء: مائي، وماوي.. وجمع ماء مياه.

ونحن بدورنا يجب أن نعرف ونعترف بقيمة هذا الماء.. حين يقول الله عزوجل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، إذ نجد أن هذا الماء جعله الله تعالى أصلا لكل شيء حي، أصلا في الخلقة.. وأيضا في حفظ الحياة.. وفي استمرارها.

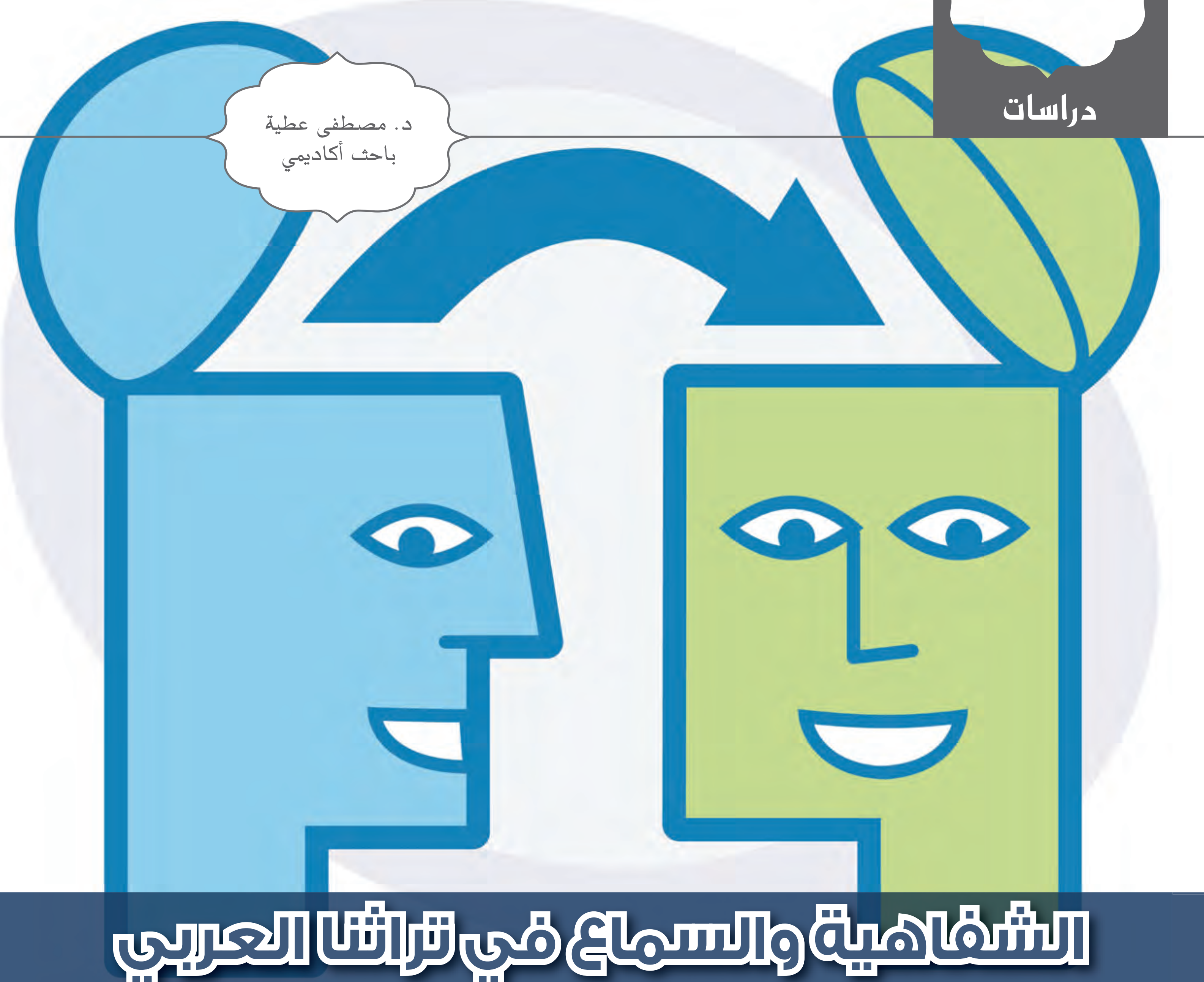
ولا يعوض الإنسان شيء إذا امتلك العالم كله وما به من أموال وحرم نقطة الماء؛ ولهذا حين نحافظ على نقطة الماء فإنما ندافع عن أصل الحياة بالنسبة إلى الإنسان والحيوان والطير في السماء؛ ولذلك فإن أي إسراف أو تلويث للماء يعد من المنكرات.

إن الحفاظ على أصل الحياة يتمثل في الحفاظ على كل قطرة ماء؛ لأن نعمة الماء لا يمكن لأي بشر، مهما صنع وامتلك التكنولوجيات، أن يخلق نقطة ماء.. إلا من الجو والعناصر الأصلية التي هي أيضا من صنع الله سبحانه وتعالى.

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور:٤٣). من هذا نفهم أن الله هو الذي يرسل الرياح ويسوق السحاب، والسحاب ينزل على الناس بإرادة الله، ويصرفه عمن يشاء وينزله على من يشاء.. فزمام الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، فإذا لم نرع هذه النعمة (المياه) فالله تعالى سيتصرف التصرف الذي يخيفنا حتى نعرف قيمة هذه النعمة العظيمة، ولعل هذا يقودنا إلى فهم تساؤل الله العلى القدير حين يقول في كتابه الكريم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (الواقعة:٦٨).

ولك عزيزي القارئ، إذا كنت في نعمة فارعها، فإن المعاصي تزيل النعم، فلابد من تقوى الله في نعمة الماء حتى يحفظ الله علينا هذه النعمة العظيمة، وأي تلوث أو تخريب أو شيء ينقص من قيمة نعمة الماء العظيمة.. يعد جريمة، فالنعمة العظيمة يجب أن تصان، وصيانتها تكون انطلاقا من أمر الله وطاعة النبي ﷺ.

وللحديث بقية إن كان في العمر بقية.



الشفاهية والسماع في تراثنا العربي

د. مصطفى عطية
باحث أكاديمي

تمثل الشفاهية الباب الأولي لفهم التراث العربي، بشعره ونثره، وعلومه ومآثره. فالشفاهية هي سمة لازمة للإنسان، فحيثما وجد، تواصل بالصوت والإشارة، شفاهة أولا ثم كتابة، ثم بأشكال أخرى للتعبير. وكان السرد/ الحكي ملازما لكل نشاط الإنسان، فحياته كلها أحداث قابلة للرواية.

فالأمم في بداية تأسيس ثقافتها، يكون أداؤها الشفاهي متميزا، لأنها تكون في حقبة الفتوة، حيث صفاء العقول والقلوب، ونقاء اللسان المنطوق، ومن ثم يكون إنتاجها الإبداعي شفاهيا، وحاملا في الوقت نفسه كل مظاهر الطزاجة الثقافية.

وهناك أمر آخر يرتبط بالشفاهية، وهو السماع، لأن المشافهة في الكلام تحتاج إلى متكلم وسامع، مثلما تحتاج القراءة إلى كتاب/ مخطوط وقارئ، أي إن العملية من طرفين قد يكون متكلما واحدا وسامعين كثيرين، على نحو ما نجد في الساحات والمساجلات الشعرية، وأيضا في المسامرات الفردية والجماعية.

والأمر يخص كل ما يتعلق بتعليم اللغة، بل كل ما يتم تلقيه لغويا، وكما يقول البيضاوي عن سبل التعلم اللغوي والرواية: النقل المتواتر، أو الآحاد، واستنباط العقل من النقل، والتعليم يتم بالترديد والتلقين.

القضية هنا أن المجتمع العربي في الجزيرة العربية، قبل الإسلام وبعده، وإلى عصور متأخرة في الحضارة الإسلامية، اعتمد آلية المشافهة والسماع في الإخبار وقول الشعر والحكي، ثم تحول الأمر إلى منهج معرفي متكامل، ملازم للعلوم العربية والإسلامية.

والسبب في ذلك، لأن الغالب منهم (العرب) أميون، لا يقرأون ولا يكتبون، بل إن جميع عرب البوادي كذلك، ومع ذلك حفظوا على سبيل التفصيل أيامهم وحروبهم، ووقائعهم، وما قيل فيها من شعر وخطب، وما جرى من المفاخرات والمنافرات بين قبائلهم، وضبطوا أنسابهم، وأسماء فرسانهم الذين نزلوا في ميادينهم وأنهم من أي قبيلة وإلى أي أب ينتهون من الآباء

الأولين، وأسلافهم السابقين.. وهذا مما تساوى فيه العامة والخاصة، الصغير والكبير، الذكر والأنثى، من أحيائهم، وذلك مما لا يستريب فيهم أحد، ولا يشك فيه ذو نظر.

الموافقات

سار على هذا الفهم العلماء والفقهاء، وكما يقول الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات في أصول الشريعة: «هذه الشريعة المباركة أمية، لأن أهلها كذلك» ويستحضر الشاطبي الحديث الشريف «بعثت إلى أمة أمية»، ويفسر ذلك أن الشريعة موضوعة على وصف الأمية لأن أهلها كذلك، وأننا لا نحتاج إلى التغلغل في العلوم الكونية والرياضيات لفهم الشريعة وأحكامها، وهذا لا يعني أن الشريعة للعرب فقط، وإنما لسائر الأمم جميعا.

فكأن الله سبحانه وتعالى جعل الشريعة موجهة لجميع الناس، مهما كان مستوى تعليمهم، حتى لو كانوا أميين، لا يعرفون قلما ولا حسابا، وإنما هم على الفطرة. ولاشك أن الشريعة تستوعب ويستوعبها كل صاحب حضارة مهما ارتفعت، وبعبارة أخرى فإن الشريعة تشمل الأمي والمتعلم، البدوي والحضري.

وقد تطور الأمر لدى العرب من مشافهة في الشعر والنثر والعلوم البسيطة المتوافرة لديهم في الجاهلية وكلها تعتمد على تراكم الخبرة والتجربة الحسية، وتتخذ من التعليم المباشر وسيلة للتعلم، تطور الأمر إلى منهج معرفي كامل، أي منهج لتحصيل العلوم، بل وشرط لتحصيلها، فلابد من السماع، ولا يغني المكتوب عن المسموع، ومن لم يتلق عن العلماء تم القدح في علمه، والطعن عليه، فالرواية بالسماع شرط في صحة العلم واستقامة الأخذ، ومن طرق التعلم: طريق السماع، الذي يتحصل من العلم الأول بالتواتر والسند المتصل، فالسماع شرط في صحة العلم، والرواية عن متقدم شرط آخر في ذلك، ولكل علم متقدم يروى عنه ويسمع ويؤخذ منه.

إن علماء اللغة والأدب تلقوا المعرفة عن المتقدمين داخل نظام معرفي عام، وكان العرف السائد عن العلم هو تعدد الأخذ أو تعدد المأخوذ وإنكاد تفرده، وقد كان المأخوذ عنه واضعا للعلم أو نائبا عن الواضع، فتعددت مصادر الأخذ، ودخل التعدد في التركيب الذهني، مثلما دخل أمر السماع وأول مسموع عنه، وكانت القاعدة الثابتة بعد ذلك تتضمن ثلاثة أسس: أخذ العلم، ويشترط فيه أن يكون بالمشافهة أو السماع عن الأول، لأنه يمثل أصل المعرفة وإمامها ومنبعها، ومرجعها. ثم: المعرفة (ذاتها) ويشترط أن تكون المعارف الملقونة متعددة، ثم العارف وهو المتخرج المجاز من قبل العلماء، كما نراه في تراجم العلماء والطبقات والرجال، ومرحلة تخرجه تسمى «ميلاد عارف».

الرواية بالمشافهة

ولو أمعنا النظر في الأسس الثلاثة السابقة، سنجدها تنطبق بسهولة، بل هي مأخوذة بالفعل عن الرواية بالمشافهة التي كانت وظلت معتمدة طيلة العصور الإسلامية في البوادي والحضر، في الشعر والسرد، خصوصا في النصوص التي كان أساسها شفاهيا، أو قالها مبدعون شعبيون، لم تتح لهم الفرصة لتسجيل إبداعاتهم، فظلت ضمن دائرة الإبداع الشعبي الشفاهي، حيث وجدنا مبدعا، ورواة عنه موثوقون، ومنهم تؤخذ النصوص موثقة بالحفظ والسماع.

أما العلوم التي كانت سائدة عند العرب، فهي مرتبطة بحياتهم البسيطة حيث الأمية غالبة، فقد كان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق، واتصاف بمحاسن شيم، فصححت الشريعة منها ما هو صحيح، وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل وبينت ما ينفع من ذلك وما يضر.

ومن علومهم: علم النجوم والاهتداء بها، وعلوم الأنواء وأوقات نزول الأمطار، ومنها علم التاريخ وأخبار الأمم الماضية، ومنها علوم أكثرها باطل مثل: العيافة والزجر والكهانة، وخط الرمل والضرب بالحصى والطيرة.. ومنها الطب المبني على تجارب الأميين، ومنها التفنن في البلاغة وضرب المثل.

وإذا نظرنا إلى هذه العلوم السائدة في الجاهلية، يمكن أن نقول عنها أنها ليست علوما بالمعنى المفهوم الآن، ولكنها أقرب إلى معلومات مبنية على تجارب وخبرات حسية متراكمة، وهي قليل، يمكن نقلها شفاهة، ولا حاجة إلى كتابتها، لأنها قليلة الكم، كما أنها لا تستلزم عقلا عميقا مفكرا، بقدر ما تحتاج الإنسان العادي، وفي جميع الأحوال كانت أساسا للبيئة المعرفية المعتمدة على السماع.

التراث اليوناني

لقد أثرت الشفاهية في تعليم العلوم المختلفة، وظلت الرواية الشفاهية أكثر من ألف عام في مسيرة الحضارة الإسلامية، جنبا إلى جنب مع الكتاب المخطوط، وبعيدا عن السرد، وفي ميدان مثل الفلسفة وعلومها، يعتمد في الأساس على الكتب المترجمة عن التراث اليوناني، أو الكتب المؤلفة الشارحة لهذا التراث الفلسفي العميق، وكذلك كتب الفلسفة الإسلامية المؤلفة من فلاسفة المسلمين؛ نجد أن الشفاهية كانت سبيلا للتعليم، بل شرط يجب أن يستوفيه طالب العلم، فقد كان الأستاذ يذكر في بداية تدريسه أن الطالب النابه ينبغي ألا يكتفي بقراءة سطور النص العربي أو الفارسي قراءة صحيحة، وإنما عليه أن يتجاوزها إلى قراءة الأجزاء البيضاء من الصفحة أي ما بين السطور، وهي قراءة لا تتم تبعا لهوى الطالب، وإنما اعتمادا على ما تلقاه شفهيا من ذاكرة الشيخ، وما تحدر إليه عبر أجيال متتابعة من الشيوخ حتى يصل إلى المؤلف الأصلي للنص، وجل الفلاسفة كانوا يقومون بأنفسهم بشرح النصوص المعقدة

شفاهيا لطلابهم. وقد قام الطلاب بدور أكبر في تلك المنظومة، حيث روجوا للمؤلفات المدروسة شفاهيا، وجعلوها تحتل مكانة متميزة، ولاشك أن التلقي الشفاهي والعلاقة الخاصة بين المؤلفين وتلاميذهم كان لها دور لا ينكر. أيضا فإننا نتلمس الرواية الشفاهية فكانت ملازمة لكتب بعينها مثل كتاب «فصوص الحكمة» للفارابي (ونسبه البعض لابن سينا)، فقد توافرت له شروح شفهية ومكتوبة كثيرة، وقد أدى هذا النهج إلى وجود تباينات واختلافات في فهم النصوص الفلسفية العربية نتيجة تعدد الشروحات الشفهية جنبا إلى جنب مع المكتوبة. فالتراث العقلي الإسلامي يخلع على المرويات الشفهية أهمية كبرى، ومن أجل فهم فكر ابن عربي فإن بعض العلماء (غير العرب) كانوا يلزمون الطالب بإتقان اللغة العربية، ودراسة النصوص المكتوبة، وأيضا ملازمة شيخ يعتمد عليه في تدريسه على المرويات الشفهية، وتطور الأمر أكثر، فصارت هناك سلسلة الرواية الشفهية الموثقة، والتي لا تقل أهمية عن سلاسل الصوفية، وتصاحب النص المكتوب، وما بين الشفهي والمكتوب تبرز حقائق لا يمكن صبها في حروف بصحيفة، فالحلقات والدروس الشفاهية تفتح العقل وتنير القلب. وهذا كله عكس فلاسفة الغرب المعتمدين على النصوص المكتوبة. ولو أخذنا كتاب الأصنام لابن الكلبي كمثال على الرواية الشفاهية المصاحبة للمكتوب، سنجد أن سلسلة الرواية (السماعية) تبتدئ من العام ٢٠١هـ قبل وفاة المؤلف بثلاث سنوات، وتنتهي في العام ٤٩٤هـ وكان يشار في نهاية أو بداية كل نسخة مكتوبة إلى الشيخ الراوي شفاهيا، ومن كان حاضرا أيضا في جلسة القراءة.

ألف ليلة وليلة

إن كثيرا من المسرودات المتوارثة لا يمكن فصلها عن تكوينها الشفاهي وإن وصلتنا مكتوبة، فقد استمرت ظاهرة المشافهة لكثير من المرويات والمسرودات في التراث العربي لحقب كثيرة، مثل السير الشعبية وألف ليلة وليلة وغيرها، ثم دونت في مراحل لاحقة، بل إن هناك كتبا يبدو من بنيتها أنها ألفت شفاهة، وتليت في المجالس شفاهة، أي كانت تقرأ من كتاب على أسماع الحاضرين، مثل كتاب «غرر الفوائد ودرر القلائد» والمعروف باسم أمالي المرتضى، ومؤلفه الشريف المرتضى (٣٥٥- ٤٣٦هـ)، فقد جاءت بنية الكتاب تحمل عنوان «المجالس» وتتألف من تسعة وسبعين مجلسا، في كل مجلس قطوف ولطائف من علوم وفنون ومتون. وهي مجالس متعددة، أملاها في أزمنة مختلفة على تلاميذه ومريديه، بها تفسير وإيضاح آيات من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، وكثير من الشواهد الشعرية، وكثير من القصص والحكايات، أعانه فيها ذهن وقاد، ووفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام، ثم عاد وأضاف عليها مجالس أخرى.

الملاحظ على أمالي المرتضى أن الشفاهة كانت قاسما مشتركا في تأليفها، فقد أملاها الشريف على طلابه، من ذاكرته وحفظه، وهو الذي تلقى التعليم شفاهة وحفظا على أيدي عالمين من أشهر علماء عصره، وهما محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، وأبوعبدالله المرزباني، كما أشار في المقدمة، بالرغم من أنه امتلك مكتبة ضخمة، ذكر أنها حوت ما يربو على ثمانين ألف كتاب ومخطوط، وقدرت بثلاثين ألف دينار بعد وفاته.. برغم ذلك فلم نجد في حواشي الكتاب أو هوامشه ما يشير إلى إملائه من كتاب مسطور، وإنما كان الحفظ سبيله، والحافظة الذهنية هي مصادر تأليفه، ثم تولى تلاميذه تدوين الكتاب تحت إشرافه، ومن ثم انتشر الكتاب بنفس بنيته الشفاهية المملاة، يقرأ في المجالس ويسمعه الناس، أو يقرأ مكتوبا ويجد القارئ فيه وفير الإشارات السمعية. ومن ذلك أن كل مجلس يبدأ بعبارة «قال الشريف المرتضى (قدس الله روحه أو رضي الله عنه)..» وهي تتكرر كثيرا في ثنايا المجلس الواحد، بنفس الصيغة النمطية السابقة، ثم يعرض السؤال أو القضية، ويجيب عنها مفصلا القول، بكافة الوجوه، ونستشعر أن بنية الأسلوب راعت القارئ مثلما راعت السامع، فهي مصاغة بشكل مرتب ومنسق، مدعومة بالشواهد والاقتباسات دون استطرادات أو إسهاب.

النص السردي

لذا، يجب على الباحث أن ينظر إلى طبيعة تكوين النص السردي الذي بين يديه، هل هو شفاهي في الأساس؛ منقول عن راو، أم هو مكتوب بشكل مباشر، وماذا عن الكلمات والتعبيرات والأسلوب المصاغ به. والقضية ليست فرعية كما نتوهم، وإنما هي أساسية، فكثير من المسرودات لا تفهم إلا من خلال إدراك كونها شفاهية، يصدق هذا مع أحاديث النبي ﷺ، ومع القرآن الكريم وأسباب نزوله، وأيضا مع قصص الجاهلية، والمقامات وحكايات المجالس.

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام بنية معرفية طورت من أسلوب المشافهة الموروث إلى أسلوب للعلم والتلقي المعرفي، فلم يكن أسلوب المشافهة قائما على مجرد إنشاد القصائد والقصص، وإنما تعدى إلى تعليم الشعر، وتحفيظ الشعراء ورواة الشعر والمسرودات المختلفة، وكل هذا كان يتم بالقول والسماع، وإذا كانوا قد استعانوا بالكتب فهي على سبيل القول المتقن، وليس الأساس في العلم.

سعيد الشوي
باحث مغربي

مقاصدية السياسة الشرعية

السياسة في اللغة مصدر لفعل ساس يسوس سياسة، وهي لا تخرج عن معنى الإصلاح والاستصلاح والقيام على الأشياء بما فيه الصلاح (١).
وأما مدلولها الاصطلاحي فلا يبتعد كثيرا عن هذا المعنى اللغوي؛ لأنها قيام بما يصلح الرعية في شؤونها الدينية والدنيوية، بجلب مصالحها ودرء المفاسد عنها.
ولهذا عرفها ابن عقيل الحنبلي - رحمة الله عليه - بقوله: «السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول، ولا نزل به وحي» (٢). وعرفها ابن نجيم - رحمة الله عليه - بقوله: «هي فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي» (٣).

ويلحظ انطلاقا من هذين التعريفين، أن السياسة الشرعية فعل أو تصرف من الحاكم أو من ينوب منابه، يهدف إلى تحقيق مصالح الرعية في العاجل والآجل معا.

كما يستفاد من وصف السياسة بالشرعية فائدتان: الأولى: أنها جزء من الشريعة، والثانية: أنها نوعان: سياسة شرعية وسياسة غير شرعية.

وتروم السياسة الشرعية إلى تحقيق جملة من المقاصد، نجملها في المسائل التالية:

المسألة الأولى: حفظ المصالح العامة للأمة

إن المتأمل في التعريف الاصطلاحي للسياسة الشرعية، يجد معناه لا يخرج عن كونه يعبر عن فعل ما يعود على الأمة بالصلاح؛ إما جلبا للمنافع أو درءا للمفاسد، فهي إذن بهذا المعنى، تقصد إلى تحقيق المصالح العامة للأمة. وهي عامة في حق الخلق كافة أو أغلبهم (٤). أو هي المتعلقة بعموم الأمة أو جماعاتها (٥)، ويطلق عليها كذلك اسم «المصالح الكلية»، «ويراد بالكلية في اصطلاحهم ما كان عائدا على عموم الأمة عودا متماثلا، وما كان عائدا على جماعة عظيمة من الأمة أو قطر» (٦).

ومن أمثلتها: «حماية البيضة، وحفظ الجماعة من التفرق، وحفظ الدين من الزوال، وحماية الحرمين: حرم مكة وحرم المدينة من أن يقعا في أيدي غير المسلمين، وحفظ القرآن من التلاشي العام أو التغيير العام بانقضاء حفاظه وتلف مصاحفه معا، وحفظ علم السنة من دخول الموضوعات، ونحو ذلك مما صلاحه وفساده يتناول جميع الأمة وكل فرد منها، وبعض صور الضروري والحاجي مما يتعلق بجميع الأمة» (٧).

وهذه المصالح يعبر عنها – في الغالب – العلماء بالمصالح الكفائية. وفرسان هذا المجال، لم يغفلوا الحديث عن هذا النوع من المصالح لأهميته وضرورته؛ إذ به تصلح أحوال الناس في العاجل والآجل معا.

فالعز بن عبدالسلام، رحمة الله عليه، الذي تميز بدقته في تقسيم المصالح والمفاسد، أورد قسما يتضمن مصلحتين:

إحداهما: فرض على الكفاية، كتعليم أحكام الشريعة الزائدة على ما يتعين تعلمه على المكلفين إلى نيل رتبة الفتيا، وكجهاد الطلب وجهاد الدفع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإطعام المضطرين، وكسوة العارين، وإغاثة المستغيثين، والفتاوى والأحكام بين ذوي الاختصام، والإمامة العظمى، والشهادات، وتجهيز الأموات، وإعانة الأئمة والحكام، وحفظ القرآن.

والثانية: فرض على الأعيان، كتعلم ما يتعين تعلمه من أحكام الشريعة، وقراءة الفاتحة، وأركان الصلوات، وغير ذلك من عبادات الأعيان، وكذلك الحج والعمرة والصلوات والزكوات والصيام (٨).

والناظر في الأمثلة التي مثل بها العز، رحمة الله عليه، للضرب الأول من المصالح، يجدها تتعلق بالإمامة العظمى وولاية القضاء وولاية الحسبة، والجهاد والتعليم والتضامن والتكافل الاجتماعي... وكلها تدخل ضمن وظائف السياسة الشرعية؛ والتي تهدف إلى تحقيق المصالح العامة للناس.

والإمام الشاطبي، رحمة الله عليه، تحدث عن هذا النوع من المصالح التي تدخل ضمن مقاصد السياسة الشرعية، عند كلامه عن المقاصد الأصلية والتبعية؛ حيث قسم الأولى إلى ضرورية عينية، وإلى ضرورية كفائية. ثم قال موضحا ذلك: «فأما كونها عينية: فعلى كل مكلف في نفسه. فهو مأمور بحفظ دينه اعتقادا وعملا، وبحفظ نفسه قياما بضرورية حياته، وبحفظ عقله... وبحفظ نسله...

وأما كونها كفائية: فمن حيث كانت منوطة بالغير أن يقوم بها على العموم في جميع المكلفين؛ لتستقيم الأحوال العامة التي لا تقوم الخاصة إلا بها. إلا أن هذا القسم مكمل للأول، فهو لاحق به في كونه ضروريا؛ إذ لا يقوم العيني إلا بالكفائي، وذلك أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق؛ فالمأمور به من تلك الجهة مأمور بما لا يعود من جهته تخصيص؛ لأنه لم يؤمر إذ ذاك بخاصة نفسه فقط، وإلا صار عينيا، بل بإقامة الوجود، وحقيقته أنه خليفة الله في عباده، على حسب قدرته وما هيئ له من ذلك؛ فإن الواحد لا يقدر على إصلاح نفسه والقيام بجميع أهله، فضلا عن أن يقوم بقبيلة، فضلا عن أن يقوم بمصالح أهل الأرض، فجعل الله الخلق خلائف في إقامة الضروريات العامة، حتى قام الملك في الأرض» (٩).

من خلال كلام الإمام الشاطبي، رحمة الله عليه، الذي تحدث فيه عن المقاصد الكفائية؛ تستشف أهمية ومنزلة المصالح العامة، التي تسعى السياسة الشرعية إلى تحقيقها، فهذه الفروض الكفائية المنوطة بالغير للقيام بها على جميع المكلفين؛ هي سبيل استقامة الأحوال العامة التي لا تقوم الأحوال الخاصة إلا بها. فالمصالح الخاصة إذن، لا تتحقق على التمام والكمال إلا بتحقق المصالح العامة؛ إذ لا يقوم العيني إلا بالكفائي.

ونظرا لهذه الأهمية التي تحظى بها المصالح العامة في نظر الشرع، نجد علماء المقاصد يؤسسون لجملة من القواعد المقاصدية التي تؤكد على أولويتها وأفضليتها من حيث الاعتبار، ومنها: قاعدة: «اعتناء الشرع بالمصالح العامة أوفر وأكمل من اعتنائه بالمصالح الخاصة» (١٠)، وقاعدة: «المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة» (١١)، أو «تقديم مصلحة العموم على مصلحة الخصوص» (١٢)؛ أو بصيغة أخرى «ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة». (١٣) وكذلك قاعدة: «اعتبار الضرر العام أولى (من اعتبار الضرر الخاص)» (١٤)، وهي المعبر عنها بقولهم: «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام» (١٥).

المسألة الثانية: حفظ الضروريات الخمس على مجموع الأمة

إن مما لاشك فيه أن مقاصد السياسة الشرعية تتجلى في حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية، وذلك من خلال الذود عن بيضة الإسلام، وتحقيق الأمن والأمان، ونشر العدل والسلام، وحماية الأموال العامة، وحفظ النظام العام... فهي بهذا المعنى تقصد إلى حفظ الضروريات؛ المتمثلة في:

أولا: حفظ الدين على مجموع الأمة، أي: دفع كل ما من شأنه أن ينقض أصول الدين القطعية. ويدخل في ذلك حماية البيضة والذب عن الحوزة الإسلامية بإبقاء وسائل تلقي الدين من الأمة حاضرها وآتيها (١٦).

ثانيا: حفظ نفوس الناس عامة، وذلك من خلال حفظ الأرواح من التلف أفرادا وعموما؛ لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم... والحفظ أهمه حفظها عن التلف قبل وقوعه، مثل: مقاومة الأمراض السارية (١٧).

ثالثا: حفظ عقول الأمة، المتمثل في حفظ عقول الناس من أن يدخل عليها خلل؛ لأن دخول الخلل على العقل مؤد إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف... ولذلك يجب منع الشخص من السكر ومنع الأمة من تفشي السكر بين أفرادها، وكذلك تفشي المفسدات، مثل: الحشيشة، والأفيون (١٨).

رابعا: حفظ المال العام للأمة، ويقصد به حفظ أموال الأمة من الإتلاف ومن الخروج إلى أيدي غير الأمة بدون عوض، وحفظ أجزاء المال المعتبر عن التلف بدون عوض (١٩).

خامسا: حفظ الأنساب أو النسل، ويقصد به حفظ الأنساب، أي: النسل من التعطيل... لأن النسل هو خلفة أفراد النوع فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع وانتقاصه. ويقصد به كذلك حفظ انتساب النسل إلى أصله، وهو الذي لأجله شرعت قواعد الأنكحة وحرم الزنا وفرض له الحد. وبهذا يزول الشك في الأنساب؛ لأن الشك في انتساب النسل إلى أصله يزيل من الأصل الميل الجبلي الباعث عن الذب عنه، والقيام عليه بما فيه بقاؤه وصلاحه وكمال جسده وعقله، بالتربية والإنفاق على الأطفال إلى أن يبلغوا مبلغ الاستغناء عن العناية. ففوات هذا المقصد يكون له عواقب كثيرة سيئة يضطرب لها أمر نظام الأمة وتنخرم بها دعامة العائلة (٢٠).

المسألة الثالثة: تنفيذ العقوبات الشرعية؛ تحقيقا للمصالح ودرءا للمفاسد

والمعلوم أن السياسة الشرعية موكول إليها حفظ الأمن وتحقيق الأمان، ونشر العدل بين الناس، ورفع الظلم، والقضاء على الخصومات والمنازعات بين الأفراد والجماعات...؛ ولهذا كان من وظائفها الأساسية تنفيذ العقوبات الشرعية: من إقامة للحدود والقصاص وتقدير للعقوبات التعزيرية.

ومن ثم، كان الولاة والحكام هم المخاطبون في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (النور:٢)، قال ابن العربي، رحمة الله عليه، (ت ٥٤٣هـ): «لا خلاف أن المخاطب بهذا الأمر بالجلد الإمام، ومن ينوب منابه» (٢١). وما يقال عن حد الزنا يقال كذلك عن باقي الحدود وعن تقدير سائر العقوبات التعزيرية؛ ولهذا قال ابن تيمية، رحمة الله عليه،: «إقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور» (٢٢)، وهو نفس الكلام (٢٣) الذي قاله تلميذه ابن القيم، رحمة الله عليهما. وهذه العقوبات الشرعية تعتبر من بين وسائل حفظ الكليات الخمس من جانب العدم.

ومن المعلوم كذلك، أن الشارع الحكيم عول في تحقيق المقاصد الشرعية بالأساس على الوازع الجبلي ابتداء، ثم الوازع الشرعي الإيماني، فمعظم الوصايا الشرعية منوط تنفيذها بهذا الأخير. لكن قد تعتريه بدون شك لحظات يضعف فيها؛ لأن إيمان المسلم يزداد وينقص، وقد يصل إلى مرتبة تضيع معها الحدود الشرعية، فهنا يتدخل الوازع السلطاني ليقوم بدوره في حفظ مصالح الأمة ودرء المفاسد عنها.

قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور، رحمة الله عليه،: «فمتى ضعف الوازع الديني في زمن أو قوم أو في أحوال، يظن أن الدافع إلى مخالفة الشرع في مثلها أقوى على أكثر النفوس من الوازع الديني، هنالك يصار إلى الوازع السلطاني؛ فيناط التنفيذ بالوازع السلطاني، كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» (٢٤)» (٢٥). وقال ابن تيمية، رحمة الله عليه، (ت ٧٢٨هـ): «فالمقصود بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم، خسروا خسرانا مبينا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا؛ وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم» (٢٦). وقال الدكتور عبدالمجيد النجار: «والمقصود من الأحكام المتعلقة بنصب السلطان، إنما هو حفظ الدين؛ إذ بتنفيذ الأحكام الشرعية في المجتمع حملا للناس عليها، وفصلا للخصومات وفقها يصير الدين قائما موجها للحياة، ولو تصورنا مجتمعا إسلاميا بدون سلطان تنفيذي لغاب أغلب أحكام الدين عن أن تكون موجهة للعلاقات بين الناس؛ فيضيع إذن الدين بضياع أحكامه» (٢٧).

وهكذا يظهر جليا أن السياسة الشرعية من الدين، وأنها تقصد إلى الإسهام في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، التي جاء الشرع لحفظها والتمكين لها بين العباد، فمتى انضبطت السياسة بقواعد الشرع ومبادئه، حققت الغرض والغاية من تشريعها، ألا وهو تحقيق مصالح العباد في الآجل والعاجل معا، من خلال درء المفاسد عنهم وتقليلها وجلب المصالح لهم وتكثيرها.

الهوامش

١- لسان العرب لابن منظور، مادة: «سوس»، ٢١٤٩/٣.
٢- الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية، ص ١١.
٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي ١١/٥.
٤- ينظر: شفاء الغليل للإمام الغزالي، ص ١٠٢.
٥- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ص ٧٦-٨٤.
٦- نفسه، ص ٨٤.
٧- نفسه، ص ٨٤.
٨- قواعد الأحكام ٧١/١.
٩- الموافقات للإمام الشاطبي، ١٣٢/٢.
١٠- قواعد الأحكام ١٥٨/٢.
١١- الموافقات للإمام الشاطبي، ٢٥٩/٢-٢٧١-٢٧٣.
١٢- نفسه، ٢٥٩/٢.
١٣- الاعتصام للإمام الشاطبي، ٣٦٧.
١٤- الموافقات للإمام الشاطبي، ٢٥٩/٢.
١٥- شرح القواعد الفقهية للزرقاء، ص ١٩٧.
١٦- مقاصد الشريعة للإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ص ٧٨.
١٧- نفسه، ص ٧٨.
١٨- نفسه، ص ٧٨.
١٩- نفسه، ص ٧٨.
٢٠- نفسه، ص ٧٩.
٢١- أحكام القرآن لابن العربي، ٢٦٦/٣.
٢٢- مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٠٨/٢٨.
٢٣- الطرق الحكمية لابن القيم، ص ٢٠٦.
٢٤- هذا الأثر لم أقف عليه في مظان الحديث والآثار، ولكنه ذكر في مواضع أخرى متعددة. فذكره ابن العربي في أحكامه، ١٧٥/٢. وذكره ابن تيمية في مجموعه، ١٠٨/٢٨. وذكره ابن القيم في طرقه الحكمية، ص ٢٠٦. وذكره ابن كثير في تفسيره، ٨٥/٥...
٢٥- مقاصد الشريعة الإسلامية للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ص ١٢٥.
٢٦- السياسة الشرعية لابن تيمية، ص ٢٩-٣٠.
٢٧- مقاصد الشريعة للدكتور عبدالمجيد النجار، ص ٧٢.

العوني احميدة
كاتب يمني



النحو العربي يتحدى التغريب

يبدو أننا اليوم، أكثر من أي وقت مضى، محتاجون إلى العض بالنواجذ على هويتنا، بكل مكوناتها، ذلك بأن حملات التغريب لم تهدأ ولن تهدأ، وجلي أن الوسائل التي يستعملها المغربون أكثر قوة وإغراء، فبقوة المال والإعلام والعلم يؤثرون تأثيرا بليغا في نفوسنا، نساء ورجالا، صغارا وكبارا. وما التغريب إلا فصل الإنسان عن هويته، ولاشك في أن واقعنا اليوم يشهد أن الإنسان في الوطن العربي الكبير تغرب كثيرا، شكلا ومضمونا، ولعل أهم مازال يثير غيض المغربين بقاء اللغة العربية حية ترزق رغم السهام المسمومة التي ظلت تتلقاها من هنا وهناك، وهم يدركون أن اللغة العربية الفصحى هي الخيط الرفيع الذي يصل الأمة الإسلامية العربية بدينها وتراثها الحضاري الذي امتد أزيد من خمسة عشر قرنا، وجدير بنا أن نفتخر بأننا مازلنا بفضل بقاء اللغة العربية حية نتواصل مع ما كتب الإنسان بالعربية منذ مئات السنين، وما يكتبه الآن في مشارق الأرض ومغاربها، بل حري بنا أن نعتز بأننا مازلنا نقرأ ونكتب بلغة القرآن الكريم، كما كان يقرأ بها ويكتب الإنسان منذ مئات السنين، ويكفينا شرفا أن تكون اللغة العربية لغة آخر كتاب سماوي.. ثم علينا أن ندرك أن أهم ما ظل حاميا لهذه اللغة من الانحلال والاضمحلال هو النحو، فهل تعرف الناشئة اليوم وغدا معنى النحو؟ وهل يدرك الناس وظيفة النحو وقيمته؟

يقف قارئ النحو مندهشا أمام كثرة المؤلفات النحوية، فلم يتوقف التأليف النحوي لحظة واحدة، منذ أن وضع أبوالأسود الدؤلي اللبنات الأولى لهذا العلم إلى يومنا هذا، فلم يزل الباحثون في كل عصر يكتبون في النحو، نقدا وتقويما، شرحا وتلخيصا، تنظيرا وتطبيقا... ولاشك في أن لهذه الكثرة المدهشة دلالات، أهمها إدراك الباحثين لأهمية النحو من حيث الوظائف التي يؤديها.

١- صون اللغة

لا تقوم اللغة العربية إلا بالنحو، فهو السدى الذي به ينسج الكلام العربي، وهو العمود الذي عليه يبنى، فإذا سحب سدى العربية وعمودها هوت وانحلت وتفسخت، والتاريخ والواقع اليوم يشهد أن اللغة العربية تضعف وتذهب قوتها وهيبتها على لسان من يتكلم دون إعراب، أي دون نحو، ففرق كبير بين متكلم فصيح يعرب كلامه ومتكلم غير معرب يجزم أواخر الكلمات، أو يلحن. فللنحو بقطع النظر عن وظيفته في أداء المعنى على الوجه المقصود، قيمة كبرى في إضفاء قوة وهيبة على الكلام، مما يجعل تأثيره على المتلقي عميقا بليغا (١).

٢- الفهم والإفهام إذا ضاع النحو، ضاعت اللغة العربية، وإذا ضاعت اللغة العربية ضاع فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وحضارة العربية عموما، فقد اتضح أن تغيير حركة واحدة في قراءة القرآن الكريم، أدت إلى «كفر» الأعرابي بالرسول ﷺ، وتصحيحها أدى إلى «إيمان» هذا الأعرابي، وخطأ واحد في آخر كلمة «أشد» أعاق الفهم والإفهام بين الأب وابنته، فأبوالأسود الدؤلي فهم الاستفهام، بينما كانت البنت تريد أن تفهم

أباها أنها تتعجب من شدة الحر، يقول سعيد الأفغاني يشير إلى أن من أغراض واضعي النحو «صيانة الدين ...، إذ كانت سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وكان في ضعف العربية تضييع لهذا الفهم» (٢).

امدد بصرك وراءك خمسة عشر قرنا لترى أن هذا النحو خاصة، وعلوم العربية عامة، كان من بين أسباب حفظ اللغة العربية، فأنت في عصرك الآن تفهم ما قالته أمة في زمن سحيق تفصل بينك وبينها ما لا يقل عن خمسة عشر قرنا، ويكفي النحو فائدة أن يجعلنا نتواصل الآن وغدا مع تراثنا كأنه قيل الآن، ولنفرض أن هذا النحو استغني عنه بدعوى أنه لا قيمة له في الإفهام، هل يسطيع أحد الآن أن يفهم ما قيل باللغة العربية في القرن الأول الهجري مثلا، لولا أن اللغة العربية الفصيحة حية بيننا، نقرأ بها ونكتب، ونتخاطب بها في المدارس والجامعات وفي الجمعات بالمساجد على الأقل.

٣- الوظيفة البلاغية

إن وظيفة النحو لا تنحصر في الإعراب، أي الإفصاح عن المعاني المختلفة من خلال العلامات الإعرابية، كالتمييز بين الفاعلية والمفعولية والإضافة، بل له وظيفة أخرى مهمة هي كشف ما في التعابير من معان بيانية، وقد أفاض عبدالقاهر الجرجاني في هذا الموضوع وهو يشرح نظرية النظم، قال: «اعلم أن ليس «النظم» إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه «علم النحو» وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها» (٣).

وقد جادل الجرجاني منكري أهمية النحو جدالا طويلا شيقا في كتابه «دلائل الإعجاز»، وبين أن النحويين أشاروا في ثنايا تناولهم لأبواب النحو إلى المعاني البيانية، فوضح أن تقديم المفعول به في مثل: «قتل الخارجي زيد»، دال على أن المهم بالنسبة للمتكلم والمخاطب هو المفعول لا الفاعل، ذلك بأن الناس متلهفون أن يلقى هذا الخارجي جزاءه، بسبب ظلمه وفساده. وإذا حدث فعل من فاعل لا يتوقع أن يحدث منه، قدم الفاعل، مثل: حفظ طفل القرآن... وقس هذا فيما ذكره الجرجاني من أمثلة أخرى في أبواب نحوية شتى، من ذلك إشارته إلى النكت البيانية في الخبر، مثل: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق (٤).

هذا هو الأصل في النحو، إذ كان سيبويه كما يقول الشاطبي (٥)، لا يكتفي ببيان الأحوال الإعرابية للكلمة في التركيب، بل يمزج ذلك ببيان المعاني البلاغية التي تختزنها التراكيب العربية، غير أن النحويين لم يلتقطوا هذه الإشارات في كتاب سيبويه، وقد أشار الدكتور محمد حماسة عبداللطيف (٦) إلى أن النحو زاغ عن هذه الوظيفة، بعد كتاب سيبويه، فقد حصر المتأخرون النحو في دائرة شكلية ضيقة هي دائرة الإعراب والبناء، أو الصواب والخطأ.

خاتمة

هكذا تبوأ النحو مكانة مهمة لدى علماء العربية قديما وحديثا، لما له من أهمية في صون العربية من الفساد والانحلال، ولما له من فضل في فهم كلام العرب وإفهامه، ولقيمته البيانية، فهو آلة بها تفتح المعاني القريبة والبعيدة، لذلك فمعظم العلوم العربية مفتقرة إليه، ومبنية عليه، فهو أصل علوم البلاغة، وهو شرط من شروط المفسر المجتهد.. ونحن في عصرنا نحتاج إلى أن نعي أولا قيمة النحو ووظائفه، وجدير بمن يشتغل بالنحو تدريسا وتأليفا أن لا ينسى أن النحو نشأ أول ما نشأ لمعالجة خلل في الفهم والبيان، لذا لا ينبغي أن يحول النحو إلى مجرد محفوظات للقواعد، دون بيان أثرها في البيان والإفهام، فالنحو يصير جافا عديم الفائدة إذا قدم كآلة لكشف الخطأ وتصحيحه فقط. ولا يخفى أن النحو لا يمكن أن يؤخذ في مرحلة تعليمية واحدة، لذا من المفيد جدا أن يصاحب النحو المتعلم من المدرسة الابتدائية إلى الجامعة، مع تدرج في تقديمه والتركيز على أمثلة لها صلة بواقع الإنسان اليوم، ومن المؤسف أن نرى النحو مادة لا تقرر في التعليم الجامعي إلا في شعب الدراسات العربية والإسلامية، ألم يحن الأوان كي يدرس النحو في الشعب والمسالك كلها في جامعات الوطن العربي؟ فلماذا لا يدرس طالب الحقوق وطالب الاقتصاد وطالب الفلسفة... النحو مع أنه يتلقى معظم المواد باللغة العربية؟ إن البيئة اللغوية في واقعنا تحث الأمة كلها بمؤسساتها الرسمية وغير الرسمية على أن تهتم بالنحو، فالمغربون انتقلوا من التنظير إلى التطبيق فيما يخص محاربة العربية، فقد شاعت العامية في وسائل الإعلام، وأزيحت العربية من كل مكان، من لافتات الشوارع، وأسماء المقاهي والمطاعم والمتاجر... وأزيحت أيضا من قلوب النشء بعد أن اقتنعوا أن إتقان العربية لا يشفع لهم أبدا بالحصول على وظيفة رسمية أو غير رسمية.

الهوامش

١- من تاريخ النحو العربي، لسعيد الأفغاني، دار الفكر، د. ط. ص ١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧.

٢- من تاريخ النحو العربي، لسعيد الأفغاني، دار الفكر، د. ط. ص ١٩.

٣- دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ص ٨١.

٤- دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ص ٨١.

٥- يقول الشاطبي: «كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش، والمراد بذلك أن سيبويه وإن تكلم في النحو، فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به، حتى إنه احتوى على علم المعاني والبيان، ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني» الموافقات في أصول الشريعة، تعليق محمد عبدالله دراز، ج ٤. ص ١١٦.

٦- النحو والدلالة، لمحمد حماسة عبداللطيف، ط ٢. ٢٠٠٠. دار الشروق، ص ٢٦-٢٧.

محمد عبد الصمد
الإدريسي
كاتب مغربي



عند الفراغ

«اليوم يوم كسائر أيامي.. ما الذي يمكن أن أفعله في مثل هذا اليوم الفارغ من أي معنى.. تعبت من كثرة النوم الذي أوهن جنبي.. ومن هذا الغطاء الذي أثقل ظهري.. لم أشْكُ مطلقا من ضجيج السيارات التي تقلق راحتي كل يوم منذ انسحاب جيوش الظلام، ولا من صراخ الباعة يطلقون نداءاتهم الملتوية، كأنها أسماء الشياطين الشريرة التي تسكن قاع البحار في الفيلم الكارتوني الذي شاهدته أمس.. إن الصباح لايزال باكرا.. فحتى الساعة العاشرة لم تدق بعد!! العاشرة.. نعم العاشرة... في هذا الصباح البارد لا شهية لي للجلوس على فيلم من الأفلام السخيفة، أين يمكن أن أذهب؟ هل أدفن نفسي في قاعة الألعاب مع أولئك المعتوهين؟ من قبل كنت أمضي يومي إلا أقله في نادي الإنترنت. تعرفت على كل الكائنات الإلكترونية.. مللت عبارات النفاق والمجاملات والوعود التي خُلقت لتعيش في الفضاء الإلكتروني.. ذلك الفضاء عالم غريب، يمنحك ما تبحث عنه على شكل مستعجل، ويبيعك الوهم والسراب.. لم تعد تلك الأحلام تثير

رغبتي، وجيبي الفارغ أصبح يبحث له عن محطة للارتواء لا تنتهي. ها أنا ألبس حذائي وأنا لا أعلم أين سأكون بعد العشر الدقائق المقبلة!»

اصطرعت هذه الخواطر في داخله كخليط غير متجانس.. وهو يخرج من بيت نومه كسلان بَرِما بيومه الجديد الذي ابتدأه باكرا على غير ميعاد.. أمام مرآة الحمام دهن شعره وصففه بطريقة عجيبة تشبه عرف ديك أو طاوس، حدّق في المرآة مليا وتحسس ذقنه بيده.. أدخل هاتفه المحمول في جيبه، وجر سماعتيه من تحت ثيابه ليُثبتهما في أذنيه، والتوى في خفة مع سلالم العمارة لا يلوي على شيء. في الشارع سار على الجانب الأيمن، تقرصه لسعات البرد في خديه وأذنيه، مر على مقهى «الحلوي».. يرتشفون قهوة الصباح. وبعض من الفارغين من أمثاله يقتلون الوقت بمهاتراتهم المقيتة، ويحرقون سجائرهم في ملل..

«من المسؤول عن حالة الفراغ والبطالة في حياة الناس؟.. إذا انتهت كل المهام فلتقم الساعة».

قالها يوما خاله، الذي يُفرغ في سمعه كل حين حمولة من التقريع لابن أخته الجاهل والعاطل والفارغ والذي لا يعرف مصلحته ولا يريد أن يصنع مستقبله.. لم يجبه حينها، وتمنى لو لم يكن خاله، وإذن لسَوّاه بالأرض، ولتنقطع عنه طلعته العابسة، ولتنقطع معها الخمسون درهما التي يرمي بها إليه عند كل زيارة..

مَالَه وخاله الآن.. وهَمّ أن يلقي بنفسه على كرسي في زاوية المقهى، لولا أن نادته عجوز استدرجتها الأيام لحالة من الوهن، وهي تشير إلى سلة تريده أن يحملها عنها، ولأنه لم يستطع أن يقاوم حالة الشفقة التي امتلكته حينها.. حمل عنها سلتها نحو محطة الحافلة، ولم ينتبه إلا وقد انطلقت الحافلة وهو داخلها دون أن يفكر في الأمر!!

أصابه الذعر وهو يكتشف أن جيبه أفرغ من فؤاد أم موسى. ماذا لو ظهر مراقب التذاكر فجأة وقبض عليه كلص عار أمام الملأ؟ إنه لا يحتمل الأبصار ترمقه شامتة، ولا التذلل لمراقب سيء.. وهاهي العجوز قابعة كَسَلتِها لا تلتفت إليه وكأنها لا تعرفه!

واكتشف أنه يضع في أذنيه سماعات الهاتف دون أن يكون قد شغل أيا من الصوتيات، بل إن هاتفه فسد منذ مدة طويلة. وقهقه لهذه النكتة ثم طوى ضحكته قبل أن تتم، وزم شفتيه في يأس وعيناه لا تفارقان باب الحافلة.

أما أنا فمع أني لا أزيد على أن أحكي قصته فقط، ولا دخل لي في أفعاله، إلا أني مع ذلك أشعر بالمرارة والمقت من حاله.

وأما هو..

أما هو، فقد نزل مع «عجوزه» رجْلا بـرِجل من الحافلة وكأنه قدرها، ودخلت بيتها وتركته كأنه ليس من جنس البشر.. ثم أمعنت في خَرَفِها حين فتحت الباب مرة أخرى ونادته ليحمل عنها حاوية النفايات.

حمل الحاوية ليضعها في الشارع وقت مرور شاحنة البلدية.. ولأنها لم تَدْعُه للجلوس معها أو على الأقل للدخول، ولأنه لم يفكر – كما هي عادته – في ما يفعله هذه اللحظة؛ وضع الحاوية على الرصيف، وجلس متكوما على نفسه بالقرب منها.. هاهي الشاحنة تقف أمامه حتى كادت أن تدعس رجليه.. لم يتحرك من مكانه.. نَط منها عاملان خطفا الحاوية بتقنية عالية.. ثم..

ثم قبل أن يرتد إليه طرفه عادا فأطبقا عليه هو الآخر وحاولا جره نحو الشاحنة!! وتحركت فيه غريزة حب البقاء فنثرها كسلاح أخير.. واندهش لإنجازه العظيم وهو يرى نفسه ينفلت من بين سواعدهما الصلاب.. ولم تهمه الضحكة التي انغمسا فيها وهما يَرَيانِه يفر مذعورا كفأر طريد، كل ما في الأمر أنه أطلق ساقيه للريح وهو سعيد برجليه إذ لم تخوناه.

عاطف عكاشة
شاعر وأديب مصري

وَصَايَا شَيَاطِينِ الْإِنْسِ

شَيَاطِينُ إِنْسٍ فِي الضَّلَالِ قِيَامُ ... وَمِنْ حَوْلِهِمْ لِلْمُفْسِدِينَ زِحَامُ

يَقُولُونَ: مَاتَ الشَّرُّ أَمْ جَفَّ نَبْعُهُ ... وَمَا عَادَ فِي هَذَا الْوُجُودِ لِئَامُ؟

لَقَدْ قَوَّضَ الْإِسْلَامُ مَمْلَكَةَ الدُّجَى ... فَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا وَنَحْنُ نِيَامُ

فَكَيْفَ سَتُعْمِي الْمُبْصِرِينَ رَذِيلَةٌ ... يُقَالُ حَلَالٌ حَوْلَهَا وَحَرَامُ؟

وَكَيْفَ سَرَى الْإِسْلَامُ فِينَا وَأَصْبَحَتْ ... تُقَامُ صَلَاةٌ بَيْنَنَا وَصِيَامُ؟

إِلَامَ نَرَى الْقُرْآنَ وَهْوَ مُبَجَّلٌ ... وَأَحْكَامُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ تُقَامُ؟

أَنَرْضَى صُعُودَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الذُّرَى ... وَفِي الْقَاعِ بَاقِي الْعَالَمِينَ سَوَامُ؟

أَيَحْبُوهُمُ الْقُرْآنُ كُلَّ رِيَادَةٍ ... وَفِي هَامِشِ التَّارِيخِ نَحْنُ طَغَامُ؟

أَلَيْسَتْ دِمَاءُ الْمَكْرِ مِلْءَ عُرُوقِنَا؟ ... فَكَيْفَ عَلَى لَعْقِ الْهَوَانِ نُسَامُ؟

تَبَنَّوْا عِدَاةَ الْمُسْلِمِينَ فَرِجْسُهُمْ ... لَهُ حُرْمَةٌ فِي شَرْعِنَا وَذِمَامُ

أَلَيْسَ عِدَاةُ الْمُسْلِمِينَ يَدًا لَنَا ... وَعَارٌ يَدُ الْجَيْشِ الْمُعِينِ تُضَامُ؟

أَرِيقُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا ... لِكُلِّ الْعِطَاشَى فِي الْوُجُودِ مَرَامُ

سَتَلْبَسُ أَثْوَابَ السَّحَابِ حُقُودُنَا ... وَأَمْطَارُهَا فَوْقَ الرُّؤُوسِ حِمَامُ

مِنَ الدَّمِ تَرْوَى فِي الظَّلَامِ حُقُودُنَا ... وَتُعْلِنُ أَنَّا لِلسَّلَامِ قِوَامُ

وَتُمْطِرُ بِالْكَيْدِ الْمَتِينِ ضَغَائِنًا ... تُغَادِرُ أَرْضَ الْعُرْبِ وَهْيَ ضِرَامُ

وَفِي كُلِّ دَارٍ سَوْفَ تَسْكُبُ فِتْنَةً ... لِتَنْبُتَ فِيهَا فُرْقَةٌ وَخِصَامُ

فَلَا سَاعَةٌ إِلَّا وَفِيهَا تَنَاحُرٌ ... وَلَا مَوْضِعٌ إِلَّا وَفِيهِ صِدَامُ

سَيَقْذِفُ بُرْكَانُ الْحُقُودِ جَحِيمَهُ ... لِيُعْجِزَهُمْ بَعْدَ السُّقُوطِ قِيَامُ

فَجُلُّ الْأَمَانِي أَنْ تَرَاهُمْ عُيُونُنَا ... وَهُمْ لِلْوُحُوشِ الضَّارِيَاتِ طَعَامُ

فَمَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مُلُوكُهَا ... وَتَحْتَ التُّرَابِ الْمُسْلِمُونَ عِظَامُ

وَمَا أَجْمَلَ الْقُرْآنَ وَهْوَ مُعَطَّلٌ ... وَأَعْمِدَةَ الْإِسْلَامِ وَهْيَ حُطَامُ

حُرُوفُ وَصَايَانَا تُنَاشِدُ عَزْمَكُمْ ... لِيُصْبَغَ مَأْمُومٌ بِهَا وَإِمَامُ

كَأَنِّي بِأَصْوَاتِ الضِّيَاءِ تُجِيبُنَا: ... خَسِئْتُمْ وَهَلْ يُخْفِي الضِّيَاءَ ظَلَامُ؟

وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَقُودَكُمُ الْعَمَى ... وَيَأْخُذَكُمْ بِالْفَاحِشَاتِ هُيَامُ

فَمَنْ كَانَ مِنْ ثَدْيِ الظَّلَامِ رَضَاعُهُ ... فَلَيْسَ عَلَى بُغْضِ الضِّيَاءِ يُلَامُ

د. عبد المنعم عبد الله حسن
أستاذ في جامعة الأزهر

النجيب في النور يمضي

يسبق الضوءَ خطوُه في انطلاق … ويشق المسيرَ شقّ اختراق
ويجوب الآفاق، كالسهم يمضي … عبقريّ الخطا، رحيب النطاق
لمحة البرق، لا تراه بعين … لا تضاهيه سرعة في السباق
لو مَطيُّ الورى تَجمّع يوما … لم تفز منه مرة بلِحاق
يقهر السبقَ نفسه، فإذا هو … مُضمحِلٌ أمام سَيْرِ البراق
وكأنّ الزمان ما دار، ماذا … قد دهاه، أبات قيد الوثاق؟
ليسير البراق شرقا وغربا … طاوي الأرض طائرا في الطِباق
فوقه قد علا نبيّ البرايا … فأزال الضياءُ غَيْمَ المحاق
عَطّر الكونَ نورُه إذ تَجَلّى … عَبّرَ هذا الفضاء بين ائتلاق
والبراق النجيب في النور يمضي … ويشق الفضاءَ نحو التلاقي
حيث أمّ الرسولُ في القدس حَشْدا … وهناك التقى بخير الرفاق
طَلْعةُ القبلتين نورٌ تَجَلّى … فاض حَوْلَ الرُّبى وحول الرواق
كم نفوس مضت هنا سابحات … في دَمٍ دافق ونَزْفٍ مُراق
وبيوت تهدمت بذويها … وقلوب تمزقت باحتراق
وظلام على الرحاب طويلا … بات يرنو إلى السنا باشتياق
رَبِّ عَجِّلْ بنورِ فَجْرٍ صَدوقٍ … دائمٍ، لا يميل نحو الفراق
مسجد القدس حوله بركات … أُمَمُ الأرض نحوها في استباق
لتشد الرحال شوقا إليها … تلثم الأرض في أحرِّ عِناق
وارتقى في السماء خير البرايا … في جلال، وعزة، ووِماق
الفضاء الفضاء من غير حدٍّ … فُتّحَ الكونُ دون أي انغلاق
والضياء الضياء في الكون يسري … عَطَّرَ الكونَ فيضُه في انبثاق
يا رسول الهدى بذكراك نحيا … في سمو، ونعتلي للمراقي
تُمتعُ النفسَ سيرةُ الحق دَوما … والهدى في القلوب حُلْوُ المذاق
أنت يا سيد الأنام بحق … خيرُ مُسرى به، وأفضل راق
والبراق الذي أَقَلّك يَحظى … بثناء مُعَطّرِ الذكرِ باق

محفوظ أمين غريب
قاص من مصر

قصة قصيرة



لم يفتها القطار

هممت وقلبها ملتاع: من الناس فريق يلوون ألسنتهم بمقولات لتحسبها من ضروب الحكمة. وقد عكر ذلك الفريق صفو مشاعري بمقولة «فاتها القطار» زاعمين إشفاقهم عليّ لأني تجاوزت سن الثلاثين بعامين ولم أرزق زوجا، فالقطار في مقولتهم عني هو قطار الزواج. واغرورقت عيناها بالدموع.. ويتواصل تهممها في حزم: من المؤكد عندي أنه لم يشغلني يوما أن يفوتني هذا الذي يسمونه قطار الزواج لأنه يمور في أعماقي يقين بأن الزواج أمر موقوت، فلا يجوز لإنسان



حكيم أن يقدم عليه في غير وقته المناسب أو دون مبالاة بعقبة في مسيرة حياته عليه أن يقتحمها قبل الزواج.. وهاجتها ذكرى مسيرة حياتها فراحت تسترجع ذكرياتها: تذكرت أنها عقب تخرجها من الجامعة سعدت بحصولها على وظيفة بإحدى شركات القطاع الخاص فحمدت ربها أن لم تعضها البطالة بنابها ووطدت عزمها على أن تبر أهلها بإضافة راتبها الشهري إلى راتب أبيها من وظيفة بمؤسسة حكومية كي يتحقق الاستقرار المادي للأسرة، فكم كان قلبها يذوب إشفاقا على أبيها وهو يرهق نفسه بالعمل في الفترة المسائية بمؤسسة أحد رجال الأعمال ليحقق عيشا هنيئا لأسرته، وقد انحنى ظهره واشتعل رأسه شيبا، فألفت قلبها الحاني يثبت على العزوف عن الزواج لتواصل مسيرتها في بر أهلها.. وغمرها بأسى بالغ تذكرها أنه بعد عدة سنوات من عملها بشركة القطاع الخاص أعلن إفلاسها وتسريح موظفيها فآلمها لأول وهلة أن عضتها البطالة بنابها لكنها ما لبثت أن تبينت أن البطالة التي كرهتها هي خير لها ولأهلها، إذ ألم بأمها داء عضال أعيا الأطباء فتقبلت في ظل البطالة أن تقوم بتمريضها وقضاء حاجاتها ليل نهار، وتدير شؤون البيت، وتشارك أباها في رعاية شقيقاتها الثلاث، فهي تسبق كبراهن في الميلاد بخمس سنوات، فاطمأنت نفسها إلى أنها عوض لهن عن أمهن المريضة، فصرن يسترشدن بها في كل ما يأخذن ويدعن من أمور الحياة وغدا أروع ما يتهادى إلى سمعها دعاء أبيها وأمها إلى الله أن يجزيها عنهما وعن شقيقاتها خير الجزاء، فكان ذلك الدعاء يزيد قلبها ثباتا على ما ثبت عليه من قبل وهو العزوف عن الزواج ومواصلة ذلك العزوف إلى أن يتم شفاء أمها.. ورج كيانها رجا وتفجر نهر دموعها وهي تتذكر أنه جاء يوم شاء الله فيه أن يسترد وديعة أمها بموتها، وألفت أباها دائم الحزن لفراقها، وكثيرا ما لمحته يختلي بنفسه في جانب من البيت ويجهش ببكاء يهزه هزا، فلما أشفقت عليه يوما واقتربت منه ترجوه أن يرحم نفسه من شدة حزنه بادرها قائلا: يابنتي كانت أمك مثالا فريدا لشريكة الحياة الزوجية، فلطالما استأنست بها في مواجهة مخاوف الحياة المادية والمعنوية، إنها واستني بمالها الذي ورثته عن أبيها، ووصلت رحمي، وأراحتني كثيرا باجتنابها المشاكل المعتادة بين الزوجة وأهل زوجها، وعودتك وشقيقاتك في تنشئتها لكن على خير ما تعود عليه أم أولادها، وكانت بحق راعية في بيتي وتقدر مسؤوليتها عن تلك الرعاية حق قدرها، ولذلك يابنتي الفيتني كارها للتزوج بغيرها بعد رحيلها.. هز وجدانها تذكرها كلام أبيها عن أمها بعد رحيلها عن الدنيا، فأطرقت محزونة تسترجع ذكريات معها وعيناها تهملان الدموع.. انتشلها من خضم ذكرياتها طرق على باب البيت، وكان الطارق أباها عائدا من المسجد عقب صلاة المغرب، فقال لها: سوف يزورنا بعد صلاة العشاء الشيخ مبروك إمام المسجد ومعه زوجته وابنه، واعلمي يابنتي أن ابنه هذا خريج الجامعة ويسبقك في الميلاد بسنتين، وقد سافر بعد ثلاث سنوات من تخرجه من الجامعة إلى فرنسا وأقام بها تسع سنوات جمع خلالها بين العمل والالتحاق بدراسات عليا، والآن عزم على الزواج والاستقرار في وطنه وهو ينتظر تعيينه في وظيفة مرموقة، وختم أبوها كلامه قائلا: غرض الزيارة هو أن ابن الشيخ مبروك يريد أن يخطبك إلى أهلك ولك حق قبول خطبته أو رفضها، وأنا أوقن بأن كل عارفيه يرضون دينه وخلقه، ولذلك أتقبله زوجا لك، وسوف تتعارفان خلال الزيارة.

وبعد انصراف الزائرين قبل منتصف الليل استرخت فوق سريرها وقلبها يرفرف مسرورا بخطبة ابن الشيخ مبروك وراحت تهمهم والنوم يأخذها شيئا فشيئا: أيها الذين خادعتم فقلتم عني: «فاتها القطار» لو تدبرتم أمري لفقهتم أنه لم يفتني القطار بل هو قدر قدره لي -بحكمة- خالق الليل والنهار.

عادل الحدان
باحث وأستاذ لغة

من خلال كتابه «البيان والتبيين»

ملامح من السيرة النبوية عند الجاحظ

تعالج هذه المقالة -كما هو مصرح في عنوانها- بعضا من الشذرات والنتف من حياة خير البشر سيدنا محمد ﷺ التي وردت في أهم كتب الجاحظ، باعتبار أن كتب الأدب تعد من المصادر الأصلية للسيرة النبوية، وفق ما ذكره الدكتور فاروق حمادة في مصادر السيرة النبوية وتقويمها، حيث قال: «يمكننا تقسيم هذه المصادر إلى ثمانية أنواع نوردها مرتبة حسب أهميتها: ١- القرآن الكريم، ٢- كتب الحديث، ٣- كتب الشمائل، ٤- كتب الدلائل، ٥- كتب المغازي والسير،٦- كتب ألفت في تاريخ الحرمين: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ٧- كتب التاريخ العام، ٨- كتب الأدب واللغة» (١)، خصوصا إذا تعلق الأمر ببحر من بحور الأدب، وهو أبوعثمان عمرو ابن بحر الملقب بالجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، المعتزلي المتكلم، والذي تشرب العلوم والآداب من بطون الكتب حتى كانت سببا في حتفه. وعد كتابه «البيان والتبيين» من أعمدة الأدب كما قال ابن خلدون (٨٠٨ هـ) في مقدمته المشهورة: «سمعنا من شيوخنا في مجالس العلم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي «أدب الكاتب» لابن قتيبة و«الكامل» للمبرد و«البيان والتبيين» للجاحظ و«النوادر» لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها» (٢).

ونظرا لتعدد كتب الجاحظ وتشعبها، ارتأينا أن يكون مجال البحث محدودا في كتابه «البيان والتبيين». الذي هو كتاب ثقافة أدبية واسعة، فأسلوب الجاحظ في الكتاب يعتمد على الحديث المسترسل في مجموعة من الموضوعات من دون أن يستقر على موضوع محدد، فهو كثيرا ما يدخل في استطرادات كثيرة تجعلنا نشعر بأنه قد نسي ما كان بصدده، فإذا به يعود للموضوع الأول. لذا تبين لنا بعد تجميع الشواهد التي تمثل ملامح السيرة النبوية في الكتاب المدروس، أنها تنتظم فيما يأتي:



أولا - يركز الجاحظ على بلاغة الرسول ﷺ ومدى قوته في كثير من جوانب كتابه، ومن بين أحسن ما قاله في هذا الباب قوله عن كلام ﷺ: «وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (ص:٨٦). فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة»(٣). وهو وصف دقيق لما كان عليه كلامه ﷺ، وبيان لفصاحته التي سحرت العقول والألباب. وفي مكان آخر يبين الجاحظ أن من كلام الرسول ﷺ ما صار مثلا يجري على الألسن، يقول الجاحظ: وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ، مما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يدّع لأحد ولا ادّعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا.

فمن ذلك قوله: «يا خيل الله اركبي»، وقوله: «مات حتف أنفه»، وقوله: «لا تنتطح فيه عنزان»، وقوله: «الآن حمي الوطيس» (٤).

ثانيا - استشهاده بأحداث كثيرة من السيرة النبوية، نورد بعضها للتمثيل لا الحصر، من ذلك حدث إعراض قريش عن دعوة النبي ﷺ في قوله: «قال معاوية لرجل من أهل سبأ: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! فقال: بل قومك أجهل! قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الحق وأراهم البينات: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال:٣٢) إلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له!» (٥). ثم ننتقل إلى خبر آخر يتعلق برواية الرسول ﷺ لخطبة قس بن ساعدة، يقول: «رسول الله صلّى الله عليه وآله هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته، وهو الذي رواه لقريش والعرب، وهو الذي عجب من حسنه وأظهر من تصويبه» (٦). ومن الأحداث كذلك قوله: «نادى رجال من وفد بني تميم النبي ﷺ باسمه من وراء الحجرات، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات:٤)» (٧)، إضافة إلى ذكره لأحد أحداث غزوة حنين في معرض حديثه عن مكانة الصوت لدى الخطيب، يقول: «وقد كان العباس بن عبدالمطلب جهيرا.. جهير الصوت. وقد مدح بذلك، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين، حين ذهب الناس عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فنادى العباس: يا أصحاب سورة البقرة، هذا رسول الله. فتراجع القوم، وأنزل الله عزّ وجلّ النصر وأتى بالفتح» (٨)، ثم نختم هذا القسم بقوله: وقالت عائشة: «ما شبع رسول الله صلّى الله عليه وآله من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا» (٩)، مما يدل على زهده ﷺ.

ثالثا - فيما يخص الخطب، فقد ذكر صاحب «البيان والتبيين» حوالي خطبتين في كتابه هذا، فالأولى تتجلى في قوله: «خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بعشر كلمات: حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار» (١٠).

والثانية: وهي خطبة حجة الوداع، والتي خصص لها عنوانا خاصا، يقول: «خطبة النبي ﷺ في الوداع قال ﷺ: الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد، أيها الناس أسمعوا مني أبيّن لكم، فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت؟ اللهم أشهد» (١١).

رابعا - ونخصصه للأحكام النقدية التي كان النبي ﷺ يصدرها بين الفينة والأخرى. ومن بينها قوله: «ومن قدر الشعر وموقعه في النفع والضّر، أن ليلى بنت النضر بن الحارث بن كلدة لما عرضت للنبي ﷺ وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها، وقال رسول الله ﷺ: «لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته!» (١٢).

وكذلك وصفه ﷺ لبلاغة بعض الشعراء والخطباء: «ولِمَ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله للنابغة الجعدي: «لا يفضض الله فاك»؟ ولِمَ قال لكعب بن مالك: «ما نسي الله لك مقالك ذلك»؟ ولِمَ قال لهيذان بن شيخ: «ربّ خطيب من عبس»؟ ولِمَ قال لحسان: «هيّج الغطاريف على بني عبد مناف، والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام» (١٣). وقوله ﷺ لحسان ابن ثابت: «ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته. ثم قال: والله ما يسرني به مقول من معد، والله إن لو وضعته على حجر لفلقه، أو على شعر لحلقه» (١٤).

على سبيل الختم، نقول إن الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» قد ساهم في تدوين السيرة النبوية، رغم أن الأحاديث التي ذكرها تمزج بين الصحيح والمكذوب وغيرهما، إلا أنه يعد مصدرا من المصادر الرئيسية التي تعتد بها في مجالي الأدب والأخبار.

الهوامش

١- فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار القلم، دمشق، ص٣٧.
٢- ابن خلدون، المقدمة، ص٨٠٥.
٣- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ١٣/٢.
٤- الجاحظ، البيان والتبيين، ١٢/٢.
٥- نفسه، ٢٩١/٣.
٦- نفسه، ٦٥/١.
٧- نفسه،٢٥٥/٢.
٨- نفسه، ١١٩/١.
٩- نفسه، ٣٩/١.
١٠- نفسه، ٢٤٩/١.
١١- نفسه، ٢/٢٢-٢٤.
١٢- نفسه، ٢٧٣/٣.
١٣- نفسه، ٢٧٧/١.
١٤- نفسه، ١٧٦/١.

محمد فتحي النادي
باحث إسلامي

دراسة مصرية تشيد بـ «الوعي الإسلامي» ومعالجتها لقضايا الأمة

أزمات الصحافة الإسلامية

شكّلت «الصحافة الإسلامية» إحدى الركائز الرئيسة التي أسهمت في تشكيل الوعي والثقافة، وأدت دورا بالغ الأهمية في تصحيح المفاهيم، والمحافظة على القيم والمبادئ الإسلامية.

ولكن الصحافة الإسلامية المصرية في الوقت الراهن تعاني من العديد من المشكلات على كافة المستويات؛ فعلى مستوى عناصر البيئة الداخلية لهذه الصحف هناك مشكلات تتعلق بالقائم بالاتصال في هذه الصحف، ومشكلات خاصة بمضمون هذه الصحف.

أما على مستوى المتغيرات الخاصة بالبيئة الخارجية فهناك مشكلات متعلقة بالمناخ السياسي والاقتصادي الذي تعمل في إطاره هذه الصحف. إضافة إلى المنافسة الشديدة من جانب وسائل الاتصال الأخرى في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة المتلاحقة.

الأمر الذي يتطلب البحث عن الوسائل والآليات التي من شأنها تطوير الصحافة الإسلامية المصرية (شكلا ومضمونا)، وهذا يستوجب دراسة العوامل المؤثرة على قارئية هذه الصحف بما يؤدي إلى وضع الصحافة الإسلامية في مكانتها اللائقة.

وقد استشعر خطر ذلك الباحث محمد سعد الحداد، فقدم دراسة بعنوان: «العوامل المؤثرة على قارئية الصحافة الإسلامية المصرية». وهي دراسة ميدانية على جمهور الصحف الإسلامية في مصر، والتي حصل بموجبها على درجة الماجستير في الإعلام من قسم الصحافة، بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع والتبادل مع الجامعات المصرية والإسلامية.

وقد أجرى الباحث دراسة ميدانية في أربع محافظات: في القاهرة، وهي عاصمة الدولة، ويوجد بها أكثر المؤسسات الثقافية والصحفية الكبرى، وتسكن بها النخبة المثقفة، وكبار الكتاب، وتتوافر فيها عوامل وخدمات لا تتوافر في محافظات أخرى، كما أخذ عينات من الإسماعيلية، وسوهاج، والمنوفية.

وعلى الرغم من أن الدراسة اختصت الصحف الإسلامية المصرية، فإن هناك مجموعة كبيرة من أفراد عينة الدراسة ذكرت مجلة «الوعي الإسلامي» من ضمن المجلات المفضلة لديهم.

واحتلت «الوعي الإسلامي» المرتبة الأولى من بين المجلات الإسلامية غير المصرية محل الدراسة، وأرجع الباحث ذلك لأن مجلة «الوعي الإسلامي» تتميز باستكتاب مجموعة متنوعة من الكتاب وبعضهم من الشباب، إضافة لمعالجتها القضايا الراهنة التي تمر بها الأمة الإسلامية بمعالجة عصرية ومن منظور ديني، وتطويرها المستمر وتنوع أبوابها وأشكالها الصحفية، وتكمن أهمية الدراسة في قلة الدراسات الخاصة بقارئية الصحافة الإسلامية والوقوف على أهم المشكلات التي تواجهها الصحافة الإسلامية من وجهه نظر الجمهور والقائمين بالاتصال في تلك الصحف مع مساعدة إدارات ومسؤولي التحرير في الصحف الإسلامية المصرية في عملية وضع السياسات الصحفية الواقعية والتخطيط السليم للسياسات التحريرية، أو الأغراض التسويقية والإعلانية.

وقد قام الباحث بإجراء مجموعة من المقابلات مع قيادات الصحف الإسلامية المصرية بهدف التعرف عن قرب على هذه المشكلات التي تواجهها الصحف الإسلامية المصرية، ووضع مقترحات تسهم في النهوض بها.





وقد رصد مشكلات الصحافة الإسلامية المصرية الراهنة في عدة محاور:

القائم بالاتصال

فالقائم بالاتصال «المحـرِّر» في الصحافة الإسلامية يأتي على رأس العملية الاتصالية؛ ويمكن عرض هذه المشكلات على النحو الآتي:

انفصال بعضهم عن الواقع ومتطلباته:

تحول العديد من مصححي اللغة إلى محررين دون الإلمام بفنون التحرير الصحفي لدى بعضهم نتيجة عدم دراستهم في أقسام الصحافة وكليات الإعلام.

ضعف الأجور والحوافز مما يؤدي إلى عدم توافر كفاءات صحفية متميزة.

عدم تقدير دور وأهمية الصحافة الإسلامية؛ حيث تشير كثير من الكتابات إلى وجود أزمة في الوعي بمصطلح الصحافة الإسلامية ذاته.

تعاني الصحف الإسلامية ضعفا في القيادة الإدارية مما يؤدى إلى ضعف في الرؤية وفى التخطيط ومن ثمٍ في تحقيق الهدف.

من ناحية المضمون

إن المتتبع للمضمون الذي تقدمه الصحافة الإسلامية المصرية المعاصرة يجده منفصلا إلى حد كبير عن واقع المجتمع الإسلامي وقضاياه.

ويلاحظ أيضا أن مضمون معظمها يكثر فيه التركيز على الموضوعات التراثية القديمة دون تنقيح، والاهتمام بجانب من الإسلام على حساب جوانب أخرى.

ومن الإشكالات المرتبطة بناحية المضمون:

إرسال العديد من الكتَّاب للكتب القديمة المؤلفة لهم منذ سنوات طويلة، ومقالات قديمة سبق نشرها قبل سنوات، وإرسالها كحلقات يتم نشرها على مدار شهور طويلة ودون تنقيح أو إضافة أو تعديل؛ مما يفقدها عنصر المعاصرة ومواكبة الأحداث والظروف الراهنة.

غياب المعلومات أو ضحالتها في خطاب بعض هذه الصحف والميل إلى الإنشائية والحواشي غير المرغوب فيها.

عدم اهتمامها بالقضايا الاجتماعية والدينية المعاصرة وانفصال مضمونها عن واقع المجتمع وقضاياه.

عدم تلبية موضوعات تلك الصحف لاحتياجات القارئ ورغباته واهتماماته خاصة في القضايا والتساؤلات المعاصرة.

تقديم عمل تقليدي يغيب عنه روح الابتكار أو الاجتهاد أو الرغبة في الإبداع، وعدم الاستفادة من التطور في النشر.

التضارب الشديد بين هذه الصحف في معالجة أمور وموضوعات شائكة

يتكرر طرحها.

عدم الاهتمام بباب «مع القراء» أو ما يطلق عليه «بريد القراء».

إغفال الصحف الإسلامية المصرية لشرائح معينة من الجمهور كـ «الأطفال» في الموضوعات التي تتناولها رغم أهميتهم.

إغفال معظم الصحف الإسلامية في مضمونها للمواد الترويحية التي تمنح القراء الراحة النفسية ومعالجتها من خلال المنهج الإسلامي.

عدم الاهتمام بتخصيص باب في «الأدب الإسلامي» ومجالاته المتنوعة (شعر- رواية – قصة قصيرة...إلخ).

عدم توزيع ملاحق أو كتب كهدايا مع الأعداد الصادرة عن تلك الصحف والمجلات، باستثناء مجلة «الأزهر».

عدم الاهتمام بـ «المسابقات» وتقديم الهدايا للقراء.

من ناحية الشكل والإخراج

رغم أن الإخراج الصحفي شهد في السنوات الأخيرة تطورا كبيرا نتيجة التقدم التقني العالي في الطباعة وبرامج التصميمات المختلفة، فإن معظم الصحف الإسلامية تميل إلى الشكل القديم في الإخراج والنمطية، وبالتالي تغيب عناصر الإبهار والجذب.

المنافسة مع الصحف الأخرى

فلا يخفى أن الصحافة الإسلامية تجد منافسة شديدة مع الصحف الأخرى، نتيجة تميز هذه الصحف بعامل السرعة ومواكبة الأحداث، مقارنة بالصحف الإسلامية وطبيعة صدورها الأسبوعية والشهرية؛ فتباعد دورية الصدور عند كثير منها، لم يعد مناسبا لإيقاع العصر، ومن ثم يفقدها مواكبة الأحداث والتفاعلية مع القراء، في عصر تزداد وتيرة أحداثه بشكل كبير ومتسارع.



المنافسة مع «الإنترنت»

لعل من أبرز التحديات التي تواجهها الصحف والمجلات الورقية سواء العامة أو الإسلامية، تحول الجمهور إلى الإنترنت، وهو الأمر الذي جعلها تفقد كثيرا من متابعيها.

مشكلات مادية

الصحافة الإسلامية فقيرة في الإمكانات المادية، الأمر الذي يؤثر في طباعتها ونوع الورق المستخدم فيها والخدمة التي تؤديها.

ولعل من أسباب ضعف الإمكانات المادية:

قلة الإعلانات بل ندرتها.

التوزيع والإهداءات المجانية لهذه الصحف في المساجد وفي فروع هذه الجمعيات.

ضعف الاشتراكات وبالتالي انخفاض العائد من ورائها.

نتائج الدراسة

واختتم الباحث هذه الدراسة بمجموعة من النتائج من أهمها:

١- أن أكثر من نصف عينة الدراسة غير منتظمين في قراءة الصحف الإسلامية المصرية بنسبة ٥٧,٣٪؛ إذْ جاء من «يقرأون أحيانا» بنسبة (٣١,٨٪)، ومن «يقرأون نادرا» بنسبة (٢٥,٨٪)، بينما ذكر ٤٢,٥٪ أنهم يقرأون بانتظام، وهذا يدل على ارتفاع معدل قراءة الصحف الإسلامية المصرية، بين عينة الدراسة سواء بشكل منتظم أو غير منتظم.

٢- أشارت الدراسة إلى أن أهم أسباب عدم انتظام قراءة الصحف الإسلامية هو الاعتماد بشكل أساس على وسائل أخرى (الإنترنت- التليفزيون- الراديو)، حيث جاء هذا السبب في المرتبة الأولى بنسبة كبيرة، واحتلت طبيعة صدورها الشهرية والأسبوعية المرتبة الثانية، وحلَّ عدم اهتمام الصحف الإسلامية بالقضايا المعاصرة في المرتبة الثالثة.

٣- جاءت مجلة «الأزهر» في مقدمة الصحف والمجلات الإسلامية المصرية التي يتعرض لها أفراد عينة الدراسة بنسبة كبيرة زادت عن نصف العينة، ثم جريدة «اللواء الإسلامي»، ومجلة «التبيان» في المرتبة الثانية.



٤- احتلت متابعة أخبار ومشكلات المسلمين في العالم، المرتبة الأولى في أهم دوافع حرص عينة أفراد الدراسة على قراءة الصحف الإسلامية بانتظام، وجاء التزود بالثقافة الدينية في المرتبة الثانية، ثم معرفة موقف الإسلام من القضايا المعاصرة في المرتبة الثالثة.

٥- خلُصت الدراسة إلى أن الفتاوى والأسئلة، جاءت في المرتبة الأولى في الأشكال الصحفية التي تفضلها عينة الدراسة، وجاءت المقالات والأعمدة في المرتبة الثانية، فيما احتلت الأخبار الصحفية المرتبة الثالثة.

٦- جاء تفسير القرآن الكريم والموضوعات الفقهية معا، في المرتبة الأولى بالنسبة إلى الموضوعات التي تفضلها عينة الدراسة، وجاءت العقيدة في المرتبة الثانية، ثم الحديث النبوي في المرتبة الثالثة.

٧- أكدت الدراسة تأثير استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة من (مواقع التواصل الاجتماعي، المواقع الإلكترونية) على قراءة أفراد عينة الدراسة للصحف الإسلامية، بغالبية تصل إلى ٩٢,٧٪، ولذا طالبوا بضرورة اهتمام هذه الصحف بوجود صفحات لها على مواقع التواصل الاجتماعي.

أهم التوصيات

وفي ضوء ما تقدم من نتائج توصي الدراسة بما يلي:

- ضرورة اهتمام الصحف الإسلامية بتناول القضايا الحياتية والمشكلات المعاصرة التي تهم أفراد المجتمع بصورة دقيقة وموضوعية، وليس من وجهة نظر الكاتب أو الجهة التي تتبعها الصحيفة، حتى تكتسب ثقة القراء.

- أصبح من المُلِحِّ هجر الصحف الإسلامية ثقافة «الكَمّ» والعناية بثقافة «الكَيْف»، والاهتمام بالأشكال الصحفية المتعددة كالتقارير، والتحقيقات، والحوارات، والأخبار، مع التقليل ما أمكن من المقالات التقليدية والتراثية إلا إذا تم ربطها ومعالجتها في إطار المعاصرة.

- توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بتوظيف مفردات الفن الصحفي من خلال العناوين الجيدة والصورة المتميزة، والطباعة المتطورة، وذلك بإخراج صحافي متميز.

- الاستفادة من الكتاب المتخصصين في الدراسات الإسلامية وغيرهم ممن يمتلكون ثقافة متنوعة وأسلوبا يصل إلى شرائح كثيرة.

- ضرورة دعم المؤسسات الدينية الرسمية وغيرها لهذه الصحف، بما يضمن لها الاستمرارية وانتظام الصدور.

- الاهتمام من جانب إدارات هذه الصحف بعملية «التوزيع»، ومتابعة مؤسسات التوزيع، وابتكار وسائل تسويقية جديدة من شأنها الارتقاء بمعدلات الانتشار والوصول إلى جميع مناطق ومنافذ التوزيع، حتى تصل القارئ بشكل دوري ومنتظم.

- إنشاء رابطة للصحافة الإسلامية المصرية، تكون بمثابة تجمُّع لهذه الصحف بهدف مناقشة مشكلاتها، وتبني قضايا مشتركة يتم تناولها في تلك الصحف من خلال وجهات النظر والسياسة التحريرية الموجودة بها، وبالأخص القضايا المصرية، ثم قضايا الأمة الإسلامية لمنع التشتت والإسهام في تكوين رأي عام إسلامي.

- ضرورة توظيف الإنترنت والاستفادة من التقدم الهائل في التقنية الرقمية، من خلال إنشاء الصحف الإسلامية لمواقع إلكترونية لصحفهم على شبكة المعلومات، وعرض موضوعاتها على مواقع التواصل الاجتماعي للوصول إلى جمهور أكبر وفئات أوسع ودون تكلفة مادية.

خلف أبوزيد
باحث في التاريخ

تاريخ وإرث حضاري

كاظمة الكويتية

تزخر دولة الكويت بالعديد من المناطق التاريخية، والمواقع الأثرية المختلفة، التي شهدت احداثا وفترات تاريخية متنوعة، تؤكد على أصالة هذا البلد وعمقه التاريخي وإرثه الحضاري، ومن أشهر هذه المناطق منطقة كاظمة التي كانت معروفة لدى العرب في الجاهلية وصدر الإسلام؛ سكنتها قبيلتا بني تيم إياد وبكر ابن وائل من كبريات القبائل العربية، وقعت على أرضها معركة ذات السلاسل بين المسلمين والفرس، تغنى الشعراء أمثال امرئ القيس والبحتري وجرير وذي الرمة ومهيار الديلمي والبوصيري بخصالها حتى غدت علما ورمزا على هذه الخصال المرغوبة، كما أنها موطن الشاعر الفرزدق، لم ينس ذكرها الرحالة والجغرافيون في كتبهم، الذين أسهبوا في ذكر طيب مراعيها ومسكنها وروعة جوها اللطيف.

إذا بحثنا عن كلمة كاظمة، فإننا نجد أن الكاظمة أو الكظيمة باللغة الفصحى، هي بئر تحفر إلى جنبها بئر أو عدة آبار في بطن الوداي، وتكون هذه الآبار عادة متناسقة وقليلة العمق وتسمى حسيان أو إحساء، ويخرق ما بين كل بئرين أو أكثر بقناة ماء فتتزود البئر التي قل ماؤها من البئر أو الآبار التي جنبها، وبهذه الطريقة يتم سد عوز الماء في كل بئر بما يحتاج إليه أهلها للشرب وسقي الحيوانات، فهذه الآبار قريبة المياه وتعمل عمل الأواني المستطرقة.

أرض البطولات

وكاظمة أرض البطولات، فقد شهدت أرضها معركة حامية الوطيس، بين جيش المسلمين الذي كان يتكون من عشرة آلاف مقاتل، بقيادة خالد بن الوليد، وموازرة المثنى بن حارثة وعدي ابن ثابت وعاصم بن عمر بن الخطاب، وجيش الفرس الذي كان يتكون من عشرين ألف مقاتل، بقيادة هرمز، هذه المعركة التي جرت وقائعها في كاظمة داخل الحدود الكويتية الحالية، وعرفت في التاريخ باسم ذات السلاسل، بسبب ربط الجنود أنفسهم بسلاسل حتى لا يفروا من أرض المعركة، وقد وقعت هذه المعركة سنة ١٢هـ مارس من سنة ٦٢٣م، واستمرت طيلة النهار حتى الليل، وتمكن خالد بن الوليد فيها من قتل هرمز قائد الجيش الفارسي، وانتهت المعركة بنصر مؤزر للمسلمين وباندحار جيش الفرس وفرار بقيته، ومن كاظمة انفتح الطريق أمام جيش المسلمين لتحرير العراق ونشر الإسلام العظيم إلى حدود الصين، وقد دفن في ترابها من الصحابة علاء بن الحضرمي رضي الله عنه، الذي استشهد في هذه المعركة، وكان رضي الله عنه من كبار الصحابة المهاجرين المجاهدين.

ملهمة الشعراء

لقد اكتسبت كاظمة شهرة واسعة في الشعر العربي، سواء القديم أو الحديث منه، فقد أحبها الشعراء وتغنوا بجمالها وطيب هوائها، ومن أشهر هؤلاء الشعراء الملك الضليل امرؤ القيس، فهو يذكر كاظمة في شعره قائلا

إذ هن أقساط كرجل الدبى
أو كقطا «كاظمة الناهل»

والدبى صغار الجراد، ورجل الدبى مجموعة من الدبى (الجراد) تتحرك معا، ويراد بالكلمة كثرة العدد.

أما الشاعر الفرزدق ابن كاظمة فيتغنى بها قائلا:

يا حبذا البرق من أكناف كاظمة
يسعى على قصرات المرخ والعشر
لله در بيوت كان يعشقها
قلبي ويألفها إن طيبت بصري

وفي موضع آخر يذكرها قائلا

فيا ليت داري بالمدينة أصبحت
بأعفار فلج أو بسيف الكواظم

أما الإمام البوصيري صاحب البردة الشهيرة، فيذكرها في بردته قائلا

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم

ويقول الشاعر الشريف الرضي عنها

أم هل أبيت ودار عند كاظمة
داري وسمار ذاك الحي سماري
أيام أودع سري في الهوى فرسي
وأكتم الحي إدلاجي وأخطاري

ويقول في قصيدة أخرى عنها

يا روض ذي الأثل من شرقي كاظمة
قد عاود القلب من ذكراك أديانا
أمر بالركب مجتازا بذي سلم
لو ما شريتك بالأوطان أوطانا

ونتوقف مع شاعر آخر هو مهيار الديلمي، الذي يكتب عن نسيم كاظمة المهيج للأشجان والذكريات والإيام الخوالي فينشد قائلا:

يا نسيم الصبح من كاظمة
شدّ ما هجت الجوى والبرحا
الصبا إن كان لابد الصبا
إنها كانت لقلبي أروحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم
رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبا إذا غنّى بكم
شرب الدمع وعاف القدحا

وإذا انتقلنا إلى كاظمة في الشعر العربي الحديث، فسنجد أن شعراء العصر الحديث لم يكونوا أقل احتفاء بكاظمة ممن سبقهم من شعراء، ونبدأ مع الشاعر عبدالجليل الطباطبائي، الذي توفي في الكويت عام ١٨٥٣م، فيقول عن كاظمة:

وهل أبيت وداري عند كاظمة
قرير عين بعين بين أزهار

أما الشاعر عبدالغني النابلسي، فقد ملكت كاظمة لديه كل شيء، فينشد مترنما بها:

نزلوا بالشعب من كاظمة
هي قلبي والحشى والمقل

ويقول أيضا عنها:

وكأنما أيامنا أعيادنا
في سفح كاظمة على ذاك اللوى

أما الدكتور عبدالوهاب عزام الأديب المصري ذائع الصيت، فقد زار الكويت في سنة ١٩٥٣م، وطلب أثناء هذه الزيارة أن يرى أرض كاظمة ويتجول فيها متذكرا بني تيم والفرزدق ومنادي العربان على هذه الأرض العذبة الفواحة بعطر التاريخ فأنشد هذين البيتين:

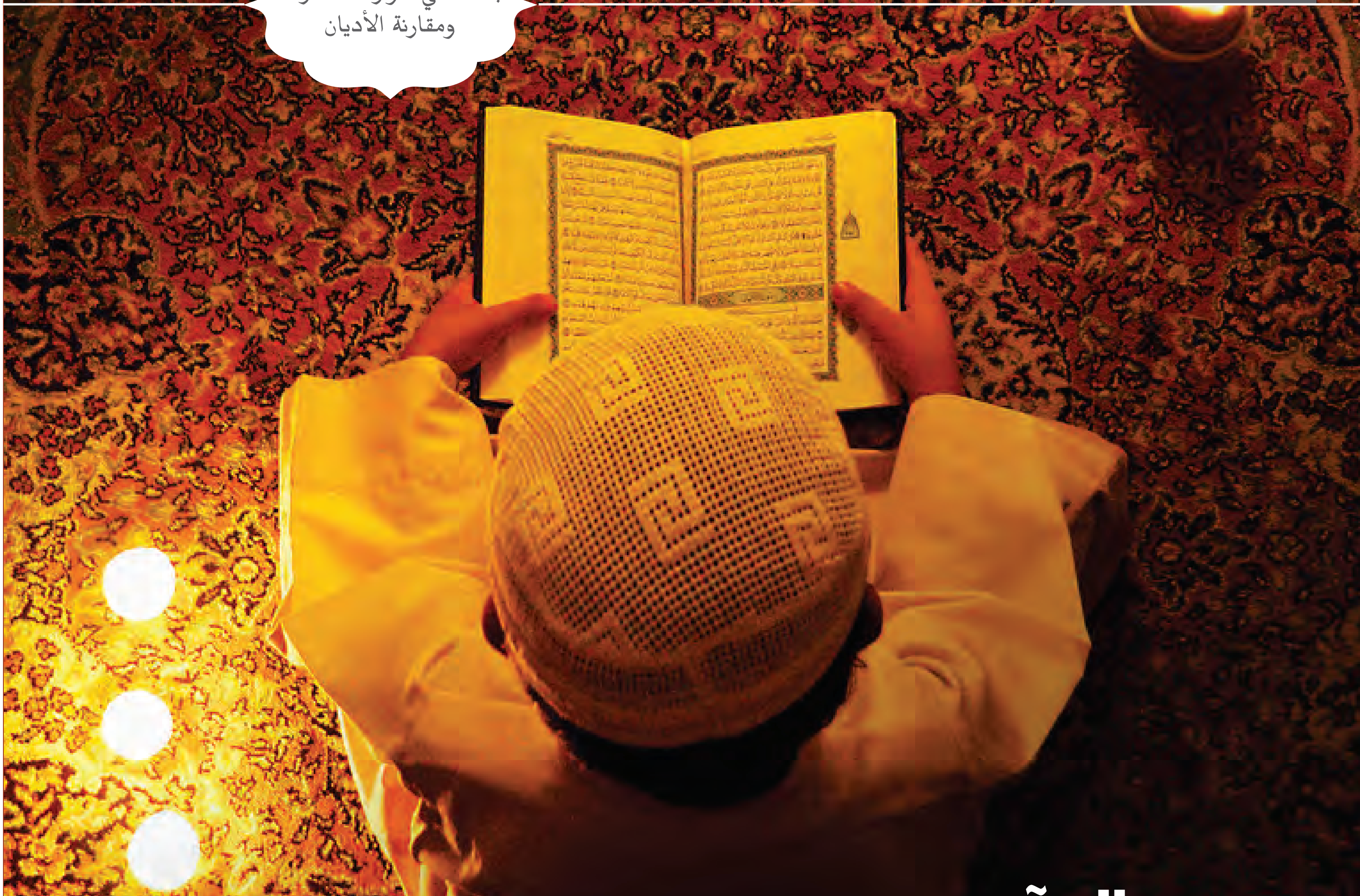
بكاظمة طوفت في ميعة الضحى
وقلبي إلى الماضين جمّ التشوق
أكاد أرى في رملها قبر غالب
وأسمع في الآفاق شعر الفرزدق

في عيون الرحالة

لم ينس الرحالة والجغرافيون ذكر كاظمة في كتبهم، فهذا الجغرافي إسماعيل أبوالفداء صاحب كتاب تقويم البلدان في الجغرافيا، يقول عنها: «ومن الأماكن المشهورة كاظمة بكاف وألف وظاء معجمة مكسورة وميم وهاء، وهي جون على ساحل البحر بين البصرة والقطيف، وبين كاظمة والقطيف مسيرة أربعة أيام، ويقال لها كاظمة البحور وهي منازل للعرب، وبها مزارع جيدة وآبار كثيرة قريبة المدى» كما ذكرها ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان، فقال عنها «كاظمة جوٌّ على سيف البحر، في طريق البحرين إلى البصرة، وبينها وبين البصرة مرحلتان، فيها ركايا كثيرة، وهي الآبار الكبيرة العميقة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر، وقد أكثر الشعراء في ذكرها» والجوّ هنا المنخفض من الأرض والجمع جواء وأجوية، والجواء هي الواسع من الأودية، وجو كل شيء بطنه وداخله، والسيف عند العرب الأوائل والعرب الأواخر هو ساحل البحر والجمع أسياف، والمرحلة باللغة الفصحى واحدة المراحل، يقال بيني وبين كذا مرحلة، أو مرحلتان، والمرحلة المنزلة يرتحل منها، وما بين المنزلتين مرحلة، ويقول وماؤها شروب، ويقصد بذلك أن ماءها صالح للشرب، ويقول استسقاؤها ظاهر، ويقصد بذلك أن ماءها قريب من سطح الأرض، كما زار كاظمة الحسن الأصفهاني في القرن الثالث الهجري، وكتب عنها في كتابه بلاد العرب قائلا: «وكاظمة على ساحل البحر وبها حصن فيه سلاح قد أعد للعدو وبها تجار ودور مبنية وعامتهم من تميم».

هذا غيض من فيض عن كاظمة البحور الكويتية، الأمر الذي يستوجب الحفاظ على تاريخها وتراثها باعتبارها إرثا حضاريا، وجزءا أصيلا من التراث العربي يحق للأجيال المعاصرة أن تفاخر به تأكيدا لهويتها وإثباتا لشخصيتها، لأنه بقدر الماضي يكون الحاضر ويستشرف المستقبل.

سعيد عبيدي
باحث في حوار الحضارات
ومقارنة الأديان



القرآن الكريم في الدراسات الغربية المنصفة

لقد كانت معرفة الغربيين بالقرآن الكريم في بداية الأمر على يد الرهبان، عندما أعلنوا الحرب على الإسلام بحجة الدفاع عن المسيحية؛ لذلك سعى أغلبهم إلى النيل من التنزيل الحكيم حتى يضمنوا انحسار الإسلام وتراجعه، ولما استعصى عليهم الأمر أوكلوا هذه المهمة إلى بعض الدارسين والمستشرقين الذين راحوا يحرفون معانيه وينسبون إليه ما ليس منه، حتى إذا راجت عملتهم المزورة، طالبوا المسلمين بالتخلي عن تعاليم الإسلام الواردة في القرآن الكريم إن هم أرادوا اللحاق بالركب الحضاري. ورغم الأدلة الدامغة والحقائق العلمية التي تظهر من حين لآخر، فإن المواقف الغربية الأكثر تطرفا هي الأكثر رواجا اليوم في ديار الغرب؛ إذ يقدم الدارسون القرآن الكريم ورسالته بشكل مقزز مثير للاشمئزاز، ويشن عليه الحاقدون حربا مغرضة، سواء في الإعلام أو في الكتب الموجهة للاستهلاك المحلي، لكن حتى نكون أكثر موضوعية يجب أن نشير إلى أنه ظهر إلى جانب هذه الدراسات المغرضة للقرآن الكريم دراسات منصفة تحدثت عنه بصدق ونزاهة وحياد، مبينة مزاياه ومعجزاته، بل أكثر من ذلك هناك من الدارسين من كان القرآن الكريم سببا في اهتدائه إلى الإسلام. ومن هذا المنطلق ارتأيت في هذه الدراسة أن أسرد شهادات هؤلاء الغربيين المنصفين، الذين لم يعمهم الحقد والتعصب الديني عن الجهر بالحق،

وقول كلمات سطرها التاريخ بماء من ذهب في كتبهم وتراثهم.

● **واشنطون إيرفنج (١٧٨٣-١٨٥٩م)**

هو مستشرق أميركي، أولى اهتماما كبيرا لتاريخ المسلمين في الأندلس، له مجموعة كبيرة من الأعمال التي لم يخف فيها إعجابه بالقرآن الكريم، يقول في أحدها: «كانت التوراة في يوم ما هي مرشد وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما؛ فقد كان القرآن أكثر شمولا وتفصيلا من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل. حوى القرآن كل شيء، وحوى جميع القوانين؛ إذ إنه خاتم الكتب السماوية» (١).

● **مارسيل بوازار**

مفكر فرنسي، خصص حياته لدراسة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان، له العديد من الأبحاث، من أهمها كتاب «إنسانية الإسلام» الذي يعد علامة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للإسلام، يقول فيه بخصوص القرآن الكريم: «لابد عند تعريف النص القدسي في الإسلام من ذكر عنصرين: الأول أنه كتاب منزل غير مخلوق، والثاني أنه كلام حي في قلب الجماعة، وهو بين الله والإنسانية بمنزلة الوسيط الذي يجعل أي تنظيم كهنوتي آخر غير ذي جدوى، لأنه مرضي به مرجعا أساسيا، وما زال حتى أيامنا هذه نموذجا رفيعا للأدب العربي تستحيل محاكاته، إنه لا يمثل النموذج المحتذى للعمل الأدبي الأمثل فحسب، بل يمثل كذلك مصدر الأدب العربي والإسلامي» (٢). ويقول أيضا: «الروح القرآنية تخلق مناخ عيش ينتهي به الأمر إلى مناغمة التعبيرات الذهنية والمساواة بين العقليات والنظم الاجتماعية بأكثر ما تفرضه التصريفات السياسية والطوابع الأيديولوجية التي تسند إلى الدول، ولا يكفي قط ما يتردد عن درجة تأثير القرآن الكبرى في الذهنية الإسلامية المعاصرة، فهو لا يزال مصدر الإلهام الفردي والجماعي الرئيسي، كما أنه ملجأ المسلمين وملاذهم الأخير، فالأدوات التي يوفرها التنزيل القرآني قادرة ولا ريب على بناء مجتمع حديث» (٣).

● **هنري وليام (١٨٥٦-١٩٣٢م)**

هو مستشرق بريطاني، اعتنق الإسلام في سن الحادية والثلاثين، وأطلق على نفسه اسم عبدالله، ليبدأ منذ ذلك الوقت مشوارا طويلا من الفخر والاعتزاز بدينه الجديد، ونشر الدعوة في بريطانيا بلده الأصلي. يقول معتزا بالقرآن الكريم: «هذا القرآن كتاب حكيم، فمن أجال الطرف فيه وأمعن النظر في بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز، رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمئة وعشرون سنة كأنه مقول في هذا العصر، إذ هو مع سهولته بليغ ممتنع، ومع إيجازه مفيد للمرام بالتمام. وكما أنه كان يرى مطابقا للكلام في زمن ظهوره لهجة وأسلوبا، كذلك يرى موافقا لأسلوب الكلام في كل زمن ولهجة، وكلما ترقت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه، وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت البلغاء، وحيرت فصحاء الأولين والآخرين، وإذا نظرنا إلى ما فيه من الأحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة، فسنجده جامعا لجميع ما يحتاج إليه البشر في حياتهم وكمالهم وتهذيب أخلاقهم، وكذا نراه ناهيا عما ثبت بالتجارب العديدة خسرانه وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق، وكما فيه ما عدا ذلك أيضا ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التي ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلا عن القول. إن لغة القرآن معتبرة بأنها من أفصح ما جاء في اللغة العربية، فإن ما فيه من محاسن الإنشاء وجمال البراعة جعله باقيا بلا تقليد ودون مثيل، أما أحكامه العقلية فإنها نقية زكية إذا تأملها الإنسان بعين البصيرة لعاش عيشة هنية» (٤).

● **ديبورا بوتر**

هي باحثة ومفكرة أميركية، ولدت عام ١٩٤٥م، اعتنقت الإسلام سنة ١٩٨٠م، بعد أن اقتنعت بأن ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان، ذكرا كان أو أنثى. تقول عن القرآن الكريم: «عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالا للشك بأن هذه هي الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة» (٥).

وتضيف مؤكدة أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى: «كيف استطاع محمد ﷺ الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل» (٦).

● **اتيين دينيه (١٨٦١-١٩٢٩م)**

هو مستشرق فرنسي انتهى به المقام في الجزائر حيث أعلن إسلامه، له مجموعة من المؤلفات التي دافع فيها عن الدين الإسلامي، من بينها كتاب

«محمد في السيرة النبوية» وكتاب «الحج إلى بيت الله الحرام» وكتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام»، يقول متحدثا عن آيات القرآن الكريم ومعجزاته: «إن معجزة الأنبياء الذين سبقوا محمدا كانت في الواقع معجزات وقتية، وبالتالي معرضة للنسيان السريع، بينما نستطيع أن نسمي معجزة الآيات القرآنية بالمعجزة الخالدة، وذلك أن تأثيرها دائم ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة في كتاب الله. وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون؛ لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلا عن أنها غير دقيقة» (٧).

ويقول أيضا منبهرا بجمال القرآن وبلاغة أسلوبه: «إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه يحدث مثل هذا التأثير في نفوس علماء لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فما مفعوله في عرب الحجاز وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة؟ لقد كانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم قد سمروا فيه، أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد ﷺ ذلك الأمي الذي لم ينل حظا من المعرفة؟ كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد، وإنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات» (٨).

● **موريس بوكاي (١٩٢٠-١٩٩٨م)**

هو طبيب وجراح فرنسي، تحدث عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بانبهار كبير، كيف لا وهو الشخص الذي قادته أبحاثه العلمية التي أجراها على مومياء فرعون إلى الإسلام، يقول في كتابه القيم «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» مبينا عظمة القرآن الكريم وتطابق آياته مع الحقائق العلمية: «لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق، وبموضوعية تامة، باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبالموضوعية نفسها قمت بالفحص نفسه على العهد القديم والأناجيل؛ أما بالنسبة إلى العهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا، وأما بالنسبة إلى الأناجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة، ونعني بها شجرة أنساب المسيح، وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وإن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة بقدم الإنسان على الأرض» (٩).

● **غوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١م)**

هو طبيب ومفكر فرنسي لم يخف إعجابه بالإسلام وكتابه القرآن الكريم، يقول متحدثا عن الأخلاق الواردة في آياته: «إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علوا عما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها، وإن أخلاق الأمم التي دانت له تحولت بتحول الأزمان والعروق مثل تحول الأمم الخاضعة لدين عيسى عليه السلام. إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لأحكامه؛ فالديانات التي لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جدا، وقد لا تجد دينا اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم، والقرآن هو قطب الحياة في الشرق، وهو ما نرى أثره في أدق شؤون الحياة» (١٠).

● **ول وايريل ديورانت (١٨٨٥-١٩٨١م)**

هو فيلسوف ومؤرخ وكاتب أميركي، من أشهر مؤلفاته كتاب «قصة الحضارة» الذي تحدث فيه عن مختلف الحضارات، وفي هذا الكتاب استهوته الحضارة الإسلامية بكل ما فيها، كما لم يخف فيه إعجابه بالقرآن الكريم وتعاليمه، يقول بخصوص ذلك: «والمسلمون يعظمون القرآن إلى درجة تقرب من العبادة، وقد كتبوا المصاحف وزينوها وبذلوا في ذلك كل ما يستطيعون من عناية، مدفوعين إليها بحبهم له، وهو الكتاب الذي يبدأ منه أطفال المسلمين بتعلم القراءة، وهو المحور الذي يدور عليه تعليمهم والذروة التي ينتهي بها هذا التعليم، وقد ظل أربعة عشر قرنا من الزمان محفوظا في ذاكرتهم، يستثير خيالهم ويشكل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد، وأقلها غموضا، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحررا من الوثنية والكهنوتية، وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحضهم على اتباع القواعد

الصحية، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أي بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض، ولقد علم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة، ويتحملوا قيودها، بلا شكوى ولا ملل، وبعثهم في الوقت نفسه إلى التوسع توسعا كان أعجب ما شهده التاريخ، وقد عرف الدين وحدده تحديدا لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله» (١١).

● مونتغمري وات (١٩٠٩-٢٠٠٦م)

هو مستشرق بريطاني، عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة أدنبرة، تخصص في دراسة علم الكلام الإسلامي، له مجموعة كبيرة من المؤلفات والدراسات لم يخف فيها إعجابه بالحضارة الإسلامية، لاسيما ما تعلق بدستور الأمة؛ يقول: «يعتبر القرآن مزيلا لقلاقل العصر نتيجة أسباب دينية، على الرغم من الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، التي لا يمكن تقويمها إلا باستخدام الوسائل الدينية مثل كل شيء، وإنه لمن الجرأة الشك في حكمة القرآن؛ نظرا لنجاح محمد في تبليغ الرسالة التي أمره الله بتبليغها. يجب علينا في رأيي، مهما كان موقفنا الديني، أن نعتبر رسالة القرآن انبثاقا خلاقا في الوضع المكي. ولاشك أنه كانت توجد مشاكل تتطلب الحل، وأزمات حاول البعض تخفيفها، ولكن كان يستحيل الانتقال من هذه المشاكل وتلك الأزمات إلى رسالة القرآن بواسطة التفكير المنطقي، ولاشك أن رسالة القرآن تحل مشاكل اجتماعية وأخلاقية وفكرية، ولكن لا تحلها جميعا دفعة واحدة وليس بصورة بديهية، ولربما قال مؤرخ دنيوي إن محمدا وقع صدفة على أفكار كانت بمنزلة المفتاح لحل المشاكل الأساسية في زمان، ليس هذا ممكنا، ولا يمكن للمحاولات التجريبية ولا للفكر النافذ أن يفند لنا كما يجب رسالة القرآن» (١٢).

● روم لاندو (١٨٩٩-١٩٧٤م)

هو مستشرق ومفكر بريطاني، قادته أبحاثه العلمية التي أجراها على الإسلام إلى اعتناق الدين الحق، أعجب كثيرا بشخصية الرسول ﷺ، كما أعجب بالقرآن الكريم، يقول في أحد مؤلفاته: «إن بين آيات قصار السور ترابطا باهرا له تأثيره الوجداني، على الرغم من أنه ليس ثمة أيما وزن نظامي. وفي الحق إن سماع السور تتلى في الأصل العربي، كثيرا ما يخلف في نفس المرء تأثيرا بليغا، لقد أريد بالقرآن أن يتلى بصوت جهير، ويتعين على المرء أن يسمعه مرتلا لكي يحكم عليه حكما عادلا ويقدره حق قدره، وبوصفه كلمة الله الحقيقية، كان معجزا لا سبيل إلى محاكاته، ولم يكن ثمة، بكل بساطة، أيما شيء من مثله» (١٣).

خاتمة

لقد تناول الغربيون القرآن الكريم بالدراسة والبحث والتحليل، فلقد كان منذ نزوله، وإلى وقتنا الحاضر، كتابا مقلقا لهم ومحيرا ومبلبلا لأفكارهم، وتاريخ تعاملهم معه حافل بالمتناقضات؛ فمنهم من تناوله بحقد وكراهية، بحيث أعماه التعصب عن قول الحق، ومنهم من تناوله بموضوعية وحياد، ولربما قاده موقفه هذا إلى اعتناق الإسلام، وبين هذا وذاك تبقى الحاجة ماسة إلى تسليط الأضواء على أمثال هؤلاء الغربيين الذين صدحوا بشهادات منصفة، من شأنها أن تعدل من الصور الذهنية النمطية، وتقيم جسور التعارف والتعايش والتعاون.

الهوامش

١- انظر: إميل درمنغم، حياة محمد، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص:٧٢.

٢- مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، ص:٥٢-٥٣.

٣- ٣٤٣ ص: ٣٤٥. بتصرف.

٤- عبدالله كويليام، العقيدة الإسلامية، ص:١٤٠- ١٣٩. نقلا عن: ناصر أحمد سنه، القرآن الكريم تأملات في بعض شهادات الغربيين المنصفين، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥- عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، ترجمة: عبدالستار فتح الله سعيد، المكتب المصري الحديث، طبعة ٢٠٠١م، ج٨، ص:١٠٠.

٦- نفسه، ص:١٠٩.

٧- اتيين دينيه وسليمان بن إبراهيم، محمد رسول الله، ترجمة: عبدالحليم محمود ومحمد عبدالحليم، مكتبة الإيمان للنشر والطبع والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص:١١٨.

٨ - نفسه، ص:١١٩-١٢١، بتصرف.

٩ - موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م، ص:١٥٠.

١٠ - غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م، ص:٤٣١-٤٣٢.

١١ - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ج١٣، ص:٦٨-٦٩.

١٢ - ويليام مونتغمري وات، محمد في مكة، ترجمة: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ، ص:١٣٥-١٣٦، بتصرف.

١٣ - روم لاندو، الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٦٢م، ص:٢٩٦-٢٩٧.



حوار: علاء عبدالفتاح
تصوير: هدايت الله أحمد

قدمها البروفيسور أونز في دار الآثار الإسلامية:

أحدث دراسة غربية حول النظرية النحوية العربية

قليلا ما تسنح الفرصة للمهتمين باللغة العربية وقواعدها بأن يستمعوا إلى عالم لغويات من جامعة بايرويت الألمانية، قضى نصف عمره في محاولة فهم أسرار تلك اللغة التي حباها الله وشرفها، إذ أنزل القرآن الكريم بلسانها. لكن محاضرة كالتي ألقاها الدكتور جوناثان أونز بدار الآثار الإسلامية تحت عنوان: «ما هو الهدف من دراسة النحويين العرب؟»، لم تتح الفرصة لجمهور متخصص لكي ينال من علم هذا الرجل فحسب، وإنما بشرت بمولد عالم عربي كويتي هو د. طلال الجسار، أول من يحصل على الدكتوراه من جامعة ألمانية في تخصص دقيق من شأنه اكتشاف أسرار جديدة في لغتنا العربية الخالدة بخلود الذكر الحكيم.

«الوعي الإسلامي» لبت الدعوة، ورصدت الجديد في هذه المحاضرة القيمة حول النظرية النحوية العربية المبكرة، كما ناقشت البروفيسور أونز بعدها لكي يطلع قراؤها على أحدث المجريات في عالم قواعد العربية وصرفها.

بدأت الجلسة النقاشية بمقدمة ألقاها د. الجسار، عرف فيها الدكتور الضيف الزائر فقال: «هذه الأمسية اللغوية تدور رحاها في فلك لغتنا اللغة العربية مع البروفيسور السيد جوناثان أونز من ألمانيا. وهذه المحاضرة التي سيلقيها ليست بحثا في جماليات اللغة أو إعادة لأفكار وآراء نحوية مكررة، بل إنها دراسة غربية مختلفة حول النظرية النحوية العربية. والتركيز على هذا التفكير النحوي العربي الرائع في زمن مبكر من تاريخ النحو العربي، فيما يتعلق بفهم تراكيب اللغة العربية، ومحاولة تقعيدها تقعيدا محكما».

وأضاف الجسار: «إن ما سيقدمه الدكتور أونز من الأهمية بمكان؛ لأنه سيوضح أهمية النظرية النحوية العربية في الدراسات الغربية، وذلك عن طريق تجذرات النحو العربي وأولياته، وكيفية التعمق في المبادئ النحوية العربية عن طريق منهج مقارن، حيث سيتناول ثلاثة نحويين مشهورين، هم: سيبويه (أواخر القرن الثاني) وابن السراج (أوائل القرن الرابع) وابن الأنباري (منتصف القرن السادس)، وسيقوم بتفسير أفكارهم وأساليبهم عن طريق دمج أعمالهم في إطار يقربهم من المنطق النحوي الغربي الحديث، مما قد يساعد على توضيح الخط البياني في تطور نظرية النحو العربي. بالإضافة إلى ذلك، سوف نلمس -إن شاء الله- كيف أن أهمية النحويين العرب تتجاوز

منهجية الجدل اللغوي

عملية تنسيق القوانين أو إصلاح الآراء المتناقضة في النحو بدأت تظهر -بحسب د. الجسار- كدراسة تنظيمية منذ القرن الرابع الهجري، أي القرن العاشر ميلادي، (كالزجاجي في «الإيضاح»). من هذا المنظور، فإن ابن الأنباري، الذي عاش في القرن السادس الهجري أي الـ١١ الميلادي، بمعنى بعد سيبويه والفراء بـ٤٠٠ عام تقريبا، فإن كتابه «الإنصاف» لا يقدم بشفافية، أو غير قادر على تقديم أو تمثيل المناقشات الفعلية التي جرت بين النحاة في وقت مبكر، بقدر ما هو نموذج لتعليم الطلبة منهجية الجدل اللغوي. وعليه، فإن بداية عهد التفكير النحوي العربي التفصيلي بكل صراحة ليست عصر المدارس النحوية (الكوفة والبصرة)، وهذا ما وضحته كثير من الدراسات الغربية، بقدر ما كان عصر الجهود اللغوية الفردية الذكية، التي ساهمت في تطور النظرية النحوية العربية، والتي على سبيل المثال ظهر منها اثنان من اللغويين الأفذاذ، فأصبحا علمين لهاتين المدرستين النحويتين اللتين تسميان «مدرسة البصرة» و«مدرسة الكوفة»، وأقصد سيبويه والفراء.

المعلومات اللغوية التي قدموها لنا، حيث إن إسهامهم الذهني قد أجبرنا على التفكير في الأسس العامة للغة».

وأوضح أن المحاضرة تأتي بعيدا عن الكثير من الدراسات العربية الحالية، التي للأسف أصبحت غارقة في الجزئيات، ومنغمسة في تقسيم المقسم، وتجزئة المجزأ، مكتفية بنقل الآراء النحوية أو جمعها ونسبتها إلى علماء مدرستي البصرة والكوفة، أو تتبع آراء النحويين في الرد بعضهم على بعض، وتخطئة أحدهم الآخر، أو إعادة شرح هذه الخلافات النحوية بين المدرستين بلا طائل نافع حقيقي للعربية، بينما المطلوب هو التعمق في الفكر النحوي العربي والبحث عن أصول هذه الأفكار، والأسس النظرية التي بنيت عليها الفئات أو الأنواع النحوية في النحو العربي.

بدأ الدكتور أونز محاضرته فقال فيها بلغة عربية قريبة جدا من الفصحى: «أريد أن أوضح في هذه المحاضرة بعض الأسباب التي تجعل اللغويين في الغرب يقومون بأبحاث عن التراث النحوي العربي، فقد بدأ التراث الغربي الاهتمام بهذا الميدان منذ القرن التاسع عشر؛ عبر تحرير المخطوطات التاريخية



البروفيسور أونز في سطور

- درس ليسانس في علم الأنثرولوجيا ١٩٧٣م Beloit في الولايات المتحدة.
- حصل على الدكتوراه في عام ١٩٧٨م من جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية School of Oriental and African Studies) في تخصص علم اللغة.
- عمل في جامعة قار يونس في ليبيا لمدة عامين مدرسا.
- عمل سنتين في نيجيريا - منطقة ماداغوري.
- عمل ٥ سنوات في جامعة اليرموك في الأردن أستاذا.
- يعمل منذ عام ١٩٨٧م في جامعة بايرويت في ألمانيا رئيسا لقسم الدراسات العربية.
- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- نشر ١٢ كتابا في علوم اللغة العربية اللغوية، منها وأهمها ما طبعته مطبعة جامعة أكسفورد في بريطانيا The Handbook of Arabic Linguistics and A Linguistic History of Arabic (both، Oxford University Press).
- نشر ٧٣ بحثا في مجلات عالمية.
- نشر ٢٥ بحثا مشتركا مع زملاء آخرين.

مثلا في منتصف القرن التاسع عشر كما فعل Dieterici عام ١٨٥٤م، حيث حرر ألفية ابن مالك، أو عبر محاولات لفهم التاريخ اللغوي العربي، كما درسه Kees Versteegh في كتابه عن أول التفاسير اللغوية للقرآن. لكن في هذه المحاضرة سأركز على البحث عن الأسس النظرية اللغوية للنحويين العرب، وأطرح السؤال: هل هناك مبادئ عامة يبنى عليها علم الأصوات والصرف والنحو؟ ولتوضيح هذا المنهج سأختار مواضيع معروفة من ثلاثة نحويين مشهورين ومهمين وهم: ابن السراج وابن الأنباري وسيبويه. وهدفي هنا مناقشة السؤال: هل تساعدنا المقارنة بين مبادئ النحويين العرب والنحويين الغربيين؟ وإذا جاوبنا بالإثبات، فمن أي ناحية تساعدنا هذه المقارنة؟».

حدود الأهداف التعليمية

أوضح أونز أن ابن السراج، وهو أبوبكر محمد بن السري بن سهل النحوي، المعروف بابن السراج، ولد وعاش وتوفي في بغداد سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م. وفي كتابه «الأصول في النحو»، ابتكر ابن السراج نظاما قدم فيه الفئات النحوية على نموذج تعليمي مبين، حيث فسر وحدد ترتيبا سهلا للمدرسين وللطلاب. ومن سمات هذا النظام:

أ- يعالج النحو قبل الصرف.
ب- يبدأ بالعنصرين النحويين المركزيين: الكلمة والكلام.
ج- يحدد أنواع الكلمات ثم العنصر المركزي النحوي، وهو الكلام (أو الجملة).
د- يفسر الأسماء قبل الأفعال، والأفعال قبل الحروف.
ح- يقدم الأسماء وفق وظيفتها النحوية، فيفسر كل المميزات النحوية للرفع، ثم كل مميزات النصب، وأخيرا كل مميزات الجر.

> **أهمية التراث اللغوي العربي**
>
> **قال د. طلال الجسار: «التراث اللغوي العربي يمثل -بلا شك- واحدا ليس من أهم الآثار اللغوية الكبيرة في العالم فقط، بل من أعظم مصاف المؤسسات الفكرية المشهود لها في البحث العلمي. ولعل ذلك يعود إلى ما للتراث العربي من أصول قديمة ومبكرة، وما حول هذه الأصول من أسئلة محيطة بها، شغل وشغف بها الغرب، كما وجدت أثناء الدراسة في الخارج، وكانت مادة شيقة للدراسة في البحوث الغربية؛ لأن وجهات النظر الأوروبية السابقة شهدت في هذا الموضوع اختلافات وانقسامات في دراسة هذه الأصول، فمنها ما يقول بتأثير كبير من اليونانية والسريانية في التراث العربي، على سبيل المثال MERX (١٨٩١م)، الذي فتح هذا الباب. أما بعض الأبحاث الأخرى المنقسمة في هذه المسألة بين التأثير أو الرفض Versteegh (١٩٧٧م) و Rundgren (١٩٧٦م)، أو رفض هذا التأثير تماما كارتر ١٩٧٢م».**

وقد رسخ هذا النظام العام نموذجا جديدا للكتب النحوية بالمقارنة مع الكتب المشهورة التي سبقته، مثل «المقتضب» للمبرد أو «الكتاب» لسيبويه.

وقال د. أونز: «باستطاعتنا تقدير مساهمة ابن السراج الأساسية بشكل أوضح عند دراسة تفسيراته الفريدة. فلقد وضح ابن السراج مثلا الخصائص الأساسية للأسماء والأفعال المهمة للنحو العربي، فركز على خاصية واحدة، وهي التغيير أو عدم التغيير، الذي سماه تسليم البناء».

ولفت إلى أن الاختلاف الأساسي عند ابن السراج بين تغيير البناء وتسليم البناء، هو أن تسليم البناء يعني الإعراب. وتساءل أونز: «هل ركز ابن السراج على معيار واحد فقط، أي النظامية، مستغنيا عن المعايير الأخرى، لأن هدفه كان تطبيقيا وعمليا في أصوله؟ وهل منعه هذا الهدف من تطوير مناقشة عامة في هذا الموضوع المهم؟»، مجيبا بأنه يرى أن التفسير الثاني أكثر قابلية للتصديق.

النحوي التالي الذي تحدث عنه الدكتور أونز، يشكل -في رأيه- الذروة في نظام المنهج اللغوي، وفي تقديم الحجج النحوية، وفي توضيح الأساليب النحوية. وهو أبوبركات الأنباري، أيضا من بغداد توفي في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م. وفي كتابه «الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين» ضبط وفسر ١٢١ مسألة نحوية تعتبر نقطة مناقشة علمية بين المدرستين. وقد طور ابن الأنباري نموذجا موحدا في كل المواضيع، حيث لخص آراء الكوفيين (ذهب الكوفيون)، ثم لخص آراء البصريين (ذهب البصريون)، وبالتالي فسر بدقة حجج كل من الكوفيين والبصريين، وأخيرا حكم بين الموضوعين، إذ فسر سبب ثبات آراء الجماعة الواحدة على الأخرى.

ويمكن تلخيص أهمية كتاب «الإنصاف» في نقطتين:

● **أولا** - هذا الكتاب خلاصة التفكير النحوي العربي خلال ٥٠٠ سنة السابقة. ونجد فيه تمثيلا لكل المبادئ النحوية. مثلا في هذا الموضوع يشير من بين أشياء أخرى إلى المبادئ التالية:
(أ) أساس نظرية النحو العربية هو العلاقة بين العامل والمعمول.
(ب) يسبق العامل المعمول، وهذا يفسر لماذا الفعل يسبق المفاعيل... إلخ.
(ج) فئات الكلمة لها طاقة، حيث إن أساس الاسم لا يعمل، والحروف تعمل مثلا.
(د) هنالك فئات غير لفظية (العامل العقلي)، ولكنها الاستثناء، ولابد من حجج قياسية لتبريرها.
من الجدير بالذكر أن هذه المبادئ موجودة في مبادئ علم اللغة الحديث.

• **ثانيا** – أن الأسلوب العلمي في «الإنصاف» يعد نموذجا لأي مناقشة علمية، حيث إن ابن الأنباري يقدم الحجج من كل الأطراف النحوية، ويوضح الصحيح والضعيف في كلها. ومن وضوح تفسيره يستطيع القارئ أن يوافق أو يخالف حكم ابن الأنباري جزئيا أو كاملا. ومن هنا يتعلم الطالب أهمية أخذ الآراء المختلفة بعين الاعتبار في كل مناقشة علمية.

الذي يهمنا هنا هو أن تفسير ابن السراج بحاجة إلى تفسير أدق فيما يخص العلاقات الصرفية في فئة تغيير البناء.

وأخيرا، تناول د. أونز في محاضرته النحوي الأول، وهو سيبويه البصري، الذي توفي سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م، قائلا: «فسر سيبويه بدقة تقريبا كل ما نعرفه مباشرة عن العربية في عصره، رغم أن هناك مواضيع من الصعب تفسيرها في كتابه. وصف سيبويه الأصوات بالتفصيل، خصوصا مخارج الحروف، مجرى الصوت، المجهور والمهموس والإطباق، ولا نجد هذه المطابقة بين تحليل سيبويه للأصوات والفئات الصوتية الغربية الحديثة، حتى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، باستثناء الفنولوجيين الإيرلنديين. لقد فسر سيبويه كيفية إنتاج الأصوات في كل من مخارج الحروف، مجرى الصوت والإطباق، مثلا في صوت النون يجري الصوت من الأنف. ووفق قول سيبويه، نفهم هذا عندما نغلق الأنف وننطقها. وفي وصف المجهور والمهموس لم يذكر آلة إنتاجهما، يعني الحركة السريعة للأوتار الصوتية. ولكن على الرغم من هذا فإنه استطاع أن يعالج ظاهرة معقدة متعلقة بهذه الحركة الصوتية السريعة».

الخلاصة

كانت الفكرة الأساسية في هذه

تعريف بالدكتور طلال الجسار

١- دكتوراه جامعة بايرويت (Bayreuth) عام ٢٠١٤م – الجمهورية الألمانية – تخصص «علم اللغة العربية الحديث واللسانيات»، وموضوع الأطروحة: «تقعيد اللغة العربية ارتكازا على محور كتب معاني القرآن المتقدمة». وبعد المناقشة تمت التوصية بنشر الأطروحة على موقع مكتبة الجامعة.

٢. ماجستير جامعة بايرويت عام ٢٠١٠م – الجمهورية الألمانية – وموضوع الأطروحة: «الخطاب النحوي في تراث معاني القرآن».

له بحث علمي بعنوان The pedagogization of Arabic: The early Maʿaaniy al-Qurʾan Literature تقدم به إلى مؤتمر: «اللسانيات وتطوير تعليم اللغة العربية» – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، الدوحة.

مدرس مساعد لمعلمي اللغة العربية في جامعة بايرويت للطلبة الألمان الدارسين العربية.

المحاضرة –بحسب د. أونز– هي أن فهم النحويين مرتبط بفهم علم اللغة الحديث. وأساس المعرفة –من دون شك– هو قراءة مفصلة للنحويين العرب، لأنهم مفكرون مميزون، وعلى كل الذين يهتمون بالعلوم الإنسانية تقدير أعمالهم.

ومن وجهة النظر الغربية، تساعدنا دراسة علم اللغة الحديث على ترسيخ أفكار النحويين في العالم الكبير للأفكار النحوية. رأينا مثلا في هذه المحاضرة أن فكرة السراج «تغيير البناء»، تلخص اختلافا أساسيا في الصرف العربي، في حين الفئة نفسها تعمم بشكل واسع جدا اختلافات تحتاج إلى تدقيق في مضمونها. رأينا أيضا كيف يمكن الاستفادة من دراسة أفكار ابن الأنباري عندما نرسخ أفكاره المتنوعة في إطار مقارن.

وتساعدنا وجهة النظر الحديثة في فهم الأسلوب غير العادي لتفسير الحروف المنتشرة في كتاب سيبويه، حيث إن فكرة «الوفون» ناقصة عنده.

وأضاف أونز: «جدير بالذكر أنني أقوم بهذه المقارنة لتوضيح أفكار النحويين، وليس لأنني أفكر أن الأفكار الحديثة فقط هي التي تبرر بحثنا عن النحويين. كما نقدت من طرف بعض زملائي.

ومن الواضح أن اتجاه البحث الذي قدمته هنا هو التركيز على مبادئ الأفكار النحوية. لقد بدأت بابن السراج وانتهيت بسيبويه عن طريق ابن الأنباري، وهذا طبعا ليس سلسلة زمنية. إن ترسيخ التراث في التاريخ مهم، كما حاولت أن أصف في المناقشة عن سيبويه، يساعدنا في تفسير تاريخ اللغة، ولكن ليس ضروريا لفهم مبادئها».

وختم محاضرته بقوله: «إذا سئلت: هل دراسة النحويين تساعدنا في تعلم اللغة؟ لجاوبت: إن من المحتمل أنه يوجد تأثير إيجابي، ولكنه ربما غير مباشر. تحتاج دراسة النحويين إلى معرفة اللغة، ولكن كما رأينا الهدف الأساسي هو فهم الأفكار المنظمة والنظام وراء اللغة. وخبرتي خلال أكثر من عشرين عاما تدريسا في جامعة بايرويت في ألمانيا، وتقريبا مرة كل سنة دراسية درست محاضرة في قراءة ابن السراج أو ابن جني أو الجرجاني أو حتى سيبويه نفسه، وفي حين وجد الطلاب صعوبة في البداية، فلقد بدأوا مع مرور الوقت يستمتعون بالمادة، وتعودوا على الأسلوب العربي العلمي التراثي، وفهموا أن التراث النحوي العربي يمثل جزءا من الأفكار الإنسانية التي لم تكتشف إلا في القليل من ثقافات العالم».

صبحة بغورة
كاتبة جزائرية

أطفالنا وصيام رمضان



يعد شهر رمضان فرصة عظيمة ومناسبة فريدة، نستطيع من خلاله تعويد أبنائنا على استكمال أداء الفرائض والعبادات، كالصلاة وقراءة القرآن، والصيام خاصة، والالتزام بتعاليم الإسلام عامة، والتحلي بحسن الخلق، واحترام الوقت، والالتزام بالنظام. وكثيرا ما يقترن الصوم في حياة الطفل بذكريات سارة تشجعه وتحفزه على انتظار شهر رمضان بتلهف وترقب؛ لما في ذاكرته من أحداث مفرحة خلال فترة صومه الأولى، ففي رمضان تتجلى التربية الصادقة والتوجيه الحكيم في رعاية الأطفال وتدريبهم على الصيام وتعويدهم على القيام، فشهر رمضان مدرسة تربوية زاخرة بالدروس المكثفة، التي تصيغ شخصية الطفل صياغة راقية، كما ترتقي نفوسهم بنفحاته المباركة، فهو مدرسة التربية الإيمانية لبناء علاقة أطفالنا بالله تعالى.



تعويد الطفل تدريجيا على الصيام يجعله سهلا ومعتادا ومحببا لديه، وهذا حسب احتمال الطفل ورؤيتنا لقدرته على مشاقه. وغالبا ما يكون الطفل في بيئته الإسلامية قادرا على استيعاب مفهوم الصوم قبل البدء في تدريبه عليه؛ لأن الأحاديث أمام الطفل عن معاني شهر رمضان وثواب صيامه إيمانا واحتسابا لله تعالى وفضائله وبركاته العديدة وهو يرى استعدادنا لاستقبال الشهر الكريم، تثير الفضول في نفسه، وتدفعه لمعرفة المزيد، ويسهم هذا في تكوين مفهوم ديني لديه بأن رمضان يقربنا من الله بمغفرته والفوز بالجنة برحمته، فلا بأس إن أراد الطفل الصغير الصيام حتى وان كان غير مكلف به، علينا أن نشجعه مع مراقبة ما قد يبدو من علامات الإعياء عليه أو ما قد يطرأ من تغيير ملحوظ على حالته الصحية، وسرعة التدخل في الوقت المناسب وإقناعه بأنه حاول واجتهد اجتهادا حسنا، وصبر، وأن الله تعالى يرى ذلك ولا يرضيه أن يهلك الطفل الصغير نفسه بالاستمرار في الصيام. والجميل أن يشارك الطفل أهله إفطارهم، وان أمكن أيضا سحورهم، وأن يقوم مثلا بمهمة ترقب سماع آذان المغرب، إذ سيسعده أن يكون هو أول من يبلغ أهله بذلك حتى لو لم يكن صائما، والأجمل إن تم تكريمه إذا صام يومه أو حاول ذلك لبضع ساعات، وذلك بإعداد الأطعمة التي يحبها، وحبذا لو تم إغراؤه بها حتى يكمل صيامه، ففي ذلك شحذ لهمته ودعم لصبره. وخلال ذلك يكون من الواجب الاستفادة من شعوره بألم الجوع لتذكيره بحال الفقراء والمساكين الذين يقضون معظم أيام العام وهم يعانون نفس ما يشعر به الآن، وبحال أولئك الذين يصومون وقد لا يجدون ما يكفيهم من طعام للإفطار، وصولا إلى حث الأطفال على واجب تقديم الصدقات وعلى شكر نعم الله علينا.

كثيرا ما تكون أولى وأهم وسائل التعلم عند الطفل هي المحاكاة أو التقليد، فغالبا ما يسعى إلى تقليد الكبار، خصوصا والديه وإخوته الذين يشعرونه بالفخر، إن القدوة الحسنة مهمة في حياة أطفالنا، ومن الضروري تعويدهم على الصيام التدريجي كل عام بالزيادة في عدد الساعات مثلا حسب احتمال الطفل؛ ليصبح قادرا على صيام اليوم كله. ومع كل مرحلة، لابد من تحفيز الطفل الصائم وتشجيعه ودعمه معنويا بمدحه والثناء عليه أمام إخوته وباقي أفراد الأسرة، ودعمه ماديا بين الحين والآخر أو تقديم هدية مكافأة له، لكن إن لم يظهر الطفل حماسا في بداية تدريبه على الصيام فليس من الضروري أبدا عقابه أو توبيخه وإحراجه، لأن هذا سيأتي بنتيجة عكسية.

لشهر رمضان فوائده التربوية والاجتماعية العديدة التي ينفرد بها، لأنها في صلب القيام بهذه الفريضة في تهذيب النفس وترويضها وإيقاظ المشاعر الراقية بإحساسه بالآخرين، وتنمية قوة الإرادة من خلال التصميم على الاستيقاظ وقت السحور استعدادا للصيام، وتزداد فرحة الأطفال باصطحابهم إلى المساجد لصلاة الفجر، فبتعليمنا الصيام لأطفالنا نرسخ في أذهانهم فكرة الالتزام، وروح المسؤولية والنظام بصفة عامة، وذلك بالتسابق لفعل الخير والإحسان للمعوزين الذين لا يجدون قوت يومهم، لتصبح عادة إنسانية حميدة، ليس في هذا الشهر فقط، وإنما في كل أيام السنة، وبذلك يعرف أطفالنا أن ما لديهم من إمكانات مادية مقبولة تغرس فيهم صفة القناعة، وهكذا يكون أطفالنا وبعدد الأيام التي صاموها في هذا الشهر العظيم قد اكتسبوا أكبر عدد من الصفات الحسنة من صبر، وتحمل للشدائد، وكبح جماح هوى النفس في معترك هذه الحياة.

أطفالنا هم شباب المستقبل الذين لابد أن ينشأوا في أجواء آمنة ومستقرة تولي الأهمية القصوى للتربية الدينية، وتحرص على إعطاء المثل الأعلى والقدوة الحسنة في كل مفردات حياتهم، والتأكيد على أن تكون الأسرة هي المنبع الأول في تشكيل شخصية الطفل والمصدر الأساسي الذي منه تتم عملية إيصال كل معلومة للطفل بالحب والترغيب بعيدا عن العقاب والترهيب.



نورا ياسر سليمان
كاتبة مصرية

إذا استمر فترة طويلة..

خطورة غياب الزوج عن أسرته

من المؤلم للزوجة والأولاد أن يغيب الأب لفترات طويلة عندما يضطر رب الأسرة في كثير من الأحيان أمام ضغط الاحتياجات المادية التي تعانيها معظم الأسر إلى الاغتراب بحثا عن مصدر رزق أوسع؛ دون زيارة لزوجته وأولاده.. ويكون كل همه جمع المال لتوفير الرعاية المادية لهم، دون النظر إلى خطورة غيابه عنهم سواء من الناحية الاجتماعية أو التربوية أو النفسية، ويتجاهل تأثير الفراغ السلبي الذي يتركه بغيابه على الأبناء وعدم وجود راع لسلوكهم أو مراقب لتصرفاتهم، ويتجاهل حال الأم التي بالكاد تستطيع القيام بواجبها مع وجوده فكيف يكون حالها في ظل غيابه وتحملها مسؤولياته إضافة إلى ما تحمل من أعباء. تقول خديجة الشربيني (موظفة) أنا متزوجة منذ ١٠ أعوام ومنذ ذلك الوقت وزوجي في سفر دائم لا أراه سوى شهر في كل سنة، ونظرا لغيابه أشعر بأن المسؤولية أكبر من طاقتي ولابد أن نتحملها معا، كما أن غيابه يؤثر على مشاعري فعندما أحتاج إليه لا أجده بجواري، وبالنسبة للأولاد أصبحوا يشعرون بحاجتهم إليه وأصبحوا يقارنون بين حياتهم وحياة زملائهم في المدرسة، فوالد صديقه يحضره إلى المدرسة يوميا أما هو فيذهب ويعود بنفسه.. هذا الشعور السلبي مؤلم جدا بالنسبة للأولاد ولي.

يقول د. محمود بدر أستاذ الطب النفسي: نظرا لغياب الزوج نجد صورا عديدة للتفكك، ولكن كيف يمكن للأسرة أن تبقي على تماسكها وحبها إذا أرغمت ظروف الحياة رب الأسرة على أن يسافر للعمل؟ إن أخطر مشاكل هذه التجربة يكمن في الجانب النفسي لأن الزوج يشعر فجأة بغربة كبيرة، فإحساس كهذا كاف لشل جميع طاقاته خاصة الفكرية، ونجد أن بعضهم لم ينجح في تكوين علاقة صداقة واحدة، والسبب أن نفسيته تكون بين مد وجزر، فجسده يتحرك في الغربة وعقله وقلبه هناك عند زوجته وأبنائه في بلده، هذا من جانب الزوج، أما الزوجة فمسؤولياتها تزداد لأنها أصبحت أما وأبا لأبنائها، وعليها تنظيم شؤون المنزل كلها حتى تلك التي كان يقوم بها الزوج، فتعيش تحت ضغط نفسي كبير خشية الفشل أو التقصير، ولكن يبقى السؤال الأهم: هل هذا البعد سيكون سببا في تقليل مشاعر المودة والارتباط التي كانت بينهم قبل السفر؟ لاشك أن الحل الأمثل هو أن تعمل الأسرة جاهدة على أن تبقى مجتمعة حتى لو تطلب الأمر بعض التضحيات، فالاستقرار النفسي الكامل لا يتحقق إلا بوجود أفراد الأسرة معا، ولكن إذا كان الوضع لا يسمح بذلك فإن البديل يجب أن



يكون في استخدام وسائل الاتصالات المتعددة والحديثة، فالهاتف أهم هذه الوسائل، ولكن تخطئ الزوجة عندما تتصل في وجود الأبناء لأنه في هذه الأثناء يكون الاتصال روتينيا، ولا مجال لتبادل المشاعر، ولذا لابد من أن يكون هناك اتصال فردي كل فترة ليتمكنا من تبادل التعبير عن مشاعرهما، وعلى الزوج أن يرسم لزوجته صورة واضحة عن حياته اليومية وكيف تسير أمور حياته، وعلى الزوجة أن تبعث برسالة مماثلة وأن تستشيره في تفاصيل حياتهم وتستمع إلى رأيه فيشعر الزوج بأنه لايزال صاحب مكانة رغم الفراق. وهناك التواصل الإلكتروني فيجب على الزوجين معرفة كيفية استخدامه قبل السفر لأنه يحدث تقاربا حقيقيا رغم البعد. ويؤثر على الاستقرار النفسي لهم، كما أنه من المهم ألا ينسى كل من الزوجين التواريخ المهمة في حياتهما الزوجية حيث إن تذكرها يشعر الطرف الآخر بأهميته. تقول نادرة شكري استشاري علم النفس: رغم أن الكثيرين يأخذون مقولة «البعيد عن العين بعيد عن القلب» على أنها حقيقة، لكن ليس كل بعد ينتج عنه جفاء أو نسيان، ولنأخذ الزوجين مثلا فقد يقرران بعد حياة زوجية مستقرة أن يبتعد كل منهما عن الآخر فيما يشبه الإجازة القصيرة، كنوع من التجديد للعلاقة بينهما، وحتى يعودا وقد أصبح كل منهما في اشتياق للآخر، ولن يحدث ذلك إلا إذا كانت العلاقة بينهما قوية قائمة على التفاهم لأنه إذا لم تكن العلاقة كذلك فقد يصبح البعاد ذا أثر سلبي مما يسهم في ضعف العلاقة الزوجية وربما تفككها. وقد يكون البعد، مما يكون له آثار سلبية ليس على مستوى العلاقة بين الزوجين فقط، ولكن على الأبناء أيضا وما ينتج عن هذا الوضع الأسري غير المستقر من انعكاسات سلبية على المجتمع ككل. لذلك هناك عدة نصائح تقدمها د. نادرة للزوجين لكي يتفادى كلاهما فقدان الآخر معنويا، وحتى لا تصل العلاقة بينهما إلى جفاء.

الحرص على عدم الافتراق، وليكن السفر بالأسرة مجتمعة، وإن كان هذا غير ممكن، فليكن الغياب لفترة أقصر من المعتاد حتى لو كان ذلك يتكلف تكاليف مالية زائدة، حتى لا يكون غياب الرجل عن أسرته أمرا واقعا ومسلما به ومقبولا لجمع المال، كما أنه لابد من الاتصال اليومي بينهم خاصة في ظل التقنيات الحديثة، ولابد أن يدبر الزوج وقتا كافيا ليتحدث فيه مع زوجته وأبنائه بصورة شبه يومية لكي يكون على صلة بهم لا تنقطع، ولكي لا يشعروا بغيابه عنهم فيعتادوا هذا الغياب.



سليمان خالد الرومي
سكرتير التحرير

تدريب الأطفال على الصيام

تربية الأطفال شيء مهم ولابد من اقتناص الفرص والمواسم لتعليم الأطفال الأمور التربوية بطريقة عملية، ولعل حلول شهر رمضان المبارك فرصة للأهل لاستثمارها في تربية الطفل على أهمية هذ الشهر وروحانياته.

وهنا تظهر أهمية التعويد كأسلوب من أساليب تربية الأطفال.. فمن طبيعة الطفل الصغير أنه أسلس قيادة وأسرع صناعة من غيره، كما أنه لم تغلب عليه عادة تمنعه من اتباع ما يراد منه وليست له عزيمة تصرفه عما يؤمر به.. ويرى علماء التربية أن الطفل يتعلم في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء.. فإن العادات يمكن أن يكتسبها كلما كانت سنه أصغر، ويرون أن «٩٠٪» من العملية التربوية تتم لطفل الخمس سنوات.

كما أن الطفل في هذه المرحلة يحاول إرضاء الوالدين، ويحاول استخراج كلمات الثناء والإعجاب منهم بما يعمل.. ويفترض أن يستغل الوالدان هذه الفترة الهامة في تعليمه وتوجيهه كما يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى في هذا المجال «أقوم التقويم ما كان في الصغر فأما إذا ترك الولد وطبعه ونشأ عليه ومرن كان رده صعباً».

ويقول الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب

والطفل لا يميز بين الصالح والطالح والخير والشر، وإنما لديه رغبة يحس بها في نفسه ترفعه إلى طاعة من يوجهه ويرشده.

يحرص الوالدان على إفهام الطفل أن ما يفعله تدريب على الصيام وأنه ليس الصيام المكلف به. وهنا تكون جلسة للأسرة ليعرفوا عن الصيام. والصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه.

والحكمة أنه فرض عين على كل مكلف وهناك دليل من وجوبه من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة:١٨٣-١٨٤).

ومن السنة: قول الرسول ﷺ «بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان» (رواه البخاري ومسلم).

وهنا تدريب الأطفال على النحو التالي:

يطلب من الطفل الامتناع عن الأكل والشرب بالتدريج وصولا إلى صيام كل اليوم ويستحسن أن تربط هذه الأوقات بالصلوات ويمكن أن تكون على الصورة التالية:

الجزء الأول، من صلاة الفجر إلى صلاة الظهر.

الجزء الثاني، من صلاة الظهر إلى صلاة العصر.

الجزء الثالث، من صلاة العصر إلى أذان المغرب.

ويصلح هذا الأسلوب للأطفال الصغار من سن الرابعة.

- ثبات التوجه داخل البيت ونعني به اتفاق الوالدين على تعويد الطفل على الطاعة والصيام حتى لا يقع التضارب بين رأي أحد الوالدين الذي يرى للولد الصيام ورأي الآخر الذي يرى الطفل مازال صغيرا ولا يحتمل الصيام ولم يحن الوقت بعد لتعويده عليه، مما يؤدي إلى تذبذب الطفل وحيرته حول من يرضي من والديه، فيزول دافع حب التقليد وحب الطاعة من نفس الطفل.

- **توضيح مكانة شهر رمضان في الإسلام للطفل.**

يتناسب مع عمره وتفكيره ويمكن البدء بذلك في ليلة الإعلان عن رؤية الهلال، إذ يخرج الوالد مصطحبا الولد إلى سطح المنزل أو إلى أي مكان مرتفع ويطلب منه أن يبحث عن الهلال الذي يدل على بداية الشهر، ثم يحدثه عن سبب هذا الاهتمام برؤية الهلال، ويبين له أن الله تعالى قد أوجب على المسلمين صيام شهر في السنة هو شهر رمضان، وهذا الشهر يبدأ برؤية هلاله، وهذا المثال فيه عناصر التشويق والإثارة والبعد عن المألوف في بقية الشهور مما يؤثر إيجابيا في الطفل.

- لابد من وجود القدوة الحسنة للأبناء في سلوك الوالدين في رمضان، فالنوم الكثير والغضب السريع والتأفف من تأخر الأكل أو نوعه وتضييع الوقت والجلوس أمام التلفاز وعدم الاهتمام بصلاة الجماعة والتراويح في المسجد لا تمثل القدوة الصالحة للأبناء ولا يحسون معه بفارق بين أيام الصيام وغيرها من الأيام، وأشد من ذلك أن يجاهر الوالد أو الوالدة بالإفطار في أيام الشهر الكريم والعياذ بالله، ولذا وجب على الأبوين أن يكونا قدوة صالحة لأبنائهما في حفظ الوقت في شهر الصيام، وشغله بالصيام والقرآن والتفقه في الدين والحرص على الجلوس مع الأبناء واللعب معهم ومحاورتهم وسرد القصص أو طرح المسائل والألغاز.

يبقى أن نوضح أن القدوة تقوى ويسهل حدوثها إذا وجدت علاقة تمتاز بالمودة والرحمة بين الطفل ووالديه، كما أن طول الاحتكاك بالوالدين وكثرة معاشرتهما وطول بقائهما مع أولادهما ومشاركتهم ألعابهم وميولهم له دور كبير في تسهيل وتسريع الاقتداء وتنفيذ الأوامر.

- **شغل الطفل عن الأكل والشرب وتلهيته بأمور محببة إليه كاللعب مثلا** -على أن لا يبذل الطفل مجهودا كبيرا- وقد جاء في الحديث الصحيح أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصنعون لأطفالهم ألعابا يلهونهم بها عندما يبكون طلبا للطعام حتى يحين وقت الإفطار. روى البخاري في صحيحه عن الربيع بنت معوذ -رضي الله عنها- قالت «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم، قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف الملون) فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار» وكذلك يمكن أن يجمع الأب الأطفال قبل الإفطار ليسرد لهم القصص المفيدة أو أن يأخذهم معه لصلاة العصر في المسجد ويستمع إلى درس إمام المسجد أو يجلس معهم في حلقة القرآن. ولكن ما سبق لا يعني عدم إطعام الطفل الصغير الطعام إذا اشتدت حاجته له.

- **اعتماد أسلوب الترغيب والتحبيب والتحفيز، فالرغبة في عمل الشيء دافع قوي لإنجازه ومن ذلك:**

أ- مدح الطفل الذي يصوم ولو لم يكمل اليوم ويكون المدح أمام الكبار والأقران.

ب- الحرص على وجود الطفل على مائدة الإفطار كالصائمين.

ج- اصطحابه إلى الصلاة في المسجد.

د- وضع جدول بالأيام التي صامها أو صام بعضها لحسابها ويحفظ الجدول للعام القادم لقياس مدى التقدم وللتنافس مع النفس ليصوم أكثر.

هـ- إعطاؤه هدية يوم العيد لصيامه غير هدايا إخوانه الصغار.

و- إقامة المسابقات بين أبناء الحي أو الإخوة في البيت أو رواد المسجد أو الأقارب أو الجيران، وهذه المسابقات تستوجب تكاتف جهود الأسر جميعا، وحبذا لو كان التكريم في يوم العيد وقت الصلاة على مسمع ومشهد من جميع المصلين فإن لهذا أثرا كبيرا في حرص الطفل وتعويده على الخير.

ز- استثارته بعبارات التفاؤل إن عجز عن الإكمال ليؤخر وقت إطعامه.

- استغلال الأيام التي يستحب فيها الصيام لتعويد الطفل على الصيام على أن يصوم معه أهل البيت أو بعضهم، وقد مر معنا الحديث في الفقرة السادسة عن أمر الأطفال بصيام عاشوراء ويمكن أن يؤمر الطفل بصيام عاشوراء ويوم عرفة وغيرها من المواسم المسنونة ليتعود على صيام الفريضة.

- تهيئة الجو لصيام الطفل: ومنه القدوة وثبات التوجه الذي سبق الحديث عنه، ومنه أيضا تناوله لوجبة السحور، فهي وجبة مباركة تعين الصائم على الصيام: قال رسول الله ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة» (رواه البخاري).

- ينبغي الابتعاد عن الاستبداد والصرامة. وعدم اللجوء إلى عبارات التحذير والتهديد حتى لا يقترن الصيام أو الطاعة عموما بالخوف، خصوصا أن المقام هنا مقام تدريب وتعليم وتربية، والطفل لم يصل بعد إلى سن التكليف الشرعي وهو سن البلوغ، وكما أن التهديد ممنوع فإن رشوة الطفل ممنوعة أيضا حتى لا يتعود أن لا يعمل إلا بمقابل معلوم مسبقا.

- **تراعى الأمور التالية عند أمر الطفل بالصيام:**

١- ينبغي أن لا يؤمر الطفل بشيء وهو مشغول بشيء آخر يحبه.

٢- الحرص على وضوح الأمر وبساطته.

٣- ينبغي عدم إعطاء أوامر كثيرة في وقت واحد.

٤- متابعة تنفيذ الطفل للأمر والتحقق من مدى استجابته.

٥- الطلب بعبارات محفزة متفائلة تثير الحماس للعمل لدى الطفل.

- إكثار الوالدين من الدعاء بصلاح الولد.

وفي الختام.. تقبل الله طاعتكم.

محمد عباس عرابي
كاتب صحافي



الذكاء الأخلاقي وتنميته لدى الأطفال

يعد الذكاء الأخلاقي، بأبعاده المختلفة، قوام حياة الإنسان، وأساس كيانه المعنوي وتفاعله مع مجتمعه، ومعطيات حياته. وهو من الموضوعات التربوية والنفسية الحديثة التي لها دور كبير في تحقيق الصحة النفسية للفرد، كالاستقرار النفسي، والقدرة على التكيف والتعامل مع الآخرين، ويحقق أيضا الصحة المجتمعية، كشعور أفراد المجتمع بالأمان، وأنهم أصحاء ومترابطون.

يتناول هذا المقال المقصود بالذكاء الأخلاقي، ومكوناته، وكيفية تنميته لدى الأطفال.

● **المقصود بالذكاء الأخلاقي:**
للذكاء الأخلاقي عدة تعريفات أبرزها: ما يقدمه الآباء من قدوة متمثلة في السلوك الحسن، والمقبول للأبناء، وما يحدده المجتمع من معايير بهدف تنمية العطف والرحمة والاحترام.

ويعرف الذكاء الأخلاقي أيضا على أنه القدرة على فهم الصح والخطأ، وهذا يتطلب توافر قناعات أخلاقية قوية، بحيث يتصرف الفرد بموجبها. وإن هذه القدرة المعرفية تتضمن خصائص حياتية، كالإحساس بألم الآخرين، وضبط الذات تجاه الفعل السيئ،

والإصغاء بانفتاح قبل إصدار الحكم أو الرأي، والتفاعل العاطفي، والتعامل مع الآخرين على أساس المودة والاحترام.

● **مكونات الذكاء الأخلاقي:**
للذكاء الأخلاقي سبعة مكونات هي:

-التعاطف: هو التماثل مع اهتمامات الناس الآخرين، والشعور بمشاعرهم، خصوصا مشاعر الضيق والألم، والوعي بجوانبهم الانفعالية، فهو عاطفة قوية من شأنها أن توقف السلوك العنيف والقاسي، وتزيد من وعي الفرد لأفكار الآخرين وآرائهم. وهو يتيح للطفل فهم كيفية شعور الآخرين، خصوصا مشاعر الضيق والألم، كما أنه يدفع الطفل لفعل ما هو صحيح، ويمنعه من التصرف السيئ؛ لكونه يعلم أثر الألم العاطفي على الآخرين.

- الضمير: هو ذلك الصوت الداخلي القوي الذي يساعد على جعل الأفراد على الطريق القويم؛ لفعل الصواب، ويشحنهم بإحساس الذنب حينما يتمادون في الخطأ. وهو أساس المواطنة الصالحة والسلوك الأخلاقي، كما أنه جوهر الأخلاق برمتها. ومن الأفعال الدالة على الضمير: لا يغشون ولا يكذبون لمعرفتهم بالخطأ، يعترفون حين يخطئون، يطيعون القواعد لأنها صواب.

ويمكن تنمية هذا المكون من خلال: تحديد إطار للنمو الأخلاقي، وتعليم الفضائل وتوجيه السلوك، واستخدام الضبط الأخلاقي بهدف التمييز بين الصواب والخطأ.

- ضبط النفس: هو التحكم في الانفعالات، والتفكير في السلوك قبل فعله، مما يعطي الفرد قوة الإرادة على القيام بالصواب والسيطرة على أعماله، لذا هو آلية داخلية قوية تقود سلوكهم الأخلاقي بحيث تكون خياراتهم أكثر أمنا وأكثر حكمة. ومن الأفعال الدالة على ضبط النفس: التصرف الجيد وإن لم يراقبهم أحد، التخطيط لما يراد فعله أو اتباعه.

ويمكن تنمية هذا المكون من خلال: تكوين نموذج للطفل، والتفكير قبل العمل.

- الاحترام: إظهار مشاعر إكبار وتقدير يوجهها الفرد نحو أشخاص يراهم يستحقون هذه المشاعر، وقد يتوجه الفرد بهذه المشاعر نحو نفسه، وفي هذه الحالة الأخيرة تصبح جزءا من مفهوم الفرد عن نفسه، وقد يضفي المرء هذه المشاعر على موضوعات أخرى في الحياة، ومن الأفعال الدالة على الاحترام: لا يقدمون تعليقات لا مبرر لها، ينصتون دون مقاطعة، ويحترمون الكبار.

ويمكن تنمية هذا المكون من خلال: العمل بشكل محترم، وإظهار الاحترام لصغار أو كبار السن.

- العطف أو الشفقة: إظهار الاهتمام بالمشاعر غير السعيدة للآخرين، ومساعدتهم في محنهم، وتعلم معنى الشفقة عليهم، والبعد عن تحقير أساليبهم وإن كانت بسيطة، وتطوير وسائل رادعة عند معاملة الآخرين بقسوة، ومن الأفعال الدالة على العطف: يعرضون المساعدة لشخص محتاج، والاهتمام بالشخص الحزين، والتفكير في احتياجات الآخرين.

ويمكن تنمية هذا المكون من خلال تعليم العطف وأثره الإيجابي.

- التسامح: يعد التسامح فضيلة أخلاقية جوهرية تساعد الصغار على احترام بعضهم لبعض على أنهم أشخاص، بغض النظر عن الفروقات، سواء كانت اجتماعية أو مظهرية، ومن الأفعال الدالة على التسامح: عدم المشاركة في نشاطات تسخر من الآخرين، ورفض استثناء الآخر لأنه لا تجربة له في أمر ما، والتركيز على الخصائص المشتركة مع الآخرين.

ويمكن تنمية هذا المكون من خلال: تعليم معنى التسامح، ورفض التعصب.

- العدل: يحثنا العدل على التصرف بإنصاف ونزاهة دونما تحيز في المواقف المختلفة، بحيث يصبح الطفل أكثر التزاما بالقواعد وتبادل الأدوار. والأطفال الذين يتعلمون العدل يكونون أكثر تسامحا وتحضرا وفهما و اهتماما.

ويمكن تنمية الذكاء الأخلاقي لدى الأطفال في السنوات الأولى من حياة الطفل في حال إكسابه العادات الأخلاقية: كضبط النفس، والعدالة، وإبداء الاحترام، وتطوير الإحساس الداخلي بمفهومي الخطأ والصح لمواجهة المؤثرات الخارجية، بالإضافة إلى توفير بيئة تسودها المناقشات والحوارات التي تخص الموضوعات الأخلاقية، وأن تتوافر لدى الفرد منظومة قيمية مرجعية لذاته، إذا ما أرد التعامل مع الآخرين، وهذا بدوره يضمن إيجاد المواطن الصالح، الذي يقاوم الإغراءات والمؤثرات التي يموج بها عصر العولمة.

ويمكن القول إن الذكاء الأخلاقي من النتاجات التعليمية التي يراد تحقيقها لدى الأطفال، لما لهذا النمط من الذكاء من دور مهم في تحسين الأداء النفسي والاجتماعي لديهم، لذا يجب على المؤسسات التربوية والتعليمية تنفيذ البرامج التربوية المتنوعة التي تكفل تنمية الذكاء الأخلاقي لدى الأطفال.

موضوع العدد

معركة الوعي: سؤال الحوار



د. عمرو عبدالكريم

ربما كان الحوار الحضاري هو المخرج الوحيد لعالم يمور بالصراع الحضاري، وإذا كان الصراع انفصالا فإن الحوار اتصال وتواصل.

فالحوار أن ترى محاورك ما لم يره، وأن يريك ما لم تره، وهو غير المناظرات والجدال التي تؤدي في أحيان كثيرة إلى تعميق حدة الخلاف لقيامها على سيطرة بعد واحد في النقاش، والرغبة العارمة في الغلبة، وإثبات صحة الموقف.

ومن ثم فالحوار يقوم على إدراك المحاور: أن ليس كل ما يراه «قطعيا نهائيا» في كماله وإصابته للحق، وأنه لا يملك فصل الخطاب، ولا يحتكر الصواب، ولا مقاطع الرشد، وأنه من خلال الحوار يستطيع أن يضيف شيئا إلى ما عنده سواء أكان إثراء أو تعديلا وتبديلا.

لكن لن يكون للحوار فائدة إذا دار بين قوم «تهيكلت» ثقافاتهم على التقليد والنقل لأقوال الآخرين دون حظ من النظر الخاص القادر على استتلال نماذجه الخاصة من أكداس المعلومات المتوافقة والمتضادة والتي تعج بها الكتب والمراجع.

ومن ثم فسؤال الحوار يعتمد نشر ثقافته التي تقوم على رؤية تسع المخالفين، وتتلمس لهم الأعذار، وتعطي لهم الحق في الاختلاف، والحق في التعبير عن ذلك الاختلاف.

ولعل تعدد أوامر القرآن بالرفق في الحوار هي التي تؤكد تلك الثقافة وذلك النمط من السلوك حتى يكون الحوار داعيا إلى الاتصال، وليس الانفصال، فهذا خير الخلق سيدنا محمد ﷺ يأمره ربه بأن يجادل قومه بالحسنى وهم قد أساءوا إليه وكذبوه وآذوه، فقال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل:١٢٥).

وهذان نبيان كريمان موسى وهارون يرسلهما ربهما إلى فرعون الذي طغى ويأمرهما بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه:٤٤).

والدارس لتاريخ النهضة الإسلامية في عصورها الزاهرة يجد شيوع وذيوع ثقافة الحوار، واحترام الآخر، وحق الإنسان في الاختلاف والتعبير عن ذلك الاختلاف، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وإذا كان الحوار ضرورة فإن الرفق فيه ضرورة أشد حتى يستمر الحوار ذاته، ذلك أن الحوار بالتلطف والهدوء من الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس وتفعل فيها فعل السحر.. أن تقول لصاحبك في بدء حديثك: اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع وقد أكون مخطئا وأشكرك لو تفضلت وصححت لي خطئي (د. علي الحمادي، بالحسنى لا بالتحدي).

إن من مقتضى قوله تعالى: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ألا تسفه قول محاورك مهما بلغت درجة غرابته، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» أي: عابه، وفي رواية: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما يعطي على ما سواه» (رواه البخاري).

وعن أبي موسى الأشعري، قال: كان النبي ﷺ، إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره، قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا» (متفق عليه).

وإلى هذا المعنى أشار القرآن: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت:٣٤).

فقد يبدأ الحوار وروح العداوة تسيطر على أحد الطرفين، فإذا دفع الآخر بالحسنى انقلبت العداوة إلى مودة والبغض إلى محبة.

ودفع الإساءة ليس سهلا يقدر عليه كل أحد بل يحتاج إلى تدريب نفسي وصبر ومجاهدة، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت:٣٥).

إن أسلوب التحدي ولو كان بالحجة الدامغة والدليل القاطع يبغض صاحبه للآخرين فلا ينصح به، لأن كسب الإنسان خير من كسب المواقف، إنك قد تفحم محاورك وتعجزه عن الجواب ولكنك لن تقنعه فلا يسلم لك، أما إذا تسامحت معه فأنت تفتح بابا للقبول لا إرغام فيه، والزمن جزء من العلاج، وإذا كان الناس أعداء ما جهلوا فإنهم أيضا أعداء ما جُهِّلوا، واحذر من أن يعاديك من تحاوره فتجعل النقاش خصومة، وتجعل الخصومة خصومتين (نفسية وعقلية).

والله جعل رسله مبلغين عنه سبحانه فقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الغاشية:٢١-٢٢). وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩).

إن الحوار في الرؤية الإسلامية ينتظم معرفيا ومنهجيا تحت سنة التنوع، ويعمل حضاريا وفقا لسنة التدافع، وكلا السنتين تستندان إلى مرجعية إيمانية واحدة.

والحوار آلية يتوسل بها إلى التفاعل الإيجابي البيني المستمر والمتواصل بحثا عن سعادة الإنسان دنيا ونجاته في الآخرة، وهذه الآلية مبنية على البحث عن الحقيقة، وعن الحكمة مهما كان الطرف الذي يقول بها، لتتبنى في النهاية وتصير جزءا من صميم أفكارنا ونظمنا وقواعدنا وأساليبنا في حياتنا الدنيا.

والحوار آلية من أهم الآليات في التفاعل مع الوجود بأكمله أخذا وعطاء من غير إكراه ولا قهر، ضمن سنتي التنوع والتدافع من أجل تحقيق التوازن الكوني، والفوز بالجنة ومرضاة الله في الآخرة.

وهكذا فإن هذه الآلية تعمل وتؤتي أكلها في كل مستوى تمارس فيه، مع مراعاة شروط كل مستوى من مستويات الوجود؛ فالحوار مع الله تسليم وعبادة، والحوار مع الكون تسخير وتمتع، والحوار مع الإنسان تعاون وتضامن وليس إلغاء للألوهية أو للغيب مطلقا، والدخول في صراع مستميت مع الكون والطبيعة ومحاولة تدميرها وإفساد نظمها المتناسقة بما يذهب رونقها، وممارسة الإلغاء وإفناء الإنسان كإنسان مكرم وفق هذه الأرض وسلبه إنسانيته وحريته وحرية تمتعه بهذا الكون الفسيح الذي سخره الله له... بل وخلقه من أجله (زوهير بن أحمنه عبدالسلام، آلية الحوار: قراءة لمفهوم الحوار في ضوء سنتي التنوع والتدافع).

ويستند المنهج الحواري الذي أكده القرآن الكريم وكانت سيرة النبي الكريم تبيانا عمليا له على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:٢٤). فلم يطرح المحاور صوابية فكره وخطأ الفكر الآخر، بل على أساس فكرة مطروحة يتساوى فيها احتمال الخطأ والصواب، ما يعزز من فرص إدارة الحوار بأكبر قدر من الموضوعية العلمية التي تنشد الحقيقة من موقف حيادي، دونما تهوين أو تهويل.

وكان التطبيق النبوي أروع التطبيقات العملية، فحفلت سيرته ﷺ بحوارات كثيرة مع الكفار بغية إيضاح الحق لهم واجتذابهم إلى معسكر الإيمان، ألم تر إليه حينما أمهل ﷺ عقبة بن ربيعة –وهو المشرك– حتى انتهى من حديثه، ثم خاطبه بألطف عبارة، فقال: «أفرغت يا أبا الوليد»؟ ثم تلا عليه شيئا من القرآن.

وأختم برؤية الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن حيث يقول: إن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة، فئات أو أفرادا، يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص شقة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من بعض، حيث إن هذا الطرف أو ذاك قد يأخذ في الانصراف عن رأيه متى تبين له، عند مقارعة الحجة بالحجة، ضعف أدلته عليه، ثم يتجه تدريجيا إلى القول برأي من يخالفه، أو يأخذ، على العكس من ذلك، في تقوية أدلته متى تبينت له قوة رأيه، مستجلبا مزيد الاهتمام به من لدن مخالفه، حتى ينتهي هذا المخالف إلى قبوله والتسليم به، وهكذا؛ فإذا أنزل الخلاف منزلة الداء الذي يفرق، فان الحوار ينزل منزلة الدواء الذي يشفي منه» (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ٢٠).

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

مفهوم الإنصاف



قال الإمام الذهبي في ترجمته لقتادة بن دعامة:

«وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر -نسأل الله العفو- ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل. ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك».

مقولات

قال سعيد بن المسيب:

«إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله».

البداية والنهاية (٩/ ١١٨).

وقد وضع السبكي في طبقات الشافعية قاعدة ذهبية في تجريح العلماء، إذ قال:

«والصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون».

طبقات الشافعية للسبكي (١/ ١٨٨).

يقول الذهبي عند ترجمته للقفال الشاشي:

«... والكمال عزيز، وإنما يمدح العالم بكثرة ما له من الفضائل، فلا تدفن المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها، وقد يغفر الله له باستفراغه الوسع في طلب الحق، ولا قوة إلا بالله».

سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨٥).

يقول ابن تيمية ناصحا تلميذه ابن القيم:

«واعلم أن من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث».

مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (١/١٧٦).

عرض كتاب

تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف

الشيخ محمد بن شاكر الشريف.

الناشر: مجلة البيان (لندن) سلسلة كتاب البيان، ط ١، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ١٥٢ صفحة.

تساءل المؤلف في مقدمة كتابه عن معنى «تجديد الخطاب الديني»؟ وما مراد المتكلمين به الآن؟ ومتى كانت البدايات الحقيقية له؟ وما أهدافهم من وراء ذلك؟ وما وسائلهم في تحقيق أهدافهم، وما أثر ذلك على المسلمين في دينهم ودنياهم؟ وما مستقبل هذه الدعوة؟ وما دورنا نحن أو واجبنا إزاء ذلك؟

وجعل المؤلف كتابه في فصلين وخاتمة:

الفصل الأول: خصصه للبحث في التجديد من الناحية التأصيلية.

والفصل الثاني: تحدث فيه عن التجديد من الناحية التحريفية.

وفي الخاتمة بحث في مستقبل دعوة التجديد، ودور المسلمين في مواجهة التجديد التحريفي.

في الفصل الأول: أوضح المؤلف معنى التجديد السائغ شرعا؛ انطلاقا من التعريف اللغوي واستنادا للحديث النبوي الشريف: «إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

وقد بين أن أهل العلم ذكروا في بيان المراد بالتجديد عدة أقوال متقاربة المعاني؛ وأكد على الضوابط الشرعية للتجديد ومنها:

أ- أن يكون من أهل هذا الدين المؤمنين به على النحو الذي جاء به رسول الله ﷺ.

ب- أن يكون من المتفقهين فيه المتمسكين به في أقوالهم وأفعالهم، لا يظهر منه تهاون فيه أو خروج عليه، أو تساهل وتفريط فيما دل عليه.

ت- أن يكون خبيرا بواقع الأمة عارفا بعللها، وأن يكون محيطا بالأحوال العالمية من حوله والتي لها علاقة بأمته؛ فإنه لا يتحرك في فضاء.

ثم تحدث المؤلف عن حدود التجديد المشروع فقال: «هناك ثلاث دوائر كبرى تمثل حدود التجديد المشروع، وهي: - نشر العلم بين الناس، وإظهار الشرائع التي خفيت في المجالات الشرعية المختلفة. - إزالة كل ما علق بالدين مما ليس منه من أخطاء، أو بدع، أو تصورات وقعت في سلوك بعض الناس، أو أقوالهم، أو عقائدهم. - التمسك بما ورد في الشرع كله، والتقيد به والعمل على وفقه، وعدم ترك جزء منه أو إهماله، فيكون التجديد في هذه الحالة: هو إعادة ما نزع أو نقص.

وأشار المؤلف إلى فوائد تجديد فهم الدين فقال: «وتجديد الدين -على ما تقدم توضيحه وبيانه- له فوائد عظيمة؛ إذ يكون طريقا إلى حفظ الدين على صورته النقية بعيدا عن البدع التي أضيفت إليه، أو الأقوال الباطلة التي نسبت إليه، كما أنه يؤدي إلى تآلف القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الأمة؛ إذ لا مجال ولا مسوغ للتفرق والاختلاف عند العودة إلى المنابع والأصول».

وفي الفصل الثاني: (التجديد من الناحية التحريفية) يشير إلى اتجاهين في المراد بالدعوة إلى تجديد الخطاب الديني:

الأول: وهو الذي ينادي بذلك على الوجه الذي تقدم في هذه الدراسة.

الثاني: وهو الذي ينادي بالتجديد، لكنه يفهم التجديد على أنه التغيير أو التطوير؛ أي تغيير الخطاب الديني: المحتوى والمضمون، وليس الطريقة أو الأسلوب؛ ليجاري التغيرات السريعة في واقع المجتمعات داخليا، وفي العلاقات بين الدول خارجيا؛ بحيث تصير قضية الخطاب الديني: هي إقرار هذا الواقع وتسويغه وتسويقه، والتجاوب معه كلما تغير».

ثم يبين المؤلف خطورة التجديد بمعنى التغيير أو التطوير.

ثم يتابع الحديث عن التجديد من الناحية التحريفية، فيبين أن المجددين العصريين مقلدون، ويذكر ضوابط التجديد عندهم، ثم يرسم ملامح منهج التجديد العصري.

ونختم بما ختم المؤلف نفسه به كتابه تحت عنوان: «دور المسلمين في مواجهة التجديد التحريفي» حيث قال: «على كل مسلم واجب في ذلك مكافئ لوضعه أو مكانته التي جعله الله فيها؛ فصاحب السلطان له دور، والعالم والداعية له دور، وأصحاب الأموال لهم دور، وهذه الأدوار متنوعة بحسب تخصصات المذكورين وصلاحياتهم، ولكنها تتكامل فيما بينها لتؤدي المطلوب منها، وبقية الناس لهم دور أيضا؛ فإن هذا من الدفاع عن الدين، وهذا لا يعفى منه أحد.

حوار

أحمد أبو العز: «نور حياتك» تطبيق عصري لقيمنا الإسلامية

مشروعي وصل التصفيات النهائية لمسابقة جوجل ضمن ٤٢٠٠ متنافس

فاز مشروعه «نور حياتك» بجائزة مصر لأفضل فكرة لخدمة القرآن الكريم، كما شارك في مسابقة جوجل ووصل إلى تصفياتها النهائية من خلال فكرة تستهدف تطبيق التراث الإسلامي على أرض الواقع لتحقيق نهضة وتنمية شاملة، وإيصال رسالة الإسلام الحضارية إلى المسلمين وغير المسلمين بالعالم أجمع.. هذا هو الشاب أحمد السيد أبوالعز الذي يؤكد أن مشروعه يخرج عن النمط التقليدي في الدعوة الإسلامية، ويقدم حلولا عصرية مستمدة من أصول الشريعة الإسلامية.. مزيد من التفاصيل في سياق الحوار التالي:



• فزت بجائزة مصر لأفضل فكرة لخدمة القرآن الكريم.. فما طبيعة هذا المشروع؟

- «نور حياتك» هو طريقة للناس (أفرادا ومجتمعات) تربط منابع الدين الإسلامي بتجارب المجتمع الواقعية في كل جوانب الحياة، ويستلهم فكرة أن النبي محمدا ﷺ كان قرآنا يمشي على الأرض، وسار على نهجه صحابته الكرام رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

شاركت بالمشروع في مسابقة جوجل ووصلت للتصفيات النهائية فيها.. فما طبيعة هذه المسابقة ومنافساتها؟

في البداية يقدم كل متسابق فكرته وأوجه تميزها - المشكلة الكبيرة التي يرى أن مشروعه يقدم حلا لها - وجه التميز والإبداع الذي يميز مشروعه عن أي مشروع في العالم - السوق الذي ينتظره.. وقد بلغ عدد المتنافسين ٤٢٠٠ متنافس، وصلوا في التصفيات إلى ٥٠ متنافسا، وكنت من بين هؤلاء الخمسين، كانت مبادرة رائعة لعرض الأفكار والمشاريع والالتقاء بمديري ومسؤولي الشركات العالمية.. وما أحوجنا إلى آلاف المبادرات والمسابقات من هذا النوع في عالمنا العربي والإسلامي.

• كيف يستفيد الفرد والمجتمع من هذا المشروع؟

- لدي اعتقاد بأن العالم كله بحاجة لهذا المشروع، وأنه يصعب أو يستحيل حصر أهميته وفوائده، إذ يتعامل المشروع مع المشكلات التي يواجهها العالم اليوم باعتبارها أقفال وجدت مفاتيحها وتم تجربة هذه المفاتيح مئات المرات وأثبتت ريادتها وكفاءتها، ما نحتاجه اليوم أن نرفع التراب والصدأ عن هذه المفاتيح ونستدعيها في كل قفل، وكلها ترجمة واقعية وحياتية للشريعة الإسلامية وأحكامها، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ والأقفال كثيرة ومتشعبة في حياتنا مثل البطالة، المشاكل الأسرية، تربية الأطفال، تربية المراهقين، إلى آخره.

فالمشكلات التي يواجهها العالم اليوم وجدت حلولا لها منذ أن بعث النبي الخاتم ﷺ بأعظم رسالة وأعظم توجيه، و«نور حياتك» يستلهم الروح التي فتح المسلمون بها العالم، روح الحب والود والإخاء والعلم والعمل.

طور نفسك

استنفر عبقريتك بهذه السمات:

كيف تكون عبقريا؟ هل هناك سر واحد وراء العبقرية أو طريق واضح يؤدي إلى ظهورها؟ على الأرجح لا.. لكن هناك بعض الصفات التي يمكن أن نستشفها من سلوك العباقرة والمبدعين، الذي يرغبون في تغيير العالم وكسر كل القيود.

وقد نشر موقع «بي بي سي» خلاصة تجارب عدة شباب مبدعين، مستنتجا أهم السمات التي تميزهم عن غيرهم وأدت إلى نبوغهم. ومن هذه التجارب يمكن أن تستفيد دروسا عديدة إذا كنت تريد حقا أن تصبح عبقريا وتنمي مواهبك بطريقة تدفعك نحو التفوق والإبداع.

١- علم نفسك بنفسك

في الغالب يتمتع الأشخاص ذوو العقول المبدعة برغبة ملحة في اكتشاف الأشياء بأنفسهم، بدلا من الانتظار، حتى يأتي شخص آخر ليفعل لهم ذلك.

٢- سد الثغرات، وأقم جسور التواصل مع الناس، وعدد مجالات معرفتك.

التخصص في موهبة واحدة يمكنه أن يأخذك إلى قمة نجاحك المهني، لكن الإبداع الحقيقي يأتي غالبا من الرغبة في تجاوز مجالات التخصص.

٣- لتكن لديك نظرة أشمل وأبعد

يتميز الأشخاص ذوو العقول الاستثنائية بالقدرة على تجاوز الأشياء المحيطة بهم مباشرة، والنظر إلى ما هو أبعد من ذلك.

٤- لا تهمل النظر بالقرب منك بحثا عن مصادر الإلهام

أحيانا يكون النظر إلى الأشياء الجديدة والمبتكرة سببا في أن يجعلنا نفقد مصادر للإلهام تقع حولنا أو بالقرب منا.

٥- ابحث عن الطريق غير المباشر

إذا كانت هناك مخلوقات فضائية تعيش على كوكب بعيد جدا، فمن المستحيل لأجهزة التليسكوب البصرية التي لدينا أن تراها بشكل مباشر، لكننا ربما لا نكون في حاجة إلى ذلك.

٦- لا تخف من قول الحقيقة ولو كانت مرة

نحن نعتمد في حياتنا على شبكة الشحن البحري الدولية، التي تمدنا بالغالبية العظمى من الأشياء التي نمتلكها، بداية من الملابس التي ترتديها أنت الآن، وحتى وسائل التكنولوجيا التي تستخدمها في قراءة هذه السطور.

لكن للأسف، تخلق حركة السفن تلك أصواتا مزعجة تحت الماء، وهو ما يؤدي إلى هلاك الأحياء البحرية فيها.

إنها حقيقة مرة، لكنها حقيقة يعتقد أندريه أنها تحتاج إلى اتخاذ إجراء عاجل، وقرارات صعبة للتعامل معها.

كيف تتعامل مع أصعب الشخصيات؟

- هل تملك فنون ومهارات التواصل مع الآخرين؟ وكيف يمكنك أن تتعامل بمهارة مع أخطائهم؟ وكيف تتعامل أيضا مع الأغبياء؟ ومع المرأة؟ ومع نصفك الآخر؟ وأيضا كيف تتخلص من خجلك وتكتسب فنون الفراسة؟

كل هذه الأسئلة وغيرها الكثير يقدم لها د. محمد البحراوي إجابات مفصلة في كتابه «كيف تتعامل مع أصعب الشخصيات في العالم؟»، الصادر عن دار الحياة للنشر والتوزيع بالقاهرة في ٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط.

ويلفت إلى أنه شرع في إعداد هذا الكتاب بعد أن قرأ دراسة أجراها أحد الباحثين على ٤٠٠ شخص فقدوا وظائفهم في عام واحد، وانتهى إلى أن ١٠٪ منهم فقدوها بسبب عدم قدرتهم على إنجاز أعمالهم، بينما فقدها ٩٠٪ لأنهم لم يستطيعوا تطوير شخصياتهم حتى يتعاملوا مع زملائهم ومع الآخرين بإيجابية وفعالية. الناس معادن.

وأشار إلى أن التعامل مع الآخرين فن يجب الإلمام به حتى يمكننا التعايش بسلاسة، لافتا إلى أن التعامل مع الشخصيات المختلفة يحتاج إلى أساليب ومهارات وثقافات مختلفة؛ لاختلاف طبائع الناس وعاداتهم وأساليبهم والبيئات التي نشأوا فيها، فقد قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»، لذا تختلف المهارات في التعامل مع الآخرين وفق طبيعة البيئة التي تربوا فيها؛ تفاديا لأسباب الصدام وتأليفا للقلوب.

اصنع شخصيتك من أول لقاء:

التعامل الجيد أو السيئ يحدد مدى قبول الآخر لك، ويحدد دوام العلاقة بينكما، وانتهاؤها من أول لقاء؛ فإن كان أول ما يظهر عليك في أول لقاء الابتسامة والبهجة والبشاشة وحسن التعامل اتخذ اللقاء والعلاقة منحى إيجابيا، والعكس صحيح.

افتح الأبواب المغلقة:

وأسهل الطرق لذلك معرفة طبائع الناس، والتي تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن طبقة إلى أخرى؛ بل وحتى في السمات الشخصية لكل فرد داخل الأسرة الواحدة، فهناك الاجتماعي، الانطوائي، الهادئ، العصبي، الودود البسيط، الحذر المتربص... فإذا عرفت طبيعة كل شخص سيسهل عليك معرفة الأسلوب الأمثل للتعامل معه وإزالة الحواجز وفتح الأبواب المغلقة بينكما.

ابتسم:

الابتسامة من أقصر الطرق للتعامل والتعرف على أي شخص مهما كان صعب المراس، فمهما كانت طبيعته أو حالته ستفتح الابتسامة مجالا للحديث بينكما.. وقد أوصى الرسول ﷺ بذلك فقال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» إفشاء السلام:

بعد الابتسامة الجميلة طبيعيا أن تبدأ بالكلام مع من تريد التحدث إليه، فأول كلمة تبدأها «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وسيرد عليك كما ردت الملائكة على آدم عليه السلام.

تواضع:

التواضع يشعر الناس بحقوقهم ومودتهم نحو بعضهم، وينشر الثقة والتعاون بينهم، ويشيع روح الألفة.

اعترف بفضل الآخرين:

يجب علينا أن نعترف بفضل الناس من حولنا، ونشكرهم على كل ما قدموه لنا، وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

براعة اللسان:

إذا نظرت إلى خطباء المساجد المحبوبين، وإلى الإعلاميين البارزين، بل وحتى مندوبي المبيعات الناجحين، تجدهم يمتازون ببراعة الحديث، والقدرة على جذب من أمامهم بقوة المنطق وسرعة البديهة واستخدام الأساليب الحسنة في النقاش. وهذه من أسرار النجاح في التعامل مع الآخرين.

فن النصيحة:

النصيحة الصادقة والمنضبطة تحافظ على الصداقة وتقوي العلاقات الاجتماعية، فعلى من يسدي نصيحة لأخيه أن يبتغي بها وجه الله أولا، وأن يكون قدوة حسنة حتى يمكنه إعطاء النصيحة.



إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

الاستثمار في أموال الزكاة

الخلاصة الحكمية

١- لا يجوز استثمار أموال الزكاة لصالح أحد من مستحقيها، كالفقراء، لما ينطوي عليه من محاذير شرعية متعددة: منها الإخلال بواجب فورية إخراجها.

٢- من مسؤولية المزكين والجهات الشرعية المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها أن يضعوها أولا في المحتاجين والمستحقين في مناطقهم، ويبذلوها لهم لسد حوائجهم.

٣- لو تم شراء الماكينات مثلا، وفوضت إليهم عن طريق التمليك يجوز ذلك، وإن لم يملكوا؛ فلا يجوز.

٤- لا يجوز صرف أموال الزكاة لدعم وقفية صندوق التضامن الإسلامي، لأن في ذلك حبسا للزكاة عن مصارفها الشرعية المحددة في الكتاب الكريم.

٥- يجوز لصندوق التضامن الإسلامي أن يكون وكيلا عن الأشخاص والهيئات في صرف الزكاة في وجوهها الشرعية بشروط.

■ **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

● **أولا:** قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، برابطة العالم الإسلامي، في دورته الخامسة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، التي بدأت يوم السبت ١١رجب١٤١٩هـ الموافق ٣١/١٠/١٩٩٨م قد نظر في موضوع استثمار أموال الزكاة.

وبعد التداول والمناقشة، والتأمل في أحكام إخراج الزكاة ومصارفها، قرر المجلس ما يلي: يجب إخراج زكاة الأموال على الفور، وذلك بتمليكها لمستحقيها الموجودين وقت وجوب إخراجها، الذين تولى الله- سبحانه- تعيينهم بنص كتابه، فقال-عز شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ (التوبة: من الآية٦٠). لهذا فلا يجوز استثمار أموال الزكاة لصالح أحد من مستحقيها، كالفقراء، لما ينطوي عليه من محاذير شرعية متعددة: منها الإخلال بواجب فورية إخراجها، وتفويت تمليكها لمستحقيها وقت وجوب إخراجها، والمضارة بهم. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. والحمد لله رب العالمين.

انتهى القرار.

● **ثانيا:** قرار الندوة الثالثة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي - الهند المنعقد في ١٣-١٦ أبريل ٢٠٠١م، الموافق ١٩-٢٢ محرم ١٤٢٢هـ بجامعة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، مليح آباد الهند.

وبعد اطلاع المشاركين على البحوث المقدمة في هذا الموضوع، وبعد استماعهم للمناقشة وآراء العلماء والخبراء فيه، ونظرا إلى قرارات بعض المجامع الفقهية فيه قرروا ما يلي:

أولا: إن تخلف المسلمين في مجال الاقتصاد أمر لا يحتاج إلى بيان، وبناء على ذلك يستغل المبشرون المسيحيون والدعاة القاديانيون والحركات المعادية للإسلام فقر المسلمين وجهلهم، ويبذلون أقصى جهودهم لصرف المسلمين السذج عن دينهم وعقيدتهم بالتعاون معهم اقتصاديا، ولابد من مواجهة هذا الوضع الخطير وبذل المجهودات القصوى للقضاء على فقرهم وتحسين أوضاعهم الاقتصادية وإنقاذهم من براثن الأعداء، فمن مسؤوليات المسلمين في كل مكان أن يساعدوا المسلمين الفقراء بأموال الزكاة، وإن لم تف أموال الزكاة بهذه الحاجة فعليهم أن يتعاونوا معهم بغيرها من الصناديق والتبرعات.

ثانيا: إن أموال الزكاة التي تدفع إلى الفقراء والمساكين تحصل لهم فيها جميع حقوق الملك، وبناء على ذلك إذا قام فقير باستثمارها أو وضعها في التجارة أو في شراء الأسهم لينتفع بها في المستقبل من الزمان جاز له ذلك.

ثالثا: وتحقيقا لهدف جعل الفقراء والمساكين متكفلين بأنفسهم في مجال الاقتصاد لو تم شراء الماكينات، أو آلات الصناعة بأموال الزكاة مراعاة لمهنتهم وصناعتهم أو أنشئت دكاكين وفوضت إليهم عن طريق التمليك يجوز ذلك، ويتم بذلك أداء الزكاة عن أصحابها.

رابعا: لو أنشئت منازل أو دكاكين بأموال الزكاة وسلمت إلى الفقراء ليسكنوها أو يتجروا فيها ولم تدفع عن طريق التمليك فلا يجوز ذلك.

خامسا: لا يجوز شرعا أن توضع

أموال الزكاة في مشاريع استثمارية من إنشاء المصانع والشركات لتوزيع أرباحها بين أصحاب الاستحقاق للزكاة سواء أفعل ذلك المزكون أنفسهم أو الجهات الشرعية المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها، لأن أموال الزكاة لا تصل إلى مستحقيها في هذه الصورة، ويخشى في ذلك لحوق الخسائر بالمصانع وضياع المبلغ الكبير من أموال الزكاة، بالإضافة إلى الإمساك عن تلبية الحاجة الماسة الفورية للمستحقين وتجميد أموال الزكاة.

سادسا: من مسؤولية المزكين والجهات الشرعية المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها أن يضعوها أولا في المحتاجين والمستحقين في مناطقهم، ويبذلوها لهم لسد حوائجهم.

● **ثالثا:** قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الرابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٨-٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ الموافق٦-١١ شباط (فبراير) ١٩٨٨م،

بعد اطلاعه على المذكرة التفسيرية بشأن صندوق التضامن الإسلامي ووقفيته المقدمة إلى الدورة الثالثة للمجمع، وعلى الأبحاث الواردة إلى المجمع في دورته الحالية بخصوص موضوع صرف الزكاة لصالح صندوق التضامن الإسلامي؛ قرر ما يلي:

أولا: لا يجوز صرف أموال الزكاة لدعم وقفية صندوق التضامن الإسلامي، لأن في ذلك حبسا للزكاة عن مصارفها الشرعية المحددة في الكتاب الكريم.

ثانيا: لصندوق التضامن الإسلامي أن يكون وكيلا عن الأشخاص والهيئات في صرف الزكاة في وجوهها الشرعية بالشروط التالية:

ا- أن تتوافر شروط الوكالة الشرعية بالنسبة للموكل والوكيل.

ب- أن يدخل الصندوق على نظامه الأساسي، وأهدافه، التعديلات المناسبة التي تمكنه من القيام بهذا النوع من التصرفات.

ج- أن يخصص صندوق التضامن حسابا خاصا بالأموال الواردة من الزكاة بحيث لا تختلط بالموارد الأخرى التي تنفق في غير مصارف الزكاة الشرعية، كالمرافق العامة ونحوها.

د- لا يحق للصندوق صرف شيء من هذه الأموال الواردة للزكاة في النفقات الإدارية ومرتبات الموظفين وغيرها من النفقات التي لا تندرج تحت مصارف الزكاة الشرعية.

هـ- لدافع الزكاة أن يشترط على الصندوق دفع زكاته فيما يحدده من مصارف الزكاة الثمانية، وعلى الصندوق -في هذه الحالة- أن يتقيد بذلك.

و- يلتزم الصندوق بصرف هذه الأموال إلى مستحقيها في أقرب وقت ممكن حتى يتيسر لمستحقيها الانتفاع بها، وفي مدة أقصاها سنة .

ويوصي بما يلي:

عملا على تمكين صندوق التضامن الإسلامي من تحقيق أهدافه الخيرة -المبينة في نظامه الأساسي- والتي أنشئ من أجلها، والتزاما بقرار مؤتمر القمة الإسلامي الثاني الذي نص على إنشاء هذا الصندوق وتمويله من مساهمات الدول الأعضاء، ونظرا لعدم انتظام بعض الدول في تقديم مساعداتها الطوعية له، يناشد المجمع الدول والحكومات والهيئات والموسرين المسلمين القيام بواجبهم في دعم موارد الصندوق بما يمكنه من تحقيق مقاصده النبيلة في خدمة الأمة الإسلامية.

والله أعلم.

● **خاتمة:**

سئلت اللجنة الدائمة عن جمعية خيرية تريد استثمار أموالها:

فأجابت: إذا كان المال المذكور في السؤال من الزكاة: فالواجب صرفه في مصارفه الشرعية من حين يصل إلى الجمعية، وأما إن كان من غير الزكاة: فلا مانع من التجارة فيه لمصلحة الجمعية؛ لما في ذلك من زيادة النفع لأهداف الجمعية وللمساهمين فيها.

«فتاوى اللجنة الدائمة» (٤٠٣،٤٠٤/٩).

وأجابت كذلك عن مثل هذا السؤال:

«لا يجوز لوكيل الجمعية استثمار أموال الزكاة، وإن الواجب صرفها في مصارفها الشرعية المنصوص عليها بعد التثبت في صرفها في المستحقين لها؛ لأن المقصود منها سد حاجة الفقراء وقضاء دين الغرماء؛ ولأن الاستثمار قد يفوت هذه المصالح، أو يؤخرها كثيرا عن المستحقين». انتهى. «فتاوى اللجنة الدائمة». (٤٥٥،٤٥٤/٩).

والحاصل:

أنه يتحتم صرف الزكاة إلى أهلها المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٦٠)؛ ولا يجوز تأخيرها عن مستحقيها منهم؛ مادام أحد من هذه الأصناف موجودا.

وقد ظهر لك -أخي القارئ الكريم- من خلال هذه القرارات أن استثمار أموال الزكاة يؤدي إلى مفاسد عظيمة؛ منها: تأخير دفع الزكاة إلى أهلها، أو منع دفعها بالكلية، لاسيما إذا حصلت خسارة للمشروع، وذهب رأس المال.

فالواجب دفع حاجة الفقير المستحق الآن، وأما الفقراء في المستقبل؛ فأمرهم إلى الله، ولن يضيعهم.

الإيجاز والإسهاب

سأل رجل الإمام الشافعي: يا أبا عبدالله، أيها أحسن عندك الإيجاز أم الإسهاب؟

فقال: لكل من المعنيين منزلة، فمنزلة الإيجاز عند التفهم في منزلة الإسهاب عند الموعظة، ألا ترى أن الله تعالى إذا احتج في كلامه كيف يوجز، وإذا وعظ يطنب في مثل قوله محتجا: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء:٢٢).

وإذا جاءت الموعظة، جاء بأخبار الأولين، وضرب الأمثال بالسلف الماضي.

(الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ٢/٦٦).

التواضع

قال الفاروق عمر رضي الله عنه: «إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته، وقال: انتعش نعشك الله، فهو في نفسه صغير أو فقير، وفي أنفس الناس كبير».

وإن العبد إذا تكبر وعدا طوره وضعه الله على الأرض، وقال: «اخسأ أخسأك الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس صغير، حتى إنه أحقر وأصغر في أعين الناس من الخنزير».

(رواه أبوداود في الزهد، رقم ٧٣).

مسائل الإمام أحمد

قال العلامة الحافظ إبراهيم الحربي للإمام أحمد بن حنبل:

من أين لك هذه المسائل الدقاق؟!

فقال الإمام أحمد: من كتب محمد بن الحسن الشيباني.

(تاريخ الإسلام للذهبي، ٤/٩٥٤).

علم التاريخ

اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له، وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف فنونه: ما بين مختصر ومبسوط، من مقتصر على فن، ومستوعب لفنون، وفي خلال تلك المصنفات نوادر غريبة، ولطائف عجيبة؛ لا يحصل الوقوف عليها إلا بعد استيعابها بالمطالعة، كما لا يقع الظفر بالجوهرة في المعدن إلا بعد عمل كثير يحصل خلالها بفته؛ فإذا التقطت الجواهر من المعدن؛ سهل تناولها لمريدها.

(صبح الأعشى، ١/٤١٢).



وذلك شبه بشيخه

كان أبوداود السجستاني رحمه الله ممن عرف باتباع السنة وتمثلها في سمته ودله، ولذلك فقد شبه بشيخه الإمام أحمد، الذي شبه بشيخه وكيع في ذلك، وهو شبه بشيخه الثوري، وذاك شبه بشيخه منصور بن المعتمر، وذاك شبه بشيخه علقمه، وذاك شبه بشيخه ابن مسعود رضي الله عنه، الذي شبه برسول الله ﷺ في سمته ودله.

(المدخل إلى سنن أبي داود للنورستاني، ص ٢١).

نفائس عمرية

- لا يصلح هذا الأمر إلا بشدة في غير تجبر، ولين في غير وهن.
- التؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة.
- ما وجدت لئيما قط إلا وجدته رقيق المروءة.
- أعقل الناس؛ أعذرهم لهم.
- إذا رزقك الله مودة امرئ مسلم؛ فتشبث بها ما استطعت.
- لا تظن بكلمة خرجت من في مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا.
- مروءة الرجل عقله، وشرفه حاله.

(**البلاغة العمرية، ص ٣٣٢-٣٣٤**).

طريفة «الأعمى والبصير»

جلس أعمى وبصير معا يأكلان تمرا في ليلة مظلمة. فقال الأعمى: أنا لا أرى، ولكن لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين.

وعندما انتهى التمر صار نوى الأعمى أكثر من نوى البصير.

فقال البصير: كيف يكون نواك أكثر من نواي؟!

فقال الأعمى: لأني آكل ثلاثا ثلاثا.

قال البصير: أما قلت: لعن الله من يأكل ثنتين ثنتين؟!

قال: بلى، ولكني لم أقل ثلاثا ثلاثا.

(**طرائف ونوادر من عيون التراث العربي، ص ١٠٣**).

نيران العرب

قال أبوهلال العسكري: للعرب ثلاث عشرة نارا:

الأولى: نار المزدلفة، وهي التي توقد بالمزدلفة في مشاعر الحج.

الثانية: نار الاستمطار، وهي التي كانت توقد في الجاهلية إذا حبس المطر.

الثالثة: نار الحلف، وهي التي كانت توقد إذا عقد حلف.

الرابعة: نار الطرد، وهي التي كانت توقد في الجاهلية خلف من يمضي ولا يحبون رجوعه.

الخامسة: نار الحرب، وهي التي كانت توقد إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا.

السادسة: نار الحرتين، وهي التي كانت توقد في بلاد عبس، فإذا كان الليل تسطع، وإذا كان النهار يرتفع دخانها.

السابعة: نار السعالي، وهي التي توقد للمتقفر فيتبعها، فتهوي به الغول -على زعمهم في الجاهلية-.

الثامنة: نار الصيد، وهي نار توقد للظباء تغشاها إذا نظرت إليها.

التاسعة: نار الأسد، وهي نار توقد إذا خافوا الأسد لتنفر عنهم.

العاشرة: نار القِرى، وهي نار توقد ليلا ليراها الأضياف فيهتدوا إليها.

الحادية عشرة: نار الفداء، وهي نار كانت توقد ليلا في الجاهلية أثناء فداء الأسرى من النساء.

الثانية عشرة: نار السليم (وهو الملسوع)، كانت توقد لمساهرة من لدغ.

الثالثة عشرة: نار الوسم، وهي النار التي يسم بها الرجل إبله.

(**الأوائل للعسكري، ١/٣٥**)

إعداد: علاء عبدالفتاح

إدمان النظر يذهب بالجمال

قال الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى: الإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها. اهـ

قلت: وهناك أشياء كثيرة سقطت من أعين الناس لكثرة الرؤية وتفسخ المرئي والمبالغة في ظهوره، وخير مثال المرأة اليوم التي أصبحت شبه عارية في الشوارع، والمؤسسات والحدائق، وكأنها نشطت من عقال.. أو هربت من السجن تبحث عن الحرية التي رسم حدودها العلمانيون، وقد كانت المرأة في قديم الزمان لا تبرح بيتها إلا لضرورة ليس لها منها بد، محتشمة تتعثر في حيائها وحجابها.. فيحدث الرجل نفسه بها، ويرسم لها في خياله كل ما لذ وطاب من كرامة، ورقة، وأنوثة، وجمال، لأن عينه لم تتلوث بكثرة الرؤية التي تذهب بجمال الأنثى المصون، ولسان حاله يقول:

منعت شيئا فأكثرت الولوع به
وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

● ربيع السملالي

الصحابة والقرآن

القرآن كتاب الصدق، نزل على نبي هو الصادق المصدوق ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر:٣٣). والذين تعلموه من نبي الرحمة، وحملوه، وكانوا من أسباب حفظه، هم أهل الصدق، صحابة رسول الله ﷺ، لأنهم علموا قدر القرآن: إعجازا وبيانا وهداية ونورا وحكما وأحكاما.. فصدقوا في حملهم كتاب الله: حفظا وعلما وعملا.. وتلاوة وتشريعا وتدبرا. يقول علي رضي الله عنه: كتاب الله.. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ (الجن: ١-٢)، من قال به صدق.. ومن عمل به أجر.. ومن حكم به عدل.. ومن دعا به هدي إلى صراط مستقيم.

العلم والعمل بالقرآن

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن.

● نجاح سرور

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

info@alwaei.com

احترام لحظات الضعف الإنساني

الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة للبشرية، وذلك مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

ورحمة الرسول ﷺ شملت جميع المخلوقات والكائنات، فقد شملت الإنسان سواء كان مؤمنا أو كافرا، تقيا أو عاصيا، وشملت كذلك الحيوان والجمادات.. ومن مظاهر رحمة النبي ﷺ الرفق بالعصاة والمذنبين، واحترام لحظات الضعف الإنساني التي يقع الإنسان خلالها في الذنوب والمعاصي وربما وقع في الكبائر، وهي أمور لا يسلم منها أي إنسان. يقول الله عزوجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ (النساء:٢٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم» (صحيح مسلم ٢٧٤٩).

وهناك نماذج مهمة لاحترام الرسول ﷺ للحظات الضعف الإنساني التي ألمت ببعض أصحابه، وفي هذه النماذج حث للمسلمين وبخاصة الدعاة منهم على الرفق بالعصاة، والتلطف مع المذنبين حتى يتوبوا ويعودوا إلى الصراط المستقيم، وذلك لأن كل بني آدم خطاء كما أخبر النبي ﷺ، وليس هناك معصوم من الخطأ والزلل إلا من عصمه الله عزوجل. وفي الحديث فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم. ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة» ثلاث مرات. (صحيح مسلم ٢٧٥٠).

والنبي ﷺ لم يعنف الشباب على وقوع بعض الهنات منهم ومنها النظر إلى النساء، وما فعله النبي ﷺ هو تحويل بصر الفضل بن العباس برفق عن جهة النساء، فعن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه وهو يروي صفة حجة النبي ﷺ قال: «وأردف الفضل بن العباس -وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما- فلما دفع رسول الله ﷺ مر الظعن يجرين فطفق ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر فصرف الفضل وجهه من الشق الآخر ينظر» (صحيح ابن ماجه ٢٥١٢).

والرسول ﷺ نهى عن سب المذنبين والنيل منهم لأنهم وقعوا في بعض المحرمات، ولم يكتف بذلك بل أثنى عليهم بالخير الذي يعلمه فيهم، وقد تكرر ذلك مرارا.

ومن الأمثلة على احترام النبي ﷺ للحظات الضعف الإنساني موقفه من المرأة التي زنت، فقد أمر وليها بالإحسان إليها، وأثنى على صدق توبتها بعد رجمها.

ومن مظاهر احترام الرسول ﷺ للحظات الضعف الإنساني موقفه من الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، والذي ارتكب ما يسمى اليوم بالتخابر والخيانة العظمى، فقد تفهم دوافعه، وأثنى على مشاركته في غزوة بدر.

• محمد خاطر

الأنانية.. الداء والدواء

المتأمل بعناية لحديث النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم والذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، عليه أن يستعظم من فكرة حب الخير للغير ويرسخها في أعماق قلبه ووجدانه.

دعونا نتخيل للحظة ماذا إذا عم هذا المعنى داخل القلوب جميعها، وتبلور المعنى النظري إلى قول وفعل عملي داخل أروقة مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، بل والعالمية.

هل يمكن أن نتصور حالة الإخاء والصفاء والمودة التي يمكنها أن تعمر الكون من جراء تطبيق فعلي لكلام رسولنا الكريم ﷺ؟!

إن الأنانية هي الأثرة وحب الاستحواذ، والشخص الأناني هو من لا يهتم إلا بنفسه ولنفسه، غايته الأساسية مصلحته الذاتية وسعادته الشخصية.

ومن الأقوال التي تبدو طريفة في ظاهرها ولكنها عميقة التحليل في باطنها لشخصية الإنسان الأناني أنه ذلك الشخص الذي «لا يبالي بحرق بيت جاره من أجل أن يسلق بيضة».

إن من البيئات التي يلاحظ فيها بوضوح بالغ كم يخالف كثير من الناس كلام رسول الله ﷺ هي بيئات العمل في الشركات والمؤسسات، فيها نرى ذلك الإنسان الذي أحزنه نجاح زميله في العمل، بل أوصله حزنه وكمده، إلى أن يسلك من المسالك ما يضر بزميله، فهو تارة يقول عنه ما ليس فيه، وتارة أخرى التقليل من حجم إنجازاته ونجاحاته بل ربما يصمه بالفشل!

• **علياء ناصف**

رحلة العلامة الأرنؤوط إلى الديار الكويتية

جاء كتاب الباحث محمد بن يوسف الجوراني الذي يستقصي فيه ملامح من حياة العلامة المحدث شعيب الأرنؤوط وجهوده ومواقفه وعطائه في الحياة والتأليف والتحقيق والرحلات والتدريس.

يقع الكتاب في مجلد كبير ٧٥٨ صفحة من الحجم الكبير ونقف عند رحلاته العلمية ومنها إلى الديار الكويتية، لقد دون الباحث رحلة شعيب إلى الكويت وما تحقق في هذه الرحلة من فوائد ومسامرات أدبية وحكم وآداب ومن توطد الصلة بين طلبة ورجال الفكر والحديث وصاحب الرحلة، لقد رافق الباحث الجوراني العلامة المحقق في رحلته وقطف لنا من أزهارها وبث لنا من عبيرها وشد أزرها ليسهل أخذها، نقل لنا في هذا المحور مجالس العلامة شعيب العلمية في دولة الكويت وشرحه لكتاب نخبة الفكر في مصطلح أصل الأثر للحافظ.

• **فوزي الخطبا**

نظرات في الحضارة الإسلامية

نظرات في الحضارة الإسلامية كتاب عبر دورات التاريخ في الماضي والحاضر وذلك من أجل استشراف مستقبل الحضارة الإسلامية المنظور بين حضارات الكون.. استغرق كتابتها ما يزيد على العقد ونصف من الزمن، بدءا من ربيع العام الميلادي (١٩٨٦م)، وحتى شتاء العام الميلادي (٢٠٠٢م)، وفي خلال هذه المدة الزمنية استمرت الكتابة لهذه النظرات عبر وضع اللمسات التجديدية -علميا ومنهجيا- على محتواها، وذلك من أجل إضفاء نوع من الدينامية المتفجرة عليها، حتى تكون بحق رؤية حضارية تبلور ملامح وآفاق كتاب «نظرات في الحضارة الإسلامية».

ولعل الذي جعلنا نطلق عليها نظرات، هو أنها قد تنوعت أيما تنوع، ومع ذلك فثمة رابطة عضوية حية تربط بينها بحيث يجمعها في النهاية فضاء فكري واحد تسبح فيه، هو فضاء الحضارة الإسلامية.

وتبدأ هذه النظرات بدراسة حول خصائص هذه الحضارة الباسقة، وتنتهي بمعالجة أكاديمية لمعرفة موقعها بين قطبي التحدي والاستجابة (نظرية توينبي)، وفيما بين هاتين المعالجتين تنوعت المعالجات التي تؤكد على مدى أصالة هذه الحضارة، فضلا عن قدرتها على التجديد، مما يشي بإمكانية انبعاثها من جديد مرة أخرى في قادم الأيام.

• د. مصطفى طه

نقاط الاتفاق بين الإسلام والمسيحية

الحمد لله الذي خلق الناس من نفس واحدة، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا، وصلى الله على نبينا وسائر الأنبياء وبعد:
لقد جعل الإسلام لأهل الكتاب منزلة خاصة في المعاملات والتشريع، باعتبارهم يتوارثون كتبا نزلت أصولها الأولى من الله تعالى لعباده المكرمين من الأنبياء والمرسلين، ومن الطبيعي أن يصدق القرآن على ما يوجد من حق في تلك الكتب مادام المصدر واحدا -وهو الله- فيزيد المؤمنين من أهل الكتاب إيمانا بآيات الله، ويدفعهم لنبذ الشرك وعبادة الأوثان، وقد خاطبهم القرآن خطاب مودة ورحمة وسلام بأسلوب معجز البيان قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤)، وقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (آل عمران:١١٣-١١٤)، لقد وصف الله تعالى النصارى بالمودة والمحبة للمسلمين لرقة قلوبهم وما عرفوا من الحق، ومن أصدق من الله قيلا، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (المائدة:٨٢-٨٣). والحق أقول: الواجب على علماء الأمة تبيين وشرح وتوضيح نقاط الاتفاق بين الإسلام والمسيحية، بل واليهودية أيضا، وطرح الخلاف جانبا ليسود التعايش والحب والتسامح والوئام بين الناس جميعا.

• رسمي عجلان

عشرة أشياء توحد الأمة في رمضان

إن من أهم المقاصد الشرعية في تشريع العبادة في رمضان أنه يعلم الأمة ويدربها على فقه الوحدة ونبذ الاختلاف والتفرقة، وهو من أهم المقاصد المرعية في كتاب الله تعالى، وقد جاء القرآن الكريم يوجه الأمة أن تتوحد تحت راية التوحيد، وقد ذكرت كلمة «أمة» في القرآن أزيد من خمسين مرة، منها خطاب الله تعالى للأمة أنها أمة واحدة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢)، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون:٥٢).

ويجيء التشريع الإلهي في شهر رمضان ليكون تدريبا عمليا للأمة أن تعتصم بالله ودينه سبحانه، ولعل الأمة تستفيد مما في رمضان من الطاعات، فتجتمع كلمتهم، وتنبذ ما بينها من فرقة في ظل هذا الانقسام والتشتت الذي يشهده المسلمون. ومن أهم معالم ذلك الاعتصام وتلك الوحدة ما يلي:

أولا- الاعتصام تحت راية القرآن: فالأمة إن أرادت أن تعتصم، فعليها بالاعتصام بالقرآن، وقد فسر غير واحد من المفسرين قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ أنه القرآن، فالقرآن من أهم عوامل اتحاد الأمة وجمعها على كلمة سواء، ويكون ذلك باتباع الأمة تعاليم القرآن الكريم، تعاليمه فيما يتعلق بعلاقاتها فيما بينها، وفيما يتعلق بعلاقاتها مع غيرها.

ثانيا- الصيام: يعد الصيام من أهم عوامل جمع الكلمة بين المسلمين، فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يصومون في أوقات محددة، الكل يمتنع عن الطعام والشراب والجماع وسائر المفطرات، والكل يتناول طعام الإفطار في وقت واحد، ويجتهدون أن يتخلقوا بأخلاق الصيام، فيجد المسلمون أنفسهم قد فعلوا نفس الأفعال، وتشابهوا في عباداتهم، وتآلفت قلوبهم بطاعة الله تعالى.

ثالثا- صلاة الجماعة: وإنما شرعت صلاة الجماعة لأجل الاستشعار الدائم لوحدة الأمة، ففي صلاة الجماعة يذهب المسلمون باختلافهم إلى مكان واحد، ويأتمون بإمام واحد، ويصلون صلاة واحدة، ويتبعون أحكاما واحدة، ويتوجهون لقبلة واحدة، ويصلون لرب واحد.

رابعا- صلاة التراويح: وصلاة التراويح من السنن المؤكدة التي جمع النبي ﷺ الناس عليها أولا، ثم ترك الجماعة فيها خشية أن تفرض على المسلمين، فصلاها الناس فرادى زمن النبي ﷺ وأبي بكر وصدرا من خلافة عمر، فخرج عمر ليلة فرأى الناس يصلون متفرقين في المسجد، فقال: لو جمعتهم على إمام، فأمر أبي بن كعب رضي الله عنه فصلى بهم، ثم خرج ليلة أخرى فرآهم مجتمعين على أبي بن كعب فسر بهم، وقد رآه الصحابة، وأقروا على ذلك، فصارت الجماعة في صلاة التراويح متفقا على مشروعيتها.

خامسا- الصدقة: والصدقة تعبير عملي عن شعور روح الجماعة بين المسلمين، فالإنسان له ملكيته الخاصة، وماله محفوظ لا يجوز لدولة أو فرد أن يعتدي عليه، ولكنه في ذات الوقت لا يعيش وحده، بل يشعر بإخوانه تطوعا واختيارا، لا كرها وإجبارا، وهنا تتجلى أسمى صورة الوحدة بين المسلمين، وأن المسلم لا يعيش لنفسه منعزلا عن مجتمعه.

سادسا- القنوت والدعاء: ومما يميز المسلمين في شهر رمضان القنوت والدعاء في مشهد مهيب، حيث تهتز المساجد من كثرة الدعاء وحرارته وحرقة النطق به، وهي تتذلل لربها أن يرفع عنها البلاء، ويزداد الدعاء حرارة إن تعلق بالمسلمين ونصرتهم، وهزيمة أعدائهم، مما يجعل القنوت أحد مظاهر وحدة الأمة وتماسكها.

سابعا- إفطار الصائمين: وتسابق المسلمين في شهر رمضان في إفطار الصائم مظهر من مظاهر وحدة الأمة وترابطها، وهو تطبيق للحديث الصحيح عند أهل السنن عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطر صائما كان له مثل أجرهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا».

ثامنا- التزاور: ومن المحامد المأثورة عن المسلمين في رمضان كثرة التزاور، وهي سنة مهجورة، يقل فاعلوها في غير رمضان، لانشغال الناس بطلب لقمة العيش.

تاسعا- دروس العلم: ودروس العلم من أفضل ما يجتمع عليه المسلمون، وقل من الناس من يواظب عليها، لكن يجيء رمضان ببركاته ونفحاته، فتنشط همة الناس في الذهاب إلى المساجد، ويكثر الدعاة دروسهم فيها، فيجتمع الناس حول الشيوخ ليستمعوا منهم دروس العلم، خاصة بعد صلاتي العصر والفجر.

عاشرا- الزكاة: وقد اعتاد كثير من المسلمين أن يخرجوا زكاة أموالهم في رمضان، لما يرون أن إخراجها فيه أفضل؛ اعتمادا على أن الحسنات تضاعف في رمضان، فيتسابق الناس إلى إخراج الزكاة في شهر رمضان، ولاشك أن الزكاة من أجل الأعمال، وأزكى القربات، فالزكاة طهارة وسكن.

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية - الكويت



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الصحة نعمة ..
تستاهل الشكر

"صلاتك ... شكر"

نفائس

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا

www.nafaess.com

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

إدارة الإعلام الديني

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦١٤) شوال ١٤٣٧ هـ - يوليو - أغسطس - ٢٠١٦ م

عاصمة الثقافة الإسلامية 2016





مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

دليل الإجازة الصيفية

- اللغة العربية والمراهق
- لغة الجسد.. علم الفراسة
- المعاقون في المنظور الإسلامي
- قسطنطينة الجزائرية .. مدينة الجسور المعلقة

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا





فراغ الشباب

الفراغ.. ما أعجبه من نعمة قد تتحول إلى بلاء ونقمة، أو سُم قاتل، وطاعون مميت، وقد قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، وقديما قال الشاعر العربي:

إن الشباب والفراغ والجِدةْ
مفسدة للمرء أيَّ مفسدة

فقضية فراغ الشباب قضية خطيرة، والاهتمام بها من أوجب الواجبات، فإذا كان الواحد منا يضع يده على قلبه من الخوف الشديد الذي ينتابه على بعض الشباب وقت انشغالهم؛ فكيف بهم وقد تفرغوا؟! كيف بهم والواحد منهم ينام النهار ويسهر الليل، وقد توافرت له سبل الفساد والانحراف؟!

ومن رعى غنمًا في أرض مَسْبَعَة
ونام عنها تولى رعيها الأسد

إذا لم نعمل على حفظ أوقات شبابنا واغتنامها بما ينفعهم من أمور الدنيا والدين؛ فإنهم سوف يقضون أوقاتهم بما يعود وبالا عليهم وعلى أُسرهم، بل وعلى مجتمعهم وأمتهم.

وإن العاقل هو الذي يجعل أعماله أكثر من أوقاته؛ فإن الإنسان لا يحس للقلق أثرا عليه طالما كان عاكفا على عمل ما.

إن هذه القضية مهمة للغاية، يجب ألا يستهان بها، وألا يغفل عنها، ولا أدل على ذلك من الاعتناء بها في كتاب الله ومن حرص النبي ﷺ عليها وأمره باغتنامها وحثه على استغلالها، يقول جل جلاله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ (الشرح:٧ و٨)، ويقول النبي ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»، فذكر منها الفراغ قبل كثرة المشاغل.

والاهتمام بالوقت من صفات الصالحين، والتفريط فيه وإضاعته من أبرز عادات المفرطين، وفي المأثور عن بعض الصالحين: «يا سفيان، إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل، وأنت تعلم فاعمل». ويروى عن وَهْب بن منبه –رحمه الله– أنه قال: «ينبغي للعاقل أن لا يشغل نفسه عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها هو وإخوانه والذين ينصحون له في دينه ويصدقونه عن عيوبه، وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذاته فيما يحل ويحمد، فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات، وفضل بلغة واستجمام للقلوب».

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٤ | شوال ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
يوليو - أغسطس ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦-٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

العطلة اختيار في اختبار!

يأتي وقت الفراغ ليكون بمنزلة اختبار حقيقي لكل منا؛ اختبار يحمل سؤالا إجباريا علينا أن نجيب عنه في الزمن المحدد لحياتنا القصيرة مقارنة بالحياة الأبدية في الآخرة، اختبار نختار فيه من متعدد، بعضه يغري بالراحة والسكون والكسل، والآخر يفوح برائحة النشاط والحركة والأمل.

وفي نهاية الاختبار، المحجوب عنا وقته، ستجمع الأوراق، ويقف كل منا ينتظر نتيجة عمله. يروي ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم».

وعمرنا يضم وقتا نشعر فيه أننا مجبرون على أفعال واجبة لكسب العيش، أو للدراسة، أو لغيرهما، كما يضم وقت عطلة وفراغ.. مخطئ من يشعر أنه وقت مجاني كسبناه للكسل، أو للهو ضار بالنفس والجسد، فما أهنأ من ينجح في الاختيار والاختبار، وما أتعس من يرسب فيهما!

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التحرير
تصوير: هدايت الله أحمد

أقامته جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية لمدة ٥ أيام



«الأوقاف» تشارك في معرض الكتاب الإسلامي بإسطنبول

بدعوة كريمة من جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية في إسطنبول؛ شاركت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة بقطاع الشؤون الثقافية، في معرض الكتاب الإسلامي خلال المدة (٢٦-٣٠/مايو ٢٠١٦م)، الذي يقام على هامش فعاليات مؤتمرها الدولي تحت عنوان: «تدريس العلوم الإسلامية باللغة العربية في بلاد الناطقين بغيرها... التجارب والطموح والتحديات».

وقد أثمرت الزيارة عن التنسيق مع جامعة السلطان محمد الفاتح، والعديد من المراكز الإسلامية لإقامة مشاريع مشتركة مستقبلية، وتعرّف زوّار معرض الكتاب الإسلامي على إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن قرب، لاسيما مجلة «الوعي الإسلامي».



وأكدت كلمة أعضاء الوفد، على الدور الدعوي والفكري للمجلة في العالم، ومن أهم ما جاء فيها التأكيد على:

١. دور الكويت في خدمة المشروع الإسلامي، والحرص على الريادة في تنمية المجتمعات الإسلامية، ودعم المسلمين في كل مكان.

٢. مدّ جسور التواصل مع بلاد المسلمين، وبناء علاقات إيجابية مع الآخر، والحرص على تعزيز قواسم القضايا المشتركة ونبذ الخلاف.

٣. الارتقاء بالمجتمعات الإسلامية روحيا وإيمانيا، والحرص على بناء جيل مسلم واع قادر على العطاء والبذل في سبيل سعادة الإنسانية جمعاء.

٤- الرغبة في توسعة سوق توزيع مجلة الوعي الإسلامي في تركيا.

٥- الاستفادة من التعاون المتبادل والخبرات في نشر الثقافة والمعرفة من خلال المشاركة في المعارض والندوات والمؤتمرات.

وقد ضمّ وفد الوزارة كلا من رئيس التحرير د. صالح النّهام، ورئيس قسم البرامج في إدارة الثقافة محمد درباس، وكبير اختصاصي الإرشاد الديني عبدالرحمن السليم.

وشاركت الوزارة من منطلق الحرص لدى دولة الكويت في المشاركة الفعالة في المحافل الدولية العلمية والثقافية التي تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية الوسطية، ورغبة من الوزارة في مدّ جسور التواصل مع المسلمين في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

وعرض جناح الوزارة أبرز الإصدارات التي كان لها كبير الأثر في نفوس المشاركين، حيث أبدوا إعجابهم لتنوع هذه الإصدارات وثرائها، وغناها بالمواضيع العلمية والأدبية والتراثية، ومحاكاتها للعديد من المسائل الدينية المعاصرة.

وتمثلت أهداف الزيارة في التالي:

١- التعرف على أحوال المسلمين، والوقوف على أبرز المعوقات المعاصرة التي تواجههم.

٢- إيجاد قنوات اتصال لتبادل الأفكار التي تخدم المسلمين في كل من البلدين.

٣- السعي لتكامل الأدوار بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وبين المؤسسات والجامعات والهيئات الإسلامية في الجمهورية التركية.

٤- تعزيز نشر الثقافة الإسلامية الوسطية بين المسلمين.

٥- الاطلاع على الآثار الإسلامية والمخطوطات والتراث العريق الذي تحفل بها مكتبة جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية.

٦- توسيع انتشار إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عموما، ومجلة «الوعي الإسلامي» خصوصا باعتبارها الواجهة الإعلامية للوزارة.



٧- إبراز الدور الفعال لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت في دعم اللغة العربية في شتى المجالات.

هذا، وقد جاءت مشاركة وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال زيارته إلى مدينة إسطنبول بالمؤتمر الدولي تحت عنوان: «تدريس العلوم الإسلامية باللغة العربية في بلاد الناطقين بغيرها... التجارب والطموح والتحديات».

وقد أكد الحاضرون في هذا المؤتمر أن اللغة العربية هي لغة الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، وهي اللغة التي اختارها الله سبحانه وتعالى للرسالة العالمية؛ فأصبحت بذلك اللغة الرسمية الأولى للأمة الإسلامية كلها، بحيث لا يمكن لأي مثقف أن يفهم هذه الرسالة وشمولها ومحتوياتها ومفاهيمها الصحيحة إلا بإتقان هذه اللغة والبراعة فيها، والإحاطة بقواعدها، وفهم تراكيبها ومفرداتها وجملها.

وطرح في المؤتمر العديد من المحاضرات والأبحاث العلمية، من أبرزها:

١. اللغة العربية هي اللغة الأم لدارسي العلوم الإسلامية، للدكتور سلمان الحسيني الندوي، جمهورية الهند.

٢. المدارس العثمانية والكتب المقررة فيها باللغة العربية، للأستاذ الدكتور أحمد أقكوندوز، من مملكة هولندا.

٣. بين الملكة والصنعة.. دراسة في نظرية ابن خلدون، وتطبيقها في تدريس العلوم الإسلامية للناطقين بغير العربية، للأستاذ الدكتور أحمد صنوبر، تركيا، جامعة إسطنبول.

٤. منزلة العربية في فهم الشريعة الإسلامية وعلومهما، وأثر انتشارها في المجتمعات الإسلامية، للدكتور حسن خطاف، تركيا، جامعة أرتوكلو بماردين.

٥. مسوغات تدريس العلوم الإسلامية باللغة العربية، للأستاذ الدكتور صباح السامرائي، تركيا، جامعة السلطان محمد الفاتح.

٦. انحسار اللغة العربية وآثاره على فهم القرآن وتدبره، للأستاذ الدكتور رضوان جمال يوسف الأطرش، ماليزيا، الجامعة الإسلامية العالمية.

٧. منهجية تدريس العلوم الإسلامية في أواخر الدولة العثمانية، للأستاذ الدكتور عثمان سعيد، تركيا، جامعة يالوا.

٨. نظام التعليم في المدارس العثمانية في ضوء مناهج التعليم الحديثة، للأستاذ الدكتور بهلول دوزنلي، تركيا، جامعة يالوا.

٩. تجربة الجامعة الإسلامية بالنيجر في تدريس العلوم الإسلامية باللغة العربية في منطقة غرب أفريقيا، للأستاذ الدكتور إسماعيل السيسي، النيجر، الجامعة الإسلامية.

١٠. تجارب بنغلاديش لتدريس العلوم الإسلامية بالعربية: التحليلات والاقتراحات، للأستاذ الدكتور محمد غياث الدين حافظ، بنغلاديش، الجامعة الإسلامية العالمية. وغيرها من الأبحاث العلمية القيمة.

وخلال زيارة الوفد لمقر جامعة





السلطان محمد الفاتح الوقفية، اطلع على الطريقة المثلى التي يتم من خلالها قبول الطلاب والطالبات من مختلف بلدان العالم، وبمختلف التخصصات.

وكذلك تعرف على معالم جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية التي أسست سنة (٢٠١٠م) من قبل المديرية العامة للأوقاف التابعة لرئاسة الوزراء، وذلك من خلال تخصيص نسبة من أموال الأوقاف القديمة، وهي وقف السلطان محمد الفاتح، ووقف سنان آغا بن عبد الرحمن (المعماري المشهور)، ووقف الوالدة نور بانو سلطان، ووقف خديجة سلطان، ووقف الحاج عبد العزيز آغا بن عبدالله.

بالإضافة إلى زيارة أقسام الجامعة وكلياتها، حيث تضم الجامعة الآن ست كليات، وخمسة معاهد ومدارس مهنية، والكليات هي: (كلية الآداب، وكلية العمارة والتصميم، وكلية الهندسة، وكلية الفنون الجميلة، وكلية العلوم الإسلامية، وكلية الحقوق).

إلى جانب التعرف على المكتبة الإسلامية الضخمة التابعة لجامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، والتي تُعتبر منارة من منارات العلم والمعرفة في تركيا، وذلك لما تقوم به من أنشطة اجتماعية وثقافية رائدة مثل المحاضرات والندوات الثقافية وتعليم اللغة العربية وتقويتها، وتهيئة الأجواء العلمية المتكاملة لطلاب الجامعات التركية للمطالعة وإنجاز الأبحاث العلمية، وفق نظام آلي متطور في طريقة البحث عن الكتب في مختلف التخصصات.

ويُعدُّ هذا المؤتمر الذي تقييمه جامعة السلطان محمد الفاتح من أهم التجمعات الدولية التي تُعنى بلغة القرآن الكريم.

وفي خاتم الفعالية أهدى وفد وزارة الأوقاف إدارة جامعة السلطان محمد الفاتح إصدارات وزارة الأوقاف، كما تم وضع نسخة من هذه الإصدارات في مكتبة الجامعة العامرة.

وأخيرًا تجسد هذه المشارك الفاعلة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية العمل الإسلامي المشترك، الذي تحثُّ عليه الوزارة ضمن رؤيتها في العمل على ترسيخ القيم، والمساهمة في تأصيل العمل الإسلامي وفق رؤية وسطية تجمع كل المسلمين، كما تأتي تأكيدًا لتحقيق الغايات الاستراتيجية التي تدعو للشراكة والتواصل مع القطاعات المعنية بالشأن الإسلامي محليا ودوليا.



د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية

فقه شهر شوال

ربطت الشريعة عددا من الأحكام بالزمان والوقت، وتلك الأحكام لا تقبل في غير زمانها، لأن لها زمنا مخصوصا، وتعلقا بتلك الأوقات الشريفة التي فضلها الشارع على غيرها. ومن ذلك الأحكام الشرعية التي تتعلق بشهر شوال.

شهر شوال هو الشهر العاشر من أشهر السنة الهجرية عند المسلمين، الذي يلي شهر رمضان، وهو أول أشهر الحج، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ (البقرة:١٩٧)، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة. وقد ذكر في سبب تسميته بهذا الاسم، أن الإبل كانت تشول بأذنابها، أي ترفعها وقت التسمية؛ طلبا للإخصاب. كما قيل في تسميته أيضا: إنه سمي بهذا الاسم لتشويل ألبان الإبل؛ أي نقصانها وجفافها في هذا الشهر.

أشهر أحداث شهر شوال

وقد حفل شهر شوال بأحداث عظام في حياة النبي ﷺ، فعلى رأس ثمانية أشهر من الهجرة كانت سرية بطن رابغ بقيادة عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب.

وفيه من العام الهجري الأول: كانت ولادة عبدالله بن الزبير – رضي الله عنهما – وكان أول مولود يولد للمسلمين المهاجرين بعد الهجرة. كما كان زواج النبي ﷺ من أمنا عائشة – رضي الله عنها – في شوال من العام الأول أيضا.

وفي شوال من العام الثاني من الهجرة كانت غزوة بني سليم بالكدر، وذلك بعد أن فرغ النبي ﷺ من غزوة بدر وشأن الأسرى بسبعة أيام. وكانت فيه غزوة بني قينقاع، وهم أول من حارب رسول الله ﷺ من اليهود. كما كانت فيه مؤامرة اغتيال النبي ﷺ من قبل عمير بن وهب وصفوان بن أمية.

وفيه من العام الثالث من الهجرة غزوة أحد، التي استشهد فيها عدد من الصحابة، على رأسهم عم رسول الله ﷺ حمزة بن عبدالمطلب، كما كانت فيه غزوة حمراء الأسد التي كانت بعد أحد مباشرة.

وفيه من العام الخامس من الهجرة كانت غزوة الخندق، التي أشار فيها سلمان الفارسي رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بحفر الخندق.

وفيه من العام الثامن من الهجرة غزوة الطائف، التي كانت بعد غزوة حنين.

وفيه من العام العاشر من الهجرة بدأ تتابع وفود القبائل على رسول الله ﷺ وإعلان إسلامهم، فعرف بعام الوفود، كما كانت فيه حجة الوداع، وهي الحجة الوحيدة التي حجها النبي ﷺ، ومات بعدها، كما كانت فيه بداية فتنة الردة التي ارتد فيها بعض القبائل عن الإسلام، بعد وفاة النبي ﷺ وامتنعوا عن دفع الزكاة، مما دفع أبا بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ أن يجهز لحروب الردة فيما بعد.

الأحكام الفقهية الخاصة بشوال

ويتعلق بشهر شوال عدد من الأحكام الفقهية، ومن أهمها ما يلي:

أولا - الشك في دخول شوال

ففي ليلة الثلاثين من رمضان، التي تحتمل أن تكون أول شهر شوال، تصح النية بالصيام؛ لكونه الثلاثين من رمضان رغم الاحتمال الوارد أن يكون أول شوال، وذلك إعمالا لقاعدة: «الأصل بقاء ما كان على ما كان»، لكن إن قال المسلم: إن كان غدا الثلاثين من رمضان فأنا صائم، وإن كان أول شوال فأنا مفطر، فقد رأى بعض الفقهاء أن صومه لا يصح؛ لأنه لم يجزم بنية الصيام، والنية قصد جازم، وخالفهم في ذلك آخرون، ورأوا أن من نوى بهذه النية ثم جاء الغد مكملا لرمضان فصيامه صحيح، لأن هذا شرط واقع، والأصل بقاء رمضان (راجع: المغني مع الشرح الكبير ٣/ ٢٥، ٢٦، ونهاية المحتاج ٣/ ١٥٩).

ثانيا - ثبوت رؤية هلال شوال

اعتاد المسلمون أن يطالعوا رؤية



شوال في الليلة الثلاثين من رمضان، والتي قد تكون احتمالا هي الأول من شوال. وقد تحدث الفقهاء عما تثبت به رؤية هلال شوال، ومن ذلك:

● **إكمال عدة رمضان:**

فقد اتفق الفقهاء على أنه تثبت رؤية هلال شوال إذا اكتمل رمضان ثلاثين يوما.

● **رؤية الشهود:**

فتثبت رؤية هلال شوال برؤية الشهود. وقد اختلف العلماء في العدد الذي تثبت به رؤية شوال، فذهب الجمهور إلى أنه تثبت رؤية شهر شوال بشاهدي عدل فما فوقهما. وقال آخرون: تثبت بشهادة رجل وامرأتين. وقال البعض: تثبت بشهادة رجل واحد. واشترط البعض لكثرة العدد أن تكون السماء مصحية، فساعتها لابد من الرؤية المستفيضة.

ثالثا - رؤية شخص واحد للهلال

إذا رأى شخص واحد الهلال، فقد اختلف الفقهاء فيما يجب عليه على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: إذا رأى شخص الهلال وحده لم يجز له الفطر ويجب عليه الصيام. وهو رأي الأحناف.

واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه فيما أخرجه الترمذي أن النبي ﷺ قال: «الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون». كما استدلوا بحديث عائشة - رضي الله عنها - فيما أخرجه الترمذي أيضا، قالت: قال النبي ﷺ: «الفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحي الناس».. فإن أفطر؛ وجب عليه القضاء بلا كفارة.

الرأي الثاني: من رأى الهلال وحده وكان في مكان بعيد ليس به أحد، كأن يكون في صحراء أو جزيرة أو في مكان منعزل عن البنيان، فيبني على يقين رؤيته، ويلزم اجتهاد نفسه؛ إذ لا أحد معه يعضده أو يخالفه، فوجب أن يصير إلى ما تيقن إليه. وهو رأي المالكية والحنابلة.

الرأي الثالث: إذا رأى شخص الهلال وحده؛ لزمه الفطر، لكن يستحب له أن يفطر سرا. وهو رأي الشافعية. واستدلوا بحديث النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «وأفطروا لرؤيته»، فأخذوا بعموم الحديث، وأن الحديث موجه لجميع المسلمين، لكنه لما كان واحدا، ولم يره الناس؛ فيعمل كل واحد بما رأى (راجع: الفتاوى الهندية ١/ ١٩٨، الدسوقي ١/ ٥١٢، ومواهب الجليل ٢/ ٣٨٩).

رابعا - زكاة الفطر

من العبادات التي يؤديها المسلمون في أول أوقات شهر شوال زكاة الفطر، ومحلها أن تؤدى قبل الذهاب إلى المصلى استحبابا، لحديث الدارقطني: «أغنوهم في هذا اليوم». وإن اختلفوا في وقت وجوب الأداء، وهي أول ليلة من ليالي شهر شوال، على الراجح من أقوال العلماء. وذهب جمهور الفقهاء إلى أنها واجبة، وفي قول للمالكية أنها سنة.

ويحرم تأخير إخراجها، لكنها لا تسقط بخروج وقتها، لأنها واجبة في الذمة للفقراء، فيجب أداؤها لهم، ولا تسقط عن المسلم إلا بالأداء، لأن هذا حق الفقراء، ويستغفر الله تعالى ويتوب إليه من التأخير.

ودليل مشروعيتها ما رواه ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - في الصحيحين قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على كل حر، أو عبد، ذكر أو أنثى من المسلمين». وبقوله ﷺ فيما أخرجه الدارقطني: «أدوا عن كل حر وعبد صغير أو كبير، نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو شعير». والحديث جاء بصيغة الأمر، والأمر يقتضي الوجوب كما قال الأصوليون.

خامسا - صلاة عيد الفطر

من العبادات في شهر شوال صلاة عيد الفطر، وهي مشروعة باتفاق

العلماء، وإن اختلفوا في حكمها، فذهب الحنفية إلى أنها واجبة غير مفروضة، وهي منزلة بين السنة والفرض عندهم، وذهب المالكية والشافعية إلى أنها سنة، وذهب الحنابلة إلى أنها فريضة.
ولقد واظب عليها رسول الله ﷺ في حياته، والمسلمون بعد وفاته إلى يومنا هذا، فهي من الأحكام الشرعية التي تتعلق بشهر شوال.

سادسا - صيام ستة أيام من شوال

ذهب جمهور الفقهاء إلى استحباب صيام ستة أيام من شهر شوال، مستدلين بالحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال، كان كصيام الدهر»، وذهب آخرون إلى كراهة ذلك لئلا يلحق العامة برمضان ما ليس منه، وهو قول مالك وأبي حنيفة (راجع: التحقيق في مسائل الخلاف، لابن الجوزي، ٢/ ١٠٨).
والراجح أن صيام ستة أيام من شوال سنة مستحبة، ولا كراهة في ذلك، والناس حين يصومونها لا يخلطون بينها وبين رمضان، فهم يفطرون يوم العيد، وربما أجل بعضهم الصيام بعده بيومين أو ثلاثة، كما أنهم يعلمون أن صيامها سنة ولم يختلط على أحد - حتى من العوام - أنها من السنة وليست واجبة.
وثواب صيام ستة أيام من شوال مع صيام رمضان كثواب من صام الدهر كله، لأن الحسنة بعشر أمثالها، وصيام ثلاثين يوما بصيام ثلاثمئة يوم، وصيام ستة أيام من شوال يعدل صيام ستين يوما، وهو تمام السنة الهجرية، وذلك كما ورد عن النبي ﷺ من قوله في الحديث الذي أخرجه النسائي وابن ماجه: «جعل الله الحسنة بعشر أمثالها فشهر بعشرة أشهر وصيام ستة أيام تمام السنة»، ورواه ابن خزيمة بلفظ: «صيام شهر رمضان بعشرة أمثالها وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة».
ويستحب لمن أراد صيام ستة أيام من شوال أن يبادر بذلك ولا يؤخرها، وهو من باب المبادرة والمسارعة بالخيرات، والتعجيل بفعل الطاعات، وهذا ما يفهم من قوله ﷺ: «ثم أتبعه»، والتبع يأتي مباشرة.
والأفضل في صيام ستة أيام أن يصومها متتابعة إن استطاع، ويجوز أن يصومها متفرقة، كما يجوز أن يصومها كل اثنين وخميس، ومع الأيام البيض، جامعا بين نية صيام الاثنين والخميس والأيام البيض.
كما لا تصوم المرأة إلا بإذن زوجها؛ وهذا داخل في عموم استئذان المرأة زوجها في صيام النافلة.
واختلف العلماء في الجمع بين نية قضاء ما فات من رمضان وصيام ستة أيام من شوال، والتفريق بينهما أولى؛ خروجا من الخلاف.
كما اختلفوا في جواز تقديم صيام ستة أيام من شوال، وهي نافلة، على صيام ما فات من رمضان، والأولى تقديم قضاء ما فات من رمضان؛ لتقديم الفريضة على النافلة، وذلك لعظم الفريضة.

سابعا- استحباب الزواج في شوال

يستحب الزواج والبناء في شهر شوال، فقد نص المالكية والشافعية على أنه يسن للرجل أن يتزوج في شوال ويدخل فيه، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها، قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني؟!
وكانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - تستحب أن يدخل نساؤها في شوال، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يكرهون هذا ويتطيرون من ذلك؛ لما في اسم شوال من قولهم: شالت نعامتهم، وشالت النوق بأذنابها (إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤/ ٥٧٥).

ثامنا- الاعتكاف في شوال

يجوز الاعتكاف في شهر شوال، ولا يقتصر الاعتكاف على رمضان، وإن كان في رمضان آكد وأسن، لكن يجوز للإنسان أن يعتكف في أي وقت من العام، وذلك لثبوت اعتكافه ﷺ فيه، وذلك كما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - كما في الصحيحين قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان، وإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه. قال: فاستأذنته عائشة أن تعتكف، فأذن لها فضربت فيه قبة، فسمعت بها حفصة، فضربت قبة، وسمعت زينب بها فضربت قبة أخرى، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الغد أبصر أربع قباب، فقال: «ما هذا؟». فأخبر خبرهن، فقال: «ما حملهن على هذا؟ آلبر؟ انزعوها فلا أراها». فنزعت، فلم يعتكف في رمضان حتى اعتكف في آخر العشر من شوال. وجاء في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ١٧٧): الاعتكاف في شوال وسائر السنة مباح لمن أراده. وكان النبي ﷺ اعتكف في شوال قضاء عن اعتكافه الذي تركه في رمضان (فيض الباري على صحيح البخاري ٣/ ٣٨٥).
إن معرفة المسلمين لأحكام شهر شوال معينة على التزام أحكام الله تعالى وتطبيقها، وهي من المحامد الشرعية، التي ينبغي للمسلمين الحرص عليها؛ التزاما بالشريعة، وارتباطا بالهدي، وتحقيقا لخصوصية هذه الأمة، وارتباطها بالتاريخ الهجري الذي هو وجه من وجوه خصوصيتها وحضارتها.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمـل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.



ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

د. محمد سعيد باه
أكاديمي سنغالي



بسمتك عنوان همّتك فأشعلها!

رغم تنوع الابتسامة ما بين منبسطة خافتة وعريضة تتلألأ ومنكسفة محزونة مثبطة وما بينهما من الابتسامات من ساخرة متهكمة، ومهددة أو جامدة تعكس تبلد الشعور، فإن الابتسامة تبقى ذات قوة هائلة وتأثير جم سلباً وإيجاباً إلى درجة تصعب مقاومتها أحياناً نرفع راية الاستسلام أمامها كما تنهار دفاعات أمّ أمام بكاء طفلها الذي ينتقل من موجة إلى موجة، ويبقى السر كامناً في حالتنا النفسية ومدى قدرتنا على شحنها بتلك المعاني القوية التي تثري الحياة ثم نبثها عبر الموجة الواضحة.

ولأنها ظاهرة آسرة فقد توالت الاجتهادات المعرفية الحديثة في سعيها، فحصاً لما ينطوي عليه الإنسان من الأسرار وسبراً لطبيعته المعقدة التي برأه الله عليها لمقتضى دوره، للكشف عن مزيد من المعلومات عن مدخراته النفسية وطاقاته الروحية وما يتفرع عن ذلك من مظاهر وتجليات.

كما أنه قد ثبت من الناحية النفسية بأن العبوس الذي ذمه القرآن في القصة المشهورة وربطه بحالة من أشد اللحظات التي يمر بها الإنسان، ليس صنو الجدية أو العزم والحزم بخلاف الانشراح وانفراج الأسارير كما سيتجلى.

مع هذا التوغل في تضايف النفس البشرية يقر العلماء بأنهم كلما خطوا قدماً لفهم هذا الكائن المكرم شعروا بأنهم عاجزون عن الوصول إلى ما زود به من إمكانات وقدرات بله

توظيفه أو استنفاده، وبذلك يثبتون الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان وما فيه من أسرار لا يحيط بها إلّا هو، والتي منها تلك الأمشاج من العواطف التي ينفرد بها من بين الكائنات بما في ذلك ظاهرة التبسم ودلالاتها المختلفة، والتي نتوقف عند بعض جوانبها وبالأخص فيما له علاقة بأثرها في دفع الإنسان إلى المضي في طريق المغالبة وخوض معركة التدافع وهو موقن بأنه منتصر لا محالة، لأنه يملك رصيداً من الطاقة متجدداً.

دينونة التجهم وتداعياتها المعرقلة:

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي». رواه الإمام البخاري في الصحيح. كم يحز في النفس أن يكون لدى أمّة هذا النص المحفز والذي بلغ الغاية القصوى من التوثيق يؤكد بأنه من تلك الدرر السنية التي صاغها نبيها ثم تسري في صفوفها ثقافة ضحلة تجعل من تجهم الوجوه سبيلاً للتقرب إلى الله زلفى على هذه الشاكلة: بقي فلان... سَنَةً ولم يُر ضاحكاً ولا مبتسماً!

نعم، حدث هذا حين اشتد انحراف المزاج العام لجمهور الأمّة وانطمس بعض معالم طريق الهداية التي ساروا عليها قروناً عدداً وهم يرسمون البسمة في وجه الحياة وجلجلة ضحكتهم الإيمانية تسري في الكون، انتشرت في ديارهم هذه الثقافة المدخولة التي حملت إليهم سموماً فكرية قاتلة لروح الديانة الحقّة، وربما هي التي سمّاها النبي ﷺ بالدخن (١)، تزين بل وتدعو إلى لون من الحياة تتسم بكل هذا القدر من القتامة وتتصادم مع الروح الشفافة التي سعى هذا الدين إلى غرسها بعمق في المجتمع المسلم، استجابة لفطرة الله التي فطر الناس عليها، ليتعايشوا سعداء يتقابلون بوجوه تتهلل بشراً معتبرين ذلك من الفروض التي ألزمهم بها دينهم: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة». رواه الترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وهل ثمة أمّة من أمم الأرض من تلقى هذا الدرس من قائدها وباني مجدها: «البسمة صدقة»؟!

لا أخال أحداً فعل!

وفي مسار معاكس لهذا النهج الذي خطه المصطفى ﷺ اجتهد قوم، وهم بذلك يدّعون ترسم خطاه وخدمة ميراثه، في جعل الكلوحة في الوجوه وتجهم الأسارير عنوان الصلاح وعلامة الاستقامة على منهج الله فكيل أوفى المديح لمن هم أشد الناس عبوساً وأقلهم انفراجاً في المحيا حتى سمعنا مثل هذا النعت الصادم يزكى به.

مما يروى في هذا الباب ما نقل عن الترقفي أن غزوان الرقاشي «لبث أربعين سنة لم يُر ضاحكاً ولا مكشراً يضحك».

للمرء أن يقصر في اتباع توجيهات المصطفى ﷺ ولو بدعوى الطهر المزعوم، أما المنزلق الخطير فيبدأ حين يراد منا أن يكون الشذوذ ذلك العنوان العريض الذي يميز مسلك الإنسان المسلم وهو يخوض غمار الحياة حاملاً راية التبشير برسالة الله الخاتمة إلى عباده؛ ويتحمس الأجلاف من الوعّاظ قديماً وحديثاً في تزيين هذا السلوك المرضي.

البسمة السليمانية دلالات وسياق:

بتصفح كتاب الله نعثر على أنه استخدم لفظ التبسم في سياق سرده لقصة نبي الله سليمان (عليه السلام) مع النمل، في مقابل توظيفاته المختلفة للألفاظ المضادة من العبوس والكلوحة في إطار موقف لا يخفى ما فيه من حدة وتوتر، وبالتالي انسحاب ذلك على الوضع برمته: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ (سورة النمل، الآية: ١٩).

نلحظ هنا العلاقة البيّنة بين الهمّة العالية وبين التبسم في هذا الموقف الذي يعتبر في غاية الجدية، رسول من عند الله يدير مملكة بهذا الاتساع ويمنّ الله عليه بكل تلك العطايا ومع ذلك لا يفوته أن تنفرج أساريره عن تلك البسمة التي اختصر بها القرآن الموقف كله حتى لتكاد الصور الأخرى تضمحل.

أما الأغرب فهو أن يسجل الوحي ذلك الموقف إلى حد التجسيم، فيعقب بذلك الدعاء الرائع الذي لا يهتدي إلى مثله إلا ذو الهمم الفولاذية التي لا تعرف إلّا الوصول إلى القمة دون أن تفارقهم بسمة تنقل العدوى الخيّرة لمن حولهم؛ فيشحنون بها أرواحهم ويجددون بها عزائمهم وتحول دون تسلل الخور إلى نفوسهم: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ (سورة النمل، الآية: ١٩).

البسمة طاقة خلاقة للتهذيب:

من مظاهر هذه القدرة التي زرعها الله في الإنسان؛ الطرائق التي يستخدمها للتعبير عمّا يستكن في أعماقه أو يجيش لديه من عواطف، وقد يتخذ ذلك وسيلة للتأثير في الآخرين، وهي الطريقة التي يستخدمها الطفل تماماً حين يبكي لفتاً أو احتجاجاً أو مطالبةً، وما أن تتحقق مطالبه حتى يتحوّل إلى موجة أخرى عارمة للتعبير عن

الوضع النفسي الجديد الذي صار إليها «بسمة تنير وجه الحياة».
ننطلق من هذا التوصيف لنسعى إلى أن نفهم الطاقة الكامنة في الابتسامة، وبالتالي التبين بأنها ليست قرينة الضعف والخمول كما وقر في أذهان بعضنا، حتى ليصنف الإنسان البسوم على أنه مهزوز الشخصية ومتضعضع الكيان ولا يمكن التعويل عليه، بالعكس من ذلك؛ فالبسمة المتلألئة تمثل مصدراً هائلاً للطاقة الخلّاقة.
إن إطلاق أو رسم هالة البسمة طريقة قوية من الطرق التي يلجأ إليها كبار المربين للترقية وللتهذيب كما في حديث جرير الذي سيق؛ لأننا حين نبتسم لا نقوم بمجرد إظهار أسناننا فحسب، وإنما نقوم في الحقيقة بإرسال رسائل محددة وواضحة الدلالة إلى من حولنا، نحاول أن نخاطب أعماقهم ونحرك فيهم بعض الجوانب الرواكد كي يتفاعلوا معنا بإيجابية، وهي الظاهرة التي تسمى بعدوى الابتسامة.

بسمات النبي ﷺ وبعض دلالاتها:

فإذا تصفحنا السنة النبوية يلفت النظر رواج استخدام مصطلح «حديث التبسم»، الذي إذا أطلق عرف أهل الفن ما المقصود دون الحاجة إلى كثير شرح، ما يشي بأن البسمة المضيئة المنعكسة من وجهه الشريف كانت تلازمه ﷺ في كل حالاته، مع صحابته، داخل أسرته، الحاملة لمعاني والمتضمنة لرسائل، كان من حوله يتلقفونها ويفقهونها ويفكون رموزها ويستوعبون ما فيها من دلالات؛ ومن ثم يتجاوبون معها، ما جعلهم يصفونه بدوام التبسم كما جاء في حديث عبد الله ابن الحارث رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أكثر تبسما من رسول الله ﷺ». رواه الترمذي .
من أطرف ما نعثر عليه في النهج النبوي في توظيفه للابتسامة لأهداف تواصلية تربوية، ما جاء في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك فكان من أمره ما كان: «فجئته، يعني النبي ﷺ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب». رواه الإمام البخاري.

بسمة الوداع مصدر للشحن:

في تلك اللحظات الحرجات التي كان الصحابة يعيشون فيها حالة نفسية ضاغطة وقد حاصرهم القلق ولاحقتهم التساؤلات علام يقبلون متى ودعهم الهادي البشير وغلقت أبواب السماء التي كانت قد تفتقت عليهم ينهمر منها غيث من نور الوحي، وهذه هي اللحظات التي يشخصها لنا أنس ابن مالك رضي الله عنه كما رواه ابن شهاب عنه: «إن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم فضحك،...» رواه الإمام البخاري.
وكأني به ﷺ فداه نفسي، يقول لهم: ها أنا راحل فاثبتوا على ما أنتم عليه في مقامكم بين يدي ربكم؛ أودعكم وأنتم تسيرون في الطريق القويم الذي نصبت لكم معالمه فلا تزيغوا عنه؛ إني ذاهب إلى ربي لكن لا تجزعوا، فلتكن ذكراكم ليست دمعاً بل بسمة تنير لكم درب الحياة الموصلة إلى باب الله؛ كل هذه المعاني تحتشد في بقية حديث أنس: «ثم دخل الحجرة وأرخى الستر بينه وبينهم فآخر ما رأيت رسول الله ﷺ في ذلك اليوم».
كما جاء الحياة ليعلم البشر كيف يبتسمون ودعهم وهو يبتسم لهم!

رسائل الباسمين:

فحين نبتسم نريد أن نقول لمن نبتسم لهم:
لست غاضباً، لأن الغاضب لا ينتج ولا يبني كما قال مهاتير محمد؛ لست واقعاً تحت شعور سلبي تجاهك بل أكن لك الخير فحيا بنا نتواصل ونواصل المسيرة، لأن لدينا ما علينا القيام به معا؛ أبتسم إذا، لدي رصيد ضخم من اليقين بأنني سأمضي قدماً في تحقيق ما أصبو إليه من غايات عظمى؛ أبتسم لأكتب لك عنوان همتي القعساء التي أمتطيها لأعبر الحياة مستعمراً فاعلاً الخير!
إن بسمتي ليست مجرد انفراج شفتين بصورة آلية، إنما هي تعبير يستخرج لك ما يعتمل في داخلي من عواطف إيجابية نحوك ومعاني سامية أنقلها إليك.
قالوا ببساطة: ابتسم تبتسم لك الحياة!
ثم تمضي قدما في إثراء الحياة...

ختاماً

سؤالنا الذي نختتم به هذا الشرح: هل عرف الوجود همّة وثابة تعلو تلك التي ظلت تسكن المصطفى ﷺ، ومع ذلك أجمع من ظل يحدق فيه سنين يسجلون كل لحظة، ويقيدون كل خلجة، ويرصدون كل لفتة تصدر عنه، على وصفه: «كان أكرم الناس، وألين الناس، ضحاكاً بساماً».
حين نفقه حجم الطاقة الكامنة في البسمة سننجح في تحريك الناس إما لتعديل ما يكونون عليه من أمزجة عكرة، وإما لدفعهم من أجل التحرك لفعل الخير أو ترك الشر...، وفي كل الأحوال فالجدوى متحققة شريطة أن نحسن توظيف البسمة: لوناً، طريقةً، سياقاً، هدفاً...

هوامش:

١- إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان الطويل الذي رواه الإمام مسلم: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...».

د. عبد المنعم عبد الله
باحث أكاديمي

الأجر الكبير في القرآن الكريم

للحصول على الأجر.. مجرد الأجر.. فرحة ترتسم على الوجه، وتغمر الفؤاد، جزاء عمل، ومقابل جهد، وعِوَض بذل. فكيف إذا كان الأجر كبيرا؟
لابد أن الفرحة به أكبر، والسعادة أكثر.
ولابد في الوقت نفسه أن يكون العمل أجَلّ، والبذل أعظم، حتى استحق هذا الأجر الكبير.
فماذا عنه في القرآن الكريم؟
لقد جاء الأجر الكبير في القرآن الكريم في خمسة مواضع:

الأول: في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ **(هود:٩-١١).**

تُصوِّر الآيات الكريمة الإنسان إذا رُزق سعةَ الرزق ورغد العيش، ثم سُلبت منه هذه الرحمة بعد هذا العطاء، فيضجر ولا يرضى، وييأس ولا يصبر، ويكفر بقضاء الله في قنوط وإعراض، وحين يفتح الله باب النعم بعد ما نزل به من ضيق وما مَسَّه من ضر، يقول: لقد نأت عني العسرة، وانصرف عني الضيق، ويزهو فَرِحا ببَطَر لا يعرف الشكر، وجحودٍ لا يعرف الحمد في غرور وكبرياء.
حالتان من الجزع الذي يفتقد الصبر، والبطر الذي يجافي الشكر، استُثني منهما الصابرون في البأساء والضراء، الشاكرون في اليسر والرخاء، فهم سالمون من هذا الوباء، ناجون من خطره، في وقاية من أعراضه، ولهم عالي المنزلة، ورفيع الدرجة، لهم أجر كبير في الجنة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

(صبروا) حيث لم يُصبر في الحالة الأولى، (وعملوا الصالحات) ومنها الشكر، حيث لم يُشكر في الحالة الأخرى «إنهم إن تأتهم شدّة من الدنيا وعسرة فيها، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه. فإن نالوا فيها رخاء وسعةً، شكروه وأدَّوا حقوقه بما آتاهم منها...(أولئك لهم مغفرة) يغفرها لهم، ولا يفضحهم بها في معادهم، (وأجر كبير)... ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم، ثوابٌ على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا، جزيلٌ، وجزاءٌ عظيم... عن ابن جريج: (إلا الذين صبروا)، عند البلاء، (وعملوا الصالحات)، عند النعمة (أولئك لهم مغفرة)، لذنوبهم، (وأجر كبير)، قال: الجنة» (١).

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الاسراء:٩).

إن القرآن الكريم يهدي للحق والصواب والهدى والرشاد، ويدل على الأسَدّ والأحقّ، ويبشر المؤمنين المصدقين الصادقين، الذين برهنوا على تصديقهم بفعلهم الحسنات، وعملهم الطاعات، وتقربهم بما أمر الله، وترفعهم عما نهاهم عنه، بشرهم «بأن لَهُمْ أجْرًا من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات، (كَبيرا) يعني ثوابا عظيما، وجزاء جزيلا، وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضي عمله» (٢).

الثالث: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ ﴾ (فاطر:٦-٧).

«هذا بيان ما لموافقي الشيطان، وما لمخالفيه» (٣)، فموافقوه وحزبه الكافرون المكذبون الضالون، ولهم العذاب الشديد في سعير جهنم، ومخالفوه المؤمنون المصدقون المهتدون الذين يتقربون إلى الله بصالح الأعمال، ولهم غفران الذنوب، والنعيم المقيم في الجنة «وأجر كبير، وذلك الجنة» (٤).

الرابع: في قول الله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الحديد:٧).

هذه دعوة إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله، والتمسك به، والاستمرار عليه، ودعوة إلى عمل صالح من مقتضيات هذا الإيمان وأماراته ودلائله، وهو الإنفاق في سبيل الله من مال استُخلفتم فيه، فهو ملْك لله أولاً وآخرا، وهو في أيديكم وديعة مستردة، وعارية مؤداة، وهذا أدعى إلى استجابة الدعوة، وتحفيز لتلبيتها، وإقناع للنفس المتعلقة بحب المال أن تجود به في سبيل الله قبل أن تخلفه لمن بعدها.

قال الحسن: «(مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) بوِرَاثَتِكُمْ إِيَّاهُ عَمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَمْوَالِكُمْ فِي الحَقِيقَةِ، وَمَا أَنْتُمْ فِيهَا إِلَّا بِمَنْزِلَةِ النُّوَّابِ وَالْوُكَلَاءِ، فَاغْتَنِمُوا الفُرْصَةَ فِيهَا بِإِقَامَةِ الحَقِّ قَبْلَ أَنْ تُزَالَ عَنْكُمْ إِلَى مَنْ بَعْدَكُمْ» (٥).

إن في هذا ما يجعل المال يهون لتسخو به النفوس التي أضاءها نور الحق، وغمرها فيض الهدى.

هذه دعوة.. فما ثمرة إجابتها؟ ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الحديد:٧) الذين استجابوا مؤمنين، ولَبُّوا مُنفقين، لهم أجر كبير «ثواب عظيم» (٦)، و«وهو الجنة» (٧).

الخامس: في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الملك:١٢).

إن الإيمان إذا تمكن في القلب، واستقر في الأعماق، تجلى في صاحبه مراقبة لعلام الغيوب، وارتقى في سلوكه إحسانا يجعله يعبد الله كأنه يراه، فيحذره ويتقيه ويخشاه، فلا يعصيه إن خلا بنفسه، وغاب عن أعين الناس؛ لأنه واثق أن الله مطلع عليه، يعلم السر والنجوى. إنها منزلة علية تلك التي يستوي فيها السر والعلن عند هؤلاء الذين ينعمون بحضرة الحق معهم أينما كانوا، ويستحضرون جلاله في كل حال، فلهم بهذا «عفو من الله عن ذنوبهم، وأجر كبير.. وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب جزيل» (٨).

إنهم يخشون ربهم «يخافونه بالغيب في غيبتهم عن أعين الناس، فيطيعونه سرا، فيكون علانية أولى (لهم مغفرة وأجر كبير) أي الجنة» (٩)، إنه أجر «لا يقادر قدره» (١٠).

وبعد... فهذا هو الأجر الكبير في القرآن الكريم في مواضعه الخمسة، وقد تجلى لنا من خلالها ما يلي:

١- جاء الأجر في المواضع الخمسة نكرة خصصت بالوصف، فـ «فخم الأجر بالتنكير، ووصف بالكبير» (١١) اختصاصا.

٢- المقصود بالأجر الكبير الجنة، عند كثير من المفسرين (١٢)، «وفسر



ابن جريج الأجر الكبير... في كل القرآن بالجنة» (١٣)، ومن ذهب إلى أنه ثواب عظيم أو ثواب جزيل، أو لا يُقدّر قدره، فليس هناك أعظم ولا أجزل ولا ما لا يقدر قدره من الجنة «فيقتضي الفوز بالثواب» (١٤).

٣- لماذا وُصف الأجر بأنه كبير؟ «وصف الأجر بقوله (كبير) لما احتوى عليه من النعيم السرمدي، ورفع التكاليف، والأمن من العذاب، ورضا الله عنهم، والنظر إلى وجهه الكريم» (١٥)، إنها نعم كبيرة حواها أجر كبير.

٤- جاء الأجر الكبير مرفوعا في أربعة مواضع، وجاء منصوبا في موضع واحد اسما؛ لأن في آية الإسراء، تأكيدا حيث بشر القرآن المؤمنين الذين يعملون الصالحات بهذا الأجر الكبير، فإيمانهم كامل؛ لأن عمل الصالحات «قَيْدٌ فِي الإِيمَانِ الكَامِلِ إِذِ العَمَلُ هُوَ كَمَالُ الإِيمَانِ، نَبَّهَ عَلَى الحَالَةِ الكَامِلَةِ لِيَتَحَلَّى بِهَا المُؤْمِنُ» (١٦)، وفي ذلك تحفيز لعمل الصالحات والمداومة عليها، وإشادة بمنزلة المؤمنين الصادقين الصالحين.

٥- قُرن بين المغفرة والأجر الكبير في ثلاثة مواضع (الموضع الأول: هود، والموضع الثاني: فاطر، والموضع الثالث: الملك)، وبالتأمل في سياق كل موضع من هذه المواضع، يتجلى أن في ذكر المغفرة تعريضا بمن اقترفوا من الآثام ما يجعلهم في حاجة إلى تلك المغفرة التي حُرموها بابتعادهم عن منهج الحق يأسا وكفرا وبطرا وجحودا في آية هود، أو كفرا واتباعا للشيطان كما في آيات فاطر، أو صمما عن الحق وغفلة واعترافا بذلك من أصحاب السعير، كما في سياق آية الملك ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:١٠-١١) إن هذا البعد حرمهم من المغفرة التي يتمتع بها أصحاب الأجر الكبير.

٦- في تقديم المغفرة على الأجر الكبير في هذه المواضع الثلاثة تخلية قبل التحلية، فهم أطهار خُلُّوا من الذنوب، أبرار حُلُّوا بالأجر الكبير.

٧- الأعمال المستوجبة للأجر الكبير، تدور في فلكين: عام، وهو الإيمان بالله وما يؤكد كماله من العمل الصالح، وما يقتضيه من خشية الله بالغيب، وما يورثه من استحضار المراقبة والخوف. مؤهلات كبيرة لأجر كبير، هو الجنة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٣٢). وخاص: هو الصبر والإنفاق، وكلاهما ميدان عملي لصدق الإيمان ورسوخه وتمكنه من القلب، فإذا الصابر في رضاه ووقاره وثباته يتلقى الشدة كما يتلقى الرخاء، فإذا الصبر والشكر جناحاه، يحلق بهما في آفاق إيمانية عالية.

وترى المنفق وقد هان عنده ما تعلق النفس به من مال، وتحرص عليه من متاع يجود في سخاء، ويتصدق في بذل؛ ابتغاء مرضاة الله رب العالمين، فإذا الإيمان سلوك يطبق جلال دعوته، بما يبني المجتمع ويقوي روابطه، ويدعم أواصره.

إن الصبر والإنفاق كلاهما جهاد للنفس، وكبح لجماحها، ونصر على هواها، فتقوى عند البلاء ولا تخور، وتجود بما آتاها الله من فضله لا تبخل... وإن الأجر لكبير. إن الأجر.. الجنة ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق:٣٥).

٨- للصبر مكانة كبيرة، وفضل عظيم، فقد وقع موقع الإيمان في الموضع الأول في سورة هود ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ حيث إن جملة (عملوا الصالحات) تُعطف دائما في القرآن الكريم على الذين آمنوا، وهنا عُطفت على الذين صبروا، فالصابرون مؤمنون صادقون.

٩- (الذين صبروا وعملوا الصالحات) ذوو مكانة خاصة دل عليها الاستثناء من حالتي اليأس والبطر، هذا الاستثناء أبرز معدنهم الأصيل الذي خالف النوازع النفسية في (الإنسان) جهادا ومثابرة، وخصهم بما اعتصموا به من صبر وشكر، كان لهم بهما المغفرة والأجر الكبير ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود:١١)، كما دل على هذه المكانة أيضا الإشارة إليهم، إشادة بهم ولفتا إليهم وتنويها بفضلهم (أولئك) فلم يقل (لهم مغفرة) وإنما جاء اسم الإشارة هنا (أولئك) لينبه إلى سموهم، إشارة تمييز وتفضيل واختصاص.

رزقنا الله الأجر الكبير.. مؤمنين.. صالحين.. صابرين.. منفقين.

الهوامش

١- جامع البيان للطبري ٧،٦/١٢.
٢- السابق ٣٧/١٥.
٣- تفسير الجلالين ٥٧٢.
٤- جامع البيان ٧٨/٢٢.
٥- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٥٥/١٧.
٦- جامع البيان ١٢٥/٢٧.
٧- الجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٧،
٨- جامع البيان ٥/٢٩. ويراجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٧/٤.
٩- الجلالين ٢٥٧.
١٠- روح المعاني للألوسي ٢٠/٢٩.
١١- السابق ٢٢٧/٢٧.
١٢- كالطبري في جامع البيان ٧/١٢، ٣٧/١٥، ٧٨/٢٢، والقرطبي في الجامع ١٤٧/١٠، ٢٠٧/١٤، ١٥٥/١٧، وأبي حيان في البحر المحيط ٢٠٦/٥، و١٣/٦، والجلالين ٢٨٥، ٣٥٧.
١٣- روح المعاني ٣٢/١٥.
١٤- البحر المحيط ٢٠٦/٥.
١٥- السابق نفسه.
١٦- السابق ١٣/٦.

القاهرة: هبة محمد
محمد أبوالفتوح

د. الجعفراوي لـ «الوعي الإسلامي»:

الإرهاب صناعة غير إسلامية



ظاهرة الإسلاموفوبيا ظهرت في الغرب قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأميركية، وذلك بسبب ما تتضمنه مناهج التعليم في الدول الأوروبية عن الإسلام، والهجمة الشرسة في وسائل الإعلام ضد الإسلام.. هكذا بدأ الدكتور صلاح الجعفراوي، الخبير في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، والأمين العام المساعد لمنظمة المؤتمر الإسلامي الأوروبي، حديثه لـ «الوعي الإسلامي» عن أسباب تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا، ورؤيته لتأثر المسلمين المقيمين في أوروبا بها، وما مدى تأثير الهجمات الإرهابية التي يتبناها المتطرفون الذين يدعون الإسلام؟ وفي هذا الصدد يرى د. الجعفراوي في حديثه لـ «الوعي الإسلامي» أن تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا، أدى إلى اتهام الإسلام بالإرهاب وأعمال العنف والتطرف والنزعة العنصرية ضد العرب والمسلمين في أنحاء شتى من العالم، على الرغم من أن الإرهاب صناعة غير إسلامية، وأن الإسلام جاء بعقوبات مشددة ضد مرتكبي أعمال العنف والإرهاب؛ لكي يحفظ الأمن للإنسانية جمعاء. وفي الحديث التالي نتعرف على المزيد من آرائه:

• بداية، شهدت السنوات الأخيرة تناميا لظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب، نرجو منكم بيان أسباب انتشار هذه الظاهرة، وكيفية مواجهتها؟

- ظاهرة الإسلاموفوبيا ظهرت في العالم الغربي قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأميركية، وذلك بسبب ما تتضمنه مناهج التعليم الأوروبية عن الإسلام من معلومات مغلوطة لا تعكس الصورة الحقيقية للإسلام وموقفه من الآخر.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الهجمة الشرسة في وسائل الإعلام ضد الإسلام والمسلمين، واتهامهم بالتعصب وكراهية الغرب والسعي إلى تدمير حضارته. وبالتالي، فإن مواجهة هذه الظاهرة تتطلب منا اتباع أسلوب وطرق متعددة للرد على هذه الاتهامات وتفنيدها، وهذا العمل ليس جهدا فرديا، ولكنه يجب أن يكون عملا جماعيا، فهناك جهود تبذل هنا وهناك لتصحيح صورة الإسلام في الغرب، وهذه الجهود نباركها ونؤيدها، لكنها ليست كافية. أيضا نجد أن الحملة الإعلامية المتنامية للنيل من الإسلام والذين ينتسبون إليه، وإظهار أن الإسلام دين القتل والإرهاب، وقد ساعد في تأكيد هذه الصورة ما تتناوله وكالات الأنباء والإنترنت لبعض الحوادث التي تقع في بعض البلدان العربية والإسلامية، من دون الإشارة إلى أسباب ودوافع هذه الأحداث وكيفية تجنبها.. كما أن العديد من وسائل الإعلام العربية والإسلامية لا ترقى إلى المستوى المطلوب، بل إن البعض أصبح يردد تلقائيا ما تذكره وسائل الإعلام الأخرى من دون التدقيق في المصدر، أو معرفة أبعاد نشر التقرير أو الخبر، هذا بالإضافة إلى عدم الاهتمام بتأسيس مؤسسات إعلامية تستطيع مواكبة الأحداث والتعاطي والتخاطب مع الإعلام الأوروبي، الذي استطاع أن يسلب عقول الكثيرين، فأصبحوا كالببغاء يرددون ما يسمعون من دون البحث والتدقيق، كما أن الواقع السياسي المؤلم للدول العربية والإسلامية ينعكس بدوره سلبيا على وضع الأقلية ونظرة المجتمع الأوروبي إليها، ويسهم، وبشكل كبير، في تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا.

• ما مدى تأثر المسلمين المقيمين في أوروبا بالإسلاموفوبيا؟

- بالطبع يتأثرون، فهناك قوانين تصدر في بعض الدول تحد من حرية المسلمين، ومن انتشار الإسلام، وتضيق على المسلمين في ممارسة شعائرهم، وغير ذلك من قيود لا تفي بحقوق المواطنة للمواطنين المسلمين في تلك الدول.

• ما مدى تأثير الهجمات الإرهابية التي يتبناها المتطرفون الذين يرفعون شعار الإسلام على المسلمين المقيمين في الغرب؟

- لاشك أن الأعمال الإرهابية، التي يرتكبها متطرفون خلف ستار الدين، سواء في العالم الإسلامي أو الغربي، قد أسهمت كثيرا في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ورسخت مفهوم أن المسلمين أعداء للحضارة الغربية، وهذا ينعكس بدوره سلبيا على وضع الأقلية المسلمة ونظرة المجتمع الغربي إليها، فمثلا نجد الحملات الأمنية المتتالية على المؤسسات الإسلامية بحق أو بغير حق، وهذا أوجد وضعا من القلق والاضطراب، هذا فضلا عن التضييق على المسلمين عبر القوانين التي سنت حديثا وتحد من حريتهم الشخصية، كمنع الحجاب في بعض الدول وقوانين الزواج وغيرها، وكذلك تجفيف منابع الدعم للنشاط الثقافي والاجتماعي والخيري للمؤسسات الإسلامية؛ بحجة تجفيف منابع الإرهاب.

• البعض يوجه الاتهامات إلى المراكز الإسلامية في الغرب بأنها سبب في تفريخ الإرهاب؟

- مستحيل أن يخرج من المراكز الإسلامية في الغرب إرهابي واحد؛ لأن القائمين على أمر هذه المراكز من العقلاء، وغالبا ما يكونون من أبناء الجيل الثالث من المسلمين الذين نشأوا في الغرب، وهم من الذين يعرفون الثقافة الغربية جيدا، كما أن المراكز الإسلامية في الغرب تخضع لرقابة وزارات الداخلية والمالية وتعمل في النور.

• برأيك هل هناك أطراف تسعى إلى إفساد العلاقة بين المسلمين والغرب والعمل على إيقاع الفتنة؟

- نعم، هناك جهات تعمل على إفساد العلاقة بين المسلمين والغرب وتغذية العداوة، وإثبات أن الإسلام هو العدو البديل بعد سقوط الشيوعية، بدليل أن الجماعات الإرهابية المسيحية، مثل حركة الجيش الجمهوري الإيرلندي في بريطانيا ومنظمة إيتا في إيطاليا وغيرهما، وما تمارسه إسرائيل من إرهاب وحشي ليلا ونهارا ضد الفلسطينيين، وما حدث في منطقة البلقان، وتحديدا ما كان يسمى في السابق بالاتحاد اليوغوسلافي، حيث تم ذبح ثمانية آلاف بوسني مسلم عام ١٩٩٥م في مدينة سربرنيتشا على يد الصرب على مرأى ومسمع العالم كله، وانتقلت المجازر الوحشية إلى إقليم كوسوفا، حيث طالب المسلمون من أصل ألباني بحكم ذاتي لإقليمهم، فلماذا لم يوصف دين من ارتكبوا ومازالوا يرتكبون هذه الأعمال الوحشية بالإرهاب؟ ولكن عندما يرتكب قلة من الخارجين عن الإسلام أعمالا تتنافى مع خلق الإسلام وتعاليمه يرمون الإسلام بالإرهاب!

• برأيك ما الأسباب الحقيقية التي أدت إلى التطرف والإرهاب، وهل هي أسباب دينية أم سياسية أم اقتصادية؟

- البحث في أسباب الإرهاب ودوافعه، يطرح العديد من التساؤلات، أهمها: هل السبب هو التطرف الديني؟ أم غطرسة الدول الكبرى في تعاملها مع قضايا بلداننا العربية والإسلامية؟ أم بسبب تدخلها في الشؤون الداخلية لهذه الدول؟ أم السبب هو الفقر؟ ومهما يكن من أمر، فإن البعض يرى أن التطرف الديني يعد سببا من أسباب الإرهاب، بالإضافة إلى تدهور الأحوال المعيشية، والاضطرابات الداخلية، وقصور برامج التنمية، وتراجع معدلات أداء الاقتصاد، وسوء إدارة الموارد المتاحة في كثير من البلدان العربية والإسلامية، وما ترتب على ذلك من ارتفاع معدلات البطالة وانتشار الفقر، والإهمال في أداء الخدمات الأساسية للمواطنين في تلك الدول، وضعف المؤسسات الدينية والتعليمية والتربوية وأجهزة الإعلام في القيام بدورها في التربية والإصلاح والتهذيب، وقصور الخطاب الديني في علاج القضايا الحياتية. أيضا فإن المتأمل في ظاهرة الإرهاب المعاصرة وظروف تكوينها منذ الثمانينات من القرن الماضي، يدرك جليا أن أعداء العروبة والإسلام قد قاموا بدور كبير في تشجيع هذه الظاهرة ورعايتها وتهيئة المناخات الملائمة لها ومساعدتها بكل ما يلزم، وذلك لأهداف ومصالح متعددة سياسية أو غيرها. ولم يعد خافيا أن هناك دوائر خاصة مهمتها العمل على تهيئة مناخات التطرف وإدارة اللعبة، وتجند الأموال الطائلة ووسائل الإعلام وأجهزة الاستخبارات لهذا الغرض. لذا، فمن السذاجة بمكان إغفال هذا العامل ودوره الأساسي في دراسة ظاهرة الإرهاب ومعرفة سبل علاجها.

• قلتم إن من أسباب انتشار الأفكار المتطرفة، قصور الخطاب الديني في علاج قضايا المجتمع، كيف يمكن تفعيل دور الخطاب الديني في مواجهة التطرف والإرهاب؟

- لاشك أن شيوع العشوائيات والخطاب الفوضوي من الجماعات الإرهابية جعل الخطاب الديني صادما دمويا، فلابد أن يتواكب الخطاب الديني مع معطيات العلم والعصر حتى يستقيم مع لغة العصر وسياقه، ويبتعد بأبنائنا عن الأفكار الشاذة التي تدعو إليها الجماعات الإرهابية، فتحولهم إلى معاول هدم في جسد الأمة، فلابد أن يوجه الخطاب الديني من أجل تصحيح ما هو خطأ من صورة وفكر، وأن يوجه نحو البناء والإصلاح في الفكر والرؤية الصحيحة وتصحيح المفاهيم بعيدا عن العنف وأعمال الإرهاب التي ترتكبها الجماعات الإرهابية.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

لأننا مسلمون



لم يكد يمضي بضعة أشهر على مُحمّد وعائلته في ألمانيا بعد أن انتقل إلى العمل هناك حتى افتقد الجميعُ وطنهم وبيئتهم السمحة الجميلة ببساطتها؛ حيث الوجوه المبتسمة تعانق العيون كل صباح، والجار يدق على جاره وهو يحمل بين يديه صينية طعام تصاحبها ابتسامة خجلة، ما معناه: «اقبل ما لديّ على بساطته»، حيث المآذن تصدح خمس مرات في اليوم بصوت شجي يلامس شغاف القلب، يتقاطر على إثره المصلون إلى المساجد يلبون النداء، يتصافحون ويسألون ويتبسمون في وجوه الغرباء دون تكلف.

افتقدوا للبساطة في العطاء والحب والتعامل، نعم في أوروبا كل شيء يخلب الألباب ببريقه وروعة إتقانه وصنعه، الطوابير منتظمة، والمباني والطرقات تبرق نظافة وبهاء، الجميع يعملون بجد واجتهاد؛ لكن ما إن يتشبع المرء بهذا البريق الجميل وهذا الصنع المتقن حتى يُصدم ببرودة تسري في أوصاله، ليست برودة الثلج المتساقط في الشتاء فقط، بل برودة أهل البلاد غير المبالين بمن حولهم، وكأن كل واحد منهم يعيش في عالم منفصل لا

يكاد يشعر بمن وبما حوله، وهنا يبدأ القادم من بيئة عربية مسلمة بافتقاد الجوهر، الدفء، الإنسان والإنسانية التي عاشها وعاشت فيه منذ نعومة أظفاره، استقاها من القرآن الكريم وسنة الحبيب المصطفى ﷺ، القيم التي اكتسبها في البيت والحي والجامع والمدرسة وحتى العمل، فنحن شعوب رغم بساطتنا لكننا تغذينا على القيم والأخلاق منذ أن وعينا على الدنيا.

هكذا بدأ محمد وعائلته بالتأقلم في البيئة الجديدة محاولاً قدر الإمكان التشبث بأطايب دين الإسلام الحنيف، وخُلق النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام التي تعلمها منذ صغره، جاهد كثيرًا حتى لا تصيبه لوثة اللامبالاة والقسوة التي فُطِر عليها أهل هذه البلاد، متجاهلاً الصورة المغلوطة التي كونوها عن المسلمين والإسلام التي حاول الإعلام الغربي جاهدًا ربطها بصور العنف والدماء ظلمًا وعدوانًا رغم أن ديننا دين إنسانية ورحمة.

ذات صباح، وبينما هو يغادر شقته متوجها للعمل، بادره عامل صيانة المصعد بابتسامة مرتبكة وهو يقول: «عذرًا سيدي على الإزعاج، لدينا عطل في المصعد، سنحاول إصلاحه في أسرع وقت ممكن، يمكنكم استخدام الدرج لذلك الحين».

«لا عليك خذ وقتك»، وأكمل: «اسمي محمد، هل تحتاجني في شيء قبل أن أذهب إلى العمل؟!».

هز رأسه نفيًا وهو يشكره، ذهب محمد تاركًا العامل وسط نظرة ذهول من الرجل ذي السنحة العربية وبلحيته الخفيفة، مقارنًا بين صورته التي تكونت لديه عن العرب والمسلمين وبين هذا الرجل الطيب الذي عوضًا عن التذمر بأنه سينزل على الدرج من الدور العاشر يعرض عليه المساعدة، هز كتفه وعاد إلى عمله.

بعد ساعة من العمل المتواصل فُتحت شقة محمد، فانتظر الرجل أن يسمع كلمات توبيخ للتأخير بإصلاح المصعد والإزعاج غير المقبول أمام الشقة، عوضا عن ذلك تقدم نحوه ونحو زملائه صبي يحمل صينية عليها أكواب شاي، وضعها أمامهم وعاد سريعًا إلى أمه، ليعود مرة أخرى وهو يحمل صينية معجنات شرقية ساخنة، وضعها بجانب الشاي وأوشك على المغادرة؛ لكنه استوقفه متسائلًا: «ما هذا؟»...

«طعام لك ولرفاقك، والدتي تعتذر منكم، لم تكن تعلم أنكم قادمون لإصلاح المصعد وإلا أعدت لكم شيئًا أفضل»، قالها الصبي متلعثمًا!

تبادل العامل نظرات استغراب مع زملائه وهو يقول: «لكن لماذا؟!»...

رد الصبي ببراءة: «لا يوجد ما يدعو إلى الدهشة، فهكذا تعودنا في بلادنا؛ لا يأتي أحد لإصلاح شيء في دارنا إلا وأعددنا له شيئًا يأكله، فمن غير اللائق أن نترككم من دون طعام طوال هذا الوقت بينما نحن نستمتع بالطعام، أليس كذلك؟!»...

«ربما!»، قالها مستغربًا.

أوشك على العودة، لكنه توقف وقال للرجل: «لا تشغل نفسك بالأواني حين الانتهاء، اتركها بجانب الباب وسأعود أنا لآخذها لاحقًا»، حيّاه بابتسامة ودخل البيت.

ترك الجميع العمل وجلسوا ليستمتعوا بمذاق الشاي والمعجنات، وقبلها بمذاق الأسلوب الراقي الذي تم استقبالهم به من قبل الأسرة المسلمة في العمارة. لا أحد سواهم سألهم إن كانوا بحاجة إلى المساعدة، ولا أحد سواهم أهداهم الطعام الساخن والشاي، ولا أحد سواهم تبسم في وجوههم كما فعل الوالد وابنه.

«أتدري، ليسوا كما كنا نظن، أقصد المسلمين!»، قال مبادرًا لأصدقائه.

«معك حق»، رد صديقه وهو يرتشف الشاي الساخن.

أكمل الجميع الطعام وعادوا إلى عملهم، وقبل أن يغادروا حمل العامل أكواب الشاي والطبق وطرق باب شقة محمد ففتح له الصبي الباب، أعطاها إياه وهو يقول: «آمل أن تبلغ والدتك ووالدك مني ومن زملائي خالص شكرنا، أقسم أنكم أثّرتم فينا حقًا، أعملُ في إصلاح المصاعد منذ ١٥ عامًا ولم يعاملني أحد بمثل هذا اللطف والإحسان، بوركتم وبورك دينكم الذي صبغكم بهذه الأخلاق».

حين عاد محمد وحكا له ابنه ما حدث حمد الله تعالى أن بدأت جهوده وجهود عائلته لإزالة النظرة الخاطئة عن الإسلام تؤتي ثمارها؛ فقد وطّن نفسه أن يبقى كما هو لا يتأثر بما حوله، بل يكون هو المؤثر، ولا يجعل نظرات الريبة والشك في وجوه الآخرين تؤثر عليه، فما إن يخرج إلى عمله صباحًا حتى يتلقى الوجوه التي تمر عليه بابتسامة ندية رغم علامات التعجب والاستنكار التي ترتسم أحيانًا على وجوه الآخرين.

وهكذا كان في عمله وبين زملائه حتى عرفوه جميعا بمحمد ذي الروح الطيبة والابتسامة العذبة، يهب إلى مساعدة من يحتاجه دون انتظار شكر أو تقدير، وكلما قابلوه بتعصب أو نفور قابلهم بالحسنى والإيجابية النابعة من قلبه لا تلك المصطنعة.

آمن بأن العمل المنوط به ليس فقط إتقان عمله الإداري الذي جاء إليه وتعلمه في الجامعة؛ إنما صار منوطًا به العمل على إزالة هذه السبة التي التصقت بالمسلمين جزافًا، وهذه لا تحتاج إلى أي مجهود عدا أن يكون هو بأخلاقه الطيبة، ويتمسك قدر الإمكان بهدي الحبيب المصطفى ﷺ وتعاليمه السمحة.



محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

أعمارنا أعمالنا.. نظرة الإسلام إلى أوقاتنا!

لعل من الملاحظ في كتاب الله المجيد أن الله -تعالى وتقدس- يقسم في مواضع عدة بالزمان؛ بل هو يسمي بعض السور بأوقات معينة؛ يقول تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢﴾ (العصر:١ و٢)، ويقول: ﴿وَٱلْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾ (الفجر:١-٤)، ويقول: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ (الليل:١ و٢)، ويقول: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ (الضحى:١ و٢).. وهي في جلها قسم بالزمن، سواء بذاته أو بأجزائه؛ للتنبيه «على أنه آية كبرى من آيات الله، وعلى عظم نفعه ووجوب استغلاله، والإفادة من كل أجزائه» (١).

الزمن والفراغ في التصور الإسلامي

في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده قال: «خط النبي ﷺ خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (٢)، وفي رواية أنس رضي الله عنه فيما أخرجه البخاري أيضا في الباب ذاته قال: «خط النبي ﷺ خطوطا، فقال: هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك؛ إذ جاءه الخط الأقرب».

فهذا الحديث تنبيه من النبي ﷺ لأمته «على تقصير الأمل، واستشعار الأجل؛ خوف بغتة الأجل. ومن غيب عنه أجله، فهو حري بتوقعه وانتظاره؛ خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة» (٣).

ومن هنا، فقد كشف ﷺ في حديث آخر أن سؤالا لا غنى عنه من الأسئلة الأربعة الكبرى التي سيسأل عنها العبد يوم القيامة سيكون عن عمره، قال ﷺ: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسده فيما أبلاه» (٤).

لذا كان من اللافت أن نجد نبينا ﷺ يحض أصحابه على استغلال أعمارهم وأوقاتهم قبل حلول الموت، لقد نصح ﷺ ابن عمر رضي الله عنه فيما يرويه لتلميذه مجاهد، قال: «أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور. فقال لي (أي لمجاهد) ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبدالله ما اسمك غدا!» (٥).

وهو المعنى ذاته الذي نصح به ﷺ صحابي آخر من أصحابه، قائلا: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (٦). ففي هذا الحديث ذكر النبي ﷺ العمر مرتين، مرة في الشباب وهو القمة في الطاقة والنشاط، ومرة أخرى في وقت الفراغ عموما، حيث ضياع العمر فيما لا ينفع ولا يفيد يورث الندم لا محالة!

إن الإسلام ينفر من أولئك الذين يخلدون إلى الحياة بلا هدف، فتصبح أعمارهم عبثا لا قيمة لها، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ (المؤمنون:١١٥)، كما ينفر من أولئك الذين يوصدون على أنفسهم بحجة التعبد إلى الله في رهبانية ابتدعها الأقدمون؛ ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (الحديد:٢٧)، فالوسطية التي امتازت بها الأمة المسلمة تعني التوازن في كل شيء، وقمة هذا التوازن، فيما يتعلق بالعمر ووقت الفراغ، هو المبادرة إلى الأعمال الصالحات النافعات، حتى إذا لم يبق في العمر، بل الحياة الدنيا كلها، إلا رمقة أو نفس وجب على الإنسان استغلاله، ففي الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده ورواه من طريق أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (٧).

وإذا كان الإسلام يحض على العمل واستغلال العمر، ولو لهنيهة قبل انقضاء الأجل، فإن الفراغ الطويل في المقابل في نظر الإسلام نعمة عظيمة لا يستشعرها أغلب الناس، فنبينا ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٨). ولقد نقل الإمام القسطلاني (ت٩٢٣هـ) تعليق الإمام الكرماني (ت٧٨٦هـ) صاحب «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» تعليقه النفيس على ذلك الحديث الشريف بقوله: «فكأنه قال هذان الأمران إذا لم يستعملا فيما ينبغي، فقد غبن صاحبهما فيهما؛ أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته، أو ليس له رأي في ذلك ألبتة؛ فقد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا للعبادة لاشتغاله بالمعاش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ، وقصر في نيل الفضائل، فذلك الغبن كل الغبن؛ لأن الدنيا سوق الأرباح، ومزرعة للآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم» (٩).

نماذج مبهرة من تاريخنا

وفي تاريخنا نماذج مبهرة من علماء لم يكد الواحد منهم يضيع وقتا من عمره فيما لا ينفعه في عاجله وآجله، حتى صارت سيرهم نماذج تخلدها مصنفات التراجم والمناقب، فهذا الإمام المحدث الأصولي عبدالغني المقدسي، المتوفى في القرن السابع الهجري، من شدة حرصه على وقته وضع له الإمام الذهبي فصلا في سيرته؛ في حفظه لأوقاته قائلا: «كان لا يضيع شيئا من أوقاته بلا فائدة، كان يصلي الفجر، ويلقن القرآن، وربما قرأ شيئا من الحديث تلقينا، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاثمئة (!) ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر، وينام نومة ثم يصلي الظهر ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب، فإن كان صائما أفطر وإلا صلى من المغرب إلى العشاء، ثم يصلي العشاء وينام إلى نصف الليل أو بعده ثم قام كأن إنسانا يوقظه فيتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر، وربما توضأ سبع مرات أو ثمان في الليل. وقال: ما تطيب لي الصلاة إلا مادامت أعضائي رطبة ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر وهذا دأبه» (١٠).

بل إن بعضهم كان يستغرق في استغلال وقته في طلب العلم والمعرفة والإفادة، دون راحة، فلا يضطره إلى القعود إلا العذر الشديد الذي لا يملك له دفعا، وهذا الذي حدث مع الإمام الكبير أبي حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ) الذي يحكي عن نفسه في شبابه قائلا: «بقيت في البصرة ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أقيم بها سنة كاملة، لكن انقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي حتى نفدت وبقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، وانصرفت جائعا، فلما كان من الغد غدا علي فقال: مر بنا إلى المشايخ، قلت: أنا ضعيف لا يمكنني. قال: فما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئا. فقال: قد بقي معي دينار فنصفه لك ونجعل النصف الآخر في الكرى، فخرجنا من البصرة وأخذت منه نصف الدينار» (١١)!

هكذا نظر الإسلام إلى عمر الإنسان ووقته وفراغه، وهكذا فهمه سلفنا العظيم، وهي نظرة هدفها الأصيل استثماره واستغلاله فيما ينفع ويفيد؛ إذ العمر مقياسه في الآخرة الميزان، فمن كان عمره في الخير كان ميزانه خيرا وبشرى، والعكس بالعكس؛ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (الزلزلة:٧ و٨).

الهوامش

١- عبدالستار نوير: الوقت هو الحياة، ص١٤ و١٥.

٢- البخاري، تحقيق البغا: كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ٥/٢٣٥٩، ح٦٠٥٤.

٣- شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١٠/١٥٠، تحقيق ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية – الرياض، ٢٠٠٣م.

٤- مسند أبي يعلى، ١٣/٣٥١، ح٧٤٣٤.

٥- سنن الترمذي، ٤/٥٦٧، ح٢٣٣٣. وقال الألباني: صحيح.

٦- المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٤/٣٤١، ح٧٨٤٦. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٧- مسند أحمد، ٣/١٩١، ح١٣٠٠٤. وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٨- البخاري: كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ، (٦٠٤٩).

٩- القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المكتبة الكبرى الأميرية – مصر، ١٣٢٣هـ، ٩/٢٣٦.

١٠- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة – بيروت، ١٩٨٥م، ٢١/٤٥٢، ٤٥٣.

١١- الذهبي: السابق ١٣/٢٥٦.



مصعب ناصر:
دار الإعلام العربية- القاهرة

في العطلة.. ارتقِ بنفسك

أمة الإسلام لا تعرف «العطلة»؛ بل تهدف دائما إلى العمل والإنتاج وخدمة البشرية، وتحرص على وقتها أيما حرص. أمة منها الوزير ابن هبيرة (شيخ الإمام ابن الجوزي) الذي قال يوما: «والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيعُ»، ومنها حفصة بنت سيرين (التابعية الثقة الحجة) القائلة: «يا معشر الشباب اعملوا فإني رأيت العمل في الشباب هو القوة»، ومنها الحسن البصري التابعي الذي أدرك أقواما «كان أحدهم أشحّ على عمره منه على درهمه!»؛ أي كانوا يحرصون على الوقت أكثر من حرصهم على الدرهم والدينار. لذلك ما أحوجنا في ختام عام دراسي وبداية عطلة عن الدراسة النظامية تمتد عدة أشهر إلى أن نغتنم كل لحظة فيها لإنجاز كثير من الأعمال وتحصيل أكبر قدر من الفوائد، سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع ككل... مزيد من التفاصيل في ثنايا هذا التحقيق..

«الأصل في حياة أي مسلم العمل وليس التعطيل».. بهذه الكلمات بدأ حديثه د. سعيد بن ناصر الغامدي، مشرف وحدة البحث العلمي بكلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد بأبها سابقا، موضحا أن العطالة أخت البطالة، وتنتج الكساد والفساد، والنفس إن لم يشغلها الإنسان بالحق شغلته بالباطل.

وأضاف: يمكن أن نسمي التوقف عن الدراسة في بعض الأوقات «إجازة» يستجم فيها الإنسان بعد طول جهد وعمل؛ ومعنى ذلك أن يشغل وقته بأمر مريح نافع وليس بالتسكع وقتل الوقت وممارسة الكسل، فمما يؤسف

مجدي السيد: علموهم زيارة الفقراء والأيتام ليعلموا أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة

له أن هناك من لديهم الكسل أحلى من العسل، وهذا الصنف الذي يضيع أوقاته بلا فائدة تجده يتقلب في التراخي والترهل وإضاعة العمر فيما لا نفع فيه؛ حتى يصل بعضهم إلى درجة يريد الراحة من عناء الراحة.

وتابع الغامدي: لا شك أن هذا السلوك مضاد لهدي الإسلام الذي جعل الوقت أغلى من كل ثمن ووزنه أثقل من كل وزن؛ وذلك لسبب بسيط جدا: أن الوقت هو الحياة، وكلما ذهب يوم ذهب جزءٌ من حياة الإنسان واقترب إلى الأجل؛ فلا فكاك عند المسلم الحق بين الوقت والإفادة والاستفادة، وحتى وقت الاستجمام والنزهة هو وقت استفادة ممزوجة بالمتعة المباحة لتصقل النفس وتزيد من شحنها بالإيجاب المثمر.

أما كيفية الاستفادة فتعتمد على مدى احترام الإنسان لوقته (الذي هو عمره)، ومدى وعيه وعلو همته؛ هذه الأمور الثلاثة كلما اكتملت في إنسان



حقق أقصى استفادة من وقت الإجازة، وبمقدار نقصها يكون نقص الاستفادة، «وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا».. وهكذا ينبغي ممارسة الهوايات والميولات المباحة بعقلية المستبصر المستفيد وليس بعقلية الغافل البليد.

تحفيز وتطبيق

بينما يوضح د. جميل عباس، أستاذ الفلسفة المساعد بجامعة المنيا، أننا بحاجة دائمة إلى تذكير أبنائنا بالنماذج الناجحة والمشرفة أمامهم، وكيف وصلوا إلى ما هم فيه بالجد والاجتهاد والعمل والمثابرة، وكيف أن كل ذلك يتحقق بإخلاص النية لله في استثمار الوقت والعطلة، وبالجدية والتفاني في استغلال كل دقيقة بالقراءة والتثقيف ومتابعة أحوال الأمة، وبمراعاة عدم إهدار الوقت في كثرة النوم والتلفاز والوسائل التكنولوجية (فيسبوك وتويتر وغيرهما)، وأن السعادة الحقيقية في إتمام العمل على الوجه الذي يرضي الله عنا.

وأضاف: على الآباء أن يؤكدوا لأبنائهم أن الشباب أمل الأمة وسبيل نهضتها وعزتها، وأنهم الكنز الذي ينبغي أن نحافظ عليه بكل ما نملك، ويمنحوا لهم الفرصة للتجربة والتعلم من الخطأ بعد الوقوع فيه، ويستفيدوا من أفكارهم في بعض المشكلات التي تواجه الأسرة أو البيئة المحيطة وكيفية إيجاد حلول لها.

ولأن النفس البشرية تفتر وتمل من النصح باستمرار، يرى د. جميل أن على الآباء التماس وقت النصح والإرشاد؛ خاصة في السفر ووقت الترفيه، كما يمكن الاستعاضة عن ذلك بتذكيرهم بمساوئ الفشل والفاشلين، وإقناع الأولاد بتجنب خط سيرهم الذي سلكوه وكان سببا في فشلهم، وترغيبهم بالجوائز والهدايا إذا ما حققوا النجاح والتفوق في حياتهم؛ فمن السعادة شعور النفس بالفرح والبهجة حين يُكلل العمل بالتفوق والتميز وليس النجاح فحسب.

برامج أسرية للتفكر

في السياق ذاته، يؤكد مجدي السيد، متخصص في الأعمال التطوعية والشبابية، أن هناك العديد من المبادرات والمؤسسات التي تقوم بأنشطة تعلم الأطفال علوما وفنونا مختلفة؛ مثل نادي المخترع الصغير، والبيروني كيدز، وإنجينيوس، وإي روبوت وغيرها، أو ربما تختار أن تعلمهم رياضة ما (كالسباحة)، وإن كانوا في سن يسمح لهم بالعمل والتعلم من دروب الحياة وخبراتها فعليك بذلك.

ويضيف قائلا: اخترتُ أن أعرض أولادي كل عام إلى نشاط من الأنشطة؛ مرة رياضي كتنس الطاولة، ومرة فني كتعلم الخط العربي أو فنون الرسم على الزجاج وغيرها، ومرة علمي كالتعلم في مركز مهارتك، كذلك السفر لزيارة بلد أو مكان جديد وما يضيفه ذلك من خبرة جديدة للأهل والأطفال معا. أيضا زيارة المعالم المختلفة في إجازات نهاية الأسبوع مثلا.

وأبدى السيد أسفه لعدم وجود برامج تعلم الأهل والأولاد التفكر في خلق الله (كالفلك والنبات والحيوان) على سبيل المثال، أو التدبر في كتاب الله بطريقة محببة للجميع، داعيا من يستطيع تنظيم شيء كهذا منزليا فإنه يكون جيدا.

اكتشاف المواهب وتنميتها

بدورها، تقول د. دعاء راجح، الخبيرة الأسرية والاجتماعية: إن بناء الصحة النفسية لا بد أن يتم على مدار حياة الطفل وليس في فترة العطلة فقط، ويمكن أن ننتهز فرصة العطلة كي نتعلم كيف نبني الطفل والشاب نفسيا؛ لأن البناء النفسي ليس له وقت محدد، فربَّ ما نبنيه في العطلة نهدمه خلال العام الدراسي؛ لذا علينا استغلال أوقات الإجازة في اكتشاف مواهب الطفل الفطرية وتنميتها، وإن لم يتم اكتشافها بعد فعلينا بالتجربة وأن نمنحه الفرصة لممارسة أنشطة يحبها أو حتى أي أنشطة عامة، لنكتشف من خلالها ما يحبه وما لا يحوز اهتمامه؛ ومن ثم ندعم ما يحبه وننميه.

وتضيف: إن بناء الصحة النفسية يعتمد على عدة محاور؛ أولها غرس القيم والمبادئ وليس السلوك، وأن نتوقف عن قول: «افعل» و«لا تفعل»، وتوجيه السلوك فقط، وكذلك بناء الأساس الذي يقوم عليه السلوك، وغرس قيمة الاعتماد على النفس وتدريب الطفل على الاعتماد على ذاته في خدمة نفسه؛ بل والمساعدة أيضا في مهمات المنزل؛ فهذا الأمر يبني ثقته في نفسه وتقديره أنه أهل للنجاح والإنجاز. كذلك غرس قيمة الحرية المسؤولة، ومنحه المزيد من الحرية على حسب سنه، مع تحميله مسؤولية هذه الحرية؛ فهذه القيم تغرس في داخله الثقة بالنفس وترفع لديه التقدير الذاتي.

وثاني محاور بناء الصحة النفسية: معالجة أي مشاعر سلبية يشعر بها والتعرف على أسبابها؛ مثل مشاعر الغيرة أو السلبية أو العدوانية أو الغضب أو الحساسية، والتعامل معها بحكمة حتى يتعلم كيف يسيطر عليها.

وتوضح أن الطفل في المرحلة السنية قبل المدرسة يكون حافزه الرئيسي رضا والديه؛ فعندما يشعر أن أبويه يمدحانه وراضيان وسعيدان بإنجازه فهذا يعطيه الحافز للمزيد من الإنجاز. وفي مرحلة ما بعد الالتحاق بالمدرسة يصبح الحافز الرئيسي له «النجاح»، وكلما حقق نجاحا كان دافعه إلى الإنجاز أعلى؛ فنجاحه في أي مجال - سواء كان دراسيا أو رياضيا أو اجتماعيا أو لغويا أو غيره- سيعطيه الحافز لمزيد من النجاح.

وتلفِتُ د. دعاء إلى أن الاتهام الدائم بالكسل والانتقاد والسخرية والمقارنة بينه والآخرين واللوم والتذكير بالأخطاء يقتل الحافزية لديه. وقد يصاب هذا الابن أو الابنة بالكسل عندما لا يتحمس للنشاط الذي يؤديه ولا يحبه، أو في بعض الأحيان قد يكون كسولا بطبعه ويحتاج إلى فترات راحة أكبر؛ وهنا يأتي دور الآباء في تحفيزه وتشجيعه بفن ومهارة وليس بالقهر، والطفل لا يحتاج إلى الراحة إلا ساعات النوم المنتظمة التي تتناسب مع عمره؛ إذ يحمل قدرا كبيرا من النشاط الذي يجب توظيفه في أنشطة يتحمس لها ويحبها.

وترى الخبيرة الأسرية والاجتماعية أن المشكلة التي تواجه الأبناء الآن هي عدم إتاحة الفرصة لهم لتحقيق النجاح الذي يريدونه؛ ويكون ذلك عن طريق التقليل من قيمة نجاحهم أو بالخوف الزائد عليهم أو بعدم توجيههم بكيفية تحقيق هذا النجاح؛ ولذا تنصح الآباء بالتوقف عن فرض سيطرتهم على الأبناء، فأشد ما يفتقده الأطفال والأبناء اليوم «الحرية»، التي ينتزعها الآباء منهم بدعوى الخوف عليهم وحب السيطرة والرغبة في التطويع؛ ولذا عليهم أن يمنحوا أبناءهم المزيد من الحريات لعمل ما يريدون، مع توجيههم، وخلال ممارستهم الحرية -بلا شك- سيخطئون؛ وهنا يتعين علينا أن نعطيهم الحق في الخطأ؛ فهم أطفال يتعلمون من التجربة أكثر مما يتعلمون من الكلام.

كيف تتخلص من المخدرات؟

ولأنه في فترات الاختبارات والضغوط الدراسية يتعرض بعض الطلاب -بمساعدة رفقاء السوء- إلى تناول المواد المخدرة، ومن ثم قد تستمر معهم إلى أن تصل إلى حالات الإدمان في العطلات الدراسية؛ لذلك يوضِّح د. عبد الرحمن حماد، مدير وحدة طب الإدمان بمستشفى العباسية للصحة النفسية، أن التواصل الجيد بين الآباء والأبناء أساس العلاقات الأسرية السوية؛ حيث يساعد على حل المشكلات في وقت مبكّر، وتشمل مهارات التواصل الاستفهام وإظهار الاهتمام وعدم إلقاء اللوم واتهام الابن المدمن؛ فبدلا من قول: «كيف تفعل ذلك أو توقع نفسك في المخدرات؟» يفضل أن تقول: «يبدو أن الموقف الذي وُضعت فيه كان صعبا، ولم تستطع أن تتعامل بذكاء كما أنت معتاد!».

وأيضا يتم التواصل من خلال تشجيع التفكير المؤدي إلى حل المشكلات وأخذ رأي الابن في كيفية الوصول إلى الطريقة الفضلى للحل. كذلك الاستماع والمتابعة؛ إذ يشعر المراهق بالراحة عندما يعلم أنه سيتم الاستماع إليه بدلا من توجيه اللوم والتأنيب، وفضلا عن السب والشتم والضرب والطرد من المنزل. إضافة إلى الحد من الانفعالات؛ لأنه لن يؤدي إلى حل المشكلة، بل سيزيد من تعقيدها.

وثانية الوسائل التي ينصح بها حماد: «التشجيع»؛ فهو أساس بناء الثقة، ويساعد الأبناء على القيام بأنشطة جديدة والتعامل مع المهام الصعبة وتطوير صداقات إيجابية جديدة واستكشاف ملكاتهم الإبداعية وتعزيز الشعور بالذات. فيمكن للأب أن يشجع أبناءه بهذه الكلمات: «أنت لديك أفكار جيدة»، «أنت شخص مهم»، «أعلمُ أن هذا لم يكن سهلا»، «أنت ماهر جدا في ذلك»، «أنت تتعلم الكثير»، «تعجبني طريقتك في القيام بذلك».



د. جميل عباس: حفزوا أبناءكم على تنشيط الذهن والتفكير بتطبيق ما درسوه نظريا

أما ثالثة الوسائل فهي: «التفاوض» والإعداد للنجاح؛ ما يتطلب تحديد مواعيد مناسبة ومنتظمة بعيدة عن اللحظات الانفعالية أو بعيدا عن المشكلة، واختيار مكان محايد فيه أقل قدر من عوامل التشتيت، واختيار



د. دعاء راجح: عززوا الصحة النفسية لأبنائكم واكتشفوا مواهبهم ونموها وقوِّموا أخطاءهم

مشكلات صغيرة ومحددة ووضع المشكلة بطريقة محايدة والاعتراف بسلوك الآخر الإيجابي وكذلك الاعتراف بأن مسؤوليتك جزء من المشكلة، ثم بحث خطوات حل المشكلة عن طريق العصف الذهني وتقبل الأفكار وتقيمها ووضع قائمة بإيجابيات وسلبيات كل فكرة؛ ثم اختيار الحل بموافقة جماعية من أفراده.

وتأتي الوسيلة الرابعة متابعة النتائج بعد تطبيق الحل الذي تم التوصل إليه، وبحث الحلول الأخرى.

وخامسا: الرقابة الفعالة خلال مرحلة الطفولة؛ من خلال معرفة جداوله والتواصل معه في أوقات مختلفة ومفجأته باتصال أو بزيارة في المكان الذي يذهب إليه، أو حتى مع نفسه في المنزل.

كما يتعين على الأب معرفة أصدقاء أبنائه، في الحي أو المدرسة أو التدريب، والمشاركة في أنشطته والتحدث مع الابن في حالة القلق بخصوص شيء ما. ويمكن للأب مساعدة ابنه في التعامل مع تأثير الأقران من خلال اقتراح الإيجابيات عليه وأن يتعلم كيف يتصرف إن تعرض لضغوطات من أصدقاء السوء؛ مثلا أن يعطي أسبابا للرفض كلما تعرض إلى الضغط وأن يتساءل: «لماذا تريدني أن أتعاطى معك؟ هل تعلم عاقبة هذا الأمر؟»، وكذلك: «لماذا تريدني أن أتناول المخدرات؟!»، وأنا يعلنها بوضوح كلما تعرض إلى ضغوط: «أنا لن أتعاطى المخدرات ولن أتعرض إليها أبدا».

كما يمكن للأب التقليل من تأثير الأقران من خلال مشاركة الابن في أنشطته، والقراءة معه وسرد القصص الشيقة الناجحة، وتشجيع اهتماماته مثل الرسم والرياضة، وكذلك مساعدته للمشاركة في الأنشطة العائلية والمنزلية. وكل هذه العوامل إذا تعاون معها الآباء وأحسنوا استغلالها خلال فترات العطلات ستقلل كثيرا من اتجاه الأبناء إلى تعاطي المخدرات.

ترفيه وتطوير الذات

يقول د. محمد علي الجزولي، مشرف مخيمات المعالي الصيفية للتدريب القيادي: إن استرواح النفس وتسليتها وإخراجها من الحالة الجادة إلى حالة الاسترخاء مسألة ضرورية، ومن أعظم التوجيهات النبوية في هذا المجال: «خذوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا»، فإذا كانت النفس تمل من العبادة فكيف بما هو دونها من الأعمال؟! وفي تعليم العلوم الشرعية، التي هي أفضل العلوم، ومن أفضل معلم وهو الرسول ﷺ، كان يعطي أصحابه عطلة؛ فيتخللها بالموعظة مخافة السآمة عليهم، والحاصل أن العطلة للطلاب مسألة ضرورية.

ولذا؛ يجب أن نجعل العطلة محطة لتنمية المواهب والترفيه والبرامج التدريبية المتعلقة بتطوير الذات في قوالب جاذبة وبأساليب شيقة، كما أنصح مراكز تحفيظ القرآن في العطلات السنوية أن يجعلوا بيئتها جاذبة، وأن تتضمن برامج مصاحبة كألعاب ترفيهية ومسابقات وإنشاد ومهارات إبداعية؛ حتى لا نحوّل الإجازات إلى فصول دراسية جديدة كلها جدية وبرامج رسمية. وأنصح أولياء الأمور بعدم جعل الإجازة كلها استعدادا للعام الدراسي الجديد؛ فالإجازة فرصة عظيمة لاجتماع الأسرة الممتدة وتعرف الأبناء على عادات وتقاليد مجتمعاتهم، وتعرف الآباء عن قرب إلى أبنائهم وسلوكياتهم ومهاراتهم.

وتابع قائلا: لابد من تربية أبنائنا على حب الإنتاج والتطوير والإنجاز، وأن تكون لكل منهم بصمة في بيئته وحياته، من خلال عدة أمور؛ مثلا تحديد يوم في الشهر «حصاد الشهر» لتقييم أداء الأبناء وإنجازاتهم في عدة مجالات، مثل: محافظتهم على العبادات، مساعدة والدتهم في عمل البيت، تحصيلهم الأكاديمي، مطالعتهم العامة وسعة الثقافة، مهارات رياضية أو أدبية أو يدوية أو ذهنية، حضورهم الاجتماعي في دائرة الجيران والأسرة الكبيرة الممتدة، مقترحاتهم ومبادراتهم؛ وربط ذلك بجائزة شهرية للإنجاز المثالي والشخص المثالي وتكريمه تكريما لائقا، على أن يتم إشهار ذلك وتعرف به الجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وإن تطلب الأمر الجيران، ونشر تهنئة في وسيلة ما، وعلى الآباء الحوار مع الأبناء ومشاورتهم في كل شيء؛ فذلك من أكثر الأساليب في تربية أبنائنا على التفكير والاختيار.



محمد شعبان
صحفي مصري

عطلة سعيدة

الباحث في تراث الإسلام لا يجد شيئا عن العطلة من العمل، فالإنجاز جزء أصيل من حياة المسلمين، حتى يوم الجمعة الذي يعد يوم عطلة رسميا في غالبية الدول الإسلامية، نجد أن القرآن الكريم حين تحدث عن صلاة الجمعة أعقب الحديث عنها عن العمل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ (الجمعة:٩ و١٠)، ذلك أن النظام الأمثل في الإسلام هو ألا يكون العمل يشغل غالب يوم الإنسان، فكثير من الناس يعمل منذ الصباح حتى الليل، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١﴾ (النبأ:١٠ و١١)، فعظمة الإسلام جاءت لتجعل للإنسان نظاما في الحياة، فيوم المسلم -على أقل تقدير- يبدأ من صلاة الفجر، ثم يجلس للذكر حتى شروق الشمس، ثم إن لم يكن صائما يفطر، ثم يذهب إلى عمله، وغاية العمل أنه ينتهي قبيل المغرب، وهي المدة التي أبان الشارع أنها للسعي، ولا يعني ذلك أنها مدة محددة لا يجوز تجاوزها، فيجوز أن تكون أقل من ذلك، ويجوز أن تكون أكثر من ذلك، فيحل للناس أن يعملوا ليلا وفق الظروف والحاجات، لكن الصورة المثلى أن يكون النهار للعمل، والليل للراحة والعبادة.

ومع تطور الحياة المدنية، وإيجاد قوانين في كل دولة تنظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل، نص في غالب القوانين أن يمنح الموظف في كل المؤسسات العامة والخاصة مدة إجازة، تكون في الغالب شهرا ويزيد قليلا وفق سنوات الخدمة مما تنص عليه اللوائح، وغالبا ما يستعملها الأشخاص في السفر، سواء أكان سفرا داخل البلد، أم خارجه. ومن هنا كان تعلق الإجازة بالسفر تعلقا لصيقا.. فكيف يفكر المسلم في الاستفادة من عطلته؟ وكيف يستفيد منها؟

وهذه بعض النصائح من الاستفادة من العطلة:

أولا - لا راحة في المعصية

ارتبط في أذهان كثير من المسلمين -للأسف- أن العطلة هي مجال لمعصية الله تعالى، وأن العطلة فرصة للتخلي عن الواجبات وارتكاب المحرمات، فيكثر الاختلاط المحرم، وتتبرج المحجبات، وتترك الصلوات أو يجمع بينها بعد خروج وقتها. وقد أخطأ أولئك في فهم أن العطلة والاستراحة إنما هي لمعصية الرحمن وطاعة الشيطان، فإن القرآن يقرر أن الاستمتاع بمتع الحياة الدنيا هي للمؤمنين في الدنيا يشاركهم فيها غيرهم، وهي لهم خاصة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٢)، فللمسلمين أن يستمتعوا بالحياة في غير معصية، فيمكن للإنسان أن يستمتع بأي شيء يريد، لكن دون أن تصحبه المعصية، فله أن يسبح، وله أن يتنزه، وله أن يسافر، وله أن يشتري، وله فعل كل ما يريد، كل ما هنالك ألا تصحب ذلك معصية.

ثانيا - المحافظة على الفرائض

وفي الاستجمام والاسترواح يراعي المسلم المحافظة على الصلوات في أوقاتها، فالعطلة ليست عطلة عن أداء الطاعات والواجبات، بل تكون أدعى للمحافظة أكثر على الفرائض، خصوصا الصلاة، وأنه إن كان المرء ينشغل -أحيانا- عن أداء الصلوات في أول الوقت لظروف العمل ونحوه، ففي العطلة فسحة أكبر من أن يجدد المرء العهد مع الله تعالى في المحافظة على الصلوات جماعة في المسجد، ويحافظ على الصف الأول، وأن يستفيد من عطلته في حسن صلته بربه سبحانه وتعالى.

ثالثا - وضع أهداف في العطلة

من الأفضل أن يفكر المسلم في وضع أهداف له في عطلته يسعى إلى تحقيقها، وأن تكون هذه الأهداف أهدافا متنوعة، منها ما يتعلق بحسن صلته بربه، وأن يراجع علاقته مع الله تعالى، فيزيد من إيمانه بالطاعات من العبادات وعمل الخير وعون الغير، أو ما تعلق بغيره من صلة الرحم وزيارة الأهل والأقارب، والتواصل مع الأصدقاء الذين هجرهم، وأن يعيد وصل ما انقطع مما كان موجودا في القديم، فيدخل البهجة في قلوبهم بزياراته لهم، أو ما كان يتعلق بالجانب الثقافي والفكري، فيحدد لنفسه بعض الكتب أو الروايات النافعة التي يمكن أن يستفيد منها، خصوصا ما يتعلق بالجانب الديني، أو الجانب التنموي، أو الجانب النفسي، أو الجانب المهاري.

رابعا - الترويح عن النفس

ومن أهم مقاصد قضاء العطلة الترويح عن النفس، وهو من مباحات الشريعة، ويشهد له ما أخرجه مسلم في صحيحه: فعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه، قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه؛ فقال: «كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين؛ فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات؛ فنسينا كثيرا.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر رضي الله عنه حتى دخلنا على رسول الله ﷺ؛ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟! قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين؛ فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده! إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة؛ ساعة وساعة (ثلاث مرات)».

وكذلك يشهد له ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث عائشة -رضي الله عنها- في قصة لعب الحبشة في المسجد يوم العيد أن النبي ﷺ قال: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة». فالترويح عن النفس فطرة إنسانية، ولهذا ذكرها الله تعالى في قصة إخوة يوسف حين قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (يوسف:١٢).

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «يقصد منه الاستجمام ودفع السآمة، وهو مباح في كافة الشرائع إذا لم يصر دأبا» (التحرير والتنوير، ١٢/٣٩).

وقد قيل: إني لاستجم قلبي بشيء من اللهو (أي المباح) لأقوى به على الحق.

والترويح عن النفس يختلف من شخص لآخر، فيلبي الإنسان حاجته من الترويح عن النفس، فبعض الناس يميلون إلى الخضرة وجمال الطبيعة، ويجدون استجمامهم فيها، وبعضهم يجدونه في الماء حيث البحار والأنهار والمحيطات، ومنهم من يجده في ممازحة زوجته وأبنائه، ويختلف كل شخص عن آخر في طريقة ترويحه عن نفسه.

خامسا - اختيار رفقة العطلة

من معايير نجاح أي تخطيط لقضاء عطلة موفقة أن يختار الإنسان رفقته في عطلته، فالإنسان اجتماعي بطبعه يتأثر بمن معه ومن حوله ويؤثر فيه، وحتى يقضي الإنسان عطلة مفيدة له، عليه أن يتخير رفقته في هذه العطلة الذين يعينونه على قضاء عطلته بأبهى صورة، فرفقته يعينونه على نوائب الدهر ويخففون عنه متاعب الحياة، ولهذا حث النبي ﷺ على الصحبة الصالحة وحذر من صحبة السوء فيما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة».

سادسا - اختيار وقت العطلة حسب الأهداف

حتى يحقق الإنسان أهدافه من عطلته، عليه أن يتخير الوقت المناسب لتحقيق عطلته، فمن كان يريد عطلته في السياحة أو الاستجمام، حيث البحر والسباحة، فليس من المناسب أن يجعلها في شهر رمضان مثلا، بخلاف من يريد أن يجعل عطلته لأداء عمرة مثلا، فيكون شهر رمضان هو أنسب الشهور، وهكذا في كل الأهداف التي يريد الإنسان تحقيقها، فعليه أن يختار لها الوقت الأنسب.

د. آندي حجازي
علم النفس التربوي

دليل مقترح للإجازة الصيفية

حينما نبدأ بالتخطيط لأي فكرة أو عمل؛ فإن علينا التفكير بالأهداف لهذا العمل ولهذا الشخص، فالأهداف هي المنطلق في هذه الحياة وخط السير المعين على الانطلاق السليم، ولعل التخطيط للعطلة الصيفية لا ينفصل عن التخطيط لأي عمل في واقع الحياة، غير أنه قد يختلف في الزمن والمضمون، فالإجازة الصيفية لا تعني الإجازة من كل شيء! فالمسلم يعلم تماما أنه خلق في هذه الحياة من أجل عبادة الله وإعمار الأرض ونفع نفسه وغيره، فحينما تتذكر الهدف من الحياة فإنك لابد ستحسن التخطيط لنفسك ولأبنائك في كيفية قضاء هذه الإجازة التي تتكرر كل عام ودونما إضاعة لساعات العمر بلا فائدة تذكر.

من الجميل أن نتذكر وقبل أي تخطيط أن الإجازة الصيفية لا تعني الكسل والخمول والنوم طوال النهار وإضاعة الوقت في التقلب بين الأجهزة الإلكترونية دونما فائدة، فإن كان كذلك فقد أضعت ساعات طويلة من عمرك أو من عمر أبنائك دون أي إنجاز، وقد يكون مع كسب بعض الإثم لإضاعة الوقت أو النظر لغير المباحات وسماع المحرمات فيما تعرضه تلك الأجهزة الإلكترونية، فالراحة والخروج عن الروتين لا يعني معصية الله تعالى أو التهاون والتغافل عمّا حرّم الله تعالى، ولا يعني الجلوس بلا عمل أو إنجاز! بل بالعكس؛ فإن السعادة الحقيقية تشعرها عند الإنجاز، والتعاسة تشعر بها عند الكسل والتقاعس عن العمل. وإلا فما الذي دعا العلماء والمخترعون للاستمرار والإصرار على الإنجاز لولا تلك السعادة التي يشعرون بها لاحقا لإنجازاتهم.

وكنت وأنا صغيرة قد سمعت أن ساعات نهار الإنسان هي خزائن تخزن بها حسنات وسيئات الإنسان، فلينظر الإنسان بما يملؤها، فعندما تُفتح خزائنه يوم القيامة ماذا سيجد بها؟ بماذا ملئت؟ كم منها بقيت فارغة؟ نعم فبعضها يبقى فارغا لفراغ صاحبها من أي عمل، وعندها سيندم على إضاعة تلك اللحظات والساعات دون ملئها بحسنات أو إنجازات تحمد عقباها.

عند التخطيط للسفر في الإجازة الصيفية:

إن خططت في الإجازة الصيفية للسفر مع أبنائك لإحدى الدول الأجنبية مثلا، فإن من المفيد أن تتذكر أنك مسلم وأنك في تصرفاتك وسلوكاتك تمثل أخلاق المسلم وتعكس صورة الإسلام سواء أقصدت ذلك أم لم تقصد، ولذلك عليك مراعاة هذه السلوكات، لأن حتما هناك من يلتقي بك من أهل ذاك البلد أو زواره ويرقب سلوكك، وقد يهتدي لطريق الحق من موقف جميل تتصرفه معه أو أمامه، أو العكس لا قدر الله! فتذكر دوما أن تدعو للخير وتنهى عن المنكر حتى وإن كنت في سفرك وخارج بلدك، وليس كما يفعل البعض من اللواتي نشاهدهن يخلعن الحجاب الشرعي والعياذ بالله حينما يخرجن خارج البلاد العربية، متناسيات أن الله تعالى يراهن في كل البلاد والأماكن، فتقوى الله



تعالى ومخافته هي الأساس وهي حبل النجاة.

وكذلك هناك من يذهب للسباحة في شواطئ أجنبية يكثر بها التعري ومشاهدة الرجال للنساء والنساء للرجال بتلك الحالة! بدعوى الاستمتاع بالسباحة وبالإجازة الصيفية! فالله تعالى لم يمنعك المتعة ولكن دونما معصية لله تعالى وتجاوز حدوده التي أباحها، فالله تعالى يغار وغيرته أن تُؤتى محارمه (أي ما حرّم)، فكيف بمن يرتكب تلك المعاصي أو المحرمات دونما أي اكتراث لما أباح الله تعالى أو حرّم؟!

فحينما نخطط للسفر أنصحكم بالسفر للأماكن التي تقل بها المعاصي، وتجنب الأماكن التي ينزل بها غضب الله تعالى وسخطه، فبإمكانك اصطحاب أبنائك وأنت في السفر إلى بعض الأسواق الشعبية التي تعطيكم صورة جميلة عن تلك البلد وأهلها وطباعهم، أو زيارة بعض المتاحف أو الآثار أو المعارض أو النشاطات التي تصادف وجودكم، فهي تجارب جميلة جدا وثرية، و الجميل جدا زيارة حدائق ذلك البلد وأماكنه الطبيعية التي تعكس جمال الطبيعة في فيه، وجمال مناخه وخاصة في الصيف. فأنصحكم بالبحث في المواقع الإلكترونية عن تلك الأماكن قبل السفر إلى ذلك البلد.

دور الوالدين في التخطيط للإجازة الصيفية:

ولكن حينما تخلو الإجازة الصيفية من السفر فهنا نجد الكثير من الأبناء لا يعرف كيف يقضي إجازته وأين وماذا يفعل بها، فتراه يقضي معظم وقته في اللعب مع أبناء الجيران في الشارع أو منتزه قريب، أو بين أحضان هاتفه الجوال يقضي الساعات الطوال! والأم والأب في غفلة عما يفعل الأبناء ودونما تخطيط أو توجيه، وللأسف نجد أن الكثير من الآباء جل همهم أن يذهب أبناؤهم للعب بعيدا عن البيت، لأن مجرد وجودهم في البيت يسبب المشاكل والشجارات العائلية بين الإخوة في البيت، وهذا متوقع طبعاً في ظل غياب التخطيط السليم الهادف للأبناء.

والتخطيط للإجازة الصيفية لا يعني أن الأبناء سيجلسون في كل دقيقة يؤدون واجبا أو فرضا كما كانوا يفعلوا في واجباتهم المدرسية، ولكن التخطيط لها يتضمن توجيه الأبناء قدر الإمكان لاستغلال طاقاتهم ومواهبهم وإمكاناتهم لما هو مفيد ونافع ودونما إجبار أو إكراه. فكثيرا ما نرى بعض الآباء خاصة ذوي الدخل المحدود يجبرون أبناءهم الذكور خاصة على العمل في الصيف في أي عمل من أجل جني المال للإنفاق على نفسه أو عائلته، وهنا نرى أن من الأفضل الجلوس مع الابن وإقناعه بفائدة هذه المهنة وماذا سيتعلم منها وفائدة ذلك لحياته ومستقبله، مع ضرورة أن تكون برغبته وبما يناسب ميوله، وبساعات عمل قليلة لا تتجاوز الأربع ساعات في النهار، فالابن ليس كالأب العامل الذي لا تقل ساعات عمله عن ثماني ساعات يوميا، فهذا يعتبر طفلا حتى وإن بلغ سن البلوغ فما زال بحاجة لبعض العناية والراحة في الإجازة الصيفية مع عمل لساعات مناسبة.

ولذلك من الجميل أن يجلس الأب أو الأم مع أبنائهم ومساعدتهم على وضع برنامج مكتوب لما سينجزونه في هذه العطلة الصيفية، فالآباء هم من يوفرون الفرص



الكثيرة لأبنائهم لاستغلالها في واقع الحياة من أجل تنمية شخصيتهم وصقلها والاستفادة من أوقاتهم لا مجرد إضاعتها بهدف أو بدون هدف، وبإنجاز وبدون إنجاز، ففرق كبير بين الأب الذي يخطط مع أبنائه ساعة بساعة ويوما بيوم، ويتابع ويراقب ويشجع ويعزز ويجتهد في تنمية شخصية أبنائه وترقيتها وإعدادها للمستقبل والمجتمع، وبين الأب الغافل المتكاسل عن واجباته التربوية وجلّ همّه جلب النقود لأبنائه لتوفير المأكل والمسكن والملبس لهم، اعتقادا منه أن هذا هو الأهم في حياة أبنائه، ولا يدرك حجم خطأ إهمال التربية الذي يرتكبه إلا بعد فوات الأوان، وما ينطبق على الأب ينطبق على الأم كذلك من حيث أهمية دورها في التربية والتوجيه والتخطيط مع الأبناء.

دليل مقترح لأنشطة صيفية للأبناء:

لتخطيط برنامج مفيد وجميل مع الأبناء للاستفادة من الإجازة الصيفية فإن هناك الكثير من الإنجازات المقترحة بها والتي يمكن أن نختار منها ما هو مناسب لممارسته في هذا الصيف (في حالة عدم السفر في الصيف)، ومنها:

- حفظ بعض السور أو الأجزاء من القرآن الكريم، ويمكن للوالدين استخدام أساليب مختلفة في تعزيز وتشجيع أبنائهم على الحفظ والتسميع لهم، كتقديم الجوائز والمكافئآت المادية والحسية كالقيام برحلات ترفيهية وغيرها.
- حفظ بعض الأحاديث النبوية، كحفظ جزء من الأحاديث الأربعين النووية أو رياض الصالحين، ولنتذكر كيف كان علماء المسلمين يقضون أوقاتا كثيرة في تعلم دينهم وحفظ الأحاديث النبوية والأشعار ذات الفائدة.
- تعلم لغة معينة يرغب بتعلمها الطفل، من خلال الذهاب لمعهد لغات والاستماع لأشرطة معينة أو فيديوهات وقراءة قصص بها. فإن من أجمل إنجازات الابن أو الابنة تعلم لغة معينة أو تقوية نفسه بلغة ما.
- قراءة بعض الكتب أو القصص والمجلات، وهنا يأتي دور الأهل في توفير مثل هذه المقروءات من أجل مساعدة أبنائهم على الإنجاز، كأن يضع ضمن البرنامج إنجاز قصة أو مجلة كل أسبوع ومساعدته في اختيار ما يحب من تلك المجلات أو الكتب أو القصص.
- وضع ضمن البرنامج زيارات الأهل والأقارب، فلابد من تشجيع الأبناء على صلة الرحم لعماتهم وأعمامهم وخالاتهم وأخوالهم...



وخاصة أن الأبناء منشغلون طوال العام في الدراسة، وكذلك الأب منشغل في عمله، فالإجازة الصيفية فرصة للتواصل مع الأقارب بدلا من التواصل الجاف الدارج اليوم عبر مواقع التواصل الاجتماعية والتي تكون عن بعد، بعيدة عن المشاعر والأحاسيس الحقيقية!

- القيام برحلات ترفيهية سياحية داخل البلد، خاصة إن تعذر السفر خارج البلد فمن الضروري للأب التخطيط مع الأبناء لزيارة الأماكن أو المدن التي يرغبون بزيارتها داخل بلدهم، فكثيرا ما يهمل الأبوان هذا الجانب الترفيهي، مع أن له أثر كبير في تجديد النفس وتنشيط الفكر والذاكرة والإلهام.

- ممارسة الرياضة، سواء داخل البيت أو في مركز أو ناد معين -إن تيسر التسجيل به- كممارسة السباحة أو الجري وألعاب القوة أو الكرة أو الرماية... فالرياضة مفيدة جدا ومهمة لتنشيط الجسد وتقويته وإكسابه الصحة والعافية، والإجازة فرصة مناسبة لتعلم المهارات وممارسة الرياضة لوفرة الوقت لدى الأبناء.

- زيارة بعض المعارض أو المهرجانات الصيفية التي تقيمها بعض الجهات الراعية في الصيف من أجل الفائدة والمتعة للأبناء.

- توجيه الأبناء الكبار الذين هم في المرحلة الثانوية نحو تعلم مهنة معينة أو تعلم طبخات جديدة للفتيات من أجل استغلال الوقت بما يعود بالنفع.

- تشجيع الأبناء على ممارسة هواياتهم كاللعب الحركي والرسم والطبخ والتطريز والتصوير والسباحة وصناعة الدمى أو الأشياء الخشبية...ويمكن تسجيل الأبناء في ناد قريب من المنزل إن توفر وأمكن ذلك لتنمية مهاراتهم ومواهبهم وصقلها.

- اصطحاب الأبناء الذكور خاصة للمسجد في أغلب الصلوات إن أمكن من أجل تعويدهم على الصلاة في المسجد والصلاة في وقتها، مع تذكيرهم بفضل الصلاة في المسجد وأهمية المسجد ودوره في حياة المسلم.

- تشجيع الأبناء على حضور مجالس الوعظ أو الندوات الدينية أو النوادي الصيفية الهادفة، فالإجازة الصيفية فرصة لزيادة المعلومات الدينية والتقرب إلى الله تعالى في فترات يقل بها الانشغال بأمور الدنيا.

- تشجيع الأبناء المساهمة في أعمال خيرية وأنشطة تطوعية على مستوى المجتمع تعود بالخير على الآخرين من أجل تعويدهم حب الخير والمشاركة الجماعية والتعاون.

د.عادل سالم عطية
باحث أكاديمي



طبيعة الزهد وأبعاده في التصور الإسلامي

الزهد مقام شريف، له طبيعة خاصة في التصور الإسلامي، ليس رهبانية أو عزلة في بطون الجبال والصوامع، بل هو انخراط في المجتمع، ومشاركة في السراء والضراء، فهو يدعو صاحبه أن يكون ذا نظرة خاصة إلى الحياة وظروفها، وإلى المال على كافة صنوفه وأشكاله، كما أنه حركة إيجابية وفعالة في المجتمع عمادها الإعلاء من قيمة العلم والعمل، وقدر القيم الروحية، وتوسط واعتدال بين متطلبات الحياة المادية والروحية، والبعد عن الإسراف في التمتع بالحياة الدنيا.

والزاهد الحقيقي هو الذي يفهم أن الدنيا لا تذم لذاتها، وكيف يذم ما من الله تعالى به، وما هو ضرورة في بقاء الآدمي، وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة: من مطعم، ومشرب، وملبس، ومسجد يصلي فيه، وإنما المذموم -في حقيقة الأمر- هو أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف والإفراط لا على مقدار الحاجة والمصلحة، فيصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع ومقتضى الحكمة الإلهية (١).

من أجل هذا يناقش هذا المقال طبيعة الزهد وأبعاده كما عرضها الإمامان البخاري ومسلم، رضي الله عنهما، وكما تصورها مؤلفو مصنفات الزهد كالإمام عبدالله بن المبارك (ت ١٨٥هـ)، والإمام أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ) وغيرهما.

إن الزهد في الإسلام له طبيعة ذاتية خاصة، فهو ليس هروبا من الحياة وميادينها المختلفة، فلم يكن الزهد الرهباني من الفضائل التي دعا إليها الإسلام؛ لأن الإسلام في جوهره دين اجتماعي، والزهد الرهباني مناف لروح الحياة الاجتماعية، ولكن الإسلام دعا إلى نوع آخر من الزهد يمكن وصفه بأنه القصد في اللذات والشهوات، وعدم التهالك عليها، أو الإسراف فيها إلى الحد الذي ينسى الإنسان فيه ربه وآخرته (٢).

ونظرا لأهمية الزهد ومكانته في الإسلام وجدنا حرص الكثيرين من أئمة الدين وسادات العلماء على إفراد هذا الموضوع بالتأليف والتصنيف، وتدوين الآيات والأحاديث والآثار التي تبرز صورة متكاملة للزهد؛ طبيعة وخصائص ومجالات.

وقد لاحظت أن الإمامين البخاري ومسلم قد خصصا في صحيحيهما كتابين للزهد والرقائق، وكذلك لم تخل مؤلفات العلماء أصحاب السنن من هذه الأحاديث وتلك الآثار المتنوعة الدالة -في مجملها- على مكانة الزهد في الموروث الإسلامي عند المحدثين.

ولقد صدر الإمام البخاري كتاب الرقائق بباب ما جاء في الصحة والفراغ، فأورد قول النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٣).

وفي هذا دلالة صريحة على ضرورة استغلال أوقات الفراغ، واغتنام الصحة، واستثمار فترة الشباب في طاعة الله عزوجل، وطاعة الله تتناول -في مفهومها الإسلامي الأصيل- جوانب الحياة كلها، بطولها وعرضها، تتناول كل عمل أو نشاط إنساني مبدع يسهم بدور إيجابي في بناء الحياة الإنسانية، وإرساء دعائم القيم الخلقية الفاضلة، ويدفع عجلة النمو والتقدم من أجل إقامة المجتمع الزاهر المستقر الدعائم، البالغ أقصى درجات الحضارة والازدهار، كما تتناول بحرص دائب، وضمير أخلاقي دافع على تنقية النفس والمجتمع من عوامل الفساد، وبذور الشر (٤).

وفيما يلي بيان بأبرز أبعاد الزهد في التصور الإسلامي:

أ- الجانب الاجتماعي

الزهد الحقيقي في المفهوم الإسلامي يكون عن طريق خدمة المحتاجين، والإحسان إلى الأرامل والمساكين واليتامى، وقضاء حوائجهم، والعمل على حل مشكلاتهم المادية والنفسية، وقد ضمن الإسلام لمن يقدم هذا الصنيع جزاء طيبا يكافئ جزاء المجاهد في سبيل الله أو القائم بين يدي الله تعالى لا يفتر، أو الصائم الذي لا يفطر كما في قول النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله -وأحسبه قال- وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» (٥).

١- ومن مظاهر المشاركة الحياتية التي أشارت إليها الأحاديث النبوية في مجال الزهد وبابه العناية ببناء المساجد، وفضل القائمين على تأسيسها؛ إذ المساجد لها دور كبير في نشر الثقافة والعلوم، ومنارة للتنوير في أرجاء المجتمع، كما أنها وسيلة حيوية في حل المشكلات للمسلمين، وتقديم الحلول والمقترحات النافعة لمواجهة الأزمات، بالإضافة إلى أنها حلقة وصل أساسية في وحدة المجتمع وانسجامه، والتواصل بين أطيافه المختلفة كما لا يخفى الملمح العقدي الكامن وراء إنشائها. كما أن الزاهد الحقيقي هو الذي يؤدي الصلاة في المساجد، فيحسن عمارتها، فكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة (٦).

٢- مواساة الآخرين في الجنائز، وفي أحزانهم وأتراحهم، والتفكر في اتباع الجنائز، وما مآلها ومصيرها.. وقد التزم الصحابة سلوكا حميدا؛ وهو استحباب خفض الصوت عند الجنائز (٧)، وهذه مشاركة إيجابية كيف يصنعها من يعتزل الناس في البراري والصحاري؟ وكذلك تظهر ملامح هذه المشاركة من خلال اختيار جلساء الصدق، فقد تنوعت الآثار في ضرورة اختيار الصديق

الذي يذكر بالله، ويرغب في الآخرة حتى قال عليه الصلاة والسلام: «لا تصاحب إلا مؤمنا» (٨).

٣- تكمن طبيعة الزهد في أن تكون معرضا عما تملك لا أن تكون معرضا عما لا تملك، فليس من شرط الزهد أن يكون -دوما- مقترنا بالفقر، فقد يتفق للإنسان الغنى المادي والزهد معا، ومن الشواهد على ذلك عثمان ابن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وكان -أيضا- الليث بن سعد (١٧٥هـ) مع زهده ثريا.

وهكذا يتضح أنه بالرجوع إلى سير الصحابة وأخبارهم، وبخاصة الأغنياء منهم نجد أن أموالهم كانت مبذولة في الخير والبر ومعاونة الفقراء، وتجهيز الجيوش، وقضاء مصالح المسلمين وسد حاجاتهم، وقد خلت حياتهم الخاصة من سرف الأغنياء، وتبذير المترفين، وقد وصف عثمان بن عفان رضي الله عنه بأنه كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت، وأما عبدالرحمن بن عوف فإنه كان يكثر من الصدقة؛ مرضاة لله تعالى (٩).

إذن ليس الزهد في فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه، ولقد كان سليمان -عليه السلام- في ملكه من الزهاد (١٠).

ب- الجانب العملي

الزهد في الحياة الإسلامية لا يمنع العمل، ولا يبرر اليأس، ولا يدعو إلى التواكل الذي يوصي به أهل الجبر المطلق، ألم يكن الصحابة وكثير من أمراء المسلمين زاهدين؟ ومع ذلك كانوا أكثر الناس عملا، وأقواهم أملا في رفعة شأن دينهم وأهله، لقد كان زهدهم هذا زهدا صحيحا؛ لأنه كان يهدف إلى تغليب المصلحة العامة، والنهوض بالمسلمين، لا إلى تثبيط هممهم ليقعدوا بهم مع القاعدين (١١). وفيما يلي رسم لعلاقة الزهد بميدان العمل الدنيوي من أجل كسب العيش، وتوفير القوت والاحتياجات الضرورية، وعمل العبادات، وأداء الفرائض والطاعات بشتى صورها وأنماطها المختلفة.

١- الدعوة إلى العمل والكسب المشروع، والاشتغال بمهنة أو وظيفة جلبا للرزق، وادخارا للقوت، يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠)، والأنبياء والرسل -عليهم السلام جميعا- كانوا قدوة للأمم في هذا الباب، فقد عملوا بالزراعة، والنجارة، والتجارة، ورعي الغنم، والحدادة...إلخ، ولذا لا نستبعد وجود هذه النماذج المختلفة والمتنوعة في البيئة الإسلامية، فمثلا نجد صورا واضحة للحديث عن الجهاد والغزو في سبيل الله تعالى، فيقول سعد بن أبي وقاص: «إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله» (١٢).

كما توجد نماذج أخرى منها في التنمية الزراعية وتربية الحدائق وحرثها، فذلكم الرجل الذي يعمل بحديقته، ثم يقسم نتاجها وثمارها على ثلاثة أقسام: قسم لأولاده وعياله وأهل بيته، والثاني للمساكين والمحتاجين، والثالث ينفقه على احتياجات الحديقة من حرث وتهذيب وإصلاح...إلخ.

٢- وثمة دعوة أخرى للعمل والعبادة وطاعة الله تعالى، فأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل. فالاشتغال بالعبادة، وترويض النفس على الطاعة، وعلو الهمة في أداء العبادات من خصائص الزاهد المسلم؛ لأن الله تعالى يحب العبد التقي، الغني، الخفي. بالإضافة إلى أن الأعمال وسيلة للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، كما يتضح ذلك من خلال قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، ثم سد بابه، فلم يستطيعوا الخروج إلا بعد أن توسل كل منهم بعمل صالح قد صنعه يوما ما ابتغاء مرضاة الله تعالى، حتى فرج الله همهم، وأزال كربتهم (١٣). ولعل هذا مدعاة إلى أن يدخر الإنسان أعماله ويستثمرها في طاعة الله تعالى.

٣- يلاحظ الأستاذ عباس محمود العقاد أن القرآن الكريم حين يفتح للمسلم أبواب الحياة الروحية يحرم عليه أن يوصد أبواب الحياة الجسدية، وينهاه أن يترك العمل لينقطع عن الدنيا، وينسى نصيبه منها كما في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص:٧٧). فالحياة الروحية في الإسلام تجري على سنن القصد الصالح للحياة البشرية لا استغراق في الجسد، ولا انقطاع عنه في سبيل الآخرة، قوام بين هذا وذاك (١٤).

ج- الجانب العلمي

من مظاهر هذا الجانب:

١- اقتران الزهد بالتفقه في الدين (١٥) وفهمه فهما صحيحا، وتحصيل العلوم النافعة، وصدق

النية، والتجرد من سلطان الهوى، فقد قيل: «ملاك هذه الأعمال النيات، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله» (١٦). بل كان الواحد من السلف حريصا على النية حتى في الأكل والنوم (١٧).

والزهد -في حقيقة الأمر- يدل على قوة النفس؛ من أجل التقرب إلى الله عز وجل، وهذا لا يعني هجر اللذات والطيبات، مادام الأمر مرتبطا بالنية الخالصة لله تعالى، فيوصي ابن القيم منبها المرء إلى ضرورة «الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله، وتجنب ما يسخطه، كانت من عمارة الوقت، وإن كان له فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات» (١٨).

٢- التفكر والتأمل والتدبر خصال محمودة دعا إليها الإسلام، والتزم بها صحابة رسول الله ﷺ، فقد قيل: «إن من أفضل العمل الورع والتفكر» (١٩)، وكانت عبادة أبي الدرداء رضي الله عنه التفكر والاعتبار (٢٠).

د- الجانب السلوكي والأخلاقي

ومن مظاهر هذا الجانب:

١- يطلب الإسلام من المرء أن يكون نظيفا في ملبسه ومطعمه ومشربه وهيئته، فالزهد -في الحياة الإسلامية- لا يتنافى البتة مع الطهارة والنظافة وحسن المظهر، فالله تعالى جميل يحب الجمال، ومن الصور الدالة على الذوق الرفيع واللياقة الأدبية في التعامل مع الآخرين ما ورد من إشارات النبي ﷺ وأفعاله في العطاس والتثاؤب، فقد كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه، وخفض بها صوته، وكان ينهى عن التثاؤب، ويأمر من غلبه التثاؤب أن يمسك بيده على فيه، فقال: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل».

٢- ومن القواعد السلوكية في مجال الإدارة والتخطيط نجد جملة من القواعد التي أشار إليها أئمة الدين كالبخاري ومسلم وغيرهما؛ لبيان أن الأعمال الناجحة إداريا تتبع هذه القواعد: الأمانة في تحمل المسؤولية، الإخلاص في العمل وابتغاء وجه الله عزوجل، البعد عن النفاق والرياء، القناعة برزق الله وفضله، احترام الوقت؛ فإهدار الوقت وقيمته عامل أساس من عوامل التخلف، بينما احترامه هو العنصر الحاسم، في نجاح الأعمال الإدارية وتطور المجتمعات.

٣- وإذا كان الزهد في الإسلام يدعو إلى الزينة والجمال وحسن المظهر للشخصية المسلمة، فإنه في الوقت ذاته يركز على الجانب الباطني؛ وهو طهارة البدن باطنيا، ونقاء النفس وسريرتها، وذلك لأن الآفات الباطنية مثل الحسد والغيظ والحقد تسبب للإنسان أضرارا نفسية بالغة، فتجده -مثلا- مضطرب البال، قلقا في علاقاته مع الآخرين، مشوش الفكر، غير متزن شعوريا وذهنيا. ومن هنا تتبدى أهمية قول النبي ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم».

٤- الزهد في الحياة الإسلامية يربي الشخصية الإيجابية الفعالة في المجتمع، وذلك لأن الزهد ترك الفضول، وحفظ اللسان، والتكلم بمقدار معين فيما يجلب رضا الله تعالى، ويبعد سخطه، بل إن من شروط الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر أن يكون كلام المرء في الطاعة والخيرات، أو يلزم الصمت والسكون، فمن «كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت» (٢١)، «والكلمة الطيبة صدقة» (٢٢). ولعل هذا المسلك الأخلاقي يدفع الإنسان إلى التخلي عن قيل وقال، ويحفظ لجيرانه، وزملائه والناس أجمعين حقوقهم، وأسرارهم.

الهوامش

١- انظر: أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تلبيس إبليس، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه، حلمي بن إسماعيل الرشيدي، دار العقيدة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٧٠.

٢- انظر: د. أبوالعلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ص ١٠٦.

٣- صحيح البخاري، ٥/٢٣٥٥، وانظر: باب التحضيض على طاعة الله عزوجل، كتاب الزهد، لابن المبارك، ص ٢.

٤- د. محمد عبدالله عفيفي، نظرة إلى نشأة الفكر الصوفي في الإسلام: العلاقة بين الزهد والتصوف، بدون بيانات (نسخة بالمكتبة المركزية - جامعة القاهرة)، ص ٤.

٥- صحيح مسلم، ٤/٢٢٨٦.

٦- انظر: باب فضل المشي إلى الصلاة، كتاب الزهد، ص ١٣٦.

٧- انظر: باب التفكر في اتباع الجنائز، كتاب الزهد، لابن المبارك، ص ٨٣.

٨- باب جليس الصدق وغير ذلك، كتاب الزهد، ص ١٢٤.

٩- د. عبدالحميد مدكور، نظرات في التصوف الإسلامي، دار الهاني، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص ٥٠.

١٠- انظر: إحياء علوم الدين، ١/٢٧.

١١- د. محمود قاسم، الإسلام بين أمسه وغده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٣٧.

١٢- صحيح مسلم، ٤/٢٢٧٧.

١٣- انظر: صحيح البخاري، ٢/٧٩٣. وكذا: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م، ١٠/١٨١.

١٤- انظر: عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٥٢.

١٥- باب الاعتبار والتفكر، كتاب الزهد، لابن المبارك، ص ٩٦.

١٦- باب الإخلاص والنية، كتاب الزهد، لابن المبارك، ص ٦٣.

١٧- السابق، ص ٦٤.

١٨- د. عبداللطيف العبد، التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه، دار الهاني، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٨م، ص ١٤٨.

١٩- باب الاعتبار والتفكر، كتاب الزهد، لابن المبارك، ص ٩٦.

٢٠- السابق، ص ٩٧.

٢١- باب حفظ اللسان، كتاب الزهد، لابن المبارك، ص ١٢٥.

٢٢- باب فضل المشي إلى الصلاة، كتاب الزهد، ص ١٣٦.



د. فرغلي هارون
باحث في علم الاجتماع

إدارة الأزمات في المؤسسات

لا توجد مؤسسة تعليمية لا تتعرض من وقت لآخر لبعض الأزمات التي تختلف في أسبابها، ومستويات حدتها، وشدة تأثيراتها، ودرجة تكرارها، نتيجة التغيرات السريعة والمفاجئة في البيئة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو التربوية أو التقنية المحيطة بالمؤسسة والتي تعمل فيها ومن خلالها. لذلك، تتزايد باستمرار -خاصة في عصرنا الحالي- أهمية إدارة الأزمات ومنهجها، لتحقيق التعامل الفعال مع الأشكال المختلفة للأزمات التي يمكن أن تواجه المؤسسة التعليمية، وتحد من قدرتها على الاستمرار في أداء مهماتها المنوطة بها لتحقيق أهدافها التي أُنشئت من أجلها.

وقد نشأ مصطلح إدارة الأزمات Crisis Management داخل الإدارة العامة، للإشارة إلى دور الدولة في مواجهة الكوارث العامة المفاجئة وظروف الطوارئ مثل الزلازل والفيضانات والأوبئة والحرائق والغارات الجوية والحروب الشاملة. وقد توسع علم إدارة الأزمات ونما بشكل متسارع ليشمل التعامل على مستوى جميع الأزمات الداخلية والخارجية، وفي جميع القطاعات والمؤسسات الإنتاجية والخدمية.



وقد عرف ليتل Little إدارة الأزمات بأنها: «نظام يستخدم للتعامل مع الأزمات، من أجل تجنب وقوعها والتخطيط للحالات التي يصعب تجنبها؛ بهدف التحكم في النتائج، والحد من الآثار السلبية». وعرفها تشيس Chase بأنها: «الخطوات التي تتخذ لتقليل مخاطر حدوث الأزمة». في حين عرفها أبوقحف بأنها: «مجموعة الاستعدادات والجهود الإدارية، التي تبذل لمواجهة أو الحد من الآثار السلبية المترتبة على الأزمة» (١).

وعرفها عليوة بأنها: «العلم الذي يعنى بالأساس في كيفية التغلب على الأزمات بالأدوات العلمية والإدارية المختلفة وتجنب سلبياتها والاستفادة من إيجابياتها» (٢).

ولا يختلف مفهوم إدارة الأزمات المدرسية أو التعليمية عن المفهوم العام لإدارة الأزمات، فهو جزء من كل، وتعرف فاطمة البغدادي إدارة الأزمات المدرسية بأنها: «مجموعة الاستعدادات والجهود الإدارية، التي تُبذل لمواجهة الآثار السلبية، المُترتبة على الأزمات. أو هي قُدرة المدارس على التنبؤ بالأزمات المحتملة، واتخاذ التدابير المُناسبة للوقاية منها، أو التعامل معها عند وقوعها، بدرجة عالية من الكفاءة، وإعداد بدائل مُختلفة لمواجهتها، باستخدام أساليب إدارية، تحتوي على العديد من المهارات، للسيطرة على المواقف المُفاجئة، التي تمر على المدرسة، والعمل على عدم تفاقمها، من خلال استخدام الموارد البشرية والمادية المُتاحة، داخل المدرسة، وخارجها. وبذلك تتسم إدارة الأزمات، بطابع مزدوج، وقائي وعلاجي» (٣).

وبالتالي، فإن إدارة الأزمات المدرسية تستخدم لمواجهة الحالات الطارئة والتخطيط للتعامل مع الحالات التي لا يمكن تجنبها، كما تتضمن كيفية تفادي حدوث الأزمة وذلك بالتنبؤ بها قبل حدوثها، وإعداد الإجراءات الضرورية لمنع حدوثها أو التقليل من آثارها السلبية في حالة حدوثها. وتهدف إدارة الأزمات المدرسية إلى منع وقوع الأزمة كلما أمكن ذلك، ومواجهة الأزمة المدرسية بكفاءة وفاعلية، وتقليل الخسائر إلى أقل حد ممكن، وتخفيض الآثار السلبية الناجمة عن الأزمة، وإزالة الآثار النفسية التي تخلفها الأزمة لدى الطلاب والمعلمين وحتى أسرهم، وتحليل الأزمات والاستفادة منها في منع وقوع الأزمات المشابهة وتكرار حدوثها مرة أخرى (٤).

التخطيط

التخطيط هو محور عملية إدارة الأزمات، وبدونه لن تكون هناك إدارة جيدة وناجحة للأزمات. والتخطيط هو التحديد المسبق لما يجب عمله، وكيفية القيام به ومن سيتولى مسؤولية التنفيذ، ومتى وأين سيتم التنفيذ، وعلى القائم بالتخطيط أن يحدد الموارد المطلوبة لتنفيذ الخطة وأن تكون في حدود الإمكانات المتوافرة حتى تكون الخطة ممكنة وواقعية، ولاشك أن التخطيط يحول المنظمة من منظمة مستهدفة للأزمات إلى منظمة مستعدة لمواجهة الأزمات (٥).

وتعد خطة التدخل في الأزمة المدرسية أحد الشروط الرئيسية للإدارة الناجحة للأزمة، ذلك أن الخطة تمثل برنامج عمل الفريق. ولا تقتصر أهداف الخطة على مواجهة أو إدارة الأزمة القائمة، ولكنها يجب أن تمتد للتعامل مع الإشارات الأولى للأزمة وانتهاء بمرحلة ما بعد الأزمة مرورا بمرحلة الأزمة ذاتها. فالمدرسة التي تمتلك خطة مكتوبة وطاقما مدربا على استخدامها، بحيث تكون الخطة جزءا من برنامج الإدارة، تمتلك قدرة أكبر على السيطرة والتحكم في مسار الأزمة والحفاظ على ولاء العاملين وتقليل الخسائر المادية والتعافي من الأزمة وإعادة إحياء العملية التعليمية في أسرع وقت ممكن، من خلال القدرة المنظمة في التفكير عبر عدة نشاطات في زوايا متعددة. وعلى العكس، فإن المدرسة التي لا تمتلك مثل تلك الخطة تكون معرضة أكثر من غيرها للأزمات المدرسية، كما تكون معرضة للإدارة العشوائية للأزمة (٦).

وتهدف خطة مواجهة الأزمات وإدارة موقف الأزمة إلى تحقيق ما يلي: (٧)

١- وقف التدهور والخسائر.

٢- تأمين وحماية العناصر الأخرى المكونة للمؤسسة.

٣- السيطرة على حركة الأزمة والقضاء عليها.

٤- الاستفادة من الموقف الناتج عن الأزمة في الإصلاح والتطوير.

٥- دراسة الأسباب والعوامل التي أدت للأزمة لاتخاذ إجراءات الوقاية لمنع تكرارها أو حدوث أزمات مشابهة لها.

ولذلك، فإن التعامل مع الأزمات يعتبر فنا ومهارة، ويحتاج إلى وعي شامل متكامل، ليس فقط بحاضر الأزمة وملامحها وما يحدث فيها ومنها، بل وما هو خفي لأنه لا يقل خطورة عما هو معروف. وتعتبر عملية التخطيط وإعداد سيناريوهات لمواجهة الأزمات المحتملة من أهم العوامل التي تساعد المؤسسات التعليمية في التعامل مع تلك الأزمات بأكبر قدر من الكفاءة والفاعلية بأسلوب المبادرة والمبادأة وليس بأسلوب رد الفعل.

مراحل وآليات إدارة

تمر إدارة الأزمات بمراحل مختلفة سواء من أجل العمل على درء وقوعها أو التخفيف من آثارها، بل والقدرة على تحقيق التوازن وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل وقوع الأزمة. ويتبنى أغلب الباحثين النموذج الذي وضعه ميتروف وبيرسون عام ١٩٩٣م من خلال دراستهما عن كيفية الاستعداد والجاهزية للأزمات، والذي يحدد خمس مراحل أساسية يمكن أن تدار من خلالها الأزمة، لتجنب مخاطرها واغتنام فرصها، كالتالي: (٨)

المرحلة الأولى: اكتشاف إشارات الإنذار

تتضمن هذه المرحلة استشعار الإنذار المبكر الذي ينبئ بقرب وقوع الأزمة، وعادة ما ترسل الأزمة قبل وقوعها سلسلة



من إشارات الإنذار المبكر والأعراض التي توحي باحتمال وقوع أزمة، وإذا لم يوجه الاهتمام الكافي لهذه الإشارات فمن المحتمل أن تقع الأزمة. ولكن عندما تكون المؤسسة مستعدة للمواجهة بخطة واضحة، ويكون المديرون لديهم مهارات عالية في الشعور بأي إشارات حتى وإن كانت خافتة، فإنه يمكن تجنب الأزمات. لذلك فإن احتواء هذه الإشارات والتعامل معها يتوقف على مهارة وكفاءة المديرين في التقاط الإشارات الحقيقية والهامة حتى يسهل التعامل معها.

المرحلة الثانية: الاستعداد والوقاية

تقوم هذه المرحلة على أساس أن «الوقاية خير من العلاج» بمعنى أنه يجب أن يتوافر لدى المدرسة استعدادات وأساليب كافية للوقاية من الأزمات، وذلك عن طريق اكتشاف وتحديد نواحي الضعف في المنظمة ومعالجتها قبل أن تستفحل ويصعب علاجها وتتحول إلى أزمة، ويتطلب ذلك وضع خطط وسيناريوهات شاملة وواقعية قادرة على متابعة جميع الاحتمالات، وتحقيق التكامل بين الأنشطة من أجل تحقيق الهدف. وترتبط هذه المرحلة بسابقتها، فمن الصعب أن تمنع شيئا لم تتنبأ أو تنذر باحتمال وقوعه.

المرحلة الثالثة: احتواء الأضرار

تتميز هذه المرحلة بالقيام بتنفيذ خطة المواجهة التي تم وضعها في المرحلة السابقة لتقليص الأضرار الناجمة عن الأزمة، والهدف من هذه المرحلة هو إيقاف سلسلة التأثيرات الناتجة عن الأزمة واحتواء الآثار الناتجة عنها وعلاجها، وهي مهمة أساسية من مهام إدارة الأزمات التي تهدف في المقام الأول إلى تقليل الخسائر لأدنى حد ممكن، ولاشك أن كفاءة هذه المرحلة وفعاليتها تعتمد إلى حد كبير على المرحلة السابقة التي تم فيها الاستعداد والتحضير لمواجهة الأزمة، ومن الضروري عزل الأزمة لمنعها من الانتشار في بقية أجزاء المدرسة، كما يجب أن يتفرغ المديرون للتعامل مع الأزمة وترك الأمور العادية واتخاذ القرارات الروتينية لمن يمكن إنابتهم.

المرحلة الرابعة: استعادة النشاط

وهي مرحلة محاولة استعادة الأصول المفقودة والملموسة والمادية والمعنوية، وهي عبارة عن العمليات التي تقوم بها إدارة المدرسة التي نجحت في احتواء أضرار الأزمة المدرسية بهدف استعادة التوازن والمقدرة على ممارسة الأعمال والنشاطات الاعتيادية قبل تعرض المدرسة لأزمة، حيث لابد أن تتوافر للمدرسة خطط طويلة أو قصيرة الأجل لإعادة الأوضاع لما كانت عليه قبل الأزمة واستعادة مستويات النشاط، وهذا يتطلب قدرات فنية وإدارية ودعما ماليا كبيرا.

المرحلة الخامسة: التعلم

وتتمثل في مجموعة العناصر التي تعكس مدى قيام الإدارة بوضع الضوابط لعدم تكرار الأزمات في المستقبل واستخلاص الدروس والعبر من الأزمات التي واجهتها سابقا للاستفادة منها في التطوير والتحسين.

ولاشك أن نتائج إدارة الأزمة قد لا تؤدي إلى القضاء نهائيا على الأزمة أو معالجتها نهائيا، وإنما قد تكون المعالجة مرحلية، وتبقى هناك أسباب كامنة مثل النار تحت الرماد تنتظر الظروف المناسبة لتتوهج مرة أخرى، حالها مثل حال مريض أصيب بأزمة صحية فأول ما يحاوله الطبيب المعالج هو معالجة حالة الأزمة والمحافظة على حياة المريض، وبعد تجاوز حالة الأزمة يقوم الطبيب بمعالجة أسباب المرض للحيلولة دون تكرار الأزمة مرة أخرى، وهذا لا يتم إلا من خلال المتابعة المستمرة والحقيقية.

الهوامش

١- رهام راسم عودة، واقع إدارة الأزمات في مؤسسات التعليم العالي بقطاع غزة، دراسة تطبيقية على الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير بقسم إدارة أعمال، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٨م. ص ١١.

٢- السيد عليوة، إدارة الأزمات والكوارث، مخاطر العولمة والإرهاب الدولي، ط ٣، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م. ص ٢٥.

٣- فاطمة محمد البغدادي، مهمّة استراتيجية.. إدارة الأزمات في المدارس، مجلة المعرفة السعودية، العدد ٢٠٣، ٢٠١٢م. الموقع الإلكتروني: http:// almarefh.net/show_content_subph.Model=MاللهSubModelالله٣٩١=p؟CUV

٤- عبدالله مسعود غيث الجهني، أساليب اتخاذ القرار في إدارة الأزمات المدرسية من وجهة نظر مديري المدارس بمحافظة ينبع، رسالة ماجستير، برنامج ماجستير الإدارة التربوية، جامعة الملك عبدالعزيز - جدة، السعودية، ٢٠١٠م. ص ١٧.

٥- مشروع تحسين التعليم الثانوي، برنامج تدريبي في الاتجاهات المعاصرة في إدارة المدرسة الثانوية، وحدة التخطيط والمتابعة، وزارة التربية والتعليم المصرية، ٢٠٠٩م. ص ٦٤-٦٥.

٦- ناهد عبدالله الموسى، إدارة الأزمات في مدارس التعليم العام بمدينة الرياض: تصور مقترح، رسالة دكتوراه، قسم الإدارة التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، السعودية، ٢٠٠٦م. ص ٩٢.

٧- رهام راسم عودة، واقع إدارة الأزمات، مرجع سابق. ص ٣٠.

٨- انظر في ذلك:

ماهر محمد عليان، دور مديريات التربية والتعليم في إدارة الأزمات التعليمية التي تواجهها المدارس الحكومية في غزة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الأزهر - غزة، ٢٠١١م. ص ٤٨-٥١.

مشروع تحسين التعليم الثانوي، مرجع سابق. ص ٥٥-٥٧.

ندى عز الدين عنتور، معوقات إدارة الأزمات في المدارس الحكومية الثانوية في محافظات الضفة الغربية وسبل علاجها من وجهات نظر المديرين، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، ٢٠١٢م. ص ٢٢-٢٣.

ناهد عبدالله الموسى، إدارة الأزمات في مدارس التعليم العام بمدينة الرياض، مرجع سابق. ص ٦٣-٦٦.

عبدالله مسعود غيث الجهني، أساليب اتخاذ القرار في إدارة الأزمات المدرسية، مرجع سابق. ص ٢٠-٢٤.

د. إسماعيل عبد الكافي
أستاذ الإعلام التربوي



المعاقون في المنظور الإسلامي

اهتمت الإنسانية بالمعاقين ومعهم ذوي الاحتياجات الخاصة اهتماما كبيرا في وسط ونهاية القرن العشرين، وبالأخص بعد إنشاء الأمم المتحدة، وتوقيع المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، ولكن الإسلام أعطى اهتماما كبيرا وخاصا بالمعاقين منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان، وهذا الاهتمام تمثل في إتاحة الفرصة لاندماج المعاقين في المجتمع بصفتهم إخوة لنا في الإنسانية، وتخفيف الفروض والواجبات عليهم، والأمر بالمعروف ورعايتهم ليتحولوا إلى منتجين صالحين، ولنتعرف هنا على جوانب هذا الموضوع الهام:

. حقوق المعاقين في الإسلام (١)

تعريف الإعاقة، كما جاءت في برنامج العمل العالمي المتعلق بالمعاقين، أن الإعاقة أو العوق هي: فقدان الفرد القدرة كلها أو بعضها، على الحصول على فرص المشاركة في حياة المجتمع، على قدم المساواة مع الآخرين، ممن هم في مثل سنه وجنسه وظروفه الاجتماعية والاقتصادية، بسبب وجود عاهة أو عجز.. «فالعاهة هي نقص أو خلل نفسي أو وظيفي أو تشريحي مؤقت أو دائم، والعجز هو تحديد أو نقص أو قصور في قدرات الفرد على تأدية نشاط ما بصورة طبيعية» (٢)، فهؤلاء المعاقون قد يكونون معاقين وعاجزين في الجانب العقلي أو الجسدي أو اللغوي أو الانفعالي أو الاجتماعي أو الحركي، وقد يجمع المعاق –وغالبا ما يجمع بين هذه الجوانب في آن واحد (٣)، فمن فئات المعاقين المعاق سمعيا، وبالتالي الأصم الأبكم، والمعاق بصريا، والمعاق بالعجز الجسماني، والمعاق بتخلف عقلي، والمضطرب نفسيا، وغيرهم من المعاقين بإصابات مختلفة مؤقتة أو دائمة (٤). والمعاقون في الإسلام يلقون عناية خاصة، تؤكد حقهم الإنساني في العيش والحياة جنبا إلى جنب مع الأصحاء، وأعطى الإسلام حقوقا عديدة إضافية للمعاقين تعينهم على مواجهة مشاكل الحياة وتحدياتها، ولذلك نجد أن نظرة الإسلام إلى

المعاق نظرة إنسانية شاملة، وذلك من عدة جوانب ومنها (٥):

. حق المعاق في المساواة بغيره ليحيا حياة كريمة، فلا يفضل عليه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي، فلا يفضل غني على فقير ولا قوي على ضعيف، وإنما على الشخص أن يقيم التوازن بين الجميع، ولك أن تقرأ قول الله سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤﴾ (عبس:١-٤)، وهذه الآيات وما بعدها يقول المفسرون أن سبب نزولها أن سيدنا محمدا ﷺ اهتم بالحديث إلى الأغنياء، وترك عبدالله بن أم مكتوم، وهو كفيف، فنزلت هذه الآيات، لتلفت النظر أن هذا الأعمى خير عند الله وأحسن مكانة من هؤلاء الأغنياء، الذين استغنوا عن الله بأموالهم وحسبهم، أما هذا الأعمى فهو جاءك يسعى ليحصل الخير، فهو أولى منهم وأحق بحسن الاستقبال.

. التخفيف عن المعاقين في الالتزامات الشرعية بقدر طاقاتهم، يقول الله عزوجل: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ (الفتح:١٧).

. أن كل إنسان مطالب بالعمل في حدود طاقاته وفي حدود قدرته وإمكاناته قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ (البقرة:٢٨٦)، وروي عن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (رواه البخاري في صحيحه، برقم ١٩٣٠). ومن هنا كان العدل مطلوبا في كل شيء، والعدل للمعاق من باب أولى لكي تسود علاقات التعاون والتكامل والحب والرحمة، ولم يدع الإسلام المعاقين للتسول، والعيش عالة على غيرهم، بل دعاهم لتلمس أسباب الحياة بالعلم والعمل والكسب الشريف في حدود طاقاتهم، كما جاء في الحديث النبوي الذي رواه الزبير رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لأن يأخذ أحدكم أحبُله فيأتي الجبل فيجيء بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بثمنها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» (رواه أحمد في مسنده ١٣٥٤).

ولما كان المعاقون ضعفاء بلا ذنب جنوه، فإن الإسلام لا يحرمهم من أجورهم على ضعفهم، ففي حديث شريف بيان شاف وواف، فقد روي عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم في صحيحه حديث ٤٨١٦، ورواه أحمد وابن ماجه). أي أن هناك خير في المؤمن الضعيف إذا عمل على قدر طاقته، وحاول التعلم واستعمل العقل واجتهد في اكتساب المعرفة والعلم وحاول العمل بما علم، بل دعانا الإسلام بكل رحابة إلى تجنب الأسباب التي تؤدي للإعاقة مثل الحوادث والمهلكات وغيرها، لقول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، فالوقاية خير من العلاج، ولذلك أمرنا الإسلام بالوقاية من الأمراض والحوادث وغيرها والتي تؤدي إلى الإعاقة، بل وأمرنا أن ندفع الشرور ونتلافى أضرارها..

. ولكن إذا ما أصيب الطفل أو الشاب أو الرجل أو المرأة بالإعاقة، ففي هذه الحالة تتقرر له حقوق كبيرة في المجتمع، أهمها التعاون والتكافل ومساعدته على مواجهة الحياة وتيسير الأمر له، حتى ينال قسطا من التعليم، وتوفير فرص العمل المناسبة لحالته، وذلك من باب التعاون، بل أمرنا الله أن نشعر بشعور هؤلاء المعاقين، ونقدم لهم يد العون، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

. ويلفت الله نظر أفراد المجتمع إلى أن الإعاقة نوع من البلاء يجب الصبر عليه، ويجب العمل على تجاوز المحنة ومواجهة الحياة بقلب مسلم قوي وعقيدة قوية وعزيمة أكيدة، وذلك مصداقا لحديث رسول الله ﷺ الذي روي عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (رواه مسلم برقم ٥٣١٨ وروراه أحمد في مسنده). ويضرب لنا رسول الله ﷺ مثلا عن هذا الابتلاء عن إصابة العيون بالعمى أو بضعف النظر، فأوصانا رسول الله ﷺ بالصبر لنحصل على المكافأة الجزيلة في حالة فقدان نعمة البصر، لأن للمصاب أجرا عظيما عند الصبر والرضا، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول «إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة. يريد عينيه» (رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٢٢١ ورواه أحمد في مسنده).

ـ وطالبنا الإسلام بتوفير فرص العمل المناسبة للمعاقين في نطاق التقدير ومساعدتهم على البلاء، ويشمل ذلك توفير التعليم والتدريب المناسب لهم، وتوفير أدوات العمل والتدريب والتعليم والكتب المناسبة لكل حالة، وذلك من منطلق أن يصبح المعاقون طاقة غير مهدرة وطاقة يستفيد منها المجتمع ويكتسب المعاق رزقه، فيفيد نفسه وأسرته والمجتمع بأسره، وذلك لأن الله يعين العبد إذا استعان بالله واجتهد وقوى نفسه وساعدها على ذلك، بالحركة قدر جهده، وخطط لنفسه ولم يركن للكسل والخمول، وهو يعلل نفسه بأنه معاق، بل هو يتخطى الإعاقة ويقوي صلته بالله وعنده ثقة في نفسه ويستطيع أن يهيئ نفسه، فإن تخاذل وتباطأ فإن الله سيسأله عن قوته وقدرته وعمره وعمله مصداقا لحديث النبي ﷺ الذي روي عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن: عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله: من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» (رواه الترمذي حديث ٢٣٤١ ورواه الدارمي).

ـ ودعا الإسلام المعاقين أنفسهم إلى الصبر وتجاوز المحن وتكييف أوضاعهم مع الحياة والإيمان، لأن الإعاقة هي محنة في داخلها رحمة، ومنحة ربانية للاختبار النفسي وللصبر والمثابرة بعد ذلك، ونلتمس ذلك من حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له منه» (رواه أحمد في مسنده برقم ٢١٣٠٦ ورواه أبوداود)، فمن حكمة الله أنه يبتلي بعض عباده في أبدانهم وجعل جزاء من يصبر على هذا البلاء جزاء عظيما، فالصبر على البلاء والمصائب مثل زوال الصحة بالمرض ونقصان الأعضاء من أعلى مقامات الصبر، وهذا الابتلاء دليل على حب الله سبحانه وتعالى لعبده ففي الحديث الشريف يقول ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده. قال أبوداود: زاد ابن نفيل: ثم صبره على ذلك ثم اتفقا حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى» (رواه أبوداود ٢٦٨٦ ورواه ابن ماجه ٤٠٢٨ وأحمد ٢١٣٠٦ والترمذي ٢٣٢٠)..

ـ تلك كانت بعض الحقوق الواسعة التي قررها الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة للمعاقين، وهي حقوق متكاملة وحيوية، تدمج المعاقين في مجتمعاتهم ولا تجعلهم عالة على أحد، وتؤمن لهم معيشة كريمة، وكافة الحقوق على الأسوياء، وتعطيهم الحق في مراعاة ظروفهم من جانب أفراد المجتمع، والأخذ بيدهم ومساعدتهم على القيام بواجباتهم الدينية والدنيوية، وينبه الإسلام أن على كل إنسان أن يأخذ حذره ويبتعد عن أي شيء يحدث له إعاقة، لأن الوقاية خير من العلاج، فإذا ما أصيب الإنسان صبر، فإن الإسلام يعطي المعاقين الأجر الجزيل والثواب العظيم في الدنيا والآخرة، ولكن الوضع الدولي يعطي للمعاقين اليوم بعض حقوقهم وليس كل ما قرره الإسلام، الذي منح المعاقين أكثر مما أعطتهم الحقوق الوضعية، وانظر مثلا إلى الإعلان الخاص بحقوق الأشخاص المتخلفين عقليا والذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها ٢٨٥٦ لعام ١٩٧١م، والذي نص على أن للشخص المتخلف عقليا بأقصى درجة يمكن تحقيقها عملا بنفس الحقوق للكائنات الإنسانية الأخرى، وهناك الإعلان العالمي الخاص بحقوق المعاقين والذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها ٣٤٤٧ لعام ١٩٧٥م، والذي ينص على تكافؤ الفرص للمعاقين، وكذلك مبادئ حماية الأشخاص المصابين بمرض عقلي وتحسين العناية بالصحة العقلية والذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها ١١٩/٤٦ لسنة ١٩٩١م (٦).

وهذه الحقوق الضئيلة التي منحتها المواثيق الدولية لهم نجد أنها بالنسبة للمعاقين لا ترقى إلى الحماية الشاملة والحقوق الواسعة لهم في المنهج الإسلامي المتكامل، الذي أضفى على المعاقين كل الرعاية وكفلهم كفالة شاملة، لأن التساؤلات تدور حول: عدم اهتمام القوانين الوضعية الإنسانية الدولية بباقي فئات المعاقين غير حالات التخلف العقلي؟، وما هي الضمانات الدولية لإعطاء هؤلاء المعاقين حقوقهم؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تؤكد على القصور الإنساني الدولي لحقوق المعاقين.

الهوامش

١. يفضل الكاتب استخدام لفظ المعاق والمعاقين عن لفظ المعوق والمعوقين، لاختلاط لفظ المعوقين بإعاقة الأعمال الصالحة وإعاقة الخير، بينما المعاقون هم الذين أعيقوا بالفعل رغما عن إرادتهم، راجع في ذلك: منصور الرفاعي عبيد ود. إسماعيل عبدالفتاح، حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م، ص ٨٧.٨١.

وفي ذلك مقالة خاصة تالية في منبر الإسلام.

٢. إسماعيل عبدالفتاح، الذكاء وتنميته لدى أطفالنا، القاهرة، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٢م، ط ٣، ص ٦.

٣ فايز فرج، عباقرة هزموا اليأس، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٩م، ط ٢، ص ٤٤.٤٣.

٤. راجع كتاب الأطفال ومعوقات التنشئة السوية (تحرير)، الكويت، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، ١٩٨٦/١٩٨٥م، الكتاب السنوي الثالث، ص ٦٥.٥٥. وأيضا: إسماعيل عبدالفتاح، التنمية الفكرية والثقافية لذوي الاحتياجات الخاصة، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٤م، ص ٤٣-٤٦.

٥. إسماعيل عبدالفتاح، التنمية الفكرية والثقافية، مرجع سابق، ص ٥١.٥٠. وأيضا ديفيد درنر، رعاية الأطفال المعوقين، ترجمة عفيف الرزاز، لبنان، ورشة الموارد العربية للرعاية الصحية وتنمية المجتمع، ١٩٩٢م، ص ٩٩.

٦. راجع: أحمد أبوالوفا، الحماية الدولية لحقوق الإنسان، في إطار منظمة الأمم المتحدة والوكالات الدولية المتخصصة، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م، ط١، ص ٦٩-٧٠.

القاهرة - إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

قسنطينة الجزائرية..
مدينة الجسور المعلقة

قسنطينة لؤلؤة الشرق الجزائري وعاصمته بلا منازع، سواء من حيث المساحة أو تعداد السكان. لها من الأسماء والألقاب الكثير والكثير. لكن يبقى أشهرها والأكثر تداولا بين الناس مدينة الجسور المعلقة، مدينة العلم والعلماء، مدينة الجمال والبهاء، عش النسر، مدينة الأحلام والخيال؛ فبمجرد أن تطأ قدماك هذه المدينة إلا وأحسست أنك في عالم آخر غير عالم هذا اليوم.

الحديث عن مدينة قسنطينة العتيقة وجمالها لا يتطلب الكثير من الجهد والتفكير.. هي مدينة تسحر كل من رآها، ويعشقها كل من نام بين أحضانها الصخرية وهام بجمال تركيبتها الغريبة الفريدة من نوعها، فهي مدينة بمجرد أن تقوم بجولة عبر شوارعها الضيقة ومحلاتها الصغيرة وضوضائها البسيطة تنعش الذاكرة وتلهب أحاسيسك بالألفة والمحبة.

من وادي الرمال الذي يتوسطها، تروي لنا قسنطينة عن أقدم حضاراتها وأروع أساطيرها التي مكنتها من الاستحواذ على إعجاب وتقدير كل من يزورها. قال العديد من المختصين في كتاباتهم وشهاداتهم إنها مدينة أثرية لابد من تصنيفها ضمن المحميات. هذا التميز والجمال الطبيعي انفردت به بدءا من جسورها المعلقة وأزقتها الضيقة وآثارها الأسطورية، وصولا إلى المدينة القديمة التي تروي تاريخ المدينة وتحاكيك بعاداتها وتقاليدها. قسنطينة النائمة فوق صخرتين كبيرتين على جانبي وادي الرمال، مما أعطاها منظرا فريدا يستحيل أن يوجد مثله عبر العالم في أي مدينة.. أطلق عليها القدامى اسم المدينة السعيدة؛ لأنهم يعرفون ثراء أهلها وجودهم، فالفقير من المدن المجاورة كان يقصدها لينعم بكرم سكانها.. وأطلق على المدينة أيضا اسم مدينة الجسور المعلقة؛ لكونها تحتضن ثمانية جسور معلقة شاهقة تعانق في علوها السماء، بعضها تحطم لانعدام الترميم، وبعضها ما زال يصارع الزمن، وهي مدينة عاشت منذ الأزل أساطير وقصصا مازالت تتداولها الأجيال ويترنم بها الأدباء، هي مسقط رأس ماسينيسا وابن باديس ومالك بن نبي، وهي المدينة التي مات في عشقها مالك حداد وهوتها الأديبة أحلام مستغانمي.

يطلق الشعراء على قسنطينة اسم مدينة «الهواء والهوى»، وهذا نظرا للطافة جوها ورقة طباع أهلها وطيبتهم، وانتشار البساتين والأشجار في كل أرجائها. ما إن تزورها حتى تحس أنك بين أهلك وذويك، يطربك فنها الراقي، وتدهشك عادات سكانها وأصالتهم.. هي قسنطينة تروي لنا حكايتها ويتغنى بها الشعراء والفنانون والأدباء.. قسنطينة الجمال والحب.







تاريخ قسنطينة

قسنطينة مدينة عريقة ضاربة بجذورها في التاريخ، عرفت استقرار البشر منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، حيث سكن أهلها الكهوف والمغارات المتواجدة بسفوحها، وسكنوا الأدغال المتواجدة حول الوادي والبحيرة القديمة. والمؤرخون اليونان والرومان هم أقدم من كتب عن تاريخ قسنطينة، وعلى رأسهم المؤرخ بونييوس الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد.

اشتهرت «سيرتا» (الاسم القديم لقسنطينة) لأول مرة عندما اتخذها ماسينيسا (ملك نوميدية) عاصمة لمملكته، وجعل منها درعا قوية؛ لأنها تتربع على كتلة صخرية يحيط بها أخدود الوادي العميق، مما رفع حصانتها وشموخها، وزيادة على ذلك فهي تزخر بوفرة المياه والأراضي الصالحة للزراعة.

وبحكم موقعها الاستراتيجي كانت المقر الهادئ للفينيقيين، خصوصا في حكم ماسينيسا، الذي اهتم بها وطوّرها في كل المجالات وجعل منها أول عاصمة في شمال إفريقيا.

وقد عاشت هذه المدينة اضطرابات وصراعات، بدءا بموت ماسينيسا إلى يوغورطة، الذي اختارها منطلقا لحربه ضد الرومان، لتأتي مرحلة العهد الروماني وتتمرد شوارع هذه المدينة الحزينة على الرومان عام ٣١١م، مما دفعهم إلى تدمير منشآتها وتخريب عمرانها بأمر من الإمبراطور ماكسينونس. ليعيد الإمبراطور الروماني قسطنطين في عام ٣١٣م ترميمها ويعيد إليها مكانتها عاصمة لإقليم الشرق.

أطلق عليها قسطنطين اسمه ليضيف إليها المسلمون «تاء» التأنيث، وصارت تسمى «قسطنطينة» إلى أن خفف تدريجيا إلى «قسنطينة». وفي القرن العاشر الميلادي عرفت المنطقة قدوم قبائل بني هلال العربية، لتطغى اللغة العربية على أهالي المنطقة بمرور الوقت.. وظلت قسنطينة محط نزاع بين الدويلات التي عرفت منطقة المغرب العربي، مثل الدولة الزيرية والدولة الحمادية والدولة الحفصية، حتى دخولها في حكم الأتراك العثمانيين عام ١٥٦٨م.

وقد عرفت المدينة ازدهارا كبيرا في عهد الحاكم العثماني للمدينة صالح باي (١٧٧١م- ١٧٩٢م)، الذي قام ببناء الكثير من المباني التي مازالت حاضرة حتى الآن، والتي لعبت دورا في تاريخ المدينة، ومن بينها جامع ومدرسة الكتانية.

وبعد سقوط الجزائر العاصمة عام ١٨٣٠م، امتدت أطماع الفرنسيين شرقا إلى مدينة قسنطينة، وحاول الفرنسيون مرارا احتلال المدينة، إلا أنهم قوبلوا بمقاومة شرسة من أهاليها بقيادة الحاكم العثماني أحمد باي. وقد استطاع أحمد باي صد حملتين متتاليتين للفرنسيين، لكن الجيش الفرنسي بقيادة دوموريير استطاع عام ١٨٣٧م التسلل إلى المدينة عبر معابر سرية توصل إلى وسطها، عن طريق خيانة من أحد سكان المدينة اليهود، واصطدم الجنود الفرنسيون بالمقاومة الشرسة للأهالي واضطروا لمواصلة القتال في الشوارع والبيوت، حتى انتهت المعركة أخيرا بمقتل العديد من الأهالي، واستقرار المحتلين في المدينة بعد عدة سنوات من المحاولات الفاشلة.

هذه هي مدينة قسنطينة العروس التي صارعت الزمن وتداولت عليها تغيرات حضارية عبر تاريخها.. قسنطينة اليوم لا تنتظر أن تبوح لك بما يخالجها، فهي تتجدد مع كل نسمة هواء، وترفض أن تنسلخ عن أصالتها، فقاومت رياح التغيير.. قسنطينة مهد الحضارات والأساطير التاريخية، هي عاصمة المساجد والزوايا والمدن القديمة والجسور المعلقة والصروح الأثرية التاريخية، بدءا من ضريح ماسينيسا وآثار المدينة النائمة تيديس، وصولا إلى متحف قسنطينة العريق.

المعالم والآثار

تزخر مدينة قسنطينة بالعديد من المعالم والآثار التي تمتد عبر العديد من القرون الغابرة، والتي حفرت

عليها الحضارات العديدة ما يميزها ويتجلى في:

- تيديس: تقع على بعد ٣٠ كيلومترا إلى الشمال الغربي من قسنطينة، وتختفي في جبل مهجور، كانت لها قديما أسماء عدة مثل: «قسنطينة العتيقة»، «رأس الدار»، كما سميت أيضا «مدينة الأقداس»؛ نظرا لكثرة الكهوف التي كان الأهالي يتعبدون فيها. ويبدو أن اسمها الحالي «تيديس» هو اسم محلي نوميدي. أما الرومان فأعطوها اسم «كاستيلي castelli»، ومعناه المكان المحصن. وقد كان دور هذه المدينة هو القيام بوظيفة القلعة المتقدمة لحماية مدينة سيرتا من الهجمات الأجنبية.

ولا تزال آثار الحضارات التي تعاقبت على «تيديس» شاهدة إلى اليوم، بدءا بعصور التاريخ الأولى، من الحضارة البونيقية، الحضارة الرومانية، الحضارة البيزنطية إلى الحضارة الإسلامية.

ويتجلى عصر ما قبل التاريخ في مجموعة من القبور تسمى «دولمن»، ومعناها «المناضد الصخرية»، وكذا مقبرة قديمة تقع على منحدر الجانب الشمالي وتجمع عددا من المباني الأثرية الدائرية المتأثرة بطريقة الدفن الجماعي والتي تسمى «بازناس».

- ضريح ماسينيسا: يقع على بعد ١٦ كيلومترا جنوب شرق قسنطينة؛ وهو عبارة عن برج مربع، تم بناؤه على شكل مدرجات، به ثلاثة صفوف من الحجارة، وهي منحوتة بطريقة مستوحاة من الأسلوب الإغريقي، وقد نسب هذا الضريح لماسينيسا الذي ولد سنة ٢٣٨ ق.م وتوفي سنة ١٤٨ ق.م، حكم هذه المنطقة لمدة ٦٠ سنة، ويعود إليه الفضل في تأسيس الدولة النوميدية، كما أسهم في ترقية العمران وتطوير الزراعة بالمنطقة، وأسس جيشا قويا.

- ضريح لوليوس: يقع في جبل شواية بالمكان المسمى «لهري»، على بعد حوالي ٢٥ كيلومترا شمال غرب قسنطينة، غير بعيد عن «تيديس»، له شكل أسطواني، بني من حجارة منحوتة وشيد من طرف لوليوس إبريكيس (حاكم روما آنذاك) تخليدا لعائلته.

- باب سيرتا: هو معلم أثري يوجد بمركز سوق بومزو، ويرجح أنه كان معبدا، ويعود تاريخ اكتشافه إلى شهر يونيو من عام ١٩٣٥م. ووفق بعض الدراسات، فإن هذا المعبد قد بني حوالي سنة ٣٦٣م.

- الأقواس الرومانية: توجد بالطريق المؤدي إلى شعاب الرصاص، وكان الماء المتدفق بهذه الأقواس يمر من منبع بومرزوق إلى الخزانات والصهاريج الموجودة في المدينة، وهذا المعلم هو من شواهد الحضارة الرومانية.

- حمامات القيصر: ما زالت آثارها قائمة إلى اليوم، وتوجد في المنحدر بوادي الرمال، وتقع في الجهة المقابلة لمحطة القطار، غير أن الفيضانات قد أتلفتها عام ١٩٥٧م. وقد كانت هذه الحمامات الرومانية تستقطب العائلات والأسر للاستحمام بمياهها الدافئة والاستمتاع بالمناظر المحيطة بها، خصوصا في فصل الربيع.

- قصر أحمد باي: يعد إحدى التحف المعمارية المهمة بقسنطينة، وتعود فكرة إنشائه إلى أحمد باي، الذي تأثر أثناء زيارته للبقاع المقدسة بفن العمارة الإسلامية، وأراد أن يترجم افتتانه بهذا المعمار ببناء قصر، وبالفعل انطلقت الأشغال سنة ١٨٢٧م لتنتهي سنة ١٨٣٥م.

يمتد هذا القصر على مساحة ٥٦٠٠ متر مربع، يمتاز باتساعه ودقة تنظيمه وتوزيع أجنحته، التي تنبع عن عبقرية في المعمار والذوق معا. تعرض طيلة تاريخه إلى عدة محاولات تغيير وتعديل، خصوصا أثناء الاحتلال الفرنسي، حيث حاولت الإدارة الفرنسية إضفاء الطابع الأوروبي على القصر بطمس معالم الزخرفة الإسلامية والقيشاني (سيراميك).

أما الحالة المعمارية للقصر فقد تحولت كثيرا عن أصلها الإسلامي بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة، وأصبحت عبارة عن خليط من الزينات المعمارية. ومع ذلك، فإن









الهوية الأصلية للقصر ظلت هي السائدة والمهيمنة على كل أجزائه وفضاءاته الرائعة، وإن الزائر له يستمتع بنقوشه وزخرفته وألوان مواده، التي تحيل إلى مرجعية معمارية ضاربة في الأصالة والقدم.

ـ المدينة القديمة: تضفي المدينة القديمة بدروبها الضيقة وخصوصية بناياتها طابعا مميزا، وتجتهد ببيوتها المسقوفة وهندستها المعمارية الإسلامية في الصمود مدة أطول، ملمحة إلى حضارة وطابع معماري يرفض الزوال. وتعتبر إرثا معنويا وجماليا يشكل ذاكرة المدينة بكل مكوناتها الثقافية والاجتماعية والحضارية. وقد عرفت قسنطينة، كغيرها من المدن والعواصم الإسلامية، الأسواق المتخصصة، فكل سوق خص بتجارة أو حرفة معينة، ومازالت أسواق المدينة تحتفظ بهذه التسميات مثل: «الجزارين» و«الحدادين» و«سوق الغزل».. وغيرها. هذا إلى جانب المساحات التي تحيط بالمنازل والتي تسمى الرحبة وتستعمل لأغراض تجارية، حيث تباع فيها مختلف السلع والبضائع كالملابس، الأقمشة وغيرها، وأشهرها رحبة الصوف ورحبة الجمال. أما الأسواق الخاصة بكل حي من أحياء المدينة، فإنها كانت تسمى «السويقة»، وهو السوق الصغير، ولايزال أحدها حيا إلى اليوم يسمى «السويقة».

ـ الجسور: نظرا لموقع المدينة الوعرة وأخدود وادي الرمال العميق الذي يشقها، أقيمت ثمانية جسور لتسهيل الحركة والتنقل، وأهمها جسر سيدي راشد، جسر سيدي مسيد، جسر ملاح سليمان، جسر الشلالات، وجسر باب القنطرة التي تربط بين وسط المدينة والأحياء الأخرى التي توجد في الطرف الثاني من الصخرة التي يخترقها وادي الرمال، واشتهرت قسنطينة بعد ذلك باسم مدينة الجسور المعلقة.

ـ أبواب قسنطينة: كانت المدينة محصنة بسور تتخلله سبعة أبواب، وبعضهم يقول ستة، تغلق جميعها في المساء وهي: باب الحنانشة، باب الرواح، باب القنطرة، باب الجابية، باب الجديد، وباب الواد أو باب ميلة. كانت هذه الأبواب تقوم بوظيفة التحصين للمدينة ضد الغرباء، وبدأت تختفي بالتدريج إلى أن أزال الاحتلال الفرنسي آثارها كلية.

مساجد قسنطينة

طغت على قسنطينة صبغتها الثقافية والدينية منذ القدم، وتكرس هذا المظهر بعد استقرار الإسلام بها، فعرفت بناء المساجد الرحبة الباهرة، ومن أهمها:

ـ الجامع الكبير: بني في عهد الدولة الزيرية سنة ٥٠٣هـ/١١٣٦م، وقد أقيم على أنقاض المعبد الروماني الكائن بنهج العربي بن مهيدي حاليا. تغيرت هندسته الخارجية جراء الترميم، ويتميز بالكتابات العربية المنقوشة على جدرانه.

ـ جامع سوق الغزل: أمر ببنائه الباي حسن وكان ذلك عام ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، حولته القيادة العسكرية الفرنسية إلى كاتدرائية، وظل كذلك إلى أن عاد إلى أصله بعد الاستقلال.

ـ جامع سيدي الأخضر: أمر ببنائه الباي حسن بن حسين الملقب أبوحنك في عام ١١٥٧هـ/١٧٤٣م، كما يدل عليه النقش الكتابي المثبت على لوح من الرخام فوق باب المدخل، وتوجد بجانب المسجد مقبرة تضم عدة قبور من بينها قبر الباي حسن.

ـ جامع سيدي الكتاني: يوجد بساحة «سوق العصر» حاليا، أمر ببنائه صالح باي بن مصطفى في عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦م، وإلى جانبه توجد مقبرة عائلة صالح باي.

ـ مسجد الأمير عبدالقادر: يعتبر من أكبر المساجد في شمال إفريقيا، ويتسع لنحو ١٥ ألف مصل، يتميز بعلو مئذنتيه اللتين يبلغ ارتفاع كل واحدة ١٠٧ أمتار، وارتفاع قبته ٦٤ مترا، يبهرك منظره بهندسته المعمارية الرائعة، ويعد إحدى التحف التي أبدعتها يد الإنسان في العصر الحاضر.

كما تزخر المدينة بعدد آخر من المساجد من بينها: جامع سيدي فعان





- جامع سيدي محمد بن يمون - جامع سيدي بوعنابة - جامع السيدة حفصة - جامع سيدي راشد - جامع سيدي عبدالمؤمن.. الخ.

البساتين والحدائق

يطلق الشعراء على قسنطينة اسم مدينة «الهوى والهواء»، وهذا نظرا للطافة جوها، ورقة طباع أهلها، وانتشار البساتين والأشجار في كل أرجائها، وبذلك تتوافر في المدينة عدة حدائق عمومية تعمل على تلطيف الجو داخلها، ولعل أهم هذه الحدائق والتي مازالت تحافظ على رونقها وجمالها، حديقة بن ناصر، أو كما يطلق عليها «جنان الأغنياء»، وتتوسط شارع باب الواد، وبحي سيدي مبروك توجد حديقتان، إحداهما تقع بالمنطقة العليا والأخرى تقع بالمنطقة السفلى، كما توجد حديقة بحي المنظر الجميل تحمل اسم «فرفي عبدالحميد»، وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد في قصر «أحمد باي» حديقة رائعة الجمال، تذكر بعض الروايات أن الباي نفسه كان يشرف عليها. ومن بين حدائق قسنطينة التي كتب عنها بعض المؤرخين والرحالة حديقة «قسوم محمد»، التي مافتئت تستقطب الكثير من الناس لجمالها وكثافة أشجارها، ويوجد بها تمثال للنحات لوست LHoest، وتحت جسر باب القنطرة وعلى عمق يزيد على ٢٠٠ متر توجد حديقة «سوسة» رائعة الجمال، التي تستهوي السائحين من كل مكان على الرغم من صعوبة الوصول إليها، مما يجعلها تحفة طبيعية يتطلع أي زائر لمدينة قسنطينة إلى الوصول إليها.

العادات والتقاليد

من مظاهر لباس المرأة القسنطينية اللافتة ارتداء الملاية في تنقلاتها خارج البيت، وهي عبارة عن ملحفة سوداء، ويقال إنها ارتدتها حزنا وحدادا على موت أحمد باي الذي قاوم الفرنسيين الغزاة وكانت له شعبية ومنزلة خاصة لدى أهالي قسنطينة.

المرأة القسنطينية معروفة كذلك بأناقتها وحبها للعطور ونباتات الزينة. وهي متعلقة بعادة تقطير الورد والزهر كل عام، ويرجع تاريخ تقطير الزهر والورد في قسنطينة إلى عهد البايات، وإن أغلب الأسر القسنطينية لاتزال تحافظ على هذا التقليد إلى يومنا هذا، ويكون موعد التقطير في فصل الربيع مرفقا بإقامة الولائم والأفراح كتعبير عن الاحتفاء بهذا الموسم، يستعمل ماء الزهر والورد في تحضير بعض الحلويات والأكلات والتقطير فوق القهوة لإعطائها نكهة خاصة، إضافة إلى استعماله في بعض الأغراض الصحية والتجميلية.

الصناعات والحرف التقليدية

تعد الصناعات والحرف التقليدية رافدا مهما يربط قسنطينة بموروثها الثقافي والحضاري، ومن أهمها: صناعة الحلي الذهبية والفضية، النقش على الخشب، صناعة الخزف، النفخ في الزجاج. الأواني النحاسية، النقش على الجبس، الرسم على الحرير، صناعة الألبسة المطرزة والحلويات التقليدية.. وغيرها.

هذه هي قسنطينة مدينة الجسور المعلقة والحالمة، مدينة الأبواب، والكهوف والمغارات، والمساجد والحدائق والشلالات، مدينة «الهوى والهواء» كما يحلو للشعراء أن يحتفوا بها في قصائدهم.

المراجع:

١ - محمد مروان مراد: قسنطينة ٢٠١٥م. مدينة الجسور المعلقة والمساجد التاريخية والقامات الفكرية المبدعة، مجلة الباحثون، ع٥٦، سبتمبر ٢٠١٣م.

٢ - إدريس علوش: قسنطينة.. مدينة حالمة وجسور معلقة، مجلة الثقافة، أغسطس ٢٠١٣م.

٣ - الدكتور بليل عبدالكريم: مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، مجلة آفاق ثقافية، ع٤٤، يوليو ٢٠١٣م.

٤ - بعض مواقع الإنترنت ذات الصلة بالموضوع.

٥ - الأرشيف الخاص بالكاتب.

محمد مرهف
كاتب

لم تقولون ما لا تفعلون؟!

لعل المتأمل لشطر الآية السابقة، التي عنونا بها مقالنا، يستشعر - بوضوح - انطباق مدلولها على واقع الأمة، وعلى واقع الناس عموما، أفرادا وجماعات.
ولعلنا نحن المسلمين مع وجود هذه الآية كركن ركين في قرآننا، إلا أننا -كالعادة- نهمل ما لدينا من كنوز العزة والرفعة التي بين أيدينا، لنسعى لاهثين لتلقف ما عند غيرنا من نظريات وأخلاقيات ومبادئ.
فمشكلة انفصال القول عن العمل لدى المسلمين، هي من أعضل المشكلات التي أصابتهم بانفصام في شخصيتهم، فزعزعت ثقتهم في أنفسهم، وشوهت صورتهم في أعينهم قبل عيون غيرهم، فأساؤوا إلى الدين وشوهوا نقاءه وطهره لامتلاء ساحاتهم بالأقوال والمواثيق والعهود، وخلوها من الأفعال والالتزام.
ولاشك في أن انفصال القول عن العمل أمر نسبي بين الناس، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالموقع الذي يشغله الفرد في مجتمعه، فإخلاف الحاكم لوعوده يختلف عن إخلاف الفرد العادي لها، وإن كان كلاهما من حيث المبدأ مخطئين، لكن النتائج تختلف بحسب مكانة المرء وموقعه.
كما أن هناك فرقا بين أن يقول الإنسان شيئا لا يريد فعله، وبين الإنسان الذي لا ينجز عملا يقوله، أو آخر همّ بعمل وبدأ به ثم لم يتمه.
فالأول: دليل النفاق، والعياذ بالله. وتوضيح ذلك أن الإنسان الذي يقول شيئا لم يقرر إنجازه من البداية هو على شعبة من النفاق، لحديث النبي عليه الصلاة والسلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» (أخرجه البخاري ومسلم).
والثاني: دليل ضعف الإرادة، لفقدان الدافع الباعث على تحويل القول لعملة عملية رائجة.
أما الثالث: فهو دليل على ضعف الإرادة أيضا وضعف الدافع.
وعلى كل حال فمدلول الآية عام يشمل كل تخلف عن عمد، سواء تعلق بنقض العهود والوعود أو غير ذلك من الشؤون.
فسعة المفهوم، الذي تعرضت إليه، ترسم منهجا واضحا لتأطير السلوك ضمن إطار الأقوال المدروسة الصائبة، وبهذا فهي تشمل كل قول لا يقترن بعمل، ويستحق اللوم والتوبيخ على تضييعه، سواء يتعلق بالثبات في ميدان الجهاد، كما ورد في سبب نزول آية الصف هذه، كما أخرج ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ج٨/ص١٤٦، عن مقاتل، قال: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه. فدلهم على أحب الأعمال إليه. فقال: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا، فبين لهم. فابتلوا يوم أحد بذلك، فولوا عن النبي ﷺ مدبرين، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ (الصف:٢).
أو ما يتعلق بأي عمل إيجابي آخر.
إن من أعظم الابتلاءات التي تبتلى بها الأمم والمجتمعات الإنسانية، هو تزعزع الثقة بين صفوفها، وفقدان الاطمئنان فيما بينها، ولذلك أمارة وأداة.
أما الأمارة فهي الأقوال البعيدة عن الالتزام، والادعاءات الفارغة عن المحتوى العملي.
وأما الأداة لذلك فهي الأشخاص الذين يقولون ما لا يفعلون، وبذلك تتشكل بؤرة للضعف والتباغض، وعدم الاحترام، وتضييع الطاقات، وسقوط الهيبة.
ولو استقرأنا تلك الحالة المرضية التي تنخر جسد الأمة، لوجدنا أعراضها في الصغير والكبير، والعظيم والحقير، والحاكم والمحكوم.
فهي موجودة في الأفراد، وفي الأسر، وفي المؤسسات، وفي كل منحى من مناحي الحياة، وكأن ملامح ضعف الإيمان خففت مناعة الأمة، فاستشرت فيها الأمراض الفتاكة التي تكاد تقعدها عن العودة لسالف عهدها من الرفعة والإباء.
فكم نسمع أشخاصا يقولون سنغير واقعنا الشخصي، وعلى كل المستويات الدينية والأخلاقية والعلمية، ثم لا نرى أثرا لذلك في سلوكهم؟
وكم نسمع عن حماس آباء وأمهات يتجلى في وضع برامج تربوية تبدل أحوال أبنائهم، وتبعثهم خلقا آخر، ثم لا نرى لذلك إلا مزيدا من الإهمال والتضييع.
وكم نسمع من حكام وعودا بإصلاح الأوضاع الداخلية، السياسية منها أو الاقتصادية أو العلمية أو غيرها، وإحداث النهضات المختلفة في حياة الناس، ثم لا نجد أثرا عمليا لذلك إلا مزيدا من الفساد والفوضى والفقر والضعف والبطالة والتقهقر العلمي وتحكم المحسوبيات التي تهدم ثوابت المجتمع وتدك أركانه.
لهذا يبقى اللسان مترجما لما يضمره القلب ويكنه الفؤاد، وإذا أصبح اللسان في مسار بعيد عن تصوير خلجات الفؤاد، فإن ذلك مؤشر على حالة النفاق، حيث إن المنافق تبدو عليه علامات الاعتلال في الفكر والروح.

علياء ناصف
باحثة إسلامية



رحلة ضد تياري الإلحاد والتطرف (١)

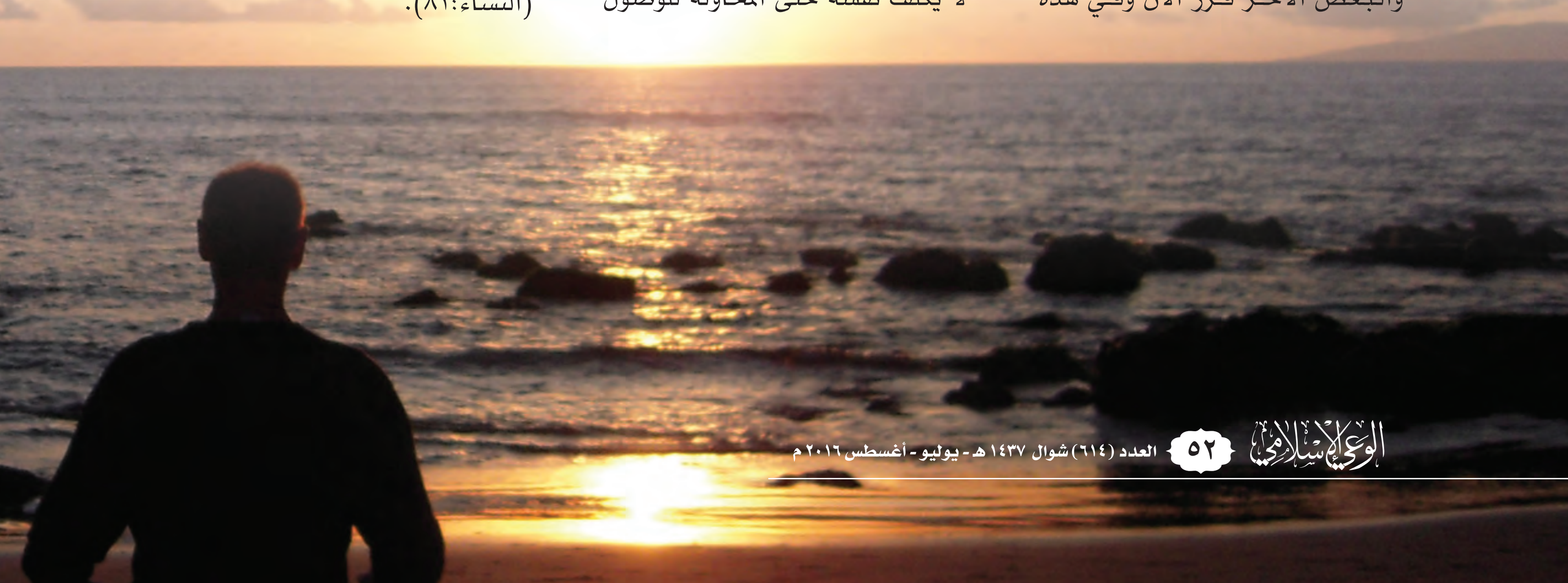
رحلة البحث عن الحقيقة

هي دعوة لكثير من التأمل والتدبر والتفكر لنجوب معا رحلة الوصول إلى الحقيقة.. الحقيقة التي هي الأعظم والأهم والأولى من أي حقيقة أخرى.. إنها رحلة إيمانية؛ الهدف منها أن يرسو كل عقل حائر وكل قلب غير مطمئن إلى المرسى.. إلى الغاية.. إلى اليقين.

البعض يؤجل الرحلة والبعض الآخر لا يهتم.. البعض ينسى والبعض الآخر يتناسى.. البعض يخشى ويهاب والبعض الآخر قرر الآن وفي هذه اللحظة تحديدا أن يمضي معنا في رحلتنا.

نقطة البداية هي تلك التساؤلات الحائرة التي تجول وتصول في العقول، ربما يقف منهم من يعجز عن إيجاد تفسير لها، ومن ثم تكون النتيجة الوقوع في شرك الوساوس والضلالات، ليجد الإنسان نفسه أسيرا لتصورات باطلة، تتنافى جملة وتفصيلا مع الحق والصواب الذي هو موجود بين أيدينا، ولكن من الناس من لا يكلف نفسه حتى المحاولة للوصول إلى الحقيقة فيما طرحه عقله ودار بخاطره، ويبدو أنه نسي وغفل عن الدعوة الإلهية بالتدبر في كتاب الله تعالى، حيث ورد الأمر الإلهي بتدبر القرآن والنهي عن الإعراض عنه في أكثر من موضع في كتاب الله.

منها على سبيل المثال ما جاء في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:٨٢).



وفي سورة محمد: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد:٢٤).

وورد الحديث بالنهي والزجر عن الإعراض عن الذكر الكريم أكثر من مرة، ومنها أنه ورد مرتين في نفس السورة وهي سورة طه، قال المولى عزوجل: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ (طه:١٠٠)، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه:١٢٤).

ومن ثم فعلينا أن ننتبه جيدا إلى تكرار الدعوة إلى تدبر القرآن، وتكرار النهي والزجر عن الإعراض عن آيات الذكر الحكيم مع الأسلوب المختلف في كل آية على حدة.

يقولها الله في سورة القمر ويكررها على مسامعنا ٤ مرات، لعلنا نعقل ونعي المغزى من التكرار، بالدعوة أكثر من مرة إلى ذكر القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

إن أنبياء الله هم أنفسهم أعملوا عقولهم، وطرحوا التساؤلات، وهاهو سيدنا إبراهيم الخليل يسأل الله عزوجل عن كيفية إحياء الموتى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٦٠).

وهاهو سيدنا موسى عليه السلام يسأل العبد الصالح -الذي هو سيدنا الخضر عليه السلام- ويستفسر منه ثلاث مرات على النحو الذي ورد في سورة الكهف، فعندما رآه يفعل أشياء لم يفهمها، لم يستطع صبرا على ألا يبادر بالسؤال عنها، وذلك عندما وجده يخرق السفينة، ويقتل الغلام، ويقيم الجدار بلا أجر لأهل القرية الذين امتنعوا عن ضيافتهم.

إن هذه القصة العظيمة وحدها كافية لأن تجيب على عشرات التساؤلات في حياة كل منا، والتي تعصف عند البعض أحيانا بصبرهم، وحسن توكلهم على من يدبر الأمر أحسن التدبير؛ الله أحكم الحاكمين.

تساؤلات حائرة في أمور ظاهرها لا نجد له تفسيرا، والقرآن يذكرنا بأنه لعل هذه المسائل تنطوي في باطنها على غيب وخفايا إنما هي شفاء ورحمة.

إنها دعوة لبداية الإقلاع.. الإقلاع عن اللامبالاة في الوصول إلى الحقيقة.. هي دعوة للإقلاع عن طرفي النقيض الإلحاد والتطرف.. فهما وجهان لعملة واحدة.. دعوة للقراءة المتعمقة لكتاب الله، والاستفسار والسؤال من صفوة العلماء عما نجهله وما لا نستطيع فهمه.. ومثلما يحرص الكثير من الناس على تعلم علم التجويد وأحكام التلاوة الصحيحة، فمن البدهي والمنطقي أنه مثلما يتعلم الإنسان المسلم كيفية التلاوة الصحيحة ألا يكون قلبه مغيبا عن الحضور، وألا يكون غافلا عن الفهم والإدراك.

فمن المحزن والمؤسف أن نجد الكثير من الناس لا يحرص على قراءة القرآن إلا في شهر واحد في العام، وهو شهر رمضان وحسب، ومن العام إلى العام يهجر القرآن، بل من الناس من لا يكلف نفسه عناء نفض الغبار الذي تراكم على غلافه من أثر هذا الهجر والإعراض.

إن من يجلو الغبار عن الغلاف، ينفض بذلك غبار قلبه، ويجلو الصدأ عنه، ويحرره من حبسه وأسره، وليسأل الإنسان الله القلب السليم حتى يتسنى له أن يتدبر القرآن امتثالا لأمر الله، فإن الإنسان بذلك يجد الإجابة الشافية الوافية عن كل ما يدور في عقله من تساؤلات، وما يتردد في ذهنه من استفسارات، فقط على الإنسان أن ينفض عن نفسه غبار الجهل والكسل والركود، ويهرع إلى طلب العلم من مصدره الأحق بالرجوع إليه، لينهل بذلك من المعرفة الصادقة المحققة، إنه الحديث الأوفى والكلام الأصدق: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء:٨٧)، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء:١٢٢).

محمد حماني
كاتب صحفي

اللغة العربية والمراهق!

قد يبدو العنوان أعلاه عنواناً عجيباً وغريباً؛ وقد يقال: أي علاقة بين اللغة العربية، والمراهق؛ ولكن دعنا أخي القارئ أن نطرح معك أسئلة وجيهة قد ينكشف بها الغامض، ويتضح بها المبهم، فنقول: هل مادة اللغة العربية بمكوناتها (مكون النصوص، الدرس اللغوي، التعبير والإنشاء)، قادرة على تلبية حاجيات مراهق اليوم – خصوصا- في ظل عالم تحوطه التكنولوجيا الحديثة من كل جانب؟ وما دور اللغة العربية في ترشيد مرحلة المراهقة واستثمارها؛ بحكم أن المراهقة مرحلة نشوء كفاءات وملكات عقلية لم تعرفها الطفولة؟ ثم كيف يمكن لأستاذ اللغة العربية أن يوظف عدة مداخل تربوية وبيداغوجيا من أجل نقل ديداكتيكي لمعرفة أكاديمية عالمة إلى معرفة مدرسية، ويستطيع أن يقربها بشكل جيد إلى «المتعلم المراهق» رغم العوائق النفسية والاجتماعية والبيداغوجيا، والإبستمولوجية..؟

كل هاته الأسئلة تفتقر لإجابة – ولو بشكل مختصر وبسيط- وعليه ينبغي أن نشير إلى أن البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي تنص على أن المتعلم في نهاية مرحلة التعليم الثانوي التأهيلي يجب أن يكون:

مكتسباً لقدرات تواصلية ثقافية ومنهجية تمكنه من التواصل باللغة العربية شفهياً وكتابياً.

قادراً على المساهمة في تدبير محيطه وتنميته.

قادراً على معرفة ذاته والتعبير عنها.

متمكناً من تعديل سلوكاته واتجاهاته وبلورة مشاريعه.

متمكناً من البرهنة وتنظيم العمل والبحث المنهجي.

قادراً على التعلم الذاتي والتكيف.

طبعاً لا يمكن تحقيق بعض من هذه الأهداف والتوجهات العامة في منهاج اللغة العربية إلا بعزيمة أستاذ اللغة العربية، وباستثماره لمكونات هذه المادة من أجل بناء شخصية المراهق وجعله عنصراً فاعلاً وفعّالاً في محيطه، ومجتمعه.

أولاً: لماذا المراهق؟

تعد فترة المراهقة من أصعب وأخطر المراحل العمرية التي تحدث عنها علماء النفس، بحيث إن المراهقة تعرف تغيرات عصبية وبيولوجيا، وهي كذلك مرحلة البحث عن الذات؛ لذلك تحتاج إلى يقظة من لدن الآباء والمربين والأساتذة، وكذا المجتمع المدني؛ بإيجاد فضاءات تحتضن المراهق وتُشبع رغباته، وتُؤطِّر تطلعاته الذاتية من إبداعات حتى لا ينصرف إلى أماكن أخرى قد لا تفيده في بناء ذاته ومستقبله. تقول الباحثة نزها الخوري: «في فترة المراهقة يتكون التفكير في سياقه الشكلي الصريح

شيئاً فشيئا؛ ويتدعم الحكم، ويرتقي المراهق إلى مرتبة ذهنية، تتيح له أن يمارس العمليات العقلية التي يختص بها، غير أنه تعوزه الخبرة ورسوخ القدم، فهو لهذا السبب قد لا يفلح في إنجاز بعض المشروعات والمحاولات التي يرسمها لنفسه؛ فيبدأ بتنفيذها. وهذا ما يجعله في مسيس الحاجة إلى التشجيع، وإلى الدعم المعنوي أو الأدبي» (١).

لقد أوضحت الاكتشافات الحديثة في المجال التربوي منظوراً جديداً حول دور التعليم الثانوي التأهيلي، حيث إن المراهق ليس طفلاً كبيراً يسعى إلى أن يكون بالغاً، أو بالغاً لديه دماغ أصغر من سنِّه! إنما هو في الحقيقة شخصية تجمع اهتمامات وتوقعات شتى تظهر في قاعة الدراسة.

ثانياً: المراهق، وعوائق التعلم:

بعض من المتعلمين المراهقين لهم تمثلات خاطئة عن مادة اللغة العربية، فيصادفون بذلك جملة من الصعوبات التي تعوق مسارهم المعرفي وسيرورة تعلمهم نحو هذه المادة، وتنقسم هذه العوائق إلى:

عوائق اجتماعية: تتمثل على الخصوص في الثقافة السائدة داخل المجتمع، وثقافة تؤطر أفكار المراهق، وتوجهاته من خلال وسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع الأخرى، وهي تؤثر بشكل أو بآخر على المراهق، ويمكن أن نضيف عائقاً آخر إلى العائق الاجتماعي، هو البعد السياسي والحملة المسعورة على اللغة العربية!

عوائق فيزيولوجيا أو عضوية: وهي عوائق نفسية مرتبطة بالخصائص الفيزيولوجيا للمراهق والتربية النفسية.

عوائق بيداغوجيا وديداكتيكيا: ترتبط بنوعية المشروع التعليمي والطريقة التي يعتمدها المدرس وذلك على مستوى مختلف المكونات البيداغوجيا المتداخلة في النشاط التعليمي.

عوائق إبستمولوجيا: وهذه العوائق ترجع إلى طبيعة المادة نفسها، وهو أمر معرفي إبستمولوجي، وأقصد المنهاج الدراسي الذي يتشكل من التوجهات، والبرامج، والكتاب، لا اللغة العربية نفسها؛ لأن المعرفة عندما يتم نقلها ديداكتيكيا تفقد كثيراً من خصوصيتها، وربما يتم إفراغها من محتواها؛ فأحياناً يكون هذا النقل عائقاً أمام التعلم؛ لأننا ينبغي أن نميز في هذا الإطار بين عدة معارف:

المعرفة المتخصصة: الكتب، والأبحاث العلمية والأكاديمية التي يرجع إليها الأستاذ في تحضيره للدرس، وتوسيع معارفه.

المعرفة المحولة لفائدة التعلم: المناهج والمقررات والتوجيهات، والكتب المدرسية.

المعرفة التي تدرس في القسم: محتويات وأنشطة الدروس المنجزة في الفصل الدراسي.

المعرفة المكتسبة: إنجازات التلاميذ واستثمارهم للمعرفة المدرسية في وضعيات تواصلية مختلفة.

ثالثاً: هل استفاد أستاذ اللغة العربية من العلوم العصبية والمعرفية؟

كشفت العلوم العصبية جهل العملية التربوية بكيفية اشتغال الدماغ؛ وبناءً على نتائج الأبحاث في العلوم العصبية، فقد توصلت إلى خمسة مبادئ أساسية لتسهيل العملية التعليمية التعلمية:

تركيز انتباه المتعلمين على الأساس والجوهري عن طريق:

- تجنب الإكثار من المعلومات الزائدة وغير الضرورية.
- تنويع طرق التعلم لجذب انتباه المتعلمين.

تكرار المعلومة؛ كي تترسخ جيداً في الذاكرة.

تنشيط وتحريك المتعلمين بهدف وضع دماغهم في استعداد.

تيسير وتشجيع الإثارة المتعددة الحواس (الذكاءات المتعددة).

تفضيل البصر على كل الحواس: (أغلب المتعلمين لهم ذاكرة بصرية، أكثر من ٦٠٪ من المجتمع العالمي له سيادة البصر- صورة أحسن من ألف كلمة-).

إن الفهم الجيد لكيفية اشتغال الدماغ أمر هام بالنسبة للفعل التربوي، يقول أحد الباحثين في العلوم المعرفية: «إن الكشف عن استراتيجيات اشتغال الذاكرة، سيفضي حتماً إلى فهم آليات التعلم، ومنه إلى تطوير العملية التعليمية وتيسير طرائق التعلم وأساليبه، على اعتبار أن استراتيجيات اشتغال الذاكرة هي نفسها استراتيجيات التعلم. من ثم؛ فإن نجاعة العملية التربوية، يلزم أن تتأسس تحديداً على فهم بنيات الذاكرة وآليات اشتغالها» (٢).

رابعاً: اللغة العربية، والذكاءات المتعددة لدى المراهق:

يتطلب من أستاذ اللغة العربية أن يفتح

أمام تلامذته آفاقاً واسعة لاستثمار قدراتهم في التفكير الإبداعي الكفيل بحل المشكلات التي تواجههم والتغلب عليها. فلكل تلميذ طريقته في التعلم تبعاً لنوع ذكائه؛ ولذلك فأستاذ اللغة العربية بحاجة إلى معرفة نوع الذكاء الذي يختص به كل تلميذ، من خلال الأنشطة الفعالة التي يبديها. حيث إن كل ذكاء يكسب صاحبه كفاءة معينة يجعله يتعلم باستثمارها. ويعد الأمريكي «هاورد كاردنر» أول من وضع نظرية الذكاءات المتعددة، وذلك بعد أن أدرك عدم كفاية التصور الأحادي للذكاء، كمّا وكيفاً، وتهتم هذه النظرية بكل الذكاءات والقدرات لدى التلميذ ومن شأنها أن تحسن من مستوى العملية التعليمية التعلمية من خلال:

توظيف الذكاءات التي تميز كل متعلم: (الذكاء اللغوي، الذكاء المنطقي الرياضي، الذكاء الطبيعي، الذكاء الحس- حركي، الذكاء الفضائي، والذكاء الذاتي، والذكاء الاجتماعي).

استثمار اللعب في العملية التعلمية: (خاصة في التعليم الأولي).

توفير محيط تعلمي عائلي تسوده الثقة.

والبيداغوجيا الفارقية تؤمن بوجود مجموعة من المتعلمين يختلفون في قدراتهم العقلية والذكائية والمعرفية والذهنية، والميولات الوجدانية، والتوجهات الحسية الحركية، على الرغم من وجود مدرس واحد داخل فصل واحد؛ لذلك فأستاذ اللغة العربية يجب أن يتنبه إلى هذه الفوارق ويشتغل على الحد منها بإيجاد حلول بيداغوجيا وديداكتيكيا. فهناك من المراهقين من يتمتع بالذكاء اللغوي، فهذا الصنف محتاج إلى أنشطة بيداغوجيا: (عروض، مناقشات، قراءات...)؛ فيقوم أستاذ اللغة العربية بزيارة إلى مكتبة الثانوية للاطلاع على كتب، والاستماع إلى أشرطة؛ لأن هؤلاء المراهقين لهم القدرة على إنتاج بناءات نحوية وصرفية وتركيبية، ويقع هذا الذكاء اللغوي في الفصوص الصدغية والجبهة اليسرى للدماغ البشري في منطقة «دروكا» ومنطقة «فرنيك».

وهناك كذلك من المراهقين داخل الفصل الدراسي من يظهر عليه الذكاء الحس- حركي؛ فأستاذ اللغة العربية أثناء تناوله للنص المسرحي - مثلاً- يتطلب منه نقل النص المكتوب إلى عمل مسرحي يُؤدى على الخشبة، فيصبح الكاتب مُخرجاً؛ والشخصية ممثلاً؛ والنص فُرجة..؛ مادام هذا الذكاء يمكّن المراهق من ضبط حركة الجسم وتوجيهها نحو أهداف محددة..

كما يجب أن نشير إلى أن النص الحجاجي له أهميته في بناء شخصية المراهق إذا ما تمّ استثماره، حيث إن «الإنسان حجاجي بطبعه يحيا بالحوار والحجاج وداخل الحوار والحجاج، إنه كائن حواري حجاجي.. فالحجاج في اللغة نجده في كلام الإنسان اليومي وفي حواراته العادية مع أصدقائه وزملائه وأفراد عائلته وكل الذين يتعاملون معه نجده في مناقشاته ومجالاته، ونجد هذا الحجاج في كل أنماط الخطاب: الخطاب الديني والقانوني والسياسي والإعلامي والإشهاري والاقتصادي والعلمي والأدبي» (٣).

والنص الحجاجي يختلف عن النصوص الأخرى بعدة خصائص: (القصد المعلن، التناغم، الاستدلال، البرهنة)، تقول الباحثة التونسية سامية الدريدي عن مفهوم النص الحجاجي: «هذا الصنف من النصوص يختلف عما سواه من جهة هدفه الذي يمكن اعتباره دون ريب برهانياً، فإذا كان قصده معلناً واستدلاله واضحاً وأفكاره مترابطة فلأنه يحرص كل الحرص على الإقناع: إقناع المتلقي بوجهة نظره أو طريقته في تناول الأشياء» (٤).

فاللغة العربية، إذن، يجب أن تستحضر كل هذه الذكاءات من أجل تكييفها مع مكوناتها في بناء شخصية المراهق، يقول توماس أرمسترونج: «إن نظرية الذكاءات المتعددة تحيط أساساً بما يقوم به الأساتذة المخلصون عادة في تعليمهم، إنه عمل يتجاوز حدود النص والسبورة إلى تنوير عقول التلاميذ».

إنه بقدر ما يغذي الأستاذ درسه بإدراج عدة ذكاءات، بقدر ما يساعده ذلك على شد انتباه المتعلمين ولا يستصعبون الدرس مادام الأستاذ قد وظف فيه مجموعة مداخل لبناء المعرفة؛ لأن البيداغوجيات الحديثة أصبحت تنادي بإشراك المتعلم في بناء الدرس، بل صار المتعلم مهداً للعملية التعليمية التعلمية، وانتقل الأستاذ من مالك للمعرفة إلى منشط لها؛ وهذا يتطلب منه مجهوداً أكبر وحرصاً أفضل. كما أن أستاذ اللغة العربية مطالب بأن يستثمر كل الوسائل التكنولوجية المتاحة والانفتاح على النصوص الرقمية؛ لأن آليات التلقي تختلف في الأدب التفاعلي داخل الشابكة العنكبوتية.

يعتبر التكوين البيداغوجي والتربوي لأستاذ اللغة العربية مطلباً ملحاً وضرورة عصرية بهدف تأهيله للقيام بالمهام التربوية والتعليمية على أحسن وجه، وتفعيل وتطوير مردوديته في مجال التدريس وتمكينه من الأدوات الضرورية لمسايرة التغيرات التي تعرفها المدرسة الجديدة بحكمة وتبصر.

الهوامش

١- أثر التلفزيون في تربية المراهقين/ دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٧٩٧م، ص ٦٦.

٢- الجريدة التربوية، ع: ٥٧، س: ٢٠١٤م، ص ١٢.

٣- مجلة طنجة الأدبية، ع:٥٦، س: ٢٠١٥م/ ملف حول «الحجاج اللغوي عند الدكتور أبي بكر العزاوي»، ص ١٢.

٤- الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري) بنيته وأساليبه، إربد: عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٥.

مأمون رشيد
شاعر

نفثات مُسِن

أيا صب ولّت سنون الشباب   ودالت عهود الصبا الناضرِ

وأبقى المشيب على المفرقين   كتائب من جيشه الظافرِ

فأين الصحاب وقد أصبحت   لياليك تخلو من السامر

وحيدًا تنادم سؤر الحياة   كسيف هوى من يد الخاسر

وتهفو إلى عالم تشتهيه   وقسرًا تُجَر إلى آخر

أتذكر أيام كنت صَبيًا   سعيدًا ببرد الصبا الباكر

أيام تأسر ود الحسان   بسحر حديث الهوى الساحر

وطورًا يصدنك صيد القطاة   برشقٍ من الفاتك الفاتر

فالآن تهدأ حرب العيون   فما مِن أسيرٍ ولا آسر

وينفر منك رسول الغرام   وما كان من قبلُ بالنافر

فما لك غير الأسى من سمير   وغير الوساوس من زائر

وحولك تصرخ أصوات جيلٍ   لكل أصيلٍ سما ناكر

تنكب عزم القوي طريقًا   وأدبر عن همة القادر

فبئس الشباب إذا ما دعت   بلادٌ إلى نصرة الناصر

يجرون خلف متاع دنيء   وكل هوىً فاسق فاجر

تمر السنون ولا يستبينون   نُصحًا من المشفق الآمر

إذا ما ذكرت الأوائل قالوا   مُسِنٌ يُحدّث عن غابر

يرجون لو غيبتني المنون   وغودر تحت الثرى سائري

أما علموا أن في ما مضى   عمادٌ لمستقبلٍ زاهر

تدثرت بالليل أحدو الركاب   بعيدًا عن المهمه القافر

وطافت بعينيَ سِنةٌ أباحت   وداع سنى نجميَ الساهر

حلمت بأني حول العتيق   أطوف مع الموكب الهادر

ويسبح فوق الغمام فؤادي   ويسري مع الفلك الدائر

مع من بمكة من راكع   ومن بالمدينة من ذاكر

ونور النبوة ملء الدروبِ   سلامٌ على القلب والخاطر

فعدت كيوم ولدت نقيًا   أدِل بثوب التقى الطاهر

وحين صحوت تبخر حلمٌ   وأفلت من قبضة الحاضر

فشاهدت موت المنى في المسـ   ـافة بين المؤمل والصائر

فماذا أُرَجّيه غير الخضوع   لجسم ضعيف القوى خائر

وعمر يسير إلى أرذل   وداء سَرى في الحشا غادر

وهذي العصا بيميني بها   أهُش على خطويَ العاثر

وتلك الذنوب على كتفيّ   كبحر من الكامل الوافر

فمن منقذي من هموم ثقال   ومن في خطايا خلت عاذري

وأين السبيل وقد جفّ نبعٌ   وغاض معين الحجى العامر

مددت يدي مستطار الفؤاد   أداري سدىً دمعة الحائر

وبت أُرتل ذكرًا حكيمًا   وأغرف من باطنٍ ظاهر

وأسأل حسن الختام غفورًا   وهل غير ربك من غافر

عبدالرحيم شراك
قاص وأديب



من أجل سعادته

مضت أشهر عدة وهو على هذه الحال، لا يستطيع الكلام والوقوف، أو حتى تحريك جزء من جسمه، لكنني بقيت معه؛ فأنا أعتني به منذ تلك الحادثة التي أفقدته القدرة على الحركة.

تخلى عنا جميع إخوتي، فكل واحد منهم مشغول بأعماله ومشاكله وهمومه؛ لذا بقيت الوحيد مع والدي. كثيرا ما تساءلت عن سبب عدم زيارتهم لنا، أو سبب تحملي المسؤولية الكبيرة وحدي! كثيرا ما وسوس إلي الشيطان ولم أستسلم. كل إخوتي الذكور والإناث أسسوا أسرهم الصغيرة، الكل تزوج وأنجب، وأنا بقيت هكذا من أجله. ذهبت إليهم واحدا واحدا من قبل ولم يهتموا بالأمر، بل كانوا يعتقدون أنني أتسول منهم، وأرغب في النقود! لقد مضى الكثير من الوقت، وأصبحت المسؤولية الملقاة على كاهلي تزداد وتكبر. كما بدأت أشعر بشعور غريب في الآونة الأخيرة، فأنا أخشى أنني حرمت نفسي وحرمته هو الآخر من أشياء كثيرة.

في كل يوم أبذل قصارى جهدي لإرضاء والدي، رغم إحساسي القوي بالأسى، لأنني لا أستطيع البقاء معه طوال الوقت بحكم عملي. فكثيرا ما أشعر بحزنه عندما أعود إلى المنزل، خصوصا إذا كان قد بلل ثيابه أو فراشه، لكن جاري أصبح يساعدني بشكل كبير مؤخرا، فهو يحس بمدى صعوبة الأمر بالتأكيد.

أنا أدرك تماما أن أبي شخص قوي الإيمان وراض بقضاء الله وقدره، إلا أن الألم يعتصرني عندما أحس أنه يرغب في شيء ما ولا يستطيع القيام به أو حتى قول ما يريد، لكنه بالتأكيد يتألم أكثر مني.

ظلت الحال هكذا في منزلنا، ويوما بعد يوم تزداد المعاناة والآلام، إلى أن وجدت إعلانا مفاجئا في إحدى الجرائد. تمعنت في ذلك الإعلان

وقرأته جيدا، وقد بدا لي أنه الحل الوحيد والمتبقي من أجل سعادته وسعادتي، حتى لا يحس بالنقص والحرمان اللذين يعيشهما معي! كان قرارا صعبا، لكن اتخاذه أصبح ضرورة قصوى، من أجل راحتي وراحته. فبدأت بجمع الحقائب استعدادا للسفر في الغد.

في اليوم التالي سافرت أنا وأبي بواسطة القطار في اتجاه أكبر مدينة في البلاد، وحملت معي الجريدة التي اشتريتها بالأمس، فقد كتب على صفحاتها عنوان المستشفى الكبير، وهو مقر عمل طبيب اكتشف عملية غريبة لعلاج العديد من الأمراض؛ رغم أنها تتطلب الكثير من الأموال والتضحيات.

وصلنا بعد ساعات إلى المستشفى المطلوب، فنقلنا أبي إلى غرفة خاصة بحالات الشلل، وبعد ذلك أخذت أتكلم مع الطبيب ثم أطلعته على كل ما يتعلق بحالة والدي. كان يصغي إلي باهتمام وتفهم، حتى أخبرته برغبتي في إجراء تلك العملية الجديدة لأبي ففوجئ قائلا: ماذا؟ هل تريد فعلا أن تمنح جسدك لأبيك وتمتلك جسده بعملية التبادل؟ هل تعرف ما معنى هذا؟ ستبقى مشلولا إلى الأبد!

فأجبته بحزم يملأه الألم: أجل يا دكتور، لقد فكرت في الموضوع جيدا، ولهذا قررت أن أمنح جسدي وصحتي لأبي، وسأكون سعيدا جدا بالحصول على رضاه مدى الحياة. صحيح أنني سأصبح مشلولا وفي حالته نفسها، لكن هذا الأمر لا يهمني كثيرا، فهو يتألم عندما لا يستطيع النهوض والذهاب إلى المسجد. لقد اشتاق إلى صلاة الفجر في جماعة وإمساك القرآن بيديه لتلاوته، كما اشتاق إلى زيارة الأقارب والأصدقاء والمرضى واليتامى، حتى إخوتي الذين تخلوا عنه، كان كثيرا ما يزورهم ليطمئن عليهم. إنه يتألم جدا، وأنا أتألم أكثر منه عندما أراه في هذه الحالة.

بدا الطبيب متأثرا جدا بما قلته، فهو لم يتوقع أن تكون تضحيتي بهذا القدر وأمنح صحتي كلها لوالدي، لكنه طلب مني أن نأخذ الإذن من إخوتي، فهو والدهم أيضا ولابد من إطلاعهم على القرار. شرحت له الأمر جيدا وأعطيته أرقام هواتفهم حتى نتمكن من إجراء العملية في الغد، فيما قررت الخروج قليلا من المستشفى فقد تكون آخر مرة أحرك فيها يدي ورجلي.

أحسست بالألم عندما مشيت في الشارع، فقد رأيت العديد من الناس في الطريق، كان البعض منهم يضحك، والبعض يشتري من المتاجر، وآخرون يتشاجرون؛ لا أحد منهم يعلم قيمة تحريك الجسم والمشي والكلام. يا للغرابة! فقد بدأت بعض الدموع تخرج من عيني عندما تخيلت أبي واقفا أمامي من جديد، يبتسم معي ويضحك مثلهم. آه! كم اشتقت إلى كلامه معي ودعواته، تمنيت لبرهة لو أعود إلى الماضي وأعيش معه جميع اللحظات من جديد، وحبذا لو كانت والدتي المتوفاة معنا أيضا، سيتحقق ما أريده، فمعاناته ستنتهي أخيرا إن شاء الله. توقفي أيتها الدموع عن النزول. سيصبح أبي بصحة جيدة، وسيقوم بكل أعماله التي كان يقوم بها في السابق. أعلم تماما أن عدم قدرتي على الكلام والحركة أمر صعب، إلا أنني سأكون سعيدا لأن أبي سيكون كذلك، ولن يتألم بعد الآن. آسف جدا، فأنا لن أستطيع الوقوف والابتسام من جديد، لذلك لن أستمر في عملي. أعتذر من كل قلبي فلن أتمكن من الزواج وبناء أسرة صغيرة كما كنت أحلم. صحيح أنني لن أكون قادرا على فعل شيء وسأصبح من دون قيمة في المجتمع، لكن رضا والدي عني يكفيني.

مضت عدة ساعات ولم أستطع التفكير في الموضوع أكثر، فرجعت إلى المستشفى بعدما مسحت دموعي. لكن المفاجأة التي كانت هناك لم تكن متوقعة أبدا!

لقد وجدت كل إخوتي في الغرفة! كل منهم يبكي ويتألم ويتحسر! كانوا ينظرون إلي بنظرات غريبة لم أدرك معناها الحقيقي. كان الطبيب معنا في تلك اللحظة، فخرج من الغرفة بهدوء من دون النطق بأي كلمة. بينما بقيت أنا وإخوتي مع أبي. فقال أخي الكبير باستغراب: لم نتوقع أبدا أن تضحي بصحتك يا صهيب من أجل والدنا! أنا لا أعرف ماذا أقول؟ ثم أضافت أختي الصغرى: لن نتركك تصبح مشلولا وتضحي بحياتك لوحدك فهو والدنا جميعا، أنا أقترح أن يمنح كل واحد منا جزءا من صحته لوالدنا حتى يعود كما كان. تكلم جميع إخوتي، وفي كل مرة يقبل أحدهم والدي. بينما بقيت صامتا طوال الوقت، فلا يمكن لأي كلمة أن تصف ما أشعر به أمامهم!

كان الموقف أكبر مما كنت أتصور وأحتمل، ولم أعاتب أي أحد منهم على تقصيره، لأن وجودهم معنا كان كافيا. حتى دموعي التي كانت ترغب بشدة في النزول، منعتها بقوة كي أستطيع رؤية السعادة الواضحة على وجه أبي بعدما رآنا مجتمعين.

السيد المخزنجي
كاتب مصري



التواصل الاجتماعي الإلكتروني من منظور فقهي

يقع الكتاب في نحو ٤١٠ صفحات من القطع المتوسط، ويضم بين دفتيه ثلاثة فصول وخاتمة؛ الفصل الأول: التعريف بالتواصل الاجتماعي الإلكتروني، والفصل الثاني: الضوابط الفقهية للتواصل الاجتماعي الإلكتروني، والفصل الثالث: الأثر المترتب على مستخدم الوسائط والأدوات في التواصل الاجتماعي الإلكتروني.

قدم للكتاب د. محمد الزحيلي، صدر في طبعته الأولى عن مكتبة الإمام الذهبي بدولة الكويت (١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م).

أهمية الكتاب

تتجلى أهمية الكتاب في بيان حاجة المسلمين إلى معرفة أحكام التواصل الاجتماعي الإلكتروني، إلى جانب تقديم إضافة علمية شرعية تخدم مستخدمي الجانب التكنولوجي للتواصل، وتسهم في حل مشكلاته، وتقييد (تضبط) وسائله بضوابط فقهية/شرعية، خصوصا أن هذا الموضوع لم يسبق أن تناوله أحد من الباحثين والمؤلفين، في هذا الجانب الفقهي تحديدا.

موضوعات الكتاب

تتناول المؤلفة -في الفصل الأول، كما أشرنا- حقيقة التواصل الاجتماعي، باعتباره سنة كونية، وحاجة بشرية، وفطرة إلهية أودعت في الخلق، مكتسبة بالتوجيه والتدريب والتعديل. والتواصل بين الناس يدور ضمن منظومة متكاملة، فهو يسير وفق تناغم وتناسق مع حركة الكون في الوجود. ومن ثم، فهذا النوع من التواصل عبارة عن عملية تفاعل بين المرسل والمستقبل يتم خلالها تأثير متبادل نتيجة تبادل الآراء والأفكار والمعلومات في إطار نسق اجتماعي معين.

وقد عرفت المؤلفة التواصل الاجتماعي الإلكتروني المشروع بأنه: عملية التفاعل بين المرسل والمستقبل المنضبطة بضوابط الشرع، التي يتم خلالها تبادل الآراء والأفكار والمعلومات المباحة أو المطلوبة من قبل الشارع، في إطار نسق اجتماعي إلكتروني. ويخرج عن ذلك كل تواصل اجتماعي لا ينضبط بضوابط الشرع الحنيف.

أهمية التواصل الاجتماعي

يوضح الكتاب أهمية التواصل الاجتماعي في تحقيق المصالح الدنيوية للعباد، لكون الإنسان اجتماعيا بطبعه، جبل على التواصل مع محيطه الذي يعيش فيه، وهو من ضروريات الحياة. كما أن من أهداف الاتصال تحقيق

الترابط وإحداث الألفة بين أفراد المجتمع وتطويره أيضا من خلال التعاون على البر والتقوى والعمل الصالح.

ويشير الكتاب -في هذا الصدد- إلى برامج التواصل الاجتماعي الكثيرة والمتعددة، والتي تزيد على ١٣ برنامجا، منها «تويتر»، وهو موقع شبكات اجتماعية، يقدم خدمة تدوين مصغرة تسمح لمستخدميه بإرسال «تغريدات»؛ وبرنامج الرسائل الفورية «واتساب» (WhatsApp)، وتطبيق اتصال ومحادثة ورسائل «فيسبوك» (Facebook)، وهو عبارة عن شبكة اجتماعية تتيح لمستخدميها الانضمام إلى الشبكات التي تنظمها المدينة أو جهة العمل، من أجل الاتصال بالآخرين والتفاعل معهم. وتطبيق آخر هو «يوتيوب» (Youtube).

ومن فوائد هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة، التي يتواصل تطويرها بشكل متسارع ومستمر، تحصيل العلم والحصول على أقوال ورسائل وكتب العلماء والمستجد في ذلك، وحضور مجالس العلماء والتواصل معهم عبر هذه البرامج. وقد أصبحت بعض الحسابات الإلكترونية مصدرا لاكتساب المعيشة وبابا للرزق الحلال، وهذه بعض من النعم يشهد لها الحس والواقع في استخدام برامج التواصل الاجتماعي الإلكتروني (ص ٦٨ من الكتاب).

حكم التواصل الاجتماعي الإلكتروني

يوضح الكتاب أن التواصل بين الناس من ضرورات التعامل، لذا يباح تواصلهم بشتى الوسائل الحسية والمعنوية، وذلك أن الأصل في الأشياء الإباحة. ومن ثم، توضح المؤلفة جواز صحة التواصل الإلكتروني في جملة حالات، منها: أن يكون التواصل الإلكتروني واجبا إذا تعين وسيلة لتواصل الأرحام.. وأن يكون التواصل الإلكتروني في كل ما فيه إجلال لله والرسول ﷺ. ومن أمثلة ذلك استخدام الوسائط الإلكترونية في النظر إلى الكعبة لاقتران ذلك بالتفكر في عظمة الله، وكذلك النظر إلى منازل الهالكين للاتعاظ والاعتبار.

ومن الوسائط الإلكترونية النظر في الصور والمقاطع التي تأخذ حكم الإباحة، كالنظر إلى الزوجة والمناظر الحسنة من الديار والأشجار والأنهار والمحارم من الأهل.

أما قيود التواصل الإلكتروني -غير المباح- فتتمثل في أي إساءة مكروهة، كالتواصل بما يشغل الأفراد عن العبادة أو الذكر، أو الاستماع من خلاله إلى المحرمات، أو التواصل مع كل ما يلهي عن الصلاة أو مشاهدة المناظر المحرمة أو نحو ذلك مما فيه إضرار من العبد بنفسه، كالنظر إلى صور الأجنبيات وأصوات النساء الفاتنات.

وبالنسبة إلى حكم تواصل المرأة والتواصل معها، تذكر المؤلفة أن المرأة والرجل متساويان في التكاليف الشرعية وما يترتب عليها من الثواب والعقاب، وعليهما الالتزام بالضوابط الشرعية.

فيجب على المرأة استئذان الولي أو الزوج في استخدام برامج التواصل الإلكتروني، ذلك لأن الاستفادة من المعلومات في برامج التواصل الإلكتروني لا تكون مبررة لاستعمالها بلا إذن، لأنها مصلحة مشوبة (أي يختلط فيها المباح بالمحظور في بعض الأمور). ولعل كثيرا من قضايا العلاقات المحرمة، وكثير من دعاوى الطلاق أمام المحاكم تنتج من آثار استخدام هذه البرامج في تكوين علاقات محرمة.

كما لا تعني موافقة الزوج للزوجة على استخدام التواصل الإلكتروني، التصريح بإقامة علاقات غير مشروعة، حتى لا تقع المرأة/ الزوجة أو الفتاة في مواضع الشبهات والمفاسد؛ عملا بالقاعدة الشرعية المعروفة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح».



وترى المؤلفة نوف بنت محمد المسما، أنه عند التواصل مع الأجنبي في مواقع التواصل الإلكتروني يجب على المرأة -عموما- عدم الخضوع بالقول والفعل. ومن مقتضيات التخاطب والحوار بين الطرفين (هي والأجنبي) أن يتبادلا الحديث والمعلومات والفوائد بينهما في إطار ضوابط الشرع التي لا تخرج عن دائرة آداب الإسلام في استعمال الألفاظ،

وعدم اللجوء إلى رموز ودلالات تعبيرية مريبة أو تثير الفتنة؛ عملا بقول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب:٣٢)، أي غير غليظ ولا جاف (ص ٩٠ و٩١ من الكتاب).

وفيما يتعلق بحكم التواصل لناقصي الأهلية بالنسبة إلى استخدامهم أجهزة التواصل الاجتماعي، تنبه المؤلفة أولياء الأمور أو من يقوم مقامهم، إلى ضرورة إرشادهم لأفضل الطرق للتواصل الفعال وتعليمهم آداب التعامل قبل بلوغهم سن الرشد، حتى يستطيع الصغير معرفة التصرف النافع من الضار حال استخدامه لمواقع التواصل الاجتماعي الإلكتروني.

كما تشير المؤلفة إلى وجود قيود/ ضوابط مشتركة بين المستخدمين، لابد أن يلتزم بها الطرفان، في حين أن لكل منهما قيودا أثناء العملية التواصلية.

وتتمثل الضوابط الأولى في الآتي:

- أن تكون تصرفات المستخدمين لبرامج التواصل الاجتماعي الإلكتروني مباحة وموافقة لآداب الشرع الإسلامي.
- ترك أو الابتعاد عن مسالك الفساد والضرر وجلب الشر للآخرين في المجتمع، عملا بقول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة:٢٠٥)، وكذلك ألا يكون التصرف فيه حرص على التجسس على الناس وكشف عوراتهم أو فضحهم، تطبيقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات:١٢).

الضوابط الفقهية للتواصل الاجتماعي الإلكتروني

في الفصل الثاني للكتاب تنتقل المؤلفة للحديث عن الضوابط الفقهية للتواصل، فتبدأ بتعريف الضابط الفقهي للمستخدمين (المرسل والمستقبل) وتعرض للقيود/الضوابط المشتركة الواردة على كل منهما، ثم الضوابط الفقهية لوسائل التواصل وأدواته.

وأيضا المحافظة على مقصود الشرع الحكيم فيما يتعرض له أو يأتيه من التصرفات، وألا يتعرض لما يخالف المقاصد، بأن يتحرى المحافظة على مقاصد الشريعة. والمقاصد هنا هي أصول الشريعة ومقاصدها الخمسة، المتمثلة في حفظ «الدين والنفس والعقل والنسل والمال» (ص١٣١ من الكتاب). فعلى المستخدم لوسيلة التواصل الاجتماعي الإلكتروني أن يستحضر هذه المعاني عند الإدلاء برأي أو فعل أو قول.. إلخ.

كذلك لابد من استحضار مستخدم تلك الوسيلة التواصلية النية الحسنة وإرادة الخير والمنفعة له وللآخرين، ذلك «لأن خير الناس أنفعهم للناس». وعملا بقول الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» (رواه البخاري).

والالتزام بمكارم الأخلاق وطباع الفطرة، وهي أربعة: الحكمة، الشجاعة، العفة والعدل.

والاعتدال والتوازن في الاستخدام حتى لا ينشغل عن مهامه وتكليفاته وإنجاز ما هو ضروري.

فعلى المستخدم إذن ألا ينشغل عبر برامج التواصل الاجتماعي الإلكتروني بما يفوت عليه الواجب أو ما كان ضروريا، أو ما يشغله عن أداء الحقوق والمستحبات، فيقع في الهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:١٩٥). وعليه ألا ينشغل ببرامج التواصل هذه أثناء قيادة السيارة، أو بأعمال تستوجب التركيز الذهني في العمل أو نحو ذلك.

وتنتقل المؤلفة بعد ذلك لبيان «الضوابط الفقهية لوسائل التواصل الإلكتروني» فتقول: لكي تكون وسيلة الاتصال صالحة يمكن الانتفاع بها، ينبغي أن يكون القصد في إنشائها أو استعمالها مشروعا. وذلك كإنشاء قناة في «اليوتيوب» لمقصد حسن، وليس للتجسس أو الإفساد. وألا يخالف محتوى الوسائط أمرا أو نهيا شرعيا مصدره آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا يخالف المعقول والمعروف.

وقد تلاحظ بين المستخدمين كثرة التصوير الفوتوغرافي أو «الفيديو» في برامج التواصل الاجتماعي الإلكتروني، كما قد ظهر على بعض الحسابات تصرفات لبعض النساء بما قد يوصف «بتمييع الدين»، وتطويع الدين للأهواء، وإظهار التزين، حتى تهاون كثير من الناس في النظر إلى صور النساء الأجنبيات بحجة أنها صورة لا حقيقة لها.. وفي ذلك ما يجر المستخدمين والمشاهدين إلى «الفتنة» وفتح الذرائع التي نهى عنها الشارع الحكيم عملا بمبدأ سد الذرائع.

أما الآثار المترتبة على المستخدم للوسائط والأدوات في التواصل الاجتماعي الإلكتروني، فقد عرضت المؤلفة لها في الفصل الثالث (الأخير) من كتابها، من خلال مبحثين عن تلك الآثار عند الاستخدام الصحيح، ثم الآثار السلبية الناتجة عن الاستخدام الخاطئ لتلك الوسائل، في جانبيه «الجنائي» و«المدني» والمقصود هنا ما يترتب على التواصل الاجتماعي من الأحكام الشرعية، أو مسؤولية الشخص أو الأشخاص عن أفعالهم.

وختاما توضح المؤلفة أن المستخدم لبرامج التواصل الاجتماعي الإلكتروني مسؤول عن جميع التصرفات من لفظ، ومقولة، وإشارة، وفعل، ويتحمل ما كسب في قلبه، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٥).

د. عبدالغاني بن باري
باحث مغربي

بكائية مالك بن الريب

برع شعراء العربية على مر الأعصار وفي مختلف البقاع والأمصار في عزف القصيد على أوتار شعرية مختلفة، فالقصيد «مَعدِن علم العرب، وسِفرُ حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النِفار، والحجة القاطعة عند الخصام» (١).

وهكذا ادثرت القصائد بلون المسرة والافتخار والمدح تارة، وتسربلت بحلة الألم والبكاء والحزن تارة أخرى، فكل شاعر ينفخ في منظمه من روحه، ويحمّله ما يدور في خلجاته.

من هنا برز الرثاء كغرض شعري استأثر باهتمام الشعراء العرب، فامتطوا صهوته ليخلدوا ذكر حبيب، أو يمجّدوا مناقب فقيد. ويعد مالك بن الريب واحدا من الفرسان الصناديد الذين أقاموا ملحمات خالدات في وغى الرثاء، من خلال يائيَّته العصماء، التي أبكت كل من ألقى السمع وهو شهيد.

إن هذه القصيدة من عيون القصائد العربية المضمخة بالوجع والأسى، كتب بمداد الحسرة على صفحات مجد غابر، فتعالى العويل في الأفق مؤذنا في الناس أن كفكفوا دمع هذا المكتوي بلهيب الماضي. لقد وضعنا الشاعر في حضرة الموت، في مشهد تخشع له القلوب والأبصار.

ويكفي أن نقف عند هذين البيتن؛ لنقبس ومضات من شمس هذه القصيدة العذراء:

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابية إني مقيم لياليا
أقيما عليّ اليوم أو بعض ليلة
ولا تعجلاني قد تبين ما بيا

لما أيقن الشاعر أنه هالك لا محالة نادى في صاحبيه نداء مثقلا بعاطفة جياشة، تهيّج الإحساس والمشاعر، آمرا إياهما بالتوقف عن المسير، مستشعرا عظمة الموت، الذي أجبره على استرداد الماضي بكل تفاصيله، في مشهد مهيب، تئن له القلوب وجعا ووكدا. إنه الموت لحظة مفارقة الروح للجسد، ولئن بدا الشاعر مسلما للأمر في أول وهلة، فإن ألفاظ القصيدة تفضح رغبته الأكيدة في الحياة، وتشبثه بالبقاء، فمناداة رفيقيه بصاحبي يحمل الكثير من المعاني، إذ إن استحضار هذه المفردة بالذات يزيح الغمام عن لحظة انكسار وأنين، وحنين إلى الصحة التي صارت وهنا.

وظف الشاعر الفعل دنا إشارة إلى دنو الدنيا وحقارتها، مرتديا قشيب الزهد، لكن سرعان ما عاد لعتلي قبة الزهو من جديد، داعيا صاحبيه أن ينزلاه برابية، وهي المرتفع من الأرض، الذي غالبا ما تسوده خضرة، وتجري من تحته الأنهار، وهو بذلك يأبى أن يستسلم، ويشمخ على استحياء.

يقر الشاعر أن ما ألمّ به لن يزول إلا بعد حين من الزمن، وذاك ما أومأت به لفظة مقيم، إذ سيتخذ من الرابية وطنا لن يبرحه حتى يشفى أو تعانق روحه السماء. غير أن مقامه لن يكون هنيئا، نظرا لما يتجرعه من ألم، فقد جاء بجمع التكسير بدل جمع المؤنث السالم، وهو ما يتماهى ونفسيته المنكسرة، كما أضاف ياء المتكلم إلى ليالي، ملتزما بحالته النفسية التي التحفت السواد.

ثم يعود ليستمهل صاحبيه، ممتطيا صهوة الأمل، أمل في شفاء قد تجود به الأيام، على فارس مقدام، كانت له صولات في ساحات الوغى تمنع من الرضوخ والانصياع، أمام حسام المرض البتار.

لقد فاضت قريحة الكاتب بكلمات تتساوق وما يدور في خلجاته، فصورت بجلاء ما يعتمل صدره من حزن، جعل يسدل الستار على حياته بهذه البكائية المبكية.

اختار الشاعر بحر الطويل ليترنم بأوجاعه، ما ينسجم مع دفقته الشعورية، في توظيفه للطويل تشبث بالحياة، وتمسك بالبقاء.

وقد بنيت القصيدة على حرف الياء ما يدل على التراخي والاستسلام، فرغم هذا النفس الطويل إلا أنه ذيل البيتين لحرف لين، كاشفا ما يعتريه من ضعف وخور، وجاءت الياء مشددة تعبيرا عن شدة الألم.

وقفة:

إن الوقوف على أعتاب هذه القصيدة العصماء، يجعل المتذوق يخط أبياتها بمداد الجمال ويعلقها على أستار فؤاده، ولئن لون مالك القصيدة بالوجع فأبكى فإنه حملها من الجلال ما يسعد، فلله دره من شاعر أسعد وأبكى في الآن نفسه.

الهوامش:

١- عيون الأخبار لابن قتيبة (ص:٣٢٤).

د. مجدي محمد حسن
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية



من المسؤول عن تزوير الثقافة؟

كم مرت علينا معلومات مغلوطة، كم قام بعض أصحاب الأهداف الرخيصة بتلبيس الباطل ثوب الحق، وكم اخترقت آذاننا كلمات ليس لها من الصدق أدنى نصيب، لقد ألحت أقلام، ودأبت ألسنة من خلال كل منافذ المعرفة على تزوير المعرفة والغش المعلوماتي؛ لإضلال الناس وتوجيههم حيث يريدون.. من كثرة الدجل الثقافي، والغش المعلوماتي، والسيطرة الإعلامية على منافذ المعرفة، يكاد يصيبك الإعياء من كثرة مراجعة الأغلاط المقصودة، والغش الثقافي الذي تسرب إلى كل شيء تقريبا.

إنهم سفسطائية العصر الحديث، يحيون سنة المدرسة السفسطائية اليونانية القديمة.

القرآن يواجه التزوير الثقافي

أليس من التزوير والغش أن يدعي بشر أنه إله من دون الله؟! أليس من التزوير أن يدعي إنسان أنه يحيي ويميت؟! أليس من التزوير أن ينسب الإنسان الفضل إلى نفسه فيما وهبه الله من النعم وجحوده للمنعم الحقيقي لها؟!

لقد سطر القرآن الكريم هذا التزوير المصادم للفطرة التي فطر الله الناس عليها، والذي يراد به تضليل الرأي العام، وذلك عندما تحدث عن النمرود.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨).

وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ (القصص:٣٨).

وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النازعات:٢٣-٢٤)

وعندما يطغى الإنسان ويعتقد أنه واهب النعم، كما حدث من طاغية الزمان قارون، وكذلك حكى القرآن عنه قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص:٧٨).

إنها حالة الطغيان التي ينحدر إليها الإنسان بسبب المال والجاه والسلطان. ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ (العلق:٦-٧).

إنه تزوير وتلفيق لطمس معالم الحقيقة وفرض ثقافة الأغاليط التي تشوه الحقيقة، وتضلل العقول، وتشتت الفكر.

التزوير الثقافي في العلم والتاريخ والمعلوماتية

إن العلم التجريبي المبني على الملاحظة والتجربة والاستنتاج دخله التزوير أيضا، وذلك عندما حاول بعض المنتسبين إلى العلم ضرب الثوابت، ومحو حقائق

يصعب على العقل السليم أن يفرط فيها.

من هذا الدجل الثقافي، دعوى أن الطبيعة هي الخالقة! أو أن الإنسان نشأ عن أصل قرد تطور حتى وصل إلى هذه الصورة السوية!

تلك النظرية التي اجتاحت المشارق والمغارب وتم تدريسها في بعض دور العلم، ولم يخل الأمر من وجود معلم صادق أمين يقف أمام هذا الزحف المعلوماتي المزور لنقده ونقضه، فالأمر ليس مجرد تزوير ثقافي فحسب، بل إنه تزوير ثقافي يناهض العقيدة، ويهدد الإيمان، ويهبط بالإنسان إلى مدارك الإلحاد والكفر والجحود.

التزوير الثقافي في التاريخ

حاز التاريخ حظا كبيرا من التزوير، فهناك تسمية للأحداث بغير اسمها الحقيقي، فالاجتياح الغربي لدول الشرق ونهب ثرواتها والعيث في الأرض فسادا سمي استعمارا، والفتوحات الإسلامية سميت غزوا بربريا وحشيا فرض الإسلام فيها نفسه بقوة السلاح، وإن انتشاره كان اعتمادا على السيف. مع تعمد غض الطرف عن مظاهر الرحمة في الفتوحات الإسلامية وعدم بيان أن كثيرا من البلدان فتحت صلحا، لا عنوة، وظل الإسلام فيها حتى وقتنا الحاضر.

في الوقت نفسه، أغمضت الأعين وأخرست الألسن وأدخلت الأقلام في أغمادها، ولم يتحدث أحد عن مساوئ الاستعمار الغربي ووحشيته، متناسين حقوق الإنسان التي يتشدقون بها كثيرا في أجهزة الإعلام، فلهم حق الاستعمار ونهب الثروات، وعلى المستضعفين في الأرض الإذعان!

وعلى مستوى تاريخنا الإسلامي فإنه لم يسلم من محاولات التزوير والغش والدجل. فتم دس روايات وتحريف أخرى بزيادة أو نقصان لتشويه حقبة أو فترة زمنية على مدار تاريخنا الإسلامي الضخم.

مما يجعلنا نعتقد أن التاريخ يكتب بمداد المنتصرين، أو من له السيادة والتمكين، فينصب نفسه حاكما على الأحقاب المنصرمة ويتهمها بما فعلت وما لم تفعل، ومشيا على من خلف هذه الحقبة ومدعما له، وقد جرت العادة بذلك، وبدلا من أن يؤرخ ويكتب الوقائع، تطوع بتأليف وقائع وأحداث لم يرها الناس ولم يشهدوها، لنقل إنه افتقاد للموضوعية، أو انعدام للأمانة في النقل. ولا أعتقد أن التاريخ الموغل في القدم للبشرية، والعهود السحيقة للتاريخ البشري قد نجت من هذا التزوير، حيث يكتب كل كاتب ومؤرخ بضاعته، وخلفياته العلمية، ودوافعه التي تستكن في عقله وقلبه.

الدوافع الفكرية للتزوير الثقافي

إن الدوافع الفكرية لها أثرها البالغ في تشويه الحقائق ومحاولة طمسها، وذلك في كل روافد الثقافة والمعرفة في الأخبار.. في التاريخ.. في العلوم التجريبية، وفي سائر العلوم والمعارف.

حتى في تراثنا الضخم شابه بعض محاولات التشويه والتزوير والتلفيق، ولكن العلماء المدققين المحصين وقفوا لهذه المحاولات بالمرصاد، ونقوا تراثنا من هذا الفكر الدخيل؛ ليبقى تراثنا أعظم وأنقى تراث على الإطلاق، بما فيه من علوم مختلفة، وأسانيد عالية وقف على رعايتها وحفظها علماء الجرح والتعديل.

فهناك محاولات وضع أحاديث على رسول الله ﷺ وقف لها العلماء بالمرصاد، ونحّوا الأحاديث الموضوعة جانبا، ولاريب أن من أسباب وضع هذه الأحاديث الانتصار للمذهب، فقد وضعت كل فرقة من الأحاديث ما يؤيد مذهبها.

وكذلك من فعل ذلك من الزنادقة بقصد الكيد للإسلام وتشويه حقائقه. ولم تختلف الدوافع الفكرية في وضع الآثار والمرويات الباطلة في علم التفسير عنها في وضع الأحاديث من دوافع سياسية ومذهبية لنصرة مذهب أو ترويج بدعة أو غيرهما من الدوافع.

لكن علماءنا وهبوا حياتهم وأعمارهم لحماية هذا التراث وتنقيته والحفاظ عليه، فكان ولايزال ذلك التراث العظيم مضرب الأمثال في قوته ونقائه، واتصال سنده، وتنوع روافده، وتغطيته لجوانب كثيرة من العلم والمعرفة من علوم الدين والشريعة وسائر فروع العلم.

خطورة التزوير الثقافي

إن الجريمة النكراء ليست في تزوير الثقافة فحسب، بل في إدخالها دور العلم وإلزام تدريسها للنشء في المراحل المختلفة، مما يؤدي إلى تشويه الحقائق، وتضليل العقول بطريقة منظمة لأجيال متعددة على وجه البسيطة، مما يجعل الحقائق تذهب طي النسيان، فلا يبقى أمام الدنيا إلا الزور، والبهتان، والإفك، فيستجيب النشء لهذا التوجيه المضلل، ويصبح الزور والبهتان من مكوناته الثقافية، ولا يكتشف التزوير إلا من خلال اتساع القراءة الحرة البعيدة عن الأهواء والنوايا الخبيثة، أو من خلال الحوار وسماع الآخر.

الغرب يشارك في تزوير الثقافة

الغرب، الذي تلوثت يده بالدماء من خلال الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش والحروب العالمية، لوثها أيضا ببث البهتان والكذب في العلوم والثقافة.

إن تشويه الغرب للثقافة لا يتوقف عند تشويه الحقائق الإسلامية في قاعات الدرس للنشء؛ لإخراج أجيال معادية للإسلام أو على أقل تقدير تكره الإسلام وأهله، بل امتدت يد التزوير إلى كل أنواع المعارف: الدينية، والأدبية، والعلمية.

وإذا نظرنا إلى الأمانة العلمية في العلوم التجريبية، فسنجد أن هناك مستوى من المعلومات يحتكره الغرب؛ حتى لا تتساوى الرؤوس، ويكونوا هم في مقدمة الركب دون سواهم، ويحققوا أكبر قدر من المنافع، ويحافظوا على كيانهم، فالتزوير الثقافي يحدث على أنه ضرورة أمنية يدفع إليها الأمن القومي.

كذلك في عالم التسليح، فإن الغرب يحتكر الأسلحة الحديثة ذات الإمكانات المفرطة في القوة والفتك، ويعطي ما سوى ذلك من الأسلحة ذات الإمكانات المحدودة القديمة المتدنية.

إن تزوير الثقافة ليس مجرد معلومات مغلوطة، بل هو بكل المقاييس جريمة نكراء في حق الإنسانية كلها بما فيه من إفك وتضليل.

ترى هل هناك قانون يعاقب على تزوير الثقافة؟! أم أننا لسنا في حاجة إلى ذلك؟!

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (١)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

شيخ المجلات العربية ..

«مجلة المقتطف»



تُعدُّ مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلة، وبعد ذلك تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية (العربية والأجنبية).

ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدّم للباحث في شتى المجالات -ولاسيما في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، ولاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

هذا، وقد اعتنى القائمون على المكتبة -إضافة إلى جهودهم في جمع نفائس الكتب- بترتيبها وتنسيقها وفهرستها؛ مما يوفر لقسم البحث العلمي في المجلة وكذا المستفيدين سهولة البحث والمطالعة.

أما الدوريات والمسلسلات فقد احتلت في رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» حيزا كبيرا؛ حيث احتوت المكتبة العديد من الدوريات والمسلسلات العريقة والهامة التي تجاوز عددها المئات.

وهي دوريات ومسلسلات فريدة في قيمتها العلمية والتاريخية، وذلك من حيث قدم تاريخ طباعتها، وندرة نسخها المطبوعة، وبهذا فقد حوت هذه المكتبة كنوزا قلّ أن تجدها في مكتبة أخرى، وحرصا من المجلة على نشر هذا العلم، وتعريف الناس به؛ أنشأت هذه الصفحة الخاصة للتعريف بهذه الكنوز وإظهارها لقرائها الكرام، مراعين في نشرها التسلسل التاريخي لصدور وطباعة هذه النوادر.

وسأبدأ حديثي في هذا المقال عما أطلق عليه في الوسط العلمي «شيخ المجلات العربية»، وهي: مجلة المقتطف، التي تُعدُّ نادرة من نوادر مكتبة مجلة الوعي، وهي مجلة علمية صناعية شهرية.

تاريخ النشأة

أنشئت سنة ١٢٩٣هـ - الموافق لـ ١٨٧٦م على يد الأديبين يعقوب صروف، ورفيقه فارس نمر في بيروت، ثم انتقلت إلى القاهرة، واستمرت إلى ١٣٧١هـ الموافق لـ ١٩٥٢م.

وقد كانت تصدر في ٢٤ صفحة في أول نشأتها ثم تطورت إلى أن بلغ عدد صفحاتها ١٢٤ صفحة بحروف دقيقة؛ فكانت بذلك «شيخ المجلات العربية»، لأنها بلغت عمرا لم يبلغه سواها من المجلات العربية على الإطلاق.

صدر أول عدد منها سنة ١٨٧٦م، وقد كتب على طُرَّتها: «مجلة علمية صناعية زراعية»، إلا أن إصدارها لم يكن منتظما إلا في سنة ١٨٨٨م.

محتواها

احتوت هذه المجلة على مواضيع علمية في شتى مجالات العلوم، ونذكر منها بعض المواضيع التي نشرت في عددها الأول سنة ١٨٧٦م:

الموضوع الأول: عن «الزجاج» كيف يعمل ومما يصنع.

الموضوع الثاني: في علم الفلك، تكلم عن «القمر» تعريفه ووصفه ووصف طبيعته وسكانه...

الموضوع الثالث: في العلوم والفيزياء، بعنوان: «المكرسكوب» تعريفه وكيف يعمل...

الموضوع الرابع: عن تاريخ العلوم عند العرب «علماء الهيئة عند العرب»، فذكر مجموعة من العلماء المشهورين عند العرب..

الموضوع الخامس: تكلم عن «اللغة الحميرية» وعن تاريخها...

كما تكلم بعدها عن الأصباغ والمطر، وأورد أخبارا عن الاكتشافات والاختراعات.

ومما تم ذكره نلاحظ أن القيمة العلمية لهذه المجلة تتمثل في تنوع مواضيعها، وثراء طرحها، وقوة كُتَّابها، ولاسيما في تلك المرحلة التاريخية التي واكبت صدورها، سنة (١٨٧٦م).

ولم تقف المجلة عند هذا الحد، بل تحدثت في الأعداد الأخرى عن الطب، وعن علم الحيوان، والحشرات والنبات؛ فكانت بحق مجلة علمية صناعية زراعية رائدة.

وبقيت هذه المجلة منارة علمية تثري الساحة العربية والعالمية بموضوعاتها القيمة إلى أن صدر آخر عدد منها في ديسمبر سنة ١٩٥٢م، ليكون بذلك خاتمة لمسار علمي حافل، أي إنها ظلت تصدر طيلة ٧٦ سنة، فحق لها أن تكون «شيخ المجلات العربية».

وقد بلغ عدد مجلداتها التي حوت أعداد المجلة: ١٢١ مجلدا، إضافة إلى ٣ كشّافات، يحوي كل مجلد ٥ أعداد من إصداراتها.

مؤسسها

يعقوب بن نقولا صروف (١٨٥٢م-١٢٦٩هـ، ١٩٢٧م- ١٣٤٦هـ): عالم بالفلسفة والرياضيات والفلك، من أئمة المترجمين عن الإنجليزية.

ولد في قرية «الحدث» بقرب بيروت، وتعلّم ببيروت في الجامعة الأميركية، وامتاز بالرياضيات والفلسفة، واشتغل بالأدب، وله نظم جيد، وعلّم في صيدا وطرابلس وبيروت. وأصدر مع فارس نمر وشاهين مكاريوس، مجلة «المقتطف» سنة ١٨٧٦م، وشارك في إصدار جريدة «المقطم» سنة ١٨٨٩م، وصنف وترجم عدة كتب منها: «سر النجاح»، و«بسائط علم الفلك»، و«الحرب المقدسة»، و«سير الأبطال والعظماء»، شاركه في ترجمته عن الإنجليزية فارس نمر.

فارس نمر (١٢٧٢هـ - ١٨٥٦م،١٩٥١م-١٣٧١هـ): ولد في بلدة «حاصبيا» من أعمال لبنان، انتقل مع أمه وإخوته إلى القدس حيث مكثوا فيها مدة خمس سنوات، ثم عاد إلى لبنان وانتسب إلى الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم)، وتخرج فيها عام ١٨٧٤م بشهادة البكالوريوس، وبعد تخرجه عيّن معاونا في المرصد الفلكي في بيروت، ومدرسا للرياضيات مساعدا لأستاذ علم الهيئة في الكلية السورية الإنجيلية، وترجم كتاب «الظواهر الجوية».

أسس مع يعقوب صروف مجلة «المقتطف» في بيروت، ونال شهادة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة من جامعة نيويورك عام ١٨٩٠م، وأنشأ جريدة السودان في الخرطوم باللغتين العربية والإنجليزية عام ١٩٠٣م، واختير عضوا في مجمع فؤاد الأول للغة العربية عند تأسيسه عام ١٩١٦م، وعضوا مؤسسا في المجمع المصري للثقافة العلمية وانتخب رئيسا له، كما عين عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي في دمشق.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذه المجلة العلمية الصناعية الزراعية الرائدة، وهي مُتاحة لطلاب العلم والباحثين.

المصادر:

السجل الذهبي لمجلة «الوعي الإسلامي».

مجلة المقتطف.

الأعلام لخير الدين الزركلي.

تاريخ الصحافة العربي لفيليب دي طرازي.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

راغب السعيد
باحث وكاتب صحفي



لغة الجسد .. علم الفراسة

شاع في السنوات الأخيرة ما يسمى بلغة الجسد Body language حتى ظن البعض أنه علم مستحدث يهتم بدلالات الحركات والإشارات الصادرة عن أعضاء الجسد المختلفة، وخاصة ملامح الوجه واليدين وتعبيراتها.

ومن النتائج التي كشفت عنها بعض الدراسات العلمية أن ٥٥٪ من انطباعات الناس عنك تؤخذ من حركاتك ووضعك، وأن ٣٨٪ تؤخذ من نبرة صوتك، و٧٪ فقط من كلامك.

ومعنى هذا أن ٩٣٪ من الانطباعات المأخوذة عنا لا تأتي من كلامنا، ولكن من حركاتنا وإيماءاتنا (لغة الجسد)، فهي لغة لا تعرف الكذب ولا الرياء، لغة ليست بلغة كسائر اللغات، لكنها مرآة صافية تعكس مباشرة كل المشاعر، وتبوح بالأسرار. فهل يستطيع جسدك أن يقول كل ما تريده منه؟ وهل تستطيع أن تفهم وتفسر لغة أجساد الآخرين؟

والحقيقة أن لغة الجسد تفيدنا في تسهيل العملية الاتصالية أو التواصل مع الآخرين، وبالتالي إنهاء أي توتر في العلاقات، وذلك من خلال:

- لغة العيون، وما تدل عليه من معان لا حصر لها.
- علامات الانتباه والسرحان والتركيز واللامبالاة.
- علامات عدم التصديق والتكذيب لدى الشخص المستمع.
- علامات الثقة بالنفس وكيفية الوصول إليها من خلال لغة الجسد.

فراسة العرب

والحقيقة، أن العرب والمسلمين اهتموا بتلك الدلالات في إطار «الفراسة».

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بعين الله».

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم» وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (الحجر:٧٥).

وليس في ذلك أدنى شك، فالمؤمن قوي البصيرة حاد البصر، يرى أبعد مما يراه الإنسان العادي. ففي مجال رؤيته أو استكشافه، تتجلى أمامه خفايا شتى يصعب على غيره أن يسبر أغوارها أو أن يفك غموضها.

وتعتبر الفراسة إحدى أهم متطلبات ممارسة بعض المهن، مثل الطب والتحقيق والضبط والحراسة.

ولعل أهم ما أوصى به أبوقراط -إمام الأطباء وكبير حكماء اليونان- هو تقوى الله وطاعته، وعد ذلك من مقومات نجاح الطبيب وفراسته، لأن شعاع الإيمان يطوي خفايا الأشياء، ولأن مجهر البصيرة أبعد من مجال رؤية العين المحدودة.

والفراسة من الإيمان، أو أن الإيمان يورث الفراسة، لأن اليقين والثقة بالله عزوجل تعطي المرء رصيدا ضخما من الشفافية، وهذا بالتحديد كان معهودا في سير الأنبياء والرسل والصالحين، ولعل في وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه دليلا على فراسة وذكاء.

وإذا كان العرب والمسلون قد أهملوا دراسة الفراسة، حتى أصبحت مجرد قدرات ذاتية أو شخصية لدى بعض البدو، يتوارثونها جيلا بعد جيل، في مجتمعاتهم المغلقة أو شبه المغلقة، على اختلاف في ذلك من دولة إلى أخرى. فإن الغرب قد أعاد اكتشافها، مقدما إياها لنا في ثوب جديد ومسمى آخر، واضعا لها ملامح علم، أصبح من أهم علوم التنمية البشرية، وإن كانت تنقصه بعض المقومات، التي أظن أنها في طريقها للنمو.

لغة الجسد ومفاتيح الشخصية

تعتبر العين من أهم مفاتيح الشخصية التي تدلنا بصورة حقيقية على ما بداخل عقول من أمامنا، فستعرف من خلال أعينهم ما يفكرون فيه على نحو دقيق، فإذا اتسع بؤبؤ العين وبدا للعيان فإن ذلك دليل على أنه سمع منك في التو شيئا أسعده، أما إذا ضاق بؤبؤ العين فإن العكس يكون قد حدث. وإذا ضاقت العين فإن ذلك ربما يدل على أنه استمع منك إلى شيء يصعب إن لم يستحل تصديقه!

والحواجب تأتي لتضيف مفتاحا آخر، فإذا رفع المرء حاجبا واحدا فإن ذلك يدل على أنك قلت له شيئا إما أنه لا يصدقه أو يراه مستحيلا، أما رفع الحاجبين كليهما فإن ذلك يدل على المفاجأة أو الدهشة!

ويأتي الأنف والأذنان ليقدموا إشارات إضافية، فإذا حك من أمامك أنفه أو مرر يديه على أذنيه ساحبا إياهما بينما يقول لك إنه يفهم ما تريده فهذا يعني أنه متحير بخصوص ما تقوله، ومن المحتمل أنه لا يعلم مطلقا ما تريده منه أن يفعله!

أما جبين الشخص فيضيف أداة جديدة للتشخيص وفهم الآخر، فإذا قطب جبينه وطأطأ رأسه للأرض في عبوس فإن ذلك يعني أنه متحير أو مرتبك أو أنه لا يحب سماع ما قلته في التو واللحظة، في حين أنه إذا قطب جبينه ورفعه إلى أعلى فإن ذلك يدل على دهشته لما سمعه منك!

وتحدثنا الأكتاف معلنة اللامبالاة، فعندما يهز الشخص كتفه فإن ذلك يعني أنه لا يبالي بما تقول!

بينما تكشف الأصابع عن مدى الصبر وقوة الأعصاب، فحينما ينقر الشخص بأصبعه على ذراع المقعد أو على المكتب، فإن ذلك يشير إلى العصبية أو عدم الصبر!

وعندما يربت الشخص بذراعيه على صدره، فهذا يعني أن هذا الشخص يحاول عزل نفسه عن الآخرين، أو يدل على أنه خائف بالفعل منك!

وغني عن البيان أن تلك الأعضاء أو الأجزاء السبعة، بما تفصح عنه من إشارات، تقدم لنا فكرة جيدة عن لغة الجسد ككل، وكيف يمكن استخدامها ليس فقط في إبراز قوة شخصيتك، ولكن أيضا للتعرف على ما يفكر فيه الآخرون مهما حاولوا إخفاءه!

لغة الجسد لكشف الكذب

تفيدنا لغة الجسد Body language -الفراسة سابقا- في معرفة وكشف كذب الشخص المتحدث، من خلال العلامات أو الأمارات السبع التالية:

- زيغ البصر: حيث لا يكاد يستقر على جهة أو اتجاه أو شخص أثناء الحديث، وإن كان بعض معتادي الكذب والمتمرسين عليه يحاولون الهرب من نظرات الآخرين لعيونهم حتى لا يكشفوا زيغ بصرهم!
- التكلف العصبي: حيث يميل الكذاب إلى تكلف منظر الجاد في سيماء وجهه وفي نبرات صوته، كما يختار كلمات جيدة، غير أنه لا يفطن إلى أنه يكشف نفسه ببعض التصرفات العصبية اللاإرادية، من قبيل: مسح النظارة، أو لمس الوجه، أو غير ذلك من الإشارات العصبية التي تنم عن الكذب!
- استخدام كلمات قليلة: فمعتادو الكذب يستخدمون أقل عدد ممكن من الكلمات ويتكلمون ببطء، كما لو كان من الصعب عليهم إيجاد الكلمات، وهم في الحقيقة يفكرون فيما عساهم يقولون من أكاذيب ويحاولون ترجمة تخيلاتهم، وهناك أيضا كذابون ينهجون العكس تماما ليثبتوا أنهم صادقون، لأنهم يعرفون أنهم إذا تكلموا بسرعة وتحدثوا كثيرا فإنهم يربكون المستمع فلا يجد وقتا لاكتشاف كذبهم!
- التكرار: فالكذاب يميل غالبا إلى استخدام ذات الكلمات مرات متتالية، وكذلك ذات المبررات.
- التعميم: إذ يحاول الكاذب تجنب مسؤولية أفعاله باستخدام أسلوب التعميم، كأن يتعلل المتأخر بظروف المواصلات أو وقوع حادثة، كما أن الكاذب يطلق كثيرا من التعبيرات العامة دون تحديد يكشفه ويفضح كذبه!
- تجنب الإشارة إلى الذات: حيث يتجنب الكذاب كلمة «أنا» ويستخدم بدلا منها كلمة «نحن» أو «الناس».
- إطلاق كلمات الاستخفاف بالآخرين: فالكذاب يميل إلى أن ينسب للآخرين تصرفات أو أقوالا رديئة، مثل رذيلة الكذب التي هو مصاب بها.

سعيد عبيدي
باحث في حوار الحضارات
ومقارنة الأديان

زواج خير البرية ومقاصده الربانية

إن معرفة الدوافع الحقيقية للدراسات الحديثة والاستشراقية المغرضة التي تناولت حياة الرسول ﷺ يجب أن تظل هدف كل باحث مسلم يهدف إلى الدفاع عن رسولنا الكريم ﷺ، بل يجب اعتبارها - إذا اقتضى الحال - فرضاً من فروض الكفاية، فالكمّ الهائل من الحداثيين والمستشرقين الذين سخروا كل جهودهم، بل وأفنوا أعمارهم في دراسة وتحليل حضارة المسلمين، إنما ينمّ عن أهداف كبيرة يسعى هؤلاء لتحقيقها والاستفادة منها، أول هذه الأهداف وأخطرها محاولة إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام كدين، وعن الشرق كحضارة، وعن العربية كتراث وقومية (١).

وفي بداية هذا المقال لا بد أن نشير إلى أنه نادراً ما نجد حداثياً أو مستشرقاً لم يتناول سيرة الرسول ﷺ، أو الدعوة الإسلامية في كتبه أو أبحاثه، وبالرغم من تبدل أساليب الحداثيين والمستشرقين المغرضين في المنهج والتفسير والأسلوب والعرض؛ فإن الغالبية منهم لم تتمكن من التخلص من الفكر المعادي والتفسير المشوه للرسول ﷺ، ولعل قضية زواجه ﷺ - موضوع مقالنا هذا - كانت من أكثر الشبهات التي أثارها خصوم الإسلام ضد هذا الدين الحنيف، وقد وصل الأمر بهم إلى حد اتهام النبي الأمين بأنه كان رجلاً شهوانيًا يجري وراء المتعة الجنسية ولا يلقي بالاً للروحانيات، وقد غفل هؤلاء عن المقاصد الحقيقية وراء تعدد زوجاته ﷺ، واكتفوا بالحكم على الظواهر دون تعمق في الحِكم والأسرار من وراء ذلك؛ فقد كان في زواجه ﷺ حكمة اقتضاها رب العالمين، تجلت في مناصرة الدعوة الإسلامية في مهدها ونصرة الإسلام الوليد، وكان في اقترانه ﷺ بكل واحدة من زوجاته -رضي الله عنهن- حكمة ومقصداً إما تشريعياً أو تعليمياً أو اجتماعياً أو سياسياً.

في هذه الدراسة سيتبيّن لنا بطلان افتراءات هؤلاء الحداثيين والمستشرقين الذين أعماهم الهوى عن إدراك الحق، والذين اتهموا خير البرية بالشبقية والجري وراء شهواته الجنسية.

لقد ذهب المغرضون من الدارسين والحاقدين على ديننا السمح إلى أن النبي ﷺ كان رجل شهوة، وأن زواجه في المدينة لم يكن إلا من أجل المتعة واللذة، ولو أنهم راجعوا التاريخ وقرؤوا صحائفه، لأدركوا أنه كان عليه السلام طوال العهد المدني في شغل عن المتع واللذات؛ فقد كان لا يخرج من غزوة إلا دخل في غزوة، ولا ينتهي من معركة حتى يدخل في معركة أخرى، وليس هذا وحسب، وإنما كان في شغل دائم من أجل بناء دولته، ونشر دعوته، ومجابهة خصومه وأعدائه في السلم والحرب، وفي الداخل والخارج؛ وإنما تعددت زوجاته - صلوات الله وسلامه عليه - بعد الهجرة من مكة إلى المدينة لأسباب حقيقية تتكشف إذا علمنا قصة اقترانه بكل واحدة منهن:

خديجة بنت خويلد:

كانت زوجة الرسول ﷺ الأولى هي خديجة بنت خويلد، فبعد أن ذاع صيت الرسول ﷺ، عن صدقه وأمانته، أرسلت خديجة بنت خويلد صديقتها نفيسة بنت أمية للرسول ﷺ تعرض عليه الزواج منه، فوافق الرسول ﷺ وتزوجها وعمره خمسة وعشرون عاماً وعمرها أربعون عاماً، وأنجبت له اثنين من الذكور وأربع بنات.

كانت من أغنياء قريش، وكانت متزوجة قبل الرسول ﷺ من زوجين (٢)، فقضى الرسول ﷺ معها «حوالي خمسة وعشرون عاماً، في الفترة ما بين ٥٩٥ م حتى ٦١٩م، فقد قضى معها فترة شبابه وشيخوخته، ولم يتزوج غيرها، وظل مخلصاً لها في هذه الفترة حتى وصل سنه إلى الخمسين من عمره، وهي الفترة التي يكون الرجل قادراً فيها على تعدد الزوجات، رغم أن

من العادات والتقاليد للعرب في كل القبائل تعدد الزوجات، ورغم ذلك فهو لم يجاري عادات العرب بتعدد الزوجات واقتصر على زوجة واحدة فقط لمدة ربع قرن» (٣)، بالإضافة إلى هذا فالرسول ﷺ عندما رغب في الزواج لم يبحث عن البكر التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة، وإنما تزوج امرأة تكبره بخمسة عشر عاماً، بالإضافة إلى أنها ليست بكراً بل هي ثيب، ولها أولاد كبار عُمّرُ أحدهم كان يقترب من العشرين (٤).

أما فيما يخص اتهام الرسول ﷺ بأنه تزوج من خديجة طمعاً في مالها، فهذه التهمة كاذبة، لأن الرسول ﷺ عرف عنه في جميع مراحل حياته الزهد في الدنيا وعدم الترف وعدم الجري خلف المال حتى لقي ربه (٥).

من كل هذا يتضح أن سبب زواج الرسول ﷺ من خديجة لم يكن الجري خلف شهواته الجنسية، كما قال «المستشرق لوراهلين سوبريدج الإنجليزي الجنسية في كتابه أحلام المرأة ورسالتها» (٦)، بل كان «البحث عن الاستقرار والأمان في الحياة الزوجية حتى يتفرغ للمهمة التي تنتظره وهي الدعوة الإسلامية، لأن زوجته كانت رزينة ذات عقل راجح» (٧).

سودة بنت زمعة:

بالنسبة للزوجة الثانية سودة بنت زمعة، لا يمكن أن تكون الشهوة الجسدية سبباً لزواج الرسول ﷺ منها، لأنها كانت تبلغ من العمر خمسة وخمسين عاماً، فقد بلغت سن اليأس، في حين بلغ الرسول ﷺ الخمسين من عمره، بل أكثر من ذلك، فمهام وأعباء الدعوة الإسلامية كانت تشغل كل وقته (٨).

تزوج الرسول ﷺ بسودة بنت زمعة لعدة أسباب أهمها: أنها هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وهناك مات وبقيت وحيدة، فحزنت عليه، وكابدت الكثير في هوان الارتمال من بؤس وشدة، فتزوجها رسول الله ﷺ ليكون في ذلك خير تكريم لها (٩)، بالإضافة إلى ذلك فلو لم يتزوجها الرسول الأمين ﷺ لكان أهلها من كفار قريش أجبروها بالزجر والقتل والإكراه على العودة إلى الكفر مرة أخرى (١٠). أما السبب الآخر لزواجه بها هو أن تعتني سودة بنت زمعة ببنات الرسول ﷺ بعد وفاة والدتهم خديجة بنت خويلد (١١).

من كل هذا يتضح أن زواج الرسول ﷺ بسودة بنت زمعة كان لأسباب إنسانية ورحمة بظروفها، وما كان يعرف عن سودة بنت زمعة أنها كانت من أهل التقوى والورع، فهل ستقبل بالرسول ﷺ زوجاً إن كان مشهوراً بجريه وراء شهواته الجسدية؟

عائشة بنت أبي بكر:

تزوج الرسول ﷺ بعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وهي في التاسعة من عمرها، لم يكن زواجه بها للشهوة الجنسية، فأي شهوة جنسية مع فتاة عمرها تسع سنوات، وهو يبلغ من العمر ثلاثة وخمسون سنة، لكن السبب الحقيقي هو مكافأة والدها أبي بكر الصديق صديق العمر؛ أول من بادر إلى تصديقه، وكان له خير رفيق ومُعين في هجرته وفي طريقه المحفوفة بالأشواك، كما أنه أنفق كل ثروته في سبيل الدعوة الإسلامية (١٢)، فكان زواجه منها زواج تطييب وتكريم، يراد به تعزيز المودة وترسيخ رباط الألفة والانسجام بالصديق الحميم عن طريق المصاهرة، وهي رباط وثيق ومتين عند العرب، وفيه ترسيخ كبير لمشاعر المحبة والاحترام بين المتصاهرين (١٣). من هنا يتضح لذوي العقول والضمائر أن محمداً ﷺ لم يتعلق قلبه بحب النساء كما يقولون، ولم تملك مشاعره شهوة فائرة كما يفترون.

حفصة بنت عمر بن الخطاب:

حفصة بنت عمر، هي بنت صديق الرسول ﷺ، ووزيره ومستشاره العظيم عمر بن الخطاب، هذا الرجل التقي الشهم الذي أذهل العقول وبهر الألباب، لفرط عظمته وعجيب خصاله (١٤).

توفي زوج حفصة، خنيس بن حذافة السهمي، وهو صحابي جليل من أصحاب الهجرتين (إلى الحبشة

والمدينة) على إثر جراح أصابته في غزوة أحد، وأصبحت حفصة أرملة وهي في ريعان شبابها، حيث أصبح ترملها سبب ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلم يتردد أن يخطب لابنته من يراه أهلاً لها (١٥)، فعرضها على أبي بكر فسكت، وعرضها على عثمان فسكت، فبث عمر رضي الله عنه، أسفه للرسول ﷺ، فلم يشأ ﷺ أن يبخل على صديقه وحامي دعوته بالمصاهرة التي شرّف بها أبا بكر قبله، وقال له: تتزوج حفصة من هو خير لها من أبي بكر وعثمان (١٦).

ومن ثم فزواجه عليه ﷺ من حفصة -رضي الله عنها- كان هو الآخر المصاهرة لمصلحة الدولة الإسلامية كما فعل مع أبي بكر.

زينب بنت خزيمة:

توفي عبيدة ابن الحارث زوج زينب بنت خزيمة في موقعة أحد شهيداً وهو يدافع عن الرسول ﷺ، فأصبحت زينب لا عائل لها، فتزوجها الرسول الكريم ﷺ لسببين:

أولاً: للمواساة والرحمة ولرعايتها وإنقاذها من ظروفها الإنسانية الصعبة.

ثانياً: لكي يعطي الأمان للمسلمين بأنه لا خوف على نسائهم وأطفالهم إذا ما استشهدوا في الجهاد في سبيل الله. فهناك من سيقف بجوار أفراد أسرتهم ولن يتركوا أبداً للجوع والضياع (١٧)، فكان بالتالي زواجه ﷺ من زينب بنت خزيمة لأسباب إنسانية بحتة.

هند بنت أمية (أمّ سلمة):

كان الرسول ﷺ يضرب القدوة قدر استطاعته بأنه أباً لكل المسلمين ولكل من فقد أباه شهيداً؛ فقد كان زواجه ﷺ من أمّ سلمة لظروف إنسانية؛ فأمّ سلمة كانت زوجة لأبي سلمة، واسمه عبد الله ولها منه أولاد، وكان قد جرح في أُحد فمات من إثره، وكانت أرملته أمّ سلمة فقيرة الحال، ثم خطبها النبي ﷺ لنفسه فاعتذرت له بأنها تجاوزت سن الشباب وأنها ذات عيال، فكرر النبي ﷺ الخطبة حتى قبلت، فتزوجها ﷺ وفي حسبانه العناية بأولادها وتربيتهم والدفاع عنهم، مع أن في المهاجرين والأنصار نساء كثيرات ذوات جمال وشباب ونضرة، وفي مقدوره ﷺ أن يتزوج منهن، لكنه آثر الزواج من هذه المفترقة المبتلاة بقسوة الترمل، فهل في مثل هذه المرأة الأرملة المحزونة ذات العيال ما يثير كوامن الجنس أو يهيّج بواعث الشهوة؟ لا جرم أن هذا بهتان مبين (١٨).

زينب بنت جحش:

زينب بنت جحش، هي ابنة أمية بنت عبد المطلب، عمة الرسول ﷺ، عاشت في كنف الرسول ﷺ ورباها كابنته أو أخته، فلما كبرت خطبها النبي ﷺ لفتاه زيد بن حارثة، فقبلت هذا الزواج على مضض شديد وتبرم ظاهر، لأنها قرشية ذات حسب ونسب، وكان هو من الرقيق المستضعفين، أحس منها زوجها زيداً الأنفة فضاق بها، وقص على النبي ﷺ عيشه مبتغياً طلاقها، تكرر ذلك أكثر من مرة ولكن الرسول ﷺ كان يدعوه في كل مرة بالصبر ويقول له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فتحيّن المستشرقون والمبشرون هذه الفترة، وأثاروا حول الرسول ﷺ ركاماً من الزيف والهراء (١٩).

لقد كانت العادات والتقاليد في الجاهلية قبل الإسلام لدى كل العرب اعتبار الابن بالتبني مثل الابن الشرعي من ناحية الميراث في كل أموال الأبوين، وحرمة النسب، وتحريم الزواج من زوجات الأبناء بالتبني (٢٠)، لكن شريعة الإسلام جاءت برفض التبني، كما أن المتبنى لا يعتبر ابناً، وزوجته لا يربطها بالمتبني رباط من مصاهرة أو قرب وإنما هي واحدة من الأجنبيات، فلا جناح على المتبني في نكاحها، وهكذا فصل الرسول ﷺ وبادر بأمر من ربه بإبطال ما كان عليه الجاهلون في هذه المسألة، مع أنه يعلم أن مثل هذه الخطوة من التشريع ستثير لدى العرب الجدل والاستغراب (٢١)، ومنه فزواجه ﷺ من زينب بنت جحش كان لحكمة تشريعية.

جويرية بنت الحارث:

بعد انتصار المسلمين في غزوة بني المصطلق في العام السادس للهجرة في عام ٦٢٧م، وقعت جويرية بنت الحارث ابنة زعيم بني المصطلق في الأسر، وقتل زوجها مسافع ابن صفوان، فأصبحت أسيرة وبلا زوج (٢٢)، فرفضت الأَسْر وأرادت حريتها مقابل الفدية، إلا أن ثابت بن قيس الذي كانت من سباياه رفض عرضها، فلم تجد بداً في الاحتكام للرسول ﷺ، ففكر الرسول ﷺ بما فيه مصلحة الدعوة الإسلامية في أنه لو تزوج ابنة سيد المصطلق أشد أعدائه سوف يكون هناك رباط المصاهرة، وبذلك يأخذهم إلى جانبه في مناصرة الدعوة الإسلامية بدلاً من مناصرة أعدائه كفار قريش، فعرض عليها الرسول ﷺ الزواج ففرحت لذلك وقبلت (٢٣)، وهكذا ليس في هذا الزواج كما يقول المستشرقون أي شهوة، لأن الرسول ﷺ على أبواب الستين من عمره ومهموم بالدعوة الإسلامية، وغرضه خدمة هذه الدعوة بمصاهرة أعدائه وتحويلهم

إلى أصدقاء، وهذا ما حدث، فقد أسلم كل يهود بني المصطلق وزعيمهم، وتحولوا إلى مناصرين بدلاً من مناصرة كفار قريش وتحولوا إلى الإسلام بإرادتهم الحرة بعد أن رأوا أخلاقيات الإسلام مع الأسرى (٢٤).

صفية بنت حيي:

صفية بنت حيي بن أخطب، وهو واحد من أعتى العتاة من اليهود وأشقاهم في يثرب، وقد باءت مخططاته ضد الرسول ﷺ بالفشل، في غزوة خيبر، حيث داهمهم المسلمون واستسلموا في الأخير ووقع أكثرهم في الأسر، كان من جملتهم صفية بنت حيي التي اصطفاها النبي الكريم ﷺ لنفسه عقب مقتل أبيها، فأسلمت وأصبحت واحدة من أمّهات المؤمنين، فكان في زواج الرسول ﷺ منها ما أعاد إليها الإحساس بالعزة وعظيم الاعتبار، وهي في كنف النبوة الطاهرة الميمونة حيث الرحمة والبر والخلق الرفيع (٢٥).

رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة):

هي ابنة أبي سفيان، كان أكبر أعداء الرسول ﷺ من كفار قريش، أسلمت ورحلت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى الحبشة، هناك تنصر زوجها في حين ظلت هي متمسكة بالإسلام، فعاشت هي وابنتها حبيبة لا عائل لهما في الغربة في ظروف قاسية، وعندما علم الرسول ﷺ بذلك أرسل في خطبتها دون أن يراها وتزوجها(٢٦).

فها هو الرسول ﷺ مرة أخرى يتزوج لهدف إنساني ورحمة برملة وليس جرياً وراء شهواته، فهو قرر الزواج بها لظروفها لا لجمالها أو غيره، فهو لم يرها أصلاً، فكان زواجه منها زواج الأخلاق والمبادئ والقيم العليا، وزواجاً لخدمة الدعوة الإسلامية بمصاهرة أكبر أشراف قريش أبي سفيان ليجعل من العدو صديقاً، فتم بذلك فتح مكة سلمياً بفضل مجهودات هذا الرجل.

ميمونة بنت الحارث:

ميمونة بنت الحارث من قبيلة كنانة، أحد أكبر القبائل بقريش، تزوجت قبل الرسول ﷺ مرتين، وكان الرسول زوجها الثالث، كانت هي من أبدت رغبة في الزواج من الرسول ﷺ، فعرضت عليه أختها وزوجة عم الرسول ذلك فقبل، وتزوجها لتكون صلة المصاهرة والتعارف تمهيداً للطريق أمام الدعوة الإسلامية، فالرسول ﷺ لم يتزوج ميمونة لغرض جسدي فهي من عرضت نفسها عليه، بالإضافة إلى أنه كان تقريباً في الستين من عمره، وكان كل ما يشغل باله هو الدعوة الإسلامية.

لقد تبيّن مما سبق أن محمداً ﷺ لم يكن رجل شهوة، وأن زواجه بأكثر من واحدة قد كان من أجل مقاصد وأسرار ربانية، ليس منها الرغبة في اللذة، ولا البحث عن المتعة، وأن المستشرقين والحداثيين المغرضين قد أغشاهم الهوى، وأعماهم التعصب، فقالوا بغير علم، واتهموا من غير بينة، ولم يستهدفوا مما كتبوه غير الكيد للإسلام، والانتقاص من مقام نبيه ﷺ (٢٧).

هوامش:

١ - محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص٩٠.

٢ - نبيل لوقا بباوي، محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه، ص٧٣.

٣- نفسه، ص٧٧.

٤ - مجموعة من المؤلفين، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٣٥٦.

٥ - نبيل لوقا بباوي، زوجات الرسول ﷺ بين الحقيقة والافتراء، ص٤٨.

٦ - نبيل لوقا بباوي، محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه، ص٧٣.

٧ - نفسه، ص ٧٧ .

٨ - نفسه، ص ٧٧.

٩ - أمير عبد العزيز، افتراء على الإسلام والمسلمين، ص٧٧.

١٠- نبيل لوقا بباوي، زوجات الرسول ﷺ بين الحقيقة والافتراء، ص٦٤.

١١- نبيل لوقا بباوي، محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه، ص٧٧.

١٢ - نفسه، ص٧٨.

١٣- أمير عبد العزيز، افتراء على الإسلام والمسلمين، ص٧٦.

١٤- نفسه، ص٧٧.

١٥ - مجموعة من المؤلفين، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ص٣٦٠.

١٦ - زكريا هاشم زكريا، المستشرقون والإسلام، ص٣٣٢.

١٧ - نبيل لوقا بباوي، محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه، ص٧٩.

١٨- أمير عبد العزيز، افتراء على الإسلام والمسلمين، ص٧٨.

١٩ - انظر: لخضر شايب، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٤٢٤-٤٢٥.

٢٠- انظر: زاهر عوض الألمعي، مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، ص٩-١٠.

٢١- أمير عبد العزيز، افتراء على الإسلام والمسلمين، ص٨١.

٢٢- نبيل لوقا بباوي، محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه، ص٨٠.

٢٣- نبيل لوقا بباوي، زوجات الرسول ﷺ بين الحقيقة والافتراء، ص١٣٤.

٢٤- عطية صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ج٦، ص١٦١، بتصرف.

٢٥- أمير عبد العزيز، افتراءات على الإسلام والمسلمين، ص٧٩.

٢٦ - نبيل لوقا بباوي، محمد ﷺ والخناجر المسمومة الموجهة إليه، ص٨٢.

٢٧ - عطية صقر، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ص١٦٤-١٦٦، بتصرف.

عبدالحكيم خلفي
باحث مغربي

لقمان الحكيم.. الأب المربي

كم نستمتع بقراءة سورة لقمان، وكم نحب سماعها من صاحب صوت رخيم يتلوها بأحكامها وقواعد تجويدها، غير أن أثر هذه التلاوة لا يلبث أن ينفض عنا بانفضاض المجلس، من دون أن نحاول استخلاص العبر من آياتها، والاستفادة من وصاياها، والاقتداء بالأب لقمان في منهجه الذي سار عليه من أجل تربية ابنه، وكأننا أمام «أسطورة» حدثت في غابر الأزمان لا يمكن أن تتكرر في حاضرنا، رغم ما تتضمنه هذه الوصايا من مناهج تربوية وتعليمية كفيلة بتقويم سلوك أبنائنا، وزرع القيم الإسلامية السامية في نفوسهم وقلوبهم.

لم يبدأ لقمان وصاياه لابنه إلا بعد أن هيأ الجو المناسب لذلك، فلطف أجواء التربية والتعليم بأن أطلق كلمة ترق القلوب لسماعها، وترتاح النفوس لاستشعار معناها، فينتقل الابن بها من السماع إلى الإنصات؛ إنها كلمة «يا بني»، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ (لقمان:١٣)، إنها كلمة الاستعطاف التي استعملها إبراهيم عليه السلام مع أبيه وهو يدعوه إلى الإيمان بالله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ (مريم:٤٢)، واستعملها مع ابنه إسماعيل عليه السلام: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات:١٠٢)، واستعملها نوح عليه السلام وهو ينادي ابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (هود:٤٢)، واستعملها هارون عليه السلام مستعطفا أخاه: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ (طه:٩٤)، واستعملها نبينا عليه الصلاة والسلام عندما عرض الإسلام على عمه وهو على فراش الموت: «يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» (١)، وها هو لقمان يستعمل الأسلوب نفسه، فيستحضر الابن بسماع كلمة «يا بني»، تلك العلاقة المقدسة التي تربطه بأبيه،

فلا يسعه إلا أن ينصت إلى توجيهات هذا الأب المحب ووصاياه.

ترسيخ «التوحيد»

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣)، إنه أول درس يلقنه الأب لابنه.. كيف لا والغاية من وجود الثقلين عبادة الله وحده لا شريك له، وهو حق الله على عباده لقول رسوله ﷺ لمعاذ بن جبل: «هل تدري ما حق الله على عباده؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» (٢) (الحديث).

إن أصدق وصف يمكن أن يوصف به الشرك هو أنه ظلم عظيم، كيف لا والله يخلق ويرزق ويمن ويعطي ثم يعبد غيره! فهو ظلم لله وظلم للنفس التي هانت على صاحبها فسار بها إلى الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء:١١٦).

فالإشراك بالله يجعل الإنسان يعيش في ضنك من العيش، لا يستقيم له حال، ولا تطمئن له نفس، ولا يرتاح له بال، ولا يرى غاية من وجوده، لأنه آثر أن يخالف فطرته التي فطره الله عليها، قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (٣). فالله خلق الإنسان على فطرة التوحيد، ليأتي دور الآباء في التربية، إما ليرسخوا هذا التوحيد أو ليحيدوا بأبنائهم عنه؛ لذا كان ترسيخ عقيدة التوحيد في قلوب أبنائنا أول درس نتعلمه ونعلمه.

بر الوالدين

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان:١٤)، إن اقتران بر الوالدين بوحدانية الله وعدم الشرك به في القرآن الكريم لإشارة قوية على قدر مكانتهما وعظمها، وتنبيه للغافل إلى أن عقوقهما أكبر خطيئة بعد الشرك بالله، كيف لا وهما سبب وجود الإنسان، وعانا ما عانياه من المشقة في تربيته وإطعامه وكسوته وتطبيبه والإنفاق عليه.. حلمهما أن يكون ابنهما أفضل منهما، ومُناهما أن يحقق أحلامهما التي لم يستطيعا تحقيقها، فإذا بهما يصطدمان بعقوقه، فينفطر قلبهما، وتتكسر أحلامهما، وتتبدد آمالهما؛ لذا عد الرسول ﷺ عقوق الوالدين من أكبر الكبائر حين قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟». قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» (الحديث) (٤)، وكأن الإشراك بالله والعقوق مشتركان في كفران النعمة وعدم شكر المنعم.

وفي تخصيص الأم بالذكر بعد ذكر الوالدين تنبيه إلى تذكر فضلها الزائد، نظرا لما تحملته وتتحمله من مشاق إضافية، وأعباء زائدة على ما يتحمله الأب؛ كالحمل وآلام المخاض والوضع والإرضاع.. وفي حديث «من أحق الناس بحسن صحابتي» (٥) دليل على هذا الفضل الزائد.

إن فضل الله على الإنسان يستلزم عدم الشرك به، وفضل الوالدين عليه يستلزم عدم عقوقهما، فلا يقابل الفضلان إلا بالشكر، وهو ما أمر به سبحانه عندما قال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾، فمهما امتد الزمن وطال فإن مصيرنا إلى الله ليجازينا عن برنا أو عقوقنا، قال الطبري: «وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لوالديك وبرك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفولتك وصباك، وما اصطنعا إليك في برهما بك وتحننهما عليك» (٦)، وهذا من أجلِّ الدروس التي يجب تلقينها للناشئة بعد العمل على ترسيخ العقيدة.

اختيار الصحبة

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان:١٥). إنه حرص الأب على اختيار الصحبة الصالحة لابنه، وتجنيبه رفقاء السوء، نظرا لتأثير الصحبة الكبير على سلوك الابن، وقد شبه رسول الله ﷺ هذا التأثير بتشبيه بليغ حين قال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة» (٧)، وعقبة بن أبي معيط نموذج لمن أوردته الصحبة الفاسدة المهالك، بعد أن كاد يؤمن بالنبي ﷺ، فيأتي يوم القيامة وهو يعض على يديه ندما وحسرة وخذلانا، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩)

إن اختيار رفقاء الخير والصلاح لأبنائنا إنما هو اختيار للقيم التي نريد غرسها فيهم، وهي مسؤولية ملقاة على عاتق الآباء الذين وجب عليهم ضمان صحبة صالحة ليضمنوا أمن سلوك أبنائهم.

مراقبة الله

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان:١٦)، يكرر

الأب على مسامع ابنه كلمة «يا بني»؛ ليجدد استحضار باله ويتهيأ لاستقبال باقي الوصايا، ولينتقل به إلى درس في بيان عظمة الخالق وعجز المخلوق، وليرسخ في نفسه وعقله أن الأمر مهما كان حقيرا فقدرة الله تحيط به، يأتي به متى أراد، ودقة هذا التعبير القرآني لا يصلها أي تعبير آخر، فانظر إلى حبة الخردل وهي في صخرة قاسية، أو في صحراء شاسعة، أو في سماء واسعة، ثم انظر إلى قدرة الله تعالى على الإتيان بها متى شاء، فكذلك يأتي بمن عصاه ليحاسبه ويعاقبه، فإذا استحضرنا هذا فإننا نستحضر في أي عمل نقوم به مراقبة الله لنا. وتربية الطفل على استحضار مراقبة الله تعالى في أعماله كفيلة بأن تجعله يتقي الممنوعات والمحرمات، لعلمه أن كل ما تكسبه يداه سيسأل عنه يوم القيامة.

إقامة الصلاة

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (لقمان:١٧)، ينتقل الأب لقمان بابنه إلى العبادة والدعوة والإصلاح، ليحثه على إقامة الصلاة، التي تعد من أعظم العبادات المؤثرة في سلوك الفرد والمجتمع، وقرن بينها وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإقامة الصلاة بشروطها وآدابها وخشوعها وفي وقتها، تنهى النفس عن الوقوع في براثن الفحشاء وظلمات المنكر، وتحثها على فعل الخيرات والاستزادة بزاد التقوى، وهي في الوقت نفسه تهيئ المسلم كي يصير داعيا إلى الله تعالى؛ يأمر بالمعروف ويرشد إليه، وينهى عن المنكر ويحذر منه. وكل من الصلاة والدعوة إلى الله في حاجة إلى صبر، قال تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ (طه:١٣٢)، والداعي إلى سبيل الله لابد أن يجد في طريقه من المعوقات والأذية وإعراض بعض القلوب ما يحتاج معه إلى الصبر، وإلا يئس من الناس وفقد الأمل في هدايتهم، قال ابن كثير: «علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر» (٨)، وهذا من عزم الأمور.

حسن الخلق

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ (لقمان:١٨-١٩)، إن زرع الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة، ونبذ كل خلق ذميم، من أهم الأمور التي تجب مراعاتها في التربية، ولا يكون هذا إلا بمراقبة سلوك الابن وتصرفاته، مع محاولة تقييمها وتقويمها، فلا يمكن للداعي إلى الله أن يكون متكبرا ومتعاليا على الناس، بدعوى أنه ينير لهم طريق الخير وأنه صاحب فضل عليهم. ولكل خلق ذميم علامات، فمن علامات الكبر صعر الخد، والإعراض بالوجه عمن يكلم، تكبرا واستحقارا (٩)، ومن علاماته أيضا المشي في الأرض مرحا وعجبا. وتخلية القلب من هذه الرذائل لابد أن تصاحبها تحلية بالفضائل، وهو ما قام به الأب لقمان عندما قال لابنه: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾، فبدل أن يتعجرف الماشي ويتبختر في مشيته كان الأولى أن يمشي مقتصدا متواضعا، وبدل أن يرفع صوته كان الأولى أن يخفضه، إذ لا يرفع الصوت إلا من كان خلقه سيئا، أو من كان مرتابا في قيمة ما يقول، يريد بذلك أن يخفي ضعف حجته برفع صوته، وقد شبه لقمان هذا الصوت بصوت الحمير الذي ينكره الجميع، وهذا التشبيه -كما قال ابن كثير- يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم (١٠).

لا ينال المسلم مرتبة الخيرية إلا بالأدب وحسن الخلق لقوله ﷺ: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقا» (١١)، ولا تكون أخلاقه حسنة إلا إذا كانت تربيته مبنية على عقيدة صحيحة، ويؤدي ما فرضه الله عليه من عبادات، ويستشعر مراقبة الله له، وله صحبة تعينه على الخير ويصبر نفسه معها.

إن هذا الأسلوب التربوي الرفيع، والمنهج التعليمي المتكامل البديع، اللذان استعملهما الأب لقمان، يحتاج إليهما كل أب يسعى إلى تربية ابنه ليكون فردا صالحا مصلحا في مجتمعه.

الهوامش

١- صحيح البخاري، الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، رقم ح: ١٣٦٠. تح: محمد زهير بن ناصر، طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: من جاهد نفسه في طاعة الله، رقم الحديث: ٦٥٠٠.

٣- صحيح البخاري، الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: ١٣٨٥.

٤- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، رقم الحديث: ٥٩٧٦.

٥- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم الحديث: ٥٩٧١.

٦- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٣٨/٢٠.

٧- صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب: المسك، رقم الحديث: ٥٥٣٤.

٨- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٣٣٨/٦.

٩- انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري، ١٤٣/٢٠.

١٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣٣٩/٦.

١١- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، رقم الحديث: ٦٠٣٥.

سليمان خالد الرومي
سكرتير التحرير

تفريغ الطاقات



ها قد بدأت الإجازة الصيفية، وأبناؤنا مشتاقون لأن يكون آباؤهم معهم في هذه الإجازة الطويلة، حتى يستفيدوا من خبراتهم في الحياة. فما على الآباء إلا أن يفرغوا أنفسهم لأبنائهم، ويضعوا لهم برنامجا متنوعا حتى يخرج الأبناء من هذه الإجازة مستفيدين منها.

أبناؤنا أذكياء، لكن يريدون من الآباء المتابعة والتواجد المستمر، حتى يأخذوا فرصتهم في تفريغ طاقاتهم في فترة الصيف.

لما هاجر النبي ﷺ وصاحبه أبوبكر رضي الله عنه إلى المدينة المنورة، وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام، عملت عائشة وأسماء، بنتا أبي بكر، رضي الله عنهم أجمعين، على تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها (وهو ما يشد به الوسط)، فربطت بها على فم وعاء الطعام الذي كانت تحمله، فسميت لذلك ذات النطاقين، وعمل عبدالله بن أبي بكر -رضي الله عنهما- على نقل الأخبار، فلا يسمع من قريش أمرا يبتغون من ورائه مكروها لهما، إلا عاد رضي الله عنه في المساء يخبرهما، ويبقى عندهما بعض الوقت، ثم يخرج من عندهما في السحر، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائما فيها. ومن المعلوم أن عائشة وعبدالله -رضي الله عنهما- كانا لم يبلغا الحلم بعد، وهذه شجاعة نادرة لا يقوى عليها كثير من الرجال.

وهناك نموذج رائع لغلامين، فأول ما نزل النبي ﷺ المدينة بركت ناقته في مربد لغلامين من أصحابه ﷺ، وصار هذا موضع المسجد، فاختارا أن يهباه إلى النبي ﷺ، ففي حديث الهجرة الطويل «.. ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل (غلامين يتيمين) في حجر أسعد ابن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله الغلامين فساومهما بالمربد مسجدا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما» (رواه البخاري).

وهذا عبدالله بن الزبير مر به عمر بن الخطاب وهو يلعب مع الصبيان ففروا، ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أجرم فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع عليك.

ورأى عمر بن عبدالعزيز ولدا له في يوم عيد وعليه ثوب خلق (أي قديم)، فدمعت عيناه، فرآه ولده فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: يا بني، أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلق؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنما ينكسر قلب من أبعده الله وجفاه أو عق أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضيا عني برضاك.

نعيم السلاموني
كاتب مصري



التلوث اللغوي اغتيال لعقول الأطفال

دور الأسرة في مقاومة التلوث اللغوي

بلغت عناية الاسلام بالخُلق الحد الذي لا يدرك.. كما تجسدت عند رسول الله ﷺ حين جعل الخُلق أساس رسالته، يقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ولقد كثرت توجيهات الرسول ﷺ في هذا الجانب حين قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء» (رواه الترمذي).

ولقد وصف المولى عزوجل رسوله الكريم ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). ويقول ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» (رواه أبوداود).

ومن الرحمة بالصغير العناية به والرعاية له والتلطف معه والحرص على غرس الفضائل في نفسه وقلع الرذائل.. يقول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». والإسلام وجه الآباء والمربين بمراقبة أولادهم وأن يختاروا لهم الرفقة الصالحة وأن يحذروهم من رفقاء السوء، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة». وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

من أسباب التلوث اللغوي

لقد استقال الأهل من مهمتهم الأولى وهي تربية ورعاية أبنائهم وتركوهم للتلفزيون يقضون أمامه ساعات طوالا يشاهدون برامج العنف والإثارة.

الأهل مشغولون في السعي وراء لقمة العيش، وينصب اهتمام الآباء على الاحتياجات المادية دون إعطاء الأبناء ذخيرة من القيم، ودون تنشئتهم على قيم اجتماعية تحترم مشاعر الآخرين، وهذه القيم أصبحت بعيدة كل البعد عن غالبية الأسر.

الأم ترى أن تنمية الطفل جسديا أهم كثيرا من التنمية العقلية والروحية.

وعلى الرغم من أن جميع الأسر تنتقد بعض برامج التليفزيون وما تقدمه من فقرات مستفزة لا تناسب الجو الأسرى فإنهم يتركون أطفالهم لمشاهدة هذه البرامج دون رقيب أو حسيب أو حتى متابعة.

فساد التربية في المنزل انعكس على الأب البديل وهو المعلم، فتراخي الآباء في حسن تربية الأبناء جعلهم يتعاملون مع المعلمين بشيء من عدم المبالاة والخروج على اللياقة.

اختلاف شكل الأسرة والمدرسة والمجتمع عن الماضي حيث كانت الأم متفرغة لأبنائها وتلاميذ الفصل الواحد لا يزيدون عن ٢٠ طالبا، كما كان الكتاب يحتل مكانة هامة من اهتمامات الأسرة أما الآن فقد تراجع الكتاب أمام وسائل الترفيه الحديثة.

البيئة التي يعيشها الطفل فقيرة ثقافيا نتيجة غياب الحوار بين أفراد الأسرة حيث يتم التواصل من خلال عبارات يغلب عليها الطابع العنفي والطفل ذو الفئة المحرومة ثقافيا يميل إلى التعبير الحركي عن انفعالاته ومشاعره ويجد في الشارع المجال الطبيعي لممارسة هذا التغيير.

أغاني القطاع الخاص العشوائية والتي يتداولها المطربون الشعبيون بما تحمله من كلمات هابطة ومتدنية تطرح في الأسواق ويرددها الأطفال والتي وجد فيها تجار الأغنية وسيلة الكسب السريع الذي لا يجدونه في الغناء الراقي.

بجانب جماعة الرفاق هناك عالم النوادي والمقاهي والمصايف ووسائل الإعلام المختلفة لاسيما ما تأتي به الفضائيات من وسائل تدميرية للأطفال.

التفكك الأسري لاسيما الطلاق يلقي بالأبناء بعيدا عن دائرة التربية الرشيدة ويعرضهم للضياع والفساد الأخلاقي.

الوقاية خير من العلاج

يجب أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم، ولقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا أمثلة كثيرة تتمثل في القدوة الحسنة والتي يجب على الأسرة الاقتداء بها ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١:الأحزاب).

يجب أن يتنبه الآباء لخطورة التقنيات الحديثة (الفضائيات - الإنترنت - المحمول) فبرغم إيجابياتها فإنها لا تخلو من آثار مدمرة إذا غابت الرقابة وساء التوجيه.

على الوالدين غرس الأخلاق الحميدة في الأبناء ولابد أن يتنبه الأب والأم في جميع تصرفاتهم حتى لا يقلدها الأطفال بسلوكات خاطئة غير لائقة تؤثر في حياة الطفل في المستقبل فيكتسبها ويمارسها في الخارج ويحاول تطبيقها على زملائه.

على ولاة الأمور وهم المسؤولون بالحكمة والموعظة الحسنة الاطمئنان على نوعية الأصدقاء.

التعاون بين البيت والمدرسة بعقد لقاءات دورية يحضرها الآباء والمعلمون لدراسة السلوك المنحرف لبعض الأبناء والمشاركة في تقويمهم.

على الأسرة أن تتيح لأبنائها حرية التعبير بالآراء في إطار من المودة والرحمة والاحترام.

بالنظر إلى قوة تأثير الإعلانات على الأطفال فإنه يتوجب إعادة النظر في سياسة لغة الإعلانات بحيث يكون للغة العربية النصيب الأكبر.

يجب على الرقابة على المصنفات الفنية أن تكون أكثر حزما في مواجهة ظاهرة انتشار الأغاني الهابطة وانتشار الحوار الهابط، فهي منبع الألفاظ الهابطة والبذيئة التي صارت متداولة.

على نقابة الصحفيين تفعيل ميثاق الشرف وتقييم مسار بعض صحف الإثارة خاصة تلك التي تنشر بعض الألفاظ ذات الايماءات البذيئة.

تخصص درجة من الأخلاق في سنوات النقل في المدارس تصل إلى ١٠٪ من درجة كل مادة.

مطلوب نشر الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين بكثافة في المراحل التعليمية.

تلعب وسائل الإعلام من خلال كل ما تقدمه من برامج متنوعة دورا هاما في غرس وتدعيم وتوجيه الأبناء ونمو القيم الموجبة ونبذهم للقيم السالبة.

اتجاه مناهج التربية الدينية والمساجد إلى بناء البشر وسط هذا الطوفان من الماديات بالتركيز على الشق الخلقي وفي تاريخنا وثقافتنا الإسلامية نماذج كبيرة من سير الأبطال والعلماء والمفكرين.

خلاصة القول

إن الأسرة التي تغرس في أولادها المعاني النبيلة هي التي تنجح في مقاومة الأوبئة الأخلاقية التي تهدد الأسرة وعلى رأسها التلوث اللغوي.

والخير كل الخير في أن نضبط ألسنة أطفالنا مصداقا لقوله تعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨).

فهل تعود الأسرة إلى عهدها السابق ويقوم الأب والأم بأهم مهمة في حياتها وهي رعاية أبنائهم والحفاظ عليهم من المؤثرات السلبية.

إن التشريعات وحدها لا تكفي لمعالجة التلوث اللغوي والحماية الحقيقية التي تحصن الأطفال أخلاقيا وثقافيا ودينيا واجتماعيا تتطلب تضافر الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني.

وعلى الآباء أن يكونوا قدوة صالحة لأبنائهم فإن الطفل يتعلم مما يراه أكثر من تعلمه بالسماع فقط، ولنعلم أن صلاح الآباء صلاح وخير للأبناء قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف:٨٢).

وإن الدين الإسلامي كان له رأي حاسم في موضوع بناء الأسرة التي تؤسس وتضع الإطار الذي ينمو فيه الطفل ليصبح صالحا وأخلاقيا ليتمكن من هزيمة نزعات الشر.. وقد ركز الإسلام على ضرورة الزواج من المرأة الصالحة، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري).

اللهم طهر ألسنة أطفالنا فإن الكلمة الطيبة صدقة.

محمد عباس
كاتب صحفي

أسباب وطرق الوقاية منه:

تشتت الأطفال

ضعف الانتباه (التشتت) لدى الأطفال يقصد به قصر فترة الانتباه وسهولة تشتته، أي الصعوبة التي يواجهها الطفل في التركيز في النشاط الذي يقوم به، ونجاح المثيرات الخارجية في جذب انتباهه بعيدا عن النشاط، والافتقار إلى المثابرة، أي القدرة على إكمال الأنشطة بنجاح والتغلب على المعوقات التي تحول دون ذلك.
وقد يكون التشتت سببا للنشاط الزائد عند بعض الأطفال. ويمكن قياس مدى الانتباه عن طريق قياس طول الفترة الزمنية التي تنقضي في القيام بمهمة ما، إلا أن النظر والتفكير أثناء العمل ضروريان. والانتباه الحقيقي يقاس من دون تفكير، وحوالي ٥-١٠ من الأطفال يعانون بشكل جدي من قصر فترة الانتباه، ورغم أن طول فترة الانتباه يزيد مع التقدم في العمر، فإن هؤلاء الأطفال يبقون قليلي الانتباه نسبيا خلال سنوات الرشد.

ترجع أسباب ضعف الانتباه (التشتت) لدى الأطفال إلى ضعف النمو العصبي، وإلى النضج البطيء أو الخلل العضوي في الدماغ، وضعف القدرة على صفة تكوينية موروثة. تلعب العوامل البيئية والنفسية دورا مهما كمسببات لضعف الانتباه؛ فالأطفال القلقون يظلون معتمدين على التوجيهات والتعليمات الخارجية، ولا يقدرون على إتمام عمل ما بمفردهم فهم بحاجة إلى دعم وتشجيع مستمر، إن عدم الإحساس بالأمن والشعور بعدم الكفاءة يؤديان إلى ضعف الانتباه وعدم القدرة على مقاومة التشتت. وينتشر ضعف الانتباه لدى الأطفال الذين يعيشون في عالمهم الخيالي الخاص لضعف قدرتهم على الانتباه إلى بيئتهم، كما أن هناك صعوبات في الانتباه لدى الأطفال الذين يعانون من صعوبات تعلم وإعاقة عقلية واضطرابات انفعالية.

طرق الوقاية

يمكن الوقاية من ضعف الانتباه لدى الأطفال بما يلي:

- تنمية الكفاءة والنجاح: فلكي نجنب الأطفال ضعف الانتباه يجب أن نختار لهم مهمات تعلو فيها فرص النجاح، ثم نمتدحهم على إتمامهم لها، فالطفل الذي لا يشعر بالكفاءة ينمو عن طريق مزيج من ثناء الأهل وتشجيعهم والنجاح في إتمام المهمات، والطفل الذي يشعر بأنه قادر على القيام بعمل ما ينتبه ويقاوم التشتت.
- تعليم الطفل تركيز الانتباه وتعزيزه: إن تركيز الانتباه يمكن أن يعلم ويشجع منذ الصغر. إن انتباه الأهل وتشجيعهم لقدرة الطفل المتزايدة على تركيز الانتباه هما العنصر الأساسي في الوقاية من تكوين عادة ضعف الانتباه. وتركيز الانتباه يتطلب المثابرة؛ لذا يجب أن يُعطى الطفل الثناء والتشجيع على المثابرة ومقاومة التشتت.
- العناية الملائمة بالجنين قبل الولادة: قد ينتج ضعف الانتباه عن بيئة رحمية غير مناسبة للجنين، وصحة الأم الجسمية والعقلية هي الضمان لعدم ضعف القدرة على التركيز الناتج عن أي ضرر يتعرض له دماغ الجنين، فقد لوحظت آثار سلبية ناتجة عن تعاطي الأم الحامل عقاقير وأقراصا، كما أن تعرض الأم الحامل إلى التوتر الشديد خلال فترة الحمل يؤدي إلى تعرض الجنين لضعف التركيز وصعوبات التعلم فيما بعد.

علاج ضعف الانتباه لدى الأطفال

أولا - العلاج بالعقاقير: للعقاقير دور مهم في علاج اضطراب نقص الانتباه، ولكن لا ينبغي النظر إليها على أنها كل شيء في العلاج، بل يجب دمج الطرق العلاجية الأخرى



معها، وأكثر العقاقير المستخدمة في علاج اضطراب نقص الانتباه هي العقاقير المنشطة (المنبهة)، وهذه العقاقير أعطت تحسنا في نسبة كبيرة من الأطفال الذين يعانون من اضطراب نقص الانتباه وصلت في بعض الدراسات إلى ٧٥ في المئة، ومفعول هذه العقاقير هو تنشيط مركز التحكم والانتباه عند تنبيه قشرة المخ، مما يمكن الطفل من زيادة الانتباه، والتحكم في سلوكه الحركي، وهذا يُعد خلافا لما يعتقد من أن الأطفال المفرطي الحركة يظهرون تفاعلا عكسيا مع العقاقير المنشطة، أي أنهم يهدؤون بواسطة هذه العقاقير.

ونظرا لأن هذه العقاقير المنشطة يصعب الحصول عليها، وقد يحدث عنها بعض الأعراض الجانبية، مثل اضطراب النوم وفقدان الشهية ونقص النمو والتوتر، فإننا يمكن أن نستبدل بالعقاقير المنشطة منبهات قشرة المخ التي نستعملها في حياتنا اليومية، مثل الشاي والقهوة لوجود مادة الكافيين فيها التي تنشط قشرة المخ؛ ولتوافرها في المنزل، وحين يشربها الطفل لا ينظر إلى نفسه على أنه مريض يتعاطى علاجا، ولكن ينظر إلى نفسه على أنه أصبح كبيرا يشرب الشاي والقهوة مثل الكبار.

ثانيا - العلاج النفسي للطفل:
ويُعد هذا النوع من العلاج أكثر فائدة من العقاقير، خصوصا على المدى البعيد بالنسبة إلى السلوكيات التي لا تتحسن كثيرا باستخدام المنشطات. ويشمل العلاج النفسي علاجا تحليليا؛ يبنى على قيم نفسية للطفل وصراعاته الداخلية التي قد توجد بين أجزاء الشخصية، وبين العالم الخارجي المتمثل في الأسرة والمدرسة، والحيل الدفاعية المرضية التي يستخدمها في سلوكه، وتوضيح ذلك للطفل من خلال جلسات العلاج النفسي التي تجرى مع الأطفال الصغار بواسطة لعب خاصة أو بواسطة الرسم، وهذا العلاج التحليلي غالبا ما يتم في إطار فردي، ولكن هناك العلاج النفسي الجماعي الذي يتم في إطار مجموعة من الأطفال، حيث تستخدم المجموعة لبناء السلوكيات المرغوبة لدى الطفل وتنميتها، ونبذ السلوكيات غير المرغوبة بواسطة نقد المجموعة لها ومساعدة الطفل على كبحها.

ثالثا - العلاج النفسي الأسري:
نظرا لأن تفاعلات الأسرة تساهم في إحداث الاضطرابات، كما أن نظرة الطفل وموقعها منه قد تكون من بين أسباب الاضطراب، فإن العلاج النفسي الأسري يهدف إلى إزالة الإحباط الأسري بين أفرادها وتهدئة الصراعات القائمة بينهم، أو علاج بعض أفرادها نفسيا فرديا إذا لزم الأمر. كما توجه الأسرة لتقليل الاحتياجات على الطفل ليستطيع التوافق، كما يلزم إعادة ترتيب الجو المنزلي بحيث لا يكون مثيرا جدا أو مغلقا؛ لأن الطفل يحتاج إلى هدوء ونظام.

نهى الفخراني
باحثة تربوية - القاهرة

هل عالجت طفلك بالرسم؟!

يحاول كثير من الأطفال منذ نعومة أظفارهم الإمساك بالقلم والتعبير برسومات أو (شخبطة) ينزعج منها كثير من الآباء والأمهات؛ لاعتقادهم بأن تعلم أشياء أخرى يعد أكثر فائدة، فما للرسم - كما يعتقدون - من فائدة.. لكن الحقيقة أن للرسم فوائد يغفل عنها كثير من المربين.

والرسم يعد لغة عالمية يشترك فيها كل أطفال العالم من حيث رموزها التشكيلية والفنية، فهو يساعد الطفل على تدريب الخيال وتنمية الذوق، كما يؤثر في ارتقاء المظاهر المختلفة لنمو عقله، وأفكاره، ومشاعره، وأخلاقه، وإبداعاته، وبوجه عام يساعد الطفل في الكشف عن شخصيته.

ولم تتوقف الفوائد عند هذا الحد إنما تعدت ذلك ليكون الرسم واحدا من الأساليب العلاجية المعترف بها عالميا.. ففي تقرير علمي لها وصفت الرابطة الأميركية للعلاج بالفن التشكيلي هذا النوع من العلاج بأنه «الاستعمال العلاجي للإنتاج الفني من خلال ابتكار الفن والتمعن في إنتاجه وعملياته».

والمعالجون بالرسم هم مهنيون مدربون في كل من الفن والعلاج النفسي، فهم مضطلعون بالنمو الإنساني والتطبيق الإكلينيكي ويستعملون الرسم في التشخيص والبحث.

دوافع الرسم

ويؤكد العديد من أساتذة علم النفس أن هناك دوافع عدة تحرك الأطفال إلى ممارسة الرسم أو الشخبطة، منها: إعلان المشاعر والانفعالات الداخلية التي يصعب التعبير عنها سلوكيا، التعبير عن الذات والحاجه إلى التقدير، وتحقيق الذات، والتسلية والتقليد، وغيرها من الدوافع التي ينقل من خلالها الطفل الكثير من المدلولات والمعاني على الورق أو أي سطح آخر ليتواصل مع الآخرين.

العلاج بالرسم

ويمكن تعريف العلاج بالرسم على أنه طريقة فعالة لعلاج الاضطرابات النفسية لدى الفرد الذي يعبر سلوكيا بالرسم أكثر من تعبيره لفظيا، كما يمكن تعريفه على أنه طريقة فعالة تقف جنبا إلى جنب مع الوسائل الكيميائية والسلوكية، ويتزايد أثره كلما قرأ لنا الأطفال رسوماتهم وأعمالهم.

ويعتمد العلاج بالرسم على حضور الطفل جلسات مع المعالج، بحيث يتم في الجلسات مزاولة الفنون التشكيلية بشتى أنواعها، مثل: استخدام الألوان الشمعية أو المائية أو الزيتية أو الصلصال، وكذلك أعمال الخزف وغيرها، ويقوم المشرف على الحالة بتحليل تلك الأعمال الفنية ومتابعة مدى تأثر الحالة بالعلاج، مع التركيز على تفسير المعاني والأبعاد اللاشعورية للأشكال، وملاحظة العلاقة الوثيقة بينها وبين بنية الطفل الشخصية.

ويقوم العلاج بالرسم أو الفن على قاعدة أساس وهي: قبول كل الاستجابات والنواتج بصرف النظر عن مسألة الجودة الفنية التي ينتجها الطفل، ويستهدف هذا النوع من العلاج إعادة بناء الطرق التي يتصور بها الأطفال حياتهم ويدركونها، لانتشالهم من حالات العدوانية والتمركز حول ذاتهم ليعود لديهم الإحساس بالتوازن والسلام الداخلي.

أهميته

ويمكن اللجوء إلى العلاج بالرسم إذا كان الطفل عدوانيا تجاه الآخرين، أو إذا كان يضرب أصدقاءه بشدة أو يحاول الهرب من مدرسته، أو يعاني من التوحد أو التبول اللاإرادي - وليس لديه سبب عضوي - وكذلك إذا كان الطفل يمر بمرحلة اكتئاب جراء الانتقال مثلا إلى منزل جديد.

ويستبدل هذا النوع من العلاج عادات الأطفال السيئة مثل الضرب والسرقة ويحولها إلى عادات أخرى تجعلهم موطن إعجاب الآخرين، وأكثر ثقة بأنفسهم؛ لأنهم منتجون ومبتكرون.

اعترف بفن طفلك

ويجب على الآباء والأمهات معرفة أن شعور طفلهما بالنسبة لفنه يختلف عن شعورهما، وأن فنه يعد سجلا لشخصيته، وأن الطفل يكتسب خبرات مهمة أثناء عمله، وأنه ليس بالضرورة أن يكون دائما فن طفلهما سارا.

الصورة بألف كلمة

ولعل القاعدة التي تقول «الصورة بألف كلمة» هي قاعدة مهمة يمكن أن نطبقها على أبنائنا؛ لأنها تعد نداء حقيقيا لنا لكي نبحث عن مدلولات الصور والرسومات التي يحدثوننا وتكون مشبعة بآلامهم وأفكارهم ومشاعرهم وبالضغوط النفسية التي يمرون بها، والتي قد نكون قد سببناها لهم بلا قصد.

فلنكن أكثر وعيا بقيمة الرسائل (غير الناطقة) التي يقدمها لنا الأطفال، ونمد أيدينا لهم ليكشفوا لنا عن آلامهم وآمالهم أيضا.

د. محمد رشيد العويد
خبير أسري

تسع مبشرات بفضل الأنثى

بعضهم يحزن إذا أنجبت زوجته أنثى، ويظهر حزنه على وجهه عبوسا حتى يسود وهو كظيم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (النحل:٥٨ و٥٩).

هذه تسعة تبشر من رزقه الله أنثى، عساه، بعد تأملها، يفرح بما وهبه ربه، فيفرح بالأنثى كما يفرح بالذكر، إن لم يصبح فرحه بها أعظم:

١- وصف سبحانه الذكر والأنثى بأنهما هبة منه عز وجل، والهبة من الله نعمة ليس للعبد إلا أن يفرح بها، ويشكر الله تعالى عليها ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى:٤٩).

٢- هذه الهبة -ذكرا كانت أم أنثى- هي بمشيئته سبحانه، فهي عظيمة أيا كانت؛ لأنها من العظيم عز وجل، وهي جميلة؛ لأنها من الله الجميل المحب للجمال سبحانه. إن قيمة أي هدية أو هبة إنما تستمد من قيمة من أهداها، فإن كان من أهداها ووهبها هو الله سبحانه وتعالى، فأي عظمة وأي ارتفاع لقيمة هذه الهدية؟!

٣- كيف لا أفرح بقدوم الأنثى وهي سبب لدخولي الجنة إن أحببتها وأحسنت إليها: «من عال جاريتين حتى تدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين» (صحيح مسلم).

٤- وكذلك سأسعد بها وأستبشر بقدومها حين أعلم أنها تحجبني عن النار وتحميني منها «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار» (متفق عليه).

٥- البنت أرفق بوالديها من الولد، وأرأف بهما، وأعطف عليهما، وأقرب إليهما، والوقائع والحكايات والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

٦- من يرزق بالبنات يصبح أشبه بالنبي ﷺ في ذلك، إذ إنه ﷺ كان أبا لعدة بنات، ولم يعش الذكور الذين رزقه الله بهم طويلا، فقد ماتوا صغارا، وهم القاسم، وعبدالله، وإبراهيم، فالقاسم توفي في سن الرضاع، وعبدالله وإبراهيم قبل بلوغهما السنتين.

٧- ليس لمن يرزق بالبنات أن يلوم أمهن على ذلك، فإضافة إلى ما سبق من أن الله سبحانه هو الذي يهب الذكور والإناث، فإن العلم يؤكد أن بويضة المرأة لا دور لها في تحديد جنس الجنين، إنما يحدده الحيوان المنوي للرجل.

ومن جميل ما قيل في ذلك -حتى قبل اكتشاف العلم هذه الحقيقة- تلك الأبيات المعبرة التي قالتها أم حمزة لزوجها الذي هجر خيمتها بعد أن وضعت بنتا، ليبيت عند جيران لهم:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
بل نحن كالأرض لزارعينا
ينبت ما قد زرعوه فينا

٨- الذكر حين يتزوج وينجب يصبح أبا، والأنثى حين تتزوج وتنجب تصبح أما، والأم مقدمة على الأب ثلاث مرات، بل المرات الثلاث الأولى للأم، وليس للأب إلا المرتبة الرابعة في حق الصحبة على ولده، كما في حديثه ﷺ الذي أجاب فيه الصحابي عندما سأله من أحق الناس بحسن صحابته، فقال ﷺ: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك» (صحيح الجامع).

٩- معاملة المرأة أما وأختا وبنتا وزوجة مقياس لخيرية الرجل، فالرجل الذي يصدر منه الخير تجاه من حوله من النساء هو خير من الرجل الذي تلقى النساء منه شرا، مهما كان يفعل من خير فيما سوى ذلك. قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم» (صحيح الجامع).



موضوع العدد

سؤال التعايش



د. عمرو عبدالكريم

سؤال التعايش من أشد أسئلة الوعي الحضاري حضورا وإلحاحا؛ لأن الدولة الحديثة قامت على مزيج مختلط من الأديان والأعراق. ورغم سيادة تيار غالب في كل دولة يقرر دينها ولغتها الرسميين، وحقه في أن يعيش في دولة تعبر عن أفكاره ومعتقداته، فإن الدول الحديثة لا تخلو من مغايرين في الدين أو العرق؛ لذا كان لابد من طرح سؤال التعايش، وكيف يكون في ظل بيئات وأوضاع متغيرة بما يضمن حقوق مختلف مكونات الدولة والمجتمع؟

في التجربة الإسلامية، خصوصا في المرحلة النبوية، وهي مرحلة التشريع الأساسية التي تشكل لدينا كمسلمين المرجع الأعلى والأول في صك وسك مفاهيمنا وأفكارنا، نجد أن النبي ﷺ وعقب الهجرة النبوية مباشرة وبناء المجتمع الإسلامي في المدينة، أسس منهجا للتعايش السلمي بين أهلها بكتابة «وثيقة المدينة»، ميثاقا ينظم بموجبه العلاقات بين المجتمع المسلم الجديد وبين التكوينات البشرية التي تعيش في المدينة، وبخاصة اليهود، وذلك لتوفير الأمن والسلم للناس جميعا.

جاءت «وثيقة المدينة» في بابين:

الباب الأول: اليهود الذين يعيشون ضمن تجمعات المسلمين

وفيه نصت الوثيقة على: «وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته. وإن ليهود بني النجار مثل يهود بني عوف، وكذلك يهود بني الحارث وبني ساعدة وبني الأوس وبني ثعلبة (...) وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه وأهل بيته، إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا».

وتعود أهمية نصوص هذا الباب إلى أنها:

- وضعت الأسس الدستورية والقواعد الكلية للحكم في دولة المدينة، فكان حديثها عن المبادئ الكلية والمقاصد العليا، ولم تتعرض إلى الأحكام التفصيلية التي تتغير بتغير الأحوال.

- أكدت الاعتراف بالآخر، وحقه في الوجود، وما يترتب على هذا الوجود من الاعتراف بدينه وما يعتقد: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

- أقرت وثيقة المدينة مبدأ حرية الاعتقاد والتدين عندما نصت على أن: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، فلا إكراه ولا سيطرة للرسول باعتباره الحاكم الفعلي لدولة المدينة على معتقدات سكانها المختلفين دينا. وكان هذا الأصل مرتبطا بأصل آخر وهو الحق في الاختيار، أو كما قال الله عز وجل: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة:٢٥٦).

- أقرت التعددية الدينية: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، ومع ذلك هم أمة واحدة سياسيا ودستوريا، وإن كان لكل دينه الذي يختص به. وجاء القرآن ليؤكد هذا الإقرار فقال عز وجل: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦)، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (الحج:١٧).

- أقرت مبدأ المسؤولية الشخصية للفرد وللجماعة على حد سواء، فكل إنسان مسؤول عما اقترف، وذلك عندما نصت: «وأنه لم يأثم

امرؤ بحليفه»؛ فلا تعاقب الجماعة بسلوك فرد، وهذا الأمر يؤكده قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام:١٦٤)، وقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(الطور:٢١).

الباب الثاني: اليهود المتميزون في دورهم وتجمعاتهم بعيدا عن المسلمين

وفيه نصت الوثيقة على: «وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم إلى قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله». (ابن هشام: السيرة النبوية ١/٥٠٣- ٥٠٤).

وتعود أهمية نصوص هذا الباب إلى تأكيدها على:

- العدل أهم أسس التعايش السلمي بين أهل هذه الوثيقة، العدل كأسلوب في حكم المدينة والفصل في الخصومات بين أهلها، فكررت الوثيقة كلمة «القسط»، وجمعت معها المعروف، مما يجعل من العدل منهج حياة لأهل المدينة، في زمن السلم: «على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم»، أما في زمن الحرب: «وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين».

- استقلال الذمة المالية «وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم»، فليس من المعاهدة أخذ مالهم أو مصادرة ممتلكاتهم، بل ممتلكاتهم مصونة وأموالهم لها حرمتها ما داموا في عهدهم راعون.

- التعاون في حفظ الوطن المشترك والكيان الجامع: «وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم»، والنصيحة واجبة بين شركاء الوطن وقبولها وحملها على المحمل الحسن أمر مشترك بين الحلفاء.

- تحريم الاقتتال الداخلي بين أبناء الوطن الواحد: «وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة».

- حق الحرية والانتقال: «وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم».

- وضع معيار واضح في الحقوق والواجبات يتعامل به كل أهل المدينة وسكانها، والجميع أمام الشريعة وأحكام الحقوق والواجبات سواسية لا فرق بينهم.

وختاما نؤكد على ثلاثة أمور

أولها - نصوص الوثيقة دالة دلالة قطعية على ما يتمتع به أهلها من حرية دينية، وحقوق كاملة، وأن وضعهم القانوني داخل دولة المدينة محفوظ كمكون أساسي من مكوناتها ما داموا لعهدهم راعون.

ثانيها - أن وثيقة المدينة قد صيغت بطريقة من التوازن لا يشعر أي طرف من أطرافها، ولو كان هو الطرف الأدنى، بأي تمييز، فالحقوق متوازنة ومتبادلة، والواجبات متوازنة ومتبادلة، والكل يشعر أنه في وطنه الذي له عليه حق الدفاع عنه، ورد غوائل المعتدين.

ثالثها - أن هذه الوثيقة التي صاغها ﷺ، وأكد فيها على مبادئ الإسلام التي تقرر حرية العقيدة وحرية الرأي وحرمة الدماء وحرمة المال الخاص، وكل حقوق الإنسان لم تكن منه ﷺ مسألة مرحلية ريثما تتسنى له مواجهة أعدائه الخارجيين، وإنما كانت موقفا حكيما عادلا منه في معاملة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية



مفهوم الإنصاف

قال الإمام الذهبي في ترجمته لقتادة بن دعامة:

«وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع إذا بيّن السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر -نسأل الله العفو- ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل. ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك».

مقولات

يقول الإمام ابن تيمية ناصحا تلميذه ابن القيم:

«واعلم أن من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث».

(مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ١/١٧٦).

قال سعيد بن المسيب:

«إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله».

(البداية والنهاية، ٩/ ١١٨).

وضع الإمام السبكي في طبقات الشافعية قاعدة ذهبية في تجريح العلماء، إذ قال:

«والصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون».

(طبقات الشافعية للسبكي، ١/ ١٨٨).

يقول الإمام الذهبي عند ترجمته للقفال الشاشي:

«... والكمال عزيز، وإنما يمدح العالم بكثرة ما له من الفضائل، فلا تدفن المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها، وقد يغفر الله له باستفراغه الوسع في طلب الحق، ولا قوة إلا بالله».

(سير أعلام النبلاء، ١٦/ ٢٨٥).

عرض كتاب

تجديد الخطاب الديني: بين التأصيل والتحريف

الشيخ محمد بن شاكر الشريف.
الناشر: مجلة البيان (لندن) سلسلة كتاب البيان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٥٢ صفحة.

تساءل المؤلف في مقدمة كتابه عن معنى «تجديد الخطاب الديني»، وما مراد المتكلمين به الآن؟ ومتى كانت البدايات الحقيقية له؟ وما أهدافهم من وراء ذلك؟ وما وسائلهم في تحقيق أهدافهم، وما أثر ذلك على المسلمين في دينهم ودنياهم؟ وما مستقبل هذه الدعوة؟ وما دورنا نحن أو واجبنا إزاء ذلك؟

وجعل المؤلف كتابه في فصلين وخاتمة:

الفصل الأول: خصصه للبحث في التجديد من الناحية التأصيلية.

والفصل الثاني: تحدث فيه عن التجديد من الناحية التحريفية.

وفي الخاتمة بحث في مستقبل دعوة التجديد، ودور المسلمين في مواجهة التجديد التحريفي.

في الفصل الأول أوضح المؤلف معنى التجديد السائغ شرعا؛ انطلاقا من التعريف اللغوي واستنادا إلى الحديث النبوي الشريف: «إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها».

وقد بين أن أهل العلم ذكروا في بيان المراد بالتجديد عدة أقوال متقاربة المعاني؛ وأكد على الضوابط الشرعية للتجديد ومنها:

أ- أن يكون من أهل هذا الدين المؤمنين به على النحو الذي جاء به رسول الله ﷺ.

ب- أن يكون من المتفقهين فيه المتمسكين به في أقوالهم وأفعالهم، لا يظهر منه تهاون فيه أو خروج عليه، أو تساهل وتفريط فيما دل عليه.

ت- أن يكون خبيرا بواقع الأمة عارفا بعللها، وأن يكون محيطا بالأحوال العالمية من حوله التي لها علاقة بأمته؛ فإنه لا يتحرك في فضاء.

ثم تحدث المؤلف عن حدود التجديد المشروع فقال: هناك ثلاث دوائر كبرى تمثل حدود التجديد المشروع، وهي:

- نشر العلم بين الناس، وإظهار الشرائع التي خفيت في المجالات الشرعية المختلفة.
- إزالة كل ما علق بالدين مما ليس منه من أخطاء، أو بدع، أو تصورات وقعت في سلوك بعض الناس، أو أقوالهم، أو عقائدهم.
- التمسك بما ورد في الشرع كله، والتقيد به والعمل على وفقه، وعدم ترك جزء منه أو إهماله، فيكون التجديد في هذه الحالة هو إعادة ما نزع أو نقص.

وأشار المؤلف إلى فوائد تجديد فهم الدين فقال: «وتجديد الدين -على ما تقدم توضيحه وبيانه- له فوائد عظيمة؛ إذ يكون طريقا إلى حفظ الدين على صورته النقية بعيدا عن البدع التي أضيفت إليه، أو الأقوال الباطلة التي نسبت إليه، كما أنه يؤدي إلى تآلف القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الأمة؛ إذ لا مجال ولا مسوغ للتفرق والاختلاف عند العودة إلى المنابع والأصول».

وفي الفصل الثاني (التجديد من الناحية التحريفية) يشير إلى اتجاهين في المراد بالدعوة إلى تجديد الخطاب الديني:

الأول: وهو الذي ينادي بذلك على الوجه الذي تقدم في هذه الدراسة.

الثاني: وهو الذي ينادي بالتجديد، لكنه يفهم التجديد على أنه التغيير أو التطوير؛ أي تغيير الخطاب الديني: المحتوى والمضمون، وليس الطريقة أو الأسلوب؛ ليجاري التغيرات السريعة في واقع المجتمعات داخليا، وفي العلاقات بين الدول خارجيا؛ بحيث تصير قضية الخطاب الديني هي إقرار هذا الواقع وتسويغه وتسويقه، والتجاوب معه كلما تغير.

ثم يبين المؤلف خطورة التجديد بمعنى التغيير أو التطوير.

ثم يتابع الحديث عن التجديد من الناحية التحريفية، فيبين أن المجددين العصريين مقلدون، ويذكر ضوابط التجديد عندهم، ثم يرسم ملامح منهج التجديد العصري.

ونختم بما ختم المؤلف نفسه به كتابه تحت عنوان: «دور المسلمين في مواجهة التجديد التحريفي»، حيث قال: «على كل مسلم واجب في ذلك مكافئ لوضعه أو مكانته التي جعله الله فيها؛ فصاحب السلطان له دور، والعالم والداعية له دور، وأصحاب الأموال لهم دور، وهذه الأدوار متنوعة بحسب تخصصات المذكورين وصلاحياتهم، ولكنها تتكامل فيما بينها لتؤدي المطلوب منها، وبقية الناس لهم دور أيضا؛ فإن هذا من الدفاع عن الدين، وهذا لا يعفى منه أحد».

شباب الجامعة

٥ نصائح لتعلم أي لغة جديدة



من منا حاول تعلم لغة جديدة وواجه الإحباط بسبب صعوبتها، أو عدم إتقانه لها رغم المحاولات المستمرة؟ إليكم بعض الأمور التي قد يجلب تجنبها أو اتباعها تحسنا في تعلم اللغة:

١- خذ الأمور بتمهل عندما تبدأ في تعلم لغة جديدة، فإن الحماس يسيطر عليك وتندفع في تعلم المفردات والقواعد وطريقة نطق الكلمات. هذا شيء إيجابي، ولكنه لا يدوم سوى فترة قصيرة، لذلك فإن النصيحة الأهم التي يقدمها موقع «بابل» المتخصص في تعليم اللغات هي «ترويض» حماسك وتحويل تعلم اللغة الجديدة إلى فعالية يومية منتظمة، ولفترات قصيرة نسبيا، كي لا تشعر بالتوتر والملل.

٢- لمن يعانون من ذاكرة ضعيفة، ينصح بربط الجمل والمفردات التي تود حفظها بمواقف معينة، وبناء «جسور عقلية»، بالإضافة إلى استخدام وسائل التدريب العقلي لمساعدتك على تذكر الجمل والمفردات الجديدة التي تتعلمها. وهذا وحده لا يساعدك فقط على تعلم اللغة الجديدة بشكل أسرع، بل يقوي من ذاكرتك في الوقت نفسه.

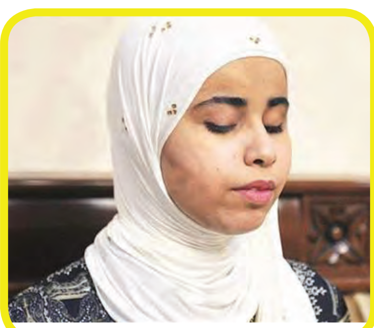
٣- لا أحد كاملا، لا تحاول في بداية تعلمك اللغة أن تكون متقنا لها بطلاقة كأولئك الذين يتكلمونها كلغة أم، لأن هذا الهدف بالنسبة إليك سرعان ما سينقلب إلى عامل إحباط قد يؤثر سلبا في تحمسك لتعلم اللغة الجديدة. بالطبع، ومع الوقت والمواظبة، ستتمكن في نهاية الأمر من إتقان هذه اللغة، لكن لا تجعل ذلك هدفك الأول عند بداية الطريق. لا تكن ممن يقولون: «لن أتكلم اللغة الجديدة حتى أتقن ما أقول بشكل تام. ولكن إذا لم أتكلم، فلن أتحسن وسأتخلى عن هدف التكلم بطلاقة». لذلك، أعط نفسك فترات من الراحة، ولا تخف من ارتكاب أخطاء في بداية الرحلة.

٤- الراحة مهمة، والمواظبة على تعلم اللغة أمر جيد، ولكن الإفراط في المواظبة سيفت في عضدك في نهاية الأمر. عند إحراز تقدم في تعلمك للغة الجديدة، كمحاولة ناجحة في التحادث مع شخص بهذه اللغة، أو تمكنك من تذكر الكلمات والمصطلحات المطلوبة في موقف معين، فإن الوقت قد حان لمنح نفسك جائزة أو الاستراحة قليلا، وذلك لإعطائك فرصة لتجديد طاقتك والاستمرار على هذا الدرب.

٥- اجعل الهدف نصب عينيك. يجب أن تسأل نفسك عن سبب تعلمك لهذه اللغة، لأن ذلك سيكون الهدف الذي ستسعى له دوما على طريق تعلم هذه اللغة وإتقانها.

ناجحون

كفيفة كويتية تتفوق على ١٦ ألف مبصر



تمكنت فتاة كويتية كفيفة عمرها ١٥ عاما من تحدي إعاقتها، وتحقيق المركز الأول على مستوى الكويت بمسابقة «تحدي القراءة العربي»، متفوقة بذلك على ١٦ ألف طالب عربي مشارك، وذلك بقراءتها ٥٠ كتابا.

وتعتزم جوري العازمي، التي تدرس في مدرسة النور للمكفوفين، تمثيل الكويت في نهائي المسابقة على مستوى الوطن العربي في شهر سبتمبر المقبل، والذي سيجرى في دبي.

وتأمل جوري أن تكمل دراستها في مجال العلوم السياسية لتعمل في وزارة الخارجية؛ بهدف أن تساهم في ترك بصمة باسمة للكويت. وتعتبر أن الإعاقة لا تمثل عائقا في طريق الإنجاز والإبداع، إذ يمكن لأصحاب الإعاقة التفوق بأشواط كبيرة على أقرانهم الأصحاء.

فكرة مفيدة

ازرع شجرة مانجو بدلا من إلقاء بذورها

كثيرون منا يحبون ثمار المانجو الشهية ويفرحون بتناولها طازجة، لكنهم بعد ذلك يقومون بإلقاء بذورها ولا يستفيدون منها في إنبات شجرة جديدة.. والآن إليكم الطريقة:

١- بعد تناول ثمار المانجو مباشرة، ضع البذور في ماء نظيف لمدة ٥ أيام، وتخلص من أي بذرة تطفو على الماء.

٢- أخرج البذور من الماء، واستخرج النواة منها برفق بعد كسر القشرة الخارجية الصلبة.

٣- ضع النواة في قطعة قماش نظيفة مبللة بالماء.

٤- ضع القماشة في علبة أو كيس بلاستك وأغلق العلبة أو الكيس.

٥- قم بفتح العلبة بعد أسبوع واغسل النواة بماء نظيف واغسل القماشة ثم اتركها لمدة أسبوع آخر حتى يتم الإنبات ويخرج



المجموع الجذري.

٦- خذ النواة المستنبتة وازرعها في قصيص زرع أو كيس بلاستيك.

٧- لا تنس أن تثقب القصيص أو الكيس من أسفل لخروج الماء الزائد بعد الري.

٨- اترك القصيص أو الكيس في الشمس إلى أن يظهر المجموع الخضري بعد ١٠ أيام.

٩- والآن، أنت لديك شجرة مانجو من النواة التي كانت تلقى في القمامة.

تخيل لو كل واحد منا قام بذلك في حديقة منزله أو بالشارع، سيكون لدينا بعد سنوات ثروة رائعة من شجر المانجو في كل مكان.

طور نفسك

لتنجح في أهم ٣٠ ثانية في مشوارك المهني

مما لاشك فيه أن الانطباع الأول يلعب دورا محوريا في مقابلات العمل، فقد يكون سببا لكسب الوظيفة أو فقدانها، وهو ما يحتم ضرورة الاهتمام بذلك الجانب بشكل كبير.

ونقدم فيما يلي بعض النصائح التي يجب أخذها بعين الاعتبار لضمان تقديم انطباع جيد:

١- الاقتضاب والتحدث بصورة جذابة ولطيفة؛ فبمجرد دخول غرفة المقابلة، عليك أن تعلم أن لديك ٣٠ ثانية فقط لكي تعطي انطباعا جيدا -طبقا لتأكيد مسؤول التوظيف آدم سيبروك- وإبهار الشخص الذي سيجري معك المقابلة أمر قد يبدأ حتى قبل دخولك من الباب. وينصح سيبروك هنا «كن لطيفا على نحو مذهل مع الجميع. فهناك بعض جهات العمل التي «تتلصص» على المتقدمين للوظيفة في صالة الاستقبال للتعرف على طباعهم في فترة ما قبل إجراء المقابلة، وهو ما يلعب دورا كبيرا في تحديد فرص قبول المترشح من عدمه، لذا يجب الانتباه لذلك طوال الوقت».

٢- عدم التحدث على نحو مفكك لمدة طويلة للغاية؛ حيث تنصح مسؤولة التوظيف ميرا زاسلوف بالتزام الإيجابية والبساطة عند تقديم النفس في المقابلة، بما يضمن التركيز على أجزاء من المشوار المهني، الاهتمامات، الإنجازات، الدراسة والهوايات التي تتوافق مع الشركة. كما ينصح بالتركيز على ما هو مرتبط بشكل مباشر بالوظيفة، وكذلك بالشخص الذي يجري معك المقابلة، واستغلال وقت المقابلة بحكمة.

٣- الحفاظ على روح الدعابة؛ حيث يتعين على كل المتقدمين أن يعلموا أن أصحاب العمل يريدونهم محترفين، وليسوا روبوتات، بما يعني ضرورة أن يتصرفوا على طبيعتهم وأن يتحلوا بقدر من روح الدعابة، بما يمنح صاحب العمل انطباعا جيدا عن شخصياتهم.

٤- استحضار الأرقام والإحصاءات؛ فمع أنه لا بأس من عدم وجود شيء خاص تقوله عن نفسك، لكن يجب إظهار امتلاكك الحد الأدنى من متطلبات الوظيفة. ومن بين بعض الأشياء الجيدة التي يمكن استحضارها خلال المقابلة تلك الأرقام التي يمكنك الإشارة إليها بخصوص الإنجازات التي سبق لك أن حققتها في وظيفتك السابقة.



٥- عدم الإفراط في القلق؛ فعدم قدرتك على إظهار أي إسهامات صعبة وسريعة في الوظائف التي سبق لك العمل بها ليست مشكلة على الدوام، خصوصا إن كنت تبحث عن فرصة للتدريب. فلا أحد يعطي مهام خاصة بالأعمال ذات الطبيعة المهمة لمتدربين. ولهذا ينصح بمجرد محاولة إظهار نفسك على أنك شخص شاب متحمس وذكي.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

من مصارف الزكاة: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

الخلاصة الحكمية

١- اختلف العلماء -رحمهم الله- في معنى ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة:٦٠)، والمقصود منه على أقوال.

٢- فمنهم من قال: إن المقصود من مصرف ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الغزاة في سبيل الله، والمجاهدون بالسلاح، ولا يجوز شرعا تعميمه بحيث يشمل جميع الشؤون الدينية والدعوية.

٣- ومنهم من قال بدخول الدعوة إلى الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وما يعين عليها، ويدعم أعمالها.

- **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

- أولا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، في دورته الثامنة المنعقدة بمكة المكرمة فيما بين (٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ)، و(٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ)، بناء على الخطاب الموجه إلى رئيس المجلس الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، من سفارة الباكستان بجدة، رقم (٤/سياسية٦٣/٨٣)، وتاريخ (٢٧ يونيو ١٩٨٣م)، ومشفوعة استفتاء بعنوان: «جمع وتقسيم الزكاة والعشر في باكستان»، والمحال من قبل سماحته إلى مجلس المجمع الفقهي، بخطابه رقم (٢/١٠٦٢) وتاريخ (١٦ ذي القعدة ١٤٠٣هـ).

وبعد إطلاع المجلس، على ترجمة الاستفتاء الذي يطلب فيه الإفادة، هل أحد مصارف الزكاة الثمانية، المذكورة في الآية الكريمة، وهو: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ يقصر معناه على الغزاة في سبيل الله؟ أم أن سبيل الله عام لكل وجه من وجوه البر، من المرافق، والمصالح العامة، من بناء المساجد، والربط، والقناطر، وتعليم العلم، وبث الدعاة... إلخ؟.

وبعد دراسة الموضوع، ومناقشته، وتداول الرأي فيه، ظهر أن للعلماء في المسألة قولين:

أحدهما: قصر معنى ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الآية الكريمة على الغزاة في سبيل الله، وهذا رأي جمهور العلماء.

وأصحاب هذا القول يريدون قصر نصيب ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الزكاة، على المجاهدين الغزاة في سبيل الله تعالى.

القول الثاني: أن سبيل الله شامل، عام لكل طرق الخير، والمرافق العامة للمسلمين: من بناء المساجد وصيانتها، وبناء المدارس، والربط، وفتح الطرق، وبناء الجسور، وإعداد المؤن الحربية، وبث الدعاة، وغير ذلك من المرافق العامة، مما ينفع الدين وينفع المسلمين، وهذا قول قلة من المتقدمين، وقد ارتضاه واختاره كثير من المتأخرين.

وبعد تداول الرأي، ومناقشة أدلة الفريقين، قرر المجلس بالأكثرية ما يلي:

١- نظرا إلى أن القول الثاني قد قال به طائفة من علماء المسلمين، وأن له حظا من النظر، في بعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ (البقرة:٢٦٢).

ومن الأحاديث الشريفة، مثل ما جاء في سنن أبي داود: أن رجلا جعل ناقة في سبيل الله، فأرادت امرأته الحج، فقال لها النبي ﷺ: «اركبيها فإن الحج في سبيل الله».

٢- ونظرا إلى أن القصد من الجهاد بالسلاح، هو إعلاء كلمة الله تعالى، وأن إعلاء كلمة الله تعالى، كما يكون بالقتال يكون- أيضا- بالدعوة إلى الله تعالى، ونشر دينه: بإعداد الدعاة، ودعمهم، ومساعدتهم على أداء مهمتهم، فيكون كلا الأمرين جهادا، لما روى الإمام أحمد والنسائي وصححه الحاكم، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».

٣- ونظرا إلى أن الإسلام محارب بالغزو الفكري والعقدي، من الملاحدة واليهود والنصارى، وسائر أعداء الدين، وأن لهؤلاء من يدعمهم الدعم المادي والمعنوي، فإنه يتعين على المسلمين أن يقابلوهم بمثل السلاح الذي يغزون به الإسلام، وبما هو أنكى منه.

٤- ونظرا إلى أن الحروب في البلاد الإسلامية أصبحت لها وزارات خاصة بها، ولها بنود مالية في ميزانية كل دولة، بخلاف الجهاد بالدعوة، فإنه لا توجد له في ميزانيات غالب الدول مساعدة ولا عون.

لذلك كله فإن المجلس يقرر-بالأكثرية

المطلقة: دخول الدعوة إلى الله تعالى، وما يعين عليها، ويدعم أعمالها، في معنى ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الآية الكريمة.
انتهى القرار.

- **ثانيا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢رجب ١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩رجب ١٤٠٦هـ، قد نظر في توصية مجمع البحث الفقهي الأوروبي، التابع للمجلس الأعلى العالمي للمساجد، والمحال إليه من الدكتور الأمين العام، نائب رئيس المجلس، والمتعلق بإمكان الاستفادة بأموال الزكاة في بناء المدارس والمستشفيات في البلاد الأوروبية.**

وبعد النظر والاستماع إلى كلمات الأعضاء ومناقشاتهم، قرر المجلس تأكيد ما ذهب إليه في الدورة الثامنة من دخول الدعوة إلى الله تعالى، وما يعين عليها، ويدعم أعمالها في مصرف: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وهو أحد المصارف الثمانية المنصوص عليها في كتاب الله تعالى (التوبة:٦٠)، اعتمادا على أن الجهاد في الإسلام لا يقتصر على القتال بالسيف، بل يشمل الجهاد بالدعوة وتبليغ الرسالة، والصبر على مشاقها. وقد قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ في شأن القرآن: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٢).

وجاء في الحديث الشريف: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» (رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم وصححه).

ويتأكد هذا المعنى في عصرنا الحاضر أكثر من أي وقت آخر، فالمسلمون يغزون فيه في عقر دارهم من الملل والنحل والفلسفات الباطلة، وبالفكر والثقافة لا بالسيف والمدفع، وبالمؤسسات التعليمية، والاجتماعية، لا بالمؤسسات العسكرية. ولا يفل الحديد إلا حديد مثله، فلابد أن تقاوم الدعوة إلى الطاغوت بالدعوة إلى الله، ويقاوم تعليم الباطل بتعليم الحق، والفكر المشحون بالكفر بالفكر المشحون بالإسلام.

كما قال أبوبكر الصديق لخالد: «حاربهم بمثل ما يحاربونك به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح..».

وقد تنوعت وسائل الدعوة وأساليبها في عصرنا تنوعا بالغا، فلم تعد مقصورة على كلمة تقال، أو نشرة توزع، أو كتاب يؤلف -وإن كان هذا كله مهما- بل أصبح من أعظم وسائلها أثرا وأشدها خطرا: المدرسة التي تصوغ عقول الناشئة وتصنع أذواقهم وميولهم، وتغرس فيها من الأفكار والقيم ما تريد، ومثل ذلك المستشفى الذي يستقبل المرضى، ويحاول التأثير فيهم باسم الخدمات الإنسانية.

وقد استغل هذه الوسائل أعداء الإسلام من دعاة التنصير وغيرهم، لغزو أبناء الأمة الإسلامية، وسلخهم من شخصيتهم، وإضلالهم عن عقيدتهم، فأنشأوا المدارس والمستشفيات وغيرها لهذا الغرض الخبيث، وأنفقوا عليها العشرات والمئات من الملايين، وأكثر ما يتعرض المسلمون وشبابهم خاصة لهذا الخطر حينما يكونون خارج ديار الإسلام.

ولهذا؛ يقرر المجلس أن المؤسسات التعليمية والاجتماعية من المدارس والمستشفيات ونحوها، إذا كانت في بلاد الكفر، تعتبر اليوم من لوازم الدعوة، وأدوات الجهاد في سبيل الله، وهي مما يدعم الدعوة ويعين على أعمالها، بل هي لازمة للمحافظة على عقائد المسلمين وهويتهم الدينية، في مواجهة التخريب العقائدي والفكري الذي تقوم به المدارس والمنشآت التنصيرية واللادينية.

على أن تكون هذه المؤسسات إسلامية خالصة، ممحضة لأغراض الدعوة، والرسالة، والنفع لعموم المسلمين، وليست لأغراض تجارية تخص أفرادا، أو فئة من الناس.

انتهى القرار المتعلق بهذه المسألة.

قراران مخالفان لما مضى

١- قرار مجمع الفقه الإسلامي في الهند؛ رقم: ٢٨ (٥/١٢) في (١٩٩٢/١٠) بشأن مصداق كلمة «في سبيل الله» باختصار:

ذهب البعض إلى أن كلمة «في سبيل الله» تتضمن مع الجهاد العسكري جميع المجهودات والأنشطة التي تمارس على مختلف الأصعدة في سبيل الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمة الله في هذا العصر.

ورأى معظم المشاركين أنه لا يجوز شرعا تعميم مصرف «في سبيل الله» بحيث يشمل جميع الشؤون الدينية والدعوية، حتى ولو كان توافر الأموال لتغطية حاجات أمور الدين والدعوة في العصر الراهن صعبا جدا، لأنه لا يثبت جواز التعميم في القرون الأولى، ولأن الهدف المهم من الزكاة كفالة الفقراء والمحتاجين وهو لا يتحقق في صورة التعميم، والذين أخذوا بالرأي الثاني لم يوافقوا على وجهة النظر هذه.

٢- قرار هيئة كبار العلماء في دورتها الخامسة المعقودة بمدينة الطائف بين يوم ١٣٩٤/٨/٥هـ ويوم ١٣٩٤/٨/٢٢هـ:

وبعد دراسة البحث المعد... رأى أكثرية أعضاء المجلس الأخذ بقول جمهور العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء من أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الغزاة المتطوعون بغزوهم، وما يلزم لهم من استعداد، وإذا لم يوجد صرفت الزكاة كلها للأصناف الأخرى، ولا يجوز صرفها في شيء من المرافق العامة إلا إذا لم يوجد لها مستحق من الفقراء، والمساكين وبقية الأصناف المنصوص عليهم في الآية الكريمة.

الشاكر والمنعم

قال المأمون لثمامة بن أشرس: أيهما أفضل: الشاكر أو المنعم؟
فقال: المنعم أمن فعلا، وأعلى في فعله فضلا، لأن الإنعام لقاح الشكر وبه يستهل سبيل الشاكر إلى جميل البشر، فجالب الشكر أوكد سببا من الشكر.
فقال المأمون: ما علمت شيئا؛ بل الشكر أفضل والقول بتقديمه أعدل؛ لأن الشكر يمتري المزيد، ويحكم عقد النعمة بالتوطيد، وموجب النعمة أفضل من النعمة.
النعمة إلى نفاد، ويسير الشكر باق إلى المعاد.

(أنس المسجون وراحة المحزون، ص٣٢)

ابن جرير الطبري

قال الإمام المفسر ابن جرير الطبري: «حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين».

(معجم الأدباء، ٢٤٤٦/٦٠)

من علامات صحة القلب

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

«من علامات صحة القلب أنه إذا فاته ورده؛ وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده».

(إغاثة اللهفان، ص٧٩)

الأضداد

هذه أمثلة وشواهد للأضداد من اختيار العلامة ابن الأنباري رحمه الله:
- القرء: يقال: القرء للطهر، وهو مذهب أهل الحجاز. والقرء للحيض، وهو مذهب أهل العراق.
- عسعس: يقال: عسعس الليل إذا أدبر، وعسعس إذا أقبل.
- المولى: يقال: المولى للمنعم المعتِق، والمولى للمُنعَم عليه المعتَق.
- الدائم: يقال للساكن: دائم. وللمتحرك دائم.
- الغريم: يقال: غريم للذي له الدين، وغريم للذي عليه الدين.

(الأضداد لابن الأنباري، ٦٢/١)

البلاغة العمرية

- لا يحزنك أن يجعل لك كثير حظ من أمر دنياك، إذا كنت ذا رغبة في أمر آخرتك.
- من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة؛ لكان غير ما ترون.
- لا تنظروا إلى صيام أحد ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وأمانته إذا ائتمن، وورعه إذا أشفى.
- لا يتعلم العلم لثلاث، ولا يترك لثلاث: لا يتعلم ليمارى به، ولا يباهى به، ولا يراءى به. ولا يترك حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل منه.
- ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمس ما عنده وجد رجلا.

(البلاغة العمرية، ص٣٣٨)

التوليد من النص

التوليد من النص، يعني: قيام المؤلف بتأليف كتاب يستمده ويستولده من كتاب سابق له. وتكوّن مجموعة الكتب المولدة من الكتاب الأساسي ما يمكن أن نسميه بـ «الكتب الشقيقة».

ومن أمثلة المؤلفات التي ولّد منها مؤلفها كتبا أخرى:

■ تاريخ الإسلام للذهبي، وهو أساس مؤلفاته، وقد ولد منه بعض مؤلفاته مثل:

. العبر في خبر من غبر، والإشارة إلى وفيات الأعيان، والمنتقى من تاريخ الإسلام.

(**عبقرية التأليف العربي، ص٤٧٨ و٤٧٩**)

«الحاويات» أو «احتواء النص»

لا يخلو كثير من المؤلفات من اقتباس أو نقل من نصوص أخرى. وثمة نوع من المؤلفات العربية يتضمن في بنيته نصا كاملا أو شبه كامل لمؤلف آخر، بصورته الأصلية، أو بعد تلخيصه. وقد يتضمن عدة نصوص مجتمعة، وأسمي هذا النوع من الكتب التي تقوم على احتواء النص بـ «الحاويات»، ومن أبرز النماذج للحاويات:

١- «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب»، يحتوي على كثير من صغار كتب الأدب.

٢- «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي.

٣- «عقود الجمان» للزركشي.

هما صورتان متشابهتان أو متقاربتان لكتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي مع اختلافات قليلة.

٤- «المقدمة» لابن خلدون، يشير سيد حنفي إلى «أن ابن خلدون لجأ إلى كتاب بعنوان: «المقتطف من أزهار الطرف» لابن سعيد الغرناطي، ووضعه حرفيا في الفصل الأخير من المقدمة دون أن يذكر مؤلفها أو مصدرها.

(**عبقرية التأليف العربي، ص٤٨١**)

مريم الصناع

قال شيخ لجلسائه: هل شعرتم بموت مريم الصناع؟ فإنها كانت من ذوات الاقتصاد، وصاحبة إصلاح.

قالوا: حدثنا عنها.

قال: نوادرها كثيرة، وحديثها طويل، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال: زوجت ابنتها، وهي بنت اثنتي عشرة سنة، فحلتها الذهب والفضة، وكستها المروي والوشي، والقز والخز، وعلقت المعصفر، ودقت الطيب، وعظمت أمرها في عين الختن، ورفعت من قدرها عند الأحماء؛ فقال لها زوجها: أنى لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك، وهاتي التفسير، والله ما كنت ذات مال قديما، ولا ورثته حديثا، وما أنت بخائنة في نفسك، ولا في مال بعلك، إلا أن تكوني قد وقعت على كنز.

قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها، إلى أن زوجتها، كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة؛ وكنا، كما قد علمت، نخبز في كل يوم مرة، فإذا اجتمع من ذلك مكوك بعته. فقال لها زوجها: ثبت الله رأيك وأرشدك، فقد أسعد الله من كنت له سكنا، وبارك لمن جعلت له إلفا. وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح، وسلى مذهبك المحمود. وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هذه الطريقة المرضية.

فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلوا عليها. ثم رجعوا إلى زوجها فعزوه على مصيبته؛ وشاركوه في حزنه.

(**البخلاء للجاحظ، ١/٥٥**)

الظالم الفاسق

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «والظالم والفاسق ينبغي أن يذم، ولا يمدح ليفرح».

(**الإحياء، ٣/١٦٠**)

إعداد: علاء عبدالفتاح

الإرواء.. في الصلاة والتسليم على الرسل والأنبياء

الصلاة من الله عز وجل رحمة، والسلام منه أمان.
والصلاة وحدها على أنبياء الله ورسله وعباده المؤمنين الصابرين وعلى أهل العلم، ثابتة لا شك فيها، لكن الله عز وجل جمع لرسوله محمد ﷺ بين الصلاة والسلام، وأمر المؤمنين بأن يجمعوا له ﷺ بينهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحـزاب:٥٦).. هـذا عن رسول الله سيدنا محمد ﷺ النبي الخاتم.
والسؤال: ماذا عن أنبياء الله ورسله الآخرين؟ هل نجمع لهم بين الصلاة والسلام كما نفعل مع محمد ﷺ، أم نكتفي بالصلاة وحدها أو السلام وحده فنقول مثلا: نوح عليه السلام أو عليه صلاة الله؟
الإجابة: نعم.
فالجمع بين الصلاة والسلام لأنبياء الله ورسله السابقين ليس بدعة، إنما هو سنة ثابتة.. كل ما هنالك أن الجمع بين الصلاة والتسليم على رسول الله محمد ﷺ فرض، مرة واحدة في العمر على الأقل؛ لأمر الله عز وجل بذلك، أما الجمع بين الصلاة والتسليم على أنبياء الله ورسله الآخرين فهو سنة عن رسول الله ﷺ، وذلك ثابت بأحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة.
هذا والله أعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

• نجاح عبدالقادر

عبدالله بن رواحة.. شاعر ملتزم

حياة الصحابة كنز لا يفنى من الدروس والعبر. ودراسة أعمالهم وفضائلهم ومواقفهم، تزود المسلم المعاصر بكثير من معاني النخوة والعزة والاقتداء والاعتبار. وشخصية الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة بها الانضباط الإيماني والالتزام الأدبي معا. ولمن لا يعرفه، فهو: عبدالله بن رواحة الخزرجي، كان يكنى أبا محمد، وهو خال النعمان بن بشير بن سعد. كان يكتب في الجاهلية، رغم أن الكتابة في العرب قليلة. جعله الأديب ابن سلام الجمحي (١٥٠-٢٣٢هـ) من فحول الشعراء، وذكر في صفاته وميزاته أنه: «عظيم القدر في قومه، سيد في الجاهلية، ليس في طبقته أسود منه (أي من يعلوه في السيادة). وكان في حروبهم في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم، وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله ﷺ».
كان ابن رواحة من أشد الناس تمسكا بآداب الإسلام، وتعلقا بتعاليم الرسول ووصاياه؛ فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى «أن عبدالله بن رواحة أتى رسول الله ﷺ، وهو يخطب، فسمعه يقول: اجلسوا. فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ الناس من خطبته! فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله».
وقد قيل لعلي بن أبي طالب: اهج عنا القوم الذين قد هجونا. فقال علي رضي الله عنه: إن أذن لي رسول الله فعلت. فقال رجل يا رسول الله: ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال: ليس هناك، أو ليس عنده ذلك. ثم قال الرسول للأنصار: ما منع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟
وإذ رخص الرسول ﷺ، فقد قام بالمهمة من هو أهل لها، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة. فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر. فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

• محمد حسن بدرالدين

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الصلاة.. إسراء القلوب ومعراجها

إنه الحدث الأضخم الذي ميز رجب الفرد عن باقي الشهور، وميز المرحلة المكية عن المدنية، حدث إسراء النبي ﷺ ومعراجه، قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)، فكانت الرحلة الأولى من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ليرتبط المسجد الحرام -منذ هذه الرحلة- بالمسجد الأقصى المبارك، وترتبط معه قلوب المسلمين بأرض الأنبياء والرسالات. أما الرحلة الثانية فكانت من بيت المقدس عروجا إلى السماوات العلى، ثم إلى سدرة المنتهى التي لم يبلغها ملك ولا رسول، وفيها كلم الله نبيه ﷺ، وأراه ما شاء من الآيات، ثم فرض عليه وعلى أمته الصلاة.

إن رسول الله ﷺ، وهو يصلي صلاة العشي، لم يكن يعلم أن صلاته التالية لن تكون بمكة، إذ كانت تنتظره رحلة لم يشهد لها التاريخ البشري مثيلا، يكون فيها البراق ركوبا، وجبريل رفيقا، وبيت المقدس وجهة، رحلة بدايتها صلاة، وطريقها صلاة، وختامها صلاة. فقد أسري بالنبي ﷺ ليلا، لما في الليل من هدوء وسكينة وخلوة وبعد عن صخب الحياة وضوضاء الأحياء، فيها يناجي العبد خالقه، ويسجد داعيا ربه، ويشكو إليه ضعف القوة وقلة الحيلة.

• **عبدالحكيم** خلفي



أدب الأطفال

تحية للأديب العظيم كامل الكيلاني رائد أدب الطفل:

يـا رائــد أدب الأطـفـال
أهـديت الـفـرحة لعيالي
وصـحـت بـذكـائك أمتنا
والمـهـد مـلاذ الأبـطـال
ربـيت الجـيـل لنصرتنا
وسـمـوت بـأدبك يـا غالي
يـا كـامـل أنـت لـنـا فخر
كالجبل الشاهق والعالي
ربـيت الجـيـل عـلـى أدب
هـو نـور فـي كـل مجال
وأقـمـت الأخــلاق العليا
للجيل الـغـابـر والحالي
قـد كنت لنا نعم الراعي
مـصـباحـا فـي كـل ليالي
بـالـعـلـم تـنـيـر لمـن ضلوا
وتـحــذر مــن أي ضـلال
قـد كـنـت الـلـيـث بجرأته
يـتـحـدى شـر الأهــوال
لا يـخـشـى مـن أي عدو
لا يـهـرب مـن أي نضال
مـن أدبـك شـربـت أمتنا
لـتـسـيـر لخـيـر وجـلال
فـعـلـيـك سـلام مـن ربي
يـا مـن أسـست لأطفالي
دنـيـا بـحـضـارة تـاريـخ
سـتـضـيء بـخـير الآمـال
هـتـف الأبـطـال لكيلاني
قـد كـان لـنـا خـيـر مثال

• الشاعر السيد حجازي

من صور البكاء في القرآن الكريم

البكاء خبرة نفسية يمر بها كل إنسان في مختلف مراحل حياته، صغيرا كان أو كبيرا، ذكرا كان أو أنثى، غنيا كان أو فقيرا. وهو آية من آيات الله عز وجل في النفس الإنسانية، مثله تماما مثل الحياة والموت والخلق، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ (النجم:٤٣-٤٥)، فهو سبحانه الذي خلق البكاء وسبب دواعيه، وجعله ظاهرة نفسية عامة ومشتركة لدى جميع البشر على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وألسنتهم ومذاهبهم وبيئاتهم، فالبكاء لغة عالمية لا تختلف باختلاف الألسن أو الثقافات أو البيئات، فالجميع يبكون بالطريقة نفسها، وللأسباب نفسها غالبا.

ومن الصعب الإحاطة بجميع أشكال وصور البكاء لدى جميع البشر، فالبكاء ظاهرة نفسية تتنوع مظاهرها وأسبابها ووظائفها بتنوع واختلاف نفسيات البشر ذاتهم، لكن منها بكاء الخديعة والكذب، وبكاء السماء والأرض، والبكاء من خشية الله، وبكاء الندم.

• فرغلي هارون



الحضارة الغربية من منظور محمد إقبال

لم يفقد الشاعر والفيلسوف محمد إقبال مكانته المؤثرة في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث على الرغم من مرور ما يقارب الثمانين سنة على وفاته، ولا يزال كتابه المهم «تجديد الفكر الديني في الإسلام» مرجعا ونبعا صافيا ينهل منه الدعاة والعلماء والمشتغلون بالأفكار من العرب أو غيرهم من المسلمين.

فهو فيلسوف التوهج والأصالة والتجديد، وهو الفيلسوف الثائر على واقع المسلمين المتردي، وأيضا الناقد الفطن للحضارة الغربية، التي حاولت بكل الطرق المادية والفكرية، الترغيبية أو الترهيبية، أن تفقد الإنسان إنسانيته وتجعله أقرب إلى الحيوان، بل إن الحيوان يرحم أخاه الحيوان رغم أن الغريزة هي التي تسيره، بينما الإنسان تسيره الفكرة وعصر الأنوار وحقوق الثورة الفرنسية. ورغم ذلك فجر حربين عالميتين، ما عدا حركة الاستعمار الحديث، التي راح ضحيتها الملايين من شعوب أوروبا وآسيا وإفريقيا.

وقد «تميز محمد إقبال (١٨٧٥-١٩٣٨م) بتربيته التقليدية ومعرفته الوثيقة بالغرب، فدرس بألمانيا وإنجلترا، ونال دكتوراه في الفلسفة من ميونخ، وشهادة في القانون من لندن». وعلى الرغم من أنه «نهل من الغرب فإنه كان ناقدا له، فقد وجه نقدا لاذعا للاستعمار والإمبريالية الأوروبية، رغم أنه معجب بإنجازات الغرب وروحه الديناميكية وموروثه الفكري وتكنولوجيته. وراح ينسق ويوفق بين محتويات الحضارة الغربية، والفكر الغربي، وبين القيم الدينية والتاريخية في العالم الإسلامي على أساس مواءمة الإسلام لتلك القيم الجديدة، ولكن على أساس الاستفادة من الحضارة الغربية والفكر الغربي بما يتلاءم مع القيم الذاتية للإسلام».

• عبدالقادر رالة

سلمة بن الأكوع الأسلمي

هو الصحابي الجليل أبو عامر سلمة بن عمر بن سنان الأسلمي المدني، الملقب بالأكوع، وقيل إن كنيته هي أبو مسلم، أو أبو إياس.

وهو الذي يقول عنه التاريخ الإسلامي: «كان سلمة مثل السبع». كما يقول عنه أيضا: «كانت له اليد البيضاء» في النضال والقتال. ويقول عنه الإمام النووي: «كان سلمة شجاعا راميا، وله مواقف مشهورة». وهو الذي دخل مصر للغزو في المغرب، وكان يسبق الفرس شدا على قدميه.

وكان سلمة مثابرا على الجهاد في كل ما يتيسر له من غزوات، حتى قال عن نفسه: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات».

وقد بايع سلمة رسول الله ﷺ بيعة الرضوان يوم الحديبية، وهي بيعة الموت، أو بيعة عدم القرار، أو المبايعة على الجهاد حتى الاستشهاد. وكرر سلمة مبايعته ثلاث مرات، بايع في أول الناس، وبايع في وسطهم، وبايع في آخرهم، وكأنه بهذا كان يؤكد بيعته، أو كأنه كان يجدد متعته النفسية ولذته الروحية بنية الإقبال على حياض الموت في سبيل الله.

• د. أحمد الشرباصي

النموذج المعرفي والإجابات الكلية

في إطار الدراسات المقارنة بين النظريات والأفكار والفلسفات - بل حتى بين الأديان والمذاهب - تبرز الحاجة إلى تلمس وصياغة الإجابات التي تقدمها هذه النظرية أو تلك عن الأسئلة الكبرى، التي شغلت عقول المفكرين والفلاسفة عبر الحقب المختلفة من عمر البشرية.

وهذه الإجابة التي تقدمها نظرية من النظريات، أو مذهب من المذاهب؛ هي ما يعرف بـ «النموذج المعرفي»، أي الإطار الجامع الذي ينتظم المبادئ والأفكار الرئيسية التي تدور حولها النظرية، والذي يمكن من خلاله تقديم تصور أو تفسير لعشرات الأسئلة الأخرى المرتبطة به.

وقد جرت مقاربات كثيرة لصياغة هذه الرؤية الكلية للإسلام، أشهرها إسهامات د. محسن عبدالحميد، الذي نحت مصطلح «المذهبية الإسلامية»؛ لكن مصطلح «النموذج المعرفي»، الذي اشتغل عليه كثيرا د. عبدالوهاب المسيري وفرع له، كمدخل للمقارنة بين الأنساق والمذاهب الفكرية، هذا المصطلح يبدو - في رأيي - أكثر منهجية؛ لأنه لا ينحاز ابتداء إلى الفكرة التي يتناولها، إنما يعمل على طرحها وتحليلها بموضوعية، إضافة إلى أنه يصلح أيضا لأن يستخدم مع أي نظرية أو فلسفة من النظريات والفلسفات.

فـ «النموذج المعرفي» - بوجه عام - هو كما يعرفه المسيري: «النموذج الذي يحاول أن يصل إلى الصيغ الكلية والنهائية للوجود الإنساني»، وهو لا يعنى بالتفاصيل والجزئيات قدر عنايته بالكليات والعموميات. و«النماذج المعرفية كلها تدور حول ثلاثة عناصر: الإله- الطبيعة - الإنسان»، أي يمكن أن نرد التفاصيل الكثيرة لأي نظرية أو فلسفة إلى موقفها من هذه القضايا الثلاث، فبناء على رؤيتها لهذه القضايا يمكن أن نفهم التفاصيل التي لا حصر لها.

إضافة إلى أنه يجعلنا ننفذ إلى عمق الحقائق والأشياء، بحيث لا تستغرقنا التفاصيل بفروعها المتشعبة. يقول المسيري: هناك نوعان من التحليل مختلفان: التحليل السياسي والاقتصادي: وهو يكتفي برصد الظواهر السياسية والاقتصادية، ويهمش العناصر الأخرى التي تحدد علاقة الإنسان بالكون والإله. النوع الثاني هو التحليل المعرفي، فكل خطاب سياسي أو اقتصادي - مهما كان سطحيا - يتأسس على نموذج معرفي، سواء كان هذا النموذج ظاهرا أو كامنا.

كما أن «النموذج المعرفي» يفيدنا في مجال عرض الإسلام والدعوة إليه، فإذا سألك أحد يريد التعرف على الإسلام: ما هو؟ -ولم تكن على بينة من الرؤية العامة للإسلام، والتي هي أساس «النموذج المعرفي» الخاص به- فإنك قد تغرق وتغرقه معك في تفاصيل كثيرة، قد لا تعطي فكرة واضحة صادقة عن الإسلام، فتسيء إليه من حيث أردت أن تحسن!!

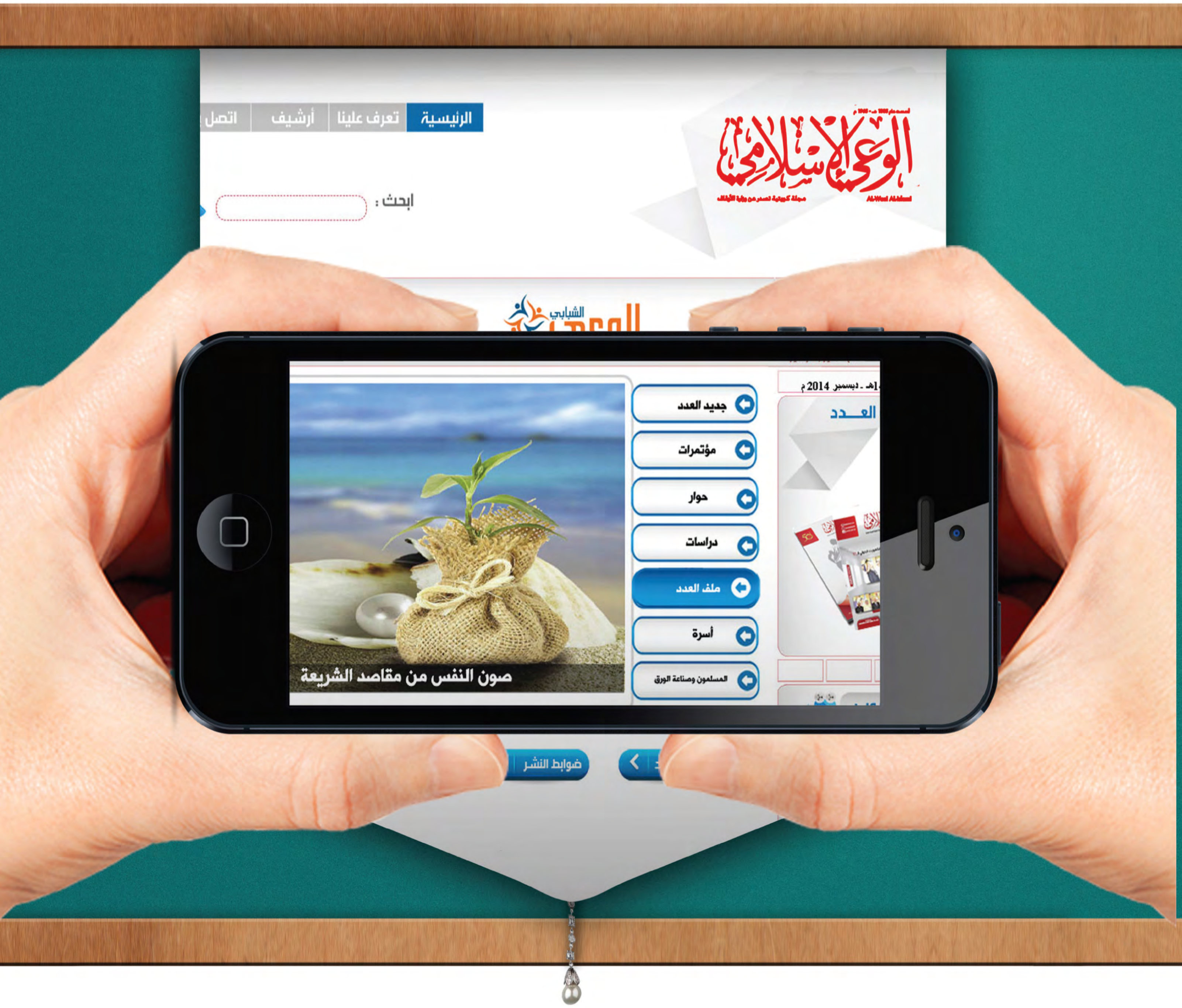
إذا أردنا أن نوضح المقصود من «النموذج المعرفي الإسلامي»، فيمكن أن نقول بإيجاز: إن الإسلام لديه نموذجه المعرفي، المتكامل والمتميز، وهو يقوم على مجموعة من المبادئ الكلية، أهمها: الإيمان بالله وتوحيده، والوحي الصحيح الذي لا يمكن أن يتعارض مع العقل السليم، والإنسان مكرم، والمرأة شريكة للرجل في الحقوق والواجبات.

فـ «النموذج المعرفي الإسلامي» يقدم رؤية شاملة متميزة للإله الحق المنزه عن الشبيه والمثيل، الذي له الخلق والأمر.. وللطبيعة المسخرة المذللة.. وللإنسان المكرم المستخلف.. ولعلاقة الرجل بالمرأة، في إطار التكامل.. وللعلاقة بين الأمم والشعوب والحضارات، القائمة على التعارف والحوار.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي مصري

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

info@alwaei.com

@Alwaei_Alislami

مجلة الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية



الصحة نعمة .. تستاهل الشكر

"صلاتك ... شكر"

نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦١٥) ذو القعدة ١٤٣٧ هـ - أغسطس-سبتمبر ٢٠١٦ م

عاصمة الثقافة الإسلامية 2016

الربا... آفة العصر

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

- أثر التربية في الإصلاح
- كلاي ورسالته الأخيرة إلى العالم
- العمل الخيري مرآة للمجتمع القوي
- ثمود حاضرة العرب التاريخية.. النشأة والزوال



info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعى الإسلامى

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا



الافتتاحية



الـربـا

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشرع لنا أفضل الشرائع والأحكام، وأبان لنا الحلال والحرام.. ومن ذلك ما جاء به الإسلام من نظام مالي فريد، يقوم على الحق والعدل، ويتسم بالمرونة واليسر، يحفظ الحقوق ويراعي قواعد الأخلاق والآداب، ويتوافق والفطر السليمة والألباب السوية. والربا من آكد ما حرمه الإسلام في باب المعاملات المالية؛ فقد نهى عنه أبلغ نهي، وحذر منه أشد تحذير، بل جعله في طليعة المحرمات ومن أكبر الكبائر وعظيم الموبقات؛ ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». فذكرهن، وعد منهن الربا.

والربا من أفظع التعاملات الظالمة التي منيت بها الإنسانية، ولذا جاء تحريمه في جميع الشرائع السماوية، لما فيه من المفاسد العظمى؛ يحدث بين الناس الأحقاد والضغائن، ويورث العداوة والبغضاء، والإحن والشحناء، وكم حصل بسببه من محق للبركات، وقطع لروافد النعم والخيرات، وصدق الله القائل: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة:٢٧٦)، وكم أذل من شعوب ودول كانت لها العزة والمنعة؛ فوقعت بسبب الربا في الدَّين وتحت وطأة الأعداء؛ فمن أجل ما في الربا من هذه المفاسد وغيرها، حرمه الإسلام أبلغ تحريم، وتوعد آكليه بأشد أنواع العذاب، ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٧٩).

ولا شك أن للربا أضرارا جسيمة، وعواقب وخيمة، والدين الإسلامي لم يأمر البشرية بشيء إلا وفيه سعادتها وعزها في الدنيا والآخرة، ولم ينهها عن شيء إلا وفيه شقاوتها وخسارتها في الدنيا والآخرة، فالعاقل من امتثل أمر ربه وابتعد عما يسخطه، والخاسر من تنكب الحق ووقع في مساخط الله، والموفق من وفقه الله وهداه.

رئيس التحرير

د. صالح سالم النهام

في هذا العدد



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٥ | ذوالقعدة ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
أغسطس - سبتمبر ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net
المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦-٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

● المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	● مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
● مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	● السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
● قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	● لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
● الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	● المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
● سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	● الجزائر: شركة ام بي سي للتوزيع هاتف: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٥٩٠ - فاكس: ٠٠٢١٣٣١٩٠٩٣٢٨
● الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣	● تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٥ ريالات ● البحرين: ٥٠٠ فلس ● قطر: ٥ ريالات ● الإمارات: ٥ درهم
● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن: دينار واحد ● مصر: ٢ جنيه ● السودان: ٠,٥ جنيه ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
● المغرب: ١٠دراهم ● الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري ● تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

نعمة أم نقمة؟

من المعروف أن المال عصب الحياة، وهو نعمة من الله تعالى على خلقه؛ فإذا استعملوه في طاعته فهو فتح باب رحمته؛ وإن استعملوه في معصية الله، فهو نقمة، وباب سوء.

وقد أودع الله عز وجل في الإنسان حب المال، ليتقرب إليه من خلال ترك الحرام وإنفاق الحلال.

والمال من الفتن الكبيرة التي يبتلى بها المؤمن، روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال».

والإسلام دين عظيم يختار للإنسان ما فيه خيره، وحينما يحرم شيئا يكون لأسباب في مصلحة البشرية.

ولعل هناك آفة استشرت في المجتمعات خلال السنوات الماضية وأثقلتها بالديون والمشاكل الاقتصادية ألا وهي الربا.

والربا محرم في جميع الرسالات السماوية. والله تبارك وتعالى لا يحرم إلا خبيثا، وقد استباحه اليهود وحدهم في معاملة غيرهم كما قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ (النساء:١٦١).

فخطورة كل معصية تتوقف على حسب شمولها؛ هناك معصية تؤذي فاعلها فقط، وهناك معصية تؤذي شخصا آخر، أما الربا فيؤذي مجتمعا بأكمله.

والمجتمع الذي يتعامل أهله بالربا يظهر فيه ارتفاع الأسعار، وانتشار الفقر ومحق البركة من المال، وضعف الثقة والاضطراب، وعدم الاستقرار المعيشي وانقطاع المعروف بين الناس.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. مجدي محمد حسن
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



محمد علي ورسالته الأخيرة إلى العالم

منذ أيام قلائل رحل عن عالمنا أسطورة الملاكمة محمد علي كلاي رحمه الله، ترى ماذا قدم محمد علي كلاي للعالم حتى يؤبن، ويحترم هذا الاحترام، ويكرم هذا التكريم؟

أمّا تفوقه في عالم الرياضة فهو أمر شهد له الجميع من أهل الرياضة والناقدين، بل والمشجعين.

فهو أسطورة بحق تربع على عرش الملاكمة لعدة عقود بلا مدافع ولا منازع.

ذاع صيته برغم عدم انتشار الفضائيات وقتها كما هو الحال الآن، ربما كانت الشخصية الرياضية التي أجمع العالم على حبه وفاضت شهرته بين الناس في الدنيا كلها.

ما هو سبب هذه الشهرة وهذا الحب؟

إنه التفوق الرياضي ومهاراته العالية التي قذفت به في المقدمة على محترفي هذه اللعبة القاسية -الملاكمة-.

وسبب آخر أن محمد علي كلاي من فئة الملونين، الذين يعانون الاضطهاد في الغرب.. ومع ذلك برز وتفوق على الرجل الأبيض في هذه اللعبة، وفجأة توج هذا التفوق والحب بإعلان إسلامه، لكن أين أعلن اسلامه؟

إن الوضع الطبيعي لإشهار الإسلام الذهاب إلى لجنة الفتوى أو المركز الإسلامي، لكن أن ينتهي محمد علي كلاي من إحدى مبارياته، ويخرج منتصرا كعادته، وبدلا من أن يهتف كالعادة بقوله: أنا الأقوى، أنا الأعظم، برز للناس على الحلبة هذه المرة أمام كاميرات التلفزيون، وأمام كاميرات الصحفيين، ليقول للدنيا كلها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

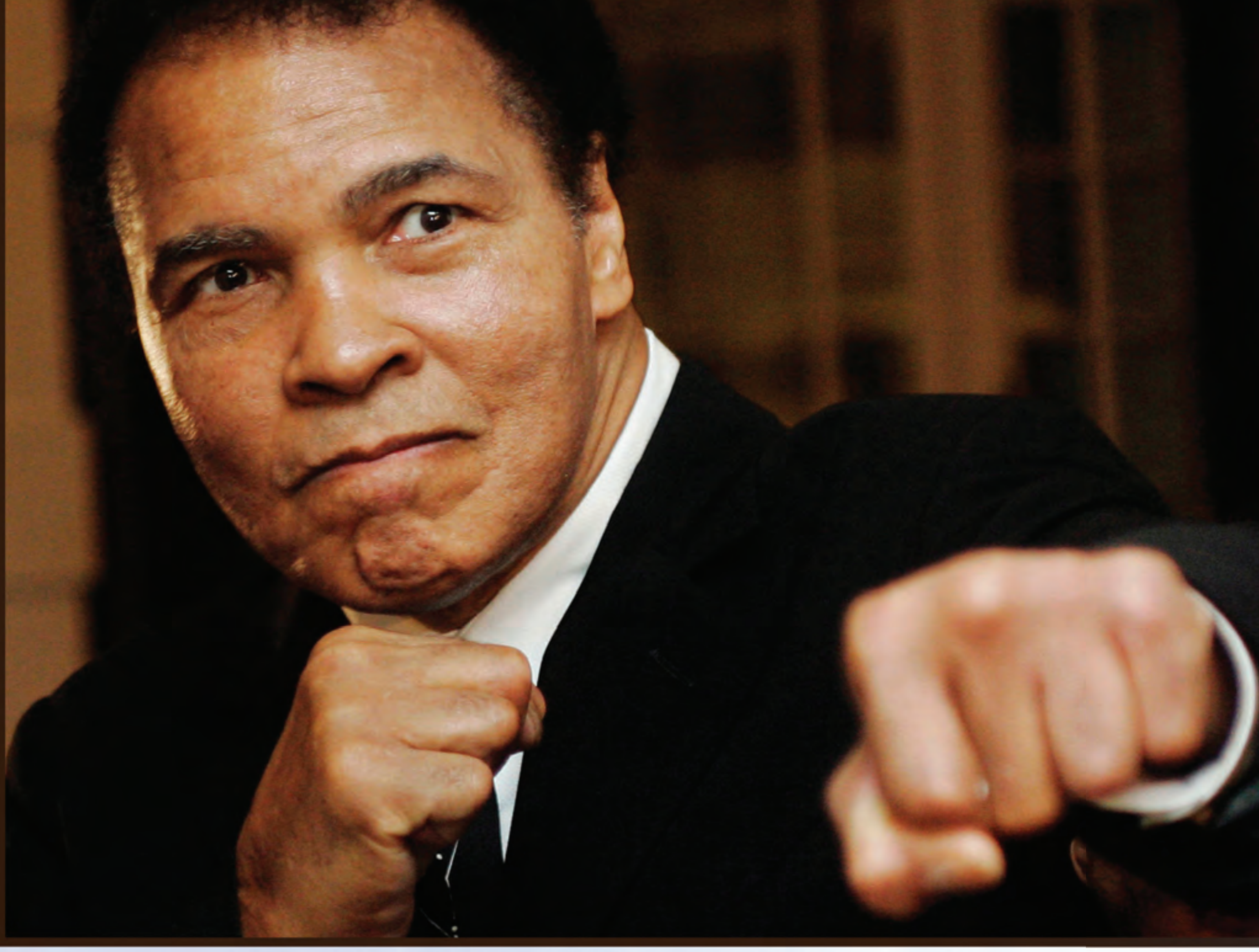
لم يهب من انصراف الناس عنه.. أو كراهية جمهوره له بعد إسلامه، لقد كان بطلا في إعلان الشهادة.. كما كان بطلا فذا في رياضته، لم يلق بالا لأيّ خسارة قد تنزل به بسبب ذلك.

لقد ولد من جديد، فزاده الإسلام قوة، وعظمة، وفهما لحقيقة الحياة.

كان محمد علي كلاي ابن مجتمعه، منخرطا في المجتمع ليس منعزلا عن مشاكله، سواء كانت التفرقة العنصرية، أو الأفكار الهدامة التي يموج بها المجتمع، أو الفلسفات الماجنة الداعية إلى الانحلال الصارخ، لم يلق بالا إلى كل ذلك، بل استمع إلى نداء الفطرة من داخله، وهو يحفزه للاستجابة للإيمان بالله الواحد الأحد من كلمات اخترقت آذانه، لتتربع على عرش قلبه من داعية الإسلام وقتها هناك مالكوم إكس.

قوته في إعلان إسلامه تذكرنا بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وذلك عندما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجهر بإسلامه، فحزن المشركون لذلك، وازداد المؤمنون قوة، وعزة، وفرحا.

وكما أعلن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، أسد الله، وأسد رسوله ﷺ إسلامه أمام الملأ من قريش، فكان إسلامه نصرا وعزا للإسلام والمسلمين.



تلك كانت أعظم جوائز محمد علي كلاي على الإطلاق من بين هذا الركام الضخم من الجوائز والأوسمة التي نالها عن جدارة.

الدعوة إلى الإسلام:

لم يكن محمد علي كلاي فقيها، أو عالما، أو مفكرا، بيد أنه فهم الإسلام فهما جيدا، ودعا إلى الإسلام من خلال كلمات بسيطة مختصرة توضح مفاهيم الإسلام لمجتمع تشوه فيه مفاهيم الإسلام بقصد، أو بغير قصد، من أفراد أو جهات، فكانت كلماته بيانا للحق، كالفلق عندما ينبثق، فيبدد ظلمات الليل البهيم وينير الكون.

لم يكن على المستوى العلمي والفكري كأحمد ديدات، أو غيره من الدعاة، ولكن كلماته البسيطة المعبرة عن حقيقة الإسلام أمام الكاميرات التي كانت تلتقط كلماته كالتقاط الغواصين المهرة لحبات اللؤلؤ والمرجان.

دعوة من نوع جديد:

لم يكن محمد علي كلاي داعيا بهذه الصورة فحسب، بل لأنه أسطورة في عالم الرياضة، ونجم من نجومها، تستدعيه الكاميرات كل حين، ويتردد اسمه المسلم على الأسماع، على نطاق واسع -فهو شخصية محبوبة لدى الملايين- لا بد وأن يترك أثرا طيبا على الناس هناك في بلاد العم سام، وعلى محبيه في الدنيا كلها، مما يفتح مغاليق القلوب لتقبل رسالة الإسلام، وكثرة الترديد لاسمه لها أثرها الانفعالي في نفس المتلقي، ولا شك أن كثرة الترديد تشغل العقول والأفكار والهواجس بالإسلام الذي اعتنقه، فكان هذا نوع من التجديد والابتكار في التعريف بالإسلام والدعوة إليه.

وقد حدثني بعض الأصدقاء ممن يقيمون ببلاد العم سام بأمريكا: أن محمد علي كلاي كان يطوف بين الولايات المتحدة الأمريكية مع فريق عمل ليوزع كتبا توضح مفاهيم الإسلام، ويوقع عليها بشخصه الكريم، ليعطي مع الكتاب أهمية، ورونقا، وروعة، وجمالا لدى محبيه، ومع هذه الدعوة نصر الإسلام بماله، فأنفق على الفقراء والمساكين، ودعم بقوة المشاريع الخيرية الإنسانية، بل وجعل بيته الكبير مسجدا لله تقام فيه الصلوات.

إنها دعوة إلى الله، عن طريق وجاهته، ومكانته، ورصيد المحبة المستكن في قلوب الناس، وهي صورة راقية من الدعوة إلى الله، سبقه إليها النبي ﷺ، الذي خاطب الملوك، والأمراء، ودعاهم إلى الله، وزين كتبه بخاتمه -محمد رسول الله- ﷺ.

إن النبي ﷺ كان يعلم أن إسلام الشخصيات العامة، وأصحاب الجاه والسلطان، والملأ من الناس يتسبب في إسلام العامة من الناس، لذلك حرص على إسلام الملأ من قريش واهتم بذلك، فبإسلامهم يسلم من وراءهم، وقديما قيل: الناس على دين ملوكهم.

-كل مسلم داعية:

تلكم هي الرسالة الأخيرة لمحمد علي كلاي إلى العالم، قالها بلسان حاله لا بلسان مقاله، وفحواها: إن الحياة فيها شيء أسمى وأرقى من الطعام والشراب واللباس والزينة، ألا وهو الإيمان بالله، والدخول في رحابه، والأنس به، والدعوة إلى الله، وهذا ما علمنا إياه القرآن الكريم من أن أعظم الأعمال على الإطلاق الدعوة إلى الله، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت ٣٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير من الدنيا وما فيها»، لابد من فهم هذه الرسالة وإدراكها، وإن كانت قلوب الناس خارج نطاق التغطية فقد فاتهم خيري الدنيا والآخرة.



حوار: محمد عويس

د. عباس أحمد أرحيلة: العنوان وليد تجربة فكرية ووجدانية

التحقق من صحة العنوان يستدعي أمانة المحقق وصبره

«العنوان- حقيقته وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط».. عنوان كتاب للباحث المغربي المتميز د. عباس أحمد أرحيلة، وهو أستاذ جامعي ومفكر مغربي مهتم بدراسة التراث العربي الإسلامي، وقد تم اختياره ليكون كتاب العام التراثي في احتفالية هذا العام بيوم المخطوط العربي، وهو يعد من الكتب القليلة جدا التي أفردت للموضوع وعالجته برؤية تجمع بين أصالة النظرة الحداثية وأفق الدرس الحديث، حيث يشير أرحيلة إلى أن «العنوان في المخطوط العربي» بوابة المحقق والدارس إلى المعمار الداخلي للنص وإلى رؤية صاحبه، وهو قضية جليلة، سواء في علم المخطوطات أو علم التحقيق، لها انعكاساتها على المعرفة في ذاتها، وفي نسبتها، وفي حركتها عبر الزمان. مجلة «الوعي الإسلامي» التقت د. عباس أحمد أرحيلة في هذا الحوار:

• برأيكم لماذا حظيت عناوين الكتب بهذه الأهمية في تاريخ التأليف؟

– حظيت صفحة العنوان بالعناية على امتداد تاريخ التأليف؛ لأهميتها في تحديد مجالات التأليف، ومكانتها في التاريخ لتطور المعارف. وظلت من أجل ذلك تشد انتباه الباحثين على مدى السنين. وتضاعف اهتمام المحققين في العصور الحديثة بالتدقيق في مدى صحة عناوين الكتب المخطوطة وانطباقها على موضوعاتها. ولعناية الباحثين بهذه الوظائف، سعى المؤلفون بكل طاقاتهم إلى اختيار العناوين الدالة على مقاصدهم، وتفانوا في تحديدها واختيارها. ويأتي ذلك لحظة وضعها وهم في حال من الإعجاب بالذات؛ نتيجة مواقع منجزاتهم في مجالاتها المعرفية، كما يتصورون.

• إذا كان لعناوين الكتب هذه الأهمية في تاريخ المعرفة، فهل عرفت هذه العناوين مزيدا من الاهتمام في العصور الحديثة؟

– يبدو أن عناوين الكتب نالت موقعا خاصا على أغلفة الكتب منذ ظهور الطباعة في القرن الميلادي الخامس عشر. وزاد هذا الاهتمام بالعناوين في الدراسات الحديثة، حيث حظيت مسألة العنوان باهتمام خاص في النقد الأوروبي الحديث؛ في سياق ما اصطلح عليه بـ «عتبات النص»؛ إذ اعتبر العنوان طليعة هذه العتبات؛ لكونه المؤشر الأول في جوهر ما يحمله من دلالات وإيحاءات على موضوع الكتاب، ولموقعه على صفحة غلاف الكتاب، وقوة جاذبيته في التواصل مع حقيقته أولا، ومع قارئه ثانيا.

ويلاحظ أن علم السيمولوجيا أولى العنوان أهمية خاصة، كما هو واضح في كثير من الدراسات المعاصرة. وأضحى العنوان في مجال الرواية ودواوين الشعر من المفاتيح المساعدة على تحليل النصوص واستنطاقها، واستكناه مضامينها قصد تأويلها، وتقريب مقاصد أصحابها. وهكذا ظهر علم خاص أطلق عليه اسم العنونة (Tarologie). حتى قال بعضهم في هذا الصدد: النص هو العنوان، والعنوان هو النص.

• أهم ما شد انتباهك أثناء بحثك عن مفهوم العنوان في المعجم العربي؟

– إلى جانب دلالات لفظ العنوان في المعجم العربي؛ من كونه علامة دالة على موضوعه، وعلى ما ينطوي عليه؛ فإن أهم ما شدني في المعنى المعجمي للفظ عنوان، دلالته على الحبس والأسر؛ فالزمخشري (٥٣٨ هـ) ذكر في شرحه لفصيح ثعلب أن أصل مادة عنوان يدل على الحبس؛ من عنَّ الدابة؛ إذا حبسها في العُنَّة، أي الحظيرة. وعنَّها: كبحها بالعِنان، أي ألجمها. والعِنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. وقال إن عنوان الكتاب مأخوذ من ذلك. وفي «لسان العرب»: عنَّيْتُه تَعْنِيَةً إذا أسرته وحبسته مضيقا عليه. وأعناه إذا جعله مملوكا، والعاني المملوك، ومنه عنوت الكتاب. فالعنوان يحاصر موضوع الكتاب، ويجعله عانيا له، أي واقعا في أسره، سجينا له، ويلزم صاحبه بالخضوع والانضباط إليه.

• كيف يكشف العنوان عن موضوع الكتاب؟ وكيف تتضح أهمية العنوان لدى مؤلفه أولا؟

– تتضح أهمية عنوان الكتاب أولا لدى مؤلفه؛ حين يعرب عن إحساسه القوي بموافقة عنوان الكتاب لموضوعه، قصدا وإيحاء. ومن هنا نجد كثيرا ما يتردد في مقدمات الكتب أن العنوان الذي اختاره المؤلف لكتابه جاء موافقا لمسماه، ومطابقا لمعناه، وترجمة دالة على مغزاه، ووقع النعت منه موقع الحقيقة؛ فأصبح يستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان؛ بسبب مصاحبته لموضوع الكتاب؛ إذ يكشف العنوان عن المسمى، ويوضح المعنى. ولا تتحقق محاولات التطابق بين العنوان وموضوع الكتاب إلا إذا استطاع المؤلف أن ينفذ إلى جوهر موضوعه من خلال العبارة الدقيقة التي تدل عليه، وتوحي بمضمونه؛ مما يسهل –في العادة– تصنيف الكتاب في مجاله المعرفي وفهرسته.

• كيف تتم ولادة العنوان في فكر صاحبه؟ وما عساه أن يكون صدى هاجس الإبداع في نفسه؟

– الأصل أن يأتي العنوان وليد تجربة فكرية ووجدانية بعد تفكير طويل في موضوع ما، وتأتي صياغته حاملة لشعور بقيمة ما جادت به قريحته، موحية بأصالته في بابه، وعمق تجربته في الإعراب عن فكره، والاستدلال به على موضوعه. ومن هنا يكون حرص المؤلف أن يضع له اسما دالا عليه، مطابقا لما يريد تسميته. ومن هنا قيل: الكتاب يعرف من عنوانه. وكل ذلك يحمل صدى موضوع الكتاب في نفس صاحبه؛ وما يخامرها من إعجاب يتفجر عادة في العنوان، في صياغته الجمالية، وما يكتنزه من تشاكل صوتي، وشحنات

إيقاعية، تزيد من جاذبيته لفكر القارئ ووجدانه. ونتيجة إعجاب المؤلف بكتابه؛ يضفي عليه في جزئه الأول من مظاهر الطبيعة ما يجعله موازيا لها بكل ما يتمثل فيها من شمس وقمر وأشعة ونجوم، وما تزخر به من نفائس المعادن، كن جواهر ولآلئ.. زهورا وورودا.. وهكذا يمكن حصر بنية العنوان في وظيفتين اثنتين؛ أولاهما: الإعراب عن قيمة الكتاب في فكر صاحبه ووجدانه، والثانية: الإعراب بوضوح عن موضوعه. ولا يعدم القارئ الأمثلة على ذلك في كل ما يصادفه من عناوين.

● وماذا عن مسؤولية المحقق في إثبات العنوان كما وضعه صاحبه؟

– إن الهم الأول للمحقق أن يثبت العنوان الصحيح الذي هو بصدد إخراجه من «مخطوطيته» الأولى، وأن يعمل على توثيقه التوثيق العلمي الصحيح، الذي تتحقق به نسبة الكتاب إلى صاحبه. فصفحة العنوان أول ما يواجه القارئ للمخطوط، وأول تحد يصادفه، فلا تحقيق لكتاب لم يصح عنوانه. وإن التحقق من صحة العنوان يستدعي الأمانة من المحقق، والصبر، حتى التمكن من معرفته على الصيغة التي وضعها عليه مؤلف الكتاب. ويقتضي هذا المزيد من الخبرة والذكاء والتسلح بالحذر.

ومن المقرر عند أهل التحقيق أنه لا يجوز تغيير العنوان؛ إذ من شأن ذلك أن يلحق بالكتاب تشويها لحقيقته، وانتهاكا لحرمته. وكيف يتم إخراجه بالصورة التي وضعها عليه مؤلفه، مع تزييف عنوانه، وضياع ما يؤشر إلى مراد صاحبه! وتلك جناية علمية. ألا ترى أن المحقق لا يقنع بما يجده على أغلفة نسخ المخطوط؛ وإن تعددت نسخه؟ ولا يعتمد على مقدماتها وما يرد في نهاياتها؟ فكل حالة تحتاج من المحقق إلى تدقيق ومساءلة ووجود حس نقدي. والنسخ التي كتبت بأقلام مؤلفيها لم تصل منها إلا أشياء قليلة جدا، ولم يسلم كثير من العناوين من التزوير. وخصص الشريف العوني القسم الأكبر من كتابه لأمثلة من الأخطاء الواقعة في عناوين الكتب؛ مما نبه عليه أهل العلم قبله، ومما هداه إليه البحث، ونبه ألا تعتمد تلك العناوين –لاحقا– في طبعات الكتب.

● كيف يكون البحث عن عنوان المخطوط؟

– يكون ذلك –في العادة– إما بفحص المخطوط ذاته بحثا عن ذلك، وإما بالاتجاه صوب المظان الممكنة التي تقود إلى ذلك. فعن طريق فحص المخطوط يتم إجراء دراسة داخلية للمتن، من منطلق نسخ الكتاب المخطوط، وما قد يعتريها من اختلافات. وتظل أوثق نسخة ما وجد بخط المؤلف، أو من إملائه، أو بقراءتها عليه، أو ما ضبط عليها عامة، أو كانت أقرب إلى عصر مؤلفها.. وقد يفيد ما على صفحات عناوين المخطوطات من إجازات وسماعات ووقفيات خاصة.. وتظل مقدمة الكتاب المخطوط الموطن المساعد الأول في معرفة العنوان؛ إذ غالبا ما يأتي التصريح به هناك، وللنساخ به عناية خاصة (كتابته أحيانا بخط مغاير). وإلى جانب ذلك يتم فحص تضاعيف متن الكتاب المخطوط؛ بحثا عن ذلك. وقد يشار إليه في نهاية المخطوط؛ خصوصا إن تعددت نسخه. وقد يؤدي مهمة العثور على العنوان إن وجد مختصر له.

وحين لا يجدي هذا الفحص للمتن شيئا، يلجأ المحققون إلى ما لدى المؤلف من كتب أخرى، أو ورد في فهرست كتبه –إن وجد– التي كانت جوهر تكوينه. وقد تفيد النقول الواردة منه في مصادر أخرى. ولا يمكن الاستغناء في هذا البحث عن الفهارس وكتب التراجم والطبقات عامة.

وقد تكون القراءة الفاحصة لأسلوب المخطوط؛ مما يساعد على التعرف على معرفة صاحبه. كما أنه لا يستغنى عن سؤال أهل العلم من ذوي الاختصاص.

وأرى أن ما يساعد على إعادة النظر في التحقيقات العلمية عامة، ويكون له هذا الدور الخطير في إعادة النظر في مسار تلك الفكرة التي قام عليها كياننا الثقافي؛ أن تظهر مجلات علمية تتولى المتابعات النقدية التصحيحية العلمية الدقيقة لأهم ما ينشر من تحقيقات علمية، جامعية أو غيرها.

وقد تراكم اليوم لدينا نسبة كبيرة من الإشكالات التي واجهت التحقيق، وما تزال تواجهه في العالم العربي؛ استمدادا من رحلة البحث عن المخطوطات، والمعاناة في إخراجها، وتوثيقها والتعليق على ما تدعو الحاجة إليه فيها. ويحتاج الأمر إلى لملمة كل ذلك، وتنقيته من الشوائب والتكرار، وبعد فحصه وتمحيصه، والنظر فيما يوجه إلى واقع التحقيق من انتقادات؛ تعقد ندوات علمية متخصصة للنظر في تجديد حركة التحقيق في عالمنا العربي.



عثمان إسماعيل
باحث دراسات إسلامية

أفكار تضاعف تألمنا من المرض وتزيده

المرض «أسخف» وأثقل ضيف يزورنا رغما عنا، يسرق الطاقات، ويجلب الوجع والضيق، وأحيانا الحزن. متعكم الرحمن دوما بالعافية أنتم ومن تحبون.

نرصد الأخطاء الشائعة التي تزيد الأوجاع، «وتسرق» القدرة على مواجهة المرض، وتؤخر الشفاء، وتتسبب في الوجع النفسي، فيتضاعف الألم الجسدي.

حساسية وغضب

نبدأ بالتعامل مع «الضعف» المؤقت بسبب المرض، وكأنه -لا قدر الله- عجز أو مؤشر لضعف أكبر، مما يزرع الإحساس بقلة الحيلة، ويضاعف الحساسية، ويجعل صاحبه عرضة للانفعالات السريعة والغاضبة، ويؤثر بالسلب في فرص الشفاء التي يستحقها.

والأفضل تذكر أنه «مؤقت» بإذن الرحمن، وتنفس التفاؤل لمساعدة النفس على الشفاء.

ونصل إلى التعامل مع أي تصرف غير لطيف ممن نتعامل معهم، وكأنه إعلان لضيقهم منا، أو لرؤيتهم لنا كعبء لمرضنا. وقد يسيء البعض التصرف مع المريض لنقص في اللياقة، أو من دون تعمد، أو لانشغاله.

والأذكى تجاهله أو تنبيهه بلطف والتشاغل عنه، ويكفي الوجع الجسدي، فلا نضاعفه بالحساسية الزائدة.

نعمة ونقمة

يعد الخوف من التعرض لانتكاسة سلاحا ذا حدين: نعمة إذا قادنا إلى الاهتمام بالوقاية من عودة المرض، ونقمة إذا أورثنا الخوف من العودة إلى الحياة الطبيعية بتدرج، وإذا حرمنا من الفرح بنعمة الشفاء؛ فالخوف من المرض يستدعيه مجددا، وأحيانا بألم أشد.

يتوقع البعض أثناء المرض أن يتفرغ من يحبهم للاهتمام به، أو يبذلوا اهتماما كبيرا.

ويثبت الواقع أن الاهتمام يتناقص «تدريجيا»، ليس لأنهم سيئون أو لا يحبوننا، ولكن مشاغل الحياة «تستدرجهم»، سواء رغبوا أو لا.

ومن المهم تقبل ذلك «برضا» حقيقي، وإتقان شغل أوقاتنا بعيدا عنهم، وعدم الاعتماد النفسي عليهم؛ للفوز بقدر من الترويح عن النفس، ومتابعة ما يسعدنا على الفضائيات وعلى اليوتيوب، ومشاهدة الصور القديمة والفيديوهات الخاصة بنا؛ بشرط عدم التحسر على الماضي والابتسام عند رؤيتها؛ لإنعاش النفس وطرد التركيز في الوجع الجسدي.

ويمكن كتابة ما نحس به لإفراغ شحنات من التوتر وقراءته بصوت وكأننا نتحدث به لأحد، ثم تمزيقه إذا لم نستطع الاحتفاظ به بعيدا عن الآخرين، أو تسجيل ما نحس به على الهاتف المحمول والاستماع إليه ثم مسحه للحفاظ على الخصوصية.

ارحم نفسك

يتعجل آخرون الشفاء، ومع أولى علامات التحسن يتركون الدواء ويغادرون الفراش، ولا ننكر الرغبة «المشروعة» في استعادة الحياة الطبيعية، ونهمس بود واحترام: الصبر حتى انتهاء العلاج يقلل فرص عودة المرض، والعكس صحيح، وتستحق حماية نفسك، أليس



كذلك؟!
يجرب البعض التعامل بصورة طبيعية مع أنشطة الحياة اليومية «وكأنه» ليس مريضا، فيصدم، ويضاعف وجعه. ونفضل التعامل «برحمة» مع النفس، فالراحة ضرورة وليست رفاهية ومن أسباب الشفاء، بعد الاستعانة بالرحمن بالطبع.
ولنتجنب الخوف الزائد على النفس عند المرض، والجزع عند التأخر في تناول العلاج، فهما لا يقلان سوءا عن الاستهتار بالالتزام بالعلاج، فخير الأمور الوسط.

احذر

يلجأ البعض إلى الإكثار من الحديث في الهاتف مع معارفه؛ ليتشاغل عن الوجع. وكثرة الكلام تتسبب في الإرهاق، وحديثه الدائم عن مرضه يرسخ الإحساس بالوجع، وأحيانا يزرع الشفقة في النفس، وقد يؤلمه عدم تعاطف من يحدثه كما يود.
وقد يهاتف من ابتعد عنهم قبل مرضه لانشغاله، «ويتوقع» إقبالهم، ويفاجأ بعدم ترحيبهم، ويؤلم نفسه. والأفضل حسن اختيار من نتكلم معهم عامة، وأثناء المرض خاصة، والحرص أن نكون «أهم» يد تربت على الوجع على أنفسنا، ولا ننتظر ذلك من الآخرين، فإذا وجدنا ما يسرنا كان «إضافة» جميلة وإذا لم نجد فلا نتألم بقسوة.

استفد

يكره الكثيرون ملازمة الفراش وتناول الدواء، ويحسون بالرثاء على النفس، وتسوء معنوياتهم، ولا يدرون أنهم يؤخرون الشفاء. والأفضل التعامل مع المرض كاستراحة من اللهاث اليومي، وكفرصة للتفكير بهدوء في حياتنا وكيفية تحسينها بعد الشفاء، وطرد أو تقليل ما يكدرنا، والفرح بما لدينا من النعم التي ننساها وسط الانهماك في تفاصيل الحياة.
مع تكرار المرض بفترات متقاربة يحس البعض بالتشاؤم، وأن القادم أسوأ، ويتناسون أن التفكير في المرض يضعف الإنسان نفسيا ويقلل مقاومته.

لا تهزم نفسك

يفكر البعض في الخسائر التي تحدث له بسبب المرض، كالتأخر في العمل أو الدراسة، أو حرمانه من الاستمتاع بحياته العادية، ويفتح أبواب الحزن، وقد يكتئب.
والأفضل أن يثق بأنه سيحصل على رزقه كاملا في أفضل توقيت، وألا يهزم نفسه بالتفكير السلبي.
ينكر البعض المرض فيتناول الأطعمة

الممنوعة، أو لا يلتزم بتناول الدواء بانتظام، أو يرفض الراحة، فيتطور المـرض، «ويضـطـر» إلـى مواجهة المضاعفات، ويدفع الثمن باهظا، وكان يمكن تجنبه لو التزم بتعليمات الطبيب.

يـفـكـر الـبـعـض أن حـظـه سيئ، فالآخرون لا يمرضون مثله، ويظلم نفسه، دينيا ودنيويا، فقد أمرنا ديننا ألا نتطلع إلى ما يتمتع به غيرنا، وقد نؤذي أنفسنا بالسخط على أقدارنا، وهي أبشع خسارة دينية.

دنيويا، يرسخ هذا التفكير الإحساس بالتحسر على النفس، ويحرم صاحبه من الفرح بأي نعم ومتع مشروعة لديه، ويفسد صحته النفسية وهي «مـفـتـاح» مـهـم لـتـحـسـين الصحة الجسدية.

ليسوا مثلك

يـردد بعض المـرضـى: لـو كـان أحد من أعرفهم هو المريض لفعلت كذا وكذا للترفيه عنه، ولما تخليت عنه و«أوجعته» نفسيا بالإهمال، ونهمس له: نثق بصدقك، وكل إنسان يتصرف وفقا لتكوينه النفسي ولما «تراكم» في وعيه طوال حياته، ولاهتماماته وشخصيته ورغباته، ولا تؤذ نفسك «بتوقع» أن يتصرف الآخرون مثلك.

وأمامك خياران:

الأول، وهـو الأسهل والأكثر شيوعا مـع الأسـف، أن تتنفس الخـذلان منهم، وتؤلم نفسك، وقد تتشاجر معهم أو تطالبهم بالاهـتمام، وقد يبذلون بعضه أو يتجاهلون، وستتألم أكثر «وحدك»، وكأنه لا يكفيك الوجع الجسدي، وستخسرهم تدريجيا، فلا أحد يحب أن يلومه الآخـرون دائما حتى لو كانوا محقين، ولـن يتغيروا فهذه طباعهم.

والثاني، والـذي أفضله، أن تتلمس لهم الأعـذار، وتفرح وتسجد شكرا للرحمن بأنك لست مثلهم، وتدعو بقلبك وعقلك: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك.

براح نفسي

ثم تحاول ملء أوقاتك بما يسعدك، وبإمكانك الاستماع إلى القرآن الكريم وأنت تغمض عينيك لتركز في المعاني وتسترخي نفسيا وجسديا، ويمكنك الاستماع إلـى مقاطع موجودة على اليـوتيـوب تـدربـك على الاسترخاء والـتـأمـل، وستمنحك بـراحـا نفسيا تحـتـاج إلـيـه، وستحسن معنوياتك وتساعدك على الشفاء.

عند الإحساس بالضيق قم بالتنفس بالتبادل من الأنف، والتركيز على ذلك بـأن تضع أصبعا على فتحة الأنف اليمنى لإغلاقها وتتنفس بهدوء من الفتحة اليسرى فقط ما استطعت، ثم تغلقها وتنفس من الفتحة اليمنى، ويفضل إغماض العينين أثناء ذلك؛ لاسترخاء أفضل، ولتصفية العقل مما يرهـقـه، وعـنـد الانـتـهـاء تدلك اليدين بهدوء حتى تحس بالدفء، ثم تمسح الوجه بلطف وتفتح العينين بـهـدوء، وسـتـحـس بـارتـيـاح لطيف، وتـكـرره مـرات يـومـيـا، وسيحسن حالتك النفسية ويقل تألمك.

لا تسمح

يفكر الكثيرون في الوقت الذي يضيع منهم بسبب المرض، خصوصا الطلبة المتفوقين ورجال الأعمال وأصحاب الأعمال الحرة، ولا ننكر ذلك، فمن الطبيعي أن نفكر ونتضايق؛ بشرط ألا نسمح بسيطرة هذا التفكير وطرد الضيق واستبداله بأننا سنقوم بعد الشفاء -بمشيئة الـرحـمـن- بوضع جدول متدرج وغير قاس ولا متعجل للنتائج «لتعويض» أنفسنا برفق.

«لـن ينفعني أحـد».. يقولها البعض خوفا من المرض، وكأننا «سنرحب» بـالمـرض إذا وجـدنـا مـن يحسن الاهتمام بنا!

والأفضل الاهتمام بصحتنا؛ لنسعد وننجح في الحياة وليس خوفا من الاحتياج إلى الآخرين.

يتعامل البعض مع المـرض كعقوبة لذنوبه.

والأفضل التبرؤ من ذنوبه، والدعاء أن يـكـون رفـعـا لـلـدرجـات، ويتقن حسن الظن بالرحمن وتذكر ثواب الصابرين. ويرحب آخرون بالمرض ويرونه حبا من الرحمن، ويتناسون دعـاء اللهم أجعلنا عبيد إحسان لا عبيد امتحان.

لا تكثر مـن الحـديث عـن مرضك، فقد تحصل على تعاطف وسترسخ الإحساس بالمرض داخلك، ولا تخف من الحسد عندما تتحسن ولا تخفِ ذلك.

لا تبالغ بتدليل زوارك وكأنك لست مريضا، ولا تسهب في الحديث عن تفاصيل موجعة، وكن وسطا.

استغن وستربح

لا تهتم بمن زاروك ومـن تجاهلوا، وكـن أهـم صـديق وداعـم لنفسك، واستشعر معية الـلـه، واسـتـغـن عن البشر وستربح عزة المؤمن واستعلاءه وراحة المستغني.

قبل الذهاب إلى الطبيب اكتب بدقة تفاصيل حالتك حتى تستفيد.

لا تستدع أمراضك السابقة، وساعد نفسك، وركـز على مـا يبهجك في الحياة، ولـو كـان قليلا، فالابتسامة والـضـحـك والاسـتـرخـاء وتمارين الـتـنـفـس والـتـأمـل وقـبـلـهـا اللجوء «بـصـدق» إلـى الـرحـمـن، تساعدك على أفضل اجتياز للمرض؛ لتنعم بالصحة وبحياة أجمل، أدعو لك بها، فاحرص على الفوز بها دائما وأبدا.

تصدق بنية التداوي، ولا تخبر أحدا، ولا تتعلق بالدواء للشفاء بل بالرحمن، واجعل نيتك بتناول الدواء طاعة الله ورسـولـه بـالـتـداوي والحـفـاظ على النفس وإعطاء نفسك حقها، وللأخذ بالأسباب؛ لتكون مؤمنا قويا، ثم توكل بصدق على الشافي الوهاب.

د. رضا عبدالحكيم
باحث أكاديمي



ثمود حاضرة العرب التاريخية.. النشأة والزوال

تقع منطقة أثرية بالمملكة العربية السعودية، جرى عليها تسمية مدائن صالح نسبة إلى نبي الله الذي بعث في قوم ثمود الوارد ذكرهم في القرآن، ويرى بعض الباحثين أن هذه المنطقة عينها هي ذاتها مقام ونهاية قوم ثمود، استدلالاً بكشوف علم الآثار ومطابقتها على ما ورد في القرآن والسنة وكتب التفسير ومصادر تاريخية. وبصرف النظر عن اختلاف الآراء يشاهد في هذا الموقع الأثري حاليا عمارة فريدة أبرزها ١٥٣ واجهة من الواجهات الصخرية التي تم نحتها، بالإضافة إلى أنها تحتوي على العديد من الآثار الإسلامية، ولشدة أهمية هذا الموقع فقد تم إدراجه على قائمة مواقع التراث العالمية (١).

نسبهم:

يقول علماء التفسير والنسب: كان قوم ثمود من ذوي قربى قوم عاد، وثمود هو بن عائر بن إرم بن سام ابن نوح وهو أخو جديس بن عاثر، وكذلك قبيلة طسم، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله عليه الصلاة والسلام على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في العام التاسع الهجري.

نبيّهم:

نبيّهم كان صالح عليه السلام، قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ: فهو صالح بن عبيد، وقيل كانوه أو كانوا ابن آسف بن ماشج بن عبيد ابن جادر، وقيل كاثر ابن ثمود بعثه الله في قوم ثمود، إذ كانوا مشركين عبدة أصنام. ومن آياته سبحانه وتعالى استجابته لدعوة نبيه لما سأله قومه بأن يخرج لهم ناقة عشراء

تمخض من صخرة صماء- عيّنوها بأنفسهم- تقع في ناحية الحجر يقال لها: الكاتبة، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبهم ليؤمنن به وليتّبعنّه، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء براء يتحرك جنينها بين جنبيها؛ فآمن من القوم نفر فصدهم عن ذلك رهط من أشرافهم. وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يومًا وتدعه لهم يومًا، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم. قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الشعراء: ١٥٥). وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها، لأنها كانت تتضلع من الماء، وكانت على ما ذكر خلقًا هائلًا ومنظرًا رائعًا، قال ابن كثير: إذا مرت بأنعامهم نفرت منها، فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام، عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم، وقد كان تصديقًا لقوله الحق: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ (الشمس: ١٤)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ (الإسراء: ٥٩)، وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ (الأعراف: ٧٧)، فأبادهم الله، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ (الأعراف: ٧٨) أي: صرعى إذ جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت أرواحهم وزهقت نفوسهم في ساعة واحدة (٢).

لقد امتدت سيطرة قوم ثمود على أراض شاسعة من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى غربيها، حتى وصل ملكهم إلى جنوبي الشام. وقوم ثمود تألف من تسع أسر، تعاهد رؤساؤها على ميثاق بينهم يؤهلهم لأن يحظوا بالثروة والسلطة معًا، وكنتيجة لذلك كان مجتمعهم مقسما إلى طبقات، المرموقة منها تستأثر بالسلطة والثروة معا، وتعاني الدنيا الظلم والهوان، والأخيرة المسحوقة عملت بالبناء والرعي وغيرها سخرت لصالح الأغنياء الذين ازدادوا غنى، في حين ازداد الفقراء فقراً. عبد قوم ثمود الأصنام وكانت معجزة البناء والهندسة العمرانية الميزة التي تميز بها قوم ثمود، وكانوا يتفاخرون بها.

إنهم ينحتون لهم بيوتا في صخور الوديان. يقول ابن خلدون: «يقال: لأن أعمارهم كانت تطول فيأتي البلاء والخراب على بيوتهم، فنحتوها لذلك في الصخر، هي لهذا العهد».

تبدو المنازل من بعيد كما لو كانت صخورا، وكانت البيوت قد صممت من الداخل بطريقة صحية، يتداور في أرجائها الهواء، وتدخل إليها أشعة الشمس من الأعلى ومن الجنب.

وعالج أولئك القوم مشكلة شح المياه بحفر الآبار الطينية الحافظة للمياه من التسرب إلى باطن الأرض، تلك الحفر التي يسميها أهل اليمن «المصانع» (٣). وعلى نحو خاص، ترسم بعض آيات الرحمن معالم حضارة قوم ثمود ورخائها:

● قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٧٤).

ذكرت الآية الكريمة «السهول»، ولم تذكر ما يقاربها في المعنى مثل «الأودية» المذكورة في القرآن في أكثر من آية. وأعتد برأي من يقول: إنها أكثر الألفاظ دلالة على المراد بحروفها السهلة اللينة الرخوة التي تنمّ عن استواء هذه الأرض وانبساطها، وانقيادها لهم، مما مكّنهم من بناء القصور فيها، كما أن معناها يومئ من طرف خفي إلى سهولة أحوالهم ويسر معيشتهم وكثرة أرزاقهم، وهذا لا شك يكون ألصق بحياة من يعيشون في السهول، فالسهول مشهورة بخصوبة تربتها، وكثرة زراعتها، وتنوعها ما بين حدائق غنّاء، وبساتين فيحاء، وزروع ناضرة، ونخيل باسقة مثمرة، وعيون كثيرة، وجداول رقراقة، ومن ثم بنوا القصور الكثيرة في كل موضع من تلك السهول المحفوفة بالجنات والعيون والزروع والنخيل (٤).

قيل: كانوا يسكنون السهول في الصيف، والجبال في الشتاء، وهذا يدل على أنهم كانوا منعمين مترفهين (٥).

هكذا كان حالهم: حضارة عمرانية وزراعية رائعة. والتعبير بالسهول يتفق مع كثرة الزروع والثمار، ما لا يتوافر في الوديان، وهذه الأخيرة غالبًا ما تكون مقفرة، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: ٣٧). لكن من نعم ربك على أولئك القوم أن مكنهم من تقطيع الصخور من الوادي الأجرد غير المنزرع، واستحضارها إلى السهول لبناء القصور العامرة، ذلك قوله: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ

بِٱلْوَادِ﴾ (الفجر: ٩).

- قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ (الشعراء/ ١٤٩).

أي فراهة الأبنية واستطالتها وحسنها وجمالها وتناغمها مع بعضها، سبحان من مكّنهم بعزته تعالى من إقامة تلك الأبنية المنحوتة في صخور الجبال، والتي تتطلب جهدا خارقًا، وعملاً شاقًا مضنيًا متواصلًا. قال ابن كثير: ولا منافاة بينها، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا وعبثًا من غير حاجة إلى سكناها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها كما هو الشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم (٦).

إن قوم ثمود قد تفردوا في بناء مساكنهم، فهم في فن العمارة قد تقدموا على قوم عاد خطوة للأمام، فعاد كانوا يبنون في كل ريع آية يعبثون ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون، أما هؤلاء فكانوا ينقبون بيوتهم في الجبال أشرًا وبطرًا وخيلاء واستعلاء فتفردوا بتلك السمة، واختصوا بها عمن سواهم.

ثم كانت نهاية حضارة قوم ثمود، جزاء العصيان، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ (الشمس: ١٤).

وهذه حكمته سبحانه وتعالى في عذابه للقوم المجرمين، إنه تبارك قد يضرب على عمارتهم الغرق، أو إطلاق العواصف والأعاصير عليهم وأملاكهم، أو دك الأرض بأن يجعل عاليها سافلها. وفي الآية الكريمة فعل الله بقصورهم الأفاعيل فسواها بالأرض التي كانت مقامة عليها، هي وموضع بنيانها، جعلها جميعًا كأن لم تكن فعادت مستوية لا يطلع منها منزل فأرة منحوت بالجبل، ولا قصر يتموضع على سهل من السهول، وكان رد فعل رب العالمين سريع عاجل خاطف يدل عليه توالي الفاءات المتعاقبة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ﴾ (الشمس: ١٤)... في قوله تبارك: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ (الشمس: ١٤) أي: أهلكهم وأطبق عليهم العذاب، وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده، والدمدمة إهلاك باستئصال... وكنتيجة للاستئصال؛ الإزالة، لذا قال سبحانه: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ (الشمس: ١٤)، ويحتمل المعنى أيضا كما جاء بالصحاح «دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض وطحطحته، ودمدم الله عليهم أهلكهم، ودمدمت على الميت التراب: سويت عليه. قال ابن الأنباري: دمدم أي: غضب، والدمدمة: الكلام الذي يزعج الرجل، وقال ابن الأعرابي: إذا عذب عذابا تاما» (٧).

يجدر الإشارة أخيرًا إلى ما سجلته الدراسات الأثرية الحديثة حول أوابد اكتشفت معالمها على نحو دقيق من خلال التقنيات الفضائية، حيث يرجح فريق من الباحثين أن هذه الأوابد تخص قوم ثمود.

لقد بين التصوير الفضائي واد متسع يقع تمامًا على الخط الواصل بين المدينة المنورة ومدينة تبوك، يحتوي على كتل صخرية مقطوعة ومنحوتة، وبينت الصور كذلك مصدر الماء الذي حوّل هذا الوادي إلى وادٍ خصب ينبت شتى أنواع المزروعات، وذلك من خلال أودية عجيبة الأشكال تجلب الماء من الجبال المحيطة وتغذي بها رمال هذا الوادي دون أن تشكل منه سيولًا تذهب إلى البحر هدرًا، بل تظهر كعيون ماء في مختلف أرجاء الوادي.

كما لوحظ أن الأمطار التي تسقط على سلسلة الجبال المحيطة المحتوية على الصخور تتجمع تحت رمال هذا الوادي العظيم، فتخرج على شكل ينابيع في أماكن مختلفة من الوادي الذي مازال خصبًا وفير المياه، يستخدمه أهالي تلك المنطقة لإنتاج مختلف أصناف الثمار.

يقول العلماء بإرشاد الصور المأخوذة وتحليلها: إن هذا الوادي كان قبل ما يزيد عن أربعة آلاف سنة بأكمله واحة خضراء مملوءة بالقصور المبنية في السهول، والبيوت المنحوتة في الصخور، وتظهر الصور بعض الكتل الصخرية المنتشر في أرجاء الوادي ككتل مجتمعة أو متفرقة، وتظهر الصور كذلك بعض البيوت والقبور.

ومما يطرح من تساؤل: هل الكشوف الأثرية والمعلومات التاريخية متوافقة فعلا مع ما ورد في القرآن؟

....أرى والله أعلم التحوّط التامّ وعدم تحميل آيات الرحمن نتائج العلوم التجريبية، والتي مهما قيل في دقتها وموثوقيتها فهي من صنع البشر، الجاري على أعماله التعديل والتبديل والإلغاء...يستوي في هذا الفرضيات النظرية أو العملية.

والله من وراء القصد

المصادر والتوثيق

(١) http://mawdoo3.com

(٢) ابن كثير: ج ٢: ص ٢١٨ و٢١٩.

(٣). عادل سالم العبد الجادر (ثمود... الذين جابو الصخر بالواد)، مجلة العربي، ع٦٨٤ (٢٠١٥م)، ص: ٣٠، ٣٣.

(٤) عبد الله سرحان، أسرار التعبير بالفرائد في قصة صالح عليه السلام، مجلة الأزهر، ج٢ س ٨٩ (٢٠١٥م) ص: ٣١٦، ٣٢٠.

(٥) تفسير أبي السعود ٣/ ٢٤٣، فتح البيان ٣/ ٣٦٠

(٦) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٤٤ .

(٧) فتح البيان ١٠/ ٣٦٤، تفسير الألوسي ٢٨/ ٥٣٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٩، وفتح القدير ٥/ ٤٥٠).

صور الدراسة

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقترن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

عبدالعزيز عماري
كاتب صحفي

أثـــر الـــتـربـيـــة في الإصلاح الاجتماعي



إن أثر التربية في إصلاح المجتمع موضوع مهم ليس كبقية المواضيع، ومما يدل على جلالة قدره وعظم شأنه أن الله تعالى تولاه بنفسه، فربى النخبة المباركة التي تقوم بهذا الأمر العظيم، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ورباهم وصنعهم على عينه -سبحانه- بتربيته الخاصة؛ ليخرجوا إلى الناس قادة، فيربوهم التربية الربانية. وما زالت الرسل تبعث فترة بعد فترة بهذه المهمة، فقد ذكر القرآن الكريم صفات هؤلاء المربين فقال سبحانه:

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ (طـه:٣٩) في حق موسى، عليه الصلاة والسلام.

وقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٣)، وهذا في حق سيدنا محمد ﷺ.

خصائص المربي

سأذكر بإذن الله تعالى خصائص المربي وألخصها في ست وهي: العلم والإخلاص والربانية وعلو الهمة والرفق والحب.

الخصيصة الأولى، وهي العلم: والمقصود به العلم الرباني، الذي علمه الله للإنسان؛ فالإنسان صناعة الله تعالى، والوحي كلامه، ولا يمكن أن تربي هذا الإنسان إلا إذا طبق الوحي الرباني الذي يخاطبه من كل جوانبه، فلا يترك جانبا إلا عالجه.

ومن جانب آخر، هناك العلم بأسرار الإنسان، الذي هو أعقد مخلوق على وجه الأرض، فتربيته أعقد تربية؛ ولهذا لم يكلها الله تعالى إلا للأنبياء والمرسلين، ولخلفائهم من بعدهم؛ لأنه ليس في مقدور أحد أن يضع للإنسان منهجا يصلح به الناس إلا خالقهم العالم بخفاياهم. فلابد إذن من العلمين: علم الوحي، وعلم صناعة الإنسان. ومن هنا يتضح خطأ من نظروا إلى الإنسان من زوايا أخرى متنوعة، فوضعوا له مناهج متنوعة لا تنسجم مع تكوينه، ولا تتسق مع فطرته.

فلابد للمربي من خصيصة العلم بشقيه، وليس المقصود بالمربي الشخص فقط، ولكن مناهج التربية، والمؤسسات التي تقوم بالتربية لابد أن تنظر إلى الإنسان من زاوية وحي الله تعالى الذي هو العليم الخبير.

الخصيصة الثانية: الإخلاص. والمراد بالإخلاص هو تفاني الإنسان في خدمة هذا المربى لوجه الله الكريم لا لغرض دنيوي؛ فيسخر جهوده بالليل والنهار لتحقيق الهدف التربوي، فبالنهار تربية بتفان، وفي الليل وقوف بين يدي الله وبكاء وتضرع سائلا الله تعالى أن يفتح له قلوب عباده لتحقيق الهدف التربوي. تأمل معي عباد الرحمن الذين ذكرهم الله في سورة الفرقان، فنوّه بهم، وأسندهم إلى نفسه، وجعلهم مربين صالحين ومصلحين، قال تعالى في إحدى صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:٧٤)، ومن قبل قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ (الفرقان:٦٤)، فنهارهم تربية وتعليم، وليلهم بكاء على باب الله تعالى. إذن، كيف لا ينجح من كان هذا شأنه؟

فيا أيها الأب، الذي تشكو سوء معاملة

ابنك، تضرع إلى الله تعالى ليلا والناس نيام أن يصلح الله ابنك، هذا سعيد بن المسيب يقول لولده إني لأزيد في الصلاة ليلا من أجل صلاحك. فلن يكون للمربي إشراق تربوي مؤثر إلا مع هذه الحرقة القلبية والإخلاص والتفاني في مهمته ابتغاء وجه الله الكريم، وحينما يشعر المربى بهذه الحرقة من أجله لابد أن يستجيب بإذن الله تعالى، ولهذا نقل عن بعض السلف أنه كان إذا رأى المنكر أتى باب بيت من البيوت وبكى بكاء شديدا حتى يأتي إليه أهل البيت فيقولون ما بك؟ فيقول: أريد أن توقفوا هذا المنكر، فيضطروا إلى إيقافه رحمة به. كيف إذن لا يحقق المربي هدفه المنشود في مثل هذه الحالة؟ فالعلم من دون إخلاص جسد بلا روح.

الخصيصة الثالثة: الربانية. ومعنى هذه الخصيصة أن هذا الإخلاص حين يكون في القلب يظهر أثره على صاحبه، فإذا رأيت الرباني جذبك بحاله قبل مقاله، ولهذا قال ابن عطاء الله: «لا تصحب من لا يستنهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله»؛ فالربانية نور يسري على صاحبه، يشرق وجهه بالأنوار الإلهية، وتجعل لصاحبها أحوالا مع الله تعالى ليست لغيره من الناس الذين لا يتصفون بهذه الصفة.

يقول مولانا عز وجل: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران:٧٩). هذه الربانية حينما تتجلى على صاحبها يشعر الناس من حوله بلطف وحنان ورحمة، ويشعرون بعطر يفوح من كل جوانبه، ولهذا شبه المصطفى ﷺ الجليس الصالح ببائع المسك فقال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة» (١).

فالرباني لا تشم منه إلا الريح الطيبة، فعندما تحدث للناس مشاكل وصعوبات في الحياة فيجالسونه تنزل عليهم الرحمات والسكنات وتهب عليهم رياح الطمأنينة والثبات.

الخصيصة الرابعة: الهمة العالية. كلما كانت همتك -أيها المربي- عالية، تبعك على ذلك المربى؛ لأن بينك وبينه حبلا للتواصل يشبه حبل المشيمة بين الأم وجنينها، ولهذا نقل التاريخ الإسلامي أن أم محمد الفاتح كانت تأتي به إلى شط البحر وتقول: «يا بني، أنت الذي ستفتح القسطنطينية».

له همة لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر

ولما كانت همة الرسول أعلى همة، تبعه أصحابه، فصاروا على أعلى همة. إن الهمة العالية تجعل أصحابها لا يرضون بالدون، بل يرقون إلى الثريا. فما أحوج أمتنا إلى إيقاظ الهمم، وشحذ العزائم، خصوصا في فئة الشباب.

الخصيصة الخامسة: الرفق. وهو جمال خلقي لكل الخصائص المذكورة؛ علم برفق، وإخلاص برفق، وهمة برفق.. فما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه. الرفق إذا توافر في المربي طبع خصاله بجمال لا يوصف. ولقد تجسد الرفق في سيد المربين في أبهى حلة وأجمل صورة، فإذا رأى سلوكا من أصحابه ينقصه الرفق تدخل بسرعة لإنقاذ الموقف، فهذه عائشة -رضي الله عنها- ترد السلام على اليهود برد شديد حين سلموا على النبي ﷺ بتحيتهم المسمومة، فقالت عائشة: «وعليكم السام واللعنة». فقال المصطفى: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، قلت أولم تسمع ما قالوا؟! قال: قلت وعليكم» (٢).

الخصيصة السادسة: الحب. وهي الخيط الذي تنتظم فيه هذه الخصائص لتعطي أكلها، وهي جسر التواصل بين المربي والمربى لتمرير هذه الخصال إليه، فإذا كانت عملية التربية تمر من دون حب، فهي جفاف، تجعل المربى بعيدا عنك؛ لأن أشعة حبك لم تصله فكيف يتعلق بك ذلك التعلق المطلوب؟ وكيف يصغي إلى إرشاداتك ونصائحك؟ هذا الحب الذي يتجلى في التفاني في العطاء من دون حدود في الرحمة والعطف والحنان.

لقد تجلى هذا الحب على أكمل وجه في شخص سيدنا رسول الله ﷺ، وذلك حين دخل عليه أعرابي فوجده يقبل الحسن والحسين، فتعجب وقال: يا رسول الله، إن لي عشرة من الأبناء ما قبلت واحدا منهم. فقال له الرسول ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة» (٣). وحين دخل أحد العمال على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجده يقبل أولاده، «قال له: أتفعل هذا بأبنائك؟ قال عمر: وأنت ماذا تفعل؟ قال: إذا دخلت سكت الناطق واختفى الظاهر. فقال له عمر: اذهب فأنت لا تصلح لولاية هذه الأمة» (٤).

فيا أيها الأب المربي والأستاذ المربي، عليكما بهذه الخصلة التي تقرب البعيد، وتيسر الصعب، وتجعلهم يذوبون في صدرك وينقادون طائعين لشرع الله تعالى بهذا الحب الذي أرسلته إليهم، يقول الله تعالى عن جيل الصحابة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة:٥٤). هذا الجيل الفريد تولى إنقاذ البشرية وتربيتها بسلاح الحب، فكانت النتيجة أن دخل في دين الله أقوام يتفانون في خدمة هذا الدين.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الهوامش

١- رواه البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، رقم الحديث ٢١٠١.

٢ - رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي ولم يصرح نحو قوله السام عليكم، رقم الحديث ٦٩٢٧.

٣ - رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث ٥٩٩٨.

٤ - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٣٨.

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية
بالكويت

خمس
صور من الربا المعاصر



لا يشك مسلم في حرمة الربا الذي نزلت آيات القرآن بتحريمه، فقد جاءت النصوص في ذلك صريحة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٥)، وقوله سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ (البقرة:٢٧٦)، وغيرها من الآيات الصريحة في تحريم الربا.

ويفهم الناس الربا بأن يذهب شخص لآخر يطلب منه قرضا على أن يرده إليه بالزيادة، وهذه هي إحدى صور الربا، لكن الشبهات حول الربا بدأت تطل على المجتمعات المسلمة حين

تعامل الأشخاص مع المؤسسات مثل البنوك وبعض مؤسسات الدولة، وكأن الربا محصور بين الأفراد فيما بينهم، ونسوا أن الفقهاء قسموا الشخصية إلى نوعين: شخصية حقيقية، وهي الفرد الإنسان؛ وشخصية اعتبارية، وهي المؤسسات والشركات. وللشخصية الاعتبارية حكم الشخصية الحقيقية. يضاف إلى هذا ظهور عشرات الصور من الربا المحرم بشكل لم يعهده الناس، خصوصا مع ظهور البنوك والمصارف؛ باعتبارها أكبر مؤسسات مالية.

وهذه بعض الصور المعاصرة للربا المحرم التي يكثر شيوعها واستعمال الناس لها:

أولا- فوائد البنوك

تعد الفائدة على أنواع القروض من أشهر وأكثر أنواع الربا المعاصر تداولا وتعاملا بين الناس، وذلك بأن يضع الإنسان مبلغا من المال في بنك من البنوك ويأخذ عليه فائدة محددة سلفا، مع ضمان رأس المال. وقد أفتت المجامع الفقهية بحرمة الفوائد البنكية واعتبارها من الربا المحرم، فقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف، في مؤتمره الثاني المنعقد في القاهرة في المحرم عام ١٣٨٥هـ الموافق مايو ١٩٦٥م، قرارا، جاء فيه: «الفائدة على أنواع القروض كلها ربا، لا فرق بين ما يسمى بالقرض الإنتاجي، وما يسمى بالقرض الاستهلاكي، لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين».

كما صدر عن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة ١٠-١٦ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢-٢٨ ديسمبر ١٩٨٥م، بعد أن عرضت عليه بحوث مختلفة في التعامل المصرفي المعاصر، قرر أن كل زيادة (أو فائدة) على الدين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة (أو الفائدة) على القرض منذ بداية العقد، هاتان الصورتان ربا محرم.

وكذلك قرار المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته التاسعة، المنعقدة بمبنى الرابطة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦هـ، فقد نظر في موضوع «تفشي المصارف الربوية وتعامل الناس معها، وعدم توافر البدائل عنها». وفي القرار جاء ما يلي: يجب على المسلمين كافة أن ينتهوا عما نهى الله تعالى عنه من التعامل بالربا، أخذا وعطاء، والمعاونة عليه بأي صورة من الصور، حتى لا يحل بهم عذاب الله، وحتى لا يؤذنوا بحرب من الله ورسوله.

وجاء من توصيات المؤتمر الثاني للمصارف الإسلامية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م بالكويت:

«يؤكد المؤتمر أن ما يسمى بالفائدة في اصطلاح الاقتصاديين الغربيين ومن تابعهم، هو من الربا المحرم شرعا».

كما أنه قد خرجت آلاف من الفتاوى من دار الإفتاء المصرية بالقاهرة بتحريم فوائد البنوك واعتبارها ربا محرما منذ سنة إنشائها عام ١٨٧٩م حتى سنة ١٩٨٧م، يعني طيلة تسعين سنة كانت دار الإفتاء المصرية تفتي بأن فوائد البنوك محرمة.

وظلت دار الإفتاء المصرية تفتي بالحرمة منذ عهد الشيخ حسونة النواوي، الذي جمع بين منصبي شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية، ثم الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد خاطر، والشيخ أحمد هريدي، وبكري الصدفي، وعبدالمجيد سليم، وعبدالرحمن قراعة، والشيخ حسنين محمد مخلوف، وحسن مأمون، ومحمد بخيت المطيعي، والشيخ جاد الحق، وعبداللطيف حمزة، وثلاث سنوات من تولي د. محمد سيد طنطاوي كان يفتي بالحرمة أيضا، حتى عدل عن ذلك، وأفتى بالحل، ثم جاء الدكتور نصر فريد واصل، فأفتى بالحل، ثم جاء د. أحمد الطيب، فكان يحكي الخلاف ويترك للسائل أن يتخير المناسب له، ثم جاء د. علي جمعة، فكان يحكي الخلاف، ويضع قواعد للتعامل مع هذا الخلاف، وذلك غالب مدته في الإفتاء، وفي أواخر أيامه صدر عن دار الإفتاء فتوى بالحل صادرة من أمناء الفتوى بالدار، وليست موقعة من المفتي.

ثانيا- التمويل المصرفي للسلع والمشاريع

وصورته أن يذهب العميل إلى البنك الربوي يريد شراء سيارة أو بيت، أو شراء سلع تجارية أو أي شيء آخر، فيموله البنك بالمبلغ المطلوب وفق إرادة طالب التمويل ومشروعه، ويكون البنك غير مالك للسلعة التي يريدها العميل، وإنما يدفع القرض للجهة التي تملك السلعة، ويسدد العميل ما دفعه البنك بالأقساط مع الزيادة.

وذلك لأن البنك لا يمتلك السلعة، فلا تعد هذه المعاملة بيعا، كما أن عمل البنك هو إقراض العميل ثمن السلعة التي يريدها على أن ترد على أقساط، فهي قرض بفوائد، وإن دخلت السلعة بينهما، لكن البنك نفسه لا يمتلك السلعة، وإنما يمتلك المال ويأخذه بزيادة، وهو الربا الذي حرمه الله تعالى في كتابه.



هذا بخلاف ما إذا كان البنك يملك السلعة نفسها، ويبيعها للإنسان ويجري معه عقد بيع بالتقسيط، فتكون المعاملة هنا حلالا، لأنه من سبيل البيع، ولا فرق أن يشتري الإنسان من بنك أو من مؤسسة مادامت الجهة التي تبيع تملك السلعة ملكا حقيقيا، وهذا يختلف باختلاف أنواع البنوك والمصارف، ويختلف حسب قوانين الدولة، فهناك دول تسمح لبعض البنوك بمزاولة الاستثمار باعتبار أنها بنوك غير ربوية، وفرق كبير بين القرض بالربا وبين البيع ولو كان بالتقسيط، وهذا ما بينه القرآن الكريم بقوله سبحانه:

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٢٧٥).

ثالثا- التورق العالمي

وصورته أن يذهب الإنسان إلى البنك يريد مبلغا من المال على سبيل القرض، فيقوم البنك بعمل نمطي يتم فيه ترتيب بيع سلعة من أسواق السلع العالمية، على أن يبيعها بثمن آجل، وينوب البنك عن الإنسان في بيعها على مشتر آخر بثمن حاضر، ثم يسلم ثمن السلعة للمستورق، ويقوم هو بسداد المبلغ على أقساط للبنك.

وقد أفتى بحرمة هذا النوع من المعاملات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته السابعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من ١٩-٢٣/١٠/١٤٢٤هـ التي توافق ١٣-١٧/١٢/٢٠٠٣م، حيث قرر مجلس المجمع عدم جواز التورق الذي سبق توصيفه في التمهيد للأمور الآتية:

إن التزام البائع في عقد التورق بالوكالة في بيع السلعة لمشتر آخر أو ترتيب من يشتريها يجعلها شبيهة بالعينة الممنوعة شرعا، سواء أكان الالتزام مشروطا صراحة أم بحكم العرف والعادة المتبعة.

إن هذه المعاملة تؤدي في كثير من الحالات إلى الإخلال بشروط القبض الشرعي اللازم لصحة المعاملة.

إن واقع هذه المعاملة يقوم على منح تمويل نقدي بزيادة لما سمي بالمستورق

فيها من المصرف في معاملات البيع والشراء التي تجرى منه، والتي هي صورية في معظم أحوالها، هدف البنك من إجرائها أن تعود عليه بزيادة على ما قدم من تمويل.

وهذه المعاملة غير التورق الحقيقي المعروف عند الفقهاء، وقد سبق للمجمع في دورته الخامسة عشرة أن قال بجوازه بمعاملات حقيقية وشروط محددة بينها قراره.. وذلك لما بينهما من فروق عديدة.

فالتورق الحقيقي يقوم على شراء حقيقي لسلعة بثمن آجل تدخل في ملك المشتري ويقبضها قبضا حقيقيا وتقع في ضمانه، ثم يقوم ببيعها هو بثمن حال لحاجته إليه، قد يتمكن من الحصول عليه وقد لا يتمكن، والفرق بين الثمنين الآجل والحال لا يدخل في ملك المصرف الذي طرأ على المعاملة لغرض تبرير الحصول على زيادة لما قدم من تمويل لهذا الشخص بمعاملات صورية في معظم أحوالها، وهذا لا يتوافر في المعاملة المبينة التي تجريها بعض المصارف.

رابعا- بيع الذهب المستعمل بذهب جديد مع دفع فرق الثمن

صورة هذه المعاملة أن تذهب امرأة إلى بائع الذهب ومعها ذهب قديم مستعمل، وتريد شراء ذهب جديد، فتعطيه ذهبها المستعمل، ويحسب ثمنه، ثم تختار من عنده الذهب الجديد، ويخبرها بفرق الثمن، فتدفعه، فهذه المعاملة بهذه الصورة من الربا المحرم، لأنها من باب بيع رديء الجنس الربوي بجيده متفاضلا، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، كما أخرج الشيخان عن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءهم بتمر جنيب (يعني بتمر جيد)، فقال: «أكل تمر خيبر هكذا؟». قال: إنا لنأخذ الصاع بالصاعين، والصاعين بالثلاث. قال: «لا تفعل: بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا». يعني أن النبي ﷺ أمره أن يبيع النوع الرديء أولا، وهو هنا يوازي النوع المستعمل، ثم يقبض ثمنه، ثم يشتري بعد ذلك النوع الجيد أو الجديد.

وقد جاء النهي صريحا عن أن يبيع الإنسان الأموال التي يجري فيها الربا مع فارق الثمن، فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب وزنا بوزن، مثلا بمثل، والفضة بالفضة وزنا بوزن، مثلا بمثل، فمن زاد أو استزاد فهو ربا». وفي رواية قال: «الدينار بالدينار لا فضل بينهما، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما».

خامسا- بيع العملات مع تأخير الدفع

صورة هذه المعاملة أن يريد شخص بيع عملة بعملة أخرى، وأنه يريد أن يحولها إلى شخص آخر في بلد آخر، فيتصل على شخص يعرفه يتاجر في بيع العملات، ويقول له: أريد شراء ألف أو ألفين بعملة كذا، وأرسلها، وسأعطيك ثمنها فيما بعد. ومنها أيضا أن يشتري عملة بعملة أخرى، على أن يدفع له الثمن مقسطا.

وهذه المعاملة من الربا المحرم، لأن بيع العملات يسمى بيع الصرف، وبيع الصرف يشترط فيه عدة شروط حتى يكون صحيحا، منها: التقابض في المجلس، فقد اتفق الفقهاء على أنه يشترط في الصرف تقابض البدلين من الجانبين في المجلس قبل افتراقهما. قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن المتصارفين إذا افترقا قبل أن يتقابضا، أن الصرف فاسد.

ودليل ذلك ما أخرجه مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، سواء بسواء، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم - إذا كان يدا بيد».

وأخرج الشيخان عن أبي المنهال قال: باع شريك لي ورقا بنسيئة إلى الموسم أو إلى الحج، فجاء إلي، فأخبرني، فقلت: هذا أمر لا يصلح. قال: قد بعته في السوق، فلم ينكر ذلك علي أحد، قال: فائت البراء بن عازب، فأتيته، فسألته، فقال: قدم النبي ﷺ، ونحن نبيع هذا البيع، فقال: «ما كان يدا بيد فلا بأس به، وما كان نسيئة فهو ربا».

كما اشترطوا أن يكون عقد الصرف خاليا من الأجل، يعني لابد من تسليم العملتين في الوقت نفسه، سواء كان تسليما حقيقيا بدفع المال يدا بيد، أو تسليما حكميا، بوضعه في حسابه في البنك وما شابه هذا. فلابد في بيع العملات من التقابض والتماثل وعدم التأجيل، وعدم الخيار، بأن يكون البيع ناجزا.

والخلاصة: إن الربا محرم بكل أنواعه، قديمها وحديثها. وحقيقته هو أن يقترض الإنسان مالا من جهة ما في مقابل أن يرد القرض بزيادة. وقد يكون الربا بمعنى البيع مع زيادة أحد العوضين عن الآخر في متحد الجنس، أو البيع مع تأخير قبض العوضين أو قبض أحدهما من غير ذكر أجل، أو البيع بشرط أجل ولو قصيرا في أحد العوضين. فالربا يتعلق بالقرض أو البيع، ولا يتوقف على القرض وحده، وإنما القرض هو إحدى صوره.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

الربا.. حرب الله القاصمة!

في دراسة متخصصة نشرت في صحيفة الإيكونومست البريطانية أخيرا عن الربا، جاء في نص تقريرها عن المرابين «أنهم يأخذون شيئا في مقابل لا شيء، والشعور بالاشمئزاز من الإقراض بفائدة الذي أحسته كل المجتمعات في الماضي، والذي تحسه كثير من المجتمعات اليوم، هذا الشعور مازال بعضه قائما في الغرب» (١).

ولاشك أن هذا الاشمئزاز دليل على كون الربا آفة اجتماعية وأخلاقية لها آثارها الوخيمة حتى في المجتمعات غير الإسلامية التي لا تتقيد بنصوص الوحي المنزه، ومن اللافت أن تلك الآفة قد أخبر بعموم بلواها نبينا ﷺ كلما تقدم الزمان بالناس، حين قال ﷺ: «يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا. قيل له: الناس كلهم؟ قال: من لم يأكله منهم ناله من غباره» (٢).

خطورة الربا وآفاته

والحق أن الإسلام لم يكن أول دين حرم الربا تحريما قاطعا واضحا، فاليهودية والنصرانية كلتاهما حرمتا الربا وأكله، ولاتزال بقية من هذا التحريم في التوراة التي بين أيدينا اليوم؛ ففي سفر التثنية بالإصحاح الثالث والعشرين: «لا تقرض أخاك الإسرائيلي ربا. ربا فضة أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقرض بربا». وكذلك في النصرانية، فقد أجمعت الكنائس على تحريمه، بل لما جاءت حركة الإصلاح في المسيحية لم يكتف زعيمها لوثر بتحريم الفائدة، قلت أو كثرت، بل حرم كل العقود التجارية التي تؤدي إلى الربا حتى بثمن مؤجل إذا كان أكثر من الثمن العاجل (٣).

ولما جاء الإسلام حذر أشد التحذير من التعامل بنظام الربا؛ فقد جعل الله تعالى عقوبته معجلة في الدنيا، فضلا عن الآخرة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة:٢٧٨ و٢٧٩). قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «هذا تهديد شديد ووعيد أكيد، لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار، قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ أي: استيقنوا بحرب من الله ورسوله» (٤).

أما في الآخرة فلمن أكلوا الربا واستحلوه وقالوا للناس إنه مثل البيع؛ فلهم وسم وصفة خاصة بهم يوم القيامة دون غيرهم من الناس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة:٢٧٥)؛ «والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف. وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون، إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين؛ لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم، فلا يقدرون على الإيفاض، ذلك العقاب بسبب قولهم ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾» (٥).

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تشير إلى خطورة الربا والمتعاملين به، وسوء مآلهم، فالربا من السبع الموبقات الكبرى فيما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٦).

فكما أن أكل الربا حرام لذاته لا يحل إلا لضرورة طارئة بيّنها فقهاؤنا استنادا إلى الأدلة الشرعية، فإنه محرم أيضا؛ لبناء اقتصاد سليم تتحقق فيه أوجه المصلحة الفاضلة التي ليس فيها أكل لمال الناس بالباطل، وليس فيه كسب مطلق من غير تعرض لتحمل الخسارة (٧).

وقد كانت المآسي التي نزلت على الأمة جراء استحلال الربا مريعة شديدة الوطأة في العصر الحديث، حيث يرى بعض المؤرخين أن الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي كان نتيجة للربا، «وعندما دخل المسلمون عالم الاقتراض في القرن الماضي (التاسع عشر الميلادي)، كانوا أشبه بقروي ساذج دخل مدينة كبيرة، ووقع فريسة للأشرار الذين يكمنون لأمثاله في كل ركن يمر به، ولايزالون به حتى يجردوه من ملابسه، ولم تكن لديهم أية فكرة عن أن التطور الصناعي الهائل في الغرب كان يقوم على تطور مصرفي، أي على تطور النظم المالية الربوية» (٨).

الغرب والاكتواء بنار الربا

على الجانب الآخر، اكتوى الغرب بنار استحلال الربا تحت مسميات براقة، مثل «التيسير» و«الاستثمار» و«تشجيع الرأسمالية»، وكانت أشد الأزمات الاقتصادية أثرا على العالم، أزمة «الكساد الكبير» في عام ١٩٢٩م في الولايات المتحدة، والأزمة المالية العالمية في العام ٢٠٠٨م، التي بدأت أيضا في الولايات المتحدة.

فأزمة ١٩٢٩م، التي عرفت باسم «الكساد الكبير»، بدأت حين هبطت أسعار الأسهم في سوق المال الأميركية بنسبة ١٣ في المئة، ثم توالت الانهيارات في أسواق المال على نحو ما لبث أن امتدت آثاره بشراسة إلى الجانب الحقيقي للاقتصاد الأميركي، وما تبعه من انهيار في حركة المعاملات الاقتصادية الأميركية، تمثلت مظاهره في انخفاض شديد في الاستهلاك الكلي، وانخفاض الاستثمارات من جانب القطاع الإنتاجي، وارتفاع معدلات البطالة التي وصلت إلى ثلث قوة العمل الأميركية بحلول العام ١٩٣٢م (٩).

ولعل أشهر من حلل أسباب الأزمات الاقتصادية العالمية -ومنها أزمة ١٩٢٩م ويعتمد عليه الاقتصاديون كذلك في تحليل أزمة ٢٠٠٨م حيث توقع حدوثها منذ أكثر من ٤٠ سنة مضت- أستاذ الاقتصاد الأميركي الراحل هايمان مينسكي، الذي يرى أن النظام الرأسمالي يولد صدمات داخلية تسبب الأزمة، وتعود إلى عدم الاستقرار المتأصل في الرأسمالية المالية، وأن الآلية الرئيسية التي تدفع الاقتصاد إلى أزمة لا مفر منها هي تفشي المضاربات وتراكم ديون القطاع الخاص (مستثمرون، بنوك، شركات). ويوضح مينسكي أنه في أوقات الازدهار، حيث تزيد التدفقات النقدية للشركات على الكمية المطلوبة لسداد ديونها، تزداد الرغبة في تحمل مخاطر المضاربة، وتبدأ معدلات المضاربة في الازدياد، وعندما تتجاوز الديون قدرة المدينين على السداد (خصوصا في فترات التقنين المالي)، مما يؤدي بدوره إلى حدوث الأزمة. هذا التحرك البطيء نسبيا للنظام المالي من الاستقرار إلى الهشاشة المتبوع بانهيار مفاجئ، يعرف بما يسمى «لحظة مينسكي» (١٠).

ولاشك أن تحليل مينسكي جدير بالتأمل، ويتوافق مع النظرة الإسلامية لخطورة الربا ومآلاته على الأفراد والمجتمعات والدول، خصوصا في عصرنا الحديث، حيث الشركات والبنوك العابرة القارات، وأثر الأزمات الاقتصادية على دول العالم أجمع، ولعل آثار الأزمة المالية العالمية لاتزال مخيمة على دول عدة، مثل اليونان، حتى يومنا هذا.

لأجل هذا بدأت تتصاعد أصوات في الغرب للاعتماد بصورة أكثر على النظام المالي الإسلامي؛ الذي يحارب الربا، ويقف ضد عمليات المضاربة الوهمية وآثارها الاقتصادية الخطيرة، وللاستفادة أكثر برؤوس الأموال الإسلامية، بل هناك دراسات أكاديمية مهمة بدأت تترسخ في هذا المجال (١١)، وشرعت بالفعل عدة دول أوروبية في اعتماد عدد من الأنظمة المالية الإسلامية، ومنها بريطانيا التي أقرت نظام «الصكوك الإسلامية» أخيرا؛ آملة بهذا الإجراء أن تكون «عاصمة التمويل الإسلامي» في أوروبا؛ كل هذا نتيجة لما يراه عقلاء الغرب في واقعية وسلامة والآثار الإيجابية للنظام المالي الإسلامي (١٢).

الهوامش

١- محمد محمد عتريس: لماذا يدرس الغرب تطبيق النظام المالي الإسلامي؟ مقال بموقع الألوكة، بتاريخ ٢٠١٥/٨/٧م.

٢- مسند الإمام أحمد، ٤٩٤/٢، ح (١٠٤١٥).

٣- محمد أبوزهرة: بحوث في الربا، دار الفكر العربي – القاهرة، د.ت، ص٤.

٤- تفسير ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٧١٦/١.

٥- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة – بيروت، ١٤٠٧هـ، ٣٢٠/١.

٦- صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب «قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ (النساء:١٠)، تحقيق البغا، دار ابن كثير، ح(٢٦١٥).

٧- محمد أبوزهرة: تحريم الربا تنظيم اقتصادي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية – جدة، ١٩٨٥م، ص٦٥ و٦٦.

٨- حسين مؤنس: الربا وخراب الدنيا، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثالثة – القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣٣.

٩- عبدالله شحاتة: الأزمة المالية: المفهوم والأسباب، ص١-٨، موقع موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي، على الرابط: http://iefpedia.com/arab.

١٠- أحمد مهدي بلوافي: «هايمان مينسكي: ماذا يمكن أن يستفيد الاقتصاديون المسلمون من أفكاره؟»، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٠١١م، ١٠٣/٢٤- ١١٣.

١١- Rondy Wilson، «Islamic Finance in Europe»، in Robert Schuman for center Advanced studies، European University Institute، Italy، ٢٠٠٧، pp ٢-١٩.

١٢- محمد أمين: «لندن عاصمة للتمويل الإسلامي»، موقع الجزيرة نت، ٣ نوفمبر ٢٠١٤م.

القاهرة - عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

علماء يحددون بدائلها الشرعية

الربا.. حرب الإله



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (البقرة:٢٧٨) بهذا النهي الصريح أمر الله -عز وجل- عباده بتحقيق التقوى والامتناع التام عن المعاملات الربوية، وتوعد -سبحانه- من لا يمتثلون لأمره قائلا: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ (البقرة:٢٧٩). ومع ذلك، لم يوصد الباب أمام من يتوب عن هذه الكبيرة، قائلا: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٧٩).

والربا حرب من الله معلنة على المتعاملين بها، وآفة استشرت في المجتمعات فأهلكت الحرث والنسل، وأثقلتها بديون تنوء بها الأجيال القادمة.. «الوعي الإسلامي» تستعرض مع عدد من العلماء هذه الآفة والبدائل التي يمكن اتباعها، فإلى التفاصيل:

نبدأ مع أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة في جامعة الأزهر، د. عبدالفتاح إدريس، الذي أوضح أن الربا في اللغة: هو الزيادة. وفي الشرع: زيادة لمتعاقد خالية عما يقابلها من العوض.

وأضاف: «الربا نوعان: ربا الديون، وهو الذي حرمه القرآن صراحة، ويعني زيادة في الدين مقابل الزيادة في الأجل. والنوع الثاني ربا البيوع، الذي يكون في بيع الأموال الربوية بعضها ببعض؛ والأموال الربوية التي وردت صراحة عددها (٦)،

وهي: الذهب والفضة والبر والتمر والملح والشعير. وذكرت في أكثر من حديث؛ منها: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح، مثلا بمثل، سواء بسواء، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد» (أخرجه مسلم)».

(٦) شروط للتوبة من الربا

وتابع د. إدريس قائلا: «هناك نوعان لربا البيوع: الأول «الفضل»، ويكون بزيادة أحد العوضين عند بيع مال ربوي بمال ربوي مثله؛ مثل بيع الذهب بالذهب، فلا يجوز بيع الذهب بالذهب إلا متماثلا، قال رسول الله ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الفضة بالفضة ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا مثلا بمثل، سواء بسواء، عينا بعين». وعن أبي سعيد قال: كنا نرزق تمر الجمع على عهد رسول الله ﷺ وهو الخلط من التمر؛ فكنا نبيع صاعين بصاع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لا صاعي تمر بصاع ولا صاعي حنطة بصاع ولا درهم بدرهمين».

أما النوع الثاني فيسمى ربا النسيئة، ويعني تأخر قبض أحد العوضين في بيع الأموال الربوية إذا كانت متحدة في العلة؛ فإذا بيع مال ربوي بغير جنسه -كأن يباع ذهب بفضة أو العكس، أو أن تباع عملة بعملة أخرى- فيجوز فيها التفاضل؛ أي الزيادة والنقص لاختلاف الجنس، لكن لا يجوز تأخير قبض أحد العوضين؛ بل لا بد من التقابض في مجلس العقد.

وأضاف: «ما سبق اتفق عليه غالبية علماء أهل السنة والجماعة، أما بخصوص أزمة كل عام عن فوائد البنوك التجارية، فهي ربا محرمة بالإجماع، وارجعوا إلى فتاوى مجامع البحوث الإسلامية والمجامع الفقهية وجامعة الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والمجمع الفقهي الدولي».

ووجه نصيحة للمتعاملين بالربا قائلا: ضعوا نصب أعينكم حديث رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا فعل به».

وأشار د. إدريس إلى هناك (٦) شروط للتوبة من الربا، وهي (٥) من التوبة تبدأ بالإخلاص؛ بأن يقصد بتوبته وجه الله، ثم الإقلاع عن الذنب، والثالث الندم على فعله، والرابع العزم على عدم الرجوع إليه، والخامس أن تكون التوبة قبل السكرات، أما السادس فتسديد رأس المال فقط وترك الزيادة المحرمة. يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٧٩).

أضرار الربا

بدوره، يوضح أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة المنصورة، د. محمد عبدالقادر، أن هناك أضرارا مباشرة للربا على المجتمع واقتصاده وأخلاق أجياله؛ منها خلق الطبقية في المجتمع وتأسيس تفاوت الدرجات بين الفقراء والأغنياء، كما تربي الشباب على حب الكسب السريع دون عناء أو مجهود، وأكل أموال الغير بدم بارد، مشيرا إلى أن المرابي دائما ما يغرق في الديون؛ لأن الله لا يبارك في المال الحرام، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قل».

وأضاف أن اقتصاد الدول الإسلامية يعاني الآن من الديون الداخلية والخارجية، فضلا عن الفوائد التي تتراكم عليه، وهذا يثبت أن المال الحرام والتعامل بالربا على نطاق أوسع وبمرور الوقت يؤدي إلى انهيار الدول وتصبح الدول الكبرى تتحكم في الصغرى؛ بل يصبح وسيلة للاحتلال، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ (البقرة:٢٧٥ و٢٧٦).

وأشار إلى أن انتشار التعامل بالربا بين الناس يقلل، بل يمحو انتشار فضائل الإقراض والعفو والتسامح، ويعلي سلطة الأغنياء على الفقراء ليتحكموا في مصائرهم، وقد حثنا الله تعالى على البر والتقوى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢). وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وقال: «اختار رسول الله ﷺ كلمة موبقة -أي مهلكة للمجتمع- في وصف حال المجتمع بعد الربا، وربطه بالشرك والقتل». قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

أضرار أخرى

في السياق ذاته، يقول أستاذ الاقتصاد

بكلية التجارة جامعة الأزهر د. حسين شحاتة، إن للمال في حياة المسلم ثلاث مراحل؛ منبعه الاكتساب ومصبه الإنفاق ومجراه ما بين ذلك، وهي فترة تملك الإنسان له، والعبد يحاسب على كل مرحلة من هذه المراحل، مشيرا إلى أن من أعظم فتن المال اكتسابه من حرام، وطرق الحرام كثيرة ومتعددة؛ أعظمها الربا، والمتابع لاقتصاد الدول العربية والإسلامية يلاحظ انتشار المعاملات المحرمة، وعلى رأسها الربا.

وأكد أن للربا أضرارا نفسية وخلقية واجتماعية واقتصادية وسياسية؛ منها أن من يتعامل بالربا عاص، خرج من رحمة الله، ويسيطر عليه حب المادة والدنيا والتجرد من الروحانية ونسيان ربه الذي أنعم عليه بهذا المال.

وأشار إلى أن التعامل بالربا يؤدي إلى التجرد من القيم الإنسانية والأخلاق السامية؛ فالمرابي يعبد المال وقد تعود على الجشع والشراهة والبخل، وقلبه أشد قسوة من الحجارة. كما أن النظام الربوي يحطم نظام التكافل الاجتماعي بين المسلمين، ويساعد على نشر الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع، ويزداد الغني غنى والفقير فقرا.

وتابع: «يؤدي النظام الربوي إلى ارتفاع نفقات إنتاج مستلزمات الحياة من السلع والخدمات، وهذا بدوره يؤدي إلى ارتفاع الأسعار؛ لأن التجار والصناع يضيفون فائدة القروض إلى الأثمان، وبذلك يتحمل المستهلك الفائدة الربوية في السعر الذي يدفعه».

وأشار إلى أن الفائدة الربوية تؤدي إلى عرقلة انسياب الأموال في الأسواق المالية، ثم اتجاهها نحو المشاريع الاقتصادية التي تحقق عائدا أعلى من الفائدة التي غالبا لا تفيد المجتمع؛ بل تساعد على فساده، فضلا عن وقوع الدول الفقيرة تحت سيطرة الدول الغنية بسبب تراكم فوائد القروض، ويقود هذا إلى الاستعمار العسكري والاقتصادي والفكري.

ويضيف شحاتة: «هناك صور جديدة للربا يجهلها العامة منها: أولا - تجديد الكمبيالات المستحقة بأعلى من قيمتها الأصلية نظير زيادة الأجل. ثانيا - تأجيل الديون المستحقة مع الزيادة؛ فأحيانا يتأخر المدين عن سداد الدين المستحق عليه ويشترط الدائن زيادة قيمة الدين نظير زيادة الأجل، فهذه الزيادة تعتبر من قبيل الربا، ويطلق على هذا في الزمن المعاصر «جدولة الدين». ثالثا - القروض المشروطة بحصول الدائن على منفعة، فهذه المنفعة تعتبر من قبيل الربا (أساس ذلك القاعدة الشرعية)، ويطلق فقهاء المسلمين على هذه المنفعة اسم «الربا المتقوم». رابعا - الزيادة في الدين الذي في ذمة المشتري ثمنا لسلع أو خدمات عندما يتأخر عن السداد في الميعاد المحدد؛ فهذه الزيادة مقابل التأخير تعتبر ربا. خامسا - الاقتراض من البنوك أو من بيوت المال وما في حكمها بفائدة ثابتة مشروطة سلفا؛ سواء استخدم القرض في مجال الاستثمار أو في مجال الاستهلاك أو في أي غرض آخر. سادسا - الفوائد الثابتة على الودائع المختلفة لدى البنوك، سواء أكانت ودائع جارية أو لأجل محدد؛ لأن الوديعة بفائدة تشبه القرض بفائدة. سابعا - فوائد السندات على اختلاف أنواعها تعتبر من قبيل الربا؛ لأن السند يعتبر بمنزلة قرض بفائدة ثابتة. ثامنا - صناديق التوفير تعتبر ربا لأنها مثل الفوائد على القروض أو الودائع سواء بسواء. تاسعا - بوالص التأمين التجاري وعلى الحياة وما في حكمها؛ حيث تتضمن معاملات ربوية، فمن المعرف أن شركات التأمين تستثمر هذه الأموال ربويا، كما أنه يدخل في حساب أقساط التأمين على الحياة الفائدة الربوية. عاشرا - الفائدة على قيمة الاعتماد المستندي المغطى من البنك؛ فهذه الفائدة لا تخرج عن كونها فائدة على قرض».

دول غير إسلامية تمنع الفائدة

إلى ذلك، يقول خبير الاقتصاد الإسلامي والأستاذ بكلية التجارة جامعة القاهرة د. سعيد عبدالحي: «لا نستطيع أن نثبت وجود دول في العالم تركت التعامل بالربا؛ حيث استشرت هذه الآفة وأصبحت مقننة؛ بل أصبح هناك ما يسمى الربا الإسلامي».

وأوضح أن جميع الدول الإسلامية والعربية فيها بنوك ربوية أو تعاملات يشوبها المال الحرام، ولتهرب بعض الدول من ذلك اخترعت ما يسمى «البنوك الإسلامية» التي يشوب بعض تعاملاتها شبهات كثيرة.

وأضاف: «أخذت دول غير إسلامية من بعض الضوابط الشرعية الإسلامية في التعامل مع المال؛ فهناك من ثبت سعر الفائدة عند صفر؛ مثل اليابان التي ثبتت اقتصادها نسبيا منذ أواخر التسعينيات، وكذلك بعض دول شرق آسيا منها ما تعامل بالفائدة السلبية. وقد قرر البنك المركزي الأوروبي في مطلع ٢٠١٦م «خفض سعر الفائدة الرئيسي إلى الصفر لتعزيز اقتصاد منطقة اليورو»، كما أعلن عن خفض سعر إعادة التمويل (سعر الفائدة الرئيسي) من ٠,٠٥ في المئة إلى الصفر، وقرر التوسع في برنامج التيسير الكمي عن طريق شراء السندات ليصل إلى ٨٠ مليار يورو (٨٩ مليار دولار) شهريا من ستين مليار يورو (٦٧ مليار دولار) شهريا».

وأوضح أن تتابع «تخفيض الفائدة»، ضمن خطة أعلنها البنك في مارس ٢٠١٥م لضخ ما يزيد على تريليون يورو حتى سبتمبر ٢٠١٦م تسمى «التيسير الكمي»، وتعمل على وصول سعر الفائدة إلى صفر، وقادتها دول الصين واليابان وبريطانيا وبعض دول الاتحاد الأوروبي.

وتابع: «الدول العربية فيها نسب فائدة تصل إلى المتوسطة. ومن الدول الأوروبية التي ترتفع فيها سعر الفائدة أوكرانيا وتصل إلى ٣٠ في المئة وروسيا البيضاء بـ٢٥ في المئة».

وأشار عبدالحي إلى أن هناك نصائح عدة لعدم الوقوع في «آفة الربا»، منها للعامة؛ وتبدأ باستحضار عظمة الله ووعيده وحربه المعلنة في آيات كثيرة في كتاب الله والأحاديث أيضا، وتؤكد طرد المتعاملين بالربا من رحمة الله، واعتبار الربا من الموبقات التي تضر المجتمع ككل، فضلا عن الإيمان الصادق بأن الله هو الرازق وأن المال الحرام لا يدوم، وأن الله يحارب صاحبه، بالإضافة إلى عدم اتباع الشبهات وسؤال أهل العلم عن كل معاملة مالية توجد فيها شبهة للوصول إلى الرأي الشرعي.

وأضاف: «علينا العمل على دعم البنوك الإسلامية الخالية من الشبهات، وأن تجعلها مواكبة للعصر، مع الحفاظ على الضوابط الشرعية، وكذلك تيسير القروض حتى لا تجبر الظروف أحدا على التحول إلى البنوك الربوية والعودة إلى القروض الخالية من الفوائد لمساعدة المسلمين على الزواج والعلاج والتعليم».

وقال: «من التعاملات المالية الجائزة في الإسلام «الإجارة والمرابحة والمشاركة والتورق والقروض الميسرة»؛ وكلها تغني عن الربا وفوائده.

وعلى وسائل الإعلام أن تقوم بدورها في تحذير الناس من المال الحرام، وكذلك صوره وأنواعه الحديثة؛ حتى لا يقعوا فيها، ويمكن ذلك من خلال حملات إعلانية قوية.

بدائل الربا

بدوره، يوضح د. خالد البصير، خبير اقتصاد إسلامي، أن الربا هدم للمجتمعات الإسلامية، وإعانة على انتشار الفساد والظلم، وسبب لمحق البركة.

وأضاف: «للربا بدائل كثيرة موجودة في الفقه الإسلامي؛ منها «المضاربة»، وهي أن يتفق شخصان على أن يكون المال من أحدهما والعمل على الآخر، وما رزق الله فهو بينهما على ما اشترطا.

أيضا هناك «المرابحة»، وتعني البيع برأس المال وزيادة ربح معلوم للمشتري، وصورته بأن يقول: «قيمته كذا فأربحك عليه كذلك». أيضا «بيع السلم»، وهو اسم لعقد يوجب الملك في الثمن عاجلا وفي المثمن آجلا، فالمبيع يسمى ثمنا فيه، والثمن رأس المال، والبائع يسمى مسلما إليه، والمشتري رب السلم».

وتابع: «من الصور أيضا «البيع بالتقسيط»، بأن يبيع الرجل السلعة المدفوعة الثمن بسعر مؤجل أو مقسط بسعر أعلى، وكذلك «المزارعة» وهي دفع الأرض لمن يزرعها أو يعمل فيها والزرع بينهما».

وأضاف: «والمصانعة أيضا من الصور المشروعة وتغني عن اللجوء إلى المعاملات الربوية، وهي شراء ما يصنع وفقا للطلب، أو العقد على شراء ما يصنعه الصانع ويكون العين والعمل من الصانع».

ودعا البصير الحكومات إلى ترشيد الإنفاق، ووضع أولويات خدمة الناس، وتطبيق نظام الضريبة التصاعدية على الأغنياء، وإنشاء هيئة لتحصيل الزكاة، وتفعيل دور البنوك الإسلامية.

معاملات مستحدثة

يرى عضو هيئة كبار علماء الأزهر د. عبدالرحمن العدوي، أن استثمار الأموال في البنوك التي تحدد الربح مقدما جائز، مشيرا إلى فتوى مجمع البحوث الإسلامية في عام ٢٠٠٢م بأنه إذا حددت البنوك للمتعاملين معها هذه الأرباح أو العوائد مقدما إنما تحددها بعد دراسة دقيقة لأحوال الأسواق العالمية والمحلية وللأوضاع الاقتصادية في المجتمع ولظروف كل معاملة ولنوعها ولمتوسط أرباحها، وهذا التحديد قابل للزيادة والنقصان.

وجاء في الفتوى: «ومن فوائد هذا التحديد، لاسيما في زماننا هذا الذي كثر فيه الانحراف عن الحق والصدق، أن فيه منفعة لصاحب المال ومنفعة أيضا للقائمين على إدارة هذه البنوك المستثمرة للأموال؛ فيه منفعة لصاحب المال لأنه يعرفه حقه معرفة خالية من الجهالة، وبمقتضى هذه المعرفة ينظم حياته. وفيه منفعة للقائمين على إدارة هذه البنوك؛ لأن هذا التحديد يجعلهم يجتهدون في عملهم وفي نشاطهم حتى يحققوا ما يزيد على الربح الذي حددوه لصاحب المال، وحتى يكون الفائض بعد صرفهم الحقوق لأصحاب الأموال حقا خالصا لهم في مقابل جدهم ونشاطهم».

وتابعت الفتوى: «قد يقال إن البنوك قد تخسر، فكيف تحدد هذه البنوك للمستثمرين أموالهم عندها الأرباح مقدما؟ والجواب: إذا خسرت البنوك في صفقة ما فإنها تربح في صفقات أخرى، وبذلك تغطي الأرباح الخسائر، ومع ذلك فإنه في حالة حدوث خسارة فإن الأمر مرده إلى القضاء».

وأشارت إلى أن الخلاصة في أمر تحديد الربح مقدما للذين يستثمرون أموالهم عن طريق الوكالة الاستثمارية في البنوك أو غيرها، حلال ولا شبهة في هذه المعاملة؛ فهي من قبيل المصالح المرسلة وليست من العقائد أو العبادات التي لا يجوز التغيير أو التبديل فيها. وبناء على ما سبق، فإن استثمار الأموال لدى البنوك التي تحدد الربح أو العائد مقدما حلال شرعا ولا بأس به.

واعتبر العدوي أن المعاملات البنكية من قبيل المعاملات المستحدثة التي لا تخضع إلى أي نوع من العقود المسماة، وهي معاملات نافعة للأفراد وللمجتمع وليس فيها استغلال أو غش أو خداع أو ظلم.



د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

آفة العصر الربا

الإسـلام دين عظيم يختار للإنسان ما فيه خيـره، وحينما يحـرم شيئا يكون لأسبـاب منطقية لمصلحة البشر، وقد أحل الله البيع وحـرم الـربا، وسيتضح تاليا بعض فوائد تحريمه. والربا تعني الزيادة والمضاعفة.

والربا نوعان:

ربا النسيئة: وهي الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل، وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع. وهي الربا الجلي (الواضح)، وهي التي كانوا يفعلونها في الجاهلية، فعندما يأتي السداد يقول له: تقضي أم تربي؟ وكلما أخره زاد في المال المقترض حتى تصير المائة آلافا.

وربـا الفـضل: وهـي بيع النـقد بالنقد والطـعام بالطعام مع الـزيـادة في أحد البدلين. فتحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإني أخاف عليكم الرماء» والرماء هو الربا؛ فمنعهم من ربا الفضل لما يخافه عليهم من ربا النسيئة وهـي من صـور الـربـا الخفي، فيأتي على الناس زمان لا يسلم فيه أحد من الربا إلا من رحم ربي.

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قـالـوا: يـا رسـول الـلـه ومـا هـن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الـربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». (صحيح البخاري).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه». (رواه مسلم).

من عواقب الربا:

حرم الله تعالى الربا وتوعد وعيدا كبيرا لآكلها، وذكر عواقب خطيرة يوم القيامة لمن تعامل بها:

● **التخبط يوم البعث:**

فالمتعـامل بـالـربـا يقـوم يـوم القيامة يتخبط مـن قبـره كـالـذي أصيـب بمس مـن الشيطان، أو الجنـون، أو الصرع، فلا يدري أين يتجه ولا كيف يسير على نفسه، قال الله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾، وهـل هنـاك أصعـب من هذا الموقف والمصير يوم الحساب؟

• **المحق للمال والبركة:**
وقد توعد الله تعالى الربا بمحقها وهي هلاكها واستئصالها عن بكرة أبيها، ليس الربا فقط بل ورأس المال الذي استحق عليها الربا، فيذهب المال ولا ينتفع به ولا يستمتع به، وكم سمعنا عن قصص لأناس أخذوا قروضا ربوية حتى وصل بهم الحال لإعلان إفلاسهم! فمحقت أموالهم محقا وأكلت الربا الأخضر واليابس، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦: البقرة).

• **الحرب من الله تعالى:**
هدد الله تعالى بغضب شديد لمن يتعامل بالربا ويتحدى الله في ذلك، وفي تجاوز حدوده كأنه يحارب الله تعالى ومنهجه وشرعه القويم؛ ولذا توعد الله تعالى المرابي بحرب شديدة قد تأكل ماله أو صحته أو سمعته أو ولده وأغلى ما يملك، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة:٢٧٨- ٢٧٩). وهل أهلك الله تعالى قوم شعيب إلا لأنهم كانوا يطففون الميزان والمكيال ويحتالون على الناس، ولا يراعون حقوقهم وحاجاتهم. وقد لعن النبي ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: «ما ظهر الزنى والربا في قرية إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله».

• الخلود في النار:
نهى الله تعالى عن التعامل بالربا، وفتح باب التوبة منه وعدم العودة إليه، كما يتضح من الآية التالية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولكنه توعد بالخلود في النار لمن عاد إلى التعامل بالربا ولم يتب في أول مرة توبة نصوحا، بل عاد تهاونا وكفرا واجتراء على شرع الله تعالى، فاستحق العقوبة من الله تعالى بالخلود في النار، وهي أصعب عقوبة أو عاقبة يصل إليها الإنسان، فأمر التعامل بالربا جد خطير ولا يمكن التهاون به أبدا كما يحدث اليوم، حين يقول أحدهم لا خيار أمامي غير أخذ قرض ربوي!

لماذا الربا ضار ومحرم؟

قد يعتقد الإنسان للوهلة الأولى أن الربا أمر بسيط وبه مساعدة للمحتاج لسد حاجته وديونه، ولكن عند المراقبة والتحليل لما يحدث في أرض الواقع تكتشف أضرار الربا الجسيمة على الفرد والمجتمع: والتي منها:

• انتشار البطالة:
فأصحاب الأموال يفضلون الحصول على الأموال بالربا، ويفضلون ذلك أكثر من استثمارها في إقامة مشروعات صناعية أو زراعية أو تجارية، ما يقلل من فرص العمل، فتنتشر البطالة، وهذا ما يحدث في المجتمعات التي يسودها التعامل الربوي، ولذا نجد الدول الغربية أضحت تعاني من مشكلة البطالة رغم تقدمها العلمي والتقني والصناعي. ويؤثر إعراض الناس عن استثمار أموالهم في المشروعات المختلفة على نمو رأس مال المجتمع.

• الربا يقلل إنشاء المشروعات المنتجة:
الربا يعني أن المال يولّد المال من دون الدخول في الأعمال الإنتاجية أو الاستثمارية، فالمرابي يبحث عن الربح دونما تعب أو عمل، بل بإقراض ماله وانتظار العوائد الربوية كما تفعل البنوك وملاكها، ما يعني تعطيل جهود فئة كبيرة من المجتمع، وبالمقابل فإن العمل ينتج المال، ما يعني أن صاحب العمل استفاد وكذلك المجتمع استفاد من خلال ما ينتج، فإذا طرحت هذه المواد أو المنتجات والخدمات انخفضت الأسعار، لأن توافر المواد يخفض سعرها، وإذا انخفض السعر اتسعت شريحة المستفيدين وبالتالي يعم الرخاء، أما إذا ارتفعت الأسعار فالبضائع تتكدس في المستودعات مما يؤدي إلى انخفاض الإنتاج، والاستغناء عن العمال فتزداد البطالة.

يقول الرازي: (حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا كان أو نسيئة، خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والعمارات) (تفسير الرازي ص: ٨٧).

• الطبقية في المجتمع:
فمن خلال انتشار الربا ينقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة تملك المال وترابي به ولا تعمل (عاطلة عن العمل وهي طبقة المرابين) وتستغل حاجة الطبقات الأخرى وأفراد المجتمع وعامة الشعب، وهي الطبقة الثرية المترفة في المجتمع القائم على الرأسمالية والربا، وطبقة تعمل ليل نهار ولا تملك المال، وتبذل كل جهدها ولا يكفيها قوت يومها، وهي غالبية المجتمع.

فالمجتمع الذي يتعامل بالربا يصبح مجتمعا مفككا، لا يتساعد أفراده فيما بينهم، تعمه الطبقية، فالطبقات الغنية هي المسيطرة والمتحكمة وهي قليلة، بينما غالبية المجتمع من الطبقات المعدمة، فتتوسع الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا مجتمع لا استتباب لأمنه، مائل إلى التفكك والمعاناة الاجتماعية والاقتصادية. والمرابي فيه طبع على البخل، وضيق اليد، وتحجر القلب، والعبودية للمال، والتكالب على المادة والدنيا.

● غلاء الأسعار وحدوث التضخم:
ما يحدث في العالم اليوم من غلاء الأسعار، يرجع سببه في أغلبه إلى النظام الربوي السائد اليوم، فصاحب المال لا يقبل أن يبيع سلعته أو الشيء الذي أنتجه إلا بربح أكثر من نسبة الربا، لئلا يقع في الخسارة، فلا بد أن تكون نسبة الربح أكثر من نسبة الفائدة ليقدر على سدادها، وكلما زادت نسبة الربا غلت الأسعار. وإذا كان المنتج أو التاجر ممن يقترض بالربا، فلابد له من رفع أسعار منتجاته وسلعته حيث سيضيف إلى نفقاته ما يدفعه ربا، فمثلا يلزمه أن تكون نسبة الربح أكثر من (٢٠٪) إذا كان سعر الفائدة الخالص (٥ ٪)، ولا يقف الأمر عند غلاء الأسعار، بل يحدث اضطراب في حياة الناس حيث لا يتمكنون من شراء حاجاتهم الأساسية بسبب غلاء الأسعار.

وهنا يحدث التضخم في البلد وهو اتجاه صعودي في الأثمان بسبب وجود طلب زائد أو مرتفع، فالمرابي بما يقرضه من فائدة مرتفعة (كبعض البنوك) يجبر أصحاب السلع والخدمات على رفع أثمان هذه السلع والخدمات، فتتكدس السلع وتزداد البطالة ويزيد العرض على الطلب وتحدث البطالة والتضخم، ولا شك أن التضخم يسيء إلى الناس كثيرا وخاصة أصحاب الدخول النقدية المحدودة والثابتة كالموظفين والعمال، فتنخفض دخولهم الحقيقية، فتحدث المشاكل والأزمات الاقتصادية في المجتمع، ويعاني الناس من سوء في الأوضاع المالية، وتصبح الحكومات تتجه لسياسات التقشف وزيادة القروض الدولية، ما يزيد من الفوائد الربوية وتفاقم المشكلات بدلا من حلها.

● الركود والكساد العالمي والمحلي:
عندما ترتفع أثمان الأشياء ارتفاعا كبيرا فإن الناس يقل إقبالهم على السلع والخدمات المرتفعة الأثمان، إما لعدم قدرتهم على دفع أثمانها، أو لأنها ترهق ميزانيتهم، وإذا امتنع الناس عن الشراء كسدت البضائع في المخازن والأسواق، وعندها تقوم المصانع بتقليل إنتاجها لخوف الخسائر، وقد تتوقف عنه والاستغناء عن جزء كبير من موظفيها لتخفيض نفقاتها، أو قد تستغني عن جميع عمالها وموظفيها إذا توقف الإنتاج كما حدث للكثير من شركات السيارات في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٨م، وإذا علم المرابون بما يصيب السوق من زعزعة فإنهم يقبضون أيديهم، ويسحبون أموالهم فورا من البنوك والشركات، فعند ذلك تكون الهزات الاقتصادية.

وعلى سبيل المثال أظهرت إحصاءات رسمية أذيعت في بون في ألمانيا أن عددا قياسيا من شركات ألمانيا الغربية قد أفلست وأغلقت في عام ١٩٨٢م بسبب الكساد والركود الاقتصادي وأسعار الفائدة المرتفعة ونقص رأس المال الاستثماري. فالربا يحدث خللا في الجانب الاقتصادي، وما حدث في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٨م هو بنفس الطريقة لما حدث في ألمانيا وغيرها.

● استثمار المال فيما حرمه الله تعالى:
المشكلة أن المرابي يبحث عن الربح الأكثر وعمن يوفر له الربح الوفير دونما تعب أو دونما تفكير في نوعية المشاريع التي تدر عليه المال، فهو منذ البداية لا يخاف الله ولا يضع المنهج الديني شريكا له في حياته، فهو لا يتقي الله ولا يبحث عن مشروعات مفيدة للمجتمع ليستثمر ماله فيها، بل هو يوظف ماله في المشروعات الأكثر إدرارا للربح، فتجده مثلا يستثمر أمواله في المشاريع الفاسدة أخلاقيا كنوادي القمار والعهر والفسق، لأنها قد تعطي فوائد أكثر من المشروعات الصناعية والتجارية، وهذا ما يحدث فعلا في المجتمعات الغربية.

● تعطيل أموال المسلمين:
نتيجة لوضعها في أيدي أعدائهم، وهو من أخطر ما أصيب به المسلمون، حيث أودعوا أموالهم في البنوك الربوية في دول الغرب، فجرد المسلمون من أموالهم والاستفادة منها، فاستفادوا منها وطوروا دولهم وعاشوا الرفاهية الاقتصادية، وعانى غيرهم الفقر والعوز، خاصة مع تعطيل فريضة الزكاة والاعتماد على العوائد الربوية من تلك الودائع البنكية في بنوك الدول الأجنبية.

دول خرجت من بوتقة الربا:
هناك دول كدول شرق آسيا مثل الصين وسنغفورة وإندونسيا وماليزيا، رفضت التعامل بالقروض الربوية على مستوى الدولة، ولم تأخذ قروضا من صندوق النقد الدولي وغيره، وأوجدت لها طرقا بديلة، كالتعامل مع البنوك الإسلامية وبالطرق الإسلامية المباحة، وحتى الصين الأكبر من حيث عدد السكان اعتمدت على الاستثمارات الكبيرة والصناعة، فاعتمدت على نفسها وليس على القروض والعوائد الربوية، فنجحت الصين في ذلك، فالربا عندها محرم بالرغم من أنها دولة غير مسلمة لكنها أدركت كيف أن للقروض الربوية عواقب وخيمة على الدول والأفراد. وفي المقابل انهار أو تدهور اقتصاد بعض الدول كبرى في عام ٢٠٠٨م، وبعض دول أوروبا نتيجة لارتفاع نسبة الفائدة والفوائد الربوية التي عجزت عن تسديدها، فاتجهت بعض هذه الدول لتبني الطرق الإسلامية في التمويل والاستثمار بعد نجاحها في بعض الدول العربية والإسلامية.

ولا حل اليوم سوى بالرجوع لأحكام ومنهج الدين الإسلامي القويم، والتخلص من الربا والعودة لدفع الزكاة، وتخصيص جهات معينة تعين على تحصيل أموال الزكاة وصرفها في مصارفها، وتشجيع الاستثمار للأموال في المشاريع الاستثمارية والصناعية، وتشجيع التأمين التعاوني والجمعيات التعاونية الخيرية. ولابد من أسلمة الاقتصاد، والتخلص من الربا في جميع مؤسساتنا العامة والخاصة، وإيجاد الحلول والبدائل الشرعية الناجحة والمربحة التي تغني عن الاستمرار على الربا واستمرائه، وتوجيه المؤسسات المالية المختصة، كمؤسسات النقد، وهيئات سوق المال للعمل بالصيغ الشرعية، ولابد من الاستفادة من تجارب الدول التي خرجت من بوتقة البنوك الربوية وتحكمها، فالحل دوما في منهج الله وفي تقواه.



السنوسي محمد
باحث في الدراسات الإسلامية

العمل الخيري مرآة للمجتمع القوي

تتأسس النهضة الحضارية المنشودة - كما يدلنا تأمل مسارنا التاريخي، وواقع الأمم من حولنا - على عدد من القيم والمعاني التي يجب ترسيخها وإشاعتها في المجتمع؛ حتى تصبح هذه القيم والمعاني جزءا أساسيا من حركته اليومية، ومن ثقافته التي تتبدى في كل مظاهر حياته ونشاطاته.
وتأتي قيمة العطاء والعمل الخيري على رأس تلك القيم المطلوب ترسيخها وإشاعتها؛ أملا في الوصول لنهضتنا الحضارية المنشودة.
وأهمية قيمة العطاء والعمل الخيري، تتجلى في أنها متى وجدت تكون عنوانا على قوة المجتمع وتماسكه ووعيه، وعلى تحققه بعدد من القيم والمفاهيم الأخرى المهمة؛ فالفرد الذي رسخت عنده هذه القيمة نستطيع أن نقول عنه: إنه قد نجح في الاختبار، وتجاوز ذاته وخصوصيته، فضلا عن أنانيته؛ وصار منبعا للخير ولنفع الآخرين.. وما أسعد المجتمع حين تتوافر فيه هذه النماذج!

وإذا كان الشح - بما يستتبعه من الأنانية، والتحاسد، والتباغض - مرضا عضالا من الأمراض التي تهلك المجتمع، وتجعل بأسه بينه شديدا؛ حتى حذرنا منه النبي ﷺ بقوله: «واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم» (١).. فإن قيمة العطاء والعمل الخيري هي الدواء، وهي البلسم الشافي للمجتمع من علله وأسقامه.

نحن أمة «وافعلوا الخير»:

إن الأمة الإسلامية هي أمة العطاء والبذل والتضحية، ماديا ومعنويا؛ والمجتمع المسلم هو مجتمع التراحم والتكافل؛ مجتمع تتمثل فيه بين أبنائه قيمة «الأخوة» كأعمق ما تكون، وأنبل ما تكون.

لقد جعل الإسلام قيمة العطاء وعمل الخير فريضة من فرائضه، وركيزة من ركائز المجتمع الذي ينشده؛ حين شرع فريضة الزكاة للفقراء والمساكين، وحين ندب إلى الصدقات، وإلى تبادل الهدايا التي من شأنها أن تؤلف بين القلوب، وتزيل سوء التفاهم (٢)؛ ليس ذلك فحسب، بل حث المسلم على أن يمتد عطاؤه ونفعه للآخرين حتى بعد وفاته، بما يسمى «الصدقة الجارية» (٣)؛ وهي ما يوقفه الإنسان على أعمال البر والنفع العام، وتتواصل ثمارها وهو في القبر، قد انقطع عن الدنيا التي هي مجال السعي والبذل.

ولعل مما له دلالة مهمة في هذا المقام، أن نشير إلى أن القرآن الكريم جمع في آية واحدة بين الأمر بالركوع والسجود والعبادة من جهة، وفعل الخير من جهة أخرى، وجعل ذلك من دلائل الفلاح وموجباته؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ



رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج:٧٧). وقد ورد الأمر بفعل الخير مجملا، فشمل كل أنواع الخير المعروفة، ماديا ومعنويا؛ قال ابن عاشور في تفسيره: «وقوله: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ أمر بإسداء الخير إلى الناس من الزكاة، وحسن المعاملة: كصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر مكارم الأخلاق؛ وهذا مجمل بينته وبينت مراتبه أدلة أخرى» (٤).

فنحن أمة شعارها «وافعلوا الخير».. الخير بين أبنائها؛ تراحما، وتكافلا، وترابطا.. والخير مع غيرها من الأمم؛ هداية، ودعوة، ووفاء بالعهود، وعدم اعتداء.. بل تفعل الخير حتى مع غير بني الإنسان، كما هو ثابت في السنة النبوية من الرفق بالحيوان وعدم إيذائه (٥).

وهذه القيم التي رسخها الإسلام في ضمير المسلم، وأشاعها في حركته؛ قد انعكست على مسيرة حضارتنا، بناء وتعميرا وتشييدا؛ فكانت «الأوقاف» - التي يخصصها الأغنياء لأوجه الخير في كل المجالات - هي عماد حضارتنا، وهي الرافد الأساسي الذي استمدت منه نموها وازدهارها؛ حتى استطاعت أن ترتقي بالمجتمع المسلم وبالحضارة الإسلامية درجة لم تعرفها مثيلات «الأوقاف» في الحضارة المعاصرة والتي تسمى «منظمات المجتمع المدني» (٦)!!

لماذا العمل الخيري؟

قد يبدو أن الواقع قد تجاوز هذا السؤال، بعدما صار العمل الخيري متشعبا ومتجذرا في حياتنا المعاصرة؛ بحيث بات السؤال الأكثر إلحاحا ليس عن شرعية الوجود، وإنما عن كيفية التطوير والارتقاء.. ومع ذلك لا بأس من التأكيد على البديهيات؛ حتى نقطع الطريق على من يحاولون التقليل من العمل الخيري ومنظماته، ويجعلونها عرضة للمماحكات السياسية والسجالات التي تهدر الوقت والجهد!

ويمكن أن نوجز الإجابة باختصار على هذا السؤال في عدة نقاط، أهمها:

• أن الدولة مهما بلغت مركزيتها وسيطرتها على مرافق الحياة - شأن الدولة المعاصرة - ومهما تضخمت ميزانيتها بالثروات؛ فإنها غير قادرة على تغطية كل نشاطات المجتمع، وتلبية حاجاته.. وتظل هناك مساحات - تتفاوت حسب كل مجتمع - لا يستطيع ملأها سوى العمل الخيري.

• أن الناس يثقون أكثر بالمؤسسات غير الرسمية، لسببين رئيسيين؛ الأول: أن القائمين على تلك المؤسسات يتمتعون بروح وثابة، وتفان في العمل، وابتكار في الأداء أكثر من نظرائهم في المؤسسات الرسمية. إضافة إلى أن الناس يكونون في الغالب في وضع اشتباك مع الدولة وما يتفرع عنها من أجهزة.. ومن ثم، فإنهم يفضلون دعم المنظمات غير الرسمية.



• لقد ثبت عمليا أن العمل الخيري نجح في التخفف من قيود البيروقراطية التي تكبل أجهزة الدولة؛ وبالتالي، فإنه يستطيع التجاوب وبسرعة ملحوظة مع الحوادث الطارئة.. وكم من نكبة كانت يد العمل الخيري أسرع إليها من يد الأجهزة الرسمية!

مسؤوليتنا

إذا كانت هذه هي مكانة العمل الخيري في ثقافتنا وحضارتنا، وإذا كانت هذه هي أهميته في واقعنا ونسيج حياتنا؛ فإن علينا مسؤولية كبرى تجاهه؛ حتى يظل قادرا على الإشعاع والعطاء، وتلبية الطموحات المتعلقة به؛ والتي تزداد يوما بعد يوم.

وأهم ما يجب علينا تجاه العمل الخيري، إتاحة الحرية أمام منظماته ومؤسساته، وإزالة كل العراقيل التي تواجهها؛ سواء من الناحية التشريعية والقانونية، أو من الناحية «اللوجستية».. وأن تكف الدولة الحديثة عن محاولات احتوائها وتدخلها في العمل الخيري؛ لكيلا تتحول مؤسسات هذا العمل إلى «وضع محنط» مثل بعض المؤسسات





الرسمية (٧)!!
يحتاج العمل الخيري منا أيضا أن ننشر ثقافته ومفاهيمه، لاسيما في المحاضن التربوية والتعليمية؛ بحيث يترسخ أن العمل الخيري هو ضريبة مستحقة على الإنسان تجاه وطنه ومجتمعه؛ يبذلها عن طيب خاطر واقتناع.

ومما يتصل بذلك، أن نكرم رموز العمل الخيري ونحتفي بهم، ونثمن دورهم وتضحياتهم، ونبرزهم كقدوات ونماذج، خاصة للأجيال الناشئة.. ويا حبذا لو تم ذلك وهم أحياء، قبل أن ينتقلوا إلى جوار ربهم، على عادتنا في نسيان أهل الفضل حتى ينتزعهم الموت من بيننا ونحن عنهم غافلون!

إن قيمة العطاء والعمل الخيري هي قيمة كبرى؛ أكدتها الشرائع والقيم الدينية، وأجمعت عليها الفطر السليمة، وتنبهت إلى أهميتها ومكانتها العقول الراجحة.. وإن مؤسسات العمل الخيري هي شريك أساسي في قاطرة التنمية، وفاعل رئيسي في معادلة النهوض الحضاري.

ولا عجب إذن، أن يعكس العمل الخيري نبض المجتمع وقوته، ويدل على حيويته وفاعليته، ويكون مرآة صادقة لحركة هذا المجتمع صعودا وهبوطا..

وما أجمل أن يقاس المجتمع من خلال قدرته على العطاء، وفعل الخير، وغرس المعروف، وإشاعة التراحم والتكافل بين الناس.. وليس فقط من خلال منجزاته المادية؛ وهو الخطأ الذي يقع فيه البعض، وربما عن غير قصد!

هوامش

١- روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده - كتاب «البر، والصلة، والآداب»، باب «تحريم الظلم» - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

٢- قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا» (رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبويعلى في مسنده من حديث أبي هريرة، وحسنه الألباني).

٣- روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده - كتاب «الوصية»، باب «ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته» - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

٤- محمد الطاهر ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، المكتبة الإسلامية، موقع إسلام ويب.

٥- كما في حديث مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

٦- راجع المزيد في بحث بعنوان: «هل يوازي نظام الوقف دور المجتمع المدني في الوطن العربي؟»، للباحث/ عبدالرحمن أسعد ريحان، وهو مقدم إلى مؤتمر: قوانين الأوقاف وإدارتها: وقائع وتطلعات. الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. منشور على الإنترنت.

٧- في مقال سابق تناولت أربع إشكاليات تعرقل فعالية منظمات المجتمع المدني. انظر: «الوعي الإسلامي»، العدد رقم ٥٨٤، فبراير ٢٠١٤م.

محمد حسن بدرالدين
باحث تونسي

من ملامح بناء الوعي الإسلامي في القصة القرآنية

ظلت القصة رفيقة الإنسان في جميع مراحل تاريخه، معبرة عن آماله وأفكاره، وكاشفة عن نظرته للكون والوجود، فهي بهذا الاعتبار تربة خصبة، وحقل فسيح لإنتاج التجارب الإنسانية، وعرض الخبرات الحياتية، التي تبرز فيها المعالجات الأخلاقية والاجتماعية في صياغة فنية نابضة بالحياة، وزاخرة بالمعاني والقيم. وقد اهتم القرآن الكريم باعتباره المدرسة الأولى والأساسية للفكر والثقافة الإسلامية، بإيراد القصة كأساس لفن الكلمة الجميلة المؤثرة، وكطريقة تربوية لها قدرة كبيرة في الاستئثار بنفس القارئ والسامع، بهدف تبليغ قيم وأساسيات أخلاقية، ودروس تربوية، تنغرس في النفس البشرية، وتزودها بالمواعظ السلوكية، والمواقف الرشيدة، التي تصلح أحوال الفرد والمجتمع.

دلالة القصص في القرآن الكريم

ورد مصطلح القصص ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة، وأغلب دلالات هذا الورود تتعلق بمفهوم الإخبار والتذكير والاعتبار، مثل قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:١٧٦). وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:١١١). فمن الواضح هنا أن القرآن الكريم يسوق القصة في مستوى أخذ العبرة والاستفادة من التجارب الإنسانية، كمنهج للتأثير والإقناع، وخاصة لمن يملكون قدرات عقلية ونفسية تخول لهم الفهم والاعتبار.

وفي مجال آخر يذكر القرآن أن من أهداف القص، وخاصة قصص النماذج الرائدة من البشر وهم الأنبياء، تثبيت القلب أو الفؤاد، ومع أن الخطاب موجه للنبي ﷺ، إلا أن العبرة المقصودة هي الاستفادة من مواقف الصمود والنضال، التي وقفها الأنبياء الكرام، في سبيل تبليغ رسالة الله إلى البشر. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود:١٢٠).

ومن الناحية اللغوية، فإن كلمة قصة وقصص، مشتقة من مادة واحدة هي «قص». وفي لسان العرب لابن منظور: «القص فعل القاص إذا قص القصص، يقال: في رأسه قصة، يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف:٣) أي نبين لك أحسن البيان» (١).

وفي تاج العروس للزبيدي هي الأمر والحديث والخبر: «والقصة، بالكسر: الأمر والحديث، والخبر، كالقصص، بالفتح. والتي تكتب، جمع قصص، كعنب. يقال: له قصة عجيبة، وقد رفعت قصتي إلى فلان، والأقاصيص جمع الجمع» (٢).

أما من حيث المضمون، فإن القصة في القرآن كما لاحظ سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦م) ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، وإنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، ولأن القرآن الكريم هو كتاب دعوة دينية وهداية ربانية بالدرجة الأولى، فإن القصة فيه هي إحدى

وسائله في سبيل إبلاغ تلك الدعوة وتثبيتها (٣).
وعلى هذا الأساس اتجهت القصة القرآنية في مواضيعها وأحداثها، إلى خدمة الأغراض الدينية العامة، كتوجيه السلوك وتهذيب العاطفة، وتزويد الفكر الإسلامي بمواقف إنسانية صالحة للاقتباس والاقتداء. ولذلك لم تعتمد على الخيال، بل استندت إلى الواقع، حتى تكون المواضيع في متناول الإنسان وقابلة للتطبيق، من أجل تحقيق الإشباع العقلي والوجداني دون خيال أو إبهام. وفي سبيل توضيح خصائص القصة القرآنية ومميزاتها سنعمد إلى قراءة أنموذج من تلك القصص، واستقراء ملامحها الفكرية والفنية باعتبارها من أعمق الأساليب التربوية التي اعتمدها القرآن الكريم، في سبيل بناء الذات المسلمة المتوازنة، والشخصية السوية.

قصة آدم عليه السلام وتأصيل الوعي الإسلامي

أول قصة تطالعنا في القرآن الكريم، وبالتحديد في سورة البقرة، هي قصة آدم عليه السلام، والحكمة في ذلك، أن المولى تبارك وتعالى أراد أن يعرض علينا في أول كتابه الكريم حقيقة الوجود الإنساني، ونلاحظ أن القرآن الكريم، اعتمد نوعا من الترتيب المنطقي اتصف بالدقة الكاملة، فقد بدأ بالفاتحة باعتبارها مقدمة الكتاب، ثم عرض لحقيقة الكتاب المنزل، فبين أنه هداية للعالمين، ثم سرد علينا تصنيفا للبشر، حدد مواقفهم تجاه هذا الكتاب، وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون، ثم حدد طبيعة هذه الأصناف، ونوع الجزاء الذي ينتظرهم، ثم قدم نداء عالميا لجميع البشر، لكي ينضموا إلى المشروع الإلهي، وربط ذلك بمبدأ التحدي في الإتيان بمثل هذا القرآن، كحجة على جميع الناس. وفي هذا السياق الترتيبي، جاءت قصة آدم تعريفا وبيانا لحقيقة وجود الإنسان في الكون، ورسالته في الحياة، حتى يعرف تاريخه وأصله، فبدأت القصة بخبر إعلام الملائكة بإيجاد مخلوق جديد هو الإنسان، ونلاحظ أن القرآن يعتمد في عرض المواضيع على طريقة الإعلام المجمل، ثم يأتي بالتفصيل، وهذا المبدأ يتناسب مع طبيعة الإدراك والتعقل في ذهن الإنسان، الذي يدرك الكليات أولا، ثم يفصلها العقل ويربط بينها.
ونلاحظ كذلك أن أسلوب القرآن في عرض الأحداث، يقوم على الدخول المباشر في الموضوع بدون مقدمات، وهو مسلك فني مرتبط بالمبدأ التجميعي السالف، حيث تأتي المعلومات مجملة، فيها إقحام وهيمنة تشد القارئ بطريقة مثيرة للحواس والعقل، وهذا يظهر جليا في أول الآيات التي تقول:
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٣٠).
ففي هذه الآية الواحدة، تعرض القرآن الكريم إلى عدة مواضيع هامة، تحتاج إلى تحليل وتفكيك. وهذه هي الخاصية الأولى في أسلوب القرآن القصصي الذي يشتمل النص فيه على أكبر قدر من الإجمال والإيجاز والدقة، ففي هذه الآية بيان وكشف لثلاث مسائل على الأقل هي:
- تعريف الملائكة بمجيء مخلوق ثالث، لا ينتمي إلى طبيعتهم ولا إلى طبيعة الجن.
- بيان أن هذا المخلوق سيكون خليفة في الأرض، وهذا يعني أنه سيكون مستخلفا، لا مالكا على وجه الحقيقة، وأنه مخلوق للأرض مقدما، سواء أعصى أو لم يعص، خلافا للفكرة الساذجة التي تقول لولا معصية آدم لكنا في الجنة! فنص القرآن الكريم الأولي صريح بأن الإنسان خلق للأرض، وأنها هي أيضا خلقت وهيئت ليعيش عليها، ولذلك يفنيها الله تعالى مع فناء الإنسان يوم القيامة، فيعود الإنسان للحياة ولا تعود هي.
- إدراك الملائكة أن تركيبة الإنسان الطينية ستؤدي به إلى سفك الدماء والإفساد في الأرض، ولكن الله تعالى شاء أن يجعل هذا المخلوق الجديد، يتأرجح بين النزوع الملائكي والنزوع الحيواني. ولحمايته من السقوط في درك الحيوانية، زوده بالعقل وهداه بالوحي، ولذلك ختمت الآيات ببيان ضرورة الوحي الإلهي، باعتباره هداية تعصم الإنسان وتقوده إلى العلو والسمو: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨).
ثم تعرضت الآيات إلى ذكر عنصر الصراع في الحياة المتمثل في الشيطان، إذ بدونه تصبح حياة الإنسان خالية من صور الابتلاء والصراع الخلاق، من أجل ذلك السمو والارتفاع. ولذلك استحق الإنسان أن يكون خليفة بالفعل، واستحق أنواع الجزاء الأوفى الذي ينتظره كمكافأة على صموده ومواجهته لقوى الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء.
ولتدعيم مبدأ الترتيب المنطقي للأحداث والأفكار، جاء الحديث عن قوم بني إسرائيل كمثال تطبيقي للنماذج البشرية المنحرفة، التي ينبغي أن يستلهم منها المسلم الدروس الصالحة في اجتناب المصير الذي آلت إليه، حيث لم توفق في حمل رسالة الإنسان الحقيقية على الأرض، ونلتمس هذه الحكم والأسرار نفسها

في ذكر أخبار بني إسرائيل مع نبي الله موسى، وذكر قصة البقرة. فكل ذلك يندرج في سياق ذكر النماذج البشرية، وتصوير طبيعة الصراع بين قوى الخير والشر، ليدرك المسلم حقائق التاريخ، وسنن الله في الكون. ولذلك يأتي في مقابل ذلك ذكر النموذج الأصلح، الذي يعتبر المثال الأكبر للاحتذاء والاقتداء، وهو نموذج سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي تأتي قصته بعد قصص بني إسرائيل. وفي ذلك حكمة عظيمة، تتعلق أساسا بتزويد القارئ لكتاب الله، بأنواع متقابلة من النماذج البشرية التي تجسم فكرة الحق، التي يجب اتباعها، وفكرة الضلال التي يجب اجتنابها. وهكذا نلاحظ أن السياق القصصي في القرآن يرد في موقع تزكية الفعل الإنساني الرشيد، والتحذير من الانزلاق في مهاوي الزلل والخسران، باعتبار أن رسالة الإنسان الكبرى في الوجود، هي عبادة الله وتعمير الكون، وفق شريعته، والتذكر الدائم بأن الإنسان سيقف يوما أمام الله للحساب.

مطلب الوحدة في فهم قصص القرآن

ينبغي لدارس القرآن الكريم بصفة عامة والقصص القرآني بصفة خاصة أن يدرك حقيقة منهجية مهمة، وهي أن القرآن يعرض للموضوع الواحد أو للقصة الواحدة، في مستويات متعددة. فهو يعرضها مجملة أولا، ويحيط ببعض عناصرها بالتفصيل ثانيا، دون الإتيان عليها بالكامل. بل يعرض لها في سياقات وصور أخرى. وفي سبيل الوصول إلى تجميع كل تلك العناصر، لابد لقارئ القرآن من الإحاطة الكاملة بجميع السور، وسيلاحظ بعد ذلك طبيعة الإتقان في اكتمال الموضوع أو القصة الواحدة، حيث تكون الأحداث والجزئيات قد توزعت بأقدار متفاوتة، على مجموعة من السور. وقد يظن القارئ في البداية أنها تقوم على ضرب من التكرار. ولكنه بعد إكمال القراءة الواعية، سيحصل على نتيجة مخالفة تماما، وباهرة بكل المقاييس.

وبالنسبة لقصة خلق آدم، فقد وردت أولا في سورة البقرة، كمقدمة عامة اقتضاها السياق الترتيبي والمنطقي، ولكنها وزعت في مواضع متفرقة من السور، مثل: سورة الأعراف وسورة الحجر وسورة الإسراء وسورة الكهف وسورة طه وسورة ص. ومن الناحية الإحصائية نجد أن اسم آدم تكرر في القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة، وبتجميع عناصر القص المتعلقة به، في جميع هذه المواضع، نحصل على القصة الكاملة بالتفصيل، مما لا يحتاج بعد ذلك إلى أي زيادة. إذ يحصل القارئ على كل ما يحتاجه من بيان فيما يتعلق بهذا الموضوع المهم.

لقد بدأت قصة آدم بعرض قضية الوجود الإنساني والمولد البشري في شكل حوار، ومن المعلوم أن الحوار في القصة يمثل دعامة فنية معتبرة في سبيل تحرير الموضوع من السرد، وإضفاء عناصر التجدد والتشويق على الأحداث. فكيف جاء الحوار في القصة القرآنية؟ لقد عرفنا أن الدخول المباشر قد تم بفضل مبدأ الاقتحام، الذي يعتمده القرآن دائما، وفي سورة البقرة جاء هذا الدخول بالطريقة الإخبارية والحوارية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٣٠).

نلاحظ أن لغة الحوار في القرآن تعتمد جدل القول، إذ تكررت كلمة قال ثلاث مرات، مع العلم أن كلمة قال ومشتقاتها تكررت في القرآن كله أكثر من ألف وسبع مئة مرة، وفي ذلك دلالة عميقة على هذا الجدل، الذي قال فيه القرآن: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:٥٤).

هدف الحوار الذي أقامه القرآن في سياق هذه القصة، إلى تثوير وظيفة حب المعرفة والاطلاع، فالقارئ سيتوقف حتما مع هذا الحوار، للتفكير في طبيعة الخلق الإلهي، ومستوى التكليف الذي يرتبط بمستويين من الخلق، فالملائكة بحكم الطبيعة الروحية الخالصة، التي جبلت عليها تتعجب بالضرورة من طبيعة موجود جديد، تحركه الغريزة والشهوة، ولذلك رأت وفق هذا المقتضى، أنه كائن محكوم بالمعصية، وقد تكفل الحوار بالكشف عن طبيعة الفكر الملائكي، بعيدا عن طريقة السرد الجافة، التي لا تقدم مادة قصصية جيدة، كما مكننا من التعرف على أسرار الملائكة، من خلال ألسنتهم، كطريقة مباشرة أكثر إمتاعا وحيوية من عملية السرد والإخبار. على أننا ينبغي أن نفهم أن تساؤل الملائكة، إنما كان على وجه طلب المعرفة والاستخبار، وليس على وجه الاعتراض أو الاستنكار، ولذلك نجد أنهم سرعان ما تابوا ونزهوا الله تعالى وقالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ (البقرة:٣٢).

الهوامش

١- ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤هـ.٧٣/٧.

٢- مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالستار فراج، مطبعة حكومة الكويت. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ١٠٤/١٨.

٣- عبدالكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م. ص٤٢.

د. عبد العزيز خلوفة
كاتب مغربي

مفهوم الأدب لدى طه حسين

كان الدكتور طه حسين شديد الحرص على ضبط مفاهيم المصطلحات، سعيا منه إلى تأصيلها، ونمثل لها بمصطلح «الأدب»، على اعتبار أن تحديد مفهومه يستدعي النبش في ذاكرة التراث العربي، لاسيما وأن لفظ الأدب عرف تطورا متتاليا تبعا لتطور الحضارة العربية وثقافتها. وينتهي طه حسين بعد عرضه للتطور الذي عرفه مفهوم الأدب، منذ استعماله عند العرب لأول مرة، إلى التشكيك في جملة أحكام كما سيأتي توضيحه.

والجدير بالذكر أن طه لا يعترف بما ذاع عند الدارسين العرب أن يكون لفظ الأدب ورد عند العرب في العصر الجاهلي بمعنى الدعوة إلى الولائم، إذ استندوا إلى بيت طرفة بن العبد: (١)

نحن في المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الآدب فينا ينتقر

كما يرفض طه رأي المستشرق نلينو الذي يرجع اشتقاق مادة «أدب» إلى «دأب» بمعنى العادة، على اعتبار أن ليس ثمة نصوص تؤكد ذلك، يقول: «ليس لدينا من النصوص أو القرائن العلمية الواضحة ما يبين لنا أن لفظ الأدب اشتق من الأَدْب بمعنى الدعوة إلى الولائم، أو قد اشتق من الأدآب جمع دأب. ولكن الشيء الذي لاشك فيه هو أننا لا نعرف نصا عربيا جاهليا صحيحا ورد فيه لفظ الأدب، والشيء الذي لاشك فيه أيضا هو أننا لا نعرف أن لفظ الأدب قد ورد في القرآن» (٢).

شكك طه، أيضا، في الحديث المتداول لدى دارسي مفهوم الأدب «أدبني ربني فأحسن تأديبي» (٣) من أن يكون صحيحا لفظا ومعنى، أي أن لفظ الأدب عرف بمعنى تهذيب السلوك، ويفهم هذا الأمر من قوله: «فمهما يكن رأي المحدثين فيه فليس هو بالحجة القاطعة على أن النبي ﷺ قد استعمل هذه المادة.. هذا الحديث لا يثبت حكما لغويا إلا إذا ثبت ثبوتا لا يقبل الشك، أو كان من الراجح على أقل تقدير أنه صح بلفظه عن النبي» (٤).

ومن ثم فإن طه حسين ينفي نفيا مطلقا أن يكون لفظ الأدب مستعملا قبل عصر بني أمية، يقول: «ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ الأدب وما يتصرف منه من الأفعال والأسماء قد كان معروفا أو مستعملا قبل الإسلام، أو إبان ظهوره» (٥). إنما كان ظهوره زمن الأمويين بمعنى التربية والتعليم، «ولا نكاد نرى هذه المادة مستعملة في أول الأمر إلا فعلا أو اسم فاعل، فهم يستعملون أدب، ويستعملون بنوع خاص لفظ المؤدب، وهم لا يطلقون لفظ المؤدب هذا على رواة الحديث والدين، وإنما يطلقونه على رواة الشعر والخبر، وعلى الذين كانوا يحترفون تعليم الشعر والخبر، وما إلى ذلك لأبناء الارستقراطية» (٦).

ويربط طه حسين بين استعمال العرب الأول للفظة «أدب» بما هو شائع كذلك في حياتنا اليومية المعاصرة، «وكانت تدل على ما تعودنا أن نفهمه منها الآن في حياتنا العملية اليومية؛ من لين الجانب وحسن الخلق ورقة الشمائل والحياة الملائمة لما تواضع الناس على أنه خير بوجه عام. وكان الناس يقولون «أدب فلانا» فيفهمون منها هذين المعنيين؛ علمه الأدب وهو هذا النوع من العلم الذي أشرنا إليه، وأخذه بالأدب وهو هذا النوع من الحياة التي ذكرناها» (٧).

بيد أن مفهوم الأدب سيعرف تطورا مغايرا صدر العصر العباسي، بحيث سيصبح الأدب يدل على «الشعر والأنساب والأخبار وأيام الناس، ثم ظهرت علوم اللغة ودونت، ووضعت لها أصولها فدخل كل هذا في الأدب» (٨). وليس أدل على كلام طه من الانتشار الواسع للكتب باسم الأدب كـ «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير» لابن المقفع، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة ...

وسيعرف الأدب مفهوما ضيقا مما سبق خلال القرن الموالي، «حتى إذا كان القرن الثالث للهجرة كان معنى الأدب قد عاد إلى الضيق بعد السعة، وأصبح لا يدل إلا على هذا



النحو من العلم الذي تجده في كتب كالكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ومعنى هذا أن الأدب قد عاد أو كاد يعود في القرن الثالث إلى معناه الذي كان يدل عليه في القرن الأول إبان العصر الأموي، وهو الشعر وما يتصل به ويفسره من الأخبار والأنساب والأيام. وزاد أيام بني العباس فشمل هذا النثر الفني الذي استحدث منذ انتشرت الكتابة، وارتقى العقل العربي كما سترى فيما بعد» (٩).

ويستنتج طه أن مفهوم الأدب ظل كذلك لدى العرب خلال القرن الرابع، حيث «يدل على ما يؤثر من الشعر والنثر، وما يتصل بهما لتفسيرهما من ناحية ونقدهما من ناحية أخرى» (١٠).

ولفهم الشعر والنثر باعتبارهما قسمي الأدب يستدعي الأمر الاعتماد على اللغة والأنساب والأخبار والنقد والفلسفة، وإذا كان كذلك فإن الأدب يشمل كل تلك العلوم والفلسفة على حد قول طه حسين: «وإذن فكل هذه العلوم والفنون تدخل في الأدب. وإذن فالأدب كل شيء» (١١).

إن هذا التعريف لا يصيب شيئا من أصول الأدب وأهدافه، بقدر ما يبحث في ما يشمله الأدب من أقسام مختزلة في الشعر والنثر، وما يعتمد لهما من آليات القراءة. وإنما يتضح المفهوم الأدق للأدب عند حديث طه حسين عن شِقّيه (الإنشائي والوصفي)، فالأدب الإنشائي «هو هذه القصيدة التي ينشدها الشاعر والرسالة التي

ينشئها الكاتب. هو هذه الآثار التي يحدثها صاحبها، لا يريد بها إلا الجمال الفني في نفسه، لا يريد بها إلا أن يصف شعورا أو إحساسا أحسه، أو خاطرا خطر له، في لفظ يلائمه رقة ولينا وعذوبة، أو روعة وعنفا وخشونة» (١٢).

بتعبير آخر، إن الأدب الإنشائي هو الذي يستميل المتلقي بلغته الشاعرة.

ومن يأتي بهذا الأدب سوى أصحاب «الملكات الفنية التي فطرهم الله عليها» (١٣).

وأما الأدب الوصفي فالمقصود به تلك الدراسة التي تأتي بعد العمل الإبداعي، فهو «يتناول الأدب الإنشائي مفسرا حينا، ومحللا حينا، ومؤرخا حينا آخر» (١٤). حيث يدخل ضمن الأدب الوصفي الدراسات النقدية وتاريخ الآداب، وهما معا يحيطان بالظاهرة الأدبية؛ فإما بدراسة معطياتها الجمالية فتكون الدراسة نصية، أو بدراسة العوامل الخارجية التي تقف وراءها فتكون الدراسة تفسيرية.

وعلى الرغم من جمعه بين الإبداع وما يتلوه من دراسات نقدية ضمن مفهوم الأدب، فإن طه حسين يستدرك بأن الأدب الإنشائي هو الأحق بوصفه أدبا، يؤكد ذلك: «هذا الأدب الإنشائي هو الأدب حقا، هو الأدب بمعنى الكلمة الصحيح» (١٥). إذ الملاحظ أن العرب القدامى لم يتناولوا المفهوم الدقيق لمصطلح الأدب الذي يراعي أصوله وأهدافه.

على اعتبار أن مفهوم الأدب انحصر قديما عند الأمم الأجنبية في مأثور الكلام شعرا ونثرا سواء أتعلق الأمر بالأدب اليوناني أم بالأدب الروماني، والشأن ذاته في الأدب الغربي الحديث، كما يستطرد طه حسين حينما يقارن: «فنحن إذا ذكرنا الأدب اليوناني لا نفهم منه إلا مأثور الكلام اليوناني شعرا ونثرا.. وقل مثل هذا في الأدب الروماني.. وقل مثله في الأدب الحديث. فلا يدل الأدب الفرنسي إلا على مأثور الكلام الفرنسي نظما ونثرا. فالأدب إذن لا يستطيع في جوهره أن يتجاوز مأثور الكلام» (١٦).

ولا نغالي إن قلنا إن طه متأثر أيما تأثر بالتعاريف التي حددها النقاد الغربيون للأدب في العصر الحديث، حيث إن الأدب فن لغوي يستميل المتلقي بجاذبية الصياغة، ويذهب إلى ذلك تلميذه محمد مندور حينما يستطرد: «وذلك بينما نرى الغربيين يعرفون الأدب في نفس المجالات الدراسية بتعريف أوسع وأعمق، فيقولون: إن الأدب يشمل كافة الآثار اللغوية التي تثير فينا بفضل خصائص صياغتها انفعالات عاطفية أو إحساسات جمالية، وبذلك لا يميزون الأدب بالصنعة فحسب، بل يميزونه بأثره النفسي الذي ينبعث عن خصائص صياغته، وهذا الأثر هو الانفعالات العاطفية والإحساسات الجمالية، وبهذا التمييز قد يخرج من الأدب التفكير العلمي الجاف والتفكير الفلسفي المجرد ولكنه لا يخرج الكثير من الكتابات الفلسفية، أو الاجتماعية، أو التاريخية المصوغة بصياغة أدبية كمحاورات أفلاطون، أو تاريخ مشليه، أو توسيديد، التي تحمل من عوامل الإثارة، ومن الخصائص الجمالية، ما يفرضها على كتب تاريخ الأدب ومناهجه» (١٧).

وتأسيسا على ما سبق، يعني الأدب لدى طه حسين، من حيث مفهومه العام، الآثار الشعرية والنثرية وما يعين على فهمها من علوم وفنون ومعارف، وهو أيضا مجموع الدراسات المنجزة حولها لفهمها وتفسيرها ونقدها. أما مفهومه الخاص فينحصر في الآثار التي تعكس مشاعر أصحابها، شعراء كانوا أم كتابا، بلغة فنية إيحائية جمالية، لها أثرها النفسي الطيب لدى متلقيها.

هوامش:

١- ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص: ٧٤.
٢- في الأدب الجاهلي، طه حسين، مطبعة فاروق، الطبعة الثالثة، مصر ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م، ص: ١٨-١٩.
٣- الحديث ضعيف؛ قال شيخ الإسلام ابن تيميه: المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت، ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيميه، جمع وترتيب: عبدالرحمان بن محمد بن قاسم، السعودية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ٣٧٥/١٨.
٤- في الأدب الجاهلي، ص ١٩.
٥- نفسه، ص ١٩.
٦- نفسه، ص ٢٠.
٧- نفسه، ص ٢١-٢٢.
٨- نفسه، ص ٢٢.
٩- نفسه، ص ٢٢.
١٠- نفسه، ص ٢٤.
١١- نفسه، ص ٢٢.
١٢- نفسه، ص ٣٠.
١٣ - نفسه، ص ٣٠.
١٤ - نفسه، ص ٣١.
١٥ - نفسه، ص ٣٠.
١٦ - نفسه، ص ٢٤-٢٥ (بتصرف).
١٧ - الأدب ومذاهبه، محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة- القاهرة، (د. ط، د. ت)، ص ٨.

د. خالد فهمي
كلية الآداب
جامعة المنوفية

تأملات في سورة القدر



﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥)﴾ (القدر:١-٥).

إن القول بأن سلام العالم واحد من مقاصد الكتاب العزيز العليا يمثل حقيقة بالغة السطوع، لا تخطئها العين.
إن مراجعة الكتاب العزيز كاشفة عن هيمنة إرادة تحقيق سلام العالم على نصوصه، وهو ما تكشف عنه كثافة ورود اللفظة المحورية «السلام» في آياته الكثيرة المتوزعة على قسمي القرآن الكريم؛ المكي والمدني معا.
إن السلام خلوص من الآفات جميعا في ذات بدن الإنسان ونفسه وعقله ودينه، وهو التخلص من المكروه بكل أنواعه وصنوفه، وهو الصلح وقتل الشر في الوجود، واستتبات الخير في العالم.

يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ (يونس:٢٥). يعلق الماوردي في تفسيره «النكت والعيون» (تحقيق خضر محمد خضر، دار الصفوة، القاهرة، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، سنة ١٩٩٣م؛ ٢/٢١٠)؛ «يعنى: الجنة. وفي تسميتها دار السلام وجهان: «أحدهما» لأن السلام هو الله، والجنة داره؛ «الثاني» لأنها دار السلامة من كل آفة». وهذه آية بالغة الوضوح عن مقصد الكتاب العزيز في إرادة تحقيق سلام العالم.
وسورة القدر نص جليل في بيان الطريق إلى سلام العالم!

معجم سورة القدر

تتأسس هذه السورة الجليلة على بعض الكلمات المفاتيح التي شكل بنيتها الدلالية الأساسية، ويدور في فلكها بعض آخر من الكلمات التي تعين على هذا التأسيس.

- ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ الفعل أنزل فعل متعد، يحمل دلالة العلو، ودلالة الاستيعاب والاستغراق، إذ يقول أهل اللغة إن الإنزال: «حط الشيء من العلو»، كما جاء في نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (تحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م؛ ص:١٢٧).
والكلمة محتملة لمعاني القول، والبسط والإنزال نفسه، وهو مما يدور في فلك هذه المعاني معاني الضيافة؛ إذ النزيل ضيف، وهو ما يحمل على العناية بإكرام الكتاب العزيز عموما؛ لأنه ضيف، وللضيف الإكرام حقا وواجبا!

- ﴿ٱلۡقَدۡرِ﴾ كلمة السورة، وعنوانها، ومفتاح أساسي لفهمها، وهي في هذا السياق مثال عبقري للاستجابة لمفهوم تزاحم المعاني وتقديره في الكتاب العزيز، فالقدر بتحكيم الاشتقاق تعني الشرف والمنزلة والمكانة الرفيعة السامية؛ وتعني التضييق، وسد المنافذ؛ وتعني التقدير وتوزيع الأجور، وهي جميعا دلالات مقصودة هنا؛ ذلك أن ليلة القدر ليلة ذات شرف ومنزلة في نفسها، والشرف مواهب توهب، وهي شرف لمن تعلق بها وقدرها، ترقى بمنزلته ومكانته. وليلة القدر ليلة تضيق فيها منافذ الشر، وتُغَلُّ المردة، الشياطين، وتفيض فيها الرحمة الربانية على الخلق، ليلة القدر ليلة تقدر فيها أقدار الخلق، وأرزاقهم، ومنازلهم.

- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ من القواعد الكلية في التفسير قوله إن كل «ما أدراه» في القرآن فقد أدراه. والدراية معرفة علم وإخبار، وهو دال على تحقق اليقين، وهو سر استعماله هنا، ليتقرر في الإجابة بعد حصول اليقين من صاحب التنزيل الذي يخبر ويعلم.

- ﴿خَيۡرٞ﴾ اسم تفضيل متحول من أفعل إلى فعل بعد سقوط همزته. وهو اسم جامع دال على كل طيب ممدوح، مرغوب فيه، وهو الكرم. وهو في الكتاب العزيز متفجر الدلالات مكتنز المعاني، فهو الإيمان، والإسلام، والمال، والعافية، والأجر، والفضل، والطعام، والظفر، والنفع، والصلاح، والقوة، والقدرة، والإصلاح، والصيانة، والحسن، وكل ما هو ضد الشر، وهذه المعاني التي ذكرها علماء الوجوه والنظائر، كما في نزهة الأعين النواظر (ص:٢٨٥-٢٨٨) مرادة جميعا هنا.
وهو ما يعني أن الإخبار عن ليلة القدر في مواجهة: «ألف شهر» يتضمن كل هذه المعاني التي ترقى بمكانتها ومنزلتها.

- ﴿أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ تعني على ظاهر أمرها: ألف شهر، والأعداد في غير باب الأحكام تطلق يراد بها التكثير، والقصد إلى «ألف» من الأعداد لأنه أعلى ما كانوا يتصورونه منها. ومن ثم يكون أمر ليلة القدر على الظاهر خير من عمر الإنسان كله وإن طال فتجاوز الثمانين عاما، أو هي خير من الزمان كله، لأن ألف الشهر، تعبير عددي يقصد بيان الكثرة، واستعظامها. واستعمل «الشهر» لمناسبة شهر رمضان الذي فيه الليلة المباركة، وفرارا من «السنة» وما فيها من معاني الشدة والجدب، وتحقيقا لانسجام الفاصلة العزيزة في السورة الكريمة.

- ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ كلمات هذه الآية جميعا تفيض بالنور، لقد كان اختيار الفعل تنزل ببنيته الصرفية الدالة على الاستمرار، وعدم التوقف والكثافة دالا جدا في هذا السياق.
والفعل مضارع، ومشدّد العين، ولازم، وهو ما يعني الاستمرار والكثرة، والكثافة ومحبة النزول



ممن يتنزل.

والملائكة جمع يدعم ما في التنزل من كثافة وازدياد، وهم جنس مطيع، محب لما يأتي من الأعمال، رمز للنور والرحمة معا.

• ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾: الروح هي سر الوجود والحياة، ومادة حفظه، وهي الرحمة. وهي في هذا الموضع محتملة هذه المعاني جميعا، وهي كذلك في هذا الموضع دالة على جبريل، وفي ذلك تشريف لعالم الإنسانية المؤمنة، وتحقيق لمنازل المؤمنين ممن لم يروا أو يشهدوا زمان التنزيل، وإثبات لرسومهم.

ولعل في استعمال ضمير «ها» في ﴿فيهَا﴾ من دون: «هن» مع جوازها دفعا لتوهم تصور دعم أنوثة الملائكة، نفي احتمال كون الملائكة بناتا وإناثا.

• ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ الإذن أمر. والإذن: السماح والموافقة، وهذه المعاني لازمة جميعا هنا، فالإذن أمر، لأنه لم يكن للملائكة أن ينزلوا من دون أمر منه سبحانه، والإذن: السماح، بحكم الفعل اللازم.

• ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ الأمر في الآية الرزق والأجل، وقد قرئت: ﴿امرئ﴾ وهذه القراءة تثبت أن الملائكة وجبريل يسلمون على كل امرئ مسلم، كما تأولها بعض التابعين.

• ﴿سَلَٰمٌ﴾ هذه هي الكلمة الثانية المفتاح في هذه السورة الجليلة المباركة، والسلام مادة خام، وتكثيف عميق لمعاني البراءة من الشرور؛ وتجسد معاني الخير والبركة، وللخلوص من الآفات والمعايب والنقص والأمراض. وبهذا تكون ليلة القدر هي التجسد الحي لطريق سلام العالم بالمعاني المادية والروحية جميعا.

تراكيب السورة

يقع تحليل التراكيب في مرحلة تالية لتحليل المعجم، فيدعمه، ويحسم مشكلات الاحتمالات فيه، ويزيد من عطائه.

• ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أكد الكتاب العزيز قضية الإنزال؛ لجلالها وليقطع مادة الشك حول دعوى تأليف القرآن الكريم، وليقرر علويته وتساميه، وانقطاعه عن الصناعة البشرية.

وجاء اسم إن «نا» وخبرها جملة «أنزلناه»، مشمولين بدلالة الجمعية تعظيما للمنزل من جانب، إذ ضمير المتكلمين من جهة المفرد تعظيم، وللدلالة على استجابة الملائكة لأمر الله تعالى بإنزال الذكر الحكيم. وهو بعض من خصائص حديث الله عن نفسه في الكتاب العزيز.

والهاء في جملة الخبر مفعول به يفسره القرآن الكريم، واستعمل ضميرا لذيوع أمر الكتاب العزيز وانتشاره والعلم به. ومجيء الخبر جملة فعلها ماض توكيدا ودلالة على تمدد الإنزال وتنوعه.

• ﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وشبه الجملة من الجار والمجرور المعرفة بالإضافة متعلق بالفعل ينير زمان التنزل إن إجمالا أو ابتداء تنزله منجما مفرقا على مدة البعثة الشريفة.

إن اختيار الليل ظرفا للتنزل الكريم رحمة؛ إذ الليل ألطف من النهار، والوحي ثقيل الوطأة، والليل أرجى لانفتاح النفس، واستجابة الضمير، وقد استقر في التاريخ الاجتماعي أن الأنهر للمعاش، والليالي مخازن للتزكية!

● ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ جملة مركبة استفهامية، والاستفهام فيها للتنبيه لاستقبال الجواب اليقيني؛ لأن الدراية معرفة متقنة!

وهو نمط من الاستفهامات دال على تعظيم المسؤول عنه، ورفعته، وإعلاء شأنه.

● ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ هذه جملة جواب مثالية، ذكر فيها المبتدأ المعرفة ليلة القدر مع تقدمه في السؤال تشريفا للمذكور، ولذة بتكرره، ودفعا لتوهم الخلط في تقديره إن جاء مضمرا!

● ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ خبر منعوت بشبه الجملة تخصيصا وبيانا، والجملة الأسمية جاءت خالية من قرائن الزمان لينفتح حكمها على امتداد الزمان، وليبقى أبدا، وهو نوع من مثيرات الأمل والتفاؤل واستمرار التشريف.

● ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ جملة جيدة طويلة صالحة لأن تكون خبرا بعد خبر، وفصلت عن سابقتها للارتقاء بقضية تنزل الملائكة، والفعل تنزل مضارع لازم، والملائكة فاعله.

و«الروح فيها» محتملة للعطف على الملائكة فتكون من جملة المتنزلين، وفيها شبه جملة متعلقة بالفعل، متممة لمعناه، ومحتملة للاستئناف، فتكون الروح مبتدأ وفيها خبره، وهي مرادان ليحققا استيعابا لمعان مجتمعة، تقرر تنزل الروح، وتقرر تعظيم خبر كونه في جملة الملائكة تشريفا لليلة، وللذين يحيون الليلة من المؤمنين على الزمان.

● ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ شبه جملة من جار هو الباء، ومجرور هو إذن متعلق بالفعل «تنزل»، أو شبه جملة متعلق بمحذوف حال من فاعل الفعل تنزل، وهما معنيان مرادان؛ أحدهما يتمم معنى الفعل، والآخر يوحي بأن التنزل مؤقت مرتهن بالليلة المباركة، ثم ينقطع!

● ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ سلام خبر مقدم لبيان منزلته، وهي مبتدأ مؤخر يفسره ليلة القدر. إن اختيار الخبر مصدرا نكرة مع العلم بأن الخبر هو عن المبتدأ في المعنى، أو هو هو على حد تعبير الزجاجي في جملة تفتح الباب لتفهم أن الليلة المباركة سالمة، ومسلمة، وسلامة، وتسليم، ونعيم للمؤمنين.

● ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ شبه جملة متعلق بسلام بيانا لمدة استمراره. إن هذا التعالق العجيب بين جزئيات تراكيب هذه السورة الجليلة، كاشف عن أن سلام العالم متحقق بالارتباط بما تنزل في هذه الليلة، وبما قرره في وجود الناس!

عطاءات السورة

لقد نهض المعجم والنحو ببيان الكثير من المعاني المفردة في السورة الكريمة القصيرة، وثمة قضايا كلية تفيض بعطائها السورة، هي كما يلي:

أولا- تلح الآيات الكريمة على أن الارتباط بالمنهج المتسامي المتعالي هو الطريق لسلام العالم، وهو التعالي المستفاد من الدلالة المعجمية والصرفية والنحوية لفعل الإنزال المتعدي.

وظهرت قضية الإنزال متعاظمة عن الإسناد الفعلي للضمير التعظيمي، المؤكد؛ ليتقرر في الوجدان المسلم عظمة ما كان في هذه الليلة العظيمة الشريفة.

ثانيا- كشف بناء السورة الكريمة عن تقدير عجيب لليلة القدر، وحياطة أمرها بالبيان المستفيض الذي لا يعرف حذفا على مستوى البناء النحوي، منعا من مخاطر التقدير للمحذوف، وهو ما ظهر من التكرار، ومن الإجابات المثالية التي سيقت على الاستفهامات المصممة بأفعال اليقين.

ثالثا- كشف بناء السورة كذلك عن نوع تحقيق للتلذذ بذكر ليلة القدر، فقد تكرر ذكرها ثلاث مرات، مع ما في ذلك من تنبيه إلى فضيلة الليل بما هو مصنع التزكية الضابطة لحركة العمران وطلب المعاش في النهار!

رابعا- حرصت السورة على دعم حقائق الاعتقاد في بنائها النحوي عندما استعملت الضمير «ها» بديلا عن الضمير «هن» العائد على الملائكة منعا من الاقتراب من شبهة تصور الملائكة بناتا أو إناثا.

ومبدأ دفع التوهم مبدأ علوي حاكم في البناء اللغوي للكتاب العزيز، معجميا ونحويا.

خامسا- ظهر التنوع الإعرابي لجمل السورة الكريمة، وهو طريق عبقري لاستيعاب تزاحم المعاني الواردة على السورة.

سادسا- كشف الدوران حول الكلمتين المفتاحين: (القدر وسلام) عن نوع من الترابط الحميم بينهما، بحيث يمكننا أن نقرر أن بينهما ترادفا سياقيا، فليلة القدر هي مصنع السلام العام، والسلامة من الآفات، وصفاء النفس، وارتياح الروح، وأمن العالم.

إن هذه السورة البديعة تكشف عن الخير المتكرر المستمر الذي يرد الحياة إلى المنهج الضابط لحركتها في الوجود الإنساني.

القرآن لا يزال قائما، والملائكة الذين نزلوا به زمان البعثة ينزلون ليشهدوا الذين يرتبطون به من المعاصرين، ويحبونهم.

والله من بعد ذلك كله يعد، ووعده الصدق، بالسلام لأولئك الذين يحيون في ظل منهجه، ويسعون إلى استعادة النور الذي عمر الوجود مع فجر بعثة النبي الخاتم ﷺ



البحث التربوي: قضايا منهـ

إن البحوث التربوية في الدول المتقدمة أضحت موجهة نحو استثمار الذكاء البشري وحسن توجيهه وفق نظام تربوي يخدم قيم الأمة وهويتها ويسعى في الآن نفسه إلى تطويره ليخدم أبعاد التنمية الاقتصادية والعلمية. خاصة في ظل التنافس المحموم بينها ولا أدل على ذلك من انتقال المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي من التنافس في مجال صناعة الصواريخ إلى تطوير التعليم، باعتباره الوسيلة الناجعة لهذا الصرح العلمي. أما الدول النامية فلا تشارك في بناء هذا التقدم، بل تستقبل وتبتلع ما ينتجه الآخرون حتى لو كان ضارا بها. ولهذا، فإن تغيير أوضاع هذه الدول من واقع المستقبل إلى المشارك والباني يحتاج إلى انتهاج تربية تعبر مسافات التخلف الذي يعتريها، تربية تستنفر طاقاتها البشرية وتستثمر قدراتها المادية إلى أقصى ما يكون الاستنفار وأقصى ما يكون الاستثمار.

لهذا، يعد البحث العلمي أساسا لتقدم الدول ورقيها، لذا ارتبطت خطط التنمية في كثير من الدول بإنشاء العديد من المراكز البحثية المتقدمة، كما أن مستجدات الممارسات الحديثة في المجالات المختلفة ارتبطت كذلك بنتائج البحث العلمي. من هذا المنطلق حرصت الدول المتقدمة على دعم البحث العلمي في كافة المجالات، ويعد مستوى الدعم المادي وعدد الأوراق العلمية التي تنشر، ومعدل النشر السنوي للباحث أهم المؤشرات التي يمكن استقراؤها للتعرف على مدى تفوق واعتماد تلك الدول بالبحث العلمي، وإذا ما تمت مقارنة الدول المتقدمة بالدول العربية فيما يتعلق بحجم تلك المؤشرات نلحظ فجوة واسعة بين تلك الدول ودولنا العربية (١).

وبحكم، كون المنظومة التربوية في البلدان العربية، تواجه اختلالات عميقة، وجب الاهتمام بالبحث التربوي- التعليمي، للمساهمة بشكل فعال في تطوير وتجديد التربية والتعليم.

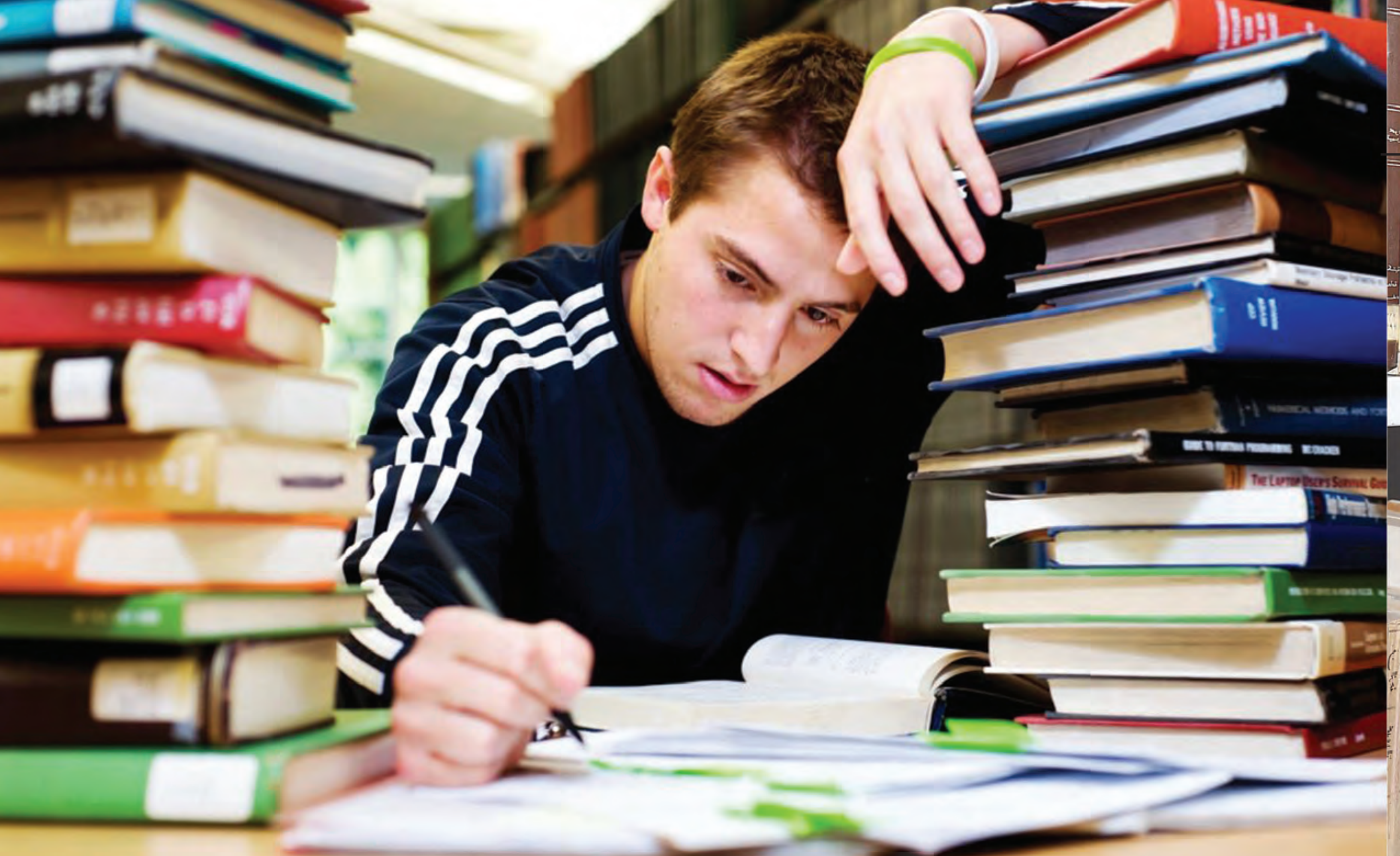
١- البحث التربوي والبحث العلمي:

البحث في الماهية:

أ- تعريف البحث التربوي:

البحث لغة «مادة ب.ح.ث»: بحث الأمر: اجتهد فيه وتعرف حقيقته، والبحث بذل المجهود في موضع ما وجمع المسائل التي تتصل به والبحث أيضا ثمرة هذا الجهد ونتيجته.

واصطلاحا: يمكن تحديد مفهوم البحث اصطلاحا على أنه: «سعي وراء المعرفة باتباع أساليب علمية مقننة أو أنه استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلا» (٢). يعني الفحص والتنقيب والتقصي والسؤال والاستقصاء



ـــــجية وإشكالات بحثية

والتحري بأدوات علمية دقيقة بهدف الوصول إلى معرفة وحقائق أو مبادئ جديدة.

والبحث التربوي: هو بحث علمي في تحسين العملية التربوية والتعليمية، يشمل ذلك الاهتمام بجميع مدخلات هذه العملية ومخرجاتها المادية وبالتالي مختلف العوامل والمتغيرات والظروف والمحددات المؤثرة على الكفاية الداخلية والخارجية لها، وذلك من خلال السعي العملي لاكتشاف معرفة جديدة أو تمحيص معرفة قديمة أو تنقيح معرفة وافدة بما يثري العمل التربوي ويزيد من إمكانية التحكم فيها والتنبؤ بها والتخطيط لمواجهتها بالأسلوب العلمي المدروس على جميع المستويات.

كما يعني خطوات منظمة ودقيقة قائمة على التقصي والدراسة الطويلة المتأنية بهدف اكتشاف أو وضع أسس وقواعد أو حل مشكلات في مجال التربية (٣).

ب- تعريف البحث العلمي:

البحث العلمي استقصاء منظم ومضبوط، اختباري (أمبريقي)، وناقد لقضايا فرضية (الفروض) عن العلاقات المفترضة بين ظواهر طبيعية (٤).

لو تمعنا مليا في المصطلحين لوجدنا أن الفصل بين البحث التربوي والبحث العلمي صعب للغاية: فالأول يقتات علميا من الثاني. فالأول يختص بميدان علمي واحد، بينما البحث العلمي يمكن أن يغطي مجالات إنسانية متعددة. لكن يشتركان في أن كلًا من البحث العلمي والبحث التربوي يتفقان في أنهما يتكونان من مجموعة من الأدوات والآليات والمنهجيات للدراسة من أجل حل مشكلة؛ سواء كانت تربوية أو اقتصادية أو ثقافية أو علمية...

٢- الاهتمامات والأهداف العامة للبحث التربوي:

يحظى البحث التربوي بأهمية كبيرة لما يتوقع منه في تطوير عملية التربية والتعليم، ومساهمته في تقديم الحلول التي تلبي الاحتياجات التربوية، فالهدف الأسمى للبحث التربوي هو «الكشف عن المعرفة الجديدة في ميدان التربية والتعليم، بتقديم الاقتراحات والحلول والبدائل التي تساعد في مواجهة مشكلات قطاع التربية والتعليم والتكوين والإعداد المهني وتجويده في مختلف المجالات».

ويتنوع اهتمام البحث التربوي بتنوع مواضيع التربية وتعدد مظاهر الوضعية البيداغوجية، فمن محاولة التعرف على المتعلم من حيث خصوصياته النمائية وميوله واهتماماته، وقدراته إلى العمل على التعرف على كل العوامل الأساسية المساهمة في الفعل التعليمي- التعلمي؛ كالمدرسين والمؤسسات التعليمية والطرائق والوسائل والامتحانات والمواد المقررة، والأنظمة التعليمية وغيرها مما هو مرتبط بهذه المواضيع (٥).

٣- دواعي إنجاز البحوث التربوية: أوجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) في استراتيجية تطوير التربية العربية بالنقاط التالية:

- ضخامة المشكلات التي تواجهها الأنظمة التربوية، وحدة هذه المشكلات كأثر من آثار النقل عن النظم الأجنبية، مما جعل نظم التعليم في البلاد العربية تتسم بالمحافظة والتقليد والجمود والرتابة إلى حد بعيد.
- ضخامة المهمات التي على التربية العربية أن تضطلع بها في المستقبل، وخاصة من حيث المساهمة في إرساء المجتمع العربي المتعلم، وجعل التربية معتمدة على أصالة الثقافة العربية متصلة بالأهداف القومية.
- ضرورة التصدي لتطوير شامل وواسع للأنظمة التربوية وجعلها قائمة على جذورها الأصلية في وطنها، نابعة من قيمه وخصائصه، عاملة على التعبير عن مقوماته وذاتيته، متصلة بأهدافه الكبرى، خالصة من التقليد والمحاكاة.

٤- المراحل الكبرى في بناء البحث التربوي:

إن أي باحث في أي مجال علمي أو تربوي لابد أن يسطر مجموعة من الأهداف يتوخى تحقيقها في بحثه. ومن أهداف البحث التربوي يمكن تحديدها في أربع محطات رئيسة:

أ- محطة الوصف (Description): وهي بمثابة مرحلة التشخيص من خلال التفكير في الموضوع وطرح الإشكالية؛ تقتصر على وصف -مثلا- تجليات وسمات الظواهر التربوية والتعليمية ومشكلاتها. وخلال هذه المرحلة يتم فقط التركيز على الظواهر المدروسة بشكل استعراضي دون الغوص في أعماقها مع تحديد أهداف البحث وأهميته.

ب- محطة التنبؤ (Prédiction): ويتجلى ذلك من طرح مجموعة من الفرضيات حول الظاهرة المدروسة بشكل علمي دقيق بعيدا عن العاطفة والذاتية في أفق التوصل إلى مبادئ واستنتاجات معقولة ومفيدة تفتح الباب على مصراعيه للبحث عن حلول للمشكلة المطروحة.

ت- محطة المناقشة والتفسير (Interprétation): وتسمى أيضا مرحلة التأويل وهي محاولة الاستشفاف والكشف عن أسباب الظواهر المدروسة بالاستعانة بمعطيات علمية دقيقة مبنية على التقصي والتحري والاستقراء والاستنباط وإعمال التفكير في أعلى مستوياته.

ث- محطة الضبط أو التحكم (Contrôle): هو التحكم في الفرضيات المطروحة للحسم فيها إما بدحضها أو قبولها وتثبيتها بعد فرز النتائج الميدانية.

ج- محطة التوصيات والاقتراحات (Suggestions): وهي مجموعة من الاقتراحات تشكل منطلقا لبحوث تربوية أخرى.. ويقصد بها أيضا الحلول الإجرائية القابلة للتطبيق، والتي تنبثق من نتائج الدراسة بعد تحليلها وتفسيرها علميا.

٥- خطوات المنهج العلمي في البحث التربوي: خطوات البحث العلمي مختلفة عن خطوات البحث الإمبريقي. فعلى عكس المربي، يعود الباحث نفسه، بالدرجة الأولى، على تنصيب مسافة تأمل بينه وبين موضوع البحث. أما المدرس فمكانه داخل القسم، يندمج مع كل ما يقع داخله، ويتفاعل وجدانيا، وبشكل آني مع ردود أفعال تلامذته. في حين يتعين على الباحث المجرب اتخاذ موقف مغاير: أن يحاول قدر الإمكان أن لا ينصهر بشكل عاطفي في الوضعية، ويحاول عيش التجربة وكأنه خارج الوضعية، مما تتولد عنه صعوبات إبستمولوجية وأخلاقية مهنية في المجال التربوي (٦).

إذن، إلى جانب المراحل الكبرى لبناء البحث التربوي، لابد من استحضار ما يسمى بالمنهج العلمي كأحد الركائز الأساسية المؤدية لتطوير البحث التربوي وتنميته في أفق عرض المادة العلمية بشكل مبدع وغير مألوف، ولعل من أبرز المراحل الأساسية التي يمر منها الباحث المستخدم للمنهج العلمي في البحث ما يلي (٧):

أ- الشعور بالمشكلة: وهو إحساس الفرد بوجود عقبة أو صعوبة تحيره:
- فقد تنقصه الوسيلة للوصول إلى الغرض المطلوب؛
- أو يواجه صعوبة في تحديد خصائص موضوع معين؛
- أو يعجز عن تفسير حدث ما، خصوصا إذا كان غير متوقع.

ب- تحديد المشكلة: وذلك من خلال القيام بملاحظات (جمع معلومات) تساعد في تحديد العلاقة بين متغيرات معينة.

ت- اقتراح حلول للمشكلة (الفروض): من خلال الدراسة المبدئية للحقائق يقوم الباحث بعمل حدس رشيد عن الحلول الممكنة. وهذه الحلول المؤقتة تسمى بالفروض.

ث- استنباط نتائج الحلول المقترحة: يستنبط الباحث أنه إذا كان فرض ما صحيحا فسوف تترتب عليه نتائج معينة.

ج- اختبار الفرضيات عمليا: يختبر الباحث كل فرضية، بأن يبحث عن دليل ملاحظ يثبت أن النتائج المترتبة على الفرض قد حدثت فعلا أو ينفي حدوثها. وعن طريق هذه العملية يتم تحديد أي الفروض يتفق مع الحقائق الملاحظة، وبالتالي يقدم أصدق إجابة للمشكلة.

٦- مناهج البحث التربوي:

يمكن للباحث أن يستخدم منهجا أو أكثر من المناهج العلمية حسب طبيعة البحث التربوي. وفيما يلي أبرز هذه المناهج (٨):

أ- المنهج التاريخي (Historique): هو المنهج المعني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفا كيفيا أو كميا، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على

ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي، وتوقع اتجاهاته المستقبلية القريبة والبعيدة.

ب- المنهج الوصفي (Descriptive): وهو المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها كيفيا بوصفها وتوضيح خصائصها، وكميا بإعطائها وصفا رقميا من خلال أرقام وجداول توضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى، ومن أنواع المنهج الوصفي: المنهج الارتباطي، والمنهج المقارن، ومنهج تحليل المضمون...

ت- المنهج التجريبي (Expérimentale): هو المنهج الذي يتميز بتدخل مقصود من قبل الباحث بهدف إعادة تشكيل واقع الظاهرة أو الحدث، من خلال إجراء تغييرات معينة ومن ثم ملاحظة أثرها على عوامل أخرى وتفسيرها، حيث يقوم الباحث بتتبع أثر أحد المتغيرات (المتغير المستقل) على متغير آخر أو أكثر من متغير (متغير تابع) وضبط المتغيرات الأخرى.

ث- المنهج البنائي (Constructiviste): هو المنهج المتبع في إنشاء وتطوير برنامج أو هيكل معرفي جديد لم يكن معروفا من قبل كبناء وحدة دراسية أو برنامج علمي جديد.

٧- الإشكاليات البحثية التربوية: من أبرز الإشكاليات التي باتت تهدد تطوير البحث التربوي في الوطن العربي نذكر منها بشكل مختصر:

- المشكلة الأساسية في البحث التربوي أن مادة البحث هي -في الغالب- الإنسان وهو مادة معقدة قد يكون السلوك الملاحظ غير ناتج عن المثير المحدد من قبل الباحث، كذلك فإن الباحث يتعامل مع متغيرات كثيرة، ومن الصعب ضبطها فهو يعمل بشكل عام في ظروف أقل دقة إذا ما قورنت بعمل الباحث في العلوم الطبيعية، فضلا عن خضوعه لمعايير قانونية وأخلاقية تشكل محددات للبحث التربوي (٩).

- صعوبة الملاحظة والضبط وتكرار البحوث وثبات مجتمعات الدراسة؛ إذ تتأثر الملاحظة في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل خاص بدرجة من التأثر بموضوعية الباحث على خلاف البحوث في العلوم الأساسية والطبيعية (١٠).

- غياب روح الفريق في البحث التربوي؛ حيث يلاحظ أن نسبة كبيرة من البحوث فردية وليست جماعية (١١).

- نقص التكوين في البحث التربوي؛ خاصة وأن الكثير من العاملين في الميدان التربوي تنقصهم الخبرة والمعرفة بالبحث التربوي، لأن معظم برامج التدريب والتكوين المتوفرة لا تتضمن التدريب على البحث التربوي، يضاف إلى ذلك أن المقررات الدراسية التي تطرحها الجامعات عن البحث التربوي على قلتها لا تساعد الطالب على الإلمام الكافي بأصول البحث وقواعده (١٢).

- عدم الاهتمام بالبحوث المنجزة في المجال التربوي، والتي قدمت إضافات نوعية يمكن أن تثري الممارسة التعليمية، لكن في الغالب تبقى في رفوف المعاهد والجامعات دون أن تجد من ينفض عنها غبار التهميش!

- عدم الاستفادة من البحوث التربوية التي تنجز من طرف فاعلين تربويين في الميدان (الممارسة الديداكتيكية)، إذ لا تستثمر فتأتي أغلب الرؤى الاستراتيجية للتعليم بشكل فوقي لا علمي.

- غلبة الطابع الكمي في بعض البحوث التربوية، خاصة المنجزة في مراكز التربية والتكوين بحكم الحيز الزمني الضيق المخصص لها، فتكون في الغالب مفتقرة للمنهج العلمي الدقيق. وغلبة السطحية في التعامل مع المشكلات التربوية التي تؤرق الفاعلين في الميدان التربوي.

- الافتقار إلى عملية الربط بين البحث التربوي والقضايا المجتمعية؛ إذ يغلب عليها طابع التسطيح بعيدا عن مشكلات وهموم المجتمعات..

- ندرة البحوث التربوية المبدعة، فهي في الغالب محاكاة لنموذج تربوي غربي، فيتم تطبيقه على مناهج تعليمية في الوطن العربي مما يجعلها غير متناسقة، فتصبح المنظومة التربوية برمتها مشوهة ومعاقة وغير قادرة على التغيير والنهوض.

- الدعم المادي في البحث التربوي يظل ضئيلا..

ولهذا، فإنه من الأهمية بمكان القيام ببحوث ودراسات علمية ومعمقة عن المشكلات التربوية، من خلال الجمع بين البحوث النظرية والتطبيقية، والبحث في مدخلات التعليم وعملياته ومخرجاته، والتي تؤدي إلى حسن فهم الممارسين في الميدان الصفي للعملية التربوية والتعليمية للمشكلات القائمة فعلا، وفي النهاية تفضي إلى تحسين العمل التربوي. وهذا لن يؤتي أكله إلا إذا تم دعم البحث ماديا ومختبريا واستحضارها في أي إصلاح تربوي.

هوامش

١- سعيد بن محمد عبد الله الشمراني، يناير ٢٠١٢م، أولويات البحث في التربية العملية بالمملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ٢٤، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ص ٢٠٠.

٢- عبدالباسط محمد حسن (١٩١٧م): أصول البحث الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، ص ١٤٠.

٣- فاروق عبده فلية وأحمد عبدالفتاح (٢٠٠٤م): معجم مصطلحات التربية: لفظا واصطلاحا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ص ٦٠-٦١.

٤- Kerlinger، Fred N. (١٩٧٦م): Foundations of Behavioral Research. ٢nd. Ed. New York. Holt، RINEHART AND WINSTON. INC. P١١

٥- محمد الخي (٢٠٠٠م): مناهج البحث التربوي، سلسلة التكوين التربوي، العدد ١٦، ص ١٢.

٦- غاستونميالارية، المعارف النظرية والعلمية والتطبيقية في المجال التربوي، ترجمة نور الدين البودلالي، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد ١٩، مايو ١٩٩٩م، ص ٩٩.

٧- حمدي أبوالفتوح عطيفة (٢٠٠٧م): بحوث العمل طريق إلى تمهين المعلم وتطوير المؤسسة التربوية، دار النشر للجامعات، ط١، القاهرة، ص ٢١٧-٢١٨.

٨- عطا حسن درويش وآخرون، (د.ت): دليل معايير جودة البحث العلمي، مجلس البحث العلمي بوزارة التربية والتعليم العالي، فلسطين، ص ٨-٩.

٩- العزاوي، رحيم يونس كرو (٢٠٠٨م)، مقدمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، ط١، ص ٣١.

١٠- المنيزل، عبدالله فلاح، العتوم عدنان يوسف، (٢٠١٠م): مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية، دار إثراء، ط١.

١١- المنيزل والعتوم، (٢٠١٠م): مرجع نفسه، ص ٣٣.

١٢- محمد منير مرسي (١٩٨٧م): البحث التربوي وكيف نفهمه، دار عالم الكتب، ط١، ص ٨٠.

معروف عبدالرحيم
قاص وأديب



ليتني قبّلت قدميك..



صرخ وهو يلوح بيده محتجا ومتأففا، وفي وجهه غضب كأنه تسونامي ضرب شواطئ نفسه المغرورة والمتعجرفة، وعيناه جاحظتان كأنهما عينا عفريت، والمسكينة تنظر إليه برفق وحب، ملتمسة له الأعذار، مشفقة عليه، خائفة أن تمسه الأخطار، مسترسلة يديها نحوه، كأنها تطلب منه اعتذارا، وألم الانتظار واضح على صفحة وجهها.. لكنه تركها بكل وقاحة واحتقار وهو يشير بأنامله إلى أنه يريد منها حفنة دراهم.. لا شيء غير الدراهم، لا يريد العشرة أو العشرين، بل هو طامع في الألف، فما فوق!

فشل في تحقيق مبتغاه بالتكرار، اتخذ القرار، ولبئس القرار:

كاد أن يلصق الباب خلف وجه أمه، وهي تهرول على أثره، بلهفة وشوق، مرددة:

- بني، سأحضر لك جزءا من المال الذي طلبته شريطة ألا تشتري به المخدرات.

أجابها بوقاحة وقلة أدب:

- أريد كل المال أو لا شيء.. أف!

ثم غاص الابن العاق في شوارع المدينة وأزقتها بدراجته النارية، وهو يراوغ السيارات بتهور وغرور، متجها نحو مستنقعات المخدرات والمسكرات، وإذا ما وصل بدأ يصرخ بصوت مقزز كأنه صوت خنزير:

- هتلر.. هتلر! (اسم مستعار لمروج المخدرات).

فخرج من بطن هيكل شاحنة متهالكة رجل قصير القامة، تملأ وجهه آثار جروح كثيرة، ربما كانت نتيجة معارك سابقة بين تجار المخدرات المنافسين.

- ماذا تريد يا نديم؟

- لم أجد المال الكافي لاقتناء البضاعة، انقذني بشيء من الحشيش.

- يا صاح، يا نديم، إذا منحتك من دون مقابل، فمن أين لي أن أدفع لرئيس مافيا البخور؟! (يقصد رئيس سوق المخدرات).

- من فضلك امنحني قطميرا أو نقيرا!

- أف عليك، ما رأيت صعلوكا مثلك!

- يرحم الله والديك، ستكون آخر مرة آتي إليك من دون نقود!

فضحك هتلر حتى أبان عن أسنان سوداء نخرة، كأنها صخور بحرية تهشمت بفعل غزوات الأمواج المتكررة:

- هل تسخر مني، متى كان الحشيش والكوكايين وكل ما حرم الله صدقة تصل إلى الأموات؟ ههههه.. لأنك أضحكتني سأمنحك قطعة صغيرة، ولكن على سبيل القرض، هههههه.. وليس الصدقة، فمالنا غير جائز لها.

- موافق أخي هتلر.

أحس نديم بذل مخز، ومن أجل ماذا؟.. من أجل سم يقتل النفس والحس، وكيف لا يهان وقد أهان من جعلت الجنة تحت أقدامها.

ناوله جزءا صغيرا من الحشيش، فتلقفه من بين أنامله كما تتلقف الأفعى فريستها، مرددا العبارة التي اشتهر بها «لنحلق في السماء بلا طائرة تطير»، ثم ركب دابته الآلية وغاص في بحر من السيارات والشاحنات والحافلات والدراجات، يراوغ كل ما يدب على الطريق، وكلما احتج عليه سائق أشبعه شتما ولمزا وغمزا، رافعا يديه نحو الأعلى بتجبر وتكبر وتبختر.

اتجه إلى عين من العيون الطبيعية الموجودة خارج المدينة، حيث النباتات المتنوعة والطيور المغردة رسمت لوحة جميلة، تبهج النفوس، وتنسي الآهات والآلام وصداع الرؤوس.

والمياه منسابة بوداعة وانسجام، راسمة على أديم الأرض منعرجات، تزرع الحياة بإذن ربها، تالية قول الله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء:٣٠).

إذا ما وصل إلى مكان جذاب، فيه خضرة النبات وخرير المياه، أوقف دراجته ثم اضطجع على العشب، فأخرج وسائل صناعة الموت البطيء، أو لنقل الانتحار بالتقسيط : «سيجارة وقطعة حشيش»، وبدا لون ورقة التلفيف الأبيض ككفن أعد لميت.. وإذا ما انتهى من صناعة بنت أم الخبائث، ثم أوقد الصاروخ الذي سيسافر به إلى جحيم من الخيال والعبث، ويوصله بعد حين إلى الفناء والموت،

اجترع دفعات متتابعة كأنه ضبع جائع، وجد جيفة على حين غرة، فارتخت أعصابه، وتلاشت مفاصله، وتلون وجهه بصفرة، كأنه مريض يحتضر، أو إلى ماء أو طعام يفتقر، ثم غفا غفوة خفيفة، نام بعدها.

رن هاتف نديم الخلوي، فإذا هي أخته جود:

- نديم، نديم، أمي في خطر، لقد دهستها سيارة وهي في غرفة الإنعاش والعناية المركزة.

- ويحك، ماذا تقولين؟

- ما سمعت، أسرع.
وثب نديم على دراجته النارية قاطعا الاتصال ثم غاص في الطريق بسرعة جنونية، في سباق مع الزمن، وفي وجهه حسرة وندامة، ومن عينيه تفيض دموع صامتة كأنها نذير عاصفة هوجاء في ليلة ظلماء وسط أرض برقاء.
إنه وقت الذروة والطريق ممتلئ عن آخره، وإشارات المرور توجد بكثرة في ملتقيات الطرق التي تؤدي إلى المستشفى المركزي.. ماذا يفعل نديم، إنه في غاية الحيرة، تمنى لو أن له جناحين، فيرفرف مسرعا نحو الغرفة المخيفة، حيث ترقد أمه هناك، بين سطوة الموت ومقاومة الحياة، فهو لا يتذكر إلا ذلك الحوار الذي دار بينهما، والذي ربما تسبب في توتير أعصابها، بل وقد صفع الباب في وجه أمه، إنه حقا موقف خطير وحرج لا يحسد عليه.
أعاد الاتصال بأخته، يريد الاطمئنان على أمه المسكينة:
- أختي، كيف حال أمي؟
أجابته وصوت بكائها ينذر بوقوع ما كان عنه يحيد:
- أمي الحبيبة في غيبوبة شاملة، لا تحرك شيئا، أسرع يا أخي.
- إني آت.. آت.. آت. اللهم سلم.. اللهم سلم.
كلام غريب عن قاموس نديم، فلم يعرف عنه إلا ألفاظ السب والقدح، ومظاهر الغرور وسائر الشرور.
هو الآن على مشارف المستشفى، بل وصل إلى الباب الرئيسي، فترك دراجته من دون قفل، وابتلعه المستشفى، وهو يعدو عدو الأبطال في حلبة النزال، بدأ نديم يراوغ المارة والمرضين الموجودين في ممرات المستشفى، حتى إذا شاهد مكتب الإرشادات وثب على منصته، وهو يتمتم كالمعتوه.. قائلا:
- من فضلك أين توجد قاعة الإنعاش، حيث توجد أمي فاطمة أبو الخير؟
- القاعة ٢٤ علوي سيدي.
تابع العدو نحو الدرج، فصعده كأنه صاروخ فضائي، إنه يتصرف بقوة باطنية، مملوءة بطاقة الندم، تسقى من عين الذاكرة، التي تحيله إلى كل فعل مشين اقترفه في حق أمه المسكينة.
بدأ يلهث من شدة التعب وكثرة العدو، خصوصا أنه سكير ومدخن ومدمن منذ زمن طويل.
وصل إلى الغرفة، لكن ليته ما وصل، تمنى لو ابتلعته الأرض، أو خطفته أجنحة السماء، على أن يشاهد:.. أخته جود تصرخ واضعة يديها على ركبتيها، وجالسة جلسة القرفصاء وهي تصرخ:
- وا أماه وا أماه وا أماه.. ماتت أمي، لقد ماتت أمي، ماتت الحبيبة الطيبة التقية النقية الصفية البهية، يرحمك الله.. أمي الحنونة.
انهار نديم بكاء، فلم يعد هناك شيء يقف أمام جحافل الدموع التي غزت أجفانه وجيوش الحزن التي استولت على نفسه، وهو يصرخ كالمجنون مرددا:
- ليتني قبلت قدميك أمي قبل الرحيل.. فأفوز فوزا عظيما وأظفر برضى الجليل، ليتني قبلت قدميك الطيبتين، اللتين تعبتا من أجل سعادتنا... عودي يا أمي ولن أزعجك، بالله عليك يا أمي استيقظي وسوف أمتنع عن التدخين والسكر والإدمان، وسوف أصلي الفجر وسائر فرائض الإسلام.. عودي يا حبيبتي ليتني قبلت قدميك.
لا يتذكر إلا سلوك العقوق الذي صدر منه في حق أمه، فكلمة أف التي كانت لا تفارقه، بل الصراخ في حضرتها واستنزاف قدراتها المادية المتواضعة، كل هذا تجمع في عقله، وأدرك الحقيقة المرة التي يتحمل مسؤوليتها:
إنه ابن عاق، وما أدراك ما العقوق، ثم عاد للبكاء، مرددا بجنون وهذيان:
- هل أنا عاق؟ هل حقا أنا عاق؟ هل أغضبت ربي؟ وا حسرتاه وا ندماه، أللعاق توبة أم أنتظر العذاب؟ ولعذاب الانتظار أشد وأخطر، وللعذاب المنتظر أدهى وأمر.. ليتني قبلت قدميك قبل أن ترحلي وتتركيني وحيدا أترنح مثل ديك مذبوح بشفرة غير حادة، ليتني قبلت رأسك وقدميك ويديك، ومسحت دموعك الطاهرة عن خديك، ومسحت العرق من جبينك، ونمت على حجرك أسترجع تاريخ حنانك ورأفتك منذ الصبا إلى الآن، تداعبين جذور شعري بأناملك الرؤوفتين، ليتك عدت فأعمل ليل نهار، وأحضر لك المال، وأجمل لك الحال والمآل، وأشتري لك كل ما تحبين، ولو كان في قمم الجبال أو تحت سطوة الرجال.. ليتك عدت يا حبيبتي، فأنظف المنزل كل يوم قبل أن تستيقظي من النوم، وأحضر لك العشاء والغداء كل يوم.. وفي كل صباح فطورا لذيذا، وإن صمت أصنع لك سحورا خفيفا، وأعطر غرفتك بأغلى البخور وأحلى العطور، يا من أعماني عنك الغرور، يا أطهر من الزهور، ليتني قبلت قدميك قبل الرحيل، لو كان ممكنا لافتديتك بنفسي، ولكنت بدلك.
ولمّا شاهدت جود أخاها على تلك الحال، أسرعت إليه وأخذت بيده مخاطبة:
- على رسلك يا أخي، هون على نفسك، فرحمة الله واسعة، ومن يحول بينك وبين مغفرة الله وعفوه،.. ارجع إلى ربك فيقبل توبتك.. تعال ندخل لنلقي النظرة الأخيرة على وجه أمنا.
أطاع نديم أخته، إلا أنه ما إن نظر إلى وجه أمه حتى صاح بصوت مرتفع ومتصل وقوي كأنه يطلب النجدة وهو يبكي:

يا الله، يا الله، يا الله.

لكن ما الأمر؟ أليس كل هذه الأحداث حقيقة؟!

فجأة.. أفاق نديم من نومه الذي باغته وقت تناوله ذلك الملفوف من الحشيش، يبدو أن الأمر لا يغدو أن يكون سوى كابوس انتابه، وربما هي موعظة ربانية، وأن القصة حلم ليس إلا.

نهض فزعا وقد زالت سكرته بالمخدر، وهو يتمتم «أمي.. أمي.. أمي»، فنظر إلى مكان الدراجة فإذا هي قد سرقت، ونظر إلى أنظار الناس، فإذا هي حوله تجمعت، ونظر إلى السماء فإذا هي غيمت، فقال في قرارة نفسه «خيرا إن شاء الله، الحمد لله أن أمي ماتت في المنام، ولم تمت في الأنام.. اللهم إني تبت إليك توبة نصوحا، اللهم أحييني حتى أرى أمي وأقبل قدميها».

ثم أخرج هاتفه واتصل بأمه:

- السلام عليكم، أمي الحبيبة!

- السلام عليكم.. أأأ.. أأنت بني نديم؟

- أجل، الحمد لله أنك مازلت حية ترزقين.

- ماذا ؟

- سامحيني يا أمي على كل إساءة أسأتها في حقك، أنا نادم على كل ما فعلت من عقوق، وما فرطت لك من حقوق، فهلا غفرت لي أماه؟

كادت الأم أن تقع أرضا من قوة المفاجأة، وهول المباغتة، وهي تردد في مكنون نفسها «سبحان مبدل الأحوال من حال إلى حال».

- الحمد لله، وكيف لا أسامحك وقد سامحتك دوما وسهرت الليالي أدعو الله لك بالتوبة؟! ولكن قل لي ما السر في ذلك؟

- لقد من الله علي برؤيا كانت مفتاح كل هذا الخير، ولن أكمل لك قصتي، إلا وأنا أقبل قدميك، وأتوسد ركبتيك، وتمسحين بيديك الطاهرتين شعري، كما كنت تفعلين دوما في صغري وشبابي.

أقفلي الهاتف أمي رجاء، فإني استحيي أن أقفل الهاتف في وجهك النوراني الوضاء.

- نعم بني، هأنذا أقفل الهاتف مرغمة في وجهك الذي هو خير من روحي التي تسكن أضلعي، الحمد لله ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت يا رب بعد ذلك.

- حمدا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ذهب يبحث عن سيارة أجرة في سكون ووقار وسكينة فلما لوحظت عليه، وبابتسامة أشار إلى سيارة أجرة أقلته إلى المنزل.

لما وصل وثب على زر جرس المنزل بيده، مرت ثوان وهو ينتظر، فالأم كانت قرب الباب تستبشر..

فالتحم الحبيبان في عناق نوراني، ودموع الفرحة تنهمر بسخاء على خديهما، لترسم سيولا على أديم وجههما الجميلين بنور ربهما.

ارتمى نديم على قدمي أمه يقبلهما بلهفة منقطعة النظير، ثم شرع يحكي لها قصته، ثم وقف فقبل يديها ثم رأسها ومسح العرق من جبينها، وقال لها بصوت خافت خافضا جناح الذل لها:

- أمي، حبيبتي، سأخرج للبحث عن عمل، وقبل ذلك سأغسل لك الأواني وأحضر لك طعاما تأكلينه من يدي.

- لا عليك يا بني، إنني صائمة الأيام البيض، ومازال لي يوم واحد، هو غدا إن شاء الله.

- لقد صدق الله الرؤيا بالكمال والتمام، سبحان ذي الجلال والإكرام.

وصدق نديم في توبته، وأصبح لصيقا بالمصلين والصالحين وأهل العلم والقلم، وفارق المدمنين على الحشيش والكحول والخمر وسائر أوكار الهم والغم، بل وأصبح يدعوهم من دون مجالستهم في مجالس السوء إلى ترك الإدمان، فتوبته مازالت طفلة صغيرة هشة العظام، قد تكسر في أي لحظة، وإنقاذ النفس أولى من إنقاذ الغير، وإصلاحها مقدم على إصلاح غيرها، فلنبدأ بالذات أولا.

أصبح نديم يسير مكتبة ضخمة، ونجح في الثانوية العامة، بالدراسة الحرة، ثم تابع دراسته الجامعية، وانخرط في جمعيات محاربة الإدمان وإنقاذ الأطفال المشردين، كي يكفر عن خطاياه، فرب حسنة تمحو سيئات وتوبة تجب ما قبلها. تزوج نديم وأصبح أبا، وكلما دخل إلى المنزل قبل يدي أمه وقدميها، وجبينها ورأسها، فأمست عادة له، حتى أن أبناءه أصبحوا يفعلون السنة نفسها، له ولأمهم وجدتهم!

محمد عباس
باحث دراسات إسلامية

قصة قصيرة

الرسالة

بدت السماء لمسعود منبثقة من بين الأبنية الإسمنتية المحيطة، مكسوة بطلاء ضوئي سحري، ينبض بسكينة حالمة تليق بالموقف الذي يحيط به. تمنى لو يزيح تلك الأبنية ليتسع له مجال الرؤية، يرى باب السماء كما لم يره من قبل. حدق في وجه الشمس، تساءل: هل يمكن أن تموت؟ وإذا ماتت، فكم عدد المشيعين الذين سيتبعون جثمانها؟

ها هي الأقدام من حوله تمضي، أعداد مهولة من الوجوه العابسة تتحرك في بطء وبلا تدافع، بينما الموت يسير الهوينا أمامهم!

تفجرت خواطره بين عينيه، سحبته من الموقف حوله، جرفت معها هدوءا كان يتوارى خلفه عن أعين الخلق، كونه غريبا هنا وسط غرباء يحتم عليه أشياء بعينها، عليه إلا يندفع إلى خصومة قد تجره إلى عراك، العراك قد يضطره إلى سماع ما لا يطيق سماعه، لذا فقد وضع نصب عينيه أن يتوارى خلف



هدوء يبدو للعيان طيبة أو تسامحا، أو هو سيماء صلاح تبتعد به عما لا يعنيه، مركزا اهتمامه فقط في حانوته الصغير الذي يرتزق عن طريقه، والمسجد القريب الذي يؤدي فيه صلواته، ثم بيته الذي يغلقه دوما، قانعا من معرفة الناس حوله بسلام عابر أو كلمة طيبة لا أكثر. وقد قبل من الأيام تلك الحالة راضيا بحياته كرجل على الهامش إلى أن مات اليوم رمضان، شيخ الجامع الكبير.. أغلق حانوته فورا، توجه إلى المسجد للصلاة عليه، ثم مرافقة جثمانه إلى مثواه الأخير.. البلدة كلها هوت أفئدتها إلى المسجد ثم تبعته إلى المقابر، أعداد رآها مسعود وهو يمضي حاملا شيب نظراته ووهن خطوته، فتفجرت في صدره براكين خواطر أغرقت هدوءه وتركته في جحيم من الحروف المصهورة التي تأكل قلبه بأنياب حداد، فتح عينيه على ما لم يطف بخياله من قبل، سائلا نفسه:

- كم عدد المشيعين لجثمانك لو مت اليوم؟

أشاح بوجهه محاولا الإفلات من إلحاح السؤال على رأسه، ارتفع رنينه أكثر، تردد صداه في أروقة دماغه، ورأى جثمانه يسير هزيلا وبضعة أشخاص لا يكادون يشدون البصر أو يملأون العين يسيرون خلفه، أغرقت بحار الأسى عينيه وهو ينعى نفسه متحسرا على حاله، سيذهب إلى الآخرة غريبا كما عاش طوال حياته. هل يبالي أهل الآخرة بكثرة عدد المشيعين للميت؟ وهل تكون مكانته بينهم مرتبطة بهذا العدد؟

أدار عينيه في الخلق حوله، رؤوس مبذورة في أديم الأرض، كبرت وترعرعت لتسير خلف جثمان رمضان شيخ الجامع الكبير، تودعه في ود غامر ليدخل إلى الآخرة مفاخرا بعدد مشيعيه، كيف له هو الغريب الذي لا يعرفه إلا من يتعاملون معه -وهم قليل- أن يناجي الأرض لكي تنبت رؤوسا مثل تلك لتسير خلفه؟

تكورت الدموع في عينيه، صنعت أمواجا هادرة ودوامات ما لها من قرار، رأى جثمانه من جديد ملقى على الأرض لا يجد من يحمله، امرأته وحيدة بالطريق تبكي رجلها الذي لا يجد من يتعطف ويسير خلفه إلى حيث يواريه التراب.. من خلف الدموع المتأججة في عينيه رأى المرئيات من حوله كائنات هلامية تتحرك في متاهة الأرض، ظلال تتحرك، أو هي أقنعة ترتديها الأرواح ثم ما تلبث أن تخلعها بعد أداء دورها على مسرح الحياة، لفتت انتباهه بين تلك المرئيات حروف ذهبية مكتوبة على لوحة معلقة على مدخل حانوت قريب، سقطت عليها أشعة الشمس فأخذت تشد الأعين المارة برونقها، مسح وجهه بباطن كفه، قرأ:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

حدقت عيناه في الكلمات كأنما يتعرف عليها من الحطيئة لأول مرة، اللوحة تبدو أعلاها سماء صافية الأديم، تحت السماء تلك الكلمات، وتحت الكلمات مباشرة صحراء قاحلة اصفرارها لا محدود، إلى جانب منها تنزوي نخلتان متجاورتان، يسير تحت ظلهما رجل وحيد يحمل بيده اليسرى عصا يتوكأ عليها، واليمنى ممسكة بطرف مخلاة من القماش ملقاة على ظهره المحني قليلا إلى الأمام.. عاد مسعود يمسح عينيه بقوة، يواصل التحديق في اللوحة، يشعر أنه ذلك الرجل السائر وحده وسط الصحراء حاملا مخلاته في سكينة، القانع بأحواله وطول سفره. إن تلك الكلمات هي رسالة هبطت عليه من السماء، رسالة فيها مهمة محدد له أن يقوم بها، وإجابة شافية على تساؤله الذي لم يبح به لمخلوق.. عاد للبكاء، لكنه هذه المرة حمدا للذي لم يهمله رغم غربته ورغم سيره وحيدا في صحراء الوجود!

أ. د. مرزوق العمري
جامعة باتنة الجزائر

الرسالة الإسلامية في الرؤية الحداثية

الرسالة حقيقة عقدية في العقيدة الإسلامية، وهي إحدى الصور التي يخاطب الله عز وجل بها عباده لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ (الشورى:٥١). وإذا كانت الرسالة هي الإتيان بشرع على الابتداء، أو نسخ بعض أحكام شرع سابق (١)، فإن الرسول لا يأتي بهذا الشرع من عنده، بل هو بشر مبلغ ما أوحي إليه وأرسل به، وقد قال القرآن الكريم في شأن محمد ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ (الكهف:١١٠).

وقال في وظيفة الرسل عامة: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾ (الأنعام:٤٨).



والرسالة بهذا المعنى تتضمن النبوة؛ ولهذا قيل كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا (٢). وهذا على أساس أن الرسول هو الذي جاء بشرع جديد. وكانت رسالة محمد ﷺ هذه خاصيتها؛ إذ جاء بتشريع جديد، وكلف بالتبليغ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة:٦٧).

ولأهمية الرسالة في العقيدة الإسلامية، جعل منها الإسلام ركنا من أركان الإيمان لا يصح إيمان الإنسان إلا بالإيمان بالرسل ورسالاتهم، ومن خالف في ذلك فقد خالف العقيدة الإسلامية ووقع في الكفر والعياذ بالله، وهذا ما ورد في قوله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» (٣). وانطلاقا من هذه النصوص وغيرها، أخذ علماء العقيدة في ترتيبهم لمبحث النبوة والرسالة وجعلوا منه المبحث الثاني من مباحث علم العقيدة. وفيه يبحثون في معنى الرسالة والنبوة، وصفات الأنبياء ومعجزاتهم وكتبهم، ووظائفهم.. إلخ.

من هنا فالإيمان برسالة الرسل جميعا، ومنهم محمد ﷺ، أصل من أصول الدين، لا يستقيم الإيمان إلا بها، إذ كيف يمارس المؤمن شعائره ويؤدي واجباته وهو لا يؤمن بصحة رسالة الرسول؟! فمن أين له أن يأخذ التعاليم الدينية إن لم يكن عن طريق الرسول الذي أرسله الله عز وجل؟ وكيف له أن يعلم صحة أو خطأ ما هو عليه إن لم يكن مقلدا متبعا الرسول الذي جاء بالرسالة؟ ولهذا يحث القرآن الكريم على ضرورة ملازمة النبي ﷺ وأخذ كل ما جاء به لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر:٧).

ولما كان هذا النص يتعلق برسالة محمد ﷺ، وهي الإسلام، فهذه الرسالة خصها الله عز وجل بخصائص لم تكن لغيرها؛ منها أنها خاتمة الرسالات السماوية، فكانت بذلك الحقيقة الخالدة، ولذلك حذر الله عز وجل من اتباع أي رسالة أخرى لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥).

ولكون الرسالة الإسلامية خاتمة الرسالات السماوية جعلت منها هذه الخاصية رسالة عالمية فهي للناس جميعا في كل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ:٢٨).

فإذا كانت الرسالة الإسلامية هذه أهم خصائصها «العالمية»، فإن الرؤية الحداثية تتصادم معها بشكل ظاهر؛ فهذه الرؤية تحكم بتاريخية هذه الرسالة (٤)؛ وهنا نجابه التساؤل التالي: كيف تكون الرسالة الإسلامية عالمية وخوطب بها الناس جميعا وفي الوقت نفسه ارتبطت بواقع «زمكاني» محدد؟!

الرؤية الحداثية تلغي هذا البعد العالمي، وتعتبر الرسالة ظاهرة تاريخية لم يخاطب بها الإنسان المعاصر، بل لم يخاطب بها حتى الإنسان المعاصر لها. وهذا بالاعتماد على المخاطب الثاني؛ أي الجماعة التي كان يخاطبها النبي عليه الصلاة والسلام مباشرة، أما الذين جاءوا من بعد وفاته واطلعوا على رسالته فهؤلاء لا يخاطبون بها؛ لأنهم في زمن غير زمنه، وغير زمن الرسالة التي جاء بها، ولذلك حينما يتحدث الحداثيون عن النبي ﷺ يقولون إنه: «مسؤول بحكم وظيفته هذه عن الرسالة وتجسيدها في التاريخ عن طريق انخراط شخص ثالث هو المرسل إليه الجماعي» (٥).

وهذا الكلام ترتبت عليه عدة مخالفات من الناحية العقدية منها:

١- هدم ركن من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالرسل. وقد يقال لم يهدم هذا الركن؛ لأن الإيمان مسألة نظرية تصورية، فالتصديق بالرسالة الإسلامية قائم ولم ينكر، وإنما الذي أنكر هو الاحتكام إلى هذه الرسالة وسحبها خارج إطارها وعلى سائر العصور بما في ذلك الزمن القادم، وهذا الكلام أيضا مخالف لحقيقة الإيمان؛ لأن الإيمان ليس تصديقا فقط بل تصديق وعمل، فلا يمكن أن يكتمل إيمان الإنسان إن لم تكن أعماله توافق عقيدته وإيمانه. ولذلك يعيب وينكر القرآن الكريم على الذي يكون هذا شأنه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة:٨٥).

ووصف المؤمنين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾ (المؤمنون:١-٥).

فهذه الآيات وغيرها تؤكد أن الإيمان تصديق وعمل، وليس مجرد تصديق. وفي هذا معارضة صريحة للرؤية الحداثية مع مفهوم الرسالة باعتبارها حقيقة عقدية؛ أي لا يمكن الإيمان بها دونما توظيف لها في الواقع العملي.

٢- هدم التشريع: لأن تحيين الرسالة واعتبارها تاريخية يؤديان إلى القول بعدم مخاطبة المسلمين بأحكام

التشريع؛ ووفق هذه الرؤية يصبح المخاطب بها النبي ﷺ والمسلمين في زمانه، لكن بعد وفاته لم يعد الخطاب يتعلق بالمسلمين. وهذا بناء على إدخال المرسل إليه الجماعي كعنصر من عناصر الخطاب القرآني على حد ما يرى الحداثيون. وقد ترتب على هذا إلغاء حجية السنة، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل أدى إلى هدم التشريع من عبادات ومعاملات؛ فبناء على القول بتاريخية الرسالة، كما قضت بذلك الرؤية الحداثية، ذهب الحداثيون إلى اعتبار العبادات غير مستمرة على النحو الذي فصلته السنة النبوية، بل يمكن الأخذ بما هو في القرآن فقط، فصارت الصلاة ليست خمس صلوات في اليوم والليلة، بل يمكن أن تكون مرة واحدة، وليس لها عدد ركعات معين، وصار الصوم ليس شهر رمضان بأكمله، بل يمكن أن يكون يوما أو أياما متفرقات استنادا لما في القرآن فقط. أما الزكاة فلم تبق أيضا على الصورة المشروعة، والحج مشرع لحكمة وهي تجمع المسلمين، فلما تحققت لم يعد واجبا، وهكذا.. حتى في مجال المعاملات صار الربا ليس محرما، وغيرها من المسائل التي كانت السنة هي السند فيها (٦).

وهذا الكلام يخالف العقيدة الإسلامية مخالفة كلية، وإن كان الناظر في هذه المسائل يجدها في أبواب الفقه التي تمتاز بالمرونة، وبالقابلية للتغير أحيانا، لكن الأمر لم يقف عند هذا الجانب الفقهي بل طال العقيدة. فالصلاة والصيام والزكاة والحج هي أركان الإسلام، وتركها عمدا وعدم الإقرار بمشروعيتها أمر لا يتعلق بالفقه بل بالعقيدة؛ لأنه إنكار وهدم لأركان الإسلام، ولصلة هذه الجوانب بالعقيدة، تناولها علماء الإسلام ضمن كتب العقيدة، كما تناولوها في كتب الفقه، فالإمام عبدالقاهر البغدادي مثلا يجعل منها الأصل التاسع من أصول الدين. في كتابه أصول الدين (٧). فهذه أمور ثابتات لا يمكن تغييرها، وإنكارها إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة.

وفي ضوء الرؤية الحداثية للرسالة الإسلامية نجد أن إنكار هذه الأمور ترتب على القول بالتاريخية التي سحبت على النبوة والرسالة وهو مبحث عقدي، مما يؤكد أن القول بتاريخية النص الديني، كما تقضي بذلك الرؤية الحداثية، لا يستقيم مع إثبات نبوة ورسالة الرسول الذي بعثه الله ليبلغ ما كلف بالتبليغ به، فإذا كانت الرسالة محصورة في زمان ومكان محددين والأمر بالتبليغ متحقق فهذا ضرب من التناقض الذي يريد الحداثيون تحميله النص الديني، والنص منه بريء. والمتأمل في هذين الأمرين، هدم الإيمان وهدم التشريع، بالكيفية المشار إليها، فهذه العملية تؤدي إلى التحلل من الدين، والدين ما جاء ليتحلل الناس منه، بل ليؤطر حياة الناس ويطبقونه، فبه يعيشون، وله يعيشون، وفي سبيله يموتون. ولهذا كان حفظ الدين مقصدا من مقاصد الشريعة. وبطبيعة الحال التحلل من الدين نظرة إلحادية تخالف العقيدة الإسلامية، وهنا كان المدخل إلى هذا التحلل تحيين الرسالة، والإطار الذي تم فيه هذا التحيين هو القول بتاريخية الرسالة.

إن هذا التصور للرسالة في الإسلام هو محاولة من محاولات علمنة الإسلام ذاته، وهي مسألة أراد الحداثيون التأكيد عليها؛ من خلال اعتبارهم هذه العلمنة موجودة وممارسة وتحققت في التاريخ الإسلامي ولكن سميت بغير اسمها (٨). وهذا كلام فيه تغليط؛ فالإسلام يرفض العلمانية من جميع وجوهها؛ لأن الأمر يتعلق بالعقيدة التي بينت لنا أن هذه الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ استوعبت كل شيء لقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام:٣٨).

كما أن هذه العقيدة بينت لنا علاقة الإنسان بالله وعلاقة الله بالموجودات، فالألوهية في العقيدة الإسلامية ليست سلبية كما كان يتصورها العقل القديم (٩). ولذلك يكون القول بتاريخية الرسالة، وعدم اتخاذ المرجعية الإلهية، أمرا مخالفا للعقل والعقيدة ذاتها. يقول الدكتور محمد عمارة: «محال أن يجتمع ويتوافق في قلب المسلم تصور الله مدبرا لكل شيء وراعيا لكل أمر، مع تصور عزل السماء عن الأرض، وتحرير العمران الإنساني من ضوابط وحدود تدبير الله» (١٠).

فالمسألة مرتبطة بالعقيدة وليست من الأمور التي يمكن أن تكون محل اجتهاد ونظر. إن الرسالة بما أنها حقيقة عقدية من عند الله عز وجل تكون مخالفة للتاريخية رافضة لها. ولما كان علماء العقيدة يستدلون على صحة الرسالة المحمدية بما أيّد الله به نبيه ﷺ من معجزات، تطرح الرؤية الحداثية مناقشة إمكانية المعجزة من زاوية وضعية أيضا، يقول محمد أركون معتبرا المعجزة

في المعتقد الإسلامي لا تختلف عن المفهوم السائد عند اليونان قديما: «من العبث أن نبحث في القرآن عن تمييز واضح بين المفهوم اليوناني (clublis) الذي يعني الحقيقة الطبيعية المستقلة التي هي محط للجهد التعقلي من جهة، وبين المفهوم التيولوجي لكلمة خارق للطبيعة التي تتجاوز حقيقتها وطريقة اشتغالها قدرة الوعي البشري» (١١)، فهذا النص ينكر المعجزة بالمفهوم السائد في التصور الإسلامي، بل يعتبرها وجها آخر للمفهوم السائد في التصور اليوناني القديم، وهذا في ضوء الفلسفة الوضعية، وإنكار المعجزة مخالف للعقيدة أيضا؛ لأن المعجز هو الله عز وجل، وليس المؤيد بها، ولذلك إنكارها بعد ثبوتها موجب للعقاب (١٢).

وقد جعل القرآن الكريم حجة الله على الناس جميعا بعثة الرسل: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٦٥).

وقد أمر النبي ﷺ المسلمين بالتبليغ عنه ما دامت السماوات والأرض. من هنا تكون الرسالة تنافي التاريخية، ويكون القول بتاريخيتها إما عنادا أو مكابرة، خصوصا أن الحداثيين العرب يعلنون بأنهم مسلمون، وأن عملهم من قبيل التجديد وإعادة بعث الإسلام ولكن في صورة علمية، لكن هذه الصورة التي رسموها للإسلام جعلتهم يحكمون عليه أنه ظاهرة تاريخية لا ديانة سماوية، جعلتهم يحبسونه في التاريخ وليس منهج حياة مستمر، وهذا مخالف للإسلام نفسه، وبالتالي قد تكون الحقيقة بادية لهم ولكن المكابرة هي التي جعلتهم يصرون على ما هم عليه،

وهذا الموقف في حد ذاته ينافي العلمية المتحدث عنها؛ لأن المكابرة مسلك غير علمي.

وإما أن يكون الأمر من قبيل تسمية الإلحاد بغير اسمه؛ لأن الرهان المرجو كسبه من التأسيس للتاريخية هو التبرير للعلمانية، وذلك من داخل الإسلام نفسه، الأمر الذي يؤكد أن مواقع الصراع قد تغيرت. أقول تسمية الإلحاد بغير اسمه؛ لأن منهم من يعترف بأن الإلحاد والعلمانية سواء. يقول حسن حنفي: «والحقيقة أن الإلحاد كالعلمانية مفهوم غربي خالص، الهدف منه العودة إلى الدنيا واكتشاف عالم الحس والشهادة بعد أن غالت الديانات التي سادت الغرب، ممارسة أو ثقافة، في عالم الغيب والأسرار» (١٣).

وسواء كان الهدف هذا أو ذاك، فالتاريخية مفهوم لا يستقيم القول به مع إثبات الرسالة في العقيدة الإسلامية والاعتقاد بأنها حقيقة لا يكتمل الإيمان إلا بها، وبذلك تكون كتابات الحداثيين التي تدعي عدم التعارض مع العقيدة غير صحيحة، بدليل أن البعض منهم يدرس ويناقش القضايا الإسلامية ضمن هذه الثنائية الضدية (الرسالة والتاريخ) (١٤)، مما يدل على أن التاريخية كمفهوم وكرؤية حداثية في جهة الضد لمفهوم الرسالة في الإسلام الذي تعني استمراريته: فعالية المبادئ الإيمانية، واستمرارية التشريع الإسلامي، واستمرارية المرجعية الإسلامية عموما، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢ و١٦٣).

هوامش

١. عبدالقاهر البغدادي: أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص١٤٥.
٢ - المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٣- حديث جبريل رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام، أنظر صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢، ص٤٦-٤٧.
٤. التاريخية مصطلح تقابله في اللغة الفرنسية كلمة «L'historicisme» وتعني حصر كل شيء في التاريخ كحيز زمكاني، ويعرفها روبير (Robert) بقوله: «تعني دراسة المواضيع والأحداث ضمن بيئتها وضمن شروطها التاريخية»، أنظر: معجم روبير(Le petit Robert، Dictionnaire de la Langue Française، nouvelle Edition (1992) p932.
٥- محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي ط٢، ١٩٩٦م، ص٩٤.
٦. - أنظر عبدالمجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، الذي تناول فيه مختلف أركان الإسلام وأولها تأويلا وفق ما أراد، وأنكر كل الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه الأركان.
٧- عبدالقاهر البغدادي: أصول الدين، ص١٨٥.
٨- يشير أركون إلى أن بعض الدول في التاريخ الإسلامي كانت علمانية مثل الدولة البويهية.
٩- مثل العقل اليوناني الذي يعتبر الإله خلق العالم ثم لم تعد له به علاقة.
١٠- محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٥.
١١- محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص١٩٢.
١٢- عبدالقاهر البغدادي: أصول الدين، ص١٧٣.
١٣- حسن حنفي: مقال في كتاب الأصالة الخاص بأشغال ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر بالجزائر، دار البعث، قسنطينة الجزائر، ج٢، ص١٥٥.
١٤- مثل العنوان الذي ناقش في ضوئه عبدالمجيد الشرفي قضايا الإسلام بشكل عام وهو: الإسلام بين الرسالة والتاريخ.



عبدالرزاق هيضراني
ناقد مغربي

مقدمة «مقامات» الحريري نموذجا:

عتبات قرائية

تعد المقدمة، في العرف الأكاديمي، آخر نص يكتب في الكتاب، وأول ما يقرأ فيه غالبا؛ لهذا كان دورها توجيه وتأسيس أفق القارئ ووعيه الأجناسي. وتتنوع المقدمات بحسب خلفياتها عند كاتبها؛ إذ نتحدث عن أنواع متعددة من المقدمات، منها المقدمة التقريظية والنقدية والمقدمة الموازية للنص.

أما المقدمة التقريظية فأهدافها تجارية، تمدح كل ما جاء في الكتاب؛ بهدف إشهاره والترويج له. ومن ثم، فإنها مقدمة لا تساهم في بناء أفق للقراءة ولا رؤية نقدية للنص المقروء تقدم رأيها في أفكار النص ومضمونه، نقدا واختلافا. أما المقدمة النقدية فإنها تدخل في حوار مع النص، تنتقد أفكاره وأسسه ومرجعيات بنائه؛ إذ إنها مقدمة توضح وتأسس وتساهم في بناء الأفق القرائي للمتلقي، وتتجلى أهميتها في أن منطلقاتها تتبني أساسا على اختلاف الرأي والتعامل مع النص وليس المؤلف، لأن هدفها ثقافي وليس تجاريا محضا. أما المقدمة الموازية فلا تحاور النص، وإنما تستحضر أنماطا وسياقات نقدية بعيدة أو قريبة من النص، لكنها لا تلتصق به في مضمونه، وإنما تحاوره عن طريق نصوص غائبة في الغالب؛ أي إنها مقدمة تباين النص، وبقدر ما تباينه تجعل نفسها في علاقة تواز بينها وبينه، بحيث لا تتحد معه كما أنها لا تبعده وتلغيه.

للعتبات، المقدمات تحديدا، أهميتها الثقافية؛ إذ إنها منتقاة بإحكام ووعي في أغلب الأحيان، أو هكذا يجب أن تكون. وبقدر ما تحكمها أفكار مضمون الكتاب، فإن أكثرها يحمل رسائل مغلفة بحجج وأدلة ظاهرة، نسقية ومضمرة. إذا كانت المقدمة عموما رأيا وفكرا، تجمع بين التلخيص والتكثيف، الأهداف التجارية والنقدية، فأي نوع من المقدمات يمكن أن نصنف مقدمة مقامات الحريري؟

مقدمة الحريري

يجتمع في مقدمة الحريري النقد بالدعاء، الادعاء بالاعتراف. فقد كتب الحريري مقدمته بنفسه شارحا أسباب النزول وظروف الكتابة، غير أن موضوعها مع كل ذلك هو الهمذاني مؤسس المقامات (١). لذلك نرى أنها مقدمة لا تخدم النص بشكل مباشر، كما أنها لا تنفصل عنه بشكل من الأشكال، بحيث إن أهدافها في المقام الأول حجاجية دفاعية بقدر ما هي اعترافية وتوضيحية.

لقد كتب الحريري مقاماته تحت الطلب (٢)؛ بمعنى أن شخصا أوحى له كتابتها، وهذا ما يؤكده في المقدمة قائلا: «... وبعد، فإنه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه. وخبت مصابيحه. ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان. وعلامة همذان، رحمه الله تعالى، وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها. وإلى عيسى ابن هشام روايتها. وكلاهما مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرف! فأشار من إشارته حكم، وطاعته غنم، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع» (٣).

ورغم أن كتابة المقامات كانت تحت الطلب، فإن ما يهمنا هنا هو المقدمة، باعتبار أهميتها، التي تتجلى أساسا، وبشكل عام، باعتبارها عتبة من عتبات الكتاب، في تشكيل وتكوين الوعي القرائي بالأجناس والأنواع الأدبية..

فالملاحظ، ونحن نقرأ مقدمة مقامات الحريري، يتبين لنا أن تأليف الحريري لمقدمته يخرج عن الأنواع المقدماتية السابق ذكرها. ولهذا نرى أنها مقدمة لها دوافعها؛ إذ إنها مقدمة حجاجية يدافع من خلالها الحريري عن موقعه الثقافي والاعتباري وإن تزينت بزي البلاغة والدعاء.

يتميز الحجاج عن البرهان في أن الأول احتمالي والثاني قطعي. وكلا المفهومين، كما هو معروف في نظرية أفعال الكلام، يرتبط بالبعد التأثيري على المخاطب. ومن ثم فكل نسق خطابي، وإن قلت حججه وبراهينه، يهدف إلى التأثير على المخاطب وتوجيهه إلى معان محددة وفهم مقصود.

يوظف الحريري في مقدمته مجموعة من الحجج والبراهين، فهو يوظف بعض الحجج لتشكيل وضع اعتباري. أما بعضها الآخر فمضمونها اعتراف وإقرار بالسبق؛ سبق الهمذاني في تأليف المقامات. يقول الحريري: «.. على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المتحابي، لا أكاد أخلص من غمر جاهل، أو ذي غمر متجاهل. يضع مني لهذا الوضع. ويندد بأنه من مناهي الشرع..» (٤).

على الرغم من محدودية الحجة التي يوظفها الجاهل بمقام المقامات، ينفي الحريري، موظفا حججا دالة، أن تكون المقامات مخلة بالشرع، ناقما أسلوب معالجتهم للقضية، مستدركا وداحضا موقفهم بقوله: «.. من نقد الأشياء بعين المعقول، وأنعم النظر في مباني الأصول، نظم هذه المقامات في سلك الإفادات، وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات..» (٥).

استنادا إلى القول السابق يرى الحريري أن الممارسة تربو على المعرفة كما قال القدماء، وأن الأحكام المسبقة اتهام، وهو يقر بذلك بأنه متفوق في صنعته وخبير بها، رغم أن الهمذاني هو أول من بعج أسسها ووطن أصولها. وما أكده الحريري في مقدمته أكدته كتب التاريخ؛ بحيث إنه تفوق على الهمذاني أيما تفوق. لهذا يحاجج الحريري في سياق الدعاء لكي لا يفضح خطابه ولا يتلقى على أنه تطاول على الهمذاني وتنقيص له من مكانته. غير أننا نتساءل ونحن نقرأ مقدمة الحريري حول الدافع من وراء اعتراف الحريري بسبق الهمذاني، لاسيما أنها فكرة معروفة لدى قارئ المقامات؟

ولأن القارئ عدو الكاتب، بل إن علاقته به كعلاقة شهريار بشهرزاد كما يؤكد الناقد المغربي عبدالفتاح كيليطو، فإن الحريري يسعى من خلال مقدمته إلى تأكيد مسألة أساسية، وهي أن الاعتراف آلية لإبعاد عتاب القارئ له، لاسيما أن المقامات قد ارتبطت بالهمذاني لقرنين من الزمن وأكثر، غير أن الاعتراف، كما سبق أن أشرنا، لا يكون دائما بريئا، بل إن له دوافع ثقافية محضة ترتبط بالصنعة والإتقان والتفوق، لهذا نجده يقول في مقدمته: «... وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته. والمورد الذي توردته. كالباحث عن حتفه بظلفه. والجادع مارن أنفه بكفه. فألحق بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي، لا أكاد أخلص من غمر جاهل، أو ذي غمر متجاهل. يضع مني لهذا الوضع، ويندد بأنه من مناهي الشرع، ومن نقد الأشياء بعين المعقول، وأنعم النظر في مباني الأصول» (٦).

وبعد أن يدفع عنه شر القارئ بالدعاء والارتياب، فإنه يؤكد سبق الهمذاني بقوله: «.. البديع رحمه الله سباق غايات، وصاحب آيات، وإن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته..» (٧).

لقد كتب الحريري مقدمة دفاعية فيها الكثير من الارتياب والقليل من الاعتراف. ولهذا نتساءل مثلا لماذا لم يكتب الهمذاني مقدمة لمقاماته؟

لا نكاد نجد في كتب التراث استدلالا على أن الهمذاني كتب مقدمة لمقاماته، أو كتبها وسقطت كما سقطت مقامات كثيرة من مقاماته، كما يؤكد ذلك محمد عبده في شرحه لمقامات الهمذاني، بل إن الهمذاني لم يكتب مقدمة لمقاماته وكأن المخترع ليس بحاجة لتقديم يبين فيه أسباب الاختراع ودواعيه، وهذا ما يؤكده الحريري نفسه في مقدمته بقوله؛ «هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته».

نرى إذن أن الحريري من خلال مقدمته يقر بسبق الهمذاني، ويخالف متهمي المقامة بمخالفته الشرع، ويحاجج لدفع التهم كلها؛ لهذا تتداخل في مقدمة الحريري خلفيات متعددة الدفاع عن الوضع الاعتباري جزء منها وتأكيد قدرته على إبداع مقامات تفوق مقامات الهمذاني محورها، وإن اعترف بسبقه وبفضله.

الهوامش

١- قبل الهمذاني اخترع ابن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ) أربعين حديثا، كانت حسب المؤرخين بداية حقيقية لجنس المقامات، ثم جاء بعده الهمذاني (٣٩٨هـ)، فالحريري (٥١٦هـ)، وبعد ذلك ظهرت مقامات كثيرة: المقامات السرقسطية لابن الأشتركوني المتوفى سنة ٥٣٨هـ، ومقامات الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، والمقامات المسيحية لأبي العباس البصري الطبيب المتوفى سنة ٥٨٦ هـ، ومقامات أحمد بن الأعظم الرازي التي كتبها سنة ٦٣٠هـ، والمقامات الزينية للجزري المتوفى سنة ٧٠١هـ، ومقامات/ رسائل السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ).

٢- الكتابة تحت الطلب ظاهرة كانت سائدة عند كتاب المقامات بحيث يستجيب الكاتب لدعوة السلطان (مقامات الحريري نموذجا) أو نداء صديق أو طارق ليل أو نداء ضمير أو حساب نفس على أفعالها كما نجد في خطبة كتاب الزمخشري.

٣- مقدمة مقامات الحريري، دار الكتب اللبناني، تحقيق يوسف بقاعي، ١٩٨١م، ط١، ص١٤.

٤- مقامات الحريري، مرجع مذكور، ص١٤.

٥- المرجع نفسه، ص١٥.

رشيد عمرات
شاعر

في انتظار الفرج

يا خالقي! زمن علي مضى من الهم الثقيل
همي إلهي أنت تعرفه.. رجوتك أن يزول
إني ببابك واقف.. إني أنا العبد الضئيل
من لي سواك؟ فليس عندك معجز أو مستحيل

كم من ولي في البلا أنجيته كم من رسول
لما أتته مهالك الأهوال وانقطع السبيل
في الفلك نوحا قد حملت وما سواك له دليل
من بطن حوت قاتل أنجيت يونس يا جليل
أيوب قد ناداك.. هل خيبت أيوب العليل
والنار قد صيرتها.. بردا سلاما للخليل
وفرقت بحرك للكليم.. نجا وأغرقت الفلول
ورفعت عيسى عندما.. نصبوا له الموت الوبيل
ومع الحبيب المصطفى..قد كنت في غارِ الرحيل
فطمست أبصار العدا.. ولّوا يلفهم الذهول

أنت المدافع عن عبادك.. أنت ناصرهم تقول
المستجيب لهم إذا اضطروا.. وأعينهم تسيل
إذ سدت الأبواب.. ثم تساءلوا: كيف الوصول؟
أنت الولي لكل عبد مؤمن.. يرجو القبول
أدعوك معترفا بذنبي.. فاز معترف ذليل
أدعوك معترفا بتقصيري..بضعفي..بالخمول
همي الذي عانيته.. هم تطيش به العقول
فاكشفه طال بثقله.. ما أثقل الهم الطويل!
رحماك ربي! ليس يرحمني سواك ولا يقيل
فبغير غوثك يا إله.. أنا القليل أنا القليل
وأنا المهان المستباح.. أنا الجريح أنا القتيل



رانيا عبدالله
قاصة

ظل ونملة

في ركنه المنسي جلس يراقب ظله المنعكس على الحائط المتهالك... ظلام تجرأ ضوء شمعة متردد على اختراقه.. أعقاب السجائر تكسو الأرضية، وفتات الخبز وقطعه المرمية تشي بخصام الآكل والمأكول..أشعل سيجارة أخرى ووضعها بين شفتيه المرتعشتين.. كان اهتزازه المستمر يصنع له مشهدا متحركا لظله على الحائط بينما يقلب صفحات ذاكرته وأنفاسه تلفظ دخانا وحسرات.. مكتبه المزدحم..كثرة المراجعين.. رنين الهاتف الذي لايكاد يتوقف... والوقت المنكمش على الدوام لا يكفي لفعل شيء.. أكوام الأصدقاء أو ربما الرفقاء..أين هم الآن. يشد على سيجارته غيضا... تفرقوا كالفقاعات في الهواء.. عائلته التي اعتزلها هروبا إلى ركنه المنسي وتناسى أنهم حوله ينظرون له بحسرة وألم...أصبحت الأيام تشبه بعضها البعض..راحت أسئلته المعتادة تطرق رأسه فيزداد اهتزازه... لماذا سرقوا همتي وسنوات شبابي ورموني كقطعة قماش بالية مسحوا بها غبارا فلمع مركزي في عينيهم؟.. لماذا جعلوا أيامي خالية من حقي في الحياة بالإنجاز؟ دائرة مفرغة من التساؤلات تدور في رأسه كل يوم.. بل كل ساعة دون أن يهتدي لسبيل الإجابة..لم يعد يهمه أأشرقت الشمس أم غربت.. لا يعلم عدد الأيام وحساب الشهور..سجنه الظلم وزاد هو عدد أقفال الزنزانة.. وبينما هو غارق مهتز دخل عليه أحد أبنائه وأشعل مصباح الغرفة..نهره بشدة وهو يدفع عن عينيه ضوء المصباح بكفه.. اقترب منه غير مبالي بصراخته.. جثا على ركبتيه وقرب رأسه من الأرض وعيناه ملتصقتان بها وكأنه أصيب بالصمم عن صوت أبيه.. أصابه الذهول والفضول فأخذ يحدق في ولده ثم مد بصره إلى حيث غابت عينا الصغير.. فرأى نملة تجاهد لرفع فتات خبزه المتناثر، تارة تحملها وتسحبها تارة أخرى؛ رفع الصغير عينيه وهما مملوءتان إعجابا: انظر يا أبي..

سبحان الله رغم أنه مجرد فتات رميته أنت إلا أنه رزق تعافر هذه النملة جاهدة للحصول عليه دون أن تعبأ أأشعلنا لها شمعة أم مصباح. تسمرت عيناه في وجه الصغير وتدلت شفته السفلى فسقطت السيجارة من بين شفتيه المرتعشتين ثم سكن عن الاهتزاز.

حمدي سعيد
كاتب صحفي

إهداءات بخط اليد لعمالقة الفكر والإبداع

المكتبات الشخصية كنوز تندثر

تمثل المكتبة الخاصة جزءا مهما وضروريا في حياة أي مثقف، ينفق في سبيل تكوينها الكثير من المال، ويختار كتبها بعناية واهتمام، بما يعبر عن ثقافته وميوله، بل وشخصيته أيضا، فالمكتبة لدى المفكرين والمبدعين جزء من كيانهم (تعد المكتبة الشخصية ضرورة من ضروريات هذا العالم، حيث لا نستطيع إنكار أهميتها تجاه مالكيها والمحيطين بهم، لأنها تعمل على التدعيم المهني والتخصصي لأصحابها وتعكس ميول واتجاهات القراءة لديهم).

لكن مع تقدم العمر أو الإصابة بالمرض، يدخل إلى نفس المبدع صاحب المكتبة قلق على مصير مكتبته ومآل كتبه، فهو يخشى أن يصيبها الإهمال، ويكون مصيرها التشتت والفقد، إن لم يكن هناك من يتعهدها بالرعاية والعناية.

ولعل من يزور سور الأزبكية بالقاهرة، أو يشتري كتبا قديمة من باعتها على الأرصفة وفي الأكشاك، سيجد كتبا لمؤلفين عظماء رحلوا عن عالمنا أو مازالوا بيننا، سيجد في الصفحات الداخلية لبعض هذه الكتب إهداءات من مؤلفيها لأصدقائهم وزملائهم وأسرهم بخطوط أيديهم.

فقد ضاعت المكتبات الشخصية لطه حسين وصلاح عبدالصبور ولويس عوض، وانتشرت كتبها لدى القراء وغيرهم، وأحرق ورثة الشاعر السكندري صديق شيبوب مكتبته بعد فشلهم في إقناع المسؤولين بأخذها وضمها إلى المكتبات العامة، كما بيعت مكتبة الناقد الأدبي عبدالرحمن أبوعوف إلى الأكشاك بسور الأزبكية في معرض القاهرة للكتاب في يناير ٢٠١٢م.

إن صاحب المكتبة من النادر أن يتخلص من مكتبته في حياته إلا لظروف قاهرة تعجزه عن الاحتفاظ بها، لأن ذلك أمر شديد على نفسه، لكن الأغلب الأعم يحدث من الورثة، خصوصا إن لم تكن لهم علاقة بالقراءة والكتابة، أو أجبرتهم الظروف على التصرف في المكتبة.

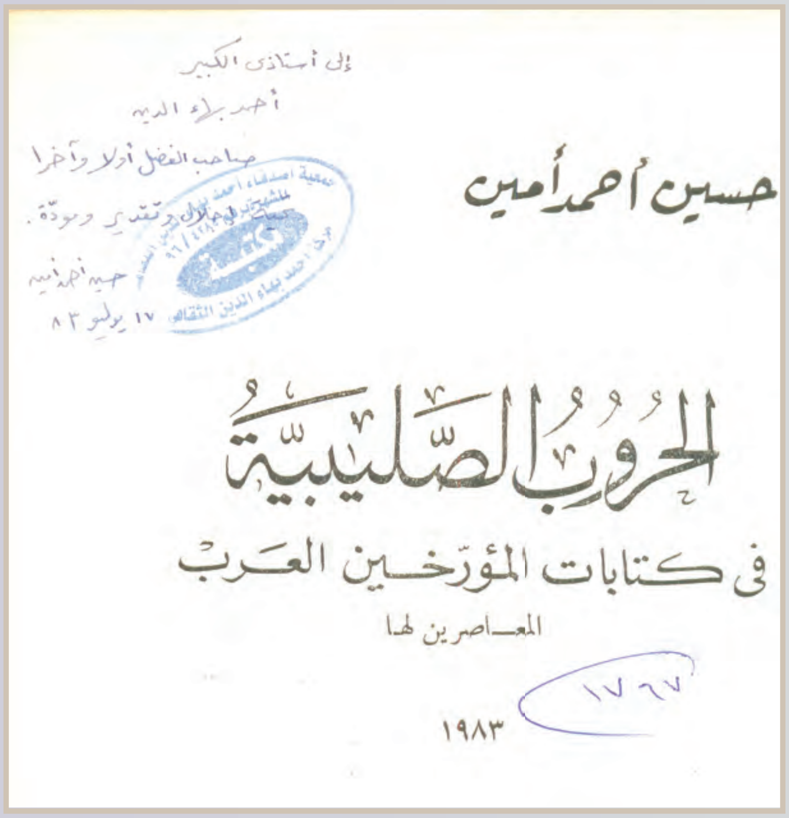
ويفلح بعض أصحاب المكتبات الخاصة، وأكثرهم من الكتاب وعشاق القراءة، في أن يهدوا مكتباتهم إلى مكتبات عامة، في الغالب قصور الثقافة أو المساجد، إن وجدت بها مكتبات، والكنائس كذلك، وأحيانا مراكز الشباب أو المدارس، مما يضمن إتاحتها إلى القراء على مر العصور والأجيال بعد ذلك، طالما بقيت الكتب محفوظة من الضياع وصالحة للاطلاع، فقد تبرع الدكتور زين الحديدي (الأستاذ بكلية بنات عين شمس بمكتبته في حياته للكلية). وكتاب قليلون يمتلكون من السعة المالية ما يمكنهم من إنشاء مكتبة عامة تضم مكتبته، أو مؤسسة تضم جدرانها هذه الكتب، كما أن القليل النادر من الأسر من يفعل ذلك بالجهود الذاتية، أو السعي لدى الدولة لفعل ذلك. وعلى الرغم من أن عددا من المواقع الثقافية المصرية تحمل أسماء مبدعين ومفكرين وفنانين، فإن هذه المواقع لا تحتوي مكتباتها على المكتبة الخاصة بمن تحمل اسمه، فقصر ثقافة أحمد بهاء الدين بمدينة أسيوط لا توجد به مكتبة أحمد بهاء الدين، كما أن بيت ثقافة محمود حسن إسماعيل في قرية النخيلة بأبوتيج لا يضم مكتبة الشاعر، بل بعض مؤلفاته.. وعلى هذا النحو تجري الأمور في المواقع الثقافية لمصر.

تجربة فريدة

ومن التجارب الفريدة التي تستحق الإشادة ما حدث في قرية الدوير بمركز صدفا في محافظة أسيوط، حيث أنشأت أسرة وأصدقاء الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين، مركزا ثقافيا فخما يحمل اسم الكاتب الراحل، ويضم مكتبتين: إحداهما مكتبة أحمد بهاء الدين الشخصية، والثانية مكتبة المناضل الدكتور محجوب عمر الشخصية أيضا، في نموذج متميز يعكس الاحترام والتقدير للكتّاب والحفاظ على إرثهم وعطائهم، وفي الوقت ذاته إتاحة معارف نبوغهم للقراء في بيئة مناسبة.

فالمكتبة توفر بيئة للاطلاع والاستعارة لا تتوافر في الكثير من المكتبات

العامة، هذا بخلاف أنشطة أخرى يقدمها المركز، فنية وثقافية وتعليمية. وتضم المكتبة الشخصية للكاتب أحمد بهاء الدين قرابة ٨٠٠٠ كتاب، تتنوع بين التاريخ والآداب والديانات والترجمة وعلم الاجتماع والفلسفة والجغرافيا والفنون وعدد من الموسوعات. وعلى قدم هذه الكتب -إذ إن أحد كتبها يرجع إلى عشرين عاما مضت- إلا أن حالتها جيده للغاية.



ليس هذا فقط مجال تميز المكتبة، بل ما خطته أنامل الكتاب والمفكرين والأدباء والفنانين والسياسيين مؤلفي هذه الكتب على الأغلفة الداخلية للكتب، وإهداؤهم إياها للكاتب الكبير.

ولسنا بصدد الحديث عن الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، وهو جدير بذلك دوما، وقد خطت كتب ومقالات ونظمت مؤتمرات حول كتاباته وأسلوبه وشخصيته الوطنية القومية الفريدة.

ولكني سأقصر ما بقي من مقالي هذا حول هذه المكتبة الشخصية الفريدة لأحمد بهاء الدين، وتحديدا حول تلك الإهداءات التي تزخر بها بخط يد أصحابها، وتكاد تمثل ما يقارب ٢٠ في المئة من مجموع كتب المكتبة.

وقد اخترت عددا من المفكرين والمبدعين والمؤرخين الذين وقعوا إهداءاتهم لكتبهم بهذه المكتبة، مشيرا إلى بعض العبارات التي استخدمت في الإهداء، والأقلام المستخدمة، وجودة الخط، إذ إن بعض الإهداءات جاءت مختصرة، بينما البعض الآخر يكاد يملأ فراغات الصفحة جميعها، كما حرص البعض على الدقة الإملائية، بينما أغفل البعض الآخر ذلك، فجاءت عباراتهم ناقصة من الهمزات وعلامات الترقيم.

وقد أهدى إلى الكاتب أطياف من الكتّاب، مصريين وعرب، سيدات ورجالا، كان كلهم حريصين على رأي الكاتب وتقييمه لكتبهم المهداة. ومن الأدباء والمفكرين والكتّاب المصريين الذين أهدوا كتبهم لأحمد بهاء الدين وضمتها خزانة مكتبته: نجيب محفوظ، ويوسف إدريس، وأنيس منصور، وثروت عكاشة (وزير الثقافة الأسبق) وتوفيق الحكيم، وبهاء طاهر، ويوسف القعيد، ود. مصطفى محمود، ومصطفى أمين، وصالح مرسي وعباس أحمد.

كما أهدى عدد من الكتّاب والمفكرين كتبهم، منهم جمال البنا، وصلاح منتصر، ومحمود عوض، وموسى صبري، وعبدالعظيم رمضان، وغالي شكري، ورمسيس عوض، ود. جمال حمدان وبدر الدين أبوغازي (وزير الثقافة الأسبق)، ومحمد حسنين هيكل، وحسين أحمد أمين، ود. مصطفى الفقي، وخالد محيي الدين، وبطرس غالي (الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة)، وسيد عويس، والمشير حسين طنطاوي (وزير الدفاع السابق).. وغيرهم الكثير.

ومن الأدباء والكتّاب والمفكرين العرب نجد إهداءات من الشاعر محمود درويش (يوميات الحزن العادي)، ورضا شحادة، وزكريا البري، وساطع الحصري، وراشد البراوي، ود. حبيب إبراهيم الخليل، وناصرالدين النشاشيبي، وغسان كنفاني، وحسن علي الإبراهيم، وجورج قدم، وعبدالهادي البكار.. وغيرهم.

كما أهدى عدد من الكاتبات المصريات والعرب كتبهن إلى الكاتب الكبير، منهن غادة السمان، وسناء البيسي، وليلى عسيران، وسلوى العناني، ونعمات أحمد فؤاد، وسامية سعيد إمام، ورانـد شعث، وعائشة عبدالرحمن، وصافيناز كاظم.

ولكون أحمد بهاء الدين أحد رجال القانون، حيث عمل بالقضاء في بداية حياته لفترة قصيرة، فقد حوت مكتبته عددا كبيرا من كتب القانون حملت إهداءات مؤلفيها، ومن بين رجال القانون الذين أهدوا كتبهم إلى المكتبة: المحامي مرتضى منصور، والدكتور رفعت المحجوب (رئيس

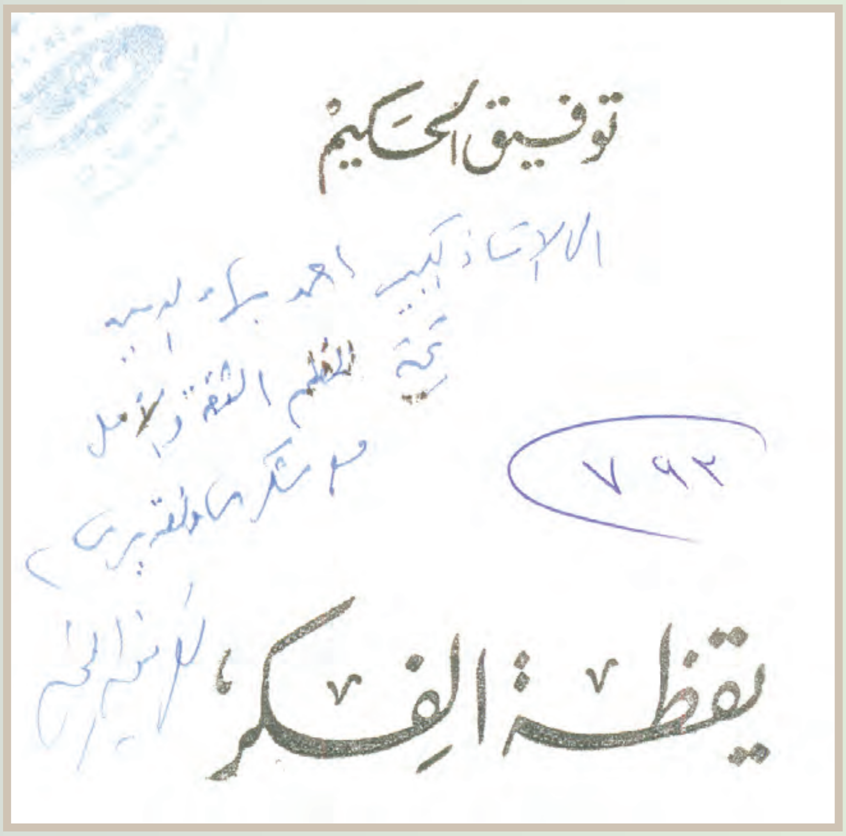
مجلس الشعب المصري الأسبق)، ومحمد نور فرحات، وإبراهيم درويش، ومنتصر الزيات، ود. عبدالوهاب العشماوي، ود. عزت سعد.

إهداءات متنوعة

تنوعت الإهداءات من حيث القصر والطول، وجاءت أغلبها متفقة في الاختصار المركز على عبارات التقدير والاعتزاز والتمنيات الطيبة من قبيل: «إلى الأخ الأستاذ الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، مع التحية والمحبة والتقدير وأطيب التمنيات» ثم توقيع صاحب الإهداء (المؤلف).

وحرص بعض الكتّاب على كتابة تاريخ الإهداء، وقد فعل ذلك الدكتور محمد عمارة، وراضي شحادة، ود. محمد المجذوب، وأكرم ديري، ويوسف القعيد، ود. فؤاد المرسي، وحازم نسيبة، ومصطفى أمين، ونبيل راغب، وثروت عكاشة، وفؤاد العطار، وإبراهيم نافع، وكمال الملاخ، وعبده جبير، ومحسن محمد.

وقد حملت بعض الإهداءات ما يشبه الفضفضة والتحاور، مثلما هو بالغلاف الداخلي لكتاب «وجاء العيد بعد العاشر من رمضان» لمؤلفه مصطفى بهجت بدوي: «إلى الأخ العزيز الأستاذ أحمد بهاء الدين، طوال ٣ سنوات رحت لمعالجة همومي وعنائي بالإكثار من الكلام والسخرية والضحك، على أن الهموم تفاقمت إلى الحد الذي أحسست فيه أنني إذا لم أسجلها كتابة فلربما أخر صريعا... وهذا بالتحديد ما دفعني لنشر هذا الكتاب حتى ولو أدى إلى أن ألقى مصرعي... يكفي أن أموت مرتاح الضمير، بعد أن قلت كلمتي، أيا كان الرأي في هذه الكلمة، فإنها شهادة للتاريخ، قلت فيها الحق، وكل الحق، ولا شيء غير الحق، ولعلي أكون تحدثت فيها بالكثير مما في صدور الكثيرين، وأجري على الله، وأمري إلى الله.. إليك أهدي كتابي... مع خالص مودتي واعتزازي وتحياتي وأطيب الأمنيات».



ولم تخل بعض الإهداءات من روح الدعابة، مثلما جاء في إهداء الكاتب علي سالم لكتابه المسرحي «الكلاب وصلت المطار»: «إلى الفنان أحمد بهاء الدين.. مع كل أملي أن تجعلك هذه المسرحية تضحك».

«من فضلك اقرأ هذا الكتاب»

وقد حرص بعض المهدين على أن يتضمن إهداؤهم التأكيد على رغبتهم في أن يقرأ الكاتب أحمد بهاء الدين كتبهم، وأن يفيدهم برأيه وتعليقه عليها، من هؤلاء المفكر غالي شكري في الغلاف الداخلي لكتابه «ثقافتنا بين نعم ولا»: «للصديق العزيز الأستاذ أحمد بهاء الدين، برجاء حار أن تقرأ هذا الكتاب بالذات؛ لنتناقش بشأنه». وعبر الكاتب أنيس منصور عن المضمون نفسه في إهداء كتاب «في صالون العقاد كانت لنا أيام»: «إلى الصديق الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، أهدي إليك كتابا أعجبك بعضه؛ أملا في أن يعجبك كله». وفي كتابه «نحو نظام اقتصادي عالمي جديد» كتب الدكتور إسماعيل صبري عبدالله: «إلى الأخ العزيز أحمد بهاء الدين، أملا في النقد والتعليق، مع خالص المودة». وسطر يوسف القعيد هذه السطور بخط يده على صفحة الغلاف الداخلية لرواية «يحدث في مصر الآن»: «إلى صاحب أيام لها تاريخ الأستاذ أحمد بهاء الدين، الذي لم تسعدني ظروف حياتي بالتعرف عليه شخصيا وعن قرب، لعل قراءة هذا العمل تعوض بعض ما فاتنا من قبل..».

وفي سطور مختصرة عبرت الكاتبة سناء البيسي عن المضمون ذاته على غلاف كتابها «امرأة لكل العصور هو وهي»: «الأستاذ الصديق أحمد بهاء الدين، كلماتي بين يديك، خالص مودتي».

وفي رجاء رقيق كتب صالح مرسي في

إهداء كتابه «الحفار»: «إلى الصديق الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين، إلى واحد من الذين تمنيت من أعماق القلب أن يقرأوا هذا الكتاب، ولعله رضي عني، واحد من تلامذته رغم تقارب السن، كل الحب والاحترام».
كما أهدى عدد من كبار المفكرين والكتاب كتبهم الأولى لأحمد بهاء الدين، راجين أن تنال رضاه، معترفين بفضله، ومن هؤلاء الكاتب الأستاذ صلاح منتصر في إهدائه لكتاب «حرب البترول الأولى»: «الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين، مع خالص تقديري واحترامي.. أهدي محاولتي الأولى المتواضعة». وسطر د. حسن نافعة هذه السطور عند إهداء كتابه «مصر والصراع العربي الإسرائيلي.. من الصراع المحتوم إلى التسوية المستحيلة»: «أستاذنا الكبير أحمد بهاء الدين، مع كتابك «أيام لها تاريخ» تفتح وعيي السياسي، عرفانا بالجميل وتحية تقدير وحب».

للأسرة نصيب أيضا

لارتباط بعض الكتّاب بعلاقة صداقة أسرية مع الكاتب، فإنهم ضمّنوا إهداءهم أسرته وليس شخصه فقط، ففي إهداء كمال الملاخ لكتابه «الحكيم بخيلا» كتب: «إلى صديقي الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، والعزيزة الأخت ديزي، مع العزيزين ليلى وزياد بهاء الدين، مع أنبل تمنياتي».
والسيدة ديزي هي حرم أحمد بهاء الدين -أطال الله في عمرها- وليلى وزياد ابنا الكاتب، الأولى سفيرة في الخارجية المصرية، والثاني خبير اقتصادي مصري كبير.
دوّن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في كل كتبه المهداة إلى المكتبة صيغة الإهداء التالية ذاتها «إلى ديزي وأحمد بهاء الدين بمحبة وإعجاب واعتزاز دائما».

بينما كتب الأستاذ خالد محيي الدين في إهداء كتابه «والآن أتكلم»: «إلى بهاء الدين وديزي، مع محبتي واحترامي».

اعتراف بالجميل

كانت لأحمد بهاء الدين أياد بيضاء على العديد من الكتّاب والمفكرين، وقد حرصوا على إظهار الاعتراف والامتنان لدوره في حياتهم المهنية، فكتب د. مصطفى الفقي في إهداء كتابه «الأقباط في السياسة المصرية»: «إلى المفكر العربي الذي طوّع اللفظ لمصلحة الفكرة، ووظف الفكرة لمصلحة الإنسان، إلى أستاذنا أحمد بهاء الدين، وقد كانت له يد بيضاء على هذا البحث وهو لايزال فكرة، حين التقينا في العاصمة البريطانية.. مع كل أمنيات الصحة والسعادة».
ويدون حسين أحمد أمين في كتابه «الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها»: «إلى أستاذي الكبير أحمد بهاء الدين، صاحب الفضل أولا وآخرا، تحية إجلال وتقدير ومودة». وكتب د. عزت سعد في إهداء كتابه «حماية حقوق الإنسان في ظل التنظيم الدولي الإقليمي»: «إلى الأستاذ الفاضل أحمد بهاء الدين، إهداء هذا العمل المتواضع اعترافا بفضل سيادته، وامتنانا بدفاعه عن حقوق الإنسان».

مشاعر رقيقة

جاءت بعض الإهداءات تعبر عن مشاعر عميقة ومحبة كبيرة مثل إهداءات الدكتور مصطفى محمود لكتابيه «محمد عليه الصلاة والسلام» و«الماركسية والإسلام»، حيث كتب: «إلى الأخ الحبيب بهاء مع تحياتي». وكتب الشاعر محمود درويش: «مع محبتي المتجددة». وكرر نجيب محفوظ جملته: «محبة وإعزازا وشوقا» في إهداءاته لـ «الشيطان يعظ» و«التنظيم السري».
وكتب صالح عبدون في إهداء كتابه «صفحات في تاريخ أمير القاهرة.. عايده ومئة شمعة»: «الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين، مع إعجابي بما في جعبتكم من فكر ومن رهافه حس وصفاء ذهن ومعان شعرية رقيقة».
وأهدت غادة السمان كتابها «كوابيس بيروت» بهذه العبارات: «إلى الأستاذ أحمد بهاء الدين، نفتقدك، نفتقدك.. نفتقدك، أنفسنا منك، نفتقد الكتابة إليك، ننتظر لحظة سلام نبصر فيها وجهك من جديد.. لك ولديزي محبتي».

الأقصر والأقدم

كانت راندا شعث أصغر من أهدى كتابا إلى المكتبة، وهو كتابها «وطني على مرمى حجر.. مخيم فلسطيني في مصر»، حيث كتبت: «إلى عمو بهاء، يسعدني أن أهديك أول إنتاج لي وأتمنى أن يعجبك».
أما من حيث قصر الإهداء وطوله باعتبار عدد الكلمات، فإن إهداء أنيس صايغ لكتابه «الهاشميون وقضية فلسطين» هو الأقصر، حيث كتب: «إلى الأستاذ بهاء الدين مع الإعجاب». بينما يأتي إهداء المعلق الرياضي للعبة التنس عادل شريف الأطول، حيث تجاوز عدد سطوره ١٦ سطرا ملأت صفحة الغلاف الداخلية تماما، تحدث فيها عن جهده في التأليف الرياضي وما تفتقده المكتبة العربية من نوعية المؤلفات في الثقافة الرياضية.
أما أقدم إهداء فقد وجد في كتاب «مختار» لبدر الدين أبوغازي، حيث أهداه بهذه العبارة «إلى الأستاذ أحمد بهاء الدين مدير تحرير الفصول، مع تحياتي».

سلس نجيب ياسين
كاتب صحفي



التفكير السلبي مجرد وقت ضائع

أي إنسان عاقل يفكر. وتفكير الإنسان ينقسم إلى قسمين: إيجابي وسلبي. وهذا أمر طبيعي، لكن المهم في الأمر هنا يكمن في اختيار الإنسان لكيفية تفكيره، فهو حر في ذلك، لأن العقل والمخ لا يختار، فإذا وجهت تفكيرك نحو الإيجابي فسوف تشعر بالسعادة والارتياح، أما إذا أدمنت التفكير السلبي فسوف تتغير مشاعرك وحتى تصرفاتك، فيظهر عليك القلق والعصبية وشرود الذهن، فكلما حاولت أن توجه تفكيرك نحو الجانب الإيجابي من حياتك فأنت في غنى عن العديد من الأمور السلبية، ولعل أبرزها الشعور بالحزن والكآبة والقلق، وليس هذا فقط، بل إنه يضيع عليك فرصة عيش اللحظة والتمتع بها وفرصة الاستمتاع بالجلوس مع العائلة والأصدقاء، وكذلك فإن القلق الناتج عنه يمنعك وفي العديد من الأحيان من اتخاذ قرارات مناسبة وواقعية.

فكلما فكرت بسلبية تجاه الأمور تغيرت نظرتك إليها وبحسب تفكيرك لتصبح نظرة سوداوية غير واقعية ولا منطقية لكل ما يحيط من حولك، ذلك لأن الأفكار السلبية تصبح تتلاطم عليك من كل حدب وصوب، فبمجرد فتح باب لها تزداد، خصوصا لما تعطيها أهمية كبيرة، وتحاول الخوض والغوص فيها وإعطاءها أجوبة. والحقيقة التي يجب إدراكها هنا هي أن معظم الأشياء السلبية التي نفكر فيها والتي تزيد من قلقنا وخوفنا لا تحدث إطلاقا، فإذا حاولت أن تراجع نفسك قليلا فستجد أنك وفي كثير من الأحيان تجهد وتتعب نفسك جراء التفكير في السلبيات التي لم تحصل، وأنك أضعت وقتا كبيرا فيها وهي مجرد محطات لا تستدعي منك كل ذاك الأخذ والرد.

صحيح أن عصرنا الحالي وفترتنا المعاصرة ممتلئة بالقلق؛ نظرا لتعقد الحالات الاجتماعية، مما يسبب ضغطا زائد على الإنسان، فعصرنا هو عصر التكنولوجيا والسرعة والقلق، ولكن الإنسان قادر على التأقلم والتغلب عليها، لأن الله عز وجل وهبه وكرمه بالعقل، هذا العقل الذي مازال العلماء والخبراء والمختصون يواصلون دراساتهم وبحوثهم عليه، ففي كل مرة تظهر دراسة توضح خصائصه وقدراته وطاقاته، فللعقل أو المخ مميزات وطاقات هائلة، سواء كان ذلك في تخزين المعلومات واكتسابها، أو حتى استرجاعها، فهو

الذي يستطيع تخزين المعلومات وبلا نهاية. إن قدرة الله عز وجل وإتقانه في خلق الإنسان، خصوصا عقله وفكره، أعظم محفز للإنسان الذي من المفروض أن يركز على استخدامه واستغلاله أحسن استغلال، فبه يستطيع صناعة ذاته وتحقيق أهدافه وطموحاته والتخطيط لحياته بشكل متزن وواقعي، فحياة الإنسان أكبر وأهم من أن يشغل نفسه ويضيع وقته بالتفكير السلبي الذي لا يجلب معه إلا الحزن والكآبة والخوف الذي لا يغني ولا يسمن، بل فقط يحاول منعك من العيش في الحياة ومن التمتع بها لحظة بلحظة، ولذا وجب دائما التركيز على الجزء الممتلئ من الكأس مهما كان ماؤه قليلا، فالحياة ممتلئة بالأمور الإيجابية والأحداث الجميلة، وقد تحدث أحيانا أمور سلبية غير متوقعة، وعلى الإنسان فقط ألا يقف عندها؛ لأن لحظات الانتكاس والانكسار يمكن أن تحدث مع أي واحد منا، فالدنيا دار امتحان ودار ابتلاء، وأحوالها ليست مستقرة ولا ثابتة، فأحداثها تتداول علينا بين الإيجابية والسلبية، فالمسلم يجزى على صبره ويطمئن لكل أحواله حامدا شاكرا ربه، سعيدا متفائلا بالخير. ولذا وجب الالتزام بالحديث الإيجابي مع الذات مهما كانت الظروف، والالتزام بعدم الغوص في الوساوس السلبية، لأن الشيطان عدو للإنسان يحاول بقدر الإمكان النيل منه، فهو يجعل من الوسوسة طريقة لنشر القلق والحزن والاضطراب في نفس المؤمن، ولهذا نهانا الرسول ﷺ عن الانقياد والاستسلام للوساوس، مؤكدا على ضرورة الانقطاع عنها، والتزام الذكر والاستغفار، والتوكل على الله، فمحاولة إيجاد أجوبة لوساوسك السلبية طريق الشيطان إلى تضخيمها وتوسيعها من حولك، ولذا وجب التركيز على عدم الخوض فيها أو محاولة إعطائها أجوبة، ولا حتى التأثر بها ووضع مشاعرك وأحاسيسك فيها، بل لابد من الانقطاع المباشر عنها للتأكد من مدى تفاهتها وعدم جدواها. إن اختيار التفكير الإيجابي خطوة إيجابية للانطلاق انطلاقة صحية لمواجهة تحديات وصعوبات الحياة بكل منطقية وواقعية، ورسم خطط واستراتيجيات تطور بها حياتك إلى الأفضل والأروع والأحسن وفي كل النواحي، فبدلا من الاستغراق والغوص في السلبيات والأفكار التي تسبب لك تراجعا وتجعلك تدور في مكانك وسط دوامة من التفاهات، وجب استبدالها بتفكير إيجابي الذي بواسطته تكون هادئا ومركزا وعقلانيا مستعدا للتخطيط الأمثل لحياتك، سواء كان ذلك داخل أسرتك أو عملك، فهو يجعلك تأخذ الأمور على حقيقتها لتتخذ قرارات مناسبة تساعدك في حياتك وبها تبني مستقبلك وتعيش حاضرك بإيجابية، فالإدمان والتزام التفكير الإيجابي ينسيك الألم وانتكاسات ماضيك، ويمكنك التعلم من أخطاء ماضيك، فمن الألم نتعلم ولا ننكسر، فالألم غالبا ما يصنع لنا رجالا عظماء. حاول دائما أخذ الدنيا ببساطة قطرات المطر المتساقطة؛ لتهون على نفسك مشقة الأخذ والرد السلبي وتتغلب على الخوف من المستقبل. إن علم النفس الحديث، وبما فيه من تقدم وتطور ورقي، ليعجز، وفي كثير من الأحيان، عن حل وتفسير العديد من المشاكل والاضطرابات النفسية، وهنا تظهر أفضلية المسلم، فالإسلام دين لكل زمان ومكان، وفي القرآن شفاء وراحة للنفوس والصدور، شفاء لكل الأمراض العضوية وحتى النفسية، شفاء للأوهام واليأس. إن نعمة الإسلام تجعل من المسلم مستريحا بالصلوات والأذكار والصدقات، بالسجود والتضرع والدعاء والذكر لقوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨). إنه السعادة الحقيقية التي تتلاشى أمامها الأمراض والأسقام، ففي السجود تخلص من الشحنات السلبية، وتقوية للذاكرة، ومنع للجلطات؛ وفي سماع القرآن تدمير للخلايا السرطانية؛ ورفع السبابة للتشهد يزيد في حجم تدفق الدم؛ والصيام صحة. إنها دراسات علمية واقعية توضح عظمة الإسلام وراحة المسلم باتباع تعاليمه، فإذن لماذا التفكير الزائد؟ ومما الخوف؟ فالأمر واضح وبسيط، والمنهج موجود يسير، يبقى التصميم والتطبيق فقط، فمهم أن يطبق المسلم ما وصل إليه من استنتاجات، وأن يواصل في التعلم من أخطائه، فالمؤمن فطن وكيس ولا يلدغ من الجحر مرتين، فكل تجربة سيئة من ماضيك وجب أن تتعلم منها وتجعلها سلاحا توجهه لبناء مستقبلك، واعلم أن الله المستعان، وهو بجانبك، عليك بعبادته والتوكل عليه فقط، فهو لم يخلقك ليحزنك بل ليجربك ويمتحن إيمانك وصبرك، وأنت قادر بإذنه على المواجهة والتحدي والنجاح، فأحلامك وطموحاتك بجانبك يكفي فقط أن تصبر وتلتزم وتحط في الفعل، فالسعي والأخذ بالأسباب أمران مهمان. وتأكد أن أي إنسان لديه مشاكله وهمومه، وأيا منا قادر على التغلب عليها بالإرادة والصبر والعزم والتفاؤل.

املأ نفسك بالأمل والمرونة والتحدي، إنها مهارات وجب أن تتبرمج عليها وتتعلمها لتصل إلى تحقيق تنمية في حياتك، تنمية اجتماعية ونفسية ومادية، بطريقة إسلامية حاول واسع جاهدا لأن تجعل كل استجاباتك في الحياة إيجابية مهما كانت الظروف، اسع أيضا إلى استغلال وقتك باحترافية كبيرة وعالية، ولا تنس طبعا الالتزام بالتفكير الإيجابي، لأنه طريقك نحو السعادة والارتياح وتبسيط عقبات الحياة وإعطاء الأمور حجمها الحقيقي والطبيعي، فأنت أعظم مخلوق عند الله عز وجل، حاول جاهدا أن تعدل من اتجاه أفكارك نحو الإيجابي للتغيير من الحسن إلى الأحسن والأفضل بإذن الله.

مرهف أسد
كاتب سوري



كيف نربي أبناءنا على البر

من جملة ما أتى به الإسلام لتنظيم شؤون حياة الناس، علاقة الأب بوالديه، والوالدين بأبنائهما، لأن تلك العلاقة أساس بناء المجتمعات والأمم، وهي اللبنة الأساس في بنائهما، فبصفائها يصفو المجتمع، وبتكدرها يتكدر صفوه، وينهار بنيانه، وتتقطع أوصاله.

ولأهمية تلك العلاقة، نسوق بعض الهمسات التي تسمو بتلك العلاقة من خلال ما جاء به القرآن الكريم ووضحته السنة المشرفة.

كيف نربي أبناءنا على البر؟

جاء في الأثر عن أبي مرة مولى عقيل، أن أبا هريرة، كان يستخلفه مروان، وكان يكون بذي الحليفة، فكانت أمه في بيت وهو في آخر، قال: فإذا أراد أن يخرج، وقف على بابها، فقال: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته.

فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرا، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله (١).

فالتربية في الصغر هي الطريق الموصل للبر في الكبر، فكلما تعاهد الوالدان أولادهما بالعناية والتربية، كان الأولاد إلى الصلاح أقرب، وأساليب وطرق التربية الموصلة إلى البر كثيرة متنوعة، نذكر منها:

- القدوة الحسنة للأبناء في بر الآباء، فما من أسلوب تربوي أنفع ولا أجدى من مبدأ القدوة، فبه تتحقق الرغائب، وتنال الأماني.
- تعزيز سلوكات البر وحسن المعاملة للوالدين في عقلية الأبناء، من خلال

التعامل معهم برفق ولين ونصح وإرشاد، وعندها سيستجيب الأبناء للوالدين حتما تجاه أي طلب يطلبونه أو أمر يصدرونه، أما استخدام التأنيب والتعنيف فلا شك أنه سيؤدي إلى نتائج عكسية.

● غرس القيم لدى الأبناء، ومن ضمنها بر الوالدين، وتعريفهم فضله والآثار الكثيرة المترتبة عليه.

● استعمال الوالدين لغة الخطاب والحوار الراقي واللائق مع أبنائهم.

● استذكار أن حب الأطفال للوالدين رد فعل لحب الوالدين لهما، فإذا كان الحب هو السائد في العلاقة بين الابن ووالديه، فإن الطاعة لهما ستكون ملح الحياة بينهم.

● تنمية العلاقة الجيدة بين الآباء والأبناء، فبها تنمو أواصر التواصل الفعال بينهم.

● سرد بعض قصص الصحابة والتابعين وأساليب برهم لوالديهم على مسامع الأبناء بين الفينة والأخرى، مما يجعل من معاني البر واقعا ملموسا، وصورة حية ماثلة في حياتهم.

الأسباب التي تؤدي إلى عقوق الوالدين

كي يكون الآباء على بينة من أمرهم، وحتى يطيب البذر وتحصل الثمار، لابد من الانتباه لجملة من الأمور توضح للآباء السبل التي ينبغي أن تسلك، فيزيلوا كل عقبة قد تقف أمام بنيهم، وتوردهم من الموارد ما لا يحمد، فيسوسوا أبناءهم بالحكمة، واللطف، والمداراة، ويبتعدوا بهم عن كل سبيل موصل للعقوق، ومنها:

● عدم التنشئة السليمة منذ الصغر على الطاعة للوالدين، وتنمية الوازع الديني لديهم، والذي يعد الدافع لكل مكرمة، والمبعد عن كل نقيصة، وهذا من صميم مسؤولية الآباء، وفي صلب اختصاصهم.

● إهمال الوالدين لأبنائهم وانشغالهم عنهم في مراحل نموهم المختلفة، خاصة في مرحلة المراهقة، التي تتبدل فيها الطباع وتتغير فيها الموازين.

● ترك الأبناء لوسائل الإعلام المنحرفة، لتبث سمومها في عقول وقلوب الأبناء، دون أي مراقبة أو توجيه، لتكون من أهم مصادر التوجيه للأبناء، وأشدها تأثيرا.

● فسح المجال لأصدقاء السوء أن يؤثروا في عقليات الأبناء وسلوكهم، فالصاحب ساحب كما يقال، وسرعان ما يتطبع الولد بطباع من يصاحب.

بعض الوسائل المعينة على بر الوالدين

● الدعاء: فما استجلبت الخيرات بمثله، وهو هدي الأنبياء والصالحين، فسبيلهم الضراعة إلى بارئهم أن يوفقهم لبر والديهم، وهدايتهم لكل فعل حسن، قال تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النمل:١٩).

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف:١٥).

● استحضار فضل بر الوالدين، كما أسلفنا، وأنهما باب مفتوح من أبواب الجنة، ونهر جار من الأجر لا ينقطع، ليتولد حرص ما بعده؛ حرص على برهما، والسعي في إرضائهما.

● أن يذكر نعمة وجودهما وأنهما راحلين، فوجودهما نعمة عظيمة، ومكرمة جليلة، ومنحة كبرى، حق على المسلم أن يكافئها، بشكرها بعظيم برهما، وعمل كل أمر يسرهما.

● أن يتذكر المرء قاعدة: كما تدين تدان، فكما تبر والديك اليوم، سيكون بر أولادك لك غدا، والعكس بالعكس، فالجزاء من جنس العمل؛ ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:٤٦).

● استحضار آثار العقوق، التي تنذر العاق بالشقاء في حياته الدنيا أو في الآخرة، وأن تجنب تلك الآثار بالابتعاد عن العقوق، وما ذلك إلا سبيل لمرضاة الله سبحانه وتعالى، ونيل ثوابه.

همسة في آذان الآباء والأمهات

كثيرة هي المواعظ التي تتحدث عن بر الوالدين، وتحث الأبناء على التزام هذا الباب، والعناية به، وكثيرة هي الكلمات التي تحذر من عقوق الأبناء لوالديهم، لكن على الآباء أن لا ينسوا أن المسؤولية التي حملها كل من الأب والأم، من قبل رب العباد سبحانه وتعالى، فقال عز من قائل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الحجر:٩٢-٩٣).

وعن أنس، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أم ضيع» (٢).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ،



يقول: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته» (٣).

فتلك النصوص بما حوته من معان، تحمل ملمحا ينبغي أن يبقى ماثلا في عقول وسلوك الآباء مع أبنائهم.

● فالبر الذي يطمح كل أب أو أم أن يلقوه من أبنائهما، ليس سوى ثمرة لبذرة غرست، وأحيطت بالعناية والرعاية، حتى اشتد عودها فأزهرت وأثمرت.

● يروى أن رجلا جاء إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد، وأنّبه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب.

● قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلا، ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا.

● فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك؟! (٤).

● كيف لا يحظى الأبناء بتلك الرعاية، وهم كما قال الأحنف بن قيس عنهم: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، فإنهم يمنحونك ودهم، ويحبونك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك.

● فمن أدب ابنه صغيرا، قرت عينه كبيرا، وكما يريد الآباء من أولادهم أن يبروهم، فليكونوا هم على مستوى ذلك البر والإحسان.

فحري بمن أراد بناء أمة، ونهضة مجتمع، أن يتمثل تلك الأسس، ويتمسك بتلك المبادئ، ليكون البنيان راسخ الدعائم، قوي الأركان، ثبتا متينا، تتحطم على أسواره كل معاول الهدم والتخريب.

هوامش:

١ - إسناده حسن، أخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم: (١٢،١٤).
ومن طريق البخاري أخرجه ابن الجوزي في البر والصلة، برقم: (٥٩).

٢ - إسناده صحيح. أخرجه النسائي في عشرة النساء، برقم: (٢٩٢). وهو في صحيح ابن حبان، برقم: (٤٤٩٢).

٣ - وأخرجه البخاري في الجمعة، برقم: (٨٩٣) باب: الجمعة في القرى والمدن.

٤ - ليس لهذه القصة أصل صحيح، لكن المعنى العام لها صحيح، حيث إن الذي يربي أبناءه على الأخلاق الإسلامية النبيلة السامية، تكون النتيجة أنهم يتخلقون بأخلاق القرآن، ويتخذون من رسول الله ﷺ قائدا ومعلما وقدوة، ومن الصحابة قدوات لهم في السلوك، كل ذلك ينتج جيلا بارا بأبويه، والأدلة على ذلك كثيرة.



د. أمان محمد قحيف
مفكر وأكاديمي مصري

أبناؤنا وثقافة الأمل

لعل من الأمور التي يجب الحرص عليها والانتباه لها - خاصة في زمن الشبكة العنكبوتية والسماوات المفتوحة - هو أن نسعى جاهدين إلى التركيز مع شبابنا، من أجل معالجة قضاياهم وإعانتهم على ما يواجههم من تجليات وظواهر نفسية ترتبط بهذه المرحلة العمرية؛ إذ للشباب همومهم ومتاعبهم التي ترتبط بالتغيرات الفسيولوجية (الطبيعية)، والسيكولوجية (النفسية)، التي تحدث لهم في هذه المرحلة السنية.

ولا شك أن هذه التغيرات تؤثر بشكل كبير على نظرتهم إلى ذواتهم ومجتمعاتهم ومستقبلهم وتطلعاتهم.. ولما كان الواقع بتداعياته قد فرض على شبابنا الإحساس بشيء من القلق والتوتر من المستقبل؛ فإن الأمر يقتضي منا، بل يوجب علينا الاضطلاع بمسؤوليتنا تجاه بث روح الأمل والتفاؤل في نفوسهم.. من هنا وجب الحديث عن «ثقافة الأمل».. تلك الثقافة التي من شأنها - في حال انتشارها - تخليصهم من نزعات التوتر، والقلق، والشك، واليأس، والقنوط، والضجر، تلك النزعات التي يحرص على بثها والتكريس لها في عقول أبنائنا أعداء الأمة وخصومها المتربصون بها وبذخيرتها الحية الواعدة المتمثلة في شبابها وأجيالها الناهضة.

ولعل من أطيب الحديث في هذا السياق الإشارة إلى أن الخطاب القرآني قد نبه العقل الإنساني إلى العديد من القيم النبيلة والسامية التي من شأنها المساهمة بشكل فاعل في دفع الحياة إلى النور، وجعلها مضيئة، مشرقة، مبهجة، يملأ البشر جنباتها ويتغلغل التفاؤل في أوصالها.. من هذه القيم، بل من أبرزها، قيمة «الأمل»؛ إذ اهتم القرآن الكريم كثيرا ببث ثقافة الأمل في نفوس المؤمنين به لأهمية دورها الفاعل في تنمية الحياة الإنسانية وتقدمها وإشاعة الخير في جنباتها.

ويجب أن ندرك أهمية انتشار وشيوع «ثقافة الأمل» بين شبابنا خاصة في هذه المرحلة من عمر التاريخ العربي والإسلامي.. حيث يسعى المسلمون بكل ما آتاهم الله تعالى من إمكانيات باتجاه تعويض ما فاتهم من عوامل التقدم وأسباب الازدهار، وحيث تسعى الأمة إلى بذل المزيد من الجهد في سبيل نشر الوسطية الإسلامية السمحة للتخلص من صيحات التشدد ونداءات التطرف التي يشيعها أولوا الأفق الضيق، ويلفظها وينتقدها أولوا العقول المستنيرة والألباب الراجحة.

وثمة أهمية لأن ندرك أن النفس المفعمة بالأمل هي النفس التي يتوافر لديها الإحساس بأن الغد سيكون أفضل من اليوم.. وهي نفسٌ تمتلك دافعا قويا نحو الاستمرار في الإنجاز والعمل والإبداع في مختلف مناحي الحياة.. وهي نفسٌ لديها ثقة كبيرة في قدرتها على تحقيق ما تصبو إليه من آمال وما ترنو إلى إدراكه من أهداف.. وهي نفسٌ تطلعاتها متجددة وطموحاتها متوالية؛ لذلك فهي تحب الحياة وتسعد بها وتعمل على تجميل الوجود؛ إذ الإنسان يفرح ويهنأ بما يحققه من طموحات وأهداف.. وهذا أمر حميد شريطة أن تكون هذه الآمال وتلك الأهداف مشروعة، أي: لا تتعارض ولا تتباين مع منظومة القيم الأخلاقية أو تعليمات العقيدة الدينية.

ومن نعم الله تعالى على الناس أن آمالهم متعددة وطموحاتهم في الحياة متوالية.. فكلما وصل الإنسان إلى أمل تجددت لديه آمال أخرى، وكلما حقق هدفا تولدت الرغبة لديه في الوصول إلى أهداف مغايرة.. وهكذا دواليك، حيث يظل الإنسان ينتقل في حياته من إدراك أمل إلى التطلع إلى آخر، ومن تحقيق هدف إلى السعي نحو إصابة هدف جديد.. وهكذا تتطور الحياة مع تطور الآمال وتتجدد مع تجدد الغايات.

ويرتبط ارتقاء الحياة الإنسانية وتقدمها بارتقاء الآمال وتنامي التصورات عنها، فالحياة الإنسانية تتشكل وفق مجموعة الأهداف التي يسعى البشر إلى

تحقيقها.. فالأهداف النبيلة تخلق حياة أخلاقية، راقية، سامية، بينما الأهداف الخالية من النبل تجعل صاحبها يعيش حياة بائسة لا طعم لها ولا مذاق، وتراه يعاني بشكل متواصل من القلق الدائم والتوتر المستمر.

ونؤكد أن الحياة الإنسانية عامة – سواء الفردية منها أم المجتمعية – لا يجب أن تخلو من آمال وطموحات وأهداف يرنو الجميع إلى تحقيقها والوصول إليها؛ لأن الحياة تفقد معناها، أو على الأقل تفقد رونقها وجمالها إذا خلت من الأمل أو إذا انعدم فيها التطلع نحو تحقيق المزيد من الأهداف والطموحات التي تجددها وتمنحها مذاقها المستساغ.

وإذا كانت الحياة تكتسب قيمتها بقدر ما فيها من آمال وطموحات وأهداف وغايات؛ فإن حياة الإنسان الذي لا طموح له هي حياة ليست جديرة بأن تعاش لأن المرء يتحول فيها من كونه إنسانا – يشعر، ويفكر، ويأمل، ويطمح – إلى شيء من الأشياء التي لا حس لها ولا شعور، ولا طموح لديها في الحصول على الأفضل أو الانتقال إلى الأحسن.

وجدير بنا السعي– من خلال المقررات الدراسية، والوسائل الإعلامية، والخطب المنبرية– نحو غرس، وزرع، بل تعميق ثقافة الأمل في نفوس وعقول أبنائنا وأجيالنا الناهضة.. لأن الأمل المتواصل هو في حقيقته إنجاز متواصل، من حيث أن الأمل يدفع الإنسان إلى العمل والكد والاجتهاد والإبداع.. ولا يخفى علينا أن أمتنا بحاجة ماسة إلى تحميس الشباب وتشجيعهم نحو تحقيق آمالهم والوصول إلى أهدافهم التي هي في النهاية أهداف الأمة وطموحات المجتمع بشكل عام.

والشباب بطبيعته لديه قابلية فائقة للتحمس والانطلاق باتجاه الإنتاج والإبداع والعطاء، شريطة أن تتوافر له الأجواء العامة التي تعينه على تحقيق آماله وتساعده على تجاوز معوقات تفكيره ومعرقلات تقدمه.

ولعل الباب الملكي لبث روح الأمل في نفوس وعقول شبابنا هو إعلامهم بمنهج كتاب الله تعالى في زرع ثقافة الأمل في نفوس المؤمنين.. حيث يجد المرء أن بالقرآن الكريم العديد من الآيات التي تهدف إلى زرع الأمل في النفس الإنسانية على إطلاقها؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧).. فهذه إشارة من القرآن الكريم إلى أن الله تعالى لم يقض على إنسان بعينه أن يعيش حياة كلها عسر ومشقة.. وفي الآية إشارة أيضا إلى أن مشيئة الله تعالى قضت بأن الحق سبحانه وتعالى يفرج عن كل من ناله شيء من العسر بأن يمنحه قدرا ملموسا من اليسر.. شريطة أن يصبر في لحظات عسره ويحتسب الأمر عند الله تبارك وتعالى.

وننوه إلى أنه ليس من الضروري التعامل مع هذا النص القرآني وأمثاله باعتبار أنه يشير إلى العسر أو اليسر الماديين فحسب، إذ يتسع المجال هنا ليتجاوز إطار الماديات إلى اليسر المعنوي والروحي والنفسي.. ولقد تأكد هذا المعنى مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الشرح: ٥ – ٦).. ويفيد التعبير هنا بـ «مع» أن اليسر يأتي – مباشرة – في إطار العسر الذي نتخيل أننا سنعاني منه طويلا أو نتصور أنه لن يبرحنا قريبا.. ولقد علمتنا أحداث الحياة ووقائعها أن الضيق يحمل في طياته الاتساع، وأن الكرب يحمل في رحاله الفرج.

ولقد كانت آيات القرآن الكريم تتنزل تترا لتزرع الأمل في نفس الرسول ﷺ كلما واجهته مواقف تتسم بالصعوبة، أو كلما مر بأحداث توصف بأنها شاقة ومؤلمة.

فقد أكد الله تعالى لنبيه أنه معه وناصره، ومؤيده، وحافظه من كل أشكال الأذى والإيذاء؛ لأنه على الحق وعلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ (الزمر: ٣٦).. والحق أن هذه الآية جديرة بأن تزرع الثقة في قلب الرسول ﷺ وتجعله على يقين في رعاية الله تبارك وتعالى له ونصره إياه، الأمر الذي جعله يقول لصاحبه وهما في أحلك اللحظات وأصعبها داخل الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) أو: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».. وهذا تعبير واضح عن حدوث توافق تام وتفاعل واضح بين النص القرآني وبين عقل وقلب النبي ﷺ.. وما أحرانا أن نتأسى به ﷺ في الثقة في نصر الله وعونه لنا ما دمنا على منهجه نسير، وبخطاه نقتدي.

وإذ أردنا أن نسوق بعض الأمثلة التي زرع الله تعالى فيها الثقة في قلب الرسول ﷺ وصحابته الكرام.. فلنا أن نقتطف من بستان القرآن الكريم بعض المواقف التي ذكرها على النحو التالي:

أولا: نزل القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ يقول له بعدما أخرجه قومه من مكة، وهي أحب البلاد إلى الله تعالى وأحب البلاد إلى قلب رسوله الكريم ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥).

من هنا تأكدت الآمال داخل قلبه المؤمن ونفسه الطاهرة ﷺ بأنه عائد إلا مكة، في موعد حدده الله تعالى، معززا مكرما لا محالة.. ولابد أن الصحابة رضي الله عنهم قد أدركوا هذا المعنى وتعايشوا معه نفسيا وروحيا، الأمر الذي ساهم في تحفيزهم باتجاه الأخذ بكل الأسباب المؤدية إلى نجاح الدعوة الإسلامية من خلال اصطفافهم خلف

رسول الله ﷺ، ومؤازرته بكل ما هو متاح لهم ومتيسر لديهم، من ماديات، وأقوال، وأفعال، وأفكار.

ثانيا: لقد بث القرآن الكريم روح الأمل والتفاؤل في قلب النبي ﷺ وصحابته الكرام عقب «عهد الحديبية»، أو - صلح الحديبية - مباشرة، بأن أكد له أنه وصحابته الكرام سيدخلون المسجد الحرام في قابل الأيام مطمئنين مهما عارضت قريش ذلك أو تعنتت فيه، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧).

ثالثا: ولما بلغ تعنت قريش مبلغه، وتجاوز عنادها غاية حدوده، بث الله تعالى الأمل في نفوس الجميع، ليس بأخبارهم بأنهم سيدخلون مكة فحسب بل أعلمهم - تبارك وتعالى- أن نبيه سيدخل مكة فاتحا، لا معتمرا فحسب، وسيجعل الله تبارك وتعالى هذا الفتح نصرا عزيزا مؤزرا، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ (الفتح: ١ - ٣).

وهكذا حرص القرآن الكريم على تنمية وتكريس الأمل في نفس الرسول ﷺ في مختلف المواقف والأحداث، والثابت أن هذه الحالة من الأمل واليقين في النصر والانتصار انتقلت من الرسول ﷺ إلى صحابته الكرام رضي الله عنهم، فلقد كان الأمل يحبوهم بشكل دائم ومتواصل في نصر الله عز وجل لهم ودعمه إياهم؛ وذلك حتى بعد انتقال المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

ولكن ليس معنى ذلك أنهم توقفوا عن العمل أو تعطلوا عن الإنتاج انتظارا لمعجزة أو طلبا لكرامة، بل كانوا يستفرغون جهدهم في الأخذ بالأسباب المادية المتاحة لهم، ويحبوهم الأمل التام وتملؤهم الثقة المطلقة في توفيق الله تعالى لهم.

من هنا نجحوا في أن يقيموا دولة متكاملة الأركان متينة البنيان، ونشروا دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة في كل جنبات العالم المعروف لهم وقتذاك، ما استطاعوا إلى ذلك من سبيل.. وما كان هذا الإنجاز ليحدث إلا بأخذهم بأسباب النصر وبثقتهم في الله الذي عزز الأمل في نفوسهم فتيقنوا أنهم في حفظه ورعايته، ما داموا على منهج نبيهم الذي هو صراط الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ولا تشدد فيه ولا مغالاة.

ولم تتوقف دعوة القرآن الكريم إلى زرع الأمل عند حدود صحابة الرسول ﷺ فحسب، بل إن الله عز وجل يزرع الأمل في نفوس كل عباده الطيبين المخلصين الذين يحسنون العمل ويصنعون الخير في أي زمان وأي مكان، فيعدهم القرآن الكريم بعدم ضياع أجرهم وعدم ذهاب عملهم هباء منثورا، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠).. سواء كان هذا العمل يرتبط بإصلاح الدنيا أو متطلبات الآخرة.

ويتبين لنا أن القرآن الكريم قد حرص على زرع الأمل في كل النفوس البشرية فلم يحرم حتى أولئك العصاة الذين تغافلوا عن حقوق ربهم واغتروا بالدنيا فألهتهم عن التعلق بالله تعالى؛ إذ بشرهم الله عز وجل بالعفو والمغفرة إذا رجعوا عن معاصيهم وندموا على أفعالهم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ (الفرقان: ٧٠ - ٧١).

ومن اللافت في هذا السياق أن الله عز وجل فتح باب الأمل ليس أمام العصاة فحسب، بل أمام الذين أسرفوا على أنفسهم في ارتكاب المعاصي وأكثروا من إتيان الخطايا والذنوب، حيث وعدهم تبارك وتعالى بالقبول إذا عادوا إلى رشدهم، والمغفرة إذا تابوا عن غيهم، قال ربنا عز وجل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

بقيت الإشارة إلى أن كتاب الله تعالى حذّر أيما تحذير من الدخول في حالات من اليأس أو الميل إلى القنوط، مشيرا إلى أن اليأس من الله قرين الكفر به والعياذ بالله، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

وهكذا يريد الله تعالى منا أن نتطلع إلى الأفضل دائما، وأن ننتظر الخير ونتوقعه، ونسعى إليه جاهدين.. من ثم يجب أن يحبونا الأمل دوما بأن الخير قادم، ويجب أن تمتلئ جوانحنا بالإحساس بأن الأفضل هو المنتظر - سواء كنا في سعادة وحبور أم كنا في ضيق وتوتر- لأن القرآن الكريم يعيب على الإنسان الذي يسعد ويهنأ مادام في خير وسعة ورحمة، ثم يصيبه اليأس والقنوط إذا تولى عنه التوفيق أو إذا ابتلاه الله تعالى بشيء من مصائب الدنيا لبعض الوقت: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ (هود: ٩ - ١٠).

هبة أبو الفتوح
كاتبة صحفية



القسوة تدمر ثقة الطفل بنفسه

أخطاء في التربية

الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى التي تتشكل من خلالها شخصية الطفل. ولكي تقوم الأسرة بدورها في التنشئة السليمة، فمن الضروري أن تلم الأسرة بالأساليب التربوية الصحية التي تنمي شخصية الطفل، وتجعل منه شابا واثقا من نفسه، صاحب شخصية سوية. وللتربية أصول وقواعد يجب اتباعها في التعامل مع الطفل إن ظهر منه سلوك غير مرغوب فيه، أو العكس قام بسلوك جيد. لكن يعتقد بعض الآباء والأمهات أن العقاب الدائم والشدة والقسوة في التعامل مع أبنائهم هي أساس التربية السليمة والناجحة، لكنهم لا يدركون أن العقلية التي يتعاملون معها هي عقلية طفل لا تدرك الكثير من المعاني والمفاهيم التي يسعون إلى توصيلها بتلك الأساليب الخاطئة في التربية.

ليس منا

لقد انتهت الدراسات والأبحاث إلى أهمية التوجيه النبوي في منع الإساءة إلى الطفل، وحسن معاملته، لما لذلك من آثار إيجابية تنعكس على صحة الطفل النفسية، يقول النبي ﷺ موجها ومربيا: «ليس منا من لا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا». فالتوجيه النبوي بالرحمة بالصغير، أي تنشئته في مناخ تربوي يراعي تكوينه النفسي والبدني ولا يعرضه للإساءة. ويقصد بالإساءة إلى الطفل أنها: «الفعل المقصود غير العرضي الصادر عن الوالدين، أو المربين القائمين على رعايته وتنشئته، الذي ينتج عنه إيذاؤه وإلحاق الضرر به، جسميا أو صحيا أو نفسيا أو انفعاليا». وتندرج تحت هذا التعريف أنواع شتى من الإساءات إلى الطفل، مثل: الإساءة الجسمية، الإساءة الجنسية، الإساءة الانفعالية، الإهمال.

وعلى الرغم من تعدد أشكال الإساءة إلى الطفل، فإن الإساءة النفسية والانفعالية تعد من أخطر أنواع الإساءات تأثيرا على نفسيته، حيث تصعب إزالة الآثار المترتبة عليها، خصوصا إذا لم تعالج، فتظل عظيمة التأثير في حياة الطفل ومستقبله. ويحدد بعض الباحثين الإكلينيكيين أعراضا مميزة للأطفال الضحايا لسوء المعاملة والإهمال، منها أعراض انفعالية تتضمن: الغضب، والإنكار، والكبت، والخوف، ولوم الذات والشك فيها، والشعور بالعجز، وانخفاض تقدير الذات، والشعور بالذنب، والبلادة. كما يبدي هؤلاء الأطفال أعراضا سلوكية تشمل: الهروب من المنزل، والانسحاب، والأمراض الجسدية، والكوابيس، والرهاب. كذلك قد تضطرب في ذهنه المخططات المعرفية، فتتصف إدراكاته بالتشوه المعرفي، وتصاب المنظومة المعرفية بالتشوش، حيث تتغير إدراكاته وتفسيره للعالم الذي يصير بالنسبة إليه عالما عدائيا يصعب التنبؤ به.

مرشد نفسي

وعلى الرغم من تعدد المظاهر أو الأعراض التي يبديها الأطفال الضحايا لسوء المعاملة والإهمال، فإنها قد تتباين حسب الموقف، ومن طفل إلى آخر؛ فقد يحال بعض الأطفال إلى الاختصاصين أو المرشدين النفسيين بسبب ما يصدر عنهم من سلوك عدواني وما يبدونه من مشكلات سلوكية أخرى، فهم في ذلك يكررون سلوك الإساءة الذي خبروه من الوالدين، أو من غيرهم كنموذج عاشوه في حياتهم.

وقد يحال أطفال آخرون إلى عيادات أو مراكز الصحة النفسية للأطفال، لأنهم انسحابيون بشكل زائد، وانعزاليون، لأنهم يبدون مشكلات دراسية أو اجتماعية (١).

ويعتبر مجال الإساءة إلى الطفل من المجالات الجديرة بمعالجتها لما يترتب على ذلك من آثار سلبية على مستوى النمو العقلي والنفسي والاجتماعي يعانيها الأطفال من جراء سوء الإهمال والمعاملة (٢).

ولاشك أن الاهتمام بالطفل في المجتمعات المتقدمة قد أدى إلى الفهم الصحيح لهذا الكائن، وبالتالي التعامل العلمي مع الأطفال. ومن هنا، فإن التعرف على الطفولة لا يعني دراسة خصائصهم الطبيعية، سواء كانت نفسية أو اجتماعية وحسب، بل يتعدى ذلك إلى دراسة تفاعل الأطفال مع كل المثيرات البيئية المختلفة، أي العناصر الحضارية، والثقافية التي فرضها التقدم العلمي والتطبيق التكنولوجي (٣).

والتربية علم وفن، حيث يختار المربي الأسلوب المناسب في الوقت المناسب، وليست المسألة مسألة شدة وعنف وكفى، والمربي الذي يلجأ إلى القسوة والعنف في حقيقة الأمر، ليست لديه القدرة على التعامل التربوي السليم مع الأطفال، وكما يؤكد علماء التربية أن أسلوب التربية يعتمد على شخصية الطفل، فلكل طفل طريقة تناسبه في التعامل والتوجيه، فبعض الأطفال تكفيه كلمة عتاب من والده، كما أن بعضهم يحتاج إلى التأديب، في حين يحتاج بعضهم الآخر إلى الحوار والمناقشة.

الهوامش

١- المنهج التكاملي لكفالة حقوق الطفل، إعداد المجلس العربي للطفولة والتنمية بالقاهرة.
٢- المرجع السابق.
٣- تقرير الطفولة والتنمية، إصدار رقم ١٦، المجلس العربي للطفولة والتنمية.

كمال عبدالمنعم خليل
باحث تربوي



ثقافة احترام الكبير

لكبير السن في أحكام ديننا الحنيف مكانة خاصة، وآداب يلتزم بها المسلم، وأحكام فقهية تعود على هذا الكبير، رجلا كان أو امرأة، بما يكون فيه التخفيف عليه، ورفع الحرج عنه في ما يتعلق بالعبادات المفروضة.

إن دورة الحياة معروفة ومؤكدة لكل فرد، قد تكتمل من أولها إلى آخرها، وقد تنتهي عند مرحلة من المراحل حسب ما يريد الله تعالى، وحسب الأجل المقدر والمحتوم عند رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥).

وآداب الإســلام بشأن الكبير إنسانية قبل أن تكون إسلامية، أي إن ما وجه إليه الإسلام بهذا الشأن يستفيد منه المسلم وغير المسلم في صورة تعبر عن عظم هذا الدين، وأن رسالته إنما هي رحمة للعالمين أجمعين، روى الترمذي في سننه من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه». والمتدبر لهذا الحديث يجد أن كلمة «شاب» نكرة، وكذلك كلمة «شيخ»، والنكرة في اللغة تفيد العموم، نفهم من ذلك أن هذا التوجيه إنساني بالدرجة الأولى، فهو لكل شاب مسلم أو غير مسلم، أن يكرم كل شيخ كبير مسلم أو غير مسلم، ومرحلة الشباب هي مرحلة القوة والفتوة، وهي المرحلة التي يستطيع فيها الإنسان أن يقدم فيها الكثير من الأعمال التي تتطلب بذل الجهد وتحمله، فالخطاب للشباب على وجه التحديد مقصود، فلينظر كل شاب أين يوجه قوته، وكيف يستخدم هذه القوة، ولا يظن شاب أن القوة ستدوم، بل لابد من الضعف بعد هذه القوة، ولابد من الوهن بعد هذه الفتوة.

ما أروع هذا الأدب، وما أرحم ديننا الحنيف، وإذا كان هذا الجزاء لمن يكرم كبير السن، فإن البديهيات تقتضي أن يكون النقيض لهذا السلوك وهذه العبارة لازما أيضا، بمعنى أنه ما من شاب يهين شيخا لسنه إلا قيض الله تعالى له من يهينه عند كبر سنه، وكما تدين تدان.



روى الترمذي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- والبزار عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». ومعنى ليس منا، أي ليس على هدينا، ولا على طريقتنا، ولا من أخلاقنا، فهو ترهيب شديد، وردع لمن تسول له نفسه أن يرتكب هذا السلوك الذي يبعد صاحبه عن شرف الانتماء إلى هذه الأمة المحمدية.

والأولى بالتوقير الوالدان على وجه الخصوص في مرحلة الكبر والضعف والعجز، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤).

وتعالوا معا نتدبر هذه الجملة القرآنية: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾، قرن الله تعالى العندية بالكبر في ما يخص الوالدين، بمعنى أن الله تعالى يلفت انتباهنا إلى أن الوالدين إذا وصلا إلى مرحلة الكبر المقترن بالضعف والوهن، فمكان وجودهما ورعايتهما هو بيت الابن، لا دار العجزة، ولا دار المسنين، ولو كانت خمس نجوم، إذ إن الابن في صغره يحتاج إلى رؤية والديه، كما يحتاج إلى عطفهما وحنانهما، ومشورتهما، والحال تتبدل عند كبر الوالدين، فهما في حاجة إلى رؤية الأبناء والأحفاد، مما يكون له الأثر الطيب على نفسيتهما وإبعاد الملل عن حياتهما، التي أصبح أكثرها سكونا بعد حركة، ومرضا بعد عافية وصحة.

ومن تمام الأدب مع الوالدين على وجه الخصوص، ألا يتقدمهما بسير إلا ليلا للخوف عليهما، ولا يجلس قبلهما، ولا يعلوهما في مجلس، ولا يناديهما باسمهما، بل ينادي: «يا أمي ويا أبي»، ولا يتكبر عليهما، بل يكون متواضعا، خافضا للجناح مهما بلغ من درجات الترقي في حياته المجتمعية.

وليحذر العاق لوالديه أو للكبير أن يقتص منه في حياته قبل مماته، فكل ذنب تؤجل عقوبته في الآخرة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل في الدنيا قبل الآخرة، أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات».

ولرحمة الله تعالى بالكبير فقد شرع الإسلام أحكاما فقهية تتعلق بالرجل المسلم الكبير منها:
في الصلاة شرع له أن يصلي جالسا بدلا من القيام في الفريضة إذا شق عليه القيام. والحكم وإن كان يتعلق بكل عاجز غير قادر، سواء كان كبيرا أو شابا، إلا أن كبير السن يستفيد من هذا الحكم الشرعي بصورة أكبر. روى البخاري في صحيحه عن عمران ابن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب». فصلاة المسلم جالسا في الفريضة ترتبط بالمشقة حال أدائها قائما، يستوي في ذلك الكبير والمريض والمقعد ومن به علة، قال النووي -رحمه الله- في كتابه مجموع الفتاوى: «أجمعت الأمة على أن من عجز عن القيام في الفريضة صلاها قاعدا ولا إعادة عليه. قال أصحابنا: ولا ينقص ثوابه عن ثوابه في حال القيام؛ لأنه معذور، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما». قال أصحابنا: ولا يشترط في العجز أن لا يتأتى القيام، ولا يكفي أدنى مشقة، بل المعتبر المشقة الظاهرة، فإذا خاف مشقة شديدة أو زيادة مرض أو نحو ذلك، أو خاف راكب السفينة الغرق أو دوران الرأس صلى قاعدا ولا إعادة»، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨).
أما في الصيام المفروض، فقد شرع الله تعالى للرجل الكبير والمرأة الكبيرة في حال المشقة أن يفطرا، ويطعما عن كل يوم مسكينا، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة:١٨٤)، روى أبوداود عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال: كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا. قال النووي: إسناده حسن. «قال الشافعي والأصحاب: الشيخ الكبير الذي يجهده الصوم، أي يلحقه به مشقة شديدة، والمريض الذي لا يرجى برؤه لا صوم عليهما بلا خلاف، ونقل ابن المنذر الإجماع فيه، ويلزمهما الفدية أصح القولين» ا.هـ.
وفي الحج شرع الإسلام الحج عن الكبير غير القادر على أداء المناسك، روى الترمذي في سننه عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- عن الفضل بن عباس أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله، إن أبي أدركته فريضة الله في الحج وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يستوي على ظهر البعير، قال: «حجي عنه».
وقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- في قصة إسلام والد أبي بكر الصديق أنها قالت: «فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبوبكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه». قال أبوبكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه». والشاهد من هذه القصة قول النبي ﷺ: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه»، وفيه دليل على احترام الكبير، وإكرام شيبته.
روى البخاري ومسلم عن سمرة ابن جندب رضي الله عنه قال: «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما فكنت أحفظ عنه (حفظ نحوا من مئة حديث عن النبي ﷺ)، قال: فما يمنعني من القول (يعني: من الرواية عن النبي ﷺ) إلا أن ههنا رجالا هم أسن مني».
وهذا الشاهد، التأدب مع الكبار، فلا يتقدم بين أيديهم من هو دونهم إذا كانوا أولى منه بالعلم والحفظ والرواية. وقصة يوشع بن نون التي ذكرها الله تعالى في سورة الكهف دليل واضح على احترام الكبير، والتأدب معه، خصوصا إذا كان في موقف المتعلم، واستكمل هذا الأدب في حوار موسى مع الخضر عليهما السلام.
فأولى بنا أن تنتشر بيننا ثقافة احترام الكبير، فنكرمه ولا نهينه، ونعينه على الدهر وأحواله ونوائبه، ونتذكر أنه إن طال بنا العمر فسوف نحتاج إلى من يوقرنا ويحترمنا، ويمد لنا يد العون، ويعيننا على ضعفنا، فلنقدم لهذه السنين، حتى إذا أتت إلينا وعاصرناها وعايشناها، وأكرمنا الناس فيها ووقرونا وأعانونا نقول بملء فينا: «هذه بضاعتنا ردت إلينا».
اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر. اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك. اللهم إني أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر.
اللهم آمين.

محمد جمال حليم
كاتب صحفي

المرح والفكاهة في حياة النبي الكريم

كثيرا ما يعتقد البعض، ممن يتابع سيرة الرسول الكريم في غزواته وفتوحاته، أنه لا يعرف المزاح. وتنطبع في ذهن هؤلاء صورة خيالية للنبي ﷺ للرجل العابس الحاد الذي يأخذ الأمور كلها بمأخذ الجد، ومن ثم فلا يقبل التبسط في الحديث ولا يعرف للمزاح طريقا.. وزيادة في الإفراط يسحب هؤلاء هذا الوصف على خلقته وهيئته ﷺ، فيتصورونه بصورة لا تليق من الفظاظة والغلظة!

وإن كان هذا التصور معقولا من غير المسلمين، فلا يمكن قبوله ممن يدينون بالإسلام ومن لديهم أدنى معرفة بشمائله وصفاته عليه الصلاة والسلام.

والمتابع للسيرة العطرة يرى بعين بصيرته ما لاقاه الرسول من قريش وغيرهم، مما دعاه لصد هجماتهم المتكررة، وفي هذا ما لا يخفى من تحمل الإيذاء والصبر عليه.. فلم تكن حياته ﷺ حياة الملوك والرؤساء، حيث التنزه والرفاهية والدعة، لكنه صاحب رسالة يريد أن يؤديها كما أمر: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة:٦٧)، وفي سبيل ذلك عقد العقود، وأمضى الاتفاقيات، وحارب، وغزا؛ حتى لا يحال بينه وبين قلوب الناس، ولتشق دعوته طريقها إلى حيث أراد الله.

كل هذا وغيره صور للبعض -زورا- أن النبي ﷺ عبوس، وهو ما يخالف الواقع النبوي الشريف.

النبي البسام

لم يمنع أداء الرسالة النبي الكريم من أن يكون لين الجانب، متبسطا في الحديث، يمازح أصحابه ويخفف عنهم ويعالج نفسياتهم في أدب جم وأسلوب راق.. ولم لا وهو المبعوث برسالة السماء الخالدة، التي جاءت فتحا للبشرية جميعا وخروجا بها من الضيق إلى السعة.. وهو بهذا يفتح طريقا جديدا للدعوة وتميزها؛ لتعبر به الآفاق متخذة من اللين مركبا، ومن السهولة واليسر سبيلا.. وبتصفح سيرة النبي وكيف كان يعالج قضاياه ويمازح أصحابه -حيث لا تناقض- نجد ما تسر به العين ويقر به الفؤاد بالقدر الذي يغني عن كثير من الكلام؛ فعن جابر بن سليم الهجيمي رضي الله عنه قال: قلت: «يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئا ينفعنا الله تبارك وتعالى به. قال: لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط...» ، ورتب ﷺ الثواب على من يفعل ذلك: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

فقد كان هذا شأنه وديدنه عليه الصلاة والسلام، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي».

ومن صفات النبي ﷺ كما يقول أصحاب السير: أنه كان بسام المحيا، وقد كان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس تبسما لأصحابه، يقول عبدالله ابن الحارث بن حزم: ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ.

فصار الوصف من هديه الشريف ﷺ، يخالط الناس به ويعاملهم به، بل ويدعوهم إليه، قال ﷺ: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق» .

مزاحه مع الأعراب والأطفال

ولا عجب فقد كان الرسول يمازح حتى الأعراب وأهل البادية ولا يستنكف عن مداعبتهم؛ فعن أنس رضي الله عنه: أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام، وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، وكان النبي ﷺ يحبه، وكان دميما، فأتاه النبي ﷺ يوما وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟». فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسدا. فقال النبي ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد، أنت غال». وفي رواية: «أنت عند الله رابح» .

بل حتى الأطفال مازحهم رسول الله، فقد روي عن عبدالله بن الحارث قال: كان الرسول ﷺ يصف عبدالله، وعبيدالله، وكثير بن العباس، ثم يقول: «من سبق إلى فله كذا وكذا». قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم» وصدق رسولنا الكريم الذي قال عن نفسه فيما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة».

وبعد، فهذا غيض من فيض في جانب من حياة رسول الله ﷺ يدل على رحابة صدره ويبرز جانبا آخر مما حفلت به السيرة العطرة من مواقف وأحداث تبرز شخصية الرسول الكريم ومسلكه في الدعوة إلى الله.

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٢)

ياسين محمد كتاني
باحث دراسات إسلامية

سلسلة الذخائر



تعد مكتبة مجلة الوعي الإسلامي من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلة عام (١٩٦٥م)، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية.

ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -ولاسيما في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، ولاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «سلسلة الذخائر» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

سلسلة الذخائر: وهي سلسلة جمعت مجموعة من الكتب المتخصصة في اللغة والأدب والتاريخ وغيرها، التي أصدرتها المطبعة الأميرية «بولاق» التي أنشأت سنة ١٨٢٠م.

تعريف مطبعة بولاق أو المطبعة الأميرية:

وهي أول مطبعة رسمية حكومية تنشأ على الإطلاق في مصر، أنشأت في سبتمبر عام ١٨٢٠م-١٢٣٥هـ، وافتتحت رسميا في عهد محمد علي باشا عام ١٨٢١م. كانت تعنى بطباعة الكتب العسكرية للجيش، ثم تطورت بعد ذلك وأصبحت تطبع مختلف الكتب الأدبية و العلمية والمدرسية.

وفي أكتوبر ١٨٦٢م قدم محمد سعيد باشا المطبعة هدية إلى عبدالرحمن بك رشدي، ثم اشتراها الخديوي إسماعيل باشا، ثم عادت ملكا للدولة سنة ١٨٨٠م، و ذلك في عهد الخديوي توفيق، و قد أصدر الرئيس الراحل جمال عبدالناصر في ١٣ أغسطس ١٩٥٦م قرارا بإنشاء الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، وإلحاقها بوزارة الصناعة، و قد عقد مجلس إدارتها أول جلساته في سبتمبر سنة ١٩٥٦م، وتقرر خلالها إقامة مبنى جديد للهيئة في منطقة إمبابة على مساحة قدرها ٣٥٠٠٠م٢ تقريبا، كما زودت بأحدث ماكينات الطباعة المتطورة حتى تتمكن من النهوض والاستمرار بأداء رسالتها على أكمل وجه.

افتتحت الهيئة -رسميا- مبناها الجديد في عهد الراحل أنور السادات، وذلك يوم السبت ٢٨ جمادى الآخر سنة ١٣٩٣هـ الموافق لـ ٢٨ يوليو سنة ١٩٧٣م.

محتواها:

كما هو في تعريف هذه السلسلة، فقد احتوت على الكثير من الكتب الأدبية والتاريخية...التي طبعتها هذه المطبعة قبل أن تجمع في هذه السلسلة القيّمة.

وقد بلغ عدد الكتب التي حوتها هذه السلسلة ١٠١ كتاب مجموعة في ٢٠٩ مجلدات، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

ديوان أبى الطيب المتنبي (وهو أول كتاب في هذه السلسلة القيمة)، ديوان الحماسة لأبي تمام، رسائل إخوان الصفا، ألف ليلة وليلة، البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، رسائل ابن عربي، بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس، سيرة أحمد بن طولون للبلوي، المنتخب من أدب العرب لطه حسين وآخرين، الحيوان للجاحظ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، كتاب الأشباه والنظائر، سيرة صلاح الدين لابن شداد، المغرب في حلي المغرب (القسم الخاص بالفسطاط) لابن سعيد الأندلسي، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد لبدر الدين العيني، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه، العقد الفريد لأبي عمر أحمد الأندلسي، المقتطف من أزاهر الطرف لابن سعيد الأندلسي، الفهرست لابن النديم، تاريخ ابن خلدون، مقامات جلال الدين السيوطي لجلال الدين السيوطي، قوانين الدواوين للأسعد بن مماتي (وهو آخر كتاب في السلسلة).

نسخة مجلة الوعي: لله الحمد فقد حوت رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي نسخة كاملة من هذه السلسلة الفريدة التي هي بحق ذخر لكل طالب علم، لما حوته من كتب نفيسة ومفيدة، وهي متاحة للباحثين عن العلم والمعرفة.

المصادر

سلسلة الذخائر.

الموقع الرسمي لمطبعة بولاق.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

د. عبدالعزيز وصفي: نأمل في صناعة جيل إيجابي قوي متفائل

حوار: محمد عبدالعزيز



د. عبدالعزيز وصفي، عالم شاب، ومدرس بجامعة الحسن الثاني في المملكة المغربية، يقود برفقة مجموعة من العلماء «المركز المغربي للدراسات والتربية في المذهب المالكي»؛ وهو مركز علمي تربوي أُنشئ أخيرا بمجهودات شبابية في مدينة سطات قرب الدار البيضاء.. كان لنا معه هذا الحوار حول بعض القضايا المعاصرة:

● مع التغيرات التي تشهدها حياتنا المعاصرة.. هل مازالت المعايير الفقهية مناسبة للتطبيق العصري أم تحتاج إلى بلورة جديدة في سياق واقع المجتمع؟

- الفقه في آفاقه وموسوعيته وامتداداته الزمانية والمكانية فقه مرن متجدد، يراعي حالات حياتنا المعاصرة، ويستجيب لها، ويتماشى معها في مختلف مستوياتها.

والحقيقة أنه لا يمكننا الحسم في هذا السؤال، بل سيظل مفتوحا؛ كونه سؤال العصر؛ وهو متجدد مع متطلبات الإنسان في كل زمان ومكان؛ نظرا للمجريات والمتغيرات. ولعل المجامع الفقهية والمجالس العلمية في كل بلد عربي وإسلامي كان لها الحظ الأوفر من معالجة هذا الأمر.

● كيف يمكن إحياء الإيجابية على مستوى الفرد والمجتمع، لاسيما من خلال قيم التكافل الإسلامي؟

- نعني بالإيجابية: تربية الأجيال القادمة على الإرادة والإقدام والفعالية والإبداع والإنشاء والتوجه؛ فتؤدي مهامها في الحياة وتسهم في نهضة مجتمعاتها.

إن الإيجابية هي التي تساعد على مقاومة الشر في النفس والمجتمع، فلو كان الإنسان سلبيا تجاه كل شيء لتفشت الأمراض والشرور من دون أن يقاومها أو يغير ما فيها من منكر، وتخضع النفوس للفساد وللظلم، وينتهي الأمر بالبوار والدمار. كما أن الإيجابية تساعد على إبداع النظم الجديدة التي تدفع البشرية إلى الأمام من دون خوف من الخروج على «مألوف» الناس حين يفسد هذا المألوف ويصبح مصدرا للفساد، وكلها أمور حيوية بالنسبة إلى الفرد والمجتمع والحياة.

إننا نأمل في صناعة جيل إيجابي قوي متفائل حين تدلهم الخطوب، لا ييأس حين يقنط الناس، ولا يتراخى عن العمل حين يفتر العاملون، يصنع من الشمعة نورا، ومن الحزن سرورا؛ بهذا الجيل تبنى الحضارات وتصنع الأمم.

● ما أهم الروافد التي ينبغي أن ينهل منها المرء، خصوصا الشباب، ليكون على درجة متقدمة في الوعي؟

- الروافد التي يمكن أن ينهل منها المرء لبناء وعي متقدم كثيرة ومتنوعة؛ فبالإضافة إلى ربطه بالدين الإسلامي، عقيدة وشريعة، وجب دمج الشباب في واقعهم وفي قضايا أمتهم وأوطانهم، وأن ينفتحوا على مختلف العلوم والتخصصات حتى يتبلور في أذهانهم فكر شمولي يستطيعون من خلاله مواجهة مختلف الشبهات التي قد تعترض حياتهم الفكرية والعلمية والعملية.

ومنها أيضا:

● الاطلاع على تراث الأمة وفهمه، بعد غربلته وتنقيحه من الغث والسمين.

● الانفتاح على الإعلام، والتمييز بين خيره وشره، والمشاركة الإيجابية فيه.

● اختيار ومصاحبة أهل العلم والصلاح في المنهج والسلوك.

الفائزون لا يعرفون الاستسلام

عرض: محمد عبدالعزيز

«الفائز هو من يتعرف على المواهب التي حباه الله إياها ثم يعمل بأقصى طاقته ليحولها إلى مهارات، ثم يستخدم هذه المهارات لتحقيق أهدافه التي وضعها»..

بهذه العبارة للاري جو بيرد، وهو رياضي أميركي معروف، صدر مؤلف كتاب «الفائزون لا يعرفون الاستسلام» وحيد مهدي صفحاته، مستعرضا تفاصيل وافية عن الطريق الذي ينبغي أن يسلكه المرء ليحقق نجاحاته بلا استسلام.

الكتاب صادر عن دار سما للنشر والتوزيع في ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط، وهو ضمن أكثر من ١٠ كتب أصدرها المؤلف المتخصص في التطوير الشخصي والإداري والتنمية البشرية، وتركز جميعها على كيفية النجاح في الحياة والعلاقات، وإنشاء المشاريع الخاصة وتطويرها.

يستعرض الكتاب سمات الناجحين الفائزين وكيف يبحثون عن الطرق والحلول البديلة، فهم لا يقفون عاجزين أمام مشكلة، بل يسعون دوما وراء الحلول البديلة والمختلفة حتى يصلوا إلى أهدافهم.

أيضا، لديهم تصميم وإرادة قوية، فهم لا يعلنون استسلامهم بسهولة، بل لا يعلنونه أبدا، ويثابرون باستماتة حتى يصلوا إلى مبتغاهم.

كما أن لديهم أهدافا واضحة، ومن ثم يتحركون وفق مخطط محدد المعالم، ولا يضلون الطريق عند مفترق الطرق.

يتجاهلون التعليقات السلبية، فلا تفت في عضدهم كلمات الإحباط، فطالما اقتنعوا بفكرة جديدة سعوا إلى تنفيذها مهما كانت العقبات، ومهما تحملوا من ضغوط.

لا يخشون الفشل. الناجحون يمتلكون قدرة غريبة على التجريب وإعادة المحاولة مرة تلو الأخرى.. إنهم لا يخشون الفشل مرات عديدة طالما سينتهي بهم المطاف إلى النجاح.

عصير الكتب

لا يحبون الروتين، لا يطيقون التقيد بروتين الوظيفة، أو حتى الروتين المنزلي، فهم دوما يسعون نحو التجديد والتطوير والتغيير.
الناجحون مبادرون، يعرفون قيمة المبادرة، ويسعون دوما للسبق، وأعينهم لا تفارق المركز الأول.
لا تظن أبدا أن الآخرين سيقومون بعملك نيابة عنك، إن أردت أن تكون من الفائزين.
واتخذ من القراءة والمعرفة سبيلا لتحقيق نجاحاتك؛ فبالقراءة تستطيع أن تجبر الدنيا على احترامك، وتذكر أن القراءة فيها العديد من الثمار التي ستنعكس عليك إيجابيا ومنها:

١- التزامك بالقراءة هو التزام بأمر إلهي.. فأول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي «اقرأ».
٢- القراءة تجعلك أكثر ثقة بنفسك.
٣- تجعلك متحدثا بارعا وتساعدك على التخلص من أخطائك الإملائية واللغوية.
٤- تضيف إلى عمرك أعمارا جديدة، من خلال ما تكتسبه من خبرات الآخرين.
٥- تمنحك القدرة على تمييز الحق، فالعقل الواعي الباحث عن المعرفة ليس من السهل خداعه.
٦- القراءة تساعدك على التميز في عملك.



طور نفسك

الصحة النفسية السليمة وتحقيق السعادة

د. فتحي سعيد:

الصحة النفسية السليمة من أهم أركان السعادة وتحقيق الذات لدى الفرد، سواء كان صغيرا أو كبيرا، طفلا أو شابا. وكما أن للجسم مناعة تحميه من الإصابة بالأمراض الفيروسية والميكروباتية والبكتيرية وغيرها، وبزيادة هذه المناعة يقل احتمال الإصابة بهذه الأمراض؛ فإن للنفس أيضا مناعة تحميها من الإصابة بالأمراض النفسية، كالقلق والاكتئاب والفصام والوسواس والإحباط والتوتر وغيرها.

وهذه قائمة نصائح لأي فرد حتى يرفع من مناعته النفسية ويقي نفسه من الإصابة بالمرض النفسي:

١- الإيمان بالله -عز وجل- والتمسك بالقيم الدينية والخلقية.
٢- تجنب الأفكار والتصرفات التي تؤدي إلى الشعور بالإثم والذنب.
٣- عدم التشدد والإمعان في توقيع العقوبات النفسية والجسدية بسبب تخيل أو حدوث أخطار واقعية أو وهمية يرتكبها الفرد.
٤- عند الخطأ عليك الهدوء ومحاولة تعديل الخطأ، ولا تلم نفسك؛ لأن اللوم لن يرجع ما حدث، بل اعترف بخطئك، واستغفر ربك، واعلم أن التوبة تمحو الذنب وترقق القلب، وأن الله يحب التوابين، واعلم أن أبواب الله دائما مفتحة لك، وإن احتجت شيئا أو أخطأت فإنه سبحانه يستقبلك ويعطيك ويعفو عنك، ولكن أخلص النية في اللجوء إليه.
٥- البعد عن الخجل والتردد في مخاطبة الآخرين والاستفهام عما يجول في خاطرك حول أي موضوع يطرحونه.
٦- التقليل من تضخيم الموضوعات والابتعاد عن الحساسية المفرطة.
٧- الثقة في النفس، والتمسك بالرأي ما دمت على حق، وعدم الاستسلام خشية من الآخرين.
٨- الاستقلال الذاتي وعدم السماح للآخرين بمعاملتك كالآلة يحركونها في أيديهم كما يريدون.
٩- الحرص على التنويع في التصرفات والحياة اليومية وممارسة جميع الأنشطة والهوايات المحببة إلى النفس.
١٠- عدم الظهور بمظهر أقل من الآخرين والعمل على خدمتهم.
١١- العيش بواقعية، والبعد عن أحلام اليقظة وعالم الخيال.
١٢- تنظيم الحياة اليومية، والنوم لوقت كاف لا يقل عن ٨ ساعات.
١٣- مشاركة الآخرين، خصوصا المتفهمين، في حل المشاكل والمخاوف وتجنب الوحدة.
١٤- عدم إغراق النفس في الأعمال الشاقة والمجهودات البدنية أو الأعمال العنيفة قدر الإمكان.
١٥- الحفاظ على الصحة البدنية بالتغذية السليمة والرياضة وشرب المياه والتنفس الصحيح.
١٦- الابتعاد عن مسببات الخوف والقلق والملل.
١٧- طور من قدراتك، وتعلم هذه المهارات؛ لأنها ستخفف عنك الكثير من الضغوط النفسية: إدارة الوقت، اتخاذ القرار، صياغة الأهداف، التخطيط، القيادة، التحكم في الذات، التفكير الإيجابي، الذكاء الاجتماعي، إدارة الضغوط، اكتشاف الذات.

سؤال التواصل



د. عمرو عبدالكريم

في عالم حديث يموج بالحركة والانفتاح وتلاشى الحدود بين الثقافات؛ يطرح سؤال التواصل كأحد أهم أسئلة الوعي الحضاري إلحاحا وحضورا، حيث يفترض الوعي الحضاري أمرين:

الأول: القدرة على التواصل الحضاري مع العالم الخارجي، أو الآخر المختلف على مستوى العالم: دينا وعرقا وجنسا ولغة وثقافة.

فهذا العالم الحديث قد أشرعت أبوابه على كل الأجناس وأصبحت الحدود نقاط وصل واتصال ولم تعد نقاط قطع وانفصال، مما يفرض على كل ذي رسالة إدراك لغة العالم والسعي للتواصل معه، فما أحوج البشرية لنور الهداية والشريعة الخاتمة التي تضمن لها السعادة في الدارين.

أما الثاني: فهو التواصل الفكري والاجتماعي مع المحيط الداخلي والمحلي، حيث لا تخلو دولة ولا مجتمع في عالمنا العربي والإسلامي من بعض عناصر الاختلاف من حيث اللغة أو العرق أو المذهب أو الدين.

وحري بمجتمعاتنا العربية والإسلامية أن تكون مجتمعات سلم وأمان لكل قاطنيها، وأن تكون القدوة الحسنة في المعاملة خير دعوة نقدمها لكل المختلفين دينا وعرقا ولغة، وما أكثر ما فتح التجار المسلمين من ديار العالم بحسن تعاملهم وأمانتهم في التعامل بيعا وشراء، فأقبل الناس على دين الله أفواجا.

ولأنه كثيرا ما يستدعي التواصل الحديث عن موجباته وعوامل دعمه وسبل تكريسه في الدول والمجتمعات، نخصص هذه السطور عن معيقات التواصل وعقباته، وعن العوامل التي تحول بين الناس على اختلاف مللهم ونحلهم وبين التواصل.

ذلك أنه عندما تسود العلاقات الصراعية مع المختلفين فكريا ومذهبيا ينزع كل طرف إلى التخندق وعدم معرفة الآخر ومصادره الفكرية ومنهج بناء الرؤى عنده مما يجعل الحوار عملية ديماغوجية أقرب إلى السجالات الانطباعية منه إلى الحوار الجاد والعميق، فكل طرف يختزل الآخر المختلف معه إلى مجموعة أو حزمة من المقولات العامة السطحية -البالغة العمومية- ويصبح بعد ذلك (هذا الطرف) أسيرا لتلك المقولات في معرفة الآخر، بل وفي نزاعه معه حسب صورته الذهنية وتصوراته المسبقة عنه.

ومن خلال آلية التعميم والتجزئة وانتشارها وإعادة إنتاجها يرى كل طرف الآخر عبر تلك الصور النمطية، ومن ثم يصبح المجال الفكري اجترارا أقرب منه إلى التكرار مما يكرس منهج الحلقات المغلقة في تكرار الحجة ونقيضها، وتصور مقولات الطرف الآخر، فغالبا ما يقوم كل فريق بالرد على ما يتصوره حجج الطرف الآخر، وغالبا ما ينزع كل فريق أضعف حجج المخالفين ويجردها عن سياقها الفكري، وينزعها من مسارها ثم يقوم بتقويضها ونقدها ثم تقدم على أنها هدم لحجج المخالفين من الأساس، وهكذا في عملية أطلق عليها: حوارات الدوائر المغلقة.

أما أهم العوامل التي تحول بين الناس وبين التواصل فهي:

أولا: التعصب للآراء والمذاهب والأفكار والأشخاص، ذلك أن التعصب ظاهرة قديمة موجودة في مختلف المجتمعات البشرية، وفي مختلف مستوياتها، وهي ظاهرة تمثل انحرافا مرضيا حينما لا تكون ذات مضمون أخلاقي كالانتصار للحق أو دعاته.

والتعصب ينشأ عن اعتقاد باطل بأن المرء يحتكر الحق والصواب لنفسه، والمتعصب لا يفكر فيما يتعصب له بل يقبله كما هو، ولا يفكر تفكيرا نقديا أبدا في مسلماته مهما بدا خطأها، لذا لا يمكن لمتعصب أن يتواصل إلا

مع من يردد نفس مقولاته، أو كما قلت: حوارات الدوائر المغلقة.

ثانيا: ومما يحول بين الناس وبين التواصل ذلك المراء المذموم الذي نهانا عنه ديننا، وتلك اللجاجة في الجدل والخصومة، ومحاولة الانتصار للنفس ولو على مذبح الحقيقة، والجدل خلق مذموم ينبغي للإنسان أن يتنزه عنه، وإذا اضطر إليه يجب أن يكون بالتي هي أحسن، كما يقول الحق سبحانه: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل ١٢٥)، ومعنى ذلك أن يتجنب الإنسان الجدال العقيم والفاحش البذيء، وإذا أراد أن يجادل فلابد أن يجادل بالحسنى، وإذا وجد أن النقاش يقود إلى طريق مسدود فينبغي أن يتوقف عنه لأنه عبث لا خير فيه، كما قال ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (الحديث رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه، وابن أبي عاصم في السنة، وذكره مسلم في مقدمته).

وترك الجدل يتبعه أمران:

أولهما: أن نعترف بأخطائنا إن كنا مخطئين، والاعتراف بالخطأ فضيلة.

ثانيهما: احترام أراء المختلفين مادام لها مسوغ من اللغة أو الشرع أو سلف الأمة، أو تستند إلى أصل صحيح من أصول الدين.

ثالثا: ومما يحول بين الناس وبين التواصل التسرع في إصدار الأحكام، إذ إن التسرع في إصدار الأحكام دون روية مع عدم وضوح الرؤية يوقع في أغاليط وأخطاء، بل ويقود إلى مهالك على الذات وعلى الآخرين.

ويدفع إلى التسرع في الأمور عدة أسباب أهمها:

- الغرور بالنفس والاعتداد بسرعة البديهة.
- الكسل الذهني وعدم الرغبة في إجهاد الفكر للتعرف على الحق ووجوهه المختلفة.
- الانفعال النفسي كالغضب والخوف والطمع وطيش الهوى.
- الحاجة الملحة ومدافعة الضرورة الطبيعية، إلى غير ذلك من العوامل.

ولقد انتقد القرآن بشدة لاذعة الذين يقفزون عند السماع الأولي للمشكلة إلى إصدار الأحكام وإشاعتها دون السماح لها بالمرور بمنطقة السماع الداخلي الذي يشترك به مع القدرات العقلية ويتبادل معها التحليل والتأليف والاستنتاج، ويصف القرآن هذا الأسلوب المتسرع بأنه تلقيا للمعلومات الأولية باللسان دون الصبر عليها حتى تمر بالأذن وتصل إلى منطقة الوعي، ويتهدد القرآن الفاعلين لذلك بالعقوبة الإلهية لما يترتب على هذا الأسلوب في الحكم من أخطاء فيقول سبحانه: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ (النور ١٥).

رابعا: ومما يحول بين الناس وبين التواصل مع الآخرين التفكير السطحي الذي لا يغوص في أعماق المشاكل، ولا يدرك أثر العلاقات ببعضها البعض، ولا يستوعب تأثير المتغيرات، بل يكون تفكيرا ببادي الرأي، ويتوقف عند الأسباب الظاهرة للمشكلة التي غالبا ما تكون أعراضا للمشاكل وليست جواهرها.

والتفكير السطحي هو التفكير الذي يغيب العقل، ويهمل العلم، ويغفل العمل، ويجافي سنن الله في الآفاق والأنفس، وينتظر أن تمطر السماء ذهبا وفضة، والسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة كما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن سمات التفكير السطحي إرجاع المشاكل والظواهر إلى عامل واحد مع إغفال أن تعقيد المشاكل لا يستوعبه سبب واحد، كما أن إرجاع المشاكل إلى سبب واحد يصاحبه قدر من التبسيط يتنافى مع عمق التجارب الإنسانية وتقعيد الواقع المتعين، فهؤلاء أصحاب التفكير الواحدي أو الذين يتعلقون بعامل واحد غالبا ما يجور حكمهم في المسائل، وتتشوش رؤيتهم للأمور، وتضطرب أحكامهم في السائل والقضايا.

لقد خلق الله الإنسان كائنا اجتماعيا بطبعه وأمره بالسعي في الأرض ومد خطوط الاتصال والتواصل، فصلة الرحم وصل واتصال، والإحسان إلى الجيران وصل واتصال، والرحمة بالفقير والمسكين وذي الحاجة وصل واتصال، ولا يمكن للإنسان أن يعيش كائنا منفردا مهما عظم استغنائه عن الاختلاط بالناس، فالحاجة ماسة إلى التواصل حيث تفرضها قيم دينية خالصة، مثل: الإحسان، خلق رفيع يدعو إلى مد يد العون لكل محتاج، وكان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية



يقول ابن خلدون:

«إن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار، ولكن في باطنه نظر وتحقيق، والتاريخ في ظاهره لا يزيد عن إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف فيها الأندية إذا غصها الاحتفال، و تؤدي شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير أن يعد في علومها وخليق». (مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص٤).

مقولات

يقول ابن القيم عن مرض القلب وعافيته:

«القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولابد، وهما: الرياء والكبر، فدواء الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودواء الكبر بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وكثيرا ماكنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء.

فإذا عوفي من مرض الرياء بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبرياء والعجب بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ... ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية وتمت عليه النعمة وكان من المنعم عليهم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه.. ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه».

(مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، فصل في بيان اشتمال الفاتحة على الشفاءين شفاء القلوب وشفاء الأبدان).

مالك بن نبي شروط النهضة

ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ١٩٨٦م، ١٧٥ صفحة.

مالك بن نبي (١٩٠٥- ١٩٧٣م): من أهم أعلام الفكر الإسلامي، بل هو مهندس الفكر الإسلامي الحديث، حيث أمضى عمره كله يحلل ويضع شروط النهضة للمجتمع الإسلامي، وكما قيل إذا تكلم مالك في النهضة والحضارة فليس للآخرين إلا أن يسمعوا.

ورغم تأكيد بن نبي الدائم على دور الأبطال في التاريخ إلا أنهم كثيرا ما يخسرون معاركهم، لأن قتالهم محكوم مسبقا بالهزيمة وضرب مثلين هما: الأمير عبد القادر الجزائري والمجاهد الكبير عبد الكريم الخطابي، ذلك أن حركتهما التحررية لم تعالج جذور المشكلة، بقدر ما عكفت على مظاهر وأعراض المرض وليس جواهره، يقول بن نبي: «إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلة ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها».

ويؤكد بن نبي على أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إنما يكون في الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى، ومن ثم يمكن القول بأن: منهج مالك بن نبي تميز بالمنطق الصارم، والتأمل المستوعب العميق، والقدرة البارعة على التحليل.

ومن أهم انتقادات مالك بن نبي للواقع العربي والإسلامي المعاصر أننا بدل أن يبني حضارة، قام بتكديس منتجاتها، فيقول: إن عمر نهضة العالم الإسلامي قارب القرن من الزمن ولم تصل لهدفها، مثل مجتمعات انطلقت من نفس النقطة، إن ذلك ليس بسبب الوسائل، بل بسبب الأفكار. وما أكثر الأشعار التي نظمناها للتغني بنهضتنا، بدل السعي الحثيث للنجاح، مثل اليابان الذي حقق نجاحات باهرة (...)، نعم لقد نجحت اليابان حيث لم يستطع العالم الإسلامي تحقيق أي فوز يذكر على التخلف؛ لأنه أراد النهوض بعالم الأشياء بدل النهوض بعالم الأشخاص والأفكار.

ويرى بن نبي أن المقياس العام في عملية الحضارة هو: أن الحضارة هي التي تخرج منتجاتها، كما عرض العلاج من خلال معادلة هي: الحضارة= إنسان + تراب + زمن، بالإضافة إلى الدين، لأن منشأ أي حضارة هو الفكرة الدينية.

ويرجع بن نبي مشكلة النهضة إلى ثلاثة هي: مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب، ومشكلة الوقت، ولابد من حلها لإقامة نهضة.

ثم تحدث بن نبي عن الدورة الخالدة للحضارة، فالحضارة تمر بثلاث مراحل هي: مرحلة الإقلاع، ثم مرحلة البنيان والتمدين، ثم مرحلة الهبوط وصولا إلى الانحطاط الحضاري.

كما خصص بن نبي فصلا للحديث عن أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة من خلال تتبع فلسفي وتاريخي لهذه النقطة، فالدين هو المروض الأقوى للروح، وهو الدافع الأقوى في أي نهوض حضاري.

كما فصل في مشكلة الإنسان وركز على ثلاث مناحي: الثقافة، والعمل، ورأس المال. حيث بدأ بتوجيه الثقافة وعرفها بأنها: مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ولتوجيهها لابد من توجيه أخلاقي وجمالي.

ويحتاج الإنسان لتوجيه العمل ليغير من وضعه ويضمن قوت يومه ولا يقضي وقته في البطالة، كما يحتاج لتوجيه رأس المال.

وفي عرض بن نبي لمشكلة المرأة ذكر تطرفا في جانبين:

الأول: اختزال للمرأة في الفراش.

والثاني: مطالبتها بالعمل لكسب عيشها كالرجل، والإغفال عن تخطيط حياتها لتكون حاضرة في المجتمع.

وفي العنصر الثاني التراب؛ أكد على قيمته الاجتماعية، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة، يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط، ذلك أن الأرض هي عماد الحضارة.

أما العنصر الثالث (الوقت) فيذكر أن: «الزمن نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل!»، ذلك أن الوقت هو جوهر الحياة الذي لا يقدر بثمن، «وحينما لا يكون الوقت من أجل الإثراء أو تحصيل النعم الفانية (...) يسمع الناس فجأة صوت الساعات الهاربة، ويدركون قيمتها التي لا تعوض».

وختم بن نبي كتابه مؤكدا على أحد أفكاره الجوهرية وهي القابلية للاستعمار فيقول: «لكيلا نكون مستعمَرين يجب أن نتخلص من القابلية للاستعمار».

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

بعض أحكام المساجد

الخلاصة الحكمية

١- وجوب إقامة المساجد بحسب الحاجة والاستطاعة في الأحياء التي يقطنها المسلمون.

٢- الأولى عدم زيادة المساجد الجامعة على مقدار الحاجة؛ ولا توجد مسافة محددة شرعا للفصل بين المساجد الجامعة.

٣- الاكتفاء بإذاعة الأذان في المساجد عند دخول وقت الصلاة بواسطة آلة التسجيل ونحوها لا يجزئ، ولا يحصل به الأذان المشروع، ويجب على المسلمين مباشرة الأذان لكل وقت.

٤- لا مانع شرعا -إذا دعت الحاجة- إلى إنشاء أدوار في المسجد للصلاة فيها، سواء بهدمه للحاجة، أو من دون هدمه؛ على أن يراعى أن يكون الإمام في موضع يمكن أن يراه الصف الأول من المأمومين في كل دور، أو العلم بانتقالات الإمام.

● **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

■ أولا - بشأن وجوب إقامة مسجد في كل حي

- قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمقر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٢هـ إلى يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٩هـ، قد نظر في الموضوع المحال إليه من المجلس الأعلى العالمي للمساجد بشأن وجوب إقامة مسجد في كل حي من الأحياء التي يسكنها المسلمون.

واستعرض ما قدمه بعض أعضائه من تقارير وآراء في هذا الشأن، وما نقلوه من نصوص المذاهب الفقهية في صلاة الجماعة بصورة ظاهرة في المساجد، وكونها واجبة، عينا أو كفاية، أو أنها سنة مؤكدة أشد التأكيد، لأنها من الشعائر التي يجب إظهارها في المجتمعات الإسلامية، وذلك في غير صلاة الجمعة.

أما في الجمعة؛ فالإجماع على أنها فريضة على الأعيان لا تسقط إلا بالأعذار الشرعية للأفراد.

وقد رأى المجلس، بعد المناقشة بين أعضائه، أن إقامة صلاة الجماعة لا يمكن تحقيقها في المدن والقرى في مختلف فصول السنة من دون إنشاء مساجد يتجمع فيها المصلون في الأوقات الخمسة؛ لأن المكان الصالح أساس لكل عمل، ومن المقرر في الأصول والقواعد الفقهية أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

من جهة أخرى، يلحظ أن المسجد في الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ ليست غايته إقامة الجماعة فيه للصلوات الخمس فقط، بل هو مأوى لكل مصل وقارئ للقرآن ومتعلم لما يجب أن يعرفه من أمر دينه، ولكل مذاكر في شيء من العلوم الشرعية، وهو مقر أيضا لشورى المسلمين في كل ما يهمهم من شؤون مجتمعهم ومصالحهم الإسلامية العامة، وكل هذا من الواجبات الكفائية على المجموع.

لذا قرر مجلس المجمع الفقهي: وجوب إقامة المساجد بحسب الحاجة والاستطاعة في الأحياء التي يقطنها المسلمون، ولا فرق في ذلك بين البلاد الإسلامية وغيرها من البلاد التي فيها أقليات إسلامية تتألف منها الجماعة.

ويوصي المجمع: أن تتعاون البلاد الإسلامية وحكوماتها مع المجتمعات الإسلامية المحتاجة في سبيل إقامة هذا الواجب العام.

انتهى القرار.

■ ثانيا - بشأن تقارب المساجد الجامعة في منطقة واحدة

عرض على لجنة الفتوى الكويتية (م١٦/ص١٤٥/ف٤٩٧٠)؛ في موضوع «تقارب المساجد الجامعة في منطقة واحدة» ما نصه: هل يجوز تقارب المساجد الجامعة في منطقة واحدة؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

تقارب المساجد التي لا تقام فيها الجمعة أمر مستحسن؛ تيسيرا على المصلين في صلاة الجماعة، وترغيبا لهم في أداء صلواتهم في المسجد، وبخاصة المسنين والعجزة وأصحاب الأعمال منهم.

أما المساجد الجامعة؛ فالأولى عدم زيادتها عن مقدار الحاجة؛ كامتلائها، وهذا يعرفه المسؤولون عن إدارة المساجد بحسب إحصائيات يقومون بها. ولا توجد مسافة محددة شرعا للفصل بين المساجد الجامعة، إلا أنه ينبغي ألا تتباعد بأكثر مما يحتمل الإنسان العادي السير إليه من دون

حرج يلحقه، ولا تتقارب بأكثر من الحاجة.

انتهت الفتوى.

■ ثالثا - بشأن إنشاء مساجد متعددة الأدوار

- عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٢٢/ص٧٩/ف٦٩٢٥)؛ في موضوع «إنشاء مساجد متعددة الأدوار» ما نصه:

تشهد مساجد منطقتي السالمية وحولي ازدحاما كبيرا نتيجة إنشاء العمارات وبأدوار متعددة، مع عدم استيعاب المساجد على وضعها الحالي... فيرجى الإجابة عن الاستفسارات التالية:

١. رأي الإفتاء في هدم المساجد الحالية وإعادة بنائها بأدوار متعددة.

٢. رأي الإفتاء في إنشاء أدوار أخرى فوق المسجد القائم نفسه من دون هدمه.

فأجابت اللجنة بما يلي:

الأصل في المسجد أن يكون واسعا ليستوعب كل المصلين، فإن دعت الحاجة إلى إنشاء أدوار فلا مانع من إنشاء هذه الأدوار في هذه المساجد من دون هدمها إن أمكن ذلك، على أن يراعى أن يكون الإمام في موضع يمكن أن يراه الصف الأول من المأمومين في كل دور، أو العلم بانتقالات الإمام.

وأما هدم هذه المساجد؛ فإن لم تكن هناك وسيلة أخرى لاستيعاب المصلين، كامتداد الساحات الملحقة بالمسجد مع تظليلها -وبخاصة في أوقات الذروة- أو بناء الأدوار المتعددة في المسجد، فلا مانع من ذلك.

انتهت الفتوى.

■ رابعا- بشأن حكم الأذان للصلوات في المساجد عن طريق مسجلات الصوت (الكاسيتات)

- قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي المنعقد بدورته التاسعة في مكة المكرمة من يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٢هـ إلى يوم السبت ١٤٠٦/٧/١٩هـ، قد نظر في الاستفتاء الوارد من وزير الأوقاف بسوريا برقم ١/٤/٢٤١٢ في ١٤٠٥/٩/٢١هـ بشأن حكم إذاعة الأذان عن طريق مسجلات الصوت (الكاسيت) في المساجد، لتحقيق تلافي ما قد يحصل من فارق الوقت بين المساجد في البلد الواحد حين أداء الأذان للصلاة المكتوبة.

وعليه؛ فقد اطلع المجلس على البحوث المعدة في هذا من بعض أعضاء المجمع، وعلى الفتاوى الصادرة في ذلك من سماحة المفتي سابقا بالمملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله تعالى- برقم ٣٥ في ١٣٧٨/١/٣هـ، وما قررته هيئة كبار العلماء بالمملكة في دورتها الثانية عشرة المنعقدة في شهر ربيع الآخر عام ١٣٩٨هـ، وفتوى الهيئة الدائمة بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة برقم ٥٧٧٩ في ١٤٠٣/٧/٤هـ، وتتضمن هذه الفتاوى الثلاث عدم الأخذ بذلك، وأن إذاعة الأذان عند دخول وقت الصلاة في المساجد بواسطة آلة التسجيل، ونحوها؛ لا تجزئ في أداء هذه العبادة.

وبعد استعراض ما تقدم من بحوث وفتاوى، والمداولة في ذلك، فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي تبين له ما يلي:

١- أن الأذان من شعائر الإسلام التعبدية الظاهرة، المعلومة من الدين بالضرورة بالنص وإجماع المسلمين، ولهذا فالأذان من العلامات الفارقة بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر، وقد حكي الاتفاق على أنه لو اتفق أهل بلد على تركه لقوتلوا.

٢- التوارث بين المسلمين من تاريخ تشريعه في السنة الأولى من الهجرة وإلى الآن، ينقل العمل المستمر بالأذان لكل صلاة من الصلوات الخمس في كل مسجد، وإن تعددت المساجد في البلد الواحد.

٣- في حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» (متفق عليه).

٤- أن النية من شروط الأذان، ولهذا لا يصح من المجنون ولا من السكران ونحوهما، لعدم وجود النية في أدائه فكذلك في التسجيل المذكور.

٥- أن الأذان عبادة بدنية، قال ابن قدامة -رحمه الله تعالى- في «المغني» (٤٢٥/١): «وليس للرجل أن يبني على أذان غيره لأنه عبادة بدنية فلا يصح من شخصين كالصلاة» ا.هـ.

٦- أن في توحيد الأذان للمساجد بواسطة مسجل الصوت على الوجه المذكور عدة محاذير ومخاطر منها ما يلي:

أ- أنه يرتبط بمشروعية الأذان أن لكل صلاة في كل مسجد سننا وآدابا، ففي الأذان عن طريق التسجيل تفويت لها وإماتة لنشرها مع فوات شرط النية فيه.

ب- أنه يفتح على المسلمين باب التلاعب بالدين، ودخول البدع على المسلمين في عباداتهم وشعائرهم، لما يفضي إليه من ترك الأذان بالكلية والاكتفاء بالتسجيل.

وبناء على ما تقدم؛ فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي يقرر ما يلي: أن الاكتفاء بإذاعة الأذان في المساجد عند دخول وقت الصلاة بواسطة آلة التسجيل ونحوها لا يجزئ ولا يجوز في أداء هذه العبادة، ولا يحصل به الأذان المشروع، وأنه يجب على المسلمين مباشرة الأذان لكل وقت من أوقات الصلوات في كل مسجد على ما توارثه المسلمون من عهد نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلى الآن.

انتهى القرار.

إعداد: تركي محمد النصر

الكوديكولوجي

هو علم دراسة الكتاب المخطوط وصناعته، بما في ذلك الأحبار وفن التوريق والنساخة والتجليد والتذهيب وصناعة الرقوق والكاغد، وما يتبع كل ذلك من فنون وما يتصل بها، مثل: حجم الكراسة، ونظام التعقيبات، والسماعات والقراءات والإجازات والمقابلات، وما يظهر في نهاية المخطوط، وهو ما يسمى بـ (تقييد الختام) من اسم المؤلف، واسم الناسخ، ومكان النسخ وتاريخه، وما إلى ذلك.

(علم الاكتناه العربي الإسلامي ص: ١٩)

القلب

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «القلب إذا قلّت خطاياه؛ أسرعت دمعته».

(مجموع الرسائل ١/٢٦٢)

سورة يوسف

قال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره: «قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون إلا استراح إليها».

(تفسير البغوي ٢/٤٠٨)

عناصر علم المخطوط

حصر بعض علماء المخطوطات هذا العلم في ستة عناصر، وهي: تاريخ المخطوط، والكيان المادي للمخطوط، وتقييم المخطوطات ومعايير تقييمها التي تعتمد على التقاييد النصية الموجودة في النسخ، والحفظ والصيانة وأساليب التعقيم والترميم والتصوير، والفهرسة والضبط الببليوغرافي، والتحقيق والنشر.

(نحو علم مخطوطات عربي ص: ١٦)

قميص يوسف

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «إقبال الليل عند المحبين كقميص يوسف في أجفان يعقوب».

(بدائع الفوائد ص: ٦٤)

العلم الصافي

قال الإمام وهب بن منبه رحمه الله تعالى: «من تعلم علما في حق وسنة؛ لم يذهب الله بعقله أبدا».

(روضة **العقلاء** ص: ٦٣)

قم فخذ حقك

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: «بلغني أنه يقال للعبد يوم القيامة: قم فخذ حقك من فلان، فيقول: مالي قبله حق، فيقال: بلى، ذكرك يوم كذا وكذا بكذا وكذا».

(رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٦٣١٣)

بين العافية والبلاء

قال عمر بن السكن رحمه الله تعالى: كنت عند سفيان بن عيينة، فقام إليه رجل من أهل بغداد، فقال: أخبرني عن قول مطرف: (لأن أعافى فأشكر أحب إليّ)، أم قول أخيه أبي العلاء: (اللهم رضيت لنفسي ما رضيت لي)؟ قال: فسكت سكتة، ثم قال: قول مطرف أحب إليّ. قال: وكيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضي الله له؟! قال: إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان مع العافية التي كان فيها ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ فاستوت الصفتان، فهذا معافى، وهذا مبتلى، ورأيت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا؛ كانت العافية مع الشكر أحب إليّ من البلاء مع الصبر».

(تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٨/٣١٧)

دهاء وفطنة

استودع تاجر بالكوفة رجلا من أهلها مالا جزيلا، وتوجه إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، فلما عاد طالب الرجل بماله؛ فأنكره. فانطلق التاجر إلى الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وأخبره بذلك، فقال له الإمام: لا تكلم أحدا بجحوده-وكان عرف الرجل من جلسائه - فقال له وقد خلا لهما المكان: إن القوم بعثوا يستشيرونني فيمن يصلح للقضاء، وقد اخترتك لهذا المنصب الرفيع.

فلما انصرف الرجل، جاء الإمام صاحب الوديعة، فقال له: ارجع إلى صاحبك وذكره لاحتمال أن يكون ناسيا، فرجع إليه فما احتاج معه إلى إشارة، بل دفع إليه ماله، ثم ذهب الرجل إلى أبي حنيفة يذكره بوعده، فقال له الإمام: إني نظرت في أمرك، فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحظر ما هو أنفس من هذا.

(الحديقة لمحب الدين الخطيب ٣/١١٦٩)

كمال الروح

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «لا يكمل الرجل إلا بأربع: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة».

(سير أعلام النبلاء ١٠/٩٨)

دمشق

قال الرحالة ابن جبير رحمه الله تعالى واصفا دمشق: «دمشق جنة المشرق، ومطلع حسنه المونق المشرق، قد تحلت بأزاهير الرياحين، وتحلت في حلل سندسية من البساتين».

(رحلة ابن جبير ص: ٢١٠)

الكذب

قال أحد الحكماء: «من استحلى رضاع الكذب؛ عسر فطامه».

وقال ابن المقفع: «لا تتهاون بإرسال الكذبة من الهزل، فإنها تسرع إلى إبطال الحق».

(أدب الدنيا والدين ص: ٢٦٤)

صفة الدنيا

قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، صف لنا الدنيا، فقال: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن».

(العقد الفريد ١/١٧٢)

وصية إمام

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله: قلت لأبي يوما: أوصني يا أبت، فقال: «يا بني، انو الخير؛ فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير».

(مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص: ٢٤٧)

إعداد: علاء عبدالفتاح

الزهد الحقيقي

لا يخفى على عموم الناس أن التشويه الذي دخل على كثير من المفاهيم الأصيلة في ديننا الحنيف، قد أخفت ضياء تلك المفاهيم وبريقها، مما ولد انحرافا في السلوك ناتجا عن الانحراف في التصور الذي أوجده تشوه المفهوم.

ومفهوم الزهد من جملة المفاهيم التي طالها التشويه، فانقلب مدلوله من الصفاء في الرؤية والحكمة في التعامل مع الدنيا، والاندفاع للعمل في توظيفها وامتلاكها، إلى تخاذل وكسل وخمول، وترك ما خلقه الله لنا لننعم به ونوظفه في خدمتنا وخدمة الناس أجمعين من حولنا، حتى غدونا عالة على غيرنا حتى في قوت يومنا.

سئل سفيان الثوري -رحمه الله تعالى- عن الزهد، فقال: «هو قصر الأمل، وليس بلبس العباء، ولا بأكل الخشن، والغليظ من الطعام».

ويقول الحسن البصري: «ليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن أن تكون ثقتك بما عند الله تعالى خيرا من ثقتك بما في يدك».

إن الزهد ليس خلو اليد من المال كما قد يفهم كثير من الناس، ولا هو بلبس الخشن من الثياب، أو أكل اليابس من الطعام، ولكن الزهد قصر الأمل في الدنيا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «إذا سلم القلب من الهلع، واليد من العدوان، كان صاحبه محمودا؛ وإن كان معه مال عظيم، بل قد يكون مع هذا زاهدا أزهد من فقير هلوع».

● **محمد مرهف**

كيف نتفهم دوافع الكذب عند الأطفال؟

كثيرا ما يشكو الوالدان من اقتراف أطفالهم الكذب في فترات الطفولة، خصوصا في المراحل الأولى منها، من دون أي أسباب واضحة، أو عوامل مهيئة لهذه العادة السيئة. وقد يتكرر الكذب عند الأطفال على الرغم من العقاب الذي يلجأ إليه الوالدان والتهديد المستمر، لذا فالعديد من الآباء والأمهات يتساءلون: كيف يستطيعون أن يخلصوا أبناءهم من هذه العادة السيئة، فالحكمة تقول إنه إذا عرف السبب بطل العجب، ولذلك يجب أن نعرف أولا لماذا يكذب أبناؤنا؟ ثم نحاول أن نفهم كيف يمكن أن نجعل أبناءنا أسوياء لا يلجأون إلى الكذب لحل مشكلاتهم.

والكذب فضلا عن كونه سلوكا خاطئا، فهو داء خطير إذا استشرى في المجتمع ترك أثرا مدمرا فيه. والكذب ليس وراثيا، وإنما هو مكتسب من البيئة، خصوصا إذا كانت البيئة التي نشأ فيها الطفل تعاني من قصور في اتباع وسائل التربية الصحيحة.

يقول علماء التربية إن الكذب لدى الأطفال يبدأ في سن الرابعة، ويدل على الخيال وخصوبته عندهم، ويكون نتيجة اختلاط الخيال بالواقع. بالتالي، فإن الكذب ظاهرة كثيرة الحدوث في الأطفال وسببها النفسي كثرة الخيال الذي يعيش فيه الطفل، ومحاولات التأمل المستمرة منه ونسج القصص الخيالية والأوهام والأحلام غير الواقعية، ليشرح ويفسر لنفسه بعض الحقائق والوقائع التي يريد حلها أو تفسيرها لنفسه، حتى إننا نجد علماء النفس يصفون هذه الظاهرة عند الأطفال بـ «التلاعب بالخيال»، ويسميها الكبار «الكذب».

● **هبه محمد أبوالفتوح**

قصة قصيرة

القلوب الثلاثة

دخل متهالكا شاحب الوجه فاتر الأطراف، سأله الطبيب، فلم يعرف كيف يرد عليه، فهو لا يحس بأي ألم في جسده. وبعد لحظة من التردد، قال مجيبا: أيها الطبيب، أصارحك بأني لا أشكو من ألم ولا وجع، الوساوس تهاجمني بين فينة وأخرى، تارة أخال نفسي شريرا مغتصبا تحققت فيه كل صفات التوحش والنذالة بامتياز، وتارة يتبين لي استعدادي الفطري للبذل في سبيل إشاعة المودة والوئام والاحترام بين الناس، أرى قدرتي على أن أكون مرشدا بحلمي وحكمتي ونبل أخلاقي.

كان الطبيب يحدق فيه مركزا عله يعثر بين أقواله على شيء يفيده في العلاج، وحيث لم يجد شيئا قاطعه قائلا: علتك يا أخي بسيطة لا تحتاج إلى دواء، بعد أيام سيزول عنك ما تعانيه.

نهض المريض خائبا، كان حزين القسمات مضطرب الأفكار، فالطبيب لم يقنعه بما يمكن أن يزيل عنه ما يقاسي.. كان حائرا يتساءل عن الدور الحقيقي للأطباء، فقد زار هذا وذاك منذ خمس سنوات ولم يسمع منهم سوى الجواب نفسه، فهل الدواء ممنوع عليه وحده؟ أم أن علته لم يوجد لشفائها دواء بعد؟

انحرف بعيدا عن الشارع الرئيسي قاصدا شجرة وارفة الظل، أسند ظهره إلى جذعها، كان جاف الحلق مغرورق العينين، كان يحس أنه وحيد في زنزانة مظلمة سيختنق فيها بعد لحظة، أغلق عينيه المترهلتين ينشد سنة من النوم تخفف من الضيق الذي يطبق عليه.. فتح عينيه وإذا بشيخ وقور يربت على كتفه، فاستغرب استغرابا، واختلط لديه الحلم بالواقع.. حيّاه فرد عليه التحية بشفتين مرتعدتين.

ابتسم الشيخ في وجهه، ثم رفع عينيه نحو الأفق وكأن شيئا لاح له من بعيد، ثم قال: اسمع يا بني، إني أتوسم في وجهك الخير والسداد، وأعرف أنك تعاني، وربما زرت أكثر من طبيب بلا جدوى.. تعجب المريض، فمن أين له أن يعرف ذلك كله؟

قال الشيخ وهو يربت على ركبته: مرضك ليس من بدنك، مرضك من قلبك، فقلبك مريض بعد أن كان سليما، وأعلم كما تعلم أنك عشت سنوات بقلب سليم يقبل الحق من صاحب الحق، كنت منيبا إلى الله متوكلا عليه، كانت حركاتك وسكناتك منقادة لأمر العبودية وطلب التقرب إليه سبحانه وتعالى.

وحين هاجرت بلدتك الجميلة بأناسها البسطاء الطيبين وحللت بتلك المدن الغريبة، تلوثت أفكارك وتغيرت رؤيتك الصافية للعالم، ويوما بعد يوم صار قلبك مريضا، والقلب المريض حين يشتد عليه المرض كان بابه سهل الانفتاح لاستقبال الشبه والشكوك ووساوس الشيطان، فإن خف مرضه رجع بصاحبه إلى التفكير في الحق والعتاب على التقصير.. وبتقلب القلب المريض، يعيش المرء متاعب نفسية تفوق الوصف.

كان المريض يصغي إلى الشيخ فشعر بالطمأنينة تسري في أعماقه شيئا فشيئا، كان يقول في نفسه: الآن فقط وجدت الطبيب المعالج، الآن جاء الشفاء.

تهيأ الشيخ للانصراف ثم عاد فقال للمريض: لقد نسيت أن أخبرك أنك محظوظ لأن قلبك لم يمت بعد، فالقلب الميت أسوأ حالا من المريض، الميت مرتع للشهوات بكل الأنواع، لا يردع صاحبه عنها لا العبد ولا المعبود، يتصرف وفق هواه ولا يفكر في مولاه.

أشاع قول الشيخ مزيدا من السكينة والفرح في قلبه، وشعر أنه وجد بابا نحو طريق الشفاء.. وحين هم الشيخ بالمغادرة، سأله المريض: أيها الشيخ الطيب الفاضل الحكيم، لم تصف لي دواء! قال: عليك بالرجوع إلى سيرتك الأولى، حين كنت في بلدتك تؤمن بقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ (الشعراء: ٨٨ و٨٩)، كان قلبك آنذاك خاليا من كل شهوة تبعدك عن نور الله، تبحث عن الحسنات و تخاف السقوط في الزلات.

يا بني، عليك بتقوى الله وكفى.

انصرف الشيخ. لم يعد المريض يراه وكان يفكر في أمر القلوب الثلاثة، سليم يطمئن صاحبه، ومريض يعذب صاحبه، وميت يميت همة صاحبه وأخلاقه.

● **لحسن ملواني**

«دموع الضاد»

إليكم أهتدي يا أصدقائي
إذا ما غاب بدر عن مسائي

حروفكم سراج للحيارى
وعندلة تفوق على الغناء

وفوح شذا يسافر في ضلوعي
فيحييني ويهطل بالشفاء

قوافي الشعر ماء للظماء
وماء الشعر ليس كأي ماء

فبحر الماء للظمأ ازدياد
فليس الملح يأتي بارتواء

وبحر الشعر يشفي مستقيه
فيبرأ ذو السقام بلا دواء

أرى الأشعار يا قومي ثمارا
تميز عن سواها بالبقاء

لها اللغة الجميلة مثل جذر
لها أصل، وفرع في السماء

تجود بأكلها في كل حين
إذا طاب الكلام بالارتقاء

لنا فخر وليس كأي فخر
بذكر حل فينا كالضياء

● **أحمد عرابي الأحمد**

الجمال الحقيقي للأخت المسلمة

كل شيء في الدنيا له جمال خاص به ليجذب الآخرين إليه.

فهذا أمير الجمال (القمر)؛ يضيء بضوئه الأبيض المشع، فيسحر أهل الأرض، فيرفعوا رؤوسهم لكي يروه.

وهناك ما يعرف بالزاهية (الوردة)؛ تنبت في المكان فتزيده جمالا رهيبا بشكلها الخلاب وبرقتها الهيفاء.

وأيضا هناك ما يسمى بالرائعة (الفراشة)؛ تحلق فوق الأزهار برقة وخفة فتجعلها منظرا طبيعيا جميلا، فتظهر مع حركاتها ألوان مختلفة على أجنحتها لتضع بصمة جميلة على المناظر تلك.

ولا ننسى صوت العذب (البلبل)؛ يغرد وهو في عشه، فيتصدى المكان بعزف موسيقي فائق الجمال.

تلك نماذج من آيات الله الجميلة التي جعلت دار الدنيا باهرة وزاخرة بكل ما هو رائع، فسبحان الله.

لذلك أختي الحبيبة:

تلك مخلوقات لم تهمل جمال نفسها أبدا مع أنها تعمل بجد طول نهارها، ولأنها تعلم ما خلق الله لها من جمال، أعطته حقه، وزينت به الدنيا، فما بالك عزيزتي بجمالك أنت.. جمال الأنثى الطبيعي؟!

احذري.. أن تكوني أنثى تهمل جمالها بسبب ظروف الحياة ومشاغلها. وتذكري، لن تكوني أكثر عملا من البلبل فهو ينهض من شروق الشمس ويغادر عشه ليعمل في المكان كله ولا يعود إليه إلا في وقت المساء.

أو أن تكوني كالأنثى التي شوهت جمالها ودمرته بسبب المبالغة: إما بعدم إتقان وضع المساحيق التجميلية، وإما بعمليات التجميل التي تغير من خلق الله، فيصبح مظهرها بشعا غير طبيعي. فلم تضطر فعل ذلك الفراشة، وهي التي يحق لها ذلك أكثر منك؛ لأنها تزور كل البساتين والحدائق، لكنها اكتفت بما وهبها الله من جمال طبيعي.

● **درة الخير**



رسالة إلى الذي يعاني من رتابة الأيام

إلى الذي يعاني من رتابة الأيام وقتامتها أقول: هل جربت أن تقرأ كتابا، أن تزور حديقة، أن تحفظ وردا من القرآن، أن تصلي ركعتين من دون الفريضة؟ هل جربت أن تعين مسكينا، أن تدخل السرور على أرملة وأطفالها الجائعين؟ هل جربت أن تتخلى عن أناك المستبدة، أن تنسى ذاتك الصغيرة لتنشغل بما هو أهم؟ هل جربت أن تأخذ ورقة وقلما وتكتب ما يجول في خاطرك من هواجس وأفكار مظلمة ثم تلقي بها في سلة مهملاتك وتودعها إلى الأبد؟ هل جربت أن تكون أخا علم وأدب وأخلاق في وسط مجتمع جاهلي كل شيء فيه يدعوك إلى معصية الله؟ هل جربت أن تدعو الله خالصا من قلبك أن يبعد عنك الحقد والحسد والنميمة والغيبة والكذب وقول الزور؟ هل جربت أن تكون مسلما يمشي على الأرض رغم كثرة المعبودات الباطلة التي تقوم من حولك كسياجات من فولاذ؟ هل جربت أن تبتسم في وجه عدوك وتعفو عنه مع كظم غيظ وجميل صبر؟ هل جربت أن تعتذر لزوجك عن كل المتاعب التي كنت السبب في خلقها، أن تقول لها إني أحبك بعيدا عن كل الانفعالات التي تتملكنا على حين غفلة منا؟ هل جربت أن تردد قبل نومك: يا رب إني قد سامحت كل من أساء إلي؟ هل جربت إن كنت ذا مال أن تهدي كتبا لطلبة علم فقراء لا يجدون ثمنا للقمة عيشهم، فضلا عن أثمنة الكتب الحارقة؟ هل جربت أن تقول كلمة حق في نفسك الجائرة حين تخلو بها كلما جن عليك ظلام الإثم؟ هل جربت أن تأخذ أبناءك إلى مكان تكثر فيه الأشجار، والأزهار، ورائحة الحياة الجميلة، وتغاريد العصافير التي تملأ القلب حبورا وسرورا؟

● **ربيع السملالي**

لا تحسِّنوا الوجه القبيح

انتشر في الآونة الأخيرة مصطلح «مثلي» أو «مثلي الجنس» في وسائل الإعلام المختلفة، وبدأ الناس في تداوله بعد ذلك، وعرفوه بأنه توجه جنسي يتسم بالانجذاب الشعوري بين أشخاص من الجنس نفسه. ولقد قصد فيه من أطلقه في الغرب -وبكل خبث ودهاء- إضفاء شيء من الأنس والألفة عليه والعمل على الارتقاء بالمصطلح الأصلي المخزي «مخنث ولوطي، سحاقية ومترجلة»، بعد أن سمي لفترة بـ «الشذوذ الجنسي» ثم توقف المصطلح عند «المثلية الجنسية»، ليغدو أليفا أنيقا ومتعارفا عليه بين الناس، ولا يثير فيهم التقزز والاشمئزاز.

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ: «ملعون من عمل بعمل قوم لوط».

وعنه أيضا قال: لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم».

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سحاق النساء زنا بينهن».

وأصل الاختناث: التكسر والتثني، ومنه سمي المخنث لتكسره وتثنيه.

وأرى أن العودة إلى المصطلح الأصلي الذي وردنا عن رسول الله ﷺ، وإطلاقه على كل من تسول له نفسه الخوض في هذه القذارات وأعلن أنه منهم، أولى.

● **د. بشار القهوجي**

مسك الختام

صفحة الخصم

ينتابني يقين بأن الحياة كصفحة الخضم، تتجدد أمواجها على شاطئ دنيا الناس، متتابعة في حركة دائبة، قد تسر الناظرين، ولكنها سرعان ما تتلاشى في سواها، ويخفي بعضها الآخر، وهذه نواميس الكون، وبعبارة أدق: إنها سنة الله تعالى، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وهكذا فإن المرء يعرك الحياة بجده وجهاده، في ليله ونهاره، عسى أن يظفر بما تقر عينه به، فلا يكاد يبل غليله حتى تتلهف نفسه للمزيد من تملك حطام الدنيا، وبهرجها الزائل، ومتاعها الحائل؛ ولن أذهب بعيدا، فهذا سيدنا محمد ﷺ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

إن الذي عميت بصيرته عن إدراك الحق الأبلج، وارتأى أن يسلك سبيل الباطل في خضم من اللجج، سرعان ما سيركب مركبا عرا، فينطلق يعب من زينة الدنيا، ويحطم القيود ويجتاح الحواجز والسدود في سبيل ذلك، وينسى أن صفحة الخضم ستطوي صفحة عمره، ويعجبني قول القائل:

يسر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

بل إن الزمان سيريه ما كان غير متوقع، ولا غرو:

فالليالي من الزمان حبالى ... مثقلات يلدن كل عجيبة

ومن كان كذلك، فهو لعمري مخبول، وتلك نكسته الحضارية.

ومن منطلق أني معدود من حملة القلم، فإنني أهيب بالكتاب إلى أن يراجعوا أوراقهم، وما سطره يراعهم في الأيام الخالية؛ لنقف جميعا على طريق الأصالة الفكرية، بعد أن هبت على الأمة رياح صفراء انبعثت من الغرب لاحتلال العالم الإسلامي، وكان جيل التغريب من المساهمين في نكبة الأمة، وحسبوا أنفسهم رواد وما هم برواد، فالرائد لا يخون أهله.

ولذلك نرى أن التحرر من التبعية أمر ضروري اليوم أكثر من ذي قبل، لأنه الباب الذي نلج منه إلى تصحيح المسير في العمل الجاد؛ لحماية الأمجاد، التي تركها لنا الأجداد، وأرمي هنا إلى ذلك التراث الذي يشيد به الزمان فخرا، وهيهات أن يرى له مثيلا، اللهم إلا إذا قام أبناؤه بوظيفة التجديد الذي لا مندوحة عنه، والذي يقتضي المحافظة على القديم، وإعادة صياغته وفق الضوابط والأصول.

ويطمئننا الأستاذ أنور الجندي في تفاؤله خيرا بالصحوة الإسلامية، لما قرأنا قوله «المسلمون الآن على مشارف طريق الأصالة تحررا من التبعية ووصولا إلى عصر الرشد الفكري، وانتقالا من اليقظة إلى النهضة»، وهي رؤية حصيفة، لأنها نابعة من رجل خبر ساحة الفكر، وجاس خلالها يكشف حقائقها، ويحذر من سموم الفكر الوافد، ومن ثم وهب حياته لخدمة الفكر الإسلامي، وقد أبرز خصائصه، وأشاد به في كثير من كتبه ومقالاته، فلله دره.

ولاشك أن الأمانة تقتضي من صاحب القلم الصدق، وأن يراعي حرمة الكلمة، وأن يتطامن للحقائق، لأن التاريخ يلفظ الخائن الذي عمد إلى طمسها، وإثارة الشبهات حولها بتبني الفكر المنحرف.

د. خالد برادة
باحث في الدراسات الإسلامية

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

info@alwaei.com

@Alwaei_Alislami

مجلة الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية



الصحة نعمة ..
تستاهل الشكر

"صلاتك ... شكر"

نفائس

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا

www.nafaess.com

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

إدارة الإعلام الديني

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦١٦) ذو الحجة ١٤٣٧ هـ - سبتمبر -أكتوبر ٢٠١٦ م

عاصمة الثقافة الإسلامية 2016

الحج.. منافع متعددة

- تكريم المرأة من منظور إسلامي
- الكذب يوم القيامة
- تربية الانضباط
- قدسية الإنسان والمكان في الإسلام

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»



info@alwaei.com www.alwaei.gov.kw مجلة الوعى الإسلامى


الوعي الشبابي
www.alwaeialshababy.com
مواضيع حيوية ومعاصرة
حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
مقالات لأبرز الكتاب الشباب
« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
Shabab alwaei
@alwaeialshababy

الافتتاحية



فضل الزمان وشرف المكان

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا، وجعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا، سبحانه؛ خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث للعالمين بشيرا، وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد؛ فقد اختص سبحانه أزمانا وأمكنة بالفضل والشرف، فاختص مكة وميزها وجعل فيها بيته وكعبته.

وأحاط الله سبحانه هذا المكان بمجموعة من الخصائص والفضائل؛ فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ (العنكبوت:٦٧)، فمكة الآمنة هي أفضل بقاع الأرض، وبيتها أول البيوت، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ (آل عمران:٩٦-٩٧).

لقد تحولت هذه البقعة بعد دعاء خليل الرحمن عليه السلام من منطقة مظلمة مهملة إلى مركز لحياة البشرية، هذه الحياة التي تقوم على رافدين أساسيين: رافد الإيمان وما ينطوي تحته من القيم والأخلاق والمبادئ، وهذا ما يمثله رمز الكعبة في قدسيتها وعراقتها وتاريخها. ورافد المال، وهو يمثل الجانب الثاني في قيام البشرية ووجودها، وهو الجانب المادي والاقتصادي، والمصالح الدنيوية المادية، إذ هما يسيران جنبا إلى جنب.

إنه البلد الذي تهوي إليه الأفئدة وتتوق إليه النفوس، ويتجدد الشوق بعد الرجوع ويزداد؛ قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «فإني كنت أتوق إلى مكة قبل الحج؛ فداويت هذا الداء بالقصد، فزاد الشوق بعد الرجوع على الحد، وعلمت أن كثرة الترداد لا تزيد إلا شوقا، كما أن لقيا المحبوب لا تزيد نار الوجد إلا وقدا، ثم إني صادفت من هو أشوق مني؛ فشغلني ما رأيت من وجده عني؛ فاتفقنا في أصل الشوق، وافترقنا في قدر التوق».

ورحم الله الشاعر إذ قال واصفا مكة:

لا يرجع الطرفُ عنها حين ينظرها ... حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

لقد أراد الله سبحانه بحكمته أن يكون هذا الموطن مأوى لأفئدة الناس، تأوي إليه من كل فج عميق، وملتقى تتشابك فيه الصِّلاتُ بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، قال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧).

هذا، وقد فضل الله مدينة رسوله ﷺ بجعلها البلد الذي ينجمع إليه الإيمان إذا ضعف في نفوس أهله، ودخل في غربته، فقال ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» (البخاري). وهي مدينة بارك الله في كل شيء فيها، وحرمها رسول الله ﷺ، ودعا لها بالبركة؛ فقال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلَي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة» (البخاري).

وأما أشهر الحج، فقد جعل الله لها الفضل بين الشهور، حيث فيها من النفحات الإلهية التي تصيب من اجتهد من عباد الله الصالحين، قال نبينا ﷺ مخصصا هذه الأوقات: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات؛ فتعرضوا لها» (الطبراني)، وقال أبوالدرداء رضي الله عنه: «التمسوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن نفحات رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم» (مصنف ابن أبي شيبة).

نسأل الله بمنه وفضله أن يرزقنا بركة هذه الأوقات، وأن يجعلنا من المسارعين في الخيرات، خصوصا في مواسم الفضل والشرف.

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٦ | ذو الحجة ١٤٣٧ هـ
العام الثالث والخمسون
سبتمبر - اكتوبر ٢٠١٦م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩
- مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤
- قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر
هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩
- الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧
- سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع
هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠
- الأردن: وكالة التوزيع الأردنية
هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣
- مصر: مؤسسة أخبار اليوم
هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
- السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
- لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع
هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
- المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
- تونس: الشركة التونسية للصحافة
هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

- الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

الإسلام.. حياة

يعرف المسلم أن الحياة الحقة هي حياة الخلود، وأن الآخرة هي خير وأبقى، وأن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر..

يعرف كل هذا ويؤمن به، لكنه مأمور على الجانب الآخر بحفظ النسل، وأن يغرس الفسيلة التي في يده حتى ولو قامت الساعة. ومأمور بالسلام والإحسان والمودة والرحمة.. مأمور بكل هذا ويؤمن به.

إذن لا تناقض بين أن يحيا الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبدا، ولآخرته كأنه يموت غدا.. لا تناقض بين أن نسعى إلى الحياة الدافقة بالنشاط والإنجاز والدفء الاجتماعي، وبين أن نتعبد خاشعين لله، راجين الفوز في الآخرة، متقين لله سبحانه نرجو رحمته ونخشى عذابه.

إن الإسلام بنظامه التكافلي وبرحمته يتكفل صناعة الحياة، ليس للمسلمين فقط، ولكن للناس أجمعين. ولو علم الناس ذلك لهرعوا إليه كطوق النجاة من الحياة المادية التنافسية التي لا يرون لها غاية سوى اللذة الزائلة، ولتأكد الناس أن حرمة الإنسان المسلم ودمه أهون عند الله من هدم الكعبة المشرفة كما ورد عن رسولنا الكريم ﷺ.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

مناسبات

د. إبراهيم نويري
باحث جزائري



ومن يعظم شعائر الله فإنـــــ

يعمد الكثير من حجاج بيت الله الحرام إلى التقاط حصيات زائدة على المجموع المطلوب لرمي الجمرات، وذلك من باب الاحتياط في حال ضياع بعض الحصى أو خروج بعضها عن المرمى المحدد. وهذا أمر مطلوب لأنه من دوافع الاهتمام بشعيرة لابد منها في الحج. يقول الإمام ابن قدامة رحمه الله في «المغني»: «لا يجزئه الرمي إلا أن يقع الحصى في المرمى، فإن وقع دونه لم يجزئه في قولهم جميعا»، أي في قول أهل الفقه جميعا؛ لأن كتابه المذكور أعظم موسوعة في الفقه الإسلامي المقارن.

ويقول الإمام ابن عثيمين رحمه الله: «من شرط الرمي أن تقع الحصاة في الحوض، فإذا وقعت الحصاة في الحوض فقد برئت بهذا الذمة» (فقه العبادات، ص٣٨٣).

ومن تداعيات هذا الاحتياط أن بعض الحجاج قد يبقى معه في جيبه أو حقيبته أو حافظة نقوده بعض الحصيات من دون قصد.. كما يعمد البعض إلى الاحتفاظ بها عمدا من باب الذكرى العطرة والارتباط الروحي والوجداني بالمشاعر المقدسة.

وفي سياق هذه المسألة جاءت هذه القصة الطريفة المؤثرة.

يروى أن أحد الحجاج اكتشف في حقيبته أثناء عودته إلى بيته من رحلة الحج حجرا صغيرا من بقايا الجمرات التي جمعها من مشعر مزدلفة لرمي الجمرات. فقرر أن يعيده إلى مزدلفة.. وبعد استغراقه في التفكير اهتدى إلى وسيلة البريد المسجل. فأحضر علبة زجاجية صغيرة، لكنها عبارة عن تحفة من حيث الشكل والقيمة. ثم نظف الحجر الصغير جيدا وعطره بأزكى عطر، ووضعه داخل هذه العلبة، وكتب رسالة إلى سعادة مدير مكتب بريد العاصمة المقدسة، وأرفقها بورقة نقدية من فئة «عشرة ريالات» ملتمسا من مدير البريد أن يدفعها لسائق سيارة أجرة حين يطلب منه إعادة الحجر الصغير إلى أي مكان في مشعر مزدلفة.

بعد أن تلقى مدير بريد العاصمة المقدسة رسالة هذا الحاج، بلغ به التأثر مبلغه، فقام بنفسه بإعادة الحجر الصغير إلى مزدلفة؛ وكتب إلى ذلك الحاج رسالة وأعاد إليه الريالات العشرة مع مصحف وسجادة صلاة ومسبحة.

قد يتساءل بعض الناس، وقد يتعجب آخرون من تصرف هذا الحاج، ومن مغالاته واهتمامه بهذا الحجر الصغير، الذي هو عبارة عن حصاة صغيرة من حصيات رمي الجمرات، وكذلك من تنظيفه وتعطيره وإيداعه علبة زجاجية



ـــــها من تقوى القلوب

فاخرة وإعادته إلى مكانه بمزدلفة، ولو عبر البريد. بيد أن المطلع على الفقه الإسلامي لا يرتسم على محياه أي لون من ألوان التعجب إزاء تصرف هذا الحاج الورع. لكنه سيدرك أن هذا الحاج إنما هو من المعظمين لشعائر الله.

فقد قال الكثير من فقهاء الإسلام بحرمة نقل تراب الحرم وأحجاره وما صنع من طينه أيضا، كالأباريق أو الآنية أو نحوها، ومن نقل شيئا من ذلك إلى الحل فعليه إعادته إلى الحرم!

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا خير في أن يخرج من حجارة الحرم ولا ترابه شيء إلى الحل، لأن له حرمة ثبتت، باين بها ما سواها من البلدان. ولا أرى والله تعالى أعلم أنه جائز لأحد أن يزيله من الموضع الذي باين به البلدان إلى أن يصير كغيره» (الأم، ٧/١٤٧).

وقال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله: «ولا يخرج شيء من تراب الحرم ولا حجارته إلى الحل» (المحلى، ٧/٢٦٢).

وقال الإمام الماوردي رحمه الله: «فإن أخرج من حجارة الحرم أو ترابه شيئا، فعليه رده إلى موضعه» (الحاوي، ٤/٣١٤).

وقال جمع من أهل العلم بشأن هذه المسألة: «من أخذ شيئا من تراب الحرم إلى خارجه فعليه أن يستغفر الله تعالى من فعله أولا، ثم عليه أن يرجعه إلى أي بقعة في الحرم إن استطاع، ولا يشترط أن يرده بنفسه، بل لو أعطاه لمن يوثق به ليرده جاز له ذلك. فإن لم يستطع هذا ولا ذاك، فليضعه في أي مكان طاهر».

إن حرم الله الآمن له خصوصية مستمدة من التفضيل الإلهي له، وذلك منذ دعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، صلى الله عليه وسلم، ومنذ أن أذن في الناس بالحج فلبوا النداء وجاءوا على أرجلهم وعلى كل ضامر من كل فج عميق.. فمنذ تلك الدعوة الشريفة وقلوب أهل الإيمان منجذبة إلى بيت الله الحرام متعلقة به. وكلما زاره المرء ازداد شوقا إليه، وتلهفا على معاودة الزيارة. فيا فوز من عظم شعائر الله التي هي من تقوى القلوب.

وصدق الشاعر رشاد محمد يوسف في قوله:

بوركت يا أم القرى من دار
تهفو إليك مشاعر الأطهار
بوركت يوم دعا الخليل خليله
أن يجعل اللقيا بأكرم دار
ومضى ليرفع في القواعد عاليا
ليكون خير مثابة ومزار
وتقام باسم الله فيه فرائض
ومناسك فياضة الأنوار



د. رضا عكاشة
أستاذ الإعلام - جامعة الأزهر

الاتصال الثقافي في موسم الحج

أمة لبيك لا تعرف التقاطع مع الذات ولا الصراع مع الآخر، بل تؤسس الجماعة الإنسانية على المساواة والحوار.
شعائر الحج وسعت التعايش الحضاري الأممي من خلال الفنون واللغات والرحلات ونقوش الجدران وأسماء الشخوص والمدن والبيوت.
الكعبة.. أعظم وسيط اتصالي في دنيا الناس.. عندها هوت أفئدة الشعوب، وأسلمت العقول، وجسد الفنان المسلم إحساسه برب الوجود.
ليت «العينة العقائدية» من الحجيج تدرك قدر الله في التدافع الحضاري وضرورته للتمكين في الأرض.
القلوب الطائفة والعاكفة والأيادي الرامية، لا تعرف الإرهاب ولا تقبل أن يرميها به أحد، وهي منه «براء».
مطلوب تفعيل الوسائط المتعددة في الإعلام عن الشعائر وإنشاء مركز حضاري لفنون الحج ينتقل بين أميركا وأوروبا.

من المؤكد أننا -نحن المسلمين- لسنا أمة صراع أو احتقان أو عراك مع النفس أو مع الآخر، أيا كان هذا الآخر، بل نحن أمة تعايش وحوار متجدد وعقلاني مع الذات ومع المخالفين لنا في أقسى درجات المباينة والمخالفة وأقصاها. ومن المؤكد أن حضارتنا الدينية والدنيوية لم تختلق هذا الكم الواضح من التشققات والتقسيمات للبشرية على أسس -أو لا أسس- عرقية ولغوية وقومية وأيديولوجية وجغرافية وسياسية وجسمية ونفسية.

هذه التشققات التي أججت التقاطع الإنساني وأشعلت حروب الموت الملاييني حتى قدر بريجنسكي (المستشار الأسبق لشؤون الأمن القومي في أميركا) عدد قتلى القرن العشرين فقط بأكثر من ١٦٧ مليونا من البشر راحوا ضحية العصبية القومية والأيديولوجية ودليلا على الفشل الأخلاقي الجماعي (١).

ورغبة في تفادي هذه التشققات على مستوى الأداء الإعلامي الدولي -المهتم غالبا بتجذير الصراع وإشاعته- ظهر مفهوم الاتصال الثقافي cultural communication في محاولة رشيدة لإضفاء معان إنسانية على دور الآلة الإعلامية في الوقت الحالي تتجاوز بها تلك المفاهيم السلبية التي رادفت بين الاتصال الدولي من ناحية وبين مفاهيم الغزو الثقافي والهيمنة والاختراق والاستعمار بأبعاده الاجتماعية والسياسية. هي محاولة «لأنسنة» الاتصال بين البشر، وجعل غاياته الكبرى التعارف المتوازن بين الشعوب والجماعات والدول والأمم، وتبادل الخبرات الحياتية، وردم

الفجوات المعرفية؛ حتى يصبح الناس أمة إنسانية واحدة ومتعارفة.

في هذا السياق يأتي حديثنا عن الحج -وهو العبادة الإسلامية المفروضة من الخالق على الجماعة المؤمنة- باعتباره فعلا ثقافيا يقضي على حالات التدابر الفكري بين أهل الأديان، ويصل ما انقطع بين الجماعة المسلمة بفعل التباعد الجغرافي أو النفسي الذي تصنعه الأهواء والمصالح الضيقة.. إنه اتصال الحجيج، لا تعوقه لغة، ولا تمنعه حواجز جنسية أو أيديولوجية، ولا تيبسه ثقافات الصفوة ولا تقاليد العامة!

بيد أنني أشير هنا إلى المعنى الثقافي الذي أعنيه بعد أن تباينت مفاهيم الثقافة، حيث قصرها البعض على المعطيات المعنوية للإنسان، فيما عممها آخرون على المعطيات المادية، كما رادف البعض بينها وبين مفهوم الحضارة، فيما اعتبرها آخرون مساوية لمفهوم المدنية. وفي الوقت الذي شدد البعض على أن الثقافة عنوان على أهل الصفوة الرفيعة، دافع آخرون بشدة عن «الثقافة الشعبية». والمعنى الذي أميل إليه في مفهوم الثقافة، هو المعنى ذاته الذي تبناه المفكر الإسلامي علي عزت بيجو فيتش (١٩٢٥ - ٢٠٠٣م)، حيث شدد على أن الثقافة تبدأ بالتمهيد السماوي بما اشتمل عليه من دين وفن وأخلاق. الثقافة تعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء، إنها تأثير الدين على الإنسان أو تأثير الإنسان على نفسه، هي الفن الذي يكون به الإنسان إنسانا، وهي الخلق المستمر للذات، هي استمرار للتقدم الروحي لا التقني كما الحضارة، وهي كبح للرغبات والشهوات لا إطلاقها كما التقانة، الثقافة هي القوة الذاتية التي يحملها الإنسان، ومشهدها الأول بدأ في السماء، ثم وصل بالوحي إلى الأرض. هي الثقافة culture التي تتصل من ناحية الأصل اللغوي بكلمة cult بمعنى عبادة. فالثقافة إذن هي «الحياة الجوانية» (٢)، أي المعاني التي تملأ العقل وتحرك الوجدان والمعرفة والإدراك والسلوك.

إن ثقافة الحج هنا تجسد الطابع الحياتي للعبادات الإسلامية، بل تجسد غايات الإسلام كله باعتباره منهج حياة يكون الجماعة الروحية، ولكنه يصنع منها وبها جماعة ثقافية، يبني العالم «الجواني» والعالم «البراني» معا، يخدم المعنى والمبنى، يحقق المنفعة والمصلحة بالعلم والوحي والأخلاق والأدوات والعبادات والنية والعمل، يتعامل مع الراعي والرعية والأمة، وعالم الغيب وعالم الشهادة، والجماعة والمجموع.

إنها ثقافة دين يصل بين السماء والأرض، فالإسلام لا يخاصم الأرض، ليس لأنها تعبد الله فقط، بل لأن البشر يتعبدون عليها. ولحكمة ظاهرة، جعل الله الأرض مسجدا وطهورا، وجعل تراب الأرض بديلا عن الماء في الوضوء، وجعل ركن الحج الأعظم هو وقوف الحجيج بأرض عرفة، وجعل رمي الجمرات بطوب الأرض وحصواتها، وكان أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد لله على الأرض.. تلكم بعض من دلالات قول الخالق ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج:١٨).

هوى الأفئدة.. بداية الاتصال

إن المعطيات الثقافية للحج لا تتحقق لمجرد اتصال أجساد الملايين بعضهم ببعض، ولا لمجرد حركة الأفراد المكانية أو الزمانية، لكن البداية في الحركة «الجوانية» الإيمانية التي كونها الحج في النفس المؤمنة فأحدثت «الأثر» المعروف في دنيا الاتصال الإعلامي بالتأثيرات المعرفية والوجدانية والسلوكية؛ بدأ بالإيمان وتحرك بالشوق، وتأكد بشد الرحال وتجهيز الزاد والراحلة وتوفير الأمان والرزق. هذه المعاني واضحة في الحج بمناسكه كلها، كما هي واضحة في دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بإقامة الفريضة: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم:٣٦-٣٧). إن هوى الأفئدة نحو بيت الله هو الوقود الأكبر لكل حركة فردية أو جماعية. لقد انتقل إبراهيم عليه السلام من العراق، حيث عاش في محضن حضاري خاص، واستقر في الشام، حيث محضن حضاري آخر، وخرج إلى مصر حيث حضارة مغايرة، ثم عاد إلى الشام، ثم استقر في حضن البيت العتيق.. كأنه تدريب على اتصال الحضارات، غير أن دافعه الأول هو كما يقول الإمام الألوسي في تفسير الآية: كون الإسكان - والانتقال - لمحض التعرف إلى الله.

ثقافة التلبية

لقد استقر في علوم الاتصال أن الفكرة المجردة تصبح أكثر تأثيرا عندما توضع في إشارات ورموز محسوسة، وتتضمن جميع الاستمالات العاطفية والوجدانية، وتستخدم في إعلامها عن نفسها أكثر من حاجة من حاجات الإنسان وإشباعاته.

وفي مناسك الحج إشارات وشعارات وحركات وسكنات تحولت إلى فعل ثقافي مؤثر، بل صارت كل واحدة منها أداة اتصالية شديدة التأثير في دنيا الناس.. فالتجرد من المخيط، ولبس الأبيض، والإحرام من الميقات، والتلبية

بصوت مرتفع (للذكور)، والرمل، والاضطباع عند الطواف، والوقوف بعرفة، والدفع بسكينة إلى المزدلفة، والرمي، والذبح، والحلق أو التقصير.. كل هذا وغيره يعكس تحول المعتقد الإيماني إلى فعل سلوكي خارجي. ولحكمة ظاهرة عبر النص الشرعي عن جل مناسك الحج بلفظ الأذان والشعيرة، وكلاهما له دلالة إعلامية واضحة.. وفي القرآن: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ (الحج:٢٧). ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢).

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:١٥٨). ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ (التوبة:٣). وللمعنى ذاته كان حرص الإسلام على أن يتلازم الأثر الخارجي للشعيرة مع الأثر الإيماني الداخلي.. ففي شعيرة الذبح يحرص الإسلام على أن تصبح عملا اجتماعيا ذا تقاليد، وأن يوزع الهدي على الفقراء والمحتاجين، بل إن الرسول ﷺ حرص في حجة الوداع على «إشعار» الناقة في سنامها (قشط جلد البدنة في سنامها الأيمن) وعلى «تقليد» الناقة (أن يجعل في عنق الناقة قطعة من الجلد) (٣)، حتى تتحقق ثقافة الإعلان عن الشعيرة، مع أن القضية محسومة إيمانيا بقول الحق: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ (الحج:٣٧).

المساواة وتقريب الفروقات

وفي سياق تفكيك حالات الاحتقان، حقق الحج أبرز أهداف الاتصال الثقافي كما يقرر خبراء الإعلام، وهو تقريب الفروقات بين الأفراد والجماعات. ففي حجة الوداع، أو حجة البلاغ، كما يسميها كثير من الفقهاء، أزال الرسول ﷺ كل مظاهر القواطع التي تحقق التشققات الجغرافية أو السياسية أو الثقافية، كما رسخ حقوق الناس –كل الناس– وواجباتهم. ومن الثوابت التي قررها الرسول في خطبة الوداع:

- حفظ حرمة الدماء والأموال والأعراض والعقائد.
- تقرير سواسية الناس؛ فلا تفريق بين أبيض أو أسود وأعجمي وعربي.
- حرمة الظلم بالربا أو بالسرقة أو بأكل الحقوق أو بقطع الرقاب.
- كرامة المرأة وحقوقها وإنسانيتها باعتبارها أمانة الله في أعناق الرجال.
- حق، بل واجب البلاغ والإعلام عن الإسلام: «ليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أسعد من سامع».

الفنون والرحلات واللغات

لقد توسع المعطى الثقافي لمناسك الحج وتغلغل في كل مكان في قارات الأرض الست، كما تغلغل في الاجتماع والعمران.. فأسماء الأشخاص والمدن والشوارع والمحلات تحمل أسماء ذات دلالة واضحة (مكة، الحرمين، عرفة، الصفا والمروة..). وقد تساءل المفكر الإسلامي رجاء جارودي: هل هناك مسلم على الأرض ليس عنده سجادة صلاة منقوش عليها الكعبة؟! (٤).

بيد أن اللغة والآداب والفنون، باعتبارها هي الحوامل الكبرى للثقافة، هي التي تأثرت كأكبر ما يكون التأثر بمناسك الحج وشعائره. لقد بقي المسجد الحرام هو مركز الأمة المحسوس ولهيبها وعتادها، كما يقول المفكر والأديب المسلم العالمي محمد إقبال، كما باتت نقوش المساجد وفنون العمارة والدواوين والمدائح والأشعار والخطوط والحروف... هي الحوامل المجتمعية العملية لثقافة الحج ولثقافة العبادة الإسلامية بشكل عام، حدث هذا في البيئات العربية والأوروبية والأفريقية والآسيوية حتى تحولت العربية –لغة أو حروفا– إلى لغة العبادة الأولى في العالم. إن كون العربية –لغة وحرفا وشعرا وإحساسا– هي لغة العبادات –والحج من بناءاتها– لم يجعل فقط موطن الوحي هو قبلة المسلمين الثقافية، كما هي قبلتهم التعبدية، أو كما يقول محمد إقبال: «إن خمري حجازية وإن كنت أعجمي الدنان، ونغمي من الهند ولكن صوتي من عدنان» (٥)، بل جعل البيئات الإسلامية، أو التي تعيش فيها جماعات مسلمة تتصل وتتبادل التأثيرات الثقافية عبر رحلات الحج، مما أحدث تراكما معرفيا ووجدانيا وسلوكيا واسعا طال المسلمين وغير المسلمين، الأمر الذي جعل هذه البيئات، مع تعدد ثقافاتها، تبدو أنها عربية أو عدنانية بسبب لغة العبادة هذه، أو كما يقول المؤرخ الأبرز جمال حمدان إنها: «ثلث عربية» أو «ظل العرب» (٦).

الكعبة وسيط اتصالي

إن «الكعبة»، على وجه الخصوص، مثلث وسيط اتصالي شديد الدلالة والرمزية، ففي الوجدان الشعبي والرسمي صارت مسألة كسوة الكعبة –على سبيل المثال– محفلا ثقافيا يتنافس فيه الساسة والفنانون، ورجال المال والحكم، على نيل شرف الاحتفاء بمركز الإشعاع الروحي، وقد نال هذا الشرف كل البيئات الحضارية تقريبا.. فقد كساها إسماعيل أو عدنان أو قوم تبع.. كما كساها أهل اليمن وقبائل قريش.. واستخدم يزيد بن معاوية لكسوة الكعبة الديباج الخرساني أو من مصر أيهما أجود.. وأوقف الناصر بن قلاوون مالا خاصا على الكسوة منذ سنة ٧٥٠هـ، بل أوقف قرى باسوس وسندبيس وأبو الغيط لهذا الهدف.. كما قامت في تستر (خوزستان) بين فارس وأصبهان صناعات ومحافل

لكسوة الكعبة قبل وبعد انهيار الخلافة العباسية، وشارك أهل الأندلس في هذا، كما شارك أحفاد صلاح الدين الأيوبي في الشام وفنانو ومتصوفو القسطنطينية في تركيا، وظل هذا المحفل الثقافي يدور بين الناس ويؤثر في الوجدان الشعبي حتى تأسس معمل خاص للكسوة بمكة المكرمة يتولى هذا الشرف منذ أول كسوة صنعت في ذي القعدة عام ١٣٤٦هـ مكتوب عليها على شكل يشبه الرقم ٨: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». إن هوى الأفئدة نحو خدمة بيت الله الحرام لم يصنعه قرار سياسي ولا رغبة في كسب مادي، بل يصنعه ذلكم المعنى الكامن والظاهر في حديث رسول الله ﷺ: «هذه الأمة لا تزال بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فإذا ضيعوا ذلك هلكوا» (أخرجه أحمد وابن ماجه).

لقد جسدت الكعبة مصدر الإلهام للفنان المسلم في عمارته وعمارتها، كما مثلت عامل الوحدة الأكبر بين الوجدان الإنساني، بعيدا عن مظاهر التقاطع الظاهر، فجميع عناصرها تشع بالتوحيد وتعطي في خصوصياتها المادية (الشكل المكعب) مدلولا سرمديا راسخا على الأرض، يشع من مركز الكون إلى الجهات الأربع للدنيا، هنا يتصل الإنسان بربه -أو يتجدد اتصاله- كما يتصل بإنسانه وإنسانيته. إن الكعبة في روحانيتها جمال متجدد، تقرر مقولة ابن سينا بفساد حامل الجمال وعدم فساد الجمال ذاته، إنها دلالة في ذاتها من دون مادة دالة، دلالة يتعامل معها ذهن المؤمن ويقوم بفك رموزها وتحليلها نفسيا بعقيدته الجوانية التي تشع رحمة ومودة في كل فج عميق (٧).

وقد يكون من المناسب أن نقترح في هذا:

● تأسيس مركز الحج الدولي للاتصال الحضاري يأخذ على عاتقه تقديم المشترك العقدي والإنساني بين الناس، وتوضيح طبيعة العبادة الإسلامية في الحج وغيره، إذ من المعروف أن ثمة شبهات عدة يطرحها الآخرون عن الإسلام قد تبدأ بمناسك الحج أو تنتهي بها!

● غربلة كثير من سلوكيات المسلمين المرتبطة بالحج وشعائره، إذ من الثابت أن بعض العامة في هذه السلوكيات قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا -عسى الله أن يتوب علينا وعليهم- ومن المناسب أن يشارك في هذه الغربلة نفر من علماء الاجتماع والإسلام، وأن تكون مرجعيتهم في الحكم على الأشياء هي المجامع الفقهية ذات الشأن، مثل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ومجمع الفقه الإسلامي بالسعودية وغيرهما، فحماية ثقافة الحج الشرعية من بعض الصور السلبية، باتت، في تصورنا، ضرورة حضارية، فضلا عن كونها مطلبا شرعيا.

● تفعيل أكثر لفنون الاتصال الحديثة في التعبير عن حدث الحج الأكبر. إن ما يفعله التلفزيون بالنقل المباشر الحي لبعض مناسك الحج، شيء طيب ورائع، لكن ليتنا نمد عملية البث هذه لتشمل معظم المناسك في معظم الأوقات، ليتنا نستخدم معظم اللغات بما في ذلك اللغات دون القومية؛ لأن لنا فيها بشرا يحبوننا أو حتى لا يحبوننا..!
ومن المفيد أن نستخدم الوسائط المتعددة للاتصال multimedia عبر شبكات الإنترنت والهواتف والإعلانات الإلكترونية وعروض الفيديو والتلفونات المرئية.. في الإعلام عن هذه العبادة.

● آن الأوان للاستفادة من الأقليات المسلمة في كل دول العالم في هذا الاتصال الثقافي المحمود. إن مسلمي الأقليات الذين يبلغون أكثر من ٤٥٠ مليون مسلم، أي نحو ثلث مسلمي العالم، ونحو ٧ في المئة من حجم البشرية، هؤلاء ينبغي أن يصبحوا عوامل ثقافية فعالة. وقد يكون من المناسب هنا أن يتبنى المسلمون تأسيس متحف الحج الفني، الذي يحوي جل ما أنتجه عقل وريشة ويد الفنان المسلم من زخارف ورسوم وفنون تتصل بالحج وشعائره، على أن يتخذ من دول أوروبا والأميركتين مقرات دائمة ومتنقلة تعرض إبداعات الإنسان المؤمن لأخيه الإنسان.

الهوامش

١- ز بفنيو بريجنسكي، الفوضى، ترجمة مالك فاضل، عمان، دار الأهلية، ١٩٩١م، ص٢٢.
ويقارن في هذا مع عدد من قتلوا من غير المسلمين جراء جميع غزوات الرسول ﷺ، حيث حصرهم بعض الباحثين بنحو ٩٠٠ من القتلى فقط في مقابل نحو ٣٢٦ شهيدا من المسلمين. (محمد صلاح الدين كامل، مبادئ الحرب بين المدارس العسكرية التقليدية والإسلامية، رسالة دكتوراه، القاهرة، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، ص١٣٢ وما بعدها.

٢- علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس، ط١، مجلة النور الكويتية ومؤسسة بفاريا، ١٤١٤هـ، ص٩٤-٩٨.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الثالث، دار الفكر العربي، ص١١٧.

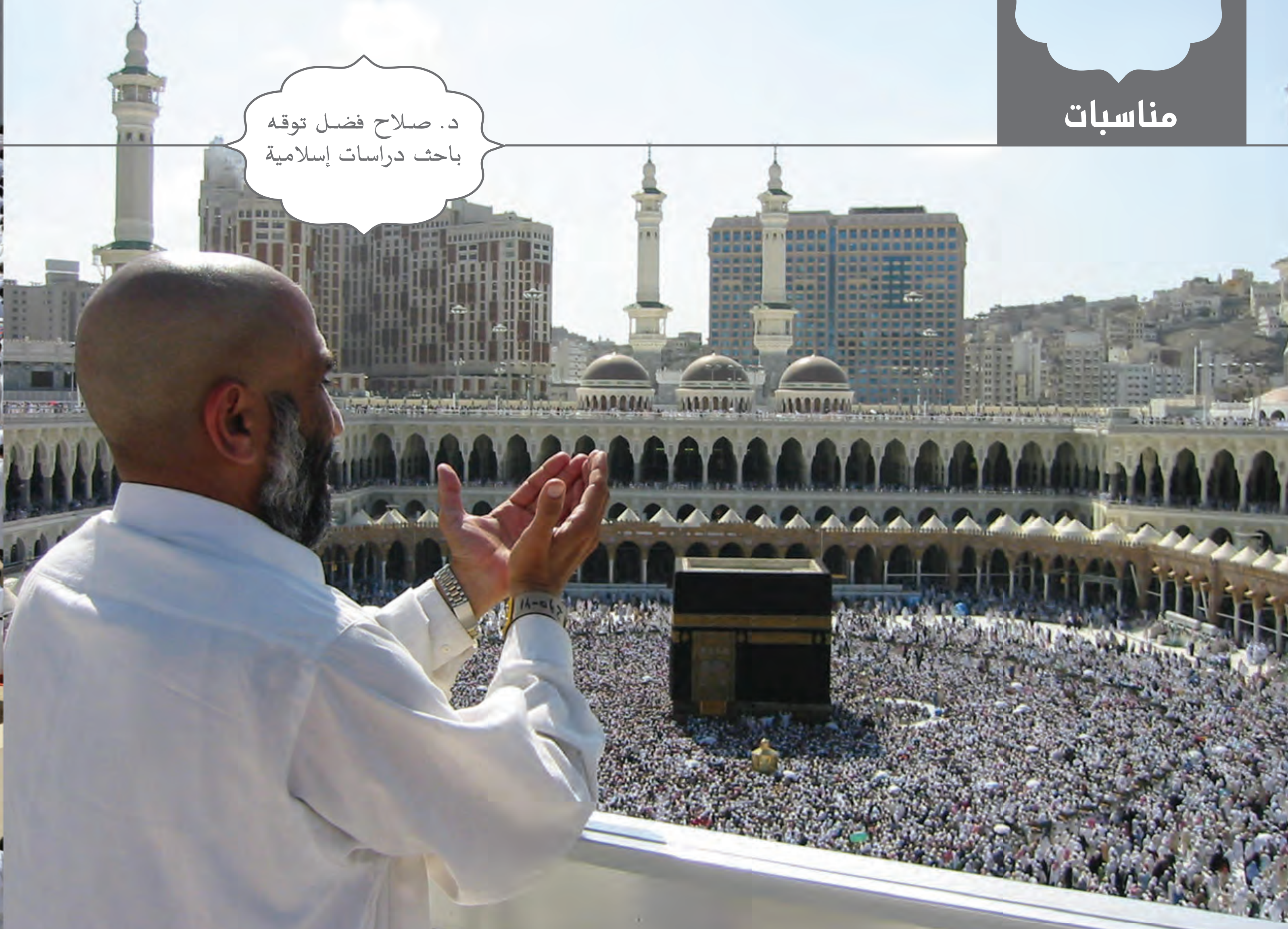
٤- كشفت دراسة أعدها ثلاثة علماء من جامعة هارفارد أن في الولايات المتحدة الأميركية ٧٥ مدينة وقرية تحمل اسم مكة (MECCA)، وتعني المقصد والقصد بما يرادف معنى القبلة، صحيفة «المستقبل»، لندن، ١١ يوليو ٢٠٠٢م.

٥- الصاوي شعلان ومحمد حسن الأعظمي، فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان، القاهرة، دار الأنجلو، ١٩٧٥م، ص٨.
وكلمة «الدنان» تعني أوعية الخمر، والتعبير مجازي بالطبع، حيث يقصد إقبال أن الوعاء -البدن- مصنوع أو مولود في الهند، لكن ماءه أو دمه وروحه وثقافته إسلامية عربية.
وللتعرف على أثر رحلات الحج وغيره في توسيع التبادل الثقافي بين الشرق والغرب يراجع: خالد عبدالكريم البكر، الرحلات الأندلسية إلى الجزيرة العربية من القرن الثاني حتى القرن السادس الهجري، الرياض، ١٤٢٣هـ. وأيضا: عواطف محمد نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، مكتبة الملك فهد، ١٤١٧هـ- ١٩٩١م.

٦ - جمال حمدان، العالم الإسلامي المعاصر، القاهرة، دار الهلال، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ص٩٥.

٧ - في تاريخ كسوة الكعبة وخصائصها الفنية يراجع: كسوة الكعبة، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. وغازي مكاش، وحدة الفنون الإسلامية، بيروت، شركة المطبوعات، ١٩٩٥م. وثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م.

د. صلاح فضل توقه
باحث دراسات إسلامية



الحج وقدرية وحدة الأمة

جاء الإسلام بعد قرون طوال ليوحد الإنسانية ويبين لها مقاصد وجودها، وهي عبادة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦). وذلك بعد ضلالة عبادة غير الله من معبودات بشرية أو ظواهر طبيعة أو جمادات، ولإفراده تعالى بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٥)، وليخلصهم من عقيدة الشرك، التي تقوم على عبادة مخلوقات من دون الله، بدعوى أن يكونوا واسطة بينهم وبينه، أو ليقربوهم منه زلفى، وغير ذلك من الدعاوى والفلسفات الباطلة التي زينها لهم شياطين الأنس والجن؛ ليحلوا لهم الإشراك بالله، وقد رد الله سبحانه وتعالى على هذه الدعاوى وأبطلها بقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر:٣).

وكان في صفاء ونقاء العقيدة التي جاء بها الإسلام سبيل لوحدة البشرية، فبعد أن توحدت في عبادتها لله، واتجهت له، وأفردته سبحانه وتعالى بالعبادة دون ند أو شريك، جاءت الدعوة لإزالة الفوارق بين البشرية جمعاء، لأن أنسابهم وإن تعددت فإن أصلهم واحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

ومن هنا كانت بعثة النبي ﷺ، والأمر باتباعه والإيمان به توحيدا للبشرية جمعاء، برسالته الخاتمة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا



﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٨).

وقد أكد النبي ﷺ على هذه المعاني بقوله: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة» (١).

الأمر بالوحدة والنهي عن الخلاف

ثم كانت الدعوة لوحدة أتباع الرسالة المحمدية والأمر بها، لتخلص النفوس وتطهرها مما قد يكون قد بقي بها من أرجاس وثنية، ونعرات جاهلية باطلة، وعصبيات قاطعة قاتلة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣).

كما أكد على هذه الوحدة ودعمها بالدعوة إلى طاعته سبحانه وطاعة رسوله، والنهي عن الفرقة والتشرذم والخلاف، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال:٤٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» (٢).

وحدة الأمة في عبادتها

ولم تقف دعوة الإسلام للوحدة عند مجرد إشارات النصوص القرآنية،

أو النبوية، فالإسلام عقيدة ومنهج حياة وليس مجرد نصوص تدغدغ المشاعر، وتغيب العقل في متاهات المجادلات والمغالطات الفكرية! ولذا فقد تحولت هذه الدعوة إلى منهج عملي تحقق على عهد النبي ﷺ، ثم في عصور الخلافة الراشدة، وما تلاها من دول للخلافة سادت العالم، وما الخلافة العثمانية منا ببعيد.

ومن أجل وأصدق الممارسات العملية التي تربي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الوحدة، العبادات والشعائر الإسلامية التي فرضها الله عليهم، وفي مقدمتها الصلاة، التي من أجل إقامتها يجتمع المسلمون خلف إمام واحد، وباتجاه قبلة واحدة، ومن أجل الجماعة فضلت صلاة الرجل في الجماعة على صلاته فذا، أو منفردا، بسبع وعشرين درجة. فعن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة» (٣).

وفي الصيام يكون الإمساك عن الطعام لبدء الصيام في موعد واحد والإفطار في موعد واحد، ومظاهر رمضان كلها تنم عن وحدة الأمة؛ تجتمع الأمة أسرا على موائد الإفطار، وجماعات في صلواتها، ولمدارسة القرآن والاستماع إلى دروس العلم، وقد أثنى النبي ﷺ على هذا السلوك الجماعي في رمضان وغيره بقوله: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (٤).

الأمة مآلها إلى اتحاد ووحدة بعد تفرق وتشرذم.

والأمة اليوم في حالة من التشرذم والضعف، بل والعداء، بعضها لبعض، والفتن التي تعصف بها ليل نهار، مما جعلها فريسة سهلة، ثم تابعة ذليلة للأعداء، بعضها يد معهم على إخوانهم!

ولا عجب أن يصبح ديدن الأمة وسماتها الخلاف والتشرذم، خلافات سياسية، وخلافات فقهية، وخلافات جغرافية... وهكذا كل حزب فرح لاه بما عنده، معزول عن بقية الأمة، ففقدت الأمة صفتها الجسدية وتقطعت أوصالها.

ورغم هذا المشهد الذي يثير الحزن والحسرة في قلب كل مسلم صادق غيور، على حال الأمة، فإن الأمل يتجدد في عودة الأمة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن عادت إليهما توحدت وسادت، وهذا يقيننا الذي لاشك فيه، أننا سنتوحد وسنسود.

وهذه المعاني والإشارات تتجسد في فريضة الحج، التي تعبر عن وحدة الأمة بجلاء ووضوح لا لبس فيه، فالمتأمل في هذه الفريضة يجد أنها تأتي في نهاية العام الهجري، لينتهي العام بعبادة جامعة موحدة. فرغم اجتماع الناس في صلوات الفريضة، فإن المواقيت تختلف بين الدول على مدار اليوم للصلاة الواحدة، ورغم اجتماع المسلمين على فريضة الصيام، فإن جماعتهم



قد تكون محلية قطرية، نظرا لاختلاف ثبوت الرؤية الشرعية لكل بلد عن الآخر، رغم توصية مؤتمر جدة الإسلامي ١٤١٨ هـ، بتوحيد مطالع الشهور العربية وبخاصة شهر رمضان، غير أن طباع الفرقة تغلب التطبع على الوحدة!

ويأتي موسم الحج من كل عام ليذكر الأمة بمآلها إلى الوحدة، ويبشرها بتحقيقها، فالحج يأتي في نهاية العام بعد خلافات أو اختلافات في مطالع الشهور، أو فروق في مواقيت الصلوات، ليوحد الأمة المتفرقة ذاتها، في مطلع شهر ذي الحجة، ويوحدها في بقعة جغرافية واحدة (جبل عرفات)، وفي زمان واحد (التاسع من ذي الحجة)، وبزي واحد (ملابس الإحرام)، ونداء وتلبية واحدة (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك).



أخلاقيات الوحدة

والوحدة لا تقتصر فقط على الجوانب المادية الظاهرة، وإنما لابد لها من دستور أخلاقي يضبط ويوجه سلوكيات وأخلاقيات الأمة، آحادا وجماعات، لتقوم على الرحمة والصفح عن الآخرين، بعيدا عن الجدال والمناقشة التي تؤدي إلى الغضب والشقاق، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧).

وفي موسم الحج تتجلى مرجعية الأمة وقوام وحدتها في التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكل أمر الأمة، صغيرها وكبيرها، مرجعه إليهما. فعن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «خذوا عني مناسككم» (٥).

وحدة الأمة تؤكد الخلاف والتنوع في الرأي

وليس معنى وحدة الأمة أن تحمل على رأي أو مذهب بعينه، فهذا ينافي طبيعة البشر القائمة على التنوع والاختلاف، فوحدة الأمة وجسديتها، تقضي على الخلاف، وتسمح بالاختلاف في الرأي والنهج طالما كان له مسوغ من الشرع، ويحقق مقاصده في التيسير، دونما تفريط أو إفراط، فالجسد على اختلاف وتنوع أعضائه ووظائفها إلا أن كل عضو يتكامل مع غيره لينعم الإنسان بالحياة، وهكذا جسدية الأمة.

وقد بين لنا النبي ﷺ كيفية التعامل مع التنوع والاختلاف في الرأي واحتوائه وإيجاد السبل للتعبير عنه، طالما كان في حدود المسموح به شرعا ويندرج تحت باب التيسير، فأثناء حجة الوداع يأتي النبي من يسأله عن تأدية بعض المناسك فكان جوابه: «افعل ولا حرج»، هكذا بكل يسر وسهولة.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح. فقال: «اذبح ولا حرج». فجاء آخر فقال: لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمي. قال: «ارم ولا حرج». فما سئل النبي ﷺ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: «افعل ولا حرج» (٦).

وعد من الله بوحدة الأمة وسيادتها

وقد وعى أعداء الإسلام هذه المشاهد، وعرفوا دورها في وحدة الأمة، عاجلا أم آجلا، فهم وإن بذلوا قصارى جهدهم لتفتيت وحدة المسلمين وإشاعة الخلافات بينهم وصدهم عن دينهم، إلا أن موسم الحج يصيبهم باليأس والإحباط، ويفسد عليهم مخططاتهم، وهذا ما عبر عنه أحد المنصرين بقوله: «سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التنصير النصرانية ما دام للإسلام هذه الدعائم: القرآن، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي».

وهذه الأمور، وإن أصابت أعداء الإسلام باليأس والقنوط، إلا أنها تبعث الأمل والتفاؤل في نفوس المسلمين، وتبشر بوحدة الأمة وسيادتها، رغم ما يعتريها من هوان وضعف، وما تمر به من محن ونكبات، فهي أمور مقدرة منذ الأزل، ووعد ربنا الذي لن يتخلف: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

الهوامش

١- جزء من حديث، البخاري ومسلم.
٢- مسلم
٣- البخاري ومسلم.
٤- مسلم.
٥- أحمد ومسلم والنسائي.
٦- البخاري ومسلم.

د. أمان محمد قحيف
باحث أكاديمي



الحج.. منافع متعددة

يتبين لمن يتأمل بعض آيات الحج التي وردت في كتاب ربنا أن القرآن الكريم قد أشار إلى أن هناك العديد من الأهداف الدينية والاجتماعية والمعرفية التي يرنو الإسلام إلى تحقيقها والوصول إليها من خلال تأدية المسلمين فريضة الحج.. ويدخل كل ذلك تحت إطار عام أشار إليه القرآن الكريم وسماه «شهود المنافع».

واللافت للنظر أن صيغة الأمر بالحج في كتاب الله تعالى جاءت على النحو التالي: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ (الحج:٢٧ و٢٨).. فالمنافع التي جعل الإسلام الحج سبيلا لشهودها والحصول عليها -التي هي أول ما ذكر في نص الآية- عامة مطلقة، ولم تقيد بنوع دون نوع، ولا ناحية دون ناحية، وهي بعمومها وإطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد والمجتمع، ويمكن الإشارة إلى بعضها على النحو التالي:

أولا - طهارة النفس والتقرب إلى الله

يمر كل حاج، وهو في رحاب المشاعر المقدسة، بحالة من الصفاء الروحي نتيجة لانشغاله بالتلبية، والعبادة، والطاعة، والتسبيح، والتهليل، والتكبير.. وهذا الصفاء الروحي والارتقاء الإيماني لا يتحققان للمرء في أي مكان قدر تحققهما له وهو في رحاب بيت الله الحرام، حيث المناسك الطاهرة؛ ففي لبس الإحرام ارتقاء إيماني، وفي الطواف بالكعبة المشرفة ارتقاء إيماني، وفي السعي بين الصفا والمروة ارتقاء إيماني. وتبلغ الارتقاءات الإيمانية ذروتها في رحاب عرفات الله؛ وذلك للانشغال هناك بالله تعالى دون سواه، الأمر الذي يؤدي إلى تطهير الروح والنفس من متعلقات الدنيا ومشاغلها ومشكلاتها التي قد تحول بينها وبين صفائها

الإيمـانـي. ومعـلـوم أن تطهر الروح والنفس مع كثرة العـبادة يـؤدي -لا محالة- إلى القرب من الله عز وجل.

ثانيا - دعم روح الوحدة الإسلامية

إذا كـان ثمة روح تسري فـي نفوس المسلمين جميعا من مشارق الأرض إلـى مغاربهـا، معـبـرة عـن اشتياق مختلف شعوب العالم الإسلامي إلى السعي باتجاه إيجاد أي آلية أو وسيلة تدعم قضية الوحدة أو حتى التنسيق بين المسلمين في أرجاء المعمورة، فإن الحج يعد أداة فاعلة نحو دعم روح الوحدة الشعورية والنفسية للمسلمين جميعا.

والحق أن هذه المنفعة تأتي في صدارة «المنافع» التي تتحقق للأمة من خلال المـشـاركـة الجـمـاعـيـة بـين ضيوف الرحمن أثناء تأدية مناسك فريضة الحـج؛ لأن فيـوضـات الله ورحماته تنتشر على أجواء الطائفين والعاكفين والـركـع السـجـود، الأمـر الـذي يؤكد أخوتهم الدينية، ويوحد كلمتهم باتجاه الاعتصام بحبل الله جميعا دون أي حبل آخر.. وذلك امتثالا لقول ربنا:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ (آل عمران:١٠٣).

إذن ففريضة الحـج تساهم بشكل مـن الأشكـال فـي توحيد روح الأمة عـلى مستوى الشـعـور والإحساس، فالحجاج على مختلف مستوياتهم الثـقـافـيـة، وتـنـوع فـئاتـهـم العمرية، وتباعد مواطنهم السكنية «نراهم وقد نشرت عليهم مكة أجنحتها، وجمعتهم بكلمة الله، حول بيت الله، يتعارفون، ويتشاورون، ويتعاونون، ثم يعودون إلى بلادهم أمة واحـدة، متحدة القلب، متحدة الشعور والإحساس» (١).

وهذا إحساس ليس من السهل إدراكه في أي ظرف آخر غير ظرف صوم رمضان والاجتماع في رحاب البيت العتيق تلبية لنداء أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

ثالثا - التكريس لمفهوم المساواة بين المسلمين جميعا

معلوم أن كل من يقوم بتأدية فريضة الحـج يـرتـدي مـلابـس الإحـرام، ويقوم بالطواف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، ويقف بعرفة، ويرمي الجمرات.. كل ذلك يحدث في ظل ارتداء الجميع لملابس واحدة، بكيفية واحدة.

ولاشك أن ارتـداء زي موحد وأداء شـعـائـر واحــدة، يمـارسـهـا الجميع ويجـتـهـد فـي تـأديتـهـا كـل ضيوف الرحمن خـلال فـترة زمنية معينة، لاشك أن هذه مسائل من شأنها تعزيز معنى المـسـاواة بـين الجـمـيـع، حيث تلغى هنالك الفوارق بين الطبقات، وتزال كل أشكال الإحساس بالفوقية والتميز عن الآخـريـن، وتتراجع كل مشاعر الاستعلاء أو الاستقواء إلا بالله تعالـى. ومعلـوم أن هـذه أمور تصب في النهاية في مصلحة التوافق المجتمعي والتـآخي بين أبنـاء الأمة الواحدة من أقصاها ذات الشرق إلى أقصاها ذات الغرب.

مـن ثـم، فـإن الـراصـد لسلوكيات العائدين من الرحلة المباركة يتبين له حرصهم على التعامل مع الناس بتواضع شـديـد وإخـوة بالغة، حيث تكون النفس قد اعتادت الاصطفاف مع الجميع من دون تميز أو إحساس بالخصوصية؛ لأن الحاج -أي حاج- يتساوى مع الجميع في الطواف حول الكعبة، فلا تقديم لأحد على أحد، ولا تـأخـيـر لأحـد مـن أجـل أحـد.. والجميع يتساوى أيضا عند السعي بـين الصفـا والمـروة، فـالهـرولـة هي سلوك كل من يقدر عليها، والاجتهاد في إنهاء الأشواط السبعة هو هدف يـحـاول كـل حـاج إدراكـه والوصول إليه، لا استثناء في ذلك ولا خروج عنه.. والأنفس تتساوى جميعا أثناء الوقوف بعرفة، فالجمع يقضي يومه هناك داعيا، ملبيا، مستغفرا، مبتهلا، ومصليا على رسول الله ﷺ.

بالتالي فليس أفضل من ذلك ميدان يـكـرس لـلـمـسـاواة، ويـؤكـد معنـى أن الـنـاس سـواسـيـة عند ربهم كأسنان المشط.. وهناك يتحقق المعنى التام لقول ربنا سبحانه وتعالى في محكم التـنـزيـل: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (الحجرات:١٣).

رابعا - تحقيق الانفتاح على المجتمع الإسلامي

قد تمر السنون والأعوام على الفرد المسلم من دون أن يتمكن من التنقل بين أرجاء العالم الإسلامي ومن دون الحصول على فرصة تتيح له الاطلاع عـلى أحـوال إخـوانـه مـن المؤمنين.. فالمواقع الجغرافية بـين بعض دول المسلمين على قدر من التباعد بحيث تتضاعف مشقة الانـتـقـال وتصعب إمكانية التواصل.

وهنا يأتي التشريع الإلهي في الحج ليعالج هذه النقطة؛ إذ يأتي المسلمون من مختلف أرجاء المعمورة ويجتمعون حول بيت الله الحرام ملبين، مكبرين، مهللين، تـشـرئـب أعـنـاقـهـم، وتتلاصق أجـسـادهـم، وتـتـواصـل أفئدتهم وقلوبهم، وتتفاعل عقولهم وأفكارهم، فيلتقي المسلم القادم من شرق آسيا بأخيه فـي الـديـن الـقـادم مـن غـرب إفريقيا، ويتعرف المسلم الوافد من شـمـال أوروبـا عـلـى المسـلـم القادم مـن جـنـوب الـقـارة الـسـمـراء، ويرى

المسلمون القادمون من الأميركتين إخوانهم في العقيدة القادمين من كل بقاع الأرض.. وصدق الله العظيم القائل: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧).

من هنا يتحقق نوع من الانفتاح على مختلف الأوطان والجنسيات التي تدين بالإسلام، وهي فرصة لا تتاح للمسلم إلا في هذا التجمع المبارك وذلك اللقاء الطاهر، الأمر الذي يؤدي بالمؤمن إلى تدبر خلق الله وحكمته في اختلاف الألوان واللغات والقوميات والأجناس.. ويؤدي إلى مزيد من معرفة طباع الناس وأحوالهم.

واللافت أن التواصل الإنساني بين الحجاج يكون في أسمى درجاته وأرفع معانيه؛ نتيجة لارتقاء إيمانياتهم وتنامي روحانياتهم، على الرغم من اختلاف لغاتهم وتعدد أوطانهم وتباين ألوانهم، مما يجعل المرء يدرك أن الرابطة الدينية لها من التعالي والسمو بحيث تفوق مختلف الروابط الأخرى في الجمع بين أفئدة المسلمين وأرواحهم.

وكثيرا ما يؤدي هذا الانفتاح على الآخرين إلى زيادة في محصول الوعي والمعرفة لدى الحجاج بعظمة الإسلام وروعة تشريعاته التي اقنعت أمما متباينة وشعوبا مختلفة في اللغة واللون والأصل والثقافة.

والحق أنه لولا عظمة شريعتنا ونقاء عقيدتنا ما «انفتحت لدعوة الإسلام عقول الأمم وقلوبها، على تنائي أقطارها، واختلاف ألسنتها وألوانها، ونظمها وعوائدها وموروثاتها» (٢).

ولقد ساهم انفتاح الأمم الإسلامية بعضها على بعض في مواسم الحج المتتالية منذ زمن الوحي إلى الآن في صبغ المجتمع الإسلامي، أينما كان وحيثما كان، بصبغة متشابهة، حتى تقاربت الروح الاجتماعية والطبيعة الشكلية في ديار المسلمين في شرق المعمورة وغربها.. ولقد أدى هذا الانفتاح أيضا إلى القضاء على العادات والقيم الفاسدة التي كانت موروثة داخل بعض المجتمعات التي دخلها الإسلام؛ حيث بتعليمات هذا الدين الحنيف تم القضاء على العديد من الخصال والعقائد البالية التي كانت منتشرة بين تلكم الأمم قبل دخول دين الله إليها.

خامسا - إطعام الفقراء والمساكين

حدد الشارع الحكيم المصارف التي تصرف فيها لحوم الأضاحي وذلك في الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج:٢٨).. وقال ربنا -عز وجل- في سياق مشابه: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج:٣٦).

بهذا المعنى أجاز الشارع الحكيم لصاحب الهدي أو الأضحية أن يأكل منها على أن يذهب الباقي إلى الفقراء والمساكين غير القادرين، سواء منهم من قنع وجلس في داره وتعفف أو من جاء يطلب نصيبه منها.

ومن هذا المنطلق يتبين لنا البعد الاجتماعي في هذه القضية، حيث يحرص الإسلام على إطعام الفقراء والمحتاجين من المسلمين من خلال لحوم الأضاحي وذبائح الحجيج.. ولاشك أن هذا من الأهداف النبيلة التي يسعى الإسلام إلى تحقيقها من أجل التكريس لزرع المحبة والتآخي بين الفقراء والأغنياء من أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.. وهي مسألة اجتماعية لا يشك أحد في كونها عظيمة الفائدة متنوعة المنافع للمسلمين جميعا.

هكذا ينتهي الأمر بنا إلى إدراك أن هناك العديد من المنافع المتعددة الصور والمتباينة الأشكال التي يحققها المجتمع الإسلامي من خلال تأدية بعض أعضائه فريضة الحج في كل عام، ولنا أن نقول: إذ لم يتحقق ذلك فثمة قصور شديد في فهمنا لفلسفة هذا التشريع الرباني العظيم.

ونشير إلى أن اختزال الحج في شكله التعبدي وصورته الشعائرية فحسب يعد عجزا عن تطبيق كامل التشريع الحكيم الذي وضعه ربنا سبحانه وتعالى لتلكم الفريضة الإسلامية الكبرى «ذلك لأن الإسلام لم يجعل الحج عبادة وحسب، ولكنه جعله في الوقت نفسه قياما للناس، وموسما لتبادل مصالحهم، في مختلف وجوهها وأنواعها، بل إنه لأمر ما، جعل هذه قبل تلك في معرض بيانه للغاية المنشودة من رحلة الحج، ألا تستمع إلى قول الله جلت حكمته: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ﴾ (الحج:٢٨)» (٣).

الهوامش

١- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، ط١٨، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٣٠.

٢- دكتور محمد عبدالله دراز، نظرات في الإسلام، تحقيق محمد موفق أبواليسر البيانوني، مكتبة الهدى، حلب، سوريا، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص٩٤.

٣- المصدر نفسه، ص٨٦.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمـل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.



ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

د. مجدي حسن
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

الأضاحي بين سفك الدم

تتردد بين الحين والحين شبهات تثار حول الإسلام، وتطلق سهاما تحاول النيل منه، وإصابته في مقتل، غير أن سعيها يضل وتتبدد، فلا تصل إلى الهدف، بل تسقط في أثناء الطريق فلا تقوى على إصابة الهدف، ولم يبقوا على إفكهم في أفواههم، ولكن الله تعالى أظهر ما تخفي صدورهم من المكر والكيد للإسلام وأهله.

ما الحكاية؟

منذ عدة سنوات قرأت في إحدى الجرائد أن إحدى الجهات الرسمية في بلاد الغرب تناشد المسلمين في عيد الأضحى الرفق بالأنعام، وتناشدهم عدم سفك الدماء، فذلك يتنافى مع الرحمة والرفق بالحيوان!

ويتمادى بعض الفلاسفة في إثارة هذه الشبهة -كل إطلالة لعيد الأضحى- بل قامت بعض الجهات الرسمية في بلاد الغرب بمخاطبة المسلمين المقيمين هناك في بلادهم بأن يلتزموا الرفق والرحمة بالحيوان، وألا يسفكوا دماء الأنعام أيام عيد الأضحى.

سؤال لا يحتاج إلى إجابة

فإجابة هذا السؤال مركوزة في الفطر والنفوس المستقيمة والعقول السليمة، لماذا خلق الله الأنعام؟

هل خلقت للتربية، والتنعم، والاقتناء، وحبسها في حدائق الحيوان للعرض والمشاهدة ورؤيتها عن قرب، أو لتقديم عروض في السيرك، أو إطلاقها في حدائق الحيوان المفتوحة؟ أم خلقت لتحمل واجبات الأمانة على الأرض بدلا من الإنسان؟ لا، إن الله تعالى خلقها وسخرها للإنسان لتعينه على القيام بواجبات الاستخلاف، عملا وجهدا مبذولا ومصادر طعام، ليستطيع الإنسان القيام بعمارة الأرض وسد حاجاته من هذه الأنعام، فهي مصدر للطعام واللحوم والألبان، ومصدر للباس بأوبارها وأشعارها، ووسائل مواصلات، وناقلات تحمل ما يريد الإنسان نقله من أثاث ومتاع في حله وترحاله إلى آفاق الأرض.

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (النحل:٥-٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ (النحل:٦٦).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (النحل:٨٠).

إن المتابع لتاريخ البريد والمراسلة لا ينكر استخدام الحمام الزاجل وغيره في المراسلات البريدية قديما، ولا ينكر أن تناول الحمام من أشهى المطعومات في كل عصر ومصر.

إن القرآن الكريم يعلمنا أن هذه الأنعام من نعم الله تعالى على البشرية لتلبية ضرورات وحاجات البشر للتزود والاستعانة بها على القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض.

ففي الأنعام منافع: دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، ومنافع في الألبان واللحوم، فمنها يأكلون لحما ولبنا وسمنا، ومنافع في حمل الأثقال إلى البلاد البعيدة التي لا يبلغونها إلا بشق الأنفس.

وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء وعند السرح في الصباح، جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة رائعة صحيحة سمينة.

وفي الخيل والبغال والحمير تلبية للضرورة في الركوب، وتلبية لحاسة الجمال في الزينة، فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب فحسب، بل تلبية لحاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان (١).

الأنعام بين الإسلام والغرب

ترى هل الغرب يتشارك معنا في هذه الضرورات الملحة للانتفاع بالأنعام أم أنهم أعلنوا الصيام عن اللحوم والألبان رحمة بالحيوان؟! هل يتشاركون معنا في الانتفاع بجلودها للحاجة والضرورة كلباس يقي الحر والبرد القارس أم كفوا أيديهم عن الاعتداء عليها وسلخ جلودها؟!

هل يتشاركون معنا في الانتفاع بأشعارها وأصوافها وأوبارها لصناعة الملابس في الأماكن الشديدة البرودة أم أنهم يكتفون بـ «الأندروير» و«البكيني» و«الاسترتش»، لمواجهة

ـــــاء والرفق بـالحيوان!

موجات الصقيع؟! هل يتشاركون معنا في الانتفاع بألبانها وصناعة الأجبان بأنواعها الكثيرة وصناعة السمن وغير ذلك أم أنهم تحرزوا من ذلك رحمة بالصغار حتى لا يحرموا صغار الأنعام من ألبان أمهاتهم؟!

إن المشكلة ليست معقدة، بل سهلة بسيطة ساذجة، إن البشرية كلها في كل مكان على وجه البسيطة تدفعها الضرورة والحاجة إلى الانتفاع بالأنعام على كل هذه الأوجه التي بينتها آيات سورة النحل، ووجه الاختلاف في الطريقة التي يشرعون فيها للوصول إلى المنافع، في طريقة تهيئتها للتناول والانتفاع بكل ما فيها.

السهام ترتد إلى الفكر الغربي

ألم ييأس الفكر الغربي والعقل الغربي من إثارة الشبهات حول الإسلام؟ ألم ييأس من مناصرة الباطل على الحق؟ ألم ييأس من محاولات الكيد للإسلام؟

إن من حقنا أن نسأل ونحاكم العقل الغربي والفكر الغربي:

إذا كنتم حقا تنادون بالرفق بالحيوان، فلماذا تخرس الألسنة عن المناداة بالرفق بالإنسان؟ أليس الإنسان أولى بالرفق من الحيوان؟

أين هذه الألسنة وهذه الأقلام الداعية للرفق بالحيوان إبان الحروب الصليبية؟ والحربين العالميتين الأولى والثانية؟ أين كانت عندما ألقيت القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكي؟ أين كانت إبان حرب فيتنام؟ أين هذه الأصوات وهذه الأقلام في كل مناطق الصراع التي يشارك فيها الغرب؟ تجاوزات لا نهائية في سفك الدماء والإفساد في الأرض.

ونحاور العقل الغربي قائلين:

أليس الصعق الكهربائي على اختلاف أنواعه تعذيبا للأنعام؟! ألا يؤدي في بعض الأحيان إلى إحداث شلل في الأنعام، ومعلوم ما ينتج عن ذلك من آلام؟! أليس الخنق وتعليق المشانق تعذيبا للحيوان؟! أليس الضرب بمثقل أو بمطرقة أو بمثقاب على رأس الأنعام تعذيبا لها؟! أليس القتل بالرصاص تعذيبا للحيوان؟! أليس وضع الأنعام على النار للشواء وهي على قيد الحياة تعذيبا لها؟! كل هذا من الأساليب الغربية البديلة للذبح عند المسلمين.

لماذا لم يناشد العقل الغربي وجمعيات الرفق بالحيوان دول العالم الكف عن لعب مصارعة الثيران -وهي لعبة فيما أعلم لا تمارس إلا في بلاد الغرب- لما فيها من تعذيب وإلحاق الضرر والأذى والتسلي بتعذيب الثيران وإسالة دمائها واللعب على آلامها حتى تسقط مضرجة في الدماء تتألم وتئن من سهام العذاب وأوجاع اللهو غير المبرر؟!

أين الرحمة؟ أين الرفق؟ أين العواطف الجياشة؟ أين الدموع والبكاء على الرفق بالحيوان؟

كذلك ما يحدث هناك من ألعاب للتحريش بين الديوك وغيرها من الأنعام والطيور؛ هذه الألعاب التي اجتمعت كلمة الفقهاء على تحريمها لأنها خرجت بها عن الحكمة من خلقها.

فشريعة الإسلام أباحت الذبح حال الضرورة للانتفاع بها كطعام، غير أنها حرمت اللهو واللعب على أشلاء ودماء هذه الأنعام وتلك الطيور، كذلك حرمت الاعتداء الضار والمؤذي لهذه الكائنات الحية.

إن الإسلام بتشريعاته الكثيرة يحمي حمى الأنعام، ويحيطها بالرعاية والعناية والحفظ، فعلى سبيل المثال لا الحصر يجعل تعذيب الحيوان أمرا يستوجب عذاب الله تعالى.

فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (٢).

وعن سعيد بن جبير قال: مر ابن عمر، رضي الله عنهما، بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا (٣)، (٤).

وفي رواية: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لعن الله من مثل بالحيوان» (٥).

ألا فليسقط هذا القناع الزائف للغرب، ألا فليكف الغرب ألسنته وأقلامه عن محاولات النيل من الإسلام، وليعلموا.. أن غبار الأنعام لن يصل حتما إلى عنان السماء.

الهوامش

١- في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢١٦١/٤، بتصرف.

٢- أخرجه البخاري ٣٣١٨، واللفظ له، ومسلم ٢٢٤٢.

٣- غرضا: أي هدفا يرمى إليه بالنشاب والسهام وغيره.

٤- أخرجه مسلم، ١٩٥٨م.

٥- أخرجه النسائي ٤٤٤٢، وابن حبان ٥٦١٧.

حسين وهدان
كاتب صحفي

أعقاب الطاعات أعياد

إذا تأملنا حال العباد بين رابح للحسنات وبين مقترف ذنوبا؛ نجد عجبا، فالحسنة لها تابع من الأفراح التي تشرح الصدر وتسُر الخواطر، ويرصد بها الله للعبد بعد قبولها رصيدا -لا ينفد- من الحسنات والمثوبة، وأما المعصية فهي نذير غضب إلهي وشؤم بين الناس، ولا شك أن الذنب يستدعي ضيق الصدر ويسد على العبد أبواب التوفيق، وللعصاة موعد يوم القصاص لا يخطئهم ولا يخطئونه إن لم يتوبوا ويستبدلوا ذنوبهم بأعمال صالحات.

فدائما بعد الطاعات أعياد ليست كبقية الأعياد، إنها لا تضم تلك الاحتفاليات والمباهج الشكلية التي ترسمها الأعياد المعروفة في حياة الناس، ولكنها أعياد إيمانية في قلب المؤمن يتذوق من خلالها جلال القرب من ربه تعالى وتبعيته لكتابه ولرسوله ﷺ، ويأنس بعدها في رحلات قلبية مشوقة إلى ذكراها.

أعياد هي بالنسبة لأصحابها رأس مال لا ينتظم في الأخلاف من المرابح المادية، ولكنه من أعظم ما يكتنزه المؤمن طيلة رحلة عمره في خزائن القلوب.

وأكرم بتشريعات الإسلام التي تسعد قلوب المؤمنين بعد موسم حافل بالطاعات والقربات، والمؤمن يجاهد رغائبه ومآربه ويقفز فوق أشواك الهوى، ويلجم النفس بلجام التقوى في رحلة قوامها شهر كامل، ليتم الاستفادة والانقياد للقلب والبدن في صورة أشبه بالتدرب العملي في معسكر الصيام على معالي الأمور، والبعد عن سقطها وسفاسفها.

إن حصاد الخير في النفوس من الحسنات والطاعات لكفيل بملء فراغ القلوب بهجة وسعادة وأنسا، وهذا بعض آثار الطاعات الكثيرة في شهر الصيام، كأن الشارع الحكيم أراد أن يكافئ الصائمين القائمين العابدين المتصدقين والباذلين للخيرات بعيد الفطر الذي يعد منحة مباركة من الله تعالى واهب النعم، ذكر ابن رجب في اللطائف ما نصه: «إن الصائمين يرجعون يوم الفطر مغفورا لهم وإن يوم الفطر يسمى يوم الجوائز» (١).

وعيد الأضحى يوافي المؤمنين بعد مراحل من العبادات المتعاقبة في البلد الحرام، يتنقلون فيها بين الطواف للبيت الحرام، والصلاة بين الركن والمقام، والشرب من زمزم الرواء، والسعي بين الصفا والمروة، والتطيب بالوقوف على عرفات، والنفرة إلى المزدلفة، والمكوث في منى والإفاضة، وكانت مكافأتهم كأهل الصيام بعد رمضان، أتاهم العيد ليكون خاتمة السعادة لطائفة من العبادات العملية الطيبة.

وهو كذلك كان توفية لحسن التعبد من الخليل والذبيح عليهما سلام الله، ألا وإن اكتساب الخلة ليس بالشيء الهين، إذ لما بذل نبي الله إبراهيم عليه السلام ماله للضيفان، وبدنه للنيران، وولده للقربان؛ فاستحق أن يسمى عند الله خليلا، والخلة أصفى وأوثق معاني القرب، وبما أن التكليف على الوالد والولد كان صعبا لا يطاق في مجرد تصوره، بيد أنهما قد نجحا في الاختبار الذي يقع فيه أكابر الخلق، فقد صار اليوم في بدايته التاريخية لهما عيدا: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الصافات:١٠٤-١٠٥)، كما أنه عيد مكتمل الأركان لأمة الإسلام.

وفي يوم الفطر تلوح أعلام البهجة للنفوس في بيت النبوة، ويترك النبي الإنسان ﷺ مساحة من الترويح لينتشر الفرح ويعم السرور، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار في يوم بعاث»، قالت: «وليستا بمغنيتين»، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت النبي ﷺ؟ وذلك في يوم عيد الفطر، فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا» (٢).

ويتكرر مثل ذلك في منى يوم عيد الأضحى والنبي ﷺ لا يرى به بأسا، إن أبا بكر دخل عليها في أيام عيد وعندها جاريتان تغنيان وتدففان وتضربان ورسول الله ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه وقال: «دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد وتلك أيام منى»، قالت عائشة رضي الله عنها: «ورأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم

يلعبون في المسجد وأنا جارية» (٣).
ومن تمام الشعور بالعيد وبهجته فقد نهج الشرع الكريم منهج المنع للصيام في يومي العيد على سبيل المكافأة والتوسعة أيضا، فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن النبي الكريم ﷺ: «نهى عن صيام هذين اليومين، يوم الفطر ويوم الأضحى، أما يوم الفطر، فيوم فطركم من صيامكم، ويوم الأضحى، تأكلون فيه من لحم نسككم» (٤).
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيد لأهل الإسلام وهن أيام أكل وشرب» (٥).
وهكذا؛ أعقاب الطاعات لا شك أعياد، وليس هناك أسمى في معاني الأعياد من دخول الجنة بعد إنفاق العمر في طاعة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (النساء:١٣)، ومن أعياد الطاعات صحبة النبيين في الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩)، ومن أعياد المؤمن أن يفوز في كل منازله في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧١).
ومن بديع الأعياد أعقاب الطاعات منحة قبول الدعاء في ختام يوم الجمعة، جاء إثر صور من الطاعات المتتابعة في يوم واحد، بدء من صلاة الصبح في جماعة بالآيات الواردة عن النبي ﷺ، والتهجير «التبكير» إلى صلاة الجمعة، والاغتسال، وصلاة الضحى، والتعطر والسواك، ولبس ثوب مخصوص ليوم الجمعة، وقراءة سورة الكهف، والتوجه للإمام ومحاولة الاستفادة منه في خطبته، وصلاة سنة الجمعة بعدها، والابتغاء من بقية فضل الله تعالى في النصف الأخير من يوم الجمعة؛ كل ذلك وأمثاله من بدائع الطاعات يفئ من المنح والمكافآت عيد القبول للدعاء على مقتضى قول النبي الكريم ﷺ: «إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد وهو يصلي يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه»، قال: وعبد الله ابن سلام يذكر عن رسول الله ﷺ قال: «نعم هي آخر ساعة. قلت إنما قال: وهو يصلي وليست تلك ساعة صلاة، قال أما سمعت أو أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: من انتظر الصلاة فهو في صلاة» (٦).
أما أعقاب المعاصي فهي أشباه رؤوس الشياطين، حيث يضيق صدر العبد إذا عصى مولاه وتنفتح عليه شوارد الهموم من كل جانب، قال الله تعالى عن أبي البشر آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه:١٢١)، وينزل آدم عليه السلام إثر المخالفة من الجنة إلى الأرض للعداء والكبد والتدافع ومغالبة الهوى والشيطان، وتلك أعقاب المعاصي، ولقد كانت الخاتمة الحسنى في قصة أبي البشرية عليه السلام أن تاب الله تعالى عليه بعد إيابه إلى مولاه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٣)، وأنعم الله عليه بقبول توبته: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه:١٢٢).
وأعقاب الذنوب آثار شبيهة بالظلمات يركب بعضها فوق بعض في الدنيا والآخرة، فمن زنى له الجلد والرجم، ومن سرق تقطع يده، ومن شرب الخمر يجلد حتى يتوب، ومن سل سيف البغي على أمته والمسلمين يعامل بحد الحرابة الشهير، إنها قوانين إلهية رادعة لينتظم عقد المجتمع ولتطيب حياة الناس، مع بقاء الجرم ومغبة الذنب التي تورث العذاب الأليم في الآخرة لمن لم يتب توبة نصوح: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (القلم:٣٣).
وعلى الجانب الروحي والقلبي تترى مساخط المعاصي كنهر الأحزان، فقد قال النبي الكريم ﷺ: «من ترك ثلاث جمع متهاونا طبع الله على قلبه» (٧).
ومن القياس الفاسد في العقول أن يسوي الإنسان بين أعقاب الطاعات وأعقاب المعاصي في الثمرة والمآلات، فلا سواء على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح:١٧)، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١).
نستمنح الله الوهاب أن يفيء علينا من مغانم الأنس به ما يسعد قلوبنا، وأن يرزقنا رضاه، وأن يحفظنا من مغبة معاصيه.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.
والحمد لله في بدء وفي ختم.

الهوامش

١- ابن رجب الحنبلي - لطائف المعارف ص ٢٨٣ ط١ دار الحديث/ القاهرة ٢٠٠٥م.
٢- الألباني في صحيح ابن ماجه ١٥٥٢، بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها.
٣- صحيح ابن حبان ٥٨١٧، عن عائشة رضي الله تعالى عنها.
٤- الألباني في صحيح ابن ماجه ١٤٠٩. وقال: حديث صحيح.
٥- ابن جرير الطبري في مسند عمر ٣٤٦/١. وقال: حديث صحيح.
٦- الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٩/٢. وقال: رجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما
٧- محمد جار الله الصعدي في النوافح العطرة ٣٧١، بسند حسن عن أبي الجعد الضمري.



القاهرة - عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

علماء ومفكرون لـ «الوعي الإسلامي»:

قدسية الإنسان والمكان في الإسلام.. وحي إلهي

يقال إن «الشيء المقدس هو المبارك الذي يبعث في النفس احتراما وهيبة»، وهو الأمر الذي يظهر بجلاء في عناية شريعة الإسلام بقيمة الإنسان والمكان بصرف النظر عن انتمائه الديني؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

ومن هذا المنطلق، أكد علماء ومفكرون لـ «الوعي الإسلامي» أن الشريعة الإسلامية تنظر إلى حقوق الإنسان باعتبارها فرائض إلهية وواجبات شرعية، بينما تراها الحضارة الغربية مجرد «حقوق» قابلة للخرق إذا استدعى الأمر ذلك. وأشاروا إلى أن الإسلام حفظ كرامة الإنسان، وجعل المساس بنفسه أو ماله أو عرضه جريمة منكرة تستوجب أشد العقاب، كما أكدوا أن الإسلام أعطى للإنسان حريته كاملة في اختيار الدين الذي يؤمن به، ووضع مبدأ راسخا بأنه «لا إكراه في الدين».. مزيد من التفاصيل في سياق التحقيق التالي.

نبدأ مع فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني، الأستاذ بكلية الشريعة بمكة المكرمة، الذي يؤكد أن الإسلام حوى مجموعة من الشرائع الخالدة، التي كرمت الإنسان، وجعلت المساس بنفسه أو بماله أو بعرضه جريمة منكرة، وجعل لها عقوبات رادعة؛ فالبغي في الأرض بالقتل والسلب والاعتداء على الآمنين جرائم عالجها الإسلام بشدة وصرامة؛ حتى لا يعيث المجرمون في الأرض فسادا، ولا يكون هناك ما يخل بأمن الأفراد والمجتمعات، قال الله

تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٣٣)، وقال أيضا: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (المائدة:٣٨).

وأضاف: «الإسلام دين إنساني لا يفرق عند إقرار العدل بين مسلم وغير مسلم؛ فلا يجوز ظلم أي إنسان ومنعه من حقه الذي وهبه الله إياه في حياة كريمة شريفة عادلة، مهما كان دينه وجنسه ولونه؛ بل الإسلام يدعونا إلى نصرة أي مظلوم في الأرض».

تحقيق العدل

وتابع د. الصابوني: «رب العزة والجلال قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ (النساء:١٠٥) ولم يقل «بين المسلمين أو بين العرب فقط»، بل قال ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي لتحكم يا محمد بالعدل بين جميع الناس، لأن الله لا يرضى بالظلم، وإن من لا يرضى بالظلم سينصر المظلوم، أيا كان».

وأشار إلى أن الله عز وجل أنزل في القرآن الكريم آيات في سورة النساء دفاعا عن يهودي مظلوم وعتابا للرسول الكريم ﷺ وبعض المسلمين، لأنه حكم على يهودي وبرأ المسلم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ

د. الصابوني: الإسلام دين إنساني لا يفرق في عدله بين أتباعه ومناوئيهم

أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ (النساء:١٠٥-١٠٩)، ومع أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أصدر حكمه بناء على ما سمع من أدلة، فهو حكم بالدليل، لكن الله عاتبه ودافع عن اليهودي ونصره لأنه مظلوم.

وأوضح أن الإسلام دعا الناس إلى الأخلاق السامية في التخاطب، بالإضافة إلى الأدب في الكلام واللطف في المناظرة واللين والبساطة في الدعوة؛ لكسب عطف الناس وثقتهم بنزاهة قصده وصدق توجيهه. وشدد على ضرورة أن يلتزم الأئمة والدعاة بهذا المنهج، وألا يكرهوا الناس في الدين، وأن يسهلوا عليهم أمور دينهم من دون مخالفات، وأن يبتعدوا عن التشدد الذي يضر ولا ينفع.

د. العوا: حقوق الإنسان «فروض واجبة».. والوطن يصنع الهوية ويعزز الانتماء

وتابع: «على الأمة أن تنهض وتحيي تراثها الذي صان الإنسان والعرض والأرض؛ من خلال تربية النشء على قيم الإسلام السمحة وتعليمها للأطفال حتى في المناطق التي تشهد حروبا ونزاعات. وهذه الآداب والأخلاق والصفات الإنسانية فطرة الإسلام، فنجد الأطفال معجبين مثلا بمن يحنو على الحيوانات ومن يزرع شجرة أو يروي أرضا، وعلينا دعم هذه الأفكار».

ولفت إلى أن من إنسانية الإسلام أن حرم التخويف والترعيب والإشارة بالسلاح، ولو بطريق اللهو، في وجه المسلم، كما حرم كل صفة ذميمة، ووضع آدابا حتى في المأكل والمشرب والحديث بقصد عدم إزعاج الآخرين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار» (متفق عليه)، وفي رواية لمسلم قال: قال ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».

وتابع: «نرى أحداثا خرجت عن الإنسانية، ويتخذها أعداء الدين ذريعة لمهاجمة الإسلام. وبدورنا نقول إن الأخطاء واردة، ولا يمكن تعميمها على الأصل، وعلى وسائل الإعلام ومسؤولي التعليم والدعاة دور كبير في ثلاثة أمور: أولها نشر صور العفو في الإسلام والتسامح ونشر أخلاقه التي اختفت بين الشباب إلا ما رحم ربي، ثم لابد من تنقية التراث من القصص غير الواقعة؛ فهي تضر ولا تنفع، تبعد الناس عن الدين ولا تقربهم منه، وكذلك لابد من العمل على تثقيف الشباب بعظمة إسلامهم وتوعيتهم لكي لا يلتفتوا إلى مبادئ الغرب المشبوهة التي تظهر بمظهر حسن وهي -في حقيقتها- تستهدف دمار الأمة».

تقدير الإنسان والوطن

المفكر الإسلامي د. محمد سليم العوا أكد بدوره أن الإسلام سبق العالم وكل المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان منذ أكثر من ١٤٠٠ عام بترسيخ مبادئ حقيقية تحفظ الإنسان، وتكرمه، وتحفظ الأرض والنسل والعرض والمال والدين، كما أمر، وأوجب تنظيم الدفاع عنها.

وأشار إلى أن الإسلام نظم الدفاع عن حقوق الإنسان بأمور عدة؛ منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، ومواجهة الظلم، والآيات على ذلك كثيرة؛ منها قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤)، والأمر بالعدل والإحسان في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠)، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢)، وكذا قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وأضاف: «الشريعة الإسلامية تنظر إلى حقوق الإنسان على أنها فرائض إلهية وواجبات شرعية، في حين أن الحضارة الغربية تراها مجرد «حقوق»، وأحد الفروق الجوهرية بين الحق والواجب، أن الأول قابل للتنازل عنه وممارسته ليست ملزمة، بينما الثاني لا يستطيع صاحبه إسقاطه ويأثم إن فرط فيه أو تنازل عنه».

د. حلمي: الحضارات ليست نسيجا واحدا في قيمها.. وعلى المسلمين الأخذ بقيم دينهم

وأشار إلى أنه إذا كانت حقوق الإنسان في نظر الإسلام «فروضا واجبة»، فإن التعاون على تحقيقها تعاون على البر لا ريب فيه، والتعاون على منع انتهاكها تعاون على منع الإثم والعدوان بلا مراء؛ ومن ثم فإن «منع الظلم في سياق تكريم الإنسان» مبدأ إسلامي أصيل؛ فالله تبارك وتعالى يأمرنا بالعدل والإحسان ويتوعد الظالمين في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى:٤٢)، ويعد المظلومين بحسن العاقبة في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤١)، وينذر القرى الظالمة بالهلاك في مثل قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ (الحج:٤٥)، وقول الرسول ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». وقوله ﷺ أيضا: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

د. عبدالحي: الانتماء لا يكون بترديد الشعارات والأغنيات.. لكن بالتنمية والعلم

وتابع: «في هذه الأحاديث وأمثالها نرى الخطاب موجها إلى جماعة المسلمين، والحديث عن «الناس» بلفظ الجمع يؤكد أن العمل في هذا الشأن «جماعي» لا يقوم به إلا مجموع أفراد يصدعون بالأمر النبوي الشريف، ولم يأت الأمر على هذا النحو إلا إيذانا بأن «الفرد» مهما بلغ تأثيره لا يستطيع أن يصنع في هذا الشأن صنيع الجماعة».

وعن قدسية الوطن أضاف العوا: «الوطن يصنع هوية الإنسان، ويمنحه نعمة الانتماء، ويصنع له علاقة بالآخرين ثابتة فيه، يرسخها تاريخ الآباء والأجداد وتمتد في الأبناء والأحفاد. وحب الأوطان يقتضي حمايتها من الشرور، والذود عنها عند المحن، وتقوية الحق فيها، ورد الباطل عند الفتن»، موضحا أن الإسلام أمر بحفظ الأرض وإعمارها، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة:٦٠)، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦)، وقال النبي ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة».

نظام أخلاقي

إلى ذلك، يوضح د. مصطفى حلمي، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، أن الإسلام أسس نظاما أخلاقيا يهدف إلى حماية الإنسانية جمعاء، ويوجهنا نحو السيطرة على النفس بالذات، ويعلمنا كيف نسلك على غير ما تريد دوافعنا الباطنة؛ فلا يترك نشاطنا ينساب في مجراه على هوى، ولكن يعلمنا كيف نقدم السلوك بمجهود. ولذا، فإن كل فعل أخلاقي يتضمن مقاومة نبديها لميل معين وكبتا لشهوة ما وتقييما لنزوع خاص.

وأضـاف: «العقيدة قامت مكتملة الأركان من حيث عقيدة التوحيد وتكريم الإنسان وإخضاعه لله تعالى وحده وكفالة تحرره من سلطان العقائد الوثنية والعقائد الباطلة. وجاء الإسلام فخلص البشر من العبودية لغير الله، وحررهم من الخضوع للأوثان والأحجار والآلهة الزائفة، وأعطى الإنسان مكانة متميزة باعتباره كائنا سخر الله له ما في الكون جميعا؛ فكان ذلك دافعا للنظر في ملكوت السماء والأرض والسير في مناكبها بحثا وتنقيبا وتطلعا واكتسابا للعلوم والمعارف».

وتابع: «على المسلمين الأخذ بما يمليه عليهم دينهم، وليس النظر إلى المفاهيم المغلوطة للغرب عن الإنسانية، فتقليد الغرب يؤدي إلى نكسة، والحضارات ليست نسيجا واحدا في مثلها وقيمها؛ فيستحيل أن تتشابه حضارة مع أخرى أو يلتقيا على أسس واحدة في العقيدة والفكر».

وقال: الإسلام جاء مخاطبا للإنسان، حاثا إياه على الارتفاع إلى المستوى الأخلاقي اللائق ليتهيأ لخلافة الله تعالى في الأرض، وجاء باعتباره الحلقة الأخيرة الكاملة لدين الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة:٣).

وتابع: «بهذه الصيغة جاء الإسلام لينظم مسلك الإنسان في الحياة الدنيا المتجه إلى الآخرة بالضرورة؛ فكان الانسجام في الحياة النفسية والأخلاقية لدى المسلمين، ولهذا لا وجود في صفحات التاريخ لمشكلات وأزمات نفسية وجرائم أخلاقية مفزعة وعصبية عانى منها المسلمون كالصورة التي يضج بها عالم اليوم».

ولفت إلى أن نُظم الإسلام في عباداته وشرائعه ومبادئه خطت أحسن الطرق للإنسان، باعتبار أن طبيعته تجمع بين الجسد والروح، وأن الحياة ممتدة من الدنيا إلى الآخرة، والأمراض النفسية المعاصرة والجرائم وافدة ضمن ما وفد من الغرب؛ أي من أساليبه ونظمه في المذاهب والفلسفات والحياة الاجتماعية والسياسية، و«الإنسان وجد لعمارة الأرض»، وهذا مفهوم تثبته آيات القرآن الكريم، بل هو أحد الأهداف الإلهية من خلق الإنسان، ولم يقتصر المعنى الأخلاقي للعبادة كفعل مناف للشهوات؛ ولكن جعل الأعمال الإنسانية كلها ألوانا من العبادات؛ أي إن مظاهر العبادة سيطرة الإنسان وتسخيره لما في السماء والأرض من موجودات لمصلحته والارتقاء به ونجاحه في الاكتشافات العلمية المؤدية إلى استخراج ما في باطن الأرض وظاهرها واستغلال كنوزها، واستخدام الآلات المخترعة في توفير احتياجاته وتحقيق سعادته في الدنيا والتمتع بخيراتها، وحث على الجهود الإنسانية بقواها كافة للوصول إلى تسخير المخلوقات وتحسين ظروف الحياة على ظهر الأرض، جاعلا من كل هذه الأعمال لونا من العبادات.

قال رسول الله ﷺ: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا آجرك الله بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك».

وأشار إلى أن الإنسان خلق لثلاثة أمور: عمارة الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ (هود:٦١)، وعبادته: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، وخلافته: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٢٩).

وأوضح أن خير مثال على أن تعاليم الإسلام تحث الإنسان على حب الوطن، ما صح عن النبي ﷺ أنه وقف يخاطب مكة المكرمة مودعا لها، وهي وطنه الذي أخرج منه، فقد روي عن عبدالله ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

كما أن الله عندما شرع عقوبات جعل منها التغريب والنفي: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ (الحشر:٣)، وكذلك من العقوبات في الشريعة النفي عن الوطن؛ عقابا لجرائم عدة ارتكبها الإنسان، ما يدل على عظم الأوطان والبقاء فيها.

وطالب حلمي وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي بتعليم الأئمة أساليب الدعوة ومنها التدرج في الدعوة، وتبسيط الشرح بطرح الأسئلة ووضع الإجابات والتشبيه وضرب الأمثال والترغيب والترهيب، وأن تحثهم على القراءة أيضا في غير أمور الدين حتى يفهموا متطلبات الأمة وواقعها.

د. الحفناوي: تسامح الإسلام وإنسانيته جعلاه يصل إلى كل أرجاء العالم

اتهام خسيس

أما د. محمد إبراهيم الحفناوي، أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بطنطا، فيؤكد أن من أخس الاتهامات التي وجهت إلى الإسلام أنه يعادي الإنسانية، خصوصا من قبل من يدعون أنهم على ارتباط بثقافات العالم، موضحا أن كل صغيرة وكبيرة في الدين الإسلامي تدل على حماية الإنسان وتسعى إلى الحفاظ عليه حتى في نومه.

وأضاف: «تسامح الإسلام وإنسانيته جعلاه يصل إلى العالم. وقد تكونت أمم إسلامية عريقة من خلال مجموعة من التجار المسلمين الذين لا يغشون ولا يظلمون. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤)، وقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥)، وقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء:٥٣)».

وأشار إلى حرص الإسلام على مراعاة شعور الجيران، والمواصلة بالزيارة، والتهادي، والعيادة، والمواساة، والمعونة، وكف الأذى واحتماله، والمناصرة بالحق.. وغير ذلك كثير، وهذا منتهى تكريم الإنسان ورفعة الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء:٣٦)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وتابع: «في عصرنا الحديث علينا إطلاق قوافل لدحض الإشاعات التي تلصق بالإسلام كذبا، خصوصا في بلاد الغرب، وقوافل أخرى لمساعدة الفقراء، وقوافل لإماطة الأذى، وهذا موجود؛ لكن علينا دعمه أكثر، وعلى الإعلام دور كبير في ذلك؛ من خلال إطلاق الحملات الإنسانية التي تحث على الخير».

تعاليم الإسلام تنقي المجتمع

أخيرا، يوضح د. صابر عبدالحي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة المنصورة، أن تعاليم الإسلام لحماية الإنسان شملت النفس والمال والعقل والنسل والعرض والأرض أيضا؛ فإذا اتبعتها الشعوب وعملت بها، فستكون قادرة على بناء المجتمعات وإقامة ما أمر الله به وإعمار الأرض.

وأضاف أن أداء هذه التعاليم يجعل الإنسان حريصا على حياته وحياة غيره، مسلما كان أو كافرا؛ فيبتعد عن قتل النفس دون وجه حق، ويبتعد عن إلقاء نفسه إلى التهلكة بتناول المخدرات والمسكرات والسجائر.. وغيرها، فينشأ مجتمع سوي، يقدر العقل ويحفظه وينميه، ولا يسرف في المال ولا يبذر ولا يتعامل بالربا مهلك الاقتصاد.

وتابع: «أمر الإسلام بإماطة الأذى عن الطريق وعدم إلقاء القمامة في الشوارع، وأمر بالنظافة والتطهر لعدم إيذاء الغير، وحذر من التخريب والفساد والدمار والغش؛ بل وحتى في الحرب لا تهدم المنازل ولا تقتلع الأشجار. ومن ثم علينا تعليم الأطفال حفظ الحقوق الخمسة حتى يصبح المجتمع كاملا، ونبدأ من المدرسة؛ فعلى مسؤولي التعليم في العالم العربي تدريب التلاميذ على تنظيف فصولهم والاهتمام بنظافة ملابسهم وهيئتهم، بالإضافة إلى تدريبهم على البناء وعدم التكسير، وأن تستفيد الحكومات من تجارب العالم؛ فمثلا في اليابان مادة «السلوك والأخلاقيات» (الطريق إلى الأخلاق) في المناهج الدراسية اليابانية واجبة في كل المراحل، ولا يعتمد مسؤولو التعليم على سياسة الرسوب والنجاح؛ بل الهدف الأساسي تعليم الأخلاق والأساسيات، فنجد أن في أول سبع سنوات دراسة يسعى النظام التعليمي إلى غرس قيم النظافة والاحترام والتعاون، فضلا عن مظاهر أخرى مثل خلع الأحذية عند دخول المدرسة واستبدال أخرى بها، وأيضا تكوين مجموعات منهم أنفسهم تشرف على تنظيم الطلاب وتكون مسؤولة عنهم، وكذلك تجربة الوظائف، حيث تكون هناك حصة لمعرفة مستقبل الطفل؛ فيجرب أكثر من وظيفة حتى يختار ما يحب أن يكون عليه».

وتابع: «علينا أيضا غرس حب الوطن والانتماء إليه؛ من خلال التذكير والقدوة من التاريخ، وزرع قصص التسامح والعفو في عقول الأطفال. وتعليم الانتماء لا يكون بترديد الشعارات والأغنيات الوطنية صباح كل يوم؛ لكن بالتنمية والعلم النابع من تنفيذ أوامر الله بإعمار الأرض ومن غريزة حب مكان التنشئة».

كما أكد على ضرورة محاربة سينما العنف والتطرف التي تخلق الارتباك في نفوس الأطفال، وتزرع فيهم حب الجريمة والقتل والبلطجة، وتخلق أمام أعينهم قادة مخالفين للدين مستبيحين للدماء، مشيرا إلى دراسة أجراها المعهد الوطني للاضطرابات العصبية والسكتة الدماغية في بريطانيا، تؤكد أن مشاهدة العنف في الأفلام وألعاب الفيديو ووسائل الإعلام الأخرى قد تجعل المراهقين أكثر قبولا للعنف وقد تغرس فيهم نزعة عدوانية، مضيفا: «الدراسة أظهرت أن عاطفة المراهقين تكون أكثر تبلدا لدى مشاهدة مقاطع عنف خفيفة ومتوسطة عن تلك المتدنية، وبلغت أقصاها بين الذين تعرضوا إلى أعلى مستويات من الإعلام العنيف بشكل منتظم».

د. مسعود صبري
باحث الموسوعة الفقهية - الكويت



فقه المدينة المنورة

يعرف شرف المكان بشرف من سكن فيه وعاش به، فإن كان الإنسان ينسب إلى مكانه، فيقال: مكي، ومصري، ومغربي، وبغدادي، فمما لاشك فيه أن المكان يحوز شرفه ويعرف بمن سكنه من الأعلام، وليس أدل على ذلك من المدينة المنورة، فقد حل بها الشرف، وحازت السبق، وتمايزت عن غيرها بعد رحيل النبي ﷺ إليها، حتى سميت باسمه، فهي مدينة رسول الله ﷺ، وكانت تسمى سابقا «يثرب»، فغير النبي ﷺ اسمها إلى المدينة، فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»، وتعرف كذلك بمدينة رسول الله ﷺ، وانتهى الأمر إلى أن عرفت بـ «المدينة المنورة»، والمنورة اسم مفعول من نور الشيء أي أحل بها النور، وذلك أنها نورت بسكن النبي ﷺ بها، وبوفاته ودفنه فيها، فقد كانت منورة بحياته، ولاتزال منورة بجسده الطاهر بعد مماته ﷺ.

ومن أسمائها «طابة»، حيث نهى النبي ﷺ أن تسمى يثرب، فقد أخرج أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة».

ومن الأسماء التي اشتهرت بها المدينة «طيبة»، ويقال: «طيّبة»، بل نقل الإمامان: ابن حجر والنووي أن أسماءها بلغت أربعين اسما، وذلك لشرفها، وقد كان من عادة العرب إذا عظم الشيء أكثروا له الأسماء؛ دلالة على فخره وشرفه وأهميته.

موقعها الجغرافي

تقع المدينة المنورة بين أرضين مكتسيتين بحجارة سوداء بركانية، هما حرة واقم وحرة الوبرة، ويحيط بها من الشمال جبل أحد، ومن الجنوب جبل عير، وهي تبعد عن مكة قرابة ٤٠٠ كيلو متر، وبها أحد المواقيت المكانية، وهو ميقات ذي الحليفة الذي يحرم منه أهلها، ومن مر به من غير أهلها.

فضائل المدينة

للمدينة أفضال كثيرة، من أجَلِّها أن الله تعالى اختارها مَهْجَرا لنبيه ﷺ وبها دفن، وبها مسجده.

كما أنه تضاعف البركة فيها على جميع مدن الدنيا بما فيها مكة المكرمة، فبركتها أعظم من بركة مكة، كما أخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة».

ومما تتميز به المدينة أن الله عزوجل حماها من أن يحل بها طاعون مجاعة أو مرض، وهو مما شهد به التاريخ حين سجل حوادث الطاعون والمجاعات فلم يذكر المدينة منها، كما أنها محمية من دخول المسيح الدجال فيها، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

ومن فضائل المدينة أنها مكان تجمع الإيمان، فالإيمان والخير مهيأ لكل من أراده من ساكني المدينة المنورة، كما أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها».

ومعنى ذلك أنه يكثر فيها الصالحون من عباد الله تعالى فيها، ويتشوف الصالحون دوما لزيارتها، وأن تكون عند الصالحين رغبة في سكنها والعيش فيها.

ومن فضائلها أنه من سكنها وصبر على ما أصابه فيها؛ كانت له شفاعة النبي ﷺ، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم أن النبي ﷺ قال: «لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت شفيعًا له يوم القيامة».

التفاضل بين مكة والمدينة

مما يشهد للمدينة بالفضل أن الفقهاء اختلفوا أيهما أفضل، مكة المكرمة أم المدينة المنورة، فجمهور الفقهاء على أن مكة أفضل من المدينة، وذهب الإمام مالك إلى تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة، وتفضيل المسجد النبوي على المسجد الحرام وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لكن الكل مجمع على أن الكعبة المشرفة أعظم من المدينة إلا موضع القبر الشريف.

بل نقل عن القاضي عياض الإجماع على أن موضع قبره ﷺ أفضل الأرض، والخلاف فيما سواه.

أحكام المدينة

ذكر الفقهاء للمدينة المنورة أحكاما خاصة بها، تتميز فيها عن غيرها، ويجب على المسلمين مراعاتها تجاهها، ومن أهم تلك الأحكام مايلي:

استحباب العيش فيها

يستحب الإقامة في المدينة والعيش بها على غيرها، كما أخرج البخاري ومسلم من حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يَبُسُّونَ فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يَبُسُّونَ فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. وتفتح العراق فيأتي قوم يَبُسُّونَ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

فيستحب للمؤمن الانقطاع بها ليحصل الموت فيها، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو الله ويقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك، وذلك لما رواه الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها».

تغليظ العقوبة فيها

ومن أحكام المدينة المنورة أن الله يغلظ ذنب من كاد لها أو لأهلها بسوء، فيضاعف له العقوبة عند الله، كما أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء».

فكل من نوى شرا بأهل المدينة، فإن الله تعالى سيرد كيده، ويدفع شره، ويهلكه المهالك في الدنيا قبل الآخرة، فهي محروسة بحراسة الله تعالى لها.

بل لعن النبي ﷺ كل من أراد أهلها بسوء، فقد أخرج البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

أن المدينة حرم

فقد ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة والزهري وغيرهم إلى أن المدينة حرم مثل مكة، فيحرم أن يصيد الإنسان طيرها، كما يحرم أن يقطع شجرها إلا ما زرع بنية قطعه.

وتفرع عن ذلك ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة من أنه يكره نقل تراب المدينة وأحجارها إلى غيرها، معللين ذلك بأن المدينة لما جعلت حرما آمنا؛ فيحرم كل شيء فيها، كما ذهبوا إلى أنه لا يدخل تراب غيرها إليها؛ حتى لا يكون له حكم الحرم، وهو في أصله حل، ويستثنى من ذلك ما كان للحاجة كالبناء والتعمير ونحو ذلك.

واستدل الجمهور بحديث النبي ﷺ،

فيما أخرجه البخاري: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة».

وعن علي رضي الله عنه مرفوعا في المدينة: «لا يُختلى خلاها، ولا يُنفر صيدُها، ولا يلتقط لقطتها إلا من أنشدها، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع فيها شجرا إلا أن يعلفَ رجلٌ بعيره» (رواه أحمد).

وعنه، عن النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «المدينة حرام ما بين عَير إلى ثور».

وعن أبي هريرة في الحديث المتفق عليه، قال: حَرّمَ رسولُ الله ﷺ ما بين لابَتَي المدينة، وجعل اثني عشر ميلا حول المدينة حمًى.. وأخرج مسلم عن سعد، قال، قال رسول الله ﷺ: «إني أحرم ما بين لابَتَي المدينة؛ أن يُقطع عِضاهُها، أو يُقتل صيدُها».

وخالف الحنفية وسفيان الثوري وعبدالله بن المبارك جمهور الفقهاء ورأوا أن المدينة ليس لها حرم، فلا يمنع أحد من أخذ صيدها وقطع شجرها، وأنها ليست كمكة في كونها حرما.

وردوا على الحديث بأن المقصود من حديث تحريم النبي المدينة أنه أراد بقاء زينتها؛ حتى يألفها الناس، مستدلين بما أخرجه الطحاوي والبزار من قول رسول الله ﷺ: «لا تهدموا الآطام فإنها زينة المدينة».

زيارة الكافر لها

وذهب العلماء إلى أنه يحرم على غير المسلمين أن يستوطنوا المدينة، وأن يعيشوا فيها، لكن يجوز لهم دخولها وزيارتها على غير صفة الاستيطان.

نذر المشي إليها

ومن أحكام المدينة أن من نذر المشي إليها والصلاة فيها، فقد اختلف العلماء في الحكم بين من يرى أنه لا يجب الوفاء بمثل هذا النذر، وبين من يرى أنه يجب الوفاء به، كما هو مذهب الحنابلة، فمن نذر المشي إلى مسجد المدينة المنورة لزمه ذلك، ويلزمه بهذا النذر أن يصلي في الموضع الذي أتاه ركعتين؛ لأن القصد بالنذر القربة والطاعة، واستدلوا بأن المسجد النبوي من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها؛ فيلزم المشي إليه بالنذر؛ لأن له حكم وجوب الوفاء بالنذر لمن نذر المشي إلى المسجد الحرام. وإن كانت المسألة محل خلاف.

زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه

يستحب زيارة المسجد النبوي بالمدينة، لما أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء أحق المساجد أن يزار وتركب إليه الرواحل»، ولما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

كما يستحب لمن زاره أن يصلي فيه، لأن الصلاة فيه بألف صلاة مما سوى المسجد الحرام، فالصلاة في المسجد النبوي بالمدينة أفضل ثاني مكان للصلاة بعد المسجد الحرام، ولا يفضله إلا المسجد الحرام، ويفضل هو بقية المساجد في العالم، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث النبي ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

كما أن من أحكام المسجد النبوي بالمدينة المنورة أنه من المساجد الثلاثة التي يجوز شد الرحال إليها وقصدها بالزيارة؛ لما لها من مكانة، ولما للصلاة فيها من الأجر، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى».

قال ابن الأثير في جامع الأصول (٩/ ٢٨٣): والمراد: لا يقصد موضع من المواضع بنية العبادة والتقرب إلى الله تعالى إلا إلى هذه الأماكن الثلاثة، تعظيما لشأنها وتشريفا.

استحباب الصلاة في مسجد قباء

يستحب الصلاة في مسجد قباء الواقع بالمدينة المنورة، خاصة كل يوم سبت من الأسبوع، فالصلاة فيه تعدل ثواب عمرة، لحديث الترمذي من قول النبي ﷺ: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة».

زيارة البقيع

كما يستحب زيارة البقيع التي فيها دفن كثير من الصحابة. قال النووي في المجموع (٨/٢٧٥): يستحب أن يخرج زائر المدينة كل يوم إلى البقيع خصوصا يوم الجمعة، ويكون ذلك بعد السلام على رسول الله ﷺ. ا.هـ

ويشهد لذلك حديث عائشة رضي الله عنها -عند مسلم- أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «إن ربك يأمرك أن تأتي أهل بقيع الغرقد فتستغفر لهم».

زيارة شهداء أحد

تستحب زيارة شهداء أحد رضي الله عنهم، وهم الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أحد، وعددهم سبعون صحابيا، أربعة من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار، وعلى رأس هؤلاء سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ومصعب بن عمير، وحنظلة بن أبي عامر، وغيرهم.

وبالجملة، فإن تعظيم المدينة المنورة من تعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، ومن أرادها بسوء، فقد أراد بالرسول ﷺ سوءا، ولا يحبها إلا مؤمن خالط الإيمان قلبه.

رزقنا الله حب المدينة، ووهبنا سكناها أحياء وأمواتا.. بفضله وجوده.. آمين.



السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

تفكيك مصطلح «الآخر».. بداية الإنصاف

في علاقة المسلمين بغيرهم، ثمة رواسب كثيرة صنعت الأزمة التي نعاني آثارها بين الجانبين، وأيضا ثمة خطوات مطلوب اتخاذها حتى يمكن توفير البيئة المناسبة لتحقيق المقصد الإلهي من خلق الناس مختلفين؛ على مستوى النوع، والقبيلة، والأمة؛ حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣).

وفي مقدمة تلك الخطوات المهمة، المطلوب اتخاذها، أن نفكك مصطلح «الآخر»؛ الذي نريد أن نتعارف معه، وأن نقيم معه علاقات صحيحة؛ تحقق مصالح الطرفين، من غير ذوبان أو انكفاء..

فهذا «الآخر» ليس شيئا واحدا، وليس كتلة صماء لا تقبل التفكيك؛ كما أنه ليس خيرا كله، ولا شرا كله.. بل يحمل في داخله تمايزات وتنويعات، ينبغي أن نفهمها ونأخذها بعين الاعتبار ونحن نبني تجاهه رؤيتنا الفكرية، وقراراتنا العملية.

ولا يمكن احترام «الإنسان»، أي إنسان، والقيام بالحقوق الواجبة له لأنه إنسان، بغض النظر عن الفوارق الدينية والمذهبية والطبقية؛ دون أن نفكك رؤيتنا لـ«الآخر»، ونكف عن تحميل «الآخر» بأفراده جميعا ما يرتكبه البعض من خطأ وخطايا..

فهذا التفكيك للمفهوم، والتفرقة بين من يندرجون تحته؛ هو منهج إسلامي فريد أرساه القرآن الكريم بمثل قوله تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ...﴾ (آل عمران:١١٣).

ونقول بداية: إن الإسلام ينطلق في موقفه من الحضارات والثقافات الأخرى، من التأكيد على أن الاختلاف والتعددية سنة من سنن الله البالغة، التي تثبت بها طلاقة قدرة الله سبحانه على خلق الناس على نحو متمايز؛ سواء في عقائدهم، أو ألسنتهم، أو ألوانهم، أو طبائعهم. كما تثبت بها أيضا حرية الإنسان واختياره في أن يسلك طريق الخير أو طريق الشر، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ (المائدة:٤٨).

يوضح د. عمارة أن الإسلام يؤكد أن التعددية في الحضارات والثقافات هي الأصل والقاعدة، بل إن الإسلام ليجعلها القانون الإلهي في ميادين الاجتماع الإنساني وشؤون العمران البشري؛ فالوحدانية خصيصة للخالق سبحانه، أما ما عدا الخالق الواحد فقائم على التعددية، كسنة جارية وحاكمة في كل الميادين، في القوميات والأجناس.. في الشعوب والقبائل.. في الشرائع والمناهج.. بل إن غياب التعددية، ومن ثم التدافع الحضاري والحراك الاجتماعي، إنما يعني الموات المتمثل في غيبة إبداع الخصوصيات: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ (البقرة:٢٥١)، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ (الحج:٤٠) (١).

بجانب ذلك، يؤكد الإسلام -في نظرته للآخر- ضرورة اتباع القسط

والعدل، وعدم بخس الناس حقوقهم، لمجرد أنهم يختلفون معنا في الدين أو الرأي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨).

ولذا -وهنا مربط الفرس- يجب ألا نتعامل مع الغربي، أو الآخر عموما، على أنه كتلة واحدة أو موقف واحد، إنما يجب أن نميز فيه بين عدة أطراف، وفق ثلاثية مهمة أطر لها د. عمارة، وهي: التمييز بين «الإنسان» الغربي، و«العلم» الغربي، و«المشروع» الغربي (٢).

الإنسان الغربي

فـ«الإنسان» الغربي لا مشكلة لنا معه، بل قد يكون هذا الإنسان ضحية لـ«صناعة الصورة» في مارد الإعلام المتحيز ضد قضايانا العادلة؛ ومن ثم، فهو بالنسبة لقضايانا يمثل إمكانية صداقة ومعاونة؛ بل إن هذا الإنسان يفتح عقله وقلبه حتى لإسلامنا، إذا نحن أحسنا خطابه، وعرضنا عليه بضاعتنا بمنطق العقل والعدل والمصلحة» (٣).

ويكفي للتدليل على تلك الحقيقة؛ حقيقة أن الإنسان الغربي -من زاوية عامة- يمثل لنا إمكانية صداقة وتعاون وتعارف؛ أن نشير إلى نتائج استطلاع الرأي (٤) الذي أجرته الإدارة العامة لشؤون الصحافة والاتصالات بالمفوضية الأوروبية بواسطة مؤسسة «باروميتر»، والذي كان يدور حول ١٥ سؤالا، من بينها سؤال يقول:

وضح من بين الدول الآتية، ما إذا كانت هناك دولة تمثل -في رأيك- تهديدا للسلام في العالم؟

وكان الاستطلاع يشمل ١٥ دولة -بينها إسرائيل- من مناطق الأزمات الرئيسية في العالم، ومن بينها خمس دول عربية وثماني دول إسلامية، وكانت النتيجة أن ٥٩٪ ممن أجري معهم الاستطلاع أشاروا إلى أن إسرائيل تمثل خطرا على سلام العالم بأسره؛ لتحتل إسرائيل المركز الأول.

العلم الغربي

أما «العلم الغربي»، فهو يصدق عليه الآية الكريمة: ﴿هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ (يوسف:٦٥)؛ لأن المسلمين هم الذين أقاموا المنهج التجريبي المؤسس على الملاحظة، والتجربة، والاستقراء، ثم الاستنباط؛ وكان لهم الفضل في تطوير هذا المنهج بما أفاد الغرب لاحقا، وجعله يقيم حضارته المعاصرة على هذا المنهج وعلى منجزاته التي أضافها المسلمون إلى مسيرة التطور الحضاري البشري.

على أنه ينبغي التفرقة بين تلك العلوم التجريبية -التي هي محايدة- وبين فلسفتها وتطبيقاتها، التي تتغير وتتبع عقائد كل أمة وثقافتها؛ وعن هذا الفرق المهم يقول الأستاذ محمد أسد: «فالمعرفة نفسها (أي العلم التجريبي) ليست غربية ولا شرقية، إنها عامة بالمعنى الذي يجعل الحقائق الطبيعية عامة. إلا أن وجهة النظر التي ترى منها هذه الحقائق وتعرض، تختلف باختلاف المزاج الثقافي في الشعوب... (فهذه العلوم) تتعلق بملاحظة الحقائق وبجمعها وتحديدها ثم استخراج القواعد المعقولة منها.

أما النتائج الاستقرائية... أي فلسفة العلوم، فإنها لا تبنى على الحقائق والمشاهدة فقط، ولكنها تتأثر إلى حد بعيد جدا بمزاجنا المتأصل فينا، أو بموقفنا الحدسي من الحياة ومشاكلها... (ومن هنا) فليست العلوم الحديثة التجريبية هي المضرة بالحقيقة الثقافية في الإسلام، وإنما المضر هو روح المدنية الغربية التي يقترب المسلم بها إلى تلك العلوم» (٥).

المشروع الغربي

وأما مشكلتنا -بالنسبة مع الغرب- فهي مع «المشروع الغربي» الاستعماري، الذي يوظف كل شيء -بما في ذلك القيم الدينية- لتبرير أطماعه وتحقيقها؛ وهو المشروع الذي زرع «إسرائيل» في قلب العالم الإسلامي؛ لتكون حارسه وعينه على البلاد العربية.

بهذه «الثلاثية» التي تفكك مصطلح «الآخر» -خاصة في سياق علاقتنا مع الغرب- وتوضح لنا الفروق الكبيرة بين مكونات المصطلح؛ يمكن لنا أن نبني صورة ذهنية صحيحة عنه، ونحسن التعامل معه، وصولا إلى ترسيخ مكانة «الإنسان» واحترام حقوقه.. فقط لأنه إنسان.

الهوامش

(١) د. محمد عمارة، حضارة أم حضارات؟، مجلة «المسلم المعاصر»، ص ٩، العددان ٧٣/ ٧٤، محرم ١٤١٦هـ.

(٢) د. عمارة، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مجلة «المسلم المعاصر»، ص ٣٢، العدد ١٠٤، محرم ١٤٢٣هـ.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٤) انظر تقرير مصطفى محمود عبدالله، جريدة الأهرام، ص ٦، بتاريخ ١١ نوفمبر ٢٠٠٣م.

(٥) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ص ٧١، ٧٢، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

كيف تعامل النبي مع غير المسلمين؟

منذ اللحظات الأولى للإسلام والقرآن يتنزل على رسول الله يفصل له قصص الأنبياء الذين سبقوه. ولم يكن هذا القصص للتسلية والتخفيف عن المسلمين مما يكابدونه من ألم فحسب، كما لم يكتف القرآن بذكر أخبارهم من دون بيان وتوضيح وتعليق لإفادة المسلمين وأخذ العبرة والنهج، لكننا أيضا نجد في هذه الآيات الكريمات تعظيما وتبجيلا وتكريما لكل الأنبياء والمرسلين.

ولم يكن هذا التعظيم لأنبياء الله ورسله في القرآن الكريم فقط، بل حرص نبينا على تبيانه وإجلائه لأصحابه ولأمته كافة، وكشف أن الإيمان بالرسل أحد قواعد الإيمان الأساسية وأركانه الستة.

احترام الأنبياء أساس لاحترام غير المسلمين

ولقد استمر هذا النهج الكريم في المدينة المنورة بعد الهجرة، وحتى بعد الصراعات التي دارت بين المسلمين واليهود تارة، وبينهم وبين النصارى تارة أخرى؛ ما توقف القرآن عن الثناء على أنبياء الله -عز وجل- وفي مقدمتهم موسى وعيسى -عليهما السلام- نبيا اليهود والنصارى.

وإنه حين حدث خلاف بين مسلم ويهودي حول المفاضلة بين الأنبياء، غضب الرسول لمصلحة اليهودي، فقد روى أبو هريرة ﵁: قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئا كرهه فقال: لا، والذي اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه، وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهدا، فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال ﷺ: «لم لطمت وجهه؟!». فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رئي في وجهه ثم قال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله؛ فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي، ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى».

لقد أدرك نبينا أن وجود اليهود والنصارى إلى يوم القيامة أمر مسلم به، وقد أخبر بذلك في أحاديث نبوية كثيرة، وإذا كان وجودهم أمرا لا شك فيه، فلم يكن ثمة بد من التعامل معهم، والاعتراف بهم، والبحث عن أفضل السبل للتعايش وضمان الاستقرار، بل والتعاون على المشتركات.

مدح المخالفين والاعتراف بما لهم

وقد كان من أعجب ما قام به عدم اقتصاره على مجرد التلطف والتودد مع المخالف، وإنما كان يتجاوز ذلك إلى الثناء والمدح، حتى أولئك المحاربون له بالسيف كان يمدحهم إذا رأى منهم ما يستحق ذلك.

لقد مدح سهيل بن عمرو وهو حينئذ من مفاوضي المشركين في صلح الحديبية، ويعلن للكل من المسلمين مستبشرا: «لقد سهل أمركم»؛ لما يعلمه من سهولة أمر سهيل وحسن طباعه.

وحين يتكلم عن خالد بن الوليد ﵁ قبل إسلامه، في العام السابع من الهجرة، وبعد عدة معارك شرسة كان خالد بن الوليد فيها على رأس جيوش المشركين، ومن أهمها غزوة أحد، وغزوة الأحزاب، ووقعة الحديبية، فإنه يصرح للوليد بن الوليد أخي خالد بن الوليد (وكان الوليد قد أسلم حينذاك): «أين خالد؟». فقال الوليد: يأتي به الله. فقال ﷺ: «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين كان خيرا له، ولقدمناه على غيره».

ثم ها هو ﷺ يمدح أخلاق قوم مشركين رفضوا الدخول في دين الإسلام، ولم يقبلوا أن ينصروه؛ مدحهم لأنه رأى أن لهم أخلاقا حسنة في بعض الأمور فامتدحها، أولئك القوم كانوا من بني شيبان ممن سكنوا في شمال شرق الجزيرة العربية على أطراف العراق آنئذ، وكانوا يتحالفون مع الدولة الساسانية الفارسية، فلقد عرض عليهم رسول الله الإسلام، فاستحسنوا أمره للغاية، وكانت ردودهم على النبي غاية في الأدب والصدق، على أنهم رفضوا صراحة أن يدخلوا في الإسلام؛ خوفا

من كسرى، فلما رأى هذه الأخلاق منهم قال معترفا: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟». فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا.

فتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ (الأحزاب:٤٥ و٤٦)، ثم قام فأخذ بيدي أبي بكر رضي الله عنه، فقال: «يا أبا بكر، أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها؛ بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم».

إن هذا الموقف من رسول الله ﷺ ليعتبر من المواقف المحورية التي يجب أن يتمثلها المسلمون في حوارهم مع غير المسلمين، إنه ﷺ لا يمتنع عن ذكر محاسنهم وفضائلهم دون كذب ولا رياء، إنما يذكر الحق الذي رآه، وفي هذا إحقاق للحق، وفي الوقت نفسه ترقيق لقلوب المخالفين والمعارضين؛ مما يجعل خلافهم مع المسلمين أقل حدة وأضعف شوكة.

العدل مع غير المسلمين

إن العدل عند نبينا أمر مطلق، لا يتوقف عند أصحاب الأديان والأجناس والعصبيات والمصالح المخالفة، ولا غير ذلك من الوشائج الأرضية والعلاقات البشرية، وهو مما أصله الإسلام ودعا إليه، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ (المائدة:٨).

لقد تجلى عدله مع المخالفين في مواطن كثيرة أحاطت بها سيرته، منها ما حدث عندما سرق رجل من المسلمين من إحدى قبائل الأنصار من بني أبيرق بن ظفر بن الحارث، وكان اسمه في رواية: طعمة بن أبيرق، وفي رواية أخرى: بشير بن أبيرق، وكان هذا الرجل قد سرق درعا من جار له مسلم يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب مملوء بالدقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق في داخل داره. فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي، فوجدوا الدرع عنده، فقال اليهودي: دفعها إلي طعمة بن أبيرق. فجاء بنو ظفر -وهم قوم طعمة- إلى رسول الله وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، فهم رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي، فأنزل الله -عز وجل- هذه الآيات: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧﴾ (النساء: ١٠٥-١٠٧).

لم يكن الأمر مجرد تبرئة رجل وإدانة آخر، «إنما كان أمر تربية هذه الجماعة الجديدة؛ لتنهض بتكاليفها في خلافة الأرض وفي قيادة البشرية، وهي لا تقوم بالخلافة في الأرض، ولا تنهض بقيادة البشرية حتى يتضح لها منهج فريد متفوق على كل ما تعرف البشرية، وحتى يثبت هذا المنهج في حياتها الواقعية، وحتى يمحص كيانها تمحيصا شديدا، وتنفض عنه كل خبيئة من ضعف البشر، ومن رواسب الجاهلية، وحتى يقام فيها ميزان العدل -لتحكم به بين الناس- مجردا من جميع الاعتبارات الأرضية، والمصالح القريبة الظاهرة، والملابسات التي يراها الناس شيئا كبيرا لا يقدرون على تجاهله!».

كان النبي في تعامله مع غير المسلمين والمخالفين عموما يعتمد على حسن الخلق أولا، ورجاء الخير لهذا المخالف في العاجل والآجل، بل كان يحزن أن نفسا قد تفلتت من دعوته إلى ذلك الخير فأتاها أجلها؛ ولقد مرت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودي. فقال: «أليست نفسا».

وبهذا المنطق المتسامح القائم على قاعدة أخلاقية صلبة ينظر الإسلام إلى المخالف، على أن ذلك المخالف يجب أن يقابل الإحسان بالإحسان لا بالإساءة والتشويه والعداء؛ إذ الإسلام دين لا يقبل أنصاره إهانته أو الحط من شأن رموزه وقيمه وشرعته.

الهوامش

١- البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (الصافات:١٣٩) (٣٢٣٣)، والترمذي (٣٢٤٥)، وابن ماجه (٤٢٧٤).

٢- انظر على سبيل المثال: البخاري: حديث رقم (٢٧٦٨)، ورقم (٢١٠٩)، ومسلم: حديث رقم (٢٩٤٤)، ورقم (١٥٥).

٣- البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٢٥٨١).

٤- الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٣م، ٣١٨/١.

٥- البيهقي في الدلائل ٤٢٢/٢ - ٤٢٧، وأبو نعيم في الدلائل ٢٣٧/١ - ٢٤٢؛ وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية ١٦٤/٣، ١٦٥.

٦- راغب السرجاني: فن التعامل النبوي مع غير المسلمين، دار أقلام للنشر والتوزيع، القاهرة، ص٩٥.

٧- الترمذي عن قتادة بن النعمان (٣٠٣٦)، وقال الترمذي: غريب. والحاكم ٣٨٥/٤ - ٣٨٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

٨- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، القاهرة، ٧٥٣/٢.

٩- مسلم: باب القيام للجنازة (٩٦١).

محمد حسن بدرالدين
باحث تونسي

أبعاد فكرية وحضارية في العبادات الإسلامية

اقترنت جميع العبادات في الإسلام بمبدأ الحركة ودورة الزمان، وذلك لأن جميع ما في الكون من حركات تخص عالم الإنسان أو الجماد أو الحيوان، إنما يسير وفق غاية واحدة، هي شهادة حق لله تبارك وتعالى، المهيمن على كل شيء في هذا الوجود. فالشهادة، وهي الركن الأول في الإسلام، كما يدل اسمها، مرتبطة بمبدأ الاعتراف بأنه لا حقيقة مطلقة وخالدة في هذا الوجود والزمان إلا الله جل شأنه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاۢ بِالْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨).

والصلاة هي تدعيم يومي لفكرة تعاقب الزمان، باعتبارها نداء يتكرر خمس مرات، يذكر الإنسان أنه ضيف في هذه الدنيا، وأن عليه أن يكابد من أجل الفوز بملاقاة الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق:٦).

إن مواقيت الصلاة لها أبعاد كونية أيضا، لأنها نظمت بحسب طلوع الكواكب وغروبها، من أجل أن ينسجم الإنسان ضمن نظام الكون. أما حركات الصلاة، فقد جمعت كل مستويات التناغم مع هذا الوجود، فالمصلي يستقيم مثل الجبال والزروع والأشجار، ويركع ويقوم من جديد مثلما تشرق النجوم وتغرب، وينحني مثل فرع النخيل، تماما كما تنحني جميع الرؤوس نحو مصدر الحياة، وواهب الوجود. وفضلا عن كون الصلاة تربط الإنسان بربه، فإنها توحد بينه وبين قوى الطبيعة والكون، وتجمعه مع البشرية في كل أنحاء العالم. فقبلة كل مسجد من مساجد العالم، تشكل دوائر مركزية حول الأرض، ترمز إلى وحدة الحياة والخلق، حيث تتغير أوقات الصلاة حسب خطوط العرض والطول، ففي كل لحظة تنحني جبهة وترتفع أخرى، في موجة من العبادة، ترتطم باستمرار حول الأرض (١).

وفي ذلك التفاعل البديع توكيد وتوطيد لوحدة الدين، في رموز مادية وروحية منذ بناء الكعبة من قبل إبراهيم الخليل إلى يوم الدين. وتمثل عبادة الحج أعظم مظهر لذلك التوجه المادي والروحي،

فهي تجمع في أيام معدودات، على امتداد الزمن، أجناسا عديدة من البشر، ومن ورائهم أفئدة ملايين المسلمين، ليشهدوا أكبر مهرجان إسلامي تتجمع فيه وحدة الصفوف والقلوب والأهداف، نحو غاية واحدة ورمز واحد، يمثل الطواف فيها أبهى صور الاتصال بحقيقة الوجود الكبرى. وشهر الصيام تجسيد كذلك لتلك الحقيقة، حينما تشرئب أعناق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لرؤية الهلال السعيد، فيشعر كل فرد أنه جزء معتبر في حركة هذا الكون، تربطه به روابط الانقياد والولاء للخالق العظيم، فحينما يمتثل لأوامره ويدعوه طمعا في رحمته وابتغاء القربى منه، يكون قد شارك أعمق تطلعات ذاته نحو الخلود.

إن التوجه إلى الكعبة في الطواف والصلاة يمثل المبدأ الأسمى في تحرك الإنسان نحو الله تعالى، فهو يشارك جميع الكائنات في عملية التعظيم والسجود، ولكنه يتميز عنها بكونه يفعل ذلك عن حب واختيار. وإن ارتباط عمل المسلم بهذه المقاصد والغايات، يحرره من كل عبودية لغير الله، ما لم تتحول العبادة إلى عادة، فالصوم يحرره من عبودية الهوى وسلطان الغرائز، والصلاة تحرره من السجود والتقديس لغير الله. أما غير المسلم فهو خاضع بالضرورة لعبودية العباد والنفس والمادة. وتربط فريضة الزكاة المسلم بمبدأين على الأقل، هما: الارتباط بحقيقة الزمن، والتحرر من عبودية المال. فمبدأ الحول هو يقظة دائمة طوال العام، حتى لا تتكدس الثروة بين يديه، فيفتتها بالإنفاق، ويرتفع بذلك فوق سلطان المال وإغراء الذهب.

وحدة الصف والهدف

من مظاهر منزع الشمول في العبادات، كونها جماعية، تربط جموع المؤمنين في عمل دائب لتحقيق إرادة الله ضمن وحدة فكرية وعملية، زكاها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٣). يتراءى هذا التأليف بين القلوب بوضوح في المشاركة الوجدانية العامة التي حكمت علاقات الأفراد في المجتمع المسلم، خصوصا أيام الصيام والتهليل والتكبير، وضمن صفوف الصلاة. وهو اجتماع فريد يحطم الفوارق، ويزيل الكبرياء من النفوس، مهما كانت مكانتها، إلى مستوى التساوي بمجموع المسلمين، وإن تلك الصفوف وإن تراءت مستقيمة، دلالة اجتماعية وداخلية على الانضباط ووحدة الصف والهدف، إلا أنها في الحقيقة الخارجية، تمثل دوائر فيها حركة دائبة لعمليات القيام والسجود، ففي الوقت الذي يسجد فيه الناس في مكان ما من العالم، يركع آخرون، وفي اللحظة نفسها، تبدأ مجموعة أخرى بتكبيرة الإحرام. هو انتظام بلا انقطاع ليل نهار في كل بقاع الدنيا، بحيث تمثل أجمل مظاهر الطاعة والانقياد تحت لواء صف واحد في دوام منقطع النظير.

إن فكرة إصلاح الصلاة نفسها تتضمن هذا المعنى، فالمسبوق في الصلاة هو مسبوق بالزمان لا بالأركان، ولذلك يواصل صلاته بعد تسليم الإمام ولا يعيدها من جديد، لأن ذلك يعد انقطاعا عن الديمومة والتواصل، التي أراد الإسلام تحقيقها في أبعاد العبادات، فهذا المسبوق إذ يتم ما قد فاته، يكون قد انضم إلى مجموعة أخرى، شرعت في تلك اللحظة في عبادة ربها، فهي بعيدة عنه بالمكان، لا بالتوجه والزمان.

إن المعنى العميق والبعيد للإسلام، هو كون جميع الموجودات مسلمة: فالطير والدواب والأنعام والشجر في توجهها وحركاتها منقادة وخاضعة لمشيئة رب العالمين وتقديره: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران:٨٣). ولكن الإنسان يتميز عنها، لأنه يفعل ذلك عن إدراك وارتضاء، وفي ذلك شرفه وكرامته، حيث هيأه هذا الاختيار لأن يضطلع بمسؤوليتي التسخير والتكليف، وإلا فإن جميع المخلوقات، وهو معها، أسلمت راضية وطائعة أو غير راضية ومكرهة: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ (الرعد:١٥).

إن القوانين التي تحكم فطرة الإنسان تلتقي مع المبدأ نفسه الذي ألهم الطير أو الحيوان، لأنها صادرة عن مبدع واحد هو الله جل جلاله، فما ينطبق على الوجود ينسجم مع ذات المسلم من جميع الوجوه، فليس هناك صراع بين الإنسان والطبيعة، بل هي مسخرة له، وليس هناك غرابة أو تناقض بين توجهات الإنسان ومقاصد الكون، فالكل خلق لما هو ميسر له: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور:٤١).

نجد أصداء هذا الناموس الذي يحكم فطرة الإنسان وفطرة الوجود، وينسقها كلها جملة واحدة، في أعمال البر والقربى التي يقوم بها المسلم امتثالا لأوامر ربه، فهي لا تختلف رغم تباعد المواقع والأحوال. ففوارق التوقيت في الصلاة والإفطار والإمساك، وسائر الشعائر والعبادات، لا تمثل اختلافا بين المسلمين، بل هي تتابع يحكم تباعد الأمصار وتعاقب الليل والنهار، إذ ليس هناك نهاية في العبادات، وإنما هي حركة متواصلة إلى يوم يبعث الناس للحساب. والذين يحرصون على تحكيم الحساب في جميع أمور العبادات، لا يدركون بعض أسرار هذا الدين الذي أراد ربط حياة العباد بحركة الكون والطبيعة النابضة بأعمق مظاهر الروعة والجلال.

العبادة وإدراك مقاصد الله تعالى

ولأن طريق الملاحظة يؤدي إلى المعرفة الصادقة، فإن اليقين المكتسب من طريق التجربة، يقتحم بدوره أبواب الإيمان، ويفسح مجالا أرحب من محيط المادة الضيق. ولأن الحقيقة في شمولها واحدة، فأيا كان الطريق الذي يسلكه المرء، فإنه سيلاقي الله تعالى المتفرد بكل مظاهر الخلق والتدبير. ولذلك ربط الإسلام بين العلم والإيمان باعتبارهما وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة. فلا مجال للفصل بين البحث عن الوسائل والنواميس وبين البحث عن النتائج والمعاني المترتبة عليها. وبمعنى آخر، فإن الهدف الأساسي للعلم والمعرفة في الإسلام، هو البحث عن آيات الله



في الطبيعة وفي التاريخ لتحقيق أمر الله دون الابتعاد عن الأسباب والنواميس الكونية.

إن هذا البحث عن الحقيقة في كلياتها، هو من مقتضيات العبادة في أعمق مستوياتها الشعورية والسلوكية، لأن العبادة في حقيقتها الداخلية إدراك لمقاصد الله تعالى إدراكا عميقا، والتعلق به سبحانه وتعالى بعلاقة متينة، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٢).

وإذا تحقق مقام الإحسان هذا في صور الطاعات والشعائر التعبدية المختلفة، يسعد الإنسان لا محالة بتأييد الله ونصرته، لأن هذا هو الأساس الذي تقوم عليه جميع المظاهر الدينية الأخرى، لأن مفهوم العبادة ليس مساحة ضيقة لا تتجاوز دائرة الشعائرية والاتصال الروحي كما يظن بعض المسلمين، بل هي تجربة حياة كاملة، تنظم فعاليات الجماعة البشرية في الأرض وتمنحها المعنى والمقصد، وتسير بها إلى هدف مرسوم، فيخرجون من دائرة العبث وغياب المعنى، التي تسيطر على مساحات واسعة من الأنشطة الحضارية المعاصرة، على مستوى الواقع والفكر. فالعبادة هنا تتعلق بالتصور والعمل الاجتماعي العام؛ لأن كل عمل يقوم به الفرد والمجموعة يبتغي به وجه الله، فهو عبادة، ولأن الله تعالى غني عن العالمين، يصبح مفهوم وجه الله خير الإنسان ونفعه أينما كان: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٧٢).



الهوامش

١- رجاء الجارودي، الإسلام دين المستقبل، ترجمة: عبدالمجيد بارودي، دار الإيمان للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨٣م. ص٣٥.

٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ونص الحديث هو: قال: فما الإحسان؟ قال: «أن تعمل لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، ١/٢٤٣. وانظر: صحيح ابن حبان ١/٣٩١، وسنن أبي داود ٧/٨١.

د. محمود خلف
عضو اتحاد المؤرخين العرب



من أعلام الفكر الإسلامي

ابن أرسلان الخوارزمي

أطلق الجغرافيون العرب على المناطق الخصبة السهلة الواقعة بين نهري سيحون -سر دريا Sir Darya حاليا- وجيحون -أمو دريا Amu Darya حاليا- اللذين يصبان في بحيرة خوارزم- بحر آرال حاليا. والشاطئ الأيسر لنهر سيحون؛ ويشمل طخارستان والختل، هذه البلاد أطلق عليها المسلمون قديما بلاد ما وراء النهر (١)، وتعرف حاليا بدول آسيا الوسطى، وإن كانت جمهورية أوزبكستان المستقلة عن الاتحاد السوفيتي -السابق- في الثامن من ديسمبر (١٣١٩هـ/١٩٩١م) تشغل الحيز الأكبر منها.

هذا، وقد تطلع المسلمون لفتح هذه البلاد منذ وقت مبكر، حيث قام عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان (٢٨-٦٧هـ/٦٤٨-٦٨٦م) في عام (٥٣هـ/٦٧٣م) بغزو بخارى؛ فكان أول من غزاها. وفي عام (٥٦هـ/٦٧٦م) تولى سعيد بن عثمان بن عفان حكم خراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م)، فغزا بخارى وسمرقند. واستمرت حملات المسلمين على هذه البلاد حتى تولى القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي (٤٦-٩٦هـ/٦٦٩-٧١٥م) حكم خراسان في خلافة الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) ونجح في فتح هذه البلاد بصورة نهائية (٢)؛ وعمل على تثبيت أقدام المسلمين هناك.

وبعد انتشار الإسلام واستقرار العرب في بلاد ما وراء النهر (٣)، قامت حركة علمية ضخمة في هذه البلاد، كانت تهتم في البداية بالعلوم الدينية؛ من تفسير وحديث وفقه. ثم ظهرت حركة أخرى تهتم بالعلوم الإنسانية؛ ويأتي في مقدمتها علم التاريخ.

فإلى جانب اهتمام المسلمين بكتابة التاريخ العام للدولة الإسلامية ظهر جماعة من المؤرخين اهتموا بكتابة تاريخ أوطانهم. وهذا النوع من الكتابة التاريخية عرفت باسم «تاريخ البلدان».

وقد حظي إقليم خوارزم بكوكبة من المؤرخين دونوا تاريخ هذا الإقليم. ومما يؤسف له أن معظم هذه المؤلفات فقدت، ولم يصلنا منها إلا القليل النادر، ومن أهمها: كتاب «مفاخر خراسان في ذكر بلاد ما وراء النهر» لأبي القاسم عبدالله ابن أحمد بن محمود البلخي، المتوفى في عام (٣١٩هـ/٩٣١م) (٤). وكتاب «الكافي في تاريخ خوارزم» لأبي أحمد محمد بن سعيد بن القاضي، المتوفى في عام (٣٤٦هـ/٩٧٩م) (٥). وكتاب «أخبار خوارزم» لمحمد بن سعيد بن سمقة (بالتشديد أو بالتخفيف) الخوارزمي، المتوفى في عام (٣٦٩هـ/٩٧٩م). قال الصفدي: «كان من أفراد علماء خوارزم وفضلائها وعقلائها صاحب كتاب «أخبار خوارزم»، وكتابه يدل على كمال فضله» (٦).

ومن الكتب الهامة أيضا كتاب «تاريخ ولاة خراسان» (٧)، لمؤلفه: السلامي: أبوعلي الحسين ابن أحمد، المتوفى في



عام (٣٥٠هـ/٩٦١م). ويبدو أن السلامي كان مرجعا لمعظم المؤرخين الذين جاءوا بعده، من أمثال البيروني في كتابه «الآثار الباقية» (٨)، وابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» (٩)، والسمعاني في كتابه «الأنساب» (١٠).

وكتاب «تاريخ خوارزم» لمؤلفه العالم العظيم البيروني: «محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، المتوفى في عام (٤٤٠هـ/١٠٤٨م). والذي وصف بأنه أعظم علماء الإسلام، وعلى الرغم من أن الرجل كان تخصصه في الرياضيات والفلك، إلا أنه كتب أيضا في مجال الجغرافيا والتاريخ. وكتابه «تاريخ خوارزم». لم يصل إلينا في صورته الأصلية، وإن كان ياقوت الحموي قد رجع إليه في كتابيه: «معجم البلدان» (١١) و«معجم الأدباء» ويسميه في الأخير بـ: «المسامرة في أخبار خوارزم» (١٢).

وللحسن بن مظفر، أبو علي النيسابوري، المتوفى في عام (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) كتاب: «زيادات أخبار خوارزم» (١٣). ولمظهر الدين الكاساني، كتاب: «تاريخ خوارزم» (١٤).

ولمؤرخ آخر يعرف باسم: صدر الأجلاء النيسابوري، كتاب: «التاريخ الخوارزمي»، كتب في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (١٥).

حتى جاء الحافظ ابن أرسلان الخوارزمي، فكتب: «تاريخ خوارزم» في ثمانين جزءا (ثمانية مجلدات)، وبسط الكلام في وصف خوارزم وأهلها.

● **نسب ابن أرسلان**

هو: محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان الخوارزمي، المعروف بـ«ابن العباسي» (١٦). المكنى بمظهر الدين أبي محمد. ولد في الخامس عشر من شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة (١٠٩٩م) في مدينة خوارزم (١٧)، إحدى أقاليم بلاد ما وراء النهر.

● **نشأته**

نشأ ابن أرسلان في أسرة علمية، محبة للعلم، فكان جده الأعلى «العباس بن أرسلان» محدثا، فاضلا، ثقة (١٨).

أما والده «محمد» فكان أحد الأعلام الثقات، ومن كبار علماء خوارزم، ومن كبار فقهاء الشافعية في زمانه، ترجم له ولده في كتابه «تاريخ خوارزم»، وأطنب في ذكره، فقال: «قرأ الأصول والفروع على الإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن الحسين الدرغاني (١٩) المتوفى في عام (٤٠٢هـ/١٠١٢م). ومهر في الأصول وصار فريد الزمان في انطلاق اللسان وحسن البيان وانتزاع البرهان من الأصول العقلية والقرآن (الكريم) وأضحى نادرة الأيام في إفحام فحول المجاهدين وقت الخصام بأقطع الإلزام.

وقرأ «شرح المهذب» لأبي بكر الصيدلاني، في مجلدات وأتى على حفظ جميعه فربما كان يسأل عن مئة مسألة في مجلسه في مواضع مختلفة ويجيب عنها على الفور من غير تردد ولا تخبط، ويذكر ما فيها من القولين، والتنبيه على

الجوابين، ويذكر عللها.
قال: وحفظ «تفسير الثعلبي» المتوفى في عام (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، جميعه فكان إذا سئل في مجلسه عن عشر آيات في مواضع متفاوتة ذكر تفسيرها باختلاف أقوال المفسرين من غير غلط ولا خطأ (٢٠)». توفي رحمه الله يوم الأربعاء، رابع صفر سنة ثلاث وخمسمائة (١١٠٩م).
هكذا كانت حياة الأب والجد، حياة علمية، جادة في تحصيل العلم، ونشره بين الناس. قال الإمام الأسنوي: «كان (ابن أرسلان) من بيت صلاح وعلم» (٢١).

● شيوخه

كان من الطبيعي أن ينشأ مؤرخنا محبا للعلم، فقد اعتنى والده بتربيته، فحفظ القرآن الكريم صغيرا، وجوده، واتقنه. ثم أخذ في طلب علم الحديث، فسمع من أعلام أهل زمانه، فبالإضافة إلى أبيه وجده، سمع من الإمام إسماعيل ابن أحمد البيهقي (٤٢٨-٥٠٧هـ/٩٩٤-١٠٦٦م)، نزيل خوارزم (٢٢). ثم طوف في إقليم بلاد ما وراء النهر، فدخل مدينة سمرقند، وسمع من عالمها ومحدثها؛ أحمد بن عبدالواحد الفارسي، المتوفى في عام (٤٦٩هـ/١٠٧٦م). ثم رحل منها إلى مدينة بخارى، فأخذ عن إمامها؛ محمد بن علي المطهري (٢٣) المتوفى في عام (٥٣٧هـ/١١٤٢م). وبعد أن حصل علم بلاد ما وراء النهر، ارتحل عنها إلى إقليم خراسان، فكانت مدينة مرو أولى محطاته العلمية خارج وطنه، فسمع من عالمها محمد بن عبدالله الحفصوي (٢٤) المتوفى في عام (٥١٦هـ/١١٢٢م)، وغيره (٢٥). ثم عنت له الرحلة إلى بغداد، حاضرة الدنيا، ومحط العلماء، ومبتغى أهل العلم حينذاك، فسمع من جماعة من أهل العلم، وعلى رأسهم ابن الطلاية (أحمد بن أبي غالب بن أحمد، المتوفى في عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، كما تفقه على يد الشيخ الحسن بن مسعود البغوي (٤٣٦-٥١٠هـ/١٠٤٤-١١١٧م). ومن الجدير بالذكر، أن نجم ابن أرسلان قد سطع في سماء بغداد، فحدث بها، وتولى الوعظ في المدرسة النظامية.
بعد هذه الرحلة الطويلة، عاد ابن أرسلان إلى مسقط رأسه خوارزم. عاد بغير الوجه الذي ذهب به، عاد عالما، فقيها، محدثا، مؤرخا. عاد ليعلم أبناء وطنه أمور دينهم ودنياهم. فسعدت به خوارزم، بل سعدت به بلاد ما وراء النهر كلها. قال الأسنوي: «سمع الكثير ببلاد شتى ثم عاد إلى خوارزم، وأقام بها ينشر العلم» (٢٦).
والآن؛ ألقي بعض الضوء على العلوم التي كان يحسنها ابن أرسلان.

● ابن أرسلان محدثا

كان علم الحديث من أهم العلوم التي برع فيها ابن أرسلان، حتى كان يشار إليه بالبنان. قال السبكي: «طلب الحديث، وعلق منه طرفا صالحا» (٢٧)، كما أثنى على علمه، فقال: «كان الرجل متبحرا في صناعة الحديث، يطلق عليه الحافظ المطلق ولا حرج» (٢٨). ومن الجدير بالذكر، أن الإمام فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ/١٠٤٤-١١١٧م) روى عنه حديثا مسندا إلى رسول الله ﷺ (٢٩). غير أنه مما يؤسف له، أن ابن أرسلان لم يترك لنا مصنفا في الحديث نقف به على طريقته في التأليف.

● ابن أرسلان فقيها شافعيا

كان للمذهب الحنفي الحظوة والانتشار في ظل الدولة العباسية لأسباب كثيرة، يطول شرحها، وليس موضوعنا الآن، لذا فقد انتشر هذا المذهب بالعراق، والهند، والصين، وما وراء النهر، كما يقول ابن خلدون (٣٠). ثم صار مذهبا شعبيا عند الناس كما يقول الشيخ محمد أبوزهرة (٣١). ولكنني أستطيع القول: إن المذهب الشافعي أخذ ينازع المذهب الحنفي السلطان في الشعبية، فحمل إلى مرو وخراسان. وكان العلماء الذين نقلوه حريصين على نقل كتب المذهب الأصيلة الى تلك البلاد، ونشرها بين المثقفين، كما كانوا حريصين على إقناع الحكام والسلاطين به، ليجعلوه مذهب ولاياتهم. لذا فقد انتشر في العراق ومصر لأن الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠م) أقام بها في آخر حياته (١٩٩هـ/٨١٥م) وخراسان، وما وراء النهر (٣٢)، وقاسموا الحنفية الفتوى والتدريس.
هذا، وقد برع ابن أرسلان في الفقه الشافعي، كما كان بارعا في الحديث، وكانت له اجتهادات فقهية كثيرة في فروع المذهب، ومنها على سبيل المثال قوله: «بجواز أن يصلي الفرد سنة الجمعة بعدها ستا، تؤدى ركعتين، ثم أربعا بسلام واحد» (٣٣)، كما قال: «بجواز أن يلبس الرجل في خنصره كل يد خاتم، وفي أحدهما خاتم والآخر خاتمان، ولا يجوز في كل واحد خاتمان» (٣٤).
كما كانت له آراء في علم أصول الفقه، ومنها على سبيل المثال: في مسألة انعقاد الإجماع بعد سبق الخلاف، وقد ماتت إحدى الطائفتين المختلفتين وبقيت الأخرى. قال بعض الفقهاء: يكون قول الباقين إجماعا؛ لأن بالموت ظهر اندراج قول ذلك القسم وحده تحت أدلة الإجماع.
على حين ذهب ابن أرسلان، إلى أن ذلك لا يكون إجماعا؛ لأن الميت في حكم الباقي الموجود، والباقون هم بعض الأمة لا كلها (٣٥).
ومن الجدير بالذكر، أن اشتغال ابن أرسلان بعلم الفقه وأصوله، قد أكسبه مهارة المناظرة. ومنها على سبيل المثال تلك المناظرة التي عقدت بينه وبين الإمام الشهرستاني (محمد بن عبدالكريم بن أحمد، المتوفى في عام٥٤٨هـ/١١٥٣م) الفيلسوف الشهير؛ والذي كان يدافع بقوة عن مذهب الفلاسفة، على حين كان ابن أرسلان ينتصر لمذهب أهل السنة والمحدثين. قال: «وكانت بيننا محاورات ومفاوضات، فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم»، ثم أثنى عليه بقوله: «ولولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى أهل الزيغ والإلحاد لكان هو الإمام في الإسلام» (٣٦).
قال الإمام الذهبي: «كان ابن أرسلان فقيها، فاضلا، عارفا بالمتفق والمختلف،

حسن الظاهر والباطن، جامعا بين الفقه والتصوف» (٣٧).

● ابن أرسلان مؤرخا

يعد علم التاريخ من أهم العلوم التي اشتغل بها ابن أرسلان. فإذا تذكرنا أن علم التاريخ قد خرج من عباءة علم الحديث، وأن كثيرا من المحدثين قد انتهى بهم المطاف فأصبحوا مؤرخين، إذا تذكرنا ذلك، وتذكرنا أيضا أن ابن أرسلان قد بدأ حياته محدثا كما سبقت الإشارة إلى ذلك منذ قليل عرفنا إذن، أنه قد دخل علم التاريخ من باب علم الحديث، أو بمعنى أوضح، إنه كتب التاريخ على رسم المحدثين.

أما عن أهم مؤلفات ابن أرسلان في علم التاريخ؛ فهو كتابه الشهير: «تاريخ خوارزم». والذي ذكره الإمام السخاوي عند حديثه عن تاريخ مدينة خوارزم، فقال: «إن تاريخ خوارزم لابن أرسلان يقع في نحو ثمانين مجلدا» (٣٨). ومما يؤسف له أن هذا المعجم الكبير، أعني «تاريخ خوارزم» فقد (٣٩). قال الإمام السبكي: «ووقعت على المجلد الأول منه، وهو الذي وقف عليه شيخنا الذهبي، وهو من قسمة ثمانية أجزاء ضخمة» (٤٠).

ومن الجدير بالذكر، أن المؤرخ شمس الدين الذهبي (المتوفى في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) قد اختصر هذا الكتاب -كما ذكر السخاوي- في مجلد واحد، يحمل عنوان «المنتقى من تاريخ خوارزم». وللأسف لم يصلنا هذا المختصر أيضا. ولكن يمكن القول: إن الخوارزمي صاحب مصنف جغرافي وتاريخي ضخم، رجع إليه كثير من المؤرخين، وأخذوا عنه كثيرا في مؤلفاتهم.

أما بالنسبة لتوقيت تأليف كتاب «تاريخ خوارزم»، فإنني لا أستطيع تحديد ذلك بشكل قاطع؛ لعدم وجود نصوص دالة على ذلك.

● تلامذته

بمجرد دخول ابن أرسلان إقليم خوارزم التف الناس حوله، ولاسيما طلاب العلم، للأخذ عنه. ومن أشهرهم: يوسف بن مقلد الدمشقي، وأحمد بن طارق الكركي المحدث (٥٢٧-٥٩٢هـ/١١٣٤-١١٩٥م)، والإمام فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ/١١٥٠-١٢١٠م)، والإمام السمعاني (٥٠٦-٥٦٢هـ/١١١٣-١١٦٧م)؛ قال: «سمعت منه بجرجانية خوارزم» (٤١).

أما أشهر تلامذته على الإطلاق، فهو الإمام محمد بن عبدالله ابن عمر، المعروف بـ «أبي الحياة الفارسي (٥٣٠-٥٧٦هـ/١١٣٥-١١٨٠م)، كان من أهل بلخ وسافر إلى خوارزم للأخذ عن ابن أرسلان، فانتفع بما سمع حتى صار من كبار علماء المدرسة النظامية. قال ابن النجار: «كان فاضلا، عالما، مليح الوعظ، حسن الإيراد، حلو الاستشهاد، رشيق المعاني، لطيف الألفاظ، فصيح اللهجة» (٤٢).

● مصنفاته

أما أهم مصنفات الإمام ابن أرسلان، فقد ترك لنا كتابين، أحدهما: بعنوان: «الكافي في النظم الشافي» (٤٣)، في الفقه الشافعي، والذي كان مرجعا فقهيا لكثير من فقهاء الشافعية الذين جاءوا من بعده. للأسف لم يصل إلينا هذا الكتاب، ولعلنا فقدناه مع ما فقدنا من تراثنا الإسلامي، ولكن حفظت لنا كتب طبقات الشافعية نتفا منه. والكتاب الثاني: «تاريخ خوارزم».

● وفاته

توفي ابن أرسلان بعد حياة مليئة بالعطاء في مسقط رأسه بمدينة خوارزم؛ تلكم المدينة التي أحبها، وعاش في ظلالها، ودون تاريخها، ثم دفن في ترابها؛ وذلك سنة (٥٦٨هـ/١١٧٣م)، فحزن الناس عليه حزنا شديدا.

الهوامش

١- بارتولد تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص ١٤٥.
٢- البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥٥، د. محمود محمد خلف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، بين حقائق المؤرخين وأوهام المستشرقين، ص ١٢٦.
٣- د. محمود محمد خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، ص ١٥١ وما بعدها.
٤- السمعاني: الأنساب، (٣/٣٣).
٥- البيهقي: تاريخ بيهق، ص ١١٥، حاجي خليفة: كشف الظنون، (١/٢٩٣).
٦- الصفدي: الوافي بالوافيات، (٣/٨٨)، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، (١٠/٢٩).
٧- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ١٥٧، كراتشكوفسكى: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٨٤، د. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، (م١، جـ٢، ص٢٢٥).
٨- البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٣٢.
٩- ابن خلكان: وفيات الأعيان، (٢/٤٢٣- ٤٢٩)،(٢/٦٧-٧٣)،(٣/٤٧٦-٤٧٩)، (٣/٥١٢-٥١٧)، (٤/٥٣٤- ٥٤١).
١٠- (٥/٧٠٢)، مادة: «اليفتلي».
١١- ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٣/٢٥٤)، مادة: «خوارزم».
١٢- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، (٥/٢٣٣٣)، وانظر: السيوطي: بغية الوعاة، (١/٥٠)، بينما سماه يوسف إليان سركيس في كتابه: «معجم المطبوعات العربية والمعربة»، (٢/٦١٥) بـ«المساورة في أخبار خوارزم»، وذكره ابن الساعي: الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص: ١٨٣، بـ «المسامر في أخبار خوارزم».
١٣- ياقوت الحموي: معجم الأدباء: (٣/١٠١٦)، الصفدي: الوافي بالوفيات: (١٢/١٦٩)، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، (١/٢٧٥).
١٤- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ: ص ٦٣٠، (بينما يذكره الصفدي باسم: مطهر الدين الكاشي، الوافي بالوفيات: (١/٥٧)، ولم أعثر على تاريخ وفاته.
١٥- د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، (٢/٣٧)، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.
١٦- البغدادي: هدية العارفين: (٢/٤٠٣)، الزركلي: الأعلام، (٧/١٨١).
١٧- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، (٧/٢٨٩).
١٨- الذهبي: تاريخ الإسلام، (٣٩/٣٢٥).
١٩- نسبة إلى درغان: مدينة على شاطئ نهر جيحون، وهي أول حدود خوارزم من ناحية أعلى نهر جيحون. ياقوت: معجم البلدان: (٢/٥٦٧)، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية: ص ٤٩٥.
٢٠- السبكي: نفس المصدر: (٦/١٠٧ ١٠٨).
٢١- طبقات الشافعية: (٢/١٨٣).
٢٢- الذهبي: سير أعلام النبلاء: (١٩/٣١٤).
٢٣- السمعاني: الأنساب: (٥/٣٢٨)، الذهبي: تاريخ الإسلام: (٣٦/٤٧٩).
٢٤- السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، (٢/٢٠٦).
٢٥- الذهبي: تاريخ الإسلام: (٣٩/٣٢٥).
٢٦- طبقات الشافعية: (٢/١٨٤).
٢٧- طبقات الشافعية الكبرى: (٧/٢٨٩).
٢٨- نفس المصدر، نفس الجزء، نفس الصفحة.
٢٩- ابن كثير: طبقات الشافعية: (٢/٦٢٧).
٣٠- المقدمة، (٣/٩٤٩).
٣١- تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٣٨١.
٣٢- المقدسي: أحسن التقاسيم: ص ١٥.
٣٣- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: ٦/١٤٢.
٣٤- السبكي: المصدر السابق: (٧/٢٩٠).
٣٥- الشوكاني: إرشاد الفحول: (١/٢٢٩).
٣٥- ياقوت: معجم البلدان: (٣/٧٠)، ابن حجر: لسان الميزان، (٢/٤٢٧).
٣٧- الذهبي: تاريخ الإسلام: (٣/٣٢٥).
٣٨- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص ١٥٨، حاجي خليفة: نفس المصدر: (١/٩٣).
٣٩- توجد نسخة في دار المخطوطات المصرية، تحمل عنوان: «من تاريخ خوارزم»، تحت رقم (٢٩٠) مجاميع تيمور عربي، ميكروفيلم رقم (١٥٥١٩)، تاريخ النسخ: لا يوجد، المقاس: ٢٥,٥ ×١٧,٣، عدد الأسطر: ٢٥، عدد الأورق: ٦، الغلاف كتب عليه: تاريخ خوارزم شاه، وقف أحمد بن إسماعيل ابن محمد تيمور.
٤٠- طبقات الشافعية الكبرى: (٧/٢٨٩).
٤١- الذهبي: تاريخ الإسلام: (٣٩/٣٢٥)، ولم أعثر على هذا النص فيما تحت يدي من مؤلفات السمعاني.
٤٢- ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، (١/١٤).
٤٣- حاجي خليفة: كشف الظنون: (١/٩٣)، البغدادي: هدية العارفين: (٢/٩٧)، كحالة: معجم المؤلفين: (١٢/١٩٦).

أحمد أبوزيد
باحث دراسات إسلامية

شملت الألفاظ والآيات والموضوعات والمعاني والأمثال والأرقام

المعاجم اللغوية في خدمة النص القرآني

كان القرآن الكريم، بثروته اللفظية الزاخرة، ولا يزال حتى يومنا هذا، محطّ عناية العلماء والدارسين والباحثين عبر العصور، لفهم دلالاته وأحكامه على المراد منها. ولذلك حظيت الألفاظ القرآنية باهتمام العلماء منذ الصدر الأول من الإسلام، وأُفردت لها مصنفات عديدة تندّ عن الحصر، فتعددت المعاجم والموسوعات التي عنيت بالنص القرآني وعلومه، من حيث الألفاظ والآيات والمعاني والأعلام والأرقام والموضوعات والقراءات وإعراب المفردات، والتفسير والتجويد والبديع وإعجاز الآيات، حتى ظهرت آلاف المعاجم والقواميس التي دارت حول القرآن وعلوم.

ارتباط العرب بالمعاجم ارتباط وثيق، فقد برعوا عبر العصور في صناعة المعاجم اللغوية، وبرز المعجم العربي متفردا بعد ظهور الإسلام، باعتباره ثمرة من ثمار القرآن الكريم، واستطاع منذ ظهوره أن يشق لنفسه طريقا مستقلا، وأن يحقق من التفوق والتميز ما جعله ينافس معاجم الشعوب الأخرى. وقد عبر خبير المعاجم الأوروبي هايوود Haywood عن المكانة المرموقة للمعجم العربي بقوله: «الحقيقة أن العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز، سواء في الزمان أو المكان، بالنسبة إلى العالم القديم والحديث، وبالنسبة إلى الشرق والغرب».

وكان هذا التفوق والريادة للمعاجم العربية -على حد قول الدكتور أحمد مختار (عمر رائد المعاجم)- نتاج عوامل أربعة هي:

١- التفكير المبكر في عمل المعجم، حيث ظهر أول معجم كامل في منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) على يد العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي.

٢- التفرد بهدف غاب في معاجم الشعوب الأخرى، وهو تسجيل المادة اللغوية بصورة شاملة، وشرحها بطريقة منظمة، في حين أن معاجم الشعوب الأخرى مجرد قوائم لشرح الكلمات النادرة أو الصعبة.

٣- كثرة ما ظهر من معاجم عربية على امتداد السنوات والقرون، حتى إن عددها يكاد يندّ عن الحصر.

٤- تنويع أشكال المعاجم العربية بصورة كبيرة، وبشكل يستنفد كل الاحتمالات العقلية الممكنة للترتيب.

> **حظيت الألفاظ القرآنية باهتمام العلماء عبر العصور وأفردت لها مصنفات عديدة**

فهرسة القرآن الكريم

لاشك أن القرآن الكريم كان له الفضل في تفوق المعاجم العربية عبر العصور، حيث شغلت فهرسته، من حيث اللفظ والآية والموضوع وغير ذلك من علوم قرآنية، الكثير من العلماء، وذلك لأهميتها القصوى للدارسين والباحثين، حيث تيسر الاستفادة من ألفاظ القرآن وآياته وموضوعاته والوصول إليها بسهولة من دون مشقة البحث، لمعرفة موقع لفظ معين أو آية معينة ورقمها وسورتها وما يتشابه معها من آيات في سورة أخرى.

البداية مع غريب القرآن

وقد جاء التفكير في وضع المعاجم القرآنية والمعاجم العربية عموما في وقت مبكر، عقب نزول القرآن الكريم، ودخول غير العرب في الإسلام واستعصاء بعض مفردات القرآن على الكثير منهم، مما استدعى شرح غريب القرآن والحديث ولغة العرب عموما.

ومن هنا ارتبطت بداية المعاجم العربية بغريب القرآن ارتباطا وثيقا، فقد أوجَدَتْها الحاجة إلى تفسير ألفاظ قرآنية، خفيت على بعض العرب، الذين لم يكن لهم عهد بها، ربما لأنها لم تكن من لغة قبائلهم، فالقرآن عربي


بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك
وهو على كل شيء قدير
الذي خلق الموت والحيوة

ليبلوكم أيكم أحسن
عملا وهو العزيز الغفور
الذي خلق سبع سموت
طباقا ما ترى في خلق
الرحمن من تفوت فارجع
البصر هل ترى من فطور
ثم ارجع البصر كرتين ينقلب

ونـزل بلغة العرب عامة، ولكن كانت فيه ألفاظ خاصة ببعض القبائل، دون بعضها الآخـر، فاحتاج الأمـر إلى أن تُفَسّر هذه الألفاظ، حتى لا يظل في القرآن لفظ غامض.

وتـعـدّ المـصـنـفـات فـي شـرح «غريب القرآن»، على اختلاف مناهجها وطرق ترتيبها، باكورة المعاجم القرآنية، بل بداية الحركة المعجمية والعلمية بوجه عـام، يـقـول الـدكـتـور حسين نصار: «وكانت هـذه الحركة التي ترمي إلى توضيح آيـات الـقـرآن، هـي الحركة العلمية الأولـى عند المسلمين، فما اتصل بـالـقـرآن مـن عـلـوم كـان أولها ظهورا، وما ابتعد عنه كان من آخرها، ولـيـس فيما أحـسـب مـن شـيء أكثر صـلـة بـه مـن مـحـاولـة فهمه بـإدراك غريبه ومشكله، فتفسير غريب القرآن ومشكله أُولى الحركات العلمية التي رآها العرب».

وكـانـت أولـى الـرسـائـل المعجمية في الـقـرآن الـكـريـم تنتسب لعبدالله بن عباس رضي الله عنه، الـذي أجـاب فيها على أسـئـلـة نـافـع بـن الأزرق، والمسماة «مسائل نافع بن الأزرق في القرآن»، ثم تـوالـت الـرسـائـل فـي هـذا المجال ومنها: «غـريـب الـقـرآن» لأبـي سعيد أبـان بـن تغلب المـعـروف بالجريري، و«تفسير غريب القرآن» لأبي عبدالله مالك بن أنس بن مالك.

وهكذا اقتصرت جهود السابقين من علمائنا على اختيار الألفاظ الغريبة، لحاجتهم إلـى معنى اللفظ القرآني وشـرح غريبه، ثم تصنيف ذلك وفق منهج مختار؛ ولم تتجه جهودهم إلى صنع فهارس شاملة لكلمات القرآن الـكـريـم لـعـدم مسيس الـحـاجـة إلى ذلك؛ إذ لم يكن عزيزا على الناشئة الاسـتـرشـاد إلـى مـواضـع الآيـات في المصحف الشريف، فضلا عن العلماء والباحثين، فعامتهم من الحفظة لكتاب الله عز وجل.

معاجم الألفاظ

في العصر الحديث تطورت الصناعة المعجمية عالميا، وخضعت لمواصفات عامة، واستخدمت الأجهزة الحديثة لبناء قواعد للبيانات والاستفادة منها فـي الحـصـول على المـادة وترتيبها، وبـــرزت اتجـاهـات مـتـعـددة فـي صنع المـعـاجـم، كـان مـن بـيـنـهـا «المعاجم المفهرسة»، التي تعتمد على إحصاء مـواد الـدراسـة إحـصـاء دقـيـقـا، ثم فهرستها وتصنيفها تمهيدا لدراستها.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى فهرسة سائر ألفاظ القرآن الكريم والدلالة على مواضعها في المصحف الشريف، وعرف الباحثون ما سمي بـ «المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم».

دور المستشرقين

كـان لـلـمـسـتـشـرقين، الـذيـن اهتموا بدراسة الإسـلام، دور في وضـع هذا الـنـوع مـن المـعـاجـم اللفظية للقرآن الـكـريم، حيث اتجـه نـفـر منهم إلى إحـصـاء ألـفـاظ الـقـرآن والحديث الشريف، ووضع فهارس شاملة للدلالة على مـواضـعـهـا فـي الآيـات الكريمة والأحاديث الشريفة، مما ييسر على الباحث العثور على طلبه بأقصر وقت وأيسر مؤونة.

ففـي سنة ١٨٤٢م، قـام المستشرق الألماني فلوجل بوضع أول فهرس شامل للقرآن الكريم، أسماه: «نجوم الفرقان في أطراف القران»، وكان يعد في هذه الفترة خير ما أُلِّف وأكثره استيعابا في هذا المجال من دون منازع.

مراجعة وتنقية

لكن هذا المعجم على أهميته كان في حاجة إلى مراجعة وتنقية من علماء

الإسلام، وهذا ما قام به الباحث محمد فؤاد عبدالباقي، الذي عكف على مراجعته على معاجم اللغة وتفاسير الأئمة اللغويين، وناقش مواده حتى أرجع كل مادة إلى بابها، وجعل هذا المعجم أساسا لمعجمه الخاص بألفاظ القرآن الكريم والذي سماه «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم». ولكي يأتي معجمه دقيقا وخاليا من الأخطاء والملابسات، اختار عبدالباقي لجنة من العلماء المخلصين، وعرض عليهم مواد هذا المعجم لإقرارها وتصويب ما فيها من خطأ في ضوء معاجم وتفاسير القرآن.

وقام عبدالباقي في معجمه الجديد برد رقم آيات مصحف فلوجل إلى رقم آيات مصحف الملك فؤاد، وأضاف تحت كل لفظة رقما يدل على عدد مرات ورودها في الكتاب الكريم، ورمز أمام كل آية مكية بحرف «ك»، وأمام كل آية مدنية بحرف «م»، ولم يسقط منه غير خمس عشرة لفظة أوردها في المقدمة جدولا بالألفاظ التي قد تعذر العثور عليها، وانتهى عبدالباقي من تبيض معجمه ومراجعته المراجعة النهائية على المصحف الشريف في ٤ ربيع الأول ١٣٦٤هـ (١٧ فبراير ١٩٤٥م)، وهو يقع في ٧٨٠ صفحة. واختلفت دور النشر في طباعة هذا المعجم لألفاظ القرآن، فمنهم من طبعه متضمنا المصحف الشريف، ومنهم من طبعة من دون المصحف.

معجم المجمع اللغوي

لم يكن هذا هو المعجم الوحيد لألفاظ القرآن الكريم، بل قام مجمع اللغة العربية في القاهرة بوضع «معجم ألفاظ القرآن الكريم»، الذي يضم كل ألفاظ القرآن ودلالاتها، ومواضعها في القرآن الكريم. وصدر منه ثلاث طبعات، أولاها سنة ١٩٥٣م في ستة أجزاء، وأعيد طبع هذا المعجم مرة أخرى في مجلدين سنة ١٩٧٠م، ثم

برز المعجم العربي متفردا بعد ظهور الإسلام باعتباره ثمرة من ثمار القرآن الكريم

أخرجته دار الشروق في مجلد واحد سنة ١٩٨٢م. وبعد ذلك شكلت لجنة لوضع منهج موحد، ولإعادة النظر في بعض الأمور التي وردت بالطبعات السابقة، وفي سنة ١٩٨٩م ظهرت طبعة منقحة من هذا المعجم، وأخرى سنة ١٩٩٠م.

وقد انطلقت فكرة تأليف هذا المعجم من أن العناية باللغة تتمثل في العناية بأهم عنصر فيها وهو الألفاظ القرآنية؛ إذ إن القرآن الكريم هو الأساس المتين للغة العربية، وروعي أن يكون هذا المعجم علميا وافيا، بذكر الاشتقاقات والأصول، وأقوال المفسرين، مستخدما العلم الحديث في إعداده بوسائله المختلفة.

معجم الآيات

جاءت بعد ذلك محاولة أخرى لفهرسة القرآن الكريم، وذلك بوضع معجم مفهرس لآياته الكريمات، بحيث يسهل الرجوع إليها، ومعرفة رقمها وسورتها، وقام بهذا العمل الباحث محمد منير ابن عبده الدمشقي، ورتبه على حروف المعجم اللغوي، وأورد الآية ورقمها، والجزء الذي تقع فيه، مع بيان مرجع معناها من تفسير روح المعاني للعلامة الألوسي الفقيه، وتفسير ابن جرير الطبري، وقد سمي هذا المعجم «إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين»، وطبع بعد ذلك باسم «المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم». وافتتحه واضعه بمقدمة في علم التفسير، وما خفي من معاني ألفاظ القرآن الكريم، وبديع أسلوبه وإعجازه، وفنون التفسير.

● **المعجم الموضوعي**

وتبعت هذه المحاولة المهمة لفهرسة آيات القرآن الكريم محاولة أخرى جادة في هذا المجال، تمثلت في وضع «معجم موضوعي للقرآن الكريم»، يقسم آياته حسب موضوعها، ويجمعها في أبواب مستقلة، بحيث يسهل الرجوع إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع معين، ومعرفة أرقامها ومواقعها من القرآن والسور التي وردت فيها.

وقد قام بهذه المحاولة الباحث صبحي عبدالرؤوف عصر، وقسم معجمه إلى ثلاثة أقسام كبرى تندرج تحتها معظم آيات القرآن، إن لم تكن كلها، وهي: أركان الإيمان والإسلام، والتقوى، والكفر والفسوق والعصيان.

وقسم كلا منها إلى موضوعات فرعية، فشمل القسم الأول، وهو أركان الإيمان والإسلام، تسعة موضوعات، وشمل قسم التقوى مئة وواحد موضوع، وشمل قسم الكفر والفسوق والعصيان مئة وستة وخمسين موضوعا.

وتحت هذه الأقسام الثلاثة الكبرى وموضوعاتها الفرعية، جمع المعجم كل ما له صلة بها، بطريقة جديدة مبتكرة تيسر على الباحث مهمته، وتعين الواعظ في إرشاده، وتسهل على طلاب العلم الاستفادة من القرآن، وتوفر لهم الجهد والوقت.

وجاء هذا المعجم دقيقا في ترتيبه وتنسيقه ميسورا في تناوله، فلم يكن معجم كلمات ولا معجم آيات، ولكنه معجم موضوعي للقرآن الكريم، أكمل رسالة ما سبقه من معاجم للكلمات والآيات.

المعجم الموسوعي

إذا كانت المعاجم السابقة قد تميزت ببساطتها، واقتصرت على فهرسة الألفاظ والآيات والموضوعات، فقد خطا الدكتور أحمد مختار عمر، رائد المعاجم، خطوة كبيرة بمعجمه الموسوعي

لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، والذي صدر عام ٢٠٠٣م في ١٥٠٠ صفحة، ويعد من أبرز أعماله، حيث يتعمق في الجوانب اللغوية لألفاظ القرآن الكريم ومعانيها وتفسيرها.

وهذا المعجم الموسوعي يجمع ثلاثة معاجم في مجلد واحد:

- الأول: معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم يتناول الجوانب اللغوية المتعددة لكل لفظ، بما يشمل جذر الكلمة أو حروفها الأصلية، ونوعها، ووزنها، وبيان معاني الكلمة، مع تحديد المجال الدلالي.

- الثاني: معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم، يضع جميع كلماته في ترتيب ألف بائي، سواء كانت أسماء أم أفعالا أم أدوات أم ضمائر منفصلة، وهو ما يتم جمعه للمرة الأولى في مكان واحد.

- الثالث: يجمع بين العمل الفهرسي الإحصائي من ناحية، والتفسيري التخريجي من ناحية أخرى، ويشمل المعلومات عن كل قراءة، وجذور الكلمة ومصادرها وتخريجها اللغوي ومجالها الدلالي.

وتظهر موسوعية هذا العمل في جمعه بين ألفاظ القرآن الكريم والقراءات القرآنية، ومزاوجته بين العمل التفسيري والعمل الفهرسي، وتغطيته الجوانب اللغوية المتعددة للفظ، واهتمامه بالمعلومات الموسوعية التي تشمل ما ورد في القرآن الكريم من أعلام وأماكن ومواقع وأحداث تاريخية.

ويفيد هذا المعجم المتخصصين في حقل الدراسات اللغوية والقرآنية من خلال تزويدهم بالمعلومات اللغوية الرئيسية عن كل كلمة من ناحية، وفتح مجالات متنوعة للبحث أمامهم من ناحية أخرى.

وتشمل هذه المجالات دراسة الجوانب الصرفية، والاشتقاقية، والدلالية، ومعاني الأوزان، وتبادل الصيغ،

وضع مجمع اللغة العربية في القاهرة معجما لألفاظ القرآن يضم كل ألفاظه ودلالاتها

وبعض الظواهر اللغوية الأخرى، مثل: المشترك اللفظي، والترادف، والتضاد، والمجالات الدلالية.. وغيرها.

معجم القراءات القرآنية

ولم يقتصر عطاء مختار عمر على هذا المعجم الموسوعي، بل تنوع في مجال الدراسات القرآنية، فوضع، بالاشتراك مع الدكتور عبدالعال سالم، سنة ١٩٨٥م «معجم القراءات القرآنية» في ثمانية أجزاء، مع تقديم طويل يكاد يكون كتابا في تاريخ القرآن الكريم والقراءات وأشهر القراء.

ويحوي هذا المعجم ثروة لغوية ضخمة لا يستغني عنها دارس للغة العربية، وقد اعتمد هذا المعجم على عدد كبير من المصادر، روعي فيها استيعاب المصادر الرئيسية للقراءات السبع والعشر والأربع عشرة والشاذة، مثل السبعة لابن مجاهد، والتيسير للداني، والحجة لابن خالويه، والمحتسب لابن جني وغيرها.

كما اشتملت على المصادر الرئيسية في التفسير وإعراب القرآن، مثل: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش، وإعراب القرآن المنسوب للنحاس، ومفاتيح الغيب للرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي. ورتبت القراءات على حسب ترتيب المصحف، مع الاعتماد أساسا على قراءة حفص.

ونجد أيضا معجمه عن «ألفاظ الحضارة في القرآن الكريم»، وهو يدل على وعي ثقافي رائد يسعى بصدق من أعماق التخصص لنفض الافتراءات عن الإسلام وحضارته.

المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن

وتتواصل جهود العلماء المعجميين لخدمة النص القرآني، فنجد «المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم»، الذي وضعه الدكتور محمد حسن جبل، وصدر عن مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٤٣٢هـ، في أربعة مجلدات، رُقِّمت ترقيما متواصلا، فبلغ مجموع صفحاته ٢٤١٥ صفحة.

وهذا المعجم أصله رسالة تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه، ويعتبر من أجود الأعمال التي قدمت خدمة لمفردات القرآن الكريم، فقد اشتمل على:

١- بيان المعنى المحوري العام لكل من التراكيب القرآنية وفصولها المعجمية، حيث تعرض لنحو ٢٣٠٠ تركيب، منها نحو ١٧٠٠ هي التراكيب التي بنيت منها ألفاظ القرآن الكريم.

٢- تفسير كل من ألفاظ القرآن الكريم في سياقاتها القرآنية، تفسيرا موثقا من معاجم اللغة وتفاسير القرآن الكريم المشهورة.

٣- بيان اشتقاق كل من ألفاظ تلك التراكيب: قرآنية أو لغوية غير قرآنية.

٤- بيان المعنى اللغوي لكل من الأصوات التي تتكون منها كل التراكيب في هذا المعجم مطبقة في المعنى المحوري لكل تركيب، وقد بلغت ٣٩٧ تحليلا صوتيا.

وقد استهدف المؤلف من هذا المعجم تقديم تفسير لمفردات القرآن الكريم موثق ومؤصل، لأن الاشتقاق هو أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ، وذلك حسما للتردد الذي يقع فيه دارس تفسير القرآن الكريم أو الباحث في مفرداته عندما يواجه بأن هناك أقوالا كثيرة في بيان معنى المفردة القرآنية.

وبذل فيه مؤلفه جهدا كبيرا، وأودع

فيه خلاصة علوم الأولين الذين أبدعوا في بيان المفردات اللغوية كابن فارس وابن جني وأمثالهما ممن عني بالدراسات المعجمية، وقد نجح في توظيف علوم السلف من اللغويين والمفسرين، والجمع بينها، والاستدراك عليها بعلم وأدب.

معجم التجويد والقراءات

بعد ذلك نجد «معجم مصطلحات التجويد والقراءات» للدكتور إبراهيم الدوسري، الذي صدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، وهو يقع في ١٦٢ صفحة من القطع العادي، وقد اشتمل على التعريف بأربعمئة مصطلح أو يزيد دون اعتبار المكرر، والذي يقارب المئتين مصطلح، ورتبه مؤلفه على الترتيب الهجائي الألفبائي دون اعتبار «ال» التعريف. وذكر أن الهدف من هذا المعجم حصر مصطلحات التجويد والقراءات، وتحديد مدلولاتها على وجه الإيجاز من خلال مصادر التجويد والقراءات.

وهذا المعجم يخدم الباحثين في الدراسات القرآنية وغيرها، فلطالما احتاجوا إلى معرفة معاني مصطلحات التجويد والقراءات عند القراء، مثل: النَّصِّ، أهل الأداء، القياس، الاختيار، الإرداف، الانفرادة، التركيب، التخليص، الهمزة المطوَّلَة.. إلى آخر ذلك من مصطلحات التجويد والقراءات.

معجم التراكيب

وهناك المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم، للدكتور محمد زكي محمد خضر، والذي يضع فهرسا للتراكيب المتشابهة في القرآن الكريم بين يدي الباحثين والدارسين للقرآن الكريم، بحيث ينتفع به الباحثون في اللغة العربية، وفي الإعجاز، وفي متشابه القرآن، وفي التفسير الموضوعي، وفي مواضيع متعددة أخرى، كما ينفع من يريد أن يحفظ كتاب الله ويراجع الحفظ، ويساعد في تثبيت كتاب الله في الصدور.

وقد تم إنجاز هذا المعجم باستعمال الحاسوب، بحيث ضم كل تركيب لفظي فيه نوع من التكرار أو التشابه اللفظي. ويقصد بالعبارات المتشابهة لفظا تلك العبارات التي يشترك بعضها مع بعض. وقد تم تبويب العبارات حتى وإن اختلفت في التشكيل أو بسوابق الكلمات أو بلواحقها من ضمائر أو غيرها. وهذا المعجم مفهرس أبجديا حسب جذور الكلمة المختلفة في العبارات المتشابهة، ويتضمن الإشارة إلى السور وأرقام الآيات التي وردت فيها العبارات، ويشير إلى عدد مرات تكرار العبارات المتطابقة تماما بكل ألفاظها. وهو يحتوي على ٤٤٤٣٩ عبارة مختلفة تماما أو مختلفة جزئيا، ويحوي إشارات إلى ٧٨٣٠٦ مواضع في القرآن الكريم.

معجم الأمثال

ومن المعاجم القرآنية المهمة «معجم الأمثال في القرآن الكريم» للباحث سميح عاطف الزين، وهو يقع في ٦٨٦ صفحة، ويضم جميع أمثال القرآن الملفوظة، منسقة على أساس سور القرآن الكريم؛ ابتداء بسورة البقرة، وانتهاء بسورة الفيل التي تنتهي بآخر مثل: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (الفيل:٥). وقد جعله صاحبه على هذا الترتيب، حيث لا تتجلى عظمة الأمثال في القرآن إلا في سياق السورة الموجودة فيها، وفي الموضع المرسوم لها بين آيات هذه السورة. وقد جعل كل سورة بالأمثال الواردة فيها منفصلة عن السورة التي تليها بأمثالها، وابتدأ بالمثل الأول في سورة البقرة، وأشار بالرقم إلى ورود المثل في أي آية وفي أي صفحة من هذا الكتاب.

ومن المعروف أن الله سبحانه وتعالى ضرب الأمثال في القرآن الكريم للناس جميعهم، وليس للمؤمنين وحدهم، لتذكرهم وتعظهم بما تحمل من تصوير للنماذج البشرية المتنوعة، وبما تقدم من الأدلة والبراهين التي تهدي إلى الإيمان والعمل الصالح.

معجم الأرقام

وقد انبرى باحث آخر، هو محمد السيد الداودي، ليقدم لنا معجما للأرقام في القرآن الكريم، وهو فريد في نوعه، وبسيط، وقليل الصفحات، حيث لا تزيد صفحاته على ١٣٤ صفحة، ويستوعب كل ما ورد في القرآن من أرقام، مع إحاطة كل رقم بما يتطلبه من فقه ولغة وتاريخ وأسباب نزول الآيات التي ورد فيها الرقم وتفسيرها، والهدف والحكمة المستفادة منها، وفيه حصر دقيق لعدد الآيات والمواضع التي ورد فيها كل رقم.

معجم الأعلام القرآنية

كما نجد من المعاجم القرآنية المهمة «معجم الألفاظ والأعلام القرآنية»، الذي وضعه الباحث محمد إسماعيل ابن إبراهيم، وهو يهدف إلى حصر جميع ألفاظ القرآن الكريم والأعلام الشخصية والجغرافية الواردة فيه، فيذكر عدد مرات ورودها، ثم يورد بيان مدلولها اللغوي ومدلولها في السياق القرآني، ويشير إلى بعض الأساليب البيانية والمعاني الخاصة، ثم يسرد الآيات الواردة فيها اللفظة، وإذا كانت كثيرة اكتفى بذكر بعضها والإحالة إلى الآيات الأخرى بذكر رقمها واسم السورة. أما في الأعلام الشخصية والجغرافية فيورد العلم، ويذكر عدد مرات وروده في القرآن، ثم يشير إلى الآية أو الآيات التي ورد ذكره فيها، مع ذكر اسم السورة، ويتبع ذلك بتعريف موجز عنه.

كلثوم باسعيد
باحثة جزائرية

الكذب يوم القيامة

الغيب المحجوب عن البشر في الحياة الدنيا، وعدم رؤية الجنة والنار، قد يدفع الكثير منهم إلى الإقدام على الكفر والمعصية من دون أن تطرف له عين.

والمعاصي أنواع ودرجات.. نتناول منها معصية الكذب في جانب قد يخفى على الكثير، ولا يكاد يتناوله إلا المفسرون حين يمرون على ما يجسد هذه الصورة في القرآن الكريم.

فعند إطلاق لفظ الكذب يتوجه ذهن الإنسان مباشرة إلى كذب البعض في الدنيا، سواء كذبهم على الله تعالى أو على رسله، أو الكذب على الناس عامة، أو غير ذلك من أنواع الكذب الدالة على النفاق.

غير أن البحث وإمعان النظر في القرآن الكريم أو السنة يكشفان لنا موقفا آخر من كذب البشر، لاسيما العصاة منهم والكفار، إنه الكذب يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ



﴿أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأنعام:٢٢-٢٣).

ومهما اختلف المكان في الدنيا أو يوم القيامة، فإن معنى الكذب لا يتغير فهو «الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو» (١)، فلا فرق بين الكذب في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ (المجادلة:١٨)، فهو دليل على تشبيه الكذب في الآخرة بالكذب في الدنيا (٢).

ومن أعلى درجاته أن يكذب على من هو عالم بسريرته ويعلم كذبه، ومن أكبر علما من الله بعباده، يعلم خائنة أعينهم وما تخفي صدورهم.

فكيف يمكن أن يتجرأ العبد الضعيف أمام خالقه في مشهد عظيم، يوم القيامة، فيكذب؟!

وكيف يكذب آنذاك وجوارحه شاهدة عليه وفاضحة له؟!

كيف وقد وكل به ملكان -كما جاء عن الحسن- حيث قال: «ابن آدم، وكل بك ملكان كريمان، ريقك مدادهما، ولسانك قلمهما» (٣).

كيف وقد قال الله -تعالى- على لسان المجرمين: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ (الكهف:٤٩).

فكيف يمكنه أن يكذب والأهوال تحيط به من كل جانب؟

إنه لموقف عجيب!

والكذب معلوم شناعته، وكفى دليلا على ذلك الآيات والأحاديث الناهية عنه.

وإن كانت نملة في محكمة النمل حكم عليها بالقتل ظنا منها أنها كذبت.. فما بال المحكمة الإلهية حين ترى الكاذب يكذب أمام من يعلم بكذبه علم اليقين، ومع ذلك يتجرأ على الكذب؟!

فما الداعي آنذاك إلى الكذب يا ترى؟

جمهور المفسرين على أن الكفار يكذبون في الآخرة، وعلى أن ظواهر القرآن دالة على ذلك، والداعي لكذبهم -والله أعلم- لا يخرج عن أربعة:

أولها: داعي الخوف جراء الدهشة والحيرة وذهول العقل؛ والخوف هو: «هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره» (٤)، فهو وسيلة للنجاة من العذاب الذي يحيط به وينتظره يوم القيامة.

روي عن مجاهد أنه قال: «لما رأوا أن الذنوب تغفر إلا الشرك بالله والناس يخرجون من النار قالوا: والله ربنا ما كنا مشركين» (٥).

ثانيها: الانطباع على الكذب في الدنيا، وقد قال الحكماء: «من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه» (٦).

فالكاذب يوم القيامة كاذب في الدنيا لا محالة؛ لأن نفسه انطبعت وتعودت على الكذب فلم تقدر على التخلص منه يوم القيامة، وإن أرادت إلى ذلك سبيلا.

يقول الماوردي في معرض حديثه عن دواعي الكذب في الدنيا: «ومنها: أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها فصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة، حتى لو رام مجانبة الكذب عسر عليه؛ لأن العادة طبع ثان» (٧).

وتأكيدا لهذا المعنى يقول الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾: «وقد كذبوا وحلفوا على الكذب جريا على سننهم الذي كانوا عليه في الحياة؛ لأن المرء يحشر على ما عاش عليه، ولأن الحيرة والدهش الذي أصابهم خيل إليهم أنهم يموهون على الله -تعالى- فيتخلصون من العقاب» (٨).

كما أنه يمكن حمل حديث رسول الله على هذا الانطباع في الإنسان الذي ألف الكذب حتى كتبه الله كذابا، يقول عليه الصلاة والسلام: «... وما زال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (٩).

ثالثها: الطمع في دخول الجنة، وظنا منهم أن منفعتهم بالكذب؛ بدليل قول ابن عباس: «لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن قالوا: تعالوا فلنجحد، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾، فقد روي أنهم إذا رأوا إخراج من في النار من أهل الإيمان ضجوا، فيوقفون، ويقال لهم: أين شركاؤكم؟ فينكرون طماعية منهم أن يفعل بهم ما فعل بأهل الإيمان» (١٠).

ويقول السيوطي: «يعني: المنافقين والمشركين قالوا وهم في النار: هلم فلنكذب فلعله أن ينفعنا» (١١).
فالممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة (١٢).
رابعها: الاضطرار بسبب الحرج، يقول سيد قطب: «... فعلى من تراهم يكذبون؟!
إنهم لمساكين أذهلهم الحرج فاتجهوا إلى الكذب، وإنهم ليعلمون أنه كذب مكشوف، ولكنهم مضطرون!» (١٣).
ومن صور الكذب يوم القيامة بعد مشهد نكران الشرك أيضا شهادة الزور والكذب على أنبياء الله، فمنها قصة نوح وكيف أنه يدعى يوم القيامة فيسأله الله تبارك وتعالى: هل بلغت؟
فيقول: نعم يا رب. فيسأل أمته: هل بلغكم؟ فينكرون ويكذبون قائلين: لا ما جاءنا من نبي.
أي جرأة على الله، وأي جرأة على نبي الله في يوم كهذا؟!
ولا ينتهي الأمر هنا مع أن الله يعلم صدق الصادق وكذب الكاذبين فيسأل عبده نوحا: من يشهد معك؟ وقد تداعت عليه أمته التي أرسل فيها، فيختار شهادة الصادق الأمين وأمته خير الأمم، فيشهدون بالحق أنه بلغ (١٤).
ومنها أيضا كذب النصارى على عيسى ابن مريم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ (المائدة: ١١٦)، والله تعالى أعلم بالحق، فينكر أن يكون فعل ذلك، فيؤتى بالنصارى الذين بعث فيهم، فينكرون، ويكذبون، ويشهدون عليه زورا قائلين: نعم هو أمرنا بذلك (١٥).
فلنتفكر في هذه المشاهد يوم القيامة، يوم لا يأمن فيه عبد صالح ولا غير صالح من أن يكون من المأخوذين، فشدة يوم القيامة تتكسر معها النفوس ويرتسم معها الذل والخضوع، إنه مشهد لنفوس خائفة، وأبدان مرتجفة، وفرائص مرتعدة، وقلوب مفزوعة مرعوبة، وحتى الأنبياء من شدة الهيبة حين يسألون ماذا أجبتم؟ يقولون: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ (المائدة:١٠٩).
وذلك من شدة الدهشة، ومع خوف الجميع وارتعابهم فإنك ترى منهم من لا يستحون من الكذب، والغريب أن يجتمع إصرارهم على الكذب مع تمنيهم أن يردوا للدنيا فلا يكونوا من المكذبين بآيات الله، يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنعام:٢٧).
فمهما حاج العبد عن نفسه بالصدق أو الكذب، فإن أعماله تنطق ويخلى بينه وبين الكلام، فإن كان من الصادقين نجا، وإن كان من الكاذبين يعاتب أعضاءه ويدعو عليها، وهي التي حاج وكذب لأجلها ولأجل إنقاذها مما هي مقبلة عليه من العذاب، فيقول لها: «بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل» (١٦).
فنسأل الله عز وجل حسن شهادة الجوارح والحشر مع الصادقين والستر يوم الدين.

الهوامش

١- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، د.م، مكتبة لبنان، د.ت، د.ط، ٢٠١.
٢- الزمخشري، الكشاف عن غوامض التنزيل، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج٢، ١٣.
٣-ابن أبي الدنيا، ذم الكذب وأهله، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، دار السنابل، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٥٥.
٤- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط٧، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج١، ٥٠٨.
٥- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، لبنان، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٦، ٤٠٣.
٦ – الماوردي، أدب الدنيا والدين، ت: محمد كريم راجح، بيروت، لبنان، دار اقرأ، ط٤، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢٧٣.
٧- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٨- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية، د.ط، ١٩٨٤م، ج٧، ١٧٧.
٩ – أخرجه الشيخان.
١٠ – أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرون، بيروت ، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٤، ١٠٠.
١١ – جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٩٩٣م، ج٣، ٢٥٨.
١٢ – الزمخشري، تفسير الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٣٢٣.
١٣ – سيد قطب، مشهد القيامة في القرآن، القاهرة، مصر، دار الشروق، ط١٦، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١٥٢.
١٤ – القصة ذكرها البخاري في الصحيح، ت: محب الدين الخطيب وفؤاد عبدالباقي وقصي محمد الدين الخطيب، القاهرة، مصر، المطبعة السلفية، ط١، ١٤٠٣هـ، كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠)، باب ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ (٣)، حديث (٣٣٣٩)، ج٢، ٤٥٣.
١٥ – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة، دار التقوى، د.ط، ٢٠٠٦م، ج٢، ٧٩.
١٦ – رواه مسلم عن أنس بن مالك، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، باب (١٨)، حديث (٢٩٦٩)، ٢٢٨١.

القاهرة – إسلام لطفي
تصوير: رمضان إبراهيم
دار الإعلام العربية



مستشار منظمة الصحة العالمية د. قاسم سارة:

لا نهضة بلا حركة ترجمة قوية

نواجه مشكلة في التنسيق العربي للأعمال المترجمة.. ما يتسبب في تكرار بعضها

أكد المستشار الإقليمي للإعلام الطبي والصحي في منظمة الصحة العالمية وأحد أبرز رواد تعريب العلوم الطبية الدكتور قاسم سارة، أن هناك حاجة ماسة إلى الترجمة والتعريب في الوطن العربي، وأن ذلك من أساسيات قيام نهضة عربية قادرة على المنافسة. وأوضح خلال حواره مع «الوعي الإسلامي» أن الترجمة عصب الحياة الذي لا يمكن تخيل نهضة أو تطور في بلد ما إلا بوجود مرحلة انتقلت فيها العلوم من مصدرها إلى البلد الذي يحتاج إليها، مشيرا إلى أن الفترة الحالية تشهد فيضا غزيرا من الكتب التي تمت ترجمتها أو تعريبها على المستوى العربي.. كما تطرق إلى تقدير خلفاء الدولة الإسلامية للمترجمين على خلاف حالهم الآن.. وإلى التفاصيل.

• توصف بأنك من أبرز رواد تعريب العلوم الطبية وأحد العلماء البارزين في مجال التعريب والترجمة وقدمت العديد من المؤلفات العلمية القيمة، منها معجم أكاديميا الطبي (إنجليزي، فرنسي، عربي).. حدثنا عن أبرز المحطات في مسيرتكم العلمية.

– أولا، لابد من التوضيح أن كلمة تعريب غريبة، وليست في سياقها الموضوعي والصحيح، وهي عبارة عن استخدام الناطقين باللغة العربية في حياتهم اليومية للغة نفسها في التعامل، سواء كان أدبيا أو علميا أو بالخدمات؛ فهذا ما يصطلح عليه بالتعريب، لكن بهذا المعنى الكلمة غريبة، وتعتبر بديهية أو أن الناس لا يتحدثون إلا باللغة التي لا تتقن غيرها أو لا تستطيع أن تعبر عن نفسها إلا بها في المناطق التي تحتاج إليها من خدمات أو تعلم، لكن الذي طرأ منذ القرن الماضي وحتى الآن من طغيان اللغات الأجنبية على الساحة والبلدان، التي يتباطأ فيها معدل النمو، جعل الكلمة تظهر، والبديل هو التحدث والكتابة والتعلم والنشر باللغة الأم التي نتحدث بها.

تعليمي الأساسي كان في كلية الطب جامعة دمشق، ولاحظت أن الناس في كثير من البلدان العربية عندما يتكلمون عن الطب والخدمات الصحية بشكل عام يكون باللغة الإنجليزية أو الفرنسية،

وهذا شيء غريب، رغم أن تعاملهم مع الناس العاديين، الذين لا يفترض فيهم أن يعرفوا الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية؛ فهذا شيء أثر فيّ كثيرا، فلماذا لا يتحدثون بلغتهم الأساسية؟ وعندما كنا نحضر مؤتمرا في البلدان العربية نجد أن أحدهم يعرض محاضرة باللغة الإنجليزية، ويقوم آخرون يقولون إنهم تعلموا بالفرنسية، وآخر يقدم محاضرته باللغة الإسبانية أو أخرى أجنبية، فالملاحظ أن القاسم المشترك بين هؤلاء الناس هو اللغة التي يتكلمون بها وليس اللغة التي تعلموها في بلاد الأجانب. والتعريب عبارة عن استخدام اللغة العربية في الميادين العملية الخدمية وفي التعلم.

كنت مهتما جدا باللغة العربية، وحتى قبل التحاقي بكلية الطب، وعدت مرة أخرى إلى الجامعة ودرست أدبا عربيا في جامعة حلب، وتخرجت في كلية الآداب قسم اللغة العربية، ثم بعدها استهواني كثيرا العمل في المصطلحات الطبية والعلمية؛ فألفت كتابا اسمه «معجم أكاديميا للعلوم الطبية»، صدر في بيروت في التسعينيات من القرن الماضي، وبعد ذلك اتجهت إلى تقريب العلوم الطبية والصحية للناس؛ فترجمت كثيرا من الكتب، نحو ٤٠ كتابا على فترة طويلة من الزمن، ثم التحقت بالعمل في منظمة الصحة العالمية في عام ١٩٩٧م، وفيها نشرنا كثيرا من الكتب والمواقع على شبكة الإنترنت والنشرات الصحية والتقارير التي قدمناها إلى القارئ العربي باللغة العربية.

فيض غزير

• إلى أي مدى حقق مجال تعريب العلوم الطبية والصحية نجاحا؟

– نجاح منقطع النظير، ليس لأننا بذلنا جهدا؛ لكن كانت هناك حاجة شديدة جدا عند أي شخص إلى أن يعرف أو يتكلم أو يعبر عن المفهوم العلمي والصحي باللغة العربية، فعندما وجدوا هذه العلوم متاحة أخذوها وعملوا بها، وهناك قنوات منتشرة على مدى واسع دوما تحتاج إلى المصطلحات واللغة العلمية السليمة وتجدها في المصطلحات التي ساهمنا فيها.

• وما ردك على المناهضين لهذا التعريب؟

– هناك سوء فهم لدى المناهضين؛ فهم يعتقدون أنه إذا تكلم أو نشر أحد باللغة العربية إنما يريد أن يلغي اللغة الإنجليزية أو اللغات الأجنبية إلغاء تاما، وهذا ليس الموضوع؛ إنما الهدف أن لدينا معلومة نريد أن نوصلها إلى الناس؛ لذا علينا تبسيطها وتقريبها إليهم باللغة التي يفهمونها، وليس أن نأتي بهم ونعلمهم الإنجليزية حتى يطلعوا على العلوم، فعندما نقول التعريب أو الكلام باللغة العربية لا يعني أن نجهل أو نتجاهل أو نهمل أو نمنع التعلم باللغة الإنجليزية، ويجب أن تكون الإنجليزية قوية عند الرجل الذي يهتم بالعلم، وكذلك يجب أن تكون العربية قوية أيضا والأساس في التواصل مع الناس.

• ما أهم كتب الطب التي تمت ترجمتها؟ وبماذا استفاد منها القارئ العربي؟

– في الستينيات كان هناك ادعاء غير حقيقي بأنه لا توجد كتب علمية مترجمة، والآن عكس ذلك؛ حيث هناك فيض غزير من الكتب، ففي أي فرع علمي من فروع الطب أو الفروع التخصصية الدقيقة، حتى جراحة الدماغ أو زراعة الأسنان والأعضاء أو الأمراض الجينية، يوجد فيه عشرات المؤلفات الأجنبية المترجمة للعربية، ولدينا مشكلة كبيرة نعاني منها كثيرا، وهي أن الكتاب ذاته الذي يخرج من دار بريطانية أو أميركية نجده مترجما مرة في سوريا ومرة في المغرب، وعدم وجود تنسيق أدى إلى وجود عدد كبير من الكتب المترجمة التي تلبي حاجة الناس، وحتى أكثر من ترجمة للموضوع ذاته؛ فلا يوجد نقص أو تفاوت، وفي كل مجال تقريبا هناك كفاية من الكتب.

وإذا أردنا أن نعرّف التعريب أو التعليم باللغة الوطنية فهو عبارة عن الوحدة العربية، واللغة هي الإطار الذي يجمع العرب بلا استثناء، بغض النظر عن مذاهبهم أو طوائفهم أو دينهم أو انتمائهم السياسي، وعندما نحافظ على اللغة العربية نحافظ على الوحدة العربية.

الترجمة والتعريب

• وما الفارق بين الترجمة والتعريب؟

– هناك فارق صغير يجب الانتباه إليه: الترجمة هي نقل المعارف، فلدينا معلومة ننقلها من لغة إلى أخرى عبر المترجم، أما التعريب فهو توطين هذه المعلومة وجعلها جزءا يستفاد منه في الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في هذا البلد، ولا تبدو دخيلة أو مصطنعة أو مستوردة، وهذا يعني أنه لا تدخل كل الأمور كما نشأت عليه في بلدها؛ إنما تأتي بطريقة مهذبة معدلة مكيفة لتناسب موقعها في البلدان العربية، وأيضا تأتي لتدفع المسيرة بشكل عام إلى الأمام ولا تأتي لتأخير المسيرة العلمية أو الأخلاقية.

• هل تتعاون منظمة الصحة العالمية مع مجامع اللغة العربية؟ وما أهم ملامح هذا التعاون؟

– المنظمة أنشئت عام ١٩٤٨م بعد الحرب العالمية الثانية، وكان هناك وضع صحي متدهور في العالم، ونشأت متخصصة في الأمور الصحية في العالم، ووضعت لنفسها دستورا ينص على مبدئين أساسيين ضمن ٢٢ مبدأ، وهو أنه على الناس أن يصلوا إلى المعلومات الصحية التي تمكنهم من وقاية أنفسهم ومجتمعهم من الأمراض، وتعطيهم القدرة على تحسين صحتهم.. فهما البعدان اللذان تهتم بهما المنظمة في هذا المجال، وكان عليها أن تتوجه

إلى الناس وتتعرف إلى احتياجاتهم ثم تلبيها، لاسيما المعرفة الصحية؛ حتى يتقوا المرض وما يجب عليهم أن يعرفوه حتى يطوروا صحتهم.

وملامح التعاون أن اللغة هي الطريقة أو الوسيلة التي توصل بها المعلومات إلى المجتمع، أفرادا أو جماعات، وكان على المنظمة إيصال المعلومات إلى كل المجتمعات باللغات التي يتكلمون بها، وكان هناك باللغة العربية شيء محدد، وهو أن المصطلحات التي تخرج المفاهيم العلمية تأتي مستوردة من الخارج؛ فكان هناك من يتلقفها ويصيغها بالعربية، وهذا دور مجامع اللغة العربية، والدور تكاملي، ونحن بحاجة إلى المجامع، والمجامع بحاجة إلى «الصحة العالمية» لكي تعطيها الصياغة.

• حركة الترجمة والتعريب قطعت شوطا كبيرا في كثير من الدول.. فما واقعها على المستوى العربي؟ وهل تمتلك القدرة على المنافسة، خاصة من حيث الكوادر البشرية والمادية؟

– الترجمة عصب الحياة، ولا يمكن أن نتخيل نهضة أو تطورا في بلد ما إلا بوجود مرحلة انتقلت فيها العلوم من مصدرها إلى البلد الذي يحتاج إليها؛ وبالتالي فالترجمة لا غنى عنها. وهنا نأتي إلى تساؤل: إلى أي قدر يعطي المجتمع أو النظام المالي والإداري المترجم قيمة؟ الحقيقة أنها على المستوى العربي أقل كثيرا من المأمول، بينما نقرأ في كتب التاريخ أن الخليفة كان يعطي من يترجم كتابا وزنه ذهبا.

عقدة الخواجة

• برأيك.. ما أبرز العقبات التي تعترض حركة الترجمة والتعريب؟

– العقبة الأساسية هي سوء التفاهم، وكثير من الناس يعتقدون أنه لا مجال للتقدم والتطور إلا أن يتحول كل شخص من العرب إلى «خواجة»، وتسمى «عقدة الخواجة»، ويعتقد أنه ليس بإمكان العربي أن يصبح ذا أهمية ومصدرا للعلم والمعرفة ومنتجا للصناعات إلا إذا تكلم بالإنجليزية؛ وهذا خطأ، ويجب أن يفهم الناس أن العلم لا لغة له، والآن نحن في عصر صارت الترجمة فيه واسعة الانتشار، والحدود اللغوية تقريبا تضاءلت أو تهاوت.

• وما أهم المؤسسات المهتمة بالتعريب؟

– وزارات التعليم العالي في كل بلد لها دور كبير في ترسيخ المفاهيم العلمية، وهذا يختلف من بلد إلى آخر، وفي المغرب هناك حركة قوية جدا في النقل من الفرنسية، وهناك وزارات الثقافة وما تنشره من تراجم، ومؤسسات أخرى تابعة إلى جامعة الدول العربية، ومنظمات إقليمية، لكن تهتم بالدول داخل الإقليم القابعة فيه، وهناك منظمات عالمية ومعظمها لها جزء خاص لإيصال رسالتها إلى العالم العربي.

• كيف ترى الخطاب العلمي الغائب عن مجتمعنا؟

– هناك مقولة تنص على أن هناك «قطبين متنافرين هما العلم والدين»، فعندما يكون لدينا خطاب ديني لا يكون علميا، وهذا خطأ وفيه التباس؛ إذ تكمن الدقة الشديدة في الخطاب الديني الذي يحض على طلب العلم والتكلم بالعلم، فهناك كثير من آيات القرآن الكريم تحث على التفقه والتفكر، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٧٨)، وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١)؛ وبالتالي استخدام العقل والمنطق، والحقيقة العلمية ليست غائبة عن الخطاب الديني، وربما صياغة الموضوع بطريقة أخرى أن بعض الناس الذين لا يستوعبون الأحكام الإسلامية يجعلون همهم في الحياة مهاجمة الآخرين، ومن يخالفهم مخطئ، ويصفونه بأشنع الأوصاف، وربما يتصرفون معه تصرفات خاطئة، والخطاب الديني خطاب علمي، ليس هناك شك في ذلك، ويجب ألا نجعل الكلام بالعلم تغييبا للدين.

الاستثمار في العربية

• ما توقعاتك لمستقبل الترجمة والتعريب؟

– المستقبل واضح، فنحن نسير بسرعة صاروخية تجاه الترجمة والتعريب، والوضع الحالي يحمل آمالا كبيرة جدا قريبة المنال، والآن أصبحت أسواقنا تستهلك المنتجات، وأسواق الغرب تستهلك منتجاتنا، ومن ثم هناك حرص على الحصول على الجديد هنا وهناك، فأصبح هذا حقا من حقوق المتكلم العربي أن يناله؛ ولذلك وجب على غير العرب أن يستثمروا في اللغة العربية لكي يصبحوا قابلين وقادرين على تسويق منتجاتهم في بلادنا.

• وما نصيحتك للعاملين في هذا المجال؟

– يجب أن يكونوا محبين شغوفين بالنسبة إلى اللغة العربية، وألا يكونوا سطحيين، وعليهم ألا يتخذوها مهنة فقط، والترجمة تعلم الإنسان أن يكون دائم التعلم حتى مماته، وفي كل ورقة يترجمها هناك شيء جديد يتعلمه مهما كان بسيطا.

علاء الدين حسن
أديب سوري

رفيف الجمال

إليك اتجهت بقلب حزين
وناديت: يا منقذ السائلين
وهبت الجمال لنا واليقين
إلهي! برفق وحب ولين
وضّحت السبيل (هدى المتقين)؛
أمان ونور وحق مبين
ونور الجمال على الخاشعين
سيحيي النفوس ويروي الحنين
جمال القلوب بناء متين
وحسن الظنون مع العالمين
فحسن الظنون حقيقٌ ضمين
وأصل الصفاء لأهل اليقين
نقاء النفوس نماء ودين
ودنيا عطاء لدى العابدين
سيبقى جمالا شذا الياسمين
ويبقى وفاء هوى الصادقين
وهذا ثراء وعهد أمين
وروض وروح.. مُنى الواثقين
وقفت ببابك في كل حين
فإياك يا ربنا نستعين
تقبل عبادًا وشكوى الأنين
فإنا وجدناك نعم المعين
أغث يا إلهي وأنت المتين
تقبل دعاء من الضارعين

المنشاوي الورداني
كاتب مصري



القلم

القلم هو أداة العلم في مبتدأ الأسرار، وهو الذي يكتب الأقدار، وفي السماوات صرير الأقلام، وفي الأرض هو الذي يترجم مكنون البيان.

القلم لسان حال المترجمين، والشعراء والمحبين، والعلماء والمتعلمين. ولقد أقسم الله بالقلم؛ لسره ومكنونه، وقوته وعظمة نونه، فقال: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم:١)، وقال النبي الكريم: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة»، ثم قال له: «اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة». ولقد سميت السورة التي بدأت بـ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ بسورة القلم، وذلك لما فيه من البيان كاللسان. والقلم واقع على كل قلم مما يكتب به من في السماء ومن في الأرض، ومنه قول أبي الفتح البستي:

إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

لذا، فالقلم نعمة من الله تعالى على عباده، ويجب أن يكون مسخرا لصلاح عباده. وقد قال المفسرون لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ (العلق:٤)، إن القلم نعمة من الله عظيمة، ولولاه لم يقم دين، ولم يصلح عيش. فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه إلى فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا.

وسمي القلم قلما لأنه يقلم، أي يقطع، ومنه تقليم الظفر. كما قال علماء اللغة إن أصل القلم القص من الشيء الصلب، كالظفر وكعب الرمح والقصب، ويقال للمقلوم قلم. كما يقال للمنقوض نقض. وخص ذلك بما يكتب به وبالقدح الذي يضرب به، وجمعه أقلام. قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(القلم:١)، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ﴾ (لقمان:٢٧)، وقال: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ ﴾ (آل عمران:٤٤)، وقال: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ (العلق:٤).

ولقد شغل القلم الأدباء والشعراء فقالوا عنه الكثير، ولم لا؟! أليس القلم سرا من الأسرار وهو الذي يكتب الأقدار..؟! قال ابن المعتز: «القلم مجهز لجيوش الكلام، يخدم الإرادة، ولا يمل استزادة، يسكت واقفا، وينطق سائرا، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء، وكأنه يقبل بساط سلطان، أو يفتح نوار بستان».

وقال علي بن عبيد: «أصم يسمع النجوى، أعيا من باقل، وأبلغ من سبحان وائل، يجهل الشاهد، ويخبر الغائب، ويجعل الكتب بين الإخوان ألسنا ناطقة، وأعينا لاحظة، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة».

ومن كلام أبي حفص بن برد الأندلسي: «ما أعجب شأن القلم؛ يشرب ظلمة، ويلفظ نورا! قد يكون قلم الكاتب أمضى من شباة المحارب (أي الحد)، القلم سهم ينقذ المقاتل، وشفرة تطيح بها المفاصل».

وقال ابن قتيبة: «حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: أهدى مهد أقلاما وكتب: أنه لما كانت الكتابة قوام الخلافة، وزينة الرياسة، وعمود المملكة، وأعظم الأمور الجليلة غاية، أحببت أن أتحفك من آلتها بما يخفف عليك محمله، وتقل مع ذلك قيمته، ويكثر نفعه، ويصغر خطره، فبعث إليك أقلاما من القصب الثابت في الأعداء، المغذوة بماء السماء، كاللآلئ المكنونة في الصدف، والأحجار المحجوبة بالسدف، تنبو عن تأثير الأسنان، ولا يثنيها غمز البنان، قد كستها طبائعها جوهرا كالوشي الخطير، وفرند الديباج المنير، فهي كما قال الكميت:

بيض رقاق صفاح المنون
تسمع للبيض فيها صريرا
مهندة من عتاد الملوك
يكاد سناهن يغشى البصيرا

وكقداح النبل في ثقل أوزانها، وقضب الخيزران في اعتدالها، ووشيج الخطى في اطرادها، كأنما خرطت في شهر لاستدارتها، تمر في القرطاس كالبرق اللامح، وتجري في الصحف كالماء السائح، أحسن من العقبان، في رقاب القيان».

وأهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلما وكتب إليه: قد وجهت إليك -أعزك الله- بمفاتح العلوم باد جمالها، تام كمالها، فهي كما قال الشاعر:

ليس فيها ما يقال له
كملت لو أن ذا كملا
كل جزء من محاسنها
كائن من حسن مثلا

وفاخر صاحب سيف صاحب قلم، فقال صاحب القلم: أنا أقتل بلا غرر، وأنت تقتل على خطر. فقال صاحب السيف: القلم خادم السيف، فإن بلغ مراده وإلا فإلى السيف معاده، أما سمعت قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وحدثني وكيع قال: حدثني جعفر بن كوال قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: «لسان الإنسان قلم ملكه الموكل به وإمداده، وقرطاسه جلده، يملي عليه كتابا إلى ربه، فلينظر الإنسان قبل فوت النظر ماذا يملي».

وقال محمود بن أحمد الأصبهاني:

«أخرس ينبيك بإطراقه
عن كل ما شئت من الأمر
يذري على قرطاسه دمعة
يبدي بها السر وما يدري
كعاشق أخفى هواه وقد
نمت عليه عبرة تجري
تبصره في كل أحواله
عريان يكسو الناس أو يعري
يرى أسيرا في دواة وقد
أطلق أقواما من الأسر
أخرق لو لم تبره لم يكن
يرشق أقواما وما يبري
كالبحر إذ يجري وكالليل إذ
يغشى وكالصارم إذ يفري

وقال أحمد بن عبد ربه:

يخاطب الغائب البعيد مما
يخاطب الشاهد الذي حضرا
شخت ضئيل لفعله خطر
أعظم به في ملمة خطرا
تمج فكاه ريقة صغرت
وخطبها في القلوب قد كبرا
يواقع النفس منه ما حذرت
وربما جنبت به الحذرا
مهفهف تزدهي به صحف
كأنما حليت به دررا

ولابن المعتز في قلم الوزير القاسم بن عبيد الله:

قلم ما أراه، أم فلك يجر
ي بما شاء «قاسم» ويسير
خاشع في يديه يلثم قرطا
سا كما قبل البساط شكور
ولطيف المعنى، جليل، نحيف
وكبير الأفعال وهو صغير!
كم منايا، وكم عطايا، وكم حت
ف وعيش تضم تلك السطور

نقشت بالدجا نهارا، فما أدر
ي أخط فيهن أم تصويرا!

وقال أبو تمام في قلم محمد بن عبدالملك الزيات:

لك القلم الأعلى الذي بشباته
تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه
وأري الجنى اشتارته أيد عوامل
له ريقة طل، ولكن وقعها
بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح إذا استنطقته وهو راكب
وأعجم إذا خاطبته وهو راحل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت
عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا، وتقوضت
لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت
أعاليه في القرطاس وهي أسافل
رأيت جليلا شأنه «وهو مرهف
ضنا» وسمينا خطبه «وهو ناحل»

وقال ابن الرومي:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت
له الرقاب، ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يغالبه
مازال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت
أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال المتنبي:

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه
ويحفى فيقوى عدوه حين يقطع
يمج ظلاما في نهار لسانه
ويفهم عمن قال ما ليس يسمع

وقال ابن نباته السعدي:

يرنو إلى الأفكار غير ملاحظ
ويخاطب القرطاس غير محابي
ويعلم الآداب أفهام الورى
وفؤاده صفر من الآداب

وقال مهيار الديلمي في وصف الدواة والأقلام:

وأم بنين استنبطتهم، فصدرها
غصيص بهم عند الحضان كظيم
يعقونها بالضغط، وهي عليهم
عطوف بدرات الرضاع رؤوم
يخال الأفاعي الرقش ما ضم منهم
حشاها، وهم فيها أخ وحميم
فمن ذي لسان مفصح وهو أخرس
ومن بائح بالسر وهو كتوم

وقال أبو الفتح البستي:

إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال بعض الوراقين يصف قلمه ويمدحه ويذكر استغناءه:

يا مجيري من سطوة الأمراء
وعميدي في نوبة اللأواء
والذي صان حر ديباجة الوج
ه عن الأسخياء والبخلاء
والذي لا أزال أنعت في الشعر وأطريه غاية الإطراء
وسفيري بما أريد من الأم
ر إلى إخوتي من الأدباء
والذي لا يزال يخبر في المهرق عن سالف الأنباء
وإذا ما ابتعثتها استن كالثا
قب يفري دجنة الظلماء

وقال ابن الرومي فأحسن:

لعمرك ما السيف سيف الكمي
بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد إن تأملته
ظهرت على سره الغائب
أراه المنية من جانبي
ه فمن مثله رهبة الراهب
ألم تر في صدره كالسنان
وفي الردف كالمرهب القاضب

المراجع

١- الجامع لعلوم القرآن للإمام القرطبي، - دار القلم للتراث، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢- أدب الكاتب لابن قتيبة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٩٨م.
٤- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

محمد ثابت
قاص مصري



على موعد..!

يقف بجسده «الربعة»، المتوسط بين القصر والطول، في زاوية على حياء من الخارجين من المسجد الأثري المتاح «الاعتكاف» فيه. يبتسم في حياء بزيه المميز وشعره الأشيب ونظراته الممتنة و«المقشة» التي في يمينه، قائلا في هدوء وابتسامة الرضا لا تفارق شفتيه:

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا يزال المسجد، رغم عدد أعوامي الغريبة في المدينة، أحد المساجد القليلة المتاحة لراغبي الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وهذا العام تم قصر الاعتكاف على ما بعد صلاة الفجر.

رددت السلام بهدوء وأنا أرقب دوري في الخارجين الكثير عددهم لكيلا أزاحم أو أضايق أحدا، فالليلة هي الليلة الفردية الأولى من العشر الأواخر ويرجى أن تكون ليلة القدر، وما ينبغي أن يعكر صفوها شيء لتكون أهلا لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (القدر:٥).

ولكني قبل أن أمضي عدة خطوات تذكرت أمرا شغلني، وإنني لأرى الجمع منصرفا عن الرجل «المتعفف» الذي ما يزيد على إلقاء السلام، ثم الدوران بمقشته خلف السائرين.

عددت مبلغا من المال، ثم أحكمت يدي عليه، وابتعدت حتى المكان الذي يمكن أن يستجيب صاحب سيارة أجرة لي فيه، وهمست لزوجتي بالانتظار، وقلت لصغيرتي:

ـ ذلك الرجل الواقف على جنب.. هذا.

ـ عمو «الزبال».

ـ بل القائم على نظافة الشارع.

قالت شروق في استفسار بريء:

ـ ماله يا أبي؟

ـ اذهبي وأعطيه هذه النقود.

نظرت متحيرة ثم قالت:

ـ لماذا؟

قالت زوجتي وقد توقفت عن الاستغفار:

ـ حبيبتي ألم نقل منذ سنوات أن هناك فريضة اسمها «زكاة الفطر»؟

ـ أهي هذه؟

قلنا في نفس واحد:

ـ نعم يا بنيتي.

كنا نريد منها الذهاب في هدوء منتهزين فرصة انصراف الجمع من حولنا، ولكيلا لا يحرج الرجل من ظهوري، لكن ابنتي قالت في لطف:

ـ أستأذنكما دقيقة قبل الذهاب.

ـ ماذا يا شروق؟

ـ أبي أنت حسبت المبلغ المحدد للزكاة هذا العام مضروبا في خمسة هم عدد أفراد الأسرة وتريد دفعه مرة واحدة؟!

ـ نعم.

قالت صاحبة الأحد عشر عاما:

ـ لدي «فكرة» أخرى.

ـ تفضلي.

ـ الليالي الفردية خمسة ليال.. سنضاعف المبلغ يا أبي.. ولن ندفعه دفعة واحدة، وإنما كل ليلة ندفع جزءا حتى لا «نتكاسل» عن الصلاة في المسجد ليلة، فالزكاة دفعها «واجب» قبل صلاة العيد، وبذلك نضمن أداءنا صلاة التهجد والتراويح في موعدها، فللرجل علينا دين.

في الليلة الموافقة لليلة الفردية الثالثة من العشر الأواخر من الشهر الكريم، ليلة الخامس والعشرين، لم يكن الرجل في زاوية أمام المسجد، ولا حتى قريبا جدا منه، واضطربت وشروق للبحث عنه لدقائق حتى وجدناه، فقد استراح إلى أن رزقا سيسوقه الله تعالى إليه سيصله حيث يؤدي عمله، وكان أحد دروس العمر البليغة تعلمته من صغيرتي!

محمد وائل الحنبلي
باحث دراسات إسلامية

مكتبته المعروفة باسم: «كوبريلي»

الصدر الأعظم كوبريلي فاضل أحمد باشا

(ت١٠٨٧هـ ١٦٧٦م)

حري بنا قبل دخولنا في ترجمة الصدر الأعظم كوبريلي فاضل أحمد باشا أن نتكلم ولو باختصار عن منصب: «الصدر الأعظم»، أو «وزير أعظم»، الذي كان يعتبر من أرفع المناصب في الدولة العثمانية بعد رتبة السلطان، فما هي هذه الوظيفة؟ وما تاريخها؟

الصدر الأعظم (١)

إذا أردنا أن نعرفه ونبين وظيفته حسب المصطلحات المتعارف عليها في زماننا، فيمكننا أن نعطيه وصف: رئيس الوزراء.

وعمليا في الدولة العثمانية يعتبر بمثابة النائب عن السلطان، فهو أرفع الوزراء مقاما، ويتصدر على جميع الوزراء في الكلام وفي المجلس.

وعندما يتم اختياره يعطى الخاتم الذي فيه ختم السلطان، ويقوم بعقد اجتماعات للوزراء شهريا، ويجتمع بكبار موظفي الدولة مرتين أسبوعيا؛ لدراسة أوضاع الدولة، والاطلاع على مستجداتها، وحل مشاكلها.

ومن صلاحيات الصدر الأعظم اتخاذ بعض القرارات دون الرجوع إلى السلطان، فإن عين على رأس حملة عسكرية كان له حق التصرف بكل شيء، ويصير وقتها أعلى متصرف بالدولة مثل السلطان.

وأول من تولى هذا المنصب بالاسم والمسمى العملي هو الصدر الأعظم: تشاندرلي (٢) كره خليل خير الدين باشا (ت٧٨٩هـ ـ١٣٨٧م)، وكان في عهد السلطان مراد الأول.

وآخر من تولى هذا المنصب الرفيع



المدخل الرئيسي لمكتبة كوبريلي

في دولتنا الإسلامية هو الصدر الأعظم أحمد توفيق باشا(٣) (ت١٩٣٦)، وذلك بعد أن قدم استقالته سنة: (١٩٢٢)، وألغيت الدولة العثمانية فيما بعد.

وقبل شروعنا أيضا بترجمة فاضل أحمد باشا لابد أن نعلم أن أسرة هذا المترجَم قد تولى غير واحد منهم منصب الصدر الأعظم.

ويقال: إن والده محمد باشا (ت١٠٧٢هـ) عندما تم اختياره لمنصب الصدر الأعظم أرسل رسالة للسلطان محمد الرابع، بأنه سيوافق على المنصب ولكن بشروط، منها: أن لا يرفض السلطان له اقتراحا، وأن يقوم هو بتعيين وعزل المسؤولين الكبار في الدولة!

ولأجل ذلك فإن المؤرخين يعتبرون فترة تعاقب أسرة «كوبريلي» على منصب الصدر الأعظم كانت المرحلة الذهبية لهذا المنصب (٤).

كوبريلي فاضل أحمد باشا (ت١٠٨٧هـ ١٦٧٦م) (٥)

اسمه وولادته

هو أحمد باشا بن محمد باشا المعروف بـ: فاضل أحمد باشا، أصله من بلدة: كوبرو، في مدينة أماسيا التركية، من جهة البحر الأسود.

وعرف بـ: فاضل أحمد لفضله وكرمه وكثرة خيراته.

ولد بالقسطنطينية سنة: (١٠٤٥هـ) ونشأ بها.

النشأة والمناصب

اعتنى أبوه بتهذيبه وتعليمه، فبدأ بتلقي العلوم عنده منذ نعومة أظفاره، ثم درس على علماء الدولة.

وتذكر مصادر ترجمته أنه عندما كان في السابعة من عمره لازم شيخ الإسلام عبدالعزيز أفندي المعروف بقره شلبي زاده (ت١٠٦٨هـ) (٦)، حتى مهر في العلوم، وسمت مكانته، وبدأ التدريس وعمره ١٦ سنة.

ثم سلك في وظائف الدولة، ومشى طريق والده، فتولى ولاية أرض روم، ثم انتقل منها إلى حكومة الشام، ونصب واليا عليها، وأحبه أهلها؛ إذ عاشوا بزمنه من الرخاء ورخص الأسعار.

ومن إصلاحاته بدمشق أنه تفقد أمور الأوقاف، وأزال ما حل بها من فساد أو تعد.

وجلب إلى دمشق ما كان ينقصها من خيرات وأقوات.

وقد وقفت في الأرشيف العثماني بتوفيق الله تعالى على سجل فيه ذكر ولاة الشام (٧)، وفيه أنه كان واليا فيها عام: ١٠٧٢هـ، وبقي لمدة سنة واحدة.

ثم تدرج بالمناصب إلى أن صار الصدر الأعظم عام: (١٠٧٢هـ ١٦٦١م).

أوصافه وشمائله

من عجيب ما ذكر المؤرخون عن هذا العالم الوزير أنه رغم منصبه الرفيع في الدولة، فقد كان يقضي كثيرا من أوقاته بجبهات القتال مع المجاهدين.



نسخة تامة مسموعة من سنن الدرامي، وعليها خطوط عدّة من الحفّاظ

ومن الفتوحات التي كانت على يديه، أنه في عام: ١٠٧٤هـ سار على رأس الجيش إلى النمسا، وتمكن من فتح قلعة «نوهزل» أعظم قلعة في النمسا، وذلك لرد الهجمات الصليبية التي كانت تطال الدولة العثمانية بين الحين والآخر (٨).

ويوجد في مكتبة الفاتيكان (٩) مخطوط بعنوان: «فتوحات فاضل أحمد باشا» في: (٥٩) ورقة، وأسأل الله تعالى أن يوفقني للاطلاع عليه.

كان عالما فقيها، صائب الرأي، كامل الفراسة، كريما ذكيا، ومما ينسب إليه من الفطنة أنه جاءه يوما شخص بتوقيع على وثيقة، فتفرس فيه أنه مزور، فناوله لأحد جماعته وأمره بحفظه، ومضى على ذلك ست سنوات، فجاءه يوما شخص آخر برقعة فلما رآها طلب التوقيع القديم، فجيء به فقابله على الرقعة، ثم سأل صاحبها عن كاتبها فأخبره به، فأرسل إليه، فلما مثل بين يديه أراه التوقيع، وقال أليس هذا بخطك؟! فاعترف بأنه هو الذي كتبه، فأمر بقطع يمينه، ثم عين له من بيت المال ما يكفيه معاشه كل يوم.

إضافة إلى ذلك فقد كان خطاطا، وله لوحات بخطه إلى الآن.

وفي آخر حياته مرض باليرقان الأسود، وتوفي بسببه بمدينة أدرنة، ثم نقل إلى القسطنطينية فصلي عليه في ١٧ شعبان سنة (١٠٨٧هـ)، ودفن جوار أبيه وأمه بمقبرة جوار مكتبته.

قال عنه العلامة المحبي (١٠): «ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله، صعبا شديدا

في أمور الشرع، سهلا في أمور الدنيا».

مكتبة كوبريلي فاضل أحمد باشا:

تأسيسها (١١)

تشير المراجع العثمانية والتركية إلى أن هذه المكتبة النفيسة كانت فكرة الصدر الأعظم محمد باشا والد فاضل أحمد باشا، وهو من أوصى ولده بذلك.

بل إن المجمع الذي بنيت فيه المكتبة يعود أساسه إلى بناء محمد باشا الأب.

وقد ذكروا في ترجمة فاضل أحمد باشا أنه ملك من نفائس الكتب وعجائب المخطوطات ما لا يدخل تحت الوصف، ولا يضبط بالإحصاء، إضافة لكتب أبيه وأسرته.

وقبل وفاته أوقف كتبه، ورتب لها ثلاثة موظفين يقومون على المكتبة وفهرستها، وتنظيم شؤونها، إضافة لمُجَلِّد يعمل على صيانة الكتب وتجليدها باستمرار، وبواب مسؤول على أمن المكتبة ورعايتها.

ويمكننا القول إن بداية تأسيس هذه المكتبة كان في (١١٨٣هـ ١٦٧٠م).

وبعد وفاة فاضل أحمد باشا قام على تنظيم المكتبة ورعايتها، وإرفادها بالكتب والمخطوطات شقيقه مصطفى باشا (ت١١٠٢هـ)، الذي قد تتعجب إن أخبرتك بأنه كان أيضا بمنصب الصدر الأعظم!

بل سيكون عجبك أشد إن علمت بأن هذا الوزير مات شهيدا في ساحات الجهاد بإحدى المعارك التي خرج بنفسه على رأسها، وجاهد بمقدمتها؛ لرد اعتداء إحدى الحملات النمساوية الصليبية.



آخر المجلد الأول من تاريخ البخاري، وعليه بعض السماعات

أهمية المكتبة

من خلال الرجوع لفهرس المكتبة المطبوع باسم: «فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي»، تجد نفسك أمام تراث إسلامي وعربي منقطع النظير، وكذلك ففيها تراث كبير باللغة الفارسية والعثمانية.

ففيها مخطوطات تعود إلى منتصف القرن الرابع الهجري.

وفيها كتب بخطوط مؤلفيها.

وإني بفضل الله وتوفيقه في عام: ١٤٢١هـ دخلت هذه المكتبة، ونظرت إلى جنباتها وأنا أقول: هل أنا الآن واقف بين خط ابن الأثير، والذهبي، وابن حجر العسقلاني، والزركشي، والسبكي، والصفدي، والجرجاني، والتفتازاني، وعلي القاري، وملاخسرو، وغيرهم كثير...

قال العلامة المحبي (١٢): «وأخبرني بعض من أثق به: أنها خمنت بأربعين ألف قرش رحمه الله تعالى».

النظام الداخلي للمكتبة

من خلال الرجوع إلى وقفية المكتبة (١٣) التي كتبها الصدر الأعظم مصطفى باشا، شقيق فاضل أحمد باشا، نستطيع أن نلخص النظام الداخلي للمكتبة بما يلي:

. يجب تواجد ثلاثة موظفين في قاعة المكتبة، ويكونون من أهل الوقار والدين والأمانة.

. تفتح المكتبة أبوابها وتستقبل القراء والزائرين ثلاثة أيام في الأسبوع فقط، وهي: الأحد والثلاثاء والخميس، وأيام الأسبوع المتبقية تكون للترتيب والتنظيف وما شابه.

. الدوام يبدأ من طلوع الشمس إلى وقت العصر.

. يسمح للقراء بمطالعة الكتب واستنساخها، وهذا ما يعني في زماننا: السماح بالتصوير.

. لا تخرج الكتب من المكتبة إلا لضرورة شديدة، وبكفيل رسمي، ورهن قوي.

. إذا ظهر من الموظف ما يخالف الشروط السابقة يعزل ويعيين مكانه من يستوفي الشروط.

أقسام المكتبة

المكتبة تقوم على ثلاثة أقسام:

١. فاضل أحمد باشا، وهو القسم الرئيسي الأهم، والأكبر في المكتبة.

٢. حافظ أحمد باشا (ت١١٨٣هـ).

٣. محمد عاصم بك (ت١٢٣١هـ).

ومجموع ما تحويه هذه الأقسام يصل إلى: (٢٤٥٩) مجلدا مخطوطا، دون الوثائق والقطع الثمينة والمصاحف. إضافة إلى (١٥٠٠) كتابا مطبوعا نادرا.

مسرد لبعض المخطوطات القيمة والقديمة

. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، برقم: (١٣٣٥)، بخط مؤلفه أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، كتبه قبل وفاته بسنة.

. معاني القرآن للزجاجي، برقم: (٤٢، ٤٣)، نسخة عتيقة كتبت بدمشق

سنة: (٣٩٥هـ).

. التاريخ الكبير للبخاري، برقم: (١٠٥٣)، بخط الحافظ حسين ابن باز الموصلي كتبها سنة: (٥٧٣هـ)، ومقروءة عليه الجزء الأول منه.

. سنن الدارمي، برقم: (٦٧) قسم حافظ أحمد، كتبت في القرن السادس، وعليها سماعات كثيرة، منها بخط الحافظ ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي، وغيرهما، وهي نسخة نفيسة متقنة.

. المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال للأزدي، برقم: (١٥٧٨)، بخط عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ).

. العباب الزاخر واللباب الفاخر، برقم: (١٥٥١)، بخط مؤلفه الإمام الصغاني (ت٦٥٠هـ)، وقابله مع ولده.

. كاشف الأسرار عن معاني طوالع الأنوار، برقم: (٨٣١)، بخط مؤلفه بدر الدين التستري (ت٧٣٢هـ)، وعليه حواش بخط الشريف الجرجاني (ت٨١٦ هـ).

. فص الخاتم عن التورية والاستخدام، برقم: (١٣٥١)، بخط مؤلفه الصفدي (ت٧٦٤ هـ)، ومقروءة عليه.

. الدراية تلخيص نصب الراية، برقم: (٤٦٣)، بخط مؤلفها الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، وعليها خط تلميذه الحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ).

. القاموس المحيط للفيروزآبادي، برقم: (١٥٥٦)، بخط الإمام ملا علي القاري (ت١٠١٤هـ).

موقع المكتبة

يمكن للقارئ إن كان في زيارة لمدينة الجمال والحضارة والتاريخ إسطنبول أن يرى هذه المكتبة.



الدّراية بخط مؤلفها الحافظ ابن حجر، ويظهر في اللوحة ترجمة الميرغيناني

وكذلك سيجد قريبا منها على الجادة العامة قبر واقفها فاضل أحمد، وقبر أبيه محمد باشا، وأمه عائشة.

وهي في إسطنبول، بمنطقة إيمينو، جادة ديوان يلو، مقابل مقبرة السلطان محمود الثاني.

الانتفاع بالمكتبة والتصوير منها

يمكن للباحث في زماننا أن ينتفع بهذه المكتبة، ويطلع على ما يشاء من مخطوطاتها، وذلك عن طريق خدمة القراء، التي جعل مركزها بالمكتبة السليمانية جوار مسجد السليمانية الكبير والشهير بإسطنبول.

وكذلك يمكنه تصوير ما يشاء منها، عن طريق خدمة الاستنساخ الضوئي المتاحة بالمكتبة، وذلك عن طريق تقديم طلب بالمخطوط المطلوب، مع ذكر القيود والمعلومات، ورفعه لمدير المكتبة، وتتم الموافقة عليه، وتقديمه على قرص ضوئي خلال دقائق!

خاتمة

وختاما لا يسعنا إلا أن ندعو بالرحمة والغفران لأسرة كوبريلي عامة، وعلى رأسهم الصدر الأعظم محمد باشا الذي كان صاحب الفكرة الأولى لهذه المكتبة، ولولده الصدر الأعظم فاضل أحمد باشا الذي أسسها وأوقفها، وكذلك لشقيقه الصدر الأعظم الشهيد مصطفى باشا، الذي أدارها وقام عليها.

وقديما قالوا: «ما أجمل الأمراء بباب العلماء».

ولكنني أقول: «وما أعظم الأمراء إن كانوا علماء!».

الهوامش

(١) اعتمدت في بيان هذا المنصب على عدة مراجع، وأهمها: «الموسوعة الإسلامية التركية»: ٤١٤/٣٥، و«تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار»: ص١٥٢.

(٢) نسبة إلى بلدة «تشاندر» بمدينة يوزقاد التركية، وكتب هذا الاسم في بعض المصادر العربية: «جاندرلي» وهو خطأ، فكلمة «جان» باللغة التركية بمعنى: الروح.

(٣) وأما ما جاء في «الموسوعة العربية الميسرة»: ص٢٠٨٨ من أن آخر صدر أعظم اسمه: «داماد فريد باشا»، فهو خطأ يصحح!

(٤) انظر «تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار»: ص١٥٥، «الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط» للصلابي: ص٣٣٩.

(٥) «الموسوعة الإسلامية التركية»: ٤١٤/٣٥، وهي باللغة التركية، و«خلاصة الأثر»: ٣٥٢/١، ومن المؤسف أن لا تجد في كتب التراجم باللغة العربية ترجمة وافية أو كافية لهذا العالم الوزير، صاحب الأيادي البيضاء.

(٦) قال في «خلاصة الأثر» ٤٢٤/٢: «وكانت وفاته في سنة سبعين وألف تقريبا»، وقد اعتمدت في تاريخ وفاته على المصادر العثمانية والتركية.

(٧) «ولاة سورية في زمن الدولة العلية»: ص٣٤.

(٨) انظر «الدولة العثمانية» للصلابي: ص٣٣٩.

(٩) انظر «المخطوطات العربية في مكتبة الفاتيكان» ص٩٩.

(١٠) «خلاصة الأثر»: ٣٥٣/١.

(١١) اعتمدت في هذا المبحث على مقدمة «فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي»، وموقع وزارة الثقافة التركية الخاص بالمكتبة على الشبكة العنكبوتية، وزيارات ميدانية قمت بها للمكتبة بإسطنبول.

(١٢) «خلاصة الأثر»: ٣٥٦/١.

(١٣) انظر «فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي»: ص٢ وما بعدها.

محمد عباس
كاتب صحفي



الأدوار التربوية لخطبة الجمعة

من أبرز الوظائف والأدوار للمسجد في الإسلام الدروس المختلفة التي تُقام به طوال الأسبوع، وتأتي خطبة الجمعة في مقدمة هذه الأدوار، فهي خصيصة من خصائص هذه الأمة، وموعظة أسبوعية يحضرها أكبر عدد من المسلمين، لما لها من أثر كبير في إرشاد الناس، وتوجيههم للخير، والبعد عن الشر، وما تحمله من مبادئ تشريعية وتوجيهات تربوية لمعالجة قضايا هذه الأمة، وما يواجهها من مشكلات (١).

والجمعة فضل الله تعالى على هذه الأمة، وهي فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة، وهي تأخذ أهميتها من الجمعة ذاتها التي دعا الله المؤمنين إليها، وخطبة الجمعة: درس أسبوعي يزيد في الإيمان ويهذب الأخلاق، ويهدي لأحسن الآداب ويحذر من منكرات الأخلاق والأعمال، وهي وسيلة هامة في الدعوة، ولغة راقية في البلاغ والإنذار.

وخطبة الجمعة باب واسع من أبواب الخير والعلم وفرصة رائعة للدعاة والمصلحين إذا أرادوا التأثير في العامة واستخدام الوسائل والسبل التي تعينهم على الارتقاء بها مضمونا وشكلا، وتضمن لهم الارتقاء والتأثير والاستجابة من جمهور المصلين.

والدور التربوي والاجتماعي للخطبة هو لون من ألوان التعليم والتثقيف، يركز فيها الخطيب على التهذيب والتزكية، وترقيق المشاعر في ضوء الضوابط الشرعية الحاكمة لها، وفي الوقت ذاته يتناول موضوعات اجتماعية ملموسة، داعيا إلى الاهتمام بها وفق ما أمر الإسلام به، ومن حاجتنا في الحياة إليها، فيمكن أن تحث على الزهد وأثره في الإنسان، ويتناول أثر النوافل والطاعات في الارتقاء بالإنسان ليصبح محبوبا إلى الله ويحث على كفالة اليتيم، والتعاون والحفاظ على البيئة، والعمل على توفير الأمن والاستقرار للمجتمع.

وتتعدد الأدوار التربوية لخطبة الجمعة بتعدد مجالات هذا الدين، والإسلام دين شامل لجميع جوانب الحياة ونظام يهتم بأتباعه، وعناصره اهتماما مميزا فيعمل على تربيتهم تربية متكاملة تمس جميع المجالات والميادين من خلال التوجيهات والإرشادات والمواعظ التي يقوم عليها الدعاة والعلماء، ويؤكد يالجن

أن: «التوجيه التربوي في الإسلام هو مجموعة الإرشادات المنظمة المتعلقة للتطبيقات التربوية والإسلامية حسب نهج الإسلام في بناء الأجيال المسلمة» (٢).

ولقد لعبت خطبة الجمعة دورا كبيرا في المسيرة الإسلامية الطويلة، فمن خلال هذا المنبر الذي انتشر في ديار الإسلام، طرحت مفاهيم العقيدة، وتعاليم الشريعة وسيرة الأنبياء والصالحين والمجاهدين، ومن خلال هذا المنبر الحي المتجدد، عولجت المشاكل التي كانت تستجد في كل عصر ومصر، وطرحت الحلول المناسبة، ومن خلال هذا المنبر الدعوي المؤثر، استقبل المسجد الخطبة دعما وترسيخا لمشاعر الهداية التي استيقظت في أعماق التائبين.

والموعظة في خطبة الجمعة توفر الجهد، عن طريق نقل الخبرة، وتنبه لما قد يغفل عنه في ظرف من الظروف، كما وإن للموعظة أثرا طيبا، في علاج أمراض القلوب، وعلل النفوس، وتقويم الأخلاق، وبهذه المواعظ والنصائح، دون سواها تصلح النفوس، وتسلم القلوب من الأمراض، وترجع عن غيها إلى رشدها، وتعدل عن الطريق العوجاء، إلى الصراط السوي، وبالموعظة تتهذب النفوس، وتتنبه العقول من غفلتها، وتستيقظ من رقدتها، وتستنير البصائر بنور الطاعة، بعد أن أطفأتها المعاصي.

وبيانا للأدوار التربوية لخطبة الجمعة، كان هذا المقال، حيث يتناول بعض الأدوار التربوية لخطبة الجمعة.

فمن أبرز الأدوار التربوية لخطبة الجمعة: الدور العقدي، والدور الأخلاقي، والدور الاجتماعي.

الدور العقدي لخطبة الجمعة: وتتمثل أهمية الدور العقدي لخطبة الجمعة، في أنه من خلال هذا الدور يتربى الناس على معاني العقيدة السليمة، ويرسخ فيهم الإيمان الخالص، واليقين الجازم، فتستقيم بهم حياتهم، وتتكامل به الجوانب الأخرى؛ لأن سلامة العقيدة هي سلامة الجوانب الأخرى والأساس الذي تقوم عليه الشخصية الإسلامية. التوحيد المطلق لله تعالى وتطهير القلوب من كل أنواع الشرك، الاستعانة بالله وحده والتذلل إليه والشعور بالضعف بين يديه، الامتثال المطلق لأمر الله بالطاعة لله ورسوله فيما أمر ونهى، تصحيح الولاء والبراء لدى المسلمين على اعتباره من أهم مقتضيات العقيدة، والتسليم بقضاء الله وقدره (٣).

الدور الأخلاقي

حيث تعمل خطبة الجمعة على تنشئة الإنسان على المبادئ الخلقية، وتنمي استعداده للالتزام بأخلاقيات الإسلام، وإشباع روحه بهذه الأخلاقيات، كما ويتبين من ذلك الواجب الكبير على الدعاة في تعزيز الجانب الأخلاقي لدى الناس، وتنميته في نفوسهم وحثهم على التخلق بفضائل الأخلاق، وأكرمها، والترفع عن كل ما يتنافى مع أخلاقيات هذا الدين. ويمكن إجمال ما ينبغي على الدعاة تحقيقه في نفوس الناس لتعزيز الجانب الخلقي من خلال خطبة الجمعة فيما يلي: غرس حب الله في نفوس الناس، لأنه الوازع الرئيس في خلق المسلم.

تعريف الناس بالأخلاق في الإسلام، وتوضيح جوانبها لتكون المرجعية الأخلاقية للناس. حث الناس وتربيتهم على المبادئ والقيم والفضائل التي جاء بها الإسلام، حتى تشيع بينهم قيم العدل، والصدق، والصبر، والمحبة، والتضامن، وغيرها من الفضائل والأخلاق الكريمة. اختيار الوسائل والأساليب المناسبة لتحقيق التربية الأخلاقية في حياة الناس. توضيح ثمرة الالتزام الخلقي في حياة الناس، في الدنيا والآخرة، وترغيبهم في الالتزام بها (٤).

الدور الاجتماعي

لخطبة الجمعة دور اجتماعي مميز وواجب عظيم لا يستهان به، ويمكن بتوجيهاتها وإرشاداتها الارتقاء بالمجتمع وتقوية نسيجه الاجتماعي، وتوثيق علاقات الأخوة والمودة بين الناس، وإشاعة روح التعاون والتكافل والتراحم إضافة إلى غرس المفاهيم التالية: تربية الفرد المسلم تربية اجتماعية وأخلاقية، وغرس قيم الخير في نفسه طبقا لمعايير التربية الخلقية في الإسلام، ليكون فردا صالحا يصون المجتمع، ويحافظ على سلامته. العمل المستمر لمحاربة الفساد الاجتماعي والأخلاقي، والقضاء على أسبابه بشتى الوسائل والتوجيهات التربوية. إشاعة روح التكافل والتعاون والمودة والأمن، والمحبة بين أفراد المجتمع، والتي تعضد صلات أفراد المجتمع، وتقيمها على أسس سليمة (٥).

وهكذا يتضح لنا شمولية الأدوار التربوية لخطبة الجمعة: عقائديا، وخلقيا، واجتماعيا.

المراجع:

١- خالد سعيد الجهني، التوجيهات التربوية المستنبطة من خطب الجمعة بالمسجد النبوي الشريف (خطب الشيخ عبدالمحسن القاسم أنموذجا)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣٥هـ، ص ٢.

٢- مقداد يالجن، أساسيات التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، الرياض، دار عالم الكتب.

٣- كمال سليم النجار، درجة ممارسة الدور التربوي للدعاة في محافظات غزة في ضوء المعايير الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية، ١٤٣٢هـ، ص ٤٨.

٤- المرجع السابق، ص ٥٠.

٥- نفسه، ص ٥٣.



دار الإعلام العربية
القاهرة- مصعب ناصر:
تصوير: رمضان إبراهيم

في ندوة أعدتها «الوعي الإسلامي»..

الانتصار على الإدمان ممكن

«كن واقعيا ولا تبحث عن حلول لمشكلاتك بإلقاء نفسك في براثن الإدمان، وإن سقطت فلا تستسلم، فبوسعك الانتصار على الإدمان والتعافي منه بنسبة ١٠٠ في المئة ما دامت لديك الرغبة وامتلكت العزيمة لذلك».. هذا ما يؤكده خبراء علاج الإدمان في وحدة طب الإدمان بمستشفى العباسية بالقاهرة، الذين بشروا بوجود استجابة كبيرة من جانب المرضى لطلب العلاج والعودة إلى الطريق المستقيم.

وأكدوا خلال ندوة لـ «الوعي الإسلامي» مدى الآثار السلبية الناجمة عن الإدمان، وأوضحوا في نقاشاتهم طبيعة الإدمان وأسبابه وأنماطه وسبل الوقاية والعلاج.. كما التقينا عددا من المرضى وقصوا علينا تجاربهم مع المرض.. فإلى التفاصيل...

بدأ د. عبدالرحمن حماد، مدير وحدة طب الإدمان، الحديث عن التجربة العلاجية التي يقدمونها لآلاف المرضى قائلا: تأسست الوحدة منذ قرابة عشر سنوات، وفي عام ٢٠١٣م بلغ عدد طالبي العلاج قرابة ١٠ آلاف شخص، وفي ٢٠١٤م بلغ عددهم ١٦٨٠٠، وفي ٢٠١٥م بلغ ٢٦٣٠٠، ويتزايد إقبالهم لطلب العلاج من الإدمان بصورة مستمرة.

استراتيجية المريض

وتابع د. عبدالرحمن حماد: بمجرد أن يشرفنا المريض نرحب به في قسم «الحالات الجديدة»، ويفتح له الطبيب المختص ملفا يضم تفاصيله منذ بداية تاريخ مرضه وأسبابه والأنواع التي تعاطاها، ووفقا لحالته يتم تحديد الخطة العلاجية المناسبة؛ وتنقسم إلى نوعين: إما خطة علاج خارجية يتم خلالها العلاج بطريقة مكثفة ومن خلال تردد المريض على الوحدة دون الحاجة إلى حجزه، أو خطة تستدعي حجزه في قسم السموم بوحدة الإدمان.

ويضيف: المخدرات هي كل مادة تؤثر على كيمياء المخ بالتثبيط أو الإثارة أو التنشيط أو الهلوسة، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: طبيعية ومخلقة ونصف مخلقة، وينقسم كل منها إلى ثلاثة أقسام أيضا: مثبطة أو مهبطة: (تهبط كل وظائف الجسم وتقلل من النشاط والحركة ورد الفعل)، أو منشطة: (تزود الرغبة الجنسية أو تقلل الرغبة في الطعام والنوم)، أو مهلوسة: (تجعل المتعاطي بعيدا عن الحقيقة وفي حالة هلاوس سمعية أو مرئية).

النوع الأول من المخدرات «الطبيعية»، وهي التي يتحصل عليها من الأرض (التربة)، وقد يستخدمها المتعاطي مباشرة دون إضافات؛ منها ما هو مثبط (مثل الحشيش والأفيون)، ومنها ما هو منشط (مثل أوراق الكوكايين)، ومنها المهلوس (مثل فطر عيش الغراب).

أما النوع الثاني «المخلقة» فمثل حبوب (الترامادول). والنوع الثالث «نصف المخلقة» يتحصل عليه من الطبيعة ويضيف إليه الإنسان بالقدر البسيط (مثل الهيروويين المستخلص من الأفيون والكوكايين المستخلص من أوراق الكوكا).

ويوضح د. حماد أن الإدمان كمرض يشمل أربع نواح أساسية: بيولوجية

ونفسية واجتماعية وروحانية.
البيولوجية مثل احتمالات الوراثة (أن يكون أحد الوالدين أو كلاهما أو الإخوة مدمن)، والنفسية مثل وجود اضطراب نفسي معين أو اضطراب في الشخصية أو مرض نفسي (كالاكتئاب) دفعه إلى تناول المخدرات. أما الأسباب الاجتماعية فهي متعددة مثل: (البطالة، وانتشار ثقافة المخدرات في المجتمع وتوفرها، والانفصال بين الأبوين والعنف المجتمعي). وبالنسبة إلى الأسباب الروحانية، فإن غالبية المتعاطين من الأشخاص البعيدين عن الدين والذين تخلو أرواحهم من الجوانب الروحانية مثل: (الصدق وحب الخير وحسن التعامل مع الناس والتضحية والمساعدة).

بدوره، يوضح د. علاء سعيد، نائب مدير وحدة طب الإدمان، أنه نتيجة لمرض الإدمان تصاب كيمياء المخ بخلل في الهرمونات والأفيونات الطبيعية؛ لأن متناولها اعتمد لفترات طويلة على استبدالها بهرمونات من خارج الجسم؛ وبالتالي تغلق المراكز الطبيعية في الجسم المسؤولة عن إفراز هذه الهرمونات.

هل المخدرات مفيدة؟

- يجيب د. حماد قائلا: نفرق بين نمطي التعاطي والإدمان؛ فالتعاطي مثلا أن يتناول الشخص المادة المخدرة ويستطيع السيطرة على نفسه وعلى تصرفاته وانفعالاته وسلوكياته ويؤدي أدواره الحياتية بشكل جيد في بداية الأمر، ومع مرور الوقت وبمجرد وصوله إلى حالة «الإدمان» يفقد السيطرة على نفسه؛ وهذا بدوره يقود إلى فشل في كل مناحي الحياة صحيا (كالإصابة بفيرس سي، أو HIV)، وأسريا ومهنيا واجتماعيا واقتصاديا؛ ومن ثم ينتقل ضرره السلبي إلى المجتمع.

ونحن نعتبر التدخين البوابة الملكية للإدمان؛ فأكثر من ٩٠ في المئة من المدمنين مروا بالتدخين قبل المخدرات.

> **أكثر من ٩٠٪ من المدمنين كانت بدايتهم من خلال التدخين**

وهناك نمط مشهور للتعاطي: تدخين، ثم حشيش، ترامادول وهكذا....، ولكن الخطورة أيضا أن يستمر في التدخين فقط، ونسبة المدخنين فقط أعلى من مدمني المخدرات.

ويضيف: تستخدم بعض المخدرات في علاج أمراض معينة، فمثلا يعاني شخص من «الرهاب الاجتماعي» ويخشى الحديث أمام الناس، وعندما تعاطى المخدرات هدأت حدة الرهاب واستطاع أن يتفاعل مع الناس ويتحدث إليهم. مثلا شخص يعاني من ضغوط مختلفة فتناول كحولا وشعر أنه ارتاح مؤقتا من الضغوط، وهنا نقول له: لو أن هناك نوعا من المخدرات سيحل مشكلتك دائما ولن يسبب لك أي مشاكل أخرى في حياتك -سواء كانت صحية أو قانونية أو اجتماعية- تناوله. لكن في الحقيقة لا توجد أي مخدرات في الدنيا من هذا النوع؛ ومن يتعاط المخدرات ليحل مشكلة بعينها فإنه يتعرض إلى مشكلات أخرى ويستمر ضرر التعاطي. ويكمن الحل في أن يبحث الإنسان عن متخصص يساعده في حل المشاكل والضغوط التي يتعرض إليها، سواء صحيا أو نفسيا أو روحانيا؛ فأنت لست بحاجة إلى تناول مخدرات لتحل مشاكلك.

وفي السياق ذاته يقول د. علاء سعيد: المخدرات لها سعادة وهمية، وتكمن مشكلتها في المدى الذي يتوصل إليه الإنسان مع كل لحظة يتعاطى فيها، والأساس في برنامجنا العلاجي أن يتعافى المريض من الإدمان ويعود إلى مواجهة حياته بشتى أوجهها بصورة طبيعية، بل وأكثر فعالية، من خلال ما يتم التدريب عليه من سبل مواجهة الصعوبات والضغوطات والآلام، وأيضا الاندماج مع المجتمع بصورة أكثر تطورا ودون رهاب أو خوف أو قلق.

لماذا نعالج من الإدمان؟

ومن خلال حالات عديدة وقفت عليها «الوعي الإسلامي»، تصل العلاقة بين المدمنين وأسرهم إلى طريق مسدود، ولذا سألنا عن سبب وصول العلاقة بين الأسرة وابنها المدمن إلى مثل هذا الحد، قالت الدكتورة هند رمضان، طبيبة مقيمة بوحدة طب الإدمان: إن المصاب بالإدمان تتغير سلوكياته وعاداته في تعاملاته مع أسرته؛ نظرا لما طرأ عليه من تعلم عادة جديدة، فمثلا يزداد طلبه للمال ويزداد سهره خارج المنزل، وحينما يتواجد داخل المنزل ولم يحصل على مادته يتغير مزاجه ويتعصب، ولا تفهم الأسرة حالاته؛ ففي أوقات يكون مسرورا وفي بعضها غير مسرور، ولا يطيق أن يطلب أحد منه شيئا؛ وبالتالي هناك عدم اتزان في حياته بشكل عام.

إضافة إلى ذلك، السمعة السلبية التي تتعرض إليها الأسرة أو العائلة من مريض الإدمان؛ ففي أوقات كثيرة يشتكي الناس إليهم أنهم رؤوا ابنهم يتعاطى مادة كذا أو مادة كذا، أو أنه يقترض الأموال -في حالة أصحاب الظروف المحدودة- كثيرا ليشبع حاجته من الإدمان، وحتى لو كان من أصحاب الدخل الميسور فإن أسرته تلاحظ إقباله على المال بشراهة ويزداد طلبه، وهذا لا شك له تأثيره السلبي مع الوقت. وكل هذا يدفع الأسرة إلى التفكير في التخلص منه وإهمال مسؤوليته؛ لأنه «لا فائدة منه وتأثيره السلبي فاق الحدود».

ولا يتوقف الأمر عند السلوكيات المرفوضة اجتماعيا التي تنتاب مريض الإدمان؛ بل أيضا تتأثر صحته سلبا، فدائما وجهه مصفر ووزن جسده في حالة نقصان مستمرة، وكذلك احمرار لون العينين ووجود هالة سوداء تحتهما.

وكذلك اضطراب مواعيد نومه وقلة الاهتمام بالنظافة الشخصية ومظهره.

أخطر المخدرات وأصعبها تأثيرا

يقول د. حماد: حينما نتحدث عن خطورة المخدرات فإننا دائما نصحح المعلومة المغلوطة القائلة بأن هناك نوعا معينا هو الأكثر خطورة؛ ففي الحقيقة لا توجد مخدرات أخطر من أخرى؛ لأن الخطورة الحقيقية في «مدى تأثير المخدر على المتعاطي أو المدمن»، فمثلا: يتعاطى سائق حبوب الترامادول أثناء قيادته فيصاب بنوبة صرع تنتج عنها حوادث وإصابات، وبالتالي الضرر هنا تعدى حدود الفرد وأصبح مجتمعيا وخلف أضرارا كثيرة، وهذا أخطر ممن يتعاطى في زاوية منعزلة ويكون ضرره على نفسه وحسب.

وتدخل د. سما هشام محمد، طبيبة مقيمة بوحدة طب الإدمان، في السياق قائلة: أصعب أنواع المخدرات تأثيرا تلك التي تتناول عن طريق «الحقن»، فحتى في طرق العلاج أيضا أصعب الوسائل عن طريق الحقن؛ لأنه أسرع انتشارا في الدم داخل الجسم. وتكمن مخاطر «الحقن» في إصابتها للجسم بفيروسات مثل بي وسي وفيروس نقص المناعة البشرية (HIV) المسبب للإيدز، كما أن الجرعة الزائدة تسبب مضاعفات أخطر.

وتقول ريهام عبدالرازق، متخصصة نفسية: هناك مؤشرات جيدة إذا تعافى العميل من الإدمان ومن ثم امتنع عن التدخين تماما، وهذا يدل أن نسبة تعافيه تزداد، ويعطي دلالة بأن الشخص سار على منهج التعافي جيدا وأصبحت لديه القدرة على السيطرة على نفسه والتحكم في مشاعره جيدا.

رحلة التعافي من الإدمان

يوضح علاء نبيل، رئيس هيئة التمريض بقسم التأهيل، أن وحدة إدمان العباسية تستقبل المريض في قسم «العيادة الخارجية»، وتنقسم إلى نوعين: «العيادة الصباحية»، و«الخط

مريض الإدمان تتغير سلوكياته سلبا وبالتالي تتأثر أسرته وبيئته المحيطة

الساخن»، ويتحمل صندوق مكافحة الإدمان نفقاته. بعد هذه المرحلة ينضم المريض إلى قسم «إزالة السموم» فترة تتراوح من ١٠ إلى ١٥ يوما، بعد ذلك مرحلة «التأهيل» على مدار ٩٠ يوما يكمل خلالها رحلة العلاج، ثم مرحلة «المتابعة والرعاية المهنية» أيضا على مدار ثلاثة أشهر، وخلال هذه الفترة يبدأ بالعودة والاندماج مع المجتمع ويقيم سلوكه خلالها، ثم دعم نقاط القوة والوقوف على نقاط الضعف لمعالجتها.

بعد كل ذلك، تعقد جلسات مع أسرة المريض لمتابعة كيفية دعمه ومساندته خلال مرحلته القادمة ومواجهة التأثيرات الخارجية في الحياة؛ وذلك عن طريق برنامج مخصص للأسر، ويتم خلاله التأكد من تعافي الأسر أولا وتصحيح الأفكار الخاطئة عن مرض الإدمان.

وتوضح د. سما أن أولى المعلومات الخاطئة عند الأسر التي يتعرض أبناؤها إلى الإدمان أنه ناتج عن تقصير منهم في التربية أو من تأثير رفقاء السوء عليه وأنه ليس مرضا؛ والصواب أن الإدمان مرض مزمن، مثله مثل أي مرض يتعرض إليه الإنسان، أيا كانت الأسباب؛ لكن له طبيعة علاجية خاصة لا تكتفي بالأدوية والبرنامج الغذائي فحسب؛ وإنما تحتاج إلى مهارات وسلوكيات وأخلاقيات متبعة يتم تطبيقها، وقد تحدث خلالها انتكاسات أحيانا خارجة عن إرادة المريض ولا يستطيع التحكم فيها؛ لكن في المجمل الشفاء منه ممكن وليس مستحيلا.

ويكمن الفرق بين الإدمان وبقية الأمراض في مدى تأثير المريض على مختلف نواحي حياته وعلى البيئة المحيطة به (سواء الأسرة أو الزوج أو الإخوة أو الأبناء)، بخلاف مثلا مريض السكر أو الضغط؛ فتأثيرهما يكون على الأهل نفسيا لفترة محدودة فور العلم بالمرض ثم تسير الأمور طبيعية وعادية جدا؛ لأن مريض الإدمان تتغير سلوكياته وحدة انفعالاته وردود أفعاله؛ وبالتالي تتأثر أسرته وبيئته المحيطة بذلك.

ويقول د. علاء سعيد: الإدمان مرض «بيولوجي»، وأثبتت الدراسات والأشعة التصويرية أن المخ والهرمونات يعودان إلى وظائفهما الطبيعية خلال ستة أشهر على الأقل؛ وبناء عليه فإن فترة العلاج في المجمل ثلاثة أشهر للتعافي من الإدمان والتخلص منه، وثلاثة أشهر للمتابعة؛ ولذا ندرس حالة كل مريض على حدة ونعتبره حالة استثنائية وله برنامج علاجي خاص، لا يخرج عن مدرستين: الأولى تقول: إذا كان الطبيب على علم ١٠٠ في المئة بأن المريض سيدخل في حالات



اكتئاب وعصبية فيستبق الأمر بعلاج مقاوم خلال الفترة الأولى من التعافي (٣-٦ أشهر)، أما المدرسة الأخرى فترى أن الجسم يحاول أن يعوض ما فقده خلال فترة أسرع فيتناول علاجا تدعيميا فقط خلال أول أسبوعين من سحب المخدرات من جسمه، بعد ذلك يتم الاعتماد على الجسم ذاته ليعوض نفسه بنفسه طبيعيا.

وتضيف د. سما: كما نتبع برنامجا علاجيا يسمى «ماتريكس»، يضم جلسات للمريض نفسه وأيضا لأسرته؛ لتكتسب أساليب التعامل الصحيح معه.

جلسات التخلص من السموم

تقول د. هند: ينتقل المريض إلى قسم السموم ليمر بمرحلة انسحابها -أيا كان نوع المادة المتعاطاة- ولها أعراضها النفسية والجسمانية، وخلال الخمسة أيام الأولى يتعرف المريض على قواعد المكان وسحب عينات الدم بصفة دورية للتعرف على مدى تحسن حالته ووظائف الكبد والكلى والسكر، وما إن كانت هناك مشاكل في الأسنان



٨٠٪ من جرائم القتل و٧٥٪ من جرائم التحرش تتم تحت تأثير المخدر

أو الباطنية أو الجراحة وعرضه على الطبيب المتخصص؛ ومن ثم تحديد الاتجاهات التي تحتاجها حالة المريض للتعافي ونساعده ليمر بها دون آلام أو أوجاع.

بنهاية الفترة التي يقضيها المريض في قسم السموم (تتراوح بين ١٠-١٤ يوما) يكون الأطباء قد توصلوا إلى تفاصيل المرض كافة -مثل تاريخ بداية المرض وأنواع التعاطي ومقدار الجرعات والتأثيرات النفسية والأسرية والاجتماعية التي نتجت عن ذلك- وقيموا حالته وحددوا الخطة العلاجية المخصصة التي ستتبع معه في المرحلة القادمة بعدما أصبح لديه وعي كاف بخطورة المخدرات وما يتوجب عليه فعله، والقواعد المتبعة وما هو مسموح له وتعرف على أساليب العلاج ومصطلحات مثل «المشاركة» و«الاستياء» و«تأكيد الحق»؛ وتعتبر هذه المرحلة تأسيسا للمريض.

وتتابع: خلال هذه المرحلة يستيقظ المرضى في الثامنة صباحا، وفي الثامنة والربع يعملون في مجموعة للتفكر والتدبر والتأمل «meditation» يخلصون من خلالها إلى مبدأ يعملون عليه طوال اليوم، بعد ذلك يفطر المريض ثم يتناول علاجه الخاص ويعقد جلسة مع طبيبه لمتابعة تحسن الحالة وما يحتاج إلى تدخل وإضافة، بعدها ينضم إلى إحدى مجموعات «التعافي المبكر». وفي الواحدة ظهرا يتناول وجبة الغداء، ثم فقرة مفتوحة لممارسة أي نشاط يحبه حتى الرابعة عصرا، ومن الرابعة حتى السادسة فقرة الرياضة والقراءة؛ ومن يواجه مشكلة في القراءة فإنه يرافق زميلا يحسن القراءة، ومن السادسة حتى الثامنة أيضا فقرة مفتوحة، وفي الثامنة مساء تعقد جلسة «جرد: كشف حساب يومي» من خلال أسئلة معينة توجه إلى المرضى ومدى انطباعهم عن يومهم وإيجابياته وسلبياته، وأيضا أي تحفظات أو أفكار يرغبون في إضافتها، ومدى تحقيقهم لهدفهم بالتوقف عن المخدرات على مدار اليوم، ثم تهيئة النفس للمشوار الجديد في اليوم التالي، ويختتم بتناول العشاء والعلاج والنوم في حدود الثانية عشرة.

التعافي المبكر

وتواصل د. سما: بعد أن تنتهي فترة تواجد المريض في قسم «السموم» ومتابعة التدخلات العلاجية التي تحدث معه يخضع إلى ثماني جلسات «تعاف مبكر»، يتبع خلالها تدريبات علاجية محددة تتضمن التمرين وأداء واجبات من خلالها ينمي مهاراته نفسه، ثم يتعرض إلى جلسات فردية مع الأخصائي النفسي؛ إذ كل مريض له برنامج محدد واحتياجات علاجية خاصة، إذ تختلف من شخص لآخر.

بعد ذلك يخضع إلى ٣٢ جلسة في قسم «التأهيل» لمنع الانتكاسة، من خلال دراسة ومعرفة الأسباب التي قد تؤدي إلى ذلك وسبل علاجها. توضح دكتورة هند: يتم خلالها دراسة وتعريف المريض بالأسباب الدافعة إلى العودة لتعاطي المخدرات، سواء داخلية (مثل المشاعر والرغبات)، أو خارجية (مثل الرفقاء أو من يشتري منهم أو المال نفسه)، أيضا يتم تعريفه بالفرق بين الأفكار والمشاعر والأحاسيس، وكيف نمنع الأفكار أن تتحول إلى سلوك.

وكذلك يتم تعريفه بالصعوبات الحياتية التي قد يواجهها خارجيا والبدائل المتاحة لتفاديها؛ مثل تعاطي أحد أفراد العائلة في المنزل، أو أن المنطقة معظمها تتعاطى، أو رفقاء العمل يتعاطون.



د. أحمد إسماعيل
باحث أكاديمي

تكريم المرأة من منظور إسلامي

مازلنا نسمع بين الفينة والأخرى بعض النداءات الجوفاء مطالبة بإطلاق الحرية أو الحريات للمرأة العربية والمسلمة؛ باعتبارها رهينة المحبسين: المحبس الأول، هو بقاؤها معززة مكرمة سيدة بين أسرتها. والمحبس الثاني، قيام الرجل بأعبائها والمحافظة عليها معززة مكرمة لا تنال منها عوادي الزمن أو متاعب الحياة؛ باعتبارها من درجات الرجل التي ذكرها القرآن الكريم. ولا ينكر المشرع أن المرأة هي المدرسة التي تملك مؤشر حيوية الأمة وعنفوانها، وهي المضغة التي متى صلحت صلح بها جسد الأمة وإذا فسدت فسد بها جسد الأمة وعقلها، لا قدر الله تعالى. ولقد أدرك أعداء الأمة ما للمرأة من دور في تقدم الأمة، وصيانتها، والمحافظة على رسوخها وعلو قامتها وسمو هامتها واعتلائها عرش الحضارة، ولذا يحاولون الفت في عظام الأمة من بوابة المرأة، بدعوى أن المرأة المسلمة، لاسيما العربية، لم تنل بعض حقوقها.

لا كرامة للمرأة إلا في ظل الإسلام

لم تكن لتنال المرأة حقا من حقوقها في أي ملة أو دين، بل كانت بمنزلة العار الذي يلحق بأهلها وذويها، ناهيك عما كانت تلاقيه من الظلم والاضطهاد على مر العصور، حتى جاء الإسلام ورفعها مكانا عليا وجعلها قسيمة للرجل، وليس أبلغ مما أعطاه الله عز وجل للمرأة من تكريمها ووضعها في هذه المكانة السامقة من تخييرها الحياة في كنف رسول الله في ظل حياته الخاصة المتصلة بالله والزهادة في الدنيا، أم المفارقة للانغماس في الدنيا وملذاتها فيقول الله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ

﴿وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ (الأحزاب: ٢٨-٢٩)، ونحن نعلم أن الرسول خيره الله عز وجل بين أن يكون ملكا رسولا أو عبدا رسولا، فاختار ما عند الله على ما في دار الفناء، وكان من الإجحاف أن يرغم نساءه، شريكات حياته، على هذه الحياة التي اختارها، بما فيها من شظف العيش وخشونته، على حين أن السيدات يرغبن عن مثل هذه الحياة، لاسيما أن منهن من كانت من حياة الرغد بمكان، فقد طالب نساء النبي بزيادة نفقاتهن؛ إذ دار بخلدهن: ألا يحق لهن أن يعشن ببعض الرفاهية كما تعيش النساء الأخريات؟! وقد بدت لهن هذه المطالب مشروعة ولا ريب فيها، ولم تكن هذه المطالب محرمة أو مكروهة، وما أحس الرسول بهذا حتى اتخذ منهن موقفا محددا؛ اعتزلهن، وحلف ألا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن (١). ولاشك أن سبب مقاطعته لهن، أنه عز عليه وأحزنه أنهن لم يستوعبن ما هن فيه من المكانة التي أعدها الله لهن من الأجر العظيم، وأن الله عز وجل كما اصطفاه لرسالته اختارهن زوجات له، فكان ينبغي عليهن أن يعين ذلك ويعلمن أنهن لسن كعامة النساء، لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ (الأحزاب:٣٢)، لأن مقام التشريف يوازيه ويكافئه قدر من التكليف، لأن «كون إحداهن زوجة للرسول له جوانب إيجابية، ولكن له مسؤوليات ثقيلة أيضا، وكان الرسول يهيئهن لكي يكن قدوات حسنات، ولا يصيبهن الخسران؛ لأن أي نعيم يصيبه الإنسان من الدنيا يكون عليه خسارة في الآخرة لقوله تعالى: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ (الأحقاف:٢٠) (٢). وقد كان الرسول يعلم أنهن حملة هذه الدعوة إلى نساء العالمين، وأنهن القدوة والمثل الأعلى الذي ينبغي أن يحتذى للمرأة المسلمة، التي تكون عونا لزوجها على طاعة الله تعالى.

الإسلام يؤصل لحرية المرأة

لقد أرسى الإسلام الأسس والقواعد التي أصلت للمرأة الأخذ والرد بالرأي والمشورة وحرية الفكر، فلا اضطهاد ولا انتهاك لحق يجب لها، ولا حجر على إرادتها، وحسبنا في ذلك أن الله عز وجل منحها هذا الحق، ولا يجوز لأحد أن يعتدي على حق قضى الله تعالى به لصنف من خلقه، ولا يجرؤ على ذلك أحد من الناس مهما أوتي من الصلاحيات، فلا وجود لما يسمى بالحجر على رأيها أو إرغامها على فعل لا تريده أو اتجاه تعتنقه، فقد منحها الإسلام الحرية كاملة في الحدود التي تتفق مع كتاب الله وسنة رسوله، فقد روي أن الرسول فاتح السيدة عائشة -رضي الله عنها- في أمر حادثة التخيير، فقال لها: «يا عائشة، إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك». ثم تلا عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ (الأحزاب:٢٨)، فقالت: أو في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (٣).

وقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة في حسن معاملة المرأة، وقد اعتبرها شريكة الرجل في صناعة القرار، وكان يستشير نساءه وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وقد نزهه الله تعالى عن الثرثرة والترهات، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ (النجم:٣-٤)، ولو أن شخصا أوتي من الصلاحيات ما أوتيه رسول الله لصار مع زوجاته ديكتاتورا سليطا، ولما سمح لواحدة منهن أن تنبس ببنت شفة؛ لأنه سيعلن على الملأ أنه يتنزل عليه الوحي ولا حاجة له برأي أحد بله النساء اللاتي سيصفهن لا محالة بأنهن ناقصات عقل ودين.

وقد كان الرسول يتصرف بلطف مع النساء، وقد أثنى على فعل من يحسن معاملتهن فقال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا» (٤).

وهكذا سن رسول الله حقوق المرأة وأعلى من شأنها، وجعلها والرجل سواء، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان. وقد كانت المرأة في العهد النبوي تمتلك كل حقوقها، في الوقت الذي كانت فيه دول الكفر والوثنية تغط في نوم عميق بعيدا عن الحرية، تلقي بالمرأة في غياهب الظلم والانتهاكات الصارخة، ناهيك عن معاملتها بأحط صور المعاملات التي تأباها الإنسانية.

الهوامش

١- ينظر: النور الخالد، محمد معجزة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٩٣.

٢- النور الخالد، ص٢٩٤.

٣- البخاري، المظالم، ٢٤؛ مسلم، الطلاق، ٢٢، ٣٥؛ النور الخالد، ص٢٩٥.

٤- الترمذي، الرضاع، ١١؛ أبو داود، السنة، ١٥؛ الدارمي، الرقاق، ٧٤؛ النور الخالد، ص٢٩٣.

صبحة بغورة
كاتبة جزائرية



وأثرها على سلامة الجسم

صدمات الطفولة

على الرغم من التنبيهات المتكررة التي يطلقها علماء النفس، والتحذيرات المتواصلة من خبراء التربية والأنشطة الميدانية للجمعيات المتخصصة، التي تشدد على ضرورة صيانة حقوق الطفل، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تؤكد حقيقة وجود علاقة بين تعرض الطفل لتجارب مؤلمة وبين صحته النفسية والجسمانية، فإن مجتمعاتنا العربية لاتزال تشهد المزيد من حالات التعدي على براءة

الطفولة على مختلف المستويات الاجتماعية، بل هناك تنام للمظاهر المؤلمة، بداية من الحرمان العاطفي والتخلي عن مسؤولية الإنفاق وإهمال واجب الرعاية، خصوصا بعد طلاق الوالدين، حيث تصبح الحضانة والنفقة وسائل ضغط من قبل الطرفين، وأولى خطوات الانتقام المتبادل بينهما، إلى العنف الجسدي الضار بالسلامة البدنية والتعنيف النفسي الشديد. والمفارقة أن يظل الإعلام يتناول ما يعيشه المجتمع من مآس إنسانية بحق الطفولة في قسم «الغرائب»، ويكتفي بوضعه في إطار «خبر» في ثوب «لا حدث» سرعان ما ينسى ولا يترك في نفس القارئ أي أثر، على الرغم من خطورته، ولا يتناوله باعتباره «ظاهرة» ينبغي التوقف عندها كثيرا لحشد رأي عام لتجريمها، فالثابت علميا أن الصدمات النفسية والتجارب المؤلمة والمواقف العنيفة التي يتعرض لها الطفل الصغير، تترك -مهما كانت طفيفة أو شديدة- آثارا سلبية عميقة على صحته النفسية والعصبية والعقلية والبدنية، يظهر بعضها مبكرا وفي سنواته الأولى نتيجة الإهمال، في صورة تأخر النطق والتلعثم والتردد والخوف من المواجهة المقترنة عنده بالعقاب، والكذب وضعف مستوى الذكاء، ويلازمه بعضها الآخر كلما تقدم في السن نتيجة العنف، في صورة الخوف وعدم تحمله الأصوات العالية والجبن وتعاظم الأعراض الانسحابية في المواقف الحرجة، وضعف شجاعته الأدبية إلى الحد الضار بمصلحته، وميله إلى الصمت ولو في ذلك ضياعا لحقه، وفقدان الشهية للطعام، ثم تتشكل هذه الآثار المتراكمة على نحو أخطر عند الكبر بتحولها إلى أمراض جسمانية خطيرة يصعب علاجها بسرعة وسهولة.

يتحمل الأطفال نتائج أوضاع لم يكن لهم فيها حيلة ولا حول ولا قوة، لذلك يصعب عليهم إدراك سبب ما يتعرضون له من سوء المعاملة، بل من العسير عليهم فهم ذلك، وهذا ما يزيد في الأمر تعقيدا، لأن عدم توصل الطفل لتفسير السلوك القاسي الذي يتعرض له يزيده حيرة وشرودا، والأخطر أن يجعله دائم التوقع في كل لحظة أن ضررا ما سيصيبه من حيث لا يحتسب، فيميل إلى الانكفاء على نفسه والانعزال إلى أبعد مكان ليختفي عن الأنظار فيتجنب التعرض لحالات تنفيس الغضب فيه، ومن نتائج ذلك إصابته بالشلل الذهني وبالاستكانة البغيضة، عند كل ذكر وأنثى، وبالسلبية المقيتة التي لا تتفق مع مقومات الشخصية السوية.

يعاني الأبناء من انعكاس ردود أفعال حادة تجاه أوضاع لا يتحملون مسؤوليتها لأنهم لم يشاركوا في صنعها، ومع ذلك يدفعون ثمنها من صحتهم في مرحلة لاحقة من حياتهم، فمع دخول الطفل سن البلوغ وعالم المراهقة الحائرة، ستبقى آثار تجارب الطفولة تفعل فيه فعلها، إذ ليس من السهل عليه نسيان التجارب الوجدانية الصادمة التي ستجعله إنسانا محبطا منكسرا حتى في حالات تعرضه لضغوط بسيطة، بالإضافة إلى طبيعة المرحلة العمرية التي تتسم بالاضطراب العاطفي وضعف التحكم في مشاعره وصعوبة الحفاظ على اتزانه في ردود أفعاله، كل هذا سيؤدي إلى رسم معالم شخصية فرد غير مؤهل لخوض معترك الحياة، ولن يجد نفسه، ولن يجده المجتمع عضوا مفيدا، فيؤدي ذلك إلى تعميق شعوره بالتوتر والقلق والاضطراب، ويزيد من انعزاليته اجتماعيا، وأغلب من تعرض إلى مثل هذه الظروف انتهى أمرهم نهاية مأسوية بالإدمان على المخدرات كوسيلة لنسيان معاناتهم اليومية والتحليق في عوالم أخرى من الوهم والخيال، أو بالجنون حيث يعجز المخ عن معالجة مظاهر الضغط النفسي المختلفة، أو بالانتحار كسبيل للهروب من الواقع المرير.

في مرحلة لاحقة من الحياة، وكلما تقدم الفرد «الضحية» في السن، تظهر آثار صدمات الطفولة والاضطرابات الوجدانية العنيفة عليه، فبالإضافة إلى الانتكاسات النفسية، تبرز حالات الإصابة بأمراض عضوية خطيرة، كالأزمات القلبية الوعائية وداء السكري واضطراب جهاز المناعة والسرطان، وتذكر مختلف الأوساط الطبية أن العلاقة أكيدة بين الأمراض النفسية والأمراض العضوية التي قد تظهر في بعض الأحوال على الشخص البالغ فجأة ومن دون مقدمات ومن دون وجود سبب مباشر من الأسباب المعروفة عنها، وإنما هي من آثار ما تعرض له في طفولته من تجارب مؤلمة.

إن مستعظم النار من مستصغر الشرر، والأجيال الحالية هي نبت الماضي، والأجيال اللاحقة هي غرس الحاضر، والأمم القوية قوية بأبنائها الأصحاء، الأسوياء، المتوثبين للمهام والقادرين بالعلم والعمل على تحمل المسؤوليات والنهوض بالواجبات والوفاء بالالتزامات، ومن دون كل ذلك فلا حديث يليق عن التنمية البشرية ولا عن الأحلام الوردية للغد المشرق، وصدق من قال «ربي ولد، تبني بلد».

د. خالد محمد راتب
باحث بمجمع البحوث الإسلامية



الأناقة في الإسلام

الأناقة في المفهوم العام تعني الاعتناء بالشكل والمظهر، وهذا أمر ضروري دعا إليه الإسلام الحنيف، فإن الله جميل يحب الجمال، عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال.. الكبر بطر الحق وغمط الناس» (١).

والأناقة في الإسلام لا تقتصر على الاهتمام بالشكل والمظهر فقط، ولكنها تشمل الشكل والمضمون، والمظهر والمخبر، فهي تشمل أناقة القلب، والفكر، والأخلاق، والمشاعر والأحاسيس.

أناقة القلب

المقصود بأناقة القلب طهارته ونظافته من الشرك والنفاق والحسد والغل وجميع الأدران التي تؤثر على سلامته، وهذا هو القلب السليم الذي ينتفع به صاحبه في الدنيا والآخرة، ويحقق له الفلاح والسعادة الأبدية، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء:٨٨-٨٩).

والقلب السليم هو الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة الله -مع تحكيمه لرسوله- في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال، والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده... (٢).

أناقة الفكر

الإسلام جعل للعقل مكانة كبيرة في مجال التدبر والتفكر ومجال الاستنباط وعمران الأرض، ووردت الآيات القرآنية في ذلك بوجوه مختلفة ومنها:

● جعل الحفاظ عليه وتنميته من ضرورات الشريعة الإسلامية، فالشريعة جاءت لتحافظ على: «الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال»، وهو ما يعرف بمقاصد الشريعة الكلية.

● خص الله أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:١٩٧).

● قصر الله الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف:١١١)، ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت:٣٥).

● كرم الله العقل وجعله مناط التكليف، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل» (٣).

● ذم الله المقلدين لآبائهم، وذلك حين ألغوا عقولهم وتنكروا لأحكامها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٧٠).

● حرم الإسلام الاعتداء على العقل؛ فحرم المسكر والمفتر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة:٩٠)، وعن أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر» (٤).

● شدد الإسلام في النهي عن تعاطي ما تنكره العقول وتنفر منه، كالتطير والتشاؤم والاعتماد على الكهنة والعرافين والمنجمين، وكذلك النهي عن الرمل والودع والخرافات والأوهام بكل صورها وأشكالها (٥).

ومن هنا يتبين لنا أن الإسلام جاء ليحفظ للعقل لياقته وأناقته ويحافظ عليه محافظة تامة.

أناقة الأخلاق

الأخلاق من أهم أساسيات الدين والتدين، والمقصد الأسمى للرسالات كلها هو الالتزام بمكارم الأخلاق، قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٦).

وسر بقاء الأمم يكمن في التزامها بالأخلاق الطيبة والحفاظ على القيم، وتوريث هذه الأخلاق الطيبة للأجيال، ليس عن طريق الكلام عن فضل الأخلاق وأنها ضرورة حياتية فقط، ولكن الأهم أن تطبق هذه الأخلاق تطبيقا عمليا في حياتنا، فالأمة الإسلامية سئمت من كثرة الأقوال وتحتاج إلى من يحول هذه الأقوال إلى معاملات، فالدين المعاملة، ونحن نعلم جميعا أن الأعمال تأثيرها أقوى وأسرع من الأقوال، فعمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل، وقد كان ﷺ قرآنا يمشي على الأرض، وشهد له الجميع –الأعداء قبل الأصدقاء– بأخلاقه العملية، واعترف الأعداء بعظم هذه الأخلاق رغم اختلافهم معه، فلما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤). صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي.. لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي». قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا (٧).

أناقة المشاعر والأحاسيس

الذوق والإحساس نعمتان من الله من أكبر ثمارهما جلب المحبة والتآلف والمودة والتماسك بين أبناء المجتمع والأمة الإسلامية والعالم أجمع، ومن فقد أناقة المشاعر والأحاسيس وأصيب بالتبلد، فقد جانبا كبيرا من إنسانيته، وأصبح جسما غريبا عن مجتمعه وأمته، لا يشعر بغيره، ولا يكترث بما يحدث من حوله، فقد قسا قلبه وجمدت مشاعره وصار يسعى في الأرض فسادا وتخريبا، يسفك الدماء ويهتك الأعراض ويهلك الحرث والنسل.. فأصبح قلبه أشد قسوة من الجبال التي تلين أحيانا ولا يلين قلبه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:٧٤).

وهذا النوع من الناس ينبغي أن يبكي على نفسه وإنسانيته عندما يجد تلك المشاعر والأحاسيس مفعلة ومطبقة حتى عند الحيوان ومجمدة عنده، فمشاعر الأمومة نجدها في الدابة التي ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، عن الزهري أخبرنا سعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة في مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (٨).

الهوامش

١- أخرجه مسلم.
٢- إغاثة اللهفان، ١/٧-٨.
٣- رواه الترمذي (١٤٢٣)، وابن ماجه (٢٠٤٢) من حديث علي رضي الله عنه.
٤- رواه أحمد (٢٦٦٣٤)، وأبو داود (٣٦٨٦).
٥- انظر: تحكيم العقل في مسائل الشرع، د. علي بادحدح، موقع ياله من دين.
٦- رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٧٣)، والحاكم (٢/٦١٣)، وأحمد (٢/٣١٨)، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/٧٥.
٧- متفق عليه.
٨- متفق عليه.

الزبير مهداد
باحث تربوي

الانضباط .. تربية



يشتكي الآباء والأمهات كثيرا من قلة انضباط الأطفال والمراهقين في حياتهم الأسرية والمدرسية. وعلى الرغم من الجهود الحثيثة التي يبذلها الوالدان في سبيل حمل أبنائهم على الانضباط للأعراف والتقاليد الاجتماعية والأنظمة الأسرية، فإن لديهم ميلا إلى ارتكاب المخالفات، فلا يلتزمون بالقواعد السلوكية المرغوبة ولا يطيعون الأوامر، وهذا يعطي انطباعا بنشوء بوادر وميول انحرافية، وينبئ بوجود قطيعة بين الطفل ووالديه، ويعبر عن رفض الطفل للتعليمات والتوجيهات والأوامر التربوية، مما يشعر الوالدين بعبثية الجهود التربوية التي يبذلانها، ويبعث لديهما المخاوف بخصوص مستقبل الطفل الأخلاقي.

إن ضبط السلوك هو أهم خطوات التنشئة الاجتماعية، لذلك كان الانضباط في الأصل مرادفا للتربية، ويتم عن طريق سلطة خارجية، أو عن طريق الفرد

نفسه بخضوعه التلقائي للأعراف والمعايير الاجتماعية التي تحدد المستويات الأخلاقية للجميع.
ويعتقد بعض الناس أن الانضباط يقترن بالعقاب، على أساس أنه الوسيلة الفعالة لتحقيقه، ولكن مفهوم الانضباط أشمل من ذلك؛ فهو يعني إطاعة الأوامر والتعليمات، واحترام القواعد والقوانين، والتقيد بالنظام، والالتزام بالتقاليد والأعراف؛ لأجل ذلك، فأفضل ضبط هو ما يكتسب بالتوجيه والنصح والإقناع لخلق انضباط بدل العقاب الخارجي.

بين الضبط والانضباط

الانضباط نوعان: ضبط خارجي، وانضباط داخلي (ذاتي)

● **الضبط الخارجي:** هو مجموعة التوجيهات والتعليمات والتنبيهات الصادرة من الخارج إلى الفرد لحمله على الالتزام بقواعد السلوك. هذه التنبيهات تكون على يد الأب أو المدرس أو رئيس النادي أو غيره ممن يمتلكون سلطة على الفرد، ويستخدمون صلاحياتهم في مراقبة احترام اللوائح والقوانين، للمحافظة على النظام لتحقيق أهداف المؤسسة.

● **الانضباط الداخلي (الذاتي):** هو التزام الفرد بالتعليمات واللوائح، والسير ذاتيا وفقا لقوانينها وأنظمتها، من خلال توجيه رغباته، وتنظيم ميوله ودوافعه للوصول إلى نمو السلوك الاجتماعي المقبول اجتماعيا. فالانضباط سلوك صادر من الذات وليس من الخارج، يلتزم فيه الفرد تلقاء نفسه بالأنظمة والتعليمات، بكبح النزعات والرغبات السلبية، ويقوم على قوة الإرادة والعزم والتحكم في النفس وعدم الانصياع للأهواء، من غير الحاجة إلى ضبط من جهات خارجية، وإن كان في الغالب أن الانضباط الذاتي يكتسب بداية من مصادر الضبط الخارجي، ويكون نتيجة نشوء آلية داخلية لتوجيه السلوك.

العوامل التربوية المؤثرة في الانضباط الذاتي للناشئة

لقد أكد التربويون على أن الانضباط القائم على التحكم الذاتي (الانضباط الذاتي) هو أفضل أنواع الانضباط؛ لأنه شكل من أشكال الوعي الذاتي، الذي يعطي النشء الفرصة لتقييم سلوكهم والتحكم فيه.

ومن أبرز العوامل البيئية التي تؤثر في الانضباط الذاتي: الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق ووسائل الإعلام.

● **الأسرة:** الأسرة مؤسسة اجتماعية فرعية، تتألف عادة من الأب والأم وواحد أو أكثر من الأطفال، فهي وعاء تربوي تنمو في داخله شخصية الطفل وتتطور وتنضج اجتماعيا ونفسيا وعاطفيا، وتنمو قدراته البدنية ومهاراته الحركية، وذكاؤه، وتفاعلاته الاجتماعية. فالأسرة مسؤولة -إلى حد كبير- عن سمات الأطفال الشخصية والفكرية.
تستعين الأسرة بوسائل شتى لتربية وضبط الأطفال، كالعلاقات، وتلبية الحاجات، والحماية، والتعزيز.. وغيرها، مما يمكنها من توجيههم وضبطهم ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية، يميزون بين الخطأ والصواب، وما ينبغي قبوله أو تركه من السلوك الفردي والاجتماعي، ويستطيعوا العيش والتوافق مع الجماعة التي تحيط بهم. هذه الأمور تحقيقها مرهون بمدى نجاح الأسرة في أداء وظيفتها التربوية الاجتماعية. ونجاح الأسرة في وظيفتها يعني نشأة أفراد منضبطين ذاتيا.

● **القوانين والأنظمة المدرسية:** تؤدي المؤسسة المدرسية مهام متعددة للعناية بالنشء واحتوائهم وتربيتهم، وتلبية كثير من حاجاتهم النفسية والعاطفية والعقلية، التي كانت تسهر الأسر على تلبيتها. فاستبدل الأطفال، ذكورا وإناثا، منذ سنيهم المبكرة، بحضن الأسرة حضن المدرسة، وأضحى الأطفال يعيشون السنوات العشرين الأولى من عمرهم في الفضاء المدرسي، وأصبحت المؤسسة المدرسية تكتسي أهمية خاصة في حياة النشء وتربيتهم وتكوينهم.
فالمدرسة هي الحاضن الأوسع للنشء، وفضاء المؤسسة المدرسية المتنوع المكونات، يشكل قناة مهمة للخروج من دائرة العائلة والقرابة إلى مجال أوسع، يضم أقرانا (وهم التلاميذ)؛ وراشدين يمثلون الرعاية التربوية (وهم الأساتذة)؛ وآخرين يمثلون السلطة (وهم الإداريون). كما يتيح هذا الفضاء من خلال الأنشطة التي تقام في أرجائه، والأندية التربوية التي يحتضنها، فرصا للحوار الحر والمبادرة المتحررة من سلطة المربين والإداريين، ولتكوين جماعات أصدقاء والانتماء إليها، وتدعيم المعتقدات والقيم والاتجاهات التي تكونت في الأسرة، أو تغيير بعض العادات السيئة التي اكتسبها الفرد من خلال أسرته. والتربية المدرسية وأنشطتها وأنديتها تخضع لقوانين المؤسسة المدرسية وأنظمتها. الخضوع لهذه الأنظمة والقوانين يعد بمنزلة تمرس واستئناس على التعامل مع الأنظمة والقوانين الناظمة لشؤون البلاد.

● **جماعة الرفاق:** إن أثر جماعة

الرفاق في تكوين الانضباط الذاتي لا يقل عن أثر المؤسسات الأخرى، كالأسرة والمدرسة، بل قد يتجاوزها أحيانا. هذه الجماعة -التي تتألف من الأقران الذين يتقاربون سنا، ويشتركون في المشاكل والصراعات والميول، ويؤلفون بعضهم مع بعض وحدة متماسكة في إطار اجتماعي خاص وأسلوب معين في الحياة- تأثيرها يقوى في فترة المراهقة، التي يتسع فيها المجال الاجتماعي أمام المراهق، فلا يبقى تفاعله حصرا على الأسرة، بل يمتد إلى علاقات خارجية، تشمل تكوين صداقات تتسم بالشدة والعمق وقوة التأثير.

ولشدة هذه الجماعات وقوتها ومكانتها في نفسية النشء، ولمكانتها المرجعية في حياتهم، باعتبارها مصدرا لأنماط السلوك والقيم وأساليب التفكير ومقاييس الحكم، فإننا نشهد -أحيانا- مواجهة بعض الأطفال والمراهقين لآبائهم بالرفض لبعض المسائل، في حين لا يجرؤون على مواجهة أفراد جماعتهم بمثل ذلك.

فجماعة الأصدقاء التي ينتمي إليها الفرد يتماهى فيها، ويتوحد معها، ويستمد منها معاييره واتجاهاته وقيمه، فتؤثر في تكوين سلوكه، سلبا أو إيجابا، طبقا لأهدافها، فنلاحظ أن الشخص الذي ينتمي إلى جماعة رفاق ذات انضباط ذاتي يحاول مجاراتها في هذه الخاصية، وعلى العكس من ذلك إذا كانت جماعة الرفاق لا تستجيب إلا للضبط الخارجي في توجيه سلوكها، فهو في الغالب يحاكي جماعة الرفاق في تكوين هذا النوع من الانضباط.

إن الانتماء إلى الجماعة يتيح للنشء فرصا مهمة لتأكيد الذات وتدعم نزعته إلى الاستقلال. فالمراهقون يحسون بحاجة إلى جماعة يختارونها بأنفسهم وينتمون إليها، حتى يشعروا بالقيمة والقوة داخلها، تدعمهم في مواجهة قهر السلطة الوالدية وسلطة المدرسين.

● **تعاليم الدين:** يعتبر الدين من أفضل محكات الحكم على السلوك؛ لأنه يؤطر الثقافة الاجتماعية والأعراف السائدة في المؤسسات الاجتماعية على اختلافها. فالدين الإسلامي الحنيف، هو دين انضباط في المقام الأول، والجنة هي جزاء المنضبطين، وجميع العبادات تشترط انضباط العابد وتنمي فيه هذا السلوك، كالصلاة مثلا، وهي الشعيرة التي يؤديها المسلم خمس مرات في اليوم، تقوم على الاصطفاف الدقيق في صفوف، واتباع الإمام، والاقتداء به. والصيام أيضا، أقوى وسائل ضبط النفس الذاتي، خلال موعد محدد يبدأ بدقة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والتحكم بقوة في الشهوات والسلوك وردود الفعل، والتحمل، فالدين الإسلامي الحنيف يحثنا على الانضباط، مظهرا وجوهرا.

إن التربية الإسلامية التي تستقي منهجها من القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، هي في الواقع أقوى مكون للانضباط الذاتي. والملتزم بالدين الإسلامي خير التزام يجعل نظر الله سبحانه ملازما له في كل ظروفه وأحواله، فينضبط في حياته وعلاقاته وسائر معاملاته.

التربية على الانضباط

التربية تقوم على الانضباط، لأنها تأهيل اجتماعي، تكسب النشء الحكم الاجتماعي والتوجيه الذاتي الذي يلزم لتحويله إلى راشد مسؤول في مجتمعه. فالطفل لا يولد بتصور جاهز وواضح حول أنواع السلوك المقبول أو المرفوض اجتماعيا. وبفضل التربية يتم خلال الطفولة تشريبه القيم وإكسابه معايير السلوك، في أحضان الأسرة والمدرسة والنادي وغيرها من المؤسسات، مما يسهم في تحقيق نضجه الاجتماعي، من خلال محتوى التأهيل الاجتماعي الذي يمكنه من القدرة على إصدار الحكم الاجتماعي وبناء سلم القيم وتوجيه سلوكه في ضوئه. ومحتوى التأهيل الاجتماعي يتحدد بقوة بتجربة الطفل الذاتية، وملاحظاته الشخصية ومقارناته ومبادراته، أكثر مما يتحدد بالنصح والتلقين داخل الأسرة أو المدرسة.

ويبقى للأسرة والمدرسة فضل الضبط من خلال التنبيه والإرشاد والمساعدة على التوجيه، والفضل الكبير يكمن في توفير فرصة التقمص للأبناء من خلال الاقتداء بالقدوة الراشدة للأب أو الأم أو الأخ أو المعلم أو غيرهم من الأشخاص الذين يشكلون أمثلة مشخصة واضحة يتقمصها الأبناء.

يستجيب الأطفال لتأثير والديهم بتشكيل منظومتين متكاملتين من المعايير: المنظومة الأولى هي الوجدان، وهو شعور داخلي يمنع الطفل من إتيان السلوك المرفوض. ويتكون هذا الشعور عندما يستوعب الطفل لائحة الممنوعات والمحرمات. المنظومة الثانية هي الأنا الأعلى التي تتشكل من مجموعة الأهداف والقيم الإيجابية المكتسبة. وهي لا تنفصل عن الوجدان، فعندما يقدم الطفل على اقتراف السلوك المحرم ويخضع وجدانه للإحساس بالإثم وهذا ما يستثير الأنا الأعلى ويدفع

إلى الإحساس بالعار للتقصير في تحقيق ما يتوجب تحقيقه.
إن الضبط يكون مفيدا، فعالا وناجعا في حالات:
١- استمرارية الضبط.
٢- كون الضبط إقناعيا وليس عقابيا.
٣- توجيه الضبط إلى السلوك وليس إلى الناشئ.

استمرارية الضبط

ثبت من الدراسات التي أجريت على السلوك أن التعزيز يلعب دورا مهما في تثبيت الاستجابات السلوكية، أما حين لا يستقر الوالدان على معايير سلوك الأولاد، ولا تثبت لديهما معايير السلوك الجيد أو القبيح، بحيث قد يعاقب الطفل على سلوك من المحتمل أن يكون قد نال عنه ثوابا، أو لم يعاقب عليه في وقت سابق؛ فإن الأولاد في تلك الحالة يستمرون في إتيان السلوك المنافي للجميع، مثل: العدوانية، والاستخفاف بالآخرين، والقسر، والرعونة تجاه الآخرين.
الضبط المتذبذب يؤدي إلى ضرب فج من التأهيل الاجتماعي. بحيث يسلك الفرد بحسب رؤيته للحوادث الخارجية، وليس بحسب آلية التوجيه الداخلي. يفشل في تنمية وجدان ملائم، ويرى مصيره متحكما فيه من طرف قوة خارجية، ويكون المانع من ارتكاب الفعل المستهجن هو الخوف من العقاب، وإذا أمن العقاب قام بالفعل.
في حين أن الأطفال ذوي الآلية الداخلية للتوجيه يكون لديهم إحساس عال بالضمير، فيحسون بالإثم إذا آذوا غيرهم، ويكون لديهم استعداد لقبول اللوم على الخطأ، وللاعتراف بسوء الفعل، ولمقاومة محاولات الآخرين لدفعهم لارتكاب الأعمال اللاأخلاقية. فالضبط الذي يؤدي إلى تكوين آلية الضبط الداخلية لدى الفرد، يسهم في تكوين ناشئ يتحول بسهولة إلى راشد مسؤول.

الضبط الإقناعي بدل العقابي

يستعين بعض الوالدين في ضبط سلوك أطفالهم بالوسائل القسرية المؤلمة، فيلجأون إلى الضرب المبرح لأتفه الأسباب؛ وفي ظنهم أن هذه القسوة ستحقق لهم التربية السليمة لأطفالهم. وفي أحيان كثيرة يعاقبون عشوائيا، أو يجتهدون في التنميط بإخضاع الطفل لنمط ومعيار معين، كل ذلك باعتماد العقاب البدني الواسع الانتشار في مجتمعنا، الأمر الذي تكون له انعكاسات سيكولوجية ووجدانية على الطفل، ولا يؤدي إلى النمو الخلقي المطلوب، بل إن نتيجته الوحيدة هي إضعاف ثقة الطفل في ذاته، وسعيه الدائم للبحث عن الطرق والوسائل التي تجنبه العقاب. فاستخدام العقاب يؤدي إلى إضعاف النمو الخلقي.
أما حين يكون الضبط إقناعيا يعتمد أسلوبا هادئا وعقلانيا في مواجهة السلوك الخاطئ، حيث يوضح الأهل لطفلهم لماذا يريدونه أن يغير سلوكه، أو يشرحون له الأذى والأضرار التي ألحقها بغيره، وإمكانية تفاديها، بعيدا عن التهديد بالعقوبة، فإن ذلك يرغبه في تصحيح سلوكه، ويساعده على تشكيل منظومة داخلية من القواعد والتوقعات التي تساعده على توجيه سلوكه.

ضبط السلوك وليس الفرد

في الغالب الأعم لا تميز الأسر بين الطفل كذات، وبين ما يفعله كسلوك صادر عن الذات ومنفصل عنها.
ومن عيوب طريقة الضبط السائدة في مجتمعنا، هو أنه يوجه إلى الطفل ذاته (لماذا فعلت كذا؟ أو قلت كذا؟ أو تركت كذا؟) الأمر الذي تكون له تأثيرات ضارة بالطفل تلحق تقديره لذاته، وترسخ فيه الشعور بأنه غير محبوب. في حين أن الضبط الذي يستهدف السلوك (إن ما قلته سيئ، إن ما فعلته ضار، إن ما تركته مفيد) يساعد الطفل على المحافظة على احترامه لذاته. ويجعل تقبله للضبط ممكنا واكتسابه المعايير الخلقية سهلا، خصوصا إذا اكتسى لباس المرونة والدفء والحب. فتقبل الأسرة لطفلها يزيد من تقديره لذاته، وتعلقه بمكانته في الأسرة، وارتباطه العاطفي بها، مما يسهم في تقوية تأثيرها عليه، خصوصا في ميدان إكسابه الحكم الاجتماعي والتوجيه الذاتي.

التربية في مواجهة التحديات

إن التربية تعد أداة مهمة من أدوات الضبط الاجتماعي، تساعد على تنظيم السلوك بتلقين الفرد توقعات المجتمع السلوكية، وغرس قيم المجتمع ومعاييره واتجاهاته لدى الأفراد، إلا أن هذه المهمة أصبحت اليوم تكتسي صعوبة كبرى، نتيجة التطور التقني والاجتماعي، الذي وسع دائرة المتدخلين في تربية النشء والتأثير فيه، فبعدما كانت مهمة التربية تنحصر في الأسرة، ثم المدرسة والرفاق، أصبحت اليوم تشمل وسائل الإعلام والأندية وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها. وصعوبة التحكم في هذه الوسائل جعلت عملية التنشئة تكاد تنفلت من كل سيطرة، ونتائجها لا تخضع لقواعد اجتماعية موحدة، مما عدد المشاكل التربوية ونوعها وجعل مهمة التربية تزداد تعقيدا وصعوبة.

محمد علي الخطيب
باحث تربوي

من أعلام المسلمين :

الإمام البويطي (رحمه اللّه)



الإمام العلامة، أبو يعقوب، يوسف ابن يحيى القرشي البويطي. نسبته إلى بويط، وهي قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر.

أحد الأعلام وأئمة الإسلام، وجبل من جبال العلم. سجين فتنة القول؛ تلك الفتنة التي سودت صحائف العباسيين، في حقبة سوداء مظلمة، تطاول ليلها حتى جاوز عشرين سنة (٢١٢هـ-٢٣٢هـ)، تعاقب عليها خلفاء ثلاثة، هم: المأمون، والمعتصم (على يديه جرت فتنة الإمام أحمد، وضرب بين يديه بالسياط)، وثالثهما الواثق (كان أشدهم في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلا ونهارا، سرا وجهارا. وعلى يديه جرت فتنة أبي يعقوب البويطي؛ رحمه الله). وذلك أن المعتزلة استولوا في هذه الحقبة على عقول الخلفاء، وسبوا قلوبهم، وزينوا لهم القول بخلق القرآن، وما زالوا بهم حتى حملوا الناس على الإقرار كرها بهذه العقيدة الباطلة وامتحانهم بها، واستحلوا دماء مخالفيهم، وأحضر خلق كثير من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. لكن لا يخلو زمان، ولا مكان -ومهما انتفخ الباطل وتعاظم- من تلك الطائفة الظاهرة على الحق، المتمسكة بأهدابه، وبها يزهق الله الباطل إن الباطل كان زهوقا، منهم أبو يعقوب البويطي، صاحب الشافعي وخليفته في حلقته، وواسطة عقد جماعته، وأظهرهم نجابة، وأوسعهم علما، وأعظمهم شأنا.

امتحن -رحمه الله- فاستعصم، وكان بإمكانه أن يأخذ بالرخصة، وينجو بنفسه، لكنه خاف أن يفتن الناس من بعده، وأنظارهم متعلقة به. قال له والي مصر، قبل أن يبعث به إلى الخليفة، رجاء أن يستنقذه، وكان يعرف قدره: «قل فيما بيني وبينك (أي إن القرآن مخلوق)»! قال: «إنه يقتدي بي مئة ألف، ولا يدرون المعنى»!

ليت علماءنا يستشعرون عظم الأمانة التي يحملونها. ويذكر واحدهم أنه يقتدي به كذا وكذا من الناس، فلا يستغرق في التقية والمداراة، ويتوسع في الأخذ بالرخص، فيلتبس الأمر على الأتباع، ويفتتن العامة، وتدرس معالم الدين، وتضيع حدوده، فتكون فتنة!

مكانته العلمية

كان أبو يعقوب من الشافعي بمكان مكين؛ اختص به في حياته، وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته، فتخرج على يديه أئمة تفرقوا في البلاد، ونشروا علم الشافعي في الآفاق. ولأبي يعقوب كتاب «المختصر» في الفقه، اقتبسه من كلام الشافعي. وروى عنه أيضا الحديث، وعن ابن وهب وآخرين. وعنه روى الربيع بن سليمان المرادي، وأبو الوليد ابن أبي الجارود المكي، وأحمد بن منصور الرمادي، وأبو إسماعيل الترمذي.. وغيرهم كثير لا يتسع المقام لذكرهم. وثقه أهل الحديث، وقال ابن حجر في ترجمته له: «ثقة، فقيه من أهل السنة».

عبادته

عرف البويطي بورعه وزهده وصلاحه وتقواه واجتهاده في العبادة والمداومة على الذكر والقيام والصيام وتلاوة القرآن، لا يكاد يمر يوم وليلة إلا يختم القرآن، ولا يفتر لسانه عن ذكر الله مع صنائع المعروف وفعل الخير إلى الناس، وهو متنوع فيها، لم يدع بابا من أبوابه الكثيرة إلا أخذ حظه منه. قال ابن حجر في ترجمته له: «كان إماما في العلم، قدوة في العمل، زاهدا ربانيا، متهجدا، دائم الذكر والعكوف على الفقه». وقال ابن أبي الجارود: «كان

البويطي جاري، فما انتبهت ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي». وهذا هو العالم بحق.

محنته

كان الشافعي صاحب فراسة، ينظر بنور الله، وذلك فضل الله يختص به من يشاء من عباده، من أهله وخاصته، وقد بشر تلميذه البويطي بما آل إليه أمره من المحنة والفتنة، فقال له: «أنت تموت في الحديد»! وفيه حكاية، قال الربيع بن سليمان: «كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي، فنظر إلينا فقال لي: أنت تموت في الحديث. وقال للمزني: هذا لو ناظره الشيطان قطعه أو جدله. وقال للبويطي: أنت تموت في الحديد». قال الربيع: «فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيته مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه».

غير أن الله سبحانه ابتلاه وأعانه، رحمة منه وفضلا، فشغله بذكره حتى أنساه الحديد. كتب إلى الربيع من السجن، يقول: «إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك، واستوص بالغرباء خاصة خيرا».

وقد اتهم في الوشاية به كثير من حساده من أهل العلم ومن الأقران، وقال أبو عمر ابن عبدالبر الحافظ في كتاب «الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء»: «إن ابن أبي الليث الحنفي، قاضي مصر، كان يحسده ويعاديه، فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم في من أخرج من مصر إلى بغداد، ولم يخرج من أصحاب الشافعي غيره. وكان ممن سعى به أيضا أبو بكر الأصم وابن أبي دؤاد القاضي المعتزلي ورأس فتنة القول بخلق القرآن وأصحابه، وابن الشافعي، والمزني، وحرملة، والله الخصم والحكم، والله أعلم». وروى أبو جعفر الترمذي عن البويطي، أنه قال: «برئ الناس من دمي إلا ثلاثة: حرملة والمزني وآخر». لكن الذهبي تعقبه قائلا: «استفق، ويحك، وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمر عجيب، وقع فيه سادة، فرحم الله الجميع». وهذا كثير في المحن التي تجري للعلماء، فإن أكثر من يسعى فيها يكونون من الأقران، حسدا وتنافسا على الرئاسات والمناصب، وهو أمر عجيب حقا، ونسأل الله العافية.

قضية خلق القرآن

وهذه المحنة التي تعرض لها البويطي هي المحنة المشهورة في قضية خلق القرآن، التي امتحن فيها خلق كثيرون من العلماء والفقهاء، وأشهرهم الإمام أحمد، فمنهم من أجاب إلى ما أريد منه من القول بأن القرآن مخلوق، ومنهم من صلب لهم وامتنع، والبويطي ممن عصمه الله واستعلى على الفتنة رغم شدتها. قال ابن كثير: «وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية أربعة: أحمد بن حنبل، وهو رئيسهم؛ ومحمد بن نوح بن ميمون الجند يسابوري، ومات في الطريق؛ ونعيم بن حماد الخزاعي، وقد مات في السجن؛ وأبو يعقوب البويطي». ومنهم أيضا أحمد بن نصر الخزاعي قتله الواثق بيده، رحمهم الله وأكرم مثواهم.

سيق البويطي إلى بغداد، محمولا على بغل، مقيدا في أربعين رطل حديد، وكان ذلك في أيام الواثق. قال الربيع بن سليمان: «ولقد رأيته على بغل في عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة (طوبة) وزنها أربعون رطلا، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بـ «كن»، فإذا كانت مخلوقة، فكأن مخلوقا خلق بمخلوق. ولئن أدخلت عليه لأصدقنه (يعني: الواثق)، ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم».

يرحم الله أبا يعقوب، لقد قام مقام الصديقين فما أجله من مقام، تصبر له، وهو يعلم ما سيصيبه في سبيل إظهار الحق، إلا أنه يعلم أيضا أن أجره قد وقع على الله وأن مكانه في عليين.

ولأبي يعقوب في حبسه أحوال عجيبة، ومنها أنه كان إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه، ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: «ارجع يرحمك الله». فيقول: «اللهم إنك تعلم أني أجبت داعيك فمنعوني».

وروى التاج السبكي في «الطبقات»، قال: «قال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي، فقرأ علينا كتاب البويطي إليه من حبسه، وإذا فيه «والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث؛ لعل الله يخلصني بدعائهم، فإني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة». فضج الناس بالبكاء والدعاء له». قال السبكي: «انظر إلى هذا الحبر -رحمه الله- لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض، ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن فرضي الله عنه، وجزاه عن صبره خيرا».

وفاته

توفي في بغداد يوم الجمعة قبل الصلاة، في رجب سنة إحدى وثلاثين ومئتين، في القيد والسجن، رحمه الله تعالى.

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٢)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر



تعد مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

تأتي سلسلة صحف «أبو نظارة» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

تاريخ النشأة

هي أول صحيفة عربية تعتمد الرسومات الكاريكاتيرية في إصداراتها، أنشأها يعقوب رافائيل صنوع سنة ١٨٧٧م، وقد تميزت بمقالاتها الهزلية والساخرة من النظام السياسي السائد في ذلك الوقت، كما امتازت هذه الصحيفة بوجود الصور الكاريكاتيرية الجميلة البالغة الإتقان، وامتازت مقالاتها بالعودة إلى الأسلوب الأدبي الشعبي، وقد كان الهدف من هذه المقالات هو تنبيه المصريين إلى حقوقهم وتحذيرهم من التهاون في هذه الحقوق والتمسك بالاستقلال. وبدأت الجريدة من عددها الثامن حتى العدد السادس عشر في ترجمة ما تنشره باللغة العربية إلى اللغة الفرنسية بخط جميل وواضح.

وفي ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٠م أصدر العدد الأخير من جريدة «أبو نظارة»، بعد أن عمرت أربعا وثلاثين سنة، ولم يمنع صنوع من مواصلة إصدارها إلا ثقل المرض وضعف بصره.

كان محتواها يهدف إلى نقد ومعالجة الأوضاع السياسية التي كانت تسود البلد في تلك الحقبة، باللهجة العامية المصرية المعروفة؛ وذلك لتوصيل الفكرة إلى كل شرائح الشعب المصري.

مؤسسها

يعقوب رافائيل صنوع (چمس سانووا): (١٢٥٥-١٣٣٠هـ / ١٨٣٩-١٩١٢م)، المعروف بـ «أبو نظارة»: كاتب مصري فكه نقاد، موسوي (يهودي)، ولد بالقاهرة، وتعلم فيها، ثم أرسله الأمير أحمد يكن ليتلقى العلم على نفقة الأمير في أوروبا، فقضى صنوع في مدينة ليفورنو بإيطاليا ثلاث سنوات، تلقى خلالها العلوم الفنية كتاريخ الفنون الجميلة، والموسيقى والرسم، بالإضافة إلى تعلمه بعض اللغات الأجنبية الأخرى، وأنشأ مسرحا للتمثيل سنة ١٨٧٠م في القاهرة. وكتب له عدة رواية هزلية وغرامية. وأصدر جريدة «أبو نظارة» سنة ١٨٧٧م. ثم انتقل إلى باريس منفيا، فتابع إصدار جريدته فيها.

أعماله

من أعماله إضافة إلى ما سبق:

١- حسن الإشارة في مسامرات أبي نظارة.

٢- رحلة أبي نظارة إلى الآستانة.

٣- محامد الفرنسيس ووصف باريس.

٤- وعرف بمؤسس المسرح المصري.

كما أصدر عدة صحف منها:

رحلة أبي نضارة زرقا: صدر العدد الأول منها في ٧ أغسطس ١٨٧٩م، وكان على رأس هذا العنوان: رحلة أبي نضارة زرقا (الأولى) من مصر القاهرة إلى باريس الفاخرة.

النظارات المصرية: صدر العدد الأول منها في ١٦ سبتمبر ١٨٧٩م.

أبو صفارة: صدرت في يونيو سنة ١٨٨٠م، وقد صدر منها ثلاثة أعداد فقط.

الحاوي: صدر العدد الأول منها في ٥ فبراير سنة ١٨٨١م، وقد صدر منها أربعة أعداد فقط.

الوطني المصري: صدر العدد الأول منها في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣م، أي بعد مضي سنة من الاحتلال الإنجليزي لمصر.

التودد: من صحف صنوع الجادة، وكانت في حجم أكبر قليلا من صحفه السابقة، وقد صدرت في مارس سنة ١٩٠٢م، وهي عبارة عن سجل لنشاط دول الغرب والشرق، ورواية تاريخية لبعض الأمراء والملوك في الدول المختلفة.

المنصف: صدر العدد الأول منها في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٩م.

العالم الإسلامي: صدرت باللغة الفرنسية، وقد عنيت بأخبار العالم العربي والمسلمين، إلا أنها كسابقاتها من صحف صنوع لم تعمر طويلا، فسرعان ما أخلت الساحة لصحيفة «أبو نظارة»، التي استمرت في الصدور إلى سنة ١٩١٠م.

وفاته

ظل يعقوب صنوع منفيا في أوروبا إلى أن وافته المنية في باريس في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٢م.

نسخة مجلة الوعي: تحتوي مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه الصحيفة، التي بلغ عدد مجلداتها ١٠ مجلدات، وهي متاحة للمهتمين بهذا النوع من الفن الأدبي.

المصادر

مجلة أبو نظارة.

الأعلام للزركلي.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

موضوع العدد

سؤال الوسطية



د. عمرو عبدالكريم

في عالم يعج بالتطرف والغلو في كل دين ومذهب؛ تطرح قضية الوسطية نفسها كأحد أهم أدوات ووسائل الوعي الحضاري.

ذلك أن الوسطية سمة ثابتة بارزة في كل جوانب الإسلام: من الاعتقاد إلى التشريع، ومن التكاليف إلى العبادة، ومن الشهادة والحكم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الجهاد في سبيل الله، ومن حسن معاملة الناس إلى كسب المال وإنفاقه.

فالوسطية أصل ثابت في أمور المعاش والمعاد، والعقيدة والعبادات وهي منهج حياة متكامل.

والوسطية في بعدها الحضاري تعمل على تحقيق الأمن والسلام العادل للبشرية انطلاقا من مبادئها الإنسانية التي تدرك طبيعة التنوع البشري، وتتعامل بإيجابية وانفتاح مع التنوع الثقافي والحضاري، فهي لا تعترف بالتعددية في إطار المبادئ والقيم الإنسانية فحسب، بل وتعدها مكسبا جماعيا وحضاريا على مختلف الصعد.

وتدور معاني الوسطية حول: الخيرية، والاستقامة، والبينية، واليسر، ورفع الحرج، والعدل والحكمة.

«والأمة الوسط» هي أمة الخيرية والاعتدال والعدل والخيار، فلا زيادة عن المطلوب، ولا إفراط في الأمر، ولا تفريط في المنهج، والزيادة إفراط والنقص تفريط، وكلاهما ميل عن الجادة القويمة، وبعد الصراط المستقيم.

ويتميز أهل «الأمة الوسط» بأنهم ليسوا من أهل الإفراط: أرباب الغلو في الدين، ولا من أهل التفريط: أرباب التعطيل، وهم كذلك وسط وعدول وخيار في:

العقائد والأفكار والتصورات.

وفي الأعمال والتصرفات.

وفي الأخلاق والسلوكيات.

فلا مادية قاسية تفرط في جنب الدين، ولا روحانية خالصة تفرط في أمر الدنيا.

وهي وسطية تجمع في العلم بين قراءة كتاب الله المتلو في السطور، وقراءة كتاب الله المنظور في الكون والآفاق والأنفس: فَهما وعمارة، تَأسيسا وبناء؛ ومن ثم فهي وسطية تجمع بين الالتزام بأحكام الظاهر، ورعاية أحوال الباطن بلا شطط ولا غلو ولا تقصير.

وسطية تجمع بين «الاتباع» في الدين، وبين «الإبداع» في الدنيا، تحقيقا لمصالح العباد المشروعة، وحماية للمقاصد الشرعية العليا.

يقول الحق سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

أي «أمة وسط» شاهدة على الناس بالعدل والميزان، والوزن بالقسط، والصراط المستقيم، بلا تطفيف ولا إخسار، أمة تشهد على هؤلاء وعلى هؤلاء، ذلك أن وسطية أمة الإسلام هي مؤهلها من العدالة والخيرية للقيام بمهمتها في الشهادة على العالمين.

«أمة وسط» تسبق الأمم كلها باعتدالها وتوسطها في الأمور جميعها، لأن ما اهتدت إليه هو ذروة الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال، ولأن صاحب هذا النهج الرباني يعطي كل ذي حق حقه:

- فيؤدي حقوق ربه.
- ويقوم بحقوق نفسه، وحقوق ذوي القربى، وحقوق سائر الناس.

والوسطية تتجاوز في أسسها الفكرية والمنهجية عمليات التلفيق أو التوفيق لتفادي حالات استثنائية طارئة لتطرح في جوهرها منهجا كاملا في الحياة، منهجا علميا منضبطا له أصوله وضوابطه، وله قواعده ومدارسه، ومنها:

١- يقوم منهج الوسطية في أصوله على المقاصد والنظر في المآلات، دون الجمود على ظواهر النصوص، ويقوم كذلك على استصحاب تطور الواقع وتغيره دون الجمود على الصور التقليدية المعتادة.

٢- والمقاصد العليا للشريعة هي التي عليها مدار الأحكام، وهي التي مثلت أساس بناء الحضارة الإسلامية على

مدار تاريخ الأمة الممتد، ومن ثم فنفوس الناس- أيا كانت أديانهم أو مللهم- معصومة، ودماؤهم لها حرمة مقدسة، وأموالهم مصونة محترمة، والأصل في العلاقات بين الأمم التعارف والتعاون على ما فيه خير الإنسانية.

٣- ومنهج الوسطية والاعتدال منهج أصيل متفرد:

- لم يكن ردا على فعل، أو علاجا لأزمة تاريخية أو تصديا لمشكلة طارئة.

- ولم يكن مجرد تفاعل جزئي، أو تعامل وقتي انفعالي.

٤- ويتميز منهج الوسطية والاعتدال بأنه:

- يرتكز على دعائم أصيلة في أعماق النفس الإنسانية، ويتجاوب مع فطرتها التي فطرها الله عليها.

- ويقدم حلولا مستقلة لمشكلات إنسانية، يستمدها من رؤيته المرجعية عن الإنسان والكون والحياة.

٥- والوسطية تعني في جوهرها الاعتراف بالجوانب الإنسانية في تكامل وتناسق.

٦- كما أن التوازن القائم في العلاقة بين الحقوق والواجبات (حقوق وواجبات الأفراد والمجتمعات) إنما يعني في إسهامه إقامة (وسطية) تقوم على التكاملية الشاملة، وتلتزم بقيم العدل المطلق (وسع الطاقة)، عدل يتنساب في كل أركان المجتمع والكيان الإنساني (داخل النفس، وداخل الأسرة، وداخل المجتمعات)، ذلك أنه منهج وسطي توازني شامل.

٧- ومن دلالات ومعاني الوسطية القصد في التكليف: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فقصد المشقة باطل في هذه الرؤية الوسطية، وما يلزم عن التكليف لا يسمى مشقة، أما القصد إلى المشقة رأسا فباطل، وكل قصد يخالف مقصد الشارع باطل.

٨- التأكيد على أهمية النصوص الشرعية المباشرة في كل مسألة أو قضية، فمصادر الأحكام الشرعية معتبرة سواء أكانت أدلة متفق عليها أو مختلف فيها، وعليها المعول في استثمار الأحكام في إطار تكاملي مستوعب بالإضافة إلى المقاصد والنظر في المآلات.

لذلك يطرح منهج الوسطية في جوهره رؤية متوازنة تقوم على أن: الوسطية منهج حياة، منهج يبتعد بالفرد والمجتمع عن: تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ومن ثم فالوسطية تعني: الاعتدال، والبعد عن الانحراف في التأويل، والغلو في الممارسة، والشطط في النظر والسلوك، وعن الإفراط والتفريط، وعن الجمود والظاهرية التي لا يساندها الوعي بمقاصد الشريعة التي بدونها لا يفهم النص، ولا يتم تدبره، ولا تتأتى سلامة تطبيقه:

أ- الوسطية أصل إسلامي أصيل في منهج التعامل مع الحياة والناس لما فيها من منافع تتحقق وأضرار تجتنب، ذلك أن تحقيق المصالح ودرء المفاسد هو مقصود الشريعة في جملتها، وهما من مقتضى العدل المأمور به.

ب- والوسطية داخلة في مفهوم العدل الذي نص عليه القرآن، وكان أصلا من أصول شريعته، وشمولية تطبيق أحكام الشريعة في كل الحالات الإنسانية، العادي منها والاستثنائي، فحرصا من الشارع الحكيم على استمرارية حاكمية الشريعة للمجتمعات عدد البدائل، ووسع مساحات الاختيار، وجعل الرخص مخففات لأحكام الأحوال الطارئة والاستثنائية، وجعل اختيار الحاكم وولي الأمر يرفع الخلاف، ويحسم موارد النزاع.

ج- وشريعة الإسلام تدعو إلى الوسطية بمعنى الاعتدال في التعاطي مع الحياة بالجملة: فلا إسراف ولا تقطير، ولا سرف ولا تبذير، ولا عنف ولا غلو. أما في مجال الشأن العام: فلا مجال للكراهية، ولا تحقير للمخالفين، ولا ظلم وإجحاف حتى لمن بعدوا وأوغلوا.

د- والوسطية في الشأن الاجتماعي هي حض على المسالمة، وجعل من عمارة الأرض قيم دينية كبرى، أما في موضوع العلاقات بين الدول فهي: إيثار للسّلم على الحرب إن جنح العدو المقاتل إلَى ذلك.

هـ- والحوار مع الآخرين قيمة جوهرية من القيم الحاكمة سواء اتخذ هذا الحوار شكلا تأسيسيا نظريا، أو اتخذ بعدا عمليا تنفيذيا من خلال دراسة وبحث القضايا محل الجدل العام، والتي تحتاج إلى اجتهاد معاصر.

و- والحوار بين الحضارات هو أصل العلاقة بين الأمم، فالكل مهما بلغت قوته، وبلغ تفوقه المعرفي في حاجة إلى الآخر، وإن مجرد اعتناق القوي فكرة الاستغناء عن الآخر مؤد إلى الظلم والخراب والخلاف والتباغض الذي يفوق مبدأ التعاون بين الأمم والتعارف والتكامل بينها الذي قرره الإسلام في نظريته كأساس لقيام الحياة كما أرادها الله للناس، معينة على إنجاز مهمتهم في عمارتها على تصور مشترك أخلاقي فاعل، لا تتعطل فيه مشاعر الكرامة الإنسانية وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية.

ويؤكد هذا التصور الصحيح لحقائق الوجود في ضمير الإنسان المؤمن -الذي لا بد منه للإقبال على الحياة إقبالا بصيرا منبثقا من رؤية صحيحة واضحة، ويقين ثابت- أن نظام الحياة ومنهج السلوك وقواعد الأخلاق ليست بمعزل عن هذا التصور الاعتقادي الذي تؤكده سنن الله الثابتة في العمران البشري، كما في كتبه المنزلة.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

يقول الإمام أبو حامد الغزالي:

«اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط، إذ خير الأمور أوساطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم».

وقد استدل الإمام الغزالي على أن التوسط في الأخلاق من الأمور المحمودة لثناء الله عز وجل عليها في كتابه الكريم فيقول:

«والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ (الإسراء: ٢٩) (**إحياء علوم الدين، ٣/٥٧**).

يقول ابن خلدون:

الحضارة هي «تفنن في الترف، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه؛ من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله؛ فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه». (تاريخ ابن خلدون، ١/٢١٦).

مقولات

يقول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم».

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحكمة فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي» (مدارج السالكين،٢/٤٧٨).

د. إبراهيم التركاوي
باحث إسلامي

بل أنتم بهديتكم تفرحون!

يا عشاق الحق وحراس الفضيلة؛ يا من اجتباكم الله لدينه وشرفكم -من دون الناس- بحمل رسالته؛ يا من عناكم الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ (الحج:٧٨)، أنتم أشرف الناس، وأعلى الناس، وأغلى الناس، وأعز الناس فمن في الناس نسبه كنسبكم، وكرامته ككرامتكم، وشرفه كشرفكم؟!

إن اعتز الناس بأنسابهم، وافتخروا بألقابهم.. فقد انتسبتم لله بتقواكم، وللسماء بطهركم. فأصبحتم ملائكة الأرض، يباهي الله بكم ملائكة السماء!

لله دره من نسب؛ رفع بلالا -في الدنيا والآخرة- مكانا عليا، وهو حبشي؛ ورمى أبا لهب، في النار -بعد ما ذمه في الدنيا- وهو قرشي!

من يضارعكم -نسبا وشرفا- بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

وكأني بالشاعر قد عناكم بقوله:

قوم يخالجهم زهو بسيدهم

والعبد يزهو على مقدار مولاه

فمن في الناس أعلى منكم قدرا؟! وقد رفع الله بالإيمان قدركم، وبالقرآن ذكركم، وبهدي النبي ﷺ خلقكم: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف:٤٤)، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء:١٠).

فأنتم الأعلون بإيمانكم، وأنتم الأعلون بكتاب ربكم، وأنتم الأعلون بالسير على خطى نبيكم ﷺ.. إن استعلى الناس بقيم الأرض، فقد استعليتم بقيم السماء!

ألم يقل الله لموسى وهو في موطن التحدي والمواجهة مع فرعون وجمعه، مذكرا إياه بما عنده وليس عند غيره: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (طه:٦٨).

وقال لنبيه ﷺ ومن معه من صحابته الكرام -رضوان الله عليهم- بعد ما مسهم القرح في أحد، مذكرا إياهم بما عندهم وليس عند غيرهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩).

فمن في الناس يقوى على شرائكم؟ ومن يستطيع أن يساوم على بيعكم؟! إن هانت على الناس أنفسهم فباعوها -بثمن بخس- بمنصب تافه، أو بلقب أجوف، أو بدنيا غيرهم! فقد غاليتم أنتم بأنفسكم، فلا يقوى أحد على شرائكم، سوى الذي خلقكم!

فأنتم سلعة الله الغالية، بعتم لله -ولله وحده- ونقدكم الثمن (الجنة)، بعدما أمهرتموها: النفس والمال!

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة:١١١).

بعنا النفوس ولم نخسر ببيعتنا.. شيئا، فإن مليك الملك شارينا

أين هذا السمو، ممن قال الله -عز وجل- فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٦).

ألا، ما أبعد البون بين من باع لله فربح الدنيا والآخرة، وذلك هو الفوز العظيم، وبين من باع - أو بتعبير أدق: بيع - لغيره، فخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين!

يا أشرف الناس، وأعلى الناس، وأغلى الناس، وأعز الناس.. إن فرح الناس بالحياة الدنيا وزينتها، وتشبثوا بها، وقاتلوا عليها.. فقولوا لهم كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ ومن معه من الصحابة؛ مبينا لهم أن الفرح الحقيقي يكون بما جاءهم من الله من موعظة وهدى، وليس من المال وأعراض الحياة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨).. أو كما قال سليمان لملكة سبأ؛ وقد أرسلت إليه بهدية لتنظر ماذا يفعل: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (النمل:٣٦).

الدجاجة أم البيضة.. أسرار أساسية بسيطة لتعرف أولوياتك

عرض: محمد عبدالعزيز

كتاب مهم يساعد في تحسين الأوضاع المالية لقارئه، ويعرفه كيف يزيد من دخله؛ إذ يساعدهم على توفير كثير من سنوات العمر ويجنبهم الوقوع في الأخطاء التي لا يكون لديهم علم بها.

ينقسم كتاب «الدجاجة أم البيضة - أسرار أساسية بسيطة لتعرف أولوياتك» -الصادر عن دار العبيكان في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط لمؤلفه تريستسن ويلث، وترجمة شدى سلامة- إلى ثلاث خطوات متتالية:

درب نفسك هي الخطوة الأولى (الخطوة أ) من الكتاب. إنها قاعدتك المخصوصة بإعداد نفسك إعدادا أساسيا وبسيطا؛ من أجل رحلتك في اتجاه الخطوة الثانية.

أما استعدادك المالي فهو الخطوة الثانية (الخطوة ب)، والتي تتناول الأساس البسيط، وكيفية تحقيقك للاستقلالية المالية المخصوصة بك، عن طريق تحليل نقاط قوتك وضعفك. وهنا من المستحسن أن تمعن النظر في أفكار الخطوة الأولى؛ لتجعل حياتك أسهل عند قيامك بالخطوة الثانية، والتي قسمت إلى ثلاث مهام، بناء على الأفكار المرافقة لها.

في حين تناقش الخطوة الثالثة (الخطوة ج) أفكارا أساسية بسيطة عن الطريقة التي تستطيع من خلالها النمو سريعا من خلال ما حققته فعلا في الخطوة الثانية.

(الخطوة أ) درب نفسك



لن يستطيع أي مبلغ من المال حل مشكلاتك ما لم تعرف كيفية المحافظة عليه، وإليك بعض النصائح التي تفيدك في هذا الشأن:

- تذكر دائما أن ما تجنيه من مال لا يأتي بسهولة؛ لذا ينبغي أن تكون حذرا في كيفية إنفاقه.
- كن على علم بأوجه إنفاقك.. وادرس هل كانت جميعها ضرورية أم لا.
- يجب أن تنفق الدخل الذي تحصل عليه من عملك على ما تحتاج إليه، وليس ما ترغب فيه.
- يجب أن تفكر دائما في أن كل «قرش» تنفقه على أمور غير مفيدة قد يتراكم على المدى الطويل إلى مبلغ تستطيع استثماره في أمور أخرى.

اعرف أرقامك:

«التدفق النقدي الإيجابي أمر مهم جدا؛ إنه يساعدك على تحقيق استقلالك المالي».. وعندما تعرف مقدار تدفقك النقدي ستكون مطلعا على حجم أموالك وعلى الخسائر التي تصيب هذا التدفق، وعليه ستنظم ما يحتاج إلى تنظيم. ومن المهم أن تدرك أيضا:

- تحليل تدفقاتك المالية وما إذا كنت بعيدا عن هدفك أم لا.
- معرفة الفرق بين الأصول والاقتطاعات.
- معرفة الخلل في إنفاقك.
- ابتعد عن الديون إن أردت أن تحقق أهدافك المالية بسرعة.
- استثمر في مجال مربح وأن تكون على دراية به.

حفاوة عالمية بمبتعث عربي صمم أطرافا لضحايا الحروب

طغت أخبار وصور المبتعث السعودي معاذ بن نبيل بوعائشة، على الصفحات الأولى لعدد من الصحف الكندية، التي سلطت الضوء على أحد أهم اختراعاته المميزة، بتصميم وصناعة أطراف صناعية للأطفال ضحايا الحروب والنزاعات على مستوى العالم.

وبحسب الصحافة السعودية، حاورت كثير من الصحف الكندية المبتعث معاذ (٢٣ عاما) ويدرس علوم الحاسوب والأنظمة الذكية، مشيرا إلى تمكنه من إنتاج الأطراف الصناعية باستخدام تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد، لافتا إلى أن عددا من المؤسسات الإنسانية تواصلت معه بغرض الاستفادة من اختراعه؛ لإرسال منتجاته إلى المتضررين في عدد من الدول.

وأوضح المبتعث -الذي يدرس في جامعة وسترن بمدينة «لندن أونتاريو» بكندا- أنه طرق هذا المجال لمساعدة الأطفال ضحايا الحروب، لاسيما أن الأطراف الصناعية مكلفة وغالية؛ لأن كل يد صناعية تصنع بمواصفات ومقاسات خاصة لكل شخص، ولذلك اجتهد في مجال بحثه إلى أن تمكن من تحقيق هدفه.

وأضاف أنه واجه عديدا من الصعوبات في التصنيع؛ ومن أهمها الدعم المادي، لافتا إلى أنه اضطر إلى بيع كثير من ممتلكاته لشراء الطابعة ثلاثية الأبعاد وأكمل بحثه عليها، مبينا أنه يتمنى الحصول على طابعة أخرى أكثر تطورا لمواصلة أبحاثه وتطوير منتجاته.

عصير الكتب

(الخطوة ب) استعدادك المالي

المهمة الأولى: «الإعدادات الأساسية السهلة نحو حريتك المالية»، والحرية المالية هي الحصول على دخل يدعم أسلوب حياتك دون الاضطرار للعمل من أجله.

(الخطوة ج) تنظيم أفكارك

سرع أفكارك للوصول إلى أفكار مربحة، فمثلا إن كنت مهتما بالقراءة فقط فستفاجأ قريبا بقدرتها على تغيير حياتك؛ لذا من المهم أن تطلع على الأفكار المتنوعة، اطلع على الصحف والمجلات والكتب

وعليك أيضا أن:

- لا تحصر نفسك في مصادر تعلم محدودة.
- البقاء في دولة ناجحة والتعلم منها والاستفادة من إمكاناتها المحفزة على النجاح.
- ابتعد دائما عن الأماكن التي تؤثر سلبا على عقلك.
- احرص دائما على التعلم.. لا تفقد الاهتمام الشديد به.

ناجحون



طور نفسك

التطبيقات الأكثر أهمية في هواتف الناجحين

القاهرة – الوعي الشبابي:

جمعنا لك ١٠ تطبيقات ستجدها على هواتف الرجال الناجحين لتسهيل مهامهم.

١- فليب بورد Flipboard

تطبيق يساعدك على الاطلاع المستمر على ما يستجد من أخبار من كافة أنحاء العالم، ويمنح التطبيق الناس الناجحين الاطلاع المستمر على ما يهمهم من أخبار عبر إمكانية ترتيب الأخبار في قائمة لتصل لأخبارك المفضلة بسهولة.

٢- دروب بوكس DropBox

تطبيق يمنحك إمكانية تخزين الملفات تصل إلى نحو ٢ جيجا بايت مجانا ومشاركتها مع الآخرين، ويعد «دروب بوكس» أحد أهم التطبيقات لرجال الأعمال لدوره في مساعدتهم في القيام بأعمالهم، والاحتفاظ بها أينما ذهبوا.

٣- دراغون دايركشن Dragon Dictation

تطبيق خاص بهواتف «الأيفون»، ويعد من أفضل التطبيقات أثناء التنقل، ويحسن من الأداء والإنتاجية لما به من خواص وإمكانيات، حيث يمنحك التطبيق إمكانية التحدث في الهاتف، وإرسال رسالة نصية، وإرسال بريد إلكتروني، واستخدام تويتر أو الفيسبوك، وعلى الرغم من أنه لا يعمل إلا في حالة الاتصال بالإنترنت، فإنه يظل من أفضل التطبيقات أثناء التنقل.

٤- مينت Mint

يساعد تطبيق «مينت» الرجال الناجحين على تنظيم أمورهم المالية، حيث يمنحك إمكانية الاطلاع على جميع أمورك المالية أثناء تنقلك خارج العمل، مثل الحسابات البنكية، وحسابات الاستثمار والديون والمصروفات.

٥- إيفرنوت Evernote

يساعدك «إيفرنوت» على تجميع كل الأشياء المهمة بسهولة، كاقتصاص مقالات الويب، والتقاط الملاحظات المكتوبة، والتقاط الصور للاحتفاظ بالتفاصيل المادية والرقمية لمشروعاتك في كل الأوقات، ويمنحك «إيفرنوت» إمكانية استخدام ١٠٠٠ ميجا لمدة شهر مجانا.

٦- لينكد ان Linkedin

يمنحك تطبيق «لينكد إن» إمكانية إنشاء والترويج لعلاماتهم التجارية، وإمكانية الحصول على المشورة والإلهام من قادة الصناعة، وأصحاب النفوذ والخبرات حول العالم، بجانب أنه يساعدك على بناء علاقات اجتماعية وشخصية.

٧- بوكيت Pocket

يساعدك تطبيق «بوكيت» على حفظ صفحات الإنترنت أثناء اتصالك بالإنترنت، ومنحك إمكانية تصفحها في وقت لاحق حتى في ظل عدم وجود خدمة الإنترنت، وهذا ما سيمنحك فرصة الاطلاع المستمر على الأخبار؛ حتى وإن لم تكن متصلا بالإنترنت.

٨- كاجوال بروجكت Casual Project Management

مع هذا التطبيق ستكون أكثر اطلاعا وتواصلا مع فريق العمل الخاص بك، ويعد التطبيق أداة للتسهيل عليك في مشروعاتك وجعلها أسهل وأبسط، كما يجعل التواصل مع فريق العمل الخاص بك أمرا سهلا.

٩- سلاك Slack

التطبيق الأمثل للدردشة، والتعاون مع زملاء العمل؛ حيث يتميز بتصميمه الرائع، والذي يساعدك على مشاركة الروابط والوثائق وغيرها.

١٠- سويزل The Swizzle

يساعدك تطبيق «سويزل» على تسهيل العمل على البريد الإلكتروني الخاص بك وتنظيمه، حيث يمنحك إمكانية وقف استلام الإيميلات والإعلانات من المواقع التي لا ترغب في تتبعها دون أن تحمل عناء مسح تلك الإيميلات كل فترة.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

أوقات الصلاة والصيام لسكان المناطق ذات الدرجات العالية

- الخلاصة الحكميّة:

في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

- الأول: أن غياب الشفق شرط في دخول وقت العشاء، وعليه: فلا تصح إلا بعد دخوله ولو طال.

- الثّاني: أن يقدر من الوقت ما بين المغرب والعشاء؛ وعليه: فتجب العشاء بعد انتهاء الوقت المقدر وتصح -كما في «فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية» (رقم: ١١٠٨).

- الثالث: جمع العشاء مع المغرب، وجوزه «مجلس الإفتاء الأوروبي» لكنه نبه على ألا يلجأ المسلم للجمع من غير حاجة، وعلى أن لا يتخذ ذلك عادة. ينظر: قرارات وفتاوى مجلس الإفتاء الأوروبي («المجموعتان الأولى والثانية» (ص١٠٩)).

● **القرارات، والتّوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

● **أولا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، قد اطلع في جلسته الثالثة صباح يوم الخميس الموافق ١٠/٤/١٤٠٢هـ المصادف ٤/٢/١٩٨٢م. على قرار ندوة بروكسل ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. وقرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية رقم (١٦) في ٢١/٤/١٣٩٨هـ:**

فيما يتعلق بمواقيت الصلاة والصوم، في الأقطار التي يقصر فيها الليل جدّا في فترة من السنة، ويقصر النهار جدّا في فترة، أو التي يستمر ظهور الشمس فيها ستة أشهر وغيابها ستة أشهر.

وبعد مدارسة ما كتبه الفقهاء قديما وحديثا في الموضوع قرر ما يلي:

تنقسم الجهات التي تقع على خطوط العرض ذات الدرجات العالية إلى ثلاث:

الأولى: تلك التي يستمر فيها الليل أو النهار أربعا وعشرين ساعة فأكثر بحسب اختلاف فصول السنة؛ ففي هذه الحال، تقدر مواقيت الصلاة والصيام وغيرهما في تلك الجهات، على حسب أقرب الجهات إليها، مما يكون فيها ليل ونهار متمايزان في ظرف أربع وعشرين ساعة.

الثّانية: البلاد التي لا يغيب فيها شفق الغروب حتى يطلع الفجر بحيث لا يتميز شفق الشروق من شفق الغروب، ففي هذه الجهات يقدر وقت العشاء الآخرة والإمساك في الصوم، ووقت صلاة الفجر، بحسب آخر فترة يتمايز فيها الشفقان.

الثالثة: تلك التي يظهر فيها الليل والنهار خلال أربع وعشرين ساعة، وتتمايز فيها الأوقات إلا أن الليل يطول فيها في فترة من السنة طولا مفرطا، ويطول النهار في فترة أخرى طولا مفرطا.

ومن كان يقيم في بلاد يتمايز فيها الليل من النهار بطلوع فجر وغروب شمس، إلا أن نهارها يطول جدّا في الصيف، ويقصر في الشتاء: وجب عليه أن يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها المعروفة شرعا، لعموم قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ (الإسراء:٧٨). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء:١٠٣).

ولما ثبت عن بريدة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: أن رجلا سأله عن وقت الصلاة، فقال له: «صلّ معنا هذين». يعني اليومين، فلما زالت الشمس أمر بلالا، فأذن، ثم أمره فأقام الظهر، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر، فلما أن كان اليوم الثاني، أمره فأبرد بالظهر فأبرد بها، فأنعم أن يبرد بها، وصلى العصر والشمس مرتفعة آخرها فوق الذي كان، وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق، وصلى العشاء بعد ما ذهب ثلث الليل، وصلى الفجر فأسفر بها، ثم قال: «أين السائل عن وقت الصّلاة؟». فقال الرجل: أنا يا رسول الله. قال: وقت صلاتكم بين ما رأيتم» (رواه مسلم).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «وقت الظهر إذا زالت الشمس، وكان ظلّ الرّجل كطوله ما لم يحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفرّ الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشّفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان» (أخرجه مسلم في صحيحه).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في تحديد أوقات الصلوات الخمس، قولا وفعلا، ولم تفرق بين طول النهار وقصره، وطول الليل وقصره، مادامت أوقات الصلوات متمايزة بالعلامات التي

بينها رسول الله ﷺ.
هذا بالنسبة لتحديد أوقات صلاتهم.
وأما بالنسبة لتحديد أوقات صيامهم شهر رمضان، فعلى المكلفين أن يمسكوا كل يوم منه عن الطعام والشراب، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في بلادهم، مادام النهار يتمايز في بلادهم من الليل، وكان مجموع زمانهما أربعا وعشرين ساعة، ويحل لهم الطعام والشراب والجماع ونحوها في ليلهم فقط، وإن كان قصيرا فإن شريعة الإسلام عامة للناس في جميع البلاد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ (البقرة:١٨٧).
ومن عجز عن إتمام صوم يوم لطوله، أو علم بالأمارات أو التجربة، أو إخبار طبيب أمين حاذق، أو غلب على ظنه، أن الصوم يفضي إلى مرضه مرضا شديدا، أو يفضي إلى زيادة مرضه، أو بطء برئه- أفطر، ويقضي الأيام التي أفطرها في أي شهر تمكن فيه من القضاء. قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ (البقرة:١٨٥). وقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦). وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ (الحج:٧٨).
انتهى القرار.

● ثانيا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج/١ص/١٩٤ف/٦)؛ في موضوع «تقدير مواقيت الصلاة في البلاد غير المعتدلة» من مسلمي ألمانيا الغربية؛ ما نصه:
نطلب منكم مشكورين ما يلي:
(أ) هل يصح لنا ونحن هنا في جمهورية ألمانيا الغربية أن نصلي ونصوم على توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة؟
(ب) هل يجوز أن يكون لصلاة العصر توقيت مزدوج كما ذكرنا لكم في هذه الرسالة؟
(ج) نرجو منكم شاكرين أن ترسلوا لنا ما يبين لنا، ويعرفنا على المواقيت في مكة المكرمة، أو المدينة المنورة في حال إذا كان يصح لنا أن نصوم ونصلي على توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة؟
وبعد الاطلاع على الرسالة رأت اللجنة ما يلي:
إن استفتاءكم يدل على أن دورة الأرض اليومية حول محورها الشمس -عندكم- تتم في كل أربع وعشرين ساعة، وإذا كان الليل يطول في بعض فصول السنة ويقصر، إلا أن الأوقات الخمسة متعاقبة عندكم؛ فلا مجال لإسقاط فرض من الفرائض، وعلى كلٍّ فإن المطلوب هو بيان الصلاة وأحكام الصيام.
أما ما يتعلق بالصلاة فإن أقصر ليلة في السنة . كما تقولون . تكون في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة فيمكنكم أن تصلوا المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير، أو أن تؤدوا كل فرض في وقته . إن تيسر لكم ذلك من غير حرج، أما ما يتعلق بوقت العصر الأول والثاني فهذا مبني على خلاف بين أبي حنيفة وجمهور الأئمة بما فيهم صاحباه، فأبوحنيفة يرى أن وقت العصر يدخل من حين صيرورة ظل كل شيء مثليه سوى فيء (ظل) الزوال، وغيره من الأئمة يرون أن وقت العصر يدخل من حين صيرورة ظل كل شيء مثله سوى ظل الزوال.
فالأولى أن تصلوا الظهر قبل العصر الأول وأن تصلوا العصر بعد أذان العصر الثاني ومع ذلك فلو صلي العصر بعد العصر الأول فهو صحيح عند أكثر الأئمة، ولكم أن تأخذوا بأي رأي من هذه الآراء، ولعل إخواننا الأتراك أثبتوا هذا في رزناماتهم لأنهم يلتزمون مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.
وأما ما يتعلق بالصيام فإن طول النهار عندكم لا يبيح الفطر إلاّ إذا كان الشخص مريضا لا يحتمل الصيام، وعندنا في المشرق نرى أن كثرة كثيرة من الناس يكتفون بوجبة واحدة في الصيام ومع ذلك يقومون بأعمال شاقة مع ارتفاع درجة الحرارة إلى درجة شديدة، وعندكم وإن طال النهار فإن الجو لا يدعو إلى الشرب وهو أكثر ما يتشوق إليه الصائم - عادة - ولابدّ أن يراعى أيضا أن هناك أياما في السنة -كما في فصل الشتاء وآخر في الخريف - يقصر فيها النهار قصرا شديدا، فليكن هذا بذاك.
وأما الاعتماد على توقيت مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو أقرب بلد إسلامي فهذا وإن أجيز فهو لمن ينعدم الليل أو النهار تماما عنهم، كالمناطق القطبية التي يدوم فيها الليل أشهرا والنهار أشهرا، والمناطق القريبة منها التي قد يطول الليل فيها أياما والنهار أياما كشمال النرويج والسويد وليس الوضع عندكم كذلك. والله أعلم.
انتهت الفتوى.

● تعليق
ممن اعتنى ببيان هذه المسألة ببحث خاص:
-من المتأخرين: شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبدالكريم المرجاني القزاني، الحنفي (ت١٣٠٦هـ). ورسالته تسمى: «ناظورة الحق في وجوب العشاء وإن لم يغب الشفق»، وقد طبعت في ١٦٤ صفحة.
-ومن المعاصرين: د. عبدالله بن يوسف الجديع، نشرت رسالته مجلة المجلس الأوروبي تحت عنوان: «بيان حكم صلاة العشاء في بريطانيا حين يفتقد وقتها».
ويرجى مراجعة قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من (يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦هـ، إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦هـ) في موضوع: «أوقات الصلاة والصيام لسكان المناطق ذات الدرجات العالية».

إعداد: تركي محمد النصر

المدينة المنورة (شرف المكان)

لعظيم شأن المدينة النبوية كثرت أسماؤها وصفاتها، ومنها: المدينة، وطيبة، وطابة، والدرع الحصينة، وأرض الهجرة، والدار، ودار الإيمان، ودار الهجرة، ودار السنة، ودار السلامة، وقبة الإسلام.
ولعظيم مرتبتها دعا لها النبي ﷺ أن يحببها الله لنبيه وأمته؛ فقال: «اللّهُمّ حَبّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبّنَا مَكّةَ أَوْ أَشَدّ».

(الرسالة الأمينة في فضائل المدينة، ص٣)

بيوت الله

قال العلامة أبو بكر الجراعي الحنبلي رحمه الله تعالى: «قيل: المساجد بيوت الله تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض».

(تحفة الراكع والساجد، ص٣٩)

من أسماء الكعبة زادها الله شرفا

ذكر أهل العلم أن من أسمائها: «الكعبة، البيت العتيق، البيت الحرام، أول بيت وضع للناس، بكة، قادس، بادر، قبلة أهل الإسلام، القرية القديمة، الدُّوّار، البنيّة».

(تحفة الراكع والساجد، ص٥١)

الاتعاظ من أعمال الحج

يقول الإمام موفق الدين بن قدامة رحمه الله: «إن في كل فعل من أفعال الحج تذكرة وعظة للمعتبرين، فمن ذلك:

- أنه يتذكر بتحصيل الزاد للسفر؛ التزود من الأعمال الصالحة لسفر الآخرة.
- فإذا فارق وطنه فليتذكر ميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظام.
- وعند تجرده من المخيط والثياب إذا لبس المحرم رداءه؛ فليتذكر لبس كفنه بعد وفاته.
- وإذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه، وشكر الله على تبليغه رتبة الوافدين إليه ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ (مريم:٨٥).
- وليستشعر عظمة الطواف فإنه صلاة.
- يعتقد عند استلام الحجر الأسود بأنه يبايع الله على طاعته.
- وليتذكر عند التعلق بأستار الحجر الأسود في الملتزم والتصاقه به لجوء المذنب إلى سيده وقرب المحب من حبيبه.
- وإذا سعى بين الصفا والمروة فينبغي أن يمثلها بكفتي الميزان وتردده بينهما بالتردد في عرصات يوم القيامة.
- أما الوقوف بعرفة وبجمع والاجتماع في منى؛ فإنه يتذكر فيها الاجتماع الأكبر، الذي يجمع الله فيه الخلق الأولين والآخرين، وازدحامهم وارتفاع أصواتهم، واختلاف لغاتهم في موقف القيامة».

(كشكول ابن عقيل، ص٢٦٧)

الدعاء

قال عطاء رحمه الله: «جاءني الإمام طاووس رحمه الله، فقال لي: يا عطاء، إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابا. وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه، ووعدك الإجابة».

(الحلية، ٢/٣٠)

التائقون إلى مكة

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «التائقون إلى مكة على ستة أقسام:

القسم الأول: من تكون وطنا له فيخرج عنها فيتوق إلى وطنه وهذا ظاهر.

والثاني: من يذوق في تردده إليها حلاوة ربح الدنيا، فذاك يتوق إلى ربحه لا إليها، لكنها لما كانت سببا تاق إليها.

والثالث: من يكون محصورا في بلده، فيحب النزهة والفرجة ويرى ما يطلبه في طريقها، فينسى شدة يلقاها للذة التي يطلبها، وتبهرج نفسه عليه أنها حب الحج وإنما تحب الراحة.

والرابع: من تبطن نفسه الرياء وتخفيه عنه حتى لا يكاد يحس به وذلك حبها لقول الناس: قد حج فلان لتلقيبه وتسميته بالحاجي، فهي تتوق إلى ذلك وتبهرج عليه بحب الحج، وهذا من دقائق الغرور، فيجب الحذر منه.

والقسم الخامس: من يعلم فضل الحج، فيتوق إلى ثواب الله عز وجل، لأن مضاعفة الثواب في تلك الأماكن تزيد على غيرها وهذا هو المؤمن.

والقسم السادس: توقان عام ليس له سبب من الأسباب المتقدمة، إلا أن فيه شائبة من القسم الخامس الذي هو صفة المؤمن، وهو أن أقواما يتوقون ويجدون قلقا لا يبعث عليه شيء من الأقسام المتقدمة، وليس المكان مستلذا في نفسه فيوجب ذلك القلق، فهذا السر الغامض الذي يحتاج إلى كشف.

ولهذا التوقان ثلاثة أسباب:

أحدها: دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ (إبراهيم:٣٧)، قال ابن عباس: تحن إليهم، قال: وأراد حب سكنى مكة، ولو قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لحجه اليهود والنصارى، لكنه قال: ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

والثاني: أنه جاء في الحديث: «إن الله تعالى ينظر إلى الكعبة ليلة النصف من شعبان، فتحن القلوب إليها».

والثالث: أن الله تعالى أخذ ذرية آدم بأرض نعمان.

(مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، ١/٩٩)

زاد الشوق بعد الرجوع

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «فإني كنت أتوق إلى مكة قبل الحج؛ فداويت هذا الداء بالقصد، فزاد الشوق بعد الرجوع على الحد، وعلمت أن كثرة الترداد لا تزيد إلا شوقا، كما أن لقيا المحبوب لا تزيد نار الوجد إلا وقدا، ثم إني صادفت من هو أشوق مني؛ فشغلني ما رأيت من وجده عني؛ فاتفقنا في أصل الشوق، وافترقنا في قدر التوق».

(مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، ١/٥٩)

المناسك

قال العلامة ابن عوض المقدسي رحمه الله تعالى: «وهي جمع منسك –بفتح السين وكسرها– فبالفتح: مصدر، وبالكسر: اسم لموضع العبادة، مأخوذ من النسيكة، وهي الذبيحة المتقرّب بها، ثم اتسع فيه، فصار اسما للعبادة والطاعة، وقد غلب إطلاقها على أفعال الحج لكثرة أنواعها، ولما تضمنه من الذبائح المتقرب بها».

(فتح وهاب المآرب، ٢/٥)

من روائع الرافعي

قال العلامة الرافعي رحمه الله تعالى: «فنظرُ الإنسان إلى نقص غيره، هو أولُ نقصه»

(من وحي القلم، ٢/٢٣١)

الظلم

قال الإمام التابعي ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: «الظالم، والمعين على الظلم، والمحب له سواء».

(تهذيب الكمال، ٢٩/٢١٩)

إعداد: علاء عبدالفتاح

التأويل اليوسفي للرؤيا

النص القرآني في سورة يوسف يحمل صفة قصصية عبقرية، ألا وهي عنصر التشويق والدهشة؛ فالترتيب الحكائي لقصة يوسف عليه السلام، جاء ضمن سياق جاذب يلهم عقل القارئ. ومع اندماج الذات القارئة في فعل القراءة ينتابها شعور انجذابي للآتي من النص.

فالتقنية الكتابية المستخدمة في السياق القرآني لنص سورة يوسف، اشتغلت على عنصر التقديم والتأخير لخلق تكاملية حكائية جاذبة.

وأول معالم هذه التقنية كانت بجلب النتيجة النهائية للحكاية اليوسفية إلى بداية النص: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ (يوسف:٤).

فرؤيا يوسف ذاته هي المفصل الرئيسي للنص القرآني في سورة يوسف، وتأويلها هو النتيجة التي قادت إليها المقدمتان، الصغرى والكبرى. والنص القرآني إذ يشتغل على هذه النتيجة فإنه يعتمد التشويق القصصي ليبقي القارئ على صلة بالنص الشيق.

● معاذ بني عامر

«سجل الزلازل العربي»

ما طبيعة القشرة الأرضية العربية؟ وما صفاتها جغرافيا وجيولوجيا؟ وما درجة قرب المنطقة العربية أو بعدها من أحزمة الزلازل والبراكين والتصدعات الأرضية؟ وما الدول الأكثر خطرا وتوقعا لحدوث مثل هذه الظواهر بها؟ وما تاريخ المنطقة فيما يتصل برصد الزلازل والبراكين والانهيارات الأرضية وتسجيلها؟

هذه الأسئلة نجد لها الإجابة الشافية في كتاب د. عبدالله يوسف الغنيم «سجل الزلازل العربي.. أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية». وهو محاولة علمية لتوثيق حوادث الزلازل والبراكين التي هزت المنطقة العربية منذ بداية القرن الأول الهجري وحتى أواخر القرن العشرين، وما رافقها من ظواهر جغرافيا واجتماعيا وثقافيا، كما يشكل الكتاب خلاصة مكثفة لكتب التراث العربي الإسلامي على اختلافها عن هذا الموضوع.

يتحدث المؤلف عن الأسباب التي قادته إلى وضع هذا المرجع غير المسبوق عربيا.. يقول: «شدتني تلك المساحات البازلتية الشاسعة التي يطلق عليها «الحرات»، والتي تنتشر في معظم المناطق الغربية من شبه الجزيرة العربية وفي الصحراء الأردنية، إضافة إلى الفوهات البركانية الواسعة، ومخاريط الرماد، والقواطع، والسدود الصخرية المختلفة الأشكال التي تدل جميعها على مقدار النشاط الباطني الذي تعرضت له شبه الجزيرة العربية في مراحل مختلفة من تاريخها الجيولوجي، وتكون من جراء ذلك ما سمي بـ «الأخدود الأفريقي العظيم»، الذي يشتمل على منخفض البحر الأحمر ووادي عربة وغور الأردن، وبعض امتدادات ذلك المنخفض شمالا وجنوبا».

● صلاح حسن رشيد



القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

info@alwaei.com

هدايات.. أشهر الحج

لله تعالى في دهره نفحات، وفي خلقه شؤون، فيتجلى عليهم بقبس نور من الطاعات والعبادات ليهديهم طريق الرشاد، فيزدادون تقربا وحبا له تعالى، فتتضاعف حسناتهم وتكفر سيئاتهم. ومن تلك النفحات العشر الأوائل من ذي الحجة، التي قال فيها المصطفى ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه العشر»، يعني العشر الأوائل من ذي الحجة. فقال الصحابة: ولا جهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء». لذلك علينا الحرص على الأعمال الصالحة بعد أداء الفرائض والعبادات بحقها، فنستزيد من الخيرات، بنوافل صلاة وصيام وصدقة وبر والدين وصلة رحم ومد يد العون للمستضعفين من الفقراء والمساكين والمرضى واليتامى وغيرهم، لتفريج همومهم، خصوصا في هذه الأيام العشر، التي يعلم فضلها الواحد الأحد، وتلك الأيام من الأشهر الحرم التي جعلها المولى عز وجل دينا قيما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ (التوبة:٣٦)، فمن غفل عن فضل هذه الأيام يظلم نفسه، فنجد في تلك الأيام يوم التروية الثامن من ذي الحجة، الذي يتجه فيه الحجاج إلى منى، فيرتوون بالماء ويحملونه، أو سمي بذلك لأنه يروى فيه من أعمال الحج ومناسكه، وأيضا فيها يوم عرفة التاسع من ذي الحجة، الذي يمثل الركن الأساسي للحج لقول المصطفى ﷺ:«الحج عرفه». فمن فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج، وعن هذا اليوم قال المصطفى: «إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: أنظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا». وبهذا يقف المسلمون جميعا في مشارق الأرض ومغاربها على أبواب الرحمة والمغفرة والعتق من النار، فحجاج يقفون بحجهم، وأهل أمصار بصومهم، وذلك من قول المصطفى ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»، فترفع درجات وتكفر صغائر ذنوب، أما الكبائر فتحتاج إلى توبة نصوح وإخلاص نوايا، بعيدا عن حقوق العباد التي يجب أن ترد، مع عدم استحباب صيام هذا اليوم للحاج حتى لا يضعف عن أداء بقية مناسك الحج، فيستزيد من الدعاء في موقفه هذا الذي قال فيه المصطفى: «أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

وكذلك تضم تلك الأيام المباركة يوم النحر العاشر من ذي الحجة، يوم الحج الأكبر، وهو يوم عيد الأضحى، فيستمر الحجاج فيه بأداء مناسكهم من رمي جمرة العقبة الكبرى والذبح والحلق أو التقصير، ويشاركهم فيه أهل الأمصار في بقية بقاع الأرض فرحة العيد وذبح الأضاحي والتوسعة على الأهل والفقراء وصلة الأرحام.

● **هدى الكاشف**



الأجر الحسن في القرآن الكريم

يقع هذا الوصف «الحسن» في النفس موقعا يمنحها بهجة، ويضفي عليها سرورا، ويسري فيها شعورا طيبا، وإحساسا محببا. وحين يطلق هذا الوصف يستدعي الذهن كل صور الجمال، وكل مشاهد الرواء، وكل مواطن البهاء، حسية كانت أو معنوية، من روض حسن، ووجه حسن، وقول حسن، وقرض حسن، ورزق حسن.. وغير ذلك

ومن ثم.. فالحسن في اللغة «ما حسن من كل شيء»، أي: ما جمل. وإذا كانت دلائل هذا الوصف بادية في الحسيات، تراها العين نضرة وجمالا، فإن في إطلاق هذا الوصف على المعنويات ما يؤكد جمال الموصوف وبهاءه وروعته، كأنما يرى رأي العين. كما أن فيه إشارة إلى ما يحوي من متعة الوجدان، ولذة الشعور، عطاء لا يقل عن الجزاء المادي، والنفع الحسي، إن لم يفقه. فإذا الموصوف في ظل هذا الوصف «الحسن» بلغ شأوا عظيما، وشأنا كريما.

وإذا النفس الإنسانية تنعم بالعطاءين الحسي والوجداني فترتقي -وهي في ظل العطاء الوجداني- في أفق الإنسانية مرتقى عاليا يتجاوز حد النفع المادي إلى رفاهية الشعور، وسمو الأحاسيس.

وإذا كان الأجر جزاء لعمل مرتبط بهذه الدائرة التي يكتنفها الكد والمشقة، فإن وصفه بالحسن ليرسم واحة بهية، تستروح في أفيائها النفس المرهقة.. فإذا الأجر جزاء ووفاء، وعوض وفضل، وتجفيف عرق، وترويح نفس.. إنه ليس مجرد أجر.. إنه أجر حسن. فماذا عن الأجر الحسن في القرآن الكريم؟

لقد جاء الأجر موصوفا بالحسن في القرآن الكريم في موضعين:

الأول: قال الله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف:٢).

الثاني: قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح:١٦).

● **عبدالمنعم عبدالله حسن**

القرآن وحقوق الإنسان

القرآن الكريم منهج رباني شامل، جاء لتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة. والقرآن يعتني بالإنسان في كل آياته، ولا يقتصر ذلك على ذكر الحقوق والواجبات وتقريرها.

والقرآن الكريم حافل بالعديد من الآيات التي تشير إلى حقوق الإنسان، وتنص على حمايتها، وتحذر من انتهاكها أو الانتقاص منها. ومن الحقوق والحريات التي وردت في القرآن الكريم الحق في الحياة وفي الكرامة الإنسانية، والحق في المشاركة في المجال العام من خلال الشورى، والحق في الكسب والميراث، وحقوق المرأة وحقوق الأطفال، وحقوق الفئات الضعيفة في المجتمع كالأيتام والفقراء.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد إشارات ضمنية لحقوق الإنسان.

فحديث القرآن عن المعاملات والعلاقات بين الناس، هو حديث عن حفظ الأموال وتنميتها، وتحريم الغش والغبن في التعامل مع الآخرين: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨).

وحديث عن الظلم بمعنى تضييع حقوق الآخرين، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:١٤٠).

وحديث عن الظلم بمعنى أخذ حقوق الآخرين، يقول

فضل العـادة

لقد وهب الله للإنسان قدرات عجيبة وطاقات كامنة وإمكانات واسعة، إذا أطلق لها العنان وسخرها لتحقيق أهدافه وطموحاته فإنه بذلك يستطيع أن يصل إلى أفضل المستويات، إيمانيا وأخلاقيا واجتماعيا وإبداعيا، ولكنه إذا أهمل تلك القدرات والملكات فإنه سيعيش حياة مشلولة الفاعلية، يلفها الروتين والركود والتبلد.

ومن تلك المواهب التي أودعها الله في فطرة البشر «العادة»، ولولا هذه الموهبة لقضوا حياتهم يتعلمون المشي أو الكلام أو الحساب أو غيره؛ فهي تؤدي دورا مهما وخطيرا في حياتهم، إذ توفر قسطا كبيرا من الجهد البشري بتحويله إلى عادة سهلة ميسورة، لينطلق هذا الجهد في ميادين جديدة من العمل والإنتاج والإبداع. ولكنها مع عظم مهمتها في حياتهم فقد تنقلب إلى عنصر معوق معطل إذا فقدت كل ما فيها من وعي، وصارت أداء آليا لا تلتفت إليه النفس ولا ينفعل به القلب.

من هنا فإن أي عمل يقوم به الإنسان يوميا يبصم في خلاياه الدماغية، وكلما تكرر ذلك العمل توسعت بصمته لتصبح محتلة جزءا كبيرا من المخ، فيصبح القيام بذلك العمل تلقائيا بلا وعي، ومن هنا كان غزو العادة للإنسان من أقسى أنواع الغزو وأشده، ولذلك يعاني الكثير من صعوبة التخلص من بعض العادات، وبالأخص العادات اليومية.

● **بلال المرسي**

الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء:١٠).

وحديث عن ظلم الإنسان لنفسه بتعريضها لعذاب الله ومقته، يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥).

وحديث القرآن عن القصاص فيه حفظ لحق الحياة: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ (البقرة:١٧٩)، وحديث القرآن عن الحدود فيه حفظ لحق التملك: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة:٣٨)، وحفظ للنسب: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور:٢)، وحفظ للأعراض: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٤)، وحفظ لحق الفرد والمجتمع في الأمن: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (المائدة:٣٣).

● **محمد خاطر**

مسك الختام

الدعاء والفاعلية الإنسانية

لا يستغني الإنسان أبدا بنفسه؛ فهو محتاج لمن يساعده ويمد له يد العون، يلجأ إليه وقت حاجته، وحين اشتداد أزمته؛ فافتقاره صفة لازمة له.

والغني على الحقيقة هو الله رب العالمين، القائم بنفسه، والذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه، وكل الخلائق محتاجة إليه، يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر:١٥).

لذا فإن الإنسان دائما ما يبحث عمن يلبي طلبه ونداءه، بجلب منفعة، أو بدفع مضرة.

والإنسان مفطور على العبادة، فاتجه للبحث عن إله يعبده، ويكون دعاؤه متوجها إليه، فمنهم من اهتدى، ومنهم من ضل.

فمن اهتدى نادى سميعا بصيرا مجيبا ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٢).

ومن ضل فإنه يتخبط في مهاوي الضلال والخذلان، وقد صور ربنا جل جلاله هؤلاء العباد الذين اتخذوا آلهة أخرى من دونه –تعالى– يشركونهم في العبادة، ويستغيثون بهم، ويتضرعون بين أيديهم، فقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ (الأعراف ١٩١-١٩٤). يا لها من صورة رائعة معبرة؛ فالذين تدعون وتنادون من دون الله لا يملكون لأنفسهم نفعا أو ضرا، فضلا عن أن ينفعوا غيرهم أو يضروهم، وهل يستجيب النداء من لا يسمع أو من لا يبصر؟!

فالدعاء طريق القرب إلى الله تعالى.

فبه تنحل الخطوب، وتتجلي المدلهمات، ويزداد القرب من رب الأرباب.

عندها يفوز المرء في الدنيا والآخرة؛ فلا العقبات تعيقه عن الوصول إلى مبتغاه، ولا الأزمات تقعد به عن استكمال الطريق إلى مولاه.

فهو دائما يرى النور رغم دياجير الظلام، موصول بحبل من ربه وإن قطعه الناس.

ولاشك أنه باللجوء إلى الله تعالى، ودخول حصنه الحصين، والتبرؤ من كل حول وطول وقوة إلا من حوله وطوله وقوته سبحانه، وإلقاء الهموم عند عتبته، تنزاح الأزمات، وتنفرج الكربات.

ومن أخطأ هذه الطريق فاته الخير كله، وبات متخبطا لا يهتدي لسبيل، ولا يعرف لمنجاته طريقا.

ولكن الدعاء يحتاج إلى السعي والأخذ بالأسباب؛ فالدعاء ساق تحتاج إلى ساق أخرى هي السعي حتى يصل الداعي إلى مبتغاه.

فمن يطلب سعة الرزق لن يجده وهو قاعد في بيته يدعو، بل عليه أن يقرن ذلك بالعمل الدءوب.

قال بعض الحكماء: الكسل شؤم، وصاحبه محروم، وكلب طائف خير من أسد عاكف، ومن لم يحترف لم يعتلف.

وقيل: لا يحصل برد العيش إلا بحر النصب، ولا يصافح راحة الراحة إلا من عانق التعب.

والحركة والسعي والطلب والفاعلية يحتاجها الإنسان على مستواه الشخصي، وتحتاجها الأمة على مستوى العموم.

لكن الركون والقعود سبب في تخلف الأمة، وخروجها من المعادلة الحضارية، حتى أصبحت عالة على الحضارات الأخرى.

ولنهضة الأمة يجب الجد في الطلب وتغيير هذا الحال، وليس الاستسلام تحت مسمى: الرضا بالمقدور.

قال العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: «أيها المسلمون: لا تظنوا أن الدعاء وحده يرد الاعتداء؛ إن مادة: دعا يدعو لا تنسخ مادة: عدا يعدو، وإنما ينسخها: أعد يعد، واستعد يستعد، فأعدوا واستعدوا، تزدهر أعيادكم، وتظهر أمجادكم».

محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الصحة نعمة ..
تستاهل الشكر
"صلاتك ... شكر"
نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني